

ثَرْتَرَةٌ فَوْقَ سَقْفِ الْعَالَمِ ... مِنْ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ ①

13 طَلْقَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حَوَادِثُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ ١٩٧٩-٢٠٠١ م

المجلد الأول

مُصْطَفَى حَامِدٍ
أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيِّ

اعْتَنَى بِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

عَطَّالَةً
أَبُو الْمُرَيْطِيِّ

هذا الكتاب..

مَضَى عَلَيَّ فَتْحُ (كَابُل) مَا يُقَارِبُ الثَّلَاثُونَ شَهْرًا، وَفِي هَذَا الْمُنْفَى الْجِبَلِيِّ فِي مِئْطَةِ (خوست) سُرِعَتْ فِي تَحْقِيقِ حَلْمٍ قَدِيمٍ، هُوَ وَضَعُ كِتَابٍ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَلَيْسَ هُنَاكَ أَسْوَأُ مِنْ هَذَا التَّوْقِيتِ لِلْكِتَابَةِ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَقَدْ اسْتَدَارَ الزَّمَانُ وَتَبَدَّلَتِ الْمَصَالِحُ وَأَسْفَرَتِ الْوُجُوهُ عَنِ مَلَاحِمِهَا الْأَصْلِيَّةِ بَعْدَ طَوْلِ تَكْلَفٍ وَخِدَاعٍ، وَأَنْتَهَى أَحَدُ الْفُصُولِ الْكَالِحَةِ فِي لَعِبَةِ الْأُمَمِ، تِلْكَ اللَّعِبَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الَّتِي لَا تَبَالِي بَدِينٍ أَوْ دِمَاءٍ. فَازَ الْأَقْوِيَاءُ بِالْغَنَائِمِ الضَّخْمَةِ، وَأَنْتَزَعُوا حَتَّى الْفَتَاتِ مِنْ أَفْوَاهِ حَلْفَانِهِمْ، وَرَضِيَ الَّذِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ بِقَشُورِ تَافِهَةٍ مِنْ حُطُوظِ الدُّنْيَا، بَاعُوا بِهَا الدِّينَ كَمَا بَاعُوا دِمَاءَ إِخْوَانِهِمْ، وَضَرَبُوا أُمَّتَهُمْ فِي مَقْتَلٍ وَصَدَمُوها فِي عِقَائِدِهَا وَإِمَالِهَا.

إِنْ قَوْلُ الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ صَعِبٌ فِي الْحَيَاةِ الْعَادِيَّةِ، وَتَزْدَادُ الصُّعُوبَةُ إِذَا تَعَلَّقَتْ الْحَقِيقَةُ بِحَالَةٍ حَرِبَ اخْتَلَطَتْ فِيهَا عَوَامِلُ الدِّينِ بِالْمَصَالِحِ، لِأَطْرَافِ مُتَعَارِضَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَالْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَمُحَاوَلَةُ تَشْرِيحِهَا عَلَى الْمَلَا فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ إِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّةٌ اسْتِحَارَ مَعَ سَبْقِ الْإِصْرَارِ؛ لِأَنَّ الْمَقَاوِمَةَ لِهَذَا الْعَمَلِ لَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَحَدِ طَرَفِي الصَّرَاعِ، بَلْ مِنْ كِلَيْهِمَا مَعًا..

مُصْطَفَى حَامِدٍ
أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيِّ



حقوق الطبع محفوظة

لكل مسلم

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ٧/١٤٣٧-٢٠١٦

مؤسسة المرابطين لدعم الجهاد والمجاهدين

مؤسسة

المرابطين

لدعم الجهاد والمجاهدين

ثُرَّةٌ فَوْقَ سَقْفِ الْعَالَمِ... مِنْ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ (١)

١٥١ طَلَقَةٌ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حَوَادِثُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ ١٩٧٩-٢٠٠١م

المُجَلَّدُ الْأَوَّلُ

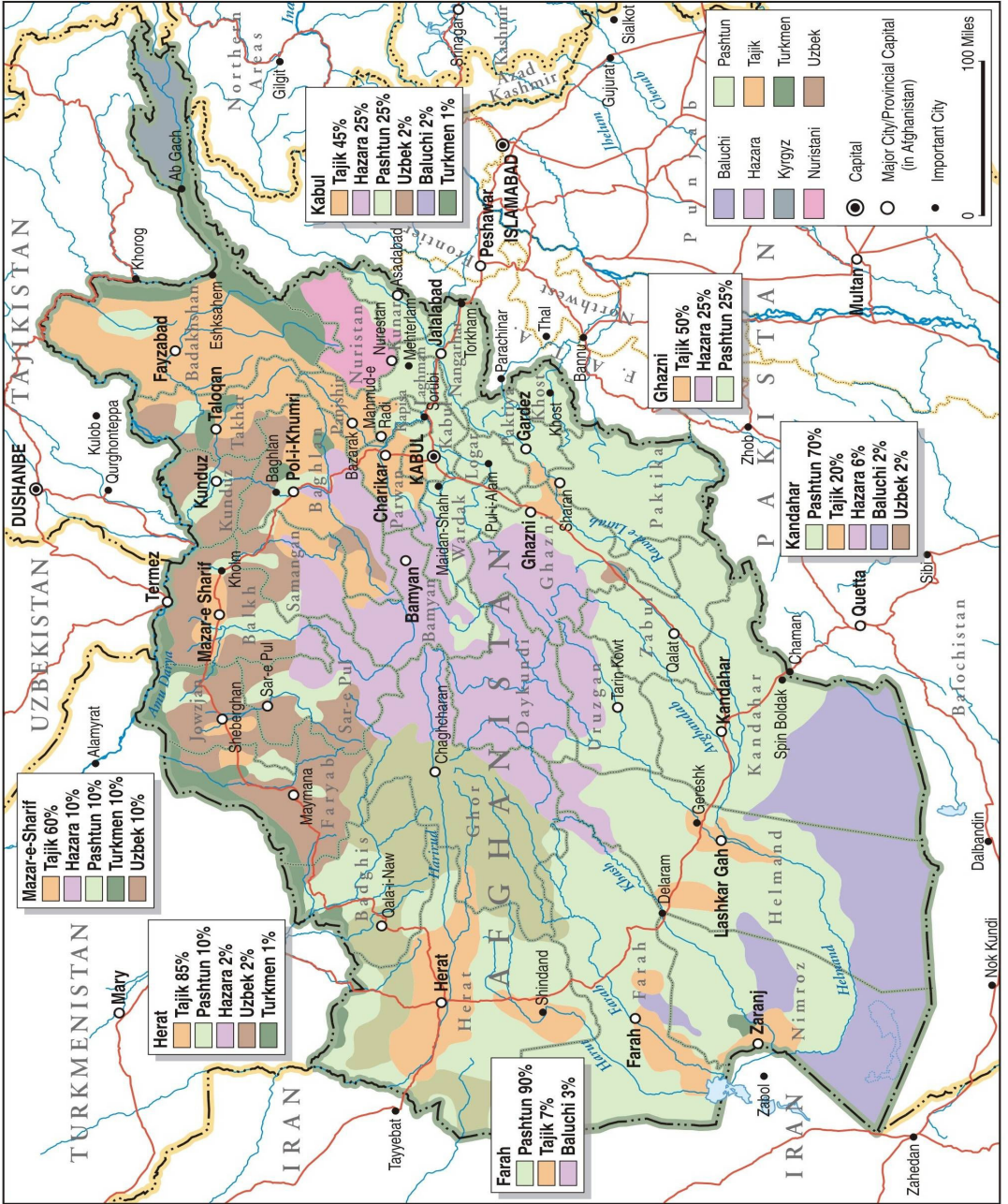
أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ

مُصْطَفَى حَامِد

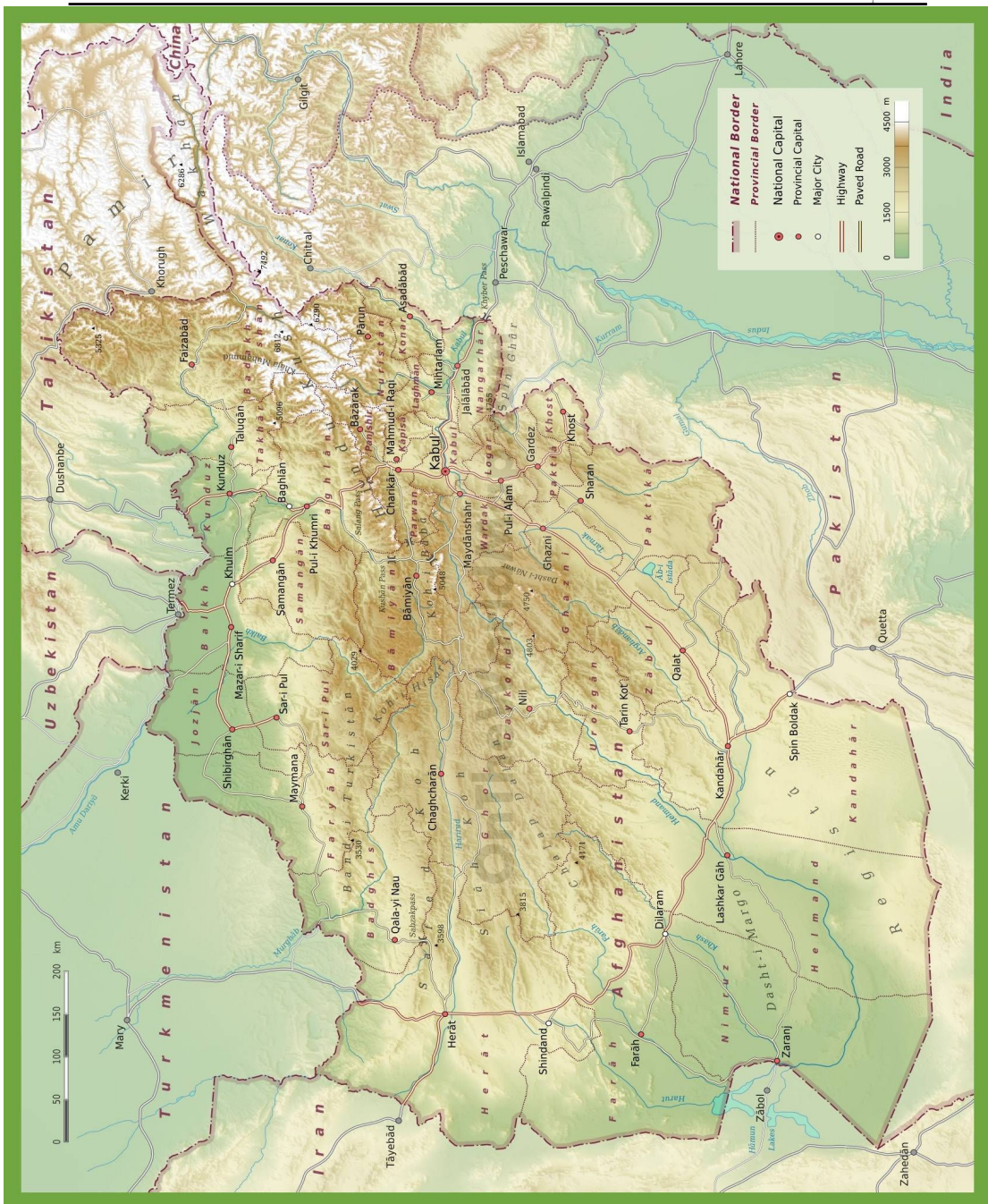
اعْتَنَى بِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

عَطَّلَتْ
أَبُو الْمَلِطِيِّ

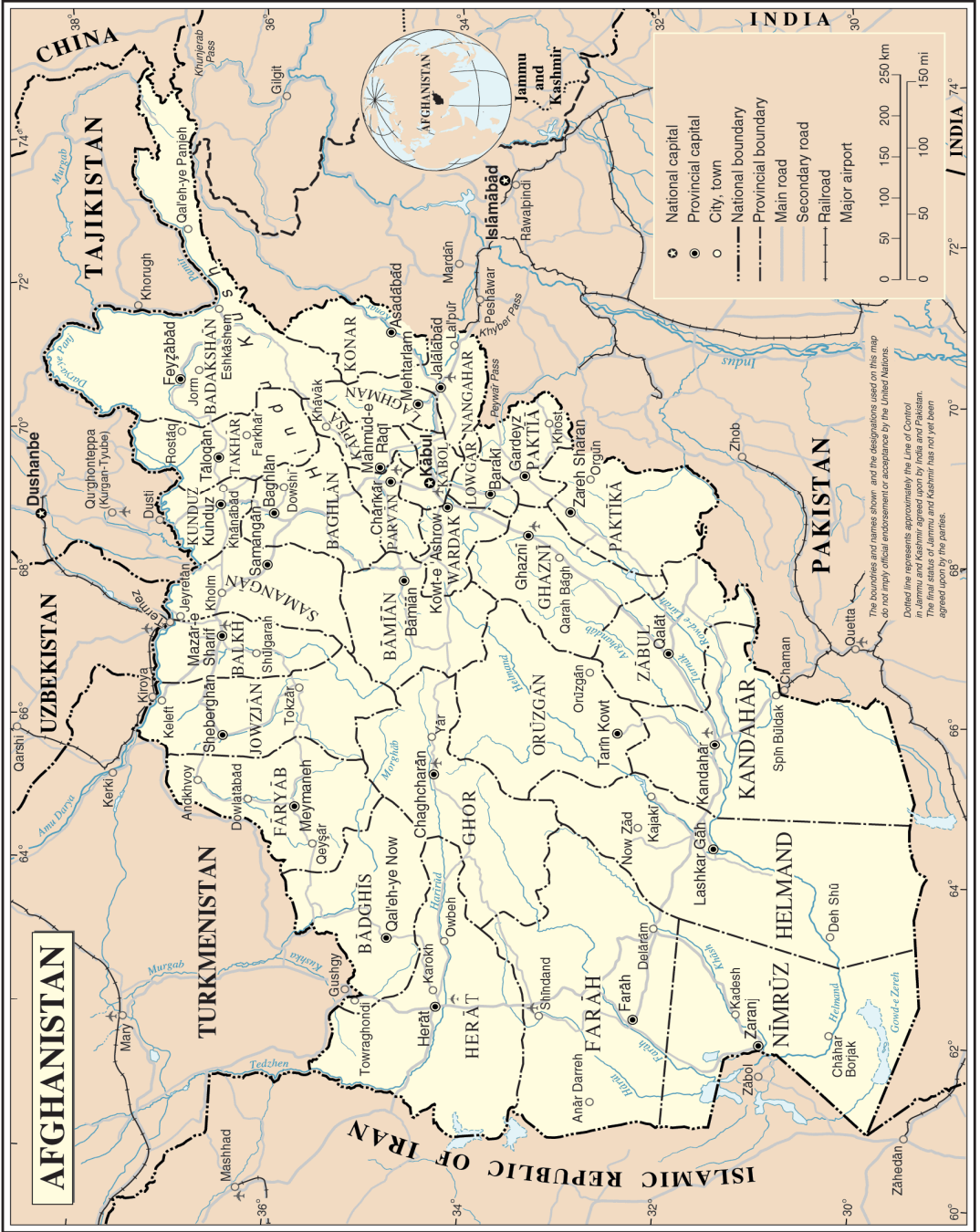
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



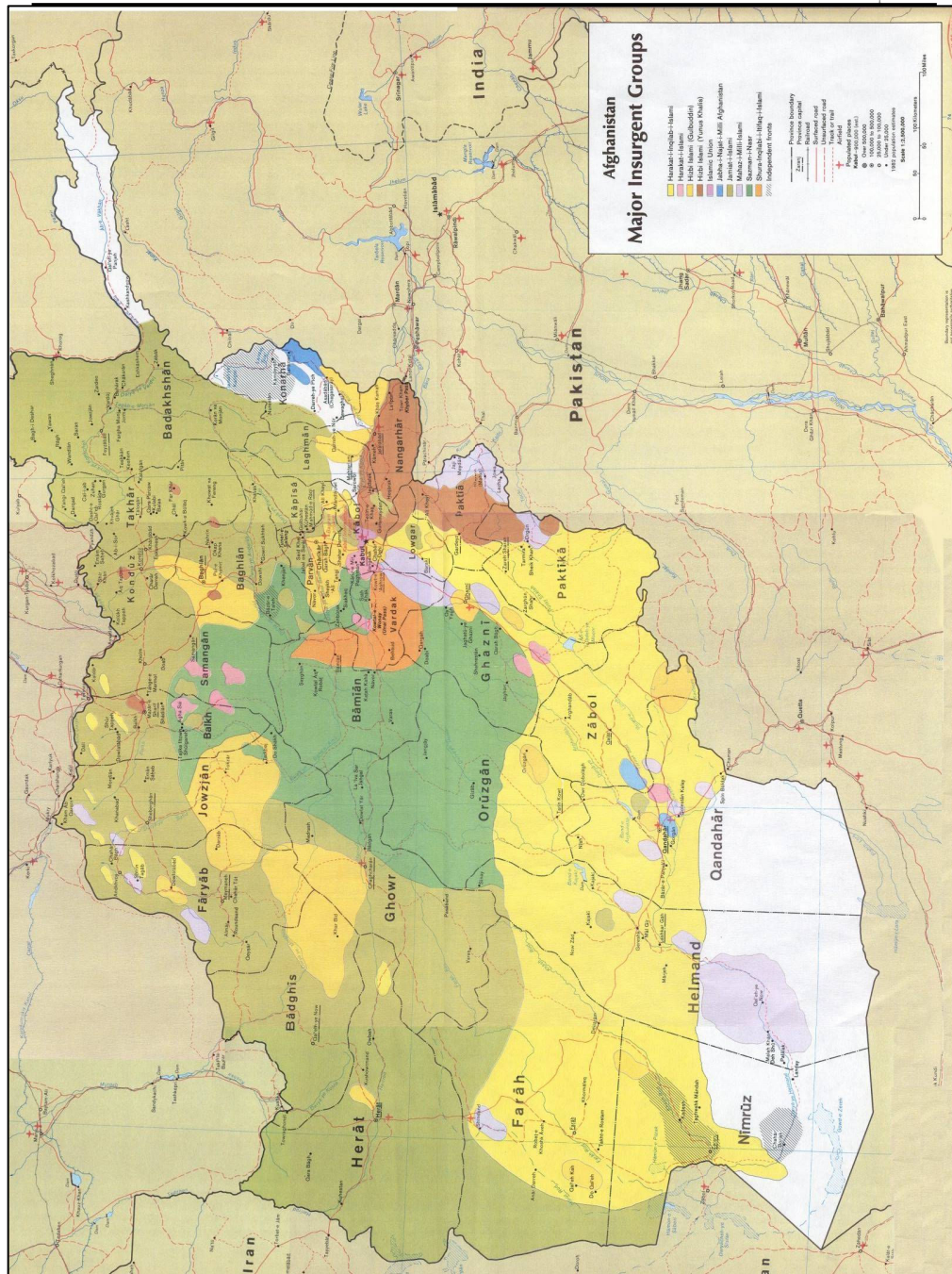
خَرِيْطَةُ اَفْغَانِسْتَانِ (۱)



خَرِيْطَةُ اَفْغَانِسْتَانَ (۲)



خَرِيْطَةُ اَفْغَانِسْتَانِ (۳)



خَرِيْطَةُ اَفْغَانِسْتَانَ (۴)



مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى امْتِحَانِهِ وَابْتِلَائِهِ، وَالْحَمْدُ لَهُ
 سُبْحَانَهُ أَنْ أَمْهَلَنَا بَعْدَ الذَّنْبِ وَأَنْ فَرَّجَ بَعْدَ الْكَرْبِ، فَالْحَمْدُ الْحَمْدُ لَهُ عَلَى مَا
 أَحْصَيْنَاهُ وَمَا لَا نُحْصِيهِ، وَالْحَمْدُ لَهُ عَلَى خَيْرِ نَحْصَلُهُ وَعَلَى شَرِّ نُقْصِيهِ.
 فَالْحَمْدُ لَكَ وَالشُّكْرُ لَكَ رَبَّنَا عَدَدَ الْأَنْفَاسِ وَعَدَدَ الْأَنْفَاسِ وَعَدَدَ الْخَيْرِ النَّازِلِ
 مِنْكَ وَالْبَاسِ، وَالْحَمْدُ لَكَ عَدَدَ السَّاعَاتِ وَاللَّحْظَاتِ وَعَدَدَ حَبَاتِ الرَّمْلِ فِي
 الْفَلَوَاتِ وَعَدَدَ الْكَوَاكِبِ وَالْأَجْرَامِ فِي السَّمَاوَاتِ، الْحَمْدُ لَكَ وَالشُّكْرُ عَدَدَ مَا
 دَقَّتْ قُلُوبُ الْعَابِدِينَ وَعَدَدَ مَا انْهَمَرَ مِنْ دُمُوعِ الْخَاشِعِينَ وَعَدَدَ مَا سَأَلَ مِنْ
 دِمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ، الْحَمْدُ لَكَ رَبَّنَا فِي الْأَزْلِ وَالْحَمْدُ لَكَ لَمْ يَزَلْ وَالْحَمْدُ لَكَ
 عَدَدَ مَا حَمَدَكَ حَامِدٌ وَبَدَّلَ، رَبَّنَا لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، وَلَا يَكْفِي رَجَاءً إِلَيْكَ،
 فَجَمِيعُ الْحَمْدِ إِلَيْكَ لَا يَكْفِي، وَمَا كَانَ مِنْ حَمْدِي إِلَيْكَ لَا يَشْفِي، فَالْحَمْدُ
 لَكَ فِي الْأَوَّلِينَ، وَالْحَمْدُ لَكَ فِي الْآخِرِينَ، وَالْحَمْدُ لَكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، اللَّهُمَّ
 لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ مَا وَسِعَ
 عَفْوُكَ وَعَظِيمُ غُفْرَانِكَ.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
 وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ..

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ].

﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رُجُوعَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاءُ: ١].

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الْأَحْزَابُ].

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. خَالِقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ.. جَامِعِ الْكُفَّارِ الْفُجَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ الْمُوَحِّدِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ..
وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا وَحَبِيبِنَا وَسَيِّدِنَا وَقُدُّوتِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الصَّادِقِ الْأَمِينِ.. حَامِلِ الْهِدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ وَخَالِقِ الْخَلْقِ إِلَى النَّاسِ وَالْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ..

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.. وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ الْمَيَامِينَ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ،

فَإِنَّ جِهَادَ أَهْلِ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ مُسْتَمِرٌّ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ

عَلَيْهَا، وَلَنْ يَنْفِكَ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَنْ نُصْرَةِ بَاطِلِهِمْ، وَلَنْ يَسَامَ أَهْلَ الْحَقِّ مِنْ مُقَارَعَتِهِمْ، فَكَمَا أَنَّ الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانَ بِالْبُرْهَانِ، فَإِنَّ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ وَالْمَدْفَعَ بِمِثْلِهِ. وَقَدْ حَثَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَكَمْ مِنْ آيَةٍ رَعِبَتْ فِيهِ، وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ حَصَّ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ ﴿٨٤﴾ [النِّسَاءِ]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الْمَائِدَةِ]. فَالْجِهَادُ مُلَازِمٌ لِحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمُلَازِمٌ لِلْعِزَّةِ وَقَوْلِ الْحَقِّ وَعَدَمِ الْخَوْفِ مِنَ الْخَلْقِ، وَالْجِهَادُ مُلَازِمٌ لِأَفْضَلِ وَاسِعٍ مِنَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاتًّا أُمَّتَهُ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(١)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ١٥٨ (١٩١٠) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ - بَابُ دَمِّ مَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ.

وَالسَّلَامُ: «وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ»^(١). فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ جِهَادَ الطَّلَبِ هُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ عَلَى الْأُمَّةِ وَقَدْ حَثَّ عَلَيْهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ جِهَادَ الدَّفْعِ أَوْجَبَ وَأَوْجَبَ، وَاتَّسَاعَ دَائِرَةِ الْفَرْضِ فِيهِ عَلَى الْأُمَّةِ أَوْلَى.

وَفِي تِلْكَ الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَةِ تَوَقَّفَتْ الْأُمَّةُ عَنِ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ فَرْضِ الْغَزْوِ لِنَشْرِ دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنْزَالِ الطَّوَاغِيَتِ مِنَ الْحُكَّامِ وَالسَّلَاطِينِ وَالْجَبَابِرَةِ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَزَعِ سَيْطَرَتِهِمْ وَهَيْمَتِهِمْ وَغَبَشِهِمْ عَنْ عُقُولِ وَأَفئِدَةِ الْعِبَادِ. وَكَأَنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ التَّفْرِيطِ، فَكَانَ ابْتِلَاءٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأُمَّةِ الْعَافِلَةِ، فَلَمَّا لَمْ يَطْلُبُوا الْكُفَّارَ فِي دِيَارِهِمْ بِالْغَزْوِ، نَزَلَ الْكُفَّارُ بِدِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَكَذَا دَوْمًا تَجْرِي الْمَقَادِيرُ، فِيمَا أَنْ تَغْزُوا وَإِمَّا أَنْ تُغْزَى، وَلَكِنَّ غَزْوَ الْمُسْلِمِينَ حَقٌّ وَغَزْوُ مَا خَلَاهُمْ بَاطِلٌ.

فَنَزَلَ الْكَافِرُونَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ يُقَطِّعُونَ أَوْصَالَهَا وَيُمَزِّقُونَهَا أَشْلَاءً، وَيَتَقَاسَمُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَحَقَّقَ فِي الْأُمَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعَتِهَا».

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١١٧٧٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، وَأُورِدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتِهِ (٢٥٤٣) وَقَالَ: «حَسَنٌ».

قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةِ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غَنَاءً كَغَنَاءِ السَّيْلِ، تُتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١)، فَنَحْنُ الْيَوْمَ نَعِيشُ كَلِمَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ حَرْفًا حَرْفًا، وَنَتَجَرَّعُ مَرَارَةَ عَدَمِ اتِّقَائِهِ عَلَقَمًا.

وَلَقَدْ حَدَرْنَا الرَّسُولَ ﷺ مِنْ أَسْبَابِ الْمَذَلَّةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، عَسَى أَنْ نَتَّقِيهَا وَنَتَّجِبَهَا، فَقَالَ: «لَيْنَ تَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، لِيُنْزِمَنَّكُمْ اللَّهُ مَذَلَّةً فِي رِقَابِكُمْ، لَا تَنْفُكُ عَنْكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَتَرْجِعُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ»^(٢). وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ ابْتُلُوا بِحُكَامِ خَانُوا الْأَمَانَةَ، وَلَمْ يَتْرَكُوا بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ إِلَّا طَرَفُوهُ، وَلَا طَرِيقًا لِأَهْلِ الْبَاطِلِ إِلَّا سَلَكَوهُ. كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ ابْتُلُوا بِمَحْكُومِينَ سَلَّمُوا قِيَادَهُمْ لِأَهْلِ الشَّرِّ وَالْبَاطِلِ، وَرَضُوا بِالزَّرْعِ وَأَنْعَمَسُوا فِي الشَّهَوَاتِ، فَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٢٣٩٧) مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُورِدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتِهِ (٨١٨٣) وَقَالَ: «صَحِيحٌ».

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٥٠٠٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأُورِدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتِهِ (٦٧٥) وَقَالَ: «صَحِيحٌ».

وَمِنَ السَّاحَاتِ الَّتِي تَجَرَّأَ فِيهَا أَهْلُ الْكُفْرِ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَامْتَدَّتْ
 أَيْدِيهِمْ تُعِيثُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، أَرْضُ الْأَفْعَانِ الْأَيَّتِ، الَّتِي يَسْكُنُهَا رِجَالٌ
 مُسْلِمُونَ لَا يَرْضَى أَكْثَرُهُمْ بِالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رِجَالٌ تُنَاطِحُ
 كَرَامَتُهُمُ السَّحَابَ، رِجَالٌ أَقْسَى مِنْ صَخْرِ الْجِبَالِ، وَعَزَائِمُهُمْ أَمْضَى مِنْ حَدِّ
 الْحُسَامِ. غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَلَاهُمْ كَمَا يَبْتَلِي الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ مِنْ عِبَادِهِ
 لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا سُبْحَانَهُ وَنَرَاهَا فِي سُنَنِهِ الْكُونِيَّةِ. فَتَسَلَّطَ أَهْلُ الْكُفْرِ الشُّيُوعِيُّونَ
 فِي الدَّخْلِ عَلَى الرَّقَابِ وَحَسَبُوا الرُّؤُوسَ سَتَنَحْنِي خُضُوعًا وَتَسْلِيمًا، فَقَامَ
 رِجَالُ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ فِي كَنْفِ أَهْلِ الْكُفْرِ أَوْ فِي
 ذِلَّةٍ وَخُضُوعٍ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ، وَبِمَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ قِلَّةٍ زَادَ وَعَتَادٍ أَخَذُوا
 يُقَارِعُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ مِنَ الدَّخْلِ وَالخَارِجِ، وَيَتَحَمَّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْقِصْفَ
 وَالْجُوعَ وَالْمَوْتَ، فَمَا فَتَ ذَلِكَ فِي عَضْدِهِمْ وَمَا خَارَتْ عَزَائِمُهُمْ.

وَلَكِنَّ طُولَ الْبُعْدِ عَنِ الْجِهَادِ يُورِثُ أَمْرًا ضَارًّا خَطِيرَةً لَا تُعَالَجُ بِسُهُولَةٍ،
 فَمَعَ كَوْنِ الْجِهَادِ قَائِمًا إِلَّا أَنْ هُنَالِكَ مَا يَشُوبُهُ وَيُكَدِّرُ صَفْوَهُ، بَلْ وَقَدْ يَغْلُبُ
 خَبِيثُهُ طُهْرَهُ، وَهُنَا يَزِيدُ الْعِبَاءُ عَلَى أَكْتِافِ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، فَهُمْ
 يُقَارِعُونَ الْعَدُوَّ بِالسِّنَانِ مِنْ جِهَةٍ وَيُعَالِجُونَ الْأَمْرَاضَ الْحَادِثَةَ بِمَا يَلْزَمُ مِنْ
 جِهَةٍ أُخْرَى.

وَنَحْنُ الْيَوْمَ مَعَ أَحَدِ أَبْطَالِ الْمُجَاهِدِينَ فِي تِلْكَ السَّاحَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَاسِيَةِ،

رَجُلٌ تَرَكَ الزَّوْجَةَ وَالْأَوْلَادَ وَالْمَتَاعَ وَهَاجَرَ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَلِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمَظْلُومِينَ. لَقَدْ تَرَكَ الْمُهَنْدِسُ الْمُجَاهِدُ «مُصْطَفَى حَامِدٍ» أَوْ «أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيِّ» الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْأَفْغَانِ لِيُكْفِيَ الْمُسْلِمِينَ فَرَضَ الْجِهَادِ وَدَفَعَ الْعَدُوَّ عَنِ أَرْضِي الْأُمَّةِ الْمَنْهُوْبَةِ.

فَكَانَ «أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ» مِنْ أَوَائِلِ الْعَرَبِ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَرْضِ الْأَفْغَانِ، أَرْضِ الْإِسْلَامِ، فَعَايَشَ تَجْرِبَةَ الْجِهَادِ هُنَاكَ لِحِظَةً بِلِحِظَةٍ وَحَدَّثًا بِحَدَثٍ، مِنْ بَدَايَةِ الْجِهَادِ وَحَتَّى نِهَائِهِ، فَكَانَ شَاهِدَ عَيَانٍ عَلَى التَّجْرِبَةِ بِرُمَّتِهَا، بِأَفْرَاحِهَا وَأَتْرَاحِهَا، بِمِيزَاتِهَا وَعُيُوبِهَا، بِإِشْرَاقِهَا وَضُبَابِهَا، بِأَمَارَاتِ صِحَّتِهَا وَدَلَالَاتِ سِقَمِهَا.

فَمَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ وَدَّعَتْ أَيَّامُ الْجِهَادِ أَرْضَ الْأَفْغَانِ إِلَّا أَنْ سَطَرَ بِقَلَمِهِ لِحِظَاتِ الْأَمَلِ وَسَاعَاتِ الْيَأْسِ، أَسْبَابَ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ، أَمَارَاتِ الصِّحَّةِ وَأَعْرَاضَ الْمَرَضِ، لِحِظَاتِ النَّصْرِ وَالْإِخْفَاقِ، أَوْقَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْخِيَانَةِ. فَأَخْرَجَ لِلْأُمَّةِ سِلْسِلَةً مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُورِّخُ لِأَحَدِ أَكْبَرِ التَّجَارِبِ الْجِهَادِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، تَأْرِيحًا مُسْتَفِيضًا مُسْتَقْصِيًا، بِأَسْلُوبٍ مُمْتِعٍ مُشَوِّقٍ، مَصْحُوبًا بِالتَّحْلِيلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِسْتِيرَاطِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نَفَازِ الْبَصِيرَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّمَرُّسِ.

وَقَدْ عَرَّفَ الْكَاتِبُ سِلْسِلَةَ كُتُبِ التَّارِيخِ تِلْكَ بِثَلَاثِ عِبَارَاتٍ ذَاتَ دَلَالَةٍ،

فَعَرَّفَهَا بِعُنْوَانٍ «ثُرَّةٌ فَوْقَ سَقْفِ الْعَالَمِ»، فِي إِشَارَةٍ إِلَى سَرْدِ لِكَلَامٍ يَأْتِي مِنْ أَعْلَى بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَأَرْضُ الْأَفْغَانِ فِي الشَّمَالِ، وَهِيَ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ شَمَالًا، وَكَذَا عَدُوُّهُمْ الرُّوسُ الَّذِينَ يَقْطُنُونَ أَقْصَى أَرْضِ يَسْكُنُهَا الْبَشَرُ شَمَالًا، فَجَاءَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ تَحْكِي عَن أَوْلِيكَ الْقَوْمِ سَاكِنِي شَمَالِ الْعَالَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَ كُتْبَهُ تِلْكَ بِقَوْلِهِ «حَوَادِثُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ» فِي إِشَارَةٍ مِنْهُ إِلَى أَنَّ الْكُتُبَ إِنَّمَا تَعْتَنِي اعْتِنَاءً بِالْغَا بِسِيرَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَهَذَا يَتَّضَمَّنُ أَيْضًا حِكَايَاتِهِمْ عَنِ الْوَاقِعِ الْأَفْغَانِيِّ الَّذِي عَاشُوهُ وَلَمَسُوهُ عَن قُرْبٍ بِمَا فِيهِ مِنْ أَطْرَافٍ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ، أَفْغَانِيَّةٍ كَانَتْ أَوْ بَاكِسْتَانِيَّةٍ أَوْ رُوسِيَّةٍ أَوْ أَمْرِيكِيَّةٍ أَوْ هِنْدِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ نَعَتْ تِلْكَ السَّلْسِلَةَ الشَّائِقَةَ بِقَوْلِهِ «مِنْ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ» فِي إِشَارَةٍ مِنْهُ لِمَا آلتَ إِلَيْهِ أَحْوَالُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي نِهَائَةِ التَّجْرِبَةِ الْجِهَادِيَّةِ فِي أَرْضِ الْأَفْغَانِ، فَقَدْ أَمْسَى الْعَرَبُ مُطَارِدِينَ مِنَ الْجَمِيعِ، فَالْسُلْطَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ تُطَارِدُهُمْ، وَكَذَا الْمُخَابِرَاتُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ وَالْأَمْرِيكِيَّةُ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْعُودَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَسَبَّ ذَلِكَ الْعَمَلُ الْأَدَبِيَّ التَّارِيخِيَّ إِلَى «الْمَطَارِيدِ»، أَيِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ بَعْدَ أَنْ لَادُوا بِالْجِبَالِ وَالْكُلُّ يَطْلُبُهُمْ، اللَّهُ دَرُّهُمْ.

وَسِوَاءُ اتَّفَقْنَا أَوْ اخْتَلَفْنَا مَعَ الْكَاتِبِ فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، فِي رَأْيٍ أَوْ تَحْلِيلٍ،

حَوْلَ شَخْصٍ أَوْ حَدَثٍ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الْكِتَابَ - وَجَمِيعَ السَّلْسِلَةِ - إِنَّمَا يُمَثِّلُ قِيَمَةً تَارِيخِيَّةً جَامِعَةً وَفَرِيْدَةً فِي بَابِهَا، وَلَا يَخْلُو الْكِتَابُ مِنْ فَوَائِدَ عَظِيْمَةِ النَّفْعِ فِي مَجَالِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ وَالتَّخْطِيْطِيِّ، كَمَا أَنَّ الْكَاتِبَ - حَفِظَهُ اللهُ - تَعَرَّضَ لِلْعَدِيْدِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالثَّغْرَاتِ الَّتِي عَايَنَهَا عَلَى السَّاحَةِ الْجِهَادِيَّةِ، وَالَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ، قَائِدٍ كَانَ أَوْ جُنْدِيٍّ، أَنْ يُحْصِنَ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِفَادَةِ مِنْ تَجَارِبِ السَّابِقِينَ، وَأَنْ يَعْرِفَ أُنْبَعَادَ مَا يُقْدَمُ عَلَيْهِ، وَالْأَمْرَاضِ وَالْعَقَبَاتِ الَّتِي قَدْ يُوَجِّهَهَا فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ، وَكَيْفَ يُمَكِّنُهُ تَجَاوُزُهَا وَالتَّغْلُبُ عَلَيْهَا، وَكَيْفَ وَاجِهَهَا مِنْ سَبَقِهِ مِمَّنْ سَارَ عَلَى دَرْبِ الْجِهَادِ، فَيَزِدَادُ بَصِيْرَةً وَيَجْنِي ثَمْرَةَ عَمَلِهِ نَاصِحَةً صَاحِحَةً خَالِيَةً مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي قَدْ تُضَيِّعُ عَلَى الْأُمَّةِ النَّصْرَ.

عَمَلْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ:

وَيَتَلَخَّصُ عَمَلْنَا فِي هَذَا الْكُتَيْبِ - كَمَا تَعَوَّدْنَا - فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

١. إِخْرَاجُ إِصْدَارَاتِ الشَّيْخِ «أَبِي الْوَلِيْدِ الْمِصْرِيِّ» - حَفِظَهُ اللهُ - فِي نُسْخِ وَرَقِيَّةٍ مَطْبُوعَةٍ أَوْ فِي صُورَةٍ إِلِكْتُرُونِيَّةٍ يُمَكِّنُ طَبْعَهَا وَرَقِيًّا كَمَا فِي هَيْئَةِ الْكُتُبِ الْمُتَدَاوِلَةِ.

٢. تَصْحِيْحُ مَا وَرَدَ بِالْكِتَابِ مِنْ أَخْطَاءٍ لُغَوِيَّةٍ وَنَحْوِيَّةٍ وَرَدَّتْ بِالْأُصُولِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ. وَهُنَا نُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ الْأَخْطَاءَ اللَّغَوِيَّةَ فِي

الْكِتَابِ تُعَدُّ بِالْآلَافِ بِدُونِ مُبَالَغَةٍ، وَنَظْنُ أَنْ أَكْثَرَهَا وَقَعَ فِي أَثْنَاءِ كِتَابَةِ الْمُصَنِّفِ عَلَى الْحَاسِبِ الْإِلَهِيِّ، وَلَا نَظْنُ أَنْ ذَلِكَ يَلْحَقُ بِالشَّيْخِ. وَقَدْ كُتِبَتْ تِلْكَ السُّلْسِلَةُ فِي الْمُعَسْكَرَاتِ وَالْكَهُوفِ وَالْجِبَالِ وَالْمَنْعَى، فَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّيْخَ قَدْ تَعَدَّرَتْ عَلَيْهِ الْمُرَاجَعَةُ اللُّغَوِيَّةُ الدَّقِيقَةُ، وَإِلَّا فَالْكِتَابُ مُنْضَبٌ فِي مُجْمَلِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَطَا جَسِيمٍ يَتَحَمَّلُهُ كَاتِبُهُ عَلَى الْحَاسِبِ الْإِلَهِيِّ، وَيُجْزَى عَلَيْهِ خَيْرًا.

٣. إِعَادَةٌ وَضْعِ عِلَامَاتِ التَّرْقِيمِ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ وَذَلِكَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ مِنْهَا أَحْيَانًا.

٤. إِعَادَةٌ تَنْسِيقِ الْفَقَرَاتِ حَيْثُ قُمْنَا بِضَمِّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ مَعَ مُرَاعَاةِ عَدَمِ الْإِخْلَالِ بِوَحْدَةِ الْمَعْنَى.

٥. قُمْنَا بِتَعْدِيلِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ سِوَاءً بِالْإِضَافَةِ أَوْ الِاسْتِبْدَالِ وَقَدْ قُمْنَا بِكِتَابَةِ الْكَلِمَاتِ الْجَدِيدَةِ بَيْنَ قَوْسَيْنِ كَالتَّالِي [...]، فَمَا وَرَدَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْسَيْنِ لَمْ يَرَدْ بِنَصِّهِ فِي أَصْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ يَكُونُ إِيرَادُ الْكَلِمَاتِ الْجَدِيدَةِ لِمَزِيدِ بَيَانٍ وَإِضَاحٍ. وَقَدْ تَغَاضَيْنَا عَنْ إِيرَادِ الْأَقْوَاسِ فِي مِئَاتِ الْمَوَاضِعِ، وَاکْتَفَيْنَا بِالْقَلِيلِ دُونَ الْكَثِيرِ حِفَظًا عَلَى شَكْلِ الْكِتَابِ.

٦. قُمْنَا بِتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ تَخْرِيجًا مُخْتَصِرًا يَلِيْقُ بِالْمَقَامِ عَلَى نُدْرَتِهَا.

٧. قُمْنَا بِعَزْوِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ إِلَى سُورِهَا مَعَ ذِكْرِ وَتَصْحِيحِ أَرْقَامِ الْآيَاتِ

وَإِيرَادَهَا بِالخَطِّ العُثْمَانِيِّ.

٨. قُمْنا بِإِضَافَةِ تَعْلِيقاتٍ مَنهَجِيَّةٍ عَلى بَعْضِ ما أوردَهُ الشَّيخُ حَفِظَهُ اللهُ، وَكَيْسَتْ تِلْكَ التَّعْلِيقاتُ لِلْمُخالِفةِ بِالضَّرورةِ، بَلْ كَثِيرٌ مَنها إِضاحٌ وَاسْتِشْهادٌ.

٩. قُمْنا بِالتَّرْجَمَةِ لِلأَعْلَامِ الَّذِينَ أَتى الشَّيخُ عَلى ذِكْرِهِم، سِواءً مِنَ المُسْلِمِينَ أَوْ مِنَ غَيْرِهِم، مَعَ إِضَافَةِ صُورِهِمَ لِلتَّعْرِيفِ بِهِم.

١٠. قُمْنا بِالتَّعْرِيفِ بِبَعْضِ الحِواديثِ الوارِدِ ذِكرُها فِي كَلِماتِ الشَّيخِ، وَكَذلكَ قُمْنا بِالتَّعْرِيفِ بِالأَحْزابِ وَالْمُؤَسَّساتِ الوارِدَةِ فِي الكِتابِ.

١١. قُمْنا بِإِعادَةِ كِتابَةِ الكِتابِ يَدويًّا لِشَكلِ الكَلِماتِ جَميعِها قَدْرَ الإِمكانِ، وَشَكلِ الكَلِماتِ مِنَ أُسسِ الكِتابَةِ لَدَيَّ وَإِنْ خالَفَني البَعْضُ فِي ذَلكَ، فَالشَّكْلُ يَزِيدُ مِنَ إِتقانِ الكِتابِ وَضَبطِهِ وَالعِنايةِ بِهِ وَهُوَ أَدعى لِضَبطِ ألسِنَةِ القُرَّاءِ وَأَحْفَظُ لَهُمَ عَنِ الزَّلَلِ.

١٢. أَلْحَقْنا فِي آخِرِ الكِتابِ صَفْحاتٍ تَضُمُّ المَراجِعَ الَّتِي اسْتَدَدْنا إِلَيْها فِي تَحْقِيقِ الكِتابِ بِشَكلِ تَفْصِيلِيٍّ حَيْثُ نَذْكرُ إِسْمَ الكِتابِ كَامِلاً وَاسْمَ مُؤَلِّفِهِ كَافِياً مَعَ بَيانِ تارِخِيٍّ وَلاذِئِهِ وَوفاةِ إِنا تيسَّرَ، مَعَ ذِكرِ اسْمِ دارِ الطَّباعةِ وَعُنوانِها وَعَدَدِ أَجزاءِ الكِتابِ المَطْبُوعِ وَعَعامِ إِصدارِهِ مَعَ ذِكرِ اسْمِ المُحَقِّقِ إِنا وُجِدَ، وَمَا لَمْ نَسْتَطِعِ الرُّجُوعَ إِلى أَصلِهِ كَتَبْنا [لَمْ نُقابِلِ النُّقْلَ مَعَ أَصلِ مَطْبُوعٍ].

١٣. أَضَفْنَا إِلَى الْكِتَابِ بَعْضَ الْخَرَائِطِ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى مَعْرِفَةِ
أَمَاكِنِ الْأَحْدَاثِ الْوَارِدَةِ، كَمَا أوردْنَا صُورًا قَلِيلَةً فِي ثَنَائِ الْكِتَابِ لِبَعْضِ
الْأَسْلِحَةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ وَأَتَى الشَّيْخُ عَلَى ذِكْرِهَا مَعَ التَّعْرِيفِ الْمَوْجَزِ
بِهَا.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِيَّاكُمْ الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَأَنْ يَرْزُقَنَا شَهَادَةً فِي سَبِيلِهِ وَأَنْ يَقَرَّ أَعْيُنَنَا بِنُصْرَةِ دِينِهِ وَإِعَادَةِ الْعِزَّةِ وَالْمَجْدِ
لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُوحِّدَ كَلِمَةَ الْمُجَاهِدِينَ فِي بِلَادِ الشَّامِ
وَالْعِرَاقِ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْ يَرُدَّ مَنْ غَلَا مِنْهُمْ إِلَى الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا وَأَنْ
يَكُفَّ بَعْضَهُمْ بِأَسْبَ بَعْضٍ وَأَنْ يَقِيَهُمُ وَالْمُسْلِمِينَ شَرَّ الْإِرْجَاءِ وَالتَّكْفِيرِ،
وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَأْذَنَ لَنَا فِي الْجِهَادِ وَأَنْ تُرْفَعَ رَايَاتُهُ خَفَاقَةً فِي كُلِّ
أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ. وَأَخِيرًا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَذَا الْكِتَابِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ تَرَاثِ الْأُمَّةِ
الْثَمِينِ وَأَنْ يَرْزُقَ مُؤَلَّفَهُ وَمَنْ اعْتَنَى بِهِ وَشَارَكَ فِي إِخْرَاجِهِ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ
الْجَزِيلَ، وَنَعُوذُ بِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ نَكُونَ جَسْرًا لِعِبَادِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُلْقَى بِنَا إِلَى
جَهَنَّمَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

أَبُو طَلْحَةَ الْمُرَابِطِيُّ

الأحد ٢٠ من شهر صفر لعام ١٤٣٨ هـ

٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٦ م



التَّعْرِيفُ بِالْمُؤَلَّفِ^(١)

- مُصْطَفَى حَامِدٍ.
- مِنْ مَوَالِيدِ مِصْرَ عَامَ ١٩٤٥ م، مُحَافَظَةَ «الشَّرْقِيَّةِ»، مَدِينَةَ «بَلْبِيسِ».
- تَخَرَّجَ مِنْ جَامِعَةِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ، كَلِيَّةِ الْهَنْدَسَةِ عَامَ ١٩٦٩ م.
- عَمِلَ فِي الصَّحَافَةِ خِلَالَ فَتْرَةِ السَّبْعِينَاتِ، فِي عَدَدٍ مِنَ الصُّحُفِ الْأَهْلِيَّةِ فِي «أَبُو ظَبْنِي».
- كَتَبَ عَنِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ وَشَارَكَ فِيهِ مُنْذُ عَامِ ١٩٧٩ م قَبْلَ التَّدْخُلِ السُّوْفِيَّتِيِّ.
- فِي عَامِ ١٩٨٥ م أَقَامَ مَعَ أُسْرَتِهِ فِي بَاكِسْتَانِ، وَعَمِلَ هُنَاكَ مُدِيرًا لِلمَكْتَبِ صَحِيفَةَ «الْإِتِّحَادِ الظُّبْيَانِيَّةِ» حَتَّى عَامِ ١٩٨٦ م.
- أَقَامَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ مُنْذُ عَامِ ١٩٩٣ م وَحَتَّى الْحَمَلَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَامَ ٢٠٠١ م.

(١) أوردنا التعريف بالكاتب كما هو مسطور في النسخة المنشورة على الشبكة العنكبوتية، وهو تعريف موجز، ولا حاجة للإضافة عليه؛ فإن كل ما يرد في كتب تلك السلسلة يعد من سيرته الشخصية.

- تَعَرَّفَ عَنْ قُرْبٍ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الشَّخِصِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْهَامَّةِ الَّتِي عَمَلَتْ فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مِثْلَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامَ» وَ «تَمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ» وَ «أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» الَّذِي يَعْتَبَرُهُ صَدِيقًا شَخِصِيًّا لَهُ.
- لَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْكُتُبِ لَمْ تُنْشَرْ جَمِيعُهَا، وَتَدْوِيرٌ حَوْلَ تَجْرِبَةِ الْعَرَبِ فِي الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ الَّذِي عَاصَرَهُ مِنْذُ بَدَايَتِهِ وَحَتَّى نِهَائِهِ.
- تَعَرَّفَ عَنْ قُرْبٍ عَلَى حَرَكَةِ «طَالِبَانَ»، وَأَمِيرِهَا الْمُؤَلَّى «مُحَمَّدَ عُمَرَ»، وَرَبَطَتْهُ بِهِمْ عِلَاقَةٌ طَيِّبَةٌ.
- مِنْ «قَنْدَهَارِ» عَمَلَ مَرَّاسِلًا لِقَنَاةِ «الْجَزِيرَةِ» الْقَطْرِيَّةِ لِمُدَّةِ عَامٍ إِلَى مَا قَبْلَ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ.



١٥ طَلَقَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

مُقَدِّمَةٌ

مَضَى عَلَى فَتْحِ «كَابُلٍ» مَا يُقَارِبُ الثَّلَاثُونَ شَهْرًا، وَفِي هَذَا الْمَنْفَى الْجَبَلِيِّ فِي مَنْطِقَةِ «خُوسْتِ» شَرَعْتُ فِي تَحْقِيقِ حُلْمٍ قَدِيمٍ، هُوَ وَضَعُ كِتَابٍ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَلَيْسَ هُنَاكَ أَسْوَأُ مِنْ هَذَا التَّوْقِيتِ لِلْكِتَابَةِ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَقَدْ اسْتَدَارَ الزَّمَانُ وَتَبَدَّلَتِ الْمَصَالِحُ وَأَسْفَرَتِ الْوُجُوهُ عَنْ مَلَامِحِهَا الْأَصْلِيَّةِ بَعْدَ طُولِ تَكْلُفٍ وَخِدَاعٍ، وَانْتَهَى أَحَدُ الْفُصُولِ الْكَالِحَةِ فِي لُغَةِ الْأُمَمِ، تِلْكَ اللَّعْبَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الَّتِي لَا تُبَالِي بِدِينٍ أَوْ دِمَاءٍ. فَازَ الْأَقْوِيَاءُ بِالْغَنَائِمِ الصَّخْمَةِ، وَانْتَزَعُوا حَتَّى الْفُتَاتَ مِنْ أَفْوَاهِ حُلَفَائِهِمْ، وَرَضِيَ الَّذِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ بِقُشُورِ تَافِهَةٍ مِنْ حُطُوطِ الدُّنْيَا، بَاعُوا بِهَا الدِّينَ كَمَا بَاعُوا دِمَاءَ إِخْوَانِهِمْ، وَضَرَبُوا أُمَّتَهُمْ فِي مَقْتَلٍ وَصَدَمُوهَا فِي عَقَائِدِهَا وَأَمَالِهَا. مَضَى الْوَقْتُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْكِتَابَةُ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ مَشْرُوعًا تِجَارِيًّا نَاجِحًا.

طُوَالَ عَقْدُ الثَّمَانِينَ كَانَتْ أَفْغَانِسْتَانُ هِيَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ عَلَى السَّاحَةِ الدُّوَلِيَّةِ، وَبِالتَّالِيِ السَّاحَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَقَرَّرَ الْغَرْبُ بِزَعَامَةِ أَمْرِيكََا أَنْ يَلْعَبَ

بِالْوَرَقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِإِحْرَاجِ مُنَافِسِهِ السُّوفِيَّةِ. وَأَعْطِيَتْ الْأَضْوَاءَ الْخَضْرَاءَ
كَيْ تَنْطَلِقَ أَكْبَرُ حَمَلَةٍ مُسَانِدَةٍ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ خِلَالَ هَذَا الْقَرْنِ لِئَصْرَةَ
الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ بِالْأَمْوَالِ، بِدِمَاءِ الشَّبَابِ، بِالْإِعْلَامِ، وَصَارَتْ أَفْغَانِسْتَانَ
قَضِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ الْأُولَى.

وَمَا أَنْ أْتَمَّ السُّوفِيَّةُ انْسِحَابَهُمْ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ ثُمَّ سَقَطَ النِّظَامُ الشُّيُوعِيُّ
فِي «كَابُلٍ» بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا، حَتَّى انْقَلَبَتِ الصُّورَةُ رَأْسًا عَلَى
عَقْبٍ، وَتَبَدَّلَتِ الْمَوَاقِفُ وَالتَّحَالَفَاتُ. تَحَوَّلَ الْأَعْدَاءُ إِلَى أَصْدِقَاءَ،
وَالْأَصْدِقَاءُ إِلَى أَعْدَاءَ، [وَاسْتَحَالَ] الْمُجَاهِدُ مُجْرِمًا مُطَارِدًا، وَالْمُجْرِمُونَ
أَصْبَحُوا زَعَمَاءَ مُسَيِّطِرِينَ وَزَالَتِ الْأَيْدِيُولُوجِيَّاتُ وَعَمَّ السَّلَامُ تَحْتَ رَايَةِ
الْقُطْبِ الْأَوْحَدِ، وَلَمْ يَتَبَقْ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ إِلَّا عَدُوٌّ وَاحِدٌ، هُوَ «الْأُصُولِيَّةُ
الْإِسْلَامِيَّةُ»!!.

وَجَاءَ نَا نِظَامُ «دُولِيٌّ جَدِيدٌ» يُدَافِعُ عَنِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَحُرِّيَّةِ التِّجَارَةِ،
وَيَنْشُرُ الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةَ، وَلَا يَرَى غَيْرَ الْإِسْلَامِ عَدُوًّا لِدُودًا يُهَدِّدُ طَرِيقَتَهُ الْمُثَلَى،
وَيُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ. أَعْلَنَ ذَلِكَ النِّظَامُ الْبَشْعُ عَنْ مِيلَادِهِ عَلَى أَرْضِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ عِنْدَمَا وَطَّأَتْهَا أَرْجُلُ الْجِيُوشِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ، فِي الْحَرْبِ

الَّتِي أَسْمَوْهَا «حَرْبُ تَحْرِيرِ الْكُوَيْتِ»^(١). النَّصْرُ الَّذِي تَحَقَّقَ عَلَى أَرْضِ
أَفْغَانِسْتَانَ ضِدَّ الْجَيْشِ الْأَحْمَرِ السُّوفِيَّتِيِّ أَدَّى إِلَى هَيْمَنَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ عَلَى
العَالَمِ.

أَمَّا عَلَى الْجَانِبِ الْإِسْلَامِيِّ فَقَدْ تَحَوَّلَ إِلَى كَارِثَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ شَامِلَةٍ فِي
صُورَةِ حَرْبٍ صَلِيبِيَّةٍ دُولِيَّةٍ ضِدَّ الْإِسْلَامِ، كَانَ أَوَّلُ مَنْ دَفَعَ ثَمَنَهَا هُوَ الشَّعْبُ
الْأَفْغَانِي نَفْسُهُ، [الشَّعْبُ] الَّذِي أَوْقَدُوا عَلَى أَرْضِهِ حَرْبًا حِزْبِيَّةً قَوْمِيَّةً تَدْمُرُ
أَوَّلَ مَا تَدْمُرُ آثَارَ الْجِهَادِ، بَلْ آثَارَ الْإِسْلَامِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الَّتِي شَهِدَتْ أَكْبَرَ
نَضْرٍ عَسْكَرِيٍّ لِلْمُسْلِمِينَ مُنْذُ عِدَّةِ قُرُونٍ.

وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَ ثَمَنَ النَّصْرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هُمْ هَؤُلَاءِ الْمُتَطَوِّعُونَ
العَرَبُ الَّذِينَ نَالُوا النَّصِيبَ الْأَوْفَى مِنَ الْأَضْطِّهَادِ وَالْمَلَا حَقَّةِ وَتَشْوِيهِ
السُّمُوعَةِ، سِوَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنَ الْحُكُومَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، خَاصَّةً فِي بَاكِسْتَانَ،

(١) حَرْبُ تَحْرِيرِ الْكُوَيْتِ الَّتِي تُسَمَّى حَرْبَ الْخَلِيجِ الثَّانِيَّةِ أَوْ عَمَلِيَّةَ عَاصِفَةِ الصَّحْرَاءِ، هِيَ حَرْبٌ شَتَّتَهَا
الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ بِقِيَادَةِ «جُورْجِ بُوْش» الْأَبِ عَلَى الْجَيْشِ الْعِرَاقِيِّ الَّذِي دَخَلَ الْكُوَيْتَ
بِأَمْرِ مِنَ الرَّئِيسِ الْبَعْثِيِّ «صَدَّامِ حُسَيْنٍ»، وَذَلِكَ فِي ١٧ يَنَايِرَ ١٩٩١ م، فَادَّتْ أَمْرِيكَا خِلَالَهَا تَحَالُفًا
مِنْ ٣٤ دَوْلَةٍ، كَثِيرٌ مِنْهَا دُولٌ إِسْلَامِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ، وَانْتَهَتْ الْحَرْبُ بِإِجْلَاءِ الْقُوَاتِ الْعِرَاقِيَّةِ عَنِ الْكُوَيْتِ
وَاسْتِقْرَارِ مِائَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْقُوَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي بِلَادِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَعَظِيمًا فِي قَوَاعِدِ عَسْكَرِيَّةِ
ثَابِتَةٍ، وَذَلِكَ فِي ٢٨ فَبْرَايِرَ ١٩٩١ م.

أَوْ [مِنْ] الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ نَفْسِهَا. وَتِلْكَ أَعْظَمُ الْمَفَارِقَاتِ
وَأَكْثَرُهَا إِيْلَامًا.

وَرُغْمَ تَفُوقِ تَكْنُؤُلُوجِيَا السَّلَاحِ فِي الْعَرَبِ إِلَّا أَنَّ حَمَلَاتِهِ الْإِعْلَامِيَّةَ أَشَدُّ
فَعَالِيَةً وَتَأْثِيرًا مِنْ حَمَلَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ. وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَالَ وَالْإِعْلَامَ هُمَا
السَّلَاحَانِ الرَّئِيسِيَّانِ فِي يَدِ الْيَهُودِ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى الْعَرَبِ، وَمِنْ ثَمَّ [عَلَى]
الْعَالَمِ بِأَجْمَعِهِ. وَقَدْ تَسَلَّطَتِ الْآلَةُ الْإِعْلَامِيَّةُ الدُّوَلِيَّةُ عَلَى رَأْسِ الْمُتَطَوِّعِينَ
الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، حَتَّى صَارُوا أَشَدَّ فِتَاتِ الْمُجْرِمِينَ الدُّوَلِيِّينَ خُطُورَةً فِي
نَظَرِ الْعَامَّةِ وَلَيْسَ فَقَطُ الْحُكُومَاتِ.

لَقَدْ تَشَتَّتَ ذَلِكَ التَّجْمُعُ النَّادِرُ الْمِثَالِ، وَلُوحِقَ فِي أَصْقَاعِ الْأَرْضِ، وَمَنْ
تَبَقَّى حَتَّى الْآنَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَا يَتَعَدَّى عِدَّةَ عَشْرَاتٍ، يَعِيشُ عَلَى خَوْفٍ
وَتَوَجُّسٍ مِنْ بَوَادِرِ انْقِلَابِ أَفْغَانِيٍّ ضِدَّهُمْ بِتَحْرِيزِ أَمْرِيكِيِّ - إِسْلَامِيٍّ !!!.
ذَلِكَ الْمَجْهُودُ الْإِعْلَامِيُّ الدُّوَلِيُّ الَّذِي سَاهَمَ فِي جَعْلِ أَفْغَانِسْتَانَ قَضِيَّةَ الْعَالَمِ
الْأُولَى لِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، أَعْمَلَ مَعَاوِلَ الْهَدْمِ فِي الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ نَفْسِهِ
وَشَوْهَ صُورَتِهِ عَالَمِيًّا. وَهَكَذَا فَإِنَّ مَنْ سَاهَمُوا فِي صُنْعِ ذَلِكَ النَّصْرِ التَّارِيخِيِّ
الْفَرِيدِ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ تَحَوَّلُوا جَمِيعًا إِلَى مُجْرِمِينَ مَبْذُورِينَ عَلَى
مُسْتَوَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْعَرَبُ وَالْأَفْغَانُ، بَيْنَمَا فَازَتْ أَمْرِيكَا
بِصَدَارَةِ الْعَالَمِ بِلَا مُنَازَعٍ، وَإِلَى حِينِ إِشْعَارِ آخَرَ.

فِي هَذَا الْوَقْتِ الْكَالِحِ وَالظُّرُوفِ الْكَثِيْبَةِ أَشْرَعُ فِي كِتَابَةِ هَذَا الْكِتَابِ. إِنَّ تَوْقِيَتَ الْكِتَابَةِ يَجْعَلُ هَذَا الْكِتَابَ مَشْرُوعًا تِجَارِيًّا فَاشِيْلًا، لَقَدْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي كَانَ الْمُسْلِمُونَ وَالْعَالَمُ أَجْمَعُ يَفْرَونَ وَيَتَابِعُونَ بِنَهْمِ كُلِّ مَا يُنْشَرُ عَن أَفْغَانِسْتَانَ. وَرُغْمَ أَنَّي حَضَرْتُ وَتَابَعْتُ الْمُسْكِلَةَ مِنْذُ بَدَايَاتِهَا الْمُبَكَّرَةِ «مَآيُو ١٩٧٩ م» إِلَّا أَنِّي امْتَنَعْتُ عَن إِصْدَارِ الْكُتُبِ رُغْمَ إِحْحَاحِ بَعْضِ الزُّمْلَاءِ وَرَوَاجِ السُّوقِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَالسَّبَبُ هُوَ أَنَّ مَطْلَبَاتِ السُّوقِ سَوَاءً سُوْقِ النَّشْرِ أَوْ السُّوقِ السِّيَاسِيِّ لَمْ تَكُنْ مُنَاسِبَةً بِالْمَرَّةِ كَيْ أَكْتُبَ مَا أَرَى أَنَّهُ الْحَقِيْقَةُ. فِيمَا أَن أَقُولَ (نَعْم) لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَفْغَانِيِّ وَالْحَلِيْفِ لَهُ، أَوْ أَقُولَ (لَا) وَأَدْخُلُ فِي الْمَعْسَكَرِ الْآخِرِ جُمْلَةً وَتَفْصِيْلًا. وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ كِلَا الْمَعْسَكَرَيْنِ (نَعْم) وَ (لَا) لَا [يُعْبَرَانِ] عَن مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِقَدْرِ مَا [يُعْبَرَانِ] عَن مَصَالِحِ التَّكْتُلِ الدُّوْلِيِّ آنَذَاكَ. كَانَتْ (نَعْم) أَوْ (لَا) كِلَاهُمَا [يُحَقِّقَانِ] الشُّهْرَةَ وَالْمَالَ مَعًا.

وَمِنْ الْمُوَسِّفِ أَنَّ مَوْقِفَ الْمَجَلَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْكِتَابِ الْإِسْلَامِيِّينَ كَانَ يَتَمَلَّقُ وَيَسْتَشِيرُ عَوَاطِفَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ مَدْخُلٌ سَهْلٌ وَرَخِيصٌ لِاِكْتِسَابِ الْمَجْدِ وَالْغِنَى. وَلَكِنَّ عَمَلِيَّاتِ خِدَاعِ بِهَذَا الشَّكْلِ تَنْتَهِي دَوْمًا بِكُوَارِثِ مُفْجِعَةٍ تَضُرُّ أَجْيَالَ الْمُسْلِمِينَ وَمَسِيرَةَ الْإِسْلَامِ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا وَهَذَا مَا حَدَثَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بِكُلِّ أَسْفِ.

إِنَّ قَوْلَ الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ صَعْبٌ فِي الْحَيَاةِ الْعَادِيَةِ، وَتَزْدَادُ الصُّعُوبَةُ إِذَا تَعَلَّقَتْ الْحَقِيقَةُ بِحَالَةٍ حَرَبٍ اخْتَلَطَتْ فِيهَا عَوَامِلُ الدِّينِ بِالْمَصَالِحِ، لِأَطْرَافٍ مُتَعَارِضَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَالْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَمُحَاوَلَةُ نَشْرِهَا عَلَى الْمَلَا فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ إِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّةٌ انْتِحَارٍ مَعَ سَبْقِ الْإِضْرَارِ؛ لِأَنَّ الْمُقَاوَمَةَ لِهَذَا الْعَمَلِ لَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَحَدٍ طَرَفِي الصَّرَاعِ، بَلْ مِنْ [كِلَيْهِمَا] مَعًا. إِنَّ أَطْنَانًا مِنْ الْمَطْبُوعَاتِ وَمِليَارَاتٍ مِنَ الْجَمَلِ طَارَتْ فِي الْأَثِيرِ تَتَحَدَّثُ عَنْ أَفْغَانِسْتَانَ لِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ مَا حَدَثَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مَا زَالَتْ مَجْهُولَةً لَدَى مُعْظَمِ النَّاسِ، وَمَا زَالَتْ عَمَلِيَّةُ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَنَشْرِهَا عَمَلِيَّةً صَعْبَةً لِلْغَايَةِ وَتَكَادُ تَكُونُ مُسْتَحِيلَةً؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَطْرَافِ الْمَأْسَاةِ أَوْ مُعْظَمَهُمْ مَا زَالُوا نَشْطِينَ عَلَى مَسْرَحِ الْأَحْدَاثِ وَمُنْغَمِسِينَ فِي تَصْنِيعِ مَزِيدٍ مِنَ الْمَأْسَى الدَّامِيَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَزَادَ فِي الْأَمْرِ صُعُوبَةً تِلْكَ الْهَيْمَنَةُ الْأَحَادِيَّةُ لِلْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ عَلَى شُئُونِ الْعَالَمِ أَجْمَعٍ. فَاخْتَفَى ذَلِكَ الْهَامِشُ الضَّيِّقُ الَّذِي كَانَتْ تُطَلُّ مِنْهُ الْحَقِيقَةُ مِنْ خِلَالِ تَنَاقُضِ الْمَصَالِحِ بَيْنَ الْمُتَنَافِسِينَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ. تِلْكَ الْهَيْمَنَةُ الْأَحَادِيَّةُ أَوْضَحَتْ بِشَكْلِ جَلِيٍّ تِلْكَ السَّيْطَرَةَ الْمُدْمِرَةَ لِلْقُوَى الْيَهُودِيَّةِ عَلَى الْعَالَمِ أَجْمَعٍ مِنْ خِلَالِ سَيْطَرَتِهِمُ الْمَالِيَّةِ الْكَاسِحَةَ وَنَفَاذِهِمْ إِلَى عِظَامِ الْغَرْبِ الْأَقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ.

عَلَيْنَا فِي ظِلِّ هَذِهِ الظُّرُوفِ أَنْ نَبْحَثَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْحَقَائِقِ، وَنَعْمَلَ عَلَى نَشْرِهَا وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا الْآنَ وَمُسْتَقْبَلًا، فِي أَحَدِ قَضَايَانَا الْكَبِيرَةِ فِي هَذَا الْقَرْنِ، قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَلَا أَرُغِمُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ سَوْفَ يَحْتَوِي بَيْنَ دَفْتَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْمَنْشُودَةِ، فَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنْ مَا أَطْمَحُ إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكِتَابَ مُجَرَّدَ شَهَادَةٍ مُتَجَرِّدَةٍ مِنْ جَانِبِ أَحَدِ شُهُودِ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْخَطِيرَةِ.

وَبِالطَّبَعِ سَوْفَ يَحْمِلُ هَذَا الْكِتَابُ تِلْكَ السَّلْبِيَّاتِ الطَّبِيعِيَّةَ لِمِثْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ، مِثْلَ مَحْدُودِيَّةِ الْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ وَمَحْدُودِيَّةِ الْاِحْتِكَائِ وَمَحْدُودِيَّةِ الْمَعْلُومَاتِ وَمَحْدُودِيَّةِ الْفَهْمِ وَالتَّقْسِيمِ... الخ. فَلَا يُمَكِّنُ إِذَنْ الزَّعْمُ بِأَنَّ الْحَقِيقَةَ قَدْ جَاءَتْ مُؤَخَّرًا بَيْنَ دَفْتَيْ كِتَابٍ. وَعَلَى أَفْضَلِ الظُّنُونِ فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ سَوْفَ يُبَيِّرُ جَانِبًا مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ يُسَاعِدُ يَوْمًا عَلَى إِكْتِشَافِهَا. كَمَا أَنَّهُ سَوْفَ يُلْقِي بَعْضَ الضَّوِّ عَلَى شَرِيحَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْبَشَرِ الَّذِينَ انْخَرَطُوا فِي تِلْكَ التَّجْرِبَةِ وَكَابَدُوهَا. وَإِذَا قُدِّرَ لِهَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَرَى النُّورَ - وَهَذَا مَوْضِعُ شَكِّ حَتَّى الْآنَ - فَسَوْفَ تَكُونُ هُنَاكَ [أَجْيَالٌ جَدِيدَةٌ] قَدْ تَوَلَّتْ زِمَامَ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ الْإِسْلَامِ، أَجْيَالٌ سَوْفَ تَكُونُ أَفْضَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، سُلُوكًا وَفَهْمًا وَعَمَلًا، وَهَكَذَا تُبَشِّرُ الدَّلَائِلُ الَّتِي نَرَاهَا الْآنَ. وَلِلتَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ دَوْرَهَا فِي صِيَانَةِ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ الَّذِينَ مَا زَالُوا فِي بَطْنِ الْغَيْبِ؛ فَالْحَاضِرُ هُوَ تَرْبَةُ الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي يَنْمُو عَلَيْهَا وَيَزْدَهْرُ. وَالتَّجْرِبَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ رُغْمَ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ أَثَرَتْ

إلى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ - وَرَبَّمَا أَكْبَرَ مِنْ أَيِّ تَجْرِبَةٍ تَعِيَهَا ذَاكِرَةٌ جِيلِنَا الْحَالِي - صِيَاغَةُ الْفِكْرِ وَالْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يُتَوَقَّأُ إِلَى تَحْقِيقِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، وَمَهْمَا كَانَتْ التَّبِعَاتُ.

تَبَقَى مَسْأَلَةٌ أُخْرَى، هِيَ مَسْأَلَةُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَهُوَ رَادِعٌ مَعْنَوِيٌّ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْكِتَابَةِ عَنِ أَحْدَاثٍ عَاصَرُوهَا وَشَارَكُوا فِيهَا. وَيَزِدَادُ هَذَا الرَّادِعُ إِذَا اضْطَرَّ الشَّاهِدُ - أَيِ الْكَاتِبِ - أَنْ يَسْتَخْدِمَ صِيغَةَ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ غَيْرٌ مُحَبَّبٍ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يُصْبِحُ ضَرُورِيًّا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ سَيُجَنَّبُ الْقَارِئُ الْكَثِيرَ مِنَ الْغُمُوضِ، وَيَجْعَلُ الصُّورَةَ لَدَيْهِ أَكْثَرَ وَضُوحًا. وَفِي حَالِنَا هَذِهِ أَرْجُو [أَلَّا] يَكُونَ لِلرِّيَاءِ نَصِيبٌ، وَلِهَذَا أَيْضًا أَسْبَابٌ؛ فَالْكِتَابَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ عَامَّةً وَالْجِهَادِ بِشَكْلِ خَاصٍّ لَمْ يَعْذُ بِالْمَوْضُوعِ الْمَقْبُولِ فِي الدَّوَائِرِ الدُّوَلِيَّةِ وَ[لَدَى] السُّلْطَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَوْضُوعُ يَتَمَلَّقُ تِلْكَ الدَّوَائِرَ وَلَا يَجْرَحُ مَشَاعِرَهَا، أَيِ أَنَّ الْكَاتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ أَنْ يُلْبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيَكْتُمَ الْحَقَّ عَنِ عِلْمِهِ. إِذَنْ فَمِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ لَنْ يُرْضِيَ الْقُوَى الْيَهُودِيَّةَ الَّتِي تَحْكُمُ الْعَالَمَ الْآنَ، بِمَا فِيهِ بِلَادُ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّهُ لَنْ يُرْضِيَ قُوَى وَجَمَاعَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ نَافِذَةً ارْتَكَبَتْ أَخْطَاءً فَادِحَةً فِي تَعَامُلِهَا مَعَ الْقَضِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَوَضَّفَتْ مَسَاحَتَهَا فِي الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَامِّ لِصَالِحِ قُوَى الْغَرْبِ، وَلَيْسَ لِمَصَالِحِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَكَانَتْ صَفْقَةً خَاسِرَةً لَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ.

إِذْ هَذَا الْكِتَابُ لَنْ يَجِدَ أَصْدِقَاءَ، لَا عَلَى الْمُسْتَوَى الدُّوَلِيِّ وَلَا عَلَى
 مُسْتَوَى الْقَوَى الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُؤَثَّرَةِ عَلَى سَاحَةِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ. وَالْحَالُ
 هَكَذَا، فَالْأَرْجَحُ [أَنْ] تَرْقُدَ تِلْكَ الْأُورَاقُ فِي قَاعِ أَحَدِ الْأُدْرَاجِ حَتَّى تَأْكُلَهَا
 الْفِرَّانُ وَالْعِتَّةُ أَوْ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهَا فَرْجًا وَتَتَغَيَّرَ الْأَحْوَالُ السَّائِدَةُ، وَيَقْيِضُ اللَّهُ
 لَهَا مَنْ يَتَوَلَّى طِبَاعَتَهَا وَنَشْرَهَا، رُبَّمَا كَمَخْطُوطَةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَأَثَرٍ يَحْمِلُ عَبَقَ
 الْمَاضِي. وَيَوْمَهَا سَوْفَ يَكُونُ كَاتِبُ هَذِهِ الْمَخْطُوطَةِ قَدْ أَفْضَى إِلَى رَبِّهِ حَيْثُ
 لَا يَنْفَعُهُ رِيَاءٌ وَلَا سُمْعَةٌ.

إِنَّهَا صَرَخَةٌ فِي وَادٍ قَدْ تَصَلُّ فِي وَقْتِ مَا إِلَى أُذُنِ مَا... فَإِنْ أَفَادَتْ فَذَلِكَ
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ تُفِدْ فَذَلِكَ قَدْرُ اللَّهِ، وَيَبْقَى كَوْنُهَا شَهَادَةً مِنْ شَخْصٍ مَا،
 كَانَ هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي شَهِدَ وَاحِدًا مِنْ أَضْحَمِّ أَحْدَاثِ الْعَصْرِ،
 وَوَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ وَأَهَمِّ مَعَارِكِ الْمُسْلِمِينَ خِلَالَ عَشْرَاتِ بَلِّ مِائَاتٍ مِنَ السِّنِينَ،
 أَيْ مُنْذُ تَوَقَّفَتْ الْحُرُوبُ الْجِهَادِيَّةُ فِي حَيَاةِ أُمَّتِنَا، وَتَهَاوَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ
 وَرَابِطَةُ الْخِلَافَةِ.

مُصْطَفَى حَامِدٍ

كُتِبَتْ فِي مَعْسَكِ الْفَارُوقِ - خُوسْت

الْأَحَدُ ٧ أَوْغُسْتُس ١٩٩٤ م

تَعْلِيقاتُ بَعْدَ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ (٢٠٠١م):

١. كَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ الْأَوَّلَ مِنْ سِلْسِلَةٍ «أَدَبِ الْمَطَارِيدِ» فِي مُعَسْكَرِ «الْفَارُوقِ»^(١) وَشَقِيقَهُ مُعَسْكَرِ «جِهَادِ وَال»^(٢)، وَهُمَا مِنْ مُعَسْكَرَاتِ الْعَرَبِ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ حُقْبَةِ حَرْبِ السُّوْفِيَّةِ. وَبَعْدَ حَوَالِي [أَرْبَع] سَنَوَاتٍ مِنْ كِتَابَةِ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ فَصَفْتُ أَمْرِيكََا هَذَيْنِ الْمُعَسْكَرَيْنِ مَعَ مُعَسْكَرَاتٍ أُخْرَى أُفْغَانِيَّةٍ وَبَاكِسْتَانِيَّةٍ بِحَوَالِي مِائَةِ صَارُوخٍ «كُرُوز»^(٣) رَدًّا عَلَى تَفْجِيرِ سِفَارَتَيْهَا فِي

(١) مُعَسْكَرُ الْفَارُوقِ: هُوَ مُعَسْكَرٌ تَدْرِيبِيٌّ يَقَعُ قُرْبَ مَدِينَةِ قَنْدَهَارِ بِأَفْغَانِسْتَانَ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَ الْمُعَسْكَرُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ أثنَاءَ الْحَرْبِ مَعَ الرُّوسِ، وَقَدْ اتَّخَذَهُ تَنْظِيمُ «الْقَاعِدَةِ» مَقْرَأَةً بَعْدَ خُرُوجِ الرُّوسِ مِنْ أُفْغَانِسْتَانَ.

(٢) مُعَسْكَرُ جِهَادِ وَال: هُوَ مُعَسْكَرٌ تَدْرِيبِيٌّ يَقَعُ فِي مَدِينَةِ خُوسْتِ بِأَفْغَانِسْتَانَ، وَتَمَّ إِنشَاءُ الْمُعَسْكَرِ فِي أثنَاءَ الْحَرْبِ ضِدَّ الرُّوسِ، ثُمَّ آلَ إِلَى تَنْظِيمِ «قَاعِدَةِ الْجِهَادِ» بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ، وَكَانَ الْمُعَسْكَرُ يُسْتَخْدَمُ فِي إعْطَاءِ الْمُجَاهِدِينَ دَوْرَاتٍ تَخْصُصِيَّةٍ لَا تُقَدَّمُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمُعَسْكَرَاتِ، وَقَدْ قَامَتِ الْقُوَّاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ بِقُصْفِ هَذَا الْمُعَسْكَرِ وَمُعَسْكَرِ الْفَارُوقِ بَعْدَ تَفْجِيرِ سِفَارَتَيْهِمَا فِي «نِيروبي» وَ «دَارِ السَّلَامِ»، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ مُعَسْكَرَ جِهَادِ وَال قُصِفَ قَبْلَ دُخُولِ الشَّيْخِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» فِيهِ بِنِصْفِ سَاعَةٍ.

(٣) صَارُوخُ كُرُوز: هِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الصَّوَارِيخِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى آلِيَّةٍ ذَاتِيَّةِ الدَّفْعِ حَيْثُ تَحْتَوِي عَلَى بَرْنَامِجٍ إِلِكْتْرُونِيٍّ لِمُضَاهَاةِ النَّصَارِيصِ مِمَّا يَسْمَحُ لِلصَّارُوخِ التَّحْلِيْقِ وَالْمَلَاخَةَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْهَدْفِ، وَيُمْكِنُ إِطْلَاقُ الصَّارُوخِ مِنَ الْبَرِّ أَوْ مِنَ الْبَحْرِ أَوْ مِنَ الْجَوِّ تَبَعًا لِنَوْعِهِ، وَيَتَرَاوَحُ مَدَى صَوَارِيخِ كُرُوزِ بَيْنَ ١٠٠ كِيلُومِترٍ إِلَى ٣٠٠٠ كِيلُومِترٍ.

«نِيرُوبِي» وَ «دَارِ السَّلَامِ» فِي ٨ أُغْسُطُس ١٩٩٨ م، لَقَدْ اسْتَعْرَقَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ حَوَالِي عَامٍ وَاحِدٍ تَقْرِيْبًا.

٢. حَوَاشِي وَتَعْلِيْقَاتُ هَذَا الْكِتَابِ الَّتِي كَتَبْتُهَا بَعْدَ احْتِلَالِ امْرِيكَا لِأَفْغَانِسْتَانَ - أَيْ أَنَّهُمَا لَمْ تُكْتَبْ فَوْقَ سَقْفِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ جَوْفِ أَحَدِ السُّجُونِ - سَوْفَ تَظْهَرُ فِي الْكِتَابِ بِخَطِّ مَائِلٍ عَلَى النَّحْوِ الْوَارِدِ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ^(١).

٣. فِي تِلْكَ السَّلْسِلَةِ مِنْ «أَدَبِ الْمَطَارِيدِ» كَانَ الْحِرْصُ مُنْصَبًا عَلَى تَوْصِيْفِ «الْحَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَقْتَهَا، لَيْسَ فَقَطْ مِنْ جِهَةِ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ، بَلْ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ الْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ، رُغْمَ أَنَّ الْعَدِيدَ مِنْهَا قَدْ نَالَهُ التَّطْوِيرُ أَوْ حَتَّى التَّبْدِيلُ - خَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ مِنْهَا بِالْكَاتِبِ - لِذَا لَا تَحْتَوِي هَذِهِ الْكُتُبُ عَلَى أَيْ «حِكْمَةٍ ذَاتِ أَثَرٍ رَجْعِيِّ»، فَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى نَفْسِ حَالِهِ وَقْتَ حَدُوثِهِ بِاعْتِبَارِهِ جُزْءًا مِنْ تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِي يَمْتَلِكُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، أَيَّا كَانَ رَأْيُهُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ وَمَوْفِقُهُ مِنَ الْمُشَارِكِينَ فِيهَا وَآرَائِهِمْ.

(١) اعْتَمَدَ الْأُسْتَاذُ الْمُجَاهِدُ مُصْطَفَى حَامِدٍ - حَفِظَهُ اللَّهُ - عَلَى تَنْسِيْقِ الْكَلَامِ بِشَكْلِ مَائِلٍ وَذَلِكَ فِيمَا قَامَ بِإِضَافَتِهِ بَعْدَ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ ٢٠٠١ م، وَسَنُورِدُ تِلْكَ التَّعْلِيْقَاتِ بِالْخَطِّ الْمُسْتَعْتَمَدِ فِي الْكِتَابِ مَعَ وَضْعِ خَطِّ تَحْتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

٤. الْمُصْطَلَحُ الْإِسْلَامِيُّ أَصْبَحَ - وَبِشَكْلِ مُتَزَايِدٍ - غَرِيبًا مُسْتَعْرَبًا فِي الْكِتَابَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَغَيْرِهَا؛ لِذَا تَعَمَّدَ الْكَاتِبُ اسْتِخْدَامَهُ - أحيانًا - عَنْ سَبْقِ إِضْرَارٍ وَتَرْصُدٍ، حَتَّى لَوْ اعْتَبَرَهُ الْبَعْضُ مُصْطَلَحًا يَخْدِشُ الْحَيَاءَ الْمُنَافِقَ لِمُصْطَلِحَاتِ الثَّقَافَةِ الْغَرِيبَةِ، الَّتِي سَادَتْ عَلَى نِطَاقِ الْعَالَمِ، وَطَالَتْ حَتَّى الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ مُحَاصِرَةً وَمُتَّهَمَةً بَلْ وَمُطَارَدَةً.



الفصل الأول

بَيْنَ أَفْغَانِسْتَانَ وَفَلَسْطِينَ

لِمَاذَا ذَهَبْتُ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ؟، سَمِعْتُ هَذَا السُّؤَالَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، مِنْ أَصْدِقَاءٍ وَزُمَلَاءَ وَمَعَارِفَ وَمِنْ أَنَاسٍ لَا أَعْرِفُهُمْ. كَمَا سَمِعْتُهُ أَثْنَاءَ عَوْدَتِي مِنْ رِحْلَتِي الْأُولَى لِأَفْغَانِسْتَانَ، عِنْدَمَا سَأَلَنِي شَابٌّ أَفْغَانِيٌّ غَاضِبًا: «أَنْتَ لَيْشَ يَجِي هُون؟ لَيْشَ مَا تَسُوِي جِهَادَ فِي فِلَسْطِينَ؟». قَالَهَا هَكَذَا بِعَرَبِيَّةٍ رَكِيكَةٍ شَائِعَةٍ فِي مَنطِقَةِ الْخَلِيجِ. كَانَ السُّؤَالَ مُفَاجِئًا وَمُثِيرًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَوْجَاعِ. [قَدَّمَ] مُرَافِقَنَا الْأَفْغَانِيَّ اعْتِذَارَهُ لِي وَلِزَمِيلِي، وَاتَّهَمَ السَّائِلَ بِأَنَّهُ «مُنَافِقٌ».

وَفِي بَدَايَةِ عَامِ ١٩٨٣ مِ كَتَبْتُ كِتَابًا صَغِيرًا عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ، كَانَتْ تَغْلُبُ عَلَيْهِ الرُّومَانِيَّةُ، وَسَأَلْتُ صَدِيقًا لَهُ بِاعٌ طَوِيلٌ فِي الْكِتَابَةِ أَنْ يَقرَأَهُ وَيَكْتُبَ لِي مُلَاحَظَاتِهِ. وَكَانَتْ أَوَّلُ مُلَاحَظَةٍ فِي الْقَائِمَةِ هِيَ: «لِمَاذَا ذَهَبْتَ إِلَى هُنَاكَ؟». وَمِنْ حُسْنِ حَظِّ الْقُرَاءِ أَنَّنِي لَمْ أَنْشُرْ ذَلِكَ الْكِتَابَ، وَمَا زَالَ رَاقِدًا فِي أَحَدِ الْأَدْرَاجِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ بَعْضَ أَجْزَائِهِ.

كُنْتُ مَارِلْتُ شَابًّا فِي الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِي عِنْدَمَا ذَهَبْتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ

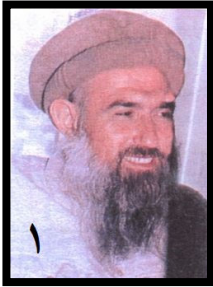
إلى أفغانستان، وكنتُ في العام السابق لذلك قد تطوّعتُ للقتالِ ضدَّ اليهودِ في جنوبِ لبنانِ في صُفوفِ «مُنظَّمةِ فتح»^(١) إثرَ الاجتياحِ الإسرائيليِّ للجنوبِ عامَ ١٩٧٨ م^(٢). كانتُ لي لِحْيَةٌ صَغِيرَةٌ وَأَبْيَقَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَسَبَقَ لِي الْحَجُّ مَرَّتَيْنِ، لِذَا فَقَدْ كَانَتْ إِجَابَتِي بِأَنْبِي مُسَافِرٍ مِنْ أَجْلِ «الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُقْنَعَةً تَمَامًا لِلْبَعْضِ، بَلْ وَمَصْدَرِ سَعَادَةٍ لَهُمْ. أَمَّا الْأَكْثَرُ حَيْطَةً وَذَكَاءً فَقَدْ

(١) حَرَكَةُ فَتْحٍ: حَرَكَةٌ مُسَلَّحَةٌ أُنشِئَتْ فِي أَوَّلِ يَنَايِرِ ١٩٦٥ م عَلَى يَدِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُنَاضِلِينَ الْفَلَسْطِينِيِّينَ وَكَانَ هَدَفُهَا طَرْدُ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ مِنَ الْأَرْضِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ تَوَجُّهُ الْحَرَكَةِ إِسْلَامِيًّا، كَانَ مِنْ أُبْرَزِ قَادَتِهَا أَبُو عَمَّارِ يَاسِرِ عَرَفَاتِ، وَهُوَ الَّذِي أُعْطِيَ لَهُ الْقِيَادَةَ بَعْدَ صَمِّ الْحَرَكَةِ إِلَى الْكِيَانِ الْجَدِيدِ الْمُسَمَّى «مُنظَّمةِ التَّحْرِيرِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ». وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا حَرَكَةً عِلْمَانِيَّةً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَتَّبَعِي مَا يُسَمَّى بِـ «الْكَفَّاحِ الْمُسَلَّحِ» لِتَحْرِيرِ الْأَرْضِ ضِدَّ الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ، وَقَدْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْخَوَنَةِ الَّذِينَ تَخَلَّوْا بِالْكَلِيَّةِ عَنِ الْقَضِيَّةِ وَعَاطَفُوا بِالْكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ وَبِأَحْقِيَّتِهِ فِي إِقَامَةِ وَطَنِ لِلْيَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ، وَقَامُوا بِإِنْهَاءِ الْمُوَاجَهَاتِ الْمُسَلَّحَةِ مَعَ الْيَهُودِ.

(٢) قَامَتِ الْقُوَاتُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ بِاجْتِيَاكِ جَنُوبِ لُبْنَانَ فِي ١٤ مَارِسِ ١٩٧٨ م، وَوَاصَلَتْ تَقَدُّمَهَا حَتَّى نَهْرِ اللَّيْطَانِيِّ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ إِعْلَامِيًّا بِاسْمِ «حَمَلَةٍ أَوْ عَمَلِيَّةِ اللَّيْطَانِيِّ»، بَيْنَمَا أَطْلَقَ الْيَهُودُ عَلَيْهَا «عَمَلِيَّةَ رَبِّ الْحِكْمَةِ»، وَنَجَحَتْ الْقُوَاتُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ مِنْ خِلَالَ تِلْكَ الْعَمَلِيَّةِ فِي تَدْمِيرِ الْبِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ لِلْمُنظَّمَاتِ وَجَمَاعَاتِ الْمُقَاوَمَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَتَمَّرِكِرَةً فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ. وَادَّتْ تِلْكَ الْعَمَلِيَّةُ إِلَى مَقْتَلِ أَكْثَرِ مِنْ ١١٠٠ فِلَسْطِينِيٍّ وَتَهْجِيرِ أَكْثَرِ مِنْ ١٠٠ ألفِ لُبْنَانِيِّ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى شَمَالِ نَهْرِ «اللَّيْطَانِيِّ»، وَاسْتَمَرَّتِ الْمُوَاجَهَاتُ الْمُسَلَّحَةُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ إِلَى ٢١ مَارِسِ ١٩٧٨ م، بَيْنَمَا اسْتَمَرَّتِ السَّيْطَرَةُ الصُّهْيُونِيَّةُ عَلَى الْجَنُوبِ اللَّبْنَانِيِّ لِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ قَبْلَ أَنْ يَسْجَبَ الْجَيْشُ الْإِسْرَائِيلِيُّ إِلَى الْحُدُودِ الدَّوْلِيَّةِ.

وَضَعُوا افْتِرَاضَاتٍ عَدِيدَةً مِنْهَا أَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجْتُ بِأَمْرَأَةٍ أُخْرَى فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَوْ بَاكِسْتَانَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ لَقَدْ نَاءَ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ الْعَائِلِيَّةِ وَكَثْرَةِ أِبْنَائِهِ فَهُوَ يَرِيدُ التَّخَلُّصَ مِنْ حَيَاتِهِ. وَقَالَ لِي أَحَدُ بَلَدِيَّاتِي: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ عَنْكَ أَنَّكَ تُسَافِرُ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ بِهَدَفِ الْإِتْجَارِ فِي الْمُحَدَّرَاتِ!!!!. أَمَّا هَؤُلَاءِ الْأَكْثَرُ ثِقَافَةً فَقَدْ وَضَعُوا نَظْرِيَّةً أَكْثَرَ حَدَاثَةً تَقُولُ: الْقَضِيَّةُ الْأَفْغَانِيَّةُ مَا هِيَ إِلَّا لُغْبَةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ ضِدَّ الْمُعْسَكِرِ الْأَشْتِرَاكِيِّ، وَالْأَفْغَانُ عُمَلَاءٌ لِأَمْرِيكَا وَالْإِمْبْرِيَالِيَّةِ، أَمَّا هُوَ فَلَيْسَ إِلَّا مِثْلَهُمْ.

عِنْدَمَا بَدَأَ تَوَاجُدُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ يُصْبِحُ مَلْحُوظًا، كُنْتُ

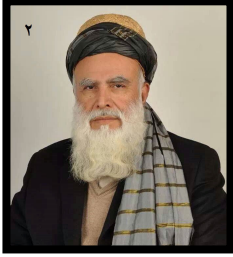


قَدْ بَدَأْتُ رِحْلَتِي فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينَ وَمَا بَعْدَهُ. كَانُوا فِي أَغْلَبِهِمْ فِي الْعِشْرِينَاتِ مِنَ الْعُمُرِ وَيَنْدُرُ فِيهِمْ مَنْ تَخَطَّى الثَّلَاثِينَ. وَقَدْ أَثَرَ ذَلِكَ فِي عِلَاقَتِي بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ مَثَلُوا ظَاهِرَةً فَرِيدَةً فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَكَانَ فَارِقُ السَّنِّ إِضَافَةً

لِعَوَامِلَ كَثِيرَةٍ - سَيَأْتِي ذِكْرُهَا - سَبَبًا فِي كَوْنِ الْعِلَاقَةِ لَمْ تَكُنْ مُرِيحَةً أَوْ مُثْمِرَةً. فِي الْبِدَايَةِ كُنْتُ أَنْظُرُ حَوْلِي وَأَشْعُرُ بِغُصَّةٍ أَلَّا أَجِدُ أَحَدًا مِنْ أِبْنَاءِ جِيلِي؛ لِذَلِكَ شَعَرْتُ بِالْفَرَحِ عِنْدَمَا قَابَلْتُ الشَّيْخَ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّامَ» [صُورَةٌ رَقْمَ ١] لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي «بِيشَاوَر» فِي سِبْتَمْبَرِ ١٩٨٤ م. كَانَ مِنْ نَفْسِ الْجِيلِ وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنِّي بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ، يَوْمَهَا شَعَرْتُ أَنَّنِي لَسْتُ وَحِيدًا. وَلَكِنْ لِسُوءِ الْحَظِّ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ رُؤْيَيْنَا لِلْأَحْدَاثِ وَمَوَاقِفِنَا مِنْهَا آدَى لِأَنْ تَكُونَ عِلَاقَتِي مَعَهُ فَاتِرَةً وَمُتَحَفِّظَةً،

وَأِنْ سَادَهَا الْاِحْتِرَامُ الْمُتَبَادُلُ.

هُنَاكَ خَيْطٌ مُشْتَرِكٌ يَرْبِطُ أَبْنَاءَ الْجِيلِ الْوَاحِدِ مَعَ بَعْضِهِمْ الْبَعْضَ بِسَبَبِ مُعَايَشَتِهِمْ لِنَفْسِ الظُّرُوفِ وَالْأَحْدَاثِ. لِهَذَا كَانَ هُنَاكَ قَدْرًا مُشْتَرَكًا لَا بَأْسَ بِهِ



بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» تَجَاهَ قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ وَالْمَوْقِفِ مِنْهَا بِشَكْلِ عَامٍّ. وَكَانَ أَكْبَرُ نِقَاطِ التَّنَافُرِ بَيْنَ مَوَاقِفِنَا هُوَ تَقْيِيمُ قَادَةِ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَدَوْرِهِمْ فِي الْقَضِيَّةِ. فَبَيْنَمَا مَضَى هُوَ إِلَى أَقْصَى حَدِّ فِي تَمْجِيدِهِمْ

خَاصَّةً الثَّلَاثِيَّ: «سَيَّافٌ»^(١) [صُورَةٌ رَقْم ٢] وَ «حِكْمَتِيَّارٌ»^(٢) [صُورَةٌ رَقْم ٣] وَ «رَبَّانِيٌّ»^(٣)

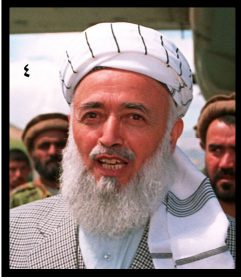
(١) عَبْدُ رَبِّ الرَّسُولِ سَيَّافٌ: رَئِيسُ الْاِتِّحَادِ الْاِسْلَامِيِّ الْاَفْغَانِيَّيِّ، وُلِدَ فِي «كَابُل» عَامَ ١٩٤٤ م، وَدَرَسَ فِي الْاَزْهَرِ الشَّرِيفِ بِمِصْرَ وَحَصَلَ عَلَيَّ دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَعُلُومِهِ، شَارَكَ فِي الْجِهَادِ ضِدَّ الْغَزْوِ السُّوفِيَّتِيِّ وَفِي الْحَرْبِ الْاَهْلِيَّةِ بَعْدَ خُرُوجِ الرُّوسِ، وَانْضَمَّ اِلَى تَحَالُفِ الشَّمَالِ مَعَ اَحْمَدَ شَاهِ مَسْعُودٍ، عَادَ اِلَى «كَابُل» بَعْدَ سُقُوطِ الْاِمَارَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ لِلطَّلِبَانِ وَشَارَكَ فِي الْحَرَكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَلَكَ الْفَتْرَةَ.

(٢) قَلْبُ الدِّينِ حِكْمَتِيَّارٌ: وُلِدَ عَامَ ١٩٤٧ م بِوِلَايَةِ «قَنْدُوز» بِاَفْغَانِسْتَانَ، قَامَ بِتَأْسِيسِ الْحِزْبِ الْاِسْلَامِيِّ الْاَفْغَانِيَّيِّ ١٩٧٥ م، وَذَلِكَ بَعْدَ مُشَارَكَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي عَدَدِ مِنَ الْاَحْزَابِ وَالْجَمَاعَاتِ كَمَجْمُوعَةِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ ١٩٧٠ م، وَالْحِزْبِ الْبِسَارِيِّ الْاِدِيمُوقْرَاطِيِّ الشَّعْبِيِّ حَتَّى ١٩٧٢ م. شَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ فِي الْحُكُومَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ بَعْدَ خُرُوجِ الرُّوسِ فِي حُكُومَةِ «رَبَّانِي» بَعْدَ اَنْ كَانَ اَحَدَ اَبْرَزِ رُؤُوسِ الْجِهَادِ الْاَفْغَانِيَّيِّ، ثُمَّ انْضَمَّ اِلَى تَحَالُفِ الشَّمَالِ مَعَ «رَبَّانِي» وَ «اَحْمَدَ شَاهِ مَسْعُودٍ» وَذَلِكَ فِي الْحَرْبِ الْاَهْلِيَّةِ فِي التَّسْعِينَاتِ ضِدَّ حَرَكَةِ طَلِبَانَ.

[صُورَةٌ رَقْمٌ ٤]، ذَهَبْتُ أَنَا إِلَى الطَّرَفِ الْمُنَاقِضِ تَمَامًا.



لَقَدْ كُنْتُ مُتَّفِقًا مَعَ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ»
عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ هُوَ الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ أَمَامَ
الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلدَّفَاعِ عَنِ دِينِهَا وَمَصَالِحِهَا
فِي مَوَاجِهَةِ الْقُوَى الْمُتَكَالِبَةِ عَلَيْهَا، وَأَنَّ



الْمَعْرَكَةَ الرَّئِيسِيَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ هِيَ مَعْرَكَتُهُمْ مَعَ الْيَهُودِ
وَالصَّلِيبِيَِّّةِ الْمُتَحَالِفَةِ مَعَهُمْ. وَأَنَّ أَفْغَانِسْتَانَ هِيَ فُرْصَةٌ
نَادِرَةٌ لِمَسِيرَةِ الْجِهَادِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَمِرَّ وَتَتَّصَاعَدَ،
وَأَنَّ تَكُونَ أَفْغَانِسْتَانَ هِيَ الْمَدْرَسَةُ الْكُبْرَى لِلْمُمَارَسَةِ

(١) بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي بِنُ مُحَمَّدٍ يُوْسُفَ: وُلِدَ فِي ٢٠ سِبْتَمْبَرِ ١٩٤٠ مَ بِمَدِينَةِ «فَيْضِ أَبَاد» بِأَفْغَانِسْتَانَ،
حَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ جَامِعِهِ الْأَزْهَرِ، وَعُيِّنَ رَئِيسًا لِلْجَمْعِيَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ١٩٧٢ مَ، وَأَنْشَقَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْجَمْعِيَّةِ مُكَوِّنًا الْجِزْبَ الْإِسْلَامِيَّ ١٩٧٧ مَ، كَانَ مِنْ رُمُوزِ
الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ ضِدَّ الرُّوسِ، شَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ أَفْغَانِسْتَانَ فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ خَلْفًا لِأَوَّلِ
رَئِيسٍ فِي تِلْكَ الْحُكُومَةِ وَهُوَ «صِبْعَةُ اللَّهِ مُجَدِّدِي»، انْضَمَّ لِتَحَالُفِ الشَّمَالِ مَعَ «أَحْمَدِ شَاهِ مَسْعُودِ»
وَ «قَلْبِ الدِّينِ حِكْمَتِيَارِ» فِي قِتَالِهِمْ ضِدَّ حَرَكَةِ «طَلِبَانَ»، كَلَّفَهُ الرَّئِيسُ الْأَفْغَانِيُّ «حَامِدَ كَرَزَايَ»
بِالتَّفَاوُضِ مَعَ حَرَكَةِ «طَلِبَانَ» بِاعْتِبَارِهِ رَئِيسَ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلسَّلَامِ، وَقُتِلَ فِي تَفْجِيرِ اسْتَهْدَافِ
مَنْزِلَةٍ فِي ٢٠ سِبْتَمْبَرِ ٢٠١١ مَ.

الْعَمَلِيَّةُ عَلَى نِطَاقِ الْأُمَّةِ.

إِنَّ جِئْنَا كَانَ وَافِرَ الْحِطِّ مَعَ الْحُرُوبِ؛ فَقَدْ جَاءَ جِئْنَا إِلَى الْحَيَاةِ مَعَ نِهَايَةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ. وَقَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ مَا حَوْلَهُ نَشَبَتْ حَرْبُ ١٩٤٨ م بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْعَرَبِ وَضَاعَتْ مُعْظَمَ فَلَسْطِينِ، وَظَهَرَتْ إِسْرَائِيلُ كَأَبْشَعِ حَقِيقَةِ سِيَاسِيَّةٍ فِي حَيَاةِ الْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ، تَلَّتْهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ الْأَنْقِلَابَاتِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، كَرَّسَتْ عَمَلِيَّةَ الْأَنْتِقَالِ مِنَ التَّبَعِيَّةِ لِلْإِسْتِعْمَارِ الْبَرِيطَانِيِّ وَالْفَرَنْسِيِّ إِلَى التَّبَعِيَّةِ الْجَدِيدَةِ لِلْإِمْبَرِيَالِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. ثُمَّ جَاءَتْ حَرْبُ ١٩٥٦ م بَيْنَ مِصْرَ مِنْ جَانِبِ إِسْرَائِيلِ مَدْعُومَةٌ بِفَرَنْسَا وَبَرِيطَانِيَا مِنْ جَانِبِ آخَرَ. وَفِي عَامِ ١٩٦٧ م كَانَتْ أَبْشَعُ الْهَزَائِمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّارِيخِ الْحَدِيثِ أَمَامَ إِسْرَائِيلِ، وَضَاعَتْ بَقِيَّةُ فَلَسْطِينِ مَعَ مَسَاحَاتٍ شَاسِعَةٍ مِنْ الْأَرَاضِي الْمِصْرِيَّةِ وَالسُّورِيَّةِ. وَفِي عَامِ ١٩٧٣ م كَانَتْ حَرْبُ «التَّخْرِيكِ» بَيْنَ مِصْرَ وَسُورِيَّةِ مِنْ جَانِبِ إِسْرَائِيلِ مِنْ الْجَانِبِ الْآخَرَ، وَفِعْلًا تَحَرَّكَتِ الْمَنْطِقَةُ نَحْوَ مَسِيرَةٍ طَوِيلَةٍ لِلتَّسْوِيَةِ السَّلْمِيَّةِ مَعَ إِسْرَائِيلِ، لِتَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى إِسْتِسْلَامِ كَامِلٍ لِلْهَيْمَنَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ عَلَى كَامِلِ الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ إِعْتِرَافٍ بِالْقُطْبِ الْأَمْرِيكِيِّ، الْمُسَيْطِرِ الْأَوْحَدِ عَلَى السَّاحَةِ الدُّوَلِيَّةِ.

وَفِي أْبْرَيْلِ ١٩٧٨ م كَانَ الْأَنْقِلَابُ الشُّيُوعِيُّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، تَلَاهُ الْغَزْوُ السُّوفِيَّتِيُّ فِي دَيْسَمْبَرِ ١٩٧٩ م، وَبَدَأَ نَجْمُ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ يَبْزُغُ عَلَى

اسْتِحْيَاءٍ حَتَّى تَلَقَّفَتْهُ الدَّوَامَةُ الدُّوَلِيَّةُ. وَلِمُدَّةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ كَانَ الْجِهَادُ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هُمْ حَدِيثُ السَّاعَةِ عَالَمِيًّا. بَدَأْنَا أَنْ الْفُرْصَةَ سَانِحَةً، وَأَنَّ الرَّايَةَ الَّتِي رُفِعَتْ فِي جِبَالِ أَفْغَانِسْتَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَظَلَّ خَفَاقَةً حَتَّى النَّصْرِ، وَأَنْ تُوَاصِلَ الْمَسِيرَ فِي الْآفَاقِ حَتَّى تَعُودَ لِلْمُسْلِمِينَ دَوْلَتُهُمْ وَعِزَّتُهُمْ. هَكَذَا كُنَّا نَحْلُمُ، وَفِي هَذَا الْاِتِّجَاهِ حَاوَلْنَا أَنْ نَعْمَلَ، أَمَّا النَّتَائِجُ فَكَانَتْ شَيْئًا آخَرَ.

كَانَتْ هُنَاكَ عِدَّةُ فُرُوقٍ بَيْنَ الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَالْحُرُوبِ الَّتِي شَهِدْتَهَا الْمَنْطِقَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعَ إِسْرَائِيلَ، وَهِيَ فُرُوقٌ أَذْهَشَتْ الشُّعُوبَ الْعَرَبِيَّةَ وَجَعَلَتْ الْإِسْلَامِيِّينَ فِيهَا يَنْجَذِبُونَ إِلَيْهَا. لَقَدْ قَامَ الْأَفْغَانُ ضِدَّ حُكُومَةِ شِيُوعِيَّةٍ مَدْعُومَةٍ بِقُوَّةِ عُظْمَى، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَسْلِمُوا، بَلْ تَصَاعَدَتْ مُقَاوَمَتُهُمْ، رَفَعَ الْأَفْغَانُ شِعَارَ الْجِهَادِ، فَأَجَّجَ ذَلِكَ مُقَاوَمَتَهُمْ وَأَكْسَبَهُمْ تَعَاظِفَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَلَمَّا كَانَ جِيلُنَا قَدْ أَدْرَكَ مُتَأَخِّرًا أَنَّ الْحُرُوبَ الْعَرَبِيَّةَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ حُرُوبٌ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، تَوَاطَأَتْ فِيهَا الْحُكُومَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي لَا تَتَوَلَّى السُّلْطَةَ إِلَّا بِمُؤَافَقَةٍ وَمُسَاعَدَةِ الْقُوَى الْعَرَبِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِفَرْضِ الْهَزِيمَةِ عَلَى الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَكْرِيسِ سِيَادَةِ إِسْرَائِيلَ عَلَى الْمَنْطِقَةِ. لِهَذَا صَارَ لِرَأْيِنَا عَلَى هَذِهِ الْحُكُومَاتِ أَيْضًا أَنْ نَعْمَلَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ نَفْسِهِ، وَنَعْمَلَ عَلَى إِضْعَافِهِ أَوْ

اقتلَاعِهِ مِنَ الْمَنْطِقَةِ حَتَّى يَسْهَلَ اسْتِقْرَارُ وَسَيْطَرَةُ الْيَهُودِ عَلَيْهَا. رُغِمَ صَغِيرِ حَجْمِ إِسْرَائِيلَ وَقِلَّةِ سُكَّانِهَا مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا أَنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَفْرِضَ إِرَادَتَهَا عَلَى دَوْلِ الْمَنْطِقَةِ، وَجِيُوشُنَا كَانَتْ سَرِيعًا مَا تَنْهَزِمُ وَتَفِرُّ أَمَامَهُمْ فِي مَيَادِينِ الْقِتَالِ، وَإِذَا قَاتَلَتْ فَلِأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ يَبْدَأُ بَعْدَهَا سَيْلٌ مِنَ الْاتِّفَاقَاتِ وَعُهُودِ السَّلَامِ. وَالشُّعُوبُ ضَعُفَتْ عَقِيدَتُهَا وَأَنْهَارَتْ مَعْنَوِيَّاتُهَا وَأَصْبَحَتْ تَقْبَلُ بِأَيِّ شَيْءٍ فِي مُقَابَلِ اسْتِمْرَارِهَا فِي حَيَاتِهَا الْمَهِينَةِ.

ثُمَّ جَاءَتْ أَفْغَانِسْتَانُ لِتَقْدِمَ صُورَةَ مُنَاقِضَةٍ تَمَامًا لِتِلْكَ الصُّورَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكَثِيبَةِ. فِي أَفْغَانِسْتَانِ شَعْبٌ خَشِنٌ ذُو عَزِيمَةٍ وَتَصْمِيمٍ، يُقَاتِلُ لِأَجْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَتَحَمَّلُ أَهْوَالًا تَعْجِزُ الْجِبَالَ عَنْ تَحْمَلِهَا، وَالْأَعْجَبُ أَنَّهُ يُحَقِّقُ انْتِصَارَاتٍ ضِدَّ أَقْوَى جِيُوشِ الْأَرْضِ، الْجَيْشِ السُّوفِيَّتِيِّ. إِنَّهُ الصُّورَةُ الْمُنَاقِضَةُ لِحَالِنَا، وَالْحُلْمُ الَّذِي يُرَاوِدُ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَقَّقُ أَحِيرًا. لَقَدْ تَخَيَّلْنَا أَنَّ الْأَمَلَ بَدَأَ يَتَحَقَّقُ، وَمِنْ أَفْغَانِسْتَانِ سَوْفَ تَخْرُجُ جِيُوشُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ. لِهَذَا جِئْتُ إِلَى أَفْغَانِسْتَانِ، وَجَاءَ غَيْرِي مِئَاتٌ وَآلَافٌ مِنَ الشَّبَابِ، لِتَبْدَأَ مَلْحَمَةُ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانِ، كَوَاحِدَةٍ مِنْ أَعْنَى تَجَارِبِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَدِيثَةِ.

مُنْذُ تَسَلَّطَتْ دَوْلُ الْعَرَبِ الْاسْتِعْمَارِيَّةُ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَدَفُهَا الْأَوَّلُ إِضْعَافُ الْإِسْلَامِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ مَعَ اسْتِبْعَادِهِ مِنَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ وَعَزْلِهِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا الْحُكُومَاتُ الْمُوَالِيَّةُ

لِلْغَرْبِ. وَكَانَتْ تِلْكَ السِّيَاسَةُ عَلَى [أَشَدِّهَا] فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ لِكُونِهَا مَهْدَ الْإِسْلَامِ وَمَحْضَنَهُ الطَّبِيعِيِّ وَقِبْلَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ. وَبَعْدَ اسْتِبْدَالِ الْاسْتِعْمَارِ الْبَرِيطَانِيِّ وَالْفَرَنْسِيِّ بِالْإِمْبِرِيَالِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ^(١) وَحُصُولِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُمَزَّقَةِ عَلَى اسْتِقْلَالِهَا الشَّكْلِيِّ، اسْتَمَرَّتِ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَبِشْكَلٍ أَشَدَّ ضَرَاوَةً عَلَى أَيْدِي الْحُكُومَاتِ الْوَطَنِيَّةِ، الَّتِي تَبَنَّتِ الْعِلْمَانِيَّةَ وَأَعْلَنْتِ الْحَرْبَ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَتَّى وَصَفَهَا الْبَعْضُ بِالْأَنْظِمَةِ الْمُرْتَدَّةِ.

فَتَرَجَعَتْ الرُّوحُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلشُّعُوبِ، وَسَادَ الْجَهْلُ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَسَيْطَرَتْ الدَّوْلَةُ عَلَى التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ وَالْعُلَمَاءِ؛ فَانْعَزَلَتْ الْمَوْسَسَةُ الدِّينِيَّةُ



٥

الرَّسْمِيَّةُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَفَقَدَتْ ثِقَتَهُمْ. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ بَدَأَتْ الْحَرَكَةُ الدِّينِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ، الَّتِي كَانَتْ بِدَايَتِهَا الْكُبْرَى مَعَ الشَّيْخِ «حَسَنِ الْبَنَّا» [صُورَةٌ رَقْم ٥] مُؤَسَّسِ حَرَكَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، الَّتِي مَا زَالَتْ مُنْذُ تَأْسِيسِهَا تُمَثِّلُ

الْتِيَارَ الْأَكْبَرَ حَجْمًا وَالْأَكْثَرَ تَنْظِيمًا بَيْنَ تِيَارَاتِ التَّحْرُكِ الْإِسْلَامِيِّ الشَّعْبِيِّ.

(١) الصَّحِيحُ قَوْلُ «اسْتِبْدَالِ الْإِمْبِرِيَالِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ بِالْاسْتِعْمَارِ الْبَرِيطَانِيِّ وَالْفَرَنْسِيِّ» فَإِنَّ الْبَاءَ تُلْحَقُ بِالْمَتْرُوكِ وَلَيْسَ كَمَا هُوَ شَائِعٌ فِي اللَّهْجَاتِ الْعَامِّيَّةِ.

رُغْمًا عَنْ أَيِّ سَلْبِيَّاتٍ شَابَتْ التَّحَرُّكَ الْإِسْلَامِيَّ الشَّعْبِيَّ فَإِنَّهُ قَامَ بِدَوْرِ
تَارِيخِيٍّ هَامٍّ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْحِفَافِ عَلَى شَعَائِرِهِ وَتَعَالِيمِهِ وَالدَّفَاعِ
عَنْهُ ضِدًّا مُخْتَلَفِ الْحَمَلَاتِ الْمُرتَدَّةِ، سِوَاءِ الْحَمَلَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ أَوْ
الْحَمَلَاتِ الْبُولِيسِيَّةِ الْقَمْعِيَّةِ. وَقَدْ دَفَعَتْ تِلْكَ الْحَرَكَاتُ ثَمَنًا غَالِيًا جِدًّا مِنْ
دِمَاءٍ وَأَرْوَاحٍ أَتْبَاعِهَا وَكَوَادِرِهَا.

مِنْ بَيْنِ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ كَانَ الْجِهَادُ الْأَوْفَرُ حَظًّا؛ فَقَدْ رَكَزَ الْغَرْبُ وَ
«حُكُومَاتُ الرَّدَّةِ الْوَطْنِيَّةِ» عَلَى اسْتِصَالِهِ مِنْ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَمِنْ
قَامُوسِهِمُ الدِّيْنِيِّ، حَتَّى أَنَّ الدُّوَلِ الْاسْتِعْمَارِيَّةَ الْغَرْبِيَّةَ قَدْ سَاعَدَتْ عَلَى إِنْشَاءِ
فِرْقٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُهَمَّتْهَا مَقَاوِمَةُ فِكْرَةِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلُ عَلَى إِبْطَالِهَا عَمَلِيًّا وَنَظْرِيًّا.
وَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ «حَسَنُ الْبَنَّا» رَحِمَهُ اللهُ كَيْ يَضَعَ فِي شِعَارِ جَمَاعَتِهِ تِلْكَ الْعِبَارَةَ
الشَّهِيرَةَ «الْجِهَادُ سَبِيلُنَا وَالْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَسْمَى أَمَانِينَا» كَانَ ذَلِكَ يَعْنِي
إِعْلَانَ الْحَرْبِ عَلَى الْاِحْتِلَالِ الْبَرِيطَانِيِّ وَالنُّظَامِ الْمَلِكِيِّ فِي مِصْرَ. وَفِي ظَنِّي
أَنَّ قَرَارَ اغْتِيَالِهِ قَدْ أَصْدَرَهُ الْإِنْجِلِيزُ مِنْ يَوْمِ أَنْ رَفَعَتْ جَمَاعَةُ «الْإِخْوَانِ» ذَلِكَ
الشَّعَارَ.

وَعِنْدَمَا نَشَبَتْ حَرْبُ فَلَسْطِينِ عَامَ ١٩٤٨ م كَانَ الْجِهَادُ مَا زَالَ حَيًّا فِي
الذَّاكِرَةِ الشَّعْبِيَّةِ لِلْعَرَبِ، وَتَبَنَتْهُ جُزْئِيًّا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
مِنْ خِلَالِ الْأَغَانِي وَالْأَنَاشِيدِ الْحَمَاسِيَّةِ. وَكَمَا حَدَّثَ فِي حَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ بَعْدَ

ذَلِكَ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا، بَادَرَ الْعَرَبُ وَ «حُكُومَاتُ الْعِلْمَنَةِ الْوَطْنِيَّةِ» فِي وَضْعِ مُخَطَّطٍ لِإِجْهَاضِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ الشَّعْبِيِّ، وَتَسْخِيرِ مَجْهُودِهِ لِصَالِحِ الْكُفَّارِ أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ الْبَطْشِ وَالتَّنْكِيلِ بِالْمُجَاهِدِينَ.

وَضَعَ الْإِنْجِلِيزُ مُخَطَّطَ حَرْبٍ فَلَسْطِينَ بِهَدَفٍ إِخْرَاجِ الْهَزِيمَةِ بِشَكْلِ مَسْرَحِيٍّ تَشَارِكُ فِيهِ «حُكُومَاتُ الرَّدَّةِ الْوَطْنِيَّةِ» عَنْ عَمْدٍ بِهَدَفِ تَخْطِيمِ مَعْنَوِيَّاتِ الشُّعُوبِ وَدَفْعِهَا تَدْرِيجِيًّا لِلاِسْتِسْلَامِ لِلْيَهُودِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ. وَأَعْطَى هَذَا الْمُخَطَّطُ ثَمَارًا يَابِغَةً فِي السَّبْعِينَاتِ وَحَتَّى الْاِسْتِسْلَامِ الْكَامِلِ لِلْيَهُودِ فِي الثَّسْعِينَاتِ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ.

لَقَدْ كَانَتْ حَرْبُ فَلَسْطِينَ عَامَ ١٩٤٨ م تَجْرِبَةً غَنِيَّةً لِلْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ، مَلِيَّةً بِالذُّرُوسِ وَالْعَبْرِ. وَلَكِنْ لِالْأَسْفِ، عِنْدَمَا خَاضَ الْمُسْلِمُونَ فِي التَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ لَمْ يَسْتَعِيدُوا مِنْ تِلْكَ الذُّرُوسِ وَكَرَّرُوا الْأَخْطَاءَ، بَلْ زَادُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ تَعَرَّضُوا لِنَفْسِ النِّكْسَاتِ وَالضَّرْبَاتِ الْأَلِيمَةِ وَبِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا تَقْرِيْبًا مَعَ تَحْوِيرَاتٍ تَتَنَاسَبُ وَالتَّغْيِيرَاتِ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْمَلَابَسَاتِ الْمُحِيطَةِ.

لَقَدْ كَانَتْ بَرِيْطَانِيَا هِيَ الْقُوَّةُ الْمُهَيْمِنَةُ عَلَى كُلِّ الْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُخْتَلَّةِ لِأَكْثَرِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِفَلَسْطِينَ، وَنَفَّذَتْ بَرِيْطَانِيَا مُخَطَّطَهَا فِي فَلَسْطِينَ وَفِي الْحَرْبِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ عَامَ ١٩٤٨ م عَبْرَ الْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي دَخَلَتْ الْحَرْبَ بِسَبْعَةِ جِيُوشِ. وَفِي الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ كَانَتْ أَمْرِيْكَا مُنْذُ

عام ١٩٨١م هِيَ الْقُوَّةُ الْمُهِمَّةُ عَلَى الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَتَحَرَّكَتْ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْحُكُومَاتِ، خَاصَّةً الْحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ وَالْبَاكِسْتَانِيَّةُ، وَكَانَتْ أَدَوَاتُهَا عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ هِيَ الْأَحْزَابُ الْأَفْغَانِيَّةُ الْمُسَمَّاهُ بِـ «الْمُنْظَمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ» وَعَدَدُهَا سَبْعَةٌ مُنْظَمَاتٍ، وَهُوَ نَفْسُ عَدَدِ الْجَيْشِ الَّتِي دَخَلَتْ



حَرْبِ فَلَسْطِينِ تَحْتَ إِمْرَةِ الْجِنْرَالِ «جُلُوبِ بَاشَا» الْإِنْجِلِيزِيِّ^(١) [صُورَةٌ رَقْم ٦]. وَقَدْ تَحَكَّمَتْ الْمُخَابِرَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ بِالْعَمَلِ الْقِتَالِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بِوَأَسْطَةِ جِهَازِ الْمُخَابِرَاتِ الْبَاكِسْتَانِي (ISI)^(٢)، وَالَّذِي أَنْشَأَهُ «ضِيَاءُ الْحَقِّ»^(٣) [صُورَةٌ رَقْم ٧] عَامَ

(١) السِيرُ جُونِ بَاجُوتِ جُلُوبِ: وَالَّذِي عُرِفَ بِـ «جُلُوبِ بَاشَا» أَوْ «أَبُو حَنِك»، عَسْكَرِيٌّ بَرِيْطَانِيٌّ وُلِدَ فِي ١٦ أْبْرِيْلِ ١٨٩٧م، شَارَكَ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى فِي فَرَنْسَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ رِحْلَتَهُ فِي شَغْلِ الْمَنَاصِبِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ نُقِلَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي ١٩٢٠م وَكَانَتْ تَحْتَ الْوِصَايَةِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ، وَكَوَّنَ عِلَاقَاتٍ كَثِيرَةً بِالْقَبَائِلِ فِي الْعِرَاقِ وَسُورِيَا وَالْأُرْدُنِ. فِي عَامِ ١٩٣٠م أَسَّسَ قُوَاتِ الْبَادِيَّةِ الَّتِي أَنْهَتْ الصَّرَاعَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ فِي جَنُوبِ الْعِرَاقِ، وَفِي عَامِ ١٩٣٩م تَوَلَّى «جُلُوبِ» قِيَادَةَ الْجَيْشِ الْأُرْدُنِيِّ وَقَامَ بِتَطْوِيرِهِ وَتَجْهِيزِهِ. بَقِيَ فِي مَنَصِبِهِ حَتَّى ٢ مَارِسِ ١٩٥٦م حِينَ أَعْفَاهُ الْمَلِكُ «حُسَيْنُ بْنُ طَلَالٍ» مِنْ مَنَصِبِهِ فِي حَرَكَةِ تَعْرِيْبِ قِيَادَةِ الْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ. تُوُفِّيَ فِي ١٧ مَارِسِ ١٩٨٦م فِي إِنْجِلِيزَا.

(٢) وَكَالَةُ الْمُخَابِرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ ISI: تَأَسَّسَتْ فِي عَامِ ١٩٤٨م، وَذَلِكَ فِي إِثْرِ الْحَرْبِ الْهِنْدِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي عَامِ ١٩٤٧م. اِسْتَهْرَ بِتَنْسِيْقِهِ الْمُشْتَرِكِ مَعَ الْمُخَابِرَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ CIA فِي أَنْشَاءِ

١٩٧٩ م بِهَدَفِ التَّدْخُلِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى الشُّيُوعِيَّةِ. فِي الْحَالَتَيْنِ دَخَلْنَا الْحَرْبَ بِقِيَادَةِ جِنَرَالَاتٍ كَفَرَةٍ أَوْ «أَشْبَاهِ مُسْلِمِينَ».



وَمَعَ هَذَا لَمْ تَسْتَطِعِ الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ أَنْ تُحْكِمَ سَيْطَرَتَهَا عَلَى جِهَادِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ بِنَفْسِ الْقَدْرِ الَّذِي أَحْكَمَتْ بِهِ بَرِيطَانِيَا سَيْطَرَتَهَا عَلَى الْجِيُوشِ الْعَرَبِيَّةِ فِي

مَرَحَلَةِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ، وَبَعْدَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مُطَارَدَةِ أَفْرَادِ الْجَمَاعَاتِ الْجِهَادِيَّةِ وَحَرَكَه «طَالِيَان».

(١) مُحَمَّدٌ صِبْيَاءُ الْحَقِّ بْنِ مُحَمَّدٍ أَكْرَمَ: الرَّئِيسُ السَّادِسُ لِبَاكِسْتَانَ فِي الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ ١٩٧٧-١٩٨٨ م. وَوُلِدَ فِي ١٢ أَوْغُسْتُسَ ١٩٢٤ م فِي مَقَاتِعَةِ النَّجَابِ الْهِنْدِيَّةِ وَتَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي «دِلْهِي». التَّحَقَّ بِكُلِّيَّةِ «سَانْتِ سِيفِن» الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَتَخَرَّجَ مِنْهَا ثُمَّ أَصْبَحَ ضَابِطًا بِسِلَاحِ الْخِيَالَةِ عَامَ ١٩٤٥ م. التَّحَقَّ بِالْجَيْشِ الْبَرِيطَانِيِّ عَامَ ١٩٤٣ م حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ «مُحَمَّدٌ أَكْرَمٌ» مُعَلِّمًا بِالْجَيْشِ الْبَرِيطَانِيِّ، وَبَعْدَ انْفِصَالِ الْهِنْدِ عَنِ بَاكِسْتَانَ عَادَ مَعَ عَائِلَتِهِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَالتَّحَقَّ بِالْجَيْشِ الْبَاكِسْتَانِيِّ. تَدَرَّجَ فِي الْمَنَاصِبِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَحَصَلَ عَلَى مَنِحَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِعَامِلِينَ بِالْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَتَزَعَّمَ الْقَوَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ الْمُسَانِدَةَ لِلْحُكُومَةِ الْأُرْدُنِّيَّةِ فِي قِتَالِهَا ضِدَّ الْمُنْظَمَاتِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ الْمُسَلَّحَةِ فِي عَامِ ١٩٧٠ م. قَامَ «ذُو الْفَقَّارِ عَلِيِّ بُوتُو» رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ بِتَرْفِيقِهِ رَئِيسًا لِأَرْكَانِ الْجَيْشِ. قَادَ انْقِلَابًا ضِدَّ حُكُومَةِ حِزْبِ الشَّعْبِ فِي عَامِ ١٩٧٧ م، وَاعْتَقَلَ رَئِيسَ الْوُزَرَاءِ «بُوتُو» وَرَفَضَ عِدَّةَ طَلَبَاتٍ وَوَسَاطَاتٍ دُولِيَّةٍ لِلْإِفْرَاجِ عَنْهُ أَوْ تَخْفِيفِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَامَ بِإِعْدَامِهِ. تَمَّ اغْتِيَالُهُ فِي ١٧ أَوْغُسْتُسَ ١٩٨٨ م بَعْدَ تَفَقُّدِهِ لِصَفْقَةِ دَبَابَاتٍ أَمْرِيكِيَّةٍ حَيْثُ تَمَّ تَفْجِيرُ الطَّائِرَةِ الَّتِي كَانَ عَلَى مَنْتَهَا.

فَلَسْطِينِ؛ فَالْجِيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ الضَّعِيفَةُ التَّجْهِيزُ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ، وَالشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَقْهُورَةُ بِحُكُومَاتٍ مُسْتَبَدَّةٍ وَالْبَعِيدَةَ عَنْ دِينِهَا، كَانَ مِنْ السَّهْلِ - وَمَا زَالَ - يُقَاعُ الْهَزِيمَةَ بِهَا وَإِرْغَامُهَا عَلَى تَجْرُعِهَا حَتَّى الثَّمَالَةِ، ثُمَّ الْقَبُولُ بِالْأَمْرِ الْوَاقِعِ. أَمَّا الشَّعْبُ الْأَفْغَانِيُّ ذُو الطَّبِيعَةِ الْقِتَالِيَّةِ، وَالتَّرْكِيبِ الْقَبَلِيِّ، وَالْمُتَمَرِّسُ عَلَى الْقِتَالِ وَالْمُتَعَصِّبُ لِدِينِهِ، فَكَانَ التَّحَكُّمُ بِهِ صَعْبًا، لِذَلِكَ اسْتَطَاعَتْ الْقُوَى الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُخْلِصَةُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ - رُغْمَ التَّعَبِ الَّذِي أَصَابَهَا - أَنْ تُوقِعَ الْهَزِيمَةَ بِالسُّوفِيَّتِ، ثُمَّ أَسْقَطَتْ النِّظَامَ الشُّيُوعِيَّ فِي «كَابُلٍ». كُلُّ ذَلِكَ رُغْمًا عَنْ كُلِّ الْمُحَاوَلَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلخُرُوجِ بِنتِيجَةِ لَا غَالِبَ وَلَا مَغْلُوبَ، ثُمَّ تَشْكِيلُ حُكُومَةٍ عِلْمَانِيَّةٍ تَقُودُ الْبِلَادَ تَحْتَ نُهُودِ أَمْرِيكِيَّيْ سُوْفِيَّتِي مُشْتَرِكٍ.

كَانَتْ حَرْبُ فَلَسْطِينِ فِي حَقِيقَتِهَا هِيَ «دَعْوَةٌ إِلَى وَايِمَةِ الْهَزِيمَةِ»، بِرِيطَانِيَا هِيَ صَاحِبَةُ الدَّعْوَةِ وَالْجِيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ السَّبْعَةُ هُمْ صُيُوفُ الشَّرْفِ. فَمَا هُوَ دَوْرُ الْمُتَطَوِّعِينَ الْمُسْلِمِينَ؟، وَلِمَاذَا سَمَحَتْ لَهُمْ بِرِيطَانِيَا بِالْمُشَارَكَةِ؟.

- **أَوَّلًا:** سَمَحَتْ بِرِيطَانِيَا لِلْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشَارَكَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي فَلَسْطِينِ حَتَّى يُصْبِحُوا شُرَكَاءَ فِي الْهَزِيمَةِ الْمُنتَظَرَةِ، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْأَنْظِمَةِ وَلَا يُزِيدُونَ عَلَيْهَا بِاسْمِ الْإِسْلَامِ.
- **ثَانِيًا:** اسْتِطْلَاعُ عُمُقِ الشُّعُورِ الْجِهَادِيِّ دَاخِلِ الْجَمَاعَةِ وَفِي صُفُوفِ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ.

■ **ثَالِثًا:** كَشَفُ الْعَنَاصِرِ النَّاشِطَةِ إِسْلَامِيًّا، وَالْفَاعِلَةِ جِهَادِيًّا، وَتَقْدِيمُهَا إِلَى صُفُوفِ الْقِتَالِ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهَا. وَقَدْ كَانَ الْمُجَاهِدُونَ مِنْ صُفُوفِ «الْإِخْوَانِ» يُكَلِّفُونَ بِأَخْطَرِ الْمَهَامِّ الْقِتَالِيَّةِ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ. وَيَعْلَمُ الْإِنْجِلِيزِيُّ بِخَبْرَتِهِمُ الْعَسْكَرِيَّةِ أَنَّ «الْإِخْوَانَ» كَفَّوَاتٍ فِدَائِيَّةٍ سَوْفَ يُصَابُونَ بِأَعْلَى الْخَسَائِرِ فِي الْأَرْوَاحِ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوبُ.

■ **رَابِعًا:** بَعْدَ إِشْرَاكِهِمْ فِي الْهَزِيمَةِ وَتَقْدِيمِهِمْ قَرَابِينَ بَشْرِيَّةً لِنِيرَانِ الْيَهُودِ، تَتَكَلَّفُ أَجْهَزَةُ الْأَمْنِ الْمِصْرِيَّةُ وَغَيْرُهَا بِتَصْنِيفِ الْبَاقِينَ فِي الْمُعْتَقَلَاتِ وَعَلَى أَعْوَادِ الْمَشَانِقِ. فَقَبْلَ قَلِيلٍ مِنْ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ لِلْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ بِنَزْعِ سِلَاحِ كِتَائِبِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، فَقَامَ ضُبَّاطُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ بِنَزْعِ سِلَاحِ زُمَلَانِهِمْ مِنْ وَحَدَاتِ الْفِدَائِيِّينَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ قَاتَلُوا إِلَى جَانِبِهِمْ وَأَنْقَذُوهُمْ مِنْ عَشْرَاتِ الْمَآزِقِ الْقَاتِلَةِ وَمِنْ الْهَلَاكِ فِي حِصَارِ الْفَالُوجَا^(١) وَغَيْرِهَا. ثُمَّ وَضَعَ ضُبَّاطُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ زُمَلَاءَهُمْ مِنْ

(١) حِصَارُ الْفَالُوجَا: الْفَالُوجَا هِيَ قَرْيَةٌ تَقَعُ شَمَالَ شَرْقِيٍّ مَدِينَةِ عَزَّةَ فِي فَلَسْطِينَ، وَقَدْ قَامَ الْجَيْشُ الْيَهُودِيُّ بِمُحَاصَرَةِ لِيَاءِ مِشَاةٍ مِصْرِيٍّ قَوْمُهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ جُنْدِيٍّ بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ الْأَيِّ «سَيِّدِ مُحَمَّدِ طَه» - الَّذِي اسْتَهْرَ بِلَقَبِ «الضَّبْعِ الْأَسْوَدِ» - فِي قَرْيَةِ «عِرَاقِ الْمَنْشِيَّةِ» بِالْقُرْبِ مِنْ «الْفَالُوجَا» فِي أُكْتُوبَرِ ١٩٤٨ م. وَكَانَ اللَّوَاءُ الْمُحَاصَرُ يُضْمُّ الْكَثِيرَ مِنَ الْقِيَادَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْعَدِيدَ مِنَ الضَّبَّاطِ الْأَحْرَارِ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمُ الرَّئِيسُ السَّابِقُ «جَمَالُ عَبْدِ النَّاصِرِ»، وَاسْتَمَرَ الْحِصَارُ حَتَّى نِهَآيَةِ فَبْرَايِرِ ١٩٤٩ م. قَامَ مُتَطَوِّعُو جَمَاعَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» بِمُنَاوَسَاتٍ وَأَسْتَبَاكَاتٍ مَعَ الْجَيْشِ الْيَهُودِيِّ

كَتَائِبِ «الإخوان المسلمين» فِي سُجُونِ الْوَحَدَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ حَتَّى اسْتَلَمَتْهُمْ السُّلْطَاتُ الْمِصْرِيَّةُ وَوَضَعَتْهُمْ فِي مُعْتَقَلَاتٍ نَائِيَّةٍ بِدُونِ أَنْ تَسْمَحَ لَهُمْ حَتَّى بِالْعُودَةِ إِلَى الْوَطَنِ لِزِيَارَةِ عَائِلَاتِهِمْ، أَيْ مِنَ الْجَبْهَةِ إِلَى الْمُعْتَقَلَاتِ.

وَالْغَرِيبُ أَنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَطَوِّعِينَ فِي فَلَسْطِينَ قَدْ اسْتَمَرَ اعْتِقَالُهُمْ وَاضْطَّهَادُهُمْ حَتَّى جَاءَ الْانْقِلَابُ الْعَسْكَرِيُّ عَامَ ١٩٥٢ م «ثَوْرَةُ يُولْيُو»، فَلَفَّقَتْ لَهُمُ الْقَضَايَا، وَتَمَّ إِعْدَامُ عَدَدٍ مِنْهُمْ وَاعْتِقَالُ آخَرِينَ تَحْتَ ظُرُوفِ التَّعْذِيبِ الْوَحْشِيِّ حَتَّى قُتِلُوا، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا أَفْرَادٌ قَلِيلٌ فَرَّوْا مِنْ مِصْرَ قَبْلَ اعْتِقَالَاتِ عَامِ ١٩٥٤ م، وَلَمْ يَتِمَّ كُنُوزًا مِنَ الْعُودَةِ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى رُغْمَ مُرُورِ عَشْرَاتِ السِّنِينَ عَلَى حَرْبِ فَلَسْطِينَ.

أَمَّا عَنَّا صِرُّ «الإخوان» الَّذِينَ لَمْ يُشَارِكُوا فِي الْقِتَالِ فَقَدْ سَمَحَ لَهُمُ «السَّادَاتُ» فِي بَدَايَةِ عَهْدِهِ بِالْعُودَةِ إِلَى مِصْرَ فِي إِطَارِ مُعَيَّنٍ لِلْحُصُولِ عَلَى

مِمَّا سَاعَدَ عَلَى فَكِّ الْحِصَارِ جُزْئِيًّا وَدُخُولِ بَعْضِ الْمَعُونَاتِ وَالْإِمْدَادَاتِ. بَيْنَمَا حَاوَلَ الْجَيْشُ الْعَرَبِيُّ الْأُرْدُنِّيُّ بِقِيَادَةِ «جُلُوبِ بَاشَا» بِخِدَاعِ اللِّوَاءِ الْمِصْرِيِّ الْمُحَاصِرِ بِخَطَّةٍ فِي ظَاهِرِهَا الْمُسَاعَدَةُ عَلَى فَكِّ الْحِصَارِ وَلَكِنَّهَا تَمَكَّنُ الْقَوَاتِ الْيَهُودِيَّةَ مِنْ أُسْرِ اللِّوَاءِ كَامِلًا. بَعْدَ عُودَةِ اللِّوَاءِ إِلَى مِصْرَ دَخَلَتْ الْقَوَاتُ الْيَهُودِيَّةُ إِلَى «الْفَالُوجَا» وَمَارَسُوا فِيهَا تَطْهِيرًا عَرَقِيًّا شَنِيعًا.

لَقَبِ «الرَّئِيسِ الْمُؤْمِنِ». وَكَانَ ذَلِكَ نِصْفَ الطَّرِيقِ الْمَرْسُومِ لَهُ مِنَ الْعَرَبِ، أَمَّا النِّصْفُ الْآخَرُ فَقَدْ أَنْجَزَهُ بَعْدَ حَرْبِ أُكْتُوبَرِ ١٩٧٣ مِ بِحُصُولِهِ عَلَى لَقَبِ «بَطْلِ



الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ» [السَّادَاتُ مَعَ مَنَاخِمٍ يَبِجْنَ مَعَ جِيْمِي

كَازَتَر: صُورَةٌ رَقْم ٨]. عِنْدَئِذٍ صَارَ الطَّرِيقُ مَفْتُوحًا

أَمَامَهُ لِتَوْقِيعِ اتِّفَاقِيَّةِ الْاِسْتِسْلَامِ مَعَ إِسْرَائِيلَ

بِصِفَتِهِ الْكَامِلَةِ وَهِيَ «الزَّعِيمُ الْمُؤْمِنُ، بَطْلُ

الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ». أَيُّ أَنَّهُ فِي حَالَتِي الْحَرْبِ ١٩٤٨ مِ وَالسَّلَامِ ١٩٧٧ مِ كَانَ

الْإِسْلَامِيُّونَ عُرْضَةً لِلِاسْتِغْلَالِ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ وَحُكُومَاتِ الْعِلْمَانِيَّةِ

الْوَطَنِيَّةِ فِي تَنْفِيزِ مُخَطَّطَاتِهِمْ ضِدَّ الْإِسْلَامِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ. هَذَا مَا حَدَثَ

مَعَ الْإِسْلَامِيِّينَ فِي قَضِيَّةِ فَلَسْطِينِ، فَمَاذَا حَدَثَ مَعَهُمْ فِي قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ؟.

إِنَّ التَّشَابُهَ كَانَ مُدْهِشًا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ، لَقَدْ بَدَأَ تَسَرُّبَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ

إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبِدَايَةِ تَضْيِيقٌ عَلَى حَرَكَتِهِمْ نَحْوَ الْحُدُودِ

الْأَفْغَانِيَّةِ، وَكَانَ حُكْمُ الْجِنْرَالِ ضِيَاءِ الْحَقِّ فِي بَاكِسْتَانَ لَا يَرْغَبُ فِي تَصْعِيدِ

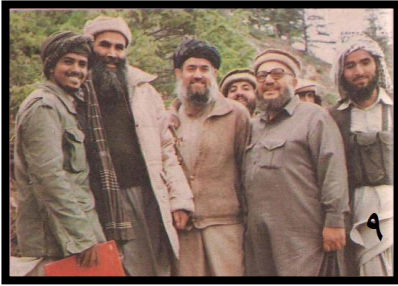
إِجْرَاءَاتِ مَنْعِ الْعَرَبِ مِنَ النِّقَازِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ، وَذَلِكَ

لِأَسْبَابٍ دَاخِلِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، وَلِتَحَالُفِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعَ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ فِي

بَاكِسْتَانَ لِمُوَاجَهَةِ الْمَدِّ الشُّيُوعِيِّ وَالْعِلْمَانِيِّ الْمُتَحَالِفِ مَعَ الْهِنْدِ وَ«مُوسْكُو»

مِنْ أَجْلِ إِسْقَاطِ نِظَامِ حُكْمِهِ.

وَقَرَّرَتْ أَمْرِيكَ مَعَ زِيَادَةِ تَوَرُّطِهَا فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ أَنْ تَلْعَبَ بِالْوَرَقَةِ
الإِسْلَامِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ «مُوسْكُو» لِإِخْرَاجِهَا فِي كُلِّ الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ،
وَلِلْإِسْتِفَادَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمَبْدُولَةِ بِسَخَاءٍ فِي مِيَادِينِ الْجِهَادِ، وَأَمْوَالِهِمْ
الْمُتَدَفِّقَةِ لِمُسَاعَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ كَيْ تَحْوِضَ أَمْرِيكَ حَلَقَةً فِي إِطَارِ الْحَرْبِ
الْبَارِدَةِ لَا تُكَلِّفُهَا شَيْئًا تَقْرِيْبًا. وَقَرَّرَتْ أَمْرِيكَ أَنْ تَقُومَ الْخَزِينَةُ السُّعُودِيَّةُ
بِتَمْوِيلِ الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، أَمَّا الدَّمَاءُ فِي الْمَعَارِكِ فَسَوْفَ يَتَسَابَقُ



الْمُجَاهِدُونَ الْعَرَبُ وَالْأَفْغَانَ لِبَذْلِهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ. أَمَّا أَمْرِيكَ فَدَوِّرْهَا التَّوَجِيهَ
وَالتَّخْطِيطَ ثُمَّ جَنِّي الثَّمَارَ وَحَدِّهَا فَقَطْ، وَإِنْ
اسْتَدْعَى ذَلِكَ قَتَلَ شُرَكَائِهَا. فَاقْتُلُوا «ضِيَاءَ

الْحَقِّ» ثُمَّ «تَمِيمَ الْعَدْنَانِي» ثُمَّ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّامَ» ثُمَّ دَمَّرُوا التَّوَاجِدَ الْجِهَادِيَّ
الْعَرَبِيِّ فِي بَاكِسْتَانَ وَأَفْغَانِسْتَانَ بِحَمَلَاتٍ بُولَيْسِيَّةٍ وَإِعْلَامِيَّةٍ مُرَكَّزَةٍ. [تَمِيمٌ

الْعَدْنَانِي «الثَّانِي إِلَى الْيَوْمِ» إِلَى جِوَارِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامَ: صُورَةٌ رَقْمَ ٩].

وَالِاشْتِرَاطَاتِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي وَضَعَتْهَا بَرِيطَانِيَا لِمُشَارَكَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ
فِي حَرْبِ فَلَسْطِينَ كَانَتْ هِيَ نَفْسُهَا الْإِشْتِرَاطَاتِ الَّتِي وَضَعَتْهَا أَمْرِيكَ
لِإِشْتِرَاكِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَلِنَسْتَعْرِضُهَا مَرَّةً أُخْرَى فِي
الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ:

■ **أولاً:** تَصَوَّرَتْ أَمْرِيكَ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هِيَ دَعْوَةٌ عَلَى مَائِدَةِ الْهَزِيمَةِ؛ لِأَنَّ خُيُوطَ الْقِيَادَةِ وَالتَّوَجِيهَ تَنْتَهِي إِلَى يَدِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالقَرَارِ الْأَمْرِيكِيِّ، وَلِأَنَّ اللَّاعِبِينَ الرَّئِيسِيِّينَ هُمْ مِنَ الْأَتْبَاعِ الْمُخْلِصِينَ، إِمَّا لِأَمْرِيكَ مُبَاشَرَةً «بَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةَ ثُمَّ مِصْرَ»، أَوْ أَتْبَاعُ مُخْلِصُونَ لِأَتْبَاعِ آخَرِينَ مُخْلِصِينَ مِثْلَ قَادَةِ الْمُنْظَمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَكُلُّهُمْ تَابِعٌ لِهَيْئَةِ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ (ISI). وَيَتَلَقَّى أَوَامِرَهُ الْيَوْمِيَّةَ وَمُسَاعَدَاتِهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَأَسْلِحَةٍ مِنْ أَيْدِي مُوظَّفِي الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ.

■ **ثانياً:** أَرَادَتْ أَمْرِيكَ أَنْ تَسْبِرَ غُورَ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الْانْفِرَاجِ النَّسَبِيِّ فِي الْعِلَاقَةِ مَعَهُ، وَأَنْ تَكْتَشِفَ عُمُقَ الْمَشَاعِرِ الْجِهَادِيَّةِ وَالنَّاشِطِينَ جِهَادِيًّا بِاعْتِبَارِهِمْ أَوَّلَ خُصُومِهَا فِي الْمَنْطِقَةِ وَأَكْبَرَ الْمَخَاطِرِ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَشْرُوعِهَا الشَّامِلِ لِلسَّيْطَرَةِ.

■ **ثالثاً:** أَنَّ الْقِتَالَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَنْ يَكُونَ نَزْهَةً عَلَى آيَةٍ حَالٍ، وَالْمُتَطَوِّعُونَ الْعَرَبُ الْمَمْلُوءُونَ حَمَاسًا وَغَيْرُ الْمُدْرَبِينَ وَغَيْرُ الْمُنْظَمِينَ لَنْ يَكُونُوا سِوَى فَرِيْسَةٍ سَهْلَةٍ لِلنِّيرَانِ السُّوفِيَّيَّةِ، وَهَذِهِ أَرْحَصُ السُّبُلِ وَأَسْرَعُهَا لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ قَضَاءً اخْتِيَارِيًّا لَا يُخْرِجُ أَحَدًا مِنَ الْحُكُومَاتِ. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ سَهَّلَتْ الْحُكُومَاتُ الْعَرَبِيَّةُ خُرُوجَ شَبَابِهَا لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَقَدَّمَتْ بَعْضَهَا تَسْهِيلَاتٍ كَبِيرَةً.

■ **رابعًا:** إذا استطاع أحدٌ من المتطوعين العرب أن ينجو من نيران الجيش الأحمر، فإن جيوش المخابرات في أنظمة الردة سوف تتولى أمره كالمعتاد.

ويمكن تلخيص تلك الخطوات [الأربع] بأربعة عناوين هي: استدرأج، استطلاع، اغتيال، تصفية. خطوات [أربع] تكررت كما هي ضد المجاهدين العرب في فلسطين ثم في أفغانستان على أيدي نفس الفئات، اليهود والصليبية والمرتدين. فكم من المرات سوف نلدغ من نفس الجحْرِ؟.

دعنا نتأمل في بند التصفية لنرى مكوناته وكيفية تنفيذه في الحالتين، حرب فلسطين والحرب الأفغانية:

١. لقد شملت التصفية في الحالة الفلسطينية في أول لحظة القتالين الإسلاميين، وفور أن انتهت الحرب، ولم يُسمح لهم أن تطأ أقدامهم أرض الكنانة؛ فقد اعتقلوا داخل الوحدات العسكرية العاملين معها.

٢. وبعد فاصل زمني قصير أصدرت الحكومة قراراً بحل جماعة «الإخوان المسلمين» وإغلاق مراكزها واعتقال جميع المتهمين إليها.

٣. ثم كانت الخطوة الأخيرة هي اغتيال قائد التنظيم، الشيخ «حسن البنا»، في أحد شوارع «القاهرة» أمام المقر الرئيسي للإخوان، وقد تمت الخطوات الثلاث خلال عدة أشهر.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مُشَاوَرَاتٍ مُكثَّفَةً حَوْلَ بَرْنَامِجِ التَّصْفِيَةِ قَدْ جَرَتْ بَيْنَ الدُّوَلِ الثَّلَاثِ، الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَبَرِيطَانِيَا وَفَرَنْسَا. وَبِالطَّبَعِ فَإِنَّ إِسْرَائِيلَ وَالْقُوَى الْيَهُودِيَّةَ الْعَالَمِيَّةَ كَانَتْ هِيَ الْمَوْجِهُ الرَّئِيسِي لِتِلْكَ الْاجْتِمَاعَاتِ. إِذَنْ فَأَهْدَافُ التَّصْفِيَةِ [ثَلَاثَةٌ] عَنَّا صِرَ:

أ. الْمُقَاتِلُونَ.

ب. التَّنْظِيمُ.

ت. الْقَائِدُ.

وَالْقَائِمُونَ عَلَى التَّصْفِيَةِ ثَلَاثُ فِئَاتٍ، هُمْ:

أ. الْيَهُودُ لِلتَّوَجِيهِ وَالتَّحْرِيضِ.

ب. الصَّلِيبِيُّونَ لِلتَّخْطِيطِ.

ت. الْمُرْتَدُّونَ لِلتَّنْفِيذِ وَالتَّمْوِيلِ.

وَقَدْ يَتَعَجَّبُ الْبَعْضُ مِنْ كَوْنِ التَّمْوِيلِ هُوَ مِنْ نَصِيبِ الْمُرْتَدِّينَ وَلَيْسَ الصَّلِيبِيِّينَ أَوْ الْيَهُودَ. وَلَكِنْ هَذَا مَا حَدَثَ فِي الْحَالَتَيْنِ، الْفَلَسْطِينِيَّةِ وَالْأَفْغَانِيَّةِ، فَمِيزَانِيَّةُ الدَّوَلَةِ الْمِصْرِيَّةِ تَحَمَّلَتْ تَكَالِيفَ عَمَلِيَّةِ تَصْفِيَةِ «الإخوان المسلمين» عَامَ ١٩٤٨م، وَمَا تَلَى ذَلِكَ مِنْ حَمَلَاتٍ. أَمَّا فِي الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فَإِنَّ مِيزَانِيَّةَ الدَّوَلَةِ السُّعُودِيَّةِ قَدْ [تَكَفَّلَتْ] بِسَدَادِ جَمِيعِ الْفَوَاتِيرِ الَّتِي أَمَرَتْ الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْحُكُومَةَ السُّعُودِيَّةَ بِسَدَادِهَا.

وَلِنَنْظُرَ إِلَى بَرْنَامَجِ تَصْنِيفِةِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لِنَرَى أَوْجَهَ التَّشَابُهِ وَالْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ:

١. بَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ التَّصْنِيفِةِ بِقَتْلِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» فِي «بِيشَاوَر»، نُوفَمْبَرِ ١٩٨٩ م، أَي بَعْدَ انْسِحَابِ الرُّوسِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ بِتِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَقَطُّ. كَانَ «ضِيَاءَ الْحَقِّ» قَدْ اغْتِيلَ فِي أُغْسُطُسَ مِنْ نَفْسِ الْعَامِ، كَمَا اغْتِيلَ مُسَاعِدِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ»، وَهُوَ «تَمِيمُ الْعَدْنَانِي» أَثْنَاءَ عِلَاجِهِ فِي أَمْرِيكََا، فَتَلَّوهُ بِالسُّمِّ وَظَهَرَتْ الْوَفَاةُ طَبِيعِيَّةً.

٢. أَمَّا تَصْنِيفِةُ الْمُقَاتِلِينَ وَالتَّجْمَعِ الْعَرَبِيِّ فِي بَاكِسْتَانَ فَكَانَ مِنْ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَعْقَبَ عَمَلِيَّةَ اغْتِيَالِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» مُبَاشَرَةً فِي صُورَةِ حَمَلَةٍ اعْتِقَالٍ شَامِلَةٍ. وَلَكِنَّ حَسَاسِيَّةَ وَتَعْقِيدَ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ فِي بَاكِسْتَانَ وَأَفْغَانِسْتَانَ وَالْحَرْبَ الدَّائِرَةَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ جَعَلَا الْعَمَلِيَّةَ مُسْتَحِيلَةً فَأَحْجَمَتْ عَنْهَا حُكُومَةُ بَاكِسْتَانَ، وَلَمْ تَتَّحِ الْفُرْصَةُ إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، فَبَدَأَتْ حَمَلَةٌ شَامِلَةٌ ضِدَّ الْعَرَبِ فِي ٥ / ٤ / ١٩٩٣ م، أَعْقَبَتْهَا حَمَلَاتٌ نَفْسِيَّةٌ وَبُولِيسِيَّةٌ أَسْفَرَتْ عَنْ نَتَائِجٍ - حَتَّى وَقَتْ كِتَابَةَ هَذَا الْكِتَابِ - هِيَ:

- أ. تَصْنِيفِةُ الْجَانِبِ الْأَعْظَمِ مِنَ التَّوَاجُدِ الْعَرَبِيِّ الْجِهَادِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا أَفْرَادٌ قَلِيلٌ مُسْتَتُونَ.
- ب. تَصْنِيفِةُ التَّجْمَعِ الْعَرَبِيِّ فِي «بِيشَاوَر»، وَتَمَّ اسْتِبْدَالُهُ بِمَجْمُوعَاتٍ مِنَ الْمُوظَّفِينَ الْعَرَبِ الْعَامِلِينَ مَعَ هَيْئَاتِ الْإِغَاثَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

لَقَدْ سَجَنَتِ الْحُكُومَةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ عَشْرَاتٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ،
وَأَبْعَدَتْهُمْ خَارِجَ الْبِلَادِ، وَفَرَّتْ عَشْرَاتُ الْأَسْرِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى الْخَارِجِ، وَتَمَّ تَلْفِيقُ
عِدَّةٍ قَضَايَا مُخَدَّرَاتٍ لِعِدَدٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ، وَتَمَّ الْبِرْنَامَجُ تَحْتَ رِعَايَةِ
مُبَاشِرَةٍ مِنَ السَّفِيرِ الْأَمْرِيكِيِّ فِي بَاكِسْتَانٍ مَعَ لِحَانِ أُمْنِيَّةِ عَرَبِيَّةٍ وَإِسْرَائِيلِيَّةٍ.

إِنَّ بَرْنَامَجَ التَّصْفِيَةِ فِي الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ قَدْ شَارَكَ فِيهِ:

١. إِسْرَائِيلُ وَالْقُوَى الْيَهُودِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ.
٢. الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ الْقُوَّةَ الْأُولَى فِي الْعَالَمِ بَعْدَ هَزِيمَةِ
السُّوفِيَّتِ فِي أَفْغَانِسْتَانِ.
٣. الْمُرْتَدُّونَ، وَأَهْمُهُمُ الْحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ وَالنِّظَامُ الْمِصْرِيُّ وَالْحُكُومَةُ
الْبَاكِسْتَانِيَّةُ. كَمَا شَارَكَ النِّظَامُ التُّونِسِيُّ وَالْجَزَائِرِيُّ كَقُوَى ثَانَوِيَّةٍ تُطَالِبُ
بِرُّؤُوسِ رِعَايَاهَا فِي بَاكِسْتَانٍ وَأَفْغَانِسْتَانِ.

لَقَدْ تَعَهَّدَ الرَّئِيسُ الْأَمْرِيكِيُّ السَّابِقُ «جُورْج بُوْش» بَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى
الْعِرَاقِ فِي مَسْرَحِيَّتِهِ الْهَزَلِيَّةِ «حَرْبِ تَحْرِيرِ الْكُوَيْتِ» بِأَنَّ بِلَادَهُ سَوْفَ تُطَارِدُ
«الْعَرَبَ الْأَفْغَانَ» - كَمَا أَسْمَوْهُمْ - فِي صَحَارِي الْعَالَمِ. إِنَّهَا نَفْسُ السِّيَاسَةِ،
فَكَمَا أَنَّ مُجَاهِدِي «الْإِخْوَانَ» فِي فَلَسْطِينَ دَفَعُوا، وَمَا زَالُوا يَدْفَعُونَ الثَّمَنَ
حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَإِنَّ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ «الْعَرَبُ الْأَفْغَانَ»
سَوْفَ يُطَارِدُونَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ فِي بُلْدَانِهِمْ فِقْطٌ. وَهَنَاكَ أَحْدَاثٌ

تُشِيرُ إِلَى أَنَّ عَمَلِيَّةَ الْمُلاحِقَةِ ضِدَّهُمْ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ مُسْتَمِرَّةٌ؛ فَأَجْهَرَةُ
الاسْتِخْبَارَاتِ فِي أوروبَّا صرَّحتْ علانيَّةً أَنَّهَا تُراقِبُ الْعَرَبَ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَيْهَا
مِنْ بَاكِسْتَانٍ بَعْدَ طَرْدِهِمْ مِنْ هُنَاكَ، وَأَنَّهَا سَوْفَ تُطارِدُ الْمُتَطَرِّفِينَ مِنْهُمْ
وَتَعْتَقِلُهُمْ.

أَمَّا فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ فَالْأَمْرُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيْقٍ، فَهُنَاكَ حَالِيًا قَانُونٌ فِي
مِصْرَ يَتَكَفَّلُ بِإِعْدَامِ كُلِّ مِصْرِيٍّ جَاهِدِيٍّ جَاهِدًا فِي أَفْغَانِسْتَانٍ. وَلَمْ يَتَبَقْ مَلْجَأٌ لَهُؤُلَاءِ
الْمُجَاهِدِينَ حَالِيًا غَيْرَ السُّودَانَ وَالْيَمَنِ. وَتَعِيشُ هَاتَانِ الدَّوْلَتَانِ فِي ظِلِّ حِصَارٍ
وَتَأْمُرُ دَوْلِيَّ شَدِيدٍ، فَقَدْ أَشْعَلَتْ أَمْرِيكَا وَحُلَفاؤُهَا حَرْبًا أَهْلِيَّةً فِي الْيَمَنِ
لِتَقْسِيمِهَا، وَلَكِنْ [فَشِلَتْ خُطَّتُهُمْ]. أَمَّا السُّودَانُ فَيَعِيشُ فِي ظِلِّ حِصَارٍ
اِقْتِصَادِيٍّ دَوْلِيٍّ خَانِقٍ، وَحَرْبٍ فِي الْجَنُوبِ تَمُوِّلُهَا السُّعُودِيَّةُ وَالصَّلْبِيَّةُ
الدَّوْلِيَّةُ.

إِنَّ مُطَارَدَةَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي فَلَسْطِينِ وَأَفْغَانِسْتَانِ هُوَ قَرَارٌ لَا يَتَقَيَّدُ
بِمُدَّةٍ مُحَدَّدَةٍ. وَرُغْمَ أَنَّ الْقَانُونَ الْوَضْعِيَّ يُسْقِطُ التُّهْمَ بَعْدَ مُرُورِ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ
- عَشْرُونَ عَامًا - إِلَّا أَنَّ مُجَاهِدِي فَلَسْطِينِ مَا زَالُوا مَمْنُوعِينَ مِنْ دُخُولِ مِصْرَ
حَتَّى الْآنَ، رُغْمَ أَنَّهُمْ الْأَنْ تَخَطُّوا الْخَامِسَةَ وَالسِّتِينَ مِنَ الْعُمْرِ. وَمُنْذُ شَهْرَيْنِ
فَقَطَّ سَمَحُوا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ وَهُوَ فِي حَالَةِ احْتِضَارٍ كَثِيٍّ يَمُوتُ هُنَاكَ
بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ وُصُولِهِ، وَكَانَتْ حَالَةُ اسْتِثْنَائِيَّةً نَادِرَةً.

رَأَيْنَا كَيْفَ أَنَّ الْجِهَاتِ الَّتِي تَأَمَّرَتْ ضِدَّ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي فَلَسْطِينَ وَأَفْغَانِسْتَانَ هِيَ نَفْسُ الْجِهَاتِ، وَأَنَّ مُخَطَّطَهُمْ هُوَ نَفْسُهُ مِنْ حَيْثُ الْجَوْهَرِ. وَالْعَمَلُ الْإِسْلَامِيُّ الْجِهَادِيُّ كَانَ وَاحِدًا مِنْ نَفْسِ الْجَوْهَرِ، وَهُوَ خُرُوجُ جَمَاعَاتٍ مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ لِنُصْرَةِ إِخْوَانِهِمْ فِي الدِّينِ، وَلَكِنْ خَارِجَ الْحُدُودِ الْوَطَنِيَّةِ الَّتِي فَرَضَتْهَا عَلَيْهِمُ الصَّلِيبِيَّةُ الدَّوْلِيَّةُ بَعْدَ انْهِيَارِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ آخِرِ خِلَافَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَلَقَدْ جُوبِهَ هَذَا التَّحْرُكُ الْإِسْلَامِيُّ بِقَمْعِ دَوْلِيٍّ؛ لِأَنَّهُ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الصَّلِيبِيَّةِ [يَنْبَغِي عَلَى الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ] أَنْ يَحْتَرَمَ الْحُدُودَ الْوَطَنِيَّةَ الَّتِي وَضَعَهَا الصَّلِيبِيُّونَ. وَحَتَّى إِنْ أُمِّكِنَ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلْجِهَادِ فَهْمًا وَطَنِيًّا، فَأَطْلُقُوا مُصْطَلَحَ «الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ» لِإِكْسَابِ الْجِهَادِ صِبْغَةً وَطَنِيَّةً، وَذَلِكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ وَسَائِلَ إِعْلَامِ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ اسْتُخْدِمَتْ الْمُصْطَلَحَ الْمَشْبُوهَ كَمَا هُوَ. وَلَكِنَّ تَدَفُّقَ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ قَدْ أَبْطَلَ الْمَكِيدَةَ وَأَعْطَى الْجِهَادَ مَفْهُومَهُ الْإِسْلَامِيَّ الْأُمِّيَّ الصَّحِيحَ، كَحَرْبِ عَقَائِدِيَّةٍ وَلَيْسَتْ حَرْبًا وَطَنِيَّةً.

لِأَجْلِ هَذَا تَحَارَبُ أَمْرِيكَا الْمُجَاهِدِينَ - خَاصَّةً مَنْ كَانَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ -

بِاسْمِ مَكَا فَحَةِ الْإِرْهَابِ الدَّوْلِيِّ. وَحَتَّى الْجِهَادُ الْوَطَنِيُّ كَمَا فِي فَلَسْطِينَ

وَجَنُوبِ لُبْنَانَ أَصْبَحَ هُوَ الْآخِرُ مَشْمُولًا بِتِلْكَ الْحَرْبِ، أَيُّ أَنَّ الْإِلَهَ الْأَمْرِيكِيَّ
قَرَّرَ لَنَا أَنْ لَا جِهَادَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَصَدَرَ الْمَرْسُومُ فِي

١١/٩/٢٠٠١ م.

وَالْمَلَا حَظُّ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ دُرُوسِ
الْجِهَادِ فِي فَلَسْطِينَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَقْرَأْ إِلَّا قَلِيلًا عَمَّا حَدَثَ عَامَ ١٩٤٨ م.
وَبِشْكَالٍ عَامٍّ فَإِنَّ دِرَاسَةَ التَّارِيخِ وَأَخَذَ الْعِبْرَةَ مِنْهُ لَيْسَتْ وَارِدَةً عِنْدَ هَؤُلَاءِ
الشَّبَابِ، وَمَا زَالَتْ تِلْكَ الثَّرْوَةُ التَّارِيخِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مُنْذُ عَامِ ١٩٤٨ م وَحَتَّى
الآنَ لَمْ تُوظَّفْ بَعْدُ فِي خِدْمَةِ التَّحَرُّكِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاصِرِ وَبِالشَّكْلِ
الْمُنَاسِبِ. وَفِي بَعْضِ الْجَوَانِبِ كَانَ وَاضِحًا أَنَّ الْعَمَلَ الْجِهَادِيَّ الْعَرَبِيَّ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ أَشَدُّ تَخَلُّفًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْعَمَلِ الْجِهَادِيَّ فِي فَلَسْطِينَ، رُغْمَ الْفَارِقِ
الزَّمَنِيِّ الْكَبِيرِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ. أَمَّا تَكَرُّرُ نَفْسِ الْأَخْطَاءِ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّنَا قَوْمٌ لَا
نَقْرَأُ، وَإِذَا قَرَأْنَا فَإِنَّا لَا نَفْهَمُ، وَإِذَا فَهَمْنَا فَإِنَّا لَا نُنْطَبِقُ مَا فَهَمْنَا.

لَقَدْ دَخَلَ الْمُتَطَوِّعُونَ الْعَرَبُ حَرْبَ فَلَسْطِينَ وَهُمْ فِي حَالَةٍ تَنْظِيمِيَّةٍ رَائِعَةٍ،
خَاصَّةً إِذَا قُورِنَتْ بِحَالَةِ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، [وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ]:

١. كَانَتْ الْقِيَادَةُ الدِّيْنِيَّةُ وَالتَّنْظِيمِيَّةُ مُرَكَّزَةً فِي يَدِ الشَّيْخِ «حَسَنِ الْبَنَّا» مُؤَسَّسِ
وَمُرْشِدِ الْجَمَاعَةِ، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ مُزَاحِمَةٍ أَوْ شَكٍّ فِي جِدَارَتِهِ بِمَنْصِبِهِ.
٢. كَانَتْ الْجَمَاعَةُ فِي وَضْعٍ تَنْظِيمِيٍّ جَيِّدٍ وَمُحَدَّدٍ، وَتَمَّتْ بِقَاعِدَةٍ شَعْبِيَّةٍ

وَاسِعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ.

٣. كَانَ لِلْمُجَاهِدِينَ تَنْظِيمٌ مُنْفَرِدٌ وَمُلْحَقٌ بِالْجَمَاعَةِ «النُّظَامُ الْخَاصُّ»^(١) وَكَانَ يَتِمُّ اخْتِيَارُ أَعْضَائِهِ مِنْ أَفْضَلِ شَبَابِ «الإِخْوَانِ» التِّزَامًا وَخُلُقًا وَقُوَّةً جُسْمَانِيَّةً.

وَإِذَا قَارَنَّا تِلْكَ الصُّورَةَ بِمِثْلِهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ نَجِدُ أَنَّ:

١. كَانَ الشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» يُؤَدِّي وَظِيفَتِي التَّحْرِيبِ وَالتَّجْمِيعِ بِالنِّسْبَةِ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ؛ فَمُعْظَمُهُمْ قَدْ آتَى إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ نَتِيجَةً لِخُطْبِ الشَّيْخِ الْبَلِيغَةِ وَالْمُؤَثَّرَةِ، وَاتَّجَهَ هُوَ لِأَيَّ صَوْبِ «بِيشاور» لِلْمُشَارَكَةِ فِي الْجِهَادِ.

٢. لَمْ يُسْفِرِ التَّجْمُوعُ الْعَرَبِيُّ فِي «بِيشاور» عَنْ أَيِّ كَيْانٍ مُنْظَمٍ، وَكَانَ الشَّكْلُ الْغَالِبُ لِمَهَامِّ التَّجْمُوعِ الَّذِي أَحَاطَ بِالشَّيْخِ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» هُوَ مَهَامٌّ مُتَّفَرِّقَةٌ لِتَقْدِيمِ خَدَمَاتٍ لِلْجَبَهَاتِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَتَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَاتِ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ إِلَى هُنَاكَ، إِضَافَةً لِمَشَارِيعِ وَخَدَمَاتِ تَعْلِيمِيَّةٍ وَصِحِّحِيَّةٍ فِي أَنْحَاءِ

(١) التَّنْظِيمُ الْخَاصُّ أَوْ التَّنْظِيمُ السَّرِّي لِجَمَاعَةِ «الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»: هُوَ تَنْظِيمٌ عَسْكَرِيٌّ سَرِّيٌّ تَابِعٌ لِلْجَمَاعَةِ، تَمَّ تَأْسِيسُهُ فِي عَامِ ١٩٤٠م، وَكَانَ الْهَدَفُ مِنْهُ إِعْدَادُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ يَتَلَقَّوْنَ تَدْرِيْبًا عَسْكَرِيًّا عَالِيًّا لِلْقِيَامِ بِمَهَامِّ خَاصَّةٍ ضِدَّ الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ وَالَّذِي كَانَ مُتَمَثِّلًا وَفَتْهَا فِي الْوُجُودِ الْبَرِيطَانِيَّ ثُمَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ وَفَلَسْطِينَ، كَمَا كَانَ التَّنْظِيمُ يَهْدَفُ إِلَى مَحْوِ الْأُمِّيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لَدَى عُمُومِ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ.

مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ. ثُمَّ بَدَأَتْ بِالتَّدْرِيجِ تَظْهَرُ التَّجْمَعَاتُ القُطْرِيَّةُ لِلجِئْسِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، وَظَهَرَتْ لَهَا قِيَادَاتٌ، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ سِلْسِلَةً مِنْ الانشِقَاقَاتِ فِي كُلِّ تَجْمُوعٍ مِنْ هَؤُلَاءِ. كَانَ تَنْظِيمُ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ العَرَبِ عَمَلِيَّةً مُسْتَحِيلَةً، فَالآتِجَاهَاتُ الفِكرِيَّةُ وَالفِقهِيَّةُ مُتَبَايِنَةٌ أَشَدُّ التَّبَايُنِ، وَأفكارُهُمْ عَنِ المُسْتَقْبَلِ الإِسْلَامِيِّ وَإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ أَشَدُّ تَبَايُنًا وَعُمُومًا. وَإِذَا أَضْفْنَا إِلَى ذَلِكَ الاِخْتِرَاقَاتِ الأُمْنِيَّةَ العَمِيقَةَ وَالكَثِيفَةَ لِهَذِهِ التَّجْمَعَاتِ أَدْرَكْنَا مَدَى المَأْسَاةِ التَّنْظِيمِيَّةِ الَّتِي عَاشَهَا المُجَاهِدُونَ العَرَبُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَبِالتَّالِيِ مَحْدُودِيَّةِ تَأْثِيرِ الشَّيْخِ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّام» عَلَى هَذَا التَّجْمُوعِ. وَنُذِرُكَ كَذَلِكَ ضَعْفَ تَأْثِيرِ هَذَا التَّجْمُوعِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَبَاكِسْتَانَ قِيَاسًا بِالإِمْكَانَاتِ الهَائِلَةِ الَّتِي امْتَلَكَهَا مِنَ العَنَاصِرِ البَشَرِيَّةِ وَالمَالِيَّةِ.

٣. بَيْنَمَا كَانَ المُجَاهِدُونَ مِنْ إِخْوَانِ ١٩٤٨ م [مُتَّقِينَ] مِنْ أَفْضَلِ عَنَاصِرِ التَّنْظِيمِ، كَمَا أَنَّهُمْ تَلَقَّوْا تَدْرِيبًا فِي مُعَسْكَرَاتِ الجَيْشِ المِصْرِيِّ قَبْلَ التَّحْرُكِ نَحْوَ فِلَسْطِينِ، فَإِنَّ المُجَاهِدِينَ العَرَبَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَانُوا أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنْ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الاِئْتِقَاءِ أَوْ الاِنتِظَامِ أَوْ التَّدْرِيبِ، [إِلَّا مِنْ] اسْتِثْنَاءَاتٍ قَلِيلَةٍ لِلغَايَةِ. وَبَدَأَتْ بِرَامِجُهُمُ التَّدْرِيبِيَّةُ تَظْهَرُ بِشَيْءٍ مِنَ الجِدِّيَّةِ بَعْدَ عَامِ ١٩٨٧ م. كَمَا بَدَأَتْ بَعْضُ المَجْمُوعَاتِ تُنظِّمُ نَفْسَهَا، خَاصَّةً الجَمَاعَاتُ الَّتِي وَفَدَتْ مِنْ بِلَادِهَا بِغَرَضِ تَدْرِيبِ عَنَاصِرِهَا، وَعَمَلَتْ

أَيْضًا عَلَى تَجْنِيدِ مَزِيدٍ مِنَ الْعَنَاصِرِ الَّتِي جَاءَتْ أَفْغَانِسْتَانَ بِدُونِ ارْتِبَاطَاتِ
تَنْظِيمِيَّةٍ سَابِقَةٍ.

لَقَدْ شَهِدَتْ «بِشَاوَرُ» كَثِيرًا مِنَ الْمَعَارِكِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْمُهَاتَرَاتِ
وَالِاتِّهَامَاتِ وَالِانْقِسَامَاتِ وَتَبَادُلِ الْإِشَاعَاتِ وَحُرُوبِ الْمَنْشُورَاتِ بَيْنَ هَذَا
الْخَلِيطِ الْمُتَنَافِرِ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ الْوَقْتُ كَانَتْ تِلْكَ السَّلِيَّاتُ تَتَضَخَّمُ، خَاصَّةً مَعَ
مَجْهُودَاتِ هَيْئَاتِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَامِلَةِ وَسَطَّ تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ.
وَعِنْدَمَا جَاءَتْ النِّكْبَةُ لِذَلِكَ التَّجْمَعِ فِي أْبْرَيْلِ ١٩٩٣ م كَانَ تَعْلِيْقُ الْبَعْضِ أَنَّهَا
نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ تَجْمَعًا بِهَذَا الشَّكْلِ إِذَا اسْتَمَرَ كَانَ سَيُفْرِزُ كَثِيرًا مِنَ الْمَهَازِلِ
وَالْمَصَائِبِ.

وَبِالْفِعْلِ، عِنْدَمَا وَصَلَتْ مَأْسَاةُ التَّجْمَعِ الْعَرَبِيِّ فِي «بِشَاوَرُ» إِلَى ذُرُوتِهَا،
ظَهَرَ «تَنْظِيمُ الْخِلَافَةِ» الَّذِي لَجَأَ إِلَى الْجِبَالِ فِي مَنَاطِقِ الْقَبَائِلِ الْقَرِيبَةِ مِنْ
«بِشَاوَرُ»، وَأَعْلَنَ تَكْفِيرَ كُلِّ مَنْ لَمْ يُبَايِعِ الْخَلِيفَةَ، وَعَيَّنَ حُكَّامًا مِنْ طَرَفِهِ فِي
عَدَدٍ مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ فَرْمَانًا إِلَى سُكَّانِ فَلَسْطِينِ يُعْلِنُ أَنَّهُ
قَادِمٌ لِتَحْرِيرِهِمْ، وَيُطَالِبُهُمْ بِقَطْعِ شَجَرِ الْعَرْقَدِ حَتَّى لَا يَخْتَبِئَ خَلْفَهُ الْيَهُودُ^(١)،

(١) رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٨٢ (٢٩٢٢) مِنْ حَدِيثِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ

وَهَدَدَ عَرَبَ «بِشَاوَر» بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يُبَايَعُوا، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَسْبِي نِسَاءَهُمْ. وَرَغِمَ
أَنَّ الْقَبَائِلَ قَتَلَتْ مُسَاعِدَ الْخَلِيفَةِ إِلَّا أَنْ حَرَكَتَهُ انْتَقَلَتْ الْآنَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ. هَذَا
مِثَالٌ لِمَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُسْفِرَ عَنْهُ تَجْمُعُ جِهَادِيَّ عَشَوَائِيٍّ بِهَذَا الشَّكْلِ، تَعَبَتْ
بِهِ الْأَهْوَاءُ وَتَنَحَّرُ فِي عِظَامِهِ أَجْهَزَةُ الْمُخَابِرَاتِ الدُّوَلِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَوَاتٍ عَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَرِيطَانِيَا الَّتِي يَحْمِلُ جِنْسِيَّتَهَا بَعْدَمَا
فَسَلَ مَشْرُوعُهُ، وَخَذَلَتْهُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ؛ فَقَدَرَفَضَ الْجَمِيعُ مُبَايَعَتَهُ، مِنْ
الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ إِلَى الْقَبَائِلِ إِلَى حَرَكَةِ «طَالِبَانَ» إِلَى «أَسَامَةَ بْنِ لَادِن»، فَعَادَ
إِلَى الدُّوَلَةِ الْأُمَّ - بَرِيطَانِيَا - الَّتِي لَمْ تُوجِّهْ لَهُ أَيَّ تَهْمَةٍ، حَتَّى عَن جَرَائِمِ الْقَتْلِ
الَّتِي أَرْتَكِبَهَا فِي عَهْدِ خِلَافَتِهِ!!

فِي التَّجْرُبَتَيْنِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ وَالْأَفْغَانِيَّةِ كَانَ لِلْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ أَخْطَاءٌ
مُشْتَرِكَةٌ، مِنْ أَهْمَمَهَا:

١. وَفُوعُ الْمُجَاهِدِينَ فَرِيْسَةَ مُخَطَّطَاتِ الدُّوَلِ الصَّلِيبِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي تَمَكَّنَتْ
مِنْ اسْتِدْرَاجِهِمْ إِلَى سَاحَاتِ الْقِتَالِ، وَجَعَلُوهُمْ يَعْمَلُونَ بِهَا وَفُقَ

وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ،
إِلَّا الْعَرَقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

شُرُوطَهَا، ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَى نِتَاجِ قِتَالِهِمْ لِصَالِحِ الْمُخَطَّطَاتِ الصَّلِيبِيَّةِ فِي الْمَنْطِقَةِ. لَقَدْ نَزَلَ الْمُجَاهِدُونَ إِلَى سَاحَاتٍ قَدْ خَطَّهَا الصَّلِيبِيُّونَ وَوَضَعُوا قَوَاعِدَ اللَّعْبِ بِهَا، كَمَا اسْتَوْلَى الصَّلِيبِيُّونَ عَلَى الْمَفَاتِيحِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلْعَمَلِ، وَتَرَكُوا لِلْمُسْلِمِينَ مُهِمَّةَ الْمَوْتِ. وَعِنْدَمَا جَاءَتْ سَاعَةُ الْغَنَائِمِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ ذَهَبَتْ جَمِيعُهَا تَقْرِيبًا إِلَى أَيْدِي الصَّلِيبِيِّينَ، وَلَمْ يَجِدِ الْمُسْلِمُونَ فِي أَيْدِيهِمْ سِوَى الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ لِلْأَفْغَانِ وَالْمُطَارَدَةِ وَالتَّشْرِيدِ وَالتَّشْوِيهِ لِلْعَرَبِ.

٢. فِي الْحَالَتَيْنِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ وَالْأَفْغَانِيَّةِ كَانَ التَّحَرُّكُ الْإِسْلَامِيُّ الْجِهَادِي عَاطِفِيًّا، لَا يَمْلِكُ رُؤْيَةً سِيَاسِيَّةً وَلَا اسْتِرَاتِيجِيَّةً عَمَلٍ جِهَادِيٍّ مُتَكَامِلٍ.

٣. فِي الْحَالَتَيْنِ انْقَطَعَتْ صِلَةُ الْمُجَاهِدِينَ بَعْدَ الْحَرْبِ بِالسَّاحَةِ الَّتِي قَاتَلُوا عَلَيْهَا، وَأَنْدَمَجُوا فِي مَسَارَاتٍ أُخْرَى، وَأَنْقَطَعَ تَأْثِيرُهُمْ وَتَعَامُلُهُمْ مَعَ السَّاحَةِ الَّتِي دَفَنُوا فِيهَا إِخْوَانًا لَهُمْ. فَلَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ بَرَامِجٍ طَوِيلَةِ الْمَدَى لِخِدْمَةِ الْقَضِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي تِلْكَ الْمَنَاطِقِ، وَكَأَنَّ الْجِهَادَ حَادِثٌ عَارِضٌ مَبْتُورٌ، أَوْ فَوْرَةٌ عَاطِفِيَّةٌ سَرِيعًا مَا تَزُولُ وَتَتَلَاشَى، فَلَا مَنَهْجٌ وَلَا خُطَّةٌ. وَقَدْ دَفَعَتْ تِلْكَ الْمُلَاحَظَةُ بَعْضَ الْمُتَابِعِينَ إِلَى التَّشَكُّكِ بِأَنَّ قُوَى الْغَرْبِ الْكَافِرَةَ تَمْتَلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْرِيكِ عَوَاطِفِ الْمُسْلِمِينَ مَتَى شَاءَتْ؛ كَيْ يُجَاهِدُوا فِي الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يَخْدُمُ مَصَالِحَ الْغَرْبِ وَفِي التَّوْقِيتِ الَّذِي يُنَاسِبُهُ. فَحَالَاتُ الْجِهَادِ الْأُمَمِيِّ - وَلَيْسَ الْقَطْرِيِّ - وَهُمَا حَالَتِي فَلَسْطِينَ

ثُمَّ أَفْغَانِسْتَانَ ثُمَّ الْبُوسْنَةَ وَالْهَرَسَكَ مُنْذُ ١٩٩٢ مَ أَيِّ بِنْهَائِيَةِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَحَتَّى كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ، تُثَبِّتُ أَنَّ الْعَرَبَ يَمْتَلِكُ هَذِهِ الْقُدْرَةَ، وَهَذَا لَا يَطْعَنُ بِأَيِّ حَالٍ فِي إِخْلَاصِ الْمُجَاهِدِينَ وَشَجَاعَتِهِمْ وَحُسْنِ نَوَايَاهُمْ، وَلَكِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ لَا يَكْفِي بِدُونِ عَقْلِ يُدَبِّرُ وَيَخَطِّطُ لِاسْتِثْمَارِ النَّتَائِجِ لِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ، وَلَيْسَ لِصَالِحِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

٤. أخطأ «الإخوان المسلمون» عام ١٩٤٨ م في تقييم النظام المصري، وحاوَل الشَّيْخُ «حَسَنُ الْبَنَّا» أَنْ يَكْسِبَ الْمَلِكَ إِلَى صِفَّةٍ لِلْعَمَلِ ضِدَّ الْإِنْجِلِيزِ. وَكَانَ مُجَاهِدُو «الْإِخْوَانِ» فِي فَلَسْطِينَ يَعْملُونَ تَحْتَ إِشْرَافِ مُبَاشِرٍ مِنَ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ، وَكَانَتِ النَّيْجَةُ أَنْ الْمَلِكِ «فَارُوقَ» هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِاغْتِيَالِ الشَّيْخِ «حَسَنِ الْبَنَّا»، وَأَنَّ الْجَيْشَ الْمِصْرِيَّ هُوَ الَّذِي أَلْقَى الْقَبْضَ عَلَى مُجَاهِدِي «الْإِخْوَانِ». وَفِي الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فَإِنَّ الشَّيْخَ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّامَ» قَدْ أَحْسَنَ الظَّنَّ فِي «ضِيَاءِ الْحَقِّ» وَنِظَامِهِ، وَأَحْسَنَ الظَّنَّ فِي نَوَايَا الْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ وَمَوْظِفِي اسْتِخْبَارَاتِهَا فِي بَاكِسْتَانَ، وَظَنَّ الشَّيْخُ «عَزَّامَ» وَمُعْظَمَ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ أَنَّ أَمْرِيكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمِدَّ لَهُمْ يَدًا^(١)،

(١) لَعَلَّ التَّعْبِيرَ الصَّحِيحَ هُوَ «لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْتَدَّ يَدُهَا عَلَيْهِمْ» وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ ظَنُّوا أَنَّ أَمْرِيكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسَبِّبَ فِي الْأَدَى لَهُمْ وَلَا سُلْطَةَ لَهَا تُعِينُهَا عَلَى فَرَضِ سَيْطَرَتِهَا عَلَى جُمُوعِ الْمُجَاهِدِينَ، غَيْرَ أَنَّ التَّعْبِيرَ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَبُو الْوَلِيدِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - يُشِيرُ إِلَى مَعْنَى مُخَالِفٍ تَمَامًا -



وَأَنَّ بَاكِسْتَانَ أَعْجَزَ مِنْ أَنْ تَتَّصِدَى لَهُمْ. فَمَاذَا كَانَتْ النَّيْجَةُ؟ اغْتِيلَ الشَّيْخُ فِي «بِيشَاوَر» بِأَمْرِ أَمْرِيكِيَّةٍ وَأَيْدِي بَاكِسْتَانِيَّةٍ وَمُسَاعَدَةِ اسْتِخْبَارَاتِيَّةِ سُعُودِيَّةٍ، أَمَّا الشَّبَابُ الْعَرَبِيُّ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِحِمَلَاتٍ مُتَلَا حِقَّةٍ خَلَعَتْهُمْ مِنْ الْمَنْطِقَةِ كُلِّهَا، وَلَمْ تَتْرُكْ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الصَّامِدِينَ حَتَّى الْآنَ. وَكَانَتْ الْاسْتِخْبَارَاتُ السُّعُودِيَّةُ هِيَ صَاحِبَةُ الْيَدِ الطُّوَلَى فِي مُرَاقِبَةِ الشَّبَابِ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، الَّذِينَ اعْتَمَدُوا إِلَى أَكْبَرِ حَدِّ عَلَى تَبَرُّعَاتِ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ السُّعُودِيَّةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ أَكْبَرَ الثَّغَرَاتِ الَّتِي دَخَلَ مِنْهَا عُمَّالُ الْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتُ الَّتِي كَدَّسُوهَا ذَاتَ فَايِدَةٍ عُظْمَى لِبَاقِي أَجْهَزَةِ الْمُخَابِرَاتِ الْمُتَحَالِفَةِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، بَلْ وَضِدَّ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.



وَهُوَ مَا لَا نَحْسَبُ أَنَّهُ يَقْصُدُهُ - وَهُوَ أَنَّ أَمْرِيكَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمِدَّ لَهُمْ يَدَ الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَالسِّيَاقُ لَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثاني

البحث عن «الإخوان المسلمين»

تدهور الوضع السياسي في مصر بعد حرب فلسطين، وزادت [حدة] التوتر الداخلي إلى درجة كبيرة. وأدرك الجميع أن انفجاراً قادماً لا محالة، وأن التركيبة السياسية القائمة سوف تتغير. كان النظام القائم ملكياً مع وجود أحزاب وحياء ديموقراطية، ويسير النظام كله تحت إشرافٍ دقيقٍ من سلطات الاحتلال البريطانية. كان السفير البريطاني هو الحاكم الفعلي للبلاد، أما وظيفة الملك فهي ترجمة الإرادة البريطانية إلى قرارات ملكية تقوم الحكومة بتنفيذها.

أما الحكومات المتعاقبة فكانت من أحزاب الأقلية التي تفوز دائماً في انتخابات مزورة، أما حزب الأغلبية «الوفد» فلا يحكم إلا برغبة بريطانية. أما القوة الشعبية الحقيقية «الإخوان» فكانوا خارج اللعبة السياسية تقريباً. كان الملك مستاءً من تهميشه؛ لهذا طمع «الإخوان» في جذبِهِ إلى صفِّهم والعمل سويّاً ضدَّ الاحتلال. لكنَّ الملك يُدركُ أن بريطانيا هي التي وضعتُه على عرش مصر وأنها القادرة على خلعِهِ، فكان مديناً بوصفه الملكيِّ لبريطانيا العظمى، وامتعاضهُ منها لا يعني أنه قادرٌ على المضيِّ إلى حدِّ الثورة عليها. لهذا عندما صدرت الإرادة البريطانية باغتيال المرشد العام للإخوان، لم

يُطِئُ الْمَلِكُ فِي إِصْدَارِ أَوْامِرِهِ إِلَى خَاصَّةِ رِجَالِهِ بِتَنْفِيدِ الْعَمَلِيَّةِ.

أَضَافَتْ عَمَلِيَّةُ الْأَغْتِيَالِ مَزِيدًا مِنَ الزَّيْتِ عَلَى النَّارِ، وَكَانَتْ هَزِيمَةً فَلَسْطِينَ قَدْ هَزَّتْ وَجَدَانَ الْأُمَّةِ وَأَثَارَتْ إِلَى مَوَاطِنِ الدَّاءِ: الْاِحْتِلَالِ الْأُورُوبِيِّ وَالْأَنْظِمَةِ الْعَمِيلَةِ. أَرَادَتْ بَرِيطَانِيَا إِنْقَاذَ الْوَضْعِ بِعَمَلِيَّةِ تَنْفِيسٍ لِلضَّغْطِ الشَّعْبِيِّ الْمُتَزَايِدِ فَسَمَحَتْ لِحِزْبِ الْأَعْلِيَّةِ بِتَشْكِيلِ الْوِزَارَةِ، عَسَى أَنْ يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى انْفِرَاجِ الْأَزْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ. وَحِزْبُ الْأَعْلِيَّةِ الَّذِي وَصَلَ بَعْدَ طُولِ انْتِظَارٍ إِلَى الْوِزَارَةِ - مُتَّهَى آمَالِهِ - كَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ اتِّخَاذِ إِجْرَاءٍ يَضْمَنُ الْتِفَافَ الشَّعْبِ حَوْلَهُ وَيُلَبِّيَ جُزْءًا مِنْ مَطَالِبِ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ.

طَالَبَتْ حُكُومَةُ الْوَفْدِ بِالْغَايَةِ اتِّفَاقِيَّةَ عَامِ ١٩٣٦ مِ الْتِي تُبِيحُ لِبَرِيطَانِيَا اِحْتِلَالًا قَانُونِيًّا لِمِصْرَ وَالْاِحْتِفَاطَ بِقَوَاعِدِ عَسْكَرِيَّةِ ضَخْمَةٍ عَلَى صِفَافِ قَنَاةِ السُّوَيْسِ. عَارَضَ الْإِنْجِلِيزُ وَهَدَّدُوا فَانْفَجَرَ الشَّعْبُ السَّاخِطُ، وَبَدَأَتْ حَرْبٌ مُقَاوَمَةٌ ضِدَّ التَّوَاجِدِ الْعَسْكَرِيِّ الْبَرِيطَانِيِّ فِي مَنْطِقَةِ الْقَنَاةِ. وَاضْطُرَّتْ الْحُكُومَةُ الَّتِي فَجَّرَتْ الْمَوْقِفَ إِلَى تَمَلُّقِ التَّحْرُكِ الشَّعْبِيِّ وَرُكُوبِ مَوْجَتِهِ؛ لِتَحْقِيقِ مَزِيدٍ مِنَ الشَّعْبِيَّةِ وَمَزِيدٍ مِنَ الضَّغْطِ عَلَى الْإِنْجِلِيزِ. وَأَعْطَتِ الْحُكُومَةُ تَسْهِيلَاتٍ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَأَنْخَرَطَ عَدَدٌ مِنْ ضُبَّاطِ الْجَيْشِ وَالشُّرَطَةِ فِي تَدْرِيْبِ رِجَالِ الْمُقَاوَمَةِ، وَتَهْرِيْبِ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ إِلَيْهِمْ.

شَمَلَتْ الْمُقَاوَمَةُ مُعْظَمَ التِّيَّارَاتِ الْوَطْنِيَّةِ، وَلَكِنْ كَانَ نَجْمُهَا السَّاطِعُ بِلَا

مُنَازِعِ هُمْ «الإخوان المسلمون»؛ فَمُعْظَمُ كَوَادِرِهِمُ الْقِتَالِيَّةِ الَّتِي تَكُونَتْ فِي حَرْبِ فَلَسْطِينِ مَا زَالَتْ سَلِيمَةً، وَفَتَحَتْ حُكُومَةُ الْوَفْدِ أَبْوَابَ الْمُعْتَقَلَاتِ لَهُمْ وَلَعِبَرِهِمْ مِنَ الْوَطَنِيِّينَ كَيْ يُسَاهِمُوا فِي حَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ. إِنَّ عَمَلِيَّةَ التَّنْفِيسِ الْبَرِيطَانِيَّةِ كَادَتْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى ثَوْرَةٍ، وَسَعَى الْوَفْدُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الشَّعْبِيَّةِ، وَمَوْقِعُهُ عَلَى رَأْسِ الْحُكُومَةِ حَوْلَهُ إِلَى قَائِدِ لِهَذِهِ الثَّوْرَةِ الَّتِي تَضُمُّ كُلَّ الْقُوَى الْفَاعِلَةِ فِي مِصْرَ، خَاصَّةً «الإخوان المسلمون» طَلِيعَةَ هَذِهِ الْقُوَى وَأَكْثَرَهَا حَيَوِيَّةً.

تَصَاعَدَتْ تَهْدِيدَاتُ الْإِنْجِلِيزِ وَالْمَلِكِ، وَخَافَ الْمَلِكُ مِنَ التَّمَادِي فِي اللَّعْبَةِ، فَبَدَأَ يَتَرَجَعُ وَيَسْحَبُ دَعْمَهُ لِحَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْمُسَلَّحَةِ فِي قَنَاةِ السُّوَيْسِ، وَبَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ تَضْيِيقِ وَمَلَا حَقَّةً. لَكِنَّ مَشَاعِرَ الثَّوْرَةِ كَانَتْ تَتَزَايَدُ، وَخَسِرَ الْوَفْدُ كَثِيرًا مِنْ أَوْرَاقِهِ الشَّعْبِيَّةِ، وَكَانَ «الإخوان» أضعفَ مِنْ أَنْ يَتَوَلَّوْا زِمَامَ ثَوْرَةٍ شَعْبِيَّةٍ يَقُودُونَهَا ضِدَّ النِّظَامِ بِكَافَّةِ أَرْكَانِهِ، الْإِنْجِلِيزِ وَالْمَلِكِ وَالْحُكُومَةِ.

كَانَتْ أَمْرِيكََا حَاضِرَةً تَمَامًا عَلَى السَّاحَةِ الْمِصْرِيَّةِ مُنْذُ حَرْبِ ١٩٤٨ م، وَرَاهَنْتُ مُنْذُ الْبِدَايَةِ عَلَى الْعَسْكَرِيِّينَ لِتَوَلِّيِ السُّلْطَةِ فِي مِصْرَ عَوْضًا عَنِ الْمَلِكِ، عَلَى أَنْ تَحَلَّ هِيَ مَحَلَّ بَرِيطَانِيَا. وَعَوْضًا عَنِ فَوْضَى الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ وَالْأَحْزَابِ يَأْتِي الضُّبَّاطُ بِالْقَوَانِينِ الثَّوْرِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الْعُرْفِيَّةِ لِتَطْهِيرِ مِصْرَ مِنْ

كَافَّةِ الْقُوَى الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ، الَّتِي قَدْ تَشَكَّلَ مُسْتَقْبَلًا عَقَبَةً أَمَامَ مَشْرُوعِ الْعَصْرِ «إِسْرَائِيلَ الْكُبْرَى».



تَدْرِيبٌ فِي صَحْرَاءِ «بَلِيس»:

فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْمَلِيَّةِ بِالْحَمَاسِ وَالْعَمَلِ وَالتَّرَقُّبِ، وَعَمَلِيَّاتِ الْفِدَائِيِّينَ تَتَوَالَى ضِدَّ مَعْسَكَرَاتِ الْإِنْجِلِيزِ عَلَى الْفَنَاءِ، تَعَرَّفْتُ عَلَى «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ». كَانَ أَخِي الْأَكْبَرُ أَحَدَ مُتَدَرِّبِي مَعْسَكَرِ «الْإِخْوَانِ» الْقَرِيبِ مِنْ بَلَدَتِنَا «بَلِيس»، الْبَلَدَةُ الصَّغِيرَةُ ذَاتَ الْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الدَّافِئَةِ، وَالْوَاقِعَةَ عَلَى حَافَةِ التَّقَاءِ الصَّحْرَاءِ مَعَ أَرْضِي رَائِعَةِ الْخُصُوبَةِ مُتَّصِلَةً مَعَ دِلْتَا النَّيْلِ، فِي مَوْقِعِ جُغْرَافِيٍّ عَبْقَرِيٍّ يَرْبِطُ مَا بَيْنَ «الْقَاهِرَةِ» وَصَحْرَاءِ «سَيْنَاءَ» عَبْرَ قَنَاةِ السُّوَيْسِ. لِذَا كَانَتْ الْمَدِينَةُ الصَّغِيرَةُ مَعْبَرًا تَارِيخِيًّا لِقَوَافِلِ التِّجَارَةِ وَجُيُوشِ الْغَزْوِ... وَعُبُورِ الْأَدْيَانِ مِنَ الْعَائِلَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَحَتَّى جُيُوشِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ. فِي بَلَدَةٍ كَهَذِهِ، يَانِعَةٌ كَنْبَتُهُ خَضْرَاءَ عَلَى حَافَةِ الصَّحْرَاءِ، مِنْ السَّهْلِ أَنْ يُدْرِكَ الْمَرْءُ أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ النِّهَايَةَ، وَأَنَّ الشَّهَادَةَ بُشْرَى حَيِّيةً، يَتَمَنَّاهَا طَوَالَ حَيَاتِهِ حَتَّى يَتَوَقَّفَ قَلْبُهُ عَنِ النَّبْضِ، بُشْرَى غَالِيَةً لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِي نَعِيمٍ لَا يَنْفَدُ.

أَخَذَنِي أَخِي الْأَكْبَرُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى شُعْبَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، وَسَجَّلتُ اسْمِي فِي قِسْمِ الْأَشْبَالِ. كُنْتُ أَصْغَرَ أَعْضَاءِ الْأَشْبَالِ عُمْرًا ٦ سَنَوَاتٍ

تَقْرِيْبًا»، وَبِالطَّبْعِ كُنْتُ أَقْصَرَهُمْ قَامَةً، فَضَمِنَ لِي ذَلِكَ أَنْ أَكُونَ دَائِمًا فِي مُقَدِّمَةِ طَابُورِ الْأَشْبَالِ أَثْنَاءَ مَسِيرَاتِنَا إِلَى خَارِجِ الْبَلَدَةِ فِي الصَّحْرَاءِ حَيْثُ نَحْفَظُ قِصَارَ السُّورِ، وَيَقْصُ عَلَيْنَا الْأَخُ «مُسْعِدٌ» مَسْئُولُ الْأَشْبَالِ - وَهُوَ فِي عُمْرِ أَخِي الْأَكْبَرِ وَمِنْ أَصْدِقَائِهِ - قِصَصًا مِنَ السَّيْرَةِ وَالغَزَوَاتِ. كَانَ الْإِسْلَامُ الَّذِي تَلَقَّيْنَاهُ فِي قِيسِ الْأَشْبَالِ بِـ «الْإِخْوَانِ» عَلَى يَدِ الْأَخِ «مُسْعِدٍ» يَخْتَلِفُ عَمَّا أَلْفَنَاهُ فِي بَلَدَتِنَا، كَانَ إِسْلَامُ الْبَلَدَةِ عِبَارَةً عَنِ طُقُوسٍ وَاحْتِفَالَاتٍ وَقِصَصٍ، أَكْثَرَهَا يَثِيرُ الرَّهْبَةَ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ التَّشْوِيشِ. وَرُغْمَ أَعْمَارِنَا الصَّغِيرَةِ إِلَّا أَنَّنَا أَدْرَكْنَا أَنَّ الْإِسْلَامَ أَكْثَرَ عُمُقًا وَجِدِّيَّةً عَمَّا تَعَلَّمْنَاهُ فِي الْبَلَدَةِ سِوَاءِ مَنْ الْأَهْلِ أَوْ الْمَشَايخِ فِي الْكُتَاتِيبِ أَوْ الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ.

كَانَتْ الرُّؤْيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْإِخْوَانِ، وَالَّتِي صَاغَهَا الشَّيْخُ «حَسَنُ الْبَنَّا» مُتْكَامِلَةً وَمُحْكَمَةً، عَبَّرَ عَنْهَا شِعَارُهُمُ الْمَشْهُورُ وَالْجَامِعُ «اللَّهُ غَايَتُنَا وَالرَّسُولُ قُدُوتُنَا وَالْقُرْآنُ دُسْتُورُنَا وَالْجِهَادُ سَبِيلُنَا وَالْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَسْمَى أَمَانِينَا». وَرُغْمَ مُرُورِ نِصْفِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَنْ تَعَلَّمْتُ الْإِسْلَامَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَإِنِّي لَا أَنْصُورُ فَهَمًّا أَفْضَلَ وَأَعَمَّقَ لِلْإِسْلَامِ خَارِجَ تِلْكَ الْحَلَقَاتِ الْخَمْسِ الْمُرَابِطَةِ «اللَّهُ وَالرَّسُولُ وَالْقُرْآنُ وَالْجِهَادُ وَالشَّهَادَةُ»، فَدَيِّدُوا فَهَمُ هَذِهِ الْمَعَانِي شَيْئًا عَسِيرًا بِالنِّسْبَةِ لِطُفْلِ فِي السَّادِسَةِ مِنَ الْعُمْرِ، لَكِنَّ هُنَاكَ عَامِلَانِ سَاهَمَا فِي أَنْ تَكُونَ الْمُهِمَّةُ سَهْلَةً وَيَسِيرَةً، الْعَامِلُ الْأَوَّلُ هُوَ الْحَالَةُ الْجِهَادِيَّةُ الَّتِي كُنَّا نَحْيَاهَا وَتُحِيطُ بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، عَمَلِيَّاتُ الْفِدَائِيِّينَ - كَمَا كَانَ يُطْلَقُ

عَلَيْهِمْ آنَدَاكَ - كَانَتْ حَدِيثَ الْمَجَالِسِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَمَسْرَحَهَا لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا عَنْ بَلَدَتِنَا، وَهُنَاكَ مَعْسَكَرَاتٌ فِي الصَّحْرَاءِ عَلَى حَافَةِ الْبَلَدَةِ يَتَدَرَّبُ فِيهَا إِخْوَتُنَا الْكِبَارُ وَرِجَالٌ مِنَ الْبَلَدَةِ، هُنَاكَ أَسْلِحَةٌ تُنْقَلُ سِرًّا وَتُحْبَأُ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ جَوَاسِسِ الْإِنْجِلِيزِ وَالْحُكُومَةِ - بَعْدَمَا عَيَّرَتْ مَوْقِفَهَا مِنْ أَحْدَاثِ الْقَنَاةِ - .
وَشَارَكَ فِي تِلْكَ النِّشَاطَاتِ لَيْسَ «الْإِخْوَانُ» فَقَطُّ، بَلْ أَفْرَادٌ كَثِيرُونَ مِنْ أَعْمَارٍ وَمِهِنٍ وَطَبَقَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُتَبَايِنَةٍ، شَارَكَ فِي الْأَحْدَاثِ أَطْفَالٌ وَرِجَالٌ وَنِسَاءٌ، شَارَكَ بِهَا طُلَّابٌ وَفَلَاحُونَ وَعُمَمَالٌ وَمُتَعَطِّلُونَ، وَحَتَّى بَعْضُ أُنْبَاءِ اللَّيْلِ جَرَفَهُمُ الْحَمَاسُ، بَعْضُهُمْ تَابَ إِلَى اللَّهِ عَلَى يَدِ شَبَابِ «الْإِخْوَانِ» وَشَارَكَ مَعَهُمْ فِي الْعَمَلِيَّاتِ وَأَدُّوا أَدْوَارًا بَارِزَةً وَاسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ .

مُنْذُ فَجْرِ التَّارِيخِ وَالْمَوْتِ هُوَ أَهَمُّ الْأَحْدَاثِ فِي حَيَاةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ، خَاصَّةً فِي الرَّيْفِ؛ لِهَذَا كَانَتْ مَرَّاسِمُ اسْتِقْبَالِ بَلَدَتِنَا لِجُثَثِ الشُّهَدَاءِ مَهِيْبًا وَتَقْشَعْرُ لَهُ أَبْدَانُنَا كَأَطْفَالٍ . وَخِلَافًا لِلْمَرَّاسِمِ الْمَأْسَاوِيَّةِ لِلْجَنَازَاتِ فِي مِصْرَ، كَانَتْ مَرَّاسِمُ تَأْيِينِ الشُّهَدَاءِ حَمَاسِيَّةً وَتَثِيرُ حَمِيَّةَ الْعَامَّةِ لِلْجِهَادِ، هَكَذَا كَانُوا يُطْلِقُونَ عَلَى الْقِتَالِ ضِدَّ الْإِنْجِلِيزِ فِي الْأَوْسَاطِ الشَّعْبِيَّةِ، وَكَانَ الْخُطْبَاءُ يَتَبَارَوْنَ فِي الْإِشَادَةِ بِمَآثِرِ الشُّهَدَاءِ، وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِنْخِرَاطِ فِي كِتَابِ الْمُجَاهِدِينَ .

كَانَ هَذَا هُوَ الْجَوُّ الْعَامُّ، جَوْ يُعْبَثُ بِأَرْيَجِ الْجِهَادِ، فَمَا كَانَ أَيْسَرُ أَنْ نَفْهَمَ

رُغْمَ حَدَاثَةِ عُمْرِنَا ذَلِكَ الْمَفْهُومَ الرَّائِعَ لِلْإِسْلَامِ، وَالَّذِي صَاغَهُ «حَسَنُ الْبَنَّا» فِي شِعَارِهِ الشَّهِيرِ. لَقَدْ رَأَيْنَا الشُّعَارَ يُطَبَّقُ أَمَامَ أَعْيُنِنَا مِنْ مِئَاتٍ وَآلَافٍ الْأَشْخَاصِ مِنْ حَوْلِنَا، مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ، وَمِنْ آخِرِينَ قَدِمُوا مِنْ أَعْمَاقِ الْبِلَادِ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْقَنَاةِ لِلْجِهَادِ ضِدَّ الْإِنْجِلِيزِ. مَا كَانَ يُمَكِّنُ لَنَا أَنْ نَفْهَمَ بَعِيرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى قُلُوبِنَا عَبْرَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْمُجَسَّدَةِ فِي أَهْلِنَا وَمَنْ حَوْلَنَا مِنَ الْجِيرَانِ. إِنَّ الْكُتُبَ وَالْمُحَاضِرَاتِ لَيْسَتْ سِوَى زَادٍ فِكْرِيٍّ لِلصَّفْوَةِ، أَمَّا الْبَشَرُ الَّذِينَ يُجَسِّدُونَ فِي حَيَاتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ مَبَادِيءَ الدِّينِ، فَهُمْ حَقًّا الْوَسِيلَةُ [الْمَثَلَى] لِنَشْرِ الدِّينِ عَلَى الْأَرْضِ.

الْعَامِلُ الثَّانِي الَّذِي سَاعَدَ فِي تَيْسِيرِ ذَلِكَ الْفَهْمِ عَلَيْنَا رُغْمَ الطُّفُولَةِ وَحَدَاثَةِ السِّنِّ، هُوَ شَخْصِيَّةُ الْأَخِ «مُسْعَدٍ» الْمَسْئُولِ عَنَّا فِي شُعْبَةِ الْأَشْبَالِ. كَانَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا عَمَلًا قَامِيًا رُغْمَ أَنَّ عُمُرَهُ لَا يَتَجَاوَزُ السَّابِعَةَ عَشَرَ فَقَطُّ. كَانَ هَادِيًا حَازِمًا حُنُونًا، وَيَعْتَبِرُنَا مِهْمَتَهُ الْمُقَدَّسَةَ. وَبِقَدْرِ الْأَهْمِيَّةِ الَّتِي أَوْلَاهَا لَنَا زَادَتْ أَهْمِيَّةُ الْأَخِ «مُسْعَدٍ» لَدَى كُلِّ أَشْبَالِ الشُّعْبَةِ، وَكَانَتْ أَهْمِيَّةً وَهَيْبَةً لَدَى الْأَشْبَالِ تَأْتِي قَبْلَ هَيْبَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ.

كَانَ لَنَا مَعَهُ عِدَّةٌ لِقَاءَاتٍ كُلِّ أُسْبُوعٍ، يَبْدَأُ أَغْلَبُهَا بِصَلَاةِ الْفَجْرِ جَمَاعَةً فِي الشُّعْبَةِ، ثُمَّ مَسِيرَةً طَوِيلَةً فِي الصَّحْرَاءِ خَارِجَ الْبَلَدَةِ، ثُمَّ تَمَارِينٌ فِي الزَّحْفِ

وَعُبُورِ الْمَوَاقِعِ الطَّبِيعِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لَنَا، ثُمَّ دُرُوسٍ فِي الْقُرْآنِ وَالسِّيَرَةِ وَالغَزَوَاتِ. كَانَ ذَلِكَ أَحَبُّ اللَّقَاءَاتِ إِلَى نَفْسِي، وَلِقَاءَاتٌ أُخْرَى بَعْدَ الْعَصْرِ لِلدُّرُوسِ وَتَمَارِينِ عَلَى الْخَطَابَةِ، بِالطَّبَعِ كَانَتْ مُحَاوَلَاتِنَا مُضْحِكَةً جِدًّا، لَكِنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهَا بِجِدِّيَّةٍ تَامَّةٍ، وَيُعْطِينَا إِرْشَادَاتِهِ لِتَحْسِينِ مُسْتَوَانَا. ثُمَّ يُضِيفُ فِقْرَتَهُ الْأَخِيرَةَ، وَهِيَ أَشَقُّ الْفَقَرَاتِ عَلَى أَنْفُسِنَا، فِي تَنْبِيهِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى أَخْطَائِهِ؛ فَقَدْ كُنَّا نَخْشَى مِنْ تَأْيِيبِ الْأَخِ «مُسْعِدٍ» رُغْمَ أَدْبِهِ وَرِقَّتِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ أَشَدَّ عَلَى نَفْسِنَا مِنْ صَفَعَاتِ وَرَكَاتِ الْأَهْلِ فِي تَأْدِيبِهِمْ لَنَا.

بَعْدَ انْقِلَابِ الْجَيْشِ فِي يُولْيُو ١٩٥٢ مَ شَعَرْتُ بِتَغْيِيرٍ كَبِيرٍ فِي الشُّعْبَةِ وَنَقْصٍ فِي الْحِمَاسِ وَشَيْءٍ مِنَ الْأَضْطِرَابِ لَمْ أَفْهَمْ لَهُ سَبَبًا. وَتَرَكَ أَخِي الْأَكْبَرَ «الْإِخْوَانَ»، بَيْنَمَا بَقِيَتْ مَعَ الْأَشْبَالِ حَتَّى اعْتَقَالَاتِ ١٩٥٤ مَ، وَإِنْ كَانَ ذَهَابِي أَصْبَحَ نَادِرًا. ثُمَّ جَاءَتْ الْأَعْتِقَالَاتُ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا هَزَّنِي تِلْكَ الْأَنْبَاءُ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى الْبَلَدَةِ عَنِ التَّعْذِيبِ الْمُخِيفِ الَّذِي نَزَلَ بِ «الْإِخْوَانَ»، وَأَصَابَتِنَا بِالْكَمَدِ تِلْكَ الْأَخْبَارُ عَنِ الْأَخِ «مُسْعِدٍ» وَأَنَّهُ تَعَرَّضَ لِلْأَنْهِيَارِ نَتِيجَةَ التَّعْذِيبِ فِي الْمُعْتَقَلِ.

لَقَدْ شَاهَدْنَا أَوْ عَاصَرْنَا حُرُوبًا أُخْرَى مَعَ الْيَهُودِ، وَكُنَّا نَفْتَقِدُ الْإِسْلَامَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُتَرَجِّمًا فِي افْتِقَادِ «الْإِخْوَانَ». اخْتَفَى مُصْطَلَحُ الْجِهَادِ مِنَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ، وَاقْتَصَرَ الْإِلْتِرَامُ الدِّيْنِيُّ إِلَى دَاخِلِ الْحُدُودِ الضَّيِّقَةِ

الَّتِي تَسْمَحُ بِهَا حُكُومَةُ الثَّوْرَةِ. وَالانْتِمَاءُ إِلَى جَمَاعَةِ «الإخوان» كَانَ اتِّهَامًا كَفِيلاً بِتَدْمِيرِ الْمُتَمِّمِ وَعَائِلَتِهِ وَالْمُحِيطِينَ بِهِ. عَاصَرْنَا حَرْبَ ١٩٥٦ م ثُمَّ حَرْبَ ١٩٦٧ م وَهَزِيمَتَهَا الشَّنْعَاءَ، ثُمَّ حَرْبَ الاسْتِزْرَافِ عَلَى ضِيفِافِ القَنَاةِ بَيْنَ مِصْرَ وَإِسْرَائِيلَ، ثُمَّ ثَوْرَةَ العَمَلِ الفِدَائِيِّ الفَلَسْطِينِيِّ.

وَمَعَ أَوَائِلِ السَّبْعِينَاتِ بَدَأَ نَشَاطُ «الإخوان» مِنْ جَدِيدٍ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى مَسْرَحِ الحَرْبِ التَّالِيَةِ فِي عَامِ ١٩٧٣ م. كَذَلِكَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى السَّاحَةِ اللُّبْنَانِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ بُؤْرَةَ الصَّرَاحِ فِي المَنْطِقَةِ العَرَبِيَّةِ بَيْنَ جَمِيعِ التِّيَّارَاتِ



الحزبية والعقائدية، بِمَا فِيهَا المُوَاجَهَةُ الفَلَسْطِينِيَّةُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ، بَعْدَ أَنْ نَجَحَتْ «الأنظمة العلمانية والمُرْتَدَّةُ» فِي تَحْجِيمِ القَضِيَّةِ الفَلَسْطِينِيَّةِ عَلَى مَرَّاحِلَ، فَمِنْ قَضِيَّةِ

إِسْلَامِيَّةٍ إِلَى قَضِيَّةِ عَرَبِيَّةٍ ثُمَّ أُخِيرًا قَضِيَّةِ وَطَنِيَّةٍ خَاصَّةً بِالفَلَسْطِينِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ،



وَيَتَوَّبُ عَنْهُمْ «يَاسِرُ عَرَفَات» [صُورَةٌ رَقْمَ ١٠]

رَئِيسُ «مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ» الَّتِي أُعْطَاهَا

«القَوْمِيُّونَ» صِفَةَ المُمَثِّلِ الشَّرْعِيِّ

وَالوَاحِدِ لِلشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيِّ.

[يَاسِرُ عَرَفَاتُ يُصَافِحُ رَابِينَ بَعْدَ التَّوْفِيعِ عَلَى المُعَاهَدَةِ وَبَيْنَهُمَا الرَّئِيسُ الأَمْرِيكِيُّ بِيَلِ كِلِينْتُونُ:

صُورَةٌ رَقْمَ ١١]

وَأَخِيرًا فِي أَيَّامٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَقْتِنَا هَذَا وَقَعَ «عَرَفَاتُ» وَثِيقَةَ الْاِسْتِسْلَامِ وَرَضِي أَنْ يَكُونَ هُوَ وَالْمُنْظَمَةُ مُجَرَّدَ قُوَّاتٍ أَمِنْ لِحِمَايَةِ إِسْرَائِيلَ، وَمَرَكَزُ تِلْكَ الْقُوَّاتِ غَزَّةُ وَأَرِيحَا^(١).

غَابَ «الْإِخْوَانُ» - أَوْ عُيُوبًا - عَنْ كُلِّ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ طَوَالَ تِلْكَ الْمُدَّةِ، وَغَابَ الْإِسْلَامُ مَعَهُمْ. وَلَكِنَّهُمْ عَادُوا فِي بَدَايَةِ السَّبْعِينَاتِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَكَمَا تَبَدَّلَتْ مَعَالِمُ الْمَنْطِقَةِ وَأَوْضَاعُهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، كَذَلِكَ تَغَيَّرَ «الْإِخْوَانُ»، تَغَيَّرُوا كَثِيرًا، فَلَيْسُوا هُمْ أَوْلِيكَ الْفُرْسَانَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي فَلسْطِينَ، وَلَيْسُوا هُمْ أَوْلِيكَ الْمُجَاهِدِينَ الْأَبْطَالَ عَلَى ضِفَافِ الْقَنَاةِ، إِنَّهُمْ قَوْمٌ آخَرُونَ، جُدُدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ.

مَعَ بَدَايَةِ السَّبْعِينَاتِ كُنْتُ فِي حَالَةٍ مُنَاقِضَةٍ تَمَامًا لِذَلِكَ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِفَتْرَةِ الْأَشْبَالِ، فَبَعْدُ نَكْبَةِ «الْإِخْوَانِ» عَامَ ١٩٥٤ م بَدَأَتْ فِتْرَةٌ مُظْلِمَةٌ لِكُلِّ

(١) وَقَعَ الرَّئِيسُ «يَاسِرُ عَرَفَاتُ» اِتِّفَاقِيَّةَ سَلَامٍ مَعَ الْكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ مُمَثِّلًا فِي وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ «شَمْعُونِ بِيرِيز» بِرِعايَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ مُمَثِّلَةً فِي الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ الْأَسْبِقِ «بِيلِ كَلِينْتُون»، عُرِفَتْ تِلْكَ الْاِتِّفَاقِيَّةُ بِاِتِّفَاقِيَّةِ أَوْ مُعَاهَدَةِ أَوْسَلُو نَسْبَةً إِلَى مَدِينَةِ «أَوْسَلُو» النَّرُوجِيَّةِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا رَسْمِيًّا «إِعْلَانُ الْمَبَادِيءِ حَوْلَ تَرْتِيبَاتِ الْحُكْمِ الذَّاتِيِ الْاِنْتِقَالِيِّ» وَتَمَّتْ فِي ١٣ سِبْتَمْبَرِ ١٩٩٣ م، وَبِهَذِهِ الْاِتِّفَاقِيَّةِ تَنْتَهِي الْمَقَاوِمَةُ الْمُسَلَّحَةُ لِلْكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ وَيَبْدَأُ عَهْدٌ جَدِيدٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْاِعْتِرَافِ بِالْكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ وَبِتَقْنِينِ وُجُودِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ عَلَى أَرْضِ فَلسْطِينَ.

شَعْبِ مِصْرَ، بَعْدَ أَنْ أَجْبَرَتْهُ الثَّوْرَةُ عَلَى السَّيْرِ فِي عَكْسِ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ. لَقَدْ سَافَرْتُ فِي رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ دَاخِلَ بَحْرِ الظُّلُمَاتِ الَّذِي فَرَضَتْهُ الثَّوْرَةُ، فِيمَا عَدَا نَوْبَاتٍ مُتَقَطِّعَةٍ مِنَ الْإِتِّزَامِ بِالصَّلَاةِ، ذَابَتْ كُلُّ الْإِتِّزَامَاتِ بِالْإِسْلَامِ. وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ فِي دِرَاسَتِي الْجَامِعِيَّةِ كُنْتُ قَدْ تَوَقَّفْتُ تَمَامًا عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَحَسِبْتُ نَفْسِي مِنْ يَوْمِهَا أَقْرَبَ إِلَيَّ «الْمَارِكِسِيَّة» بِحُكْمِ صَدَاقَاتٍ عَدِيدَةٍ تَكُونَتْ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مَعَ يَسَارِيِّينَ مِنْ مِصْرَ. وَكَانَتْ الْيَسَارِيَّةُ بَتِيَارَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ هِيَ «المَوْضَةُ» الشَّائِعَةُ فِي مِصْرَ بَيْنَ شَبَابِهَا الْمُثَقَّفِ، فَالتَّعْلِيمُ الرَّسْمِيُّ لَمْ يَكُنْ يُقَدَّمُ عَنِ الدِّينِ سِوَى شَذَرَاتٍ لَا رَابِطَ بَيْنَهَا وَلَا تَمَسُّ جَوْهَرَ الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ.

وَفِي الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ انْدَثَرَتْ الثَّقَافَةُ الدِّينِيَّةُ فِيمَا عَدَا مَا تُنتِجُهُ الْمُؤَسَّسَةُ الدِّينِيَّةُ الرَّسْمِيَّةُ تَحْتَ إِشْرَافِ أَجْهَزَةِ النِّظَامِ الْأُمْنِيَّةِ، إِضَافَةً لِلْمُمَارَسَاتِ الشَّعْبِيَّةِ الْأَقْرَبِ إِلَيَّ «الْفُلْكلُور». فَكَانَ عَلَيَّ طَالِبِي الثَّقَافَةِ أَنْ يَنْحَرِفُوا يَسَارًا حَيْثُ الْكُتُبُ تَمَلَأُ الْمَكْتَبَاتِ، يَقْتَنِيهَا الْمُقْتَدِرُونَ، وَعَلَى سُورِ الْأَزْبُكِيَّةِ يُوجَدُ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْكُتُبِ الْمُسْتَعْمَلَةِ مَعْرُوضَةً بِأَرْخَصِ الْأَسْعَارِ. لَمْ يَكُنْ صَعْبًا أَنْ يُصْبِحَ أَيُّ مُتَعَلِّمٍ مُثَقَّفًا يَسَارِيًّا فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ. وَكَانَتْ شَعَارَاتُ الثَّوْرَةِ وَخَطَابَاتُ الزَّعِيمِ تَمَلَأُ الْأَسْمَاعَ وَالْعُيُونَ، بَلْ يَتَنَفَّسُهَا كُلُّ فَرْدٍ طَوَالَ يَوْمِهِ، وَحَتَّى فِي الْكَوَايِسِ الَّتِي تَتَابَعُهُ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ.

كَانَتْ هَزِيمَةً ١٩٦٧ م هِيَ أَقْسَى الصَّدَمَاتِ فِي حَيَاةِ جِيلِنَا. وَمَا زَالَتْ تَدَاعِيَاتُ تِلْكَ الْهَزِيمَةِ تُؤَثِّرُ فِي حَيَاتِنَا وَفِكْرِنَا كَأَفْرَادٍ وَكَأُمَّةٍ، وَسَتَظَلُّ كَذَلِكَ إِلَى النَّهَائِيَةِ، نِهَائِيَةِ الصَّرَاعِ وَتَسْوِيَةِ الْحِسَابَاتِ النَّهَائِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ. لَقَدْ زَلَزَلَتْ الْكَارِثَةُ كُلَّ الْمَفَاهِيمِ السَّائِدَةِ فِي الْمُنْطِقَةِ، وَبَدَأَتْ الْأَجْيَالُ



الْمُعَاصِرَةَ فِي الْبَحْثِ مِنْ جَدِيدٍ عَنْ هُوِيَّتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ. مِنْ تِلْكَ الزَّوَايَةِ كَانَتْ هَزِيمَةُ يُونِيُو ١٩٦٧ م نِعْمَةً عَظْمَى عَلَى الْمُنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ الثَّغْرَةَ الَّتِي عَادَتْ مِنْهَا الشُّعُوبُ،

خَاصَّةً الشَّبَابُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ. [أَسْرَى الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ فِي يُونِيُو ١٩٦٧ م: صُورَةٌ

رَقْمٌ ١٢]

كَانَتْ السَّبْعِينَاتُ هِيَ بَدَايَةُ الْعَوْدَةِ الْمُكْتَفَةِ مِنْ جَانِبِ الشَّبَابِ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَانَتْ عَوْدَةً مَبْعُوثًا الرَّئِيسِيُّ التَّحْدِي الْيَهُودِي لِلْإِسْلَامِ عَلَى أَرْضِ الْإِسْلَامِ وَعُثْرِ دَارِهِ. لَقَدْ دَعَمَتِ الصَّلِيبِيَّةُ الدُّوَلِيَّةُ بِكُلِّ عُنْفُونِهَا ذَلِكَ التَّحْدِي الْيَهُودِيَّ وَأَمَدَّتْهُ بِجِبَالِ الْقُوَّةِ وَالتَّمَكِينِ، وَرَأْسُ الرَّمْحِ لِهَذَا الْكَيْدِ كُلِّهِ كَانَتْ الْأَنْظِمَةُ غَيْرَ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ الْوَطَنِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَدْعَاءِ وَالصِّيغِ الْعَرَبِيَّةِ. فَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَكُونَ الْجِهَادُ هُوَ الشُّعَارُ وَالْأَسْلُوبُ وَالْأَدَاةُ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا التَّحْدِي الْمِصْرِيِّ.

وَكَانَ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يَكُونَ فِي الطَّلِيْعَةِ «الْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ»؛ فَهُمُ

الرَّكِيزَةُ الَّتِي انْطَلَقَ مِنْهَا ذَلِكَ الانْبِعَاثُ الْإِسْلَامِيُّ الْجَدِيدُ، أَوْ حَسَبَ
 الاصْطِلَاحِ الشَّائِعِ «الصَّخْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ»، وَلَكِنْ عَوَامِلَ عَدِيدَةً تَرَكَمَتْ عَلَى
 «الإِخْوَانِ» وَجَعَلَتْ حَرَكَتَهُمْ أَبْطَأَ وَتَصَوُّرَهُمْ أَعْجَزَ وَوَسَائِلَهُمْ أَدْنَى مِنْ
 مُتَطَلِّبَاتِ مَرَحَلَةِ التَّحَدِّيِّ. وَفَوْرَةُ الْحَمَاسِ الْمُنْبِعِثِ مِنْ رُكَّامِ الْهَزِيمَةِ
 [أَلْهَبَتْ] مَشَاعِرَ الْأُمَّةِ - وَالشَّبَابِ خَاصَّةً - وَحَفَزَتْهُمْ إِلَى الْمُوَاجَهَةِ وَالْجِهَادِ.
 لَقَدْ أَصَابَتْ عَوَامِلُ الشَّيْخُوخَةِ حَرَكَةَ «الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، وَحَاوَلُوا فَرَضَ
 عَجْزِ الشَّيْخُوخَةِ وَتَرَدُّدِهَا عَلَى الْإِنْبِعَاثِ الْجَدِيدِ لِلشَّبَابِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُزَوِّدُوهُ
 بِحِكْمَةِ السِّنِّينِ وَخُلَاصَةِ التَّجَارِبِ.

فَكَانَ الطَّلَاقُ النَّكَدُ بَيْنَ «الإِخْوَانِ الْجُدِّدِ» وَتِيَّارِ الشَّبَابِ الْإِسْلَامِيِّ، فَأَذَانَ
 «الإِخْوَانِ» حَمَاسَةَ الشَّبَابِ، وَأَذَانَ الشَّبَابِ عَجْزَ «الإِخْوَانِ»، وَبَدَلًا مِنْ
 التَّكَامُلِ سَادَ الشُّكُّ وَالْقَطِيعَةُ، وَتَضَارَبَتْ الْجُهُودُ لِتُضَيِّفَ عُنُصْرًا سَلْبِيًّا عَلَى
 السَّاحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَلِيئَةِ بِالسَّلْبِيَّاتِ، وَالَّتِي تَنْوُءُ بِثِقَلِ التَّحَدِّيَّاتِ الْمَفْرُوضَةِ
 عَلَى التَّوَّاجِدِ الدِّيْنِيِّ عَلَى أَرَاضِي الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ.

مَضَتْ عِدَّةُ سِنَوَاتٍ عَلَى الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَبَعْدَ مُعَامَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مَعَ
 «الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» ثُمَّ تَعَامَلَاتٍ أُخْرَى مَعَ الشَّبَابِ الْوَافِدِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ
 مُخْتَلَفِ الْبِلَادِ وَمُخْتَلَفِ التِّيَّارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ اتَّضَحَتْ تَدْرِيجِيًّا - بِالنُّسْبَةِ لِي -
 الصُّوْرَةُ الْعَامَّةُ عَلَى سَاحَةِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ. وَلَمَّا كَانَتْ تَنَائِجُ تِلْكَ

المُعَامَلَاتِ سَلْبِيَّةً فِي الغَالِبِ، فَقَدْ خَرَجْتُ بِاسْتِتْجَاجِ مَفَادِهِ أَنَّ التَّحَدِّيَّ
 الْأَسَاسِيَّ أَمَامَ العَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ هُوَ التَّحَدِّيُّ الدَّاخِلِيُّ، وَمَا لَمْ يَتَّصِرْ العَمَلُ
 الْإِسْلَامِيُّ كَطَلِيْعَةٍ لِلأُمَّةِ عَلَى نَفْسِهِ وَسَلْبِيَّاتِهِ الذَّائِبَةِ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْإِنْتِصَارَ فِي
 التَّحَدِّيِّ الرَّئِيسِيِّ عَلَى السَّاحَةِ الْخَارِجِيَّةِ، أَيِ التَّحَدِّيِّ الصَّلْبِيِّ الْيَهُودِيِّ.
 وَسَوْفَ تَرُدُّ فِي ثَنَائِي هَذَا الْكِتَابِ أَطْرَافٌ مِنْ تِلْكَ التَّعَامُلَاتِ مَعَ تَيَّارَاتِ
 إِسْلَامِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ وَأَفْغَانِيَّةٍ، عِلْمًا بِأَنَّ القَلِيلَ مِنْهَا كَانَ إِيجَابِيًّا لِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ. وَقَدْ
 يَكُونُ ذَلِكَ مُفِيدًا فِي تَقْيِيمِ العَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى
 جَوَانِبِ الضَّعْفِ وَالقُوَّةِ فِيهِ.

أَخَذْتَنِي هَزِيمَةٌ ١٩٦٧ م إِلَى شَاطِئِ الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي
 عَامِ ١٩٧٥ م. كَانَتْ رِحْلَةً شَاقَّةً، وَلَكِنَّ فَرَحَةَ العُودَةِ كَانَتْ رَائِعَةً. وَبَدَأْتُ
 مُحَاوَلَةَ البَحْثِ عَنِ الْمُكُونَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فَالْإِسْلَامُ يَعْنِي «الْإِخْوَانَ»،
 وَ «الْإِخْوَانَ» تَعْنِي «اللَّهُ وَالرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ وَالْجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ»، فَهَكَذَا تَرَكْتُهُمْ
 فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ فِي الخُمْسِيَّاتِ.



إِسْلَامُ الْمُتْرَفِينَ:

كُنْتُ أَعْمَلُ فِي «أَبُو ظَبْيٍ»، وَكَانَتْ مَسَاجِدُهَا نَشِيطَةً وَعَامِرَةً بِالنَّشَاطِ
 الثَّقَافِيِّ وَالْمُحَاضِرَاتِ وَالضُّيُوفِ مِنْ بِلَادٍ عَدِيدَةٍ، يُلقُونَ الْمُحَاضِرَاتِ

الإسلامية. كَانَ ذَلِكَ مُمْتَعًا لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا، فَمَا أُبْحَثُ عَنْهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَمَنَاخُ دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ اجْتِمَاعِيًّا هُوَ مَنَاخُ تِجَارِيٍّ لِلْبَاحِثِينَ عَنِ جَمْعِ الْمَالِ، وَلَيْسَ مِنْ مَجَالِ لِظْهُورِ تَيَّارَاتِ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ دِينِيَّةٍ بِأَيِّ حَالٍ. حَاوَلْتُ أَنْ أَسْأَلَ مَنْ حَوْلِي عَنِ «الْإِخْوَانِ» وَالْجِهَادِ وَفَلَسْطِينِ، وَكَانَتْ الْإِجَابَاتُ لَا تَشْفِي الْعَلِيلَ. وَبَدَتْ لِي سَاحَةُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ خَاوِيَةً رُغْمَ الشَّاطِطِ الْمَسْجِدِيِّ الَّذِي أَرَاهُ حَوْلِي، وَرُغْمَ الْأَخْبَارِ مِنْ مِصْرَ عَنْ صَحْوَةِ فَوَارَةٍ بَيْنَ الشَّبَابِ، وَتَيَّارَاتٍ جَدِيدَةٍ تَنْبُتُ فِي الْجَامِعَاتِ - لَا أُدْرِي مَا عَلِمْتُهَا بِالْإِخْوَانِ- لَكِنِّي لَمْ أَتَصَوَّرْ إِلَّا كَوْنَهَا إِحْدَى نِتَاجِ نَشَاطِهِمُ الْجَدِيدِ فِي مِصْرَ.

كَانَتْ فَرَحَةٌ الْعَوْدَةِ وَالشَّبَابِ وَرَعْدِ الْعَيْشِ تَدْفَعُنِي إِلَى الْجَهَادِ، فَأُطِيلُ الْمُكُوثَ فِي الْمَسَاجِدِ وَأَحْضُرُ مِنَ الْمُحَاضِرَاتِ مَا اسْتَطَعْتُ، وَذَهَبْتُ إِلَى الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ. وَلَكِنِّي مَا زِلْتُ أَشْعُرُ بِالْفَرَاغِ، وَبِأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ «إِسْلَامِ الْمُتْرَفِينَ»^(١) - كَمَا أَسْمَيْتُهُ - لَا يَصْلُحُ لِي بِحُكْمِ مَا تَعَلَّمْتُهُ فِي طُفُولَتِي

(١) مُصْطَلَحُ «إِسْلَامِ الْمُتْرَفِينَ» أَوْ «الْإِسْلَامِ الْآمِنِ» هُوَ مُصْطَلَحُ يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَتَوَدُّونَ أَنْ عَيْرَ ذَاتِ السُّوَكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾

﴿ ٧ ﴾ ﴿ الْأَنْفَالِ: ٧ ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿ ٢ ﴾

﴿ الْعَنْكَبُوتِ: ٢ ﴾، وَكَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ

كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قُصْعَتِهَا». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلْبًا بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ،

المُبَكَّرَةِ، فَأَيْنَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ وَهَلْ يُجَاهِدُ «الإخوان» ضِدَّ الْيَهُودِ فِي
فَلَسْطِينَ انْطِلَاقًا مِنَ الْأُرْدُنِّ أَوْ لُبْنَانَ؟ وَهَلْ يَعْمَلُونَ مُنْفَرِدِينَ أَوْ تَحْتَ غِطَاءِ
مُنْظَمَةٍ أُخْرَى؟ وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ أُعْتَرَّ عَلَيْهِمْ وَأَعْمَلَ مَعَهُمْ؟. كُنْتُ مُتَأَكِّدًا أَنَّهُمْ
يَعْمَلُونَ ضِدَّ الْيَهُودِ فِي فَلَسْطِينَ، وَأَنِّي سَاعَتُرُّ عَلَيْهِمْ فِي مَكَانٍ مَّا بِطَرِيقَةِ مَّا
وَأَعْمَلَ مَعَهُمْ فِي الْجِهَادِ.

وَحَدَّثْتُ مَعِيَ عِدَّةً مَوَاقِفٍ فَهَمْتُ بَعْدَهَا أَنِّي مِثْلُ أَهْلِ الْكَهْفِ الَّذِينَ
نَامُوا فِي كَهْفِهِمْ مِائَاتِ السِّنِينَ وَكَانَتْ الدُّنْيَا مِنْ حَوْلِهِمْ قَدْ تَبَدَّلَتْ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ. بَعْدَ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ أَدْرَكْتُ أَنَّ خَرِيطَةَ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ أَصْبَحَتْ
مُعَقَّدَةً، وَلَمْ تَعُدْ بَسِيطَةً وَمُبَاشِرَةً كَمَا كُنْتُ أَتَخَيَّلُهَا، كَانَ فِي ذَهْنِي ثَلَاثَةٌ

وَلَكِنْ تَكُونُونَ غَنَاءً كَغَنَاءِ السَّيْلِ، تُتَرَعِّقُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَبِجَعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ.
قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». فَهُوَ ذَلِكَ الْإِسْلَامُ الَّذِي يُرِيدُ
الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ أَنْ يَعْتَنُقُوهُ مَعَ بَدِّ بَعْضِهِ، فَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضِهِ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، يُؤْمِنُونَ بِمَا يَدْعُو إِلَى
الْإِرْجَاءِ وَالتَّسْوِيفِ وَاللَّيْنِ وَالخُضُوعِ وَتَرْكِ الْمَسْئُورِيَّةِ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا يَدْعُو لِلْجِهَادِ وَالْأَخْذِ عَلَى
يَدِ الظَّالِمِ وَالْبَدَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَهُوَ ذَلِكَ الْإِسْلَامُ الَّذِي لَا يَكَادُ يُتَكَلَّى صَاحِبُهُ فِي اللَّهِ، بَلْ يَظَلُّ
مَوْضِعَ تَرْحِيبٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ وَالظُّلْمَةِ وَالْفَسَقَةِ، فَلَا هُوَ يَنْصَحُهُمْ وَلَا يَشُدُّ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِيَكْفَ
أَذَاهُمْ عَنِ الْخَلْقِ، وَلَا هُوَ يَحْرُضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُوَ يُنَابِذُهُمْ فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، فَهُمْ قَدْ أَمِنُوا
جَانِبَهُ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَا يُقِيمُونَ لِعِلْمِهِ وَلِدِيَانَتِهِ وَزَنًا، فَقَطُّ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ فِي إِضْفَاءِ الشَّرْعِيَّةِ
الْأَلَزِمَةِ لِقَاءِ أَنْظِمَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ.

عَنَّا صِرَ فَقَطْ «إِسْلَامٌ، إِخْوَانٌ، جِهَادٌ»، وَلَكِنَّ الْأَحْدَاثَ أَثْبَتَتْ سَدَاجَةَ هَذَا التَّصَوُّرِ.

الموقف الأول:

قَامَتْ جَمَاعَةٌ «التَّبْلِيغِ» بِزِيَارَةِ الْمَسْجِدِ الْقَرِيبِ مِنْ بَيْتِي، وَالْقَى مِتْحَدِّثُوهُمْ مَوَاعِظَ رَقِيقَةً وَبَسِيطَةً وَمُؤَثِّرَةً، ثُمَّ قَامَ أَمِيرُهُمْ بِدَعْوَةِ الْحُضُورِ بِالْخُرُوجِ مَعَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ. هَزَّتْنِي الْكَلِمَةُ وَكَانَتْهَا صَدْمَةٌ كَهَرَبَاءٍ، أَحِيرًا، مَا أَعْيَانِي الْبَحْثُ عَنْهُ يَأْتِي إِلَيَّ عِنْدِي هَكَذَا بِبَسَاطَةٍ! لَمْ أَصَدِّقْ نَفْسِي وَلَمْ أَنْمِ لِعِدَّةِ لَيَالٍ، كُنْتُ أَفَكِّرُ فِي تَرْتِيبِ أَوْضَاعِي تَمْهِيدًا لِلْسَفَرِ مَعَ الْجَمَاعَةِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَرَّرْتُ الْخُرُوجَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَقَرَّرْتُ مَا سَوْفَ أَفْعَلُهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأُسْرَةِ وَالْعَمَلِ. وَفِي الْأُسْبُوعِ التَّالِيِ عَادَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَيَّ الْمَسْجِدِ وَدَعَوْتُ الْأَمِيرَ وَعَدَدًا مِنْهُمْ إِلَيَّ بَيْتِي كَيْ أَفْهَمُ مِنْهُ تَفَاصِيلَ ذَلِكَ الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاکْتَشَفْتُ مُؤَخَّرًا أَنَّهُ سِيَاحَةٌ وَاسِعَةٌ فِي الْبِلَادِ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَرُغْمَ عَظَمَةِ الْعَمَلِ إِلَّا أَنِّي شَعَرْتُ بِالْإِحْبَاطِ؛ فَلَيْسَ هَذَا مَا أُبْحَثُ عَنْهُ، وَشَعَرْتُ أَنَّ الْأَسْمَ أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِ الْعَمَلِ - عَلَى أَهْمِيَّتِهِ -، وَأَحْزَنْتَنِي أَنْ يُطْلَقَ اسْمُ الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَتُودُّونَ أَنْ عَيِّرَ دَاتِ الشُّوكَةَ تَكُونُ

لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وَعَدْتُ إِلَى الْبَحْثِ مِنْ جَدِيدٍ.



الموقف الثاني:

كَانَ «عَبْدُ الرَّحِيمِ» زَمِيلًا لِي فِي الدَّرَاسَةِ الثَّانَوِيَّةِ، وَقَابَلْتُهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَهُوَ يَعْمَلُ مُهَنْدِسًا طَيَّارًا فِي الإِمَارَاتِ. وَكَانَ قَدْ اهْتَدَى إِلَى الإِسْلَامِ^(١) فِي وَقْتٍ مُبَكَّرٍ مِنْ شَبَابِهِ، سَابِقًا إِيَّايَ بَعْدَةَ سَنَوَاتٍ، كَمَا أَنَّهُ اجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، فَاعْتَبَرْتُهُ لِذَلِكَ مَرَجِعِيَّةً دِينِيَّةً بِالنَّسْبَةِ لِي. زُرْتُهُ يَوْمًا فِي بَيْتِهِ مَهْمُومًا أَسْأَلُهُ عَنِ الجِهَادِ وَكَيْفِ السَّبِيلِ إِلَى فَلَسْطِينَ أَوْ لُبْنَانَ. كَانَتْ الحَرْبُ الأَهْلِيَّةُ هُنَاكَ قَدْ بَدَأَتْ وَذُبِحَ الكَثِيرُ مِنَ المُسْلِمِينَ، أَوْ إِرْتِيبًا وَكَانَتْ أَخْبَارٌ تَأْتِي مِنْ هُنَاكَ عَنِ مُسْلِمِينَ وَجِهَادٍ.

كَانَ رَأْيُهُ أَنَّ المُنْظَمَاتِ الفِلَسْطِينِيَّةَ تَعْتَنِقُ الشَّيْوعِيَّةَ؛ فَلا يَجُوزُ القِتَالُ مَعَهَا، وَفِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الأُخْرَى فَإِنَّ الرَّاياتِ عَمِيَّةً، وَمَلْعُونٌ مَنْ يُقَاتِلُ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ^(٢). ثُمَّ أَنَّ إِصْلَاحَ حَالِ المُسْلِمِينَ يَبْدَأُ بِإِصْلَاحِ الفَرْدِ المُسْلِمِ

(١) المراد هنا ليس هو الانتقال من حال الكفر إلى حال الإسلام بالطبع، فليس من مدخل هنا لإعتبار هذا القول مكفراً للشخص المذكور أو غيره، والألف واللام هنا للعهد، تتعلق بمعهود سبق ذكره وهو الإسلام الجامع الشامل الذي لا يُهمل فيه المسلم أحد جوانبه بشكل رئيسي، ويقترن الإسلام المقصود هنا بطلب العلم وتحصيله والاهتمام بالأدلة مع التطبيق العملي قدر الاستطاعة.

(٢) الصحيح ألا يُقاتل المسلم تحت الراية العمية وهي الراية التي لا يبين المرء طبيعة قتالها، هل هو في سبيل الله أم هو قتال جاهلية، فهي الراية التي لا يتضح منهجها ويختلط فيها الحق بالباطل.

وَالْأُسْرَةَ الْمُسْلِمَةَ، وَبِالتَّالِي سَوْفَ يَنْصَلِحُ الْمُجْتَمَعُ وَيَسُودُ فِيهِ قَانُونُ
الإِسْلَامِ، وَيَوْمَهَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُجَاهِدَ الْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ. وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ هُوَ
ذُرْوَةٌ سَنَامِ الإِسْلَامِ، فَإِنَّ الْمُجَاهِدَ لَا بُدَّ أَنْ يُلْغَ ذُرْوَةَ الْكَمَالِ فِي تَطْيِيقِ
الإِسْلَامِ مِنْ فَرَائِضَ وَسُنَنِ، وَأَنْ يُطَاعَ اللَّهُ تَمَامَ الطَّاعَةِ وَتُجْتَنَّبَ نَوَاهِيهِ تَمَامَ

وَالرَّايَةُ الْعَمِيَّةُ أَيضًا هِيَ الَّتِي يَتَّبِعُنَّ عَوَاذُهَا وَضَلَّالُهَا وَفَسَادُ وَجْهَتِهَا، فَهِيَ إِذَا قَدْ عَمِيَتْ عَنِ الْحَقِّ،
وَذَلِكَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ
عَصْبَةً فَقَتِلَ: فَقِتْلَةُ جَاهِلِيَّةٍ»، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا
يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا التَّحْذِيرُ النَّبَوِيُّ الشَّدِيدُ لِأَجْلِ الْمَفَاسِدِ
الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَلْحُقُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ جَرَاءِ الاِئْتِسَالِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَلَكِنْ هَذَا الأَمْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْقِتَالِ تَحْتَ تِلْكَ الرَّايَةِ، وَلَا يَمْنَعُ هَذَا الْقِتَالَ تَحْتَ رَايَةٍ أُخْرَى تَشْتَرِكُ مَعَ
الرَّايَةِ الْعَمِيَّةِ فِي هَدَفٍ قَرِيبٍ أَوْ جُرْئِيٍّ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ التَّحَالُفِ مَعَ الْقُوَى الْمُخَالَفَةِ وَإِنْ
كَانَتْ مُشْرِكَةً، وَالأَمْرُ بِهِذَا الوَصْفِ مَشْرُوعٌ وَلَكِنَّهُ مَنْوُطٌ بِالحِكْمَةِ وَتَقْدِيرِ المَصَالِحِ وَالمَفَاسِدِ.
وَإِلَيْكَ مِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا مَا تَوَجَّهَ جَيْشٌ مِنَ المُشْرِكِينَ لِهُدْمِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَوْ المَسْجِدِ
الأَقْصَى، فَقَامَ إِلَيْهِ جَيْشٌ نِظَامِيٍّ مِنْ جُيُوشِ الطَّوَاغِيَتِ لِصَدِّهِ انْطِلَاقًا مِنْ عَقِيدَةِ القَوْمِيَّةِ المُتَجَرِّدَةِ
عَنِ الدِّينِ، فَمَا هُوَ دَوْرُ المُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُنَابِزُونَ هَؤُلَاءِ الطَّوَاغِيَتِ وَجُيُوشَهُمْ وَرَايَتَهُمُ القَوْمِيَّةَ
الْكُفْرِيَّةَ؟ هَلْ يُقَاتِلُونَ تَحْتَ رَايَاتِ الطَّوَاغِيَتِ؟، الجَوَابُ، لَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا تَحْتَ رَايَاتِ
الطَّوَاغِيَتِ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ دَفْعُ الصَّائِلِ تَحْتَ رَايَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ تَكُونُ خَالِصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذَا
بِحَسَبِ القُدْرَةِ، وَقَدْ تَجَرَّعَ المُخْلِصُونَ مَرَارَةَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَحْتَ وَصَايَةِ القُوَى غَيْرِ
الإِسْلَامِيَّةِ مِمَّا أفسَدَ عَلَيْهِمْ نَصْرَهُمْ وَجَرَّ عَلَى الأُمَّةِ تَبَعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ وَالتَّبَعِيَّةِ وَالصَّبَابِ الفِكْرِيِّ
وَالانْحِرَافِ العَقْدِيِّ.



الاجْتِنَابِ، وَإِلَّا فَإِنَّ أَى مَعْصِيَةٍ سَوْفَ تُؤَدِّي إِلَى هَزِيمَةٍ، وَأَيُّ زَيْغٍ فِي النِّيَّةِ سَوْفَ يَهْوِي بِصَاحِبِهَا فِي قَاعِ جَهَنَّمَ رُغْمًا عَمَّا تَكَبَّدَهُ مِنْ مَشَقَّةٍ حَيْثُ أَنَّ عَمَلَهُ قَدْ أُحْبِطَ.

جَادَلْتُهُ بِمَا أَمْلَكَ مِنْ حُجَّةٍ، [قُلْتُ] إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ رَايَانُهُمْ شُيُوعِيَّةً وَالْآخَرُونَ رَايَتُهُمْ عَمِيَّةً، فَلِمَاذَا لَا نَتَحَرَّكَ وَنَضْعُ لِأَنْفُسِنَا رَايَةً إِسْلَامِيَّةً؟. وَإِذَا كَانَ تَحْوِيلُ الْمُجْتَمَعَاتِ يَتِمُّ بِطَرِيقَةٍ مِيكَانِيكِيَّةٍ مِنَ الْفَرْدِ إِلَى الْأُسْرَةِ إِلَى الْمُجْتَمَعِ إِلَى النِّظَامِ الْإِسْلَامِيِّ، فَلِمَاذَا لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مَعَ رَسُولِنَا ﷺ، وَلِمَاذَا تَكَبَّدَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّ تِلْكَ الْمَشَاقِّ وَالْمَعَارِكِ وَالِدَّمَاءِ إِذْنُ؟! الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ تَحْوِيلًا مِيكَانِيكِيًّا لِلْمُجْتَمَعِ، بَلْ مَسْأَلَةٌ صِرَاعٍ بِالْكَلِمَةِ وَالسَّيْفِ حَتَّى يَتِمَّ التَّغْيِيرُ الْمَنْشُودُ.

أَمَّا عَنِ الْمُجَاهِدِ وَكَوْنِهِ قِمَّةً شَامِخَةً فِي دُنْيَا الْإِسْلَامِ، فَهَذَا يَسْتَحِيلُ تَقْرِيْبًا عَلَى كُلِّ أَوْ مُعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا يَعْنِي - عَمَلِيًّا - إِيقَافَ الْجِهَادِ لِأَنَّ النَّاسَ لَيْسُوا فِي الْمُسْتَوَى اللَّائِقِ، وَعَلَيْهِمْ قَضَاءُ فِتْرَاتٍ أَطْوَلَ قَدْ لَا تَتَّسِعُ لَهَا أَعْمَارُهُمُ الْمَحْدُودَةُ لِلْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ الْمُسْتَوَيَاتِ السَّامِقَةِ الَّتِي قَدْ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ. وَهَذَا يَعْنِي فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ إِيقَافَ الْجِهَادِ أَوْ إِغَائِيهِ، وَتَرْكَ الْأُمَّةِ فَرِيْسَةً لِأَعْدَائِهَا. إِنَّ هَذَا الْمَنْطِقَ فِيهِ تَحَايِلٌ عَلَى الْإِغَاءِ تِلْكَ الْفَرِيْضَةِ، فَبَيْنَمَا يَعْتَرِفُ بِهَا وَيَجْلِّسُهَا نَظْرِيًّا، يَضْعُ الشُّرُوطَ الْكَفِيْلَةَ بِالْإِغَائِيهَا

عَمَلِيًّا.

أَجَابَ صَدِيقِي إِجَابَةً شَافِيَةً وَافِيَةً لَمْ تَدْعُ مَجَالًا لِمَزِيدٍ مِنَ النَّقَاشِ فَقَالَ:
 «أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِالرَّأْيِ وَلَيْسَ بِالِدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ»، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنْ كُلَّ حُجَجِي
 الَّتِي اجْتَهَدْتُ فِي حَسْدِهَا، تُعْتَبَرُ لَا غِيَةَ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وَهَكَذَا تَوَقَّفَ
 الْحَوَارُ، وَشَعَرْتُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْعُزْلَةِ. وَقَدْ صَادَقْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَوَاتٍ عَلَى
 أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَمَعَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ تِلْكَ الْمُوَاجَهَةَ الْغَرِيبَةَ وَالْقَاطِعَةَ بَيْنَ
 الرَّأْيِ وَالِدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ، وَكَانَ أَعْجَبُهَا فِي مَعْرَكَةِ «جَلَالِ آبَادٍ» - كَمَا سَيَأْتِي
 ذِكْرُهَا لَاحِقًا- عِنْدَمَا نَصَحْتُ بَعْضَهُمْ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ غَيْرُ صَاحِحَةٍ عَسْكَرِيًّا،
 فَأَجَابَ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ شَرْعًا، وَأَتَهَمَنِي بِأَنِّي أَتَكَلَّمُ بِالرَّأْيِ وَلَيْسَ بِالِدَّلِيلِ
 الشَّرْعِيِّ. وَكَانَتْ النَّيْجَةُ أَنَّنَا كَعَرَبٌ دَفْنَا فِي «جَلَالِ آبَادٍ» أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنْ
 الشُّهَدَاءِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَمَا زِلْتُ حَتَّى الْآنَ أَحْسِرُ مُعْظَمَ الْمَعَارِكِ بَيْنَ الرَّأْيِ
 وَالِدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ، وَلَمْ أَفْهَمْ حَتَّى الْآنَ حَاجَةَ الْإِجْرَاءِ التَّكْنِيكِيِّ فِي مِيدَانِ
 الْمَعْرَكَةِ أَوْ الْخُطَّةِ الْإِسْتِرَاطِيَّةِ لَدَى الْقِيَادَةِ إِلَى دَلِيلِ شَرْعِيٍّ يُثْبِتُ صِحَّتَهَا،
 إِذَا كَانَتْ هِيَ نَفْسُهَا لَمْ تُخَالَفْ قَاعِدَةَ شَرْعِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ.

الموقف الثالث:

فِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ مَارِسِ ١٩٧٨ مَ هَاجَمَتْ إِسْرَائِيلُ جَنُوبَ لُبْنَانَ،
 وَوَقَعَتْ مَعَارِكُ شَدِيدَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنُوبِ وَالْمُنْتَظَمَاتِ الْفِدَائِيَّةِ

الْفَلَسْطِينِيَّةَ هُنَاكَ. كَالْعَادَةِ كَانَتْ خَسَائِرُ الْعَرَبِ شَدِيدَةً، لَكِنَّهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَصَابُوا الْيَهُودَ وَعَرَقُوا تَقَدُّمَهُمْ بِشَكْلِ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا؛ أَدَّى إِلَى إِطَالَةِ مُدَّةِ



الْقِتَالِ، وَأَتَاكَ ذَلِكَ فُرْصَةً لِاشْتِعَالِ الْحَمَاسِ لَدَى الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ، خَاصَّةً بَعْدَمَا أَحَدَّثَتْهُ زِيَارَةُ «السَّادَاتِ» لِلْقُدْسِ وَتَرَاجُعَاتِهِ الْحَيْثِيَّةِ

أَمَامَ الْيَهُودِ سِيَاسِيًّا. [الرَّيْسُ السَّادَاتُ أثنَاءَ إِلقاءِ خُطَابِهِ فِي الْكِنَيْسِيَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ: صُورَةٌ رَقْمٌ

[١٣]



فَتَحَتْ مَكَاتِبُ «مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ» مَكَاتِبَهَا لِقَبُولِ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ. وَكَتَبَ الشَّيْخُ «أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُبَارَكٌ» رَيْسُ

الْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ فِي «أَبُو ظَبْيٍ» فَتَوَى شَرْعِيَّةً نُشِرَتْ فِي صَحِيفَةِ «الْإِتِّحَادِ» يُبَيِّنُ فِيهَا أَنَّ الْجِهَادَ إِلَى جَانِبِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ وَضِدَّ الْيَهُودِ أَصْبَحَ فَرَضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. كَانَ هَذَا مَا أَنْتَظَرُهُ، وَعَزِمْتُ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى لُبْنَانَ لِلْجِهَادِ.

[الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُبَارَكٌ «الْجَالِسُ إِلَى الْبَسَارِ» إِلَى جَانِبِ رَاشِدِ بْنِ سَعِيدِ آلِ مَكْتُومِ حَاكِمِ

إِمَارَةِ دُبَيٍّ - دُبَيٍّ ١٩٧٨ م: صُورَةٌ رَقْمٌ ١٤]

مَرَّةً أُخْرَى [طَالِبِنِي] صَدِيقِي «عَبْدُ الرَّحِيمِ» بِالتَّرِيثِ، قَائِلًا بِأَنَّ رَأْيَ

الشَّيْخِ «أَحْمَدَ» لَيْسَ قَطْعِيًّا وَلَا مُلْزِمًا، وَيَجِبُ أَنْ أُسْتَفْتِيَ الْمَزِيدَ مِنَ الْعُلَمَاءِ،

وَأَنَّ ضَيْفًا سَيَأْتِيهِ وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ وَرَاةِ الْأَوْقَافِ، وَسَوْفَ نَسْأَلُهُ. وَفِعْلًا جَاءَ

الرَّجُلِ وَلَكِنَّهُ طَلَبَ مَهَلَةً إِلَى يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ مَسَاءً؛ لِأَنَّ الْمَشَايخَ سَوْفَ يَجْتَمِعُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِمُنَاقَشَةِ فَتْوَى الشَّيْخِ «أَحْمَدَ» وَإِصْدَارِ حُكْمِهِمْ فِي الْمَوْضُوعِ. لَمْ أَكَدْ أَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ لِيَوْمَيْنِ حَتَّى جَاءَنَا الشَّيْخُ بِالْحُكْمِ فِي الْقَضِيَّةِ، فَقَالَ: «لَقَدْ اجْتَمَعَ الْمَشَايخُ وَقَرَّرُوا أَنَّ رَأْيَ الشَّيْخِ «أَحْمَدَ» صَحِيحٌ وَأَنَّ الْجِهَادَ فَرَضَ عَيْنٍ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، وَعَلَيْهِ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ لِلْجِهَادِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَإِنَّ الرَّايَاتِ الْمَرْفُوعَةَ هُنَاكَ لَيْسَتْ إِسْلَامِيَّةً، وَهِيَ إِمَّا شُيُوعِيَّةٌ أَوْ قَوْمِيَّةٌ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ الْقِتَالُ تَحْتَ هَذِهِ الرَّايَاتِ، لِذَلِكَ فَمَنْ أَرَادَ الْقُعُودَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ».

كَانَتْ صَدْمَةٌ جَدِيدَةٌ وَحِيرَةٌ أَشَدَّ، كَيْفَ يُفْتِنَانَا الشَّيْخُ بِشَيْئَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ وَمُتَعَارِضَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَفِي نَفْسِ الْقَضِيَّةِ؟! كَيْفَ يَكُونُ الْجِهَادُ فَرَضَ عَيْنٍ ثُمَّ يَبْتَرِكُ الْخِيَارَ لِكُلِّ شَخْصٍ، فَمَنْ ذَهَبَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ قَعَدَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ؟^(١) لَقَدْ وَضَعُونِي عَلَى مَفْرَقِ الطَّرِيقِ، وَطَالَبُونِي أَنْ أَتَصَرَّفَ كَمَا أَرَى،

(١) قَدْ تَحَدَّثُ مِثْلَ تِلْكَ الْإِشْكَالِيَّةِ فِي غِيَابِ الْإِمَامِ الْوَاحِدِ الْجَامِعِ لِلْأُمَّةِ وَالَّذِي كَانَ مُتَحَقِّقًا مِنْ قَبْلِ فِي مَنْصِبِ الْخَلِيفَةِ أَوْ فِي مَنْصِبِ بَعْضِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ الْعُدُولِ، بَلْ كَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ الْخَارِجِينَ عَلَى الْخِلَافَةِ، كَانُوا أَبْعَدَ مَا يَكُونُونَ عَنِ الْعَدَالَةِ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُعْلِنُونَ الْجِهَادَ صَرَاحَةً وَيُحَرِّكُونَ الْجُيُوشَ لِأَجْلِ الْجِهَادِ - بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ حَقِيقَةِ نِيَّاتِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ - وَلَكِنَّ الصُّورَةَ النَّهَائِيَّةَ تَكَادُ تَخْلُو مِنَ الْعَبْسِ وَالصَّبَابِيَّةِ، وَلَكِنْ الْيَوْمَ مَعَ غِيَابِ مَنْصِبِ الْإِمَارَةِ الْعَامَّةِ

فَأَيْنَ الْفَتْوَى؟. وَصِدِّيقِي «عَبْدُ الرَّحِيمِ» زَادَ مَوْقِفِي سُوءًا بَرَّأِي جَدِيدًا أَضَافَهُ، فَقَالَ: «طَبَقًا لِمَهَّتِي كَمَهْنَدِسٍ طَيَّارٍ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الطَّيْرَانَ الْإِسْرَائِيلِيَّ لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يُصِيبَ بِالصَّوَارِيخِ مُتْتَصِفَ الْخَطِّ الْأَبْيَضِ الَّذِي يَقْسِمُ مُدْرَجَ الطَّائِرَاتِ، وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ شَرْعًا بِالْإِعْدَادِ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأَيْنَ هُوَ الْإِعْدَادُ؟.

وَعِيَابِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَوَلَاةِ الْأُمُورِ الْعُدُولِ، حَيْثُ صَارَ وُلاةُ الْأُمُورِ مِنْ كِبَارِ الْخَوَنَةِ وَالزَّنَادِقَةِ وَالْمُفْسِدِينَ وَمِنْ أَعْدَى أَعْدَاءِ الْأُمَّةِ وَالْإِسْلَامِ، فَلَيْسَ ثَمَّ جِهَادٌ مُغْلَنٌ عَلَى النَّمَطِ الشَّرْعِيِّ الْأَوَّلِ، وَصَارَ الْجِهَادُ يُقَامُ بِوَسْطَةِ قِيَادَاتٍ شَعْبِيَّةٍ وَإِسْلَامِيَّةٍ تَخْلُو فِي الْعَالَمِ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ السُّلْطَوِيَّةِ الطَّاعُوْتِيَّةِ الْمُسَلِّطَةِ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ، وَتِلْكَ الْحَالُ تَجْعَلُ الرَّايَةَ غَيْرَ وَاضِحَةٍ وَبِهَا الْكَثِيرُ مِنَ الضَّبَابِيَّةِ، كَمَا أَنَّ هَذَا الْوَضْعَ يَسْمَحُ لِكَثِيرٍ مِنَ الرَّايَاتِ أَنْ تَتَعَدَّ، فَلَا ثَمَّ رايَةَ جَامِعَةً لِلْمُجَاهِدِينَ، مِمَّا يَزِيدُ مِنْ صُعُوبَةِ اخْتِيَارِ الْمُجَاهِدِ لِلرَّايَةِ الْأَمْثَلِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَاهِدَ تَحْتَهَا، وَبِخَاصَّةٍ وَأَنَّ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ الرَّايَاتِ قَدْ تَصَلَّ إِلَى دَرَجَةِ التَّضَادِّ وَالْاِخْتِرَابِ، فَمِنْ النَّاحِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّ الْجِهَادَ فَرَضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ قَادِرٍ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ جَمِيعُ الْمُكَلَّفِينَ الْقَادِرِينَ الرَّاغِبِينَ فِي الْجِهَادِ عَلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْأَمْثَلِ لِتَحْقِيقِ تِلْكَ الْفَرِيضَةِ، فَيَحْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُقَاتِلُوا تَحْتَ رايَةٍ عَمِيَّةٍ لَا تُقَاتِلُ حَقِيقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا تُقَاتِلُ عَنْ عَصَبِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ لَنْ تَلْبَثَ أَنْ تُمَزَّقَ الْمَقَاصِدَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا نَفَرَ الْمُسْلِمُونَ لِلْجِهَادِ، فَيُؤَوَّلُ الْأَمْرُ إِلَى الْإِفْسَادِ بَدَلًا مِنْ الْإِصْلَاحِ. وَهُنَا يَأْتِي الدَّوْرُ عَلَى قَادَةِ الْأُمَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَهُمْ أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى تَوْجِيهِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْسَبِ الْوُجُهَاتِ، فَهُمْ يَعْرِفُونَ الرَّايَةَ الصَّالِحَةَ مِنَ الْفَاسِدَةِ، فَالْعُلَمَاءُ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعَهَا أَصْحَابُ نَسَبٍ وَاحِدٍ، بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ رايَةً قَائِمَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَدَلُوا وَسَعَهُمْ فِي إِقَامَتِهَا وَتَجْمِيعِ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَهَا، فَلَا يُنْفَرُوا الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ فَرِيضَتِهِ، وَلَا يُعْطُونَهُمْ خِيَارَاتٍ تَزِيدُ مِنْ حَيْرَتِهِمْ وَلَا يَدْعُوهُمْ يُقَاتِلُونَ تَحْتَ رايَاتٍ عَمِيَّةٍ حَزْبِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ وَغَيْرِهَا.

وَإِذَا كَانَتْ الْجُيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ جَمِيعُهَا لَا تَسْتَطِيعُ مُوَاجَهَةَ إِسْرَائِيلَ، فَمَاذَا يَمْلِكُ الْفِدَائِيُّونَ؟. إِنَّ إِسْرَائِيلَ تَمْتَلِكُ إِلَى جَانِبِ الطَّائِرَاتِ الْمُتَمَوِّقَةِ الْقَنَابِلِ الذَّرِّيَّةِ أَيْضًا، وَالتَّيِّجَةُ أَنْ عَلَيْنَا شَرَعًا وَاجِبَ الإِعْدَادِ حَتَّى نَتَسَاوَى مَعَهُمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ».

وَكَانَتْ لَيْلَةٌ عَصِيْبَةٌ مُرْهَقَةٌ بِسَبَبِ صَدِيقِي وَمَشَايخِ الأَوْقَافِ. وَأخِيرًا جَاءَ الفَرَجُ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ «حَسَنِ البَنَّا»، أَقْصَدُ الشَّيْخَ «عَبْدَ البَدِيعِ صَقْر»^(١)



[صُورَةٌ رَقْمَ ١٥] الَّذِي عَمِلَ سِكْرَتِيًّا خَاصًّا لِلشَّيْخِ «البَنَّا»

لِمُدَّةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ. وَكَانَ شَخْصِيَّةً مُحْتَرَمَةً مِنْ

الجَمِيعِ، لَا يُجَامِلُ، [ذَا] طَابِعِ عَمَلِي دُؤُوبٍ، خَرَجَ

مِنْ مِصْرَ عَامَ ١٩٥٤ م فَارًّا مِنْ اِعْتِقَالَاتِ «عَبْدِ النَّاصِرِ» لِلإِخْوَانِ، وَرَغْمَ أَنَّنا نُنْتَمِي إِلَى مُحَافِظَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مِصْرَ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ عَلَيْهِ إِلَّا عَامَ ١٩٧٣ م

(١) عَبْدُ البَدِيعِ صَقْر: أَحَدُ قَامَاتِ جَمَاعَةِ «الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ»، وُلِدَ بِمُحَافِظَةِ الشَّرْقِيَّةِ عَامَ ١٣٣٤ هـ- ١٩١٥ م، انْتَقَلَ إِلَى القَاهِرَةِ عَامَ ١٩٣٦ م وَقَابَلَ الإِمَامَ «حَسَنَ البَنَّا» وَلاَزَمَهُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا. سَافَرَ إِلَى قَطْرَ وَتَمَّ تَعْيِينُهُ مُدِيرًا لِلْمَعَارِفِ بِتَوْصِيَةِ مَنْ الشَّيْخِ «مُحِبِّ الدِّينِ الخَطِيبِ». ثُمَّ شَغَلَ مَنْصِبَ مُدِيرِ دَارِ الكُتُبِ القَطْرِيَّةِ ثُمَّ مُسْتَشَارًا نَقَافِيًا لِحَاكِمِ قَطْرَ. لَهُ العَدِيدُ مِنَ المُصَنَّفَاتِ مِثْلَ «الْوَصَايَا الحَالِدَةِ» وَ«التَّرْبِيَةُ الأَسَاسِيَّةُ لِلْفَرْدِ المُسْلِمِ»، تُوفِّيَ عَرَقًا فِي حَدِيثِ سَيَّارَةٍ فِي مِصْرَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ١٢ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ- ١٣ ديسَمبَر ١٩٨٦ م.



فِي «دُبَيِّ»، وَكُنْتُ أَكُنُّ لَهُ احْتِرَامًا كَبِيرًا. تَصَادَفَ وُجُودُهُ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتَّ
 أَرْمَتِي تِلْكَ، فَاسْتَشْرَيْتُهُ فِيهَا، فَأَشَارَ عَلَيَّ بِالذَّهَابِ لِلجِهَادِ بِلَا تَرَدُّدٍ وَقَالَ:
 «اذهب يا بُنَيَّ فالجِهَادُ فَرُضٌ عَيْنٍ، وَقَاتِلْ مَعَ فَتْحِ فَرْبَمَا وَجَدْتَ بِهَا
 إِسْلَامِيَّينَ»^(١)، وَإِذَا قُتِلْتَ فَسَوْفَ تُبْعَثُ عَلَيَّ نَيْتِكَ، وَلَا تَخَشْ بِأَسَا عَلَيَّ أَوْلَادِكَ
 فَقَدْ رَأَيْنَا بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ أَبْنَاءَ الشُّهَدَاءِ يَكُونُونَ أَغْنَى وَأَسْعَدَ الْأَبْنَاءِ». أَخَذْتُ نَفْسًا
 عَمِيقًا وَكَانَ صَخْرَةً ثَقِيلَةً قَدْ انزاحتْ مِنْ فَوْقِ صَدْرِي، وَانْفَتَحَ أَمَامِي طَرِيقٌ
 مُبَارَكٌ رَائِعٌ مَا زِلْتُ أُسِيرُ فِيهِ مُنْذُ سَمِعْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُخْلِصَةَ مِنَ الشَّيْخِ
 الْحَبِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ.



رِحْلَةٌ سَرِيَّةٌ إِلَى لُبْنَانَ:

مَعَ صَدِيقِي «إِسْمَاعِيلَ»، [بَدَأْتُ] الرِّحْلَةَ مِنْ «أَبُو ظَبْيٍ» صَوْبَ جَنُوبِ

(١) وَهَذَا قَدْ مَرَّتْ الْأَعْوَامُ تَلَوَّ الْأَعْوَامَ وَالْعُقُودُ تَلَوَّ الْعُقُودَ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ رَحِمِ فَتْحٍ وَلَا غَيْرِهَا إِسْلَامِيٌّ
 يُشَارُ إِلَيْهِ بِالإِسْلَامِ، بَلْ إِنَّ السَّاحَةَ اللَّبْنَانِيَّةَ وَالْفَلَسْطِينِيَّةَ - وَحَتَّى الْآنَ - لَأَزَالَتْ تَطْفَحُ بِجَمَاعَاتِ
 الْقَوْمِيَّةِ وَالْإِسْتِرَاكِيَّةِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ، وَحَتَّى مَنْ تَبَنَّى مِنْهَا فِكْرًا إِسْلَامِيًّا لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْحَرَفَ وَنَقَضَ غَزْلَهُ
 وَانْتَكَسَ، بَلْ إِنَّ الْإِحْوَانَ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسَهُمْ أَصَابَتْهُمْ تِلْكَ الْأَدْوَاءُ الْفَاتِلَةُ، وَلِذَا فَإِنَّ الرَّايَاتِ
 الْمُخَالِفَةَ للإِسْلَامِ لَا يَخْرُجُ مِنْ رَحِمِهَا إِسْلَامٌ وَلَا خَيْرٌ قَطُّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، إِلَّا
 مِنْ بَابِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ يَنْصُرُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ.

لُبْنَانَ. قَرَرْنَا السَّفَرَ إِلَى بِيْرُوتَ مُنْفَرِدِينَ عَن غَيْرِ طَرِيقِ مُنْظَمَةِ التَّخْرِيرِ، لِذَلِكَ لَمْ نُسَجَّلْ أَسْمَاءَنَا فِي مَكْتَبِهِمْ فِي «أَبُو ظَبْيٍ». ظَنَنَّا أَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ أَكْثَرَ أَمْنًا، كَمَا أَنَّنَا تَوَقَّعْنَا أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِيْنَا كَمَا يَشَاءُونَ وَقَدْ يُرْسِلُونَنَا إِلَى مُنْظَمَةِ شُيُوعِيَّةٍ فَتَكُونُ مُشْكِلَةً، وَكَانَ كِلَانَا مُلْتَحِيًّا بِشَكْلِ أُنْتِقِ وَعَصْرِيٍّ. وَأَخَذَ كُلُّ مِنَّا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لِشْتَرِي سِلَاحًا مِنْ بِيْرُوتَ، هَكَذَا قَدَّرْنَا، فَالْعَاصِمَةُ اللَّبْنَانِيَّةُ جَمِيعُ مَنْ فِيهَا مُسَلَّحٌ، وَيُمْكِنُ فِي تَقْدِيرِنَا شِرَاءِ سِلَاحٍ بِسُهُولَةٍ. أَمَّا التَّوَجُّهُ إِلَى الْجَنُوبِ فَلَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ تَدْبِيرُهُ، وَهَنَّاكَ سَوْفَ نَلْتَحِقُ مُبَاشَرَةً بِمَرَاكِزِ الْفِدَائِيِّينَ.

كَانَتْ تَصَوُّرَاتٍ سَادِجَةً، لَكِنْ هَكَذَا كُنَّا نُفَكِّرُ، فَالتَّجْرِبَةُ نَحْوُضُهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ عَلَى أَرْضِ بَلَدٍ لَمْ نَرَهُ قَبْلًا، مَعَ أَنَّا لَا نَعْلَمُ عَنْهُمْ شَيْئًا تَقْرِيْبًا. وَقَدْ تَكَرَّرَتْ مَعَنَا التَّصَوُّرَاتُ السَّادِجَةُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ، كَمَا رَأَيْنَا غَيْرَنَا يَسْتَقْطُ فِيهَا. وَرَبَّمَا يُفِيدُ أَنْ نُورِدَ بَعْضَهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَقَدْ يُفِيدُ ذَلِكَ الْأَجْيَالَ التَّالِيَةَ فِي عَمَلِهَا أَوْ فِي تَقْيِيمِ عَمَلِ جِيلِنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ.

كُنَّا نَحْتَرِسُ مِنْ أَنْ تَعْلَمَ السُّلْطَاتُ الْمِصْرِيَّةُ بِأَمْرِنَا، فَالْحُكُومَةُ هُنَاكَ بَدَأَتْ مَسِيرَةَ السَّلَامِ، وَأَصْبَحَتْ إِسْرَائِيلُ بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ «دَوْلَةً صَدِيقَةً»، هَذَا إِضَافَةً إِلَى الْحَسَاسِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلنِّظَامِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ ضِدَّ الْيَهُودِ. وَتَجْرِبَةُ «الإِخْوَانِ» فِي فَلسْطِينِ كَانَتْ نَمُودَجًا لِسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ

المِصْرِيَّةِ فِي كُلِّ الْعُهُودِ - الْمَلَكِيِّ أَوْ الشُّورِيِّ - فِي مُجَابَهَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَتَصْفِيَّتِهِمْ.

وَكُنَّا نُقَدِّرُ أَيْضًا أَنَّ «مُنْظَمَةَ التَّحْرِيرِ» إِنَّمَا هِيَ الْعُوبَةُ لِلْأُنْظُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنَّهَا مُخْتَرَقَةٌ بِكَافَّةِ أَنْظُمَةِ الاسْتِخْبَارَاتِ فِي الْمَنْطِقَةِ، حَتَّى الْيَهُودِيَّةِ مِنْهَا. وَكَانَتْ الْأَعْتِيَالَاتُ الَّتِي حَدَّثَتْ لِقَادَةَ الْمُقَاوَمَةِ فِي بَيْرُوتَ وَعَمَلِيَّاتُ الْكُومَانْدُوزِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ضِدَّ قَوَاعِدِ الْفِدَائِيِّينَ فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ شَوَاهِدًا لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ عَلَى مَدَى عُمُقِ الْاِخْتِرَاقَاتِ الْأَمْنِيَّةِ لِلْمُنْظَمَةِ.

لِهَذَا تَفَادَيْنَا الْاِتِّصَالَ بِمَكَاتِبِ الْمُنْظَمَةِ، وَأَرَدْنَا الْوُصُولَ إِلَى الْخَطِّ الْأَوَّلِ مُبَاشَرَةً. كَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ الْأُولَى أَنَّ الطَّائِرَةَ الَّتِي رَكِبْنَاهَا كَانَ مُعْظَمُ رُكَّابِهَا مِنْ شَبَابِ الْمُتَطَوِّعِينَ مِنَ الْفَلَسْطِينِيِّينَ الْمُقِيمِينَ فِي دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَعْرِفُ «إِسْمَاعِيلَ»، وَهُوَ شَابٌّ رِيَاضِيٌّ وَكَاتِبِينَ فَرِيقٍ لِلْكَرَةِ الطَّائِرَةِ، وَذُو عِلَاقَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَاسِعَةٍ، وَبَعْضُهُمْ عَرَفَنِي. وَهَكَذَا وَبِصِفَتِنَا الْمِصْرِيِّينَ الْوَحِيدِينَ عَلَى الطَّائِرَةِ، وَأَيْضًا فِي كُلِّ الْمُتَطَوِّعِينَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ عَلَى حَدِّ عِلْمِنَا، فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ حَفَاوَةٍ وَاهْتِمَامٍ مِنَ الْجَمِيعِ، وَبَدَلًا مِنَ التَّخْفِيِّ وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا فَجَاءَةً تَحْتَ الْأَضْوَاءِ.

مَرَّةً أُخْرَى عَلَى الْحُدُودِ السُّورِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ فِي مَنَاطِقِ الْمَعْمَلِ، اِحْتَجَزَتْ الْمُخَابَرَاتُ السُّورِيَّةُ جَمِيعَ الْمُتَطَوِّعِينَ، وَنَحْنُ مَعَهُمْ، وَاصْطَحَبُوا الْجَمِيعَ إِلَى

مَبْنَى ضَخْمٍ لِعِدَّةِ سَاعَاتٍ، تَمَّ فِيهَا تَصْوِيرُ كُلِّ شَخْصٍ عَلَى حِدَةٍ، وَتَحْوِيلُ الْجَوَازَاتِ إِلَى غُرْفَةٍ خَاصَّةٍ لِفَحْصِهَا وَتَصْوِيرِهَا. أَثَارَ [ذَلِكَ] تَذَمُّرِ الشَّبَابِ، وَنَمْنَا اللَّيْلَةَ دَاخِلَ [الْحَافِلَةِ] وَنَحْنُ جُلُوسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ فِي جَوْ دَرَجَةٍ حَرَارَتِهِ تَحْتَ الصِّفْرِ، وَسَطَ الثَّلُوجِ. وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا مَلَابِسٌ مُنَاسِبَةٌ وَنَحْنُ قَادِمُونَ مِنْ مَنَاطِقِ حَارَّةٍ لَا تَعْرِفُ الشِّتَاءَ تَقْرِيْبًا.

وَهَمَسْتُ فِي أُذُنِ «إِسْمَاعِيلَ» بِأَنَّنا قَدْ أَصَبَحْنَا فِي سَجَلَاتِ الْمُخَابِرَاتِ السُّورِيَّةِ، وَهَذَا لَا يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ، وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَّا نَفْكَرَ فِي زِيَارَةِ سُورِيَا مَرَّةً أُخْرَى. وَبِالْفِعْلِ فَقَدْ اكْتَشَفَ «إِسْمَاعِيلُ» بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا بِأَنَّ اسْمَيْنَا قَدْ كُتِبَا مُتَّابِعِينَ عَلَى قَائِمَةٍ وَاحِدَةٍ «سُودَاءَ»، وَقَدْ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ أَقْرَبُ زَوْجَتِهِ السُّورِيَّةِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ. كَانَ صَعْبًا أَنْ يُصَدِّقَ «إِسْمَاعِيلُ» ذَلِكَ فِي وَقْتِهَا، وَمَكَاتِبُ الْمُنْظَمَةِ تَعْمَلُ بِحُرِّيَّةٍ فِي «دِمَشْقَ»، وَالْإِدَاعَةُ السُّورِيَّةُ لَا تَمَلُّ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ الْكِفَاحِ الْمُسَلِّحِ ضِدَّ الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ. وَصَلْنَا دِمَشْقَ وَزُرْنَا مَكَاتِبَ الْمُنْظَمَةِ بِدُونِ اعْتِرَاضٍ مِنْ أَحَدٍ أَوْ حَتَّى تَسْجِيلِ أَسْمَاءٍ أَوْ التَّقَاطِ صُورًا.

وَإِلَى هَذَا الْوَقْتِ لَا أُدْرِي لِمَاذَا وَضَعْتُ الْمُخَابِرَاتُ السُّورِيَّةُ اسْمَيْنَا فِي الْقَائِمَةِ السُّودَاءَ. وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَجَدْتُ اسْمِي أَيْضًا فِي قَائِمَةِ سُودَاءَ لَدَى السُّلْطَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي أَعْقَابِ انْتِهَاءِ الْجِهَادِ فِي

أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ١٩٩٢ م. وَمَا زِلْتُ لَا أُدْرِ بِالصَّبْرِ الدَّافِعَ وَرَاءَ هَذَا الْعَمَلِ، فَلَمْ أَرْتَكِبْ آيَةً جَرَائِمَ ضِدَّ كِلَا الْبَلَدَيْنِ سِوَى الْعُبُورِ مِنْ أَرْضِيهَا بِطَرِيقَةٍ رَسْمِيَّةٍ تَمَامًا لِلجِهَادِ فِي الدَّوْلَةِ الْمُجَاوِرَةِ ضِدَّ الْيَهُودِ تَارَةً وَضِدَّ السُّوفِيَّةِ وَالشُّيُوعِيِّينَ تَارَةً أُخْرَى.

إِنَّ الْحُكُومَاتِ الْعِلْمَانِيَّةَ وَالْوَطَنِيَّةَ لَنْ تَتَسَامَحَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَعَ التَّحْرُكِ الْجِهَادِيِّ حَتَّى وَإِنْ التَّقَتْ مَصَالِحَهَا مَعَهُ بِشَكْلِ مُؤَقَّتٍ. إِنَّ تَصْنِيفَةَ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ خَاصَّةً وَالْإِسْلَامِيِّ عَامَّةً هُوَ قَضِيَّةٌ مَصِيرِيَّةٌ بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الْحُكُومَاتِ، وَبِنَفْسِ الْقَدْرِ الَّذِي تَشْعُرُ بِهِ الْقُوَى الْيَهُودِيَّةَ وَالصَّلِيبِيَّةَ. إِنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ عَلَى بَسَاطَتِهَا تَبْدُو أحيانًا مُسْتَعْصِيَةً عَلَى أَفْهَامِ مُعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ. وَنَشَاهِدُ الْآنَ كَيْفَ أَنَّ مُجَاهِدِي «كَشْمِيرَ» وَقِطَاعًا مِنْ مُجَاهِدِي بَاكِسْتَانَ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ مَا زَالُوا يَعْمَلُونَ بِتَنْسِيقِ كَامِلٍ مَعَ الْمُخَابِرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي قَضِيَّةِ «كَشْمِيرَ»، رُغْمَ عِلْمِهِمْ بِمُعَادَاةِ حُكُومَةِ «بِنْتِظِيرِ بُوْتُو»^(١) لِلْإِسْلَامِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ، وَتَصْنِيفِهَا لِلتَّوَاجُدِ الْعَرَبِيِّ الْجِهَادِيِّ فِي «بِيشَاوَر» وَتَحْطِيمِهَا

(١) بِنْتِظِيرِ بُوْتُو (٢١ يُونِيُو ١٩٥٣م - ٢٧ دَيْسَمْبَرِ ٢٠٠٧م): رَئِيسَةُ وُزَرَاءِ بَاكِسْتَانَ، شَغَلَتْ الْمَنْصِبَ لِفَتْرَتَيْنِ، هِيَ ابْنَةُ رَئِيسِ بَاكِسْتَانَ «ذُو الْفَقَارِ عَلِيِّ بُوْتُو»، دَرَسَتْ الْعُلُومَ السِّيَاسِيَّةَ بِجَامِعَاتِ أَمْرِيكََا وَبِرِيطَانِيَا. قَادَتْ الْمُعَارَضَةَ السِّيَاسِيَّةَ ضِدَّ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» الَّذِي أَطَاحَ بِحُكْمِهَا وَالدِّهَا فِي انْقِلَابِ عَامِ ١٩٧٧ م.

لِأَفْغَانِسْتَانَ وَشَعْبَهَا، بِدَعْمِهَا لِلْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ فِي «كَابُل» مَعَ اضْطِهَادِ
الْمُهَاجِرِينَ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ عَلَى الْحُدُودِ وَفِي دَاخِلِ الْبِلَادِ.

كَمَا نُشَاهِدُ حَالِيًا خُرُوجَ الشَّبَابِ مِنَ السُّعُودِيَّةِ لِلجِهَادِ فِي الْبُوسْنَةِ تَحْتَ
إِشْرَافٍ وَتَشْجِيعِ حُكُومَةِ بِلَادِهِمْ، وَالَّتِي لَا يَخْفَى دَوْرُهَا فِي مُقَاوَمَةِ الْعَمَلِ
الْإِسْلَامِيِّ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ. إِنَّ التَّسْهِيلَاتِ وَالِابْتِسَامَاتِ الَّتِي قَدْ تَمَنَحَهَا
هَذِهِ الْحُكُومَةُ أَوْ تِلْكَ لِهَذَا الْفَصِيلِ أَوْ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ، مَا هِيَ إِلَّا
اسْتِدْرَاجٌ حَتَّى يَحِينُ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ لِلذَّبْحِ، عِنْدَمَا تَنْتَهِي فِتْرَةُ الْمَصَالِحِ
الْعَابِرَةِ.

لَفَتَ نَظْرِي فِي «بَيْرُوتَ» اتِّسَاعِ الْعَمَلِ الْإِدَارِيِّ لِلْمُنَظَّمَةِ وَدِقَّتِهِ؛ فَقَدْ
سَلَّمْنَا وَثَائِقَ السَّفَرِ وَالْجَوَازَاتِ فِي أَحَدِ الْمَكَاتِبِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ
الْمُوظَّفِينَ، كَأَيِّ هَيْئَةِ جَوَازَاتِ فِي دَوْلَةٍ، وَعِنْدَمَا انْتَقَلْنَا إِلَى الْجَنُوبِ فِي وَقْتِ
لَا حِقِّ، اِكْتَشَفْنَا أَنَّ وَثَائِقَنَا قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى مَقَرِّ الْقِيَادَةِ فِي صَيْدَا. كَانَ مِنَ
الْوَاضِحِ أَنَّ لَدَى الْمُنَظَّمَةِ وَفَتْحَ وَفِرَّةً فِي الْكَوَادِرِ الْمُؤَهَّلَةِ فِي الْإِدَارَةِ كَمَا فِي
الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ أَوْ الثَّقَافِيِّ.

كَانَتْ الْمَعْرَكَةُ فِي الْجَنُوبِ قَدْ هَدَّاتُ، وَلَكِنْ لَمْ تَتَوَقَّفْ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ
الْيَهُودُ تَجَاوُزَ جَنُوبِ مَدِينَةِ صُورِ حَيْثُ أَوْفَقَتْهُمْ الْمُقَاوَمَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ. كَانَ
الْحَمَاسُ فِي الذُّرُورَةِ، وَرَغْمًا عَنِ الْحَمَاسِ وَالتَّأْهِيلِ الْعَالِيِ وَالْانْضِبَاطِ

الوَاضِحِ فِي الْقِطَاعَاتِ الَّتِي تَعَامَلْنَا مَعَهَا، إِلَّا أَنِّي شَعَرْتُ أَنَّ الْعَمَلَ كَانَ خَاوِيًا، لَمْ أَشْعُرْ بِحَرَارَةِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ لِلْإِسْلَامِ أَثْرٌ فِي كُلِّ هَذَا الْخِصْمِ مِنَ النَّشَاطِ وَالْحَرَكَةِ. فَنَادِرًا مَا وَجَدْتُ مُصَلِّيًّا، لِذَا حَاوَلُوا تَعْوِيضَ هَذَا النِّقْصِ بِزِيَادَةِ الصُّرَاخِ وَالْإِنْتِشَادِ الْحَمَاسِيِّ. أَمَّا احْتِيَاطَاتُهُمُ الْأُمْنِيَّةُ فَكَانَتْ مَلْمُوسَةً، وَلِعِدَّةِ مَرَّاتٍ تَمَّ تَصْوِيرُنَا بِحُجَّةِ اسْتِخْرَاجِ هُوِيَّاتٍ، وَهُوَ مَا لَمْ يَحْدُثْ بِالْمَرَّةِ. وَاكْتَشَفُوا بِالْفِعْلِ عَدَدًا مِنْ «الْعُمَّالِ» فِي دُفْعَتِنَا، وَأَثْنَاءَ التَّدْرِيبِ تَمَّ إِطْلَاقُ النَّارِ عَلَيْهِمْ فِي الْأَرْجُلِ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِنَا، وَقَدْ أَخْبَرَنَا مُدَرِّبُونَا بِذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ.

وَقَدْ قَارَنْتُ تِلْكَ الصُّورَةَ الَّتِي انْطَبَعَتْ فِي ذَهْنِي فِي أَوَّلِ تَجْرِبَةِ عَمَلِيَّةِ لِلْجِهَادِ، عِنْدَمَا انْتَقَلْتُ إِلَى الْمَحَطَّةِ التَّالِيَةِ - أَفْغَانِسْتَانَ - فِي الْعَامِ التَّالِيِ مُبَاشَرَةً. وَكَانَ التَّنَاقُضُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ وَاضِحًا، فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَمَسْتُ الْإِيمَانَ كَمَا لَمْ أَعْهَدُهُ قَبْلًا أَوْ تَخَيَّلْتُهُ، خَاصَّةً فِي سَنَوَاتِهِ الثَّلَاثِ الْأُولَى، أَمَّا سِوَى ذَلِكَ فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ، لَا كَوَادِرُ مُؤَهَّلَةٌ وَلَا نِظَامٌ وَلَا أُمْنِيَّاتٌ، وَظَلَّ الْجِهَادُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ يُعَانِي مِنْ ذَلِكَ النِّقْصِ حَتَّى آخِرِ أَيَّامِهِ.

وَفِي «بَيْرُوتَ» ثُمَّ فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ وَدَاخِلَ مُنْظَمَةِ فَتْحِ بَحْثُ عَنْ «الْإِخْوَانَ» فَلَمْ أَجِدْ لَهُمْ أَثْرًا. وَكَانَ بَعْضُ الْهَمْسِ يَدُورُ حَوْلَ أَشْخَاصٍ مَعْدُودِينَ كَانَتْ لَهُمْ اِرْتِبَاطَاتٌ إِخْوَانِيَّةٌ قَدِيمَةٌ، وَأَكْثَرُهُمْ قَدْ تَنَازَلَ عَنْهَا

وَأَنْجَرَفَ فِي تَيَّارِ الْيَسَارِيَّةِ التَّقَدُّمِيَّةِ. وَقَالُوا أَنَّ مُؤَسَّسِي «فَتْح» بِمَا فِيهِمْ «أَبُو عَمَّار» كَانُوا إِخْوَانًا. وَسَمِعْتُ أَنْ عَدَدًا مِنَ الْكِبَارِ فِي «فَتْح» يُمَارِسُونَ الصَّلَاةَ!، ثُمَّ لَا شَيْءَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ مَحْسُوبُونَ كَانْتَهُمْ تَيَّارُ إِسْلَامِيٍّ دَاخِلٍ «فَتْح»، الَّتِي بِدَوْرِهَا اتَّخَذَتْ إِطَارًا فِكْرِيًّا فَضْفَاضًا يَحْوِي الْجَمِيعَ مَا دَامُوا قَدْ اتَّخَذُوا «الْكِفَاحَ الْمُسْلِحَ» شِعَارًا وَمَنْهَجًا. لِهَذَا قَابَلْنَا الشُّيُوعِيِّينَ بِأَنْوَاعِهِمْ وَكَذَلِكَ الْقَوْمِيِّينَ، وَمُسْلِمِينَ سُنَّةً وَشِيعَةً، وَدُرُوزًا أَيْضًا... وَهَكَذَا، حَتَّى الْجِنْسِيَّاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ دَوْلِ إِسْلَامِيَّةٍ وَأُورُوبِيَّةٍ وَحَتَّى أَمْرِيكِيَّةٍ. لَيْسَ هُنَاكَ اعْتِبَارٌ لِذِيانَةٍ أَوْ مَذْهَبٍ، فَالْمُهْمُ هُوَ «الْكِفَاحُ الْمُسْلِحُ» ضِدَّ الصُّهُيُونِيَّةِ وَالْإِمْبِرِيَالِيَّةِ... فَذَلِكَ هُوَ الدِّينُ الْجَدِيدُ الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ هَؤُلَاءِ.

كُنْتُ أَتَخَيَّلُ أَنَّي سَأَجِدُ فِي لُبْنَانَ تَوَاجُدًا إِسْلَامِيًّا قَوِيًّا؛ فَطَبِيعَةُ الْمَعْرَكَةِ تُحْتَمُّ ذَلِكَ، فَالْيَهُودُ يُزْحَفُونَ بِجَيْشِهِمْ وَيَدْمُرُونَ الْجَنُوبَ، وَالْمَوَارِنَةُ^(١) فِي الدَّاخِلِ يَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ، وَيُمَارِسُونَ ضِدَّهُمْ أَحْطَّ أَسَالِيبِ

(١) نِسْبَةٌ إِلَى حِزْبِ «الْكَتَائِبِ اللَّبْنَانِيِّ الْمَارُونِيِّ»، وَهُوَ حِزْبٌ نَصْرَانِيٌّ تَأَسَّسَ عَامَ ١٩٣٦م، وَكَانَ فِي بَادِيَةِ الْأَمْرِ حَرَكَةً قَوْمِيَّةً شَبَابِيَّةً ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى حِزْبٍ سِيَاسِيٍّ عَامَ ١٩٥٢م. قَامَ الْحِزْبُ الْمُسْلِحُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ فِي حَقِّ الْفَلَسْطِينِيِّينَ فِي الْمُخَيَّمَاتِ اللَّبْنَانِيَّةِ، كَانَ مِنْ أَشْهَرِهَا عَمَلِيَّةُ «الرُّمَانَةِ» فِي ١٩٧٥م، وَمَجَارِزِ «صَابِرَا وَسَاتِيلا» فِي ١٩٨٢م.

الْقَتْلِ وَالتَّعْذِيبِ وَانْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَا أُجِدُ إِسْلَامًا أَوْ جِهَادًا، نَاهِيكَ عَنِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، لَكِنِّي أُجِدُ فَقَطُ «الْكِفَاحِ الْمُسْلِحِ» !!.

وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَأْسُ، حَتَّى جَاءَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَنَحْنُ فِي مُعَسْكَرِ التَّدْرِيبِ فِي قَرْيَةِ الدَّامُورِ، فَذَهَبْنَا لِلصَّلَاةِ فِي بَيْتِ صَغِيرٍ عَلَى الشَّرَاحِ الْعَامِّ الْمُوَاجِهِ لِشَاطِئِ الْبَحْرِ، كَانَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى مَسْجِدٍ، وَكَانَتْ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا لِلْمَوَارِنَةِ سَابِقًا قَبْلَ أَنْ يُطْرَدُوا مِنْهَا فِي الْحَرْبِ الشَّعْوَاءِ الدَّائِرَةِ وَالْمُنْعَدِمَةِ الْهُويَّةِ.

كَانَ خَطِيبُ الْجُمُعَةِ شَابًّا لُبْنَانِيًّا بَلِيغَ الْخَطَابَةِ، مُمْتَلَأًا حَمَاسًا وَقُوَّةً. نَظَرْتُ وَ «إِسْمَاعِيلُ» كُلُّ مَنَا إِلَى الْآخِرِ وَأَعَيْنُنَا تَنْطِقُ بِالْفَرَحِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا ضَالَّتَنَا آخِرًا. بَعْدَ الصَّلَاةِ أَسْرَعْنَا إِلَى خَارِجِ الْمَسْجِدِ وَانْتَظَرْنَا حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْأَحَادِيثِ الْفَرَعِيَّةِ وَالْأَسْئَلَةِ مِنْ جُمْهُورِ الْمُصَلِّينَ، وَمَا أَنْ فَرَغَ حَتَّى أَحَطْنَا بِهِ وَجَذَبْنَاهُ بِرَفْقٍ بَعِيدًا عَنِ الْحَاضِرِينَ وَأَمْطَرْنَاهُ بِوَابِلٍ مِنَ الْأَسْئَلَةِ الْمُتَلَاحِقَةِ، أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟ أَيْنَ الْجِهَادُ؟ أَيْنَ الْمُعَسْكَرَاتُ؟ كَيْفَ نَجِدُكُمْ؟ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نُجَاهِدَ مَعَكُمْ وَأَيْنَ وَكَيْفَ؟ رُغِمَ صَلَابَةِ الشَّابِّ إِلَّا أَنْ أَجَوَبْتَهُ أَحْبَبْتُ أَمَالَنَا، الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُمْ غَالِبِيَّةُ أَهْلِ لُبْنَانَ - هَكَذَا أَخْبَرْنَا - وَلَكِنَّهُمْ مَحْرُومُونَ مِنَ السَّلَاحِ وَمِنْ تَنْظِيمِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْجَمِيعُ ضِدَّهُمْ حَتَّى «فَتْحِ» وَالْجَيْشِ السُّورِيِّ. جَمِيعُ تَنْظِيمَاتِ لُبْنَانَ وَفِئَاتِهِ تَسْتَمِدُّ قُوَّتَهَا مِنْ دَوْلِ عَرَبِيَّةٍ أَوْ غَرَبِيَّةٍ، مَا عَدَا أَهْلَ السُّنَّةِ، فَهُمْ ضَائِعُونَ، وَالسُّعُودِيَّةُ تُمَدُّ الْمَوَارِنَةَ بِالسَّلَاحِ

وَالْمَالِ، وَلَا تُسَاعِدُ أَهْلَ السُّنَّةِ بِشَيْءٍ، بَلْ تُسَاعِدُ الْأَخْرِينَ عَلَى قَتْلِهِمْ. وَمَضَى
يَسْرُدُ عَنَّا صِرَ الْمَأْسَاةِ الَّتِي دَمَّرَتْ آمَالَنَا فِي أَنْ نَجِدَ بُغْيَتَنَا فِي لُبْنَانَ.

تَشَاوَرْتُ وَ «إِسْمَاعِيلَ» فِي الْأَمْرِ، فَقَالَ: «إِنَّا لَنْ نَجِدَ مَا نُرِيدُ وَعَلَيْنَا أَنْ
نَرْجِعَ كَمَا أَتَيْنَا»، وَأَجَبْتُهُ بِأَنْ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ فِي قِتَالِ الْيَهُودِ وَنَسْتَمِرَّ فِيهِ مَهْمَا
كَانَ الشَّمْنُ، فَلَوْ سَارَتْ الْأُمُورُ عَلَى هَذَا الْمُنْوَالِ فَسَوْفَ يَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي
يَدْخُلُونَ فِيهِ عَلَيْنَا يَبُوتَنَا وَيَسْحَبُونَا مِنْ أَعْنَاقِنَا لِلدَّبْحِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ
رَايَةٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلُ لِرَفْعِ تِلْكَ الرَّايَةِ، وَلِنَبْذُلَ نَحْنُ مُحَاوَلَةً مِنْ طَرَفِنَا،
فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدَأَ أَحَدٌ فِي صُنْعِ شَيْءٍ مَا.

لَقَدْ انْتَعَشْتُ آمَالَنَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ عِنْدَمَا شَاهَدْنَا الْإِقْبَالَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي
مُعَسْكَرِ الدَّامُورِ. وَتَزَايَدَ الْعَدَدُ بِالتَّدْرِيجِ حَتَّى بَلَغَ رُبْعَ عَدَدِ الْمُتَدَرِّبِينَ، وَآثَرَ
فِي نَفُوسِنَا كَثِيرًا قِصَّتِنَا مَعَ ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ يُرَاقِبُنَا أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ
لِعِدَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ جَاءَ عَلَيَّ اسْتِحْيَاءٌ كَيْ يَقُولَ: «أُرِيدُ أَنْ أَصَلِّيَ مَعَكُمْ وَلَكِنِّي لَا
أَعْلَمُ مَاذَا تَقُولُونَ فِي الصَّلَاةِ». وَرُغِمَ كَوْنِهِ فِي حَوَالِي الْعِشْرِينَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَحْفَظُ أَيَّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ. لَقَدْ أَحْزَنَنَا هَذَا كَثِيرًا، كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ شَابُّ
مُسْلِمٌ إِلَى هَذَا السَّنِّ وَلَا يَحْفَظُ حَتَّى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ !!.

بَدَأَ الشَّابُّ يَتَعَلَّمُ، وَانْضَمَّ إِلَيَّ صُفُوفِ الْمُصَلِّينَ، وَغَمَرَهُ فَرَحٌ طُفُولِيٌّ
وَحَمَاسٌ فَطْرِيٌّ غَرِيبٌ. فَتَرَةً «الدَّامُورِ» أَفْنَعْتَنِي وَصَدِيقِي بِأَنَّهُ يُمَكِّنُ عَمَلَ

الكثير في لبنان، وحتى في صفوف المقاومة الفلسطينية، وأن غياب العمل الجهادي والدعوي عن هذه الساحة كان كارثة يتحمل المسلمون جزءاً منها. ولا حظنا أن كثيراً من شباب المقاومة يزداد شعفهم بالإسلام كلما اقتربت أجواء المعركة مع اليهود، واقتاد الدعاة المقاتلين في تلك المواضع إنما هو جريمة يتحمل الدعاة وزرها وخسارة فادحة للإسلام وأهله.

قارنت تلك الصورة بما وجدته في أفغانستان، فكنت أشعر بالآلم، وكيف أن المجاهدين الأفغان لم يكن أحد منهم يهجر الصلاة، من الطفل الصغير إلى الشيخ الطاعن في السن. وكيف أن للإسلام وشعائره قدسية هائلة في النفوس رغم جهلهم بالعربية، وبالتالي جهلهم بكثير من أحكام الإسلام، حتى أن الشيوعيين الأفغان ما كانوا يجرؤون على الجهر بآرائهم في الدين على الملأ إلا في حالات نادرة أدت إلى كوارث بالنسبة لهم. وأدرت إلى أي مدى أصبح الإسلام غريباً في بلاد العرب.

كنت أنوي الاستقرار في لبنان والعمل مع منظمة «فتح» وإحضار أسرتي إلى الجنوب، لولا حادث لم يكن في الحسبان أدى إلى إلغاء المشروع والإنسحاب نهائياً من المنطقة. في صباح أحد الأيام وعلى طعام الإفطار تجمع شباب مجموعتنا على الطعام، وكنا في مكان لا يبعد كثيراً عن مواقع اليهود في مدينة صور، وفجأة حدثت مشادة بين زميلين فبادر أحدهما بسب

الْآخِرَ وَسَبَّ «الرَّبَّ». وَجَدْتُ نَفْسِي أَتَصَدَّرُ أَرْزَمَةً خَطِيرَةً، وَشَعَرْتُ أَنَّ مِنْ وَاجِبِي أَنْ أَقْتَلَ هَذَا الشَّخْصَ فَوْرًا. وَبِصُعُوبَةٍ تَوَقَّفْتُ الْأَرْزَمَةَ تَحْتَ مُسْتَوَى إِطْلَاقِ النَّارِ، وَاعْتَدَرْتُ قَائِدَ الْمَوْجِعِ وَكَذَلِكَ اعْتَدَرْتُ «الْمُذْنِبُ». وَلَكِنَّ الْمُسْكَلَةَ عِنْدِي كَانَتْ أَعْمَقَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ يُنْهِئَهَا اعْتِدَارًا، فَمَا زَالَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيَّ حَالِي، فَكَمَا أَنَّنِي حُرٌّ فِي أَنْ أُصَلِّيَ وَقَتَّمَا أَشَاءَ وَمَعِيَ عَدَدٌ مِنَ الْإِخْوَةِ فِي الْمَوْجِعِ، فَإِنَّ هَذَا الشَّخْصَ لَدَيْهِ الْحُرِّيَّةَ أَيْضًا أَنْ يَسَبَّ الرَّبَّ وَقَتَّمَا شَاءَ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَمَامِي لِأَنَّهُ مُتَأَكَّدٌ مِنْ أَنَّنِي سَوْفَ أَقْتُلُهُ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ.

بَدَأْتُ أَفَكِّرُ فِي الرَّحِيلِ، وَتَأَكَّدَ عَزْمِي عِنْدَمَا عَلِمْتُ أَنَّ الْقِيَادَةَ تَنْوِي تَجْمِيعِ «الشُّيُوخِ» أَيِ الْمُصَلِّينَ، كَمَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِمْ، وَوَضَعَهُمْ فِي مُعَسْكَرٍ خَاصٍّ يَفْصِلُ بَيْنَ مُعَسْكَرِ فَتْحٍ وَمُعَسْكَرِ تَنْظِيمِ شُيُوعِي مَنَافِسٍ، أُنْشِئَ مُؤَخَّرًا عَلَى مَسَافَةٍ لَيْسَتْ بِعِيدَةٍ. أَدْرَكْنَا أَنَّهَا مُحَاوَلَةٌ لِلتَّخْلُصِ مِنَّا نَحْنُ الشُّيُوخُ بِطَرِيقَةٍ لَطِيفَةٍ مِنْ خِلَالِ عَمَلِيَّاتٍ تَصْنِيفِيَّةٍ حِسَابَاتٍ بَيْنَ التِّيَّارَاتِ الْمُتَصَارِعَةِ.

لَقَدْ تَوَقَّفْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ وَبِأَوْامِرٍ مِنْ «أَبِي عَمَّارٍ» الْعَمَلِيَّاتِ ضِدَّ الْقُوَّاتِ الْيَهُودِيَّةِ. وَكَانَتْ الْعَمَلِيَّاتُ الْفِدَائِيَّةُ مُنْذُ التَّقَدُّمِ الْيَهُودِيِّ عِبَارَةً عَنْ تَسَلُّلِ مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ خَلْفَ خُطُوطِ الْعَدُوِّ لِزَرْعِ الْعُغَامِ عَلَى الطَّرِيقِ. وَمَعَ تَوَقُّفِ الْعَمَلِيَّاتِ أُغْلِقْتُ أَمَامِي فُرْصَةَ الْقِتَالِ ضِدَّ الْيَهُودِ، أَمَّا فُرْصَةُ الْقِتَالِ مَعَ الْحِيرَانِ مِنَ الْمُنْظَّمَاتِ الْآخَرَى وَحَتَّى أَعْدَاءِ الرَّبِّ مِنْ نَفْسِ الْمُنْظَّمَةِ، فَهِيَ

فُرْصٌ مُتَزَايِدَةٌ بِمُرُورِ الْوَقْتِ، لِهَذَا قَرَّرْتُ الرَّحِيلَ.

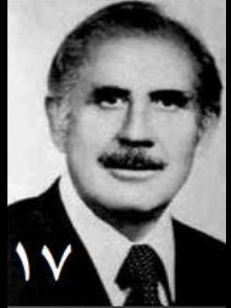
وَلَمْ أُدْرِكْ أَنْ خَبَرًا قَرَأْتُهُ بِدُونِ عِنَايَةٍ كَبِيرَةٍ كَانَ هُوَ بَرْنَامِجِي الْمُقْبِلَ لِلْعَامِ الْقَادِمِ وَحَتَّى أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا وَإِلَى وَقْتِ كِتَابَةِ هَذِهِ الْأُسْطُرِ، كَانَ الْخَبْرُ عَلَى صَدْرِ الصَّفْحَةِ الْأُولَى لِجَرِيدَةِ «النَّهَارِ» اللَّبْنَانِيَّةِ، وَيَقُولُ الْخَبْرُ أَنَّهُ فِي يَوْمِ ٢٧ أْبْرِيلِ عَامِ ١٩٧٨ م وَقَعَ انْقِلَابٌ عَسْكَرِيٌّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، قَادَهُ ضُبَّاطٌ مَارْكَسِيُونَ، أَعْلَنُوا أَفْغَانِسْتَانَ دَوْلَةً اشْتِرَاكِيَّةً. وَأَنَّ الضُّبَّاطَ الثَّائِرُونَ قَتَلُوا رَأْسَ الْجُمْهُورِيَّةِ «السَّرْدَارِ مُحَمَّدَ دَاوُدَ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ١٦] وَجَمِيعَ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ، وَأَعْلَنُوا «نُورَ مُحَمَّدَ طَرَقِي»^(٢) [صُورَةٌ رَقْمَ ١٧] رَأْسَ حِزْبِ «خَلْقِ» الشُّيُوعِيِّ

(١) السَّرْدَارُ مُحَمَّدُ دَاوُدُ خَانَ (١٨ يُولْيُو ١٩٠٩ م - ٢٨ أْبْرِيلِ ١٩٧٨ م): سِيَاسِيٌّ أَفْغَانِيٌّ شَغَلَ مَنْصِبَ رَأْسِ وُزَرَاءِ أَفْغَانِسْتَانَ فِي الْفَتْرَةِ ١٩٥٣ - ١٩٦٣ م، ثُمَّ قَامَ بِالْانْقِلَابِ عَلَى قَرِيْبِهِ الْمَلِكِ «مُحَمَّدَ ظَاهِرِ شَاه» وَأَنْهَى الْحُكْمَ الْمَلِكِيَّ لِلْبِلَادِ وَأَعْلَنَ نَفْسَهُ رَأْسًا عَامَ ١٩٧٣ م وَحَتَّى أَنْ اغْتِيلَ فِي عَامِ ١٩٧٨ م نَتِيجَةَ الْانْقِلَابِ الَّذِي قَامَ بِهِ الْحِزْبُ الدِّيْمُوقْرَاطِيُّ الشَّعْبِيُّ الْأَفْغَانِيَّ الشُّيُوعِيِّ.

(٢) نُورُ مُحَمَّدُ طَرَقِي (١٥ يُولْيُو ١٩١٣ م - ١٤ سِبْتَمْبَرِ ١٩٧٩ م): سِيَاسِيٌّ أَفْغَانِيٌّ شُّيُوعِيٌّ، دَرَسَ الْاِقْتِصَادَ السِّيَاسِيَّ فِي جَامِعَةِ «كَابُل» ثُمَّ أَكْمَلَ دِرَاسَتَهُ فِي جَامِعَتِي كُولُومْبِيَا وَهَارْفَارْدِ بِالْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ. انْضَمَّ إِلَى حِزْبِ «خَلْقِ» الشُّيُوعِيِّ مُنْذُ انْشِأَتْهُ فِي عَامِ ١٩٦٥ م، وَتَرَقَّى فِي الْمَنَاصِبِ حَتَّى شَغَلَ مَنْصِبَ الْأَمِينِ الْعَامِّ مِنْ ١٩٦٥ م إِلَى مِنْ وَقْتِ انْشِأَةِ الْحِزْبِ، وَحَتَّى وَقَاتِهِ فِي ١٩٧٩ م. قَادَ الْانْقِلَابَ الشُّيُوعِيَّ عَلَى «مُحَمَّدِ دَاوُدِ خَانَ» فِي ٢٧ أْبْرِيلِ ١٩٧٨ م، وَأَعْلَنَ رَأْسًا لِجُمْهُورِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ فِي ١ مَآيُو التَّالِي.



رَئِيسًا لِجُمْهُورِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ الْاِسْتِرَاقِيَّةِ. وَكَانَ
«السَّرْدَارُ مُحَمَّدُ دَاوُدَ» الْقَتِيلَ قَدْ انْقَلَبَ عَلَيَّ ابْنِ عَمِّهِ مَلِكِ
أَفْغَانِسْتَانَ السَّابِقِ «ظَاهِرُ شَاهٍ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ١٨] أَثْنَاءَ سَفَرِهِ
إِلَى الْخَارِجِ عَامَ ١٩٧٣ م، وَأَعْلَنَ الْبِلَادَ جُمْهُورِيَّةً لِأَوَّلِ
مَرَّةٍ فِي تَارِيخِهَا.



لَمْ أَهْتَمَّ كَثِيرًا بِالْخَبَرِ، لَمْ أَتَصَوَّرْ أَفْغَانِسْتَانَ أَكْثَرَ مِنْ
قَرْيَةٍ. وَأَتَذَكَّرُ مَلِكَهَا السَّابِقَ حِينَمَا زَارَ مِصْرَ عَامَ ١٩٦٠ م
وَأَلْقَى خِطَابًا فِي جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ بِصُحْبَةِ «جَمَالِ عَبْدِ
النَّاصِرِ»، وَكُنْتُ طَالِبًا بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ الثَّانَوِيِّ، وَحَضَرَ
الْاِحْتِفَالَ مِثَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْ طُلَّابِ وَطَالِبَاتِ الثَّانَوِيِّ
وَالْجَامِعَاتِ. وَأَتَذَكَّرُ أَنَّ خِطَابَ الْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ مُثِيرًا لَنَا،



بَلْ كَانَ مُمِلًّا لِلْغَايَةِ حَتَّى أَنَّنَا تَعَمَّدْنَا مُضَايِقَتَهُ وَمُقَاطَعَتَهُ بَعْدَ كُلِّ جُمْلَةٍ بِتَصْفِيحِي
حَادًّا لَا دَاعِي لَه؛ فَنَحْنُ لَا نَفْهَمُ مَا يَقُولُهُ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَالتَّرْجَمَةُ إِلَى
العَرَبِيَّةِ بَطِيئَةٌ وَرَكِيكَةٌ، وَكَادَ زِمَامُ الْوَقَارِ فِي الْحَفْلِ [أَنْ يَفْلِتَ]، وَأَنْ يَعْجَزَ

(١) مُحَمَّدُ ظَاهِرُ شَاهٍ (١٦ أَيْسَبَرِ ١٩١٤ م - ٢٣ يُولْيُو ٢٠٠٧ م): آخِرُ الْمُلُوكِ الْأَفْغَانِ، تَوَلَّى الْحُكْمَ فِي
عَامِ ١٩٣٣ م بَعْدَ اغْتِيَالِ وَالِدِهِ الْمَلِكِ «مُحَمَّدِ نَادِرِ شَاهٍ»، وَكَانَ حِينَهَا فِي التَّاسِعَةِ عَشْرَ مِنْ عُومِرِهِ.
انْقَلَبَ عَلَيْهِ «مُحَمَّدُ دَاوُدَ حَانَ» فِي عَامِ ١٩٧٣ م أَثْنَاءَ وُجُودِهِ خَارِجَ الْبِلَادِ لِإِجْرَاءِ عَمَلِيَّةِ جِرَاحِيَّةٍ.

الْمَلِكُ عَنِ مُتَابَعَةِ الْخِطَابِ. وَتَمَادَيْنَا فِي الشَّوْشَرَةِ عَلَيْهِ، وَأَغْرَانَا بِهِ مَظْهَرُهُ
الَّذِي لَا يُلَايِمُ مَلِكًا بِقَدْرِ مَا يُلَايِمُ «مُدِيرَ مَصْلَحَةٍ». كَانَ نَحِيلاً وَطَوِيلاً، يَرْتَدِي
بِدَلَّةٍ دَاكِنَةٍ أَوْسَعِ قَلِيلاً مِنْ مَقَاسِهِ، حَتَّى أَنْ أَحَدَ زُمَلَانِنَا النُّجَبَاءِ هَمَسَ بَيْنَنَا بِأَنَّ
جَلَالَتَهُ قَدْ اسْتَأْجَرَ هَذِهِ الْبِدَلَةَ مِنْ عِنْدِ «الْمَكُوجِيِّ»، فَسَقَطْنَا تَحْتَ الْكِرَاسِيِّ
نُغَالِبُ الضَّحِكَ وَنَكْتُمُهُ بِصُعُوبَةٍ. أَوْشَكَ الْمَوْقِفُ عَلَى الْانْفِجَارِ وَالْفَوْضَى،
وَكَانَ طُلَّابُ الثَّانَوِيِّ يَحْتَلُّونَ الطَّابِقَ الْعُلُويَّ لِقَاعَةِ الْاِحْتِفَالَاتِ. سَكَتَ
الْمَلِكُ قَلِيلاً، فِي احْتِجَاجٍ مُهَذَّبٍ عَلَى الْهَرَجِ فِي الطَّابِقِ الْعُلُويِّ، فَظَنَرْنَا



نَسْتَطْلِعُ لِمَاذَا سَكَتَ فَوَجَدْنَاهُ يَنْظُرُ سَاهِمًا
إِلَى الطَّائِلَةِ الَّتِي أَمَامَهُ، بَيْنَمَا الزَّعِيمُ
«نَاصِرٌ» الْجَالِسُ إِلَى يَمِينِهِ يُوجِّهُ إِلَيْنَا نَظْرَةً

نَارِيَّةً، جَعَلْتَنَا تَرْتَجِفُ هَلَعًا، وَنَكْتُمُ أَنْفَاسَنَا وَلَيْسَ ضَحْكَاتِنَا فَقَطُ، وَنَعُدُّ
الثَّوَانِي عَلَى انْتِهَاءِ الْحَفْلِ الَّذِي مَا أَنْ انْتَهَى بَعْدَ مُتَّصِفِ اللَّيْلِ حَتَّى وَلَيْنَا
نَعْدُو إِلَى بُيُوتِنَا، وَنَخْتَارُ الطُّرُقَ الْمَجْهُولَةَ وَالْمَتَشَعِّبَةَ مِنْ حَوَارِي مَدِينَةِ
«الْجِيزَةِ»، وَقَدْ تَوَقَّعْنَا أَنْ تُطَارِدَنَا مُخَابِرَاتُ الزَّعِيمِ، وَتَضَعَنَا فِي أَقْبِيَةِ التَّعْذِيبِ
الَّتِي لَا يَجْهَلُهَا أَحَدٌ فِي مِصْرَ. [جَمَالُ عَبْدِ النَّاصِرِ مَعَ مَلِكِ أَفْغَانِسْتَانَ مُحَمَّدٍ ظَاهِرِ شَاهٍ:

صُورَةٌ رَقْمٌ ١٩]

ابْتَسَمْتُ لِهَذِهِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُضْحِكَةِ لِشَقَاوَةِ الْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ، وَتَعَجَّبْتُ
لَاهِتَمَامِ الصَّحِيفَةِ بِالْخَبْرِ وَوَضْعِهِ فِي صَفْحَتِهَا الْأُولَى، مَعَ صُورَةِ لِلرَّئِيسِ

الجديد «طريقي» بوجهه الشاحب وشعره الأشقر الأسيب وشاربه الكثيف .
 فأبي أهمية لذلك البلد المجهول [ذي] الانقلابات المتتابعة؟ ولم هذا
 الاهتمام بدولة يستأجر ملكها بدلة من عند المكوحي؟ . ملك غير مُفنع لأحد
 ولا يتقن الخطابة حتى أضحكنا، وكدنا أن نَفقد بسببه مُستقبلنا الدراسي في
 ذلك الاحتفال التاريخي لعيد العلم في جامعة «القاهرة» في تلك السنة
 الغابرة ١٩٦٠م .

وكم كنت مُخطئاً في ذلك الظن، فكم كانت أفغانستان هامة جداً على
 مُستوى حياتي الشخصية حتى الآن، وعلى المُستوى الدولي منذ ذلك
 الانقلاب وحتى ٢٧ أبريل ١٩٩٢م حينما انهار النظام الشيوعي هناك . لأربعة
 عشر عاماً كاملة كانت أفغانستان حديث العالم، بل أنها - على صغرها
 وضالة شأنها في نظري - غيرت خريطة العالم السياسية، وكانت نقطة البداية
 لما يعيشه العالم من أحداث في وقتنا الراهن .

عُدت إلى «أبو ظبي»، وقابلت «إسماعيل» الذي عاد قبلي بحوالي شهر،
 وجلسنا نداول في الأمر ونحدد عناصر الموقف كالاتي:

- ١ . العمل في صفوف «فتح» لن يحقق لنا ما نطمح إليه من الجهاد ضد
 اليهود، ولا بد من أن نبذل مجهوداً ونبحث عن طرق لإيجاد هذه الرأية .
- ٢ . المنظمات الفلسطينية ليست سوى العوبة لطمس الطابع الديني للقضية

الْفَلَسْطِينِيَّةَ، أَمَّا الْأَنْظِمَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ الْحَارِسُ الْحَقِيقِيُّ لِأَمْنِ إِسْرَائِيلَ وَصَانِعُ انْتِصَارَاتِهَا وَمَجْدِهَا، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اسْتِعَادَةَ الطَّابِعِ الْإِسْلَامِيِّ لِقَضِيَّةِ فَلَسْطِينِ سَوْفَ يَجْعَلُ الصَّدَامَ حَتَمِيًّا مَعَ الْأَنْظِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

٣. الشُّعُوبُ الْمُسْلِمَةُ تَتَعَرَّضُ لِلْمَذَابِحِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِعِ، فَلَسْطِينِ، لُبْنَانَ، الصُّومَالَ، الْفِيلِيبِينَ، الْهِنْدَ... إلخ، وَلَنْ يَجِدُوا حِمَايَةً مِنْ أَيِّ جِهَةٍ دَوْلِيَّةٍ أَوْ حُكُومَاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ. وَعَلَى هَذَا يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ عَلَى تَجْهِيزِ «قُوَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ» مِنْ الشَّبَابِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُدْرَبِ كَيْ يَتَدَخَّلَ لِتَقْدِيمِ الْعَوْنِ لِلدَّفَاعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَوَاضِعِ الْأَزْمَاتِ.

٤. جَمَاعَةُ «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ» أَصَابَهَا الْوَهْنُ لِأَسْبَابٍ عَدِيدَةٍ، وَلَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى حَمْلِ لَوَاءِ الْجِهَادِ وَمُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَّاتِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى شُعُوبِنَا، لِهَذَا فَإِنَّ الْأَجْيَالَ الْجَدِيدَةَ بَدَأَتْ تَبْحَثُ عَنْ طُرُقٍ أُخْرَى وَتَكْوِينِ جَمَاعَاتٍ جَدِيدَةٍ قَادِرَةٍ عَلَى تَحَدِّيِ التَّهْدِيدِ الْيَهُودِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ. وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الْخِبْرَاتِ الْقِتَالِيَّةَ الْقَدِيمَةَ لِلْإِخْوَانِ لَا غِنَى عَنْهَا فِي تَكْوِينِ «الْقُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» الْمُنَشُودَةِ.

٥. لَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ سَاحَةِ مُنَاسِبَةٍ لِتَجْمِيعِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ وَتَدْرِيبِهِمْ وَتَنْظِيمِهِمْ ثُمَّ تَحْرِيكِهِمْ لِلْعَمَلِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَطْلُوبَةِ، وَإِذَا كَانَتْ السَّاحَةُ اللَّبْنَانِيَّةُ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِهَذَا الْعَمَلِ - وَلَوْ أَنَّنَا مَا زِلْنَا نَرَى فِيهَا اِحْتِمَالًا وَلَوْ صَغِيرًا - فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ سَاحَةِ أُخْرَى، وَأَنْ نَجِدَ وَسِيلَةً لِإِقْنَاعِ

«الإخوان» بهذا المشروع والمساهمة فيه بخبراتهم وكوادِرهم البشريَّة التي هي بالتأكيد الوحيدة تقريبًا في هذا المجال على الساحة الإسلاميَّة، ونقصدُ بهم بقايا مجاهدي ١٩٤٨ م وحرب القنّاة في ١٩٥١ م في مصر.

كانت ظروف «الإخوان» مؤاتية في ذلك الوقت في معظم دول الخليج واليمن الشمالي، وصادفوا اتساعاً أفقيّاً ملحوظاً داخل مصر. كان معلوماً أنّ وزارتي التربيّة والشؤون الدينيّة والأوقاف [في «أبو ظبي»] هما رهنٌ تصرف «الإخوان»، والآن وزيرَي التربيّة والأوقاف هما من «الإخوان المواطنين» أي أهل البلد. وفي اليمن كانت وزارة التربيّة أيضاً رهنٌ تصرفهم، أمّا الأعمال الحرّة فقد كان العديد منهم قد وصلوا فيها إلى مراتب مُتقدّمة، خاصّةً أولئك الذين فروا من اعتقالات «عبد الناصر» عام ١٩٥٤ م.

كان يعمل في «أبو ظبي» عددٌ من البارزين في حركة «الإخوان» من مختلف الجنسيّات. حاولنا بشكلٍ مباشرٍ أو غيرٍ مباشرٍ وباستخدام واسطةٍ مناسبة أن نستطلع رأي «الإخوان» المصريين بالنسبة للجهاد ضد اليهود، أو لمساعدة المسلمين المنكوبين بالمذابح. وبوجه عام كان الناتج سلبياً رغم الترحيب النظري بالفكرة، بل والتأكيد على أنّ الجهاد هو من صلبٍ منهج «الإخوان». وكانت حجّتهم في الإحجام عن الحركة هو الخوف من الحكومة أن تنكل بهم قبل أن يستكملوا بُنيانهم، خاصّةً إذا شعروا بمثل هذا

التَّحَرُّكِ العَسْكَرِيِّ. أَمَّا عَنِ السَّاحَةِ المِصْرِيَّةِ وَالجِهَادِ فِيهَا ضِدَّ اليَهُودِ وَ «السَّادَاتِ»، فَكَانَ اعْتِرَاضُهُمْ أَنَّ الصَّفَّ الإسلاميَّ غَيْرُ مَوْحِدٍ، وَالجَمَاعَاتِ أَصْبَحَتْ لَا حَضَرَ لَهَا، وَأَنَّ «الإِخْوَانَ» يُحَاوِلُونَ تَوْحِيدَ الحَرَكَةِ تَحْتَ رَايَتِهِمْ حَتَّى يَتِمَّ كُنُوفَا مِنَ الجِهَادِ. بِمِثْلِ هَذِهِ الأَعْدَارِ وَغَيْرِهَا فَهَمْنَا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَعِدِّينَ لِلسَّيْرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَمَعَ هَذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ.

مِنْ دَائِرَةِ الأَصْدِقَاءِ اكْتَسَبْنَا شَخْصِينَ مُتَعَاظِفِينَ مَعَ الفِكْرَةِ. وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا تَصَوُّرٌ عَمَلِيٌّ وَاصِحٌّ وَلَا إِمْكَانِيَّةٌ لِلتَّنْفِيذِ بِدُونِ أَنْ يَتَّبِعِيَ الفِكْرَةَ تَنْظِيمٌ كَبِيرٌ وَقَوِيٌّ كَ «الإِخْوَانَ»، لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ نُقْنِعَ غَيْرَ القَلِيلِينَ بِالوَجَاهَةِ الفِكْرِيَّةِ لِلْمَوْضُوعِ، أَمَّا التَّنْفِيذُ العَمَلِيُّ فَقَدْ وَقَفْنَا تَائِهِينَ حَتَّى جَاءَتْنا فِجَاءَةً الفُرْصَةُ الَّتِي نَنْتَظِرُهَا، وَمِنْ النَّاحِيَةِ الَّتِي لَمْ نَتَوَقَّعْهَا بِالمَرَّةِ، أَفْغَانِسْتَانَ.

فِي المَسْجِدِ الصَّغِيرِ لِسُوقِ «أَبُو ظَبْيِ» القَدِيمِ تَعَرَّفْنَا عَمَلِيًّا عَلَى أَوَّلِ الخُيُوطِ الَّتِي أَوْصَلْتَنَا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ. كَانَ إِمَامُ المَسْجِدِ شَيْخًا أَفْغَانِيًّا تَجَاوَزَ السَّبْعِينَ، وَكَانَ يَعْمَلُ قَاضِيًّا فِي مَدِينَةِ «هَيْرَاتِ»، وَهُوَ - كَمَا قَالَ لَنَا - مِنْ السُّلَالَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ وَيُدْعَى «السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ». كَانَ وَفُورًا مَحْبُوبًا، قِرَاءَتُهُ لِلقُرْآنِ مُؤَثَّرَةٌ؛ فَاجْتَذَبَتْ إِلَى مَسْجِدِهِ كَثِيرِينَ. أَمَّا مُؤَدِّنُ المَسْجِدِ فَهُوَ وَلَدُهُ «السَّيِّدُ أَحْمَدٌ» وَهُوَ شَابٌّ قَوِيٌّ البُنْيَةُ لَطِيفُ المَعَشَرِ، لَهُ أُخٌ وَحِيدٌ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرٍ يُحَاوِلُ جَاهِدًا العُثُورَ عَلَى فُرْصَةٍ لِدرَاسَةِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ فِي

الْمَدَارِسِ الْمَحَلِّيَّةِ. كُنَّا نَجْلِسُ مَعَ الشَّيْخِ وَابْنَاهُ فِي غُرْفَتِهِمْ الصَّيِّقَةِ جِدًّا دَاخِلَ الْمَسْجِدِ كَيْ يُحَدِّثَنَا عَنْ أَفْغَانِسْتَانَ وَمَا يَجْرِي فِيهَا.

كَانَتْ الصُّحُفُ الْعَرَبِيَّةُ وَوَكَالَاتُ الْأَنْبَاءِ تَنْقُلُ أَطْرَافًا عَنِ الْأَحْدَاثِ الدَّامِيَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَتُحَدِّثُ بِأَنَّهَا «كُوبَا» جَدِيدَةٌ فِي الْمَنْطِقَةِ. وَكَالْعَادَةِ فَإِنَّ الصُّحُفَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ بَدَأَتْ تُتْرَجِّمُ عَنْهَا نَفْسَ الْكَلَامِ وَتُطْلِقُ نَفْسَ التَّحْذِيرَاتِ. وَعَرَفْنَا أَخْبَارَ الْمَقَاوِمَةِ الشَّعْبِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ لِلنِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ الدَّمَوِيِّ وَظَهَرَ مُصْطَلَحُ «الْجِهَادِ» وَ«الْمُجَاهِدُونَ» فِي صُحُفِ الْغَرْبِ وَالصُّحُفِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَاسْتَيْقَظَتْ كُلُّ حَوَاسِّنَا، وَبَدَأْنَا فِي مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ عَنِ كِتَابٍ وَمِنْ كُلِّ الْمَصَادِرِ الْمُمْكِنَةِ.

قَرَرْتُ مَعَ صَدِيقِي «إِسْمَاعِيلَ» أَنَّ الدَّهَابَ إِلَيَّ أَفْغَانِسْتَانَ أَصْبَحَ ضَرُورِيًّا، فَرُبَّمَا يَأْتِي الْحَلَّ الَّذِي نَنْتَظِرُهُ مِنْ هُنَاكَ. وَتَأَكَّدْنَا مِنْ «السَّيِّدِ طَاهِرٍ» مِنْ قِيَامِ حَرَكَةِ جِهَادٍ قَوِيَّةٍ يَرَأْسُهَا عُلَمَاءٌ، يُقَاتِلُونَ بِبَطُولَةٍ جُيُوشَ الْحُكُومَةِ الْمَارَكِسِيَّةِ، وَأَنَّ قُرَى بأكملها تُبَادُ وَيُدْفَنُ عُلَمَاءُ وَطُلَّابٌ عِلْمٍ أَحْيَاءٌ، وَأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ لِكُلِّ شَيْءٍ لِمُوَاجَهَةِ الآلَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ لِلدَّوْلَةِ الْمَدْعُومَةِ مِنْ «مُوسْكُو».

ذَهَبْنَا لِزِيَارَةِ الشَّيْخِ «طَاهِرٍ» مَعَ عَدَدٍ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُهْتَمِّينَ بِمَا يَحْدُثُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، فَوَجَدْنَاهُ يَسْتَضِيفُ وَفْدًا قَدِيمَ مُؤَخَّرًا مِنْ هُنَاكَ، خَمْسَةَ عُلَمَاءَ

يُرَاسُهُمْ «مَوْلَى آدَمَ» وَهُوَ شَيْخٌ نَحِيفٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ يَرْتَدِي نَظَّارَةً طَبِيَّةً سَمِيكَةً مِنَ النَّوْعِ الرَّخِيسِ. كَانَ هُوَ الْوَحِيدُ مِنْ بَيْنِهِمُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ التَّفَاهُمَ بِعَرَبِيَّةٍ فَصِيحَةٍ لَا تَخْلُو مِنْ أخطاءٍ. كَانُوا جَمِيعًا مِنْ وِلَايَةِ «بَاكْتِيَا». كَانَ الْوَفْدُ جَمِيعًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْعُلَمَاءِ، وَقَدْ شَارَكُوا فِي مَعَارِكِ الْأَشْهُرِ الْمَاضِيَةِ. وَحَدَّثُونَا كَثِيرًا عَنْ وَقَائِعِ الْقِتَالِ وَفَطَائِعِ الْحُكْمِ الشُّيُوعِيِّ، وَفُؤَةِ الْجَيْشِ وَمُعَدَّاتِهِ الْحَدِيثَةِ، وَانْتِصَارَاتِهِمْ عَلَى الشُّيُوعِيِّينَ فِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ وَأَحْدَاثٍ عَجِيبَةٍ صَادَفَتْهُمْ فِي الْجِهَادِ.

كَانَ سُقُوطُ الشَّاهِ فِي إِيرَانَ وَانْتِصَارُ «الثَّوْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» سَبَبًا كَبِيرًا فِي ارْتِفَاعِ الْمَعْنَوِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ. وَبِالنَّسْبَةِ لَنَا بِوَجْهِ خَاصٍّ، فَقَدْ شَعَرْنَا أَنَّ مَشْرُوعَنَا الْجِهَادِيَّ لَيْسَ خَيَالِيًّا كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ. وَفِي الشَّهْرِ التَّالِيِ لِسُقُوطِ الشَّاهِ تَعَرَّضْتُ مَدِينَتَهُ «هَيْرَات» الْأَفْغَانِيَّةَ لِمَجْرَرَةِ هَائِلَةٍ رَاحَ ضَحِيَّتُهَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَيْدِي الْقُوَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ الَّتِي يَدْعُمُهَا طَيْرَانٌ سُوفِيَّتِي^(١)، وَكَانَتْ أَخْبَارُ «هَيْرَات» تَصِلُ بِالتَّفْصِيلِ إِلَى «الشَّيْخِ طَاهِرِ»

(١) انْتِفَاضَةُ هَيْرَات: عَصِيَانٌ مَدِينِيٌّ قَامَ بِهِ سُكَّانُ الْمَدِينَةِ بِمُشَارَكَةِ قُوَّاتِ الْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ الْمُوَاجِدَةِ بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا، بَدَأَتْ الْانْتِفَاضَةُ أَوَّلًا بِوِلَايَةِ «نُورِسْتَانَ» فِي مَآيُو ١٩٧٨م، وَكَانَتْ ضِدًّا لِسِيَاسَاتِ الْإِصْلَاحِ الزَّرَاعِيِّ الَّتِي تَتَّبَعُهَا الْحُكُومَةُ، حَيْثُ كَانَتْ تَلِكُ السِّيَاسَاتُ مُخَالَفَةً لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتُوَدِّي إِلَى زِيَادَةِ فَقْرِ الْمُزَارِعِينَ. انْدَلَعَتْ عِدَّةُ ثَوْرَاتٍ فِي «هَيْرَات»، وَلَكِنَّ الْانْتِفَاضَةَ

وَنَسْتَمِعُهَا مِنْهُ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ.

بَدَأَ فَضْلَ الرَّبِيعِ، وَحَدَّدْتُ مَعَ «إِسْمَاعِيلَ» مَوْعِدًا تَقْرِيبيًّا لِلسَّفَرِ مَعَ بَدَايَةِ الصَّيْفِ، وَحَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عِدَّةَ مَشَاكِلٍ، مِنْهَا تَوْفِيرُ مَبَالِغٍ لِشِرَاءِ أَسْلِحَةٍ لَنَا. فِي رِحْلَةِ «بِيرُوتَ» السَّابِقَةِ لَمْ نَكُنْ مُضْطَرِّينَ لِشِرَاءِ السَّلَاحِ فَقَدْ كَانَ مُتَوَفِّرًا بِكَثْرَةٍ لَدَى فَتْحِ، أَمَّا هُوَ لَاءِ فَأَسْلِحَتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَقَدِيمَةٌ، وَطَبَقًا لِمَا أَفَادَنَا بِهِ الْوَفْدُ الْأَفْغَانِيَّ فَإِنَّ الْأَسْلِحَةَ مُتَوَفِّرَةٌ فِي أَسْوَاقِ الْمَنْطِقَةِ الْقَبَلِيَّةِ فِي بَاكِسْتَانَ، وَهِيَ مُلَاصِقَةٌ لِلْحُدُودِ الْأَفْغَانِيَّةِ. الْمَشْكِلةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ ضَرُورَةُ انْضِمَامِ أَشْخَاصٍ جُدِّدِ إِلَيْنَا، فَلَا تَبْقَى «الْقَضِيَّةُ» جَامِدَةً وَمَحْصُورَةً فِي شَخْصَيْنِ فَقَطْ. الْمَشْكِلةُ الثَّلَاثَةُ حَاجَتُنَا إِلَى دَلِيلٍ يَعْبُرُ بِنَا بَاكِسْتَانَ وَيُوصِلُنَا إِلَى مَكَانِ الْمُجَاهِدِينَ.

بِالنِّسْبَةِ لِلْمَشْكِلةِ الْأُولَى كُنَّا سَوِيًّا نُعَانِي مِنْ أَرْمَةِ مَالِيَّةٍ نَتِيْجَةُ لِمَشَاكِلِ فِي الْعَمَلِ وَاجْهَتْنَا بَعْدَ الْعُودَةِ مِنْ لُبْنَانَ. أَمَّا الْمَشْكِلةُ الثَّانِيَّةُ فَكَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْنَا هُمَا شَابَانٍ مِنْ مِصْرَ «بَدَوِيٍّ» وَ «جَمَالٍ»، وَكِلَاهُمَا مُرْتَبَطٌ عَائِلِيًّا بِالذَّهَابِ

الكبرى بدأت في ١٥ مارس ١٩٧٩م، وقد لجأت الحكومة الشيعية إلى قصف المدينة بالقنابل مما أدى إلى تدميرها بشكل كبير وسقوط ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف قتيل في أقل التقديرات، و ٢٥ ألف قتيل في أكثر التقديرات.

إِلَى مِصْرَ مَعَ الْأُسْرَةِ فِي الْإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ. وَمِنْ الْمُصَادَفَاتِ السَّعِيدَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الَّتِي قَابَلْتُ فِيهَا ذَلِكَ الشَّابَّ الصَّعِيدِيَّ «أَحْمَدَ الْمِنْيَاوِيَّ» فِي مَنْزِلِ صَدِيقِي «أَمِينِ نَارٍ». كَانَ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ مَتِينَةٌ، وَجَمَعَتْهُمَا الْجُدُورُ «الْإِخْوَانِيَّةُ» الْقَدِيمَةُ فِي عَائِلَتَيْهِمَا؛ فَ«أَحْمَدُ» هُوَ ابْنُ «الْحَاجِّ حُسْنِيِّ الْمِنْيَاوِيَّ»^(١) الْمُجَاهِدِ الْقَدِيمِ فِي فَلَسْطِينَ وَالْعُضْوِ السَّابِقِ فِي الْقِسْمِ الْخَاصِّ بِ«الْإِخْوَانِ». وَ«أَمِينُ» مِنْ عَائِلَةِ إِخْوَانِيَّةٍ مُتَأَصِّلَةٍ، خَالُهُ الشَّيْخُ «عَبْدُ الْبَدِيعِ صَقْرُ»، وَعَمُّهُ «أَحْمَدُ نَارٍ»^(٢) مِنْ الْعَسْكَرِيِّينَ الْبَارِزِينَ فِي إِخْوَانِ ١٩٤٨ مَ وَمُؤَلَّفُ كِتَابِ «الْقِتَالُ فِي الْإِسْلَامِ»، وَهُوَ اسْمٌ غَرِيبٌ فِي عَالَمِ الْكُتُبِ.

اكتشفتُ فيما بعدُ الصِّفَاتَ الَّتِي رَبَطَتْ كِلَا الشَّابَّيْنِ فِي صَدَاقَةٍ قَوِيَّةٍ، فَكِلَاهُمَا كَرِيمٌ إِلَى دَرَجَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ، وَكِلَاهُمَا ذَكِيٌّ وَلَمَّاحٌ، وَكِلَاهُمَا جَسُورٌ مُقَدِّمٌ. أَمَّا «أَحْمَدُ» [فَكَانَتْ] لَهُ مِيزَةٌ إِضَافِيَّةٌ هِيَ مَوْجَاتُ الْغَضَبِ الَّتِي تَتَّبَعُهُ

(١) يَقُولُ الْمُجَاهِدُ مُصْطَفَى حَامِدٌ مُعَلِّقًا: «الْحَاجُّ حُسْنِيُّ الْمِنْيَاوِيَّ: بَدَأَ الْجِهَادَ فِي فَلَسْطِينَ قَبْلَ إِعْلَانِ الْحَرْبِ رَسْمِيًّا وَذُحُولِ الْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ وَمُتَطَوُّعِي «الْإِخْوَانِ». وَقَدْ أُصِيبَ بِجُرُوحٍ بَلِيغَةٍ أَثْنَاءَ الْحَرْبِ نَتِيجَةَ انفِجَارِ مُصَفَّحَةٍ كَانَتْ قَدْ صَنَعَهَا بِنَفْسِهِ وَهَاجَمَ بِهَا مُسْتَعْمَرَةَ يَهُودِيَّةً، لَكِنَّ مُصَفَّحَتَهُ الْيَهُودِيَّةَ [الصُّنْعِ] لَمْ تَصُدِّدْ لِلنِّيرانِ الْيَهُودِيَّةِ. تُوُفِّيَ الْحَاجُّ «حُسْنِيُّ» بَعْدَ وُضُؤِهِ إِلَى مِصْرَ بَعْدَةَ أَيَّامٍ فِي مَآيُو ١٩٩٤ مَ، وَعَاشَ هَارِبًا مِنْ مِصْرَ لِكَوْنِهِ مَطْلُوبًا بِتَهْمَةِ الْجِهَادِ فِي فَلَسْطِينَ».

(٢) يَقُولُ الْمُجَاهِدُ مُصْطَفَى حَامِدٌ مُعَلِّقًا: «أَحْمَدُ نَارٍ: شَارَكَ فِي حَرْبِ فَلَسْطِينَ، اعْتَقَلَهُ نِظَامُ «عَبْدِ النَّاصِرِ»، وَأَنْهَارَتْ صِحَّتُهُ نَتِيجَةَ التَّعْذِيبِ، وَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ خُرُوجِهِ مِنَ الْمُعْتَقَلِ بَعْفُو صَحِّي».

فَجَاءَهُ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ وَقْتَهَا أَنْ يَخْتَبِيَ خَلْفَ أَقْرَبِ سَاتِرٍ، وَلَكِنَّهُ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَى طَبِيعَتِهِ وَيَشْعُرَ بِالنَّدَمِ. وَرُغِمَ تِلْكَ «الانْفِجَارَاتِ الْمِنْيَاوِيَّةِ» إِلَّا أَنَّهُ كَانَ الْأَكْثَرَ فَيَمَنْ عَرَفْتُ شُعُورًا بِالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ.

شَعَرْتُ أَنَّ «أَحْمَدَ» يَعِيشُ نَفْسَ الْحَالَةِ الشُّعُورِيَّةِ لِلْمُسْلِمِ النَّائِبِ الْعَائِدِ حَدِيثًا إِلَى دِينِهِ، تِلْكَ الْحَالَةُ الرَّوْحَانِيَّةُ الْعَالِيَةُ، وَالْحَمَاسُ لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ الْإِسْلَامِ. وَكَانَ هَذَا هُوَ الرِّبَاطُ الَّذِي جَمَعَ ثَلَاثَتَنَا أَنَا وَ «إِسْمَاعِيلَ» وَ «أَحْمَدَ». أَمَّا صَدِيقِي «أَمِينٌ» فَكَانَ يَعِيشُ حَالَةَ إِسْلَامِيَّةٍ مُسْتَقَرَّةً مُنْذُ وِلَادَتِهِ، وَقَدْ أَشْرَفَ الشَّيْخُ «عَبْدُ الْبَدِيعِ» عَلَى تَرْبِيَّتِهِ؛ لِهَذَا لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ نَفْسُ الرُّوحِ الْمُتَدَفِّعَةِ الَّتِي انْتَابَتْنَا، بَلْ حَذَرَنِي مِنْ تَكَرُّرِ الذَّهَابِ إِلَى لُبْنَانَ وَتَرْكِ عَائِلَتِي، وَهَدَّدَنِي مَارِحًا بِأَنَّهُ سَيَمْنَعُنِي بِالْقُوَّةِ، وَكَانَ طَوِيلَ الْقَامَةِ ضَخْمَ الْجِسْمِ، وَلَكِنَّهُ - وَالْحَقُّ يُقَالُ - كَانَ مُتَعَاطِفًا إِلَى أَقْصَى حَدِّ مَعَ «مُغَامِرَاتِي الْجِهَادِيَّةِ»، وَكَانَ يُكْثِرُ الدُّعَاءَ لِي وَالسُّؤَالَ عَنْ أَحْوَالِي.

تَحَدَّثْنَا فِي جَلْسَتِنَا تِلْكَ عَنْ مَشْرُوعَاتِنَا، «أَمِينٌ» كَانَ يُخَطِّطُ لِإِصْدَارِ كُتَيْبَاتٍ صَغِيرَةٍ وَمُبَسَّطَةٍ فِي أَحْكَامِ الْعِبَادَاتِ، أَمَّا «أَحْمَدُ» فَكَانَ أَكْثَرَ حَرَكَيةً وَكَانَ يُفَكِّرُ فِي رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ فَوْقَ جَمَلٍ يَطُوفُ فِي بُلْدَانِ آسِيَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ. وَكَانَ مَشْرُوعِي هُوَ الْجِهَادُ؛ لِأَنَّ أُمَّمَ الْكُفْرِ تَأْكُلُنَا كَقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ، وَأَنَّا سَوْفَ نُبَادُ وَنَذْبِحُ كَالْخِرَافِ إِذَا لَمْ نُقَاتِلْ. بَعْدَ انْتِهَاءِ الْجَلْسَةِ وَدَعْنَا

«أَمِينٌ» وَخَرَجْتُ مَعَ «أَحْمَدَ» سَيْرًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَتَحَدَّثْنَا فِي الطَّرِيقِ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ السَّفَرَ مَعِيَ لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. انْدَهَشَ لِلفِكْرَةِ وَلِكُونِي لَمْ أَعْرِضُ الْأَمْرَ عَلَى «أَمِينٍ»، وَلَكِنْ مَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقٌ مَعْدُودَةٌ حَتَّى وَافَقَ بِحِمَاسٍ، وَطَلَبَ مُهَلَّةَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ جَوَازَ سَفَرٍ جَدِيدًا. لَمْ تَكَدْ الدُّنْيَا تَسْعُنَا أَنَا وَ«إِسْمَاعِيلَ» بِهَذَا التَّقَدُّمِ، إِنَّ رِحْلَتَنَا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ كَسَبَتْ عُضْوًا جَدِيدًا، وَبَعْدَ أَنْ كُنَّا اثْنَيْنِ فَقَطْ عِنْدَ سَفَرِنَا إِلَى لُبْنَانَ لِلجِهَادِ عَامَ ١٩٧٨ م، فَهَا نَحْنُ نَخْرُجُ عَامَ ١٩٧٩ م لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ. إِنَّ «مَشْرُوعَنَا» يَتَقَدَّمُ، وَزَادَ عَدَدُ الْأَعْضَاءِ بِنِسْبَةِ خَمْسِينَ فِي الْمِائَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً.

أَمَّا الْمَشْكَالَةُ الثَّلَاثَةُ، مَنْ يُرَافِقُنَا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ؟، فَقَدْ بَدَأَتْ تُحَلُّ تَدْرِيجِيًّا؛ فَقَدْ سَافَرَ إِلَى هُنَاكَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» ابْنُ الشَّيْخِ «طَاهِرٍ» بِصُحْبَةٍ وَفَدِ الْمُجَاهِدِينَ، وَعَادَ بَعْدَ عِدَّةِ أَسَابِيعَ مُحَمَّلًا بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الصُّوَرِ الْمُلوَنَةِ الَّتِي قَطَعَهَا هُنَاكَ، وَمَعَهُ رَسَائِلُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ قَائِدِ الْمَنْطِقَةِ الَّتِي زَارَهَا وَيُدْعَى «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي». كَانَتْ الرِّسَائِلُ تَصِفُ الْأَحْوَالَ الصَّعْبَةَ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَأَنْتِصَارَاتِهِمْ رُغْمَ ذَلِكَ، وَتَطَلَّبُ الْعَوْنِ وَالْمَدَدِ. أَمَّا الصُّوَرُ فَكَانَتْ تُعَبِّرُ بِطَرِيقَتِهَا عَنِ نَفْسِ الْمَعْنَى.

وَلَمْ أَتَخَيَّلْ وَأَنَا أَطَالِعُ الصُّوَرِ أَنَّنِي سَتَرْتُ بَطْنِي يَوْمًا مَا صَدَقَاتُ قُوَّتِهِ مَعَ أَصْحَابِهَا، وَأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَوْفَ يُسْتَشْهَدُونَ تَبَاعًا، أَوْ أَنَّ قَائِدَهُمْ «جَلَّالُ

الدِّينِ « سَتَرِ بَطْنِي بِهِ أَحْدَاثٌ طَوِيلَةٌ وَصِدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَمَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، أَوْ أَنَّ تِلْكَ الصُّخُورَ الصَّلْدَةَ وَالْأَشْجَارَ الْخَضْرَاءَ الَّتِي تَكْسُو الْجِبَالَ سَوْفَ تَتْرُكُ بَصْمَاتِهَا عَلَى جَسَدِي وَفِي أَعْمَاقِ ذَاكِرَتِي، أَوْ أَنَّ أَفْغَانِسْتَانَ سَوْفَ تَتَحَوَّلُ مِنْ حُلْمٍ أَوْ أَمَلٍ إِلَى حَيَاةٍ كَامِلَةٍ وَتَجْرِبَةٌ اِحْتَوَتْ حَيَاتِي كُلَّهَا، مَا ضِيهَا وَحَاضِرَهَا وَمُسْتَقْبَلَهَا. كَمَا لَمْ أَتَخَيَّلْ أَنَّ تِلْكَ الْوُجُوهَ الصَّلْدَةَ الَّتِي أَشَاهِدُهَا فِي الصُّورِ أَمَامِي سَوْفَ تُغَيِّرُ تَارِيخَ الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَبِلا شَكٍّ أَنَّهُمْ هُمْ أَنفُسُهُمْ لَمْ يَتَخَيَّلُوا ذَلِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

أَحْضَرَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» خُطَّةً تَفْصِيلِيَّةً لِمَنْ أَرَادَ مِنَ الْعَرَبِ الذَّهَابَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَكَانَ يَعْلَمُ نَوَايَا فِي هَذَا الصَّدَدِ، وَنَاقَشْنَا مَعَهُ الْخُطَّةَ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَّا أَحَدٌ قَدْ زَارَ بَاكِسْتَانَ قَبْلًا، وَاتَّفَقْنَا ضِمْنًا عَلَى أَنْ يَكُونَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» مُرَافِقَنَا فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ.

كَانَ «أَحْمَدُ الْمِنْيَاوِي» يُعَانِي مَالِيًّا هُوَ الْآخِرُ، وَاسْتِطَاعَ مُؤَخَّرًا اسْتِخْرَاجَ جَوَازِ سَفَرٍ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ مَوْعِدُ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ مُقَرَّرًا أَنْ يَكُونَ مَعَ بَدَايَةِ الصَّيْفِ، لَجَأَ «أَحْمَدُ» إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُسْرَةِ الْحَاكِمَةِ، وَشَرَحَ لَهُ مَا يَجْرِي فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنَّهُ يُنَوِي الذَّهَابَ إِلَى هُنَاكَ لِلْمُسَاعَدَةِ وَالْجِهَادِ. فَحَصَلَ مِنْهُ عَلَى تَبَرُّعٍ صَغِيرٍ كَانَ كَافِيًا أَنْ نَضَعَهُ فِي بَنْدِ التَّسْلِيحِ. وَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ نَتْرُكَ هَذِهِ الْأَسْلِحَةَ الَّتِي سَوْفَ نَشْتَرِيهَا بَعْدَ عَوْدَتِنَا حَتَّى يَسْتَحْدِمَهَا

المُجَاهِدُونَ.

انْتَهَتْ جَمِيعُ الْمَشَاكِلِ وَتَمَّ تَحْدِيدُ يَوْمِ السَّفَرِ بِدِقَّةٍ، وَذَهَبْنَا لِإِخْطَارِ
«السَّيِّدِ أَحْمَدَ» مَرَّافِقِنَا فِي الرَّحْلَةِ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا مُفَاجَأَةً فِي انْتِظَارِنَا، لَقَدْ قَرَّرَ
الشَّيْخُ الْكَبِيرُ «السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ» أَنْ يُصَاحِبَنَا بِنَفْسِهِ بَدَلًا عَنْ وَلَدِهِ الشَّابِّ
ذِي الْخِبْرَةِ فِي الطَّرِيقِ، وَقَالَ الشَّيْخُ بِإِصْرَارٍ: «إِنِّي أَيْضًا أُرِيدُ الْجِهَادَ»،
وَأَسْقَطَ فِي يَدِنَا!!.



اللقاء الأول مع أفغانستان:

بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ عَثَرْتُ عَلَى رِسَالَةٍ [كُنْتُ] قَدْ كَتَبْتُهَا لِزَوْجَتِي
بِتَارِيخِ ١٠ يُونِيَّةِ ١٩٧٩ م، بَعْدَ وُصُولِي إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ. أَصْعُ فَقَرَاتٍ مِنْهَا فِي
مُقَدِّمَةِ ذَلِكَ الْفَصْلِ اسْتِكْمَالًا لِلصُّورَةِ الْوَاقِعِيَّةِ لِلْأَحْدَاثِ وَالْأَمَالِ وَالْمَشَاعِرِ
الَّتِي كُنَّا نَحْيَاهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهَذِهِ بَعْضُ الْمُقْتَطَفَاتِ:

«أَوَّلًا وَصَلْنَا إِلَى «كَرَاتِشِي» يَوْمَ الْخَمِيسِ ٣١ / ٥ حَوَالِي التَّاسِعَةِ مَسَاءً،
وَوَصَلْنَا إِلَى الْفُنْدُقِ بَعْدَ مُغَامَرَاتٍ مُضْحِكَةٍ، وَبَقِينَا فِي «كَرَاتِشِي» يَوْمَ الْجُمُعَةِ
ثُمَّ رَكَبْنَا الطَّائِرَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ظَهْرًا إِلَى «بِيشَاور»، حَيْثُ قَابَلْنَا بَعْضَ الْإِخْوَةِ
الْمُجَاهِدِينَ وَبَيَّنَّا مَعَهُمْ. اضْطَحَبُونَا يَوْمَ الْأَحَدِ صَبَاحًا فِي رِحْلَةٍ صَوَّبَ

قَوَاعِدِ الْمُجَاهِدِينَ. اسْتَمَرَّ سَيْرُنَا حَتَّى بَلَدَةٍ اسْمُهَا «مِيرَان» [شَاه]، بِهَا عَائِلَاتُ الْمُجَاهِدِينَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ، وَاسْتَقْبَلَنَا الْمُجَاهِدُونَ هُنَاكَ بِحَفَاوَةٍ شَدِيدَةٍ وَأَكْرَمُونَا لِلْعَايَةِ، وَبَقِينَا عِنْدَهُمْ يَوْمًا وَاحِدًا. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي رَكَبْنَا السَّيَّارَةَ لِمُدَّةِ سَاعَتَيْنِ حَتَّى قَرْيَةٍ جَبَلِيَّةٍ اسْمُهَا «سِيَا خِيل»، وَكُنَّا قَدْ لَبَسْنَا الْمَلَابِسَ الْمَحَلِّيَّةَ، وَبَدَأْنَا رَحْلَهُ سَيْرًا عَلَى الْأَقْدَامِ بَيْنَ الْجِبَالِ لِمُدَّةِ يَوْمٍ حَتَّى وَصَلْنَا قَبْلَ الْمَغْرَبِ إِلَى مَنْزِلِ أَحَدِ أَعْيَانِ الْمَنْطِقَةِ الَّذِي عَلِمَ بِوُجُودِ عَرَبٍ فِي الْقَافِلَةِ؛ فَدَعَانَا لِلْمَيْتِ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَنَا كَرَمًا شَدِيدًا. فِي الصَّبَاحِ سَرْنَا لِمُدَّةِ يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ بَيْنَ الْجِبَالِ الْمَلِيَّةِ بِالْغَابَاتِ الضَّخْمَةِ الْجَمِيلَةِ. بَدَأْنَا الْمَسِيرَ وَكَانَتْ الْمَنْطِقَةُ تَزْدَادُ جَمَالًا كُلَّمَا تَقَدَّمْنَا فِي السَّيْرِ. الْجِبَالُ كَثِيرَةٌ وَشَاهِقَةٌ وَيَنَابِيعُ الْمَاءِ الْعَذْبِ تَنْبُعُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْجِبَالِ، وَتَسِيرُ مِثْلَ الْأَنْهَارِ فِي الْوُدْيَانِ. كَانَ السَّيْرُ شَاقًّا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَلَكِنْ مَنَاطِرَهَا كَانَتْ [فِي] غَايَةِ الرُّوعَةِ. وَفِي اللَّيْلِ وَصَلْنَا إِلَى أَوَّلِ مَرْكَزِ عَسْكَرِيٍّ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَاسْتَقْبَلُونَا اسْتِقْبَالًا لَا مِثِيلَ لَهُ، وَأَطْلَقُوا فِي الْجَوِّ مِائَاتَ الطَّلَقَاتِ مِنَ الْبِنَادِقِ وَالْمَدَافِعِ الرَّشَاشَةِ، ثُمَّ عَانَقُونَا وَقَبَّلُونَا، وَبَعْضُهُمْ بَكَى مِنَ التَّأَثُّرِ. وَفِي هَذَا الْمَوْقِعِ كَانَ هُنَاكَ قَائِدُ جَيْشِ الْوَلَايَةِ - وَاسْمُهَا وَوَلَايَةُ «بَاكْتِيَا» - الَّذِي رَحَّبَ بِنَا تَرْحِيبًا شَدِيدًا، وَبَقِيَ مَعَنَا فِي الْمَوْقِعِ لِمُدَّةِ يَوْمٍ. رَأَيْنَا فِيهَا الْأَسْلِحَةَ الْكَثِيرَةَ الْحَدِيثَةَ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْمُجَاهِدُونَ. وَرَأَيْنَا الدَّبَابَاتِ وَالْمُصَفَّحَاتِ وَالسَّيَّارَاتِ الَّتِي حَطَّمُوهَا فِي الْحَرْبِ، وَرَأَيْنَا بَعْضَ جُنُودِ وَضَبَّاطِ جَيْشِ



الحُكُومَةَ مُنْضَمِّينَ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ. ثُمَّ وَاصَلْنَا
سَيْرَنَا بَعْدَ قِضَاءِ يَوْمٍ مَعَهُمْ مُتَوَجِّهِينَ لِلِقَاءِ
القَائِدِ العَامِّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي هَذِهِ الوِلَايَةِ، وَهُوَ
مَوْلَانَا «جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٢٠].

وَسَرْنَا يَوْمًا بَيْنَ الجِبَالِ وَالعَابَاتِ وَيَنَابِيعِ المَاءِ العَذْبَةِ. وَرُغْمَ تَعَبِنَا الشَّدِيدِ
كَانَ يُخَيِّلُ لِي أَنَّنَا نَسِيرُ فِي الجَنَّةِ. وَأَرْجُو إِذَا كَانَ لِي بَقِيَّةٌ مِنَ العُمُرِ أَنْ أَحْضَرَ
أَنَا وَأَنْتِ وَالْأَوْلَادُ لِنَعِيشَ أَيَّامًا فِي هَذِهِ الجَنَّةِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ
يَعُودَ حُكْمُ الإِسْلَامِ لِهَذِهِ البِلَادِ. وَعَلَى طُولِ الطَّرِيقِ كُنَّا نَجِدُ سُكَّانَ القُرَى
الجَبَلِيَّةِ فِي انْتِظَارِ مُرُورِنَا، وَلَا أَذْرِي كَيْفَ عِلْمُوا بِأَنَّنا سَنَمُرُّ مِنْ هَذِهِ الأَمَاكِنِ.
بَعْضُهُمْ قَدَّمَ لَنَا الطَّعَامَ وَالشَّايَ وَاللَّبَنَ، وَبَعْضُهُمْ طَلَبَ مِنَّا أَنْ نَمْسَحَ بِأَيْدِينَا
عَلَى أَطْفَالِهِمُ المَرَضَى، وَكُنَّا نَقْفُ وَنَدْعُوا جَمِيعًا لَهُمْ بِالشِّفَاءِ وَالنَّصْرِ عَلَى
أَعْدَاءِ الدِّينِ. وَالجَمِيعُ هُنَا حَتَّى الآنَ يُعَامِلُونَنَا بِكَرَمٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهُ فِي حَيَاتِي؛
يَتَسَابَقُونَ فِي خِدْمَتِنَا وَإِكْرَامِنَا حَتَّى أَنَّنَا كُنَّا نَخْجَلُ مِنْ أَنْفُسِنَا. وَرُغْمَ فَقْرِهِمْ
كَانُوا يُوفِّرُونَ كُلَّ رَاحَةٍ لَنَا. وَبَعْدَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَنِصْفٍ وَصَلْنَا إِلَى مَوْقِعٍ قَرِيبٍ

(١) مَوْلَايَ جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي: أَحَدُ أَشْهَرِ القَادَةِ المِيدَانِيِّينَ وَالمَلَالِيِّ «المَشَايخِ» فِي حَرَكَةِ الجِهَادِ
الحَدِيثَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَوُلِدَ فِي عَامِ ١٩٣٩م، بِبَايَعِ «طَالِبَانَ» وَشَغَلَ مَنَصِبَ وَزِيرِ الشُّؤُونِ القَبَلِيَّةِ فِي
الإِمَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

مِنْ مَوْعِ الْقَائِدِ الْعَامِّ الَّذِي أَرْسَلَ لَنَا رِسَالَةً كَيْ نَنْتَظِرَهُ فِي هَذَا الْمَوْعِ حَتَّى يَخْضَرَ لِاسْتِقْبَالِنَا، فَبِالْأَمْسِ انْتَصَرَ الْمُجَاهِدُونَ عَلَى الشُّيُوعِيِّينَ فِي مَعْرَكَةٍ كَبِيرَةٍ اسْتَوْلُوا فِيهَا عَلَى أَسْلِحَةٍ كَثِيرَةٍ وَأَسْرَوْا بَعْضَ الرُّوسِ وَقَتَلُوهُمْ، وَاسْتَسَلَمَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنُودِ، وَالْقَائِدُ الْعَامُّ مَشْغُولٌ فِي التَّجْهِيزِ لِلْمَعَارِكِ الْقَادِمَةِ. وَعَدًّا أَوْ بَعْدَ عَدِّ سَنَسْتَلِمُ الْأَسْلِحَةَ الْخَاصَّةَ بِنَا وَنَسْتَقِرُّ فِي الْمَوْعِ الَّذِي يُقَرَّرُهُ لَنَا قَائِدُ الْجَيْشِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. الْمُجَاهِدُونَ هُنَا فِي غَايَةِ الْكَرَمِ وَقُوَّةِ الْعَقِيدَةِ، وَقُوَّةِ احْتِمَالِهِمُ السَّيْرَ وَصُعُودِ الْجِبَالِ لَا مِثِيلَ لَهَا. وَأَرْجُو أَنْ تَطْمَئِنِّي [عَلَيَّ] مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي؛ فَأَنَا سَعِيدٌ فِي مَكَانِي هَذَا وَكَأَنِّي فِي رِحْلَةِ الْحَجِّ، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ أَجْرًا كَبِيرًا عَلَى مُسَاعَدَتِكَ لِي فِي أَعْمَالِ الطَّاعَةِ...».

غَمَرْتَنِي رِحْلَتُنَا الْأُولَى إِلَى بَاكِسْتَانَ بِالْدَّهْشَةِ؛ فَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ أُسَافِرُ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَدِيقَايَ «أَحْمَدُ» وَ«إِسْمَاعِيلُ» لَمْ يَكُونَا أَقْلَ دَهْشَةٍ، وَلَكِنْ رَحَلْتَهُمَا الْعَدِيدَةَ إِلَى أَوْرُوبَا جَعَلَتْ دَهْشَتَهُمْ مَشُوبَةً بِالْإِسْتِهْجَانِ، أَمَّا مُرَافِقُنَا الشَّيْخُ «طَاهِرُ» فَلَا يَكْفُ لِحُظَّةً عَنِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالتَّسْبِيحِ إِلَّا فِي الْحَالَاتِ الَّتِي يَغْلِبُهُ فِيهَا النَّوْمُ.

كَثِيرٌ مِنْ مَعَالِمِ الرَّحْلَةِ الْأُولَى لَمْ يَكُنْ حَدَثًا عَابِرًا، بَلْ كَانَتْ ثَوَابِتًا لَمْ تَكَدْ تَبَدَّلَ لِلتَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. قَبْلَ أَنْ تَصِلَ الطَّائِرَةُ إِلَى مَطَارِ «كَرَاتِشِي» تَعَدَّدَتْ الْاِقْتِرَاحَاتُ حَوْلَ الْخُطُواتِ الْقَادِمَةِ، وَبِحُكْمِ تَقَارُبِ السَّنِّ وَاخْتِلَافِ طَرِيقَةِ

التَّكْيِيرِ احْتَدَمَ النَّقَاشُ بَيْنَ «إِسْمَاعِيلَ» وَ «أَحْمَدَ»، وَطَرِحَتْ مَسْأَلَةُ الْإِمَارَةِ وَتَحَوَّلَ النَّقَاشُ إِلَى عِنَادٍ وَإِصْرَارٍ، وَاضْطُرَّتْ إِلَى التَّدْخُلِ وَتَسْيِيرِ الْأُمُورِ طَوَالَ الرَّحْلَةِ بِنَوْعٍ مِنَ التَّفَاهُمِ الْجَمَاعِيِّ وَالتَّرَاضِي الطَّوْعِيِّ بِدُونِ الْخَوْضِ فِي الدَّرُوبِ الْخَطِرَةِ لِمَوْضُوعِ الْإِمَارَةِ. وَبَدَأَتْ التَّجْرِبَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ وَانْتَهَتْ وَهِيَ تُعَانِي مِنْ مُشْكِلَةِ الْإِمَارَةِ سِوَاءِ عَلَى الْجَانِبِ الْأَفْغَانِيِّ أَوْ الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ؛ لِهَذَا كَانَتْ الْفَوْضَى هِيَ أْبْرَزُ السَّلِيَّاتِ الَّتِي شَابَتْ تِلْكَ التَّجْرِبَةَ.

فِي صَالَةِ الْجَمَارِكِ انْفَجَرَ الْغَضَبُ الْمَكْنُونُ فِي نَفْسِ «الْمِنْيَاوِيِّ»، وَجَاءَ الْانْفِجَارُ فِي وَجْهِ ضَابِطِ الْجَمَارِكِ الَّذِي أَرَادَ تَحْصِيلَ الرُّسُومِ عَلَى كَامِيرَا فِيدْيُو كَانَتْ مَعَهُ. انْفَجَرَ صَدِيقُنَا بِسَبِيلِ مِنَ الشَّتَائِمِ الْمُتَّقَاتِ مِنْ قَامُوسِ أَرْقَةَ لَنْدَنَ، وَانْهَالَ بِهَا عَلَى رَأْسِ الضَّابِطِ الْمَسْكِينِ وَبِأَعْلَى صَوْتٍ، فَتَوَقَّفَ الْعَمَلُ فِي الصَّالَةِ وَتَجَمَّهَرَ رِجَالُ الْجَمَارِكِ وَالْمُسَافِرُونَ، وَعَمَّتِ الْفَوْضَى وَحَضَرَ مُدِيرُ قِسْمِ الْجَمَارِكِ الَّذِي بَادَرَهُ السَّيِّدُ «طَاهِرٌ» بِجُهُودٍ وَسَاطَةِ وَبِلُغَةٍ فَارِسِيَّةٍ لَمْ يَفْهَمُ مِنْهَا الضَّابِطُ حَرْفًا وَاحِدًا، لَكِنَّ السَّمْتَ الْوَقُورَ لِلشَّيْخِ وَقَامَتُهُ الْمَهِيبةُ وَلِحِيَّتُهُ الْبَيْضَاءُ مِثْلَ كُتْلَةِ صَخْمَةٍ مِنَ الثَّلْجِ أَثَرَتْ فِي الْمَسْئُولِ الَّذِي أَنْهَى الْمُسْكِلَةَ فَوْرًا وَسَمَحَ لَنَا بِالْخُرُوجِ بِدُونِ دَفْعِ رُسُومٍ أَوْ حَتَّى تَفْتِيَشِ أُمَّتَعَةَ. وَالطَّرِيفُ أَنَّ أُمَّتَعَةَ صَدِيقُنَا «أَحْمَدَ» كَانَتْ تَحْتَوِي عَلَى عِدَّةِ أَجْهَزَةٍ إِزْسَالٍ لِاسْلُكِيٍّ صَغِيرَةٍ مُتَقَلِّةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ كَفِيلاً إِذَا ضَبَطَهُ رِجَالُ الْجَمَارِكِ بِأَنَّ تَحَوَّلَ مِنْ سِيَّاحٍ مُحْتَرَمِينَ إِلَى ضِيُوفٍ فِي قِسْمِ شُرْطَةِ الْمَطَارِ أَوْ حَتَّى فِي

سَجْن «كَرَاتِشِي».

لَقَدْ نَظَرَ الْعَرَبُ إِلَى بَاكِسْتَانَ نَظْرَةً دُونِيَّةً، وَتَصَوَّرَ الشَّبَابُ الَّذِي جَاءَ مِنْ دَوْلِهِ الْأُصْلِيَّةِ أَوْ الْمَهْجَرِ فِي أُرُوبًا وَالْعَرَبِ أَنَّ بَاكِسْتَانَ دَوْلَةً بِلاَ أَجْهَزَةٍ أَمْنٍ أَوْ قَانُونٍ. دَفَعَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اقْتِرَافِ كَثِيرٍ مِنَ التَّجَاوُزَاتِ، وَإِلَى اسْتِيعَادِ أَيِّ إِجْرَاءٍ أَمْنِيٍّ قَدْ تَقَوْمُ بِهِ حُكُومَةُ بَاكِسْتَانَ ضِدَّهُمْ مُسْتَقْبَلًا. فَانْعَدَمَ لَدَيْهِمْ أَيُّ شُعُورٍ أَمْنِيٍّ، وَقَدْ دَفَعُوا ثَمَنَ كُلِّ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَغَيَّرَتِ سِيَاسَةُ الدَّوْلَةِ فِي بَاكِسْتَانَ وَقَرَّرَتِ تَوْجِيهَ الضَّرَبَاتِ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ. كَذَلِكَ فَإِنَّ أَجْهَزَةَ الْأَمْنِ الْمُعَادِيَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالصَّلِيبِيَّةَ لَمْ تَجِدْ صُعُوبَةً تُذَكِّرُ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ تَقْرِيْبًا عَنِ التَّحْشُدَاتِ الْجِهَادِيَّةِ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِ فِي وَسَطِ تَسْوُدِهِ الْفَوْضَى وَانْعِدَامِ الْحِسِّ الْأَمْنِيِّ.

خَرَجْنَا إِلَى شَوَارِعِ «كَرَاتِشِي» وَنَحْنُ لَا نُصَدِّقُ أَنَّ نَجُونَ مِنْ تِلْكَ الْوَرُطَةِ. وَشَعَرْنَا بِالْإِعْزَازِ لِلشَّيْخِ «طَاهِرٍ»، وَفَضَّلِهِ فِي حَلِّ الْأَزْمَةِ. أَوْقَفْنَا سَيَّارَةَ أَجْرَةٍ وَرَكَبْنَا، أَصْدَرَ الشَّيْخُ «طَاهِرٌ» أَمْرَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ إِلَى السَّائِقِ قَائِلًا: «مُسَافِرُ خَانَةَ». وَتَصَادَفَ أَنَّهَا هِيَ كَذَلِكَ بِالضَّبْطِ فِي اللُّغَةِ الْأُورْدِيَّةِ. حَاوَلَ السَّائِقُ الْحُصُولَ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، لَكِنْ اخْتِلَافَ اللُّغَاتِ حَالَ دُونَ ذَلِكَ. وَلَمْ نُفْلِحْ نَحْنُ أَيْضًا فِي انْتِزَاعِ أَيِّ مَعْلُومَةٍ إِضَافِيَّةٍ مِنَ الشَّيْخِ «طَاهِرٍ» عَنِ هَذِهِ الْمَسَافِرِ خَانَةَ وَمَوْقِعِهَا بِالنِّسْبَةِ لِخَرِيطَةِ «كَرَاتِشِي» الشَّاسِعَةِ الْأَرْجَاءِ،

وَالَّتِي يَقْتُنُهَا أَكْثَرُ مِنْ إِثْنَيْ عَشَرَ مَلِيُونًا مِنَ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَدَى الشَّيْخِ أَفْشَلَتْ مُحَاوَلَاتِنَا، وَتَذَرَعْنَا بِالصَّبْرِ عَلَى أَسَاسٍ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ.

فِي أَعْمَاقِ الْمَدِينَةِ دَخَلْنَا أَرْقَةَ ضَيْقَةً وَوَقَفَ بِنَا السَّائِقُ أَمَامَ بِنَايَةِ ضَيْقَةَ الْمَسَاحَةِ مُرْتَفَعَةِ الْبُنْيَانِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنَّهَا الْمُسَافِرِ خَانَةٌ. كَانَتْ الْكَهْرُبَاءُ مَقْطُوعَةً وَالْحَرُّ شَدِيدًا وَعُورُفُ الْمُسَافِرِ خَانَةٌ تَبْعَتْ مِنْهَا أَضْوَاءٌ خَافِتَةٌ لِمَصَابِيحِ الْغَازِ، النَّوَافِذُ مُتَّسِعَةٌ وَجَلَسَ عَلَيْهَا رِجَالٌ أَنْصَافُ عِرَاقٍ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَهُمْ يُخَاطَبُونَ مِنَ الطَّوَابِقِ الْمُرْتَفَعَةِ زُمَلَاءً لَهُمْ فِي الشَّارِعِ، وَبَاعَةٌ مُتَجَوِّلُونَ. تَبَادَلْنَا النَّظَرَاتِ الْمُنْدَهَشَةَ، لَيْسَ لَدَيْنَا شَكٌّ فِي أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ مَشْبُوهٌ، يَأْوِي النَّشَالِينَ وَمُتَعَاطِي الْمُخَدَّرَاتِ وَكَافَّةٍ مَهَنِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ.

نَزَلْنَا فِي الشَّارِعِ مَعَ حَقَائِبِنَا، وَأَنْدَفَعَ نَحُونَا (دِرْزَن) مِنْ عَمَّالِ الْمُسَافِرِ خَانَةٍ، وَظَنَّنَا لَوْ هَلَّتْ أَنَّنَا تَعَرَّضْنَا لِهُجُومٍ مُبَاغِتٍ. أَمْسَكُوا بِالْحَقَائِبِ وَجَذَبُونَا مِنْ أَيْدِينَا نَحْوَ الْفُنْدُقِ وَلَكِنَّا تَسَمَّرْنَا بِالْأَرْضِ، وَرَجَوْنَا هُمْ الْهُدُوءَ، وَلَكِنَّ صَدِيقَنَا أَحْمَدَ أَنْقَدَنَا بِوَاحِدَةٍ مِنْ إِنْفِجَارَاتِهِ الصَّعِيدِيَّةِ، فَبِهَتْ الرَّعَاعُ وَتَوَقَّفُوا. وَتَحَلَّقْنَا حَوْلَ الشَّيْخِ «طَاهِرٍ» نَسَّأَلُهُ إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْمُسَافِرِ خَانَةُ الَّذِي يَعْنِيهِ، فَقَالَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ. كِدْنَا أَنْ نَفْقِدَ عُقُولَنَا، نَحْنُ الْآنَ فِي وَسْطِ هَذِهِ التَّهْلُكَةِ وَيَقُولُ لَا أَعْرِفُ!! وَالْأَذْهَى أَنَّنَا فَهَمْنَا مِنْهُ بِصُعُوبَةٍ بِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ قَبْلًا إِلَى «كَرَاتِشِي» أَوْ أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ فِي بَاكِسْتَانِ. كِدْنَا نَسْقُطُ مِنْ هَوْلِ الْمُفَاجَأَةِ، كَيْفَ

سَيُؤَدُّنَا إِذْنَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ؟ وَمَاذَا سَنَفْعَلُ؟. عَثَرْنَا عَلَى سَيَّارَةِ أُجْرَةٍ ، وَانْتَرَعْنَا
أَنْفُسَنَا وَحَقَائِبَنَا مِنْ بَيْنِ الرَّعَاعِ وَطَلَبْنَا مِنَ السَّائِقِ الْإِنْطِلَاقَ بِسُرْعَةٍ.

عَثَرْنَا أَحْيِرًا عَلَى فُنْدُقٍ مَعْقُولٍ، وَفِي الصَّبَاحِ بَدَأْنَا فِي اسْتِجْوَابِ الشَّيْخِ
عَنْ حُطَّتِهِ فِي الرَّحْلَةِ بَعْدَ اكْتِشَافِ لَيْلَةٍ أَمْسِ الَّذِي رَوَّعَنَا، بَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ قَبْلًا إِلَى
هُنَا. أَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ جَبِيهِ وَرَقَةً صَغِيرَةً فِي حَجْمِ نِصْفِ الْكَفِّ، بِهَا عُنْوَانٌ فِي
مَدِينَةِ «بِيشَاوَر» لِأَحَدِ الدَّكَاكِينِ مِنْ مَنْطِقَةِ «بَارَةَ» وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ. شَعَرْنَا
بِالْعَرَقِ الْبَارِدِ يَتَصَبَّبُ مِنْ أَجْسَامِنَا وَتَرَكْنَا الشَّيْخَ فِي الْفُنْدُقِ وَخَرَجْنَا نَتَجَوَّلُ
فِي الشُّوَارِعِ لِتَدَارَسَ الْأَمْرَ، وَأَيْضًا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْفَجِرَ صَدِيقُنَا «الْمِنْيَاوِيُّ»
فِي وَجْهِ شَيْخِنَا الْوَقُورِ.

لَقَدْ وَاجَهَ الشَّبَابُ الْعَرَبُ فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ مَوَاقِفَ أَشَدَّ غَرَابَةً وَأَكْثَرَ
خُطُورَةً بِسَبَبِ الْقَفْزِ فِي الظَّلَامِ إِلَى الْمَجْهُولِ. وَكَثِيرٌ مِنْ تِلْكَ الْقِصَصِ انْتَهَى
بِمَآسِي، وَكَثِيرٌ مِنْهَا يَصْلُحُ لِلْفُكَاهَةِ. فَبَعْدَ حَادِثَتِنَا بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا ذَهَبَ
شَابٌّ عَرَبِيٌّ إِلَى السَّفَارَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي «إِسْلَامْ أَبَاد» طَالِبًا تَأْشِيرَةَ دُخُولٍ إِلَى
أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَمَّا سَأَلَهُ الْقُنْصُلُ عَنْ سَبَبِ الزِّيَارَةِ رَدَّ عَلَيْهِ الشَّابُّ فِي بَرَاءَةٍ: «أَنَا
ذَاهِبٌ لِلْجِهَادِ»، فَثَارَ الْقُنْصُلُ وَأَمَرَ رِجَالَ الْأَمْنِ فِي السَّفَارَةِ بِطَرْدِهِ شَرَّ طَرْدَةٍ.
شَابٌّ آخَرَ وَصَلَ إِلَى «بِيشَاوَر» وَطَلَبَ مِنْ سَائِقِ عَرَبَةٍ «الرَّكْشَا» أَنْ يُوصِّلَهُ إِلَى
أَفْغَانِسْتَانَ، فَأَخَذَهُ إِلَى مَوْقِفِ [حَافِلَاتٍ] فِي الْمَدِينَةِ يَنْقُلُ الْأَفْغَانَ يَوْمِيًّا عَبْرَ

مَمَّرَ خَيْرٍ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ حَتَّى الْعَاصِمَةِ «كَابُلُ»، وَنَادِرًا مَا تَطْلُبُ نُقْطَةَ الْحُدُودِ عَلَى الطَّرْفَيْنِ إِبْرَازَ الْهُوَيَّاتِ مِنَ الرُّكَّابِ. وَصَلَ صَدِيقُنَا إِلَى «كَابُلِ» وَقَدْ ظَنَّ الْجَمِيعُ أَنَّهُ مِنْ سُكَّانِهَا فَقَدْ كَانَ غَيْرِ مُلْتَحٍ وَيَرْتَدِي الزِّيَّ الْأُورُوبِيَّ. هَبَطَ فِي مَحَطَّةِ [الْحَافِلَاتِ] فِي «كَابُلِ» يَنْظُرُ حَوْلَهُ، وَإِذَا الدَّبَّابَاتُ وَالْعَرَبَاتُ الْمُكَدَّسَةُ بِالْجُنُودِ تَمَلُّأُ الطَّرِيقَ وَتَنْدَفِعُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ. وَقَفَ مُحْمَلِمًا لَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ حَتَّى تَقْدَمَ مِنْهُ شَيْخٌ أَفْغَانِيٌّ وَقُورٌ كَانَ يُرَافِقُهُ فِي رِحْلَةِ [الْحَافِلَةِ]، وَسَأَلَهُ بِالْأَفْغَانِيَّةِ، فَأَجَابَ الشَّابَّ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلِحُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ الشَّيْخَ يَعْرِفُهَا. فَسَأَلَهُ الشَّيْخُ عَنْ وَجْهِهِ فَأَجَابَ الشَّابُّ بِرَاءةٍ: «أُرِيدُ الْمُجَاهِدِينَ فَقَدْ جِئْتُ لِلْجِهَادِ». امْتَنَعَ وَجْهُ الشَّيْخِ وَكَادَ يَسْقُطُ مِنْ هَوْلِ الصَّدْمَةِ، وَالتَفَتَ حَوْلَهُ مِنْ الدُّعْرِ، وَسَحَبَ الشَّابُّ مِنْ ذِرَاعِهِ وَأَخَذَهُ بَعِيدًا، وَاسْتَضَافَهُ فِي بَيْتِهِ إِلَى الصَّبَاحِ وَشَرَحَ لَهُ أَنَّ «كَابُلَ» هِيَ عَاصِمَةُ الْبِلَادِ وَيَحْكُمُهَا الشُّيُوعِيُّونَ وَالرُّوسُ وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُعَادِرَهَا عِنْدَ الْفَجْرِ وَيَعُودُ مِنْ حَيْثُ أَتَى. وَبِمُعْجَزَةٍ نَجَّى الشَّابُّ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ وَعَادَ إِلَى «بِيشَاور».

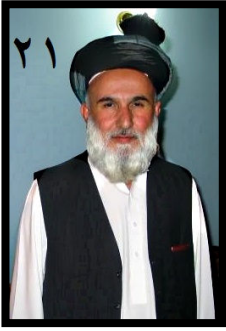
رَكَبْنَا الطَّائِرَةَ إِلَى «بِيشَاور»، كَانَتْ مُهِمَّتُنَا الْوُصُولَ إِلَى ذَلِكَ الدُّكَانِ فِي سُوقِ «بَارَةَ»، بَيْنَمَا تَدُورُ فِي أَذْهَانِنَا احْتِمَالَاتٌ مُبْهِمَةٌ، مَاذَا لَوْ كَانَ الدُّكَانُ مُغْلَقًا إِلَى أَجْلِ غَيْرِ مُسَمَّى، أَوْ أَنَّ صَاحِبَهُ مُسَافِرٌ أَوْ أُصِيبَ فِي حَادِثٍ؟. مَنْ هُوَ صَاحِبُ الدُّكَانِ وَمَا صِلَتُهُ بِالْمُجَاهِدِينَ وَكَيْفَ سَيَأْخُذُنَا إِلَى هُنَاكَ؟. مَاذَا سَنَفْعَلُ لَوْ سَأَلَتْنَا الشَّرْطَةَ عَنْ سَبَبِ وُجُودِنَا فِي «بِيشَاور» وَمَاذَا نَفْعَلُ فِي

«بَارَةٌ» وَالْبَلْدَةُ كُلُّهَا - كَمَا عَلِمْنَا - مَشْهُورَةٌ بِتَهْرِيْبِ الْمُخَدَّرَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ؟.

بَيْنَمَا نَحْنُ وَاجِمُونَ، كَانَ يَجْلِسُ فِي الصَّفِّ الْمُقَابِلِ لَنَا فِي الطَّائِرَةِ عَدَدٌ مِنْ الشَّبَابِ الْأُورُوبِيِّ مَعَ رَجُلٍ عَجُوزٍ وَزَوْجَتِهِ، وَكُلُّهُمْ فِي حَالَةٍ مِنْ الْمَرَحِ وَالْإِنْبِسَاطِ. سَأَلَنِي أَحْمَدُ عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ هُوَ لِأَيِّ فِي «بِشَاوَرٍ»، فَأَجَبْتُهُ بِأَنَّهُ النَّشَاطُ الْعَرَبِيُّ الْعَادِيُّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، التَّجَسُّسُ وَالتَّخْرِيْبُ. رَأَيْتُ الْغَضَبَ وَالتَّحَفُّزَ فِي مَلَامِحِهِ وَخَشِيْتُ أَنْ يَفْتَعَلَ مَعْرَكَةً مَعَهُمْ، فَنَصَحْتُهُ بِالْهُدُوءِ. وَلَمَّا شَرَعَ الرُّكَّابُ فِي مُغَادَرَةِ الطَّائِرَةِ لَمْ يَتِمَّالِكْ صَدِيقُنَا نَفْسَهُ مِنْ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى أَحَدِ الشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ وَيَسْأَلَهُ بِإِنْجِلِيزِيَّةٍ طَلَّةً عَمَّا يَنْوِي فَعْلَهُ فِي بِشَاوَرٍ. نَظَرَ الشَّابُّ بِتَعَالَى وَأَجَابَهُ بِاسْتِخْفَافٍ: «أَنْوِي صَيْدَ السَّمَكِ»، كَانَتْ هَيْئَتُهُ وَاجَابَتُهُ غَنِيَّةً بِالذَّلَالَاتِ.

لَمْ نَكُنْ نَدْرِي وَقْتَهَا أَنَّ الْعَرَبَ سَبَقْنَا إِلَى هُنَا بِعَشْرَاتِ السِّنِينَ، وَأَنَّ التَّوَجِيهَ الْحَقِيقِيَّ لِلْأَحْدَاثِ هُنَا هُوَ فِي أَيْدِيهِمْ وَلَكِنْ عَبْرَ أَيْدِي وَطَنِيَّةٍ، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي بِلَادِنَا. لَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ فِي «بِشَاوَرٍ» يَضْطَادُ، لَقَدْ اضْطَادُوا الرُّوسَ بِوَأَسْطِنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ اضْطَادُونَا نَحْنُ بِوَأَسْطَةِ السُّلْطَاتِ الْبَاكْسْتَانِيَّةِ عِنْدَمَا انْتَهَتْ فَأَيْدَتُنَا بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ. كَانَتْ الْهَيْئَةُ الْمُتَعَالِيَّةُ وَالرَّدُّ الْمُتَعَجَّرُفُ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ تَلْخِيصًا بَلِيغًا لِلْوَضْعِ الْقَائِمِ، بَلْ لِيَجْرُبِنَا الْمَرِيرَةَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ أَوَاخِرِ السَّبْعِينَاتِ حَتَّى أَوَائِلِ التَّسْعِينَاتِ.

كَانَتْ مُهِمَّتُنَا فِي «بَارَةَ» أَسْهَلَ مِمَّا تَوَقَّعْنَا، اصْطَحَبْنَا صَاحِبُ الدُّكَّانِ إِلَى



قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ بَيْنَ الْمَزَارِعِ الْوَاقِعَةِ خَلْفَ شَارِعِ «بَارَةَ»،
وَأَدْخَلُونَا غُرْفَةً صَغِيرَةً فِي بَيْتِ طِينِيٍّ مُتَوَاضِعٍ، وَتَعَرَّفْنَا
هُنَاكَ عَلَى شَخْصِيَّاتٍ كَانَتْ لَهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي أَحْدَاثِ
السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ، مِثْلَ حَاجِّي «دِينِ مُحَمَّدٍ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٢١]
الَّذِي كَانَ يَشْغَلُ مَنَصِبَ نَائِبِ مَوْلَوِيِّ «مُحَمَّدِ يُونُسَ

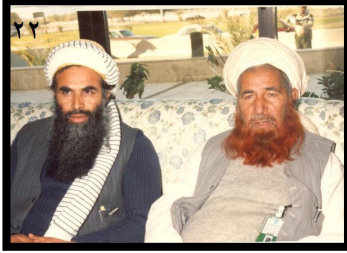
خَالِصَ»^(٢) [مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى جِوَارِهِ سَيَافٌ: صُورَةٌ رَقْمَ ٢٢] قَائِدِ حِزْبِ
إِسْلَامِيٍّ أَفْغَانِسْتَانِ، وَفِي وَقْتٍ لَاحِقٍ صَارَ «دِينِ مُحَمَّدٍ» هُوَ الْمَوْجَّهُ الْحَقِيقِيُّ
لِلْحِزْبِ. وَتَعَرَّفْنَا عَلَى أَخِيهِ حَاجِّي «عَبْدِ الْقَدِيرِ»^(٣) [صُورَةٌ رَقْمَ ٢٣] الَّذِي شَغَلَ

(١) حَاجِّي عَزِيزُ اللَّهِ دِينِ مُحَمَّدٍ: أَحَدُ الْقَادَةِ الْبَشْتُونِ الْأَقْوِيَاءِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي مَرَحَلَةِ الْجِهَادِ
الْأَفْغَانِيِّ، وُلِدَ فِي عَامِ ١٩٥٣ م فِي وِلَايَةِ «نَانْجِرْهَارِ»، انْضَمَّ إِلَى «حِزْبِ إِسْلَامِيٍّ» بِقِيَادَةِ مَوْلَوِيِّ
«يُونُسَ مُحَمَّدَ خَالِصَ». شَغَلَ مَنَصِبَ وَزِيرِ الْأَمْنِ الْقَوْمِيِّ فِي حُكُومَةِ «مُحَمَّدِ نَجِيبِ اللَّهِ»، ثُمَّ وَزِيرِ
التَّعْلِيمِ فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ. كَانَ مِنْ ضَمَنِ الْمَنَاصِبِ الَّتِي شَغَلَهَا أَوَّلًا حَاكِمَ وِلَايَةِ «نَانْجِرْهَارِ»
ثُمَّ حَاكِمَ وِلَايَةِ «كَابُلِ».

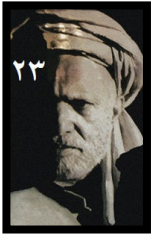
(٢) مَوْلَوِيُّ مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ (١٩١٩م-١٩ يُولْيُو ٢٠٠٦م): أَحَدُ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ فِي
أَفْغَانِسْتَانِ، كَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ بَارِزٌ فِي الْجِهَادِ ضِدَّ الشُّيُوعِيِّينَ الْأَفْغَانَ وَضِدَّ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّيْتِي. انْضَمَّ
إِلَى حَرَكَةِ «طَالِبَانَ» بَعْدَ دُخُولِهَا وَوِلَايَةِ «نَنْكِرْهَارِ» مَسْقِطِ رَأْسِهِ فِي سِبْتَمْبَرِ ١٩٩٦ م، وَقَاتَلَ مَعَهُمُ
الْأَمْرِيكَانَ.

(٣) حَاجِّي عَبْدُ الْقَدِيرِ: أَخُو «حَاجِّي دِينِ مُحَمَّدٍ»، وُلِدَ فِي «جَلَالِ آبَادِ» فِي ١٩٥١ م، شَغَلَ عِدَّةَ

مَنْصِبَ وَالِي «جَلال آباد» بَعْدَ «الْفَتْحِ» وَسُقُوطِ النِّظامِ الشُّعُوبِيِّ.



فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَحْضَرَ لَنَا «حَاجِّي دِينَ مُحَمَّدٌ» مَلابِسَ أَفْغَانِيَّةٍ لِي وَلِأَصْدِقَائِي، وَتَحَرَّكَتْ بِنَا سَيَّارَةٌ خَاصَّةٌ صَغِيرَةٌ فِي اتِّجَاهِ مَدِينَةِ «مِيران شَاه» الْحُدُودِيَّةِ فِي طَرِيقٍ يَسْتَعْرِقُ حَوَالِي سِتِّ



سَاعَاتٍ. كُنَّا سَبْعَةً [مَحْشُورِينَ] دَاخِلَ السَّيَّارَةِ الصَّغِيرَةِ، وَكَانَ مِنْ الْمَفْرُوضِ عَلَيْنَا - الْعَرَبِ الثَّلَاثَةِ - أَلَّا نَتَكَلَّمَ إِلَّا دَاخِلَ السَّيَّارَةِ وَهِيَ تَتَحَرَّكُ، أَمَّا عِنْدَمَا نَقَفُ فِي الطَّرِيقِ لِأَيِّ سَبَبٍ فَلَا كَلَامَ وَلَا حَدِيثَ.

«قَارِي مُحَمَّدٌ»^(١) أَحَدُ الَّذِينَ تَعَرَّفْنَا عَلَيْهِمْ فِي الْحُجْرَةِ الطَّبِينِيَّةِ فِي «بَارَةَ»،

مَنَاصِبَ حُكُومِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ، مِنْهَا رَئِيسُ مَجْلِسِ سُورِي شَرْقِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَحَاكِمُ وَايَةِ «نَانْجَهَار» مِنْ ١٩٩٢-١٩٩٦ م فِي حُكُومَةِ «رَبَّانِي»، وَكَانَ عَضْوًا فَاعِلًا فِي تَحَالُفِ الشَّمَالِ، وَنَائِبَ رَئِيسِ أَفْغَانِسْتَانَ وَوَزِيرَ الْعَمَلِ فِي حُكُومَةِ «قَرَاي» مِنْ ٢٠٠١ م وَحَتَّى اغْتِيَالِهِ فِي ٢٠٠٢ م. قَامَتِ حَرَكَةٌ «طَالِبَانَ» بِاغْتِيَالِهِ فِي ٦ يُولْيُو ٢٠٠٢ م فِي «كَابُل».

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ فِي تَعْلِيقَاتِهِ الَّتِي أَضَافَهَا مُؤَخَّرًا: «قَارِي مُحَمَّدٌ كَانَ مِنْ الْعَنَاصِرِ الْفَعَّالَةِ فِي حَرَكَةِ «طَالِبَانَ» الَّتِي ظَهَرَتْ فِي صَيْفِ ١٩٩٤ م، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى «كَابُل» فِي أُكْتُوبَرِ ١٩٩٧ م، وَأَطَاحَتْ بِهَا الْحَمْلَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ فِي نَهَايَةِ عَامِ ٢٠٠١ م. وَحَرَكَةُ «طَالِبَانَ» أَطَاحَتْ بِإِدَارَةِ

تَّجَهَ إِلَى مِيرَانشَاه فِي أَحَدِ [الْحَافِلَاتِ] الْعَامَّةِ كَيْ يُقَابِلَنَا هُنَاكَ وَيُصَاحِبَنَا إِلَى الدَّاخِلِ كَدَلِيلٍ وَمُتَرَجِّمٍ. وَ «قَارِي مَحْمُود» طَالِبٌ عِلْمٍ أَفْغَانِيٌّ وَلَكِنَّهُ ذُو طَبَاعٍ أَزْهَرِيٍّ وَاصِحٍّ؛ فَهُوَ يُحِبُّ النُّكْتَةَ، ذَكِيٌّ وَمُرَاوِعٌ. حَدَّثَنَا عَنْ أَسَاتِيدِهِ لَهُ مِنْ الْأَزْهَرِ، تَلَقَّى مِنْهُمْ الْعِلْمَ فِي مَدْرَسَةِ «نَجْمِ الْمَدَارِسِ» فِي «جَلَالِ آبَاد»، أَحَدُهُمْ كَانَ «أَزْهَرِيًّا فَاسِدًا» تَسِيرُ بِنَاتُهُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ بِأَزْيَاءٍ فَاضِحَةٍ «مِثْلَ الشُّيُوعِيِّينَ». أَمَّا الْآخَرُ وَاسْمُهُ «الشَّيْخُ الْمَحَلَّائِيُّ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٢٤]، فَكَانَ



رَجُلًا صَالِحًا، وَيَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، حَضَرَ إِلَيْهِمْ فِي الْمَدْرَسَةِ يَوْمَ وَقُوعِ الْإِنْقِلَابِ الشُّيُوعِيِّ، وَتَوَلَّى «طَرَاقِي» الْحُكْمَ، فَوَجَدَ الطُّلَّابَ

فِي انْتِظَارِهِ لِتَلْقَى الدَّرْسَ فَالْتَقَى فِيهِمْ مَوْعِظَةً صَغِيرَةً وَبَلِيغَةً، فَقَالَ لَهُمْ: «لَقَدْ جَاءَكُمْ ابْنُ الْكَلْبِ كَمَا جَاءَنَا ابْنُ الْكَلْبِ، فَمَاذَا تَفْعَلُونَ هُنَا؟ أَخْرُجُوا إِلَيَّ

«حَاجِّي قَدِير» وَالِي «جَلَالِ آبَاد»، وَقَدْ فَرَّ مِنْهَا قَبْلَ دَقَائِقَ مِنْ وُصُولِ قُوَّاتِ الْحَرَكَةِ إِلَيْهَا قَبْلَ افْتِحَامِهَا «كَابُل» بِفِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ.

(١) أَحْمَدُ عَبْدُ السَّلَامِ الْمَحَلَّائِيُّ: أَحَدُ أُبْرَزِ الدُّعَاةِ فِي مِصْرَ، وُلِدَ فِي مُحَافَظَةِ «كُفْرِ الشَّيْخِ» فِي ١ يُولْيُو ١٩٢٥ م، تَخَرَّجَ مِنْ قِسْمِ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ بِكُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِالْأَزْهَرِ عَامَ ١٩٥٧ م. عَمِلَ إِمَامًا وَخَطِيبًا لِجَامِعِ «سَيِّدِي جَابِر» بِ «الإِسْكَندَرِيَّةِ»، ثُمَّ جَامِعِ «القَائِدِ إِبْرَاهِيمِ» حَتَّى تَمَّ إِيقَافُهُ عَامَ ١٩٩٦ م. الشَّيْخُ مَشْهُورٌ بِصِدْقِهِ بِالْحَقِّ، وَقَدْ اعْتَقَلَهُ الرَّئِيسُ «السَّادَات» عَلَى إِثْرِ انْكَارِ الشَّيْخِ لَهُ فِي عَامِ ١٩٨١ م.

الشَّوَارِعِ». وَبِالْفِعْلِ بَدَأَ طُلَّابُ نَجْمِ الْمَدَارِسِ مُظَاهَرَاتِهِمْ ضِدَّ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ تَفْتَحِ الْمَدْرَسَةُ أَبْوَابَهَا. بَعْدَ فَتْحِ «جَلَّالِ آبَادِ» وَوُجِدَتِ الْمَدْرَسَةُ مُدْمَرَةً تَمَامًا، وَحَتَّى أَحْجَارُهَا اخْتَمَّتْ، وَقَدْ وَضَعَ «مَوْلَوِيٌّ خَالِصٌ» بِنَفْسِهِ حَجَرَ الْأَسَاسِ لِبِنَاءِ جَدِيدٍ لِلْمَدْرَسَةِ.

الشَّيْخُ «الْمَحَلَّالِيُّ» يُسَجِّلُ هُنَا أَوَّلَ ارْتِبَاطِ جِهَادِيٍّ بَيْنَ الْعَرَبِ وَبَيْنَ «جَلَّالِ آبَادِ» تَحْدِيدًا، وَهِيَ الَّتِي شَهِدَتْ أَكْبَرَ تَوَرُّطٍ عَسْكَرِيٍّ لِلْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ. كَمَا شَهِدَتْ جِبَالَهَا آخِرَ مَعَارِكِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ»، وَكَانَتْ فِي أَوَاخِرِ الْحَمَلَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ٢٠٠١ م^(١).

مَا أَنْ وَصَلْنَا «مِيرَانِشَاهَ» حَتَّى أَدْخَلُونَا أَحَدَ بِيُوتِ «الْمُهَاجِرِينَ» الْأَفْغَانَ، وَكَانَ فَارِغًا مِنَ السُّكَّانِ وَمُجَهَّزًا لَنَا. وَنَصَحُونَا بِالْحَيْطَةِ؛ لِأَنَّ الْمَسَاكِينَ الْمُجَاوِرَةَ هِيَ لِلْمِلِيشِيَّاتِ الْحُكُومِيَّةِ، وَالْبِنَاءُ الضَّخْمُ الْمُقَابِلِ هُوَ مَقَرُّ الْحَاكِمِ، وَمِنَ الْمَحْظُورِ تَوَاجُدُ الْأَجَانِبِ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ الْحُدُودِيَّةِ. وَالْمُهَاجِرُونَ هُنَا هُمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْقُدَمَاءِ الَّذِينَ فَرُّوا مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ إِثْرَ مُحَاوَلَاتِ فَاشِلَةَ لِمُقَاوَمَةِ حُكْمِ دَاوُدَ الْعَلْمَانِيِّ الْمُتَحَالِفِ مَعَ حِزْبِ «بَارِشَامِ»

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «ابْحَثْ عَنْ تَفَاصِيلَ أَكْثَرِ فِي كِتَابِنَا: صَلِيبٌ فِي سَمَاءِ قَنْدَهَارِ».

الشُّيُوعِيِّ^(١). أَعْجَبَنَا الْجَوْ الثُّرَوِيُّ لِلْمَنْطِقَةِ، وَالْمَسْجِدُ الْمُتَوَاضِعُ أَمَامَ الْبُيُوتِ وَسَطًا سَاحَةً وَاسِعَةً، وَفِي مُقَابِلِهِ بَرَكَةٌ يَصِلُهَا الْمَاءُ عَبْرَ جَدُولٍ صَغِيرٍ، تُسْتَخْدَمُ لِلوُضُوءِ، مَعَ أَنَّ الْمَاءَ فِيهَا مَمْزُوجٌ بِالضَّفَادِعِ بِحَيْثُ يَصْعَبُ تَجَنُّبُ اغْتِرَافِ الضَّفَادِعِ مَعَ الْمَاءِ خَاصَّةً فِي وَقْتِ الْعَتَمَةِ.

وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ تَرْحِيبًا بِنَا وَفَرَحًا بِقُدُومِنَا هُوَ شَيْخُ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ، وَسِيمُ الْمَلَامِحِ مُمْتَلِئُ الْجِسْمِ، حَسَنُ الصَّوْتِ بَارِعٌ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَلَدَيْهِ عَدَدٌ مِنَ الْأَطْفَالِ يَدْرُسُونَ الْقُرْآنَ فِي الْمَسْجِدِ. كَانَ الْجَمِيعُ يُنَادُونَهُ «قَارِي سِيب» أَي السَّيِّدُ الْقَارِي. قَالَ لَنَا هَذَا الْقَارِي كَلِمَةً لَا أَنْسَاهَا إِلَى الْآنَ، قَالَ: «لَقَدْ جِئْتُمْ إِلَيْنَا تَطِيقًا لِإِلَايَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٧٢]. وَمَا زَالَ «قَارِي سِيب» كَلَّمَ قَابِلَنِي حَتَّى الْآنَ يَسْأَلُنِي: «كَيْفَ حَالُ رُفَقَائِكَ «أَحْمَدَ» وَ «إِسْمَاعِيلَ»؟».

كُنَّا بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ مِثْلَ كَائِنَاتٍ هَبَطَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَاءِ، وَكَانَتْ دَهْشَتُهُمْ لَا تُوصَفُ، أَنْ يَأْتِي إِلَيْهِمْ عَرَبٌ، كَانَتْ الدَّهْشَةُ وَالرَّوْحَانِيَّاتُ الْعَالِيَةُ هِيَ سِمَاتُ

(١) حَزْبُ بَارَشَام: أَحَدُ أَكْبَرِ الْأَحْزَابِ الشُّيُوعِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، كَانَ أَحَدَ أَذْرُعِ حَزْبِ «الشَّعْبِ الدَّيْمُوقْرَاطِيِّ الْأَفْغَانِيِّ»، غَيْرَ أَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ بَعْدَ قَتْلِ «حَفِيظِ اللَّهِ أَمِين» رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ فِي دَيْسَمْبَرِ

رِحْلَتِنَا الْأُولَى سِوَاءِ بِالنَّسْبَةِ لَنَا أَوْ بِالنَّسْبَةِ لِلْأَفْغَانِ. وَفِي دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ كَانَتْ مَظَاهِرُ الْحَفَاوَةِ عَجِيبَةً، خَاصَّةً مِنْ سُكَّانِ الْقُرَى؛ فَمَا أَنْ وَطَأَتْ أَقْدَامُنَا أَرْضَ أَفْغَانِسْتَانَ حَتَّى طَارَ الْخَبْرُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ. كَانَتْ بَعْضُ الْقُرَى مُدْمَرَةً وَخَالِيَةً تَمَامًا مِنْ السُّكَّانِ، وَبَعْضُ الْقُرَى سَلِيمَةٌ أَوْ أَنَّ الدَّمَارَ فِيهَا قَلِيلٌ. الْقُرَى الَّتِي عَلِمَتْ بِأَمْرِنَا خَرَجَتْ تُقَابِلُنَا عَنْ بَكْرَةٍ أَبِيهَا. بَعْضُهُمْ اسْتَقْبَلَنَا عَلَى بُعْدِ مِائَاتٍ مِنَ الْأَمْتَارِ مِنَ الْقَرْيَةِ. وَكَانَ أَكْثَرُ مَا أَحْرَجَنَا هُمْ هُوَ لِأَنَّ الْمَرْضَى أَوْ [الْمُصَابُونَ] الَّذِينَ طَلَبُوا مِنَّا أَنْ نَرْفِيَهُمْ طَلَبًا لِلشِّفَاءِ. وَخَرَجَ النَّاسُ بِأَطْفَالِهِمْ الْمَرْضَى يَطْلُبُونَ مِنَّا أَنْ نَقْرَأَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ. فِي الْبِدَايَةِ رَفَضْتُ بِشِدَّةٍ، وَلَكِنْ مُرَافِقُنَا الْأَفْغَانِيُّ أَلْحَقَ قَائِلًا بَأَنَّ امْتِنَاعِي سَوْفَ يُحْزِنُهُمْ كَثِيرًا.

كُنْتُ أَشْعُرُ بِالْخَجَلِ؛ فَهَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ يَحْسَبُونَنَا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، بَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى حَالَةٍ مُذْرِيَةٍ مِنْ ضَعْفٍ فِي الدِّينِ وَقِلَّةٍ فِي الْعَمَلِ. كُنَّا نَرَاهُمْ أَفْضَلَ مِنَّا حَالًا بِمَا لَا يُقَارَنُ، لَقَدْ تَحَدُّوا حُكُومَةً كَافِرَةً مُزَوَّدَةً بِجَيْشٍ قَوِيٍّ حَدِيثٍ وَتَدْعُمَهَا قُوَّةٌ عَظْمَى. بَيْنَمَا نَحْنُ الْعَرَبُ قَدْ فَرَّطْنَا فِي الدِّينِ وَالْأَرْضِ، وَوَقَفْنَا نَرْتَجِفُ أَمَامَ حُكُومَاتٍ مِنَ الْقَشِّ. وَرَغْمَ رِدَّتِهَا الْفَاضِحَةِ فَقَدْ أَكْسَبَهَا «عُلَمَاؤُنَا» صِفَةَ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَكْسَبَتْهَا قِطَاعَاتُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الْكُبْرَى صِفَةَ «أَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ». كُنَّا نَرَى فِي الْقُرُوبِ وَالرَّاعِي وَالْحَطَّابِ الْأَفْغَانِيِّ أَكْثَرَ عِلْمًا وَأَكْثَرَ «حَرَكَيةً» مِنْ عُلَمَائِنَا وَأَبْنَائِنَا «حَرَكَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ» وَجَهَابَتِهَا.

وَمِنْ بَيْنِ كُلِّ حَالَاتِ التَّرْحَابِ الَّتِي لَا تُحْصَى مَا زِلْتُ أَذْكَرُ ذَلِكَ الشَّيْخِ
 الْهَرَمَ، كَانَ بَدَوِيًّا مَهِيَبَ الْقَامَةِ ذَا لِحْيَةٍ ضَخْمَةٍ، لَمْ تَكُنْ لِحْيَةً أُنِيقَةً كَالَّتِي ذَهَبْنَا
 بِهَا إِلَيْهِمْ، قَابَلْنَا فِي أَحَدِ الشُّعَابِ وَنَحْنُ نَشْرَبُ الْمَاءَ، وَقَدْ أَعْيَانَا الْمَسِيرُ
 وَقَتَ الظَّهِيرَةِ، كُنْتُ مَعَ صَدِيقِي «أَحْمَدُ» وَأَحَدِ الْمُجَاهِدِينَ. عَلِمَ الشَّيْخُ أَنَّنا
 عَرَبٌ فَهَجَمَ عَلَيْنَا يَحْتَضِنُنَا. أَخَذَنِي بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ بِقُوَّةٍ حَتَّى شَعَرْتُ بِعِظَامِي
 تَتَدَاخَلُ، وَكَانَ يَبْكِي بِحُرْقَةٍ وَيَتَمَتُّمُ بِكَلِمَاتٍ فَهَمْتُ مِنْهَا «رَسُولُ اللَّهِ...
 الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ... الْكَعْبَةُ الْمُشْرِفَةُ». وَلَوْ لَا الْآلَامُ فِي عِظَامِي لَبَكَيْتُ مَعَهُ،
 وَكَانَ فِي بُكَائِهِ يَتَّحِبُ وَيَتَشَمَّمُ مَلَاسِي وَرَأْسِي بِعُمُقٍ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَلْتَصِقَ
 تِلْكَ الرَّائِحَةُ فِي جُدْرَانِ صَدْرِهِ، وَكَأَنَّهُ يَجِدُ فِيهَا عَبَقَ هَوْلَاءِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ.
 كَمْ كُنْتُ خَجَلًا مِنْ نَفْسِي وَقَتَهَا. أَصَرَ الشَّيْخُ عَلَيَّ دَعَوْتَنَا عَلَى الطَّعَامِ،
 وَصَعَدْنَا الْجَبَلَ إِلَى بَيْتِهِ الصَّغِيرِ. وَأَخْبَرَ الشَّيْخَ زَوْجَتَهُ الْعَجُوزَ بِالْخَبَرِ
 الْمُنْذِهِلِ: «لَدَيْنَا صُيُوفٌ مِنَ الْعَرَبِ». كَادَتْ هِيَ الْأُخْرَى أَنْ تَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ
 وَأَمْطَرَتْ مُرَافِقَنَا الْأَفْغَانِيَّ بِوَابِلٍ مِنَ الْأَسْئَلَةِ فَعَلِمَتْ أَنَّنا قَدِمْنَا لِلْجِهَادِ فِي
 أَفْغَانِسْتَانَ. لَمْ تَكَدْ تُصَدِّقُ مَا تَسْمَعُ، وَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً لِتَضَعَّ لَنَا طَعَامًا، فَطِيرَةٌ
 سَاخِنَةٌ تَسْبِخُ فِي السَّمَنِ مَعَ طَبِقٍ مِنَ الشَّهْدِ. وَاعْتَدَرْتُ هِيَ وَزَوْجُهَا كَثِيرًا
 [مِنْ] أَنْ طَعَامُهُمَا غَيْرُ مُنَاسِبٍ، وَأَنَّنا نُرِيدُ الذَّهَابَ بِسُرْعَةٍ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَدَبَحَا
 لَنَا شَاءً.

خَرَجْنَا مُتَأَثِّرِينَ بِتِلْكَ الْحَفَاوَةِ الصَّادِقَةِ وَذَلِكَ الْكَرَمِ الْعَجِيبِ. كُنَّا مُتَّفِقِينَ

أَنَا وَ «أَحْمَدُ» أَنَّ هَؤُلَاءِ البُسَطَاءِ فِي الجِبَالِ هُمْ أَفْضَلُ مِنَّا بِكَثِيرٍ، وَأَنَّ إِسْلَامَهُمْ أَكْثَرُ صِدْقًا مِنْ إِسْلَامِنَا نَحْنُ العَرَبِ. مَشِينَا عِدَّةَ مِئَاتٍ مِنَ الأُمْتَارِ، وَقُلْتُ لِصَدِيقِي: إِنِّي أَعْجَبُ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَشَمَّمَ أَجْسَادَنَا بِهَذِهِ القُوَّةِ، بَيْنَمَا رَائِحَتُنَا لَا تُطَاقُ مِنْ كَثْرَةِ العَرَقِ وَالْأَوْسَاحِ الَّتِي عَلَيْهَا؟. بَعْدَ لِقَائِنَا مَعَ ذَلِكَ الشَّيْخِ صَرْتُ لَا أَسْتَعْرِبُ الكَرَمَ الأَفْغَانِيَّ وَلَا أَتَوَقَّعُ لَهُ حُدُودًا، حَتَّى عِنْدَمَا قَالَ أَحَدُ سُكَّانِ الجِبَالِ وَهُوَ يُودِّعُنَا، وَهُوَ يَعْتَذِرُ كَالْعَادَةِ بِأَنَّ طَعَامَهُ لَمْ يَكُنْ مُنَاسِبًا وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ بِقُدُومِنَا «لَذَبَحَ لَنَا أَحَدَ أَوْلَادِهِ»، صَدَّقْتُ مَا قَالَهُ وَلَمْ أَسْتَبْعِدْهُ بِالْمَرَّةِ. وَحَمَدْتُ اللَّهَ فِي سِرِّي أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِقُدُومِنَا، فَرَبَّمَا كَانَ فَعَلَهَا مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّنا لَسْنَا مِنْ آكِلِي لُحُومِ البَشَرِ.

فِي عَامِ ٢٠٠١م رَفَضَ الأَفْغَانُ تَسْلِيمَ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنٍ» إِلَى أَمْرِيكََا حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ الحَرْبُ هِيَ النَّيْجَةُ؛ فَهُمْ لَا يَقْبَلُونَ تَسْلِيمَ ضَيْفِهِمْ لِعَدُوِّهِ، وَلَا هُمْ يَقْبَلُونَ بِتَسْلِيمِ مُسْلِمٍ لِكَافِرٍ، وَلَوْ لَا أخطَاءِ «ابْنِ لَادِنٍ» وَالعَرَبِ مَعَهُ لَقَاتَلَ الأَفْغَانُ جَمِيعًا دِفَاعًا عَنْهُمْ.

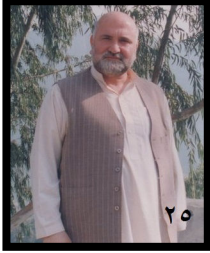
كُنَّا قَدْ تَرَكْنَا «السَّيِّدَ مُحَمَّدَ طَاهِرٍ» فِي «مِيرَانشَاه» بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ القَوْمُ يُقْنِعُونَهُ بِعَدَمِ المَسِيرِ نَظْرًا لِمْشَقَّةِ الطَّرِيقِ وَخُطُورَتِهِ. كَانَ الشَّيْخُ المِسْكِينُ يَبْكِي وَيَقُولُ أَرِيدُ أَنْ أَشَمَّ دُخَانَ المَعَارِكِ حَتَّى أَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. فَأَبْكَى الحَاضِرِينَ وَاقْتَنَعَ بِصُعُوبَةِ البَلْغَةِ بِالبَقَاءِ، ثُمَّ وَدَّعَنَا بَاكِيًّا وَقَالَ: «سَأَنْتَظِرُكُمْ هُنَا،

لَنْ أَبْرَحَ مَكَانِي حَتَّى تَعُودُوا». كُنَّا نَسْتَبْعِدُ أَنْ نَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى؛ فَقَدْ كُنَّا نَرْجُو الشَّهَادَةَ وَنَتَوَقَّعُهَا. كُنَّا نَسِيرُ فِي نَشَاطٍ وَسُرُورٍ، بِلَا تَعَبٍ أَوْ مَشَقَّةٍ، كُنَّا نَشْعُرُ دَوْمًا أَنَّ أَجْسَادَنَا فَقَطْ هِيَ الَّتِي تَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ أَمَّا أَرْوَاحُنَا فَهِيَ مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي انْتِظَارِ الانْطِلَاقِ الْمُبَارَكِ نَحْوَ جَنَّاتِ الْخُلْدِ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ لِلْأَسْفِ لَمْ يَحْدُثْ حَتَّى الْآنَ، وَرُغْمَ مُرُورِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا، انْقَضَى فِيهَا الْجِهَادُ وَلَمْ نَفُزْ بِمَا نُرِيدُ.

«قَارِي مَحْمُود» كَانَ مِنَ الْعُنَاصِرِ الْفَعَّالَةِ فِي حَرَكَةِ «طَالِبَانَ» الَّتِي ظَهَرَتْ فِي صَيْفِ ١٩٩٤ م، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى «كَابُل» فِي أُكْتُوبَرِ ١٩٩٧ م، وَأَطَاحَتْ بِهَا الْحَمْلَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ فِي نِهَائِيَةِ عَامِ ٢٠٠١ م. وَحَرَكَةُ «طَالِبَانَ» أَطَاحَتْ بِإِدَارَةِ «حَاجِّي قَدِير» وَالِي «جَلَالِ آبَاد»، وَقَدْ فَرَّ مِنْهَا قَبْلَ دَقَائِقَ مِنْ وُصُولِ قُوَّاتِ الْحَرَكَةِ إِلَيْهَا قَبْلَ اقْتِحَامِهَا «كَابُل» بِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ.



تَعْلِيقَاتٌ عَلَى الْفَصْلِ الثَّانِي:



▪ «عَبْدُ الْحَقِّ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٢٥] شَقِيقُ «دِينِ مُحَمَّدٍ» وَ «حَاجِّي قَدِيرٍ» فَقَدْ قَتَلَتْهُ قُوَّاتُ «طَالِبَانَ» فِي أَعْقَابِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَهُوَ يُحَاوِلُ تَرْتِيبَ انْقِلَابٍ فِي «جَلَالِ آبَادٍ» لِصَالِحِ قُوَّاتِ الْغَزْوِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَثْنَاءَ أَحْدَاثِ حَرْبِ أُكْتُوبَرِ ٢٠٠١ م.

▪ تَوْصِيفُ الْحُكُومَاتِ بِالْازْتِدَادِ لَيْسَ تَوْصِيفًا شَرْعِيًّا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ خَارِجٌ اخْتِصَاصِ الْكَاتِبِ، بَلْ هُوَ تَوْصِيفٌ سِيَاسِيٌّ لِحُكُومَاتٍ تَصِفُ أَنْظِمَتَهَا بِأَنَّهَا عِلْمَانِيَّةٌ أَيْ لَادِينِيَّةٌ، وَهِيَ بِذَلِكَ تَرَاجَعَتْ عَنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ طَابِعَ الْحُكْمِ قَبْلَ مَرَحَلَةِ الْاِسْتِعْمَارِ الْغَرْبِيِّ

(١) عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمَانَ: أَحَدُ قَادَةِ الْمَجْمُوعَاتِ الْجِهَادِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي فِتْرَةِ الْغَزْوِ السُّوفِيَّيِّ، وُلِدَ فِي ٢٣ أَيْرِيلِ ١٩٥٨ م فِي وِلَايَةِ «نَانْجِرْهَارِ». كَانَ ضِمْنَ حَزْبِ إِسْلَامِيٍّ بِقِيَادَةِ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصِ». كَانَ «عَبْدُ الْحَقِّ» أَحَدَ الْأَفْغَانِ الْقَلَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ اتِّصَالٌ مُبَكَّرٌ بِوَكَالَةِ الْاِسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. شَغَلَ مَنْصِبَ وَزِيرِ الْأَمْنِ الدَّاخِلِيِّ فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ، ثُمَّ غَادَرَ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى «دُبَيِّ» بَعْدَ مُحَاوَلَاتِ اسْتِثْنَارِ «حِكْمَتِيَّارِ» بِالْمَنْاصِبِ السِّيَادِيَّةِ، ثُمَّ أَصْبَحَ «عَبْدُ الْحَقِّ» وَسَيْطًا لِلسَّلَامِ تَابِعًا لِلْأَمَمِ الْمُتَّحِدَةِ. فِي عَامِ ١٩٩٩ م اتَّحَدَ مَعَ «أَحْمَدَ شَاهِ مَسْعُودِ» فِي تَحَالُفِ الشَّمَالِ ضِدَّ حَرَكَةِ «طَالِبَانَ». بَعْدَ ضَرْبَاتِ ١١ سِبْتَمْبَرِ دَخَلَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ الْحُدُودِ الشَّرْقِيَّةِ مَعَ بَاكِسْتَانَ، وَخَطَّطَ لِانْقِلَابٍ عَلَى حُكُومَةِ «طَالِبَانَ»، وَلَكِنْ تَمَّ الْقَبْضُ عَلَيْهِ مَعَ تِسْعَةِ عَشَرَ آخَرِينَ فِي وِلَايَةِ «نَانْجِرْهَارِ»، وَأُعْدِمَ فِي ٢٦ أُكْتُوبَرِ ٢٠٠١ م.

لِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا أَنَّهَا حُكُومَاتٌ تَرْفُضُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ،
وَتَعْمَلُ عَلَى إِضْعَافِ الْإِسْلَامِ فِي الْمُجْتَمَعِ وَتَنْصُرُ أَعْدَائِهِ فِي الدَّخْلِ
وَالخَارِجِ. أَمَّا «الْإِرْتِدَادُ» الدِّينِيُّ فَهِيَ حَالَةٌ يَحْتَاجُ إِثْبَاتُهَا إِلَى عُلَمَاءِ
دِينٍ مُخْتَصِّينَ، ذَوِي عِلْمٍ وَتَقْوَى، فَأَيْنَ هُمْ؟! لَقَدْ جَرَى تَخْفِيفُ
عِبَارَاتِ «الرِّدَّةِ» حَتَّى لَا يُسَاءُ فَهَمَّ قَصْدِ الْكَاتِبِ وَيُتَّهَمُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -
بِتَهْمَةِ التَّطَرُّفِ أَوْ حَتَّى الْإِرْهَابِ!!^(١).



(١) وَصَفُ الْكَاتِبِ لِلْحُكُومَاتِ بِأَنَّهَا حُكُومَاتُ رِدَّةٍ، ثُمَّ تَوْضِيحُ إِرَادَتِهِ بِأَنَّ الرِّدَّةَ هُنَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ مَنظُورٍ
سِيَاسِيٍّ وَوَيْسَتْ مِنْ مَنظُورٍ شَرْعِيٍّ، هُوَ وَصْفٌ يَحْمِلُ إِشْكَالَاتٍ كَثْرَةً، فَإِذَا كَانَ قَصْدُ الْكَاتِبِ
سِيَاسِيًّا وَلَيْسَ شَرْعِيًّا فَإِنَّ كَلِمَةَ «الرِّدَّةِ» لَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لِلْوَصْفِ، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ مَدْلُولِهَا الشَّرْعِيِّ
وَشُيُوعِهِ. وَلَكَانَ مِنَ الْأَوْلَى الْاِقْتِصَارَ عَلَى وَصْفِ تِلْكَ الْحُكُومَاتِ بِمُصْطَلَحَاتٍ لَا شُبْهَةَ فِيهَا
كَمُصْطَلَحِ «الْعِلْمَانِيَّةِ» أَوْ «اللَادِينِيَّةِ». وَمَعَ أَنَّهُ صَرَّحَ بِقِلَّةِ اسْتِخْدَامِهِ لِذَلِكَ الْوَصْفِ إِلَّا أَنَّهُ مَبْثُوثٌ
فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فِي سِيَاقَاتٍ تُوحِي أَكْثَرَهَا بِقَصْدِ الْمَعْنَى الشَّرْعِيَّةِ دُونَ السِّيَاسِيَّةِ. وَهُنَا
يَجْدُرُ بِنَا الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ وَصْفَ الْحُكُومَاتِ وَالْأَنْظِمَةِ وَالرَّيَاةِ بِالرِّدَّةِ أَوْ بغيرِهَا مِنَ الْأَوْصَافِ لَا
يَقْتَضِي بِالضَّرُورَةِ وَصْفَ مَنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى تِلْكَ الْكِيَانَاتِ بِذَاتِ الْوَصْفِ لَا إِجْمَالًا وَلَا تَعْيِينًا، بَلْ
إِنَّمَا مَعَ قَوْلِنَا بِكُفْرِيَّةِ تِلْكَ الْحُكُومَاتِ وَالرَّيَاةِ الْمَعْقُودَةِ إِلَّا أَنَّنَا نَجْرِمُ بِعَدَمِ كُفْرِ أَكْثَرِ الْمُتَسَبِّبِينَ إِلَيْهَا
وَأَنَّ هُنَاكَ أَكْثَرَ مِنْ مَنَاعٍ مِنْ تَكْفِيرِهِمْ، وَلَا يَمْنَعُ هَذَا مِنْ مَدْفَعَتِهِمْ بِمَا يَنْدَفِعُوا بِهِ نُصْرَةَ لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَإِنْ كَانُوا جُهَالًا أَوْ مُكْرَهِينَ أَوْ مُتَّبِعِينَ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ وَصْفُ الْكُفْرِ، أَمَّا حَالَاتُ تَعْيِينِ
الرِّدَّةِ فَلَهَا عُلَمَاؤُهَا وَلَيْسَتْ مَشَاعًا يَلِغُ فِيهِ مَنْ شَاءَ مِنْ صِغَارِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَوْ الْمُجَاهِدِينَ أَوْ حَتَّى
كِبَارِهِمْ.

الفصل الثالث

الرَّحْلَةُ الْأُولَى: لِقَاءُ مَعَ الْجِهَادِ

كَانَتْ مُهِمَّتُنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ مُهِمَّةً إِعْلَامِيَّةً مِنْ أَحَدِ جَوَانِبِهَا؛ كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَعْلَمَ مَاذَا يَحْدُثُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنْ نُبْلِّغَ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْعَرَبِ خَاصَّةً. وَكُنَّا نَرَى أَنَّ قَضِيَّةَ أَفْغَانِسْتَانَ هِيَ قَضِيَّةُ إِسْلَامٍ وَشَعْبٍ يُجَاهِدُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَوَاجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَخَاصَّةً الْعَرَبُ وَبِشَكْلِ مُبَاشِرٍ فِي أَرْضِ الْجِهَادِ وَأَنْ يُبَلِّغُوا الْأُمَّةَ مِنْ خَلْفِهِمْ بِمَا يَحْدُثُ، وَيَحْشِدُوا الطَّاقَاتِ اللَّازِمَةَ لِتِلْكَ الْمَعْرَكَةِ. وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فَإِنَّ «الرَّايَةَ» وَاضِحَةٌ، وَلَا مَجَالَ لِلِاعْتِرَاضَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْحَالَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ - الْفِلَسْطِينِيَّةِ.

كَانَتْ الْأَوْهَامُ قَدْ وَصَلَتْ بِي وَبِصَدِيقِي «إِسْمَاعِيلَ» إِلَى أَنْ نَعْتَقِدَ بِأَنَّ أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ تَشْهَدُ مِيلَادَ قُوَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ جِهَادِيَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقَاتِلَ حَيْثُ تَسْتَدْعِي الْحَاجَةَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَنَّا يَجِبُ أَنْ نُحَاوِلَ إِنْشَاءَ هَذِهِ الْقُوَّةِ. أَمَّا «أَحْمَدُ» فَلَمْ يَكُنْ يَرَى فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ فُرْصَةٍ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ عَلَى قَدْرِ طَاقَةٍ كُلِّ مُسْلِمٍ لِمُسَاعَدَةِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ وَالْمُشَارَكَةَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ. كَانَ التَّفَاوُتُ فِي الرُّؤْيَا وَالْأَحْلَامِ وَاسِعًا، وَكَذَلِكَ تَفَاوُتَتْ قُدْرَاتُنَا عَلَى الْمَسِيرِ فِي هَذَا الدَّرَبِ الشَّائِكِ. كُنْتُ أَكْثَرَ الثَّلَاثَةِ تَخِيلاً لِمَدَى الصُّعُوبَاتِ الْمُرتَقِبَةِ،

وَلَكِنْ مَا رَأَيْتُهُ لَاحِقًا فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ فَاقَ كُلَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ.

حاولنا في البداية تدعيم قدرتنا الإعلامية. كان «أحمد» أكثرنا عمليّة في تفكيره وتصرفاته، وكُنْتُ و «إسماعيل» أكثر جنوحًا للأحلام البعيدة أو المشاريع الطويلة المدى، لهذا كان «أحمد» أكثر فائدة في مساعدة المجاهدين بشكل مباشر، بينما تخلى «إسماعيل» عن هذا الطريق كليّة بعد عامين أو ثلاثة. استمر «أحمد» في تقديم ما يمكن تقديمه عمليًا وبشكل عقلائي جادٍّ وموزون. بينما بقيت أنا بشيء من طريقتي «أحمد» العمليّة وبكثير من الأحلام الكبيرة، حتى انتهى الجهاد، وتحوّلت إلى مطارد، ثم بقيت بين الجبال أمارس عملاً إعلاميًا مستقبليًا بكتابة هذه الوريقات.

استطاع «أحمد» أن يوفر كاميرا فيديو وكاميرا تصوير عادية، وكذلك ثلاث سترات عسكرية أرسلها له أخوه الذي يعيش في لندن، وكذلك بعض المال لشراء ثلاث بنادق لتسليحنا الشخصي. وبالنسبة للعمل الإعلامي فوجدت به وهو يعلمني باتفاقه مع جاز له يعمل محررًا في جريدة «الاتحاد» - وهي جريدة حكومية واسعة الانتشار - كي يصبحنا هذا الجار في رحلتنا إلى أفغانستان. هذا الصحافي والده عالم دين مشهور يحظى باحترام واسع، هو الشيخ «حسن أيوب» مؤلف كتاب «الفدائية في الإسلام».

بعد عودتي من لبنان تركت نهائيًا العمل الهندسي وتحوّلت إلى العمل

الصَّحْفِيِّ. وَكُنْتُ قَدْ حَاوَلْتُ احْتِرَافَهُ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ بَعْدَ الرَّحَلَةِ اللُّبْنَانِيَّةِ اسْتَقَرَّ رَأْيِي عَلَى اعْتِبَارِ الْعَمَلِ الصَّحْفِيِّ هُوَ الْأَنْسَبُ [مُمَارَسَةً] فِي ظِلِّ مَشَارِعِي الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ؛ فَالْكِتَابَةُ وَالتَّصْوِيرُ أَعْمَالٌ مُمَكِّنَةٌ مَعَ الْجِهَادِ الَّذِي يَدُورُ فِي مَنَاطِقِ هَامَّةٍ إِخْبَارِيًّا. فَعَمِلْتُ فِي صَحِيفَةٍ عَدِيمَةِ الْإِنْتِشَارِ هِيَ «صَحِيفَةُ الْفَجْرِ»، فَقَضَيْتُ بِهَا عِدَّةَ سَنَوَاتٍ كَانَتْ هِيَ الْأَجْمَلُ فِي حَيَاتِي الْعَمَلِيَّةِ؛ فَلَمْ أَرْغَبْ يَوْمًا فِي تَرْكِ الْعَمَلِ بِهَا حَتَّى وَلَوْ مِنْ أَجْلِ رَاتِبٍ أَفْضَلَ، وَالسَّبَبُ هُوَ تِلْكَ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ مِنَ الصَّدَاقَةِ وَالزَّمَالَةِ مَعَ الْعَامِلِينَ بِهَا فِي كَافَّةِ الْأَقْسَامِ، خَاصَّةً قِسْمِ سَكْرَتَارِيَّةِ التَّحْرِيرِ الَّذِي كُنْتُ أَعْمَلُ بِهِ وَيَرَأْسُهُ صَدِيقٌ قَدِيمٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ.

نَتِيجَةً لِذَلِكَ فَقَدْ كُنْتُ أَحْصُلُ عَلَى مُدَّةِ الْإِجَارَةِ الَّتِي تُنَاسِبُنِي عِنْدَ سَفَرِي إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَبِدُونِ آيَةِ مُضَايَقَاتٍ إِدَارِيَّةٍ مِنْ جَانِبِ الْجَرِيدَةِ. وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَتْ الْمَادَّةُ الصَّحْفِيَّةُ الَّتِي أَكْتُبُهَا أُرْسَلُهَا إِلَى جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» كَيْ تُنَشَرَ بِدُونِ وَضْعِ الْأَسْمِ عَلَيْهَا لِكَوْنِي أَعْمَلُ فِي جَرِيدَةٍ مُنَافِسَةٍ. كُنْتُ أَفْضَلُ أَنْ أَكْتُبَ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ لِجَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» وَاسِعَةِ الْإِنْتِشَارِ حَتَّى نَحْصُلَ عَلَى الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ مِنْ إِيقَاطِ الرَّأْيِ الْعَامِّ لِمُسَاعَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ، وَلَقَدْ نَجَحْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى دَرَجَةٍ مَعْقُولَةٍ. وَقَدْ أَوْصَلَنِي هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى مَصَائِبَ وَمَخَاطِرٍ لَمْ تَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ، كَمَا سَنَذَكُرُ خِلَالَ هَذَا الْكِتَابِ.

صَحْفِي رُغْمَ أَنفِهِ:

عِنْدَمَا عَزَمْنَا عَلَى السَّفَرِ اعْتَذَرَ صَدِيقُنَا الصَّحْفِي؛ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا



صَحْفِي الرَّحْلَةَ، مَعَ خَشْيَتِي أَلَّا تَنْشُرَ «الاتِّحَادَ» مَا أُرْسِلُهُ
إِلَيْهَا مِنْ مَوَادِّ لِكُونِي لَا أَعْمَلُ فِي نَفْسِ الصَّحِيفَةِ. وَلَكِنَّ
«الاتِّحَادَ» - وَلِسِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ - ظَلَّتْ تُرَحِّبُ بِكِتَابَاتِي،
وَحَتَّى انْتَهَتْ عِلَاقَتِي بِالْجَرِيدَةِ نِهَائِيًّا عَامَ ١٩٩٠ مَ فَإِنَّ
مُعْظَمَ مَا كَتَبْتُهُ لَهُمْ قَدْ نُشِرَ بِاسْتِثْنَاءِ مَقَالٍ كَتَبْتُهُ عَنْ وَضِعِ

الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَكَانَ بِمُنَاسَبَةِ صُورَةٍ شَهِيرَةٍ لِلرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ «رُونَالْدِ
رِيْجَانِ» وَهُوَ يَحْتَضِنُ بِعُطْفٍ وَحَنَانٍ حَسَنَاءِ أَفْغَانِيَّةٍ أَسْمَوْهَا «نَاهِدُ مُجَدِّدِي».

[رُونَالْدِ رِيْجَانِ أَثْنَاءَ تَحْدِيدِ يَوْمِ تَكْرِيمِ أَفْغَانِسْتَانَ ٢١ مَارِسَ ١٩٨٢ مَ، الْأَزْبَعَاءَ ١٠ مَارِسَ ١٩٨٢ مَ:

صُورَةٌ رَقْمَ ٢٦]

مَرَّةً أُخْرَى امْتَنَعُوا عَنْ نُشْرِ تَحْقِيقِ صَحْفِي كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُهُ عَنْ مَعْرَكَةِ

«جَاوَرِ» عَامَ ١٩٨٦ مَ، وَكُنْتُ وَقْتَهَا فِي قِمَّةِ التَّالْتِ «الْوَضِيفِيِّ» كَمُدِيرٍ لِمَكْتَبِ

جَرِيدَةِ «الاتِّحَادِ» فِي «إِسْلَامِ آبَادِ». وَلَمْ أُدْرِكْ وَقْتَهَا أَنَّ دَوْلَةَ الْإِمَارَاتِ عَلَى

وَشْكِ اتَّخَذَ «خُطْوَةَ رَائِدَةٍ» بِإِعَادَةِ الْعِلَاقَاتِ الدِّيْبُلُومَاسِيَّةِ مَعَ السُّوْفِيَّةِ، وَأَنَّ

إِغْلَاقَ مَكْتَبِنَا فِي «إِسْلَامِ آبَادِ» كَانَ عَرْبُونًا بَسِيطًا ضَمَّنَ تِلْكَ الصَّفْقَةَ. أَمَّا

حَذْفُ بَعْضِ الْمَقَاطِعِ مِنَ الْمَقَالَاتِ فَكَانَ يَتِمُّ فِي مَرَّاتٍ قَلِيلَةٍ فَقَطْ. وَقَدْ نَعُودُ

مَرَّةً أُخْرَى لِلْحَدِيثِ عَنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الصَّحْفِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا بَدَأَتْ عَلَى آيَةِ حَالٍ

مُنْذُ دُخُولِنَا أَوَّلَ مَرَكَزٍ لِلْمُجَاهِدِينَ قَابَلَنَا فِي رِحْلَتِنَا الْأُولَى.

وَسَطَ غَابَاتِ الصُّنُوبِ الشَّاهِقَةِ فِي مَنْطِقَةِ «أورجون»^(١)، كَانَتْ فَقَرْتُنَا الْأَسَاسِيَّةُ الْأُولَى فِي الرَّحْلَةِ، وَهِيَ زِيَارَةُ مَرَكَزِ الْقَوْمِنْدَانَ «مُطِيعِ اللَّهِ»^(٢). أَرْسَلَ الْقَائِدُ وَفُودَ اسْتِقْبَالٍ قَابَلْتَنَا عَلَى مَسِيرَةِ نِصْفِ يَوْمٍ مِنَ الْمَرَكَزِ. الْمَجْمُوعَةُ الْأُولَى مِنَ الْمُسْتَقْبَلِينَ كَانَتْ مَعَهُمْ جَمَلٌ كَثِيرٌ يَحْمِلُونَا عَلَيْهِ، وَكَأَنَّهُ تَوَقَّعَ عَدَمَ قُدْرَتِنَا عَلَى الْمَسِيرِ كُلِّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ. رَفَضْنَا بِإِصْرَارٍ؛ إِظْهَارًا لِلْعَزِيمَةِ وَطَمَعًا فِي الثَّوَابِ، فَكَادَ صَاحِبُ الْبَعِيرِ أَنْ يَبْكِيَ وَقَالَ إِنَّ «مُطِيعَ اللَّهِ» سَيَحْزَنُ كَثِيرًا لِذَلِكَ. فَتَطَوَّعْتُ لِأَدَاءِ الْمَهْمَةِ كَنُوعٍ مِنَ الْمَجَامَلَةِ، وَلَكِنِّي نَدِمْتُ عَلَى ذَلِكَ وَقْتُ لَا يُجِدِي النَّدَمُ؛ فَمَا أَنْ اقْتَرَبْنَا مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ حَتَّى أَخَذَ الطَّرِيقَ التُّرَابِيَّ فِي الْإِنْكَمَاشِ وَتَزَايَدَتْ أَغْصَانُ الصُّنُوبِ الَّتِي تَعْتَرِضُ مَسِيرِي وَأَنَا فَوْقَ الْقِمَّةِ السَّامِقَةِ لِلْبَعِيرِ الشَّابِّ. تَلَقَّيْتُ عِدَّةَ ضَرْبَاتٍ كَادَتْ تُطِيحُ بِي إِلَى الْوَادِي السَّحِيقِ فِي الْيَمِينِ، أَمَّا الْجَانِبُ الْأَيْسَرُ فَهُوَ مُغْلَقٌ تَقْرِيبًا بِسَفْحِ الْجَبَلِ

(١) إِحْدَى مُدِيرِيَّاتِ وِلَايَةِ «بَكْتِيكَ»، تَقَعُ الْوِلَايَةُ فِي جَنُوبِ شَرْقِ أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى الشَّرِيطِ الْحُدُودِيِّ مَعَ

الْبَاكِسْتَانَ، وَتَقَعُ مُدِيرِيَّةُ «أُورْجُون» أَوْ «أُورْجُون» فِي شَمَالِ شَرْقِ الْوِلَايَةِ قُرْبَ الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ.

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمَصْرِيُّ مُعَلِّقًا: «مُطِيعُ اللَّهِ: مُدْرَسٌ فِي زِيَاءِ سَابِقٍ وَقَائِدُ مِيدَانِي قَدِيرٌ،

خَاصَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَعَارِكِ النَّاجِحَةِ، اسْتَشْهَدَ عَامَ ١٩٩٠ م فِي مَنْطِقَةِ «خُوسْت» بَعْدَ عَمَلِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ

رَاطِعَةٍ، سَنَدُّهَا فِي مَوْضِعِهَا مِنْ كِتَابِ: الْمَطَارُ ٩٠ مِنْ سِلْسِلَةِ أَدَبِ الْمَطَارِ.

وَالْأَشْجَارِ النَّافِذَةِ مِنْهُ بِتَحَدِّ. وَأَخِيرًا اعْتَرَضَنِي غُصْنٌ عَلَى ارْتِفَاعِ سِنَامِ الْجَمَلِ
تَمَامًا، فَاضْطَرُّرْتُ وَقْتَهَا إِلَى الْاسْتِنْجَادِ بِصَاحِبِ الْجَمَلِ الَّذِي أَوْقَفَهُ فِي
اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ، وَكَانَتْ فُرْصَتِي حَيْثُ انْزَلْتُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرَ لِلْجَمَلِ،
وَأَصْرَرْتُ عَلَى مُشَارَكَةِ إِخْوَانِي ثَوَابِ السَّيْرِ عَلَى الْأَقْدَامِ!!.

هَبَطْنَا الْجَبَلَ وَأَخْبِرُونَا كَالْعَادَةِ أَنَّ الْمَرْكَزَ قَرِيبٌ. تَوَقَّعْتُ لِلْوُضُوءِ
وَسَبَقَنِي الرَّكْبُ بِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ نَوْعًا مَّا، وَعِنْدَمَا عُدْتُ إِلَيْهِمْ شَاهَدْتُ شَاحِئَتَيْنِ
عَسْكَرِيَّتَيْنِ وَتَجْمَهْرًا وَحَرَكَةً حَوْلَهَا. تَوَقَّعْتُ أَنْ يَكُونَ الرَّكْبُ قَدْ وَقَعَ فِي
كَمِينٍ حُكُومِيٍّ. لَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ، وَالْمَنْطِقَةُ مَجْهُولَةٌ تَمَامًا بِالنِّسْبَةِ لِي. لَمْ
أَشْهَدْ أَيَّ دَلَائِلَ عَلَى اضْطِرَابٍ كَمَا يَقْتَضِي مَوْقِفُ الْكَمِينِ، حَتَّى لَوْ كَانَ
إِخْوَانُنَا اسْتَسَلَّمُوا، وَهَذَا مُسْتَبَعْدٌ فَبَعْضُهُمْ مُسَلِّحٌ. وَأَخِيرًا اكْتَشَفْتُ أَنَّ
الشَّاحِئَتَيْنِ قَدْ جَاءَتَا لِاسْتِقْبَالِنَا مَعَ لَجْنَةٍ اسْتِقْبَالٍ جَدِيدَةٍ، وَأَنَّ الشَّاحِئَتَيْنِ هُمَا
مِنْ الْغَنَائِمِ الْحَدِيثَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي مَعْرَكَةٍ تَمَّتْ مُنْذُ أَيَّامٍ فَقَطْ فِي مَنْطِقَةٍ قَرِيبَةٍ
مِنَّا.

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ نَشَاهَدُ الْغَنَائِمَ، وَكُنَّا مُنْذِهِشِينَ وَانْفِعَالَاتِنَا لَا تُوصَفُ. كُنَّا نَقْرَأُ
عَنْ الْغَنَائِمِ فِي الْكُتُبِ التَّارِيخِيَّةِ أَيَّامَ الْغَزَوَاتِ وَالْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ لِلْمُسْلِمِينَ. دُرْنَا
حَوْلَ الشَّاحِئَتَيْنِ، وَكَانَتَا فِي حَالَةٍ مُمْتَازَةٍ، وَالتَّقَطْنَا لَهَا صُورًا كَثِيرَةً مِنْ شِدَّةِ
الْفَرَحِ، مِنْهَا بَعْضُ الصُّورِ لِلشَّعَارِ الشُّيُوعِيِّ عَلَى أَبْوَابِهَا الْجَانِبِيَّةِ. كَانَ شِعَارًا



بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ، وَيُمَثِّلُ سُنْبُلَتَيْنِ وَبَيْنَهُمَا كَلِمَةُ «خَلْق» أَي «الشَّعْب»، كَانَتْ الْكَلِمَةُ كَرِيهَةً لَدَى الْجَمِيعِ، وَقَعُهَا يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ وَالْعَدَاءِ الْقَاسِي؛ فَقَدْ سَمِعْنَا قِصَصًا عَنْ أَنْهَارِ الدِّمَاءِ الَّتِي أَرَأَقَهَا حِزْبُ «خَلْق» الْمُسَيِّطِرُ عَلَى الْبِلَادِ.

وَسَمِعْنَا شَعَارَاتِهِ الْمَلِيئَةَ بِالْغَطْرَسَةِ وَالتَّحَدِّيِّ مِثْلَ «الْحُكْمُ الْأَبَدِيُّ لِحِزْبِ خَلْقِ الَّذِي لَا يَزُولُ»، وَتَحْقِيرِهِ الْعَلَنِيِّ وَالِاسْتِفْزَازِيِّ لِلْإِسْلَامِ كَدِينٍ وَلِلْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ كَأَعْدَاءٍ لِلثَّوْرَةِ. [شِعَارُ حِزْبِ خَلْقٍ: صُورَةٌ رَقْمَ ٢٧]

رَكَبْنَا إِحْدَى الشَّاحِئَتَيْنِ وَنَحْنُ لَا نَكَادُ نَشْعُرُ بِأَنْفُسِنَا مِنْ فَرَطِ السَّعَادَةِ، وَرَكِبَ بَاقِي الْمُجَاهِدِينَ فِي الصُّنْدُوقِ الْخَلْفِيِّ، وَرَكِبْتُ مَعَ زَمِيلَايَ إِلَى جَانِبِ السَّائِقِ الْعَجُوزِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَنْسَاهُ. كَانَ جَبَلِيًّا بِكُلِّ مَا فِي الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْنَى، قَوِيَّ الْجِسْمِ تَجَاوَزَ الْخَمْسِينَ، فَاخْتَلَطَ شَعْرُ لِحْيَتِهِ الصُّخْمَةِ بِالكَثِيرِ مِنَ الشَّيْبِ. سَارَ بِنَا فِي طَرِيقِ الْكَادِ يَصْلُحُ لِلْمَاعِزِ أَوْ الْإِبِلِ؛ فَتَعَرَّضْتُ السَّيَّارَةَ لِرَجَّاتٍ قَوِيَّةٍ وَكَانَتْهَا قَدَائِفُ مِدْفَعِيَّةٍ قَدْ أَصَابَتْهَا، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَضْحَكُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ وَيَصِيحُ عَلَى إِخْوَانِهِ فِي الْخَلْفِ قَائِلًا: «أُوهُ مُجَاهِدِينُ». كَانَ وَجْهُهُ الطَّيِّبُ يَطْفُحُ بِشْرًا وَسَعَادَةً طُقُولِيَّةً، وَكَانَ هَذِهِ الصُّعَابَ لَيْسَتْ سِوَى نَكَاتٍ مَرِحَةٍ. كُنَّا نَضْحَكُ لِضَحِكَاتِهِ، لَمْ نُدْرِكْ مَدَى مُعَانَاةِ إِخْوَانِنَا فِي الْخَلْفِ سِوَى فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ حِينَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي الْجُلُوسِ دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ، وَكَمْ نَدَمْنَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ صَدِيقَنَا «أَحْمَدَ» لَمْ يَنْدَمْ بَلْ انْفَجَرَ بِطَرِيقَتِهِ الصَّعِيدِيَّةِ

وَنَزَلَ مِنَ السَّيَّارَةِ غَاضِبًا، وَسَبَبَ لَنَا إِحْرَاجًا شَدِيدًا، أَمَّا مُضِيفُنَا «مُطِيعُ اللَّهِ» فَكَأَدَ يَذُوبُ خَجَلًا، وَاصْطَحَبَهُ مَعَهُ فِي الْمَقْعَدِ الْأَمَامِيِّ إِلَى جَانِبِ سَائِقِنَا الْعَجُوزِ الَّذِي تَوَقَّفَ عَنِ الصِّيَاحِ خَوْفًا مِنْ انفِجَارِ الصَّدِيقِ الْغَاضِبِ.

وَصَلْنَا إِلَى مَرْكَزِ «مُطِيعِ اللَّهِ» لِلْمَرَّةِ الْأُولَى بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَفِي الْعَتَمَةِ شَاهَدْنَا صَفَّيْنِ طَوِيلَيْنِ مِنْ رِجَالِ الْجِبَالِ الْمُجَاهِدِينَ وَنَحْنُ نَمُرُّ بَيْنَهُمْ فِي شَعْبٍ ضَيِّقٍ جَدًّا بَيْنَ الْجِبَالِ، حَتَّى أَنْ بَعْضُهُمْ تَسَلَّقَ جَوَانِبَ الْجَبَلِ حَتَّى يُفْسِحَ لَنَا الطَّرِيقَ، وَمَا كِدْنَا نَتَوَسَّطُ الصَّفَّيْنِ حَتَّى انْطَلَقَ سَلَالٌ مِنَ النَّيْرَانِ بَعْضُهُ الْيُؤِي، وَكَانَ الصَّوْتُ مُضْخَمًا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الضَّيِّقِ. أَصَابَنَا الدُّهُولُ لِبُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ، وَقَفَزَ إِلَى ذِهْنِي ذَلِكَ الْمَازِقُ التَّارِيخِيُّ لِلْمَمَالِكِ فِي مَذْبَحَةِ الْقَلْعَةِ الشَّهِيرَةِ فِي مِصْرَ. اسْتَقْبَلْنَا «مُطِيعُ اللَّهِ» بِالْعِنَاقِ الْحَارِّ وَطَلَبَ مِنْ رِجَالِهِ وَقَفَ إِطْلَاقِ النَّارِ، فَوَصَلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ بِصُعُوبَةٍ وَسَطَ ضَجِيجِ النَّيْرَانِ.

كَانَتْ لَيْلَتُنَا الْأُولَى بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ لَا تُنْسَى، صَلَّيْنَا مَعَهُمُ الْعِشَاءَ خَلْفَ قَائِدِهِمْ «مُطِيعِ اللَّهِ». كَانَ مَحْبُوبًا وَمُطَاعًا مِنَ الْجَمِيعِ، هَكَذَا شَعَرْنَا مِنْ خِلَالِ التَّعَامُلِ الدَّائِرِ فِي الْمَعْسَكِ. وَكَانَ نَشِطًا بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ، حَادًّا النَّظْرَاتِ ذَا صَوْتٍ مَبْحُوحٍ خَفِيفٍ، مَلَامِحُهُ تَنْطِقُ بِالذِّكَاةِ وَالْحَيَوِيَّةِ. تَحَلَّقْنَا حَوْلَ طَعَامِ الْعِشَاءِ الْمُكُونِ كَالْعَادَةِ مِنَ الشَّيْءِ الْأَخْضَرِ وَالخُبْزِ الْيَابِسِ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ السُّكَّرِيُّ الْمَدْعُو «جَر» وَهُوَ كُتْلٌ يَابِسَةٌ مِنْ عَسَلِ الْقَصَبِ أَوْ الْبَنْجَرِ. كَانَ ذَلِكَ

الطَّعَامُ يُصِيبُنِي دَائِمًا بِحَالَةٍ مِنَ الْهُبُوطِ الْمَعْنَوِيِّ، وَلَمْ أَكُلْهُ قَطُّ إِلَّا تَفَادِيًا لِلْهَلَاكِ جُوعًا. وَلَمْ تَكُنْ الْحَالُ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ؛ فَقَدْ كَانُوا يُقْبَلُونَ عَلَيْهِ بِشَوْقٍ كَمَا كُنَّا نَقْبَلُ قَدِيمًا فِي مِصْرَ عَلَى أَكْلِ الْفُولِ الْمُدْمَسِ.

كَانَ لَدَى «مُطِيعِ اللَّهِ» أَخْبَارًا سَارَةً لَنَا، فَمُنذُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ اسْتَطَاعَ رِجَالُهُ تَحْطِيمَ قُوَّةَ لِلْعَدُوِّ حَاوَلَتْ الْهُجُومَ عَلَى مَرَكَزِهِمْ فِي عُمُقِ الْجِبَالِ، وَعَنَمُوا مِنْهَا الْكَثِيرَ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ وَعَدَدًا مِنَ الشَّاحِنَاتِ الْجَدِيدَةِ، وَمِنْهَا تِلْكَ الَّتِي رَكَّبْنَاهَا الْيَوْمَ، إِضَافَةً إِلَى عَدَدٍ مِنْ أَجْهَزَةِ الْأَسْلِحَةِ وَرَشَاشَاتٍ ثَقِيلَةٍ. كَانَ مِنْ بَيْنِ الْمُجَاهِدِينَ بَعْضُ الْجُنُودِ وَضَبَّاطِ الصَّفِّ الَّذِينَ فَرُّوا مِنَ الْجَيْشِ وَالتَّحَقُّوا بِالْمُجَاهِدِينَ، وَجَمِيعُهُمْ مِنَ النَّاطِقِينَ بِاللُّغَةِ الْفَارِسِيَّةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا قَلِيلُونَ فَقَطُّ مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ الْمَنَاطِقِ مِنَ الْبَشْتُونَ^(١).

كَانَ فِي الْمَرْكَزِ مِدْفَعَانِ مِنْ عِيَارِ ٧٦ مِلْيَمِتْرَ جَبَلِيٍّ، كِلَاهُمَا بَدُونِ أَجْهَزَةٍ تَصْوِيبٍ. فِي الصَّبَاحِ أَطْلَقَ لَنَا «مُطِيعُ اللَّهِ» قَذِيفَةً وَاحِدَةً كَتَجْرِبَةٍ، عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الْبَعِيدَةِ. وَكَانَ التَّصْوِيبُ يَعْتَمِدُ فَقَطُّ عَلَى «التَّخْمِينِ»، حَاوَلُوا النَّظَرَ مِنْ خِلَالِ مَاسُورَةِ الْمِدْفَعِ وَلَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُشَاهِدْ سِوَى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ. وَالأَوَّلِ

(١) الْبَشْتُونَ: عَرَقِيَّةٌ أَرِيَّةٌ أَوْ هِنْدُو - أَوْرُوبِيَّةٌ، تَقطنُ شَرْقَ بَاكِسْتَانَ وَالْمَنَاطِقَ الْغَرِبِيَّةَ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ، تَدِينُ بِالْإِسْلَامِ، وَلُغَتُهَا تُسَمَّى «الْبَشْتُونِيَّة».

مَرَّةً نَشَاهِدُ إِطْلَاقًا قَرِيبًا لِأَحَدِ الْمَدَافِعِ، وَلَكِنْ لِسُوءِ الْحِظِّ لَمْ نَشَاهِدْ أَيْنَ سَقَطَتِ الْقَدِيفَةُ. وَبِالتَّخْمِينِ قَدَّرُوا أَنَّهَا عَبَرَتِ الْجَبَلَ حَيْثُ لَا يُوجَدُ سِوَى الْقَوَاتِ الْحُكُومِيَّةِ عَلَى آيَةِ حَالٍ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ هُنَاكَ دَرَسٌ فِي اسْتِخْدَامِ الْمَدْفَعِ، يُلْقِيهِ صَفٌّ صَابِطٌ أَنْصَمَ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ حَدِيثًا.

مَضِينًا مَعَ «مُطِيعِ اللَّهِ» لِمُشَاهَدَةِ جُزءٍ مِنَ الْغَنَائِمِ حَيْثُ مَا زَالُوا يَجْمَعُونَهَا تَمْهِيدًا لِلتَّقْسِيمِ. كَانَتْ خَيْمَتَانِ قَدْ كُدِّسَتَا بِأَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ وَأَجْهَزَةِ اللَّاسِلِكِيِّ، وَمَا لَبِثَ أَنْ حَضَرَ عَدَدٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، كُلُّ مِنْهُمْ يَحْمِلُ قَدْرَ طَاقَتِهِ مِنْ بِنَادِقِ الْكَلَّاشْنُكُوفِ كَيْ يَضَعَهَا مَعَ بَاقِي الْغَنَائِمِ. كَانَ ذَلِكَ مُذْهَلًا لَنَا بِكُلِّ [مَعْنَى لِلْكَلِمَةِ]. التَّقَطْنَا الْكَثِيرَ مِنَ الصُّورِ، وَإِذَا بِهِدِيرٍ مُحَرِّكٍ طَائِرَةٍ يَخْتَرِقُ السُّكُونِ، مَا زَالَتْ بَعِيدَةً وَلَكِنَّهَا تَدُورُ حَوْلَ الْمَكَانِ، وَهَذَا عَمَلٌ غَيْرُ وُدِّيٍّ وَيُنْذِرُ بِالشَّرِّ، وَإِنْ كُنَّا لَمْ نَكُنْ نُدْرِكُ مَدَى الشَّرِّ الْكَامِنِ خَلْفَ هَذَا الصَّوْتِ؛ فَلَمْ نَحْضُرْ غَارَةً جَوِيَّةً فَوْقَ رُؤُوسِنَا حَتَّى الْآنَ، وَإِنْ كُنَّا شَاهِدِنَا قِصْفًا جَوِيًّا لِعِدَّةِ قُرَى بَعِيدَةٍ عَنَّا وَنَحْنُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى هُنَا.

انْطَلَقَتْ دُفْعَةٌ طَلَقَاتٍ مِنْ رَشَاشٍ ثَقِيلٍ فَوْقَ الْقِمَّةِ الْقَرِيبَةِ، إِنَّهُ الدَّفَاعُ الْجَوِيُّ لِلْمُجَاهِدِينَ، بَدَأَ فِي الْعَمَلِ فَصَعَدْنَا كَيْ نَسْتَطِيعَ الْأَمْرَ وَنَلْتَقِطَ بَعْضَ الصُّورِ. [لَمْ تَهَاجِمِ] الطَّائِرَةُ مَوْقِعَنَا، وَلَكِنِّي فُزْتُ بِأَوَّلِ لَقْطَةٍ لِي فِي الرِّحْلَةِ وَكَانَتْ نَاجِحَةً لِدَرَجَةٍ أَنَّهَا اسْتُخْدِمَتْ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً فِي جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ»، وَهِيَ

تُمَثِّلُ مُجَاهِدًا أَفْغَانِيًّا فِي زِيَةِ التَّقْلِيدِيِّ وَعِمَامَتِهِ الصَّخْمَةِ يَجْلِسُ فِي ثِقَّةٍ خَلْفَ
مَدْفَعِ رَشَاشٍ ثَقِيلٍ مُضَادًّا لِلطَّائِرَاتِ.

لَا حِظْنَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَسْتَخْدِمُ فِيهَا الْكَامِيرَا، ذَلِكَ الشَّعْفَ الطُّفُولِي لَدَى
الْأَفْغَانِ كَيْ يَظْهَرُوا فِي الصُّورِ، وَاكْتَشَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ التَّنَافُسَ عَلَى الظُّهُورِ
وَالزَّعَامَةِ سِمَةٌ أُخْرَى خَطِيرَةٌ فِي الشَّخْصِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي
اسْتَعْرَقَ اكْتِسَافُهَا عِدَّةَ سِنَوَاتٍ مِنْ جَانِبِي - عَلَى الْأَقْلِ - حَتَّى أَدْرَكْتُ إِلَى حَدِّ
مَا مُكُونَاتِهَا الْأَسَاسِيَّةِ. وَمَعَ ذَلِكَ فُوجِئْتُ بَعْدَ «الْفَتْحِ» وَسَيْطَرَةِ الْمُجَاهِدِينَ
عَلَى الْبِلَادِ أَنَّ هُنَاكَ سِمَاتٍ لَمْ أَكُنْ أَدْرِكُهَا حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةَ الْمُتَأَخَّرَةَ مِنْ
نَاحِيَةِ الْخُلُقِ وَالطَّبَاعِ. كَانَتْ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنْ نِقَاطِ التَّشَابُهِ - مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِنَا -
بَيْنَ الْأَفْغَانِ وَالْعَرَبِ الْقُدَامَى، وَأَنَّ أْبْرَزَ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ عَنِ الْعَرَبِ الْجُدُدِ هُوَ
رَفْضُهُمْ لِلذُّلِّ وَحُبُّهُمْ لِلدِّينِ وَقَبُولُهُمْ السَّرِيعُ بِخِيَارِ الْمَوْتِ إِذَا كَانَتْ حُرِّيَّتُهُمْ
مُهِدَّدَةً أَوْ إِسْلَامُهُمْ فِي خَطَرٍ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ اصْطَحَبْنَا «مُطِيعُ اللَّهِ» إِلَى مَوْقِعِ الْمَعْرَكَةِ الْأَخِيرَةِ حَتَّى إِذَا
مَا وَصَلْنَا إِلَى [وَادٍ] مُتَّسِعٍ نَسِيًّا يَتَوَسَّطُهُ جَدُولٌ مَاءٍ شَاهَدْنَا ثَلَاثَ مَدْرَعَاتٍ
مُحْتَرِفَةٍ، وَتَقَدَّمْنَا «مُطِيعُ اللَّهِ» عَلَى حَذَرٍ وَطَالَبْنَا بِالِاخْتِرَاسِ مِنَ الْأَلْغَامِ.
شَعَرْتُ بِالْعَرَقِ الْبَارِدِ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَسَدِي، وَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَيْفَ نَحْتَرِسُ مِنَ
الْأَلْغَامِ؟، وَإِذَا [بِهِ] يُقَدِّمُ الْإِجَابَةَ عَمَلِيًّا قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ؛ فَقَدْ كَانَ يَقْفِزُ بِخَفَّةِ

الغزالِ فَوْقَ الصُّحُورِ وَالتُّهَوَاتِ الْحَجْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بَاقِي الْمُجَاهِدِينَ، فَقَلَّدْنَاهُمْ أَنَا وَأَصْدِقَائِي بِشَيْءٍ مِنَ النَّجَاحِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْخَوْفِ.

كَانَتْ الْأَلْعَامُ الَّتِي اسْتُخْدِمُوهَا مُصَنَّعَةً مَحَلِّيًّا وَمُكَوَّنَةً مِنْ عِدَّةِ أَصَابِعٍ مِنَ الدِّيَنَامِيَّتِ مَعَ صَاعِقٍ كَهْرُبَائِيٍّ وَبَطَّارِيَّةٍ صَغِيرَةٍ، أَمَّا مُفْتَاخُ الدَّائِرَةِ فَهُوَ قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْكَرْتُونِ يَنْطَبِقَانِ عِنْدَ الْمُرُورِ فَوْقَهُمَا فَتَنْفَجِرُ الشُّخْنَةُ. كَانَتْ تَرْكِيبَةً خَطِيرَةً وَغَيْرَ مُتَقَنَّةٍ، وَقَدْ يَتَسَبَّبُ مُرُورُ كُلِّ أَوْ مَاعِزٍ فَوْقَهَا فِي تَفْجِيرِ اللَّغَمِ. وَعَلَى آيَةِ حَالٍ فَقَدْ انْفَجَرَتْ عِدَّةٌ مُصَفَّحَاتٍ، وَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا كَيْ تَنْهَارَ مَعْنَوِيَّاتُ الْقُوَّةِ الْمُهَاجِمَةِ وَتَسْتَسَلِمَ بَعْدَ وَقْتٍ قَاصِرٍ مِنْ فَتْحِ النِّيرَانِ عَلَيْهَا مِنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ. وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي نَتَعَرَّفُ فِيهَا عَلَى مُشْكَلَةِ الْأَلْعَامِ الَّتِي أَضْحَتْ مِنْ مُعْضَلَاتِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَسَوْفَ تَسْتَمِرُّ كَذَلِكَ لِمُدَّةِ أَلْفِ عَامٍ حَسَبَ تَقْدِيرَاتِ الْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ، وَاخْتَلَفَتْ التَّقْدِيرَاتُ فِي عَدَدِ الْأَلْعَامِ الَّتِي تَخَلَّفَتْ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْحَرْبِ، فَهِيَ عَشْرَةٌ مِائَتَيْنِ فِي أَحَدِ التَّقْدِيرَاتِ وَمِائَةٌ مِائَتَيْنِ فِي تَقْدِيرَاتٍ أُخْرَى.

إِذَا كَانَ هُنَاكَ شِعَارٌ غَيْرُ الْكُفْرِ يُمَكِّنُ إِطْلَاقَهُ عَلَى نِظَامِ «طَرْقِي» الشُّيُوعِيِّ فَهَذَا الشُّعَارُ هُوَ الْحَمَافَةُ. كَانَتْ الْحَمَافَةُ هِيَ السِّمَّةُ الْبَارِزَةُ لِتَصَرُّفَاتِ طَرْقِي وَحِزْبِهِ الشُّيُوعِيِّ «خَلْق» فِي كَافَّةِ الْمَجَالَاتِ سِوَاءِ فِي سِيَاسَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ أَوْ سِيَاسَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ، فَقَدْ رَكِبَهُمُ الْعُرُورُ وَأَفْرَطُوا فِي الثُّقَّةِ بِأَنْفُسِهِمْ، فَاسْتُخْدِمُوا

التُّقُوَّةَ بِإِفْرَاطٍ زَائِدٍ؛ فَتَأَلَّبَ الشَّعْبُ ضِدَّهُمْ. هَذَا إِلَى جَانِبِ عَدَائِهِمُ الْعَلَنِيِّ لِلْإِسْلَامِ، وَقَدْ اِزْتَكَبُوا عَسْكَرِيًّا مُغَامِرَاتٍ طَائِشَةً أَوَدَّتْ بِقِطَاعَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْجَيْشِ حَتَّى كَادَ النُّظَامُ أَنْ يَسْتَقُطَ لَوْلَا تَدَخُّلُ السُّوفِيَّةِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تِلْكَ الْحَمَاقَاتِ الْحَمَلَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ «الثَّقِيلَةُ» فِي أَعْمَاقِ الْمَنَاطِقِ الْجَبَلِيَّةِ، فَقَدْ قَامَ قَادَةُ «طَرْقِي» [العَسْكَرِيُّونَ] وَمَعَهُمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْحَمَقَى السُّوفِيَّةِ بِتَجْرِيدِ حَمَلَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْ قُوَّاتِ الْمَشَاةِ الْمَدْعُومَةِ بِالِدَّبَابَاتِ وَالْمَدَافِعِ الثَّقِيلَةِ وَالطَّائِرَاتِ النَّفَّاثَةِ ضِدَّ قَوَاعِدِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْأَعْمَاقِ الْوَعْرَةِ لِلْجِبَالِ. وَكَانَتْ النَّتَائِجُ مَأْسَاوِيَّةً عَلَى يَدِ مُجَاهِدِينَ يَتَمَيَّزُونَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَمُّيمِ وَيُقَاتِلُونَ بِشِرَاسَةٍ. وَقَدْ أَدَّتْ تِلْكَ الْحَمَلَاتُ الْحَمَقَاءَ إِلَى تَرْوِيدِ الْمُجَاهِدِينَ بِشُرُوتِ هَائِلَةٍ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْعَتَادِ.

كَانَ لَدَى «طَرْقِي» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خَمْسَةٌ آلَافٍ «خَيْرِ عَسْكَرِيٍّ» سُوفِيَّةٍ يَعْمَلُونَ فِي مُخْتَلَفِ قِيَادَاتِ الْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ حَتَّى مُسْتَوَى الْفَصَائِلِ، وَيُشَارِكُونَ فِي تَوْجِيهِ وَقِيَادَةِ مُعْظَمِ الْحَمَلَاتِ ضِدَّ الْمُجَاهِدِينَ. وَكَانَ وَاضِحًا مُنْذُ بَدَايَةِ الْحَرْبِ وَحَتَّى نَهَايَتِهَا - بِاسْتِثْنَاءِ فتراتٍ قَلِيلَةٍ - أَنَّ السُّوفِيَّةَ يُؤْمِنُونَ بِعَقِيدَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ تَعْتَمِدُ كَلْبًا أَوْ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ جِدًّا [عَلَى] الضَّخَامَةِ، ضَخَامَةِ الْمُعِدَّاتِ وَضَخَامَةِ الْأَعْدَادِ الْمُسْتَحْدَمَةِ مِنَ الْجُنُودِ وَالْآلِيَّاتِ.

لَقَدْ أَثْبَتَتِ الْحَرْبُ الْأَفْغَانِيَّةُ أَنَّ الْجُنْدِيَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ السَّلَاحُ الْحَاسِمُ فِي

الْحَرْبِ، وَلَيْسَتْ الضَّخَامَةُ أَوْ التُّكْنُولُوجِيَا؛ فَقَدْ خَسِرَ النِّظَامُ الشُّيُوعِيَّ الْحَرْبِ فِي مَجَالِ الْمَعْنَوِيَّاتِ حِينَمَا لَمْ يَتَجَاوَبِ الشَّعْبُ مَعَ الشَّعَارَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ، بَلْ قَرَّرَ مُوَاجَهَتَهَا بِالسَّلَاحِ، وَمَهْمَا كَانَتْ النَّتَائِجُ الْمُتَرْتِبَةُ عَلَى هَذَا الْقَرَارِ.

أَمَّا الْقَوَاتُ السُّوفِيَّةُ فَلَمْ تَكُنْ تُبْرَهِنُ طَوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ عَنِ مَعْنَوِيَّاتِ عَالِيَةِ أَوْ إِيْمَانِ حَقِيقِيٍّ بِهَدَفِ الْحَرْبِ، أَيْ حِمَايَةِ نِظَامِ شِيُوعِيٍّ صَدِيقٍ ضِدَّ تَدَخُّلِ أجنبيِّ. لَقَدْ مَاتَتْ الشُّيُوعِيَّةُ فِي نُفُوسِ الْجُنُودِ السُّوفِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَخْضُرُوا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، ثُمَّ مَاتَتْ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ رُغْمَ كُلِّ مَا فَعَلْتَهُ دَوْلَتُهُمْ مِنْ مَجْهُودَاتٍ خَارِقَةٍ لِإِبْقَائِهَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ. لِذَلِكَ عِنْدَمَا عَادَ هَؤُلَاءِ الْجُنُودُ إِلَى بِلَادِهِمْ مُحِبِّطِينَ مَهْزُومِينَ أَنْهَارَتْ الشُّيُوعِيَّةُ فِي الْاِتِّحَادِ السُّوفِيَّةِ، فَالْجَيْشُ الْأَحْمَرُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَحَامِي النِّظَامِ قَدْ أَتَقَنَ بِأَنَّهُ يَحْمِي جَسَدًا مَيِّتًا عَفَا عَلَيْهِ الزَّمَنُ.

غَادَرْنَا مَرْكَزَ «مُطِيعِ اللَّهِ» فِي مَنْطِقَةِ «زِيْرُوك» بِالْأَرْجُونَ، وَتَوَجَّهْنَا حَسَبَ بَرْنَامَجٍ مُضَيَّفِنَا صُوبَ مَرْكَزِ مَوْلَوِي «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» فِي «سِيرَانَا». قَالُوا لَنَا أَنَّهُ عَالِمٌ دِينٍ وَقَائِدٌ عَسْكَرِيٌّ شَجَاعٌ وَمَشْهُورٌ، كَمَا أَنَّهُ الرَّجُلُ الثَّانِي فِي جَمَاعَةِ «مَوْلَوِي يُونُسَ خَالِص» «حِزْبِ إِسْلَامِي». اضْطَرَّرْنَا لِإِلْتِفَافِ مَسَافَةِ طَوِيلَةٍ فِي الْجِبَالِ الصُّنُوبَرِيَّةِ لِلتَّحْرُكِ مِنْ «زِيْرُوك» إِلَى «سِيرَانَا» تَقَادِيًا لِمَدِينَةِ «نَكَ» أَوْ «نَقَا» بِالْعَرَبِيَّةِ؛ وَكَانَتْ حُكُومَةُ «طَرَاقي» مَا زَالَتْ تَحْتَفِظُ فِيهَا بِحَامِيَّةِ

قَوِيَّةً. قَبْلَ أَنْ نَبْلُغَ «سِيرَانَا» بَعْدَةَ كَيْلُومِتْرَاتٍ طَلَبُوا مِنَّا الْبَقَاءَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ إِخْطَارُ «حَقَّانِي» الْمُتَوَاجِدِ خَارِجَ «سِيرَانَا» وَالْمُشْتَبِكِ فِي مَعْرَكَةٍ مَعَ الْقَوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ.

انْتَظَرْنَا يَوْمًا كَامِلًا حَتَّى جَاءَنَا الْإِذْنُ بِالتَّوَجُّهِ لِمُقَابَلَةِ «حَقَّانِي» الَّذِي اسْتَقْبَلَنَا مَعَ عِشْرِينَ مِنْ رِجَالِهِ الْمُسَلَّحِينَ وَسَطَ مَنْطِقَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ فِي وَادٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ. لَمْ يُطْلِقُوا النَّيْرَانَ كَمَا حَدَثَ فِي مُعَسْكَرِ «مُطِيعِ اللَّهِ»، وَالْأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ «حَقَّانِي» أَمَرَهُمْ بِالْبَقَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْأَشْجَارِ بَعِيدًا عَنِ ضَوْءِ الشَّمْسِ. كَانَ وَاضِحًا أَنَّ الْمَوْقِفَ مُتَوَثِّرًا وَأَنَّهَمْ يَتَوَقَّعُونَ قَصْفًا بِالطَّائِرَاتِ عَلَى مَنْطِقَتِهِمْ فِي أَعْقَابِ مَعَارِكِ الْإَيَّامِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي عَلِمْنَا أَنَّهُمْ قَدْ رَبَّحُوهَا بِجِدَارَةٍ.

تَجَمَّهَرَ حَوْلَنَا الْمُجَاهِدُونَ بِأَسْلِحَتِهِمْ الْقَدِيمَةِ وَتَرَايَدُ عَدَدُهُمْ تَدْرِيجِيًّا. طَلَبَ مِنِّي «حَقَّانِي» أَنْ أُلْقِيَ فِيهِمْ كَلِمَةً، وَكَمْ كَانَ ذَلِكَ مُحْرَجًا؛ فَقَدْ كُنْتُ أَسْتَصْغِرُ شَأْنِي إِلَى جَانِبِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ، كَمَا أَنَّي لَسْتُ خَطِيئًا. جَلَسَ الرِّجَالُ عَلَى الْأَرْضِ وَبَنَادِقُهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ يَتَرَقَّبُونَ كَلِمَتَنَا فِيهِمْ، فَالْقَيْتُ فِيهِمْ كَلِمَةً قَصِيرَةً أَذْكَرُ أَنَّي قُلْتُ فِيهَا: «إِنَّ رَايَةَ الْجِهَادِ الَّتِي رُفِعَتْ فِي بَدْرِ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ، وَهِيَ أَمَانَةٌ كَبِيرَةٌ وَشَرَفٌ عَظِيمٌ لَكُمْ، وَأَنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ تَنْظُرُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ رَفَعْتُمْ هَذِهِ الرَّايَةَ بَعْدَ أَنْ طَالَ انْتِظَارُهَا أَنْ تَرْفَعَ، بَلْ أَنَّ الْعَالِمَ يَنْظُرُ إِلَى نَتِيجَةِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الدَّائِرَةِ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ

وَالشُّيُوعِيَّةِ...»، أَذْكَرُ أَنِّي أَنهَيْتُ الْكَلِمَةَ بِآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧﴾ [مُحَمَّد]. تَوَلَّى «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» شَرْحَ الْكَلِمَةِ بِاسْتِفَاضَةٍ ثُمَّ دَعَانَا إِلَى الصُّعُودِ إِلَى بَيْتٍ فِي أَعْلَى التَّلِّ الْقَرِيبِ حَتَّى نَسْتَكْمَلَ الْحَدِيثَ.

شَرْحَ لَنَا «حَقَّانِي» بِالتَّفْصِيلِ الْوَضْعِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَفِي مَنْطِقَتِهِمْ مُحَافَظَةَ «بَاكْتِيَا»، وَالْوَضْعَ بَيْنَ الْمُنْظَمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ وَاحْتِيَاجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ، وَأَخِيرًا نَتَائِجَ الْقِتَالِ الَّذِي دَارَ فِي الْيَوْمَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ حَيْثُ حَقَّقُوا انْتِصَارًا كَبِيرًا. وَدَعَانَا لِرُؤْيَاةِ آثَارِ الْمَعْرَكَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامِّ عَلَى مَسَافَةٍ لَيْسَتْ كَبِيرَةً. مَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُ الزِّيَارَةَ لِمَوْقِعِ الْمَعْرَكَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاصِلِ بَيْنَ مَدِينَتَيْ «جَارْدِيز» وَ «خُوسْت» عَلَى مَسَافَةٍ لَيْسَتْ بَعِيدَةً كَثِيرًا عَنْ «جَارْدِيز» عَاصِمَةِ الْوِلَايَةِ، وَلَكِنْ تَفْصِلُهَا عَنْهَا سَلَاسِلُ جِبَالِ «سَاتِي كَنْدُو»^(١) الشَّاهِقَةِ.

كَانَ الطَّرِيقُ يَتَلَوَّى بَيْنَ الْقِمَمِ الْجَبَلِيَّةِ. لَقَدْ وَقَعَتِ الْقَافِلَةُ الْمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ «خُوسْت» فِي كَمِينٍ قَاسٍ، كَانَتْ آثَارُهُ الْمُدْمَرَّةُ وَاضِحَةً، أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ شَاحِنَةً احْتَرَقَتْ تَمَامًا، وَجِثُّ السَّائِقِينَ وَمُعَاوِنِهِمْ قَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى تَمَائِيلَ

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «سَاتِي كَنْدُو: تَعْنِي الْجَبَلَ الْقَاتِلَ فِي لُغَةِ الْبَاشْتُو».

بَشَعَةٍ مِنَ الْفَحْمِ الَّذِي تَبَرُّزُ مِنْهُ عِظَامٌ أَدْمِيَّةٌ بِيَضَاءٍ، إِضَافَةً إِلَى أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ مُصَفِّحَاتٍ مُحْتَرِقَةٍ، وَقَدْ سَقَطَتْ جُثُثُ الْجُنُودِ خَلْفَ مَرَاغِلِ إِطْلَاقِ النَّارِ وَبَعْضُهُمْ احْتَرَقَ دَاخِلَ الْمُصَفِّحَةِ أَوْ عَلَى أَسْفَلِ الطَّرِيقِ الْعَامِّ. جُثَّةٌ أُخْرَى لِعَسْكَرِيٍّ أَوْ ضَابِطٍ زَحَفَ إِلَى خَارِجِ الطَّرِيقِ وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى صَخْرَةٍ وَمَاتَ تَحْتَهَا، لَقَدْ تَعَنَّ الْجَسَدُ وَأَصْبَحَ أَسْوَدًا مِثْلَ الْفَحْمِ بَيْنَمَا انْكَشَفَتْ عِظَامُ الْجُمُجُمَةِ، وَالْيَدَانِ فَوْقَ الْبَطْنِ، وَعِظَامُ الْفَكِّ مَفْتُوحَةٌ عَنِ اسْتِغَاثَةِ يَأْسَةٍ. عَدَدُ آخَرَ مِنَ الْمُدْرَعَاتِ تَرَكَ الطَّرِيقَ الْعَامَّ وَنَزَلَ إِلَى الْوَادِي الصَّخْرِيِّ الْمُجَاوِرِ حَيْثُ يَسِيرُ نَهْرٌ شَمَلَ بِمِيَاهِهِ قَلِيلَةً لَكِنَّهَا شَدِيدَةٌ الْإِنْدِفَاعِ، فَتَعَطَّلَتْ بَيْنَ الصُّخُورِ وَغَرَزَتْ فِيهَا الْعَجَلَاتُ وَالْجَنَازِيرُ، وَهَكَذَا ضَاعَتْ عِدَّةٌ دَبَّابَاتٍ فِي الْوَادِي أَيْضًا. وَفَوْقَ الْجِسْرِ مَنْظَرٌ غَرِيبٌ آخَرٌ، مُصَفِّحَتَانِ اقْتَحَمَتَا الْحَاجِزَ الْحَدِيدِيَّ كَيْ تَسْقُطَ فِي الْوَادِي مِنْ أَرْتِفَاعِ ثَلَاثَةِ أَمْتَارٍ تَقْرِيبًا، وَكَأَنَّ السَّائِقِينَ فُوجِئُوا بِالْكَمِينَ فَقَرَّرُوا الْفِرَارَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَالْأَغْلَبُ أَنَّهُمْ قُتِلُوا.

مِنَ الْمَنَاطِرِ الْغَرِيبَةِ أَيْضًا، إِحْدَى نَاقِلَاتِ الْجُنُودِ وَقَدْ اخْتَرَقَتْ طَلْقَةُ الْحَدِيدِ السَّمِيكَ الْمُجَاوِرُ لِمَزْغَلِ إِطْلَاقِ النَّارِ فَقُتِلَ الْجُنْدِيُّ وَسَقَطَ فِي مَكَانِهِ. نَظَرْنَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَاءَتْ مِنْهُ تِلْكَ الطَّلْقَةُ الْغَرِيبَةُ، وَكَيْفَ اسْتَطَاعَتْ اخْتِرَاقَ حَدِيدِ بَيْتِكَ السَّمَاكَةِ، وَهَذَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ إِلَّا بِطَلْقَةٍ أَوْ قَذِيفَةٍ مُضَادَّةٍ لِلدُّرُوعِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَمْتَلِكُهُ الْمُجَاهِدُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. كَانَ فِي الْإِتِّجَاهِ الْمُقَابِلِ لِلْمَزْغَلِ جَبَلٌ صَلْدٌ مُرْتَفِعٌ لَمْ تَحْدُثْ مِنْ جِهَتِهِ آيَةٌ

عَمَلِيَّةٍ إِطْلَاقٍ لِأَنَّ الْكَمِينَ كُلَّهُ جَاءَ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ عَبْرَ الْوَادِي حَيْثُ تُشْرِفُ
عِدَّةُ تِلَالٍ مُتَفَاوِتَةٍ الْارْتِفَاعِ، أَمَّا الْجَانِبُ الْمُقَابِلُ فَهُوَ جَبَلٌ مُرْتَفِعٌ لَا يُتِيحُ لِلقُوَّةِ
أَيَّةَ فُرْصَةٍ لِلإِخْتِبَاءِ، فَكَأَنَّهَا تَقْفُ أَمَامَ حَائِطٍ كَيْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا الْمُجَاهِدُونَ النَّارَ
مِنَ الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ، فَسُحِقَتِ القُوَّةُ وَهِيَ فِي وَضْعٍ سَيِّئٍ.

اِكْتَمَلَتِ الصُّورَةُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْجُثَثِ الَّتِي تَحَلَّلَتْ وَأَصْبَحَتْ أَشْبَهَ بِالرَّمَادِ
المُحْتَرِقِ، وَقَدْ تَنَاطَرَتْ فَوْقَ الطَّرِيقِ وَكَأَنَّهَا كُتِلَ بَارِزَةٌ مِنَ الْأَسْفَلِ، وَقَدْ
تَجَمَّعَتِ الْكِلَابُ حَوْلَهَا تَنْهَشُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ، بَيْنَمَا جَلَسَتْ كِلَابٌ أُخْرَى
مُتْكَاسِلَةً عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ وَقَدْ أَصَابَتْهَا التُّخْمَةُ. وَفِي وَسَطِ هَذِهِ اللُّوْحَةِ
المَآسَاوِيَّةِ وَجَدْتُ كِتَابًا ضَخْمًا وَقَدْ تَلَوْتُ صَفْحَاتَهُ المَصْقُولَةَ بِالدِّمَاءِ، لَقَدْ
كَانَ دِيْوَانَ شِعْرِ بِاللُّغَةِ الرُّوسِيَّةِ، مُزَيَّنًا بِرُسُومَاتٍ رُومَانِيَّةٍ غَيْرِ مُتَقَنَةٍ لُضْبَاطٍ
وَجُنُودٍ مَعَ فِتْيَاتٍ جَمِيَلَاتٍ، حَوْلَهُمُ العَدِيدُ مِنَ الزُّهُورِ وَالْأَشْجَارِ وَرُجَاجَاتِ
الخَمْرِ وَالطُّيُورِ. حَمَنْتُ أَنَّ الدِّيْوَانَ كُلَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ ضُبَاطٍ وَجُنُودٍ ذَهَبُوا إِلَى
الجَبْهَةِ لِلقِتَالِ وَتَرَكَوْا خَلْفَهُمُ الأَهْلَ وَالْعَشِيْقَاتِ وَمَتَعَ الحَيَاةَ. أَضَافَتْ الدِّمَاءُ
الَّتِي لَطَخَتْ الصَّفْحَاتِ خَاتِمَةً مَآسَاوِيَّةً لِحَيَاةِ إِنْسَانٍ فَقَدْ حَيَاتُهُ عَلَى أَرْضِ
عَرَبِيَّةٍ، لَقَدْ قُتِلَ وَهُوَ يُطْلَقُ النَّارَ عَلَى الأَبْرِيَاءِ بَيْنَمَا يَقْرَأُ أَشْعَارَ الغَزْلِ وَلَوْعَةَ

الْفِرَاقِ، كَمَثَلِ «نِيرُونَ»^(١) الَّذِي أَحْرَقَ «رُومًا» وَهُوَ يُغْنِي أَشْعَارًا. لَقَدْ سَقَطَ الْجُنْدِيُّ الرَّوسِيُّ وَلَا نَدْرِي أَيْنَ جُثَّتْهُ وَسَطَ هَذَا الْحَشْدِ الْمُتَفَحِّمِ، فَقَدْ حَيَاتَهُ بِلَا مَعْنَى. وَبَعْدَ يَوْمٍ وَقَاتِهِ بِأَحْدَى عَشْرَ سَنَةٍ تَقْرِيًّا سَقَطَتْ الشُّيُوعِيَّةُ وَأَنْهَارَتْ دَوْلَةُ السُّوفِيَّتِ فَوْقَ نَفْسِ الْجِبَالِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

تَصَاعَدَتْ وَتِيرَةُ الْأَحْدَاثِ فِي الْمَنْطِقَةِ بَعْدَ مَعْرَكَةِ الطَّرِيقِ، وَارْتَفَعَتْ الْمَعْنَوِيَّاتُ بِشَكْلِ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ، فَوَصَلَتْ وَفُودٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ مِنَ الْمُحَافِظَاتِ الْمُجَاوِرَةِ خَاصَّةً «غَزْنِي» تَطْلُبُ الْمُعَاوَنَةَ خَاصَّةً مِنَ الْأَسْلِحَةِ الْمُضَادَّةِ لِلدُّرُوعِ «آر بِي جِي». كَمَا أَنَّ الْقَوَاتِ الْحُكُومِيَّةَ فِي «جَرْدِيز» بَدَأَتْ فِي التَّدْمِيرِ ضِدَّ قِيَادَتِهَا، وَفَجَاءَ وَصَلَ أَحَدُ عَشْرَ ضَابِطًا مِنْ رُتَبِ مُتَوَسِّطَةٍ فَرُّوا مِنْ الْخِدْمَةِ وَأَفَادُوا بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُرْتَّبُونَ لِعَمَلِيَّةِ تَسْلِيمِ كَبِيرَةٍ مَعَ قُوَاتِهِمْ، وَأَوْشَكَتِ الْخُطَّةُ أَنْ تَنْجَحَ لَكِنَّ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْحُكُومِيَّةَ «خَاد» تَبَهَّتْ لِلْأَمْرِ، فَاضْطُرَّ الضُّبَّاطُ إِلَى الْفِرَارِ بِسُرْعَةٍ قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ وَإِعْدَامِهِمْ.

(١) الإمبراطور نيرون أو نيريو (١٥ ديسمبر ٣٧م - ٩ يونيو ٦٨م): خامس وآخر إمبراطور روماني من السلالة اليوليوكلودية، حكم الإمبراطورية الرومانية من ٥٤م - ٦٨م. اشتهر بالقسوة والاعتيالات، وحاول الكثيرون الانقلاب عليه بدون جدوى. كان من أشهر جرائمه حريق «روما» حيث أراد أن يعيد بناء المدينة فقام بإحراقها، فحرق عشرة أحياء من جملة الأحياء الأربعة عشر في عام ٦٤م.

جَلَسْنَا مَعَ الضُّبَّاطِ وَكَانُوا مِنْ أَسْلِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَرَسَمُوا لَنَا صُورَةً عَنْ
الأَوْضَاعِ دَاخِلِ الْجَيْشِ، وَفِي صُفُوفِ النُّظَامِ فِي «كَابِل»، وَأَوْحَتْ الصُّورَةُ
بِأَنَّ النُّظَامَ يَتَأَكَّلُ بِسُرْعَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ. وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ صَحِيحَةً إِلَى حَدِّ
كَبِيرٍ؛ فَمَا أَنْ جَاءَ شَهْرُ دَيْسَمْبَرِ مِنْ نَفْسِ الْعَامِ حَتَّى اضْطُرَّ السُّوفِيَّةُ إِلَى
إِفْحَامِ الْجَيْشِ الْأَحْمَرِ لِلْسَيْطَرَةِ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْعِ انْهِيَارِ الشُّيُوعِيَّةِ فِي أَرْضِ
مُجَاوِرَةٍ لَهُمْ، خَاصَّةً وَأَنَّ الْبَدِيلَ سَيَكُونُ هُوَ الْإِسْلَامُ.

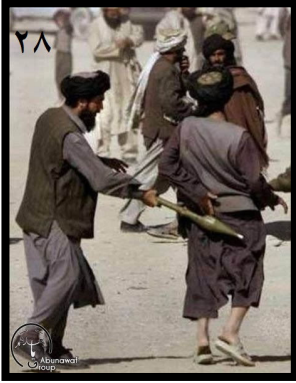
كَانَتْ الضَّرَبَاتُ الَّتِي تَلَقَّتْهَا الْقُوَاتُ الْحُكُومِيَّةُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ الْكَمِينِ عَلَى
الطَّرِيقِ الْعَامِّ «جَرْدِيز - خوست» قَدْ فَاقَمَتْ الْوَضْعَ دَاخِلَ صُفُوفِ الضُّبَّاطِ،
وَانْقَسَمُوا بَيْنَ ضُبَّاطِ عَادِيَّينَ وَآخَرِينَ مُتَمَمِّينَ إِلَى حِزْبِ «خَلْق» الْحَاكِمِ
الْمَدْعُومِينَ بِمُسْتَشَارِينَ سُوفِيَّةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَرَارِ الْحَقِيقِيِّ دَاخِلِ
الْجَيْشِ. أَمَّا الْغَارَاتُ الْحَمَقَاءُ الَّتِي قَرَّرَهَا السُّوفِيَّةُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ ضُبَّاطِ
«خَلْق» فَقَدْ انْتَهَتْ بِكَوَارِثَ مَأْسَاوِيَّةِ بَيْنَ جِبَالٍ مُنَاسِبَةٍ تَمَامًا لِتَدْمِيرِ الْجِيُوشِ،
وَعَلَى أَيْدِي رِجَالٍ تَدْفَعُهُمْ حَمَاسَةٌ دِينِيَّةٌ غَيْرِ عَادِيَّةٍ.

وَمَعَ هَذَا ظَهَرَتْ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ قَضِيَّةُ الْحَاجَةِ إِلَى التَّدْرِيبِ بِشَكْلِ
مَلْمُوسٍ، فَغَايَةُ تَدْرِيبِ الْمُجَاهِدِينَ آنَذَاكَ كَانَ الْبِنَادِقُ الْقَدِيمَةَ وَبَعْضَ
الْأَسْلِحَةِ الْخَفِيفَةِ الَّتِي غَنَمُوهَا حَدِيثًا، وَمَا سِوَى ذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَلَقُّوا عَلَيْهِ
دُرُوسًا تَعْلِيمِيَّةً مِنَ الْجُنُودِ وَالضُّبَّاطِ الْمُنْضَمِّينَ إِلَيْهِمْ. وَهَؤُلَاءِ الْعَسْكَرِيُّونَ

كَانُوا نَادِرًا مَا يُمْكُثُ أَحَدُهُمْ فتراتٍ طَوِيلَةً بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ. بِالنَّسْبَةِ لِلدَّبَابَاتِ وَالْمُصَفَّحَاتِ، كَانَ الْمُجَاهِدُونَ يَسْلُبُونَ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ ثُمَّ تُحْرَقُ الدَّبَابَةُ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ الضُّبَّاطُ مِنْ «جَرْدِيز» أَرْسَلَهُمْ «حَقَّانِي» إِلَى الطَّرِيقِ لِمُحَاوَلَةِ إِصْلَاحِ شَيْءٍ مِنَ الدَّبَابَاتِ الْمُدمَّرَةِ وَلَكِنَّهُمْ عَادُوا وَالْأَسَى يَعْمرُهُمْ؛ فَلَمْ يُعَدُّ هُنَاكَ مَا يُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ مِنْهُ. وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُمْكُثِ الضُّبَّاطُ طَوِيلًا وَغَادَرُوا إِلَى بَاكِسْتَانٍ لِلْعُودَةِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَنَاطِقِهِمْ لِاسْتِدْعَاءِ أُسْرِهِمْ حَتَّى لَا يَتَعَرَّضُوا لِبَطْشِ السُّلْطَاتِ.

وَكَانَتْ قِصَّةُ الْمُجَاهِدِينَ مَعَ الْقَازِفِ الصَّارُوخِيِّ الْمُضَادِّ لِلدُّرُوعِ «أَرْبِي جِي» قِصَّةً طَرِيفَةً؛ فَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ أَيُّ عِلْمٍ بِوُجُودِ مِثْلِ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْأَسْلِحَةِ أَصْلًا. وَفِي أَحَدِ كَمَاثِنِهِمْ عَلَى نَفْسِ الطَّرِيقِ «جَرْدِيز - خُوسْت» هَاجَمُوا قَافِلَةً مِنَ الْمُشَاةِ الْمُنْقُولَةِ بِالشَّاحِنَاتِ وَخَلَفَهَا عَدَدٌ مِنَ الْمُدْرَعَاتِ وَقَطَّعَ الْمُدْفِعِيَّةَ. تَشَتَّتِ الْقَافِلَةُ وَقَرَّ أَكْثَرُ الْمُشَاةِ وَبَقِيَتِ الْمُدْرَعَاتُ وَالِدَّبَابَاتُ تَطْلُقُ نِيرَانَ أَسْلِحَتِهَا الرَّشَاشَةِ وَالثَّقِيلَةِ، وَتَجَمَّدَ الْمَوْقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْمُجَاهِدُونَ جَمْعَ الْغَنَائِمِ أَوْ إِخْلَاءِ الْجَرْحَى وَالشُّهَدَاءِ. وَشَاهَدُوا جُنْدِيًّا يَحْمِلُ هَذَا السَّلَاحَ الْعَجِيبَ فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ ضِدُّ الدَّبَابَةِ»، وَهَكَذَا صَارَ اسْمُهُ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا اسْمَهُ الْأَصْلِيَّ. فَطَلَبُوا مِنْهُ إِطْلَاقَ النَّارِ عَلَى إِحْدَى الدَّبَابَاتِ وَلَكِنَّهُ خَافَ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَاكْتَفَى بِشَرْحِ الطَّرِيقَةِ لِأَحَدِ الْمُجَاهِدِينَ، الَّذِي تَنَاولَ السَّلَاحَ وَتَقَدَّمَ وَأَطْلَقَ قَذِيفَتَهُ

الأولى المضادة للدروع في تاريخ حياته العسكرية، بل وفي تاريخ المحافظة كلها، فطار بروج الدبابية ولم يكن ذلك هو المفاجأة الوحيدة، بل المفاجأة الأكبر هي أن كل أطقم الدبابات والمصفحات قفزوا منها رافعين أيديهم إلى



الأعلى، واتضح أن خوفهم من الـ «آر بي جي» أكبر من خوف المجاهدين من الدبابات. ومُنذُ ذلك التاريخ دخل هذا السلاح العجيب سجل الخدمة العسكرية لدى المجاهدين. [والحقيقة] أنهم [قد] أبدعوا في استخدامه طوال مدة الحرب، واستخدموه حتى ضد طائرات الهيليوكبتر، وكان

يُخيف الطائرات المنخفضة. [الآر بي جي من الجهل به إلى الدعاية بقدراته: صورة رقم

[٢٨

واكتشفنا متأخرين بعد نهاية الحرب أن المجاهدين كانوا يرفضون استخدام منظار التصويب الخاص بهذا السلاح. كنا نظن في البداية أنهم لا يمتلكونه، وفي الواقع فإن المنظار يفيز كثيرا بإمكانات ذلك السلاح وقيمته في المعارك وقدرته الفائقة على الإصابة. وكان بعض الأفغان يضحكون لرؤيتهم أحدا من العرب وهو يستخدم المنظار، ولما سألناهم عن السبب قالوا إن المنظار هو فقط لضعاف البصر. ومع البحث والاستفسار علمنا بعد سنوات أن المخبرات الباكستانية أثناء تدريبها للأفغان على قطع المدفعية

كَانَتْ تَرْفُضُ تَدْرِيبَهُمْ عَلَى اسْتِخْدَامِ مَنَاطِيرِ التَّصْوِيبِ. لِذَا كَانَتْ مَدْفَعِيَّةُ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْغَالِبِ الْأَعْمِ هِيَ لِمُجَرَّدِ التَّهْوِيشِ وَالتَّطْفِيشِ، مَعَ وُجُودِ اسْتِثْنَاءَاتٍ مَحْدُودَةٍ فِي أَوَاخِرِ مُدَّةِ الْحَرْبِ. أَمَّا عَنِ تِكْتِيكَاتِ اسْتِخْدَامِ الْمَدْفَعِيَّةِ فَكَانَتْ مُتَخَلِّفَةً لِلْغَايَةِ وَشِبْهَ مُنْعَدِمَةٍ فِيمَا عَدَا مَا يُقَدِّمُهُ الضُّبَّاطُ الْبَاكِسْتَانِيُّونَ مِنْ مَشُورَاتٍ فَنِيَّةٍ لِرِجَالِ الْمَدْفَعِيَّةِ الْأَفْغَانِ، وَهِيَ مَشُورَاتٌ ضَارَّةٌ أَكْثَرَ مِنْهَا نَافِعَةٌ، وَالْهَدَفُ مِنْهَا زِيَادَةُ اعْتِمَادِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى إِمْدَادَاتِ الذَّخَائِرِ الْقَادِمَةِ مِنْ بَاكِسْتَانِ، وَعَلَى الْمَشُورَاتِ الضَّارَّةِ لِرِجَالِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ الَّذِينَ حَرَّصُوا عَلَى إِبْقَاءِ الْفَعَالِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ عَلَى مُسْتَوَى مُنْخَفِضٍ لَا يَتَطَوَّرُ حِفَاطًا عَلَى الْمَصَالِحِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي تَوْجِيهِ الدَّفْعَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلصَّرَاحِ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ حُدُودِ التَّنَافُسِ الْمَحْكُومِ بِدِقَّةٍ بَيْنَ أَمْرِيكَا وَالسُّوْفِيَّةِ.

كَانَ التَّدْرِيبُ أَحَدَ جَوَانِبِ الْمُسْكَلَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ طَوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ، وَكَانَ أَيْضًا وَثِيقَ الصَّلَةِ بِالْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ لِلْقَضِيَّةِ كُلِّهَا. وَفِي سَنَوَاتِ الْحَرْبِ التَّالِيَةِ عِنْدَمَا ظَهَرَ الْعُنْصُرُ الْعَرَبِيُّ عَلَى مَسْرَحِ الْأَحْدَاثِ سَوْفَ نَرَى جَوَانِبَ هَذِهِ الْمُسْكَلَةِ لَدَيْهِمْ أَيْضًا.



مَا هُوَ مَذْهَبُكَ؟:

فِي تِلْكَ الْإَيَّامِ أَتَذَكَّرُ كَثِيرًا الْوَفْدَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ وِلَايَةِ «غزني» بِرِئَاسَةِ ذَلِكَ الْمَوْلَوِيِّ الشَّابِّ الَّذِي يَتَفَجَّرُ قُوَّةً وَعَزِيمَةً. قَابَلْتُهُ فِي تِلْكَ الْإَيَّامِ حَالَ وُضُولِهِ إِلَيَّ مَرَكِزِ «سَرَانَا» وَهُوَ مَا زَالَ يَلْهَثُ مِنْ صُعُودِ الْجَبَلِ. سَأَلَنِي بِعَرَبِيَّةٍ فَصِيحَةٍ: «هَلْ أَنْتَ عَرَبِيٌّ؟»، وَعَلِمْتُ مِنْهُ أَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ فِي مَنَاطِقَ رِيْفِيَّةٍ مَفْتُوحَةٍ وَيُعَانُونَ بِشِدَّةٍ مِنَ الدَّبَابَاتِ، وَأَنَّهُ قَدِمَ يَطْلُبُ الْمَعُونَةَ مِنْ مَوْلَوِيِّ «جَلَالِ الدِّينِ»؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لَدَيْهِمْ «ضِدَّ الدَّبَابَةِ» وَيُرِيدُ وَاحِدًا مِنْهَا عَلَى الْأَقْلَى. فَلَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْ مُشْكَلَةِ الطَّائِرَاتِ، قَالَ إِنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ بِهَا كَثِيرًا؛ فَالطَّائِرَةُ «الْحِتُّ» - أَيِ النَّفَّاثَةُ - تَرْمِي قَنَابِلَهَا وَتَرْحُلُ، أَمَّا الدَّبَابَةُ فَإِنَّ الْجَيْشَ يَدْخُلُ بِهَا إِلَيَّ وَسَطِ الْبُيُوتِ، وَيَتْتَهِكُ الْحُرْمَاتِ وَيَسْتَيْبِحُ الدِّمَاءَ بِدُونِ أَنْ نَمْلِكَ لَهُ دَفْعًا.

وَلَمَّا سَأَلْتُهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ عَدَمِ خَشْيَتِهِمْ مِنَ الطَّيْرَانِ كَانَتْ تَفْسِيرَاتُهُ أَشَدَّ غَرَابَةً؛ فَقَدْ كَانَ يَجْلِسُ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْتِ مَعَ أُمِّهِ الْعَجُوزِ، وَفَجْأَةً وَصَلَتْ الطَّائِرَاتُ وَبَدَأَتْ تَرْمِي قَنَابِلَهَا فَوْقَ الْقَرْيَةِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَجْرِيَ إِلَى الْأَسْفَلِ لِإِحْتِمَاءِ مِنَ الْقَصْفِ وَبَخْتِهِ أُمُّهُ الْعَجُوزُ قَائِلَةً: «أَنْتَ مَوْلَوِيٌّ تَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ وَتَخَافُ مِنْ كَافِرٍ؟»، فَشَعَرَ بِالْخَجَلِ وَالنَّدَمِ وَبَقِيَ مَعَهَا حَتَّى انْتَهَى الْقَصْفُ ثُمَّ نَزَلَ كَيْ يُسَاعِدَ فِي إِسْعَافِ الْجُرْحَى وَنَقَلَ جُثَثَ الشُّهَدَاءِ. كَانَتْ قِصَّةُ الْأُمَّ غَرِيبَةً بِالنِّسْبَةِ لِي، وَلَكِنْ أَمْثَالُ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ كَانَتْ حَقِيقَةً، مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ،

وَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ الْجَوَانِبِ الْخَفِيَّةِ لِلْأُسْطُورَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

وَلَمَّا سَأَلْتُ الْمَوْلَوِيِّ عَن بَرْنَامِجِهِ الْجِهَادِيِّ وَمَا هِيَ غَايَتُهُ، كَانَتْ إِجَابَتُهُ الَّتِي تَرَى فِي أُذُنِي الْآنَ: «سَنُقَاتِلُ الشُّيُوعِيِّينَ حَتَّى نَفْتَحَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ». بَحَلَقْتُ فِي وَجْهِهِ مُنْذِهِشَا، كَيْفَ تَذَكَّرُ هَذَا الْجَبَلِيُّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي تَرُقُدُ فِي عِيَاهِبِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ؟ كَيْفَ يَجْرُؤُ؟، لَقَدْ نَفَذْتَ كَلِمَاتُهُ فِي أَعْمَاقِي وَشَعَرْتُ كَأَنَّهَا نُبُوءَةٌ قَادِمَةٌ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ كَانَتْ فَوْقَ كُلِّ خَيَالٍ وَتَصَوُّرٍ. كَمْ كَانَتْ نُبُوءَةٌ ذَلِكَ الشَّابِّ الْمَوْلَوِيِّ صَادِقَةً وَأَنَا أَرَى أَمَامِي الْآنَ مُجَاهِدِينَ مِنْ بِلَادِ «الطَّاجِيكِ»^(١) وَبِلَادِ «الْأُوزْبِكِ»^(٢) يَتَدَرَّبُونَ فِي مُعَسْكَرِ «الْفَارُوقِ»، وَيُقَاتِلُونَ لِذَخْرِ الشُّيُوعِيَّةِ الْمُتَبَقِّيَّةِ فِي بِلَادِهِمْ، إِنْ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ بَاتتَا عَلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. وَلَكِنْ إِلَى أَيِّ مَدَى خَذَلْنَا الْأَفْغَانَ؟ وَبِالتَّحْدِيدِ قِيَادَتُهُمْ الَّتِي خَانَتْ شَعْبَهَا، بَلْ خَانَتْ قَضِيَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ. تِلْكَ الصَّلَابَةُ وَذَلِكَ

(١) الطَّاجِيك: مَجْمُوعَةٌ عَرَفِيَّةٌ رَيْسِيَّةٌ تَقُطُنُ وَسَطَ قَارَةَ آسِيَا، وَتَتَوَاجَدُ بِكَثَافَةٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَبَاكِسْتَانَ وَطَاجِيكِسْتَانَ وَأُوزْبَاكِسْتَانَ وَإِيرَانَ وَالصِّينَ. لَا يَتَحَدَّثُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ بَعْدَةَ لُغَاتٍ تَبَعًا لِمَوَاطِنِ اسْتِقْرَارِهِمْ.

(٢) الْأُوزْبِك: مَجْمُوعَةٌ عَرَفِيَّةٌ تَكُونَتْ مِنَ الْجَمَاعَاتِ التُّرْكِيَّةِ الَّتِي هَاجَرَتْ مِنْ بِلَادِ الْقَبْجَاقِ (رُوسِيَا وَأُوكْرَانِيَا وَبِلَادُ الْقُوْقَازِ) وَمَنَاطِقِ أُسْتِرَاخَانَ «مَدِينَةُ بَرُوسِيَا بِحَوْضِ نَهْرِ الْفُولْجَا» إِلَى بِلَادِ مَا وَرَاءِ النَّهْرِ، وَأَشْهُرُ الْمَنَاطِقِ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا الْيَوْمَ أَوْزْبَاكِسْتَانَ.

الإِقْدَامِ وَالتَّعَالِي الإِيْمَانِي كَانَتْ دُرُوسًا لَا تَقْدَرُ بِثَمَنِ، وَكُنَّا نَحْنُ الَّذِينَ تَرَبَّيْنَا فِي أَجْوَاءِ الذُّلِّ وَالْقَهْرِ وَالاسْتِحْزَاءِ أَشَدَّ مَا نَكُونُ حَاجَةً إِلَى أَنْ نَتَلَقَّهَا عَلَى أَيْدِي هَؤُلَاءِ الأَسَاتِذَةِ.

ثُمَّ فَاجَأَنِي المَوْلَوِيُّ الشَّابُّ بِسُؤَالٍ لَمْ أُدْرِكْ خُطُورَتَهُ إِلَّا بَعْدَ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ، فَقَالَ لِي: «مَا هُوَ مَذْهَبُكَ؟». كَانَتْ مُفَاجَأَةً أُخْرَى، فَلأَوَّلِ مَرَّةٍ يُوَجِّهُ لِي هَذَا السُّؤَالَ، وَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمْ أَكُنْ أُدْرِي تَحْدِيدًا مَا هُوَ مَذْهَبِي، بَلْ لَمْ يَكُنْ لِدَلِكِ أَدْنَى أَهْمِيَّةٍ لَدَيَّ. وَتَذَكَّرْتُ أَنَّ مِصْرَ يَغْلُبُ عَلَيْهَا المَذْهَبُ الشَّافِعِيُّ، فَاسْتَتَجْتُ أَنِّي لَا بُدَّ أَنْ أَكُونَ شَافِعِيًّا كَذَلِكَ. فَأَخْبَرْتُ الرَّجُلَ أَنِّي شَافِعِي المَذْهَبِ، وَلَكِنَّهُ وَاصَلَ السُّؤَالَ: «مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ؟». وَقَدْ تَصَادَفَ أَنِّي أَحْضَرْتُ مَعِيَ كِتَابًا جَامِعًا لِمُؤَلَّفَاتِ «ابْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ»، وَقَدْ أَعْجَبَنِي كَثِيرًا، خَاصَّةً وَأَنَّ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ عَنْهُ كَانَ شَدِيدَ العَدَاءِ لَهُ وَلِحَرَكَتِهِ، وَلَكِنِّي عِنْدَمَا بَدَأْتُ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِهِ، أَعْجَبَنِي أُسْلُوبُهُ وَمَنْهَجُهُ. وَبِكُلِّ سَدَاجَةٍ بَدَأْتُ أَعَدُّ مَزَايَا «ابْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ» أَمَامَ المَوْلَوِيِّ الشَّابِّ. وَبَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ أُدْرِكْتُ لِمَاذَا لَمْ أَرِ هَذَا المَوْلَوِيَّ إِطْلَاقًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ هَذَا هُوَ حَدِيثِي الأَوَّلُ وَالأَخِيرُ مَعَهُ. وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ أُخْرَى أُدْرِكْتُ مَدَى العَدَاءِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُكِنُّهُ أَخْنَفُ أَفْغَانِسْتَانَ - وَهُوَ المَذْهَبُ الوَحِيدُ هُنَا تَقْرِيبًا - لِلشَّيْخِ «ابْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ».

وَبَعْدَ الْجَلَاءِ السُّوفِيَّتِي وَتَفْجِيرِ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ الْأَفْغَانِ وَالْعَرَبِ
 الْمُجَاهِدِينَ، كَانَ الْخِلَافُ الْمَذْهَبِيُّ وَالْعَدَاءُ بَيْنَ «الْوَهَابِيَّةِ» وَ «الْأَخْنَفِ» هِيَ
 الرَّأْيَةُ الْمَقْبِيَّةُ لِذَلِكَ الْخِلَافِ الَّذِي أَشْعَلَتْهُ أَمْرِيكَا فِي حَمَلَةٍ طَوِيلَةٍ لِمُطَارَدَةِ
 الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ وَاسْتِئْصَالِهِمْ مِنْ مَنْطِقَةٍ وَسَطٍ وَجَنُوبِ آسِيَا. الْوَرَقَةُ
 «الشَّيْعِيَّةُ» كَانَتْ هِيَ الْأُخْرَى وَرَقَةٌ رَابِحَةٌ فِي الْيَدِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْبَارِعَةِ،
 وَاسْتَفَادَتْ مِنْهَا عَلَى امْتِدَادِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ، وَمِنْ ضَمْنِهِ الْمَنْطِقَةُ
 الْأَفْغَانِيَّةُ. وَقَدْ انْسَاقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَرَاءَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ
 الْعَفْنَةِ الَّتِي حَفَرْتَهَا أَمْرِيكَا بِسَوَاعِدِ حُلَفَائِهَا أَوْ أَتْبَاعِهَا مِنَ الدُّوَلِ «الْإِسْلَامِيَّةِ»
 وَالْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي انْسَاقَتْ بِدَوَافِعِ مُخْتَلِفَةٍ خَلْفَ رَكْبِ الْفِتْنَةِ، وَقَدْ
 غَطَّتِ الْعُيُونَ وَالْقُلُوبَ سَتَاتِرُ الْجَهْلِ أَوْ التَّعَصُّبِ أَوْ الْمَنْفَعَةِ الْمَادِيَّةِ أَوْ
 جَمِيعِهَا، وَكَانَتْ أَفْغَانِسْتَانَ سَاحَةً خَضِبَةً لِكُلِّ ذَلِكَ.

كَانَتْ الثَّوْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْإِيرَانِيَّةُ^(١) حَدَثَ الْعَالَمِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، بَيْنَمَا
 أَفْغَانِسْتَانَ تَخُوضُ فِي بَحَارِ الدِّمَاءِ بَعِيدًا عَنِ الْأَعْيُنِ وَالْأَبْصَارِ. وَأَذْكَرُ أَنْبِي
 جَلَسْتُ مَعَ صَدِيقِي «إِسْمَاعِيلَ» لِتَسْجِيلِ رِسَالَةٍ صَوْتِيَّةٍ مِنَ الشَّيْخِ «جَلَالِ

(١) الثَّوْرَةُ الْإِيرَانِيَّةُ أَوْ الثَّوْرَةُ الْخُمَيْنِيَّةُ: هِيَ ثَوْرَةٌ قَادَهَا «آيَةُ اللَّهِ الْخُمَيْنِي» مِنْ خَارِجِ إِيرَانَ عَامَ ١٩٧٩ م،
 وَالَّتِي فَصَّتْ عَلَى الدَّوَلَةِ الْبَهْلَوِيَّةِ، وَقَامَتْ بِتَحْوِيلِ نِظَامِ الْحُكْمِ مِنَ الْمَلَكِيَّةِ إِلَى الْجُمْهُورِيَّةِ، وَكَانَ
 آخِرُ مُلُوكِ الدَّوَلَةِ الْبَهْلَوِيَّةِ هُوَ «الشَّاهُ مُحَمَّدُ رِضَا بَهْلَوِي».

الدِّينِ حَقَّانِي»، فَوَجَّهَنَا سُؤْلاً لَهُ عَنِ الثَّوْرَةِ الْإِيرَانِيَّةِ وَالْإِمَامِ «الْخُمَيْنِيِّ». وَكَانَ رَدُّهُ طَيِّبًا وَمُرَحِّبًا، وَلَمْ نَجِدْ نَحْنُ حَرَجًا مِنْ تَوْزِيعِ الرِّسَالَةِ بَعْدَ عَوْدَتِنَا إِلَيَّ «أَبُو ظَبْيٍ». وَكَانَتْ الثَّوْرَةُ فِي إِيرَانَ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى السُّلْطَةِ مِنْذُ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ وَسَطًا تَرْحِيبِ شَعْبِيِّ هَائِلٍ عَلَى مُسْتَوَى الرَّأْيِ الْعَامِّ الْإِسْلَامِيِّ. [الْخُمَيْنِيِّ فِي طَهْرَانَ بَعْدَ نَجَاحِ الثَّوْرَةِ: صُورَةٌ رَقْمٌ ٢٩]



وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ كَمْ تَغَيَّرَتِ الصُّورَةُ وَأَصْبَحَ الطَّعْنُ فِي الْإِمَامِ «الْخُمَيْنِيِّ» وَتَكْفِيرُ الشِّيْعَةِ «فَرَضَ عَيْنٍ» عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. وَعِنْدَمَا تَنَامَى الدَّوْرُ السُّعُودِيُّ

الْعَلَنِيُّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ سَمِعْتُ عَامَ ١٩٨٦ م مِنْ بَعْضِ أَنْصَارِهَا الْمَذْهَبِيِّينَ - أَقْصِدُ السَّلَفِيِّينَ - أَنَّ أخطرَ الأخطارِ عَلَى مُسْتَقْبَلِ أَفْغَانِسْتَانَ هُمُ الشِّيْعَةُ الْأَفْغَانُ وَكَيْسَ الاِحتِلَالِ السُّوفِيَّتِيِّ. وَعَلَى قَدْرِ مَا أَدْهَشَنِي الطَّرْحُ وَهُوَ مِنْ شَابِّ إِسْلَامِيٍّ مَرْمُوقٍ فِي الْوَسْطِ «الْمَهْرَجَانِيِّ» وَأَوْسَاطِ النَّدَوَاتِ وَالْمُؤْتَمَرَاتِ شَرْقًا وَغَرْبًا، عَلَى قَدْرِ مَا فَشِلْتُ فِي إِقْنَاعِهِ بِأَهْمِيَّةِ تَأْجِيلِ ذَلِكَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُ إِلَى مَا بَعْدَ الْجَلَاءِ السُّوفِيَّتِيِّ!!، وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ مُتَشَكِّكًا؛ فَمِنْ الْمَفْرُوضِ فِي رَأْيِهِ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ صَحِيحِ الْعَقِيدَةِ لَا يَتَرَدَّدُ فِي

تَأْيِيدِ طَرَحِهِ ذَلِكَ عَلَى طُولِ الْخَطِّ^(١).

وَفِي نَفْسِ الْعَامِ قَابَلْتُ آخَرًا مِنْ نَفْسِ الْمَدْرَسَةِ وَيَتَّصِلُ إِلَى الشَّمَالِ الْإِفْرِيقِيِّ، تَرَكَ الْجِهَادَ فِي أَفْعَانِسْتَانَ وَأَخَذَ يَدْعُو غَيْرَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَبِالطَّبْعِ دَعَائِي أَيْضًا، فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ لِي بِأَنَّ الْمَذَهَبَ الْحَنْفِيَّ يَحْتَوِي عَلَى مَا لَا يَقِلُّ عَنْ عَشْرَةِ مَسَائِلٍ يُخَالِفُ فِيهَا عَنْ سَبْقِ إِصْرَارٍ وَتَرْصُدِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

(١) لَا نَعْلَمُ إِنْ كَانَ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - قَدْ رَاجَعَ رَأْيَهُ فِي مَسْأَلَةِ الشَّيْعَةِ تِلْكَ أَمْ لَا، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصِفُ الرَّافِضَةَ وَوَأَجِبْنَا تَجَاهَهُمْ تَوْصِيفًا شَرْعِيًّا مُنْضَبَطًا، وَلَا سِيَّمَا وَهُوَ الَّذِي قَدْ أَشَارَ قَبْلَ وَرَقَاتٍ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ بِكَلِمَةِ «الْمُرْتَدِّينَ» الْمَعْنَى الشَّرْعِيَّ لَهَا، وَأَنَّ لِهَذَا رِجَالٌ عِلْمٌ مُتَخَصِّصُونَ يَتَكَلَّمُونَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأُمُورِ الشَّائِكَةِ، وَلَا نُدْرِي مَا الَّذِي جَعَلَ الشَّيْخَ لَا يُعَامِلُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ كَسَابِقَتِهَا، وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ لَا يَكَادُ يَسْتَنِدُ إِلَى دَلِيلٍ مِنَ الشَّرْعِ أَوْ حَتَّى الْوَاقِعِ، وَالْيَوْمَ وَقَدْ قَضَى الشَّيْخُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً تَحْتَ الْإِفَامَةِ الْجَبْرِيَّةِ فِي إِيرَانَ، وَشَهِدَ الْحَرْبَ الضَّرُوسَ الَّتِي مَازَالَتْ رَحَاهَا تَدُورُ فِي بِلَادِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالَّتِي يَقُومُ الرَّافِضَةُ فِيهَا بِإِبَادَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ جَنَابًا إِلَى جَنْبِ مَعَ الرُّوسِ الَّذِي كَانَ يَقُولُ بِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْقِتَالِ مِنَ الشَّيْعَةِ، أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ عَلِمَ حَقِيقَةَ خَطَرِ الشَّيْعَةِ وَمَوْفِقُهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ إِطْلَاعَ الشَّيْخِ حِينَهَا لَمْ يَكُنْ يُؤْهِلُهُ لِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الرَّافِضَةَ وَكُفْرِهِمُ الْجَلِيِّ الَّذِي لَا يُخْطِئُهُ نَاطِرٌ عَاقِلٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِالضَّرُورَةِ، وَيَا لَيْتَ الشَّيْخَ يَفْرَأُ قَوْلَ الْإِمَامِ «ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» - الَّذِي قَالَ بِأَنَّهُ يُجِلُّهُ - فِي الرَّافِضَةَ. أَمَّا تَأْجِيلُ الصَّدَامِ مَعَ الرَّافِضَةَ لِأَجْلِ قِتَالِ الرُّوسِ فَهُوَ أَمْرٌ يُرَدُّ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْأَحْوَالِ وَالِاسْتِثْنَاءِ الْإِتْيَاقِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ وَلَا يُرَدُّ إِلَى أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنَ الرُّوسِ أَوْ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، فَهَذَا كَلَامٌ سَاقِطٌ، يُكْذِبُهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَالْوَاقِعُ، وَكَيْسَ فِي هَذَا الْقَوْلِ نَمَّ مَذْهَبِيَّةٍ، إِنَّمَا هُوَ إِسْلَامٌ وَكُفْرٌ، وَالْكَفْرُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَذَلِكَ لِلْبَصِيرِ الْوَاعِي، سِوَاءِ كَانَ الْكَافِرُ رَافِضِيًّا أَوْ رُوسِيًّا.

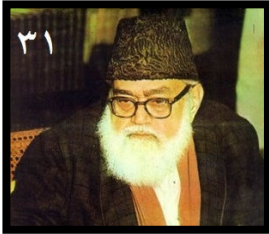
المُشْرِفَةَ. اعْتَذَرْتُ لَهُ بِكَوْنِي غَيْرَ عَالِمٍ حَتَّى أَحْكَمَ عَلَيَّ «انْحِرَافَاتِ» أَبِي حَنِيفَةَ وَلَكِنِّي سَأَصَدِّقُ مَا يَقُولُهُ بِلَا مُنَاقَشَةَ بِأَنَّ لَدَى «أَبِي حَنِيفَةَ» عَشْرَ مَسَائِلَ يُخَالِفُ فِيهَا السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ عَنِ عَمَدٍ، وَلَكِنِّي مُتَأَكِّدٌ - فِي حُدُودِ عِلْمِي - أَنَّ «بَابِرَكَ كَارْمِلَ»^(١) [صُورَةَ رَقْم ٣٠] رَئِيسَ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ فِي «كَابُلَ» لَا يُوَافِقُ الشَّرْعَ أَوْ السُّنَّةَ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ. فَإِيْهُمَا أَوْلَى بِأَنَّ يَحْكُمَ أَفْغَانِسْتَانَ؟ شَرَعُ «أَبِي حَنِيفَةَ» أَمْ شَرَعُ «مَارِكْسَ»^(٢)؟. بِالطَّبَعِ لَمْ يُعْجِبَهُ الْقَوْلُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً بَعْدَ انْسِحَابِ الرُّوسِ وَقَدْ انْحَصَرَ مُعَسَّكِرُ الْمُسْلِمِينَ فِي نَظَرِهِ إِلَى أَشْخَاصٍ قَلِيلٍ، هُوَ بِالطَّبَعِ عَلَيَّ رَأْسِهِمْ.

(١) سُلْطَانُ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ حُسَيْنِ هِشَامٍ أَوْ بَابِرَكَ كَارْمِلَ: سِيَاسِيٌّ شِيُوعِيٌّ أَفْغَانِيٌّ، وُلِدَ فِي ٦ يَنَايِرِ ١٩٢٩ م، تَخَرَّجَ فِي كَلِيَّةِ الْحُقُوقِ وَالْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ فِي جَامِعَةِ «كَابُلَ» فِي عَامِ ١٩٦١ م بَعْدَ فِتْرَةٍ اِعْتِقَالٍ وَشَطْبٍ مِنَ الْجَامِعَةِ لِمَمَارَسَاتِهِ السِّيَاسِيَّةِ، تَبَرَّأَ مِنْهُ وَالِدُهُ بِسَبَبِ مَوَاقِفِهِ وَرُؤَاةِ السِّيَاسِيَّةِ. قَامَ بِتَغْيِيرِ اسْمِهِ إِلَى «بَابِرَكَ كَارْمِلَ» وَالتَّجِي تَعْنِي «صَاحِبُ أَوْ رَفِيقُ الْعَمَالِ» تَأَثُّرًا بِالْأَفْكَارِ الْمَارِكْسِيَّةِ الشُّيُوعِيَّةِ. اِلْتَحَقَ بِحِزْبِ الشَّعْبِ الدِّيْمُوقْرَاطِيِّ وَتَرَقَّى فِي الْمَنَاصِبِ السِّيَاسِيَّةِ فَشَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ مَجْلِسِ الْوُزَرَاءِ وَرَئِيسِ الْمَجْلِسِ الرَّئِيسِيِّ الشُّورِيِّ، وَرَئِيسِ أَفْغَانِسْتَانَ فِي الْفِتْرَةِ مِنْ ٢٧ دِيْسَمْبِرِ ١٩٧٩ م وَحَتَّى ٢٤ نَوْفَمْبِرِ ١٩٨٦ م، تُوُفِّيَ فِي «مُوسْكُو» فِي دِيْسَمْبِرِ ١٩٩٦ م.

(٢) كَارْلُ هَانْرِيكَ مَارِكْسَ: فِيلَسُوفٌ وَأَقْتِصَادِيٌّ يَهُودِيٌّ أَلْمَانِيٌّ ثُورِيٌّ وُلِدَ فِي ٥ مَائُو ١٨١٨ م، نَشَأَ فِي عَائِلَةٍ غَنِيَّةٍ، وَتَخَرَّجَ فِي جَامِعَتِي «بُونِ» وَ «بِرْلِينِ»، وَاهْتَمَّ بِالْجَوَابِ اِلْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَأَنْشَأَ نَظَرِيَّاتِهِ الْمَادِّيَّةِ الْخَاصَّةِ. عَمِلَ بِالصَّحَافَةِ فِي فَرَنْسَا، ثُمَّ اِنْتَقَلَ إِلَى بِلْجِيكَا وَالتَّحَقَّقَ بِالْحِزْبِ الشُّيُوعِيِّ. تُوُفِّيَ فِي «لُنْدُنَ» فِي ١٤ مَارِسِ ١٨٨٣ م.



الْجَانِبِ الْحَنْفِيِّ لَمْ يَقْصُرْ فِي رَدِّ التَّحِيَّةِ بِأَحْسَنِ مَنِهَا،
فَمَوْقِفُ مُعْظَمِ الْعُلَمَاءِ عِنْدَهُمْ أَكْثَرُ تَشَدُّدًا إِزَاءَ الْوَهَابِيَّةِ
مِنْهُمْ إِزَاءَ الشَّيْعَةِ، فَالْأُولَى كُفْرٌ وَالثَّانِيَةُ بِدْعَةٌ. أَمَّا
الْمَوْدُودِيَّةُ، نِسْبَةٌ إِلَى «الْمَوْدُودِيِّ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٣١] مُؤَسَّسُ



الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْهِنْدِ، فَهُوَ يَلْحَقُ بِـ «ابْنِ عَبْدِ
الْوَهَّابِ» مِنْ حَيْثُ الدَّرَجَةِ فِي الْحُكْمِ.

تَمَيَّزَ الْجَانِبُ الْأَفْغَانِيُّ بِضَبْطِ النَّفْسِ، ثُمَّ عَبَّرَ عَنْ
نَفْسِهِ بِدَرَجَةٍ مَعْقُولَةٍ مِنَ الْوُضُوحِ بَعْدَ مَعْرَكَةِ «جَلَّالِ

أَبَادِ»، ثُمَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْوُضُوحِ بَعْدَ سُقُوطِ النِّظَامِ الشِّيْعِيِّ فِي «كَابُلٍ» حَيْثُ
تَجَلَّتْ الْمَوَاقِفُ الْحَقِيقِيَّةُ لِقَادَةِ الْأَحْزَابِ «الْجِهَادِيَّةِ»، سِوَاءَ مَوَاقِفِهِمْ
الْاِعْتِقَادِيَّةِ [أَوْ] السِّيَاسِيَّةِ، وَجَمِيعُهَا كَانَتْ مُعَاكِسَةً بِشَكْلِ كُلِّيٍّ لِمَا كَانَ مُعْلَنًا

(١) أَبُو الْأَعْلَى الْمَوْدُودِيُّ: مُؤَسَّسُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْهِنْدِ، وُلِدَ فِي ١٢ رَجَبٍ ١٣٢١ هـ - ٢٥
سِبْتَمْبَرِ ١٩٠٣ م، نَشَأَ فِي أُسْرَةٍ مُحَافِظَةٍ مُتَدَيِّنَةٍ، وَدَرَسَ اللُّغَةَ وَالْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ عَلَى أَبِيهِ، عَمِلَ فِي
الصَّحَافَةِ وَأَنْشَأَ مَجَلَّةَ «تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ»، كَانَ صَاحِبَ فِكْرَةٍ إِتْنَاءَ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِـ «الْمَدِينَةِ
الْمُنَوَّرَةِ» وَكَانَ عَضْوًا فِي مَجْلِسِهَا، وَكَانَ عَضْوًا مُؤَسَّسًا فِي «رَابِطَةِ الْعَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ». حُكِمَ عَلَيْهِ
بِالْإِعْدَامِ عَامَ ١٣٧٣ هـ وَخُفِّفَ الْحُكْمُ لِلسَّجْنِ مَدَى الْحَيَاةِ ثُمَّ أُفْرَجَ عَنْهُ تَحْتَ الصَّغْطِ الشَّعْبِيِّ،
وَاعْتَقَلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أَنْشَأَ الْجَامِعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي «لَاهُورِ» فِي ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م، وَانْتُخِبَ رَئِيسًا
لَهَا وَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّى عَامِ ١٣٩٢ م. تُوُفِّيَ فِي ٣١ ذُو الْقَعْدَةِ ١٣٩٩ هـ - ٢٢ سِبْتَمْبَرِ ١٩٧٩ م.

فِي سَنَوَاتِ الْمُحَنَّةِ وَ «الْجِهَادِ الْمُقَدَّسِ». وَفِي «قَنْدَهَار» أَطْلَقَهَا أَحَدُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّ قَتْلَ وَهَابِيِّ وَاحِدٍ أَكْثَرَ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رُوسِيًّا «بِالتَّحْدِيدِ»!! سَمِعْتُ تِلْكَ الْفَتْوَى عَامَ ١٩٨٩ م عَامَ «جَلَالِ آبَاد»، وَالْمُدْهَشُ أَنَّنِي سَمِعْتُهَا مُنْذُ شَهْرَيْنِ [فِي] يُولْيُو ١٩٩٤ م عِنْدَمَا أَوْقَفْنَا أَحَدَ «الْمُجَاهِدِينَ» التَّابِعِينَ لِـ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» رَئِيسِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَطُنُّنَا مِنَ الطَّاجِيكِ، وَلَكِنَّهُ اعْتَدَرَ قَائِلًا: «لَقَدْ ظَنَنْتُكُمْ عَرَبًا وَهَابِيِّينَ... وَكَمْ أَتَمَّنَى مِنَ اللَّهِ أَنْ أَقْتَلَ أَحَدَهُمْ، فَذَلِكَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَثَوَابًا مِنْ قَتْلِ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رُوسِيًّا»!! مَرَّةً أُخْرَى نَفْسُ التَّسْعِيرَةِ الَّتِي وُضِعَتْ فِي «قَنْدَهَار». وَالْعَجِيبُ أَنَّ لَدَى مُعْظَمِ الْعَوَامِّ هُنَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَنَّ كُلَّ عَرَبِيٍّ وَهَابِيٍّ وَلَيْسَ كُلُّ وَهَابِيٍّ عَرَبِيًّا؛ لِأَنَّ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَفْغَانَ قَدْ تَحَوَّلُوا إِلَى الْوَهَابِيَّةِ، وَتِلْكَ قِصَّةٌ أُخْرَى.

كَانَتْ زِيَارَتُنَا الْأُولَى مِثْلَ الْبِذْرَةِ الَّتِي تَحْوِي كُلَّ الْخَصَائِصِ الْوَرَائِثَةِ لِلنَّبَاتِ الْقَادِمِ مِنْ أَحْشَائِهَا. وَلَمْ أَتَبَيَّنْ ذَلِكَ بِوُضُوحٍ إِلَّا عَلَى مَرَّاحِلٍ. وَفِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ اعْتَقَدُ أَنَّ الْوُضُوحَ هُوَ فِي أَفْصَى دَرَجَاتِهِ بَعْدَمَا اكْتَمَلَتْ التَّجْرِبَةُ وَظَهَرَ جَلِيًّا كُلُّ أَوْ مُعْظَمُ مَا كَانَ خَافِيًّا أَوْ غَامِضًا غَيْرَ مَفْهُومٍ بِالنَّسْبَةِ لَنَا.

الْأَخْطَاءُ وَالْمَزَايَا جَمِيعُهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً عَلَى جَانِبِنَا نَحْنُ الْعَرَبُ، وَلَوْ كَمَجْمُوعَةٍ بَسِيطَةٍ كَمَجْمُوعَتِنَا الثَّلَاثِيَّةِ، وَلَكِنْ مُعْظَمَ سَمَاتِ التَّوَالِدِ الْعَرَبِيِّ

اللَّاحِقِ وَمَلَامِحِهِ الرَّئِيسِيَّةِ تَوَاجَدَتْ فِيْنَا مِنْ ضَعْفِ التَّأْهِيلِ الدِّيْنِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ
وَالعَسْكَرِيِّ لِمُوَاجَهَةِ عَظِيمَةٍ بِهَذَا الحَجْمِ بَيْنَ الإِسْلَامِ الَّذِي يُمَثِّلُهُ أَفْرَادٌ
مُنْدَفِعُونَ غَيْرُ مُؤَهَّلِينَ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ أُمَّةٌ تَائِهَةٌ ضَائِعَةٌ مُسْتَعْبَدَةٌ مُسْتَبَاحَةٌ
الحُرْمَاتِ، [وَبَيْنَ القُوَى الشُّعُوبِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَالأنْظِمَةِ المُرْتَدَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى
وَالصَّلِيبِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ المُحَرِّكَةِ لِأنْظِمَتِنَا الحَاكِمَةِ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ].

وَتَوَاجَدَتْ فِيْنَا الأَحْلَامُ الهَائِلَةُ الهَلَامِيَّةُ غَيْرُ مُحَدَّدَةِ المَعَالِمِ، وَلَا نَدْرِي
لَهَا كَيْفِيَّةً لِلتَّنْفِيذِ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ. تِلْكَ الأَحْلَامُ تَعَكِّسُ مَدَى جَهْلِنَا بِوَاقِعِ
العَالَمِ، بَلْ وَوَاقِعِنَا نَحْنُ. وَلَعَلَّ ذَلِكَ الجَهْلَ كَانَ أَحَدَ أَسْبَابِ جُرْأَتِنَا فِي
الحَرَكَةِ، إِنَّهَا شَجَاعَةُ الجَهْلِ الَّتِي أَدْهَشَتْ كَثِيرِينَ، وَجَلَبَتْ لَنَا الكَثِيرَ مِنْ
المَشَاكِلِ وَالاْتِهَامَاتِ وَالتَّشْكِيكِ، وَقَادَتْنَا إِلَى الصِّدَامِ مَعَ الأَقْوِيَاءِ. وَالَّذِي
أَدْهَشَنَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ أَوْ أَوَّلِ صِدَامٍ وَأَفْسَاهُ عَلَى نَفُوسِنَا جَاءَ مِنْ تِلْكَ
الجِهَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي حَاوَلْنَا التَّعَلُّقَ بِهَا كَمَا يَتَعَلَّقُ الغَرِيقُ بِقَشَّةٍ وَسَطَ مَوْجِ
هَائِجٍ، وَأَفْصَدُ بِهَا جَمَاعَةَ «الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ» الَّتِي لَاقَيْنَا مِنْهَا أَشَدَّ العَنَتِ
طَوَالَ عَمَلِنَا فِي قَاضِيَّةِ أفْغَانِسْتَانِ، ثُمَّ لَاحَقْتْنَا بَعْضُ «بَرَكَاتِهَا» عِنْدَمَا حَاوَلْنَا
هَذِهِ الأَيَّامَ الاِتِّقَالَ لِلعَمَلِ فِي قَاضِيَّةِ طَاجِكِسْتَانِ.

لَقَدْ أَحْيَتْ فِيْنَا «التَّجْرِبَةُ الأفْغَانِيَّةُ» الكَثِيرَ مِنَ الأَمَالِ وَأَوْضَحَتْ لَنَا
وَأَنَارَتْ الكَثِيرَ مِنَ السُّبُلِ العَمَلِيَّةِ، وَزَوَّدَتْنَا فِيهَا بِشَيْءٍ مِنَ البَصِيرَةِ وَالخِبْرَةِ،

لِكَيْهَا أَيضًا أَطَاحَتْ بِأَمَالٍ وَأَحْلَامٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ، أَوْلَهَا كَانَ جَمَاعَةً «الإخوان المسلمين»، وَآخِرُهَا تِلْكَ الْأَمَالِ السَّادِجَةُ فِي دَوْلَةٍ عَلَى وَشَكِّ الظُّهُورِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ تُحَكِّمُ عَلَى نَهْجِ النُّبُوَّةِ، عَلَى أَيْدِي خُلَفَاءِ رَاشِدِينَ!!.

وَيَبِينُ هَذِهِ وَتِلْكَ تَقَعُ أَحْلَامٌ أُخْرَى خَاصَّةٌ بِتَجْمِيعِ «أُمَّةِ الإِسْلَامِ» خَلْفَ قَضِيَّةٍ مَّا أَوْ زَعَامَةٍ مَّا. وَرُغْمَ أَنْ قَنَاعَاتِنَا مَا زَالَتْ عَلَى أَنَّ السَّعْيَ نَحْوَ تِلْكَ الْوِحْدَةِ إِنَّمَا هُوَ فَرِيضَةٌ دِينِيَّةٌ إِلَّا أَنْ قَنَاعَتَنَا حَالِيًا هِيَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُسْتَحِيلُ الثَّامِنُ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْوِحْدَةَ [قَدْ] ظَهَرَ لَنَا بِالِدَّلِيلِ الْعَمَلِيِّ أَنَّهَا فَوْقَ قُدْرَةِ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِتِ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٦٣]، إِنَّهَا مُعْجِزَةٌ إِلَهِيَّةٌ بَحْتُهُ، وَإِنْ كَانَ السَّعْيُ الْإِنْسَانِيُّ إِلَيْهَا ضَرُورَةً دِينِيَّةً كَمَا أَسْلَفْنَا، رُغْمَ يَقِينِنَا بِالْعَجْزِ أَمَامَ تِلْكَ الْمُهْمَةِ.

وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ بِالِقِتَالِ ضِدِّ جُيُوشِ جَرَّارَةِ حَدِيثَةٍ وَمُتَمَوِّقَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَّا عَدَا الْإِيمَانَ، وَهَذَا مَا رَأَيْنَاهُ وَلَمَسْنَاهُ بِالْحَوَاسِ «السُّتَّةِ» فِي أَفْغَانِسْتَانَ، أَنَّهَا مُهْمَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ بِالْمِقْيَاسِ الْبَشَرِيِّ، وَلَكِنَّهَا تَحَقَّقَتْ أَمَامَ أَعْيُنِنَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَمَا أَظُنُّ أَنَّ بَنِي «إِسْرَائِيلَ» مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ «مُوسَى» ﷺ كَانُوا أَشَدَّ دَهْشَةً مِنَّا وَهُمْ يُشَاهِدُونَ بِأَمِّ أَعْيُنِهِمْ مُعْجِزَةَ شَقِّ الْبَحْرِ وَابْتِلَاعِ الْمَوْجِ لِأَقْوَى طَوَاغِيَتِ الْكُفْرِ وَجُنُودِهِ. إِذْ وَاحِدَةٌ الْأُمَّةِ هِيَ «الْمُعْجِزَةُ الْمُتَنْظَرَةُ» كَمَا أَظُنُّ، وَيَأْتِي بِهَا

اللَّهُ عِنْدَمَا يَرَى سُبْحَانَهُ أَنَّ عِبَادَهُ قَدْ تَهَيَّؤُوا لِاسْتِقْبَالِهَا بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ
وَأَتْقِيَادٍ وَتَذَلُّلٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ دُونِ الْعِبَادِ.

لَقَدْ أَظْهَرَتِ التَّجْرِبَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ - مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي - مَدَى ضَعْفِ بِنِيَّةِ
الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الطَّلِيْعِيِّ الْمُتَمَثِّلِ فِي الْجَمَاعَاتِ، وَكَمْ أَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ
بَعِيدَةٌ عَنِ الْأَهْدَافِ الْمُعْلَنَةِ لَهَا، بَلْ وَمُنَافِضَةٌ لَهَا فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ، وَكَمْ أَنَّ
الْفَرْدَ الْمُسْلِمَ الْمُتَمَيِّ لِلْجَمَاعَاتِ أَوْ الْمُلتَزِمَ وَغَيْرَ الْمُتَمَيِّ مَا زَالَ بَعِيدًا عَنِ
الْمُسْتَوَى الْمَطْلُوبِ. بِاخْتِصَارٍ لَمْ أَلَا حِظُّ فِي تِلْكَ التَّجْرِبَةِ أَنَّ لَدَيْنَا الْآنَ الْفَرْدَ
الْمُسْلِمَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يُمَثِّلُ هَذَا الدِّينَ، وَالَّذِي يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَقَابِلَ النَّمَازِجَ
الْبَشَرِيَّةَ الْكُفْرِيَّةَ الْمُدَجَّجَةَ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ الْمَادِيَّةِ.

إِنَّ قُوَانَا الرُّوحِيَّةَ وَالْأَخْلَاقِيَّةَ لَمْ يَتَمَّ شَحْدُهَا، فَمَا زِلْنَا مُلَوِّثِينَ إِلَى دَرَجَةِ
خَطِيرَةٍ بِالْمُثَلِّ وَالْخُلُقِ الْجَاهِلِيِّ، وَمَهْزُومِينَ دَاخِلِيًّا - مَهْمَا عَلَا صُرَاخُنَا
بِعَكْسِ ذَلِكَ - أَمَامَ حَضَارَةِ الْعَرَبِ الْمُلْحِدَةِ. مِنَ السَّهْلِ انْحِرَافُنَا أَوْ شِرَاؤُنَا أَوْ
تَسْخِيرُنَا لِمَشِيئَتِهِمْ وَمُخَطَّطَاتِهِمْ، بِعِلْمٍ مِنَّا أَوْ بِجَهْلِ. وَمَا حَرَكَتْنَا فِي
أَفْغَانِسْتَانَ ثُمَّ الْبُوسْنَةَ إِلَّا أَمْثَلَةٌ لِهَذِهِ السَّيْطَرَةِ «الطَّاغُوتِيَّةِ» وَتَحَكُّمَهَا عَنِ بُعْدِ أَوْ
عَنِ قُرْبِ بِأَفْضَلِ تَحَرُّكِ إِسْلَامِيٍّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، أَلَا وَهُوَ التَّحَرُّكُ
الْجِهَادِيُّ. هَذَا التَّحَرُّكُ الَّذِي بَرَزَ وَتَنَامَى فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَمْ تَبْلُورْ لَهُ قِيَادَةٌ أَوْ
أَسْلُوبُ عَمَلٍ أَوْ أَدَوَاتٌ تَنْظِيمِيَّةٌ أَوْ فِكْرٌ وَاضِحٌ الْمَعَالِمِ وَمُتْكَامِلٌ وَيُعْطِي

مَجَالَاتِ الْحَرَكََةِ الْمَطْلُوبَةِ، عَسْكَرِيًّا وَسِيَاسِيًّا فِي ظِلِّ مَفَاهِيمِ شَرْعِيَّةٍ وَاضِحَةٍ
وَمُنْضَبِطَةٍ.

هَذَا كُلُّهُ لَمْ يَحْدُثْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَحْدُثْ فِي أَيِّ مَكَانٍ
آخَرَ حَسَبَ عِلْمِي، لَا فِي الْبُوسْنَةَ وَلَا طَاچِيكِسْتَانَ وَلَا مِصْرَ وَلَا حَتَّى
الْجَزَائِرِ، رُغْمَ التَّقَدُّمِ الْكَبِيرِ لِلْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ بِهَا حَتَّى لِحُطَّةِ كِتَابَةِ هَذِهِ
السُّطُورِ. فَقَدْ أَثْبَتَتْ أَفْغَانِسْتَانَ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالنَّاتِجِ النَّهَائِيَّةِ لِلْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ
وَلَيْسَ بِمِقْدَارِ التَّقَدُّمِ الْعَسْكَرِيِّ لِهَذَا الْعَمَلِ فِي مَرَحَلَةٍ مِنْ الْمَرَاكِحِ. وَتَعَلَّمْنَا
مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ أَنَّ الصُّرَاخَ الْجِهَادِيَّ مَهْمَا عَلَا وَتَقَبَّ الْأَذَانَ وَهَزَّ الْجُدْرَانَ لَا
يَعْنِي بِأَيِّ حَالٍ أَنَا أَمَامَ عَمَلٍ جِهَادِيٍّ صَحِيحٍ أَوْ قِيَادَةِ إِسْلَامِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ،
وَكَثِيرًا مَا تَتَنَاقَضُ حِدَّةُ الصُّرَاخِ مَعَ دَرَجَةِ الْإِخْلَاصِ، وَإِلَّا لَكَانَ الشَّعْبُ
الرُّوسِيُّ أَكْثَرَ الشُّعُوبِ إِيمَانًا بِالشُّيُوعِيَّةِ، وَإِلَّا لَكَانَ الْقَادَةُ الْأَفْغَانُ وَالْمُنْتَظَمَاتُ
الْجِهَادِيَّةُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَكْثَرَ التِّزَامًا بِأَبْسَطِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَأَقْلَّ خُضُوعًا
لِلدُّوْلِ الْخَارِجِيَّةِ الْكَبِيرَةِ مِنْهَا وَالصَّغِيرَةِ، مِنْ أَمْرِيكََا وَحَتَّى بَاكِسْتَانَ مُرُورًا
بِالسُّعُودِيَّةِ وَإِيرَانَ وَحَتَّى أَوْزْبَاكِسْتَانَ وَطَاچِيكِسْتَانَ الْمَحْكُومَتَيْنِ بِنُظْمِ
شُيُوعِيَّةٍ حَتَّى الْآنَ، وَلَكِنَّ نُفُوذَهَا دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ «الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُجَاهِدَةِ»
أَكْثَرَ مِنَ النُّفُوذِ الْعِلْمِيِّ لِـ «أَبِي حَنِيفَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَانَ مِنْ أَخْطَائِنَا الْبَارِزَةِ ذَلِكَ الْخَطَأُ فِي تَقْيِيمِ الشَّخْصِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَتِلْكَ

الشَّخْصِيَّاتُ الَّتِي قَابَلْنَا فِي رِحْلَتِنَا الْأُولَى حِينَمَا كَانَ الْجِهَادُ فِي أَنْفَى صُورِهِ قَدْ أَسْرَتْنَا مِثَالِيَّاتَهَا مِنْ بَطُولَةٍ وَإِيمَانٍ وَتَضَحُّيَةٍ وَتَقَشُّفٍ وَحَمَاسٍ... إلخ، فَعَمَّمْنَا ذَلِكَ عَلَى كُلِّ الْأَفْغَانِ، وَتَصَوَّرْنَا الْمُجَاهِدَ الْأَفْغَانِيَّ فِي صُورَةِ أَقْرَبَ لِلْمَلَائِكَةِ. وَأَعْتَرَفُ أَنْبِي كُنْتُ الْأَكْثَرَ مُعَالَاةً فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ مِنْ صَدِيقَي (أَحْمَدَ) وَ (إِسْمَاعِيلَ)، وَقَدْ كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَغْضَبُ فِيهَا عَلَى صَدِيقِي (الْمِنَاوِي) هِيَ تِلْكَ الْمَرَّةُ الَّتِي أَتَهُمْ فِيهَا أَحَدَ الْمُجَاهِدِينَ بِسَرِقَةٍ بَعْضَ مَتَاعِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ صَرَخَ بِذَلِكَ سِرًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَغَضِبْتُ لِكَوْنِهِ أَتَهُمْ مُجَاهِدًا بِالسَّرِقَةِ، وَمَرَّةً أُخْرَى أَتَهُمْ آخَرَ بِالْكَذِبِ، وَكَانَ تَقْيِيمُهُ النَّهَائِيَّ لِلْأَفْغَانِ «أَنَّهُمْ قَوْمٌ يَسْتَحِيلُ مُعَاشَرَتَهُمْ». أَحْزَنَنِي وَأَغْضَبَنِي هَذَا التَّقْيِيمُ الْقَاسِي، وَلَكِنَّ السَّنَوَاتِ أَثْبَتَتْ أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ السَّرَاقِ وَالْكَاذِبِينَ، بَلْ وَالْمُنَافِقِينَ [الَّذِينَ] كَانُوا دَوْمًا فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ وَبِنِسْبَةِ مُتَزَايِدَةٍ مَعَ الزَّمَنِ. سَاعَدَ عَلَى ذَلِكَ ظُرُوفٌ خَاصَّةٌ يَمُرُّ بِهَا الْمُجْتَمَعُ الْأَفْغَانِيُّ إِضَافَةً إِلَى مُلَابَسَاتِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَالتَّدَاخُلَاتِ الْخَارِجِيَّةِ فِيهَا. وَالشَّعْبُ الْأَفْغَانِيُّ [لَيْسَ مُنْفَرِدًا] بِتِلْكَ الْعُيُوبِ، مَعَ كَوْنِهِ يَجْمَعُ مَزَايَا أُخْرَى نَادِرَةً يَصْعَبُ الْعُثُورُ عَلَيْهَا فِي أَكْثَرِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى.

لَقَدْ كَانَ صَدِيقُنَا الصَّعِيدِيُّ أَكْثَرَ خِبْرَةً بِالنَّاسِ، سَاعَدَتْهُ فِي ذَلِكَ ظُرُوفُهُ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي سَادَهَا الْاضْطِرَابُ فَتَرَةَ الصَّبَا الَّتِي نَضَجَتْ فِيهَا شَخْصِيَّتُهُ مُبَكَّرًا. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَقْرَبُ إِلَي تَكْوِينِ «طَالِبِ الْجَامِعَةِ» الْمِثَالِيِّ قَلِيلِ التَّجْرِبَةِ.

أَمَّا صَدِيقِي «إِسْمَاعِيلُ» فَهُوَ الْمُتَّقِفُ الَّذِي اِكْتَسَبَ تَجْرِبَةً فِي الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ الْجَامِعِيِّ فِيمَا بَعْدَ مَرَّحَلَةِ «عَبْدِ النَّاصِرِ»؛ لِذَلِكَ وَبَعْدَ زِيَارَتِهِ الْأُولَى إِلَى أْفْغَانِسْتَانَ كَانَ رَأْيُهُ أَنَّ الْأَفْغَانَ أَقْلُ مِنْ مُسْتَوَى طُمُوحَاتِنَا وَالدَّوْرَ الَّذِي نَحْلُمُ أَنْ يَلْعَبُوهُ عَلَى الْمَسْرَحِ الْإِسْلَامِيِّ وَالدُّوْلِيِّ. وَكَانَ أَيْضًا صَادِقًا فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَكُنْتُ أُوَافِقُهُ عَلَى رَأْيِهِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ مُصِرًّا عَلَى أَنَّهُمْ سَوْفَ يَفْعَلُونَ الْكَثِيرَ لِلْإِسْلَامِ وَلِمَشْرُوعِنَا الْجِهَادِيِّ أَيْضًا، رُغْمَ «بَسَاطَتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ» عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ «إِسْمَاعِيلِ» بَعْدَ زِيَارَتِهِ الْأُولَى.

ثُمَّ تَابَعَ كُلُّ مَنْ تَجَرَّبَتْهُ مِنْ مَسَارٍ مُخْتَلِفٍ وَرَاوِيَةٍ مُغَايِرَةٍ، فَزَادَ التَّبَايُنُ بَيْنَ وَجْهَاتِ النَّظَرِ مُنْذُ الْعَامِ الْأَوَّلِ، فَبَيْنَمَا ذَهَبْتُ مَعَ «أَحْمَدَ» إِلَى جَبْهَةِ الْقِتَالِ، عَادَ «إِسْمَاعِيلُ» إِلَى «بِيشَاوَرِ» بَعْدَ أَنْ تَوَرَّمَتْ رُكْبَتَاهُ الْمُصَابِتَانِ مُنْذُ عَهْدِهِ الرِّيَاضِيِّ الْحَافِلِ، وَهُنَاكَ التَّقَى مَعَ جَمَاعَةِ «حِكْمَتِيَارِ»، وَهُمْ مُتَّقِفُونَ نَشِطُونَ يَخْتَلِفُونَ كَثِيرًا عَنِ مُجَاهِدِي الْجَبْهَةِ الَّذِينَ هُمْ رِجَالٌ مِنَ الصَّخْرِ أَوْ أَشَدُّ، وَلَا يَكَادُ يَكُونُ لَهُمْ دِرَايَةٌ بِعَالَمِ السِّيَاسَةِ الْمُعَقَّدِ وَالْعَامِضِ.

كَوَّنَ «إِسْمَاعِيلُ» رَأْيًا بِأَنَّ «حِكْمَتِيَارَ» قَدْ يَكُونُ الْأَقْدَرُ عَلَى الْقِيَادَةِ، وَأَنَّ كَوَادِرَهُ لَا بَأْسَ بِهَا لَوْ وَجَدَتْ الْفُرْصَةَ وَالْإِمْكَانَاتِ، وَخَالَفَتْهُ بِشِدَّةٍ فِي ذَلِكَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ فِي الْجَبْهَاتِ ثُمَّ فِي «بِيشَاوَرِ» مِنْ جِهَاتٍ مُعَارِضَةٍ لـ «حِكْمَتِيَارِ»، فَقَدْ كَانَ رَأْيِي أَنَّ «حِكْمَتِيَارَ» مَشْرُوعٌ كَارِثَةٌ. وَلِلْأَسْفِ فَإِنَّ

عَلَاقَاتِي قَدْ تَوَثَّرَتْ مَعَ «إِسْمَاعِيلَ» لِفَتْرَةٍ نَبِيَجَةٍ إِضْرَارِ كُلِّ مِنَّا عَلَى وَجْهَةِ نَظَرِهِ. وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِـ «إِسْمَاعِيلَ» إِلَى تَرْكِ الْعَمَلِ فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ تَمَامًا، بَيْنَمَا أَكْمَلْتَهَا إِلَى الرَّمَقِ الْأَخِيرِ، وَأَبْقَى «أَحْمَدُ» عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْارْتِبَاطِ الْمَرِنِ وَالْفَاعِلِ وَحَرَصَ عَلَى عَدَمِ الْعَرَقِ فِي بِحَارِهَا كَمَا فَعَلْتُ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ مُفِيدًا حَتَّى اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ لِلْقَضِيَّةِ.

وَأُثْبِتُ الْأَحْدَاثَ أَنَّ كِلَانَا أَنَا وَ «إِسْمَاعِيلَ» كَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، فَالرَّجُلُ «حِكْمَتِيَارُ» كَانَ نَشِطًا وَذَكِيًّا وَحَادًّا، وَيَمْتَلِكُ أَفْضَلَ تَنْظِيمَاتِ الْأَفْغَانِ نَشَاطًا وَحَرَكَيَّةً، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهِ الْكَارِثَةِ وَمُكَرَّسًا بِالْكَامِلِ لِمَصْلَحَةِ قُوَّةٍ خَارِجِيَّةٍ - هِيَ بَاكِسْتَانُ - وَمَصَالِحِهَا وَتَوَجُّهَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ ارْتِبَاطِهِ بِقَضِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ أَوْ حَتَّى وَطَنِيَّةٍ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانِ. وَقَدْ اتَّضَحَتْ لِي هَذِهِ الصُّورَةُ بِدُونِ التَّبَاسِ فِي أَوَاسِطِ الثَّمَانِينَاتِ عِنْدَمَا بَدَأْتُ أَتَلَمَّسُ عَنْ قُرْبٍ فِي «إِسْلَامِ آبَادِ» أَثْنَاءَ عَمَلِي الصَّحْفِيِّ الْآلِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُ الصَّرَاعَ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانِ.

حَتَّى أَخْطَأَ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ كَانَتْ بُدُورُهَا وَاضِحَةً فِي تِلْكَ الزِّيَارَةِ، وَأَبْرَزُهَا مُشْكَلَةُ الْقِيَادَةِ وَتَبَعُثُهَا وَعَدَمُ الْإِجْمَاعِ عَلَى قِيَادَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى دَاخِلَ الْمَنْطِقَةِ الْوَاحِدَةِ. ثُمَّ مُشْكَلَةُ التَّدْرِيبِ عَلَى الْأَسْلِحَةِ الْحَدِيثَةِ وَالتَّكْتِيكَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ. أَمَّا الْإِسْتِرَاطِيَّةُ الشَّامِلَةُ لِلْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ

فَلَا تَسْأَلُ عَنْهَا حَتَّى نَهَايَةِ الْحَرْبِ. وَمُشْكِلَةُ الْغَنَائِمِ كَانَتْ مُعْضِلَةً بِقَدْرِ مَا كَانَتْ مَأْسَاءً وَتَسْتَحِقُّ أَنْ تُفْرَدَ لَهَا حَدِيثًا مُفَصَّلًا، وَلَكِنَّهَا مُعْضِلَةٌ ظَهَرَتْ وَاسْتَمَرَّتْ وَتَفَاقَمَتْ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى حَتَّى اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ لِلْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهَا مَأْسَاوِيَّةً عَلَى مَسِيرَةِ الْجِهَادِ كَمَا سَتَحَدِّثُ لَاحِقًا.

وَعَلَى الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ فَقَدْ كَانَ ثَلَاثَتْنَا مَشْرُوعًا لِتَوَاجُدِ عَسْكَرِيٍّ عَرَبِيٍّ دَائِمٍ وَطَلِيْعَةٍ لِدَلِكِ الْمَشْرُوعِ الطَّمُوحِ وَالْهَلَامِيِّ لِقُوَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ ضَارِيَّةٍ وَمُتَحَرِّكَةٍ. وَكَانَ مِنْ مَشَاكِلِنَا التَّدْرِيْبِ وَالتَّسْلِيْحِ وَالتَّمْوِيْلِ وَالْقِيَادَةِ ثُمَّ الْإِتِّصَالِ بِـ «الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» الَّتِي نَطْمَحُ إِلَى إِيقَاطِهَا وَالدَّفَاعِ عَنْهَا، كُلُّ ذَلِكَ دُفْعَةٌ وَاحِدَةٌ بِدُونِ أَنْ نَدْرِي إِجَابَةَ لِأَيِّ سُؤَالٍ يَبْدَأُ بِكَلِمَةِ «كَيْفَ؟». كَانَتْ تِلْكَ [هِيَ] مَشَاكِلُنَا أَوْ الْجُزْءُ الْهَامُّ مِنْهَا، وَقَدْ ظَلَّتْ مَشَاكِلَ أَيْضًا لِلتَوَاجُدِ الْعَرَبِيِّ طَوَالَ فِتْرَةٍ عَمَلِهِ فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّ مُشْكَلَتَنَا الْمُبْكِرَةَ فِي عَدَمِ وُجُودِ قِيَادَةٍ لَنَا أَوْ رُؤْيِيَّةٍ مُوَحَّدَةٍ لِنَفْسِ الْحَدَثِ الَّذِي نُعَاشِيهِ وَالْقَضِيَّةِ الَّتِي نَعْمَلُ لَهَا، وَلَا حَتَّى إِدْرَاكِ كَافٍ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَأَبْعَادِهَا السِّيَاسِيَّةِ أَوْ مُسْتَلْزَمَاتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرٍ احْتِرَافِيَّةٍ، فَمَا نَحْنُ إِلَّا هُوَاةٌ عَدِيمِي الْخِبْرَةِ إِضَافَةً إِلَى سَدَاجَتِنَا فِي تَنَاوُلِ الْحَدَثِ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُ أَوْ فِي فَهْمِهِ وَتَحْلِيلِهِ. لَقَدْ قَفَرْنَا بِبَسَاطَةٍ إِلَى الْمَجْهُولِ كَيْ نَتَعَلَّمَ، فَهَلْ تَعَلَّمْنَا؟، أَرْجُو أَنْ نَكُونَ قَدْ تَعَلَّمْنَا قَلِيلًا.

انْتَهَتْ فِتْرَةٌ انْتِظَارَنَا فِي «سَرَانَا» بَعْدَ وُصُولِ أَسْلِحَتِنَا الَّتِي اتَّفَقْنَا مَعَ «مُطِيعِ اللَّهِ» عَلَى شِرَائِهَا وَإِرْسَالِهَا بَعْدَ تَوْزِيعِ الْغَنَائِمِ. اسْتَلَمْتُ وَصَدِيقِي «أَحْمَدُ» بُنْدُقِيَّتَيْنِ مِنْ طِرَازِ «كَلَاشْنِكُوف» مَعَ مَخْزَنَيْنِ مِنَ الدَّخِيرَةِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ. كَانَ «إِسْمَاعِيلُ» قَدْ غَادَرَ مُنْذُ فِتْرَةِ [وَهُوَ] يُعَانِي مِنَ الْأَلَامِ الْمُبْرِحَةِ فِي رُكْبَتَيْهِ، وَأَخَذَ مَعَهُ كِمِيَّةً مِنَ الْأَفْلَامِ الَّتِي تَمَّ تَصْوِيرُهَا، وَتَقْرِيرًا صَحْفِيًّا عَنْ أَهَمِّ مَا شَاهَدْنَاهُ إِضَافَةً إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ. وَكَانَتْ تِلْكَ [هِيَ] أَوَّلُ مُسَاهَمَاتِي الصَّحْفِيَّةِ الْمِيدَانِيَّةِ فِي قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عِنْدَمَا وَدَعْنَا «حَقَّانِي» وَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَحَدَ رِجَالِهِ كَيْ يَصْطَبِحَنَا إِلَى الْخَطِّ الْأَوَّلِ حَيْثُ مَرَكُزِ مَوْلَوِي «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» فِي «دَارَا»، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ تَقَعُ عَلَى الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيِّ - فِي بَدَايَتِهِ تَقْرِيبًا - الْمَتَوَجِّهِ صَوْبَ «خُوسْت». تَلِي «دَارَا» قَرْيَةٌ أُخْرَى إِلَى الْجَنُوبِ تُسَمَّى «غَلْجَاي»، ثُمَّ تَبْدَأُ مُرْتَفَعَاتُ «سْتِي كَنْدُو» الرَّهَبِيَّةُ، وَالَّتِي تَكْسُوهَا غَابَاتُ الصُّنُوبِ.

قَضِينَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ قَرِيبًا مِنْ قِمَّةِ جَبَلٍ يُشْرِفُ عَلَى «دَارَا» مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِ، وَعَلَى بُعْدِ عِدَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنْهَا. ذَلِكَ الْبَيْتُ الْمَكُونُ مِنْ عُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ وَيُدِيرُهُ مُجَاهِدٌ فِي مُتَنَصَفِ الْعُمُرِ مَعَ ابْنِ لَهُ، كَمَرَكُزٍ مُتَوَسِّطٍ بَيْنَ الْقِيَادَةِ الْخَلْفِيَّةِ فِي «سَرَانَا» وَبَيْنَ الْبُؤْرِ الْمُتَقَدِّمَةِ حَوْلَ سِيَاجِ الْمَدِينَةِ الْخَارِجِيِّ. تَوَافَدَ عَلَيَّ الْبَيْتِ حَوَالِي عَشْرَةِ مُجَاهِدِينَ آخَرِينَ قَرَّرُوا الْمَيْتَ حَتَّى الصَّبَاحِ حَيْثُ يُوَاصِلُونَ

المَسِيرِ إِلَى مَوَاقِعَ مُخْتَلِفَةٍ. وَقَدْ أَكْرَمَنَا مُدِيرُ الْمَنْزِلِ بِدَجَاجَةٍ كَامِلَةٍ؛ اخْتِفَالًا بِالْمُجَاهِدِينَ الْقَادِمِينَ مِنْ «عَرَبِسْتَانَ». وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ هِيَ الْمُنَاسِبَةُ الْأُولَى أَوْ الْأَخِيرَةَ الَّتِي اكْتَشَفْنَا فِيهَا أَنَّ لَحْمَ الدَّجَاجِ الْأَفْغَانِيِّ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْأَكْلِ؛ فَهُوَ قَاسٍ جِدًّا وَغَيْرُ قَابِلٍ لِلطَّهْوِ مَهْمَا طَالَتْ الْمُدَّةُ وَتَعَالَتْ النَّيْرَانُ.

مَعَ أَوَّلِ ضَوْءِ شَرَعْنَا فِي نُزُولِ الْجَبَلِ مَعَ الدَّلِيلِ، وَكَانَتْ رِحْلَةً سَهْلَةً لِكُونِهَا تَنْحَدِرُ إِلَى أَسْفَلٍ، وَأَذْهَشْنَا وَجُودُ كِتْلِ ثُلْجِيَّةٍ فِي أَخَادِيدِ تِلْكَ الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ، وَنَحْنُ فِي شَهْرِ يُونِيُو. وَصَلْنَا إِلَى أَحَدِ الشَّعَابِ الْمُتَّسِعَةِ نَسِيًّا، وَالَّذِي يُشْبِهُ مَجْرَى نَهْرٍ جَافٍّ، غَيْرَ أَنَّ جَدْوَلَ مَاءٍ رَائِقٍ وَغَزِيرٍ نَسِيًّا يَتَخَلَّلُهُ مِنْ الْمُتَّصِفِ. عَلَى الْجَانِبَيْنِ أَجْرَافٌ تَرْتَفِعُ عِدَّةَ أَمْتَارٍ، وَقَدْ حَفَرَ الْمُجَاهِدُونَ عَلَى مَسَافَاتٍ مُتْبَاعِدَةٍ بَعْضُ الْحُفْرِ الْأَفْقِيَّةِ فِي مُحَازَاةِ مُسْتَوَى الْأَرْضِ إِلَى دَاخِلِ الْجُرْفِ، وَقَدْ ظَهَرَ لَنَا فِيمَا بَعْدَ أَهْمِيَّةِ هَذَا الْإِجْرَاءِ الْبِدَائِيِّ فِي الْوِقَايَةِ مِنْ نَيْرَانِ الْمَدْفَعِيَّةِ وَالطَّائِرَاتِ، وَقَدْ لَمَسْنَا ذَلِكَ بَعْدَ وَقْتٍ يَسِيرٍ فِي نَفْسِ الْمَنْطِقَةِ.

انْحَرَفْنَا يَمِينًا إِلَى شِعْبٍ أَضْيَقٍ يَمُرُّ بِهِ مَجْرَى مَائِيٍّ أَصْغَرٍ. وَبَعْدَ حَوَالِي خَمْسِينَ مِثْرًا بَدَأَتْ تَظْهَرُ عَلَامَاتٌ لَا تُحْطَى بِأَنَّ هُنَاكَ بَشَرًا يَسْكُنُونَ الْمَكَانَ؛ هُنَاكَ عَمَائِمٌ مَنْشُورَةٌ عَلَى سُفُوحِ التَّلَالِ الشَّرْفِيَّةِ كَيْ تَجِفَّ؛ فَالْيَوْمَ الْجُمُعَةُ وَقَدْ شَاهَدْنَا أَفْرَادًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ مُنْهَمِكِينَ فِي غَسْلِ مَلَابِسِهِمْ. تِلْكَ الْعَمَائِمُ تَبْلُغُ الْوَاحِدَةَ مِنْهَا عَشْرَةَ أَمْتَارٍ تَقْرِيْبًا فِي الطُّوْلِ، وَمِثْرًا وَنِصْفَ الْمِثْرِ فِي

العَرْضِ، وَقَدْ نُشِرَتْ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ مُتَّابِعَةً، فَبَدَتْ كَعَلْمٍ ضَخْمٍ مُتَعَدِّدِ
الْأَلْوَانِ؛ فَهَنَّاكَ الْأَبْيَضُ وَالذَّهَبِيُّ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَخْضَرُ. كَانَتْ مَظَاهِرَةً فُلْكَوْرِيَّةً
جَمِيلَةً، لَكِنِّي شَعَرْتُ بِالْخَطَرِ؛ فَأَيُّ طَائِرَةٍ تَمُرُّ يُمَكِّنُهَا تَمَيِّزُ الْمَرْكَزِ بِسُهُولَةٍ.
وَلَمْ نَكَدْ نَسِيرُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى رَأَيْنَا عَرْضًا آخَرَ عِبَارَةً عَنِ عَدَدٍ مِنَ الْآيَةِ
الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي الطَّبْخِ وَأَبَارِيقِ الشَّايِ وَعِلْبِ السَّمَنِ الْفَارِغَةِ، وَقَدْ نُشِرَتْ عَلَى
جَانِبِ الْوَادِي تَحْتَ أَشْعَةِ الشَّمْسِ، وَقَدْ أَعْطَتْ إِشَارَاتٍ لَا يُخْطِئُهَا عَاقِلٌ بِأَنَّ
هُنَاكَ مَرْكَزًا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي.

تَعَرَّفْنَا عَلَى مَوْلَوِيِّ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» قَائِدِ الْمَرْكَزِ، وَهُوَ شَابٌّ فَارِعٌ الطُّولِ
وَقَوِيٌّ الْبُنْيَةِ لَا تَتَّقُصُهُ رُوحُ الدُّعَابَةِ مَعَ ابْتِسَامَةٍ سَاخِرَةٍ لَا تَكَادُ تَفَارِقُ وَجْهَهُ،
يَضَعُ نَظْرَةً طَبِيبَةً مُنْذُ فَقَدَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فِي مَعْرَكَةٍ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ مُنْذُ أَشْهُرٍ
قَلِيلَةٍ. كَانَ مَشْهُورًا بِشَجَاعَتِهِ وَمَوَاقِفِهِ الْفَاصِلَةِ مَعَ رِجَالِ الْحُكُومَةِ فِي
«جَرْدِيز». وَتَعَرَّفْنَا أَيْضًا عَلَى مَوْلَوِيِّ «مُحَمَّدِ سُرُورِ جَان» وَهُوَ خَالٌ مَوْلَوِيِّ
«عَبْدِ الرَّحْمَنِ» رُغْمَ تَقَارُبِهِمَا فِي الْعُمُرِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ لِدَرَجَةٍ تَكْفِي لِأَنَّ
يَكُونُ مُتَرَجِّمَنَا الْخَاصَّ مُنْذُ لَحْظَةٍ انْضِمَامِنَا إِلَى الْمَعْسَكَرِ وَحَتَّى عَوَدَتِنَا إِلَى
«مِيرَانشَاه» مَرَّةً أُخْرَى. وَكِلَا الرَّجُلَيْنِ مَا زَالَ حَيًّا إِلَى الْآنَ ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ
قَلِيلَةٍ مِنْ أَفْرَادِ ذَلِكَ الْجَيْلِ الْأَوَّلِ الَّذِي فَجَّرَ الْجِهَادَ وَشَارَكَ فِيهِ حَتَّى لَحْظَاتِ
النَّصْرِ الْأَخِيرَةِ، وَمُعْظَمُ هَذَا الْجَيْلِ قَدْ لَاقَى حَتْفَهُ عَلَى طَرِيقِ الْجِهَادِ.

بِأَنْضَمَامِنَا إِلَى الْمَرْكَزِ صَارَ عَدَدُ الْمُجَاهِدِينَ إِثْنَيْ عَشَرَ شَخْصًا، ثَلَاثُهُمْ تَقْرِيبًا مِنْ جُنُودِ الْجَيْشِ الَّذِينَ أَنْضَمُوا لِلْمُجَاهِدِينَ. ضَحَكَ مَوْلَايَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» قَائِلًا: «مَا أَغْرَبَ هَذَا الْمَرْكَزُ؛ عِنْدَنَا إِثْنَا عَشَرَ مُجَاهِدًا يَتَكَلَّمُونَ أَرْبَعَ لُغَاتٍ!!». تَنَبَّهْتُ إِلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَخْتَزِنُ حَقَائِقَ أَعْمَقَ وَأَخْطَرَ، وَهِيَ أَنْصَهَارُ تِلْكَ الْقَوْمِيَّاتِ الْمُخْتَلِفَةِ تَحْتَ رَايَةِ الْجِهَادِ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُبَكَّرِ. كَانَ هُنَاكَ الْبَشْتُونَ أَهْلُ الْمَنْطِقَةِ، وَالْعَرَبُ أَنَا وَصَدِيقِي «أَحْمَدُ»، ثُمَّ الْفَرَسُ وَالْأَوْزْبِكُ مِنْ جُنُودِ الْحُكُومَةِ الْمُنْضَمِّينَ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ.

ذَكَرَنِي ذَلِكَ الْمَوْقِفُ الْإِسْلَامِيُّ الرَّائِعُ وَالْبَسِيطُ فِي مَرْكَزِ مَوْلَايَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» بِذَلِكَ الْعَفْنِ الَّذِي تُدِيرُهُ أَمْرِيكَ الْآنَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لِإِثَارَةِ النَّعْرَاتِ الْقَوْمِيَّةِ وَالزَّرْعَاتِ الْمُسَلَّحَةِ بَيْنَ الْقَوْمِيَّاتِ. وَمُنْذُ الْفَتْحِ وَحَتَّى الْآنَ وَالْحَرْبُ دَائِرَةٌ بِوَأَسْطَةِ «التَّنْظِيمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ» الَّتِي تُدِيرُهَا أَمْرِيكَ وَدَوْلُ الْمَنْطِقَةِ لِإِزَالَةِ آثَارِ الْجِهَادِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ وَعَوْدَةِ النَّتَنِ الْجَاهِلِيِّ. إِنَّ الْجِهَادَ ضِدَّ الشُّيُوعِيَّةِ وَإِلَاعَادَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ كَانَ نَمُودَجًا عَمَلِيًّا نَاجِحًا لِمُسْكَالَةِ الْقَوْمِيَّاتِ فِي آسِيَا الْوُسْطَى الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبِدُونِ ذَلِكَ لَا مُسْتَقْبَلَ لِتِلْكَ الْمَنْطِقَةِ الْحَيَوِيَّةِ غَيْرِ الصَّرَاعَاتِ الدَّامِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي، أَوْ أَنْ تَتَوَحَّدَ مَرَّةً أُخْرَى تَحْتَ فَهْرِ الرُّوسِ الدَّمَوِيِّ. لِهَذَا تَبَدَّلَ أَمْرِيكَ وَنِظَامُهَا الدُّوَلِيُّ حَالِيًا أَفْصَى الْجُهُودِ فِي سَبِيلِ مَنَعِ الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ مِنَ الْإِنْتِقَالِ إِلَى طَاجِكِسْتَانَ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا الْقِتَالُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالشُّيُوعِيِّينَ عَلَى أُسُسٍ قَبَلِيَّةٍ وَعِرْقِيَّةٍ فِي الْبِدَايَةِ ثُمَّ عَلَى أُسَاسِ

دِينِي لَاحِقًا. وَتُشَارِكُ أَمْرِيكَ فِي ذَلِكَ الْمَجْهُودِ الْمُنْظَّمَاتُ «الْجِهَادِيَّةُ» النَّافِذَةُ
وَالَّتِي تَتَوَلَّى أَوْ تُشَارِكُ فِي السُّلْطَةِ حَالِيًا دَاخِلَ «كَابُلٍ»^(١). وَقَدْ أَبْدَى عَدَدٌ قَلِيلٌ
مِنَ الْقَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الشَّبَابِ اقْتِنَاعَهُمْ بِأَنَّ الْحَلَّ الْوَحِيدَ لِمَشَاكِلِ الْقَوْمِيَّاتِ
فِي بِلَادِهِمْ دَاخِلَ آسِيَا الْوُسْطَى هُوَ الْحَلُّ الْجِهَادِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الَّذِي يُزِيلُ
الْفَوَارِقَ بَيْنَ الْأَجْنَاسِ وَيَجْعَلُ التَّقْوَى وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْجِهَادَ هُمَا أَسَاسَ
التَّفَاضُلِ بَيْنَ النَّاسِ.



لِقَاءُ حَارٌّ مَعَ الطَّيْرَانِ:

بَعْدَ التَّرْحِيبِ وَجَلْسَةِ الشَّيْءِ التَّقْلِيدِيَّةِ، بَدَأْنَا مَعَ مَوْلَوِيِّ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ»
الهِوَايَةَ الْعَرَبِيَّةَ التَّقْلِيدِيَّةَ الَّتِي لَمْ تُبَارِحِ الْعَرَبَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، أَلَا وَهِيَ هَوَايَةُ
إِسْدَاءِ النَّصْحِ وَالتَّوَجِيهِ الدِّينِيِّ وَالْإِرْشَادِ، وَصُورًا إِلَى اقْتِرَاحِ الْخُطَطِ
الْعَسْكَرِيَّةِ النَّاجِعَةِ الَّتِي تَنْبُعُ أَفْكَارُهَا غَالِبًا مِنْ أَفْلَامِ السِّيْنِمَا الْأَمْرِيكِيَّةِ
وَمُسْلَسَلَاتِ التَّلْفِزِيُونِ. كَانَ ذَلِكَ الدَّوْرُ «التَّعْلِيمِيُّ» لِلْعَرَبِ غَيْرِ مُتَقِنٍ، بَلْ
مَمْجُوجًا فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ؛ فَلَا النَّصْحُ الدِّينِيُّ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى مَعْلُومَاتٍ دِينِيَّةِ

(١) أَيُّ حُكُومَةٍ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي»، وَالَّتِي أَطَاحَتْ بِهَا حَرَكََةُ «طَالِبَانَ» فِي عَامِ ١٩٩٦ م.

دَقِيقَةً وَمُؤَصَّلَةً، وَلَا النَّصْحُ الْعَسْكَرِيُّ صَادِرٌ عَنْ خَبْرَةٍ وَدِرَاسَةٍ. وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ مَا مَارَسْنَاهُ مِنْ نُصْحٍ مَعَ مَوْلَوِيٍّ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» كَانَ مَعْقُولًا فِي ظَنِّي؛ فَقَدْ حَدَّثَنَاهُ فِي شَأْنِ «كَرْنَفَالِ» الْعَمَائِمِ الْمَنْشُورَةِ عَلَى سَفْحِ الْجَبَلِ وَالْأَوْعِيَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ الْمُتَنَائِرَةِ فِي الشُّعْبِ.

ضَحِكَ مَوْلَوِيٌّ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَائِلًا بِأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ لَا يُبَالُونَ عَادَةً بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَأَصْدَرَ بَعْضَ الْأَمْرِ لِإِصْلَاحِ الْخَلَلِ كَنُوعٍ مِنَ الْمُجَامَلَةِ لَنَا. وَقُمْنَا لِمُسَاعَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِي إِخْفَاءِ تِلْكَ الْإِعْلَانَاتِ الْفَاضِحَةِ عَنِ الْمَوْقِعِ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ [بِغَيْرِ] اقْتِنَاعٍ. وَتَنَاقَلُوا بِالطَّبْعِ فِيمَا بَيْنَهُمْ - وَكَمَا حَدَّثَ مَعَنَا كَثِيرًا فِي سَنَوَاتٍ تَالِيَةِ - مَقُولَةً هَازِلَةً بِأَنَّ «الْعَرَبَ خَائِفُونَ».

مَرَّتْ طَائِرَةٌ مُرْتَفِعَةٌ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فَوْقَ الْمَوْقِعِ، وَلَمْ نَكُنْ انْتَهَيْنَا مِنْ عَمَلِنَا لِأَنَّ بَعْضَ الْمُجَاهِدِينَ لَمْ تَجِفَّ عَمَائِمُهُمْ بَعْدُ. وَضَحِكَ بَعْضُهُمْ وَأَشَارُوا إِلَى الطَّائِرَاتِ قَائِلِينَ: «إِنَّهَا مُرْتَفِعَةٌ جِدًّا وَلَا يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تُشَاهِدَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ». لَقَدْ أَدَهَشَنِي طَوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ اسْتِخْفَافُ الْمُجَاهِدِينَ بِالطَّائِرَاتِ النَّفَّاثَةِ، وَلَمْ يَكُنْ الْحَالُ كَذَلِكَ مَعَ طَائِرَاتِ الْهَيْلِيُو كُبْتَرِ، كَمَا لَمَسْنَا ذَلِكَ أَيْضًا مُنْذُ زِيَارَتِنَا الْأُولَى تِلْكَ.

كَانَ تَقْدِيرُنَا لِخُطُورَةِ الطَّائِرَاتِ كَبِيرًا؛ وَبَرَجِعُ ذَلِكَ إِلَى تُرَاثِنَا الْعَرَبِيِّ

العسكريِّ مع إسرائيل، ذلك التراث المخزي الذي ضخم من دور الطيران وأهميته لتغطية التآمر الرسمي العربي. رُغم أن دور الطيران في الأساس هو دور هام في الحروب، خاصة بعد دروس الحرب العالمية الثانية التي أفادت بأن الحرب الحديثة يتم كسبها أو خسارتها في السماء، أي أن السيطرة على السماء هي المقدمة للسيطرة على أرض المعركة. لقد اكتشفنا لاحقاً ذلك الاستثناء الهام لكون حرب العصابات لا تسري عليها نفس القاعدة بشكل كامل؛ فالجبال والأشجار وقلّة الكثافة البشرية للمقاتلين وقلّة عتادهم ومرونة حركاتهم، تجعل الطائرات القاذفة والمقاتلة «النفثة» أو «الجت» كما يُسميها الأفغان قليلة الفعالية بشكل ملحوظ وإن كان تأثيرها النفسي على الأهالي كبيراً لبشاعة الضرر الذي تلحقه بقراهم ومدنهم. أما الهيلوكبتر فقد أثبتت مرة أخرى في أفغانستان - بعد أن أثبتت قبل ذلك في فيتنام - أنها السلاح الجوي الأمثل للتأثير على قوات المجاهدين.

على أية حال فإن الطائرات احترمت ضيافتنا وإجازة الأسبوعية للمجاهدين، واكتفت بعدة دورات فوق المنطقة، ولكنها منذ صباح السبت تصرفت بشكل غير لائق بالمرّة؛ فلم نكد نرفع أكواب شاي الصباح حتى صبحتنا أول غارة جوية ونحن مازلنا جلوساً نتبادل البسمات والأحاديث المشوقة، حين فاجأتنا الطائرات المنقضة على مركزنا الصغير. ساد الاضطراب والفوضى، وتركنا كل شيء وبدأ كل منا يفكر بأقدامه لتقوده إلى

أَيِّ حُفْرَةٍ، كَانَ وَقْتًا عَصِيْبًا لَمْ نُوَاجِهْ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ.

وَمَرَّتِ الدَّقَائِقُ كَأَنَّهَا سَاعَاتٌ طَوَالٌ، وَالانْفِجَارَاتُ تَتَلَاحَقُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ حَوْلِنَا. انْتَهَتْ الغَارَةُ فَجَاءَهُ كَمَا بَدَأَتْ فَجَاءَهُ، وَسَادَ صَمْتُ رَهِيْبٍ وَابْتَعَدَ هَدِيرُ الطَّائِرَاتِ. زَفَفْتُ الخَبَرَ السَّارَّ إِلَى صَدِيقِي «أَحْمَدَ» المُسْتَلْقِي إِلَى جَانِبِي فِي حُفْرَةٍ شَقَّهَا السَّيْلُ فِي سَفْحِ الجَبَلِ، وَقُلْتُ لَهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ: «لَقَدْ ذَهَبُوا»، وَكَأَنِّي خَشِيتُ أَنْ تَسْمَعَنِي الطَّائِرَاتُ. جَهَّزْتُ نَفْسِي لِسَمَاعِ أَخْبَارِ سَيِّئَةٍ وَرُؤْيَا مَنَاطِرٍ فَاجِعَةٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ هُنَاكَ إِصَابَاتٌ وَقَتْلَى بَعْدَ أَنْ تَسَاقَطَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا مِثَّاتٌ مِنَ القَنَابِلِ الصَّغِيرَةِ المَلِيئَةِ بِأَشْرِطَةٍ مِنْ رَقَائِقِ الأَلُومِنِيُومِ الَّتِي تَتَنَاطَرُ مِثْلَ الشَّفَرَاتِ القَاطِعَةِ المُسْتَعْلَةِ.

تَتَادَى المُجَاهِدُونَ وَكُلُّ مِنْهُمْ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانٍ غَيْرِ مُتَوَقِّعٍ، وَالكُلُّ يَضْحَكُ وَكَأَنَّهَا نُكْتَةٌ مَرِحَةٌ. وَكَانَ نَفْسُ الشَّيْءِ يَحْدُثُ أَعْقَابَ كُلِّ الغَارَاتِ الَّتِي شَاهَدْتُهَا فِيمَا بَعْدُ. لَقَدْ كَانَتْ الضَّحِكَاتُ اعْتِدَارًا مُهَذَّبًا عَنِ الاِخْتِبَاءِ وَالهَلَعِ الَّذِي أَصَابَ الشَّخْصَ لِحِظَةِ المِخْنَةِ الجَوِيَّةِ. لَمْ يُصَبْ أَيُّ أَحَدٍ، وَهَذَا مَا أَدَهَشَنِي مَا عَدَا شَابًا وَاحِدًا قَدْ أَدَمَّتْ أُذُنُهُ اليُمْنَى شَطِيئَةً مِنَ الأَلُومِنِيُومِ المُسْتَعْلِ فَأَصَابَتْهُ بِخَدَشٍ صَغِيرٍ. تَوَلَّى صَدِيقِي «أَحْمَدَ» عِلاجَهُ بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ أَدْوَاتِ إِسْعَافٍ أَوْلِيَّةٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ أَحَدُ مَآثِرِهِ العَمَلِيَّةِ الرَّائِعَةِ. لَمْ نَكُنْ نَحْنُ أَصْحَابُ المَشَارِيعِ الإِسْتِرَاطِيَّةِ الكَبِيرَةِ نُفَكِّرُ فِي اصْطِحَابِ قِطْعَةٍ مِنَ الشَّاشِ

إِلَى مَوْعِ الْقِتَالِ. لَقَدْ كَانَتْ أَدَوَاتُ الإِسْعَافِ الَّتِي حَمَلَهَا «الْمِنْيَاوِيُّ» مَعَهُ مَصْدَرٌ سَعَادَةٌ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَتَجَمَّعُوا حَوْلَهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَإِلَى «أَحْمَدَ» وَهُوَ يُعَالِجُ الخَدَشَ وَكَأَنَّهُمْ يُشَاهِدُونَ جِرَاحَةً مُعَقَّدَةً فِي القَلْبِ. وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ صَدِيقِي إِنَّمَا هُوَ طَيِّبٌ نَادِرٌ المِثَالِ، هَذَا عَلَى عَادَةِ الأَفْعَانِ فِي المُبَالَغَةِ.

سَادَتْ البَهْجَةُ وَالمَرْحُ فِي صُفُوفِ مَرَكَزِنَا بَعْدَ النِّجَاةِ مِنْ هَذِهِ الغَارَةِ المُفَاجِئَةِ وَالعَنِيفَةِ، وَأَعَدَّ المُجَاهِدُونَ طَعَامَ الغَدَاءِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنْ «الشَّرِيدِ» بِشَكْلِ ثَابِتٍ وَيَوْمِيٍّ. وَتَحَلَّقْنَا حَوْلَ القِصْعَةِ نَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ غَيْرَ الشَّهِيِّ بِطَبِيعَتِهِ، وَلَكِنَّا نَتَنَاوَلُهُ بِسَعَادَةٍ وَشَوْقٍ كَأَنَّا نَسْتَقْبِلُ حَيَاةً جَدِيدَةً. لَمْ يَسْتَمِرَّ ذَلِكَ طَوِيلًا فَقَدْ بَاغَتْنَا العَدُوُّ مَرَّةً أُخْرَى بِغَارَةٍ مُفَاجِئَةٍ وَعَنِيفَةٍ كَسَابِقَتِهَا. تَكَرَّرَ المَشْهَدُ وَتَبَخَّرَتِ البَهْجَةُ، وَأَطْلَقْنَا العَنَانَ لِأَرْجُلِنَا وَارْتَمَيْتُ وَصَاحِبِي فِي ذَاتِ الحُفْرَةِ. وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ الطُّوَالُ وَالقَنَابِلُ تَتَسَاقَطُ عَلَى جَانِبِي حُفْرَتِنَا وَعَلَى طُولِ المُعَسْكَرِ حَتَّى نِهَايَةِ الشُّعْبِ، وَتَحَوَّلَتِ التَّلَالُ المُحِيطَةُ إِلَى دُحَانٍ وَأُتْرِبَةٍ وَنِيرَانٍ.

مَرَّةً أُخْرَى، لَا إِصَابَاتٌ وَلَا خُدُوشٌ، وَلَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ اسْتِعَادَةَ حَالَتِي المَرِحَةِ إِلَّا بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ نَسِيًّا، أَيُّ قُرْبِ صَلَاةِ العَصْرِ. وَلَمْ أَكْدُ أَفْعُلْ حَتَّى عَادَتِ الطَّائِرَاتُ مَرَّةً ثَالِثَةً لِتَكَرَّرَ مَعَنَا نَفْسَ المَشْهَدِ البَائِسِ، وَمَرَّتِ سَنَوَاتُ [أَيُّ لِحَظَاتٍ كَانَتْهَا سَنَوَاتُ] أُخْرَى مِنَ الرُّعْبِ وَانْتَهَى المَشْهَدُ وَلَكِن هَذِهِ

المرّة لدينا جريح، إنه نفس الشاب الذي أصيبت أذنه في الصباح. هذه المرّة أصابته شظية ألومنيوم في سطح قدمه اليمنى، فمزقت النعال وحفرت شقاً طويلاً في الجلد بعُمقٍ عدّة مليمترا. لقد نَزَفَ كثيراً مِنَ الدَّماءِ، وَتَمَكَّنَ «أحمد» مِنْ إيقافِ النَّزيفِ وَتَضْمِيدِ الجُرْحِ، وَالشَّابُّ يَضْحَكُ مَعَ زُمَلَائِهِ وَيَتبادلُ النِّكاتَ حَوْلَ مُغامراتِ هَذَا اليَوْمِ مَعَ الطَّائِرَاتِ وَكَيْفَ أَنَّهُ المُصابُ الوَحيدُ فِي عَارَتَيْنِ. كَانَتْ مُشكِلتُهُ الحَقِيقِيَّةُ لَيْسَ مَعَ الجُرُوحِ وَلَكِنْ مَعَ النِّعالِ الَّذِي تَلَفَ وَكَيْفَ يَتَحَرَّكُ فَوْقَ الصُّخُورِ وَالأشْوَكَ بِقَدَمِ جَرِيحَةٍ وَبِلا نِعالٍ؟.

بَعْدَ صَلَاةِ المَغْرِبِ تَجَمَّعْنَا حَوْلَ بَقايا مِنَ الخُبْزِ اليَابِسِ بِدُونِ شايٍّ، فَأَحْدَثَ اليَوْمِ لَمْ تَتْرُكْ مَجالاً لِغَيْرِ ذَلِكَ، وَدَارَتْ الهَمَسَاتُ حَوْلَ سُكُوكِ بُوْجُودِ جاسوسٍ فِي المَعسِكرِ أَوْ قَريباً مِنْهُ أَبْلَغَ «الحُكُومَةَ» بِمَكَانِ المَرْكَزِ وَتَوَاجَدِ العَرَبِ فِيهِ. وَلَكِنِّي ضَحِكْتُ وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَّ مَهْرَجَانَ العَمَائِمِ كَانِ كَافِياً لِاجْتِذابِ سِلاحِ الطَّيْرانِ الشُّيُوعِيِّ بِأَكْمَلِهِ، وَلَعَلَّ ما حَدَثَ اليَوْمَ يَكُونُ دَرَساً فِي الحَذَرِ.

لَمْ يَقْصِفِ الطَّيْرانُ هَذَا الشُّعْبَ مَرَّةً أُخْرَى وَاکْتَفَى بِقِصْفِ مَناطِقِ قَريبَةٍ مِنْهُ، فَقدَ كانَ مُنطِقياً أَلّا يُحاوِلُ مَخْلُوقٌ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ ذَلِكَ الوادِي مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ كُلِّ تِلْكَ القَنابِلِ الَّتِي أَحْرَقَتْهُ وَأَحْرَقَتْ الجِبَالَ المُحيطَةَ بِهِ. كانَ ذَلِكَ هُوَ الحِسابُ المُنطِقِيُّ لِأَيِّ رَجُلٍ عَسْكَرِيٍّ، وَلَكِنَّهُ كانَ غَيْرَ صَحيحٍ، وَكَمْ كانَ

مُخْطِئًا ذَلِكَ التَّفَكِيرُ الْمُنْطِقِيُّ فِي مُعْظَمِ أَوْقَاتِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ. لَقَدْ كَانَ مَنْطِقُ الْعَمَلِ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ هُوَ مُخَالَفَةٌ كُلِّ مَنْطِقٍ، وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ تَتَعَلَّقُ بِالشَّخْصِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْعَنِيدَةِ وَغَيْرِ الْمُبَالِيَةِ بِالْمَخَاطِرِ. كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ تَقْرِيبًا عَلَى أَيِّ قَائِدٍ عَسْكَرِيٍّ يُوَاجِهُهُمْ أَنْ يَتَنَبَّأَ بِأَفْعَالِهِمْ أَوْ رُدُودِ أَفْعَالِهِمْ إِزَاءَ أَيِّ عَمَلٍ. وَكَانَتْ تِلْكَ مِنْ مِيزَاتِ الْمُجَاهِدِينَ الْهَامَّةِ جِدًّا فِي عَمَلِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَقْصُودَةٍ بِالْمَرَّةِ، بَلْ غَرِيزِيَّةً تَمَامًا.

وَفِي ظَنِّي أَنَّ الْغَرِيزَةَ الْقِتَالِيَّةَ هِيَ خَيْرٌ أُسْتَاذٍ لِرِجَالِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، خَاصَّةً فِي مَرَحَلَتِهَا الْأُولَى، وَالْغَرَائِزُ لَدَى الرَّجُلِ الْبَعِيدِ عَنِ الْحَضَارَةِ [أَقْوَى] مِنْهَا لَدَى رَجُلٍ آخَرَ نَشَأَ فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ. لِذَلِكَ فَإِنَّ الشُّعُوبَ «الْبِدَائِيَّةَ» أَفْضَلَ أَدَاءً فِي حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ مِنَ الشُّعُوبِ الْمُتَحَضَّرَةِ.

وَلَكِنَّ تِلْكَ الْحَرْبَ فِي مَرَاكِهَا التَّالِيَةِ وَالْأَكْثَرَ تَعْقِيدًا، لِأَحْتِيَاجِهَا أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ لِمَزِيدٍ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَمَا يَلْزَمُهَا مِنْ تِكْنِيكَاتٍ قِتَالِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ نَسْبِيًّا، فِي تِلْكَ الْمَرَاكِحِ تَكُونُ الْبِدَائِيَّةُ وَالْعَشَوَائِيَّةُ كَارِثَةً بِكُلِّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ. وَلَا بُدَّ مِنْ تَوَافُرِ قِيَادَاتٍ وَكَوَادِرَ عَالِيَةِ الْمُسْتَوَى لِتَوَلَّى زِمَامَ تِلْكَ الْحَرْبِ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى الْأَسْلِحَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالتَّدْرِيْبِ اللَّازِمِ لِاسْتِخْدَامِهَا عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ.

بَقَيْنَا عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي نَفْسِ الْمَنْطِقَةِ، تَلَقَيْنَا فِيهَا الْعَدِيدَ مِنْ قَدَائِفِ الْهَائُونَاتِ

الثَّقِيلَةَ أَطْلَقَهَا الْعَدُوُّ كَنَوْعٍ مِنَ الْاِحْتِيَاظِ لِتَأْمِينِ الْمَنْطِقَةِ. وَشَاهَدْنَا أَيْضًا غَارَةً جَوِيَّةً مِنْ هِيلوكبترٍ عَسْكَرِيَّةٍ ضِدَّ مَكَانٍ يُبْعَدُ عَنَّا حَوَالِي كِيلُومِترٍ وَاحِدٍ. وَأَذْهَشَنِي مَدَى انْزِعَاجِ الْمُجَاهِدِينَ وَرَهْبَتِهِمْ مِنْ تِلْكَ الطَّائِرَةِ الْيَتِيمَةِ وَالْبَعِيدَةِ عَنَّا، وَهُمْ الْمَشْهُورُونَ بِالْاِسْتِهْزَاءِ بِالْمَخَاطِرِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ بَعِيدَةً فِي الزَّمَانِ أَوْ الْمَكَانِ. وَلَكِنَّهُمْ حَكُوا لِي قِصَصًا عَجِيبَةً عَنْ قُدْرَاتِهَا، وَأَهْمُهَا أَنَّهَا «دَبَابَةٌ طَائِرَةٌ» لَا تَتَأَثَّرُ بِطَلَقَاتِ أُسْلِحَتِهِمْ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَعْلُومَةُ جَدِيدَةً بِالنِّسْبَةِ لِي، كَمَا أَنَّهَا صَحِيحَةٌ أَيْضًا، وَالْخَاصِيَّةُ الْأُخْرَى قُدْرَتُهَا عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْجَوِّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ تَفْتَشُ وَتَنْقُبُ وَتُطَلِّقُ نِيرَانَ رَشَاشَاتٍ ثَقِيلَةٍ وَقَنَابِلَ مُتَنَوِّعَةً.

وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ طَائِرَاتِ الْهِيلوكبترِ الرَّوسِيَّةِ مِنْ طِرَازِ «مي ٢٤»^(١) [صُورَةٌ



رَقْم ٣٢] كَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ أُسْلِحَتِهِمْ فَاعِلِيَّةً فِي حَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَكِنَّهَا فَقَدَتْ جُزْءًا مِنْ هَيْبَتِهَا بَعْدَ أَنْ تَزَايَدَتْ عَدَدُ قِطْعِ الرَّشَاشَاتِ الثَّقِيلَةِ

الْمُضَادَّةِ لِلطَّائِرَاتِ فِي أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ. وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْغَنَائِمِ أَوْ

(١) ميل - مي ٢٤: طَائِرَةٌ مَرْوَحِيَّةٌ هُجُومِيَّةٌ رُوسِيَّةٌ، تُسْتَعْمَدُ كَمَرْوَحِيَّةِ نَقْلِ عَسْكَرِيٍّ خَفِيفَةٍ، دَخَلَتْ الْخِدْمَةَ فِي ١٩٧٢ م، وَلَا تَزَالُ إِلَى الْآنِ. مُزَوَّدَةٌ بِمِدْفَعِ رَشَاشِ رُبَاعِيٍّ الْفُوهَةِ عِيَارِ ١٢.٧ مِم، وَبِقَنَابِلِ ذَاتِ سُفُوطٍ حُرٍّ وَقَدَائِفَ غَيْرِ مَوْجَهَةٍ بِعِيَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَتَسَعُ لِثَمَانِيَةِ أَشْخَاصٍ. لَهَا جَنَاحِينَ قَصِيرِينَ وَتَحْتَاجُ إِلَى مُدْرَجٍ قَصِيرٍ لِلْإِقْلَاعِ.

المُسَاعَدَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الَّتِي تَرَايَدَتْ بَعْدَ تَدْوِيلِ الْأَزْمَةِ بِالتَّدْخُلِ الْأَمْرِيكِيِّ. وَقَدْ هَبَطَتْ تِلْكَ الْهَيْبَةُ إِلَى أَدْنَى مُسْتَوِيَاتِهَا بَعْدَ إِدْخَالِ صَارُوخِ «سِتِينْجَر»^(١) الْأَمْرِيكِيِّ الْمُضَادِّ لِلطَّائِرَاتِ إِلَى سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ فِي أَوَاخِرِ عَامِ ١٩٨٦ م. وَمَعَ هَذَا ظَلَّتْ تِلْكَ الطَّائِرَاتُ مُحْتَفِظَةً بِتَفَوْقِهَا فِي الْمَنَاطِقِ الْمُنْبَسِطَةِ، خَاصَّةً فِي شَمَالِ أَفْغَانِسْتَانَ وَأَجْزَاءٍ مِنْ الْجَنُوبِ، خَاصَّةً الْجَنُوبَ الْعَرَبِيَّ الصَّحْرَاوِيَّ.

[مُجَاهِدٌ أَفْغَانِيٌّ يُصَوِّبُ صَارُوخَ سِتِينْجَر: صُورَةٌ رَقْمَ ٣٣]



وَهَبُوطٌ فَاعِلِيَّةِ الطَّيْرَانِ كَانِ فِي ظَنِّي
جُزْءًا مِنْ هَبُوطِ فَاعِلِيَّةِ الْقُوَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ
بِشَكْلِ عَامٍّ، سِوَاءِ الرُّوسِيَّةِ أَوْ الْأَفْغَانِيَّةِ،

[نَتِيْجَةٌ لِلْفَجْوَةِ] الْوَاسِعَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْمَجَالِ الْمَعْنَوِيِّ. لَقَدْ أَفْرَطَ الشُّيُوعِيُّونَ رُوسًا كَانُوا أَوْ أَفْغَانًا فِي الْاعْتِمَادِ عَلَى سِلَاحِ الْجَوِّ لِتَعْوِيضِ عَجْزِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ وَهَبُوطِ مَعْنَوِيَّاتِ جُنُودِ الْمُشَاةِ لَدَيْهِمْ. وَمَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ كَانَ ذَلِكَ الْاعْتِمَادُ يَتَزَايَدُ وَلَا يَتَنَاقِصُ، حَتَّى خَرَجَتْ بِنَتِيْجَةٍ شَارِكِنِي

(١) صَارُوخَ سِتِينْجَر: هُوَ صَارُوخُ أَرْض - جَوِّ أَمْرِيكِيِّ مَحْمُولٌ عَلَى الْكَتْفِ، مُوجَّهٌ بِالْأَشْعَةِ تَحْتَ الْحَمَرَاءِ، بَدَأَ إِنتَاجُهُ عَامَ ١٩٧٨ م بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ مِنَ التَّطْوِيرِ، وَدَخَلَ الْخِدْمَةَ فِي ١٩٨١ م، يَبْلُغُ طَوْلَهُ ١.٥٢ مِتر، وَقَطْرُهُ ٧٠ سم، وَوَزْنُهُ ١٥.٧ كِجَم، وَيَصِلُ مَدَاهُ إِلَى خَمْسَةِ كِيلُومِترَاتٍ بِارْتِفَاعِ ٤٨٠٠ مِتر.

فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، بِأَنَّ الصَّرَبَاتِ الْجَوِيَّةَ كُلَّمَا تَكَاثَرَتْ فِي الْعَدَدِ وَزَادَتْ فِي الْعُنْفِ [كَانَ] ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى تَدَنِّي مَعْنَوِيَّاتِ الْخَصْمِ، أَوْ قُرْبِ انْهِيَارِهِ. وَبِالْفِعْلِ فَإِنَّ الْعَارَاتِ الْمُكثَّفَةَ وَالْعَيْنِفَةَ، كَمَا كَانَتْ مُقَدِّمَةً لِهُجُومٍ وَاسِعٍ أحيانًا فَقَدْ كَانَتْ إِشَارَةً إِلَى قُرْبِ انْسِحَابِ أَوْ اسْتِسْلَامِ وَشِيكَ لِلْقَوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى.



وَبَعْدَ إِتْمَامِ الانْسِحَابِ الشُّوْفِيَّتِيِّ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ فِي ١٥ فَبْرَايِرِ ١٩٨٩مَ أَضَافَ الشُّيُوعِيُّونَ إِلَى سِلَاحِ الْجَوِّ طَائِرَاتٍ جَدِيدَةً أَبْرَزُهَا «مِيج ٢٩»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٣٤] مَعَ تَعْرِيزِ

أَعْدَادِ الطَّائِرَاتِ «سُوخوي ٢٥»^(٢) [صُورَةٌ رَقْمَ ٣٥] وَهِيَ أَيْضًا مِنْ أَفْضَلِ الْقِطْعِ الَّتِي أُثْبِتَتْ فَعَالِيَّةً فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَقَدْ تَضَاعَفَتْ الْأَنْوَاعُ الْجَدِيدَةُ مِنَ الْقَنَابِلِ

(١) ميكويان ميج - ٢٩: طَائِرَةٌ نَفَائَةٌ مُقَاتِلَةٌ رُوسِيَّةُ الصَّنْعِ مِنَ الْجِيلِ الرَّابِعِ، دَخَلَتْ الْخِدْمَةَ فِي عَامِ ١٩٨٣مَ، وَلَا تَزَالُ فِي الْخِدْمَةِ، تَحْمِلُ سِتَّةَ صَوَارِيخِ جَوِّ - جَوِّ «آر-٧٣» وَ «آر-٦٠»، وَمِدْفَعِ رَشَاشِ ٣٠مِ.

(٢) سُوخوي سُو - ٢٥: طَائِرَةٌ نَفَائَةٌ هُجُومِيَّةٌ رُوسِيَّةُ الصَّنْعِ، بَدَأَ إِنتَاجُهَا فِي عَامِ ١٩٧٥مَ، وَلَا تَزَالُ فِي الْخِدْمَةِ إِلَى الْآنِ فِي رُوسِيَا وَفِي بَعْضِ دَوْلِ الْإِتِّحَادِ الشُّوْفِيَّتِيِّ السَّابِقِ وَفِي دَوْلِ أُخْرَى. اسْتُخْدِمَتْ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْحُرُوبِ مِثْلَ الْعَزْوِ الشُّوْفِيَّتِيِّ لِأَفْغَانِسْتَانَ، وَحَرْبِ الْخَلِيجِ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

الَّتِي تُلَقَى مِنَ الْجَوِّ، وَأَبْرَزُهَا الْقَنَابِلُ الْعُنُقُودِيَّةُ وَالْقَنَابِلُ الْمُوجَّهَةُ «الذَّكِيَّةُ» وَقَنَابِلٌ ضِدَّ الْمَغَارَاتِ. وَالْأَبْرُزُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ سِلَاحُ الصَّوَارِيخِ الَّتِي كَانَ نَجْمُهَا بِلَا مُنَازِعٍ صَارُوخَ «سَكُودِ بِي»^(١) الَّذِي اسْتُهِلِكَ مِنْهُ عِدَّةٌ آلاَفٍ عَلَى مَدَى الثَّلَاثِ سَنَوَاتٍ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْحَرْبِ، أَيْ مُنْذُ الْإِنْسِحَابِ السُّوفِيَّتِيِّ وَحَتَّى سُقُوطِ النُّظَامِ الشُّيُوعِيِّ فِي «كَابُلٍ».



إِذْ فَقَدْ تَعَزَّزَ سِلَاحُ الْجَوِّ كَثِيرًا كَمَا وَنوعًا، وَدَخَلَ سِلَاحُ الصَّوَارِيخِ بِغَزَاةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مِثْلٌ خَاصَّةً فِي أَمْثَالِ تِلْكَ

الْحُرُوبِ. وَأُظُنُّ أَنَّ تِلْكَ الْإِجْرَاءَاتِ لَمْ تُفِدْ كَثِيرًا عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَسْكَرِيِّ مَعَ كَوْنِهَا قَفَزَتْ بِالتَّكْلُفَةِ الْإِجْمَالِيَّةِ لِلْحَرْبِ، وَخَاصَّةً التَّكْلُفَةِ السَّنَوِيَّةِ لِفَتْرَةِ السَّنَوَاتِ الثَّلَاثِ الْأَخِيرَةِ؛ فَقَدْ قَدَّرْتُ مَصَادِرُ بَاكِسْتَانِيَّةٍ ثَمَنَ صَارُوخِ «سَكُودِ بِي» بِمَبْلَغِ مِليُونِ دُولَارٍ. وَتَفِيدُ شَوَاهِدٌ عَدِيدَةٌ أَنَّ دَوْلَ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ قَدْ تَكَلَّفَتْ بِتَمْوِيلِ نَفَقَاتِ الْحَرْبِ عَلَى الْجَانِبِ الشُّيُوعِيِّ، وَدَفَعَتْ لـ «مُوسْكُو» تَكْلُفَةَ صَفَقَاتِ السِّلَاحِ فِي السَّنَوَاتِ الثَّلَاثِ الْأَخِيرَةِ مِنْهَا.

(١) صَارُوخُ سَكُودِ بِي: أَحَدُ الصَّوَارِيخِ الْبَالِيسْتِيَّةِ التَّكْنِيكِيَّةِ، رُوسِيٌّ الصَّنْعِ، أُنتِجَ عَامَ ١٩٦٤م، طُولُهُ

١١.٢٥ مِترٌ وَوِزْنُهُ ٥٩٠٠ كِجَم، وَمَدَاهُ ٣٠٠ كِمْ.

وَرُغِمَ الْمَجْهُودِ الْجَوِّيِّ الْكَاسِحِ بِالطَّائِرَاتِ ثُمَّ بِالصَّوَارِيخِ، [فَقَدْ] انْتَهَتْ
 الْحَرْبُ بِهَزِيمَةٍ شَامِلَةٍ لِلشُّيُوعِيِّينَ. وَعَلَى هَذَا فَلَا يُمَكِّنُ الزَّعْمُ بِأَنَّ لِسِلَاحِ
 الطَّيْرَانِ قِيَمَةً حَاسِمَةً فِي مَعَارِكِ الْعِصَابَاتِ فِي كَافَّةِ مَرَاكِهَا، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ
 فِي أَفْغَانِسْتَانَ. كَمَا أَنَّ السِّيَادَةَ الْجَوِّيَّةَ لَيْسَتْ حَاسِمَةً كَذَلِكَ حَتَّى فِي الْمَعَارِكِ
 التَّقْلِيدِيَّةِ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي حَرْبِ «العِرَاقِ - إِيْرَانِ»، فَقَدْ اسْتَطَاعَتْ إِيْرَانُ
 الصُّمُودَ طَوَالَ السَّنَوَاتِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي اسْتَغْرَقَتْهَا الْحَرْبُ بِدُونِ سِلَاحِ جَوِّيٍّ
 تَقْرِيْبًا. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَا يُمَكِّنُ الْمُجَادَلَةَ فِي أَهْمِيَّةِ الدَّوْرِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ سِلَاحُ
 الطَّيْرَانِ فِي أَيِّ حَرْبٍ تَقْلِيدِيَّةٍ كَانَتْ أَوْ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ. وَعَلَى الْمُجَاهِدِينَ أَنْ
 يَعْتَبِرُوهُ عَدُوًّا رَئِيسِيًّا وَخَطِيرًا، وَيَبْذُلُوا غَايَةَ الْعِنَايَةِ فِي التَّخْطِيطِ لِمُوَاجَهَةِ
 تَأْثِيرَاتِهِ السَّيِّئَةِ مَعْنَوِيًّا أَوْ لَا وَمَادِّيًّا ثَانِيًا^(١).

(١) وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ مَحْدُودِيَّةِ تَأْثِيرِ سِلَاحِ الطَّيْرَانِ فِي حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَذَلِكَ لِطَبِيعَتِهَا، فَإِنَّ لَهُ أَثَارًا
 مُدْمِرَةً عَلَى الْمُدُنِ وَسَاكِنِيهَا، فَإِنَّ حَرْبَ الْعِصَابَاتِ إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي الْجِبَالِ وَالْمَنَاطِقِ النَّائِيَةِ وَعَرَةَ
 التَّضَارِيسِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي الْمُدُنِ وَالْمَنَاطِقِ الْمَأْهُولَةِ، وَفِي الْمُدُنِ يَقُومُ الطَّيْرَانُ بِالْقِصْفِ بِشَكْلِ
 عَشَوَائِيٍّ، فَلَا يُصِيبُ الْمُجَاهِدِينَ بِالضَّرُورَةِ، وَلَكِنَّهُ يَنْسَبُّ فِي تَدْمِيرِ الْبِلَادِ تَمَامًا عَلَى رُؤُوسِ
 سَاكِنِيهَا مَعَ ارْتِفَاعِ عَدَدِ الْقَتْلَى مِمَّنْ لَا يُبَاشِرُ الْقِتَالَ بَمَنْ فِيهِمْ مِنْ نِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا
 الدَّمَارَ وَإِنْ كَانَ لَا يَقْضِي عَلَى الْمُقَاوَمَةِ إِلَّا أَنَّهُ يُؤَثِّرُ سَلْبًا عَلَى فَعَالِيَّتِهَا وَأَحْيَانًا مُصَدِّقِيَّتِهَا أَمَا الْعَالَمُ
 بِعَامَّةٍ، بَلْ وَآمَامَ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ وَالْمَنَاطِقِ الْمَنكُوبَةِ وَالْمُدْمِرَةِ بِخَاصَّةٍ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ بِكَثْرَةٍ فِي
 الْحَرْبِ الَّتِي شَنَّتْهَا أَمْرِيكَا عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ٢٠٠١م، ثُمَّ عَلَى الْعِرَاقِ ٢٠٠٣م، وَأَخِيرًا الْحَرْبُ

وَالهَيْلُو كُبْرًا بِلا شَكِّ هِيَ العَدُوُّ الأوَّلُ لِرِجَالِ العِصَابَاتِ. وَمَادِيًا فَإِنَّ الصَّارُوخَ المُضَادَّ لِلطَّائِرَاتِ وَالَّذِي يُطْلَقُ مِنَ الكَتِفِ هُوَ أَفْضَلُ عِلاجٍ ضِدَّهَا ظَهَرَ حَتَّى الآنَ. [وَلِأَنَّ] هَذَا العِلاجَ صَعْبٌ جِدًّا تَوْفِيرُهُ فِي مُعْظَمِ الحَالَاتِ فَسَوْفَ تَظَلُّ المُوَاجَهَةُ الأَساسِيَّةُ لِلخَطَرِ القَادِمِ مِنَ الجَوِّ هُوَ القُدْرَةُ المَعنَوِيَّةُ لِلْمُجَاهِدِينَ وَالإِجْرَاءَاتُ الوِقاِيَّةُ السَّلْبِيَّةُ ضِدَّ الطَّيْرَانِ، مَعَ مَحَاوَلَةِ ضَرْبِ هَذِهِ الطَّائِرَاتِ فِي حَالَةِ جُثُومِهَا عَلَى الأَرْضِ سِوَاءٍ فِي المَطَارَاتِ وَالقَوَاعِدِ الجَوِّيَّةِ أَوْ قُرْبِ خُطُوطِ القِتالِ أَثناءَ العَمَلِيَّاتِ، وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ فِي أَفْغانِستانَ أَيْضًا.

وَقَدْ يَتَصَوَّرُ البَعْضُ - مُتَأَثِّرًا بِالدَّعَايَةِ التِّجَارِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ - [أَنَّ] صَارُوخَ «سِتْنَجَر» كَانَ هُوَ السَّلَاحُ الحَاسِمُ الَّذِي مَكَّنَ المُجَاهِدِينَ مِنَ النَّصْرِ، وَهَذَا كَذِبٌ فَاضِحٌ رَوَّجَتْهُ آلَةُ الدَّعَايَةِ وَالأكاذِيبِ الأَمْرِيكِيَّةِ. وَقَدْ سَاعَدَهُمُ المُجَاهِدُونَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرُونَ، بِإِذَاعَةِ أَرْقامٍ مُبَالِغٍ فِيهَا كَثِيرًا عَنِ إِصَابَاتِ لِحَقَّتْ بِطَّائِرَاتِ العَدُوِّ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الصَّوَارِيخِ. وَالوَاقِعُ أَنَّ مَا قَامَتْ بِهِ أَمْرِيكًا بِالنَّسْبَةِ لِصَوَارِيخِ «سِتْنَجَر» اسْتَهْدَفَ عَرَضِينَ رَئِيسِيَّينَ:

الَّتِي سَنَّهَا النُّصْرِيَّةُ فِي سُورِيَا وَأَعوانُهُمْ فِي إِيرانَ وَرُوسِيَا عَلَى المُجَاهِدِينَ فِي كُلِّ مَنَاطِقِ سُورِيَا، وَكَيْفَ أَنَّ المَدَنِيِّينَ مِنْ نِساءٍ أَوْ طُفالٍ كَانُوا هُمْ أَكْثَرُ النِّشَاتِ تَضَرَّرًا مِنْ سِلاحِ الجَوِّ المُعَادِي.

■ **الأول:** سرقة النّصر الذي تحقّق على أيدي المسلمين والاستحواذ على نتائجه المادّية والمعنويّة، وحرمان المجاهدين من كلّ فضلٍ، ثمّ إدانتهُم وتدمير قضيتهم بعد ذلك وهو ما حدث فعلاً.

■ **الثاني:** تزويج السلاح الأمريكي تجارياً عبر حملة دعاية، واستغلال قضية



كانت في قمة الاهتمام العالميّ شعبياً ورسمياً لأكثر من عشر سنوات. وغني عن الذكر أنّ تجارة السلاح تأتي على قمة الموارد بالنسبة

للخزينة الأمريكيّة، بعد تجارة المخدّرات الدوليّة وتجارة النفط. [مجاهدٌ

أفغانِي يَسْتخدِمُ صَارُوخَ «سِتِنَجَر»: صورة رقم ٣٦]

إنّ أيّ سلاحٍ مهما كان حديثاً وفعالاً لا يُمكنُ له أن يحلّ محلّ المعنويّاتِ المنهارة والعزائم الخائرة. إنّ التّدريبَ والسّلاحَ الحديثَ والإداريّاتِ الجيدةَ من طعامٍ وملبسٍ وغيرها، كلّها عوامِلٌ تحسّنُ الوضعَ المعنويّ للجُنديّ أو المُجاهدِ، ولكنّها أشياءٌ عابرةٌ وموقّتهٌ، والشّيءُ الأساسيّ في أيّ حربٍ هو ذلك الاعتقادُ والإيمانُ الذي يدفعُ الشّخصَ كيّ يبذلَ كلّ ما يملكُ في ساحةِ القتالِ، ذلك هو السّلاحُ الحاسِمُ الحقيقِيّ في كلّ حربٍ منذُ بدايةِ الخليقةِ وحتىّ قيامِ السّاعةِ.

في مركزِ مولوي «عبد الرحمن» في تلك الأيّامِ الأولى من بداياتِ صيفِ ١٩٧٩م، كنتُ وصديقي «أحمد» نمتلكُ نصفَ عددِ البنادقِ الآليّةِ في

المُعَسِّكِرِ، وَمَعَ الْآخِرِينَ سَبْعَةُ بِنَادِقٍ إِنْجِلِيزِيَّةٍ قَدِيمَةٍ. «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» رَامِي
 الْهَائُونَ - السَّلَاحِ الرَّئِيسِيِّ لِلجَمَاعَةِ - كَانَ بِلَا سِلَاحٍ شَخْصِيٍّ. إِنَّ قِيَمَةَ الْقَنَابِلِ
 الَّتِي أَلْقَتْهَا طَائِرَاتُ الْعَدُوِّ عَلَى مَرَكِّزِنَا فِي غَارَتِهَا الْأُولَى تَفُوقُ فِي قِيَمَتِهَا
 الْمَادِّيَّةِ جَمِيعَ مُحْتَوِيَّاتِ الْمَرَكِّزِ مِنْ سِلَاحٍ وَذَخَائِرٍ وَطَعَامٍ وَالْبَسِيَّةِ. وَهَذَا وَجْهٌ
 آخَرَ لِلِاسْتِنزَافِ الَّذِي وَاجَهَ الرُّوسَ. وَلَا بُدَّ مِنْ إِذْرَاقِ أَنَّ سِلَاحَ الْجَوِّ مُكَلِّفٌ
 جَدًّا مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَادِّيَّةِ. وَمِنْ عِلَامَاتِ نَجَاحِ الْمُجَاهِدِينَ [إِرْعَامُ] سِلَاحِ الْجَوِّ
 عَلَى الْعَمَلِ الْمُسْتَمِرِّ لِاسْتِنزَافِ عَدُوِّهِمْ اقْتِصَادِيًّا وَنَفْسِيًّا. وَفِي ظَنِّي أَنَّ أَكْثَرَ
 الطَّيَّارِينَ الشُّيُوعِيِّينَ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ قَدَّ تَمَّ تَحْوِيلُهُمْ أَوْ
 تَحْوِيلُ مَنْ بَقِيَ عَلَى [قَيْدِ] الْحَيَاةِ مِنْهُمْ إِلَى مُسْتَشْفِيَّاتِ الْأَمْرَاضِ الْعَقْلِيَّةِ؛ لَقَدْ
 اسْتَهْلَكْتَ الْقِيَادَةَ الشُّيُوعِيَّةَ طَيَّارِيهَا بِجُنُونٍ. وَفِي الْوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَكْثَرُ أَمْنًا
 مِنَ الطَّيَّارِينَ أَثْنَاءَ الْعَمَلِيَّاتِ؛ فَتَحَمَّلُوا مَزِيدًا مِنَ الْعِبَاءِ نِيَابَةً عَنْ زُمَلَائِهِمْ
 الَّذِينَ يَلَاقُونَ الْهَلَكَ عَلَى الْأَرْضِ.

أَصْبَحَ مَرَكِّزِنَا تَحْتَ ضَغْطٍ مُسْتَمِرٍّ مِنْ نِيرَانِ الْعَدُوِّ الْأَرْضِيَّةِ وَدَوْرِيَّاتِ
 الطَّيَّارَانِ الَّتِي لَا تَكْفُ عَنْ الزَّمْجَرَةِ فَوْقَنَا، وَالْقَصْفِ قَرِيبًا مِنَّا. فَفَرَّرَ «مَوْلَوِي»
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ تَرَكَ الْمَرَكِّزَ، وَخَرَجَ فِي رِحْلَةٍ اسْتِطْلَاعٍ اسْتَعْرَفَتْ يَوْمَيْنِ،
 انْتَخَبَ فِيهَا مَوْقِعًا جَدِيدًا. ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمُعَسِّكِرِ وَأَرْسَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْضَ
 الرَّجَالِ لِحَفْرِ مَغَارَةٍ فِي الْمَوْقِعِ الْجَدِيدِ. وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْمَغَارَةُ الْأُولَى الَّتِي
 نَشَاهِدُهَا فِي الْخَطِّ الْأَوَّلِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَرُبَّمَا كَانَ مَوْلَوِي «عَبْدُ الرَّحْمَنِ»

هُوَ صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الْأُولَى فِي هَذَا الْمِضْمَارِ عَلَى مُسْتَوَى الْبِلَادِ كُلِّهَا. لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَتَمَتَّعُ بِمَوْهَبَةٍ تَكْتِيكِيَّةٍ مَشْهُودٌ بِهَا، إِلَى جَانِبِ صَلَابَتِهِ الْعَقَائِدِيَّةِ الَّتِي أَكَدَتْهَا الْمَوَاقِفُ الصَّعْبَةُ.

لَقَدْ كَانَتْ الْمَعَارَةُ بَسِيطَةً وَسَادِجَةً التَّصْمِيمِ، وَلَكِنَّهَا أَدَّتْ دَوْرًا فِي حِمَايَةِ تِلْكَ الْعُضْبَةِ الصَّغِيرَةِ، كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ مَدْخَلًا لِبِدَايَةِ «فَنِّ الْحَفْرِ» الَّذِي تَطَوَّرَ إِلَى أَشْكَالٍ مُمْتَازَةٍ وَمُحْكَمَةٍ فِي مَرَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَقَدْ كَانَ لِلْحَفْرِ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي مَعْرَكَتَيْنِ هَامَتَيْنِ عَلَى مُسْتَوَى الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَهُمَا مَعْرَكَةُ «خُوسْت» وَمَعْرَكَةُ «جَاجِي»، وَهُوَ مَا سَنَذْكُرُهُ فِي الْفُصُولِ التَّالِيَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

فِي مَعْرَكَةِ «جَاجِي» الشَّهِيرَةِ - وَهِيَ أَوَّلُ عَمَلٍ عَسْكَرِيٍّ كَبِيرٍ يُقَدِّمُ الْعَرَبُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ - كَانَتْ عَمَلِيَّاتُ الْحَفْرِ الَّتِي قَامَ بِهَا «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ» - بِغَرَضٍ تَدْعِيمِ مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِينَ الدَّفَاعِيَّةِ - [سَبَبًا] رَئِيسِيًّا مِنْ أَسْبَابِ نُشُوبِ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ. أَمَّا فِي «خُوسْت» فَكَانَتْ عَمَلِيَّاتُ الْحَفْرِ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْهَامَّةِ فِي نَجَاحِ عَمَلِيَّاتِ الْعَرَبِ ضِدَّ مَطَارِ «خُوسْت» عَامِي ١٩٩٠ وَ ١٩٩١ م، ثُمَّ فَتَحِ الْمَدِينَةَ.

وَقَدْ لَاحِظْنَا أَنَّ عَمَلِيَّاتِ الْحَفْرِ سِوَاءِ كَانَتْ لِإِنْشَاءِ مَغَارَاتٍ أَوْ خَنَادِقٍ هِيَ مِنْ أَشَقِّ الْأَعْمَالِ عَلَى نَفْسِ الْمُجَاهِدِينَ، أَفْغَانًا وَعَرَبًا، وَقَلِيلًا مَا فَعَلُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ؛ فَقَدْ كَانَتْ مِنْ الْأَعْمَالِ الْمُخَصَّصَةِ لِلْأَسْرَى أَوْ الْجُنُودِ الْفَارِينَ مِنْ

خِدْمَةِ الْجَيْشِ، حَيْثُ يُسَخَّرُهُمُ الْمُجَاهِدُونَ لِقَضَاءِ فِتْرَةِ تَجْنِيدِ إِجْبَارِيَّةٍ فِي مَرَاكِزِهِمْ لِخِدْمَةِ الْمَرَاكِزِ أَوْ لِحَفْرِ الْخَنَادِقِ وَالْمَعَارَاتِ. وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَتْ فِرْقُ الْمُحْتَزِّينَ لِأَعْمَالِ الْحَفْرِيَّاتِ، وَكَانَتْ أَشْبَهُ بِشَرِكَاتِ مُقَاوَلَاتِ مُصَعَّرَةٍ نَقُومُ بِالْحَفْرِ عَلَى نِظَامِ الْمُقَاوَلَةِ بِالْقِطْعَةِ. وَأَكْثَرُ تِلْكَ الْفِرَقِ كَانَتْ مِنْ أُنْبَاءِ وَلايَةِ «وردك» الَّذِينَ بَرَعُوا فِي ذَلِكَ الْفَنِّ، إِلَى جَانِبِ تَنْظِيمِ أَعْمَالِهِمُ الْإِدَارِيَّةِ وَشُؤُونِهِمُ الْعُمَالِيَّةِ حَتَّى كَوَّنُوا مَا يُشْبِهُ جَيْشَ الْحَفْرِيَّاتِ الْمَكُونِ مِنْ مَجْمُوعَاتٍ مُعْظَمُهُمْ مِنَ الْأَقَارِبِ. وَجَمِيعُ الْمَجْمُوعَاتِ مُتَعَارِفَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا وَمُتَعَاوَنَةٌ أَيْضًا.

وَفِي أَيَّامِ فَتْحِ مَدِينَةِ «خُوسْت»، وَقَبْلَ الْعَمَلِيَّاتِ بِأَيَّامٍ فَلَتَتْ أَعْصَابُ «نَجِيبِ اللَّهِ» رَئِيسِ النِّظَامِ الشُّبُوعِيِّ وَوَجَّهَ حَدِيثًا مَبَاشِرًا إِلَى تِلْكَ الْمَجْمُوعَاتِ الْعَامِلَةِ فِي حَفْرِيَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي «خُوسْت» وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ غَارَاتِنَا الْجَوِّيَّةَ عَلَى مَوَاقِعِ الْأَشْرَارِ فِي «خُوسْت» لَمْ تَعُدْ تُجْدِي بِسَبَبِ تِلْكَ الْمَعَارَاتِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي حَفَرَهَا «أُنْبَاءُ الْجِرْدَانِ» مِنْ وَلايَةِ «وردك»، وَإِنِّي أَدْعُوا هَؤُلَاءِ إِلَى تَرْكِ عَمَلِهِمْ فِي «خُوسْت» وَالانْضِمَامِ إِلَيْنَا، وَسَوْفَ نَدْفَعُ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ».

وَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مَاذَا يَعْنِي تَحْيِيدُ قُدْرَةِ سِلَاحِ جَوْ مُتَطَوِّرٍ بِوَاسِطَةِ عَمَلٍ بَدَائِيٍّ غَيْرِ مُكَلَّفٍ مِثْلَ حَفْرِ بَعْضِ مَعَارَاتِ فِي الْجَبَلِ. وَمَاذَا تَعْنِي السَّيْطَرَةُ عَلَى

مُرْتَفَعَاتٍ وَمَضَائِقَ هَامَّةٍ بِوَأَسْطَ عَدَدٍ مِنَ الْخَنَادِقِ الْجَيِّدَةِ. إِنَّ الطَّرْفَ
الْأَضْعَفَ عَسْكَرِيًّا فِي حَاجَةٍ دَوْمًا إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْحَفْرِيَّاتِ، وَقَدْ قَالَ الْحَكِيمُ
الصِّينِيُّ «صَن تَسُو»^(١) مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي عَامٍ: «إِذَا كُنْتَ ضَعِيفًا فَاحْفُرْ عَمِيقًا فِي
بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَعِنْدَمَا تُصْبِحُ قَوِيًّا اهْجُمِ مِنْ أَعْلَى كَأَنَّكَ عُقَابٌ». وَيُمْكِنُنَا
الْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَفْرِيَّاتِ تُعِيدُ جُزْءًا مِنَ التَّوَازُنِ الْمَفْقُودِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ،
وَكَانَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بُرْهَانٌ جَدِيدٌ لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْقَدِيمَةِ جِدًّا.



مَعَ السَّلَاحِ الثَّقِيلِ:

لِقَاءَاتِنَا الْأَوْلَى مَعَ السَّلَاحِ الثَّقِيلِ لَا تُنْسَى، وَهُوَ ثَقِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِإِمْكَانَاتِ
النَّقْلِ وَالْقُوَّةِ الْعَضَلِيَّةِ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ، وَلَيْسَ بِالْعُرْفِ الْعَسْكَرِيِّ التَّقْلِيدِيِّ
الَّذِي لَمْ تَكُنْ لَهُ قِيَمَةٌ كَبِيرَةٌ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. كَانَتْ أَوَّلُ أَسْلِحَةٍ شَاهَدْنَاهَا قَيْدَ
الاسْتِعْمَالِ هِيَ الْأَسْلِحَةُ الْمُضَادَّةُ لِلطَّائِرَاتِ، وَكَانَ أَوَّلُهَا فِي مَرَكَزِ «مُطِيعِ اللَّهِ»
فِي «زِيرُوك»، وَقَدْ شَاهَدْنَا فِي حَالَةِ «تَطْفِيشِ» لِطَّائِرَاتِ نَفَاثَةٍ مُتْسَكِّعَةٍ قُرْبَ
الْمُعَسْكَرِ، وَكَانَ مِدْفَعًا رُوسِيًّا مِنَ الْغَنَائِمِ عِيَارِ ١٤٠٥ م، وَيَسْتَهْرِ بَيْنَ

(١) سُون تَزُو (٥٥١ ق.م - ٤٩٦ ق.م): حَبِيرٌ عَسْكَرِيٌّ صِينِيٌّ وَفَيْلَسُوفٌ، اشْتَهَرَ بِعَبْقَرِيَّتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ،
وَكَتَابَهُ «فَنُّ الْحَرْبِ» مِنْ أَوَّلِ أَفْئِدَةٍ وَأَشْهَرِ الْكُتُبِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَقَالَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ.

المُجَاهِدِينَ بِاسْمِ [زُوكِيَاك]. وَقَامَ الْعَسْكَرِيُّونَ الْأَفْغَانَ الْفَارِسِينَ بِتَدْرِيبِ إِخْوَانِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى اسْتِحْدَامِهِ. [أَحَدُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي الْجِرَاسَةِ عَلَى مُضَادِّ

الطَّائِرَاتِ [زُوكِيَاكُ دُومِلَا]: صُورَةٌ رَقْمَ [٣٧]



وَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنُّسْبَةِ لِبَاقِي الْأَسْلِحَةِ الَّتِي سَوْفَ نَذْكُرُهَا هُنَا، حَيْثُ أَنَّ بَاكِسْتَانَ لَمْ تَكُنْ قَدْ قَرَّرَتْ التَّدْخُلَ بَعْدُ، أَقْصَدُ لَمْ تَكُنْ الْأَوَامِرُ

الْأَمْرِيكِيَّةُ قَدْ صَدَرَتْ إِلَيْهَا كَيْ تَفْعَلَ ذَلِكَ. أَمَّا فِي مَرْكَزِ «سِرَانَا» فَقَدْ شَاهَدْنَا مِذْفَعًا مُضَادًّا لِلطَّائِرَاتِ وَهُوَ رَشَاشٌ بِلْجِيكِي الصُّنْعِ عِيَارِ ١٢.٦٧ مِم، صُنِعَ خَصِيصًا لِلْمَمْلَكَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ حَسَبَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَسَنَةَ الصُّنْعِ كَانَتْ ١٩٤١ م. كَانَتْ قُدْرَةُ الْمِذْفَعِ عَمَلِيًّا هِيَ إِطْلَاقُ رِصَاصَتَيْنِ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ فَإِنَّهَا تُحْشَرُ فِي الْمَاسُورَةِ، وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى عَمَلِيَّةٍ صِنَاعِيَّةٍ لِاسْتِخْرَاجِهَا، وَتَسْتَعْرِقُ الْعَمَلِيَّةُ عَشْرَ دَقَائِقَ إِذَا كَانَتْ مُيَسَّرَةً. وَلَقَدْ شَاهَدْنَا «بَادشَاه» وَهُوَ الْمُجَاهِدُ الْمَسْئُولُ عَنِ الدَّفَاعِ الْجَوِّيِّ فِي «سِرَانَا» وَهُوَ يَشْتَبِكُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ مَعَ الطَّائِرَاتِ تَحْتَ هَذِهِ الظُّرُوفِ. وَبِالطَّبَعِ كُنَّا حَرِيصِينَ جِدًّا عَلَى الْأَنْكَوْنِ إِلَى جَانِبِهِ فِي أَمْثَالِ تِلْكَ الْأَشْتِبَاكَاتِ، خَاصَّةً وَأَنَّهُ يُمِضِي مُعْظَمَ وَقْتِ الْأَشْتِبَاكِ وَهُوَ يُخْرِجُ الطَّلْقَةَ الْمَحْشُورَةَ فِي مِذْفَعِهِ، وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ فَإِنَّهُ رَفِضَ رَفْضًا قَاطِعًا اسْتِحْدَامَ مَوْقِعِ جَهْزِنَاهُ لِلْمِذْفَعِ وَأَحْطَنَاهُ بِالصُّخُورِ وَعُصُونِ الْأَشْجَارِ لِلْحِمَايَةِ وَالتَّمْوِيهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ اعْتَبَرَ ذَلِكَ انْتِقَاصًا مِنْ شَجَاعَتِهِ. لَقَدْ

اسْتُشْهِدَ «بَادشَاه» فِي مَعْرَكَةِ «جَاور»، وَهُوَ الرَّجُلُ الْوَحِيدُ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي وَلَمْ يَكُنْ لِلْخَوْفِ مَكَانٌ فِي قَلْبِهِ.

لَقَدْ انْهَارَ النِّظَامُ الشُّيُوعِيُّ فِي «كَابُل» فِي دَيْسَمْبَرِ ١٩٧٩ مَ وَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ «بَاكْتِيَا» الْإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ سِوَى هَذَيْنِ الْمِدْفَعَيْنِ لِلْعَمَلِ ضِدَّ سِلَاحِ الْجَوِّ الشُّيُوعِيِّ الْمَكْدَسِ بِالطَّائِرَاتِ الْحَدِيثَةِ. وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ رَدًّا عَلَى أَمْرِيكَ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ انْتِصَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِنَّمَا كَانَ بِفَضْلِ صَوَارِيخِ «سِتَنْجَر» الَّتِي دَفَعَتْ عَنْهُمْ الطَّيْرَانَ السُّوفِيَّتِيَّ وَحَيَّدَتْ دَوْرَهُ.

كَانَ السَّلَاحُ الثَّلَاثُ الَّذِي شَاهَدْنَاهُ فِي حَالَةِ اشْتِبَاكِ هُوَ هَاوِنُ «السَّيِّدِ أَحْمَد»، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا اسْمُ «السَّيِّدِ أَحْمَد» رَامِيِ الْهَاوِنِ فِي مَجْمُوعَةِ مَوْلَوِي «عَبْدِ الرَّحْمَنِ». وَعَلَى يَدِ الرَّجُلَيْنِ تَلَقَّيْتُ بَعْضَ الدَّرُوسِ الَّتِي أَفَادَتْنِي طَوَّلَ مُدَّةِ الْحَرْبِ، كَمَا أَنَّهَا ظَلَّتْ مُسْتَحْدَمَةً بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ .

أَوَّلُ هَذِهِ الدَّرُوسِ تَأْخِيرُ وَقْتِ الْاِشْتِبَاكِ إِلَى قُرْبِ غُرُوبِ الشَّمْسِ حَتَّى لَا يُعْطِيَ الطَّيْرَانَ فُرْصَةً فِي التَّدْخُلِ ضِدَّهُ. الدَّرْسُ الثَّانِي كَانَ اخْتِيَارَ الْأَهْدَافِ، فَقَدْ كَانَ «سَيِّدُ أَحْمَد» يَتَنَاقَشُ مَسَبَّقًا مَعَ قَائِدِهِ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» فِي تَحْدِيدِ الْأَهْدَافِ الَّتِي سَيُوجَّهُ إِلَيْهَا نِيرَانُهُ أَثْنَاءَ الْعَمَلِيَّةِ. الدَّرْسُ الثَّلَاثُ كَانَ اقْتِصَادَ الذَّخِيرَةِ، فَقَدْ كَانَ لِكُلِّ هَدَفٍ طَلْقَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ نَسْمَعْ يَوْمًا أَنَّ «سَيِّدَ أَحْمَدَ» قَدْ أَخْطَأَهَا.

بَقِيَ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ «سَيِّدَ أَحْمَدَ» كَانَ مُخْتَصِّصًا فِي سِلَاحِ الْهَائُونِ أَثْنَاءَ خِدْمَتِهِ فِي الْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ قَبْلَ أَنْ يَفِرَّ مِنْ وَحْدَتِهِ وَيَلْحَقَ بِالْمُجَاهِدِينَ. وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ سِلَاحَهُ «الْهَائُونِ عِيَارَ ٨٢ م»، وَظَلَّ يَسْتَخْدِمُهُ أَثْنَاءَ التِّحَاقِ بِالْجِهَادِ. وَالْغَرِيبُ أَنَّهُ يَقْصِفُ وَحْدَتَهُ الْعَسْكَرِيَّةَ الْمُسْتَحْكِمَةَ فِي قَرْيَةِ «دَارَا». وَمِنْ هَذَا نَفْهَمُ لِمَاذَا لَمْ يَكُنْ يُخْطِئُ الْهَدَفَ أَبَدًا؛ فَهُوَ إِلَى جَانِبِ مَهَارَتِهِ الْفَنِيَّةِ يَحْفَظُ تَمَامًا مَوَاقِعَ الْأَهْدَافِ وَمَسَافَاتِهَا. وَنَفْهَمُ أَيْضًا لِمَاذَا يُنَاقِشُ اخْتِيَارَ الْأَهْدَافِ مَعَ قَائِدِهِ، وَكَانَ يُصِرُّ عَلَى عَدَمِ قَصْفِ خِيَامِ الْجُنُودِ، وَكَانَ دَائِمًا يَقُولُ: «إِنَّهُمْ لَيْسُوا شُيُوعِيِّينَ، وَقَدْ كُنْتُ بِالْأَمْسِ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَكُلُّهُمْ يَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ لِلالتِّحَاقِ بِإِخْوَانِهِ الْمُجَاهِدِينَ، وَلَكِنَّ الضُّبَّاطَ الشُّيُوعِيِّينَ يَحْرُسُونَهُمْ جَيِّدًا، وَيَقْتُلُونَ فَوْرًا كُلَّ مَنْ يَشْكُونُ فِي نَوَايَاهُ مِنَ الْجُنُودِ».

لَقَدْ ظَلَّ الْمُجَاهِدُونَ طَوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْجُنْدِيِّ الْأَفْغَانِيِّ الْمَغْلُوبِ عَلَى أَمْرِهِ وَبَيْنَ الضُّبَّاطِ الشُّيُوعِيِّ الَّذِي يَأْمُرُهُ وَيَتَحَكَّمُ فِيهِ بَلْ وَيَسْتَعْبِدُهُ. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْجُنُودِ تَقْرِيبًا كَانُوا مِنْ مَزَارِعِي الْأَرْضِ فِي مَنَاطِقِ أَفْغَانِسْتَانَ النَّاطِقَةِ بِالْفَارْسِيَّةِ. وَكَانَ ذَلِكَ ضَمَّنَ مُخَطَّطِ إِشْعَالِ الْكِرَاهِيَّةِ بَيْنَ الْقَوْمِيَّاتِ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْمُجْتَمَعُ الْأَفْغَانِيُّ، فَالْجُنُودُ وَالضُّبَّاطُ فِي كُلِّ قَوْمِيَّةٍ يَقَاتِلُونَ فِي مَنَاطِقِ الْقَوْمِيَّاتِ الْأُخْرَى. أَمَّا الضُّبَّاطُ الشُّيُوعِيُّونَ «الْحَزْبِيُّونَ» فَإِنَّهُمْ يَقَاتِلُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِأَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الْجَمِيعَ.

لَقَدْ اسْتَشْهِدَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةَ أَشْهُرٍ بِوَأَسْطَةِ قَدِيفَةٍ مِدْفَعِيَّةٍ مِنْ الْعَدُوِّ هَبَطَتْ لِتَأْخُذَ «أَحْمَدَ» فَقَطُّ، وَلَمْ تَعْقُبْهَا قَنَابِلٌ أُخْرَى. مَا زِلْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ الشَّابَّ هُوَ نَمُودَجٌ لِلْمُجَاهِدِ الْمِثَالِيِّ خُلُقًا وَعَمَلًا، وَكَوْنُهُ مِنَ السَّادَةِ - أَيِّ سُلَالَةٍ تَنْتَهِي إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا أَرْفُضُهُ أَوْ أَقْبَلُهُ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ بِسَبَبِ صُعُوبَةِ الْإِثْبَاتِ أَوْ النَّفْيِ فِي مُعْظَمِ الْحَالَاتِ - وَلَكِنَّ «سَيِّدَ أَحْمَدَ» كَانَ سَيِّدًا نَبِيلًا بِكُلِّ مَعَانِي الْكَلِمَةِ. كَانَ هَادِيًا دَمِثَ الطَّبَاعِ مَحْبُوبًا مِنَ الْجَمِيعِ، مُتَوَاضِعًا، يَتَصَرَّفُ بِثِقَةٍ مِنْ تَعَوُّدٍ عَلَى السِّيَادَةِ وَالْقِيَادَةِ. هَذَا عَنْ أَخْلَاقِهِ، أَمَّا مَهْنِيًّا فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ - مِنْ عَرَبٍ أَوْ عَجَمٍ - شَخْصًا يَعَشُقُ سِلَاحَهُ وَيَهْتَمُّ بِهِ كَمَا تَهْتَمُّ الْأُمُّ بِطِفْلِهَا الرَّضِيعِ. لَقَدْ حَفَرَ مَغَارَةً خَاصَّةً صَغِيرَةً لِمِدْفَعِهِ وَذَخَائِرِهِ الْقَلِيلَةِ. أَمَّا بَطَانِيَّتُهُ الَّتِي يَنَامُ عَلَيْهَا فَكَانَ يُخَصِّصُهَا لِتَعْطِيَةِ مَاسُورَةِ الْمِدْفَعِ الَّتِي يُنْظِفُهَا يَوْمِيًّا مِنَ الْأَتْرَبَةِ، عَدَا التَّنْظِيفِ الْحَمِيٍّ بَعْدَ الْأَشْتِيَاكِ وَالرَّمَايَةِ. وَأَثْنَاءَ التَّحْرُكِ بِالسَّلَاحِ إِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ فَكَانَ يَتَخَلَّى عَنْ رِدَائِهِ «الْبَاتُو» كَيْ يَلْفَ بِهِ الْمَاسُورَةَ حَتَّى لَا تَطَّالَهَا الْأَمْطَارُ، أَمَّا هُوَ فَلَنْ يَصْدَأَ إِذَا تَبَلَّلَ جَسَدُهُ بِالْمَطَرِ وَلَفَحَتْهُ الرِّيَّاحُ.

عَنْ اسْتِخْدَامِ الْهَآوِنِ فَقَدْ رَأَيْتُ قَلَّةً مِنَ الْأَفْغَانِ وَبَعْضًا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَخْدَمُوا هَذَا السَّلَاحَ بِدِقَّةٍ مُدْهِشَةٍ كَانَتْ مُؤَثِّرَةً جِدًّا فِي نَتَائِجِ الْأَشْتِيَاكَاتِ مَعَ الْعَدُوِّ. وَأَذْكَرُ مِنْهُمْ «خَانَ وَلِيٍّ»، ذَلِكَ الْمُجَاهِدُ الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى أُسْطُورَةٍ وَدَخَلَ اسْمُهُ فِي الْأَهَازِيحِ الشَّعْبِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ جَمَاعَةِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»،

وَقَدْ بَرَّتْ قَدْمُهُ وَمَا زَالَ حَيًّا يُرْزَقُ. وَمِنْ الْعَرَبِ رَأَيْتُ «يَحْيَى الْمِصْرِيَّ»^(١) وَ «أَبَا هَمَّامِ الصَّعِيدِيِّ»^(٢)، وَكَانَتْ لَهُمَا مَآثِرٌ لَا تُحْصَى عَلَى الْهَآوِنِ وَبَعْضُ قَطْعِ الْمِدْفَعِيَّةِ الْآخَرِي. وَكِلَاهُمَا مَا زَالَ حَيًّا يُرْزَقُ أَيضًا، وَسَوْفَ يَرِدُ ذِكْرُهُمَا عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ حَمَلَةِ فَتْحِ مَدِينَةِ «حُوسْتِ».

وَبِالنَّسْبَةِ لِدَوْرِ الْمِدْفَعِيَّةِ فِي حَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ طَرَفِ الْمُجَاهِدِينَ، ذَكَرْنَا تِلْكَ الْقِيُودَ الَّتِي فَرَضَتْهَا عَلَيْهِمْ بَاكِسْتَانُ بِهَدَفِ التَّحْكُمِ فِي وَتِيرَةِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ بِمَا يَتَّفِقُ مَعَ الْمَصَالِحِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَسَاسًا، وَتَنَافُسِ أَمْرِيكََا مَعَ السُّوفِيَّتِ عَلَى الْأَرْضِ الْأَفْغَانِيَّةِ لِبَسْطِ مَزِيدٍ مِنَ النُّفُوذِ عَلَى الْإَقْلِيمِ كُلِّهِ الَّذِي تُعْتَبَرُ أَفْغَانِسْتَانُ بِمَوْقِعِهَا الْأَسْتِرَاتِيْجِيِّ مُفْتَاَحَهُ الْأَسَاسِيِّ. كَانَ قَلِيلٌ مِنَ

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ مُعَلِّقًا: «يَحْيَى الْمِصْرِيُّ: نَاسِكٌ يُقِيمُ فِي الْخَطِّ الْأَوَّلِ شَهْرًا لَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا بِالْقُوَّةِ لِيَحْضَلَ عَلَى الرَّاحَةِ. مِنْ أَتْرَعِ الْعَرَبِ فِي اسْتِخْدَامِ الْهَآوِنِ وَالْمَدَافِعِ عَدِيمَةِ الْإِزْدَادِ. تَزَوَّجَ وَأَقَامَ فِي «كَابُلِ» حَتَّى دَهَمَتْهُ الْحَرْبُ الْأَمْرِيكِيَّةُ، وَمَصِيرُهُ مَجْهُولٌ».

(٢) يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ مُعَلِّقًا: «هَمَّامُ الصَّعِيدِيُّ: لَهُ مَوَاصِفَاتٌ «يَحْيَى» مُضَافًا إِلَيْهَا مَوْهَبَةٌ مُحَارِبِ الْعِصَابَاتِ الْمُغْرَمِ بِالْمُرَاوَعَةِ التَّكْنِيكِيَّةِ. بَعْدَ نَهَايَةِ الْحَرْبِ اعْتُقِلَ فِي الْإِمَارَاتِ وَتَمَّ تَسْلِيمُهُ إِلَى مِصْرَ، وَمَصِيرُهُ مَجْهُولٌ. تَرَكَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ زَوْجَةً وَطِفْلَةً فِي النَّاسِعَةِ، مَصِيرُهَا مَجْهُولٌ. «يَحْيَى» وَ «هَمَّامٌ» شَارَكَا فِي حَمَلَةِ فَتْحِ مَدِينَةِ «حُوسْتِ» ضِمْنَ قُوَّةٍ عَرَبِيَّةٍ مُهْمَّتُهَا مَنَعُ الْعَدُوِّ مِنَ الْاسْتِيفَادَةِ مِنْ مَطَارِ الْمَدِينَةِ الَّذِي كَانَ سُرْيَانَ الْإِتِّصَالِ الْوَحِيدِ مَعَ الْخَارِجِ، تَكَلَّتْ الْعَمَلِيَّةُ بِالنَّجَاحِ رُغْمَ حَطُورَتِهَا الْاسْتِنَائِيَّةِ».

المُجَاهِدِينَ يَسْتَطِيعُونَ اسْتِخْدَامَ قِطْعِ الْمِدْفَعِيَّةِ بِكِفَاءَةٍ، أَمَّا صِيَانَةُ قِطْعِ الْمِدْفَعِيَّةِ وَحَتَّى نَظَافَتُهَا فَكَانَتْ مَأْسَاوِيَةً. وَمِنْ نَاحِيَةِ تَكْتِيكِ اسْتِخْدَامِ الْمِدْفَعِيَّةِ فَكَانَ شِبْهُ مُنْعَدِمٍ بِاسْتِثْنَاءِ التَّكْتِيكَاتِ الرَّدِيئَةِ وَالْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانَ يَنْصَحُ بِهَا ضَبَّاطُ الاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ عِنْدَمَا بَدَأَ عَهْدُهُمُ الْمُظْلِمُ فِي الْجِهَادِ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ.

إِنَّ حَرْبَ الْعِصَابَاتِ فِي مَرَحَلَتِهَا الْأُولَى لَا يَحْتَاجُ فِيهَا الْمُجَاهِدُونَ إِلَى اسْتِخْدَامِ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ، وَبِالذَّاتِ قِطْعُ الْمِدْفَعِيَّةِ وَالذَّبَابَاتُ، وَذَلِكَ لِصُعُوبَةِ نَقْلِهَا وَصُعُوبَةِ الْحُصُولِ عَلَى الذَّخَائِرِ اللَّازِمَةِ أَوْ أَطْقَمِ الشَّغِيلِ مِنَ الْفَنِيِّينَ أَوْ الدَّفَاعِ عَنْهَا ضِدَّ هَجَمَاتِ الْعَدُوِّ الْمُتَفَوِّقِ وَالْمُجَهِّزِ جَيِّدًا بِالْمُعَدَّاتِ الْحَدِيثَةِ. فَاهُمْ مُتَطَلِّبَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي مَرَحَلَتِهِمُ الْأُولَى هِيَ حُرِّيَّةُ الْحَرَكََةِ وَسُرْعَةُ الْمُنَاوَرَةِ، وَالضَّرْبُ وَالِاخْتِفَاءُ السَّرِيعُ وَتَفَادِي التَّطْوِيقِ وَالْإِبَادَةِ مِنْ جَانِبِ قُوَّاتِ الْعَدُوِّ.

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ بِسُهُولَةٍ نَسْبِيَّةِ الْحُصُولِ عَلَى كَمِّيَّاتٍ كَافِيَةٍ مِنَ الْأَسْلِحَةِ بِأَنْوَاعِهَا مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ، فَإِنَّ الْحُصُولَ عَلَى الذَّخَائِرِ لِتِلْكَ الْأَسْلِحَةِ أَشَدُّ صُعُوبَةً. وَطَوَّلَ مُدَّةَ الْحَرْبِ تَبَقَى مُشْكِلَةُ الْحُصُولِ عَلَى الذَّخَائِرِ الْكَافِيَةِ هِيَ مُشْكِلَةُ عَسِيرَةِ الْحَلِّ، لِهَذَا مِنَ الضَّرُورِيِّ لِلْمُجَاهِدِينَ اسْتِخْدَامَ ذَخَائِرِهِمْ بِحِكْمَةٍ بِالْعَةِ وَتَخْطِيطِ عَمَلِيَّاتِهِمْ بِعِنَايَةٍ بِحَيْثُ يَحْصُلُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى أَكْبَرِ

قَدْرٌ مِنَ الذَّخَائِرِ.

وَقَدْ رَأَيْنَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَيْفَ تَحَكَّمَتْ أَمْرِيكَا بِمُسَاعَدَةِ عُمَّالِهَا مِنْ بَاكِسْتَانِيِّينَ وَعَرَبٍ أَنْ تُسَيِّطِرَ عَلَى أَحْزَابِ الْجِهَادِ، وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ التَّحَكُّمِ فِي كَمِّيَّاتِ الْأَسْلِحَةِ وَتَوْعِهَا وَنَسَبِ تَوْزِيْعِهَا بَيْنَ الْأَحْزَابِ، وَعَلَى مُخْتَلَفِ الْمُحَافَظَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ، بِمَا يَضْمَنُ شِرَاءَ وَلَائِ التَّنْظِيمَاتِ وَالزَّعَامَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَحَتَّى تَمَكَّنُوا مِنَ السَّيْطِرَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْقِيَادَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْجَبَهَاتِ «الْقَادَةَ الْمِيدَانِيِّينَ»، وَتَحَكَّمُوا إِلَى دَرَجَةِ كَبِيرَةٍ فِي مَسَارِ الْحَرْبِ وَتَوَجِيهِ الْعَمَلِيَّاتِ. وَعَلَى الْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ صَادَرُوا مَسَارَ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ سِيَاسِيًّا لِمَصَالِحِ أَمْرِيكََا فِي الْمَنْطِقَةِ وَالْعَالَمِ. وَعَنْ طَرِيقِ قَطْعِ إِمْدَادِ الذَّخَائِرِ أَوْ تَقْلِيلِهِ أَوْ زِيَادَتِهِ أَوْ إِدْخَالِ أَنْوَاعٍ بَعِيْنَهَا وَحَجْبِ أَنْوَاعٍ أُخْرَى تَحَكَّمُوا إِلَى دَرَجَةِ مُنْفِجَةٍ فِي الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ.

وَلَا نَنْسَى بِالطَّبَعِ تَدَخُّلَ ضُبَّاطِ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ الْمِيدَانِيِّ وَتَحَكُّمَهُمْ فِيهِ، وَكَانُوا هُمْ الْمُشْرِفِينَ عَلَى تَوْزِيْعِ الْمَعُونَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ عَلَى التَّنْظِيمَاتِ وَالْقِيَادَاتِ الْمِيدَانِيَّةِ حَتَّى صَارُوا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَلِفْتَرَةٍ طَوِيلَةٍ حَتَّى نِهَآيَةِ الْحَرْبِ هُمْ الطَّرْفُ الْأَقْوَى فِي قِيَادَةِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ وَتَوَجِيْهِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ السَّيْطِرَةُ تَامَةً بَلْ تَمَكَّنَ الْمُجَاهِدُونَ الْمُخْلِصُونَ أَحْيَانًا مِنَ النَّفَازِ خَارِجَ هَذَا الطَّوْقِ

الشَّيْطَانِيَّ وَتَحْقِيقِ بَعْضِ الصَّرِيحَاتِ الْخَطِيرَةِ بِتَأْجِجِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَذَلِكَ أَسْفَرَ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ عَنْ سُقُوطِ النُّظَامِ الشُّيُوعِيِّ عَلَى عَكْسِ الْإِرَادَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَالْعَمَلَاءِ الْعَرَبِ الْآخَرِينَ.

وَفِي مَرَحَلَةِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ مَرَحَلَتِهَا النَّهَائِيَّةِ الثَّلَاثَةِ تَبَرُّزُ أَهْمِيَّةُ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ وَتَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا وَإِلَى ذَخَائِرِهَا وَإِلَى تَكْتِيكَاتِ مُنَاسِبَةٍ لِاسْتِخْدَامِهَا فِي الْعَمَلِيَّاتِ. وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الْهَائُونَ عِيَارَ ٨٢ مِمَّ أُثْبِتَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَفِي مَرَحَلَةِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ الْأُولَى أَنَّهُ سِلَاحٌ مُؤَثَّرٌ وَمَرِنٌ وَعَظِيمٌ الْفَعَالِيَّةِ، وَكَانَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» أَوَّلَ مَنْ أُثْبِتَ لَنَا ذَلِكَ. وَرُغْمَ أَنَّ الْعَدُوَّ كَانَ يَمْتَلِكُ عَشْرَاتٍ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ الَّتِي شَارَكَتُ فِي الرَّدِّ عَلَى «السَّيِّدِ أَحْمَدُ» إِلَّا أَنَّ الدُّعْرَ الَّذِي رَكِبَ ضَبَّاطَ الْعَدُوِّ دَفَعَهُمْ إِلَى طَلَبِ مُسَانَدَةِ الطَّيْرَانِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. فِي الْبِدَايَةِ اسْتُخْدِمُوا الطَّائِرَاتِ النَّفَّاثَةَ ثُمَّ تَحَوَّلُوا إِلَى الْهَيْلُوكْبَتَرِ؛ وَدَفَعَ ذَلِكَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ» وَقَائِدَهُ «عَبْدَ الرَّحْمَنِ» إِلَى اخْتِيَارِ اللَّحْظَاتِ الْقَاتِلَةِ قَبْلَ الْغُرُوبِ لِتَوْجِيهِ ضَرْبَاتِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الطَّيْرَانُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ فَعَالًا.

لَقَدْ كَانَ الْهَائُونَ الْمُتَوَسِّطُ ٨٢ مِمَّ وَالْهَائُونَ الثَّقِيلَةُ ١٢٠ مِمَّ وَالشَّهِيرُ بِـ «الْغُرْنَايِ» شَدِيدَةَ الْفَعَالِيَّةِ لَدَى الْعَدُوِّ، وَأَوْفَعَتْ إِصَابَاتُ كَثِيرَةٍ بِالْمُجَاهِدِينَ، خَاصَّةً فِي الْقَصْفِ الْعَشَوَائِيِّ عَلَيَّ مَرَاكِزِهِمُ الثَّابِتَةَ أَوْ الَّتِي تَمَّ اكْتِشَافُهَا، أَوْ فِي

حَالَاتٍ هُجُومِ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ وَعَيْرِ مُرْتَبَةٍ فِي تَقَدُّمِهَا مِمَّا يُسَهِّلُ
إِصَابَتَهَا بِالْهَائُونََاتِ. وَكُلُّ هَذِهِ الْحَالَاتِ تُعْتَبَرُ أخطاءً تكتيكيةً لِلْمُجَاهِدِينَ،
وَلَكِنَّهَا تَكَرَّرَتْ كَثِيرًا حَتَّى لَحِظَاتِ الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ، فَلَمْ يُطَبَّقِ الْمُجَاهِدُونَ
تكتيكاتِ المُشاةِ بِشكْلِ جَيِّدٍ، وَسَبَبَ لَهُمْ ذَلِكَ خَسائرٌ ثَقِيلَةً فِي الْأَرْوَاحِ
وَأَجْهَظَتْ الكَثِيرَ مِنْ مَشَارِيعِ هُجُومِهِمْ عَلَى العَدُوِّ.

وَنُشِرُ هُنَا إِلَى الدَّورِ الكَبِيرِ الَّذِي تَلَعَبَهُ تَضارِيسُ الْأَرْضِ الجَبَلِيَّةِ إِلَى
جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ فِي حَالَتَيْنِ، الْأُولَى حَالَةُ اخْتِيارِ مَكَانٍ مُناسِبٍ لِلرَّمَايَةِ عَلَى
العَدُوِّ بِوِاسِطَةِ قِطْعِ المِدْفَعِيَّةِ عَامَّةً وَالْهَائُونََاتِ خَاصَّةً، وَحَتَّى بِدُونِ حَفْرِيَّاتٍ
أَوْ تَحْصِيناتٍ، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي يَنْفُرُ مِنْهَا الْمُجَاهِدُونَ كَمَا ذَكَرْنَا. وَالْحَالَةُ
الثَّانِيَةُ تَوْفِيرُ حِمَايَةٍ مِنَ القِصْفِ المِعَاكِسِ مِنْ جَانِبِ العَدُوِّ سِوَاءُ بِالْمِدْفَعِيَّةِ أَوْ
الْهَائُونََاتِ خَاصَّةً أَوْ الطَّيْرانِ؛ فَقَدْ تَنفَجَّرَ القَنابِلُ قَرِيبًا جِدًّا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ بِمَا
يُعْتَبَرُ إِصَاباتٍ مُباشِرَةً مُؤَكَّدَةً وَلَكِنَّ اخْتِلافَ مَنسُوبِ الْأَرْضِ اِزْتِفاعًا أَوْ
انْخِفافًا يُدْهِبُ بِتأثيرِ الانفجارِ وَالشَّظايا. وَرُغْمَ أَنَّ الهائُونَ الثَّقِيلَ «الغرناي»
أَبْعَدُ مَدَى وَأَكْبَرُ عِيارًا إِلَّا أَنَّهُ أُثْبِتَ أَنَّهُ سِلاحٌ مُعَوَّقٌ وَلَمْ يَكُنْ مُجَدِّيًا بِشكْلِ
عَامٍّ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ، وَلَيْسَ لَدَى الحُكُومَةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَخْدِمُهُ بِفَعَالِيَّةِ
وَكَفَافَةٍ، وَالسَّبَبُ أَنَّهُ سِلاحٌ ثَقِيلٌ تَصْعُبُ المُنَاوَرَةُ بِهِ، كَمَا أَنَّ قَدائِفَهُ قَلِيلَةٌ لَدَى
المُجَاهِدِينَ سِوَاءُ مِنَ الغَنائِمِ أَوْ مِنَ الإمداداتِ «المُبرمجة» الَّتِي تَأْتِي بِهَا
الاستِخْباراتُ الباكِستانيةُ. وَظَلَّ الهائُونَ ٨٢ مم الوَسَطُ نَجْمًا بَيْنَ أَيدي

المُجَاهِدِينَ حَتَّى نِهَآيَةِ الْحَرْبِ، وَهَذَا [هُوَ] السَّبَبُ الَّذِي دَفَعَ أَمْرِيكَ إِلَى إِرْسَالِ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْ ذَخَائِرِ هَذَا الْمِدْفَعِ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْقَذَائِفِ الْمُنْفَخَّةِ وَالَّتِي أودَت بِحَيَاةِ الْعَشْرَاتِ مِنْ خَيْرَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ وَالْأَفْغَانِ، وَهُوَ مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ. وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ هَذَا الْمِدْفَعِ هُوَ سِلَاحٌ فَعَّالٌ فِي حَرْبِ الْجِبَالِ وَفِي جَمِيعِ مَرَاكِهَا سِوَاءً عَلَى جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ أَوْ إِلَى جَانِبِ جُيُوشِ أَعْدَائِهِمْ.

تَمَكَّنَ الْمُجَاهِدُونَ فِي أَوَاخِرِ مَرَحَلَتِهِمْ الْأُولَى مِنْ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى قِطْعٍ مَدْفِيعَةٍ ثَقِيلَةٍ وَبَعْضِ الدَّبَابَاتِ، وَأَتَاحَ لَهُمْ ذَلِكَ - مُسْتَفِيدِينَ مِنْ طَبِيعَةِ الْأَرْضِ الْجَبَلِيَّةِ الْوَعْرَةِ وَسَيَطَرَتِهِمْ عَلَيْهَا بِإِحْكَامٍ فِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ، خَاصَّةً فِي «بَاكْتِيَا» - [تَوْجِيهًا] ضَرْبَاتٍ مَدْفِيعَةٍ فِي الْعُمُقِ إِلَى الْمُدُنِ، وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَتَآئِجٍ بَعْضُهَا إِيْجَابِيٌّ وَبَعْضُهَا سَلْبِيٌّ، فَقَدْ اهْتَزَّتْ هَيْئَةُ الْحُكُومَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى قُدْرَتِهَا عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ السُّكَّانِ وَادِّعَاءِهَا بِالْقَضَاءِ عَلَى «الْأَشْرَارِ» الْمُجَاهِدِينَ، وَأَجْبَرَتْهَا عَلَى الْقِيَامِ بِحَمَلَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِتَدْمِيرِ تِلْكَ الْمَدَافِعِ وَالْمَجْمُوعَاتِ الْعَامِلَةِ عَلَيْهَا. وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَمَلَاتُ بَاهِظَةً التَّكَالِيفِ، تَافِهَةً النَّتَآئِجِ، وَيَنْتُجُ عَنْهَا غَالِيًا وَفُوعًا الْكَثِيرَ مِنَ الْأَسْرَى وَالْغَنَائِمِ، وَتَسْلِيحِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْمُعَدَّاتِ الثَّقِيلَةِ.

أَمَّا نَتَآئِجُهَا السَّلْبِيَّةُ فَكَانَتْ عَدَمَ دِقَّةِ الرَّمَايَاتِ، وَالَّتِي تُصِيبُ غَالِيًا بِيُوتَ

الْمَدَنِيِّينَ، وَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ مَشَاعِرٌ مُعَادِيَةٌ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَتَزَايِدُ تِيَارِ الْهَجْرَةِ، وَكِلَا الْعَامِلِينَ أضعفَ العملَ الجهاديَّ داخلَ المُدُنِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أْبْرَزِ سَلْبِيَّاتِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ؛ إِذْ كَانَتْ لِلْحُكُومَةِ عَلَى الْمُدُنِ - خَاصَّةً الرَّئِيسِيَّةِ مِنْهَا - سَيْطْرَةٌ شَبُهَ كَامِلَةٍ، وَكَانَتْ الْعَمَلِيَّاتُ الدَّاخِلِيَّةُ فِيهَا قَلِيلَةً، وَتَنْتَهِي فِي الْغَالِبِ بِخَسَائِرِ فَادِحَةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا، سِوَاءً بِالْأَعْتِقَالِ أَوْ الْقَتْلِ. وَدَفَعَ ذَلِكَ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى الْإِعْتِمَادِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ عَلَى الْقَصْفِ الْبَعِيدِ، حَتَّى خَلَّتْ الْمُدُنُ الْهَامَّةُ مِنَ السُّكَّانِ إِلَّا مِنْ الْمُتَعَاوِينَ تَمَامًا مَعَ الْعَدُوِّ، أَوْ الْمُسْتَفِيدِينَ مَادِيًا مِنَ الْوَضْعِ الْقَائِمِ أَوْ عَدِيمِي الْحِيلَةِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا، إِذْ تُوَفِّرُ لَهُمُ الْإِقَامَةَ فِي الْمُدُنِ الْمَأْوَى وَالطَّعَامَ اللَّذِينَ تُسَاعِدُ الْحُكُومَةُ فِي تَوْفُرِهَا لِضَمَانِ وَلَائِ السُّكَّانِ. لِذَلِكَ كَانَتْ شَبَكَاتُ التَّجَسُّسِ الْحُكُومِيَّةِ فِي تِلْكَ الْمُدُنِ رَهِيْبَةً مِنْ حَيْثُ الْكثَافَةُ وَالِدَقَّةُ. وَقَدْ صَدَّرَتِ الْحُكُومَةُ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْجَوَاسِيسِ إِلَى الْمَنَاطِقِ الَّتِي يُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا الْمُجَاهِدُونَ، بَلْ وَاخْتَرَقَتْ مُعْظَمَ الْمَجْمُوعَاتِ الْعَامِلَةِ عَسْكَرِيًّا بِوَاسِطَةِ هَؤُلَاءِ الْوَأَفِدِينَ مِنَ الْمُدُنِ لِلتَّطَوُّعِ فِيهَا، بَلْ حَيَّدَتْ آلَافًا مِنْ سُكَّانِ الْمَنَاطِقِ الْجَبَلِيَّةِ. أَمَّا فِي «بِيشاور» حَيْثُ التَّكَدُّسِ غَيْرِ الْمُنْضَبِطِ لِمَكَاتِبِ الْمُجَاهِدِينَ وَمِائَاتِ الْآلَافِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ شَتَى أَرْجَاءِ الْبِلَادِ، فَكَانَتْ مَرْتَعًا خَصْبًا وَمَجَالًا خَطِيرًا امْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَرْبُ الْإِسْتِخْبَارَاتِ وَأَحْرَزَ فِيهِ الشُّيُوعِيُّونَ الرُّوسُ وَالْأَفْغَانَ انْتِصَارَاتٍ مُخِيفَةً.

١٥ طَلَقَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ:

لَمْ تَعُدَّ الْحَرْبُ كَمَا كَانَتْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَوْمَ كَانَ الْقِتَالُ رَجُلًا لِرَجُلٍ؛
فَالأَسْلِحَةُ الْحَدِيثَةُ جَعَلَتْ النَّاسَ يَتَقَاتِلُونَ بِدُونِ أَنْ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي
مُعْظَمِ الْأَحْوَالِ. وَإِذَا كُنْتَ مُجَاهِدًا فِي إِحْدَى حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ فَإِنَّكَ سَوْفَ
تُعَانِي كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ الْوَضْعِ؛ فَإِنَّتَ سَوْفَ تَتَعَرَّضُ كَثِيرًا لِلْمَهَالِكِ بِدُونِ أَنْ
تُتَاحَ لَكَ الْفُرْصَةُ لِمُشَاهَدَةِ وَجْهِ عَدُوِّكَ أَوْ تُتَاحَ لَكَ الْفُرْصَةُ كَيْ تَعَامِلَهُ بِالْمِثْلِ
إِلَّا عِنْدَمَا تَتَقَدَّمُ بِكَ الْحَرْبُ إِلَى مَرَا حِلِّهَا التَّالِيَةِ وَتَقَعُ فِي حَوْزَتِكَ بَعْضُ
الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ، وَمَعَ هَذَا فَسَوْفَ تُعَانِي حَتَّى نَهَايَةِ حَرْبِكَ الْمُظْفَرَةِ - بِإِذْنِ
اللَّهِ - مِنْ ذَلِكَ الشُّعُورِ بِالْعَجْزِ وَالْإِحْبَاطِ الَّذِي يَتَّبِئُكَ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ مِنْ جَرَاءِ
قَصْفِ الطَّيْرَانِ الْمُفَاجِئِ بِغَارَاتِهِ الْعَنِيفَةِ بِدُونِ أَنْ تَمْلِكَ لَهَا دَفْعًا، أَوْ قَصْفِ
مَدْفِعِيٍّ أَوْ صَارُوخِيٍّ لَا تَدْرِي مَاذَا تَفْعَلُ إِزَاءَهُ سِوَى أَنْ تَتَوَارَى فِي آيَةِ حُفْرَةٍ
أَوْ كَوْمَةٍ مِنَ الصُّخُورِ. وَإِذَا لَمْ تُصَبَّ أَوْ يُصَبَّ أَحَدُ إِخْوَانِكَ فَإِنَّكَ لَا تَلْبَثُ أَنْ
تَشْعُرَ بِالْفَرَحِ وَالْأَمَلِ، وَبِأَنَّكَ سَوْفَ تَتَّصِرُ رُغْمَ كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا إِذَا أُصِيبَ أَحَدُ
إِخْوَانِكَ أَوْ قُتِلَ فَسَوْفَ يَتَّبِئُكَ شَيْءٌ مِنَ الْحُزْنِ وَالْوَهْنِ يَسْتَمِرُّ مَعَكَ فَتَرَةً عَلَى
قَدْرِ قُوَّةِ اِزْتِبَاطِكَ بِالْمُصَابِ وَعَلَى قَدْرِ اِمْتِصَاصِكَ لِلصَّدَمَاتِ، وَهِيَ اِمْتِصَابُ
تَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ. وَلَكِنْ عِنْدَ زَوَالِ الْحَالَةِ فَسَوْفَ يَكُونُ عَسِيرًا
عَلَيْكَ لِلغَايَةِ أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ تِلْكَ الْحَرْبِ حَتَّى تُقَاتَلَ مِثْلَ زَمِيلِكَ أَوْ تَتَّصِرَ عَلَى
عَدُوِّكَ، وَالْأغْلَبُ أَنَّكَ سَوْفَ تَشْهَدُ سَاعَةَ الْاِنْتِصَارِ لِأَنَّ نِسْبَةَ عَدَدِ الشُّهَدَاءِ إِلَى

إِجْمَالِي عَدَدِ الْمُجَاهِدِينَ طَوَالَ الْحَرْبِ تُعْتَبَرُ نِسْبَةً قَلِيلَةً عَلَى عَكْسِ مَا يَتَصَوَّرُ
الْبَعْضُ. وَلَوْ كَانَ الشُّهَدَاءُ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْقُطُونَ فِي سَاحَةِ
الْقِتَالِ فَقَطْ لَكَانَ عَدَدُ الشُّهَدَاءِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَلِيلًا كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ^(١).
عَلَيْكَ إِذَنْ التَّحَلِّي بِالصَّبْرِ، فَهُوَ الصِّفَةُ الْأُولَى فِي الْمُقَاتِلِ الْمُتَّصِرِ، وَالْحَرْبُ
صَبْرٌ سَاعَةٌ كَمَا قَالَ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ١٦٥ (١٩١٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ - بَابُ بَيَانِ
الشُّهَدَاءِ، بَلْفُظٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تُعَدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ
مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِيكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: «وَالْغَرِيقُ
شَهِيدٌ».

(٢) كَيْسَتْ تِلْكَ الْمَقُولَةُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا نُسِبَتْ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ نَسَبَهَا غَيْرٌ وَاحِدٌ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي
مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الْبَطَّالِ مِنْ شُجْعَانِ أَمْرَاءِ الشَّامِيِّينَ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَارِيخِ الْإِسْلَامِ»
(٣/ ٢٦٨) (ط بشار): «وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ: قِيلَ لِلْبَطَّالِ: مَا الشُّجَاعَةُ؟ قَالَ: صَبْرٌ سَاعَةٌ».
وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الشَّهِيرِ الَّذِي رَوَاهُ بِتِلْكَ الزِّيَادَةِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي
مُسْنَدِهِ (٢٨٠٣): «يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غَلِيمٌ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ:
«أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِدُهُ أَمَانُكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَإِذَا سَأَلَتْ،
فَأَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ، فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا
أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ
اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ

فِي الْبِدَايَةِ، بِأَسْلِحَتِكَ الْبِدَائِيَّةِ ذَاتِ الْمَدَى الْقَصِيرِ لَا بُدَّ أَنْ تَبْدُلَ مَجْهُودًا كَبِيرًا حَتَّى يُضْبَحَ الْعَدُوُّ فِي مَرْمَى نِيرَانِكَ لِتَقْتُلَهُ، أَمَّا هُوَ فَيَسْتَطِيعُ قَتْلَكَ وَهُوَ عَلَى بُعْدِ عَشْرَاتِ بَلِّ مِئَاتِ الْكِيلُومِتْرَاتِ. لَقَدْ تَعَرَّضْتُ مَعَ زَمِيلِي «أَحْمَدَ» لِلْقَتْلِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ قَبْلَ أَنْ نُطْلَقَ طَلَقَاتِنَا الْأُولَى وَالْقَلِيلَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ عَلَى نِيرَانِ الْعَدُوِّ الْمُضَادَّةِ الَّتِي لَا تَنَاسَبُ مُطْلَقًا مَعَ طَلَقَاتِنَا، لَا مِنْ حَيْثُ الْعَدَدِ أَوْ مِنْ حَيْثُ الْعِيَارِ، وَلَا مِنْ حَيْثُ الْمُدَّةِ الَّتِي اسْتَعْرَقَهَا الْإِطْلَاقُ.

فِي رِحْلَتِنَا الْأُولَى تِلْكَ أَطْلَقَ كُلُّ مِنَّا خَمْسَةَ عَشَرَ طَلَقَةً فَقَطُّ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ، فِي عَمَلِيَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ. فِي الْعَمَلِيَّةِ الْأُولَى أَطْلَقَ كُلُّ مِنَّا عَشَرَ طَلَقَاتٍ فَقَطُّ، وَعَلَى مَدَى نِصْفِ دَقِيقَةٍ فَقَطُّ، وَرَدَّ عَلَيْنَا الْعَدُوُّ بِالْهَائُونَاتِ ثُمَّ بِالْمِدْفَعِيَّةِ الثَّقِيلَةِ ثُمَّ بِالْهَيْلُوكِبَتْرِ ثُمَّ بِالطَّائِرَاتِ النَّفَّاثَةِ وَعَلَى مَدَى ثَمَانِ سَاعَاتٍ !!. وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَطْلَقَ كُلُّ مِنَّا خَمْسَ طَلَقَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْنَا الْعَدُوُّ بِكُلِّ مَا يَمْتَلِكُ مِنْ أَسْلِحَةٍ رَشَاشَةٍ خَفِيفَةٍ وَمُتَوَسِّطَةٍ ثُمَّ بِالْهَائُونَاتِ مِنَ الْعِيَارَاتِ الْمُتَوَسِّطَةِ وَالثَّقِيلَةِ وَعَلَى مَدَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ فَقَطُّ. وَهَذِهِ مُلَاحَظَةٌ أُخْرَى ثَابِتَةٌ عَلَى طُولِ مُدَّةِ الْحَرْبِ فِي الْأَعْلِيَّةِ الْعُظْمَى مِنَ الْحَالَاتِ، وَهِيَ عَدَمُ

الْفَرَجِ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

التَّاسِبِ بَيْنَ الْفِعْلِ مِنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ وَرَدَّ الْفِعْلِ مِنْ جَانِبِ الْعَدُوِّ،
وَالسَّبَبُ الْأَسَاسِيُّ فِي ذَلِكَ هُوَ حَالَةُ الرَّعْبِ الَّتِي تَتَّبَعُ الْعَدُوَّ، وَهِيَ حَالَةٌ
يَضَعُ بِتَفْسِيرِهَا مَادِيًّا أَوْ حَتَّى بِاسْتِخْدَامِ عِلْمِ النَّفْسِ.

وَقَدْ دَارَ مُؤَخَّرًا حَدِيثٌ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدِ إِخْوَانِنَا الْعَرَبِ «الْمَطَارِيدِ» مِنْ
حَوْلِنَا، وَكَانَ الْحَدِيثُ حَوْلَ مَا جَاءَ مِنْ نُصْرَةِ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ
حَيْثُ كَلَّفَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾
﴿[الأنفال: ١٣]﴾، وَهَذَا هُوَ تَنْكِيلُ الْمَلَائِكَةِ بِالْكَفَّارِ أَثْنَاءَ الْغَزْوَةِ. أَمَّا التَّنْكِيلُ

الْإِلَهِيُّ فَجَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾
﴿[الأنفال: ١٢]﴾. إِنَّ إِلْقَاءَ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ هُوَ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى الْمُبَاشِرِ وَلَيْسَ مِنْ مَهَامِّ الْمَلَائِكَةِ. وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَرَأَى
قَبْلَنَا الْمُجَاهِدُونَ مِنْذُ بَدْرٍ وَحَتَّى الْآنَ، وَسَيَرَى الْمُجَاهِدُونَ الْقَادِمُونَ بَعْدَنَا
ذَلِكَ التَّأثيرَ السَّاحِقَ وَالْمُدْمِرَ لِلرَّعْبِ الَّذِي يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ قَبْلَ
وَأَثْنَاءَ وَبَعْدَ الْمَعْرَكَةِ، وَمَهْمَا قَلَّتْ إِصَابَاتُهُمْ أَوْ كَثُرَتْ. إِنَّ النُّصْرَةَ الْحَقِيقِيَّةَ
لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَأْتِي بِعَامِلَيْنِ:

١. الصَّبْرُ مِنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ، وَهَذَا هُوَ مُهِمَّتُهُمُ الْأُولَى وَالتَّحَدِّي الْأَكْبَرُ
أَمَامَهُمْ.

٢. الرَّعْبُ الَّذِي يُلْقِيهِ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ فَيَعْصِفُ بِهِمْ وَيُدْمِرُ بُيَانَهُمْ.

وَكَلَّا الْعَامِلِينَ مُرْتَبِطٌ بِالْآخِرِ طَرْدِيًّا، فَكَلَّمَا زَادَ صَبْرُ الْمُجَاهِدِينَ تَزَايَدَتْ كَمِيَّةُ الرَّعْبِ الَّتِي تَزَلِزُ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ، وَكَلَّمَا تَزَلَزَتْ صُفُوفُ الْكَافِرِينَ زَادَ صَبْرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَالصَّبْرُ شَأَقٌ جِدًّا عَلَى النَّفْسِ، الصَّبْرُ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْأَخْطَارِ وَطُولِ النَّزَالِ، وَتَرْقُبِ سَاعَةِ النَّصْرِ، وَكَثْرَةِ الْمَصَائِبِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ.

وَهَذَا كُلُّهُ لَا شَيْءٌ بِجَانِبِ الصَّبْرِ عَلَى النَّصْرِ نَفْسِهِ، وَهَذَا مَا رَأَيْنَاهُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَمُعْظَمُ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ صَمَدُوا السَّنَوَاتِ الطُّوَالَ وَكَانُوا أَسَاطِيرَ فِي الْبَطُولَةِ وَالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ، عِنْدَمَا فُتِحَتْ الْمُدُنُ وَالْأَمْصَارُ وَأَقْبَلَتْ الدُّنْيَا طَارُوا إِلَيْهَا وَرَكَّبُوا إِلَيْهَا كُلَّ مَرَكَبٍ وَلَوْ عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ دِمَاءِ إِخْوَانِهِمْ، وَلَوْ بَارْتَكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمُحَرَّمَاتِ وَالْكَبَائِرِ، وَلَوْ بِنُكْرَانِ الْعُهُودِ وَمُمَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَهُجْرَانِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْإِنْقِلَابِ عَلَيْهِمْ، كَمَا حَدَثَ بَيْنَ الْعَرَبِ الْمُجَاهِدِينَ وَقَادَةَ الْأَحْزَابِ وَأَعْوَانِهِمْ عِنْدَمَا جَحَدُوا إِخْوَانَهُمُ الْعَرَبَ وَتَنَكَّرُوا لَهُمْ وَظَاهَرُوا عَلَيْهِمُ الْيَهُودَ وَأَهْلَ الصَّلِيبِ.

هُنَاكَ نَوْعٌ ثَالِثٌ مِنَ الصَّبْرِ، أَعْتَقِدُ أَنَّ زَمَانَهُ قَدْ انْتَهَى، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ عِنْدَ الْعَمَلِ مَعَهُمْ. لِهَذَا الصَّبْرِ أَوْجُهُ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ مَا يَعْنِينَا هُنَا هُوَ الْجَانِبُ الْقِتَالِيُّ لِلْعَمَلِ، فَرُغْمَا عَنْ آيَةِ خُطَّةٍ وَمَهْمَا كَانَ الْقَائِدُ مُتَمَكِّنًا مِنْ عَمَلِهِ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ مَا أَنْ تَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْهَدَفِ حَتَّى يَتَحَكَّمَ

بِهَا «العقل الجماعي»، ورُغمَ عَدَمِ مَعْرِفَتِي الدَّقِيقَةِ بِمَعْنَى هَذَا الْمُصْطَلَحِ، وَلَكِنِّي أَحَاوِلُ عَنِ طَرِيقِهِ أَنْ أَتَفَادَى مُصْطَلَحًا آخَرَ وَهُوَ «رُوحُ الْقَطِيعِ» لِأَنَّهُ قَدْ يُعْطَى دَلَالَاتٍ غَيْرَ مَقْصُودَةٍ^(١).

فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ لَمْ نُشَاهِدْ جِهَازَ لَاسِلِكِي وَاحِدٍ قَبْلَ الْاِسْتِخْدَامِ رُغْمَ أَنَّ عَدَدًا مِنْهَا كَانَ مِنْ ضَمَنِ الْغَنَائِمِ. وَلَكِنَّ الْوَضْعَ تَحَسَّنَ كَثِيرًا بَعْدَ تَدْوِيلِ الْقَضِيَّةِ وَبِالذَّاتِ عِنْدَمَا تَكَثَّفَ التَّوَاجُدُ الْعَرَبِيُّ، وَلِلْعَرَبِ الْفَضْلُ الْأَكْبَرُ فِي تَزْوِيدِ الْمَجْمُوعَاتِ الْقِتَالِيَّةِ مِنَ الْأَفْغَانِ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أَجْهَزَةِ اللَّاسِلِكِي الصَّغِيرَةِ. وَادَّى ذَلِكَ بِالطَّبَعِ إِلَى تَحْسِينِ دَرَجَةِ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَجْمُوعَاتِ بِوَسِطَةِ قِيَادَتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ دَرَجَةُ السَّيْطَرَةِ [قَدْ] ظَلَّتْ أَقْلَ مِنَ الْمُسْتَوَى الْمَطْلُوبِ، أَيَّ أَنْ «العقل الجماعي» ظَلَّ مُتَوَاجِدًا رُغْمَ خُفُوتِ حِدَّتِهِ.

كَانَ لِقَاؤُنَا الْأَوَّلَ مَعَ «العقل الجماعي» غَيْرَ سَارٍّ بِالْمَرَّةِ؛ فَقَدْ فُوجِئْنَا فِي عَصْرِ أَحَدِ الْأَيَّامِ بِخُرُوجِ جَمِيعِ أَفْرَادِ مُعَسِّكِرِنَا بِدُونِ سَابِقِ إِنْذَارٍ، وَحَتَّى بِدُونِ أَنْ يُخْبِرُونِي وَصَدِيقِي بِتَحْرُكِهِمْ صَوَّبَ قَرْيَةَ «دَارًا». تَعَجَّبْنَا مِنَ الْأَمْرِ وَخَرَجْنَا مِنْ شِعْبِنَا الصَّغِيرِ لِنَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، فَوَجَدْنَا أَعْدَادًا كَبِيرَةً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ لَا

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «نَظَرُ الْكِتَابِ الثَّلَاثِ مِنْ سِلْسِلَةِ آدَبِ الْمَطَارِيدِ: مَعْرَكَةٌ

«جَلَالِ أَبَادٍ» أَوْ حَرْبُ الْمُعِيرِ».

نَدْرِي مِنْ أَيْنِ أَتَوْا وَإِلَى أَيْنِ يَسِيرُونَ، وَجَمِيعُهُمْ مُتَوَجِّهٌ بِالْخُطْوَةِ السَّرِيعَةِ نَحْوَ قَرْيَةِ «دَارَا». تَعَرَّفَ عَلَيْنَا أَحَدُ الشَّبَابِ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ بِصُعُوبَةٍ، وَأَشَارَ بِسَبَابَتِهِ فِي اتِّجَاهِ الْقَرْيَةِ وَقَالَ: «جَنَكَ شُرُوعَ»، أَيُّ أَنْ الْحَرْبَ سَوْفَ تَبْدَأُ. تَوَقَّفْتُ وَصَدِيقِي فِي ارْتِبَاكِ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ؟ إِذَا تَحَرَّكْنَا مَعَهُمْ كَانَ تَحَرُّكُنَا بِلَا أَمْرٍ، مَعَ أَنَّا لَا نَعْرِفُهُمْ نَحْوَ هَدَفٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ. وَإِنْ نَحْنُ بَقِينَا فِي الْمَعْسَكِ كَانَ مَنْظَرُنَا مُخْزِيًا فَقَدْ سَارَ الْجَمِيعُ نَحْوَ «الْجَنَكِ» وَقَعَدْنَا نَحْنُ مِنَ الْخَوَالِفِ. قَرَّرْنَا الْمَسِيرَ مَعَ «الْعَقْلِ الْجَمَاعِيِّ» وَمَا هِيَ إِلَّا بَضْعُ مِثَاتٍ مِنَ الْخُطُواتِ صَوَّبَ الْقَرْيَةَ وَسَطَ تَجْمَعٍ ذَكَرَنِي بِنَفْرَةِ الْحَجِيجِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، حَتَّى لَعَاعَ رَشَّاشٌ ثَقِيلٌ يَصُبُّ حُمَمَهُ بَيْنَ صُفُوفِنَا بِطَلَقَاتٍ مُتَفَجِّرَةٍ، انْفَجَرَتْ اثْنَتَانِ مِنْهَا عَلَى مَسَافَةٍ لَيْسَتْ بَعِيدَةً عَنِ قَدَمِي الْيُمْنِيِّ، لَمْ أَدْرِ تَمَامًا أَيْنَ يُوجَدُ ذَلِكَ الرَّشَّاشُ، وَلَكِنِّي ارْتَمَيْتُ إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مُحْتَمِيًا بِبَعْضِ الصُّخُورِ.

نَظَرْتُ حَوْلِي فَإِذَا الْجَمِيعُ قَدْ اخْتَفَوْا، يَحْتَمُونَ بِالصُّخُورِ. جَاءَ صَدِيقُنَا الْجَدِيدُ وَأَشَارَ إِلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَهُ، وَصَعَدَ بِنَا تَلًّا صَغِيرًا ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى مَكَانٍ حَصِينٍ بَيْنَ صُخُورٍ ضَخْمَةٍ وَعِنْدَهُ نَبْعُ مَاءٍ. تَوَالَتْ انْفِجَارَاتُ قَدَائِفِ هَاوِنِ الْعَدُوِّ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ صَدِيقَنَا عَمَّا يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَهُ وَعَمَّا يَنْوِي الْمُجَاهِدُونَ فِعْلَهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ يُفِيدُ. اسْتَمَرَ الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَتَوَافَدَ عَلَيَّ مَوْقِعِنَا حَوْلِي عِشْرُونَ مُجَاهِدًا، فَصَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ جَمَاعَةً ثُمَّ عُدْنَا إِلَى مَرْكَزِنَا وَالْجَمِيعُ يَتَسَامَرُ وَيَضْحَكُ وَنَحْنُ نَتَسَاءَلُ فِي بِلَاهَةِ: «مَاذَا حَدَثَ؟ مَاذَا

حَدَّثَ؟»، فَزَدَّ عَلَيْنَا الزُّمْلَاءُ بِيَسَاطَةِ: «جَنكُ جَنك!»!! سَأَلَنِي صَدِيقِي: «هَلِ
فَهِمَّتْ شَيْئًا؟» فَأَجَبْتُهُ بِأَنِّي مِثْلُ الْأَطْرَشِ فِي الزَّفَةِ. وَاسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْمُعَانَةُ
عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، حَتَّى قَرَّرْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِصُورَةٍ شَبَهَ مُسْتَقَلَّةً. بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ
عَمِلُوا فِي مَرَاجِلَ لِاحِقَةٍ بِصُورَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ تَمَامًا، وَلَكِنْ عَلَى مُسْتَوَى
الاشْتِيَاكَاتِ الْمَحْدُودَةِ، وَلِهَذَا قِصَصُ أُخْرَى.

فِي مَرْكَزِنَا الْجَدِيدِ كُنَّا فِي مَوْقِعٍ يُهْدَدُ مَدْخَلَ «دَارًا» مِنْ الشَّمَالِ حَيْثُ
الطَّرِيقُ الْقَادِمَةُ إِلَيْهَا مِنْ عَاصِمَةِ الْوِلَايَةِ «جَارْدِيز» الْوَاقِعَةَ عَلَى مَسَافَةِ خَمْسَةِ
عَشَرَ كِيلُومِترٍ تَقْرِبًا. وَكَانَ مَوْقِعُنَا الْجَدِيدُ أَكْثَرَ خُطُورَةً عَلَى الْحَامِيَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ
بِالْقَرْيَةِ لِأَنَّهُ يُهْدَدُ طَرِيقَهَا الرَّئِيسِي لِلْإِمْدَادِ وَالْحَرَكَةِ. وَهَذَا مَا بَدَأَ بِهِ مَوْلَايُ
«عَبْدُ الرَّحْمَنِ» عَلَى إِثْرِ تَلْقِيهِ مَعْلُومَاتٍ تُفِيدُ أَنَّ قَافِلَةَ إِمْدَادَاتِ عَسْكَرِيَّةٍ فِي
طَرِيقِهَا مِنْ «جَارْدِيز» إِلَى «دَارًا»، وَأَنَّ الْقَافِلَةَ قَدْ تَحْمَلُ مَعَهَا أَمْوَالًا كَرَوَاتِبِ
لِأَفْرَادِ الْقُوَّةِ وَضُبَّاطِهَا. وَكَانَ مَوْعِدُ تَحْرُكِ الْقُوَّةِ هُوَ الْيَوْمُ التَّالِي عَصْرًا أَوْ
صَبَاحُ الْيَوْمِ الَّذِي يَلِيهِ.

تَحَرَّكَتْ مَجْمُوعَتُنَا بِسُرْعَةٍ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْمُحَدَّدِ عَلَى أَمَلٍ أَنْ تَكْمُنَ
لِلْقَافِلَةِ الْقَادِمَةِ عَصْرًا. وَصَحِبَتْنَا مَجْمُوعَةٌ أُخْرَى مِنَ الْمُجَاهِدِينَ كَانُوا عَلَى
مَسَافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ، فَانْضَمُّوا مَعَنَا فِي نَفْسِ الْبَرْنَامِجِ. رَكِبْنَا سِلْسِلَةَ التَّلَالِ
الْمُشْرِفَةِ عَلَى الطَّرِيقِ، وَالَّتِي تَبْعُدُ عَنْهُ حَوَالِي مَائَتِي مِترٍ، فُوجِئْتُ بِأَنَّ مَوْلَايُ

«عَبْدُ الرَّحْمَنِ» قَدْ وَضَعَ مَدْفَعًا قَصِيرَ السَّبَطَانَةِ بِشَكْلِ مُبَالِغٍ فِيهِ، وَيَتَحَرَّكَ عَلَى عَجَلَاتٍ مِنْ خَشَبٍ صَغِيرَةٍ جَدًّا، وَلَهُ سَاتِرٌ مِنَ الْحَدِيدِ لِحِمَايَةِ الرَّامِي. كَانَ مَظْهَرُ الْمَدْفَعِ غَرِيبًا وَبِدَائِيًّا. سَأَلْتُ عَنْ وَظِيفَتِهِ، فَقَالُوا إِنَّهُ «ضِدُّ الدَّبَابَةِ»، لَمْ أَرَ فِي حَيَاتِي مِثْلَ ذَلِكَ الْمَدْفَعِ لَا قَبْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَا بَعْدَهُ، وَمَا زَالَ بِالنُّسْبَةِ لِي يُمَثِّلُ لُغْرًا عَسْكَرِيًّا يَسْتَعْصِي عَلَى الْفَهْمِ.

لَمْ تَحْضُرِ الْقَافِلَةُ وَأَضْطُرِرْنَا لِقَضَاءِ لَيْلَةٍ عَلَى الصُّخُورِ فِي الْبَرْدِ الْقَارِسِ. فِي الصَّبَاحِ اضْطَحَبْنَا مَوْلَوِيَّ «مُحَمَّدُ سُرُور» مُتْرَجِمُنَا فِي الْمَرْكَزِ إِلَى مَوَاضِعَ جَدِيدَةٍ وَأَبْلَغْنَا بِأَنَّ الْأَوَامِرَ تَقْضِي بَعْدَ إِطْلَاقِ النَّارِ إِلَّا عِنْدَ سَمَاعِ طَلَقَاتِ مَوْلَوِيَّ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» الَّذِي تَقَدَّمَ صَوْبَ الشَّارِعِ الْعَامِّ لِلهُجُومِ عَلَى الْقَافِلَةِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، بَيْنَمَا نَقُومُ نَحْنُ وَآخَرُونَ بِالْإِسْنَادِ وَمَنْعِ عَسَاكِرِ الْحُكُومَةِ مِنْ تَطْوِيقِ الْجَمَاعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ. فِي حَوَالِي التَّاسِعَةِ مَرَّتْ شَاخِحَتَانِ عَسْكَرِيَّتَانِ - أَظُنُّ الْآنَ أَنَّهُمَا كَانَتَا لِحَسِّ النَّبْضِ - وَسَمِعْنَا طَلَقَةً ثُمَّ طَلَقَةً أُخْرَى، وَتَسَاءَلْنَا، هَلْ هِيَ طَلَقَاتُ الْقَائِدِ أَمْ لَا. وَلَمَّا لَمْ نَجِدْ إِجَابَةً أَطْلَقْنَا عَلَى الشَّاخِحَتَيْنِ، وَأَطْلَقَ آخَرُونَ وَلَكِنَّهُمَا اسْتَمَرَّتَا فِي الْمَسِيرِ حَتَّى وَصَلَا الْقَرْيَةَ، وَظَلَّ الْمَوْقِفُ لِنِصْفِ سَاعَةٍ فِي هُدُوءٍ قَاتِلٍ، وَنَحْنُ لَا نَدْرِي مَاذَا بَعْدُ. عَلَى آيَةِ حَالٍ قَضَيْنَا بَاقِي النَّهَارِ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ تَحْتَ نِيرَانٍ لَا تَرَحُّمَ مِنْ جَانِبِ الْعَدُوِّ، شَارَكَتْ فِيهَا جَمِيعُ صُنُوفِ الْأَسْلِحَةِ.

وَكَانَ لِقَاؤَنَا الْأَوَّلَ مَعَ الْهَيْلُوكُبْتَرِ الَّتِي زَنَقْتَنَا فِي حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ تَتَوَسَّطُهَا صَخْرَةٌ عَالِيَةٌ، وَقَدْ شَكَّ الطَّيَّارُ فِي الْمَوْضِعِ وَظَلَّ يَحُومُ فَوْقَهُ عِدَّةَ دَقَائِقَ، بَيْنَمَا أَنَا وَزَمِيلِي قَدْ فَقدْنَا النُّطْقَ. أَمَّا مَوْلَايُ «سُرُورُ» فَقَدْ وَضَعَ طَرْفَ عِمَامَتِهِ الْبَيْضَاءِ لِيُخْفِي بِهَا نِصْفَ وَجْهِهِ وَيُطَالِعَ بِعَيْنَيْهِ مَسَارَ الْهَيْلُوكُبْتَرِ الْعَنِيدَةِ. لَمْ أَتَمَّاكَ نَفْسِي مِنَ الضَّحِكِ؛ لِأَنِّي تَصَوَّرْتُ أَنَّ طَائِفَ الْهَيْلُوكُبْتَرِ يَحْمِلُ مَعَهُ صُورَةَ مَوْلَايُ «سُرُورُ» لِلْبَحْثِ عَنْهُ، بَيْنَمَا هُوَ تَحْتَ الصَّخْرَةِ يَضَعُ قِنَاعًا عَلَى وَجْهِهِ لِيُخْتَفِيَ عَنْهُمْ. وَعِنْدَمَا أَخْبَرْتُهُ عَنْ سَبَبِ ضَحِكِي انْفَجَرَ هُوَ الْآخِرُ ضَاحِكًا بِصَفَاءِ نَفْسٍ عَجِيبٍ. وَمَا أَنْ ابْتَعَدَتِ الْهَيْلُوكُبْتَرُ لِتَصُبَّ نِيرَانَهَا عَلَى تَلِّ قَرِيبٍ، حَتَّى أَطْلَقْنَا الْعَنَانَ لِأَرْجُلِنَا النَّفَّاثَةِ، فَهَبَطْنَا إِلَى مَجْرَى جَدُولٍ، بِجَانِبِهِ جُرْفٌ عَالٍ اخْتَبْنَا تَحْتَهُ بَاقِيَ النَّهَارِ لِنَحْتَمِي مِنْ نِيرَانِ النَّفَّاثَاتِ الَّتِي حَضَرَتْ الْاِحْتِفَالَ، وَنِيرَانِ مِدْفَعِيَّاتِ الْعَدُوِّ الَّتِي لَمْ تَهْدَأْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ.

وَكَانَ أَشَقُّ الْأَعْمَالِ عَلَيْنَا هُوَ آدَاءُ الصَّلَوَاتِ فِي ظِلِّ تِلْكَ الْكُرْبَاتِ وَالْمِحَنِ، أَمَّا عَنْ الطَّعَامِ فَقَدْ نَسِينَاهُ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى الْمُعَسْكَرِ. كَانَ الْجَمِيعُ بِخَيْرٍ، وَفَرِحْنَا بِعَوْدَةِ مَوْلَايُ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» الَّذِي سَرَتْ إِشَاعَةُ بَيْنَنَا وَفَتَ الظَّهِيرَةَ بِأَنَّهُ قَدْ حُوصِرَ. وَكَانَ الْخَبْرُ غَيْرَ صَاحِحٍ كَالْعَادَةِ، كَمَا أَنَّ الطَّلَقَاتِ الَّتِي سَمِعْنَاهَا وَقَرَّرْنَا عَلَى إِثْرِهَا «دُخُولَ الْمَعْرَكَةِ» لَمْ يَكُنْ مَصْدَرُهَا مَوْلَايُ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ»، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَصْدَرَهَا.

وَقَدْ قُتِلَ مُجَاهِدٌ مِنْ أَحَدِ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي هَرَعَتْ نَحْوَ مَكَانِ الْقَصْفِ
كَيْ تُقَدَّمَ الْمُسَاعَدَةُ. أَمَّا الْمَجْمُوعَةُ الْأُخْرَى الَّتِي تَحَرَّكَتْ مَعَنَا فَقَدْ أُصِيبَ
أَحَدُهُمْ بِجُرُوحٍ سَطْحِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَ ثَوْبُهُ قَدْ تَعَطَّى بِالْدَّمِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ بِصِحَّةٍ
جَيِّدَةٍ وَمَرِحًا طَوَّلَ الْوَقْتِ. وَانْتَهَتْ بِذَلِكَ أَوَّلُ تَجْرِبَةٍ قِتَالِيَّةٍ جِهَادِيَّةٍ لَنَا
كَأَعْضَاءِ عَامِلِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ الْكَمِينَ هُوَ الْأَوَّلُ بِالنِّسْبَةِ لَنَا.

لَمْ يُحَقِّقْ الْكَمِينَ الْهَدَفَ مِنْهُ وَهُوَ اعْتِرَاضُ قَافِلَةِ الْعَدُوِّ، وَلَكِنَّ نَجَاتَنَا
كَانَتْ مُعْجِزَةً حَقِيقِيَّةً بَعْدَ أَطْنَانِ الْقَنَابِلِ الَّتِي انْهَالَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا. وَفِي كُلِّ
مَرَّةٍ كَانَتْ النِّجَاةُ هِيَ الْإِنْجَازُ الْأَكْبَرُ بِالنِّسْبَةِ لَنَا حَتَّى انْتَهَتْ الْحَرْبُ عَلَى هَذَا
الْحَالِ رُغْمَ أَنْ كَمَا نَزَّ أُخْرَى كَثِيرَةً كَانَتْ أَكْثَرَ نَجَاحًا مِنْ حَيْثُ إِذَاءِ الْعَدُوِّ.

تَنَاقَصَ عَدَدُ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْمَنْطِقَةِ فَجَاءَتْ بِسَبَبِ اقْتِرَابِ شَهْرِ رَمَضَانَ،
وَبِسَبَبِ رَغْبَةِ بَعْضِهِمْ فِي حُضُورِ مَوْسِمِ حَصَادِ الْقَمَحِ. وَهَذِهِ إِحْدَى الْقَوَاعِدِ
الَّتِي ظَلَّتْ ثَابِتَةً طَوَّلَ حَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ تَأْجِيلَ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَ
الْمُجَاهِدِينَ، حَتَّى الْحَرْبِ، وَلَكِنَّ الْمَوَاسِمَ وَالْمُنَاسَبَاتِ الدِّيْنِيَّةَ فَلَا يُمَكِّنُ
تَأْجِيلَهَا، وَلَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا مَعَ الْأَهْلِ. وَكَانَتْ لِتِلْكَ الْقَاعِدَةِ آثَارٌ مَأْسَاوِيَّةٌ لَا
تُحْصَى، فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ هِيَ مَوَاعِيدُ ثَابِتَةً أَيْضًا لِلْقَوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ
كَيْ تَسْتَرِدَّ مَا فَقَدْتَهُ أَوْ أَنْ تَتَوَسَّعَ فِي مَنَاطِقِهَا. وَغَالِبًا مَا كَانَتْ تَنْجَحُ فِي
مَسَاعَاهَا، وَلَكِنَّ شَيْئًا مِنَ الصَّبْرِ وَبَعْضِ الشُّهَدَاءِ وَالْجَرَاحِيِّ كَانَ الْمُجَاهِدُونَ

يَسْتَعِيدُونَ مَا فَقَدُوهُ!!.

قَرَّرَ مَوْلَايُ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» أَنْ يُهَاجِمَ الْعَدُوَّ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِمَهُ الْعَدُوُّ. وَكَانَتْ خِطَّتُهُ بَسِيطَةً وَلَكِنَّهَا آتَتْ ثِمَارَهَا؛ فَقَدْ أَمَرَ كُلَّ مُجَاهِدٍ أَنْ يَصْعَدَ مُنْفَرِدًا عَلَى أَحَدِ التَّلَالِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى الْمَوَاقِعِ الْحُكُومِيَّةِ فِي «دَارَا» ثُمَّ يَرْمِي عَلَى الْجُنُودِ خَمْسَةَ طَلَقَاتٍ، لَا تَزِيدُ، وَأَنْ تَبْدَأَ الْعَمَلِيَّةَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ قَبْلَ الْغُرُوبِ بِنِصْفِ سَاعَةٍ.

تَمَّ تَنْفِيذُ الْعَمَلِيَّةِ بِنَجَاحٍ، وَمَعْيَارُ النِّجَاحِ هُنَا هُوَ رَدُّ الْعَدُوِّ عَنِ الْهُجُومِ. وَبِالْفِعْلِ لَمْ يُحَاوَلْ أَنْ يَسْتَغْلَّ فِتْرَةَ رَمَضَانَ وَعَيْدِ الْفِطْرِ فِي تَوْسِيعِ نِطَاقِ دِفَاعَاتِهِ أَوْ التَّسَلُّلِ إِلَى الْمَنْطِقَةِ وَتَلْغِيمِهَا إِلَى آخِرِ مَشَارِعِهِ التَّخْرِيْبِيَّةِ. بِالطَّبْعِ شَارَكْتُ مَعَ صَدِيقِي «الْمِنْيَاوِيِّ» فِي تِلْكَ الْعَمَلِيَّةِ، وَمَعَنَا دَلِيلٌ مِنْ الْمُجَاهِدِينَ، فَكُنَّا بِذَلِكَ أَكْثَرَ مَوَاقِعِ الرَّمَايَةِ عَدَدًا. وَقَدْ تَبَّبَهُ الْعَدُوُّ إِلَى ذَلِكَ بِالطَّبْعِ، فَكَانَتْ نِيرَانُ رَشَاشَاتِهِ تَزَارُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِنَا تَمَامًا، وَكُنَّا نَطْلُقُ نِيرَانَنَا مِنْ حَظِّ الْأُفُقِ فَوْقَ الْجَبَلِ، وَقَدْ سَاعَدَ ذَلِكَ الْعَدُوَّ كَثِيرًا عَلَى التَّسَدِيدِ الدَّقِيقِ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ. وَلَمْ نَكَدْ نَفْرُغُ مِنْ طَلَقَاتِنَا الْمُقَرَّرَةِ وَنَتَرَجَعُ قَلِيلًا إِلَى الْخَلْفِ وَنَتَبَادَلُ الْإِبْتِسَامَاتِ حَتَّى بَدَأَتْ قَدَائِفُ الْهَائُونَ تَسَاقُطُ فَوْقَ الْقِمَّةِ، وَكَالْعَادَةِ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الْمُحْرِجَةِ، تَرَكْنَا لِأَرْجُلِنَا الْعِنَانَ كَيْ تَتَصَرَّفَ بِمَا يَلْزَمُ.

وَصَلْنَا إِلَى صَخْرَةٍ ضَخْمَةٍ فِي مَجْرَى سَيْلٍ ضَيِّقٍ، ارْتَمَيْنَا تَحْتَهَا، وَتَوَافَدَ
إِلَيْنَا آخَرُونَ مِنْ إِخْوَانِنَا. لَقَدْ عَادَ الْجَمِيعُ سَالِمِينَ، وَتَوَارَتْ الشَّمْسُ فِي
الْمَغِيبِ، وَظَهَرَ لَنَا هِلَالٌ شَهْرٍ شَعْبَانَ، فَوَقَفَ الْجَمِيعُ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَطْلُبُونَ
النَّصْرَ، وَبَكَى آخَرُونَ مِنَ التَّأَثُّرِ. تَمَنَيْتُ وَقْتَهَا إِلَّا أَعَادِرَ ذَلِكَ الْمَكَانَ وَالْأَ
يَتَحَرَّكَ الْهِلَالُ مِنْ مَوْضِعِهِ، فَلَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ رَأَيْتَهُ بِذَلِكَ الْجَمَالِ.

هَكَذَا كَانَتْ طَلَّقَاتُنَا الْأُولَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنْتُ قَدْ انْتَضَرْتُ سَنَوَاتٍ
طَوَالًا، بَلْ عُمُرِي كُلُّهُ كَيْ أُطْلِقَهَا. وَكُنْتُ أَظْنُهَا سَوْفَ تُطْلَقُ فِي فَلَسْطِينَ،
فَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَمْ نَكُنْ نَتَّصَوَّرُ أَنْ تَوَثَّرَ كِلَا الْقَضِيَّتَيْنِ عَلَى
الْأُخْرَى بِهَذَا الشَّكْلِ، وَخَاصَّةً فِي تَكْوِينِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ.

خَمْسَةَ عَشَرَ طَلَّقَةً فَقَطُّ؟ كُنْتُ وَصَدِيقِي نَتَسَاءَلُ بِدَهْشَةٍ. بَعْدَ كُلِّ هَذَا
الْعَنَاءِ لَمْ نُطْلِقْ سِوَى هَذَا الْعَدَدِ الْقَلِيلِ مِنَ الطَّلَقَاتِ، وَلَمْ يُكْتَبْ لَنَا أَنْ نُشَاهِدَ
وَنُشَارِكَ فِي نَصْرِ كَبِيرٍ عَلَى الْعَدُوِّ. وَفِي مُقَابِلِ كُلِّ طَلَّقَةٍ نُطْلِقُهَا تَلَقَيْنَا مِنْ
الْعَدُوِّ مِائَاتِ الْقَنَابِلِ وَالْآفِ الرَّصَاصَاتِ. وَتَحْيَلْنَا أَنَّنَا نَتَلَقَّى مِنَ الصَّرَبَاتِ أَكْثَرَ
مِمَّا نُوَجِّهُهُ لِلْعَدُوِّ. لَمْ نَسْتَسَلِمْ لِلْإِحْبَاطِ، وَمَا أَكْثَرَ دَوَافِعِهِ الَّتِي قَابَلْتَنَا فِي هَذَا
الطَّرِيقِ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَحَتَّى الْآنَ. تَذَكَّرَ صَدِيقِي حَدِيثًا شَرِيفًا يَقُولُ: «مَنْ

قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ^(١)، وَأَخَذَ يُعْزِي نَفْسَهُ قَائِلًا:
«الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَدْ قَاتَلْتُ فُوقَ نَاقَةٍ».

أَمَّا الْخَمْسَةُ عَشَرَ طَلَقَةً فَلَمْ تَكُنْ قَلِيلَةً كَمَا تَصَوَّرْنَا، بَلْ كَانَ عَدَدًا مُبَالِغًا
فِيهِ بِالنِّسْبَةِ لِمَعَايِيرِ ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ حَيْثُ كَانَ الْمُجَاهِدُ يَأْخُذُ بُنْدُقِيَّتَهُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ
الْقَدِيمَةَ وَعَشَرَ طَلَقَاتٍ، وَيَقْضِي عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ أَشْهُرٍ فِي غَارَاتٍ وَكَمَاثِنٍ،
وَقَدْ يُسْتَشْهَدُ أَوْ يُعَوَّدُ مُحَمَّلًا بِالْغَنَائِمِ. لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْحَيْلُ الْأَوَّلُ يَدْعُو اللَّهُ
وَيَبْكِي قَبْلَ أَنْ يَضْغَطَ الزَّنَادَ لِيُخْرِجَ طَلَقَةً عَلَى الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ عَدَدَ طَلَقَاتِهِ
قَلِيلٌ جِدًّا، وَقَدْ لَا يَجِدُ فُرْصَةً لِتَعْوِيضِ ذَخَائِرِهِ وَمُواصَلَةِ الْجِهَادِ. وَيَوْمَ
الْكَمِينِ الْأَوَّلِ أَطْلَقْتُ وَزَمِيلِي عِشْرِينَ طَلَقَةً مِنْ إِجْمَالِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ طَلَقَةً
كَانَتْ مَعَنَا فِي أَرْبَعَةِ مَخَازِنَ. بَيْنَمَا لَمْ يُطْلَقْ أَكْثَرُ الْمُجَاهِدِينَ [طَلَقَةً وَاحِدَةً]،
وَالَّذِينَ أَطْلَقُوا لَمْ يَسْتَعْدِمُوا أَكْثَرَ مِنْ طَلَقَتَيْنِ، وَمَا كَانَ مَعِي وَزَمِيلِي مِنْ
ذَخَائِرٍ كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يَمْتَلِكُهُ مَعْسُكْرُنَا كُلُّهُ، وَيَسَاوِي اسْتِهْلَاكَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ
الْعَمَلِيَّاتِ لِهَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ النَّشِطَةِ ذَاتِ الشُّهْرَةِ وَالْمَرْهُوبَةِ الْجَانِبِ لَدَى
قُوَّاتِ الْحُكُومَةِ. [انظُرْ الْخَرَائِطَ التَّوْضِيحِيَّةَ ص ٨٥٩]

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٩٧٦٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُورِدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ
الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتِهِ (٦٤١٦)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ».

وَهَذَا جَانِبٌ آخَرٌ مِنَ السَّلْبِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، أَلَا وَهُوَ الْإِسْرَافُ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَقْرِيْبًا، الذَّخَائِرِ، الطَّعَامِ، الْمُهْمَّاتِ، النَّصَائِحِ وَالْإِرْشَادَاتِ بِمُنَاسَبَةٍ وَبِدُونِ مُنَاسَبَةٍ... إلخ. هَذَا إِلَى جَانِبِ أَوْجِهِ الْإِسْرَافِ التَّقْلِيدِيَّةِ، مِثْلَ الْإِسْرَافِ فِي الْخِلَافَاتِ وَالْإِسْرَافِ فِي التَّشَدُّدِ فِي الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْجِدَالِ وَالْإِسْرَافِ فِي تَكْوِينِ الْجَمَاعَاتِ وَالْإِنْشِقَاقِ عَلَيْهَا. ضُرُوبُ الْإِسْرَافِ تِلْكَ كَانَتْ طَافِيَةً عَلَى السَّطْحِ، فَطَغَتْ عَلَى الصُّورَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنْ الْجَمِيعَ قَدْ عَرَفُوا فِي نَفْسِ الْمُسْتَتَقِّعِ بِنَفْسِ الدَّرَجَةِ.

وَلَا أَنْسَى قِصَّةَ ذَلِكَ الْأَفْغَانِيِّ الَّذِي قَابَلْنَاهُ عَلَى الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ بِيَعُ بَقَرَتَهُ وَيَشْتَرِي بِمَنْهَا طَلَقَاتٍ لِبُنْدُقِيَّتِهِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْجِهَادِ، وَقَدْ وَهَبَنِي وَصَدِيقِي مَائَةَ رُوبِيَّةٍ مِنْ ثَمَنِ الْبَقَرَةِ. وَقَدْ وَجَدْنَا حَرَجًا شَدِيدًا فِي قَبُولِ الْهَدِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ لَوْلَا أَنْ مُرَافِقَنَا مَوْلَوِيَّ «مُحَمَّدُ سُرُور» قَالَ إِنَّ قَبُولَهَا وَاجِبٌ فِي الْأَعْرَافِ الْمَحَلِّيَّةِ، فَقَبَلْنَاهَا. إِنَّ الْبَقَرَةَ فِي تِلْكَ الْمَنَاطِقِ الْجَبَلِيَّةِ الْفَقِيرَةِ ثَرَوَةٌ وَمَصْدَرُ رِزْقٍ وَلَقْمَةٌ عَيْشٍ، وَاسْتَبَدَّهَا بِطَلَقَاتٍ بُنْدُقِيَّةٍ هُوَ عَمَلٌ غَنِيٌّ بِالذَّلَالَاتِ، وَيَبْرُرُ الْحِرْصَ الشَّدِيدَ مِنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ فِي اسْتِخْدَامِ طَلَقَاتِهِمْ.

لَقَدْ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ الْمَشْرِقِيَّةُ كَمَا تَغَيَّرَتْ كَثِيرٌ مِنَ الصُّورِ بَعْدَمَا أَوْغَلَتْ الْقِضِيَّةُ فِي التَّدْوِيلِ وَتَعَاظَمَ الدَّوْرُ الْبَاكِسْتَانِيِّ الَّذِي كَانَ رَأْسَ رُمْحٍ

أَمْرِيكِيِّ لِلْعَمَلِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. لَقَدْ أَصْبَحَتْ الذَّخَائِرُ مَجَابِيَةً
وَمُتَوَفَّرَةً بِشَكْلِ جُنُونِيٍّ بِالنَّسْبَةِ لَمَا كَانَ فِي مَقْدُورِ الْمُجَاهِدِينَ أَنْ يُوقِرُوهُ
بِجُهُودِهِمُ الذَّائِيَّةِ وَأَمْوَالِهِمْ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى لِلجِهَادِ، أَيَّ أَيَّامِ الْإِخْلَاصِ
وَالْإِيمَانِ الصَّافِي وَالْمُمَارَسَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الرَّائِعَةِ لِمَعَانِي الْفِدَاءِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ
وَالْبَدْلِ لِلأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِفَاعًا عَنِ دِينِ اللَّهِ. انزَوَتْ تِلْكَ
الْمَعَانِي وَذُبُلَتْ وَكَانَتْ تَنْدَثِرُ تَدْرِيجِيًّا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي أَيَّامِ الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ
إِلَّا شَذَرَاتُ شَاحِبَةٌ وَأَفْرَادٌ قَلَائِلُ تَخَلَّفُوا عَنِ رُكْبِ الْجَشَعِ وَالْمُتَاجِرَةِ بِالدَّمَاءِ،
بَلِ الْمُتَاجِرَةِ بِدِينِ اللَّهِ، وَالْجَرِيِّ وَرَاءَ الدُّنْيَا وَالْمَالِ وَالسَّلَاحِ الَّذِي فَتَحَتْ
خَزَائِنُهُ أَمْرِيكَا وَحُلَفَاؤُهَا عَلَى اخْتِلَافٍ أَصْنَافِهِمْ.

لَقَدْ كَانَ الْهَدَفُ الْأَوَّلُ لِتَوْزِيعِ الذَّخَائِرِ وَالْأَسْلِحَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَهِيَ
السِّيَاسَةُ الَّتِي وَضَعَتْهَا أَمْرِيكَا وَطَبَّقَتْهَا الْمُخَابِرَاتُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ، يَهْدَفُ قَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ إِلَى تَدْمِيرِ الدَّفَاعِ الْعَقَائِدِيِّ لِلْقِتَالِ وَتَحْوِيلِهِ إِلَى تَنَافُسٍ عَلَى الْأَمْوَالِ
وَالْأَسْلِحَةِ وَالزَّعَامَاتِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى كَثْرَةِ مَا يَمْتَلِكُهَا وَيَتَحَكَّمُ فِيهِ الزَّعِيمُ مِنْ
أَمْوَالٍ وَأَسْلِحَةٍ تَأْتِيهِ بِأَوَامِرِ أَمْرِيكِيَّةٍ عَبْرَ قَنَوَاتِ بَاكِسْتَانِيَّةٍ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ -
بَلِ مُعْظَمُهَا- فِيمَا بَعْدُ كَانَتْ تَأْتِي بِأَوَامِرِ أَمْرِيكِيَّةٍ عَبْرَ قَنَوَاتِ سُعُودِيَّةٍ بَعْدَمَا
اسْتَطَاعَتْ حُكُومَةُ الْمَمْلَكَةِ تَكْوِينَ قَنَوَاتِهَا وَأَدْوَاتِهَا الْخَاصَّةِ لِلْعَمَلِ عَلَى
السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَبَعْدَ أَنْ كَانَ الْجِهَادُ مَجَالًا لِلْبَدْلِ وَالْعَطَاءِ أَصْبَحَ مَجَالًا
لِلْأَخْذِ، فَتَوَافَدَ عَلَى سَاحَةِ الْجِهَادِ - الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى الْاقْتِرَابِ

مِنْهَا سِوَى الْأَفْذَادِ [الْمُخْلِصِينَ] - الصَّعَالِيكَ وَقُطَّاعُ الطُّرُقِ وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، وَهَدَفُهُمْ «الْجِهَادُ»، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلْ فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَى أَسْلِحَةٍ وَأَمْوَالٍ وَعَتَادٍ مِنْ يَدِ ضَبَّاطِ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ الَّذِينَ تَنَامَى نُفُودُهُمْ فِي سَنَوَاتِ التَّدْوِيلِ حَتَّى فَاقَ نُفُودَ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، بَلْ إِنَّ رُؤَسَاءَ الْقَبَائِلِ كَانُوا يَتَسَابِقُونَ فِي التَّرَلُّفِ إِلَيْهِمْ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مُسَاعَدَاتٍ أَمْرِيكِيَّةٍ.

وَتَدْرِجِيًّا تَحَوَّلَتْ الْحَرْبُ إِلَى مَصْدَرِ رِزْقٍ لِعَشْرَاتِ الْأَلُوفِ مِنَ الْحَثَالَةِ، لَمْ يَتَوَرَّعْ أَكْثَرُهُمْ [عَنْ] اللَّعِبِ عَلَى كَافَّةِ الْحِبَالِ، فَتَارَةً يَتَمَيِّ لِهَذَا التَّنْظِيمِ الْجِهَادِيِّ، وَتَارَةً إِلَى التَّنْظِيمِ الْآخَرَ وَثَالِثَةً يَنْضَمُّ إِلَى الْحُكُومَةِ. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ لَهُ انْتِمَاءً عَلَنِيًّا، وَعَدَّةً انْتِمَاءَاتٍ سِرِّيَّةٍ لِنُظُمَاتٍ أَوْ حُكُومَاتٍ.

وَكَانَ الْقَادَةُ الْجِهَادِيُّونَ الْكِبَارُ مِنْ زُعَمَاءِ الْأَحْزَابِ أَوْ التَّنْظِيمَاتِ الْمُسَمَّاةِ بِالْجِهَادِيَّةِ هُمْ أَبْرَعُ وَأَسْوَأُ مَنْ لَعِبَ تِلْكَ اللَّعْبَةَ الْقَدْرَةَ، وَظَلُّوا مَعَ هَذَا يَرْفَعُونَ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَيَتَاجِرُونَ بِهَا. وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ فِي مَرَحَلَةِ الْفِتْنَةِ الْحَالِيَّةِ الَّتِي يَلْعَبُونَهَا لِحِسَابِ نَفْسِ الْجِهَاتِ، وَيَقْبُضُونَ مِنْ نَفْسِ السَّادَةِ الَّذِينَ مَوْلَاهُمْ فِي مَرَحَلَةِ «الْجِهَادِ»، أَيْ أَمْرِيكَا وَعَمَلَاءُهَا فِي بَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ.

فِي أَيَّامِ التَّدْوِيلِ لَأَحْظَنَّا الْإِسْرَافَ الشَّدِيدَ فِي اسْتِخْدَامِ الذَّخَائِرِ وَبِدُونِ

أَدْنَى ضَرُورَةٍ. بَلْ ظَهَرَتْ حَالَاتُ سَرِقَةِ الذَّخَائِرِ وَبَيْعِهَا فِي الْأَسْوَاقِ، حَتَّى أَنْ بَعْضَ قِيَادَاتِ الْأَحْزَابِ مَارَسَتْ ذَلِكَ بِلَا خَجَلٍ، فَبَاعَتْ أَسْلِحَةً وَذَخَائِرَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، أَيْ فَوْرَ اسْتِيلَامِهَا مِنْ بَاكِسْتَانَ مِنْ مَخَازِنِ الاسْتِخْبَارَاتِ فِي «إِسْلَامْ أَبَاد» وَ «بِيشَاوَر» وَ «كوبتا» وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَمَاكِينِ الثَّانَوِيَّةِ.

بَعْضُ الْأَحْزَابِ بَرَّرَ ذَلِكَ بِحَاجَتِهِ لِلْمَالِ وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا يَتَبَرَّعُونَ لَهُمْ بَلْ يَتَبَرَّعُونَ لِلْأَحْزَابِ الْأُصُولِيَّةِ. سَوْفَ نَتَكَلَّمُ فِيْمَا بَعْدُ عَنْ تِلْكَ التَّقْسِيمَاتِ الْمَأْسَاوِيَّةِ الْمُضْحَكَةِ، وَلِلْحَقِيقَةِ فَإِنَّ قِيَادَاتِ الْأَحْزَابِ الْغَنِيَّةِ الْأُصُولِيَّةِ الَّتِي انْهَالَتْ عَلَيْهَا التَّبَرُّعَاتُ الشَّعْبِيَّةُ مِنَ الْخَلِيجِ لَمْ تَكُنْ بِحَاجَةٍ لِبَيْعِ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَكِنَّ رِجَالَ الصُّفُوفِ الْخَلْفِيَّةِ فِي الْقِيَادَةِ وَحَتَّى قَادَةَ الْجَبَهَاتِ الصَّغَارِ مُعْظَمُهُمْ كَانُوا دَوْمًا فِي حَاجَةٍ لِبَيْعِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِلارْتِقَاءِ إِلَى مُسْتَوَى قَادَةِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ الَّذِينَ ارْتَقَوْا فِي مَعِيشَتِهِمْ إِلَى مُسْتَوَى مَعِيشَةِ الْمَسْؤُولِينَ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ، وَامْتَلَكُوا الْفِيَلَاتِ وَالسِّيَّارَاتِ الْعَالِيَةَ وَعَشْرَاتِ الْحَرَسِ وَمُخَصَّصَاتٍ عَالِيَةٍ تَصْرِفُهَا لَهُمْ بَاكِسْتَانَ كَمُخَصَّصَاتِ إِعَاشَةِ لِلْقَادَةِ، وَهِيَ مُخَصَّصَاتٌ تَضْمَنُ «تَلْيِينَهُمْ» وَسَحْبَهُمْ بَعِيدًا عَنْ مُعَانَاةِ شُعُوبِهِمْ وَأَحْكَامِ دِينِهِمْ. وَقَدْ نَجَحُوا فِي ذَلِكَ أَيَّمَا نَجَاحٍ، وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى تَفْسِي حَالَاتِ مَنْطِقِيَّةٍ مِنَ الْفَسَادِ فِي أَوْسَاطِ الْمُخَابَرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ «ISI» وَالَّذِينَ كَانُوا مُكَلِّفِينَ بِمَهَامِّ تَوْزِيعِ الْأَسْلِحَةِ. وَكَالْعَادَةِ كَانَ مُعْظَمُهُمْ

[مُرتَينَ]، فالرَّشوةُ تَقْلِيدٌ قَوْمِيٌّ فِي الطَّبَقَةِ البِירוُقْرَاطِيَّةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ بِجَمِيعِ مُسْتَوِيَاتِهِمُ العُلْيَا وَالسُّفْلَى. وَقَدْ تَقَاسَمَ هَؤُلَاءِ نِسْبَةً مِنْ عَوَائِدِ بَيْعِ المِهْمَاتِ العَسْكَرِيَّةِ مِنْ أَسْلِحَةٍ وَذَخَائِرٍ مَعَ قِيَادَاتِ الأَحْزَابِ وَالقِيَادَاتِ المِيدَانِيَّةِ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ، حَتَّى أَنْ بَعْضُهُمْ أَشْرَفَ عَلَى بِنَاءِ مَخَازِنَ عِبَارَةً عَنْ مَعَارَاتِ صُخْمَةٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لِتَخْزِينِ تِلْكَ المَسْرُوقَاتِ ثُمَّ طَرَحَهَا لِلبَيْعِ فِي الأَسْوَاقِ القَبَلِيَّةِ وَتَقَاسَمَ الرِّبْحَ مَعَ قِيَادَاتِ أَفْغَانِيَّةِ «جِهَادِيَّةِ». وَفِي نِهَآيَةِ الحَرْبِ قَامَ هَؤُلَاءِ بِخِدْعَةٍ أُخْرَى إِذْ طَلَبُوا مِنْ بَعْضِ القِيَادَاتِ إِعَادَةَ تَسْلِيمِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَخَائِرٍ وَأَسْلِحَةٍ كَانُوا قَدْ اسْتَلَمَوْهَا سَابِقًا وَبَقِيَتْ لَدَيْهِمْ حَتَّى انْتَهَتْ الحَرْبُ. وَانْتَهَى ذَلِكَ بِمَسَاوِمَاتٍ تِجَارِيَّةٍ وَدَفْعِ كَمِيَّةٍ مِنْ الأَمْوَالِ لَهُؤُلَاءِ الصُّبَّاطِ العِظَامِ مِنَ المُخَابِرَاتِ العَسْكَرِيَّةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ.

وَمَعَ كُلِّ مَخَازِينِهِمْ لَمْ يَسْتَحِ هَؤُلَاءِ كَمَا لَمْ يَسْتَحِ سَادَتُهُمُ الأَمْرِيكَانُ مِنَ الِادِّعَاءِ بِأَنَّهُمْ أَبْطَالٌ فَتَحَ «كَابُلُ» وَتَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَقَدْ أُصْدِرَ أَحَدُهُمْ كِتَابَيْنِ حَوْلَ هَذَا المَعْنَى^(١)، وَقَدْ صَوَّرُوا مَخَازِينَهُمْ فِي صُورَةِ بُطُولَاتٍ، وَصَادَرُوا بُطُولَاتِ القِلَّةِ الَّتِي ظَلَّتْ مُخْلِصَةً فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَمَا أَجْرَاهُ اللهُ مِنْ فُتُوحَاتِ

(١) قَالَ الشَّيْخُ المُجَاهِدُ أَبُو الوَلِيدِ المِصْرِيُّ مُعَلِّقًا: «هُوَ العَمِيدُ «مُحَمَّدُ يُوْسُفُ» الَّذِي تَوَلَّى قِسْمَ أَفْغَانِسْتَانَ فِي المُخَابِرَاتِ البَاكِسْتَانِيَّةِ فِيمَا بَيْنَ ١٩٧٩-١٩٨٦ م، ثُمَّ أُصْدِرَ كِتَابَيْنِ هُمَا «المُجَاهِدُ الصَّامِتُ» وَ«فَتْحُ الدُّبِّ» وَهُوَ الكِتَابُ الأَهْمُ، وَسَوْفَ نُنَاقِشُ لَاحِقًا بَعْضَ مَا جَاءَ فِيهِ».

عَلَى أَيْدِيهِمْ عَلَى أَنَّهَا إِنْجَازَاتُ الْمُرْتَشِينَ مِنْ خَدَمِ الصَّلِيبِيَِّّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.
 كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا، فَإِنَّ مُشْكِلَةَ الذَّخَائِرِ أَعْقَدُ مِنْ مُشْكِلَةِ السَّلَاحِ، وَالْحُصُولِ
 عَلَى كِلَيْهِمَا مُمَكِّنٌ وَضُرُورِيٌّ أَثْنَاءَ الْمَعَارِكِ وَمِنْ أَيْدِي جُنُودِ الْعَدُوِّ. هَذِهِ
 إِحْدَى الْقَوَاعِدِ الْجَوْهَرِيَّةِ لِلْحُرُوبِ الْجِهَادِيَّةِ «حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ». وَكَمَا
 لَأَحْظَنًا أَيْضًا فَإِنَّ الْحُصُولَ عَلَى الذَّخَائِرِ يَتِمُّ بِوَتِيرَةٍ أَقَلِّ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى
 السَّلَاحِ؛ لِذَا لَزِمَ الْعَمَلُ بِحِكْمَةٍ فِي اسْتِهْلَاكِهَا، وَهَذَا يَأْتِي مِنْ دِقَّةِ التَّخْطِيطِ
 وَرَفَعِ مُسْتَوَى تَدْرِيبِ الْأَفْرَادِ. وَمِنْ دِقَّةِ التَّخْطِيطِ عَدَمُ مُهَاجِمَةِ أَهْدَافِ عَقِيمَةٍ،
 أَيْ تَسْتَهْلِكُ ذَخَائِرَ بَدُونِ أَمَلٍ فِي الْحُصُولِ عَلَى غَنَائِمٍ، مَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ
 الْأَهْدَافُ ذَاتَ قِيمَةٍ حَيَوِيَّةٍ فِي ذَاتِهَا مِثْلَ اغْتِيَالِ قِيَادَاتِ الْعَدُوِّ، أَوْ تَدْمِيرِ
 مُنْشَأَتِ ذَاتِ قِيمَةٍ عَالِيَةٍ لِلْمَجْهُودِ الْعَسْكَرِيِّ كَالْجُسُورِ وَالْمَطَارَاتِ، وَكَثِيرًا مَا
 يَكُونُ الْحُصُولُ عَلَى الذَّخَائِرِ هُوَ الْهَدَفُ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ.



مَخَاطِرُ الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ:

تُجْمَعُ كُتُبُ الْعِصَابَاتِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ خَارِجَ الْحُدُودِ، وَالتِّي
 تُوفَّرُ لِرِجَالِ الْعِصَابَاتِ خَلْفِيَّةً إِدَارِيَّةً أَمْنَةً وَإِمْدَادًا مُنْتَظَمًا مِنَ السَّلَاحِ وَالطَّعَامِ.
 وَالَّذِي لَمْ أَجِدْهُ مَذْكَورًا فِي أَيِّ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاجِعِ هُوَ أَنَّ لِتِلْكَ الْأَرْضِ
 الصَّدِيقَةِ سَلْبِيَّاتٍ وَرُبَّمَا آثَارًا مُهْلِكَةً عَلَى حَرْبِ الْعِصَابَاتِ؛ فَحَرْبُ الْعِصَابَاتِ

لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَتَخَطَّى النُّظَامَ السِّيَاسِيَّ الْقَائِمَ عَلَى الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ، أَوْ تَتَجَاهَلَ مَصَالِحَهُ الْحَيَوِيَّةَ، وَلَا أَنْ تَتَأَخَّرَ عَنِ سَدَادِ الْفَوَاتِيرِ سِوَاءَ حَدَثِ نَصْرٍ أَوْ تَمَّتْ نَسْوَئِيَّةٌ أَوْ ائْتَدَحَرَتْ الْحَرَكَةُ، فِي كُلِّ الْحَالَاتِ هُنَاكَ دَيْنٌ وَاجِبُ السَّدَادِ وَلَا يُمَكِّنُ الْإِفْلَاتُ مِنْهُ. تِلْكَ قَاعِدَةٌ جَوْهَرِيَّةٌ وَمَنْطِقِيَّةٌ، وَكَمْ كُنَّا - كَمُسْلِمِينَ - فِي عَقْلَةٍ وَتَعَامٍ بَلْ وَبَلَاهَةٍ عِنْدَمَا تَحْيَلْنَا أَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

وَقَدْ دَفَعَ الْأَفْغَانَ وَيَدْفَعُونَ حَتَّى الْآنَ الْفَوَاتِيرَ الْوَاجِبُ سَدَادُهَا لِبَاكِسْتَانَ، خَادِمِ الصَّلِيبِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي الْمَنْطِقَةِ، كَمَا يُسَدِّدُونَ الْآنَ أَيْضًا الْفَوَاتِيرَ لِلْسَيِّدِ الْأَمْرِيكِيِّ فِي الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ الَّذِي يُدِيرُ الْعَالَمَ عَبْرَ مَوْسَسَتِهِ الْمُسَمَّاةِ زُورًا وَبُهْتَانًا بِالْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ. وَمَوْسَسَاتُ تِلْكَ «الْأُمَّمِ» هِيَ الْأَقْوَى نَفُودًا فِي أَفْغَانِسْتَانَ حَالِيًا مِنْ كُلِّ الْمُنْتَظَّمَاتِ وَجَمِيعِ الشَّخْصِيَّاتِ مَهْمَا كَانَ مَرْكَزُهَا. فَالْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ تَدَارُ أَوَّلًا وَأَخِيرًا مِنَ الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ مَعَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْقَنَوَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ أَوِ الْمُهْتَمَّةِ مِنْ هَيْئَةِ الْأُمَّمِ وَحُكُومَةِ بَاكِسْتَانَ وَإِيرَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ وَحَتَّى الْحُكُومَاتِ الْوَرَقِيَّةِ فِي طَاجِكِسْتَانَ وَأُوزْبِكِسْتَانَ.

وَلَكِنْ بَدُونَ الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ مِنْ أَيْنَ لِلْمُجَاهِدِينَ بِالذَّخَائِرِ؟. كَمَا ذَكَرْنَا فَإِنَّ الْأَرْضَ الصَّدِيقَةَ هِيَ فِي الْوَاقِعِ أَرْضُ سَيْطَرَةٍ وَهَيْمَنَةٍ عَلَى الْحَرَكََةِ سِوَاءَ حَرْبِ عِصَابَاتٍ أَوْ حَرْبِ عَقَائِدِيَّةٍ جِهَادِيَّةٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَطَابُقًا فِي أَهْدَافِ الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ وَأَهْدَافِ الْحَرَكََةِ الْجِهَادِيَّةِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَرْتَكِزَ

حَرَكَةً جِهَادِيَّةً عَلَى أَرْضِ صَدِيقَةٍ غَيْرِ جِهَادِيَّةٍ، عِلْمَانِيَّةٍ أَوْ اسْتِرَاجِيَّةٍ أَوْ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ... إلخ.

وَالَّذِي حَدَّثَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هُوَ أَنَّ الْحَرَكَةَ الْجِهَادِيَّةَ كَانَتْ هَكَذَا بِالاسْمِ فَقَطُّ عَلَى مُسْتَوِيَّاتِ الْقِيَادَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي حَقِيقَتِهَا قِيَادَاتٍ مُتَطَابِقَةً تَمَامًا مَعَ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ فِي الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ «بَاكِسْتَانَ»، الَّتِي كَانَتْ وَمَا زَالَتْ ذَاتَ حُكُومَةٍ تَضَعُ نَفْسَهَا فِي خِدْمَةِ «الصَّلِيبِ الْأَمْرِيكِيِّ»، وَكَانَتْ نَشْأَتُهَا بِفِعْلِ وَتَخْطِيطِ الصَّلِيبِ الْبْرِيْطَانِيِّ الَّذِي كَانَ يَحْتُلُّ الْهِنْدَ الَّتِي كَانَتْ مُسْلِمَةً لِعِدَّةِ قُرُونٍ قَبْلَ الْاِحْتِلَالِ الصَّلِيبِيِّ الْبْرِيْطَانِيِّ لَهَا.

بِاخْتِصَارٍ فَإِنَّ قِيَادَاتِ الْأَحْزَابِ الْمُسَمَّاةِ «جِهَادِيَّةً» الَّتِي تَمَرَّكَزَتْ فِي بَاكِسْتَانَ كَانَتْ جَمِيعُهَا - بِحُكْمِ تَارِيخِهَا وَالْأَمْرِ الْوَاقِعِ لَهَا - قِيَادَاتٍ عَمِيلَةٌ تَضَعُ نَفْسَهَا بِالْكُلِّيَّةِ فِي خِدْمَةِ «الصَّلِيبِ الْأَمْرِيكِيِّ» وَتَخْدَعُ الْمُسْلِمِينَ وَتَخْدَعُ شَعْبَهَا بِشَعَارَاتِ الْإِسْلَامِ الَّتِي كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا أَوَّلُ مَنْ يُخَالِفُهَا فِي التَّطْبِيقِ. وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَعَامَوْا وَكَذَّبُوا أَعْيُنَهُمْ وَأَادَانَهُمْ وَطَمَسُوا عُقُولَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَتَمَنَّوْا الْأَوْهَامَ أَنْ تَكُونَ حَقَائِقَ حَتَّى سَطَعَتْ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ سَتَائِرِ الْكُذْبِ الْكَثِيفَةِ. فَمُنْذُ أَنْ فُتِحَتْ «كَابُل» لَمْ يَكُنْ خَافِيًا عَلَى ذِي عَيْنَيْنِ أَيَّ قِيَادَاتٍ كَانَتْ تَقُودُ الشَّعْبَ الْمُسْلِمَ الْمُجَاهِدَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَإِلَى أَيِّ مَدَى أُوْدَتْ غَفْلَتُنَا - نَحْنُ أَنْصَارُ الْجِهَادِ - بِمُسْتَقْبَلِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ

وَمَنْطِقَةٍ وَسَطِ آسِيَا، بَلْ وَالْعَالَمِ. وَأَتَحْنَا الْفُرْصَةَ لِعَدُوِّنَا الصَّلِيبِيِّ كَيْ يُسَخِّرَنَا
لِخِدْمَةِ مَصَالِحِهِ، بَلْ وَلِلْإِضْرَارِ بِمَصَالِحِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ.

لَقَدْ سَاعَدْنَا بِدِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا الصَّلِيبِيَّةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ عَلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا
الْحَيَوِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ حَتَّى صَارَتْ الْحَاكِمَ الْأَوْحَدَ لَهُ، وَالْحَقْنَا الضَّرَرَ
بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، وَسَاعَدْنَا أَمْرِيكَا وَالْيَهُودَ عَلَى إِحْقَاقِ الضَّرْرِ
بِسُمْعَةِ الْإِسْلَامِ وَسُمْعَةِ الْجِهَادِ وَالصَّاقِ الصِّفَاتِ الْقَبِيحَةِ بِالْمُجَاهِدِينَ
وَالْمُسْلِمِينَ عَامَّةً. لَا يَعْنِي ذَلِكَ قَطْعًا بِأَنَّ تِلْكَ هِيَ كُلُّ الْحَصِيلَةِ الْخِتَامِيَّةِ
لِجِهَادِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَمُشَارَكَةِ عَرَبِيَّةِ طَوِيلَةٍ فِي هَذَا الْجِهَادِ
مَعَ دِمَاءٍ مَا لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسِمِائَةِ شَابِّ عَرَبِيِّ. هُنَاكَ الْجَانِبُ الْمُضِيءُ
وَالْمُشْرِقُ لِهَذَا الْجِهَادِ، وَلِذَلِكَ مَوَاضِعٌ أُخْرَى.

وَمَا يَهْمُنَا الْآنَ هُوَ ضَرُورَةُ اسْتِقْلَالِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ عَنِ الْأَرْضِيِّ
الْمُحِيطَةِ بِهِ، مَهْمَا بَدَتْ صَدِيقَةً، وَمَهْمَا حَاوَلْتَ التَّرْلُفَ أَوْ تَقْدِيمَ التَّسْهِيلَاتِ
الَّتِي تُشْبِهُ جُرْعَاتِ الْمَوَادِّ الْمُخَدَّرَةِ، ثُمَّ مَا تَلَبَّثُ قِيَادَاتُ الْحَرَكَةِ أَنْ تَتَعَوَّدَ عَلَيْهَا
حَتَّى يَصْعُبَ التَّحَلِّيُّ عَنْهَا ثُمَّ تَرْضَخَ لِلشُّرُوطِ وَتَتَحَوَّلَ إِلَى تَابِعٍ ذَلِيلٍ لِهَوْلَاءِ
الْأَصْدِقَاءِ، إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ تَطَابُقًا عَقَائِدِيًّا - سِيَاسِيًّا مَعَهُمْ.

الْغَنَائِمُ مِنْ أَهَمِّ الْأَبْوَابِ الشَّرْعِيَّةِ لِتَحْقِيقِ اسْتِقْلَالِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ، وَهُوَ
الْمَدْخَلُ الشَّرْعِيُّ وَالْعَمَلِيُّ لِتَفَادِي السُّقُوطِ فِي فَخِّ «الْأَصْدِقَاءِ» مِنْ عَمَلَاءِ

«الصَّلِيبِ السِّيَاسِيِّ». الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ فِي الْغَنَائِمِ لَمْ يَتِمَّ تَطْبِيقُهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ، هَذَا بِشَكْلِ عَامٍّ. وَلَكِنْ حَدَثَ كَثِيرًا أَنْ تَمَّ تَوْزِيعُ الْغَنَائِمِ بِشَكْلِ صَاحِحٍ بَيْنَ أَفْرَادِ مَجْمُوعَةٍ مَّا، وَلَكِنَّ الْمَجْمُوعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ كَانَ يَحْكُمُهَا قَانُونُ الْأَعْتِصَابِ وَالْعُلُولِ؛ فَلِكُلِّ مَجْمُوعَةٍ الْحُرِّيَّةُ فِي اخْتِيارِ مَا تَسْتَطِيعُ بِالْكَفِيَّةِ الْمُتَاحَةِ، فَتَحَوَّلَ مَسْرُحُ الْجِهَادِ إِلَى سَاحَةِ لِتَصَارُعِ الذُّنَابِ الْبَشَرِيَّةِ. لَقَدْ بَدَأَتْ تِلْكَ الْمُسْكَلَةُ مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى وَتَنَامَتْ حَتَّى وَصَلَتْ قِمَّتَهَا الْمَاسَاوِيَّةَ بِنِهَآيَةِ الْفَتْحِ وَسُقُوطِ النَّظَامِ الشُّيُوعِيِّ.

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَبَلِيَّةَ نِظَامٌ قَوِيٌّ عَمِيقُ الْجُذُورِ فِي أَعْمَاقِ تَارِيخِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ. وَلِتِلْكَ الْقَبَلِيَّةِ قَوَانِينُهَا الَّتِي تَأَثَّرَتْ كَثِيرًا بِالْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ مَا زَالَتْ لَهَا أَعْرَافٌ وَقَوَانِينٌ مُخَالَفَةٌ لِلتَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ مَا يَخْتَصُّ بِحُقُوقِ الْمَرْأَةِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُعَامَلَاتِ مَعَ الْآخَرِينَ، فَالْمُجْتَمَعُ الْأَفْغَانِيُّ شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَى الْأَعْرَاضِ عَظِيمِ الْغَيْرَةِ عَلَيْهَا، وَهَذَا شَيْءٌ إِيْجَابِيٌّ يَتَّفِقُ مَعَ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى لَا يُعْطِي الْمَرْأَةَ حُقُوقَهَا الَّتِي كَفَلَهَا الْإِسْلَامُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْمَهْرِ وَالْمُؤَافَقَةِ عَلَى اخْتِيَارِ الزَّوْجِ. أَمَّا مُعَامَلَةُ الْغَيْرِ فَإِنَّ الْعَادَاتِ الْقَبَلِيَّةَ الْقَدِيمَةَ هِيَ قَطْعُ الطَّرِيقِ وَالسَّلْبُ وَالنَّهْبُ وَعُدْوَانُ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْبُعْدُ عَنْ رُوحِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ إِذَا كَانَ الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ مُمَكِّنًا.

لَقَدْ كَانَتْ النَّظْرَةُ الْعَامَّةُ إِلَى الْغَنَائِمِ عَلَى أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ النَّهْبِ الْمُبَاحِ شَرْعًا. وَهَنَا تَحَرَّكَتْ شَهْوَةُ السَّلْبِ وَالسَّطْوِ فِي الرُّوحِ الْقَبَلِيَّةِ، ظَهَرَتْ بِرِدَائِ إِسْلَامِيٍّ شَرْعِيٍّ، فَصَارَتْ أَكْثَرَ خُطُورَةٍ. لَقَدْ نَتَجَ عَنْ ذَلِكَ مِثَاتُ الصَّدَامَاتِ وَفَشَلَتْ عَشْرَاتُ الْمَعَارِكِ، وَلَكِنْ الْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ ضَيَاعُ هَذَا الْمَوْرِدِ الشَّرْعِيِّ الْهَامِّ لِتَمْوِيلِ الْجِهَادِ، وَسُقُوطِ الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ نَفْسَهَا فِي يَدِ الْمُمَوَّلِينَ مِنْ أَصْدِقَاءِ الصَّلِيبِيِّ الْأَمْرِيكِيِّ مِنْ بَاكِسْتَانِيِّينَ وَعَرَبِ الْحُكُومَاتِ.

بِالتَّدرِجِ بَدَأَ نَوْعٌ مِنَ التَّخَصُّصِ الْوِظِيْفِيِّ، فَالْبَعْضُ يُقَاتِلُ إِذَا كَانَ يَرَى ذَلِكَ ضَرُورِيًّا وَآخَرُونَ يَخْطِفُونَ الْغَنَائِمَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. وَحَتَّى لَا يُوصَمَ الصَّنْفُ الْأَخِيرُ بِالنِّفَاقِ وَهُوَ مُصْطَلَحٌ شَرْعِيٌّ كَانَ شَائِعًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْصِفِ هُوَ لَا مِنْ «الْجِنْسِ الثَّلَاثِ» بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْكَفَّارِ «الشُّيُوعِيِّينَ»، وَكَانَ وَصْفًا مُسْتَقْدَرًا، كَانَ الْحَلُّ أَنْ يَنْضَمَّ هُوَ لَا «الْخَطَافَةَ» إِلَى مُنْظَمَاتٍ جِهَادِيَّةٍ كَانَتْ تَكْفِي لِاسْتِيعَابِ كُلِّ مَا هُوَ مُتَاحٌ مِنْ أَمْثَالِ هُوَ لَا.

كَانَ عَدَدُ الْمُنْظَمَاتِ دَائِمًا فِي ازْدِيَادٍ وَاسْتِيعَابُهَا لِأَيِّ صَنْفٍ وَجِنْسٍ مِنَ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ ضَوَابِطُ سِوَى التَّنَافُسِ الْحِزْبِيِّ وَالشَّخْصِيِّ وَالْقَبَلِيِّ الْعِرْقِيِّ وَجَمِيعِ الْخَبَائِثِ وَالْأَتْنَانِ الْأُخْرَى. كَانَ هُنَاكَ دَوْمًا فِي كُلِّ تَنْظِيمٍ أَنْاسٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِيهِ أَيْضًا عَدَدٌ أَكْبَرُ مِنَ الْخَطَافَةِ. وَهُنَاكَ مَنْ يُمَارِسُ كِلَا الْعَمَلَيْنِ حَسَبَ الْأَحْوَالِ وَالظَّرُوفِ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ هِيَ الَّتِي أَثَارَتْ دَهْشَتَنَا

أَكْثَرَ مِنْ سَابِقَتَيْهَا.

وَفِي الْجَبْهَةِ تَجِدُ كُلَّ تَنْظِيمٍ يَتَّهَمُ التَّنْظِيمَ الْأَخْرَبَانِيَّ تَرَكَ الْجِهَادَ وَتَخَصَّصَ فِي «الْخَطْفِ» أَيِ الْعُلُولِ. وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ لِأَنَّ الصُّفُوفَ كَانَتْ دَوْمًا مُخْتَلَطَةً كَمَا ذَكَرْنَا، وَالْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ كَانَتْ مُتَوَاجِدَةً دَائِمًا فِي كُلِّ تَنْظِيمٍ، مَعَ اخْتِلَافِ نِسْبَةِ التَّرْكِيبِ مِنْ مَنَاطِقَ إِلَى أُخْرَى، فَقَدْ يَغْلُبُ الصَّلَاحُ عَلَى مَجْمُوعَاتِ تَنْظِيمٍ مُعَيَّنٍ فِي مَنَاطِقَ مُحَدَّدَةٍ، وَقَدْ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي مَنَاطِقَ أُخْرَى رُبَّمَا كَانَتْ قَرِيبَةً مِنَ الْأُولَى.

أَوَّلُ مَا لَمَسْنَا مُشْكَلَةَ الْغَنَائِمِ كَانَ مِنْ خِلَالِ مَوْقِفِ فُكَاهِيَّ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخَطَّى كُلُّ مِنْهُمَا السُّتَيْنِ، وَهُمَا أَصْدِقَاءُ طُفُولَةٍ، وَلَكِنَّهُمَا اخْتَلَفَا عَلَى غَنِيمَةٍ كَانَتْ صُنْدُوقَ ذَخَائِرٍ صَغِيرٍ. عِنْدَمَا لَقِينَاهُمَا فِي قَرْيَةٍ جَبَلِيَّةٍ عَادَ مُجَاهِدُوهَا مِنْ مَعْرَكَةٍ مَعَ قُوَّاتِ الْحُكُومَةِ، فَقَدُوا فِيهَا ثَلَاثَ شُهَدَاءٍ، مِنْهُمْ رَئِيسُ الْقَرْيَةِ الَّذِي كَانَ يَقُودُ الْمَجْمُوعَةَ، وَأَحَدُ الشُّهَدَاءِ الثَّلَاثَةِ حَطَّمَ ضَابِطُ شُيُوعِي رَأْسَهُ بِحَجَرٍ عِنْدَمَا عَثَرَ عَلَيْهِ جَرِيحًا. كَانَتْ الْقَرْيَةُ تُلْمَلِمُ أَحْزَانَهَا، وَلَكِنَّ الصَّدِيقَيْنِ الْعُجُوزَيْنِ ظَلَّا يَبْحَثَانِ مُشْكَلَةَ صُنْدُوقِ الدَّخِيرَةِ. بَعْدَ أَنْ رَحَّبَا بِنَا قَصًّا عَلَيْنَا قِصَّةَ الْخِلَافِ، وَهِيَ أَنَّهُمَا فِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ الْأَخِيرَةِ شَاهَدَا صُنْدُوقَ الدَّخِيرَةِ الْحَدِيدِيِّ سَاقِطًا قُرْبَ شَاحِنَةٍ مُشْتَعَلَةٍ، وَكَانَ هُنَاكَ ضَابِطُ يَرْمِي نِيرَانًا شَدِيدَةً مِنْ رَشَاشٍ يَحْمِلُهُ. وَاتَّفَقَ الصَّدِيقَانِ عَلَى خُطَّةٍ، الْأَوَّلُ يَنَاقِشُ الضَّابِطَ

بِالنَّيْرَانِ وَالثَّانِي يَتَسَلَّلُ وَيَخْطَفُ الصُّنْدُوقَ. وَبِالْفِعْلِ نَفَذَ الصَّدِيقَانِ الْخُطَّةَ
بِنَجَاحٍ كَامِلٍ، وَلَكِنَّهُمَا وَلِعِدَّةِ أَيَّامٍ لَمْ يَسْتَطِيعَا الْإِتِّفَاقَ عَلَى مِلْكِيَّةِ الصُّنْدُوقِ،
فَالَّذِي تَسَلَّلَ وَخَطَفَ الصُّنْدُوقَ ادَّعَى مِلْكِيَّتَهُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَاطَرَ بِحَيَاتِهِ
وَأَحْضَرَ الصُّنْدُوقَ، أَمَا صَدِيقُهُ فَأَرَادَ التَّفْسِيمَ مُنَاصَفَةً لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ تَعْطِيَتَهُ
لِصَدِيقِهِ كَانَتْ أَسَاسِيَّةً فِي الْحُصُولِ عَلَى الصُّنْدُوقِ، وَلَوْلَاهَا لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ
يَتَقَدَّمَ، وَلَوْ حَاوَلَ التَّقَدُّمَ بِدُونِ تَعْطِيَةِ لَكَانَ الْآنَ فِي عِدَادِ الشُّهَدَاءِ.

الطَّرِيفُ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَقَابَلَانِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلِّ يَوْمٍ، كَعَادَتِهِمَا مِنْذُ
عَشْرَاتِ السِّنِينَ، وَلَا يَفْتَرِقَانِ إِلَّا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالذَّهَابِ إِلَى النَّوْمِ،
وَطَوَالَ الْوَقْتِ يَبْحَثَانِ نَفْسَ الْمَوْضُوعِ، وَيَدُونِ أَدْنَى بَادِرَةٍ غَضِبٍ أَوْ مَلَلٍ أَوْ
حِدَّةٍ. وَكُلَّمَا أُتِيحَتْ لَهُمَا فُرْصَةٌ تَوْسِيعِ الْمُنَاقَشَةِ وَاشْتِرَاكِ الْآخَرِينَ فَإِنَّهُمَا
يُرْحَبَانِ بِذَلِكَ وَيَبْدَأُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي سَرْدِ حُجَّتِهِ، وَلَمْ يَحْدُثْ أَبَدًا أَنَّهُمَا قَبْلًا أَيَّ
حُكْمٍ، فِدَائِمًا أَحَدُهُمَا يَقْبَلُ وَالْآخَرُ يَرْفُضُ، حَتَّى تَرَكْنَاهُمَا عَلَى هَذَا الْحَالِ،
وَلَا أُدْرِي الْآنَ وَبَعْدَ مُرُورِ خَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا عَلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ هَلْ اتَّفَقَا أَمْ
لَا؟، وَالْأَرْجَحُ عِنْدِي أَنَّهُمَا مَا زَالَا يُدِيرَانِ نَفْسَ النِّقَاشِ، هَذَا إِذَا كَانَا مِنَ
الْأَحْيَاءِ.

وَلَمَّا كَانَتْ رِحْلَتُنَا وَسَطَ مَجْمُوعَاتٍ تَنْتَمِي إِلَى زَعَامَةِ مَوْلَوِي «يُونُسَ
خَالِصٍ» وَحِزْبِهِ «حِزْبُ إِسْلَامِيٍّ» فَقَدْ اسْتَمَعْنَا إِلَى شِكَاوَى وَاتِّهَامَاتٍ



لِلْمَجْمُوعَاتِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمَا، وَهِيَ مَجْمُوعَاتٌ تَنْمُو لِحِزْبِ
 إِسْلَامِيٍّ «حِكْمَتِيَّار» وَحِزْبِ «مِحَازِ مَلِي» لِلسَّيِّدِ «أَحْمَدُ
 جِيلَانِي»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٣٨] شَيْخِ الطَّرِيقَةِ الْجِيلَانِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.
 وَكَانَتْ الْمُشْكَلَةُ هِيَ سَرِقَةُ الْعَنَائِمِ بِدُونِ الْأَشْتِرَاكِ الْفِعْلِيِّ فِي
 الْمَعَارِكِ. وَقَدْ ظَنَّنَا خَطَأً بِأَنَّ تِلْكَ الْمُنْظَمَاتِ مُتَخَصِّصَةٌ فِي الْغُلُولِ، وَلَمْ يَكُنْ
 ذَلِكَ صَحِيحًا كَمَا ذَكَرْنَا آنِفًا.

وَكَمَا ذَكَرْتُ لِقَاءَنَا الْأَوَّلَ مَعَ مُصِيبَةِ الْغُلُولِ فَمِنْ الْمُفِيدِ أَنْ أَذْكَرَ اللَّقَاءَ
 الْأَخِيرَ مَعَهُ. وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَمَا اسْتَسَلَمَتْ مَدِينَةُ «جَارْدِيز» فِي أْبْرَيْلَ ١٩٩٢ م،
 عِنْدَمَا شَاعَ خَبْرُ مِفَاوِضَاتِ التَّسْلِيمِ بَيْنَ حَامِيَةِ الْمَدِينَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ بَدَأَتْ
 قَوَائِلُ مِنَ الشَّاحِنَاتِ وَ «التَّرَاكُتُورَاتِ»^(٢) وَ «الْبِيكَابَاتِ»^(٣) وَكُلُّ وَسَائِلِ النَّقْلِ
 الْمُمْكِنَةِ تَتَوَافَدُ عَلَى الطَّرْفَاتِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَرَابَطَتْ عَلَى مَسَافَةِ أَمَانَ

(١) السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْجِيلَانِي: وُلِدَ فِي وِلَايَةِ «نَانْجِرْهَار» فِي أَفْغَانِسْتَانَ فِي عَامِ ١٩٣٢ م، وَوُلِدَ وَالِدُهُ «السَّيِّدُ
 حَسَنُ الْجِيلَانِي» فِي «بَعْدَاد»، وَيَمْتَدُّ نَسَبُهُمْ إِلَى «السَّيِّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي» مُؤَسِّسِ الطَّرِيقَةِ
 الْقَادِرِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ. انْتَقَلَ وَالِدُهُ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ١٩٠٥ م لِيُؤَسِّسَ بِهَا الطَّرِيقَةَ الْقَادِرِيَّةَ، لِكِرْتِ
 قِيَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ «أَحْمَدُ الْجِيلَانِي». قَامَ بِتَأْسِيسِ حِزْبِ «الْوَاجِهَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ».

(٢) أَيُّ الْجَرَازَاتِ.

(٣) أَيُّ عَرَبَاتِ النَّقْلِ ذَاتِ الصَّنَادِيقِ الْخَلْفِيَّةِ الْمَكْشُوفَةِ.

مُنَاسِبَةٍ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ أَيَّامًا مَثْوَالِيَةً رُغِمَ الْأَمْطَارِ وَالسُّيُولِ وَبَعْضِ قَدَائِفِ
 الْمِدْفَعِيَّةِ وَالْأَلْغَامِ الَّتِي أودَتْ بِحَيَاةِ الْبَعْضِ وَدَمَّرَتْ مَرْكَبَاتِهِمْ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ
 [يُفْتَّ] فِي عَصْدِ «قَوَافِلِ الْغُلُولِ» كَمَا أَطْلَقْنَا عَلَيْهَا وَقْتَهَا. جَمِيعُ تِلْكَ
 الْمَرْكَبَاتِ قَدِمَتْ عَبْرَ الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، وَيَقُودُهَا مُهَاجِرُونَ أَفْغَانٌ، وَهُمْ
 الْأَكْثَرِيَّةُ، أَوْ رِجَالُ قَبَائِلِ «الْبَاتَانِ»^(١) الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَنَاطِقِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ مَدِينَةُ «خُوسْت» الَّتِي تَمَّ فَتْحُهَا مُنْذُ عَامٍ تَقْرِيْبًا فِي ٣١ مَارِسِ
 ١٩٩١ م، وَكَانَتْ أَكْبَرَ تَجْرِبَةِ غُلُولٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مُنْذُ بَدَايَةِ الْحَرْبِ حَتَّى وَقْتِهَا
 آنَذَاكَ، فَقَدْ صَارَتْ هُنَاكَ خِبْرَةٌ فِي الْغُلُولِ الْجَمَاعِيِّ لِلْمُدْنِ، وَاسْتَقَرَّتْ أَعْرَافُ
 لِنْتَظِيمِ الْعَمَلِيَّةِ بِأَقْلٍ قَدْرٍ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالصَّدَامَاتِ. وَأَهْمُ قَاعِدَةٍ هِيَ أَنْ
 تَصْطَحِبَ كُلُّ جَمَاعَةٍ غُلُولٍ مَجْمُوعَةً مِنْ أَعْلَامِ أَيِّ حِزْبٍ مِنَ الْأَحْزَابِ
 «الْجِهَادِيَّةِ» مَعَ صُورٍ زَعِيمٍ ذَلِكَ الْحِزْبِ، وَفَوْرٍ دُخُولِ الْمَدِينَةِ يَبْدَأُ سِبَاقٌ مَعَ
 الزَّمَنِ فِي رَفْعِ الْأَعْلَامِ وَلِصُقِّ الصُّورِ عَلَى الْمَقَارِّ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمَخَازِنِ
 وَالْمَرَاْفِقِ وَالْمَبَانِي الْحُكُومِيَّةِ، وَحَتَّى عَلَى الدَّكَاكِينِ الْمُغْلَقَةِ وَالِدَبَابَاتِ
 وَرَاجِمَاتِ الصُّوَارِيخِ وَالْمَطَارَاتِ. وَالْجَمِيلُ هُوَ ذَلِكَ التَّعَاوُنُ فِي الْاِحْتِرَامِ
 الْجَمَاعِيِّ لِتِلْكَ الْأَعْلَامِ وَالْمُلْصَقَاتِ، بِدُونِ أَيِّ تَدْقِيقٍ فِيْمَنْ رَفَعَهَا، وَجِدِّيَّةِ

(١) قَبَائِلُ الْبَاتَانِ هُمْ الْبَشْتُونِ.

انْتِمَائِهِ لِلتَّنْظِيمِ الَّذِي يَرْفَعُ عِلْمَهُ وَيَلْصِقُ صُورَةَ زَعِيمِهِ.

وَالطَّرِيفُ أَنَّ الْأَحْزَابَ قَدْ اسْتَفَادَتْ هِيَ الْأُخْرَى مِنْ «فُتُوحَاتِ الْغُلُولِ» تِلْكَ؛ فَعِنْدَ مُحَاوَلَةِ إِنْشَاءِ سُلْطَاتٍ جَدِيدَةٍ دَاخِلَ الْمُدُنِ «الْمُحَرَّرَةِ» كَانَتْ الصَّلَاحِيَّاتُ الْأَكْثَرُ تَفْوِضُ لِذَلِكَ الْحِزْبِ الَّذِي ارْتَفَعَتْ لَهُ رَايَاتُ أَكْبَرُ وُلِّصَتْ لِزَعِيمِهِ صُورٌ أَكْثَرُ أَثْنَاءَ مَوْجَةِ الْغُلُولِ أَوْ «فَتْحِ الْغُلُولِ» الَّذِي تَمَّ لِلْمَدِينَةِ الْمَنْكُوبَةِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

الْقِسْمُ الْأَعْظَمُ مِنْ مُكْتَسَبَاتِ الْغُلُولِ - بَعْدَ أَنْ سَقَطَ النِّظَامُ الشُّيُوعِيُّ وَقَبْلَ ذَلِكَ أَيْضًا - وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى خَارِجِ الْحُدُودِ «بَاكِسْتَان» كَيْ تُبَاعَ هُنَاكَ. وَبِذَلِكَ نَزَحَتْ مُعْظَمُ مُمْتَلَكَاتِ الدَّوْلَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَتَحَوَّلَتْ إِلَى بَاكِسْتَانٍ كَيْ تُبَاعَ هُنَاكَ «خُرْدَةً» بِالْكِيلُو. عَشْرَاتُ مِنْ الدَّبَابَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْمُعْطَلَّةِ وَالْمُدْمَرَةِ تَمَّ تَقْطِيعُهَا بِأَنْيَابِ لِحَامِ «الْأَكْسِي أُسَيْتِلِينَ» وَتَحَوَّلَتْ إِلَى قِطْعٍ صَغِيرَةٍ تَمَّ شَحْنُهَا عَلَى السِّيَّارَاتِ أَوْ حَتَّى الْجِمَالِ كَيْ تُبَاعَ بِالْكِيلُو فِي أَسْوَاقِ ضَخْمَةٍ لِلْخُرْدَةِ عَلَى الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ. أَيْضًا حُطَّامُ الْعَشْرَاتِ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَبَعْضُهَا كَانَ قَابِلًا لِلِإِصْلَاحِ قَدْ بِيَعَتْ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْصَاتُ إِطْلَاقِ الصَّوَارِيخِ الثَّقِيلَةِ بِأَنْوَاعِهَا. رُغِمَ أَنْ تِلْكَ الْمِهْمَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُتَطَوَّرَةِ بِهَا أَجْزَاءٌ مِنْ مَعَادِنِ ثَمِينَةٍ مِثْلَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْبِلَاتِينَ وَبِكَمِّيَّاتٍ تُشَكِّلُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً، وَلَا يَفْهَمُ ذَلِكَ غَيْرَ الْأَذْكَيَاءِ مِنَ التُّجَّارِ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ.

لَا دَاعِي لِقَوْلٍ أَنَّ ذَلِكَ النَّشَاطَ امْتَدَّ حَتَّى إِلَى الْكَابَلَاتِ تَحْتَ الْأَرْضِ
وَفَوْقَ الْأَبْرَاجِ وَالْأَبْرَاجِ نَفْسِهَا بِالطَّبْعِ. وَهَكَذَا سَاهَمَ الْغُلُولُ بِدَوْرِهِ الْفَعَّالِ فِي
إِتْمَامِ الْإِجْهَازِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ كَيْ تُصْبِحَ عَنْ حَقِّ قَاعًا صَنْفَصًا.

وَعَلَى الْفُورِ بَدَأَتْ الْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ الْأُصُولِيِّينَ فِي «كَابُلٍ»
وَكُلِّ فَرِيقٍ مَعَهُ حُلَفَاءُهُ مِنَ الرَّفَاقِ الْمَارِكَسِيِّينَ لِإِحْرَاقِ الْحُطَامِ الْمُتَبَقِّيِّ مِنْ
حَرْبِ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا ضِدَّ الشُّيُوعِيَّةِ. ثُمَّ ذَلِكَ النَّزْحُ وَالتَّخْرِيبُ فِي أَضْحَمِ
حَمَلَةِ غُلُولٍ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَهِيَ الْحَمَلَةُ الَّتِي رَافَقَتْ
سُقُوطَ النُّظَامِ الشُّيُوعِيِّ. وَقَبْلَ أَنْ تُتْرَكَ الْغُلُولُ وَمُشَاهَدَاتِي فِي «جَارْدِيز» أَذْكَرُ
مَوْقِفَيْنِ أَحَدُهُمَا أَضْحَكُنِي حَتَّى الْبُكَاءِ، أَقْصِدُ حَتَّى طَفَرَتْ الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنِي،
وَالثَّانِي أَصَابَنِي بِالْفَزَعِ وَكَادَ يُؤَدِّي إِلَى مَعْرَكَةٍ مَعَ أَبْطَالِ الْغُلُولِ.

■ **الْمَشْهُدُ الْأَوَّلُ:** كُنَّا فِي عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لِفَتْحِ الْمَدِينَةِ، وَانْفِعَالَاتِي
يَصْعُبُ حَضْرُهَا؛ إِذْ ثَارَتْ ذِكْرِيَاتُ تِلْكَ السَّنَوَاتِ الطَّوِيلَةِ وَذِكْرِيَاتُ
الطَّلَقَاتِ الْأُولَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّتِي كَانَتْ فِي جِبَالِ «جَرْدِيز»، وَهِيَ
لِحِظَةِ الْفَتْحِ بِكُلِّ جَلَالِهَا وَقَدْ لَوَّثَتْهَا تِلْكَ الْأَذْرَانُ الَّتِي أَرَاهَا. بَلْ إِنَّ
أَفْغَانِسْتَانَ تَبَدُّوْا وَكَانَتْهَا تَنْحَدِرُ إِلَى هَاوِيَّةٍ لَا فَرَارَ لَهَا، وَهُوَ شَعُورُ أَضَاعِ
بِهَجَّةِ النَّصْرِ وَعَمْرَنِي بِكَابَةِ.

فِي عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ كَانَتْ عَمَلِيَّاتُ وَضْعِ الْيَدِ وَرَفْعِ الْأَعْلَامِ وَلَصِقَ

الصُّورِ قَدْ شَارَفَتْ نَهَايَتُهَا، وَأَثْنَاءَ تَجْوَالِنَا فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ شَاهَدْنَا مُوَلَّدَ كَهْرُبَاءٍ ضَخْمٍ مُرَكَّبٍ عَلَى هَيْكَلٍ ذِي عَجَلَاتٍ كَيْ يَسْهُلَ نَقْلُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، وَلَمْ نُشَاهِدْ عَلَيْهِ عِلْمًا وَلَا صُورَةً فَلَمْ نُصَدِّقْ أُعْيُنَنَا، وَاقْتَرَبْنَا مِنْهُ حَتَّى نَتَّكِدَ مِنْ صِحَّةِ تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ. وَسُرْعَانَ مَا اتَّصَحَّ لَنَا الْأَمْرُ، فَإِنَّ «الْمُجَاهِدَ» الَّذِي سَيَطَّرَ عَلَى تِلْكَ «الْغَنِيمَةَ» كَانَ قَدْ اسْتَنْزَفَ مَا يَمْتَلِكُهُ مِنْ أَعْلَامٍ وَصُورٍ وَخَافَ إِذَا هُوَ تَرَكَ تِلْكَ الْغَنِيمَةَ أَنْ يَغْتَصِبَهَا آخَرٌ. وَبِسُرْعَةٍ تَفْتَقُ ذَهْنُهُ عَنْ حَلِّ عَبْقَرِيٍّ، فَالْتَقَطَ عَصَا مِنْ الْأَرْضِ وَفَكَ تِكَّةَ سِرْوَالِهِ وَهِيَ بِيضَاءُ اللَّوْنِ مِنْ حُسْنِ الْحِطِّ، وَهُوَ نَفْسُ لَوْنِ عِلْمِ تَنْظِيمِهِ الْمُفْضَلِ، وَرَبَطَ التِّكَّةَ بِطَرَفِ الْعَصَا وَرَشَقَهَا عَلَى فَتْحَةٍ فِي أَعْلَى الْمُوَلَّدِ، وَبِهَذَا صَارَ مِنْ مُمْتَلِكَاتِ التَّنْظِيمِ ذِي الْعِلْمِ الْأَبْيَضِ. كَانَ مُخْرِجًا بَعْضَ الشَّيْءِ أَنْ يَعُودَ الْمُجَاهِدُ إِلَى زُمَلَائِهِ وَهُوَ مُمْسِكٌ سِرْوَالَهُ بِيَدَيْهِ حَتَّى لَا يَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَكِنْ مَا هِيَ إِلَّا سُوَيْعَاتٍ حَتَّى عَادَ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمُجَاهِدِينَ وَقَدْ وَضَعَ تِكَّةً جَدِيدَةً فِي سِرْوَالِهِ وَأَحْضَرَ عِلْمًا جَدِيدًا لِلْمُوَلَّدِ الْكَهْرُبَائِيِّ. لَقَدْ أَضْحَكَنِي حَتَّى الْبُكَاءِ ذَلِكَ الْمَشْهُدُ النَّادِرُ مِنْ الْكُومِيدِيَا الْمَأْسَاوِيَّةِ.

■ **الْمَشْهُدُ الثَّانِي:** لَمْ يَكُنْ لَطِيفًا إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ. الزَّمَانُ: الْيَوْمُ الْأَوَّلُ لِفَتْحِ «جَرْدِيز»، قُرْبَ الْغُرُوبِ بَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ تَحْطِيمِ أَقْفَالِ دَكَكِينِ الْمَدِينَةِ فِي شَارِعِهَا الرَّئِيسِيِّ، وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي حَاوَلَ الْمُجَاهِدُونَ مَنْعَهُ وَلَكِنَّهُمْ فَشَلُّوا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَدِينَةِ كَانَ قَدْ تَمَّ نَهْبُهُ، فَلَمَّاذَا لَا تُنْهَبُ

الدَّكَاكِينُ؟. بَدَأَتْ كُلُّ عِصَابَةٍ تَتَقَدَّمُ بِوَسِيلَتِهَا لِلنَّقْلِ وَتَقِفُ أَمَامَ الدُّكَّانِ الْمَعْنِيِّ وَيَقِفُ عَدَدٌ مِنَ الْمُسَلِّحِينَ حَوْلَ الدُّكَّانِ وَإِلَى جَانِبِ السَّيَّارَةِ لِمَنْعِ أَيِّ اعْتِدَاءٍ عَلَى حُقُوقِهِمْ. وَيَتِمُّ كَسْرُ أَقْفَالِ الْمَحَلِّ وَنَقْلُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى السَّيَّارَةِ وَيَمْضُونَ بِهَا وَيُحْضِرُونَ أُخْرَى. وَمِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّ مُعْظَمَ تُجَّارِ الْمَدِينَةِ كَانُوا قَدْ أَفْرَعُوا مُحتَوِيَّاتِ مَحَلَّاتِهِمْ، وَلَكِنْ عَدَدًا قَلِيلًا مِنْهُمْ كَانُوا عَلَى ارْتِبَاطٍ بِقَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْمُحَاصِرِينَ لِلْمَدِينَةِ، وَيَعْمَلُونَ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ إِلَيْهِمْ بِشَكْلِ مُنْتَظِمٍ. وَفِي صَبَاحِ يَوْمِ التَّسْلِيمِ وَحَتَّى قَبْلَ ذَلِكَ أَخَذَ هَؤُلَاءِ التُّجَّارِ الْمُتَعَاوِنُونَ رَسَائِلَ مِنَ الْقَادَةِ الْبَارِزِينَ الْمُجَاهِدِينَ تَضَمَّنُ سَلَامَةً مُمْتَلِكَاتِهِمْ وَمَحَلَّاتِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، وَتَطْلُبُ مِنْ جَمِيعِ الْمُجَاهِدِينَ احْتِرَامَ ذَلِكَ الْعَهْدِ.

وَكُنَّا فِي الشَّارِعِ الرَّئِيسِيِّ لِلْمَدِينَةِ عِنْدَمَا حَصَلَ أَحَدُهُمْ - وَهُوَ صَاحِبُ صَيْدَلِيَّةٍ كَبِيرَةٍ - عَلَى رِسَالَةٍ ضَمَّانٍ مِنْ جَانِبِ قَائِدٍ كَبِيرٍ كُنَّا عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِهِ. وَمَا كَادَ الْقَائِدُ يَتَحَرَّكُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ حَتَّى بَدَأَتْ عَمَلِيَّاتُ «الْعُلُولِ الْمُسَلِّحِ» وَهَجَمَتْ عِصَابَةُ عُلُولٍ عَلَى تِلْكَ الصَّيْدَلِيَّةِ بَيْنَمَا صَاحِبُهَا وَقَفَ إِلَى جَانِبِهَا وَمَعَهُ الرِّسَالَةُ حَتَّى يَحْيِي أَمْوَالَهُ. وَلَكِنَّهُمْ جَذَبُوهُ بَعِيدًا مَعَ التَّهْدِيدِ، وَكَسَرُوا أَبْوَابَ الصَّيْدَلِيَّةِ وَحَمَلُوا صِنَادِيقَ الدَّوَاءِ وَالرَّجُلُ يَتَوَسَّلُ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الرِّسَالَةَ، ثُمَّ يَعْرِضُ عَلَيْهِمْ مُكَافَأَةً مَالِيَّةً عَلَى أَنْ يَتْرُكُوا الدَّوَاءَ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَنْفَعْ، فَتَقَدَّمْنَا إِلَى رَئِيسِ الْعِصَابَةِ، وَكُنَّا ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً مِنَ الْعَرَبِ وَمَعَنَا

مُتَرَجِّمٌ أَفْغَانِيٌّ، وَأَفْهَمْنَا الزَّرْعِيمَ أَنَّ كُنَّا حَاضِرِينَ عِنْدَمَا حَصَلَ صَاحِبُ الصَّيْدِ لِيَّ عَلَى ضَمَانٍ لِمَمْتَلِكَاتِهِ مِنْ جَانِبِ ذَلِكَ الْقَائِدِ الْكَبِيرِ .

فَمَا كَانَ مِنْ رَيْسِ الْعِصَابَةِ إِلَّا أَنْ خَطَا إِلَى الْخَلْفِ خُطْوَةً وَاسِعَةً وَأَفْرَغَ مَخْزَنَ رَشَاشِهِ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِنَا مُبَاشَرَةً حَتَّى اضْطَرَّرْنَا إِلَى الْإِنْحِنَاءِ قَلِيلًا، وَهُوَ يُصِيحُ بِوَحْشِيَّةٍ وَالزَّبْدُ يَتَطَايَرُ مِنْ شِدْقِيهِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، زَنْدُهُ بَادِ إِسْلَامٍ». وَلِثَوَانِ خَطَرٍ لِي أَنْ أُطْلَقَ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَقْتَلَهُ، كَانَ مِنَ السَّهْلِ الْقَضَاءُ عَلَى عِصَابَتِهِ تَمَامًا؛ فَقَدْ كَانَ لَنَا فِي لَحْظَتِهَا دَاخِلَ الْمَدِينَةِ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي أَفْضَلِ أَحْوَالِهِمُ التَّسْلِيحِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَكَانُوا يَتَجَهَّزُونَ مُنْذُ أَشْهُرٍ لِحَوْضِ الْقِتَالِ لِفَتْحِ الْمَدِينَةِ.

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنِّي تَمَالَكْتُ أَعْصَابِي فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْبَائِسِ، وَإِلَّا لَنَشَبَتْ فِتْنَةٌ ضَخْمَةٌ ضَاعَ فِيهَا الْمِثَاتُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ حَيْثُ الْجَمِيعُ مُتَوَجِّسٌ مِنَ الْجَمِيعِ، وَعَمَلِيَّاتُ السَّطُورِ تَمُرُّ بِتَوَازُنٍ حَرِجٍ، إِذَا اخْتَلَّ فَقَدْ يُودِي بِالْجَمِيعِ. انْسَحَبْنَا بِسُرْعَةٍ تَقَادِيًا لِأَيِّ اسْتِفْرَازٍ آخَرَ، وَعُدْنَا إِلَى الْمَنَازِلِ الَّتِي نَسْكُنُهَا، وَهِيَ غَنَائِمٌ مُوقَّتَةٌ لَنَا، وَاحْتَسَيْنَا الشَّيْءَ كَيْ نَبْتَلِعَ حَسْرَتَنَا وَنَتَسَلَّى بِكَرْنَفَالِ الْإِنْتِصَارِ وَلَيْلِ أَضَاءَتِهِ مُنْذُ الْغُرُوبِ الطَّلَقَاتِ وَالْقَدَائِفِ وَالصَّوَارِيخِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَصِنْفٍ، وَهِيَ تَعْطِي كَامِلَ سَمَاءِ الْمَدِينَةِ حَتَّى الْفَجْرِ. وَهِيَ ذَخَائِرٌ كَانَتْ - فِي تَقْدِيرِي - أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مَا أَنْفَقَهُ الْمُجَاهِدُونَ فِي مَعَارِكِهِمْ

الْحَقِيقَةَ.



الْعُودَةُ:

انْتَهَتْ زِيَارَتُنَا لِلخَطِّ الْأَوَّلِ، لَمْ نَحْضَرْ مَعَارِكَ كَبِيرَةٍ وَلَكِنَّا قَاتَلْنَا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَوَاقٍ نَاقَةٍ، وَذَلِكَ كَانَ عَزَاءَنَا. شَعَرْنَا بِالْحُزْنِ وَنَحْنُ نُودِّعُ أَوْلِيكَ الْأَبْطَالَ
 فِي جِبَالِ «جَرْدِيز»، وَنَحْنُ مُتَأَكِّدُونَ أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنَّا، بَلْ خَيْرُ الْبَشَرِ فِي هَذَا
 الزَّمَانِ. تَحَرَّكْنَا نَحْوَ مَرْكَزِ «سِيرَانَا» تَمَهِيدًا لِرَحِيلِنَا إِلَى خَارِجِ أَفْغَانِسْتَانَ،
 وَمَشَاعِرُ مُدْهَشَةٌ تَتَابُنَا. لَقَدْ اكْتَشَفْنَا عَالَمًا بِأَسْرِهِ لَا يَعْلَمُ عَنْهُ أَحَدٌ غَيْرُنَا، وَلَا
 بُدَّ أَنْ نُبَلِّغَ الْآخِرِينَ أَنَّ الْأَفْغَانَ أَرْوَعُ مِمَّا تَصَوَّرْنَا قَبْلَ مَجِيئِنَا، لَقَدْ أَسْرَنَا حُبُّ
 هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ وَتَعَلَّقَتْ قُلُوبُنَا بِهِمْ.

وَالْأَرْوَعُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ هُوَ اكْتِشَافُ عَالَمِ «الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ذَلِكَ
 الْعَالَمُ الْقُدْسِيُّ الَّذِي كَانَ حُلْمًا يُورِّقُ نَوْمَنَا وَيَشْغَلُ صَحُونَنَا، وَأَتَعَبَنَا الْبَحْثُ
 عَنْهُ، حَتَّى وَجَدْنَاهُ أَحْيَاءً وَأَقْعًا حَيًّا يَتَحَرَّكُ، وَلَمْ نَكُدْ نَتَخَيَّلُ أَنَّ دَخَلْنَا هَذَا
 الْعَالَمَ بِكُلِّ نُورَانِيَّتِهِ، كَيْ نُبَلِّغَ إِخْوَانَنَا مِنْ خَلْفِنَا. وَتَصَوَّرْنَا كَمْ سَتَكُونُ فَرْحَةُ
 الْمُسْلِمِينَ وَتَسَابِقُهُمْ نَحْوَ ذَلِكَ الْبَابِ مِنْ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ، إِلَى ذُرْوَةِ سَنَامِ
 الْإِسْلَامِ.

وَأَخَذْتُ أَفْكَرُ، هَلْ بَدَأْنَا الدُّخُولَ فِي عَالَمِ الْعِزَّةِ وَتَرَكْنَا تِلْكَ الدَّلَّةَ
وَالْمَسْكَنَةَ الَّتِي خَلَعَهَا الْيَهُودُ عَنْ كَوَاهِلِهِمْ وَأَلْبَسُوهَا لَنَا، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ، بَلْ
بِأَيْدِي الْمُزْتَدِّينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَشْبَاهِ الْمُسْلِمِينَ؟ هَلْ أَوْشَكَتْ فِكْرَتُنَا
الطَّمُوحَةَ أَنْ تَرَى النُّورَ؟ هَلْ تَظْهَرُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ السَّبَابِ
الْمُجَاهِدِ الْفِدَائِيِّ كَيْ يُقَدَّمَ الْعَوْنُ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَظْلُومِينَ أَيْنَمَا كَانُوا؟ هَلْ
اقْتَرَبَتْ سَاعَةٌ لِقَائِنَا فِي فَلَسْطِينَ، فِي مَعْرَكَةٍ نَرَى أَنَّهَا الْمَعْرَكَةُ الْأُمَّ وَالْغَايَةُ
الْمُثَلَّى مِنْ قِتَالِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟.

عُدْنَا إِلَى «سِيرَانَا» لِنَجِدَ إِشَاعَةً غَرِيبَةً تَقُولُ بِأَنَّ «وَزِيرَ الدِّفَاعِ» مِنْ
«عَرَبِسْتَانَ» فِي طَرِيقِهِ إِلَى «سِيرَانَا» قَادِمًا مِنْ «أُورْجُون» كَيْ يَبْحَثَ احْتِيَاجَاتِ
الْمُجَاهِدِينَ حَتَّى يُرْسِلَهَا إِلَيْهِمْ. لَمْ نُصَدِّقْ تِلْكَ الشَّائِعَةَ، فَلَا الدُّوَلُ الْعَرَبِيَّةُ
يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدَ، وَلَا وَزِيرُ دِفَاعٍ يَحْضُرُ بِنَفْسِهِ إِلَى هُنَا. فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مَهَامٌ
وَزِيرِ الدِّفَاعِ مَعْلُومَةٌ جَيِّدًا، فَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّهِ فِي وَزَارَةِ الدِّفَاعِ كَيْ
يَحْمِي طَاغُوتًا أَكْبَرَ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ أَضْحَمَ فِي قَصْرِ الرِّئَاسَةِ، وَأَعْدَاءُ
النِّظَامِ هُمْ دَائِمًا دَاخِلَ حُدُودِ الدَّوَلَةِ وَلَيْسَ خَارِجَهَا. تَبَدَّلَتِ الْإِشَاعَةُ لِيُصْبِحَ
الْمُرْشَحُ لِلْقُدُومِ هُوَ وَزِيرُ خَارِجِيَّةٍ عَرَبِيٍّ. وَأَخِيرًا جَاءَ الْخَبْرُ الْأَكِيدُ بِوُصُولِ
مَوْفِدٍ مِنْ طَرَفِ «مُطِيعِ اللَّهِ» لِيُخْبِرُنَا أَنَّ صَحْفِيًّا مِنْ جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» وَهُوَ
«سَمِيرُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ» وَبَرِيقَتِهِ مُصَوَّرٌ، قَدْ زَارَا مَرْكَزَ الْمُجَاهِدِينَ فِي «زَيْرُوك»،
وَتَجَوَّلَا فِي الْمَنْطِقَةِ، وَكَانَ فِي نِيَّتِهِمَا الْحُضُورُ إِلَى «سِيرَانَا» لَوْلَا ضَيْقُ الْوَقْتِ

وَالْإِرْهَاقِ الَّذِي أَصَابَهُمَا. وَقَدْ أَحْضَرَا مَعَهُمَا أَعْدَادًا مِنَ الصَّحِيفَةِ، نُشِرَ بِهَا جَمِيعُ الْأَخْبَارِ وَالتَّعْلِيقَاتِ وَالصُّوَرِ الَّتِي أَرْسَلْنَاهَا.

أَثَارَ ذَلِكَ مَوْجَةَ فَرَحٍ وَنَفَاوُلٍ عَارِمَةٍ فِي جِبَالِ «بَاكْتِيَا»، وَتَحَلَّقَ الْعَشْرَاتُ حَوْلَ أَعْدَادِ الصَّحِيفَةِ يُشَاهِدُونَ صُورَ إِخْوَانِهِمْ وَهُمْ يَضْحَكُونَ وَيُحَاوِلُونَ بَعْضُهُمْ تَرْجَمَةَ الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ. أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ شَعَرْنَا بِسَعَادَةٍ بِالْغَةِ أَنْ نَجَحَ ذَلِكَ الْجُزْءُ الْهَامُّ مِنْ عَمَلِنَا، وَوَصَلَ جُزْءٌ مِنْ رِسَالَتِنَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا هُمْ الْمُجَاهِدُونَ أَصْبَحَ صَوْتُهُمْ مَسْمُوعًا وَاتَّصَلُوهُمْ مُبَاشِرًا مَعَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَمَنْطَقَةِ الْخَلِيجِ الْغَنِيِّ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُوفَّرَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ. وَهِيَ قَضِيَّةٌ جِهَادِيَّةٌ تَطْرُقُ أَسْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ وَقَوِيٍّ وَبِلَا وَسِطَةٍ مِنَ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيِّ. لَقَدْ كَسَبَ الْمُجَاهِدُونَ صَحِيفَةً عَرَبِيَّةً قَوِيَّةً هِيَ «الْإِتِّحَادُ»، وَصَوْتًا صَحْفِيًّا جَرِيئًا وَنَشِيطًا هُوَ صَوْتُ الصَّحْفِيِّ «سَمِيرِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» الَّذِي كَانَ مِنْ أَعْمَدَةِ الْجَرِيدَةِ وَنُجُومِهَا آنَذَاكَ.

لَمْ نَتَّصِرْ أَنْ قَضِيَّةَ أَفْغَانِسْتَانَ سَوْفَ تُصْبِحُ الْقَضِيَّةَ الْأُولَى فِي الْإِعْلَامِ الدُّوَلِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ الْعَرَبِيِّ، لِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، عَقْدِ الثَّمَانِينَاتِ كُلِّهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ دُخُولِهَا كَقَضِيَّةٍ فِي صِرَاعِ تَنَافُسِيٍّ بَيْنَ الْكُنْتَلَتَيْنِ، وَأَحَدِ الْمَوْضُوعَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلْحَرْبِ الْبَارِدَةِ بَيْنَهُمَا. أَوْ بِالْأُخْرَى وَاحِدَةٍ مِنْ أَهَمِّ الْحُرُوبِ بِالْوَكَالَةِ، وَهِيَ الْحُرُوبُ الَّتِي شَاعَتْ عَلَى مَسْرَحِ الْعِلَاقَاتِ الدُّوَلِيَّةِ فِيمَا بَعْدَ

الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَظُهُورِ السَّلَاحِ النَّوَوِيِّ الَّذِي جَعَلَ الْحَرْبَ الْمُبَاشِرَةَ
بَيْنَ الدُّوَلِ الْكُبْرَى أَمْرًا صَعْبًا لِلغَايَةِ، بَلْ قَالُوا أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ، وَلَا أَظُنُّهُ كَذَلِكَ.

لَقَدْ كَانَ الْمَجْهُودُ الْإِعْلَامِيُّ الْمُنَاصِرُ لِلْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مَجْهُودًا غَيْرَ
عَادِيٍّ، وَلَمْ تَظْفُرْ بِهِ أَيَّةُ قَضِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ قَبْلًا، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ إِجْمَالًا يَخْدُمُ الْمَصَالِحَ
الْأَمْرِيكِيَّةَ فِي الْقَضِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ خِدْمَةِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ. وَكَانَتْ مُصْطَلَحَاتُ
الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ مِنْ أَكْثَرِ الْمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي ابْتَدَلَهَا الْإِعْلَامُ الْمُسَانِدُ لِلْقَضِيَّةِ
الْأَفْغَانِيَّةِ، كَمَا ابْتَدَلَهَا السِّيَاسِيُّونَ الْأَفْغَانَ وَمُنْظَمَاتُهُمْ «الْجِهَادِيَّةُ» الَّتِي كَانَتْ -
كَمُنْظَمَاتٍ - أَبْعَدَ مَا يُمَكِّنُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ.

فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ، وَأَمَامَنَا عِدَّةُ أَيَّامٍ مِنَ الْمَسِيرِ الشَّاقِ، كُنَّا نَشْعُرُ أَنَّنَا أَكْثَرُ
نَشَاطًا وَأَنْشِرَاحًا مِنْ يَوْمٍ قُدُّومِنَا. كُنَّا نَرَاهَا رِحْلَةً نَاجِحَةً حَقَّقْنَا فِيهَا أَهْدَافًا
هَامَةً. وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْأَفْغَانِيَّ الشَّابَّ نَعَّصَ عَلَيْنَا صَفَاءَنَا بَيْنَمَا نَحْنُ نَشْتَرِي
بَعْضَ الْبَسْكَوِيَتِ الْيَابِسِ مِنْ أَوَّلِ دُكَّانٍ صَادَفْنَاهُ فِي عَوْدَتِنَا بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ يَوْمٍ
مِنَ الْمَسِيرِ. وَكَانَ مَوْلَوِيٌّ «مُحَمَّدُ سُرُور» يُرَافِقُنَا فِي الْعُودَةِ كَمُتْرَجِمٍ وَحَارِسٍ
وَدَلِيلٍ. وَكُنَّا قَدْ تَرَكْنَا سِلَاحَنَا وَقِسْمًا مِنْ مَلَابِسِنَا النَّافِعَةِ وَأَدْوِيَّةَ صَدِيقِنَا
الْمِنْيَاوِيِّ لِلْمَجَاهِدِينَ. ذَلِكَ الشَّابُّ الْأَفْغَانِيُّ عِنْدَمَا عَلِمَ قِصَّتَنَا أَثْنَاءَ تَجَادُّبِهِ
أَطْرَافِ الْحَدِيثِ مَعَ مُرَافِقِنَا، أَنْبَرَى غَاضِبًا مُسْتَنْكِرًا قُدُّومَنَا لِلْجِهَادِ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ بَيْنَمَا تَرَكْنَا فَلَسْطِينَ بِلَا جِهَادٍ. كَانَ فِي كَلَامِهِ مَنْطِقٌ مَعْقُولٌ وَبِهِ أَيْضًا

جَهْلُ بَوَاقِعِ الْحَالِ فِي فَلَسْطِينِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ مَمَالِكِ الْعَرَبِ حَسَبَ قَوْلِ الْأَفْغَانِ.

وَلَكِنْ وَجْهَةٌ نَظَرِهِ تِلْكَ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى سَاحَةِ الْجِدَالِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُؤَيَّدِ لِلْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَالتِّيَّارَاتِ الْأُخْرَى الْمُعَارِضَةَ لَيْسَ فَقَطْ لِفِكْرَةِ الْجِهَادِ بَلْ لِفِكْرَةِ الْإِسْلَامِ نَفْسِهَا، فَالتِّيَّارَاتُ الْمُعَارِضَةُ - خَاصَّةً بَعْدَ تَدْوِيلِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ - تَرَى فِي حَمَاسِ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ وَانْخِرَاطِهِ [فِي] الْعَمَلِ، وَرُبَّمَا الْقِتَالِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، دَلِيلًا جَدِيدًا عَلَى قِصْرِ نَظَرِ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَبْسَطِ الْحَالَاتِ أَوْ عَمَالَتِهِ لِلْغَرْبِ وَمُعَادَاتِهِ لِلتَّقَدُّمِيَّةِ، وَهُوَ الْإِتِّهَامُ الْمُحَبَّبُ إِلَى نَفْسِهِمْ. فَكَانُوا دَوْمًا يَعْمَلُونَ عَلَى تَرْوِيحِهِ بِتَشْجِيعِ الْكُنُتَلَيْنِ الْإِشْتِرَاكِيَّةِ وَالرَّأْسِمَالِيَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. وَعِنْدَمَا سَقَطَ الْإِتِّحَادُ السُّوفِيَّيْتِي فِي أَفْغَانِسْتَانَ انْضَمَّ الْعُلَمَائِيُّونَ وَالتَّقَدُّمِيُّونَ وَالْإِشْتِرَاكِيُّونَ الْعَرَبُ إِلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الْمُعَسْكَرِ الرَّأْسِمَالِيِّ لِلْقِتَالِ تَحْتَ رَايَتِهِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ الَّذِي أُسْمُوهُ «أُصُولِيَّةً» وَضِدَّ الْجِهَادِ الَّذِي أُسْمُوهُ «إِرْهَابًا وَتَطْرُفًا».

لَقَدْ أُثْبِتَتْ ذَلِكَ الْجُدُورُ الْوَاحِدَةُ لِلرَّأْسِمَالِيَّةِ وَالْإِشْتِرَاكِيَّةِ وَالْمَنْبَعُ الْوَاحِدُ لِلتِّيَّارَاتِ النَّاجِمَةِ عَنْهُمَا، وَالتِّيَّاتُ تَتَّفِقُ جَمِيعُهَا فِي كَرَاهِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَمُحَارَبَةِ اتِّبَاعِهِ. وَحَتَّى وَقْتَنَا الرَّاهِنِ مَا زَالَ يَحْلُو لِبَعْضِ الْعَرَبِ، وَبَعْضِ الْآخَرِينَ مِنْ دَوْلِ «إِسْلَامِيَّةٍ» وَغَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ مِنْ مَوْظِفِي الْإِعْلَامِ الصَّلِيبِيِّ، يَحْلُو لَهُمْ تَرْسِيخُ



تُهُمَّةٍ بَاطِلَةٍ بِالْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ فِي الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ، وَالَّذِينَ أَطْلَقُوا عَلَيْهِمْ لَفْظَ «الْأَفْغَانَ الْعَرَبِ» بِأَنَّهُمْ عُمَّلَاءٌ لِلْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي جَلَبَتْهُمْ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَدَرَّبَتْهُمْ وَسَلَّحَتْهُمْ ثُمَّ أَدْخَلَتْهُمْ إِلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ لِيُقَاتِلُوا السُّوفِيَّةَ نِيَابَةً عَنْهَا. وَلَا يَحْتَاجُ إِثْبَاتٌ كَذِبِ هَذِهِ الْمَقُولَةِ إِلَى مَجْهُودٍ كَبِيرٍ. وَحَتَّى لَمْ يَكْلَفْ أَصْحَابُ ذَلِكَ الْاِفْتِرَاءِ أَنْفُسَهُمْ مُجَرَّدَ اخْتِرَاعٍ أَوْ تَلْفِيحٍ أَيِّ شَوَاهِدٍ تُثَبِّتُ صِحَّتَهُ.

كَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى تَشْوِيهِ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ النَّادِرَةِ، أَيِ ظَاهِرَةِ التَّجْمَعِ الْجِهَادِيِّ الْعَرَبِيِّ الضَّخْمِ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَمَا نَتَجَّ عَنْهُ مِنْ آثَارٍ بَعِيدَةٍ الْمَدَى فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ. وَكَانَتْ حَاجَةً الصَّلِيبِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ مَاسَّةً لِتَشْوِيهِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ غَيْرِ الْقَوْمِيَّةِ وَغَيْرِ الْوَطَنِيَّةِ. وَلَا يَتَعَارَضُ ذَلِكَ مَعَ الْاِعْتِرَافِ أَنَّ الْقُوَى الصَّلِيبِيَّةَ وَالْيَهُودِيَّةَ قَدْ اسْتَفَادَتْ بِرَاعَةٍ مِنْ نَتَائِجِ تَحْرُكِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ وَالْأَفْغَانَ أَيُّضًا، بَلْ وَاسْتَطَاعَتْ تَوْجِيهَ تِلْكَ الْحَرَكَةِ فِي الْمَسَارَاتِ الَّتِي تُوَافِقُ خُطَطَهَا أَوْ عَلَى الْأَقْلَ لَا تُعْرِقُهَا. وَقَدْ نَجَحَتْ فِي ذَلِكَ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَانَ لَهَا حَوَادِثٌ فَشَلَّ خَطِيرَةً كَمَا سَنَذْكُرُ لَاحِقًا. لَقَدْ اسْتَفَادَتْ الْقُوَى الصَّلِيبِيَّةُ وَالْيَهُودِيَّةُ مِنْ سَيَطْرَتِهَا غَيْرِ الْمُبَاشَرَةِ عَلَى التَّحْرُكِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ الْجِهَادِيِّ فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَخَاصَّةً عَلَى أَرْضِ الْقِتَالِ. وَلَكِنْ عَلَى الْمَدَى الْبَعِيدِ وَكَمَا تُثَبِّتُ الْأَحْدَاثُ حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَّ الْمَكَاسِبَ الْإِسْلَامِيَّةَ غَيْرَ الْمَنْظُورَةَ كَانَتْ مِنْ الضَّخَامَةِ وَالْخُطُورَةِ

بِمَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْمُخَطِّطِينَ الْيَهُودِ وَالصَّلَيبِيِّينَ.

وَحَتَّى الْآنَ وَفِي الْمَنَاطِقِ الْأَفْغَانِيَّةِ الصَّدِيقَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي مَا زَالَتْ تَحْتَرِّمُ الْعَرَبَ أَوْ تَهَادِيهِمْ حَتَّى حِينٍ، خَاصَّةً تِلْكَ الَّتِي خَاضُوا فِيهَا مَعَارِكَ عَنيفَةً إِلَى جَانِبِ إِخْوَانِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ، مِنْ وَقْتِ لِأَخْرَ يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ لَاءِ الْقَلَّةِ مِنْ الْعَرَبِ الْمَنَسِيِّينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ أَحَدِ هَؤُلَاءِ الْأَفْغَانِ الْغِيُورِينَ عَلَى وَطَنِهِمْ عِبَارَةً كَهَذِهِ: «رَفِيحِ أَنْتَ إِيشِ يَسُوِّي هُونِ، جِهَادِ خَتَمِ لِيْشِ أَنْتَ مَا يَرُوخِ بِلَادِ؟». وَالسُّؤَالُ يَصْعُبُ الْإِجَابَةَ عَلَيْهِ لِأَنَّ عَبْرَاتِ الْحَسْرَةِ تَخْتَبِقُ دَاخِلَ الصَّدْرِ.

عِنْدَ عَوْدَتِنَا اسْتَقْبَلَنَا الْأَصْدِقَاءُ وَالْمَعَارِفُ بِمِثْلِ الدَّهْشَةِ الَّتِي اسْتَقْبَلَ بِهَا رُؤَادُ الْفَضَاءِ الَّذِينَ عَادُوا مِنْ سَطْحِ الْقَمَرِ، أَوْ كَمَا اسْتَقْبَلَ الْمُسْتَكْشِفُونَ الْقُدَمَاءُ بَعْدَ عَوْدَتِهِمْ مِنْ بَحْرِ الظُّلْمَاتِ وَجُزْرِ «وَأَقِ الْوَأَقِ». الدَّهْشَةُ كَانَتْ الْقَاسِمَ الْمُشْتَرَكَ لِمَشَاعِرِ وَمَوَاقِفِ الَّذِينَ عَلِمُوا بِرِحْلَتِنَا. بَعْضُهُمْ ثَارَتْ لَدَيْهِ مَشَاعِرُ وَحَوَافِزُ حَرَكَةٍ وَأَمَالَ عَرِيضَةً لِلْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَخْرُونَ أَكْثَرَ حِرْصًا وَذَكَاءً تَشَكَّكُوا فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَأَنَّ وِرَاءَهُ مُؤَامِرَةٌ مَا يُدْبِرُهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ. وَلِلْأَسْفِ كَانِ أَكْثَرَ هَذَا التِّيَارِ مِنْ «الدُّعَاةِ» وَ«الْحَرَكَاتِ» وَ«أَبْنَاءِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»، اخْتَرَّ مَا شِئَتْ مِنْ مُسَمِّيَاتِ بَرَّاقَةٍ. كَانَ التَّعَاطُفُ وَالتَّفَاعُلُ مَعَ الرَّحْلَةِ وَمَا نَدَعُو إِلَيْهِ مِنْ مُسَاعَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِي مُوَاجَهَةِ الشُّيُوعِيَّةِ، هُوَ

الْوَجْهَ الْغَالِبُ لِرُدُودِ الْفِعْلِ. وَبَدَأَ التَّجَاوُبُ يَتَنَامَى بِبُطْءٍ، لَكِنْ بِاضْطِرَّادٍ،
خَاصَّةً وَأَنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ كَانَ مَسْمُوحًا بِهَا آنَذَاكَ فِي مَنَاطِقِ الْخَلِيجِ، بَلْ وَكَانَتْ
مَوْضِعَ تَرْحِيبٍ لِكُونِهَا تَتَمَّاشَى مَعَ مِزَاجِ السَّادَةِ الْأَمْرِيكَانِ، وَهَذَا هُوَ الْأَهَمُّ،
إِضَافَةً إِلَى كَوْنِهَا تُضْفِي الصَّبْغَةَ الدِّيْنِيَّةَ عَلَى أَوْضَاعِ الْحُكْمِ ذَاتِ التَّوَجُّهِ
الْعَمَلِيِّ الْمُعَاكِسِ لِلاتِّجَاهِ الْإِسْلَامِيِّ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

كَانَ مَسْمُوحًا بِالْكَلامِ عَنِ مُسَاعَدَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ. أَمَّا
الْكَلامُ عَنِ «الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ» فَكَانَ يَدُورُ فِي هَمْسٍ وَتَكْتُمٍ. وَحَتَّى عِنْدَمَا بَلَغَ
الْحَمَاسُ أَوْجَهُ فِي أَوَاسِطِ الثَّمَانِينَاتِ كَانَ الذَّهَابُ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ لِلْجِهَادِ
مُحَاطًا بِبَعْضِ الْمُنْغَصَّاتِ؛ فَقَدْ تَعَرَّضَ بَعْضُ مَنْ أَعْرَفَهُمْ مِمَّنْ ذَهَبُوا إِلَى
أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى الطَّرْدِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْحُكُومِيَّةِ، خَاصَّةً أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَانُوا
يَعْمَلُونَ فِي وَزَارَةِ الدَّفَاعِ فِي الْإِمَارَاتِ، وَبَعْضُهُمْ تَمَكَّنَ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى عَمَلِهِ
بِوَسَاطَاتٍ وَبَعْضُهُمْ فَقَدَ عَمَلَهُ وَتَرَكَ الْبِلَادَ.

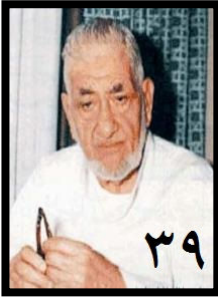
كَانَ هُنَاكَ هَامِشٌ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ لِمُسَانَدَةِ الْأَفْغَانِ إِنْسَانِيًّا مِنْ
مُنْطَلَقِ إِسْلَامِيٍّ وَلَيْسَ عَسْكَرِيٍّ. لَقَدْ كَانَتْ جَرِيدَةُ «الْإِتِّحَادِ» مِنْبَرًا هَامًا
سَاهَمْنَا بِمَجْهُودِنَا الْمُتَوَاضِعِ فِي كَسْبِهِ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ. ثُمَّ تَوَسَّعْنَا فِي
الْإِتِّصَالِ بِالرُّمُوزِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْبِلَادِ بَدَاءً بِمَشَايخِ وَزَارَةِ الْأَوْقَافِ الَّذِينَ
تَحَمَّسَ بَعْضُهُمْ مَعَنَا، وَكَيْفَ لَا وَهُنَاكَ ضَوْءٌ أَخْضَرٌ لَا تُخْطِئُهُ الْأَعْيُنُ الْكَلِيلَةُ.

وَقَدْ سَاهَمَ بَعْضُهُمْ بِفَعَالِيَّةٍ فِي الدَّعْوَةِ لِمُسَانَدَةِ الْأَفْغَانِ فِي جِهَادِهِمْ. وَاتَّصَلْنَا بِعَدَدٍ مَحْدُودٍ مِنْ أَوْلِيَاكَ «الْعُلَمَاءِ» الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَكَانَةٌ دِينِيَّةٌ وَشَعْبِيَّةٌ، وَأَهْمُهُمُ الشَّيْخُ «أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُبَارَكِ» رَئِيسَ دَائِرَةِ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ فِي أَبُو ظَبْيٍ. كَذَلِكَ الشَّيْخُ «مُحَمَّدُ الْمَحْمُودُ» فِي الشَّارِقَةِ، وَكَانَ ذَا نَفُوذٍ وَاحْتِرَامٍ عَلَى الْمُسْتَوِيَّاتِ الرَّسْمِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ تَحْرِيَاتِنَا قَدْ دَلَّتْ عَلَى وُجُودِ أَجْهَزَةٍ إِذَاعِيَّةٍ قَدِيمَةٍ لَدَى إِمَارَةِ الشَّارِقَةِ بَعْدَ أَنْ جَدَدَتْ الإِمَارَةُ مُعَدَّاتِ إِذَاعَتِهَا فَقَدْ سَافَرْنَا إِلَى الشَّيْخِ «الْمَحْمُودِ» بَعْدَ عَوْدَتِنَا وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ جَانِبًا مِنْ رِحْلَتِنَا، وَاحْتِيَاجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى إِذَاعَةٍ تَوْضِحُ الْحَقَائِقَ لِلشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ وَتَرْفَعُ مَعْنَوِيَّاتِهِ الإِسْلَامِيَّةَ. وَافَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ يَبْدُلَ مَسَاعِيهِ لَدَى الْمَسْئُولِينَ لِلإِفْرَاجِ عَنِ الْأَجْهَزَةِ الْقَدِيمَةِ لِصَالِحِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ. وَقَدْ فَعَلَ الرَّجُلُ مَا وَعَدَ بِهِ لَكِنَّ مَسَاعِيَهُ فِي هَذَا الاتِّجَاهِ لَمْ تُكَلَّلْ بِالنَّجَاحِ وَلَكِنَّهَا عَلَى آيَةٍ حَالٍ فَتَحَتْ أَبْوَابًا وَاسِعَةً مِنَ التَّعَاطُفِ وَالْمُسَانَدَةِ فِي إِمَارَةِ الشَّارِقَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ.

لَقَدْ عَقَدْنَا عَشْرَاتٍ مِنَ الْجَلَسَاتِ الْخَاصَّةِ مَعَ الْمُهْتَمِّينَ بِالْأُمُورِ الْعَامَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ خُلَصَاءِ الْعَامِلِينَ وَالْحَرَكَِيِّينَ فِي الْبَلَدِ. وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ كِتَابَةِ تَقْرِيرٍ عَنِ رِحْلَتِنَا لِنَقْلِ تِلْكَ الصُّورَةَ إِلَى نِطَاقٍ أَوْسَعٍ مِنَ الْمُهْتَمِّينَ دَاخِلَ وَخَارِجَ الإِمَارَاتِ، وَقَدْ تَوَلَّيْتُ مُهِمَّةَ كِتَابَةِ التَّقْرِيرِ بِصِفْتِي «صَحْفِي

الرَّحْلَةَ». وَقَمْنَا بِتَوَزِيْعِهِ عَلَى الْجِهَاتِ الَّتِي يُمَكِّنُنَا الْوُصُولَ إِلَيْهَا مِنْ فِتْنَةِ



الْمُهْتَمِّينَ بِمِثْلِ تِلْكَ الشُّؤْنِ. وَكَانَ الْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ
أَنَّآ أَرْسَلْنَا ذَلِكَ التَّقْرِيرَ مَعَ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ بَعْتِنَا الْأَفْغَانِيَّةِ
وَهُوَ صَدِيقُنَا «إِسْمَاعِيلُ» الَّذِي أَخَذَ التَّقْرِيرَ وَسَلَّمَهُ يَدًا يَدًا
لِلْمُرْشِدِ الْعَامِّ لِلْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَاهِرَةِ الْأُسْتَاذِ

«عَمْرُ التَّلْمِسَانِيِّ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٣٩].

وَكَانَتْ تِلْكَ مِنْ أَجْرٍ الْخُطُوبَاتِ الَّتِي اتَّخَذْنَاهَا مِنْذُ بَدَأَتْ سِلْسِلَةُ
طُمُوحَاتِنَا وَمَشَارِينَا الْإِسْلَامِيَّةِ. وَكُنَّا نَعْقِدُ آمَالًا وَاسِعَةً عَلَى حَرَكَةِ
«الْإِخْوَانِ» أَنْ تَتَوَلَّى هِيَ قِيَادَةَ عَمَلِ إِسْلَامِيٍّ جِهَادِيٍّ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ،
وَذَلِكَ بِحُكْمِ تَارِيخِهَا الْحَرَكِيِّ وَقُدْرَاتِهَا الْقِيَادِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ وَحَتَّى الْعَسْكَرِيَّةِ
عَلَى قَدْرِ تَصَوُّرِنَا آنَذَاكَ.

وَقَدْ انْتَهَى بِنَا ذَلِكَ التَّصَوُّرُ السَّادِجُ إِلَى كَارِثَةِ فِي الْعِلَاقَةِ مَعَ «الْإِخْوَانِ»

(١) عَمْرُ عَبْدِ الْفَتْاحِ عَبْدِ الْقَادِرِ التَّلْمِسَانِيِّ (٢ نَوْفَمْبَرِ ١٩٠٤م - ٢٢ مَائُو ١٩٨٦م): الْمُرْشِدُ الثَّلَاثُ
لِجَمَاعَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، قَامَ بِجَمْعِ شَتَاتِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْمُعْتَقَلَاتِ أَيَّامَ حُكْمِ الرَّئِيسِ
«السَّادَاتِ». تَخَرَّجَ فِي كَلِيَّةِ الْحُقُوقِ، وَانْضَمَّ إِلَى الْجَمَاعَةِ فِي عَامِ ١٩٣٣م. اِعْتُقِلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
عَامَ ١٩٥٤م وَ ١٩٨١م وَ ١٩٨٤م، وَلَهُ مَوْلُفَاتٌ إِسْلَامِيَّةٌ وَفِكْرِيَّةٌ عَدِيدَةٌ.

أَنْفُسِهِمْ أَدَّتْ إِلَى عَدَاءِ سَافِرٍ ثُمَّ تَحْرِيطِ قِيَادَاتِ الْأَفْغَانِ الْمَحْسُوبَةِ عَلَى
التَّيَّارِ الْإِخْوَانِيِّ كَيْ يُزِيحُونَا مِنَ الْمِيدَانِ. وَحَرَّضُوا أَحَدَهُمْ، بَلْ كَبِيرَهُمْ آنَذَاكَ
«سَيَّافٍ» ضِدِّي عِنْدَمَا بَدَأْتُ الْكِتَابَةَ الْمُبَاشِرَةَ إِلَى جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» مِنْ وَجْهَةِ
نَظَرٍ لَا تَتَوَافَقُ مَعَ الرُّؤْيَا وَالْمَصَالِحِ الْإِخْوَانِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ ١٩٨٥ مَ كَمَا
سَيَرِدُ ذِكْرُهُ لِأَحِقًّا.

وَرُغْمَ الْاسْتِقْبَالِ الْمُهَدَّبِ مِنْ جَانِبِ الشَّيْخِ «التَّلْمِسَانِي» رَحِمَهُ اللَّهُ لِصَدِيقِنَا
«إِسْمَاعِيلِ» إِلَّا أَنْ رَدَّ فِعْلُهُ كَانَ مُتَحَفِّظًا، بَلْ جَافًا، فَلَمْ يُنَاقِشْ مَعَهُ التَّقْرِيرَ
وَكَتَفَى بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا حَيْثُ قَالَ: «جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا، إِنَّ لَدَيْنَا
مَصَادِرِنَا الْخَاصَّةَ الَّتِي تَمُدُّنَا بِتَفَاصِيلِ مَا يَحْدُثُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَمُنْذُ سَنَوَاتٍ
طَوِيلَةٍ». خَرَجَ «إِسْمَاعِيلُ» مَبْهُوتًا بَلْ مَصْدُومًا، وَقَالَهَا لَنَا بِصَرَاحَةٍ أَنَّ أَمَلَهُ قَدْ
خَابَ تَمَامًا فِي «الْإِخْوَانِ»، وَلَا أَمَلَ لَدَيْهِ فِيهِمْ. لَقَدْ انْتَقَلَ إِلَيْنَا الشُّعُورُ
بِالصَّدْمَةِ، وَتَوَالَتْ تِلْكَ الصَّدَمَاتُ حَتَّى انْتَهَتْ بِعَدَاوَةٍ وَقَطِيعَةٍ.

وَلِلْحَقِّ فَإِنَّ صَدِيقِنَا «الْمِنْيَاوِيَّ» لَمْ يُفَاجَأْ كَثِيرًا؛ فَقَدْ كَانَتْ آرَاؤُهُ مُسْتَقَاةً
مِنْ وَالِدِهِ الْحَاجِّ «حُسَيْنِي الْمِنْيَاوِيَّ» الَّذِي سَبَقَ لَنَا ذِكْرَ مَا ضِيهِ الْإِخْوَانِيَّ
وَالْجِهَادِيَّ، وَالَّذِي كَانَ يَرَى فِي «الْإِخْوَانِ» الْمُعَاصِرِينَ أَنَّهُمْ «مُتَاجِرُونَ
بِالْإِسْلَامِ». كَانَ الرَّجُلُ حَادِّ الطَّبَعِ مَعَ الْجَمِيعِ، لِهَذَا لَمْ أَعِزَّ آرَاءَهُ أَهْمِيَّةً كَبِيرَةً
فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ التَّقْيِيمَ السَّلْبِيَّ لِلْإِخْوَانِ الْمُعَاصِرِينَ وَأَنَّهُمْ

مُنْحَرِفُونَ عَنْ مَفْهُومِ «الإخوان» كَمَا وَضَعَهُ الْمُؤَسَّسُ الْأَوَّلُ لِلْحَرَكَةِ الشَّيْخِ «حَسَنُ الْبَنَّا»، كَانَ أَيْضًا رَأْيِي عَدَدٍ مِنْ قُدَمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ «الصُّقُورِ» خَاصَّةً مُقَاتِلِي فَلَسْطِينَ وَالْقَنَاةِ.

مَسْؤُولُو «الإخوان» فِي «أَبُو ظَبْيٍ» وَ «دُبْيٍ» أَوْضَحُوا الدَّوْرَ الَّذِي اخْتَارَهُ «الإخوان» لِأَنْفُسِهِمْ إِزَاءَ قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَهُوَ الْمُسَاعَدَةُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالْمَعُونَاتِ «الْإِنْسَانِيَّةِ»، أَمَّا الدَّوْرُ الْعَسْكَرِيُّ فَهُوَ غَيْرُ وَارِدٍ. وَقَدْ أَضَافَ أَحَدُهُمْ عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ بِأَنَّ دُخُولَ الْمَجَالِ الْعَسْكَرِيِّ سَوْفَ يُعَرِّضُهُمْ لِمَخَاطِرٍ جَسِيمَةٍ فِي مِصْرَ وَالْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَكْفِي مَا لَحِقَهُمْ مِنْ جَرَاءِ التَّوَجُّهَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْجَمَاعَةِ وَمَا جَرَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهَا مِنْ مَصَائِبٍ.

قَرَأْتُ الْآنَ التَّقْرِيرَ الَّذِي كَتَبْتُهُ عَنْ رِحْلَتِنَا الْأُولَى إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَفِي ظَنِّي الْآنَ أَنَّهُ كَانَ أَهَمَّ الْأَعْمَالِ الَّتِي قُمْنَا بِهَا بَعْدَ عَوْدَتِنَا. وَالْأَخْطَرُ أَنَّهُ سَجَّلَ بَصَمَاتِ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ، وَهَذِهِ مِنْ مَآثِرِ الْكَلِمَةِ الْمَكْتُوبَةِ، إِذْ تُصْبِحُ مِثْلَ الْحَفْرِيَّاتِ الَّتِي تَحْفَظُ بِدَاخِلِهَا تَارِيخًا مَضَى لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْحَثَ وَيَفْحَصَ وَيَسْتَنْتِجَ. وَهَكَذَا أَفْعَلُ الْآنَ بَعْدَ حَوَالِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا مِنْ كِتَابَتِهِ. وَنُظْرًا لِخُطُورَةِ مُحتَوَاهِ، رُغِمَ بِسَاطَةِ الْعَرَضِ وَالْأُسْلُوبِ، إِلَّا أَنَّ الْقَضَايَا الَّتِي أَثَارَهَا ظَلَّتْ مِخْوَرِ اهْتِمَامٍ وَصِرَاعٍ طَوَالَ فِتْرَةِ اشْتِعَالِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مُنْذُ أَنْ بَدَأَتْ جِهَادًا فِي أْبْرَيْلَ عَامِ ١٩٧٨ م حَتَّى تَحَوَّلَتْ إِلَى فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُتْنَنَةٍ فِي أْبْرَيْلَ

١٩٩٢ م. وَقَضَايَا أُخْرَى اِخْتَوَاهَا التَّقْرِيرُ مَا زَالَتْ مَوْضِعَ جِدَالٍ وَخِلَافٍ بَعْدَ اِكْتِمَالِ المَرَحَلَةِ الأَفْغَانِيَّةِ وَظُهُورِ نَتَائِجِهَا.

وَفِي مُنَاسَبَاتٍ أُخْرَى - غَالِبًا بَعْدَ تَطَوُّرَاتٍ هَامَّةٍ فِي مَسَارِ القَضِيَّةِ الأَفْغَانِيَّةِ - كَتَبْتُ عِدَّةَ تَقَارِيرٍ أُخْرَى، كُنَّا نُوزِّعُهَا بِالْيَدِ عَلَى المُهْتَمِّينَ وَالأَصْدِقَاءِ، وَأَكْثَرُهَا كَانَ يُرْسَلُ إِلَى جَمَاعَةِ «الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ» بِنَاءً عَلَى إِصْرَارِ بَعْضِ إِخْوَانِنَا، وَكَانُوا مِنْ قُدَمَاءِ «الإِخْوَانِ» الَّذِينَ رَأَوْا فِي ذَلِكَ إِبْرَاءً لِلذِّمَّةِ وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ، وَحَتَّى نُوضِّحَ لَهُمْ مَا قَدْ يَكُونُ [خَافِيًا] عَلَيْهِمْ. وَلِلْحَقِيقَةِ فَإِنَّ بَعْضَ كِبَارِ «الإِخْوَانِ» المُقِيمِينَ فِي الإِمَارَاتِ أَوْ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَيْهَا وَاجْتَمَعْنَا بِهِمْ لِمُنَاقَشَةِ أَوْضَاعِ أَفْغَانِسْتَانَ وَتَقْدِيمِ مُقْتَرَحَاتِنَا لِإِصْلَاحِ الأَعْوَجَاجِ فِي مَسِيرَةِ الجِهَادِ، وَالأَعْمَالِ المُثَلَى الَّتِي يَنْبَغِي عَلَيْنَا كَأَنْصَارٍ عَرَبٍ أَنْ نَقُومَ بِهَا؛ كَيْ نُسَاهِمَ فِي إِنْجَاحِ ذَلِكَ الجِهَادِ، قَدْ اقْتَنَعَ وَتَحَمَّسَ. وَطَالَبْنَا آخَرُونَ بِمَزِيدٍ مِنْ تِلْكَ الكِتَابَاتِ لِمُنَاقَشَتِهَا دَاخِلَ الجَمَاعَةِ. وَهَكَذَا رَأَتْ بَعْضُ تِلْكَ التَّقَارِيرِ النُّورَ بِنَاءً عَلَى نَصَائِحِ هَؤُلَاءِ المُخْلِصِينَ.

وَلَمَّا كَانَتْ كُلُّ هَذِهِ التَّقَارِيرِ تَقِفُ مَوْقِفًا غَيْرَ وُدِّيٍّ مِنْ «رُعَمَاءِ بِيشَاوَر»، خَاصَّةً المُسْتَمِينَ لِتِيَارِ «الإِخْوَانِ»، فَقَدْ وَجَدْتُ تِلْكَ التَّقَارِيرُ طَرِيقَهَا إِلَيْهِمْ مَعَ تَعْيِينِ مَصْدَرِهَا وَالتَّحْرِيزِ ضِدَّهُ، وَقَدْ كَلَّفَنِي ذَلِكَ الكَثِيرُ وَمَا زَالَ.

كَانَتْ وَسَائِلُ النِّشْرِ مُفْتُوحةً عَلَى الغَارِبِ بِالنِّسْبَةِ لِقَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ،

وَكُنْتُ أجدُ صَدْرًا رَحْبًا فِي صَحِيفَةِ «الِاتِّحَادِ» الَّذِينَ قَابَلُوا مَا أَكْتُبُهُ عَنْ
 أَفْغَانِسْتَانَ بِتَقْدِيرٍ يُشْكِرُونَ عَلَيْهِ، وَكَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِصِلَاتِي الْمُبَاشِرَةِ بِالْقِيَادَاتِ
 الْأَفْغَانِيَّةِ وَبِالْجِهَادِ الدَّائِرِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ كَانَ تَقْدِيرُهُمْ
 الْوَاضِحَ لِمَا أَكْتُبُهُ. وَمَكَثْتُ أَكْتُبُ لَهُمْ مِنْ أَنْ إِلَى آخِرِ مُنْذِرِ رِحْلَتِنَا الْأُولَى
 وَحَتَّى عَامَ ١٩٨٥ م حِينَ عَمِلْتُ مَعَهُمْ مُدِيرًا لِمَكْتَبِ الْجَرِيدَةِ فِي «إِسْلَامِ
 آباد». [كَانَتْ التَّقَارِيرُ] الشَّعْبِيَّةُ الَّتِي أَكْتُبُهَا لِدَائِرَةِ الْمُهِتَمِّينَ - بِمَا فِيهِمْ
 الْإِخْوَانُ - أَحَدَ ظَوَاهِرِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ. وَكَانَتْ تَتَنَاوَلُ الْجَوَانِبَ الَّتِي يَصْعُبُ
 الْإِعْلَانُ عَنْهَا فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ التَّابِعَةِ فِي مُجْمَلِهَا لِحَرَكَةِ
 «الِإِخْوَانِ» أَوْ لِلسَّيْطَرَةِ الْحُكُومِيَّةِ الْمَكْشُوفَةِ.

وَبَعْدَ تَحَوُّلِ «الْجِهَادِ الْمُقَدَّسِ» إِلَى «فِتْنَةِ مَلْعُونَةٍ» عَلَى أَيْدِي الْقَادَةِ
 الْأَفْغَانِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمُتَمَثِّلُونَ إِلَى حَرَكَةِ «الِإِخْوَانِ» أَوْ الْأُصُولِيِّونَ كَمَا
 خَدَعَنَا الْإِعْلَامُ الْعَرَبِيُّ وَأَطْلَقَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمُسَمَى الْعَدَائِيَّ، بَعْدَ هَذَا التَّحَوُّلِ
 «التَّارِيخِيَّ» أَوْ الْمَآسَاوِيِّ، تَحَوَّلْتُ مَعَ قَلَّةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْمَنْسِيِّينَ دَاخِلِ
 أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ «الْمَطَارِيدِ» أَيِ الْخَارِجِينَ عَلَى الْقَانُونِ،
 وَالْمَطْلُوبِينَ لِلْعَدَالَةِ الدُّوَلِيَّةِ وَلِلنِّظَامِ الدُّوَلِيِّ الْجَدِيدِ. كَانَ لِي بَعْضُ الْكِتَابَاتِ
 الَّتِي لَا يُمَكِّنُ - لَيْسَ فَقَطْ - نَشْرُهَا، بَلْ وَلَا حَتَّى عَرْضُهَا إِلَّا عَلَى دَائِرَةِ قَلِيلَةٍ
 مِنْ الْأَصْدِقَاءِ الْمُقَرَّبِينَ، كَانَ ذَلِكَ تَطَوُّرًا آخِرًا فِي إِنْتَاجِي «الْأَدْبِيِّ» أَطْلَقْتُ
 عَلَيْهِ «أَدَبَ الْمَطَارِيدِ». وَهُوَ يَتَنَاوَلُ الْقَضَايَا الْعَمَلِيَّةَ لِلْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ، مِنْ

الِقْتَالِ وَحَتَّى التَّمْوِيلِ مُرُورًا بِالتَّنْظِيمِ وَالْإِعْلَامِ وَالْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ. وَهِيَ مَوْضُوعَاتٌ لَيْسَتْ شَعْبِيَّةً دَاخِلَ الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ نَفْسِهَا، بَلْ مُتَهَمَةٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَمَكْرُوهَةٌ فِي مُعْظَمِ الْحَالَاتِ، أَمَّا خَارِجُ الْوَسْطِ الْجِهَادِيِّ نَفْسِهِ فَهِيَ مَوْضُوعَاتٌ كَفَيْلَةٌ بِاسْتِجْلَابِ حُكْمٍ وَاحِدٍ بِالْإِعْدَامِ - عَلَى الْأَقْل - عَنْ كُلِّ سَطْرٍ يَحْتَوِيهِ الْبَحْثُ.

وَفِي الْمَرْحَلَةِ الْوَاقِعَةِ مَا بَيْنَ مَرْحَلَةِ التَّقَارِيرِ الشَّعْبِيَّةِ إِلَى مَرْحَلَةِ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ كَانَتْ هُنَاكَ فِتْرَةٌ أُخْرَى بَدَأَتْ عَامَ ١٩٨٧ مَ حَيْثُ كَتَبْتُ عِدَّةَ تَقَارِيرٍ عَسْكَرِيَّةً خَاصَّةً بِبَعْضِ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا إِخْوَانُنَا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ، عَدَدٌ مِنْ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ حَضَرْتُهُ مَعَهُمْ، إِمَّا بِشَكْلِ هَامِشِيٍّ جِدًّا أَوْ أَسَاسِيٍّ أَيْ مِنْ بَدَائِئِهَا إِلَى نَهَائِئِهَا. هَذِهِ التَّقَارِيرُ بِأَنْوَاعِهَا إِلَى جَانِبِ مَا كَتَبْتُهُ مِنْ تَقَارِيرٍ لِصَحِيفَةِ «الْإِتِّحَادِ» وَغَيْرِهَا، تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ بَصْمَةً لَا بَأْسَ بِدِقَّةٍ وَضُوحِهَا لِلْوَضْعِ الْأَفْغَانِيِّ الْعَامِّ فِي تِلْكَ الْحُقْبَةِ الْحَسَّاسَةِ مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاصِرِ، كَمَا أَنَّهَا تَحْمِلُ بَصْمَةً تُزِيدُ وَضُوحًا عَدَدًا مِنَ الْجَوَانِبِ الْهَامَّةِ لِلنَّشَاطِ الْعَرَبِيِّ الْجِهَادِيِّ الَّذِي رَافَقَ التَّجْرِبَةَ الْأَفْغَانِيَّةَ.

وَكَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا، أَنَّنِي عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الطُّمُوحِ مِنْ بَقَايَا الطُّمُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ السَّابِقَةِ تَجْعَلُنِي أَتَوَقَّعُ بِأَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْقِصَاصَاتُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ عَنَاصِرٍ، وَمَا أَنْوِي أَنْ أُضِيفَهُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ ثُرْتَرَةٍ، أَطْمَحُ إِلَى أَنْ يَكُونَ فِي

ذَلِكَ الرُّكَّامِ شَيْءٌ مِنْ الْفَائِدَةِ لِأَجْيَالٍ لَاحِقَةٍ، هَذَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تَنْوِي الِاسْتِمْرَارَ فِي ارْتِكَابِ نَفْسِ الْأَخْطَاءِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا مَنْ سَبَقُوهُمْ، وَأَيْضًا إِذَا تَغَيَّرَتْ تِلْكَ السِّمَّةُ الَّتِي تَطْبَعُ التِّيَّارَ الْإِسْلَامِيَّ عَامَّةً وَالْجِهَادِيَّ خَاصَّةً وَهِيَ سِمْمَةٌ عَدَمِ الْقِرَاءَةِ وَعَدَمِ الْكِتَابَةِ فِي الْمَوَاضِعِ الْعَمَلِيَّةِ لِلنَّشَاطِ الْقِتَالِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ. إِنَّهَا بِلَا شَكٍّ نَوْعٌ مِنَ الْأُمِّيَّةِ السَّائِدَةِ فِي أَوْسَاطِنَا حَالِيًا، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تَنْقَشِعُ بِطُءٍ شَدِيدٍ. وَإِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي بَطْنِ الْغَيْبِ الَّذِينَ قَدْ يُهْدِرُونَ أَوْقَاتِهِمْ بِقِرَاءَةِ مِثْلِ هَذِهِ الثَّرَثَاتِ، نُنَاقِشُ سَوِيًّا فِي ثَنَائِنَا هَذَا الْكِتَابِ عَدَدًا مِنْ تِلْكَ الْكِتَابَاتِ «غَيْرِ الْقَانُونِيَّةِ» بِعُرْفِ عَصْرِنَا الْحَاضِرِ.

وَنَبْدَأُ بِالتَّقْرِيرِ الْأَوَّلِ، وَفِي الْبِدَايَةِ نُورِدُ نَصَّهُ الْحَرْفِيِّ الَّذِي يَنْقَلُ بِإِيجَازٍ صُورَةً فُوتُوغْرَافِيَّةً عَمَّا شَاهَدْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ أَوْ قَرَأْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَوْلَ مَوْضُوعِ الْبَحْثِ. ثُمَّ نُنَاقِشُ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَضَايَا الَّتِي احْتَوَاهَا، وَكَيْفَ تَطَوَّرَتْ، وَأَيْضًا السَّلْبِيَّاتِ وَالْأَخْطَاءِ الَّتِي احْتَوَاهَا التَّقْرِيرُ وَالْأَسْبَابَ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى ذَلِكَ.



التَّقْرِيرُ الْأَوَّلُ عَنِ الرَّحْلَةِ الْأُولَى

مُقدِّمة:

فِي هَذَا التَّقْرِيرِ سَنُحَاوِلُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ نُلَخِّصَ الْوَضْعَ الْقَائِمَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَحَقِيقَةَ الْقِتَالِ الدَّائِرِ فَوْقَ أَرَاضِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَأَطْرَافِ هَذَا الْقِتَالِ وَأَبْعَادِهِ. وَقَدْ اعْتَمَدْنَا فِي بَحْثِنَا هَذَا عَلَى زِيَارَتِنَا الَّتِي قُمْنَا بِهَا إِلَى مَوَاقِعِ الْقِتَالِ حَيْثُ وَفَّقَنَا اللَّهُ إِلَى لِقَاءِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْإِشْتِرَاكِ مَعَهُمْ فِي الْقِتَالِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى أَحْوَالِهِمْ عَنْ قُرْبٍ فِي أَحَدِ أَهَمِّ مَنَاطِقِ الْقِتَالِ الدَّائِرِ هُنَاكَ، وَهِيَ وَلايَةُ «بَاكْتِيَا» حَيْثُ قَابَلْنَا هُنَاكَ كَثِيرًا مِنْ الشَّخْصِيَّاتِ الْقِيَادِيَّةِ وَمُجَاهِدِينَ مِنْ مُخْتَلَفِ الْوِلَايَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَرِجَالِ الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَإِذَا كَانَتْ زِيَارَتُنَا وَمُقَابَلَاتُنَا فِي مَوَاقِعِ الْجِهَادِ هِيَ مَصْدَرُنَا الرَّئِيسِي فِي هَذَا الْبَحْثِ فَإِنَّ تَقَارِيرَ الصُّحُفِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ بِوَاسِطَةِ مَنْدُوبِيهَا فِي «كَابُل» تُمَثِّلُ مَصْدَرًا آخَرَ حَيْثُ لَا يَتَيَسَّرُ عَادَةً لِلْمُسْلِمِينَ الدُّخُولَ إِلَى هَذِهِ الْعَاصِمَةِ لِتَقْصِي الْوَضْعِ هُنَاكَ، اللَّهُمَّ بَعْضَ الرَّسَائِلِ الَّتِي يُرْسِلُهَا الْمُجَاهِدُونَ هُنَاكَ لِلْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ فِي «جَلَالِ آبَاد» عِنْدَ مَوْلَانَا «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصٍ» [١].

الْمَصْدَرُ الثَّلَاثُ وَالْأَخِيرُ هُوَ مَا ذَكَرْتُهُ تَقَارِيرُ الصُّحُفِ الْعَرَبِيَّةِ نَفْسِهَا وَنَسْبَتُهُ إِلَى مَصَادِرِ أَجْهَرَةِ الْمُخَابَرَاتِ الْعَرَبِيَّةِ [٢].

بِدَايَةُ الصَّرَاحِ:

بَدَأَ التَّسَلُّ الشُّيُوعِيُّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مُنْذُ حَوَالِي خَمْسِينَ عَامًا. وَبَدَأَ هِيئًا مُتَسَلِّلاً حَيْثُ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ عَرَفُوا مُنْذُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ بِشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَاعْتِرَازِهِمْ بِهِ وَدَفَاعِهِمْ عَنْهُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ. وَقَدْ مَارَسَ الْحُكَّامُ الرُّوسُ ضُغُوطًا مُخْتَلِفَةً عَلَى حُكَّامِ أَفْغَانِسْتَانَ لِكَيْ يَغْضُوبُوا الطَّرْفَ عَنْ هَذَا التَّسَلُّ الْجَدِيدِ، وَقَدْ نَجَّحُوا فِي ذَلِكَ بِدَرَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَسَارَ الْمَدُّ الشُّيُوعِيُّ فِي خَطِّ مُتَعَرِّجٍ وَلَكِنَّهُ صَاعِدًا إِلَى أَعْلَى، مُسْتَشِرٌّ فِي مَرَافِقِ الدَّوَلَةِ الْحَسَّاسَةِ.

حَتَّى كَانَ عَهْدَ الْمَلِكِ «ظَاهِرِ شَاه» الَّذِي سَهَّلَ لِلشُّيُوعِيِّينَ التَّسَلُّ إِلَى جِهَازِ الْإِعْلَامِ وَجِهَازِ التَّعْلِيمِ ثُمَّ الْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ، وَفَتَحَ الْإِتِّحَادُ السُّوفِيَّتِيُّ أَبْوَابَ الْبَعَثَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا حَتَّى أَنَّهُ قَدَّمَ فِي أَحَدِ السَّنَوَاتِ عَدَدًا مِنْ الْبَعَثَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ لِخَرِيْجِي الْجَامِعَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْمُوعِ طَلَبَةِ هَذِهِ الْجَامِعَاتِ !!.

فِي عَهْدِ الْمَلِكِ «ظَاهِرِ شَاه» كَانَتْ فِتْرَةٌ ذَهَبِيَّةٌ لِلشُّيُوعِيِّينَ، مَكَّنُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِيهَا فِي كَافَّةِ الْمَرَافِقِ الْحَيَوِيَّةِ فِي الْبِلَادِ. وَانْتَهَتْ تِلْكَ الْفِتْرَةُ بِانْقِلَابٍ عَسْكَرِيٍّ قَامَ بِهِ «مُحَمَّدُ دَاوُدُ خَانَ» ابْنُ عَمِّ «ظَاهِرِ شَاه» وَنَصَّبَ نَفْسَهُ رَئِيسًا لِلدَّوَلَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَاعْتَمَدَ فِي تَثْبِيْتِ دَعَائِمِ حُكْمِهِ عَلَى الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ فِي الْخَارِجِ وَالشُّيُوعِيِّينَ فِي الدَّخْلِ، وَمَكَّنَ لِلنُّفُوزِ الشُّيُوعِيِّ أَنْ يَسْتَشْرِيَ وَيُحْكَمَ قَبْضَتَهُ

تَمَامًا عَلَى كَافَّةِ الْمَرَاثِقِ الْحَيَوِيَّةِ فِي الْبِلَادِ بِمَا فِيهَا الْجَيْشُ. وَانْتَهَتْ تِلْكَ
الْفَتْرَةُ بِانْقِلَابِ شَيْوَعِيِّ صَرِيحٍ قَامَ بِهِ «نُورُ مُحَمَّدٍ تَرَاقِي» رَئِيسُ حِزْبِ «خَلْقِ»
الشُّيُوعِيِّ الَّذِي أَعْلَنَ أَفْغَانِسْتَانَ صِرَاحَةً دَوْلَةً دِيمُقْرَاطِيَّةً شَعْبِيَّةً تَحْكُمُهَا
العَقِيدَةُ الشُّيُوعِيَّةُ، وَأَعْلَنَ بَرَامِجَهُ الاِقْتِصَادِيَّةَ الَّتِي أَمَمَتْ الْمَلِكِيَّاتِ الزَّرَاعِيَّةَ
وَالصَّنَاعِيَّةَ وَالْعَقَارِيَّةَ، وَبَرَامِجَهُ التَّعْلِيمِيَّةَ الَّتِي اعْتَمَدَتْ الْمَارْكَسِيَّةَ اللَّيْنِيَّةَ
مَذْهَبًا فِكْرِيًّا، وَأَعْلَنْتِ الْحَرْبَ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَحَارَبَتْ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ،
وَقَامَتْ أَجْهَزَةُ السُّلْطَةِ عَلَى الْفُورِ بِالْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَى عُلَمَاءِ الدِّينِ وَقَتْلِهِمْ
وَتَعْذِيبِهِمْ وَسَجْنِ طَلَبَةِ الْمَدَارِسِ الدِّينِيَّةِ وَتَعَقُّبِ الْأَفْرَادِ الْمَعْرُوفِينَ بِتَمَسُّكِهِمْ
بِالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَهِيَ قَائِمَةٌ طَوِيلَةٌ تَشْمَلُ أَكْثَرَ مِنْ ٩٠٪ مِنْ مَجْمُوعِ
الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ.

وَنَشَطَ أَعْضَاءُ حِزْبِ «خَلْقِ» فِي الْهُجُومِ مُبَاشَرَةً عَلَى الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَحَرَقُوا الْقُرْآنَ وَدَاسُوهُ بِالْأَقْدَامِ عَلْنَا فِي شَوَارِعِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى تَحْتَ حِمَايَةِ
الْجَيْشِ بِالطَّبَعِ، وَنَادَوْا بِالْحُرِّيَّةِ الْجِنْسِيَّةِ وَالْغَاءِ الْحِجَابِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْمَرْأَةِ
كَمَطْلَبٍ عَاجِلٍ وَسَرِيعٍ [٣].



رَدُّ الْفِعْلِ الْإِسْلَامِيِّ:

مُنْذُ اللَّحْظَاتِ الْأُولَى لِلتَّحَرُّكِ الشُّيُوعِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، أَيُّ مُنْذُ حَوَالِي

خَمْسِينَ عَامًا تَحَرَّكَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِشَرَحِ الْعَقِيدَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَبَيَانَ زَيْفِهَا وَكُفْرِهَا وَتَحْذِيرِ الْأَفْغَانِ مِنَ الْأَنْخِدَاعِ بِهَا. بَلْ وَطَالَبُوا السُّلْطَةَ بِمُصَادَرَةِ حُرِّيَّةِ نَشْرِ مَبَادِئِهَا الْكَافِرَةِ فِي الْبِلَادِ، وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ لَا السُّلْطَةُ اسْتَجَابَتْ لِمَطْلَبِهِمْ وَلَا الشَّعْبُ فِي أَغْلَبِهِ قَدَّرَ خُطُورَةَ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الشُّيُوعِيَّةِ عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ مُعْتَمِدًا عَلَى شِدَّةِ تَمَسُّكِ أَهْلِ الْبِلَادِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْمُوَاجَهَةُ اشْتَدَّتْ فِي أَيَّامِ «مُحَمَّدِ دَاوُدَ» وَحَدَّثَتْ صِدَامَاتُ دَامِيَّةٌ دَاخِلَ الْمَدَارِسِ وَالْكُلِّيَّاتِ وَالْجَامِعَةِ بَيْنَ الطَّلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ الْأَغْلَبِيَّةُ، وَبَيْنَ الطَّلَبَةِ الشُّيُوعِيِّينَ الْأَقْلَ عَدَدًا وَالْأَكْثَرَ تَنْظِيمًا. وَكَانَتْ النُّصْرَةُ دَائِمًا لِلطَّلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَتَدَخَّلَ السُّلْطَةُ لِنُصْرَةِ الطَّلَبَةِ الشُّيُوعِيِّينَ، وَتُلْقِي زُعَمَاءَ الطَّلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي السِّجْنِ أَوْ تَفْصِلُهُمْ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ وَالْمَدَارِسِ. وَاسْتَمَرَ الْحَالُ كَذَلِكَ، بَلْ وَازْدَادَ حِدَّةً نَظْرًا لِتَوْسُّعِ الْمَدِّ الشُّيُوعِيِّ وَزِيَادَةِ نُصْرَةِ أَجْهَزَةِ الْحُكْمِ لِذَلِكَ التِّيَّارِ الْفَاسِدِ. وَدَفَعَ ذَلِكَ الْوَضْعُ الشَّاذُّ عَدَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الرَّعِيمُ الْإِسْلَامِيُّ «مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ» إِلَى إِعْلَانِ الْجِهَادِ عَلَى حُكْمِ «دَاوُدَ خَانَ» الَّذِي مَكَنَ الرُّوسَ وَالشُّيُوعِيِّينَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَمَهَّدَ لِعَقِيدَةِ الْكُفْرِ وَنَاصَرَهَا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَبَدَأَ الْعُلَمَاءُ وَأَنْصَارُهُمْ - وَكَانَ الْعَدَدُ قَلِيلًا جِدًّا - الْجِهَادَ مِنْ وِلَايَةِ «بَاكْتِيَا» وَوِلَايَةِ «نَجْرَهَار» مَسْقُطِ رَأْسِ «مُحَمَّدِ يُونُسُ خَالِصٌ». وَبَدَأَتْ

هَجَمَاتٌ عَلَى مَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ وَالْجَيْشِ، وَلَا قَتَّ نَجَاحًا فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، وَلَكِنْ اسْتِجَابَةَ الشَّعْبِ لَهُمْ كَانَتْ ضَعِيفَةً وَظُرُوفَ الْجِهَادِ كَانَتْ غَايَةً فِي الصُّعُوبَةِ، كَمَا أَنَّ «دَاوُدَ خَانَ» لَوَّحَ لَهُمْ بِمُعْرِيَاتٍ مَادِّيَّةٍ لَوْ أَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا عَنِ الْمُعَارَضَةِ الْمُسَلَّحَةِ. وَتَحْتَ وَطْأَةِ هَذِهِ الظُّرُوفِ انْسَلَخَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْجِهَادِ وَاخْتَارُوا الْمَنَاصِبَ الْحُكُومِيَّةَ الْكَبِيرَةَ فِي حُكُومَةِ «دَاوُدَ خَانَ» وَبَقِيَ «مُحَمَّدُ يُونُسَ خَالِصٌ» فِي السَّاحَةِ بِمُفْرَدِهِ وَمَعَهُ قَلَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ؛ فَاضْطُرَّ إِلَى اللُّجُوءِ إِلَى بَاكِسْتَانَ لِيَدْعُوا إِلَى فِكْرَةِ الْجِهَادِ وَيَحْشُدَ الْأَنْصَارَ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ نَهَايَةَ حُكْمِ «دَاوُدَ خَانَ» عَلَى يَدِ أَصْدِقَائِهِ الشُّيُوعِيِّينَ الَّذِينَ اسْتَوْلَى زَعِيمُهُمْ «تَرَاقِي» عَلَى السُّلْطَةِ بِانْقِلَابٍ عَسْكَرِيٍّ أَزَاحَهُ عَنِ الْحُكْمِ.

وَعَلَى الْفَوْرِ اجْتَمَعَ «مُحَمَّدُ يُونُسَ خَالِصٌ» مَعَ أَنْصَارِهِ وَقَرَّرُوا دُخُولَ أَفْغَانِسْتَانَ وَبَدَأَ الْجِهَادَ فَوْرًا ضِدَّ الْحُكْمِ الشُّيُوعِيِّ الْجَدِيدِ، وَوَجَّهَ نِدَاءً إِلَى جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ وَزَعَمَاءِ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِاللِّحَاقِ بِهِ وَتَنْظِيمِ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجِهَادِ. وَبَدَأَ «مُحَمَّدُ يُونُسَ» وَجَمَاعَتُهُ الْجِهَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ لِانْقِلَابِ تَرَاقِي.



انْقِسَامَاتٌ فِي الصَّفِّ الْإِسْلَامِيِّ:

عَقِبَ الْانْقِلَابِ الشُّيُوعِيِّ بَدَأَتْ مُطَارَدَةٌ عَنِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَاصَّةً

الْعُلَمَاءُ وَرُؤَسَاءُ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ وَكُلُّ مَنْ كَانَ لَهُ نَشَاطٌ
 إِسْلَامِيٌّ قَلَّ أَمْ كَثُرَ. وَكَانَتْ التَّصْفِيَّاتُ الْجَسَدِيَّةُ تَتِمُّ بِصُورَةٍ وَخَشِيَّةٍ دَفَعَتْ
 الْأَلْفَ إِلَى الْهَجْرَةِ إِلَى بَاكِسْتَانٍ فِرَارًا بِدِينِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ، وَكَتَبَتْ سُجُونُ
 الشُّيُوعِيِّينَ بِالْآلِفِ أُخْرَى مِمَّنْ فَشَلُّوا فِي الْهَرْبِ. وَكَانَ مِنَ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ يَكُونَ
 رَدُّ فِعْلِ رُؤَسَاءِ الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ هُوَ إِعْلَانُ الْجِهَادِ وَاللِّحَاقُ بِ«مُحَمَّدِ
 يُونُسَ» وَإِخْوَانِهِ، وَلَكِنَّ مِنَ الْمُؤَسَّفِ أَنَّهُمْ فَشَلُّوا فِي الْإِتِّفَاقِ عَلَى رَأْيٍ،
 وَبَدَأُوا سِلْسِلَةً مِنَ الشَّقَاقِ لَمْ تَتَوَقَّفْ حَتَّى الْآنَ [٤].

فَعَقِبَ الْهَجْرَةَ رَأَتْ الزَّعَامَاتُ بِأَنَّ الْجِهَادَ ضِدَّ الْحُكْمِ الشُّيُوعِيِّ الْآنَ يُعَدُّ
 نَوْعًا مِنَ الْجُنُونِ وَالْإِنْتِحَارِ نَظْرًا لِلْفَارِقِ الشَّاسِعِ فِي الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ بَيْنَ
 الْمُجَاهِدِينَ وَالْجَيْشِ الْمَدْعُومِ بِقُوَّةِ الرُّوسِ. فَلَا بُدَّ حَسْبَ رَأْيِهِمْ مِنَ الْإِنْتِظَارِ
 وَتَرْكِيزِ الْجُهْدِ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ مِنْ دَوْلِ الْإِسْلَامِ لِإِعْدَادِ جَيْشٍ مُكْتَمِلٍ
 بِالْعَدَدِ وَالْعِتَادِ بِمَا يُمَاتِلُ الْجَيْشَ الْحُكُومِيَّ، ثُمَّ يَبْدَأُ الْجِهَادَ بَعْدَ ذَلِكَ [٥].

وَتَبَنَّى هَذَا الرَّأْيَ جَمِيعُ الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيمَا عَدَا «مُحَمَّدَ يُونُسَ
 خَالِصَ» وَجَمَاعَتِهِ الَّذِينَ تَلَقُّوا انْتِقَادَاتٍ مَرِيرَةً مِنْ بَاقِي الْجَمَاعَاتِ الَّذِينَ
 وَصَفُوا «مُحَمَّدَ يُونُسَ» بِالتَّهَوُّرِ وَعَدَمِ الْمَسْئُولِيَّةِ. وَأَضَافَ بَعْضُهُمْ لِهَذَا الرَّأْيِ
 رَأْيًا آخَرَ مَفَادُهُ أَنَّ الْجِهَادَ ضِدَّ «تَرَاقِي» لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِسْلَامِيًّا خَالِصًا،
 بِمَعْنَى أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَشْمَلَ كَافَّةَ الْإِتِّجَاهَاتِ الْمُعَارِضَةِ لِحُكْمِ «تَرَاقِي» وَلَوْ

كَانَتْ هَذِهِ الِاتِّجَاهَاتُ إِقْلِيمِيَّةً قَوْمِيَّةً أَوْ اشْتِرَاكِيَّةً أَوْ حَتَّى شُيُوعِيَّةً مُوَالِيَّةً لِلصِّينِ وَمُعَارِضَةً لِلاتِّجَاهِ الشُّيُوعِيِّ السُّوفِيَّتِيِّ الَّذِي يَتَبَنَاهُ «تَرَاقِي». وَأَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ دَافِعُوا عَنْ رَأْيِهِمْ هَذَا بِأَنَّهُ الْأَكْثَرُ عَصْرِيَّةً وَالْأَكْثَرُ تَقَبُّلاً مِنْ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ وَالِدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ بِالذَّاتِ [٦]. وَأَصَافَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْمُنَادَاةَ بِعَوْدَةِ «ظَاهِرِ شَاه» مَلِكًا تَسْتَمِيلُ الْغَرْبَ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ وَيَكُونُ أَقْرَبَ لِيَجْذِبَ التَّعَاطُفَ الدُّوَلِيَّ إِلَيْهِمْ، وَهَكَذَا أَصْبَحَ مِنْهُجُهُمْ كَالتَّالِي:

١. الْمُنَادَاةُ بِعَوْدَةِ «ظَاهِرِ شَاه» مَلِكًا.

٢. إِنْشَاءُ جَبْهَةٍ مَعَ كُلِّ الْقُوَى السِّيَاسِيَّةِ الْمُعَارِضَةِ لِنِظَامِ «تَرَاقِي» بِمَا فِيهَا الْقَوْمِيَّينَ وَالشُّيُوعِيَّينَ.

٣. التَّرْكِيزُ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ مِنَ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِنْشَاءُ جَيْشٍ تَقْلِيدِيٍّ يُوَاجِهُ جَيْشَ السُّلْطَةِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْبُنُودُ الثَّلَاثَةُ سَبَبًا فِي إِفْشَالِ كَافَّةِ الْجُهُودِ الَّتِي بُذِلَتْ لِتَوْحِيدِ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ مَعَ جَمَاعَةِ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصِ» الَّذِي أَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ لِحُلِّ جَمَاعَتِهِ وَالانْضِمَامِ تَحْتَ لِيَوَاءِ أَيِّ جَمَاعَةٍ تُقَرَّرُ النُّزُولُ إِلَى مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ ضِدَّ الشُّيُوعِيَّةِ [٧] عَلَى أَسَاسِ إِسْلَامِيٍّ خَالِصٍ وَوَاضِحٍ وَمُعْلَنٍ، وَأَنْ تَتَخَلَّى تِلْكَ الْجَمَاعَاتُ عَنْ تِلْكَ الْبُنُودِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَسَاسٍ:

١. أَنَّ «ظَاهِرَ شَاه» هُوَ الَّذِي مَكَنَ لِلشُّيُوعِيَّةِ مِنَ السَّيْطَرَةِ، وَسَاقَ الْبِلَادَ إِلَى مَا

هِيَ فِيهِ مِنْ فِتْنَةٍ وَحَرْبٍ، فَكَيْفَ نُنَادِي بِهِ مَلَكَ مَرَّةً أُخْرَى؟.

٢. إِنْشَاءُ جَبْهَةٍ مَعَ قُوَى سِيَاسِيَّةٍ عَلَى أَسَاسٍ غَيْرِ إِسْلَامِيٍّ لَا يُعْتَبَرُ جِهَادًا لِأَنَّ مَفْهُومَ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْقِتَالُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَأَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ لِشَرَعِ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُجَاهِدُ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ ضِدَّ الشُّيُوعِيِّينَ بِهَدَفٍ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ بَعْدَ الْحَرْبِ مُنَاصَفَةً بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالشُّيُوعِيَّةِ. فَهَلْ يُعْقَلُ هَذَا، وَهَلْ هُوَ جَائِزٌ شَرْعًا؟، بِالطَّبَعِ لَا.

٣. التَّرْكِيزُ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ أَوْ لَا غَيْرُ صَحِيحٍ وَغَيْرُ جَائِزٍ؛ لِأَنَّ الْجِهَادَ أَصْبَحَ فَرَضٌ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ الْقِيَامُ بِهِ فَوْرًا بِكُلِّ مَا هُوَ فِي مَقْدُورِنَا وَاسْتِطَاعَتِنَا مِنْ سِلَاحٍ وَمَالٍ وَعَتَادٍ، وَمِصْدَاقًا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ

تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فَالْعِبْرَةُ إِذَنْ بِبَذْلِ الْجُهْدِ وَالِاسْتِطَاعَةِ ثُمَّ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد].

هَذَا وَقَدْ بُذِلَتْ جُهُودٌ لِتَوْحِيدِ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ مِنْ جَانِبِ شَخْصِيَّاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَلَكِنْ كُلُّ مُحَاوَلَةٍ كَانَتْ يَعْقُبُهَا مَزِيدٌ مِنَ التَّقَتِّ وَالانْقِسَامِ.



جِهَادٌ فِي الْجِبَالِ، وَجِهَادٌ فِي «بِشَاوَر» [٨]:

ذَهَبَ مَوْلَانَا «مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ» فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ أَسْتِيْلَاءِ «تَرَاقِي» عَلَى السُّلْطَةِ إِلَى وِلَايَةِ «نَجْرَهَار» مَسْقُطِ رَأْسِهِ وَجَمَعَ حَوْلَهُ الْعُلَمَاءَ وَالشَّبَابَ وَرِجَالَ الْقَبَائِلِ وَكَافَّةَ فِئَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَدَأَ حَرْبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا فِي تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ الْجَبَلِيَّةِ. وَتَوَجَّهَ نَائِبُهُ الْأَوَّلُ مَوْلَانَا «جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي» إِلَى مَسْقُطِ رَأْسِهِ فِي وِلَايَةِ «بَاكْتِيَا» الشَّهِيرَةِ بِمَنَاطِقِهَا الْجَبَلِيَّةِ الْوَعْرَةِ حَيْثُ بَايَعَهُ رُؤُسَاءُ الْقَبَائِلِ هُنَاكَ أَمِيرًا لِلْوِلَايَةِ مِنْ طَرَفِ «مُحَمَّدِ يُونُسِ خَالِصِ» زَعِيمِ الْحِزْبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَحَشَدَ «حَقَّانِي» خَلْفَهُ كُلَّ قَادِرٍ عَلَى حَمْلِ السَّلَاحِ فِي الْوِلَايَةِ.

كَمَا أَرْسَلَ «مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ» بَعْضَ أَتْبَاعِهِ إِلَى وِلَايَةِ «كُونَر» لِحَشْدِ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ، وَبَدَأَ الْجِهَادَ ضِدَّ قُوَّاتِ «تَرَاقِي». وَقَدْ صَادَفَتْ قُوَّاتُ الْمُجَاهِدِينَ بِقِيَادَةِ «مُحَمَّدِ يُونُسِ خَالِصِ» نَجَاحًا بَاهِرًا فِي السَّنَةِ الْأُولَى الَّتِي بَدَأَ فِيهَا الْجِهَادَ، وَتَمَّ تَحْرِيرُ مُعْظَمِ أَرَاضِي هَذِهِ الْوِلَايَاتِ الثَّلَاثِ وَصَارَ الْحُكْمُ فِيهَا إِسْلَامِيًّا، وَالْقِيَادَةُ فِيهَا لـ «مُحَمَّدِ يُونُسِ خَالِصِ» رَئِيسِ الْحِزْبِ الْإِسْلَامِيِّ. كَمَا انْتَشَرَ الْجِهَادُ فِي كَافَّةِ الْوِلَايَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ حَتَّى الْمُلَاصِقِ مِنْهَا لِحُدُودِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، وَحَتَّى «كَابُل» نَفْسُهَا لَمْ تَخُلْ مِنْ مُصَادَمَاتِ مُسَلَّحَةٍ.

وَلَكِنَّ طَبِيعَةَ الْقِتَالِ كَانَتْ تَخْتَلِفُ؛ فَالْمَنَاطِقُ الْجَبَلِيَّةُ سَيِّطَرَتْ عَلَيْهَا قُوَّاتُ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصٍ» سَيِّطَرَةَ تَامَّةً، وَذَلِكَ فِي وِلَايَتِي «نَجْرَهَار» وَ «بَاكْتِيَا» وَلَمْ يَتَبَقَّ لِلْحُكُومَةِ فِي تِلْكَ الْمَنَاطِقِ إِلَّا الْمُدُنُ الرَّئِيسِيَّةُ تَحْمِيهَا قُوَّاتٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْجَيْشِ وَسِلَاحِ الطَّيْرَانِ الَّذِي رَكَّزَ جُهُودَهُ فِي قَصْفِ قُوَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ نَجَّحُوا فِي تَكْوِينِ قُوَّاتٍ فِدَائِيَّةٍ فِي مَرَاكِزَ قُوَّةٍ مُتَشِرَّةٍ بَيْنَ الْجِبَالِ، وَاسْتَعْلَوْا الْأَسْلِحَةَ الثَّقِيلَةَ الَّتِي غَنَمُوهَا فِي إِحْكَامِ الْحِصَارِ [٩] حَوْلَ تِلْكَ الْحَامِيَّاتِ وَقَصَفْنَهَا بِالْمَدَافِعِ وَالِاشْتِبَاكِ مَعَ سِلَاحِ الْجَوِّ.

وَهَكَذَا بَدَأَ قِتَالُ مَرِيرٍ وَغَيْرِ مُتْكَافِيٍّ فِي وِلَايَتِي «نَجْرَهَار» وَ «بَاكْتِيَا» وَلَكِنَّ الْإِيْمَانَ كَانَ هُوَ الْمُتَّصِرَ، وَمَا زَالَ هَذَا الْقِتَالُ دَائِرًا. وَتَمَكَّنَ «مُحَمَّدُ يُونُسَ خَالِصٍ» وَ «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» مِنْ تَحْرِيرِ مُعْظَمِ أَرَاضِي هَاتَيْنِ الْوِلَايَتَيْنِ خِلَالَ الْعَامِ الْأَوَّلِ مِنَ الْجِهَادِ، وَامْتَدَّ نَشَاطُهُمَا لِيَشْمَلَ دَعَمَ عَمَلِيَّاتِ الْقِتَالِ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُجَاوِرَةِ، وَإِمْدَادَ زُعَمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ فِيهَا بِالسَّلَاحِ وَالرِّجَالِ، وَتَزْوِيدَهُمْ بِالْخِبْرَاتِ التَّنْظِيمِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ [١٠]، وَذَلِكَ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ أَيِّ انْتِمَاءٍ حِزْبِيٍّ أَوْ قَوْمِيٍّ وَبِاعْتِبَارِ أُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي تَرِبُّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. وَهَكَذَا تَبَلُّورَتْ قِيَادَةُ الْحِزْبِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْقِتَالِ، وَكَانَ لِتَوَاجُدِ زُعَمَائِهِ فِي وَسْطِ الْمَعْرَكَةِ أَثْرٌ كَبِيرٌ فِي دَفْعِ الْمُجَاهِدِينَ وَتَنْظِيمِ صُفُوفِهِمْ وَرَفْعِ رُوحِهِمِ الْمَعْنَوِيَّةِ. وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي «نَجْرَهَار» وَ «بَاكْتِيَا» وَ «كُونر» وَ «غزني» وَغَيْرِهَا قِيَادَاتٍ مُخْلِصَةً مُتَفَانِيَّةً تَخَوُّضَ الْقِتَالِ بِنَفْسِهَا،

فَالْتَفُوا حَوْلَهَا رَافِعِينَ جَمِيعًا رَايَةَ الْإِسْلَامِ، فَلَا أَحْزَابَ وَلَا قَوْمِيَّاتٍ.

وَحَتَّى ضَبَّاطِ الْجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَارِضِينَ لِحُكْمِ «تَرَاقِي» الشُّيُوعِيِّ
 نَسَقُوا مَعَ قِيَادَاتِ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصِ» مَجْمُوعَةً مِنَ الْإِنْتِفَاضَاتِ فِي كَثِيرٍ
 مِنَ الْمَوَاقِعِ أَدَّتْ إِلَى قَتْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْتَشَارِينَ الرُّوسِ وَضَبَّاطِ حِزْبِ «خَلْقِ»
 الْحَاكِمِ، وَأَدَّتْ إِلَى إِرْبَاكِ قِيَادَاتِ الْجَيْشِ. وَخَسِرَتِ الْحُكُومَةُ كَثِيرًا مِنْ
 الْمَوَاقِعِ وَالْمَعَارِكِ نَتِيجَةً لِهَذَا التَّنْسِيقِ. وَأَنْضَمَّ عَشْرَاتٌ مِنَ الضَّبَّاطِ مَعَ
 جُنُودِهِمْ وَكَامِلِ أَسْلِحَتِهِمْ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ، وَمَا زَالَتْ تِلْكَ الْإِتِّصَالَاتُ
 وَالتَّنْسِيقُ جَارٍ حَتَّى الْآنَ بَيْنَ الضَّبَّاطِ الْمُسْلِمِينَ وَالْقِيَادَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لـ «مُحَمَّدِ
 يُونُسَ خَالِصِ»، وَمَا الْإِنْتِفَاضَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ الْأَخِيرَةُ فِي «كَابُلِ» إِلَّا مِنْ نَتَائِجِ
 هَذَا التَّنْسِيقِ. وَلَوْ لَا وَجُودُ تِلْكَ الْقِيَادَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْلِصَةِ دَاخِلَ مِيدَانِ
 الْقِتَالِ لَمَا أَمْكَنَ إِحْرَازُ هَذِهِ الْإِنْتِصَارَاتِ الْكَبِيرَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْقَلِيلِ [١١].

وَكَتَبْتِيجَةً لِهَذِهِ الْإِنْتِصَارَاتِ الْبَاهِرَةِ أَمْتَدَّتْ حَرَكَةُ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
 لِتَشْمَلَ مُعْظَمَ وِلَايَاتِ أَفْغَانِسْتَانَ، بِمَا فِيهَا تِلْكَ الْوِلَايَاتُ الْمُجَاوِرَةُ لِحُدُودِ
 الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، وَبَدَأَتْ فِيهَا عَمَلِيَّاتُ الْإِغْتِيَالِ لِأَعْضَاءِ حِزْبِ «خَلْقِ»
 وَإِلْقَاءِ الْقَنَابِلِ عَلَى مُعَسْكَرَاتِ الْجَيْشِ وَمَنَازِلِ الشُّيُوعِيِّينَ وَالْمُسْتَشَارِينَ
 الرُّوسِ. وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ فِي الْوِلَايَاتِ غَيْرِ الْجَبَلِيَّةِ وَالَّتِي لَا
 تُسَاعِدُ طَبِيعَتُهَا عَلَى حَرْبِ عِصَابَاتٍ كَبِيرَةٍ وَمُنْظَمَةٍ، كَمَا فِي وِلَايَتَيْ



«نجرهار» و «باكيتيا» التي تطوّرت القتال فيها ليصبح هجوماً مركّزاً على محاور ثلاثة هدفها «كابل» العاصمة. وبالمقابل [فقد] ركّز الجيش معظم قوّاته لصدّ هذا الزحف وحمّاية العاصمة. وتمّ الاتصال بين قادة المجاهدين في مختلف الولايات وبين مركز قيادة «محمد يونس خالص»، وأعرّبوا له عن انّفاقهم معه في الهدف الأساسي من شنّ هذه الحرب وهو إقامة حكم إسلامي كامل يشمل أفغانستان كلّها، يكون دستورُهُ هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وبايعوا «محمد يونس» زعيماً لهم، وأعرّبوا عن تخليهم عن كافة الزعامات التي ارتضت لنفسها الفرار من ميدان الجهاد والجلوس في «بشاور» لإصدار البيانات وممارسة عمل إعلامي مكثف لترسيم لنفسها دور الزعامة المجاهدة [١٢].

وكان ذلك هو فعلاً واقع الزعامات الإسلامية في «بشاور»، فقد جمّع الزعماء من حولهم عدداً كبيراً من الأنصار والمثقفين وباشروا [إصدار] الكتيبات والبيانات العسكرية وأرسلوا الوفود لتطوف بالعالم الإسلامي، وكلّ وفدٍ يقدّم نفسه بأنّه القائد الفعلي للجهاد في أفغانستان، وأنّه الوحيد الذي يتحمّل التبعات على كتفيه. وقد حقّق بعضهم نجاحات كبيرة في هذا المجال وأصبحت لهم قدمٌ راسخة في مجال الدعاية والإعلان عن بضاعتهم الفاسدة [١٣].

وَهَكَذَا بَدَأَتْ جَمَاعَاتُ «بِشَاوَر» «الْجِهَادَ الْمُضَادَّ» أَوْ «الْجِهَادَ الْمُعَاكِسَ»، وَتَكَوَّنَتْ جَمَاعَاتٌ مِنْ نَمَطٍ جَدِيدٍ مِنَ «الْمُجَاهِدِينَ» عِبَارَةً عَنِ عِصَابَاتٍ لِحَظْفِ الْغَنَائِمِ لَيْسَ إِلَّا، وَتَنَسَّبُ نَفْسَهَا لِهَذَا الْحِزْبِ أَوْ ذَاكَ مِنْ أَحْزَابِ الْقَاعِدِينَ فِي «بِشَاوَر». وَكَانَتْ تِلْكَ أَقْسَى صَرْبَةٍ مُؤَلِّمَةٍ لِحَرَكَةِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ مُنْذُ بَدَأَ الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، إِذْ أَنْشَقَّتِ الصُّفُوفُ الَّتِي وَحَدَّثَهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَظَهَرَتْ جَمَاعَاتُ خَطْفِ الْغَنَائِمِ تَحُومٌ حَوْلَ مَوَاقِعِ الْقِتَالِ حَيْثُ يَنْهَمِكُ إِخْوَانُهُمْ فِي حِصَارٍ وَضَرْبِ الْحَامِيَّاتِ الْحُكُومِيَّةِ لِأَسَابِيعَ وَشُهُورٍ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْ اللَّحْظَةُ الْحَاسِمَةُ وَاسْتَسَلَمَتِ الْحَامِيَّةُ انْقَضُوا بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ وَاخْتَطَفُوا الْغَنَائِمَ لِيُصْبِحَ قَانُونُ «الْغَنِيمَةُ لِمَنْ أَخَذَهَا» أَوَّلَ تَصَدُّعٍ يُصِيبُ صُفُوفَ الْمُجَاهِدِينَ وَيَهْدُدُّ بِحُدُوثِ الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، لَوْلَا قُدْرَةُ أَمْرَاءِ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصٍ» عَلَى كَبْحِ زِمَامِ جُنُودِهِمْ. وَأَصْبَحَ الْهَمُّ الْأَسَاسِيُّ لِقِيَادَةِ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصٍ» هُوَ الْخُرُوجُ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ وَإِعَادَةُ الْوَحْدَةِ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ. وَلَكِنَّ زُعَمَاءَ «بِشَاوَر» مَا زَالُوا يُسَخَّرُونَ مَوَارِدَهُمْ الْمَالِيَّةَ الضَّخْمَةَ فِي تَكْرِيسِ هَذَا الْانْفِصَامِ وَتَوْسِيعِ شِقَّتِهِ إِرْضَاءً لِنَوَازِعِ شَخْصِيَّةٍ وَأَهْدَافٍ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ [١٤].



الْوَضْعُ الْعَسْكَرِيُّ وَالْوَضْعُ الْاِقْتِصَادِيُّ:

بِالنَّسْبَةِ لِمَنَاطِقِ الْقِتَالِ الرَّئِيسِيَّةِ، فَإِنَّ الْوَضْعَ الْعَسْكَرِيَّ لِلْمُجَاهِدِينَ يُعْتَبَرُ جَيِّدًا، وَالْمُبَادَرَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ فِي يَدِهِمْ رُغْمَ الْفَارِقِ الْهَائِلِ فِي الْمُعَدَّاتِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَيْشِ الْحُكُومِيِّ، حَيْثُ يَلْتَزِمُ الْجَيْشُ الْآنَ بِمَوْقِفِ الدَّفَاعِ، فَيُرَكِّزُ قُوَّاتِهِ فِي مَنَاطِقِ اسْتِرَاطِيَجِيَّةٍ حَوْلَ الْمُدُنِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تَعْتَرِضُ طُرُقَ زَحْفِ الْمُجَاهِدِينَ نَحْوَ الْعَاصِمَةِ. وَكَانَ دَافِعُ الْإِيْمَانِ الْمُطْلَقِ بِاللَّهِ وَاعْتِقَادِهِمْ بِأَنَّ قِتَالَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَالدَّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ ضِدَّ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ هُوَ أخطرُ سِلَاحٍ يَعْمَلُ فِي جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ وَيُكْسِبُهُمُ الطَّابِعَ الْهُجُومِيَّ فِي الْحَرْبِ، رُغْمَ عَدَمِ التَّكَافُؤِ الْوَاضِحِ فِي نَوْعِيَّةِ وَكَمِّيَّةِ الْأَسْلِحَةِ لَدَى الطَّرَفَيْنِ، يُقَابِلُ ذَلِكَ انْهِيَارَ الْمَعْنَوِيَّاتِ لَدَى قُوَّاتِ الْحُكُومَةِ وَتَحْيِيئَهَا الْفُرْصَةَ لِلْفِرَارِ لِلانْضِمَامِ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَأحيانًا إِلَى قَتْلِ الْمُسْتَشَارِينَ الرُّوسِ وَضُبَّاطِ حِزْبِ «خَلْقٍ» وَالانْضِمَامِ إِلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَإِنَّ الْحَرْبَ الْأَفْعَائِيَّةَ دَخَلَتْ مَرَحَلَةً جَدِيدَةً أَطْلَقَ عَلَيْهَا بَعْضُ الْمُحَلِّلِينَ «مَرَحَلَةَ الْهُجُومِ الْاِسْتِرَاطِيَجِيِّ» وَهِيَ مَرَحَلَةُ اجْتِيَاكِ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ. وَهِيَ مَرَحَلَةٌ تَسْتَلْزِمُ كَمَا وَفِيرًا مِنَ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ - وَهِيَ مُتَوَفَّرَةٌ إِلَى حَدِّ مَا - وَكَمَا وَفِيرًا مِنَ الذَّخَائِرِ لِتِلْكَ الْأَسْلِحَةِ، وَهِيَ غَيْرُ مُتَوَفَّرَةٍ لِأَسْبَابٍ مَالِيَّةٍ. وَمِثْلُ ذَلِكَ الْهُجُومِ يَسْتَلْزِمُ أَسْلِحَةً فَعَّالَةً لِلدَّفَاعِ الْجَوِّيِّ، وَهَذَا

غَيْرَ مُتَوَفِّرٍ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ بِالْقَدْرِ الْكَافِي [١٥].

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْمُجَاهِدِينَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى تَدْعِيمِ أَسْلِحَتِهِمُ الْمُضَادَّةَ لِلدَّبَابَاتِ وَأَسْلِحَتِهِمُ الْمُضَادَّةَ لِلطَّائِرَاتِ، وَذَلِكَ كَمَا طَلَبَ أُسَاسِيٌّ لِتَطْوِيرِ هُجُومِهِمْ عَلَى الْقِلَاعِ الْحُكُومِيَّةِ وَالتَّصَدِّي لِسِلَاحِ الْجَوِّ الشُّيُوعِيِّ الَّذِي يَدْعُمُهُ الرُّوسُ بِشَكْلِ مُكْتَفٍ فِي الْأَشْهُرِ الْأَخِيرَةِ. وَتِلْكَ الْمَرْحَلَةُ مِنَ الْحَرْبِ بَدَأَتْ مِنْذُ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ الْمُجَاهِدِينَ فِيهَا يَسِيرٌ بِطُءٍ شَدِيدٍ؛ لِنَقْصِ الْمُعِدَّاتِ اللَّازِمَةِ مِنْ نَاحِيَةٍ وَمِنْ الْأَثَارِ السَّلْبِيَّةِ لِعَمَلِيَّةِ «الْجِهَادِ الْمُعَاكِسِ» مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَلِلصُّعُوبَاتِ الْأَقْتِصَادِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ. فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْفِتْنَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُحَارَبَةَ هِيَ أَكْثَرُ الْفِتَنَاتِ فَقْرًا وَأَقْلَهَا شُهْرَةً فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَكْثَرَهَا تَعَضُّرًا لِلتَّشْهِيرِ وَالْهُجُومِ [١٦] مِنْ جَمَاعَاتِ «الْجِهَادِ الْمُعَاكِسِ» فِي «بِيشَاوَر» الَّتِي اسْتَقْبَلَتْ مُعْظَمَ مَصَادِرِ الْمُسَاعَدَةِ وَالْعَوْنِ وَتَفَنَّنَتْ فِي وَسَائِلِ الدَّعَايَةِ وَجَلَبِ الْأَمْوَالِ. وَالْأَمْوَالُ الْمُتَوَفَّرَةُ لَدَى جَمَاعَةِ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصٍ» تَكْفِي بِالْكَادِ لِذَفْعِ الْحَرْبِ فِي مُعَدَّلِهَا الْحَالِي الْبَطِيءِ وَلَيْسَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى شِرَاءِ ذَخَائِرِ الْكَثَافَةِ الْمَطْلُوبَةِ. كَمَا أَنَّ الْوَضْعَ الْغِذَائِيَّ لِلْمُجَاهِدِينَ سَيءٌ لِلْغَايَةِ، وَيَقْتَصِرُ غِذَاؤُهُمْ عَلَى الشَّايِ وَالْخُبْزِ الْأَسْوَدِ وَنَادِرًا مَا يَزِيدُ الطَّعَامُ عَنْ ذَلِكَ [١٧].

بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الْقِصْفَ الْجَوِّيَّ وَانْقِطَاعَ الطَّرِيقِ أَدَّى إِلَى اخْتِنَاقِ

اقتِصَادِيٌّ شَبِهَ كَامِلٍ فِي الْأَرَاضِي الْمُحَرَّرَةِ، يَدْفَعُ الْأَهَالِي إِلَى النُّزُوحِ إِلَى بَاكِسْتَانٍ، وَهَذَا الْوَضْعُ إِذَا اسْتَمَرَّ مَعَ قُدُومِ شُهُورِ الشِّتَاءِ الْقَاسِيَةِ يُهَدِّدُ بِأَنْ تَفْرُغَ الْوِلَايَاتُ الْمُحَرَّرَةُ مِنَ السُّكَّانِ وَيَسْهُلَ عَلَى الْحُكُومَةِ أَنْ تَنْشُرَ قُوَّاتِهَا وَتَسْتَوْلِيَ عَلَى أَرْضٍ خَالِيَةٍ مِنَ السُّكَّانِ [١٨]. وَكَاجِرَاءٍ وَقَائِيٍّ لِذَلِكَ تَسْعَى قِيَادَةُ «مُحَمَّدِ يُونُسَ خَالِصٍ» إِلَى تَخْزِينِ مُؤْنٍ تَكْفِي الْأَهَالِي وَتَكْفِي الْمُجَاهِدِينَ لِفَضْلِ الشِّتَاءِ، وَذَخَائِرٍ لِمُؤَيِّنِ الْعَمَلِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الشِّتَاءِ. وَإِذَا كَانَتْ الْمَوَارِدُ الْمَالِيَّةُ لِلْجَمَاعَةِ لَا تَكْفِي مَطَالِبَهَا الْيَوْمِيَّةَ، فَكَيْفَ بِالتَّخْزِينِ لِفَضْلِ كَامِلٍ؟ [١٩].



الموقفُ الروسيُّ:

لَا يُبْدُو أَنَّ الرُّوسَ عَازِمُونَ عَلَى التَّقْلِيلِ مِنْ دَعْمِهِمْ لِنِظَامِ «تَرَاقِي» وَلَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ مَكَاسِبِهِمُ الَّتِي حَقَّقُوهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَقَدْ أَشَارَ مُرَاسِلُ صَحِيفَةِ «الْجَارْدِيَان» الْبَرِيطَانِيَّةِ فِي تَقْرِيرٍ لَهُ مِنْ «كَابُل»، بِأَنَّ الْقُدْرَاتِ الْعَسْكَرِيَّةَ السُّوفِيَّةَ وَالْخُبْرَاءَ الْعَسْكَرِيِّينَ السُّوفِيَّةِ يَدَافِعُونَ عَنِ الْعَاصِمَةِ «كَابُل»، وَأَنَّ الْمُقَاتِلَاتِ السُّوفِيَّةِ كَانَتْ تَقُومُ بِقِصْفِ الْقُوَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي تَمَرَّدَتْ أَخِيرًا فِي الْعَاصِمَةِ. وَأَشَارَ الْمُرَاسِلُ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الدَّلَائِلِ تُبَيِّنُ أَنَّ الرُّوسَ لَنْ يَتَخَلَّوْا أَبَدًا عَنْ أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عِزْلَةِ حُكُومَةِ «تَرَاقِي» وَضَعْفِ

الإجراءات الأمنية وتزايد النعمة الشعبية ضد السوفييت [٢٠]، وقد علل تمسك السوفييت بالسيطرة على أفغانستان بالأسباب التالية:

١. الأطماع التقليدية للسوفييت في أفغانستان.
٢. خطر حدوث ثورة إسلامية في جنوب الاتحاد السوفيتي إذا ظهر للمسلمين هناك أن تحرر إخوانهم في أفغانستان قد دحر القدرات العسكرية السوفيتية. وذكر المراسل أن الاتحاد السوفيتي أرسل عددًا من الجنرالات الكبار لتقييم الوضع العسكري في أفغانستان بقيادة القومسيار السياسي للجيش السوفيتي في شهر أبريل الماضي. ومنذ ذلك الحين تدفقت كميات هائلة من الأسلحة الروسية وتحوّلت أفغانستان إلى ترسانة أسلحة ضخمة [٢١].

ونحن نضيف إلى تلك المعلومات حقائق أخرى خطيرة [تكشفت] لقيادة المجاهدين في ولاية «باكثيا»، وهي أن عناصر شيوعية وعلى صلة بحزب «ذي الفقار علي بوتو» كانت تشتري الأسلحة الثقيلة التي تُعرض للبيع في منطقة «وزيرستان» والتي غنمها الأهالي من قوات الجيش، وكانوا يعرضون أثمانًا خيالية مقابل تلك الأسلحة. وكانت العادة أن تقوم جماعة «محمد يونس» بإعادة شراء هذه الأسلحة لاستخدامها في القتال [٢٢]، وقد تم اعتقال هؤلاء الأشخاص والتحقيق معهم. وعلم أن لهم صلات

بِالشُّيُوعِيِّينَ فِي بَاكِسْتَانِ، وَكَذَلِكَ حِزْبِ «بُوتو» وَحِزْبِ «خَلق» الْحَاكِمِ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ. وَهَكَذَا تَمْتَدُّ خِيُوطُ الْمُؤَامَرَةِ الرُّوسِيَّةِ إِلَى الْمَحَطَّةِ الْقَادِمَةِ وَهِيَ
بَاكِسْتَانَ، سَعِيًّا نَحْوَ وُصُولِ الْقَوَاتِ الرُّوسِيَّةِ إِلَى الْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ ثُمَّ الْجَزِيرَةِ
الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ أَخْطَرَ الْمُجَاهِدُونَ حُكُومَةَ بَاكِسْتَانَ بِالْمَعْلُومَاتِ الَّتِي وَصَلَتْهُمْ
[٢٣].



مَوْقِفُ بَاكِسْتَانَ مِنَ الْحَرْبِ:

لَا شَكَّ أَنَّ الْحُكُومَةَ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ تَشْعُرُ بِالْقَلْقِ الشَّدِيدِ مِنْ امْتِدَادِ النُّفُوذِ
الرُّوسِيِّ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ لِيَقِفَ إِلَى حُدُودِهَا مُبَاشَرَةً، بَلْ وَيَهْدَدُ بِشَكْلِ سَافِرٍ
بِاشْعَالِ فِتْنَةٍ فِي بَاكِسْتَانَ، تَنْتَهِي بِاسْتِيْلَاءِ الشُّيُوعِيِّينَ عَلَى الْبِلَادِ أَوْ عَلَى جُزْءٍ
مِنْهَا يَعْبُرُ مِنْهُ الرُّوسُ إِلَى الْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ عَبْرَ أَفْغَانِسْتَانَ وَبَاكِسْتَانَ، لِتَبْدَأَ
مَرَحَلَةَ الْغَزْوِ الْأَخِيرَةِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَيْثُ الصَّرَاعُ الدُّوَلِيُّ مِنْ أَجْلِ النَّفْطِ.
وَلَكِنَّ الْحُكُومَةَ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ أَصْرَتْ عَلَى إِبْرَازِ أَنَّهَا لَا تَرْغَبُ فِي التَّدْخُلِ فِي
الصَّرَاعِ الدَّائِرِ، وَهِيَ بِالْفِعْلِ لَا تُقَدِّمُ لِلْمُجَاهِدِينَ مَسَاعِدَاتٍ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ، وَهَذَا
يُثِيرُ الْمَرَارَةَ فِي نَفُوسِ الْمُجَاهِدِينَ [٢٤]. حَتَّى مَسَاعِدَاتِ بَاكِسْتَانَ
لِلْمُهَاجِرِينَ فَإِنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْقُدَمَاءِ الَّذِينَ فَرُّوا قَبْلَ الْحَرْبِ،
وَهِيَ مَسَاعِدَاتٌ لَا تَكَادُ تَسُدُّ رَمَقَهُمْ، وَالْبَيْوتُ وَالْخِيَامُ [الَّتِي] تُعْطِيهَا

الحُكُومَةُ البَاكِسْتَانِيَّةُ لَهُمْ هِيَ بِالْإِيجَارِ الشَّهْرِيِّ [٢٥].

وَقَدْ مَنَعَتْ الحُكُومَةُ البَاكِسْتَانِيَّةُ الجُنُودَ الفَارِينَ مِنْ جَيْشِ تَرَاقي أَنْ يَدْخُلُوا البِلَادَ كَلَاجِيينَ. وَيَحْكِي المُجَاهِدُونَ قِصَّةً حَدَّثَتْ مِنْذُ شُهُورٍ عَن طِيَّارٍ أَفْغَانِيٍّ يُدْعَى «عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، فَرَّ بِطَائِرَتِهِ وَلَجَأَ إِلَى بَاكِسْتَانَ فَقَامَتْ الحُكُومَةُ البَاكِسْتَانِيَّةُ بِإِعَادَتِهِ وَطَائِرَتِهِ إِلَى سُلْطَاتِ «كَابُل» لِيَتِمَّ إِعْدَامُهُ هُنَاكَ فَوْرَ وَصُولِهِ [٢٦]. وَيَشْعُرُ المُجَاهِدُونَ أَنَّ مَوْقِفَ الحُكُومَةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ يَتَّسِمُ بِالتَّقْصِيرِ وَالسَّلْبِيَّةِ.



مَوْقِفُ البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ:

لَا شَكَّ أَنَّ جِهَادَ الأفْغَانِيَّينَ يَحْطَى بِتَعَاطُفٍ إِسْلَامِيٍّ كَبِيرٍ، وَلِكِنِّهَ تَعَاطُفٌ فِي أَغْلِبِهِ سَلْبِيٌّ مَا عَدَا إِيرَانَ^(١) الَّتِي تُقَدِّمُ بَعْضَ المُسَاعَدَاتِ لِللَّاجِيينَ عَلَيَّ

(١) دَرَجَتْ تَعْقِيَّاتٌ وَتَقْدِيرَاتُ الشَّيْخِ أَبِي الوَلِيدِ المِصْرِيِّ حَوْلَ الرَّافِضَةِ عَلَيَّ الاكْتِفَاءِ بِالمَنْظُورِ وَالتَّحْلِيلِ السِّيَاسِيِّ لِلأَحْدَاثِ وَغَضَّ الطَّرْفَ عَنِ الحَقِيقَةِ العَقَائِدِيَّةِ وَالبُعْدِ التَّارِيخِيِّ لِلْمُمَارَسَاتِ الرَّافِضِيَّةِ تَجَاهَ المُسْلِمِينَ. وَلَا نَقُولُ بِأَنَّ هَذَا المَنْظُورَ إِنَّمَا هُوَ حَطَأٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُمَثِّلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ وَصْفًا مُجَرَّدًا لِلأَحْدَاثِ وَمُجْرِيَاتِ الأُمُورِ، بَلْ نَقُولُ بِأَنَّهُ مِنَ الأَوَّلَى أَنْ تُتْبَعَ هَذَا التَّحْلِيلَ وَالْوَصْفَ بِمَا يُعْرَفُ المُسْلِمِينَ بِحَقِيقَةِ الرَّافِضَةِ وَحَقِيقَةِ تَحْرُكَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَتْ فِي ظَاهِرِهَا تَتَّسِمُ

أَرْضَهَا وَتُقَدَّمُ دَعْمًا إِعْلَامِيًّا لِقَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَيُقَالُ أَنَّهَا تُقَدَّمُ بَعْضُ السَّلَاحِ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي وِلَايَةِ «هَيْرَات» الْمُجَاوِرَةِ لَهَا [٢٧]. أَمَّا عَلَى سَاحَةِ الْقِتَالِ الْفِعْلِيِّ فَالِدَّعْمُ الْوَحِيدُ الَّذِي وَصَلَ الْمُجَاهِدِينَ كَانَ مِنْ دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ عَنْ طَرِيقِ وَفْدِ أَرْسَلَهُ «مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ» لِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ مِنَ الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ هَذَا الْمَالُ هُوَ الدَّعْمُ الْإِسْلَامِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي وَصَلَ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ الْحَقِيقِيِّينَ غَيْرِ مَبْلَغِ الْمِلْيُونِ رُوبِيَّةٍ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِمْ أَحِيرًا مِنَ الْإِمَارَاتِ. أَمَّا الْأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ الَّتِي جُمِعَتْ فِي السُّعُودِيَّةِ وَبَاقِي دَوْلِ الْخَلِيجِ فَقَدْ ذَهَبَتْ بِالْكَامِلِ إِلَى جَمَاعَاتِ «الْجِهَادِ الْمُعَاكِسِ» لِتُسْتَخْدَمَ فِي شَقِّ صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ وَتَحْوِيلِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ إِلَى خَاطِفِي غَنَائِمِ.

وَقَدْ قَدَّمَتِ الْحُكُومَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَوْجَهَ الدَّعْمِ فِي الْاِتِّجَاهِ الْخَاطِفِ حَتَّى الْآنَ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الْاِنْشِقَاقِ الْقَائِمِ فِي صُفُوفِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِلَى عَدَمِ إِعْطَاءِ الْحُكُومَاتِ وَالْهَيْئَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَضِيَّةَ الْجِهَادِ ضِدَّ الشُّيُوعِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ قَدْرًا كَافِيًا مِنْ الْاهْتِمَامِ وَالتَّقْصِي وَاتِّخَاذِ الْمَوْقِفِ الْقَوِيِّ وَالْحَاسِمِ

بِالتَّأْيِيدِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَهِيَ فِي بَاطِنِهَا تُحَقِّقُ مُخَطَّطًا كُفْرِيًّا لِلسَّيْطَرَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ عَلَى الْمَنَاطِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُعَانِي مِنَ الْحَرْبِ أَوْ الْجُوعِ أَوْ الْفَقْرِ أَوْ الْمَرَضِ أَوْ الْجَهْلِ، فَإِنَّ إِيْرَانَ لَا تُبَادِرُ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الْمَنَاطِقِ الْمُنْكَوْبَةِ مِنْ أَجْلِ نُصْرَتِهَا، بَلْ مِنْ أَجْلِ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا.

تَجَاهَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تُهَدِّدُ أَمْنَ هَذِهِ الدُّوَلِ وَعَقِيدَتَهَا جَمِيعًا [٢٨].



مَا هُوَ الْحَلُّ؟:

فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرَكِّزُ الرُّوسُ جُهُودَهُمْ لَتَعْزِيزِ قَبْضَتِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ الْمُسْلِمَةِ نَجِدُ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ فِي مَوَاقِعِ الْقِتَالِ يَقْفُونَ بِمُفْرَدِهِمْ وَقَدْ تَخَلَّى عَنْهُمْ إِخْوَانُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَشَغَلَتْهُمْ أُمُورٌ دُنْيَاهُمْ عَنْ أُمُورِ دِينِهِمْ. وَأَخَذَتْ أَحْزَابُ الْقَاعِدِينَ فِي «بِيشاور» فِي عَرْقَلَةِ الْجِهَادِ وَتَضْلِيلِ الرَّأْيِ الْعَامِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَانْسَاقَ الْمُسْلِمُونَ فِي تَأْيِيدِ هَذَا أَوْ مُسَاعَدَةِ ذَاكَ بِلَا تَحْقِيقٍ وَلَا تَدْقِيقٍ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِهِذَا يُحْسِنُونَ صُنْعًا. فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُسْتَخْدَمُ فِيهِ أَمْوَالُهُمْ لِشَقِّ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ وَإِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ، وَلِدَعْمِ طَائِفَةٍ اسْتَمْرَأَتْ الْقُعُودَ عَنِ الْجِهَادِ وَجَمَعَ الْأَمْوَالِ بِدُونِ وَجْهِ حَقٍّ.

إِذَا مَا هُوَ الْحَلُّ؟، مَا هُوَ الْحَلُّ حَتَّى نَتَحَرَّكَ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَدْهَمُنَا الشُّيُوعِيُّونَ فِي بِيُوتِنَا... وَقَبْلَ أَنْ نَجِدَ «تَرَاقِي» آخَرَ فِيمَا بَيْنَنَا يُمَزِّقُ الْقُرْآنَ وَيَسْتَبِيحُ حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَيُطْلِقُ النَّارَ عَلَى صَدْرٍ مَنْ يَعْتَرِضُ؟. الْحَلُّ فِيمَا نَرَى سَهْلٌ وَمَيْسُورٌ إِذَا خَلَصَتْ النِّيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِي مَقْدُورِ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ دُولِ الْخَلِيجِ أَنْ تُقَدِّمَ دَعْمًا فَعَالًا وَقَوِيًّا وَلَنْ يَكُونَ بَاهِظَ التَّكْلُفَةِ.

وَالدَّعْمُ الْآنَ أَفْضَلُ لِأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ مَا زَالُوا رُغِمَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوَضْعِ الْأَقْوَى وَالْوَضْعِ الْمُهَاجِمِ. هَذَا الدَّعْمُ يَكُونُ فَعَالًا إِذَا وُضِعَ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ وَوَصَلَ إِلَى الْأَيْدِي الطَّاهِرَةِ الَّتِي تُقَاتِلُ وَتُسْتَشْهَدُ وَلَيْسَ فِي بَطُونِهَا إِلَّا كِسْرَاتٍ مِنَ الْخُبْزِ الْجَفِّ. وَمَنْ وَاقَعَ مَا طَلَبَهُ قَائِدُ الْمُجَاهِدِينَ فِي وِلَايَةٍ «بَاكِتِيًا» فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ هُوَ:

- **أولاً:** دَعْمٌ مَالِيٌّ لِشِرَاءِ أَغْدِيَةِ الْمُجَاهِدِينَ؛ فَكَثِيرًا مِنْهُمْ يُضْطَرُّ إِلَى تَرْكِ الْجِهَادِ لِلسَّعْيِ وَرَاءَ لُقْمَةِ عَيْشِهِ وَعَيْشِ أَوْلَادِهِ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لِلجِهَادِ لَا يَجِدُ طَعَامًا إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ.
 - **ثانيًا:** أَسْلِحَةٌ وَذَخَائِرٌ مُضَادَّةٌ لِلدَّبَابَاتِ وَأَسْلِحَةٌ وَذَخَائِرٌ مُضَادَّةٌ لِلطَّائِرَاتِ، أَوْ أَمْوَالٌ كَافِيَةٌ لِشِرَاءِ اللَّازِمِ مِنْهَا.
 - **ثالثًا:** مَحَطَّةٌ إِرْسَالٍ إِذَا عَيَّ لِتَحْقِيقِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي كَافَةِ الْوِلَايَاتِ، وَلِنَشْرِ أَنْبَاءِ الْجِهَادِ عَلَى أَنْبَاءِ الشَّعْبِ وَشَرْحِ حَقِيقَةِ مَا يَجْرِي لِأَفْرَادِ الْجَيْشِ لِلتَّأثيرِ عَلَى مَعْنَوِيَّاتِهِ.
 - **رابعًا:** بَدَلٌ رِعَايَةٍ كَافِيَةٍ لِأَسْرِ الْمُجَاهِدِينَ وَالشَّهَدَاءِ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى بَاكِسْتَانِ، وَالَّذِينَ يَعِيشُونَ عَلَى الْكِفَافِ وَلَا يَجِدُونَ الْمَلْبَسَ أَوْ الطَّعَامَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ رِجَالُهُمُ السَّعْيَ وَرَاءَ الرِّزْقِ بِسَبَبِ انْشِغَالِهِمْ بِالْجِهَادِ.
- هَذَا مَا يَطْلُبُهُ الْمُجَاهِدُونَ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا هُوَ نَصِيبُنَا نَحْنُ

مِنْ حِصَّةِ الْجِهَادِ وَفَرَضِيَّتِهِ عَلَى دَوْلِنَا الَّتِي لَدَيْهَا الْمَالُ، فَرَضُ عَيْنِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَعَلَيْهَا الْقِيَامُ بِهَ بَقْوَةٍ وَعَزْمٍ وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ وَخِدْمَةِ دِينِ اللَّهِ.

وَقَدْ طَلَبَ بَعْضُ أَنْصَارِ «مُحَمَّدِ يُوْنُسَ خَالِصٍ» أَنْ يَذْهَبَ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ إِلَى دَوْلِ الْخَلِيجِ لِشَرْحِ الْقَضِيَّةِ وَيَأْتِي بِالْأَمْوَالِ، فَرَفَضَ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ اعْتِمَادِي عَلَى اللَّهِ وَحِدِهِ وَهُوَ الَّذِي وَعَدْنَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِمَّا يُرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاقِ: ٢-٣].»

هَذَا وَقَدْ أَفَادَتْ آخِرُ الْأَنْبَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ مِنْ طَرَفِ الْمُجَاهِدِينَ أَنَّ ثَلَاثَةً مِنَ الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ انْضَمَّتْ تَحْتَ زَعَامَةِ «مُحَمَّدِ يُوْنُسَ خَالِصٍ» وَبَقِيَتْ الْآنَ جَمَاعَتَانِ فَقَطْ تَعْمَلُ بِشَكْلِ مُنْفَرِدٍ وَهُمَا جَمَاعَةُ «قَلْبِ الدِّينِ» «الْحِزْبُ الْإِسْلَامِيُّ» وَجَمَاعَةُ السَّيِّدِ «أَحْمَدَ الْجِيلَانِيِّ»، وَمَعْرُوفٌ عَنْ «قَلْبِ الدِّينِ» شِدَّةَ طُمُوحِهِ الشَّخْصِيِّ وَالنِّفَافَ عَدَدٍ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ حَوْلَهُ، وَلَهُ مَكَاتِبٌ سِيَاسِيَّةٌ فَعَالَةٌ فِي بَاكِسْتَانَ، لَذَا فَهُوَ الْأَكْثَرُ شَعْبِيَّةً لَدَى الرَّأْيِ الْعَامِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْخَارِجِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ جَمْعِ أَمْوَالٍ هَائِلَةٍ مِنْ مَنْطِقَةِ الْخَلِيجِ وَالسُّعُودِيَّةِ، يُقَوْمُ بِاسْتِخْدَامِهَا عَلَى نَفَقَاتِ أَعْوَانِهِ حَيْثُ تَمَكَّنَ مِنْ تَجْنِيدِ بَعْضِ جَمَاعَاتِ الْبَحْثِ عَنِ الْغَنَائِمِ.

وَقَدْ أَفَادَتْ أَنْبَاءُ الْمُجَاهِدِينَ عَنْ تَقَدُّمِ مَحْسُوسٍ فِي الْقِتَالِ بَعْدَ اتِّحَادِ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَرْجُو اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَنْصُرَ

المُجَاهِدِينَ وَيُرَدُّ عَنَّا كَيْدَ الْمُلْحِدِينَ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

كُتِبَ فِي يُولْيُو ١٩٧٩ م



وَنَدْخُلُ الْآنَ إِلَى التَّعْلِيقاتِ عَلَى التَّقْرِيرِ السَّابِقِ^(١).

[١] مَوْلَوِيٌّ «مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ»:

مَوْلَوِيٌّ «يُونُسُ خَالِصٌ» كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ اللَّامِعَةِ كَقَائِدِ مَيْدَانِيٍّ وَرَئِيسِ
تَنْظِيمِ جِهَادِيٍّ هُوَ «الْحِزْبُ الْإِسْلَامِيٌّ». وَأَسْبَابُ بَرِيقِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِكَوْنِهِ
عَالِمٍ وَقَائِدِ مَيْدَانِيٍّ وَرَئِيسِ تَنْظِيمِ جِهَادِيٍّ، إِضَافَةً إِلَى مَا ضَمَّهِ الْحَرَكَِيَّ فِي
أَوْسَاطِ الْعُلَمَاءِ وَشَبَابِ الْجَامِعَةِ وَالْمَدَارِسِ، مِنْ خِلَالِ كِتَابَاتِهِ الصَّحَفِيَّةِ
وَتَدْرِيسِهِ فِي مَدْرَسَةِ دِينِيَّةِ شَهِيرَةٍ فِي «جَلالِ آبَادٍ» وَهِيَ مَدْرَسَةُ «نَجْمِ
الْمَدَارِسِ» الَّتِي أَزَالَهَا الشُّيُوعِيُّونَ مِنَ الْوُجُودِ عَامَ ١٩٧٨ م وَأَعَادَهُوَ وَضَعَ

(١) كُنَّا سَنُورِدُ تِلْكَ التَّعْلِيقاتِ فِي الْحَاشِيَّةِ تَبَعًا لِأَمَاكِينِهَا وَلَكِنَّا أَثَرْنَا إِنْبَاءَهَا عَلَى الْحَالِ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ
وَذَلِكَ لِإِعْدَمِ تَغْيِيرِ شَكْلِ الْكِتَابِ الْأَصْلِيِّ وَلِأَنَّ تِلْكَ التَّعْلِيقاتِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ أَصْلِ الْكِتَابِ وَمَتْنِهِ وَلَا
يَصِحُّ إِدْرَاجُهَا فِي الْحَاشِيَّةِ، لِذَا فَعَلَى الْقَارِئِ الْكَرِيمِ أَنْ يَعُودَ إِلَى الرَّقْمِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ التَّعْلِيقاتُ
فِي أَصْلِ التَّقْرِيرِ لِسَهُولَةِ الرِّبْطِ بَيْنَ التَّعْلِيْقِ وَمُتَعَلِّقِهِ.

حَجَرَ أَسَاسِهَا بَعْدَ الْفَتْحِ عَامَ ١٩٩٢ م. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ مَنْطِقَةً نَشَاطِهِ «جَلال آباد» مِنْ أَهَمِّ الْمُقَاطَعَاتِ لِكَوْنِهَا وَلايَةً حُدُودِيَّةً مَعَ بَاكِسْتَانٍ، وَيَخْتَرِقُهَا أَهَمُّ طَرِيقِ دَوْلِيٍّ يَرِبُ أَفْغَانِسْتَانَ مَعَ بَاكِسْتَانٍ وَالْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ. وَقَدْ صَادَفَ التَّوْفِيقُ عَمَلِيَّاتِ «خَالِص» الْعَسْكَرِيَّةِ، وَتَحَالَفُهُ مَعَ «جَلال الدِّينِ حَقَّانِي» فِي وَلايَةِ «بَاكِتِيَا» الْهَامَّةِ وَنَجَاحَاتِ «حَقَّانِي» هُنَاكَ الَّتِي أُضِيفَتْ إِلَى رَصِيدِ «خَالِص» وَتَنْظِيمِهِ، وَكَوْنُ الرَّجُلَيْنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ وَالنَّاجِحِينَ فَقَدْ تَهَافَتَ عَلَيْهِمَا الْعُلَمَاءُ مِنْ شَاكِلَتَيْهِمَا طَالِبِينَ مِنْهُمَا الْعَوْنَ وَالْمُسَاعَدَةَ.

وَمِنْ عَامِ ١٩٧٨ م حَتَّى عَامِ ١٩٨٠ م كَانَ ذَلِكَ التِّيَّارُ «الْعُلَمَائِيُّ» أَوْ «الْمَوْلَوِيَّةُ» كَمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ قَادَةُ أَحْزَابِ «بِشَاوَر» تَصْغِيرًا لِشَأْنِهِمْ، كَانَ ذَلِكَ التِّيَّارُ هُوَ الْمُرَشَّحُ لِتَوَلِّي زِمَامِ قِيَادَةِ الْجِهَادِ؛ بِاعْتِبَارِهِ الْقِيَادَةَ الدِّينِيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ لِلشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ خَارِجَ الْمُدُنِ، وَكَمَا سَنَرَى لَاحِقًا مِنْ تَطَوُّرَاتِ الْجِهَادِ فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ، مَرَحَلَةَ تَدْوِيلِ الْقَضِيَّةِ، وَهِيَ نَفْسُهَا مَرَحَلَةُ السَّعْيِ لِتَدْمِيرِ الْجِهَادِ كَفِكْرَةٍ وَنَشَاطِ دِينِيٍّ قِتَالِيٍّ، وَتَحْوِيلُهُ إِلَى عَمَلٍ قِتَالِيٍّ ذِي أَهْدَافٍ سِيَاسِيَّةٍ لَادِينِيَّةٍ.

فِي تِلْكَ الْمَرَا حِلِّ تَمَّ إِضْعَافُ «يُونُسِ خَالِص» وَحِزْبِهِ وَصَارَ مِثْلَ بَاقِي الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى. وَ«خَالِص» نَفْسُهُ أَنْكَمَشَ دَاخِلَ الْحِزْبِ لِيتَحَوَّلَ إِلَى مُجَرِّدِ رَمَزٍ وَأَبٍ رُوحِيٍّ، وَأَدَارَ الْحِزْبِ نِيَابَةً عَنْهُ الْإِخْوَةُ الثَّلَاثَةُ «دِينِ مُحَمَّدٍ» وَ



«عَبْدُ الْحَقِّ» وَ «عَبْدُ الْقَدِيرِ»، وَهُمْ مِنْ أُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ فِي «جَلالِ آبَاد» مَشْهُورَةٌ بِمُقَاوَمَةِ الشُّيُوعِيِّينَ وَتَمَتَّعَ بِسُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ وَرُوحِ إِسْلَامِيَّةٍ وَاضِحَةٍ. ثَلَاثَتُهُمْ مِنْ النُّشْطِينَ الْأَذْكِيَاءِ، وَكَانَتْ قِيَادَةُ «دِينِ مُحَمَّدٍ» لِلْحِزْبِ هِيَ الْأَوْضَحُ، وَ «عَبْدُ الْحَقِّ» تَخَصَّصَ فِي إِدَارَةِ الْعَمَلِيَّاتِ فِي «كَابُلٍ»، وَ «عَبْدُ الْقَدِيرِ» كَانَ لَهُ نَشَاطُهُ الْاِفْتِصَادِيُّ عَيْرَ الْمَشْرُوعِ فِي غَالِيهِ، وَكَانَ عَلَى صِلَةٍ طَيِّبَةٍ بِالْقَبَائِلِ - شِيعَةَ وَسُنَّةً - وَبِعَصَابَاتِ الْإِجْرَامِ وَالتَّهْرِبِ، وَسَاعَدَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي اسْتِخْدَامِ مَنْطِقَةِ الْحُدُودِ لِصَالِحِ حَرَكَةِ الْمُجَاهِدِينَ، وَلِصَالِحِهِ الْخَاصِّ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ. وَقَدْ أَصْبَحَ «حَاجِّي قَدِيرٍ» كَمَا يُسَمُّونَهُ الْآنَ، أَصْبَحَ وَالِيًا لِمُحَافَظَةِ «جَلالِ آبَاد»، كَمَا أَنَّهُ يُعْتَبَرُ حَالِيًا الْحَلِيفَ الْأَوَّلَ لِلسِّيَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَمَشَارِيعِ الْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ فِي الْمَنْطِقَةِ، وَأَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ خُطُواتٍ عَمَلِيَّةً مُعَادِيَةً لِلْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ حَسَبَ طَلَبَاتِ أَمْرِيكَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَادَى فِي ذَلِكَ كَثِيرًا. لَكِنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ كَافِيًا لِإِفْهَامِ الْعَرَبِ أَنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ الْآنَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ عَامَّةً وَ «جَلالِ آبَاد» خَاصَّةً، وَلِذَلِكَ حَدِيثٌ آخَرُ.

لَقَدْ رَكَزَتْ أَمْرِيكَا عَلَى اسْتِبْعَادِ الْقِيَادَاتِ الدِّينِيَّةِ عَنِ جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانِ؛ لِأَنَّهُمْ تَيَّارٌ عَمِيقُ الْجُدُورِ يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ الْعَمَلِيَّةَ مِنَ احْتِرَامِ وَخُضُوعِ النَّاسِ لَهُمْ. وَفَضَلَتْ أَمْرِيكَا كَالْعَادَةِ دَائِمًا اسْتِخْدَامَ تَيَّارَاتِ سِيَاسِيَّةٍ وَقِيَادَاتٍ لَا تَمَتَّعُ بِمَصَادِرِ قُوَّةٍ دَاخِلِ أَرْضِيهَا، بَلْ تَعْتَمِدُ كُلِّيًّا عَلَى تِلْكَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَأْتِيهِمْ مِنَ الْخَارِجِ. وَعَلَى هَذَا تَمَّ اعْتِمَادُ تَيَّارَاتِ وَأَشْخَاصِ هَامِشِيِّينَ وَهُمْ تَيَّارُ

«الإخوان المسلمين»، وهو تيار هامشي جدًا في المجتمع الأفغاني، بل متهم دينيًا، ومكروه اجتماعيًا ومحصور في شريحة رقيقة للغاية من مثقفي «كابل» خاصة. أما الشخصيات التي حملت الدعوة الإخوانية ومثلتها في القيادات الأفغانية فكانوا «برهان الدين رباني» و«قلب الدين حكمتيار» ثم «سياف» بعد الإفراج عنه في مطلع عام ١٩٨٠م على يد القوات الروسية. ولا يتمتع أيُّ منهم بثقل قبائلي قوي، فهم من أسر وقبائل ضعيفة، ويتمون إلى تيار منبوذ ومتهم دينيًا على المستوى الشعبي.

ومن المفارقات أن يكون التيار الإخواني في أفغانستان هو الأكثر طواعيةً وخدمةً للسياسة الأمريكية في القضية، ولأقى تأييدًا مطلقًا من الامتداد الدولي للإخوان المسلمين ونسختها الباكستانية «الجماعة الإسلامية». وتم ذلك التعاون «الأمريكي - الإخواني» بحرص شديد وتحت ستار مناورات تضليلية حتى لا يظهر ذلك التعاون، بل ظهرت صورة مخالفة تمامًا عبارة عن اشتباكات لسانية بين أمريكا والتيار «الأصولي الأفغاني»، يقصدون تيار «الإخوان».

ولكن الصورة ظهرت جليةً مثل ضوء الشمس عندما تم «الفتح» وسيطرت الأصولية الإخوانية على الحكم في «كابل» وبدأت برنامج الحرب الأهلية غير المقدسة مع برنامج التضييق على العرب المجاهدين ودفعهم

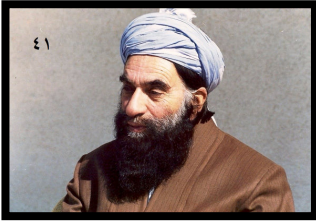
خَارِجِ أَفْغَانِسْتَانَ، ثُمَّ حِصَارِ أَيِّ عَمَلٍ جِهَادِيٍّ فِي الْجُمْهُورِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي
 آسِيَا الْوُسْطَى. وَقَدْ نَجَحُوا - خَاصَّةً «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» رَئِيسَ الدَّوْلَةِ وَ
 «سَيَّاف» ذِرَاعَهُ الْإَيْمَنُ - فِي تَدْجِينِ حِزْبِ «النَّهْضَةِ الطَّاجِيكِي» وَدَفْعِهِ قَصْرًا
 وَغَوَايَةً إِلَى التَّسْلِيمِ لِمُحَطَّطَاتِ أَمْرِيكََا وَالْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ وَتَرْكِ السَّلَاحِ وَدُخُولِ
 دَهَالِيزِ التَّأْمُرِ السِّيَاسِيِّ.

أَمَّا التِّيَّارُ الثَّانِي فِي أَحْزَابِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ فَكَانَ ذَلِكَ التِّيَّارَ الْغَرْبِيَّ
 أَوْ الْمُعْتَدِلَ، وَهُوَ مُتَّحَالِفٌ عَلَنًا بِلَا مُوَارَبَةٍ مَعَ الْغَرْبِ، وَيَرَى فِيهِ الْحَلِيفَ
 الطَّبِيعِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ السُّوفِيَّتِ، وَلَا غِنَى عَنِ مُسَاعَدَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ
 وَالْمَالِيَّةِ لِمُوَاصَلَةِ الضَّغْطِ عَلَى السُّوفِيَّتِ
 وَدَفْعِهِمْ إِلَى الْإِنْسِحَابِ أَوْ حَلِّ وَسْطٍ مُشْتَرَكٍ
 يَضْمَنُ مَصَالِحَ الْكُتْلَتَيْنِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَقَدْ مَثَّلَ
 ذَلِكَ التِّيَّارَ السَّيِّدُ «أَحْمَدُ جِيلَانِي»، وَهُوَ أَقْوَى
 رُؤُوسِ التِّيَّارِ الْغَرْبِيِّ، وَ «صِبْغَةُ اللَّهِ مُجَدِّدِي»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٤٠] ثُمَّ «مُحَمَّدُ نَبِيِّ



(١) صِبْغَةُ اللَّهِ مُجَدِّدِي (١٩٢٦م - ٩ فَبْرَايِرِ ٢٠١٦م): أَحَدُ رُؤُوسِ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانَ، شَغَلَ مَنْصِبَ
 رَئِيسِ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ الْأَفْغَانِيِّ، وَقَامَ بِتَأْسِيسِ جَبْهَةِ التَّخْرِيرِ الْوَطْنِيِّ الْأَفْغَانِيِّ. شَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ
 أَفْغَانِسْتَانَ بَعْدَ سُقُوطِ حُكُومَةِ «مُحَمَّدِ نَجِيبِ اللَّهِ» فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ٢٨ أْبْرِيْلِ ١٩٩٢م إِلَى ٢٨ يُونِيُو
 ١٩٩٢م.

مُحَمَّدِيٍّ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٤١].



وَ «جِيلَانِي» كَانَ مُرَشِّحًا لِدَوْرٍ أَكْثَرَ نَشَاطًا فِي
أَفْغَانِسْتَانَ لِإِزْتِكَازِهِ عَلَى زَعَامَةِ تَارِيخِيَّةٍ لِطَرِيقَةِ
صُوفِيَّةٍ شَهِيرَةٍ وَقَوِيَّةٍ فِي عِدَّةٍ وَلايَاتٍ أَفْغَانِيَّةٍ. لَكِنَّ

الرَّجُلَ غَيْرَ مُؤَهَّلٍ لِأَيِّ دَوْرٍ مِيدَانِيٍّ، وَيَصْلُحُ فَقَطُ لِلْقِيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْمَنْفَى
لِكُونِهِ غَرِيبًا حَتَّى النُّخَاعِ فِي فِكْرِهِ وَحَيَاتِهِ الْخَاصَّةِ. لِلرَّجُلِ مَصْدَرُ قُوَّةٍ دَاخِلِيٍّ
مُتَمَثِّلٌ فِي أَتْبَاعِ طَرِيقَتِهِ، وَلَهُ عِلَاقَاتٌ قَوِيَّةٌ مَعَ بَرِيطَانِيَا حَيْثُ تَعِيشُ ابْنَتُهُ تَحْتَ
الْأَضْوَاءِ حَيَاةِ الْأَمِيرَاتِ. وَلِكَلَا السَّبَبِينَ لَمْ يَكُنْ يَحْظَى بِثِقَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ كَبِيرَةٍ. أَمَّا
«مُجَدِّدِيٍّ» الَّذِي يَنْتَمِي لِعَائِلَةِ دِينِيَّةٍ شَهِيرَةٍ لَكِنَّهَا غَيْرُ قَوِيَّةٍ، وَهُوَ نَفْسُهُ عَصَبِيٌّ
وَمُهْتَزُّ الْأَعْصَابِ؛ لِذَا كَانَ دَوْرُهُ هُوَ الْآخِرُ مَحْدُودًا مِيدَانِيًّا، وَكَذَلِكَ حِزْبُهُ كَانَ
هَامِشِيًّا فِي الْقِتَالِ. أَمَّا «مُحَمَّدُ نَبِيِّ مُحَمَّدِيٍّ» وَهُوَ عَالِمٌ دِينِيٌّ كَانَ عَلَى صِلَةٍ
طَيِّبَةٍ بِالْمَلِكِ «ظَاهِرُ شَاهٍ»، دَخَلَ مُعْتَرِكَ الْأَحْزَابِ فِي مُحَاوَلَةٍ تَوْفِيقِيَّةٍ بَيْنَ
«حِكْمَتِيَّارٍ» وَ «رَبَّانِيٍّ» حَيْثُ كَوَّنَا اتِّحَادًا جَدِيدًا بِرِئَاسَةِ «مُحَمَّدِيٍّ» الضَّعِيفِ،
ثُمَّ تَمَرَّدَا عَلَيْهِ وَتَرَكَاهُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي رِئَاسَةِ الْحَلِّ الْوَسْطِيِّ أَوْ التَّنْظِيمِ الْجَدِيدِ

(١) مَوْلَايِ مُحَمَّدُ نَبِيِّ مُحَمَّدِيٍّ (١٩٢٠م - ٢١ أبريل ٢٠٠٢م): أَحَدُ أَبْرَزِ السِّيَاسِيِّينَ الْأَفْغَانَ، أَنْشَأَ
حِزْبَ «حَرَكَةِ إِنْقِلَابِ إِسْلَامِيٍّ»، وَسَعَلَ مَنْصِبَ نَائِبِ رِئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ

المُسَمَّى حَرَكَةً «انْقِلَابِ إِسْلَامِي». وَكَانَ الرَّجُلُ رُغْمَ طَبِيبَتِهِ خَامِلًا ضَعِيفًا، تَرَكَ إِدَارَةَ حِزْبِهِ لِابْنِهِ الْأَكْبَرَ «أَحْمَدَ» الَّذِي كَانَ فَاسِدًا ذَا بَطَانَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الشَّبَابِ. وَتَصَرَّفَ «أَحْمَدُ» فِي الْحِزْبِ كَأَحَدِ مُمْتَلَكَاتِ الْعَائِلَةِ؛ فَأُضْعِفَ الْحِزْبَ كَثِيرًا، خَاصَّةً بَعْدَمَا انْفَصَلَ عَنِ الْحِزْبِ قُوَّتُهُ الْمُحَرِّكَةُ مَوْلَوِيَّ «نَصْرُ اللَّهِ مَنْصُور» [صُورَةٌ رَقْمَ ٤٢] وَكَوْنَ تَنْظِيمًا مُنْشَقًّا تَحْتَ نَفْسِ



الاسْمِ. لَكِنَّ «مَنْصُور» ضَعْفَ تَمَامًا عَامَ ١٩٨٦ م بَعْدَ فِتْرَةٍ بَرِيقٍ وَنَشَاطٍ عِنْدَمَا قَرَّرَتْ أَمْرِيكَا تَجْمِيدَهُ إِثْرَ تَصْرِيحَاتٍ غَيْرِ وُدِّيَّةٍ أَلْقَاهَا فِي أَمْرِيكَا أَثْنَاءَ رِحْلَتِهِ هُنَاكَ.

هَكَذَا كَانَ «خَالِصُ» أَمَلًا حَقِيقِيًّا فِي زَعَامَةِ إِسْلَامِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَلَكِنَّهُ أَمَلٌ انْتَهَى مُبَكَّرًا وَلَمْ يَكَدْ يَشْعُرُ بِهِ أَحَدٌ خَاصَّةً مِنَ الْعَرَبِ «الْحَرَكَِيِّينَ» الَّذِينَ حَدَدَتْ حَرَكَتَهُمْ وَنَظَرَتَهُمْ لِلْوَاقِعِ السِّيَاسِيِّ الْأَفْغَانِيِّ الدَّعَايَاتُ الصَّاحِبَةُ «لِلْإِخْوَانِ الدُّوَلِيِّينَ» الَّذِينَ صَوَّرُوا التِّيَّارَ الْإِخْوَانِيَّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَنَّهُ الْقِيَادَةُ الْمَنْشُودَةُ، وَالتِّي تَنَافَسُ فِي صِفَاتِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحَابَةَ رُضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، هَذَا إِذَا لَمْ تَتَفَوَّقْ عَلَيْهِمْ فِي صِفَاتٍ عَدِيدَةٍ. وَقَدْ سَاعَدَتْ أَمْرِيكَا وَحَلَفَاؤُهَا الْعَرَبُ فِي التَّرْوِيحِ لِذَلِكَ التِّيَّارِ عَبْرَ الْهُجُومِ عَلَيْهِ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ غَيْرُ مُبَاشِرٍ فِي التَّرْوِيحِ أَصْبَحَ شَهِيرًا فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

وَهَكَذَا فَإِنَّ التَّيَّارَ الْجِهَادِيَّ الْعَرَبِيَّ الْمُنَاصِرَ لِلْأَفْغَانِ قَدْ وَقَعَ بِكَامِلِهِ تَقْرِيْبًا فِي حَبَائِلِ إِخْوَانِ أَفْغَانِسْتَانَ وَقِيَادَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ، إِنْ لَمْ نَقُلِ الْخَائِنَةَ، وَهُوَ الْوَصْفُ الْأَكْثَرُ دِقَّةً. وَكَانَ التَّعَصُّبُ لِهَؤُلَاءِ الْقَادَةِ عَلَى أَشَدِّهِ بِحَيْثُ كَانَ مُسْتَحِيلًا الْوُقُوفُ فِي وَجْهِ ذَلِكَ التَّيَّارِ أَوْ انْتِقَادِهِ. وَقَدْ زَادَ الطَّيْنَ بَلَّةً وَوُقُوفُ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى جَانِبِ هَذَا التَّيَّارِ الْقِيَادِيِّ الْفَاسِدِ. وَرُغْمَ أَنَّهُ اكْتَشَفَ حَقِيقَتَهُمْ مُنْذُ عَامِ ١٩٨٦ م عَلَى الْأَقْلِ، وَكَانَ قَدْ وَصَلَتْهُ آرَاءُ مُعَارِضَةٍ لِلْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْخَائِنَةِ، وَهُوَ وَصْفٌ يَشْمَلُ الْجَمِيعَ الْأُصُولِيِّينَ وَالْغَرَبِيِّينَ الْمُعْتَدِلِينَ عَلَى السَّوَاءِ. وَكَانَ الْإِخْوَانِيُّ الْعَتِيدُ «أَبُو أُسَامَةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَلِيٍّ» أَوَّلَ مَنْ نَادَى بِذَلِكَ الرَّأْيِ مُنْذُ عَامِ ١٩٧٩ م، بَلْ وَطَالَ بَإِعْدَامِهِمْ إِذَا لَمْ يَتَوَحَّدُوا عَلَى رَأْيٍ قَائِدٍ وَاحِدٍ وَتَعَيَّنَ زَعِيمٌ جَدِيدٌ لِلْجِهَادِ.

وَكُنْتُ مُحْسُوبًا مَعَ التَّيَّارِ الْمُعَارِضِ لِلْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْفَاسِدَةِ الْخَائِنَةِ مُنْذُ مَقَالَاتٍ بَدَأْتُ فِي نَشْرِهَا فِي «الْإِتِّحَادِ» عَامَ ١٩٨٦ م تَكَلَّمْتُ فِيهَا عَنْ أخطاءٍ فادِحَةٍ دَاخِلِ تِلْكَ الْمُنْظَمَاتِ. الشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ» كَانَ هُوَ الْأَثْقَلُ وَرَنَّا وَالرَّمْزُ الْبَارِزُ وَالْمُؤَثِّرُ لِلْعَمَلِ الْعَرَبِيِّ الْجِهَادِيِّ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ مَشْرُوعًا لِقَائِدِ إِسْلَامِيٍّ عَالِمِيٍّ يَتَخَطَّى حُدُودَ النَّظَرَةِ الْقُطْرِيَّةِ وَالْعَمَلِ الْوَطَنِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَذَلِكَ فِي ظَنِّي عَلَى الْأَقْلِ.

مَوْقِفُ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» حَتَّى لَحْظَاتِهِ الْأَخِيرَةِ فِي الْمُسَانَدَةِ الْعَلْنِيَّةِ

غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ لِلْقَادَةِ الْأَفْغَانِ «الْأُصُولِيِّينَ» كَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَخْطَائِهِ الْعَمَلِيَّةِ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ؛ فَقَدْ رَمَى بِثِقَلِهِ فِي الْإِتِّجَاهِ الْخَاطِئِ. وَكَانَ لِذَلِكَ آثَارُهُ السَّلْبِيَّةَ جَدًّا عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَالْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ وَاضِحًا بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ»، ثُمَّ كَانَ أَكْثَرَ وَضُوحًا مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ عِنْدَمَا جَاءَ الْفَتْحُ الَّذِي تَحَوَّلَ عَلَى أَيْدِي الْأُصُولِيِّينَ الْأَفْغَانَ وَإِخْوَانِهِمُ الْمُعْتَدِلِينَ إِلَى كَارِثَةِ إِسْلَامِيَّةٍ. وَذَلِكَ بِدُونِ أَنْ نَجْحَدَ الْإِجَابِيَّاتِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَالَّتِي جَاءَتْ رُغْمًا عَنِ الْجَمِيعِ، سِوَاءِ السُّوفِيَّةِ أَوْ الْأَمْرِيكَانِ أَوْ عَمَلَائِهِمَا مِنْ عَجَمٍ وَعَرَبٍ مِنْ أَفْرَادٍ وَحُكُومَاتٍ وَتَنْظِيمَاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ وَجِهَادِيَّةٍ.

نَعُودُ إِلَى الشَّيْخِ «خَالِصٍ» وَنُكْرِرُ أَنَّهُ كَانَ مَشْرُوعًا قِيَادِيًّا إِسْلَامِيًّا مُجَهَّضًا عَلَى سَاحَةِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَيُلَاحِظُ فِي تَقْرِيرِنَا الْأَوَّلِ الْوُقُوعَ إِلَى حَدِّ مَا فِي الْمُبَالَغَاتِ الْحِزْبِيَّةِ، وَهُوَ نَفْسُ الْخَطِ الَّذِي تَكَرَّرَ عَلَى امْتِدَادِ الْحُقُبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، فَكُلُّ عَرَبِيٍّ كَانَ يَقَعُ فِي حِبَالِ أَحَدِ التَّنْظِيمَاتِ وَيَقْبَلُ بِلَا مُنَاقَشَةٍ وَجْهَاتِ النَّظَرِ السَّائِدَةِ دَاخِلَ دَوَائِرِ وَقِيَادَاتِ ذَلِكَ الْحِزْبِ، وَهِيَ كَمَا اتَّضَحَ وَجْهَاتُ نَظَرٍ بَعِيدَةٌ فِي مُجْمَلِهَا عَنِ الْحَقِيقَةِ، غَيْرُ مُنْصَفَةٍ لِلْآخِرِينَ، تُبَالِغُ كَثِيرًا فِي أَهْمِيَّتِهَا، وَتَنْسِبُ إِلَى نَفْسِهَا وَإِلَى زَعَامَاتِهَا أَمْجَادًا وَمَآثِرًا زَائِفَةً فِي مُعْظَمِهَا.

فِي تَقْرِيرِنَا الْأَوَّلِ عِنْدَمَا أَقْرَأَهُ الْآنَ أَشْعُرُ أَنَّ مَوْلَايَ «خَالِصٍ» كَانَ مُسَيِّطِرًا

تَقْرِيْبًا عَلَى الْمَوْقِفِ الْقِتَالِيِّ « الْجِهَادِيَّ » دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنَّهُ مَحَلُّ إِجْمَاعِ
وَمُؤَافَقَةِ الشَّعْبِ كُلِّهِ بِمُخْتَلَفِ فِتَايَتِهِ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ وَفِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ
الْمُبَالَغَةِ. فَأَقْصَى مَا يُمَكِّنُ قَوْلُهُ عَن وَضْعِ مَوْلَوِيِّ « خَالِصٍ » فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
الْمُبَكِّرِ لِلْجِهَادِ أَنَّهُ كَانَ شَيْئًا هَامًّا أَوْ هَامًّا جِدًّا، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ
مَشْرُوعِ قِيَادَةٍ يُقَوِّدُ مَشْرُوعًا تَنْظِيمِيًّا لِلْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنَّ التَّحَدِّيَّاتِ
أَمَامَهُ كَانَتْ خَطِيرَةً وَجَسِيمَةً، لَيْسَ فَقَطُ مِنَ الدَّوْلَةِ الَّتِي يُقَاوِمُهَا أَوْ حُلَفَائِهَا
السُّوْفِيَّةِ، بَلْ الْأَخْطَرُ كَانَ الْمُقَاوَمَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ نَفْسَهَا وَالْمُتَمَثِّلَةَ بِالْقَادَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ إِخْوَانِ وَمُعْتَدِلِينَ وَبَاكِسْتَانَ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَضِنُهُمْ فِي أَحْضَانِ
الْمَوْتِ وَتُسْرِفُ عَلَى حَرَكَتِهِمْ. وَكَانَتْ - كَأَيِّ دَوْلَةٍ تَحْتَضِنُ حَرَكَةً مُعَارِضَةً -
لَا تَرْغَبُ إِطْلَاقًا فِي رُؤْيَا تَبَارٍ مُسْتَقِلًّا عَن إِرَادَتِهَا أَوْ قِيَادَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ فِي قَرَارِهَا
مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْأَفْغَانِ اللَّاجِئِينَ عَلَى أَرْضِهَا.

إِنَّ إِجْرَاءَاتِ التَّحْجِيمِ ضِدَّ غَيْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِمْ كَانَتْ مُسْتَمِرَّةً طَوَالَ
حَرَكَةِ الْجِهَادِ وَحَتَّى آخِرِ لَحْظَاتِهِ. وَهِيَ إِجْرَاءَاتٌ عَدِيدَةٌ تَبْدَأُ بِالرُّشُوءِ وَتَنْتَهِي
بِالْأَغْتِيَالِ وَتَمُرُّ بِالْحِصَارِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَتَلْوِيثِ الشُّمْعَةِ وَإِطْلَاقِ الْإِسَاعَاتِ.
وَقَدْ مَوْرَسَتْ كُلَّ تِلْكَ « الْمَهَارَاتِ » ضِدَّ « خَالِصٍ » وَ « حَقَّانِي » وَ « مَنْصُورٍ »
وَمِثَالِ غَيْرِهِمْ. فَلَقَّةٌ نَادِرَةٌ هِيَ الَّتِي تَمَكَّنَتْ مِنَ الْإِفْلَاطِ مِنْ ذَلِكَ الْعُنْكَبُوتِ
الشَّيْطَانِيِّ، وَالْجَمِيعُ قَدْ أَصَابَتْهُمْ سَهَامُهُ وَأَثَرَتْ فِيهِمْ لِدَرَجَةٍ أَوْ أُخْرَى.

[٢] الصَّحَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَجْهَرَةُ الْمُخَابِرَاتِ:

تَرْتَبِطُ الصَّحَافَةُ فِي الْغَرْبِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا مَعَ أَجْهَرَةِ الْمُخَابِرَاتِ، سِوَاءً بِالتَّوْظِيفِ الْمُبَاشِرِ أَوْ بِالتَّعَاوُنِ الْمُتَفَاهِمِ. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَا يُمَكِّنُ لِتِلْكَ الصُّحُفِ أَنْ تُخَالِفَ الْمَصَالِحَ الْعُلْيَا لِإِلَادِهَا بِدُونِ اعْتِبَارِ تَوَافُقِ أَوْ تَعَارُضِ تِلْكَ الْمَصَالِحِ مَعَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ. وَتَعَارُضُ تِلْكَ الصُّحُفِ أحيانًا مَعَ حُكُومَاتِهَا يَنْبُعُ مِنْ صِرَاعِ الْمَصَالِحِ بَيْنَ التَّكْتَلَاتِ الْاِفْتِصَادِيَّةِ الْكُبْرَى دَاخِلَ تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ وَلَيْسَ مِنْ أَيِّ دَافِعٍ أَخْلَاقِيٍّ، وَلَكِنَّهَا دَوْمًا تُغْطِي نَفْسَهَا بِدَعَاوَى أَخْلَاقِيَّةٍ وَلَا تُظْهِرُ ذَلِكَ الْجَانِبَ الْمَادِّيَّ الْفِظَّ الَّذِي يُشَكِّلُ حَقِيقَةَ مَوَاقِفِهَا عَلَى الدَّوَامِ، تَمَامًا كَمَا يُشَكِّلُ حَقِيقَةَ الْمَوَاقِفِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ لِلْغَرْبِ الصَّلِيبِيِّ.

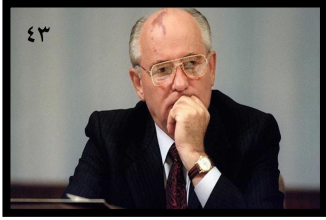
لَقَدْ أَظْهَرَ الْغَرْبُ وَصَحَافَتُهُ التَّيْبِيدَ لِلْأَفْغَانِ طَبَقًا لِمَصَالِحِهِ الْخَاصَّةِ، وَكَانَ دَوْمًا مُعَادِيًّا لِلْإِسْلَامِ وَقَضَايَا الْمُسْلِمِينَ. صُحُفُ الْغَرْبِ دَأَبَتْ دَوْمًا عَلَى تَرْوِيجِ مَعْلُومَاتٍ تُسَرِّبُهَا إِلَيْهَا أَجْهَرَةُ الْمُخَابِرَاتِ، وَأَيْضًا مَوَاقِفُ وَوُجْهَاتُ نَظَرٍ تَخْدُمُ مَصَالِحَ دَوْلِ الْغَرْبِ. فِي بَدَايَةِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ كَانَتْ صُحُفُ الْغَرْبِ تَسْتَقِي أْهَمَّ مَعْلُومَاتِهَا مِنْ أَجْهَرَةِ اسْتِخْبَارَاتِ بِلَادِهَا، وَكَانَتْ تُشِيرُ أحيانًا إِلَى الْمَصْدَرِ الْاسْتِخْبَارِيِّ. فِي مَرَحَلَةِ تَدْوِيلِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ أَنْشَأَتْ الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ مَرَاكِزَ إِعْلَامِيَّةً تَابِعَةً لِسَفَارَتِهَا فِي الْعَاصِمَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ

«إسلام آباد» وَفِي مَدِينَةِ «بِشَاوَر» الْحُدُودِيَّةِ، الْمَرْكَزِ الْإِدَارِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ. تِلْكَ الْمَرَائِزُ خَاصَّةً مَرْكَزَ الْعَاصِمَةِ كَانَتْ مَحَطَّةً أَسَاسِيَّةً لَجَمِيعِ الْمُرَاسِلِينَ الْأَجَانِبِ الْمُقِيمِينَ فِي بَاكِسْتَانِ أَوْ الْوَافِدِينَ إِلَيْهَا بِغَرَضِ نَعْطِيَّةِ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

وَكَانَ «اجْتِمَاعُ الثَّلَاثَاءِ» الَّذِي يَعْقِدُهُ مَرْكَزُ «إِسْلَامِ آبَاد» ثَرْوَةً مَعْلُومَاتِيَّةً يُدْعَى إِلَيْهَا الْغَرْبِيُّونَ وَالصَّحَفِيُّونَ الْأَصْدِقَاءُ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ. وَكَانَ اتِّفَاقًا بَيْنَ الْمَرْكَزِ الْإِعْلَامِيِّ الْأَمْرِيكِيِّ وَمُرِيدِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اسْتِخْدَامِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا إِلَيْهِمْ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهَا بِعِبَارَةِ «صَرَاحٌ مَصْدَرٌ دُبُلُومَاسِيٌّ غَرْبِيٌّ فِي إِسْلَامِ آبَاد» رُغْمَ أَنَّ الْمَصْدَرَ هُوَ اسْتِخْبَارِيٌّ. وَمُرَاجَعَةُ تَقَارِيرِ صَحَافَةِ الْغَرْبِ وَوَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ لِتِلْكَ الْفِتْرَةِ تُوَضِّحُ مَدَى الْمَجْهُودِ الْإِعْلَامِيِّ الَّذِي مَارَسَتْهُ الْأَسْتِخْبَارَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ وَمَدَى تَعَاوُنِ صَحَافَةِ الْغَرْبِ مَعَهَا فِي ذَلِكَ الْمَجْهُودِ.

وَمِنْ الْمُخْزِنِ هُوَ ذَلِكَ التَّهَافُتُ مِنْ جَانِبِ الْأَفْغَانِ عَلَى اسْتِجْلَابِ وَاسْتِرْضَاءِ الصَّحَفِيِّينَ الْغَرْبِيِّينَ وَكَشْفِ كُلِّ مَا لَدَيْهِمْ أَمَامَ هَؤُلَاءِ الصَّلِيبِيِّينَ. وَبَعْدَ الْفَتْحِ تَحَوَّلَ الْغَرْبُ - خَاصَّةً الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ وَأُمَمُهَا الْمُتَّحِدَةُ - إِلَى قِبَلَةِ الْأَفْغَانِ وَمَوْضِعِ رَجَاءِ الشَّعْبِ بِشَكْلِ عَامٍّ. وَلِلْأَسَفِ فَإِنَّ الْإِسَاءَةَ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ كَانَتْ ضِمْنَ الشَّمَنِ الْمَدْفُوعِ لِقَاءِ هَذَا الْاسْتِرْضَاءِ.

[٣] اشتهر الشيوعيون في كل مكان باعتماد أسلوب التصفية الدموية لخصومهم بهدف الوصول إلى دولة أيديولوجية خالصة لا ينافس الماركسية فيها مذهب آخر. وقد عانى الأفغان من الأسلوب الذي مورس ضدهم بطريقة منهجية وبأحدث الأساليب والأسلحة، حتى أن تعداد القتلى والمشردين «المهاجرين» فاق ثلث مجموع السكان. هذا غير المعاقين والأيتام، ناهيك عن القتلى المتساقطين يوميًا حتى الآن بسبب الألغام التي تُقدر بأكثر من عشرة ملايين لغم على الأقل، وقفزت بعض التقديرات بهذا الرقم إلى مائة مليون لغم. وحسب تقارير الأمم المتحدة فإن ذلك سوف يستمر لزم من قادم مقداره مائة وخمسون قرناً فقط!! ومع كل ذلك الإجمام فإن القادة الجهاديين من الأصوليين قد تحالفوا في سبيل الحصول على حكم مدينة «كابل» فقط مع الشيوعيين الأفغان في الجيش والاستخبارات، وتحالفوا معهم في سن حرب أهلية تدمر أفغانستان وأهلها وعقائدها.



وكانت فكرة المصالحة الإسلامية الشيوعية في أفغانستان هي محور المشروع الأمريكي الذي ساندته السوفييت عند وصول «جورباتشوف»^(١)

(١) ميخائيل سيرجيفتش جورباتشوف: رئيس الاتحاد السوفيتي السابق من عام ١٩٨٨م - ١٩٩١م،

[صُورَةٌ رَقْمَ ٤٣] إِلَى الْحُكْمِ .



وَبَدَايَةُ مَا عَلِمْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ التَّفَاهُماً بَيْنَ

«أَسَدِ بَانَشِيرٍ» «أَحْمَدَ شَاهِ مَسْعُودٍ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٤٤]

وَجَيْشِ الْاِحْتِلَالِ السُّوفِيَّتِيِّ فِي أَعْقَابِ حَمَلَاتِ

السُّوفِيَّتِ عَلَى «بَانَشِيرٍ» وَالَّتِي عَلَى أَسَاسِهَا اشْتَهَرَتْ أُسْطُورَةٌ «مَسْعُودٍ» الَّتِي

نَفَخَهَا الْإِعْلَامُ الْغَرْبِيُّ وَالْفَرَنْسِيُّ بِالذَّاتِ لِدَرَجَةٍ تَصَوَّرْنَا أَنَّهَا حَقِيقَةٌ، وَلَمْ نَقُفْ

عَلَى زَيْفِهَا إِلَّا فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا.

وَكَانَتْ هُنَاكَ مُقْتَرَحَاتٌ بِتَكْوِينِ حُكُومَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ شُيُوعِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ يَشْتَرِكُ

وُلِدَ فِي ٢ مَارِسَ ١٩٣١م، دَرَسَ الْقَانُونَ فِي جَامِعَةِ «مُوسْكُو» الْحُكُومِيَّةِ وَتَخَرَّجَ مِنْهَا فِي ١٩٥٥م.

انْضَمَّ لِلْحِزْبِ الشُّيُوعِيِّ وَهُوَ لَا يَرَالُ فِي الْجَامِعَةِ، وَتَرَفَّقَى فِي الْمَنَاصِبِ إِلَى أَنْ شَغَلَ مَنُصِبَ الْأَمِينِ

الْعَاكِلِ لِلْمَجْلِسِ السُّوفِيَّتِيِّ عَامَ ١٩٨٥م. مُنِحَ جَائِزَةُ «نُوبَلٍ» لِلسَّلَامِ عَامَ ١٩٩٠م.

(١) أَحْمَدُ شَاهِ مَسْعُودٍ: مِنَ الْقَادَةِ الْأَفْغَانِ الطَّاجِيكِ فِي أَثْنَاءِ الْحَرْبِ مَعَ الْاِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، وُلِدَ فِي

«بَانَشِيرٍ» فِي الثَّانِي مِنْ شَهْرِ يَنَابِرِ لِعَامِ ١٩٥٣م. انْضَمَّ فِي بَادِيَةِ الْأَمْرِ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَعَ

بَعْضِ رُؤُوسِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ ثُمَّ انْفَصَلَ عَنْهُمْ وَأَسَّسَ مَا يُعْرَفُ بِـ «مَجْلِسِ سُورَى الْوِلَايَاتِ التَّسْعِ»

أَوْ «مَجْلِسِ سُورَى النُّظَارِ»، ثُمَّ أَسَّسَ بَعْدَ ذَلِكَ تَحَالَفَ الشَّمَالِ. شَغَلَ مَنُصِبَ وَزِيرِ الدَّفَاعِ ثُمَّ نَائِبِ

الرَّئِيسِ فِي حُكُومَةِ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» فِي أَوَائِلِ التَّسْعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي وَحَتَّى تَأْسِيسِ

الْإِمَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى يَدِ «الطَّلِبَانِ». قُتِلَ «مَسْعُودٌ» فِي التَّاسِعِ مِنْ سِبْتَمْبَرِ لِعَامِ ٢٠٠١م فِي بَلَدَةِ

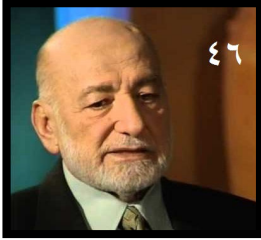
«خُوجَةِ بَهَاءِ الدِّينِ» بِوِلَايَةِ «تَخَارِ» بِشَمَالِ أَفْغَانِسْتَانَ.

فِيهَا الزَّعِيمُ الشُّيُوعِيُّ الْقَوِيُّ «بَابْرَاكَ كَارْمِل» رَئِيسُ جُمْهُورِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ
الاشْتِرَاكِيَّةِ آنَذَاكَ، مَعَ الزَّعِيمِ الْإِسْلَامِيِّ الشَّابِّ الْأُصُولِيِّ الْمُتَطَرِّفِ!!! «قَلْبِ
الدِّينِ حِكْمَتِيَار». ثُمَّ حَاوَلَ «حِكْمَتِيَار» تَنْفِيذَ نَفْسِ الْفِكْرَةِ بِمُسَاعَدَةِ
الاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ عَامَ ١٩٩٠ م عَنْ طَرِيقِ مَسْرَحِيَّةٍ فَشَلَّتْ لِحُسْنِ
الْحِظِّ، وَكَانَتْ تَقْتَضِي أَنْ يَقُومَ رَئِيسُ أَرْكَانِ الْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ، وَهُوَ مَارَكِسِيٌّ
مُنْعَصَبٌ اشْتَهَرَ بِمَجَازِرِهِ الدَّامِيَّةِ ضِدَّ الْمَدَنِيِّينَ الْأَفْغَانَ،
وَهُوَ الْجِنْرَالُ «شَاه نَوَاز تَنَائِي» [صُورَةٌ رَقْمَ ٤٥] الَّذِي كَانَ مِنْ
الْمُقْتَرَضِ أَنْ يَقُومَ بِانْقِلَابٍ ضِدَّ حُكْمِ «نَجِيبِ اللَّهِ» رَئِيسِ
الْجُمْهُورِيَّةِ ثُمَّ يُعْلَنُ تَشْكِيلَ مَجْلِسِ ثَوْرِيٍّ إِسْلَامِيٍّ
لِيَحْكُمَ الْبِلَادَ مُنَاصَفَةً بِالِاشْتِرَاكِ مَعَ «حِكْمَتِيَار».



فَالْفِكْرَةُ قَدِيمَةٌ وَعَلَيْهَا دَارَتْ كُلُّ مَشَارِيحِ الْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ لَوْقَفِ الْقِتَالِ
وَتَشْكِيلِ حُكُومَةٍ مُحَايِدَةٍ أَوْ مُشْتَرَكَةٍ تَجْمَعُ رُمُوزَ الْإِسْلَامِ وَالشُّيُوعِيَّةِ مَعًا.
وَمِنْ الطَّرِيفِ أَنَّ «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ» الدُّوَلِيِّينَ بَدَّلُوا مَسَاعِيهِمْ فِي هَذَا
السَّبِيلِ، وَتَوَالَتْ وَفُودُهُمْ لِإِقْنَاعِ قَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْأُصُولِيِّينَ بِقَبُولِ مَبْدَأِ
الْمُشَارَكَةِ وَعَدَمِ الْإِضْرَارِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِالْحُكْمِ أَوْ إِبْرَازِ الشَّعَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الَّتِي تُخِيفُ الْغَرْبَ وَتُغْضِبُهُ. لَقَدْ كَانَ مِنْ أْبْرَزِ الْوُجُوهِ الْإِخْوَانِيَّةِ فِي هَذَا

المِضْمَارِ هُوَ «عَدْنَانُ سَعْدِ الدِّينِ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٤٦] الَّذِي سَاهَمَ بِجُهُودِهِ الْقِيَادِيَّةِ فِي تَدْمِيرِ «الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ» فِي سُورِيَا، وَبَيْعَهَا لِصَالِحِ النِّظَامِ الْعِرَاقِيِّ. وَلَمْ يَكُنْ «عَدْنَانُ» هُوَ الْوَجْهَ الْوَحِيدُ، فَقَدْ تَعَدَّدَتْ الْوُجُوهُ وَالانْتِمَاءَاتُ الْقُطْرِيَّةُ وَكَانَ الْهَدَفُ وَاحِدًا، وَهُوَ الْأَنْصِياعُ لِلْعَرَبِ وَتَقَاسُمُ السُّلْطَةِ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ.



الآن وَنَحْنُ فِي خَرِيفِ ١٩٩٤ م تَكَرَّرَ نَفْسُ الْمَهْزَلَةِ فِي طَاجِكِسْتَانَ، وَنَفْسُ الْوُجُوهِ الْكَالِحَةِ تَدْفَعُ بِقِيَادَةِ «حِزْبِ النَّهْضَةِ» الطَّاجِكِيَّةِ نَحْوَ تَرْكِ السِّلَاحِ وَمُقَاسَمَةِ السُّلْطَةِ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ تَحْتَ إِشْرَافِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ وَأَمْرِيكََا وَالسُّوفِيَّتِ. وَنُسَجِّلُ هُنَا أَنَّ مُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ، خَاصَّةً قِيَادَتِهِمُ الْأُصُولِيَّةَ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» رَئِيسِ الدَّوْلَةِ حَالِيًا، وَ«مَسْعُودٌ» قَائِدَ جَيْشِهِ وَ«سَيَّافٌ» رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ الْفِعْلِيِّ وَالْمُخَطِّطِ الْحَقِيقِيِّ لِلْمَهَازِلِ السِّيَاسِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، هُمُ الْقُوَى الدَّافِعَةُ الرَّئِيسِيَّةُ لِإِحْبَاطِ الْجِهَادِ فِي طَاجِكِسْتَانَ وَتَدْجِينِ الْمَنْطِقَةِ وَحِرَاسَتِهَا ضِدَّ «التَّطَرُّفِ وَالْأُصُولِيَّةِ» حَسَبَ الْمُصْطَلَحَاتِ

(١) عَدْنَانُ سَعْدِ الدِّينِ: الْمُرَاقِبُ الرَّابِعُ لِجَمَاعَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» فِي سُورِيَا فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ١٩٧٦م-١٩٨٠م، وَوُلِدَ فِي مَدِينَةِ «حَمَاه» فِي عَامِ ١٩٢٩م، دَرَسَ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ فِي جَامِعَةِ «الْقَاهِرَةِ» وَتَخَرَّجَ مِنْهَا عَامَ ١٩٥٥م، وَدَرَسَ بِهَا الْقَانُونُ وَتَخَرَّجَ فِيهَا عَامَ ١٩٦٠م. فُصِّلَ مِنْ الْجَمَاعَةِ لِسَبْعَةِ عَشَرَ عَامًا عَلَى إِثْرِ خِلَافَاتٍ مَعَهَا، تُوُفِّيَ فِي «عَمَانَ» عَامَ ٢٠١٠م.

الأمريكية، أي وقف حركة الجهاد وتكبير المسلمين وفتح بلادهم أمام تيارات الكفر والإلحاد والزحف اليهودي عليها.

الدين والعرض والمال والقبيلة ثوابت لا يقبل الأفغانني المساس بها ودون ذلك الموت. وكما ذكرنا فإن «محمد نور طراقي» المنظر الشيوعي ورئيس أول نظام شيوعي في البلاد لم يكن سوى شخص أحمق ولا يتمتع بمزايا رجل الدولة؛ فقد أصيب بغرور القوة والثقة المطلقة فيها كوسيلة لتطبيق الأيديولوجيا على أرض الواقع مهما كانت العقبات، فأفرط «طراقي» في استخدام القوة وأصابه العمى فوطأت قدماه كل «المحرّمات» الأفغاننيّة، الدين والعرض والمال والقبيلة. فتحدّى الدين بفظاظة وأعلن إلغاءه هكذا بقرار، وقتل العلماء وطلاب العلم في مجازر هوجاء رهيبية، ودخل ساحة الأعراس بغباء، فأعلن «تحرير المرأة» وضمن حقوقها بالقانون وقوة البندقيّة. فأصبح من حق المرأة أن تختار شريك حياتها وتذهب به إلى أقرب قسم شرطة كي يحرر لهم «محضر زواج» مثل أي محضر لحادثة سير، ويتتهي الأمر، وأي اعتراض من الأهل فإنه يحل فوراً بفوهة الرشاش. ويمنكن تصوّر مدى الجرح الذي أصاب كرامة الأفغان بمثل ذلك القانون.

ولقد أدركت عمق ذلك الألم من حادث عاصرته في شهر رمضان عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، وكان البطل شاباً أفغانياً اسمه «درويش» وكان من

الشُّجْعَانِ الْمَعْدُودِينَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ دَائِمَ الصَّمْتِ نَادِرَ الْإِبْتِسَامِ لَا يَجِدُ ذَاتَهُ إِلَّا فِي الْمَعَارِكِ الْحَامِيَةِ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى شُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ وَعَاصِفَةٍ قِتَالِيَّةٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ هَادِيٌّ وَحَزِينٌ. فِي مَدِينَةِ «مِيرَانشَاه» الْحُدُودِيَّةِ وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ رَمَضَانَ، إِذِ الْمَدِينَةُ الصَّغِيرَةُ تَتَحَوَّلُ إِلَى سَاحَةِ قِتَالٍ وَتَتَشَرُّ الطَّلَقَاتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَتُغْلِقُ الدَّكَائِنُ، وَيَهْرَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى دَاخِلِ بَيْتِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ حَدَثًا عَادِيًّا جَدًّا، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. فِي اللَّيْلِ عَلِمْنَا أَنَّ «دَرْوَيْشَ» قَدْ قَتَلَ شَخْصًا فِي السُّوقِ. رَاعَنَا الْخَبْرُ لِمَا نَعْرِفُهُ مِنْ دِمَائِهِ طَبَعِهِ وَهُدُوءِهِ، لَقَدْ فَرَّ «دَرْوَيْشَ» إِلَى الْحُدُودِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَأَلْقَتْ سُلْطَاتُ الْمَدِينَةِ الْقَبْضَ عَلَى أَخِيهِ «فَارُوقَ» كَرِهِيَّةً حَتَّى يُسَلَّمَ «دَرْوَيْشَ» نَفْسَهُ «لِلْعَدَالَةِ». لَكِنَّ الْحَادِثَ أَقْنَعَ الْجَمِيعَ بِأَنَّ «الْعَدَالَةَ» كَانَتْ فِيمَا فَعَلَهُ «دَرْوَيْشَ». وَتَدَخَّلَتِ الْقَبَائِلُ لَدَى الْحُكُومَةِ فَالْغَتِ الْقَضِيَّةَ وَأَفْرَجَ عَنِ «فَارُوقَ»، وَالسَّبَبُ هُوَ أَنَّ «دَرْوَيْشَ» قَدْ قَتَلَ زَوْجَ زَوْجَتِهِ!!.

فَقَبَّلَ الْإِنْقِلَابِ الشُّيُوعِيِّ كَانَ «دَرْوَيْشَ» قَدْ عَقَدَ قَرَانَهُ عَلَى فَتَاةٍ مِنْ قَرِيْبِهِ، وَنَظَرًا لِضَيْقِ ذَاتِ الْيَدِ فَقَدْ تَأَخَّرَ فِي أَخْذِهَا إِلَى عَشِّ الزَّوْجِيَّةِ حَيْثُ كَانَ مُنْهَمِكًا فِي الْعَمَلِ لِتَجْمِيعِ بَعْضِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ أُمَّ زَوْجَتِهِ لَمْ تَكُنْ رَاضِيَةً عَنْ «دَرْوَيْشَ». وَحَدَّثَ الْإِنْقِلَابُ الشُّيُوعِيِّ وَصَدَرَتْ قَوَانِينُ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ، وَلَمْ تَتَأَخَّرْ حَمَاءُ «دَرْوَيْشَ» عَنْ اصْطِحَابِ ابْنَتِهَا إِلَى قِسْمِ الشَّرْطَةِ وَعَقْدِ قَرَانِهَا عَلَى مُوظَّفٍ شُّيُوعِيِّ مُحْتَرَمٍ يَعْمَلُ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَصْبَحَ «دَرْوَيْشَ» نَفْسَهُ

مُطَارِدًا بِتُهْمَةٍ مُعَادَاةِ النَّظَامِ الثَّوْرِيِّ. انْقَضَى عَلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ ثَمَانُ سَنَوَاتٍ وَأُنْجِبَتْ زَوْجَةٌ «دُرُوش» ثَلَاثَةَ أَبْنَاءٍ مِنْ زَوْجِهَا الشُّيُوعِيِّ، وَلَكِنَّ الزَّوْجَ وَجَدَ نَفْسَهُ وَاقِعًا فِي دَوَامَةٍ مِنَ الصَّرَاعِ السِّيَاسِيِّ حَيْثُ كَانَ يَنْتَبِي إِلَى حِزْبِ «خَلْق» الَّذِي قَامَ بِالثَّوْرَةِ. وَلَكِنَّ التَّدْخَلَ السُّوفِيَّتِي نَقَلَ السُّلْطَةَ إِلَى الْجَنَاحِ الشُّيُوعِيِّ الْآخَرَ «بَارَشَام». وَدَارَ صِرَاعٌ حَادٌّ وَدَمَوِيٌّ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، اضْطَّرَّ الزَّوْجُ إِلَى الْفِرَارِ نَحْوَ الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ الثَّلَاثَةِ حَيْثُ وَجَدَ رَشَاشَ «دُرُوش» فِي انْتِظَارِهِ كَيْ يَثَّارَ لِكِرَامَتِهِ الَّتِي أُصِيبَتْ بِجُرْحٍ بِالْبَلْغِ أَضْحَجٍ مَضَاجِعَ «دُرُوش» ثَمَانُ سَنَوَاتٍ طَوَالًا.

المال، أحدُ المحرِّماتِ الرَّئِيسِيَّةِ لَدَى الْأَفْغَانِ، فَمِنْ أَجْلِهِ يَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ وَلِلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ يَفْعَلُ أَشْيَاءَ أَكْثَرَ. لَمْ نُذْرِكْ خُطُورَةَ عُنْصُرِ الْمَالِ لَدَى الْأَفْغَانِ إِلَّا بَعْدَ مُرُورِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ التَّعَامُلِ. وَظَهَرَ كَمْ هُوَ جَوْهَرِيٌّ ذَلِكَ الْعُنْصُرُ الْخَطِيرُ بِحَيْثُ يُمَكِّنُ مِنْ خِلَالِهِ - وَبِشَيْءٍ مِنْ حُسْنِ السِّيَاسَةِ - انْتِهَاكَ بَاقِي الْمَحْرَمَاتِ. فَمَثَلًا إِذَا تَمَّ إِعْطَاءُ الدِّينِ وَالْعُلَمَاءِ احْتِرَامًا شَكْلِيًّا، وَتَرَكْتَ الْعَادَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ وَالْأَعْرَافِ الْقَبِيلِيَّةِ عَلَى حَالِهَا لِسُنَنِ التَّطَوُّرِ التَّدْرِيجِيِّ، فَإِنَّهُ بِالْمَالِ يُمَكِّنُ تَسْخِيرَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَفْغَانِ فِي سَلْبِ الْمَعَانِي الْحَقِيقِيَّةِ لِلدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ وَحَتَّى الْقَبِيلَةِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ قَبِيلَةً أُخْرَى غَيْرَ قَبِيلَةِ الشَّخْصِ نَفْسِهِ. وَبِالْمَالِ يُمَكِّنُ تَحْرِيكَ الْبَعْضِ نَحْوَ الْاسْتِيْلَاءِ غَضَبًا عَلَى مَالِ الْآخَرِينَ، وَهَذَا نَشَاطٌ عَادِيٌّ فِي الْمُجْتَمَعِ الْأَفْغَانِيِّ؛

فَقَطَّعُ الطَّرِيقَ وَالْقَتْلَ وَسَائِلَ شَائِعَةً لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ، سِوَاءَ مَالِ الصَّحِيَّةِ نَفْسِهَا أَوْ مَالٍ مَدْفُوعٍ مِنْ مُحَرِّضٍ خَارِجِيٍّ.

وَعِنْدَمَا عَدَلَ الشُّيُوعِيُّونَ سِيَاسَتَهُمْ وَتَنَبَّهُوا إِلَى أخطاءِ الْبِدَايَةِ الْبَائِسَةِ لِنِظَامِهِمْ، بَدَأَتْ شَلَالَاتُ الْأَمْوَالِ تَنْهَمِرُ لِشِرَاءِ الْأَفْرَادِ وَالْقَبَائِلِ، وَكَانَتْ النَّاتِجُ مُدْهِشَةً، وَلَوْ أَنَّ تِلْكَ السِّيَاسَةَ بَدَأَتْ مُبَكَّرًا مُنْذُ بَدَايَةِ النَّظَامِ لَكَانَتْ النُّقُودُ أَشَدَّ فَعَالِيَّةً وَتَأْثِيرًا مِنَ الطَّلَقَاتِ وَالْقَنَابِلِ. وَلَكِنَّ الْوَقْتَ كَانَ قَدْ فَاتَ عَلَى تَدَارِكِ التَّصَدُّعَاتِ الَّتِي انْتَهَتْ بِانْهِيَارِ النَّظَامِ.

فِي حَمَلَتِهِمْ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ٢٠٠١ مِ اسْتِفَادَ الْأَمْرِيكَانُ مِنْ تِلْكَ الْمُلَاحَظَةِ وَاشْتَرَوْا تَحَالِفَ الشَّمَالِ الْمُنَاوِي لِـ «طَالِبَانَ» بِمَبْلَغِ ٥ مِلْيَارِ دُولَارٍ فَقَطْ، وَحَتَّى نِهَايَةِ الْحَمَلَةِ وَسُقُوطِ حُكُومَةِ «طَالِبَانَ» بَلَغَتْ الرَّشَاوَى الْمَدْفُوعَةُ ٧٠ مِلْيُونَ دُولَارًا، وَلَمْ يَخْسِرَ الْأَمْرِيكَانُ فِي الْحَرْبِ سِوَى ٢١ قَتِيلًا حَسَبَ زَعْمِهِمْ^(١).

وَلَكِنَّ الْمَالَ وَالْبَرَاةَ السِّيَاسِيَّةَ الَّتِي أَبْدَاهَا الشُّيُوعِيُّونَ الْأَفْغَانَ عَلَى الْمُسْتَوَى الدَّاخِلِيِّ وَالْخَارِجِيِّ عَلَى السَّوَاءِ - وَذَلِكَ بِالطَّبَعِ بِمُسَانَدَةٍ

(١) رَاجِعْ كِتَابَ «صَلِيبٌ فِي سَمَاءِ قَنْدَهَارِ» لِلْمُؤَلِّفِ.

السُّوفِيَّتِ ثُمَّ الْأَمْرِيكَانِ فِيمَا بَعْدُ - أَدَّتْ تِلْكَ الْبِرَاعَةَ السِّيَاسِيَّةَ الْمَمْرُوجَةَ بِالْعُنْفِ الْعَسْكَرِيِّ الْمُتَصَاعِدِ أَدَّتْ إِلَى إِطَالَةِ عُمُرِ النَّظَامِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا كَامِلَةً.

وَسَوْفَ نَتَكَلَّمُ لِاحِقًا عَنْ نِظَامِ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْأَفْغَانِيِّ «خَاد» وَفَعَالِيَّتِهِ وَدَوْرِهِ الْكَبِيرِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ، وَكَيْفَ اخْتَرَقَ - لَيْسَ جَمِيعُ الْأَحْزَابِ الْجِهَادِيَّةِ [فَحَسْبُ] - بَلْ إِنَّ كُلَّ بَيْتٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَادَ أَلَّا يَخْلُو مِنْ جَاوِسٍ لِلدَّوْلَةِ حَسَبَ مَا صَرَّحَ لِي بَعْضُ قَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْمِيدَانِيِّينَ، وَآيَدَ ذَلِكَ شَوَاهِدٌ لَا تُحْصَى. لِهَذَا فَمِنْ الْخَطَرِ أَنْ نَعْتَمِدَ فِي حِسَابَاتِنَا عَلَى أَنْ لَدَيْنَا بَعْضُ الشُّعُوبِ أَوْ الْمُجْتَمَعَاتِ الصَّلْبَةِ الْمُحَافِظَةِ، فَهَذِهِ صِفَاتٌ نَسِيبُهُ يَسْهُلُ تَغْيِيرُهَا حَتَّى وَلَوْ اقْتَضَى ذَلِكَ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةً، فَقَدْ كَانَ لَنَا مِثْلُ تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَأَيْنَ هِيَ الْآنَ؟ فَالِدُّوْلُ الصَّلِيبِيَّةُ لَدَيْهَا الْخِبْرَةُ الْكَافِيَّةُ وَالسِّيَاسَاتُ الْمَلَائِمَةُ لِإِحْدَاثِ تَغْيِيرَاتٍ عَمِيقَةٍ فِي أَمْثَالِ تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَلَدَيْهَا مَا يَكْفِي مِنَ الْأَمْوَالِ لِتَنْفِيذِهَا وَهِيَ أَمْوَالُنَا فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ، وَلَكِنَّا نُسْتَقُ بِهَا.

وَكَمْ أَدْهَشَنِي أَنْ الْأَحِظَ أَنَّ الشُّيُوعِيِّينَ قَدْ نَجَّحُوا فِي إِحْدَاثِ اخْتِرَاقٍ لِأَخْطَرِ الْمُحَرَّمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ فَبَعْدَ فَتْحِ مَدِينَةِ «خُوسْت» ٣١/٣/١٩٩١م اسْتَوْلَى الْمُجَاهِدُونَ عَلَى أَطْنَانَ مِنْ الْأُورَاقِ الْحُكُومِيَّةِ، كَمِيَّةٍ ضَخْمَةٍ مِنْهَا

لِجِهَازِ الْمُخَابِرَاتِ «خاد»، فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأُورَاقِ كَانَتْ الْمَفَاجَأَةُ الْكُبْرَى؛ فَقَدْ احْتَوَتْ أَحَدُ مَلَفَاتِ «خاد» عَلَى أَسْمَاءِ عَدَدٍ مِنْ بَنَاتِ الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ تَطَوَّعْنَ لِقَضَاءِ عِدَّةِ أَيَّامٍ فِي الْخُطُوطِ الدَّفَاعِيَّةِ الْأُولَى لِلْمَدِينَةِ بِهَدَفِ «التَّرْفِيهِ» عَنِ الضُّبَّاطِ وَالْجُنُودِ. وَهُنَّ بَنَاتٌ لِرِجَالٍ أَذَاقُوا الْمُجَاهِدِينَ الْأَمْرَيْنِ وَعَرَفَلُوا أَعْمَالَهُمْ فِي كُلِّ مَجَالٍ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ وَاضِحَ الْارْتِبَاطِ بِالْحُكُومَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَيَعْمَلُ ضِمْنَ قُوَّةِ الْمِيلِيشِيَّاتِ.

وَبَعْدَ فَتْحِ «خوست» تَوَجَّهَ «حَقَّانِي» وَآخَرُونَ لِاسْتِكْمَالِ عَمَلِهِمْ بِالضَّغْطِ عَلَى مَدِينَةِ «جَارْدِيز» بِهَدَفِ فَتْحِهَا قَبْلَ شِتَاءِ نَفْسِ الْعَامِ. لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ اخْتَلَقُوا مَشَاكِلَ كَثِيرَةً خَاصَّةً بِالْغَنَائِمِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى الْأَرَاضِي الْمَفْتُوحَةِ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ بِسَبَبِ تِلْكَ الْخِلَافَاتِ الْمُصْطَنَعَةِ. وَأَخْبَرَنِي «حَقَّانِي» وَقْتَهَا أَنَّهُ سَوْفَ يَلْفِتُ نَظْرَهُمْ إِلَى مُحْتَوِيَّاتِ وَثَائِقِ «خاد». لَا أَدْرِي مَاذَا حَدَثَ مِنْ تَطَوُّرَاتٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ لَكِنَّ الَّذِي شَاهَدْتُهُ أَنَّ تِلْكَ الْمُسْكَلَاتِ انْتَهَتْ فَجَاءَ بِدُونِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ. وَلَكِنِّي حَمَّنتُ وَقْتَهَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِبِرْكََةِ مَلَفَاتِ «خاد»، إِنْ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْبِرْكََةِ.

[٤] الْخِلَافُ وَالشَّقَاقُ سَمَاتٌ ثَابِتَةٌ فِي الْقَادَةِ الْأَفْغَانِ:

وَمِنَ الْمُلَفِّاتِ لِلنَّظَرِ ذَلِكَ التَّشَابُهُ الْكَبِيرُ إِلَى حَدِّ التَّطَابُقِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ الْأَفْغَانِ «الْجِهَادِيِّينَ» وَقَادَةِ الْأَنْظَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ نَوَاحِي جَوْهَرِيَّةِ مِنْهَا:

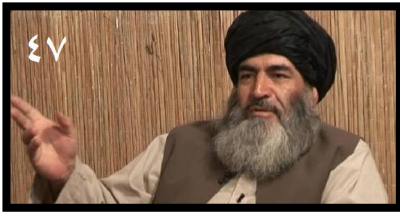
- أ. كَثْرَةُ الْخِلَافَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَعُمُقُهَا، وَتَغْطِيَّتُهَا دَائِمًا بِدَعَاوَى عَقَائِدِيَّةٍ أَوْ أَحْلَاقِيَّةٍ لَا أَسَاسَ لَهَا فِي الْوَاقِعِ.
- ب. التَّحَوُّلُ مِنَ الْخِلَافِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْاِقْتِتَالِ الْمُسَلَّحِ بَيْنَ الْأَعْوَانِ فِي الدَّاخِلِ إِلَى التَّحَالُفِ الْكَامِلِ الْمُفَاجِئِ، ثُمَّ الْاِنْتِقَالِ بَعْدَ فِتْرَةٍ غَيْرِ طَوِيلَةٍ إِلَى الْخِلَافِ وَالْاِقْتِتَالِ مَرَّةً أُخْرَى.
- ت. نَفْسُ التَّقْسِيمَاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ بَيْنَ مُعْتَدِلِينَ وَثَوْرِيَّيْنَ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، أَوْ مُسْلِمِينَ مُعْتَدِلِينَ وَمُسْلِمِينَ أُصُولِيِّينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَكِلَا الْمُعْسَكَرَيْنِ لَا يَفْتَرِقُ عَنِ الْآخِرِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَوْنِ اللَّافِتَةِ الَّتِي يَرْفَعُهَا.
- ث. بَعْدَ اكْتِمَالِ التَّجْرِبَةِ وَأَدَاءِ الدَّوْرِ الْمَطْلُوبِ يَتَّضِحُ أَنَّ كِلَا الْمُعْسَكَرَيْنِ الْمُعْتَدِلِ وَالثَّوْرِيِّ أَوْ الْمُعْتَدِلِ وَالْأُصُولِيِّ، كِلَيْهِمَا مُكْمَلٌ لِلْآخِرِ فِي أَدَاءِ الْبِرْنَامَجِ الصَّلِيْبِيِّ فِي الْمَنْطِقَةِ. وَالْمُفَاجَأَةُ الْأَكْثَرُ مَدْعَاةٌ لِلدَّهْشَةِ هِيَ أَنَّ الثَّوْرِيَّ أَوْ الْأُصُولِيَّ كَانَ الْأَكْثَرُ ضُلُوعًا فِي خِدْمَةِ الصَّلِيْبِيَّةِ، عَلَى عَكْسِ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُ «الْعَوَامُّ» أَوْ «الْمُعَفَّلُونَ» الَّذِينَ هُمْ الْجُمْهُورُ الْمُسْلِمُ بِكُلِّ أَسْفٍ. وَالتَّيْجَةُ الَّتِي يُمَكِّنُ اسْتِخْرَاجُهَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَصْلًا لَا مُعْتَدِلِينَ وَلَا ثَوْرِيَّيْنَ أُصُولِيِّينَ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ عُمَّالٌ يُؤَدُّونَ أَدْوَارًا مَرْسُومَةً وَيَلْبَسُونَ الْأَفْعَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِتَضْلِيلِ الْجُمْهُورِ الْمُسْلِمِ حَسَبَ مِزَاجِيَّةِ ذَلِكَ الْجُمْهُورِ وَثِقَافَتِهِ، فَهُوَ إِنْ كَانَ جُمْهُورًا مُتَعَرِّبًا «مُودِرَن» فَالثَّوْرِيَّةُ تَنَاسِبُهُ أَكْثَرُ، أَمَّا إِذَا كَانَ جُمْهُورًا مُحَافِظًا مُنْعَزِلًا نِسْبِيًّا عَنْ مُؤَثَّرَاتِ الْحَضَارَةِ،

فَالْأُصُولِيَّةُ وَالْعَتَرِيَّاتُ ذَاتِ الصُّبْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَكُونُ أَكْثَرَ مُنَاسِبَةً لَهُ.

ج. صِفَةُ عَدَمِ الْحَيَاءِ وَالاعْتِمَادِ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ عَلَى سَدَاجَةِ الْجُمْهُورِ الْإِسْلَامِيِّ وَضَعْفُ ذَاكِرَتِهِ، صِفَةُ تَجْمَعُ قَادَةَ الْأَنْظِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ قَادَةِ الْمُنْظَمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ، فَالَّذِي كَانَ ثَوْرِيًّا اشْتِرَاكِيًّا تَحَوَّلَ فَجْأَةً إِلَى مُعَسِّكَرِ الْإِمْبِرْيَالِيَّةِ وَرَبِيئَتِهَا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ مُصْطَلَحَاتِ ذَلِكَ الْمُعَسِّكَرِ. وَالَّذِي كَانَ مُعْتَدِلًا صَارَ أَكْثَرَ اعْتِدَالًا وَعَرَبِيًّا أَكْثَرَ مِنَ الْعَرَبِ وَإِسْرَائِيلِيًّا أَكْثَرَ مِنَ الْيَهُودِ. وَفِي أَفْغَانِسْتَانَ مَثَلًا، مَا أَنْ انْسَحَبَ السُّوفِيَّتُ فِي ١٥ فَبْرَايِرِ ١٩٨٩ م حَتَّى تَبَدَّلَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوَاقِفِ حَتَّى أَنَّ «سَيَّافَ» كَبِيرَ الْأُصُولِيَّةِ، الَّذِي شَبَّهَتْهُ صَحَافَةُ «الْإِخْوَانِ» «الْإِسْلَامِيَّةِ» بِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، كَبِيرُهُمْ ذَلِكَ كَانَ يَضْغَطُ عَلَى الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامَ» حَتَّى لَا يَنْطَرِّقَ فِي خُطْبِهِ فِي «بِيشَاوَر» إِلَى مَوْضُوعِ الْجِهَادِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الْآنَ تَحَوَّلَتْ إِلَى مَشَاكِلَ دَاخِلِ الْأُسْرَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ!!، وَظَلَّ فِي الْعَلَنِ يُنَادِي بِضُرُورَةِ الْحَسْمِ الْعَسْكَرِيِّ!!، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى كُرْسِيِّ السُّلْطَةِ فِي «كَابُل» مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ تَحْتَ زَعَامَةِ الْمُعْتَدِلِينَ الَّذِينَ مَثَلَهُمْ «مُجَدِّدِي» رَئِيسُ الدَّوْلَةِ حِينَنَدِ، حَتَّى دَفَعَ «سَيَّافَ» بِذِرَاعِهِ الْأَيْمَنِ «مُحَمَّدَ يَاسِرَ»^(١)

(١) الشَّيْخُ مُحَمَّدُ يَاسِرُ الْأَفْغَانِيُّ: أَحَدُ قِيَادَاتِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ فِي فِتْرَةِ الْجِهَادِ ضِدَّ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ، تَخَرَّجَ مِنْ كَلِيَّةِ الْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ فِي «كَابُل»، ثُمَّ تَخَرَّجَ مِنَ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ

[صُورَةٌ رَقْمٌ ٤٧] مَعْبُودِ الْجَمَاهِيرِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ [كَيْ] يَطْلُبَ مِنْ مُمَثِّلِي هَيْئَاتِ الْإِغَاثَةِ الْعَرَبِ وَالْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ احْتِرَامَ قَوَانِينِ الدَّوْلَةِ وَاسْتِخْدَامَ أَوْرَاقِ رَسْمِيَّةٍ وَتَأْشِيرَاتٍ فِي أَثْنَاءِ حَرَكَتِهِمْ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ. وَأَشَارَ بِتَوَاضُعٍ جَمٌّ أَنَّهُ قَدْ تَنَازَلَ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهُمْ وَالتَّبَسُّطِ فِي الْحَدِيثِ، فِي حِينِ أَنَّهُمْ فِي بِلَادِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ مُجَرَّدَ رُؤْيَةِ وَزِيرٍ مِثْلِهِ!!



ح. السِّيَاسَةُ فِي الْحَالَتَيْنِ لَا صِلَةَ لَهَا بِأَيِّ مَبْدَأٍ أَوْ شَرْعٍ، وَلَكِنَّ الْمَصْلَحَةَ هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ التَّوَجُّهَ السِّيَاسِيَّ، فَلَا صَدَاقَةٌ

دَائِمَةٌ وَلَا عَدَاوَةٌ دَائِمَةٌ، بَلْ مَصَالِحٌ دَائِمَةٌ. فَلَا الثَّوْرِيَّةُ وَلَا الْاِسْتِرَاقِيَّةُ وَلَا الْاِسْلَامُ مَبَادِيٌّ أَرْزَلِيَّةٌ لَدَى هَؤُلَاءِ وَلَكِنَّهَا الْمَصْلَحَةُ هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ نَوْعَ الْمَبْدَأِ الْمَلَائِمِ فِي كُلِّ فِتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ عَلَى حِدَةٍ، فَلَا اسْتِرَاقِيٌّ قَدْ يَتَحَوَّلُ إِلَى

النَّبَوِيَّةِ. تَوَلَّى مُنْصَبَ الْوَزَارَةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ، وَلَكِنَّهُ اعْتَزَلَ الْعَمَلَ السِّيَاسِيَّ أَحْيَرًا عِنْدَمَا دَبَّتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ، وَاشْتَغَلَ بِتَدْرِيسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِإِحْدَى الْمَدَارِسِ فِي «بِيشَاوَر». وَعِنْدَمَا أُعْلِنَتْ «طَالِبَانَ» فِيَامِ الْإِمَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَارَعَ الشَّيْخُ «مُحَمَّدُ يَاسِرٌ» بِتَأْيِيدِهَا، ثُمَّ شَغَلَ مُنْصَبَ الْمُتَحَدِّثِ الرَّسْمِيِّ بِاسْمِ الْإِمَارَةِ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ فِي أَوْغُسْتُسَ ٢٠٠٥م، ثُمَّ أُطْلِقَ سَرَاحَهُ فِي مَارِسَ ٢٠٠٧م مَعَ أَرْبَعَةٍ مِنْ حَرَكَةِ «طَالِبَانَ». ثُمَّ غَادَرَ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى «بِيشَاوَر» لِيُقِيمَ مَعَ أَهْلِهِ فِي إِحْدَى مُخَيَّمَاتِ اللَّاجِئِينَ. وَقِيلَ أَنَّ الرَّئِيسَ الْأَفْغَانِيَّ «حَامِدَ كَرَايَ» عَرَضَ عَلَيْهِ عِدَّةَ مَنَاصِبَ حُكُومِيَّةٍ مُقَابِلَ الْاِسْتِخْلَافِ مِنْ حَرَكَةِ «طَالِبَانَ»، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الْعُرُوضَ قُوبِلَتْ بِالرَّفْضِ.

مُسْلِمٍ إِذَا اسْتَدْعَتْ الضَّرُورَةُ، وَهَكَذَا رَأَيْنَا «صَدَّامَ حُسَيْنَ» يُعْلِنُ الْجِهَادَ عِنْدَمَا افْتَرَسَهُ الْغَرْبُ فِي حَرْبِ تَحْرِيرِ الْكُوَيْتِ عَامَ ١٩٩١م، وَالْمُسْلِمُ يَتَحَوَّلُ إِلَى حَلِيفٍ قَوِيٍّ لِلْمَارِ كَسِيَّةٍ وَالْمُرْتَدِّينَ إِذَا اسْتَدْعَتْ الضَّرُورَاتُ ذَلِكَ أَوْ صَدَرَتْ إِلَيْهِ الْأَوَامِرُ مِنَ الْجِهَاتِ الْعُلْيَا الَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا رَأَيْنَا أُصُولِيِّينَ مِثْلَ «حِكْمَتِيَّارِ» وَ «سَيَّافِ» وَ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» يَتَحَالَفُونَ مَعَ قَادَةِ الشُّيُوعِيَّةِ التَّارِيخِيِّينَ وَالْعَسْكَرِيِّينَ مِنْ أَجْلِ التَّمَسُّكِ بِالسُّلْطَةِ أَوْ مُحَاوَلَةِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا. ذَلِكَ النَّوْعُ مِنَ الْمَشَاكِلِ دَاخِلَ الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي مَنْشئِهَا لَيْسَ خَاصِيَّةً ذَاتِيَّةً لِتِلْكَ الْحَرَكَةِ، بَلْ إِنَّ نَفْسَ تِلْكَ الْمَشَاكِلِ قَدْ اعْتَرَضَتْ مَسِيرَةَ الْحَرَكَاتِ أَوْ الْمُحَاوَلَاتِ الْجِهَادِيَّةِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةَ سَنَوَاتٍ.

[٥] الْقَضَايَا الْعَمَلِيَّةُ تَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلَ عَدَّةٍ:

مِثْلُ الْقِيَادَةِ، وَتَنْظِيمِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ وَقُوَّاتِهِ الْعَامِلَةِ، وَمَشَاكِلِ التَّمْوِيلِ. هَذَا كُلُّهُ مَدْخُلٌ ضَرُورِيٌّ لِدُخُولِ الْعَمَلِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ نَفْسِهَا، وَبِدَايَةِ تَنَاوُلِهَا يَكُونُ بِرَسْمِ سِيَاسَةِ الْعَمَلِيَّاتِ أَوْ «الِاسْتِرَاتِيجِيَّةِ» الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي يَزْمَعُونَ تَطْبِيقَهَا عَلَى اتِّسَاعِ رُفْعَةِ الْبِلَادِ طَوَالَ فِتْرَةِ الْقِتَالِ. وَيُرَافِقُهَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ وَضْعُ اسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ وَمَرَاكِئِهِ الْمُتَزَامِنَةِ مَعَ مَرَاكِئِ الْإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، هَذِهِ السِّيَاسَاتُ الْإِسْتِرَاتِيجِيَّةُ هِيَ مَسْئُولِيَّةُ الْقِيَادَةِ الْعُلْيَا.

وَمِنْ مَسْئُولِيَّاتِ تِلْكَ الْقِيَادَةِ أَيْضًا مَهَامٌ أُخْرَى لَا تَقِلُّ خُطُورَةً مِثْلَ مُرَاقَبَةِ
الْإلتِزَامِ بِالخَطِّ الْعَقَائِدِيِّ «الإيديولوجي» مِنْ جَانِبِ الحَرَكَةِ كَكُلِّ وَمِنْ جَانِبِ
جَمِيعِ الْقِيَادَاتِ. وَأَيْضًا مُرَاقَبَةُ البِنَاءِ التَّنْظِيمِيِّ وَرِعَايَتُهُ وَتَجْدِيدُهُ وَتَطْوِيرُهُ
وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى فَعَالِيَّتِهِ. وَالسِّيَاسَةُ المَالِيَّةُ لِلحَرَكَةِ هِيَ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ الْقِيَادَةِ،
وَهُوَ عَمَلٌ لَا يَقِلُّ خُطُورَةً عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَعْمَالِ الْقِيَادَةِ وَيَرْتَبِطُ بِعُمُقِ بِكُلِّ مَا
سِوَاهُ مِنْ سِيَاسَاتٍ عَمَلِيَّةٍ وَعَقَائِدِيَّةٍ، فَهُوَ يَرْتَبِطُ بِالخَطِّ العَسْكَرِيِّ،
وَالتَّوْجُّهَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَالخَطِّ الِاعْتِقَادِيِّ لِلحَرَكَةِ الجِهَادِيَّةِ.

وَعَنِّي عَنِ الذِّكْرِ أَنَّ قِيَادَةَ الجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَانَتْ مُقَسَّمَةً إِلَى قِيَادَاتٍ
مُتَنَاحِرَةً، وَكُلٌّ مِنْهَا كَانَتْ صِنْفًا مُتَدَبِّرًا لِلْقِيَادَةِ؛ فَقَدْ مَارَسَتْ فَقَطْ صِلَاحِيَّةَ
«الْوَكِيلِ» عَنِ القُوَى الصَّلِيبِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْرَكَ مُبَاشَرَةً فَوْقَ الأَرْضِ
الأَفْغَانِيَّةِ أَوْ أَنْ تَتَعَامَلَ مُبَاشَرَةً مَعَ الشَّعْبِ الأَفْغَانِيِّ، لِذَا فَقَدْ كَانَتْ فِي حَاجَةٍ
مَاسَّةً إِلَى «وَسِيطٍ» أَوْ «وَكِيلٍ» أَوْ «عَمِيلٍ» - سَمَّهَ مَا شِئْتَ - حَتَّى يَنْوَبَ عَنْهَا
فِي الِاتِّصَالِ وَالحَرَكَةِ فِي المُحِيطِ الأَفْغَانِيِّ. وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ كُلَّ مَهَامِّ الْقِيَادَةِ
العُلْيَا وَالتِّي تَحَدَّثُنَا عَنْهَا قَدْ أُنِيطَتْ بِالكَامِلِ لِلقُوَى الصَّلِيبِيَّةِ «أَمْرِيكََا»
وَأَعْوَانِهَا «بَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ».

تِلْكَ القَضَايَا العَمَلِيَّةُ مَا زَالَتْ بِلاِ إِجَابَاتٍ شَافِيَةٍ عَلَى النُّطَاقِ الإِسْلَامِيِّ
كُلِّهِ حَتَّى الْآنَ، وَالحَرَكَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ عَامَّةً وَالجِهَادِيَّةُ خَاصَّةً تَعِيشُ أَرْزَمَةَ فِكْرٍ

وَأَزْمَةٌ قِيَادَةٍ. وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ كُلَّ الْقَضَايَا الْهَامَّةِ الْعَمَلِيَّةِ خَاصَّةً مَا زَالَتْ مُعَلَّقَةً. وَكُلُّ تَجَارِبِنَا الْجِهَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بَدَأَتْ وَهِيَ لَا تُدْرِي بِأَنَّهَا مُطَالَبَةٌ بِالْإِجَابَةِ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْمُعْضَلَاتِ، بَلْ أَنَّ تِلْكَ الْمُعْضَلَاتِ مِنَ الْمُفْتَرَضِ حَلُّهَا قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ.

فَالْحَرَكَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُعَانِي مَا تُعَانِي مِنْهُ الْحَرَكَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ مِنْ خِلَافِ نَظَرِيٍّ حَوْلَ الْجِهَادِ ذَاتِهِ، وَحَوْلَ مَشْرُوعِيَّةِ بَدْئِهِ لِمُقَاوَمَةِ حُكُومَةٍ مُرْتَدَّةٍ؛ فَتِلْكَ الْحُكُومَاتُ مَا زَالَتْ تُمَثِّلُ أَوْلِيَاءَ الْأَمْرِ وَالشَّرْعِيَّةَ لَدَى مُعْظَمِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، خَاصَّةً «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ» بِاعْتِبَارِهَا الْجِسْمَ الرَّئِيسِيَّ لِلْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هُنَاكَ. أَمَّا عِنْدَ الْإِتْفَاقِ عَلَى شَرْعِيَّةِ الْبَدْءِ بِالْجِهَادِ فَتَبَدُّأً عِنْدَهَا الْمَشَاكِلَ الْعَمَلِيَّةَ وَالْإِخْتِلَافَاتُ حَوْلَ طُرُقِ حَلِّهَا^(١).

وَفِي ظَنِّي أَنَّ حَرَكَةَ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَمْ تَعْتَرِضْهَا مُشْكِلَةٌ شَرْعِيَّةٌ الْبَدْءِ بِالْجِهَادِ فِي مُوَاجَهَةِ حُكُومَةٍ مُرْتَدَّةٍ، وَذَلِكَ نَتِيجَةٌ لِأَخْطَاءِ حُكُومَةٍ «نُورِ مُحَمَّدٍ

(١) وَالْأَمْرُ كَمَا تَنَاوَلَهُ الْأُسْتَاذُ مُصْطَفَى حَامِدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَالتَّيَّارَاتُ الْجِهَادِيَّةُ الْيَوْمَ وَبِالْأَمْسِ تُعَانِي مِنْ خِلَافٍ كَبِيرٍ فِي الْفِكْرِ وَالتَّنْظِيرِ وَالتَّطْبِيقِ مَعَ سُمُوِّ الْغَايَةِ وَتَمَسُّ الْوَسِيلَةِ الْبَاهِظِ، وَسَتَتَنَاوَلُ تِلْكَ السَّلْبِيَّاتُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سِلْسِلَةٍ خَاصَّةٍ تَحْتَ عُنْوَانِ «دِرَاسَاتُ فِي تَقْوِيمِ الْمَنْهَجِ الْجِهَادِيِّ»، نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَجِّلَ بَخْرُوجِهَا وَأَنْ يُنْفَعِ بِهَا.

طَرَقِي» وَعَمَلِهَا الْمُبَاشِرِ الْفِظِّ لِاسْتِئْصَالِ الْإِسْلَامِ، بَدَلًا مِنْ الْإِتْفَافِ حَوْلِهِ وَتَفْرِيعِهِ مِنْ مُحْتَوَاهُ وَالْإِحْتِفَاطِ بِهِيْكَلِهِ فَارِغًا «مُحْنَطًا» كَمَا هُوَ حَادِثٌ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبِلَادِ الْوَاقِعَةِ بِشَكْلِ عَامٍّ تَحْتَ هَيْمَنَةِ الْعَرَبِ الصَّلِيبِيِّ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ ذِكَاً وَخِبْرَةً فِي مُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِ.

[٦] الإِعْدَادُ لِلْجِهَادِ يَتَحَوَّلُ غَالِبًا إِلَى حِيلَةٍ لِإِلْغَائِهِ عَمَلِيًّا مَعَ الْاعْتِرَافِ بِهِ شَكْلِيًّا:

فَمَا هُوَ الْإِعْدَادُ؟ وَمَا هِيَ دَرَجَتُهُ؟، هَذِهِ مَسَائِلٌ خِلَافِيَّةٌ قَدْ تُوَدِّي كَمَا قُلْنَا إِلَى الْإِلْغَاءِ الْجِهَادِ عَمَلِيًّا. وَاخْتِلَالِ الْمَوَازِينِ الْمَادِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ يُشَجِّعُ عَلَى تَقْوِيَةِ التِّيَّارِ الْمُنَادِي بِتَأْجِيلِ الْجِهَادِ حَتَّى يَتِمَّ الْإِعْدَادُ، وَعَمَلِيًّا فَإِنَّ التَّأْجِيلَ سَوْفَ يَسْتَمِرُّ إِلَى الْأَبَدِ. هُنَاكَ فِي الْمُقَابِلِ دَعْوَةُ الْبَدءِ بِمَا هُوَ مُتَّاحٌ مَادِيًّا فِي مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَالتَّأْجِيلُ «الْأَزْلِيُّ» لِلْجِهَادِ سَوْفَ يُعْطَى الْفُرْصَةَ لِلْقُوَى الْمُضَادَّةِ لِلْإِسْلَامِ كَيْ تُقِيمَ أُمْرًا وَاقِعًا مَتِينًا وَتَضْرِبَ حَتَّى الْإِمْكَانَاتِ الْقَلِيلَةَ الْمُتَوَفَّرَةَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ كَيْ يَبْدَأُوا بِهَا الْجِهَادَ.

وَالْبَدءُ الْفَوْرِيُّ لِلْجِهَادِ يَحْمِلُ فِي طَبَائِهِ مَخَاطِرَ تَجَاهُلِ الْمَشَاكِلِ الْعَمَلِيَّةِ، وَهَذَا مَا حَدَثَ فِي جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَرُغْمَ النَّجَاحَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي يُصَادِفُهَا الْمُجَاهِدُونَ إِلَّا أَنَّهُ مَعَ الْوَقْتِ وَتَدْرِيجِيًّا يَفْقِدُونَ السَّيْطْرَةَ عَلَى زِمَامِ الْأُمُورِ، وَتَزْدَادُ صُعُوبَةً إِمْكَانِيَّةً عِلَاجِ الْمَشَاكِلِ الْعَمَلِيَّةِ. وَهَكَذَا يُصَابُ الْعَمَلُ

العسكريُّ بِنكسةٍ وتكونُ الهزيمةُ أو تنبيري قوَى أُخرى باستثمارِ نجاحاته والاستحواذِ على نتائجِ تضحياتِ المسلمينِ ودمائهم، وهذا ما حدثَ أيضًا في أفغانستان. وفي واقع الحال فإنَّ قرارَ الجهادِ ينبغي أن يسبقَ الشروعَ الفعليَّ في الجهادِ بوقتٍ كافٍ حتى تُوضعَ أساسياتُ النشاطِ العمليِّ وقواعدُ وتصوّراتُ العملِ المُقبلِ واستعداداته.

والذي يحدثُ للمسلمينَ سابقًا وحاليًا خلالَ تجاربِ هذا القرنِ على الأقلِّ أنّهم يُقرّرونَ الجهادَ فقط عندما يبدأ السكّينُ الكافرُ في قطعِ الرقابِ المسلمة، عندها فقط يُقرّرونَ «البعض» أن يُجاهدوا، وتقرّرُ الأكثريةُ قراراتٍ أُخرى تتراوحُ بينَ الفرارِ أو الاستسلامِ أو - وهذه مهنةٌ جديدةٌ - استثمارِ الوضعِ برُمتهِ لمصلحتها الخاصة، فتركبُ موجةَ الجهادِ وتناجرُ بها في بازارِ السياسةِ الدوليّةِ وفي بازارِ العملِ الإسلاميِّ المُلتزم. حدثَ ذلكَ أمامَ أعيننا وتحتَ أنوفنا مرّتينِ على الأقلِّ، مرّةً في سوريا و «تجربتها الجهاديّة» المأساويّة، ومرّةً ثانيةً خلالَ نفسِ العقدِ في الثمانيناتِ في أفغانستان صاحبةِ أكبرِ التجاربِ الجهاديّةِ في القرنِ العشرين.

وقد نُضيفُ حتى لا تختلطَ الأمورُ بأنَّ «الإخوان المسلمين» هم أصحابُ «الفضل» التجاريِّ في الحاليتينِ المأسويّتين. لقدَ اعترضَ «الإخوان» على مبدأِ شروعِ الجهادِ في سوريا، ولكنّه بدأ رُغمًا عنهم. وبرشاقةٍ بارعةٍ قفزوا

فَوْقَ ظَهْرِهِ وَبَاعُوهُ لِإِنْظِمَةِ الْمَنْطِقَةِ وَقَبْضُوا الثَّمَنَ وَتَمَّ تَدْمِيرُ الْجِهَادِ. وَفِي
 أُنْغَانِسْتَانَ اعْتَرَضُوا عَلَى بَدءِ الْجِهَادِ قَبْلَ إِعْدَادِ طَوِيلِ الْمَدَى يُرَكِّزُ عَلَى جَمْعِ
 الْأَمْوَالِ وَالِاتِّصَالَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ، فِي حِينٍ أَنْ لِيَتْلِكَ الْقَضَايَا أَهْمِيَّةً
 هَامِشِيَّةً بِالنِّسْبَةِ لِقَضَايَا الْإِعْدَادِ الْأُخْرَى، وَعَلَى رَأْسِهَا الْمَسَائِلُ التَّنْظِيمِيَّةُ
 وَالْعَسْكَرِيَّةُ وَتَحْدِيدُ الْخُطَطِ الْإِسْتِرَاتِيْجِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِأَفْرَعِ الْعَمَلِ الْأَسَاسِيَّةِ،
 خَاصَّةً الْفِرْعَيْنِ السِّيَاسِيَّ وَالْعَسْكَرِيَّ ثُمَّ النَّشَاطِ التَّمْوِيلِيَّ لِلْحَرَكَةِ. وَمَرَّةً
 أُخْرَى فَشَلُّوا فِي السَّيْطَرَةِ عَلَى زِمَامِ الْأُمُورِ، وَبَدَأَ الْجِهَادُ عَلَى يَدِ الْعُلَمَاءِ
 وَأَفْرَادِ الشَّعْبِ الْغَيُورِينَ. فَفَرَّرَ «الْإِخْوَانُ» اسْتِثْمَارَ الْحَرَكَةِ وَالْقَفْزَ فَوْقَ ظَهْرِهَا
 وَالنُّزُولَ إِلَى سَاحَةِ الْمَزَادِ الدُّوَلِيِّ وَقَبْضَ الثَّمَنِ. وَتَمَّ بَيْعُ الْجِهَادِ لِلْأَيْدِي
 الْإِقْلِيمِيَّةِ الْمُلوَّثَةِ فِي بَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ، وَمِنْهَا إِلَى الْيَدِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي تَوَلَّتْ
 بِنَفْسِهَا تَسْيِيرَ الدَّفْعِ وَقِيَادَةَ الْمَعْرَكَةِ وَاسْتِثْمَارَ نَتَائِجِ «الْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ» فِي
 أُنْغَانِسْتَانَ، فَكَانَتْ أَكْبَرُ خُدْعَةٍ مَأْسَاوِيَّةٍ سَقَطَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ خِلَالَ هَذَا
 الْقُرْنِ.

[٧] الشُّرُوطُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي وَضَعَهَا الْمُعْتَدِلُونَ لِبَدءِ الْجِهَادِ:

كَانَ مِخْوَرُهَا هُوَ اسْتِجْلَابُ رِضَى الْغَرْبِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَلَمْ
 يَكُنِ الْغَرْبُ وَقْتَهَا قَدْ فَرَّرَ اسْتِثْمَارَ الْوَضْعِ الْأَفْغَانِيِّ فِي خَارِجِ نِطَاقِ الْحَرْبِ
 الْإِعْلَامِيَّةِ بَيْنَ الْكُتْلَتَيْنِ. وَقَدْ رَحَّبَ الْغَرْبُ بِالْمُعْتَدِلِينَ كَأَدَوَاتٍ مُتَوَاضِعَةٍ فِي

ذَلِكَ الْمَجَالِ الإِعْلَامِيِّ، وَرَحَّبَتْ بِهِمُ بِالتَّالِي الأَنْظِمَةَ المُوَالِيَةَ لِأَمْرِيكَ فِي العَالَمِ العَرَبِيِّ وَفَازُوا مِنْهَا بِبَعْضِ الدَّعْمِ المَالِيِّ وَالإِعْلَامِيِّ.

وَلِحُسْنِ الحِظِّ أَنَّ هَذَا التَّوَجُّهَ المُعْتَدِلَ لَمْ يَرُقْ لِحَاكِمِ بَاكِسْتَانِ الجِنْرَالِ «ضِيَاءِ الحَقِّ»؛ فَقَدْ رَأَى فِيهِ تَجَاهُلًا لِمَصَالِحِ بَاكِسْتَانِ وَأَمْنَهَا المُهَدَّدِ، وَاعْتَبَرَ أَنَّ المُعْتَدِلِينَ قَدْ تَجَاوَزُوهُ وَتَعَامَلُوا مُبَاشِرَةً مَعَ العَرَبِ وَالدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ النُّفُطِيَّةِ، وَفِي ذَلِكَ تَهْمِيشٌ مُخَلٌّ بِدَوْرِهِ فِي مَنْطِقَةِ سِيَادَتِهِ «بَاكِسْتَانِ» وَفِي خَلْفِيَّتِهِ المُقْلِقَةِ «أَفْغَانِسْتَانِ». لِذَلِكَ سَادَتْ عِلَاقَاتُ الجَفَاءِ وَالرِّيْبَةِ بَيْنَ «ضِيَاءِ الحَقِّ» وَالمُعْتَدِلِينَ، وَازْدَادَ قُرْبًا مِنْ المُتَشَدِّدِينَ، خَاصَّةً «حِكْمَتِيَارِ» فِي الدَّرَجَةِ الأُولَى ثُمَّ «بُرْهَانَ الدِّينِ» فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، أَمَّا «سَيَافُ» - وَهُوَ مَحْسُوبٌ عَلَى المُتَطَرِّفِينَ - فَظَلَّ «ضِيَاءِ الحَقِّ» يَعْتَبِرُهُ وَرَقَةً سُعُودِيَّةً، لِذَلِكَ لَمْ يُعْرِهُ انْتِبَاهًا كَبِيرًا.

وَمَا زَالَتْ السِّيَاسَةُ الإِسْلَامِيَّةُ لِجَمَاعَاتِ العَمَلِ الإِسْلَامِيِّ وَالجِهَادِيِّ غَيْرِ مُسْتَقَرَّةٍ إِزَاءَ العَرَبِ بِقِيَادَةِ أَمْرِيكَ، مُتَأَرِّجَةً بَيْنَ عَامِلِي المَصْلَحَةِ الَّتِي تَسْتَدْعِي التَّصَالِحَ وَالتَّفَاهُمَ السَّلْمِيَّ «جَمَاعَةُ الإِخْوَانِ»، وَبَيْنَ التَّجَاهُلِ التَّامِّ وَفَرَارِ التَّصَادُمِ الَّذِي لَا يَدْعُمُهُ بَرْنَامِجٌ تَصَادُمِيٌّ مُنَاسِبٌ «جَمَاعَاتُ الجِهَادِ بَعْدَ عَامِ ١٩٩٣ م.».

لَمْ تَكُنْ الجَمَاعَاتُ المُعْتَدِلَةُ عَلَى اسْتِعْدَادِ اللَّتَنَازُلِ عَنِ أَسَاسِيَّاتِ عَمَلِهَا

الثَّلَاثَةِ، وَاسْتَمَرَّتْ كَذَلِكَ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ الْحَرْبِ. وَشَعَرْتُ شَخْصِيًّا تَجَاهَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ التَّقْدِيرِ لِهَذَا الثَّبَاتِ وَتِلْكَ «الاسْتِقَامَةُ» وَإِنْ كَانَتْ عَلَى بَاطِلٍ، وَكَذَلِكَ لِهَوْلِ الْأَنْحِرَافِ وَالْمُرَاوَعَةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا الْمُتَشَدِّدُونَ الَّذِينَ رَفَعُوا شَعَارَاتِ إِسْلَامِيَّةً قَوِيَّةً لِلْعَايَةِ، وَفِي اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ أَظْهَرُوا حَقِيقَتَهُمْ الْمُخَالَفَةَ تَمَامًا لِشَعَارَاتِهِمْ الْمُعْلَنَةَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ.

[٨] جِهَادٌ فِي الْجِبَالِ، وَجِهَادٌ فِي «بِشَاوَر»:

وَبَدَلًا عَنْ «بِشَاوَر» يُمَكِّنُ وَضْعُ اسْمِ أَيِّ مَدِينَةٍ أُخْرَى، أَمَّا الْجِبَالُ فَيُمْكِنُ تَرْكُهَا هَكَذَا بِلا تَعْرِيفٍ. وَهَكَذَا تَحْصُلُ عَلَى عُنْوَانٍ دَائِمٍ لِحَالَةِ الْأَنْقِسَامِ الْقَاتِلِ بَيْنَ الْقِيَادَاتِ الْمِيدَانِيَّةِ فِي الْجِبَالِ وَالْقِيَادَاتِ الْأَنْتِهَازِيَّةِ - غَالِبًا - الْمُقِيمِينَ فِي الْمُدُنِ خَارِجَ الْحُدُودِ.

وَعَانَى الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ. فِي الْجَزَائِرِ كَانَ هُنَاكَ مُجَاهِدُونَ فِي الْأُورَاسِ^(١) وَقِيَادَاتٌ أَنْتِهَازِيَّةٌ تَجُوبُ الْعَوَاصِمَ مِنْ «الْقَاهِرَةِ» إِلَى

(١) جِبَالُ الْأُورَاسِ: هِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ الْجِبَالِ ذَاتِ الْقِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَتَقَعُ شَمَالَ شَرْقِ الْجَزَائِرِ، وَتَحُدُّ وَلَايَاتِ «بَاتَنَةَ» وَ«خَنْشَلَةَ» وَ«أَمِ الْبَوَاقِي» وَ«تَبْسَةَ» مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ. اذْتَبَطَتْ جِبَالُ الْأُورَاسِ بِالْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ لِفَتْرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي التَّارِيخِ الْحَدِيثِ، فَقَدْ كَانَ الْمُجَاهِدُونَ يَخْتَبِئُونَ وَيَتَمَرَّكُونَ فِيهَا فِي أُنْثَاءِ الْجِهَادِ ضِدَّ الْاسْتِعْمَارِ الْفَرَنْسِيِّ فِي مُتَّصِفِ خَمْسِينَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي،

«تُونِسْ» إِلَى «بَارِيس». وَفَازَ الْإِنْتِهَازِيُّونَ عَلَى أَشْلَاءِ وَدِمَاءِ شَعْبِهِمْ وَتَوَلَّوْا السُّلْطَةَ وَأَعَادُوا الْبِلَادَ إِلَى سُلْطَانِ الصَّلِيبِيَِّّةِ مَرَّةً أُخْرَى. كَمَا كَانَ هُنَاكَ «مُجَاهِدُونَ» فِي «حَمَاة» وَ «دِمَشْق» وَ «حَلَب» وَقَادَةُ إِنْتِهَازِيِّونَ فِي «عَمَّان» وَ «بُعْدَاد» وَ «الرِّيَاض». وَدَارَتْ الْحَلَقَةُ حَتَّى وَصَلَتْ أَفْغَانِسْتَانَ، فَكَانَ الْمُجَاهِدُونَ فِي جِبَالِ الْهِنْدُوكُوشِ وَالْخَوْنَةَ وَالْإِنْتِهَازِيُّونَ فِي «بِيشَاوَر» يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ، لِكَيْ تَكُونَ نَتِيجَةُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا مِنَ الْقِتَالِ هِيَ خُرُوجُ السُّوفِيَّةِ مِنَ أَفْغَانِسْتَانَ وَدُخُولِ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَأُمَّهَاتِ الْمُتَّحِدَةِ كَقُوَّةِ سِيَادَةٍ لَا تَنَازَعُ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ الْمُمَزَّقَةِ وَالْمَحْرُوقَةِ بِالْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ.

وَكَمَا ذَكَرْنَا وَرُغْمَ رُوْعَةِ الْقُدْوَةِ وَإِنْكَارِ الذَّاتِ وَالشَّجَاعَةِ الْإِيْمَانِيَّةِ لَدَى قِيَادَاتِ الْجِبَالِ فِي الْأَغْلَبِ، فَإِنَّ الْقِيَادَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ مَهْمَا كَانَتْ رَائِعَةً لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحُلَّ مَحَلَّ الْقِيَادَةِ الْعُلْيَا الَّتِي تَقُودُ الْعَمَلَ الْجِهَادِيَّ بِأَجْمَعِهِ، فَلِكُلِّ قِيَادَةٍ دَوْرُهَا. فَالْقِيَادَةُ الْمِيدَانِيَّةُ هِيَ غَالِبًا قِيَادَةُ تِكْنِيكِيَّةٌ خَاصَّةٌ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الْأَحْدَاثِ الْيَوْمِيَّةِ الْمُتَّلَاحِقَةِ، وَالْقِيَادَةُ الْعَامَّةُ الْعُلْيَا تَخْتَصُّ أَكْثَرَ بِنَوَاحِي التَّخْطِيطِ وَالْعَمَلِ الْإِسْتِرَاتِيْجِيِّ مَعَ أَهْتِمَامٍ أَقْلٍ بِالنَّوَاحِي التِّكْنِيكِيَّةِ، إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ فَقَطُ بِرَبْطِ الْعَمَلِ التِّكْنِيكِيِّ الْمِيدَانِيِّ مَعَ الْخُطَّةِ الْعَامَّةِ وَتَصَوُّرِهَا الْإِسْتِرَاتِيْجِيِّ.

وَكَذَلِكَ لَجَأَ إِلَيْهَا الْمُجَاهِدُونَ فِي قِتَالِهِمْ ضِدَّ الْحُكُومَةِ الْعَلْمَانِيَّةِ فِي التَّسْعِينِيَّاتِ.

وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ ضَرُورِيٌّ أَنْ تَكُونَ الْقِيَادَةُ الْعُلْيَا هِيَ قِيَادَةُ مِيدَانِيَّةٍ مُقِيمَةً فِي نَفْسِ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَإِذَا لَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ لِسَبَبٍ أَوْ لِأَخْرَ فَإِنَّا سَنُوجِهُ تَكَرَّارًا لِنَفْسِ الْقَاعِدَةِ وَنُوجِهُ الْإِنْفِصَامَ الْمَشْتُومَ بَيْنَ قِيَادَاتِ الْجَبَلِ الْمِيدَانِيَّةِ وَقِيَادَةِ الْمَدِينَةِ الْإِنْتِهَازِيَّةِ، أَوْ عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ الَّتِي سَوْفَ تُصْبِحُ كَذَلِكَ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ.

وَنَرَى أَنَّهُ فِي حَالِ إِزْغَامِ الْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ عَلَى الزُّوْحِ وَالهِجْرَةِ خَارِجِ مَنَاطِقِ الْجِهَادِ لِسَبَبٍ أَوْ آخَرَ مِثْلَ الْإِصَابَةِ أَوْ الْمُطَارَدَةِ الْبُولِيسِيَّةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ تُخْلِي مَحَلَّهَا لِقِيَادَةِ أُخْرَى مِيدَانِيَّةٍ وَتَتَحَوَّلَ هِيَ مُبَاشِرَةً إِلَى الْعَمَلِ خَلْفَ الْحُدُودِ فِي مَهَامِّ مُعَاوَنَةٍ تُحَدِّدُهَا لَهُمُ الْقِيَادَةُ الْجَدِيدَةُ لِلجِهَادِ. وَفِي حَالَاتٍ نَادِرَةٍ تَكُونُ قِيَادَاتِ الْخَارِجِ مُجَرَّدَ رَمَزٍ تَجْتَمِعُ حَوْلَهُ حَرَكَةُ الْمُقَاوَمَةِ، وَتَكُونُ مَرْجِعَهَا الدِّينِيَّ أَوْ مُخَطَّطَهَا الإِسْتِرَاطِيَّجِيَّ وَمُوجَّهَهَا الفِكْرِيَّ، وَيَظُلُّ الْجَانِبُ الْمِيدَانِيَّ وَصَلَا حَيَاتِهِ الْوَاسِعَةَ بَاقِيًا بِالْكَامِلِ فِي أَيْدِي قِيَادَةِ مِيدَانِيَّةٍ بَدِيلَةٍ.

[٩] لَمْ يَكُنْ الْحِصَارُ مُحْكَمًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَوْلَ أَيِّ مَدِينَةٍ أَفْغَانِيَّةٍ:

وَيَجِبُ مَلَا حَظَةً تَرْكِيْبِ قُوَاتِ الْمُجَاهِدِينَ وَقُدْرَتِهَا عَلَى شَنْ عَمَلِيَّاتِ عَصَابَاتٍ مَحْدُودَةٍ، وَعَدَمِ قُدْرَتِهَا عَلَى خَوْضِ عَمَلِيَّاتٍ وَاسِعَةٍ أَقْرَبَ لِعَمَلِيَّاتِ الْحَرْبِ التَّقْلِيدِيَّةِ. وَقَدْ ظَلَّ حَالُهَا كَذَلِكَ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ مَعَ اسْتِثْنَاءَاتٍ مَحْدُودَةٍ، وَلَكِنَّ الَّذِي حَدَثَ مُنْذُ أَوَاسِطِ عَامِ ١٩٧٩مَ هُوَ اتِّسَاعُ

نَطَاقِ الْفِرَارِ مِنَ الْجَيْشِ وَالتَّحَاقُّ وَحَدَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْهُ بِالْمُجَاهِدِينَ فِي الْجِبَالِ .
تِلْكَ الْوَحَدَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ أَضَافَتْ كَثِيرًا إِلَى الْمِيزَانِ الْعَسْكَرِيِّ لِلْمُجَاهِدِينَ
وَأَحْرَجَتْ مَوْقِفَ الْحُكُومَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَدِفَاعَاتِهَا حَوْلَ عِدَّةٍ مُدُنٍ مِنْهَا
الْعَاصِمَةُ . وَلَوْ كَانَ الْمُجَاهِدُونَ فِي حَالَةٍ تَنْظِيمِيَّةٍ أَفْضَلَ لَأَسْتَطَاعُوا أَنْهَاءَ
النِّظَامِ قَبْلَ تَدْخُلِ السُّوفِيَّةِ فِي دَيْسَمْبَرِ ١٩٧٩ م ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا
اسْتِيعَابَ الْقُوَّاتِ الْمُنْضَمَّةِ إِلَيْهِمْ .

وَكَمَا ذَكَرْنَا فَإِنَّ مُعْظَمَ الضُّبَّاطِ غَادَرُوا أَفْغَانِسْتَانَ نَهَائِيًّا ، بَيْنَمَا بَقِيَ الْجُنُودُ
فَتَرَاتٍ أَطْوَلَ قَلِيلًا فِي خِدْمَةِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَهِيَ خِدْمَةٌ بِالْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ مِثْلَ
الطَّبْخِ وَالْغَسِيلِ وَحَفْرِ الْمَغَارَاتِ وَالْخَنَادِقِ . وَتَوَجَّهَتْ أَنْظَارُ الْمُجَاهِدِينَ فِي
الْغَالِبِ نَحْوَ الْاسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ الَّتِي تَحْمِلُهَا الْقُوَّاتُ الْمُنْضَمَّةُ
إِلَيْهِمْ وَتُوزِعُهَا كَغَنَائِمٍ ، سَوَاءً تَمَّ ذَلِكَ بِحَقِّ أَوْ بغيرِ وَجْهِ حَقِّ . وَالتَّيْجَةُ أَنَّ
تِلْكَ الْقُوَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةَ فَقَدَتْ تَأْثِيرَهَا نَتِيجَةَ تِلْكَ السِّيَاسَةِ وَلَمْ تُسْتَخْدَمِ إِلَّا
بِدَرَجَةٍ بَسِيطَةٍ فِي الضَّغْطِ عَسْكَرِيًّا عَلَى النِّظَامِ . وَنُضِيفُ أَيْضًا عَنْصَرَ الثَّقَّةِ
وَالْكَرَاهِيَّةِ ، فَقَدْ كَانَ رِجَالُ الْجِبَالِ يَكْرَهُونَ الضُّبَّاطَ الْعَسْكَرِيِّينَ بِشَكْلِ خَاصِّ
وَيَشْكُونُ فِي انْتِمَاءِ تِهِمُ الْعَقَائِدِيَّةِ وَأَنَّهُمْ شُيُوعِيُونَ . أَمَّا الْجُنُودُ « الْعَسْكَرُ » فَقَدْ
كَانُوا غُرَبَاءَ عَنِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي يُقَاتِلُونَ فِيهَا ، فَكَانُوا مُحْتَقَرِينَ وَيُنْظَرُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً
دُونِيَّةً . وَلِتِلْكَ الْحَالَاتِ اسْتِثْنَاءَاتٌ عَدِيدَةٌ مِثْلَ ضُبَّاطٍ تَحَوَّلُوا إِلَى قِيَادَاتِ
مِيدَانِيَّةٍ مُمْتَازَةٍ أَوْ عَسْكَرٍ تَحَوَّلُوا إِلَى مُجَاهِدِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، سَوَاءً فِي

مَنَاطِقِهِمُ الْأَصْلِيَّةَ أَوْ فِي الْمَنَاطِقِ الَّتِي انضَمُّوا فِيهَا إِلَى الْمُجَاهِدِينَ، وَبَقِيَ
بَعْضُهُمْ هُنَاكَ لِسِنَوَاتٍ وَبَعْضُهُمْ اسْتَشْهَدَ بَعِيدًا عَنِ مَوْطِنِهِ بَعْدَ تَارِيخِ جِهَادِيٍّ
حَافِلٍ.

[١٠] فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ التَّعَاوُنُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهِ مَعَ
وُجُودِ اسْتِثْنَاءَاتٍ أَوْ أَخْطَاءٍ، وَهَذَا شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ التَّعَاوُنُ فِي
حَجْمٍ مُتَوَاضِعٍ بِسَبَبِ مَحْدُودِيَّةِ الْإِمْكَانَاتِ الْمَادِيَّةِ أَوْ الْخِبْرَاتِ الْمُتَوَفَّرَةِ.
وَلَكِنْ فِي حُدُودِ الْإِمْكَانَاتِ الْمُتَاحَةِ فَقَدْ كَانَتْ الْمَعْنَوِيَّاتُ عَالِيَةً وَالتَّعَاوُنُ
رَائِعًا.

[١١] التَّوَاجُدُ الْمِيدَانِيُّ لِلْقِيَادَةِ لَهُ تَأْثِيرٌ مَعْنَوِيٌّ ضَخْمٌ يُؤَثِّرُ إيجابيًا فِي نَتَائِجِ
الْمَعَارِكِ:

وَأَضْعَبُ الْفَتَرَاتِ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ هِيَ فَتْرَتُهَا الْأُولَى الَّتِي تَعْتَمِدُ
أَسَاسًا عَلَى مَعْنَوِيَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ وَتَمَاسِكِ الْقِيَادَةِ وَالْمَثَلِ الَّذِي تَضْرِبُهُ
بِنَفْسِهَا عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ. لَقَدْ ثَبَّتَتِ الْحَرَكَةُ الْجِهَادِيَّةُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بِفَضْلِ
قِيَادَاتٍ كَبِيرَةٍ بَارِزَةٍ ضَرَبَتْ الْمِثَالَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالثَّبَاتِ، وَدَفَعَتْ
الْثَمَنَ غَالِيًا مِنْ دِمَائِهَا. وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ لَا تَتَبَدَّلُ فِي جَمِيعِ مَعَارِكِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
وَهِيَ مَعَارِكُ لَا يَصْلُحُ لِقِيَادَتِهَا رِجَالُ الْفَنَادِقِ وَالرَّحَلَاتِ السِّيَاحِيَّةِ أَوْ نُجُومِ
الصَّحَافَةِ وَالْإِعْلَامِ.

[١٢] [١٣] الْقِيَادَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ الْكَبِيرَةُ قَرَّتْ مِنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى «بِشَاوَر»:

وَبَدَأَتْ تَارِيخَهَا الْجِهَادِيَّ بِالتَّسْوُلِ الدَّوْلِيِّ وَالْوُقُوفِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْئُولِينَ هُنَا وَهَنَّاكَ، وَالْبَحْثِ فِي الدَّهَالِيزِ عَنِ صَفَقَةِ يَقُومُونَ فِيهَا بِدَوْرِ «الْوَكِيلِ الْمُعْتَمَدِ» فِي أَحَدِ حَلَقَاتِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ أَوْ الْحُرُوبِ بِالْوَكَاةِ.

لَقَدْ رَحَّبَتْ بِهِمْ بَاكِسْتَانٌ لِاسْتِخْدَامِهِمْ ضِدَّ جَارَتِهَا اللَّدُودِ أَفْغَانِسْتَانِ وَلَكِنْ فِي نِطَاقِ الضُّغُوطِ السِّيَاسِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا. وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَنْسُجَ



الاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ خِيُوطَهَا حَوْلَ تِلْكَ التَّجْمَعَاتِ النَّازِحَةِ إِلَى أَرَاضِيهَا، وَخَاصَّةً التَّجْمَعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ النَّشِطَةِ. وَمُنْذُ عَامِ ١٩٧٣ م

وَعَمَلِيَّةِ اللُّجُوءِ السِّيَاسِيِّ الْوَاسِعَةِ مِنَ الْأَفْغَانِ النَّشِطِينَ إِسْلَامِيًّا إِلَى أَرَاضِي بَاكِسْتَانِ فِي عَهْدِ «ذُو الْفُقَارِ عَلِيِّ بُوتُو»^(١) «الْعَلْمَانِي الْيَسَارِيِّ» [صُورَةٌ رَقْمَ ٤٨]،

(١) ذُو الْفُقَارِ عَلِيُّ بُوتُو: كَانَ رَئِيسًا لِبَاكِسْتَانِ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ١٩٧١-١٩٧٣ م، وُلِدَ فِي عَامِ ١٩٢٨ م بِإِقْلِيمِ السُّنْدِ، تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي مَدْرَسَةٍ تَابِعَةٍ لِلْكَنِيسَةِ فِي «مُومْبَاي»، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ لِاسْتِحْكَامِ دِرَاسَتِهِ فِي مَجَالِ الْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ مَا بَيْنَ عَامَيْ ١٩٤٧-١٩٤٩ م. كَانَتْ تَوَجُّهُاتُهُ اسْتِرَاقِيَّةً، وَشَغَلَ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَنَاصِبِ، مِنْهَا مَنَصِبُ وَزِيرِ التَّجَارَةِ فِي حُكُومَةِ «إِسْكَندَرِ عَلِيِّ مِرْزَا» فِي عَامِ ١٩٥٨ م، وَوَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ ١٩٦٣-١٩٦٦ م. أُسِّسَ حِزْبُ الشَّعْبِ الْبَاكِسْتَانِيِّ عَامَ ١٩٦٧ م بَعْدَ تَرْكِهِ لِلْحُكُومَةِ. تَوَلَّى مَنَصِبَ رِئَاسَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ بَعْدَ اسْتِقَالَةِ الرَّئِيسِ «أَعَا مُحَمَّدَ يَحْيَى خَانَ»

فَقَدْ احْتَضَتْهُمْ احْتِضَانَ الْمَوْتِ، وَمِنْ يَوْمِهَا وَالْحَرَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْأَفْغَانِيَّةَ
النَّشِطَةَ وَهِيَ مُخْتَرَقَةٌ لِدَرَجَةِ خَطِيرَةٍ بِالِاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ. وَأَكْثَرُ رُمُوزِهَا
الشَّهِيرَةِ وَالنَّاشِطَةِ هُمْ مِنْ رُؤَادِ تِلْكَ الْأَجْهَزَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، مُنْذُ عَهْدِ «دَاوُدَ»
وَحَتَّى الْآنَ عَهْدِ «الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

وَلَا يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ إِلَى ذِكَاةٍ كَبِيرٍ حَتَّى يَضَعَ افْتِرَاضًا - وَلَوْ مُجَرَّدَ
افْتِرَاضٍ - بِأَنَّ النُّشَطَاءَ الْإِسْلَامِيِّينَ فِي حَالِ لُجُؤِهِمْ سِيَاسِيًّا إِلَى دَوْلٍ خَارِجِيَّةٍ
مُعَادِيَّةٍ لَهُمْ عَقَائِدِيًّا سَوْفَ تَجْرِي مُحَاوَلَةٌ تَجْنِيدِهِمْ أَوْ السَّيْطَرَةَ عَلَيْهِمْ أَوْ
تَوْجِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَجْهَزَةِ اسْتِخْبَارَاتِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ. وَالْمُخْلِصُونَ الَّذِينَ
سَيَرَفُضُونَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ إِمَّا أَنْ يَتَمَّ تَجْمِيدُ حَرَكَتِهِمْ وَزَجَّهِمْ فِي زَوَايَا النَّسِيَانِ،
وَرَبَّمَا تَلَفَّقَ لَهُمُ الْقَضَايَا وَيَزُجُّونَ فِي أَعْمَاقِ السُّجُونِ أَوْ يَتَمَّ طَرْدُهُمْ...
وَأخِيرًا قَدْ يَتَمَّ قَتْلُهُمْ فِي حَوَادِثَ لَا يُعْلَمُ أَبَدًا فَاعِلُهَا.

فِي الْبِدَايَةِ سَاعَدَتِ الْحُكُومَةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ مُعَارِضِي حُكْمِ «طَرَاقي»

عَلَى إِثْرِ هَزِيمَةِ بَاكِسْتَانَ فِي حَرْبِ ١٩٧١ مَ أَمَامَ الْهِنْدِ وَأَنْفَصَلَ إِقْلِيمَ بَاكِسْتَانَ الشَّرْقِيَّةَ بِاسْمِ
«بَنْجَلَادِيش». شَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ مِنْ ١٩٧٣-١٩٧٧ مَ حَيْثُ قَامَ الْجِنْرَالُ «ضِيَاءُ الْحَقُّ»
بِإِنْقِلَابٍ عَسْكَرِيٍّ نَاجِحٍ، فَأَوْدَعَ «بُوتو» السُّجْنَ ثُمَّ قَامَ بِإِعْدَامِهِ بِتَهْمَةِ الْحِيَادِ عَنِ الْمُمَارَسَةِ
الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ فِي سِيَاسَةِ الْبِلَادِ، وَذَلِكَ فِي ٤ أْبْرِيلِ ١٩٧٩ مَ.

وَأَعْطَتْهُمْ مُسَاعَدَاتٍ مَالِيَّةً وَافْتَتَحَتْ لَهُمْ مَكَاتِبًا مُتَوَاضِعَةً فِي «بِيشَاوَر» وَ «إِسْلَامْ آبَاد» الْعَاصِمَةِ. وَسَاعَدَتْهُمْ فِي إِصْدَارِ نَشْرَاتٍ وَكُتَيْبَاتٍ دَعَائِيَّةٍ ضِدَّ النِّظَامِ الْأَفْغَانِيِّ، وَوَجَّهَتْ مَسَارَ رَحَلَاتِهِمْ الْخَارِجِيَّةَ إِلَى الْعَرَبِ وَالدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ لِجَلْبِ الْمُسَاعَدَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَإِحْرَاجِ نِظَامِ «كَابُل» عَالَمِيًّا. كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْأَهْدَافُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَصْلَحَةِ بَاكِسْتَانَ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» الْقِيَامُ بِأَيِّ تَصْعِيدٍ عَسْكَرِيٍّ دَاخِلِ الْأَرْضِ الْأَفْغَانِيَّةِ نَتِيجَةً لِعَوَامِلَ كَثِيرَةٍ دَاخِلِيَّةٍ وَخَارِجِيَّةٍ؛ فَتَصْعِيدِ الْمُوَاجَهَةِ مَعَ نِظَامِ «كَابُل» الْعُدْوَانِيِّ الْمَدْعُومِ مُبَاشَرَةً مِنَ السُّوفِيَّةِ سَوْفَ يَضَعُ بَاكِسْتَانَ بَيْنَ فِكْئِي كَمَاشَةِ رَهِيَّةٍ، بَيْنَ الْهِنْدِ وَالسُّوفِيَّةِ.

لِهَذَا كَانَتْ بَاكِسْتَانُ مُعَارِضَةً تَمَامًا لِأَيِّ عَمَلٍ عَسْكَرِيٍّ «جِهَادِيٍّ» دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَبِذَلِكَ وَسُعَهَا لِحَظَرِ حَرَكَةِ الْأَسْلِحَةِ عَبْرَ الْحُدُودِ أَوْ أَيِّ مَظْهَرٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُشَمَّ مِنْهُ «كَابُل» وَالسُّوفِيَّةِ رَائِحَةً مُسَاعَدَةً بَاكِسْتَانِيَّةً لِلْمُجَاهِدِينَ. وَكَانَ الْمُجَاهِدُونَ يُعَانُونَ كَثِيرًا فِي تَهْرِيْبِ طَلَقَاتٍ قَلِيلَةٍ أَوْ كَمِّيَّاتٍ نَافِهَةٍ مِنْ الْمُتَفَجَّرَاتِ عَبْرَ الْحُدُودِ مِنْ بَاكِسْتَانَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَشَكَّلُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَمَاعَاتٍ خَاصَّةً بِالتَّهْرِيْبِ.

وَلَمْ تُغَيِّرْ بَاكِسْتَانُ مَوْقِفَهَا إِلَّا بِأَوْامِرِ أَمْرِيكِيَّةٍ عِنْدَمَا غَيَّرَتْ أَمْرِيكَا مَوْقِفَهَا مِنَ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَقَرَّرَتْ اسْتِثْمَارَهَا. وَلَا بُدَّ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ عِلَاقَةَ أَمْرِيكَا

مَعَ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» كَانَتْ غَيْرَ مُرِيحَةٍ طَوَالَ الْأُزْمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ حَتَّى قَتَلْتُهُ فِي النَّهَائَةِ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ لِأَحِقًّا.

[١٤] ... وَلَكِنَّ زُعَمَاءَ «بِشَاوَر» مَا زَالُوا يُسَخَّرُونَ مَوَارِدَهُمُ الْمَالِيَّةَ الضَّخْمَةَ فِي تَكْرِيسِ هَذَا الْأَنْفِصَامِ إِرْضَاءً لِنَوَازِعِ شَخْصِيَّةٍ وَأَهْدَافٍ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ. الْمَوَارِدُ الْمَالِيَّةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا كَانَتْ ضَخْمَةً بِمَعَايِيرِ عَامِ ١٩٧٩ م وَظُرُوفِهِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ مُقَارَنَةً بِمَرَحَلَةِ تَدْوِيلِ الْأُزْمَةِ وَزَحْفِ الْمِليَارَاتِ إِلَى خَزَائِنِ قَادَةِ الْمُنْظَمَاتِ.

أَمَّا الْأَهْدَافُ غَيْرُ الْإِسْلَامِيَّةِ الْوَارِدَةُ فَكَانَتْ تَعْنِي الْأَطْمَاعَ الشَّخْصِيَّةَ الَّتِي لَا تُبَالِي بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي ذِهْنِي إِطْلَاقًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تِلْكَ الصُّورَةُ الْمُرْعَبَةُ الَّتِي وَصَفْتُهَا سَابِقًا لِضُلُوعِ تِلْكَ الْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي مُخَطَّطَاتِ الصَّلِيبِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ خُدَعَةُ كَبِيرَةٌ تَوَرَّطَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ. وَيَرْجِعُ ذَلِكَ لِقَلَّةِ خِبْرَتِنَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِأَمْثَالِ تِلْكَ الْقَضَايَا وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الزُّعَمَاءِ الَّذِينَ لَمْ نَتَّصِرْ وَجُودَهُمْ أَصْلًا فِي الْوَسْطِ الْإِسْلَامِيِّ الْجِهَادِيِّ.

وَقَدْ ظَهَرَ لَنَا أَثْنَاءَ وَبَعْدَ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ أَنَّ الْوَسْطَ الْإِسْلَامِيَّ «الْمُلْتَزِمَ» وَ «الْجِهَادِيَّ» هُمُ أَكْثَرُ الْأَوْسَاطِ عُرْضَةً وَاسْتِهْدَافًا لِاخْتِرَاقَاتِ الْقُوَى الْكَافِرَةِ وَأَجْهَزَةِ تَجَسُّسِهَا. وَيَزِيدُ الطَّيْنَ بِلَّةَ السَّدَاجَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُفْرِطَةَ لِجُمْهُورِ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْعَاطِفِيَّةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَغْمُرُ أَجْوَاءَهُ، بِحَيْثُ يَسْهَلُ عَلَى

أَيَّ نَصَابٍ مُبْتَدِيٍّ أَنْ يَهَيِّجَ الْمَشَاعِرَ وَيَسْحَبُ خَلْفَهُ الْأُلُوفَ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى حَيْثُ الْهَآوِيَةِ الْمُجَهَّزَةِ بِعِنَايَةِ بِالْإِتِّفَاقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُوَى التَّجَسُّسِ الْكَافِرَةِ.

لَيْسَ ذَلِكَ دَعْوَةً لِرَفْعِ الثِّقَةِ وَانْتِشَارِ التَّوَجُّسِ وَالشُّكُوكِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَلَكِنَّهُ دَعْوَةٌ لِرِيزَادَةِ الْوَعْيِ وَإِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْوُضُوحِ وَرُوحِ مُحَآسَبَةِ الْمَسْئُولِينَ وَمُنَاقَشَتِهِمْ، وَلَيْسَ الْإِنْسِيَاقَ الْأَعْمَى خَلْفَ كُلِّ نَاعِقٍ، وَدَعْوَةٌ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْمَوْضُوعِ السِّيَاسِيِّ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ لِأَنَّهُ مَلَآكُ الْحَرَكَةِ - أَيَّ حَرَكَةٍ - وَالْمُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا. وَخَوْضُ السِّيَاسَةِ بِلَا عِلْمٍ بِأُصُولِهَا هُوَ كَمَنْ يُلْقِي بِنَفْسِهِ إِلَى الْبَحْرِ الْهَائِجِ بُغْيَةً أَنْ يَتَعَلَّمَ السَّبَاحَةَ. أَيْضًا [فَإِنَّ] تَرَكَ السِّيَاسَةَ لِلْقِيَادَةِ تُقَرَّرُ فِيهَا مَا تَشَاءُ بِدَعْوَى أَنَّهَا تَعَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنْ مَا لَدَيْهَا عِلْمٌ لَا يَتَوَفَّرُ لَدَى الْآخَرِينَ، وَأَنَّ خِبْرَتَهَا بِالْأُمُورِ لَا تَرْقَى إِلَيْهَا خِبْرَةُ الْأَتْبَاعِ مِنَ الشَّبَابِ حَدِيثِي السَّنِّ عَدِيمِي الْخِبْرَةِ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى الْهَآوِيَةِ وَقَدْ ثُبَّتَ ذَلِكَ مِرَارًا مِنْ تَجَارِبِ الْمُسْلِمِينَ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ. لَا بُدَّ أَنْ يُشَارِكَ الْجَمِيعُ فِي الْمَوْضُوعِ السِّيَاسِيِّ لِلْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْجِهَادِيَّةِ، وَلَا يَتْرُكُ ذَلِكَ لِلصَّفْوَةِ كَيْ تَحْتَكِرَهُ كَمَا احْتَكَرَ السَّحْرَةَ فِي الْقَدِيمِ عُلُومَ الشَّعْوَذَةِ حَتَّى يُسَيِّطِرُوا بِهَا عَلَى جُمْهُورِ الشَّعْبِ فَيَقُودُونَهُ كَقَطِيعٍ مِنَ الْخِرَافِ لِخِدْمَةِ الْفِرْعَوْنَ.

إِنَّ السِّيَاسَةَ هِيَ فِقْهُ الْوَاقِعِ، وَهُوَ جُزْءٌ مُكْمَلٌ وَحَيَوِيٌّ لِفِقْهِ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَبِدُونِهَا مَعَا لَا تَكْتَمِلُ الذَّهْنِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، بَلْ تَظَلُّ عَرَجَاءَ عَاجِزَةً مُضَلَّلَةً

يَسْهُلُ خِدَاعُهَا وَتَسْخِيرُهَا حَتَّى لِيُخْدَمَ الْكُفَّارُ كَمَا حَدَّثَ مَعَنَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ
وَالْبُوسْنَةَ وَغَيْرِهِمَا.

وَالَّذِي حَدَّثَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَانَ مَأْسَاءً؛ فَقَدْ شَاهَدْنَا عَدَدًا مِنْ الْأَقَائِنِ
عُمَلَاءِ الْاِسْتِخْبَارَاتِ - وَقَدْ تَمَّ تَعْيِينُهُمْ مِنْ قِبَلِ تِلْكَ الْأَجْهَرَةِ - زُعَمَاءَ لِأَكْبَرِ
حَرَكَةِ جِهَادِ إِسْلَامِيٍّ فِي هَذَا الْقَرْنِ، هَذَا أَحَدُ جَوَانِبِ الْمَهْزَلَةِ الْكُبْرَى. ثُمَّ رَأَيْنَا
أَكْبَرَ تَنْظِيمٍ إِسْلَامِيٍّ حَرَكَيٍّ فِي الْعَالَمِ يُصَفَّقُ وَيُزَمَّرُ وَيُطَبَّلُ فِي أَكْبَرِ حَمَلَةٍ
تَضْلِيلٍ لِلرَّأْيِ الْعَامِّ الْإِسْلَامِيِّ بِهَدَفٍ تَرْوِيحٍ تِلْكَ الزَّعَامَاتِ «الْجاسوسية»
وَتَقْدِيمِهَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ كَأَفْضَلِ قِيَادَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ ظَهَرَتْ مُنْذُ عَشْرَاتِ السِّنِينَ.
بَلْ قَارَنُوهُمْ بِالصَّحَابَةِ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَهَذَا يُشْبِهُ عُمَرَا وَذَلِكَ يُشْبِهُ أَبَا بَكْرٍ.
هَذَا مَا فَعَلَهُ «الْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ» الدُّوَلِيُّونَ وَزَمَلَاؤُهُمْ فِي بَاكِسْتَانَ مِنْ
الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ - عَلَى الْأَقْلَى فِي عَهْدِ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» - جُزْءًا لَا
يَتَجَزَّأُ مِنْ أَجْهَرَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ بِحَالٍ «اتِّهَامُهَا» بِأَنَّهَا كَانَتْ دَوْلَةً
إِسْلَامِيَّةً.

حَمَلَةُ «الْإِخْوَانِ» الدَّعَائِيَّةُ تَبْتَنُّهَا بِانْتِهَازِيَّةٍ أَوْ غَفَلَةٍ كَثِيرٍ مِنَ التَّنْظِيمَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَقْلَى شَأْنًا وَإِنْ كَانَتْ جِهَادِيَّةً هِيَ الْأُخْرَى. وَعِنْدَمَا وَفَدَتْ تِلْكَ
التَّنْظِيمَاتُ الْجِهَادِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ - سَاحَةِ «بِيشَاوَر» أَوْلًا -
انْدَمَجَتْ فِي مَوْجَةِ الضَّلَالِ الْأَفْغَانِيَّةِ؛ فَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ بَايَعَتْ فَلَانًا الزَّعِيمَ،

وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ بَايَعَتْ أَوْ انْضَوَتْ تَحْتَ لِيَوَاءِ فُلَانٍ آخَرَ مِنْ زُعَمَاءِ الْجِهَادِ
عُمَلَاءِ الاسْتِخْبَارَاتِ.

وَالنَّيْجَةُ أَنْ أُلُوفًا مُؤَلَّفَةً مِنَ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ التَّوَّاقِ إِلَى الْجِهَادِ لِحَقِّ
بِالْقَطِيعِ، وَكَانَ شِعَارُ « الْحَقُّ بِالْقَافِلَةِ » شِعَارًا بَرَّاقًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَالْأَصْحُ
أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ قَافِلَةً بَلْ قُطْعَانًا؛ لِأَنَّ الْقَافِلَةَ هِيَ جَمَاعَةٌ مُنَظَّمَةٌ لِلْغَايَةِ إِدَارِيًّا
وَدِفَاعِيًّا بَعْكَسِ حَالِنَا وَحَالِ الشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

هُؤُلَاءِ الْآلَافُ الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الشَّبَابِ الَّذِينَ وَفِدُوا وَشَارَكُوا فِي الْجِهَادِ
أَنْدَاكَ كَانُوا يَضْمُونَ خَيْرَةَ شَبَابِ الْأُمَّةِ وَأَكْثَرَهُمْ إِخْلَاصًا، هَذَا مَا أَظْنُهُ وَأَحْكُمُ
بِهِ، وَمَعَ هَذَا كَيْفَ خُدِعَ هؤُلَاءِ جَمِيعًا بِوَاسِطَةِ اسْتِخْبَارَاتِ الْكُفْرِ الدَّوْلِيَّةِ
وَالرَّدَّةِ الْإِقْلِيمِيَّةِ؟ وَمَنْ الْمَسْئُورُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ؟ وَمَا هُوَ الضَّمَانُ إِلَّا يَتَكَرَّرُ
ذَلِكَ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَزَمَانٍ آخَرَ؟. مَرَّةً أُخْرَى لَا نُغْفِلُ أَوْ نُنْكِرُ النَّتَائِجَ الْهَامَّةَ
لِلْإِسْلَامِ وَحَرَكَتِهِ فِي عَصْرِنَا عَلَى أَيْدِي هؤُلَاءِ الشَّبَابِ وَمَا قَدَّمُوهُ مِنْ
تَضْحِيَّاتٍ وَاكْتِسَابِهِ مِنْ خِبْرَاتٍ أَثَرَتْ بِلَا شَكِّ عَلَى الْمَسِيرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي
عَصْرِنَا الْحَالِي. كَمَا لَا يُمْكِنُ نِكْرَانُ أَفْضَالَ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ الْمُخْلِصِينَ
عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَالَمِ أَجْمَعِ.

[١٥] مَرَحَلَةُ اجْتِيَاكِ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ هِيَ الْمَرَحَلَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْآخِرَةُ مِنْ

حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ الطَّوِيلَةِ حَسَبَ التَّقْسِيمِ « الْكِلَاسِيكِيِّ » لِمَرَاكِحِ الْحُرُوبِ

غَيْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ. وَمِنْ الْمَفْرُوضِ أَنْ تَتَضَمَّنَ هَذِهِ الْكُتُبُ اسْتِعْرَاضًا لِتِلْكَ الْمَرَاكِجِ وَبَعْضُ تَطْبِيقَاتِهَا فِي التَّجْرِبَةِ الْأَفْعَائِيَّةِ. وَنَعَلَقَ هُنَا عَلَى أَنَّ مَا وَرَدَ فِي التَّفْرِيرِ مَوْضِعِ الْمُنَاقَشَةِ لَمْ يَكُنْ دَقِيقًا تَمَامًا فِي تِلْكَ النُّقْطَةِ لِأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْعَانَ - وَحَتَّى نِهَايَةَ الْحَرْبِ - لَمْ يَدْخُلُوا «الْمَرْحَلَةَ الثَّلَاثَةَ» بِشَكْلِ مُنَاسِبٍ مِنْ حَيْثُ الْمَوَاصِفَاتِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهَا قُوَّاتُ الْمُجَاهِدِينَ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ. أَمَّا فِي عَامِ ١٩٧٩ م فَكَانَتْ الطَّفْرَةُ الْحَادِثَةُ عَسْكَرِيًّا نَاتِجَةً عَنْ انْضِمَامِ قُوَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْجَيْشِ إِلَى صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ، وَكَادَ ذَلِكَ أَنْ يُودِيَ بِالنِّظَامِ لَوْلَا التَّقْصِيرَاتُ التَّنْظِيمِيَّةُ الَّتِي تَحَدَّثْنَا عَنْهَا سَابِقًا، وَلَوْلَا التَّدْخُلُ السُّوفِيَّيْتِي الَّذِي أَمْسَكَ بِدَعَائِمِ النِّظَامِ الْمُنْهَارِ وَمَنَعَهُ مِنَ السُّقُوطِ وَأَطَالَ فِي بَقَائِهِ عِدَّةَ سِنَوَاتٍ أُخْرَى.

أَمَّا الْعَقَبَاتُ الْفَنِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِضَعْفِ الدِّفَاعَاتِ الْجَوِّيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ فَقَدْ تَمَّ التَّعَلُّبُ عَلَيْهَا بِوَاسِطَةِ تَكْتِيكَاتٍ قِتَالِيَّةٍ وَإِجْرَاءَاتٍ وَقَائِيَّةٍ خَاصَّةٍ، وَهُوَ مَا سَوَّفَ نَذْكُرُهُ بِالتَّفْصِيلِ أُنْتَاءً اسْتِعْرَاضًا لِعَمَلِيَّةِ فَتْحِ مَدِينَةِ «خُوسْت»، وَهُوَ مَا يُوضِّحُ أَنَّ تَأْثِيرَ سِلَاحِ الْجَوِّ وَالتَّفُوقِ الْجَوِّيِّ وَالصَّارُوخِيِّ هِيَ عَوَامِلٌ مَحْدُودَةٌ وَيُمْكِنُ مُوَاجَهَتُهَا، وَتِلْكَ دُرُوسٌ هَامَّةٌ لِلْغَايَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ يَنْبَغِي دِرَاسَتُهَا وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْهَا فِي تَجَارِبِهِمُ الْجِهَادِيَّةِ الْقَادِمَةِ، وَمِنْ الْمَفْرُوضِ أَنْ نَسْتَعْرِضَ ذَلِكَ ضِمْنَ فِقْرَاتِ هَذِهِ الْكُتُبِ مِنْ «أَدَبِ الْمَطَارِيدِ».

[١٦] الْمُجَاهِدُونَ هُمْ أَكْثَرُ الْفِتَاءِ فَقْرًا وَأَقْلَهَا شُهْرَةً فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ
وَأَكْثَرَهَا تَعَرُّضًا لِلتَّشْهِيرِ وَالْهُجُومِ:

هَذِهِ الظَّاهِرَةُ الَّتِي تَكَرَّرَتْ فِي تَجْرِبَةِ سُورِيَا وَتَجْرِبَةِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَهِيَ دَلِيلٌ
عَلَى ضَعْفِ أَخْلَاقِي دَاخِلِ الصَّفِّ الْإِسْلَامِيِّ وَضَعْفِ عَامٍّ فِي صُفُوفِ الْأُمَّةِ.
فَالظَّاهِرَةُ الْإِنْتِهَازِيَّةُ الَّتِي تَمْتَطِي الْمَوْجَةَ الْجِهَادِيَّةَ تَنْزَعَمَهَا عِنُودًا وَتُتَاجِرُ بِهَا
هِيَ عَلَامَةٌ ضَعْفِ أَخْلَاقِي دَاخِلِ الصَّفِّ الْإِسْلَامِيِّ. وَالْأُمَّةُ الَّتِي تَقْعُدُ عَنْ تَفْقُدِ
أَحْوَالِ الْمُجَاهِدِينَ كَيْ تَمُدَّ لَهُمُ الْعَوْنَ هِيَ أُمَّةٌ هَامِدَةٌ مُخَدَّرَةٌ الْحَوَاسِّ. وَدَفْعُ
الْأَمْوَالِ كَزَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ بَدُونَ تَحْرِيٍّ مَوْضِعَهَا لَا أَظُنُّهُ يُعْفِي مَنْ الْمَسْئُورِيَّةِ.
وَإِلْعْلَامُ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَخْدُمُ أَشْخَاصًا أَوْ هَيْئَاتٍ وَأَحْزَابًا أَكْثَرُ مِمَّا يَخْدُمُ
الْإِسْلَامَ وَمَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ إِعْلَامٌ يَدْفَعُنَا إِلَى نَفْسِ الْمَهَالِكِ الَّتِي يَدْفَعُنَا
إِلَيْهَا الْإِعْلَامُ الدَّوْلِيُّ الْيَهُودِيُّ وَالصَّلِيبِيُّ.

وَلَا نَتَكَلَّمُ هُنَا عَنْ ظَاهِرَةِ إِدَانَةِ الْجِهَادِ نَفْسِهِ وَإِطْلَاقِ لَفْظِ «الْعُنْفِ»
الْمُسْلِحِ عَلَيْهِ، وَتَسْمِيَةِ الْمُجَاهِدِينَ بِـ «الْمُتَطَرِّفِينَ أَوْ جَمَاعَاتِ الْعُنْفِ»
الْمُسْلِحِ. وَلَا نَتَكَلَّمُ أَيْضًا عَنْ «ذِكَاةٍ» مَنْ يَعْتَرِفُونَ نَظْرِيًّا بِالْجِهَادِ كَفَرِيَّةً
إِسْلَامِيَّةً ثُمَّ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ يُدِينُونَ كُلَّ مَنْ مَارَسَ الْجِهَادَ بَدُونَ تَصْرِيحٍ رَسْمِيِّ
مِنْهُمْ وَمِنْ الدَّوْلَةِ، بِأَنَّهُ مُتَهَوَّرٌ طَائِشٌ، بَلْ مُتَأَمِّرٌ عَلَى الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَأَنْجَازَاتِهَا السَّلْمِيَّةِ ضِمْنَ الْقَنَوَاتِ الرَّسْمِيَّةِ لِلنِّظَامِ الْقَائِمِ، ثُمَّ يَعْرِضُونَ

خَدَمَاتٍ أُمْنِيَّةً عَلَى النَّظَامِ كَيْ يُعْطِيَهُمْ مَزِيدًا مِنْ حُرِّيَّةِ الْحَرَكَةِ كَيْ يَقْمَعُوا -
بِصِفَتِهِمُ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعْتَدِلِ - تِيَّارِ الْعُنْفِ الْمُسَلَّحِ - أَيْ تِيَّارِ الْجِهَادِ - .

كُلُّ تِلْكَ الطَّوَاهِرِ الَّتِي تَقْتَرِبُ مِنْ دَرَجَةِ الْخِيَانَةِ أَوْ تَتَجَاوَزُهَا لَيْسَتْ مِحْوَرًا
حَدِيثًا الْآنَ، بَلْ نَتَكَلَّمُ فَقَطْ عَنْ تِيَّارٍ مُخْلِصٍ وَلَكِنَّهُ يُعَانِي مِنْ أَمْرَاضٍ أَوْ
انْحِرَافَاتٍ أَوْ نَوَاحِي فُصُورٍ يُمَكِّنُ مُعَالَجَتَهَا مَعَ الزَّمَنِ. أَمَّا «الْخِيَانَاتِ» فَهِيَ
مِنَ الْجِنَايَاتِ الْعُظْمَى فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، وَهِيَ تَحْتَاجُ إِمَّا
إِلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ أَوْ إِلَى تَنْفِيذِ حُكْمٍ رَادِعٍ يَحْمِي الْأُمَّةَ مِنْ تَأْثِيرَاتِهَا الْقَاتِلَةِ.

[١٧] [١٨] [١٩] مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ تَوْفِيرَ الدَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ الضَّرُورِيَّةِ هِيَ
مِنْ ضَمَنِ الْمَطَالِبِ الْحَيَوِيَّةِ وَالْمَشَاكِلِ الْهَامَّةِ الَّتِي تَعْتَرِضُ الْحَرَكَةَ الْجِهَادِيَّةَ
وَرَجَالَ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، خَاصَّةً فِي بَدَايَةِ الْحَرَكَةِ، وَعِنْدَمَا لَا تَمْتَلِكُ الْحَرَكَةُ
عُمُقًا صَدِيقًا يَمُدُّهَا بِأَحْتِيَاجَاتِهَا أَوْ بِجُزءٍ مِنْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ تَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةُ
الْجِهَادِيَّةُ الْاسْتِقْلَالَ عَنْ الْخَارِجِ إِلَى دَرَجَةِ كَبِيرَةٍ، أَوْ الْاسْتِعْنَاءَ كَامِلًا إِذَا تَوَفَّرَ
الْإِزْتِبَاطُ الْقَوِيُّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَعْبِهَا، فِي تِلْكَ الْحَالَةِ يُمَكِّنُهَا الْاعْتِمَادُ عَلَى
مَصَادِرِ التَّمْوِيلِ الْمَحَلِّيَّةِ وَكَذَلِكَ الْأَغْذِيَّةِ وَالذَّخَائِرِ وَالْمَعْلُومَاتِ.

وَعَالِيًا فَإِنَّ الْعَمَلَ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ «عُمُقِ خَارِجِيٍّ مُتَعَاطِفٍ» سَوْفَ تَكُونُ
صِیْغَةً عَمَلٍ مُعْظَمِ الْحَرَكَاتِ الْجِهَادِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي وَسَطِ حَالَةِ الْعَدَاءِ
الدُّوَلِيِّ الْحَالِيَّةِ وَتَسَلُّطِ الْأَنْظَمَةِ الْمُرْتَدَّةِ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكَانُفِهَا مَعَ

الصَّلِيبَةِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ «الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ أَوْلًا».

إِنَّ عَمَلَ حَرَكَةِ الْعِصَابَاتِ بِدُونِ رَكِيزَةِ صَدِيقَةٍ مُجَاوِرَةٍ هُوَ اِحْتِمَالٌ مُمَكِنٌ عَمَلِيًّا، بَلْ إِنَّ النَّجَاحَ مُمَكِنٌ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ أَيْضًا، مَعَ اِعْتِبَارِ أَنَّ عَمَلِيَّاتِ التَّهْرِيبِ - وَلَوْ عَلَى نِطَاقِ صَيِّقٍ - تَكُونُ دَوْمًا مُسْتَمِرَّةً فِي ظُلِّ حَالَاتِ الْحِصَارِ. وَيَلَا حِظُّ أَنْ وُجُودَ قَوَاعِدَ لِلْعِصَابَاتِ إِلَى جِوَارِ السَّوَاخِلِ الْبَحْرِيَّةِ هُوَ ضَمَانَةٌ لِعَدَمِ وُقُوعِهَا فِي حِصَارٍ كَامِلٍ؛ فَالْبَحَارُ مِنْ أَفْضَلِ وَسَائِلِ التَّهْرِيبِ. وَلَمَّا كَانَ الْوَسْطُ الدَّاخِلِيَّ - السُّكَّانُ وَتَعَاظِفُهُمْ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ - أَهَمَّ مِنَ الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ الْمُجَاوِرَةِ فَإِنَّ الْقُوَى الْمُعَادِيَّةَ تُلْجَأُ إِلَى سِيَاسَةِ «الْأَرْضِ الْمَحْرُوقَةِ» بِهَدَفِ إِرْهَابِ السُّكَّانِ وَتَدْمِيرِ مَصَادِرِ أَرْزَاقِهِمْ وَدَفْعِهِمْ إِلَى مُغَادَرَةِ مَنَاطِقِهِمْ، فَيَبْقَى الْمُجَاهِدُونَ فِي الْأَرْضِ الْمَحْرُوقَةِ الَّتِي لَا سُكَّانَ فِيهَا وَلَا مَوَارِدَ رِزْقٍ. وَتِلْكَ مِنَ الطَّرِيقِ النَّاجِحَةِ فِي مُقَاوَمَةِ حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ، وَيُسَمُّونَهَا أحيانًا بِسِيَاسَةِ «التَّجْفِيفِ» طَبَقًا لِلِاصْطِلَاحِ الشَّهِيرِ بِأَنَّ مُقَاتِلِي الْعِصَابَاتِ هُمْ مِثْلُ الْأَسْمَاكِ الَّتِي تَعِيشُ فِي بَحَارٍ مِنَ النَّاسِ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُجَاهِدِينَ وَرِجَالَ الْعِصَابَاتِ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ السَّعْيُ فِي اتِّجَاهِ مُعَاكِسِ لِتِلْكَ السِّيَاسَةِ، أَي تَثْبِيتِ النَّاسِ فِي أَرْضِيهِمْ وَمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى تَعْمِيرِهَا وَالِاسْتِقْرَارِ فِيهَا بِأَقْلَ قَدْرٍ مِنَ الْمُعَانَاةِ أَوْ بِدُونِ تَعْرِيزِهِمْ لِمَشَاكِلِ لَا ضَرُورَةَ لَهَا.

فِي زِيَارَتِنَا الْأُولَى لِأَفْغَانِسْتَانَ شَاهِدُنَا بَعْضَ الْإِجْرَاءَاتِ الْجَيِّدَةِ سِوَاءَ مَنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ أَوْ الْأَهَالِي، تَهْدُفُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالْأَرْضِ وَالْبَقَاءِ فِيهَا وَمُمَارَسَةِ النَّشَاطِ الْاِقْتِصَادِيِّ الْمُعْتَادِ مِنْ زِرَاعَةٍ وَرَعْيٍ. وَلِلْوَقَايَةِ مِنَ الْعَارَاتِ الْجَوِّيَّةِ حَفَرَ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَهَالِي مَعَارَاتٍ وَخَنَادِقَ دَاخِلَ الْبُيُوتِ وَقَرِيبًا مِنْهَا، وَكَانَتْ الْحَيَاةُ فِي وَتِيرَتِهَا الْعَادِيَّةِ تَقْرِيْبًا بَعْدَ أَنْ تَعَوَّدَ السُّكَّانُ عَلَى نَمَطِ حَيَاتِهِمْ الْجَدِيدِ، حَتَّى أَنَّ الْأَطْفَالَ لَمْ يَعُودُوا بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُرْشِدُهُمْ مَتَى يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْخَنَادِقِ وَالْحُفْرِ.

أَمَّا سُلوُكِيَّاتُ الْمُجَاهِدِينَ فَقَدْ كَانَتْ مُنْضَبَطَةً لِلْغَايَةِ، فَلَمْ تَتَفَشَّ الْجَرَائِمُ وَالِاسْتِخْدَامَاتُ الْخَاطِئَةُ لِلِسَّلَاحِ ضِدَّ الْأَهَالِي، وَهُمْ مُسَلَّحُونَ أَيْضًا، خَاصَّةً فِي مَنَاطِقِ الْجِبَالِ. وَأَذْكَرُ أَنْبِي شَاهَدْتُ فِتَاءً فِي سِنِّ الشَّبَابِ تَحْمِلُ بَعْضَ الْحَطَبِ وَتَتَحَرَّكَ وَسَطَ غَابَاتِ الْجِبَالِ الْمُوَحِشَةِ خَلْفَ غَنَمَاتِ لَهَا. وَكَانَ مَعِي عُضْبَةٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَشَاحُوا بِوُجُوهِهِمْ بَعِيدًا عَنْهَا، وَكَتَبْتُ لِأَصْحَابِي فِي «أَبُو ظَبْيٍ» خِطَابًا بِهِ تَعْلِيْقٌ عَنِ تِلْكَ الْحَادِثَةِ الْبَسِيْطَةِ، كَانَ ذَلِكَ عَامَ ١٩٨١م، وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَّ الْمَنَاطِقَ الَّتِي يُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا الْمُجَاهِدُونَ هِيَ أَكْثَرُ أَمْنَا مِنْ «أَبُو ظَبْيٍ» الَّتِي لَا يَأْمَنُ أَحَدُنَا أَنْ يَتْرَكَ ابْنَهُ أَوْ ابْنَتَهُ أَمَامَ بَابِ مَنْزِلِهِ عِدَّةَ دَقَائِقَ خَوْفًا مِنَ الْخَطْفِ وَالِاعْتِصَابِ، وَقَتَهَا كَانَتْ عِدَّةَ حَوَادِثَ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ قَدْ وَقَعَتْ فِي الْإِمَارَاتِ. وَلِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ الْحَالَ لَمْ يَظَلُّ كَذَلِكَ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ خَاصَّةً فِي مَرَحَلَةِ التَّدْوِيلِ وَاسْتِشْرَاءِ الْفَسَادِ فِي الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ،

انْطِلَاقًا مِنْ «بِشَاوَر» وَرَاحًا حَتَّى خُطُو طِ التَّمَّاسِ.

ذَلِكَ الْفَسَادُ سَاعَدَ الْعَدُوَّ عَلَى النَّجَاحِ فِي تَطْيِيقِ سِيَاسَةِ الْأَرْضِ
الْمَحْرُوقَةِ الَّتِي فَشَلَ فِي تَنْفِيذِهَا فِي سَنَوَاتِ الْجِهَادِ الْأُولَى. وَمِثْلُ كُلِّ
الْكَوَارِثِ الَّتِي حَلَّتْ بِالْجِهَادِ كَانَتْ الْبِدَايَةُ مِنْ «بِشَاوَر»؛ فَالْأَحْزَابُ هُنَاكَ
سَاهَمَتْ بِأَكْبَرَ نَصِيبٍ فِي تَفْتِيتِ الْجِهَادِ وَتَمْزِيقِ صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ تَحْتَ
رَايَاتِ حِزْبِيَّةٍ مُتَنَافِسَةٍ بِغَيْرِ شَرَفٍ أَوْ شَرِيعَةٍ. وَقَدْ نَالَ الْأَهَالِي لَهَيْبُ ذَلِكَ
الْخِلَافِ الْفَوْضَوِيِّ حِينَمَا شَرَعَتْ تِلْكَ الْجَمَاعَاتُ فِي بَسْطِ سُلْطَاتِهَا عَلَى
الْأَرْضِ الْمُحَرَّرَةِ وَسُكَّانِهَا، لَا مِنْ أَجْلِ تَثْبِيتِ السُّكَّانِ وَتَسْهِيلِ حَيَاتِهِمْ
وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ جَبَايَةِ الْخَرَاجِ وَتَحْصِيلِ «الْعُشْرِ». وَاتَّبَعُوا فِي
سَبِيلِ ذَلِكَ وَسَائِلًا عَنِيفَةً مِنْ ضَرْبٍ وَاعْتِصَابٍ وَمُصَادَرَةٍ، فَوَقَعَ النَّاسُ بَيْنَ
نَارَيْنِ، نَارِ الْحُكُومَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَنَارِ «الْمُجَاهِدِينَ» الْمُتَصَارِعِينَ الظَّالِمِينَ.

فَلَجَأَ النَّاسُ إِلَى الْهَجْرَةِ وَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى بَاكِسْتَانَ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الْمُدُنِ
الَّتِي تَسَيْطِرُ عَلَيْهَا الْحُكُومَةُ بِشَكْلِ كَامِلٍ. وَكَانَتْ بَاكِسْتَانَ أَكْثَرَ جَاذِبِيَّةٍ حَيْثُ
تَدَفَّقَتِ الْمَعُونَاتُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ سَوَاءً مِنْ الْهَيْئَاتِ الصَّلِيبِيَّةِ أَوْ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ
«الْمُحْسِنِينَ» الْعَرَبِ. وَكَانَتْ النَّيْجَةُ أَنَّ الْمُهَاجِرَ يُمَكِّنُهُ بِقَلِيلٍ مِنَ الْحِيلَةِ أَنْ
يَحْصُلَ عَلَى عَوَائِدِ اقْتِصَادِيَّةٍ مِنْ هِجْرَتِهِ تَفُوقُ كَثِيرًا مَا كَانَ يَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ
نَشَاطِهِ الْاِقْتِصَادِيِّ دَاخِلَ الْبَلَدِ؛ فَكَثِيرُونَ سَجَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي أَكْثَرِ مِنْ مُعَسْكَرٍ

لِلْمُهَاجِرِينَ لِلْحُصُولِ عَلَى مَعُونَاتٍ مُضَاعَفَةٍ، مَعَ دَفْعِ شَيْءٍ مِنَ الرَّشَاوَى
لِلْمُوظَّفِينَ الْفَاسِدِينَ مِنْ حُكُومَةِ بَاكِسْتَانٍ. وَكَثِيرُونَ سَجَّلُوا أَطْفَالَهُمْ عَلَى
أَنَّهُمْ أَيْتَامٌ، وَهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ سَجَّلُوهُمْ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَرَكَزٍ وَحَصَلُوا عَلَى
مَعُونَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ. لَقَدْ زَادَتْ رُقْعَةُ الْفَسَادِ وَاتَّسَعَتْ حَتَّى غَطَّتْ مُعْظَمَ السَّاحَةِ
الْبَشَرِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي الْمَهْجَرِ وَالِدَّاحِلِ.

أَمَّا مَنْ هَاجَرُوا دَاخِلِيًّا إِلَى الْمُدُنِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْكُبْرَى فَقَدْ تَحَوَّلُوا فِي أَغْلَبِهِمْ
إِلَى جَوَاسِسَ لِلنُّظَامِ الْحَاكِمِ وَتَحْتَ إِدَارَةِ الْجِهَازِ الْأُمْنِيِّ الرَّهِيْبِ «خاد».

وَهَكَذَا فَقَدْ صَبَّتْ فَوْضَى الْمُجَاهِدِينَ فِي نَفْسِ مَصَبِّ سِيَاسَةِ الْأَرْضِ
الْمَحْرُوقَةِ الَّتِي نَشَطَ فِيهَا السُّوفِيَّةُ وَعَمَلَاؤُهُمُ الْأَفْغَانُ. وَكَانَتْ النِّهَايَةُ
الْمُحْزِنَةُ هِيَ هِجْرَةُ ثُلُثِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ خَارِجَ أَرْضِيهِ، وَكَانَتْ أَعْلَى نِسْبَةٍ
هِجْرَةٍ فِي الْعَالَمِ إِلَى وَقْتِهَا «٦ مَلَايِينَ مُهَاجِرٍ».

[٢٠] تَقْرِيرُ مُرَاسِلِ «الْجَارِديَانِ» عَظِيمِ الدَّلَالَةِ حَالِيًا كَمَا كَانَ عَظِيمِ
الْأَهْمِيَّةِ وَقَتَّ الْأَحْدَاثِ الْمَاسَاوِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانٍ. وَكَثِيرَةٌ
هِيَ أَوْجُهُ التَّشَابُهِ مَعَ مَا يَحْدُثُ حَالِيًا فِي طَاجِكِسْتَانٍ. فَالْقُوَّاتُ الرُّوسِيَّةُ حَالِيًا
تُدَافِعُ عَنِ النُّظَامِ الشُّيُوعِيِّ فِي «دُوشَنبِيهِ»، وَتَقُومُ مُقَاتِلَاتِهَا وَقُوَّاتُهَا الْمُسَلَّحَةُ
بِضَرْبِ مَرَكَزِ الْمُجَاهِدِينَ وَتُعْلِنُ الْمَرَّةَ تَلُو الْأُخْرَى أَنَّهَا لَنْ تَتَخَلَّى عَنِ
طَاجِكِسْتَانٍ. وَتَدَّعِي أَنْ الدِّفَاعَ عَنِ حُدُودِ طَاجِكِسْتَانٍ هُوَ دِفَاعٌ عَنِ حُدُودِ

رُوسِيَا، رُغْمَ أَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْحُدُودَيْنِ هِيَ ٢٠٠٠ كم. وَيَدَّعِي الرُّوسُ أَنَّ
الإِسْلَامَ هُوَ الْخَطَرُ الرَّاحِفُ مِنْ طَاجِكِسْتَانَ صَوَّبَ «مُوسْكُو».

الظَّرْفُ الدُّوَلِيُّ وَالْإِقْلِيمِيُّ حَالِيًا سَاعَدَ «مُوسْكُو» فِي اخْتِوَاءِ حَرَكَةِ
الْجِهَادِ أَوْ إِضْعَافِهَا بِشِدَّةٍ بِسَبَبِ التَّحَالُفِ الدُّوَلِيِّ وَالْإِقْلِيمِيِّ ضِدَّ هَذِهِ الْحَرَكَةِ
وَبِسَبَبِ هَشَاشَةِ تَكْوِينِهَا. وَ «مُوسْكُو» تَجِدُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي طَاجِكِسْتَانَ تَأْيِيدًا
أَمْرِيكِيًّا وَعَرَبِيًّا، وَعَكْسَ مَا وَجَدْتُهُ مِنْ مُقَاوَمَةٍ فِي الْحَالَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، بَلْ أَنَّهَا
وَجَدَتْ مُسَاعَدَةً كَبِيرَةً مِنْ «النِّظَامِ الْإِسْلَامِيِّ» فِي أَفْغَانِسْتَانَ، نَقْصُدُ بِهِ نِظَامَ
الرَّئِيسِ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» وَقَائِدِهِ «مَسْعُود» وَمُسْتَشَارِهِ «سَيَّاف»!!

أَمَّا مَلَا حَظَّةُ «الْأَطْمَاعِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلْسُوفِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ» فَهِيَ اتِّهَامٌ
يُمْكِنُ تَبْرِيرُهُ بِادِّعَاءَاتِ «جِيُوسْتِرَاتِيجِيَّةٍ» مَعْتَمَلَةٍ؛ فَالْجَوَارُ الْجُغْرَافِيُّ وَالنَّهْمُ
الرُّوسِيُّ لِلْمِيَاهِ الدَّافِقَةِ هِيَ دَوَافِعُ يَسْهَلُ فَهْمُهَا، وَلَكِنَّا الْآنَ نَفْهَمُ بِصُعُوبَةٍ -
عَلَى الْأَقْلِّ أَكْثَرْنَا- دَوَافِعُ أَمْرِيكَا لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَهُوَ مَا تَحَقَّقَ لَهَا
بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ حَالِيًا. لَقَدْ أَزِيحَتْ الدَّبَابَاتُ السُّوفِيَّةُ مِنْ فَوْقِ صُدُورِ الْأَفْغَانَ
وَجَثَمَ بَدَلًا مِنْهَا الدُّوَلَارُ الْأَمْرِيكِيُّ الْمُعَطَّرُ بِالْدمَاءِ. وَبِقَدْرِ مَا أَثَارَتِ الدَّبَابَاتُ
حَوَافِزَ الدَّفَاعِ عَنِ الْأَرْضِ وَالدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ بِقَدْرِ مَا خَدَّرَ الدُّوَلَارُ تِلْكَ
الْإِحْسَاسَاتِ النَّبِيلَةَ وَاسْتَبَدَلَهَا بِوَحْشِيَّةِ التَّكَالِبِ عَلَى الدُّوَلَارِ وَالسُّلْطَنَةِ
السِّيَاسِيَّةِ عَلَى حِسَابِ نَفْسِ «المُقَدَّسَاتِ»، أَيِ الْأَرْضِ وَالدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ.

وَكَمْ تَفَطَّرَ قُلُوبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَاصَرُوا نَفْسَ الْحَالَتَيْنِ وَهُمْ «يَحْلُمُونَ»
بِدَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الَّتِي وَعَدُوا بِهَا وَضَحُّوا مِنْ أَجْلِهَا بِكُلِّ مَا يَمْتَلِكُونَ مِنْ مَالٍ
وَدِمَاءٍ.

[٢١] تَحَوَّلَتْ أَفْغَانِسْتَانُ إِلَى تَرْسَانَةِ عَسْكَرِيَّةٍ، كَانَ مِنَ السَّهْلِ إِدْرَاكُ ذَلِكَ
فِي وَقْتِ الْمَعَارِكِ، وَذَلِكَ بِمُشَاهَدَةِ ضَخَامَةِ الآلَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الشُّيُوعِيَّةِ. وَبَعْدَ
الانْسِحَابِ السُّوفِيَّتِيِّ وَحَتَّى انْهِيَارِ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوَالِي ثَلَاثِ
سَنَوَاتٍ قَفَزَتْ أَسْلِحَةُ الشُّيُوعِيِّينَ الْأَفْغَانَ نَوْعِيًّا وَكَمِّيًّا. وَلَكِنَّ إِدْرَاكَ مَدَى
ضَخَامَةِ تِلْكَ التَّرْسَانَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لَمْ يَتَّضِحْ بِجَلَاءٍ إِلَّا بَعْدَ سُقُوطِ النِّظَامِ
وَاسْتِسْلَامِ الْحَامِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْمُدُنِ. وَقَدْ شَاهَدْتُ ضَخَامَةَ الآلَةِ
العَسْكَرِيَّةِ لِحَامِيَّةِ «جَرْدِيز» عِنْدَ اسْتِسْلَامِهَا، وَشَاهَدَ آخَرُونَ حَامِيَّةَ «جَلَالِ
آبَاد»، وَيُقَالُ أَنَّهَا كَانَتْ أَضْخَمَ مِنْ مِثْلِهَا فِي «جَرْدِيز» بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ تَفَاوُتِ
الْأَهْمِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلْمَدِينَتَيْنِ. وَسَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ مُوَاصَفَاتِ التَّرْسَانَةِ
العَسْكَرِيَّةِ الرَّهَيْبَةِ فِي «كَابُل». بَعْضُ التَّقْدِيرَاتِ ذَهَبَتْ إِلَى أَنَّ مَخْزُونَ
الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَانَ يُوَارِي أَوْ يُفُوقُ مِثْلَهُ فِي الْهِنْدِ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ هَذَا الْمَخْزُونَ الَّذِي تَرَكَهُ السُّوفِيَّتُ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ
الْهَدَفِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نُقِلَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، أَلَا وَهُوَ قَتْلُ الْأَفْغَانَ
وَمُحَارَبَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَنْطِقَةِ. لَقَدْ تَوَلَّتْ «الْأَحْزَابُ الْجِهَادِيَّةُ» مُتَابَعَةَ الْمُهَمَّةِ

السُّوفِيَّتِيَّةَ وَلَكِنْ تَحْتَ إِشْرَافِ أَمْرِيكِ هَذِهِ الْمَرَّةَ.

[٢٢] شِرَاءُ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ وَذَخَائِرِهَا وَسَحْبُهَا مِنْ أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ:

وَاحِدَةً مِنَ الْمَظَاهِرِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي رَافَقَتْ الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مُنْذُ بَدَايَتِهِ وَحَتَّى لِحَظَاتِهِ الْأَخِيرَةِ. وَاتَّخَذَتْ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ أَشْكَالًا عَدِيدَةً، وَلَكِنَّ لَهَا هَدَفٌ أَسَاسِيٌّ إِلَى جَانِبِ تَفَرُّعَاتٍ ثَانَوِيَّةٍ. وَالْجَانِبُ الْأَسَاسِيُّ فِي تِلْكَ الظَّاهِرَةِ يَأْتِي مِنْ حَقِيقَةٍ أَنَّ حَرْبَ الْعِصَابَاتِ فِي مَرَحَلَتِهَا الْأُولَى تَعْتَمِدُ أَسَاسًا عَلَى التَّسْلِيحِ الْخَفِيفِ وَفَلَسَفَةِ الْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ وَتَفَادِي الْمُوَاجَهَاتِ الْحَاسِمَةِ. وَالْإِتْقَالُ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ لِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ يَرْتَبِطُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ بِاسْتِخْدَامِ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ لِحَوْضِ الْمَعَارِكِ الْأَوْسَعِ بِهَدَفٍ تَوْسِعِ مَنَاطِقِ النُّفُوزِ وَالِاحْتِفَاطِ بِالْأَرَاضِي الْأَكْثَرِ حَيَوِيَّةٍ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ بَدُونِ قُوَّةِ السَّلَاحِ الثَّقِيلِ. أَمَّا الْمَرَحَلَةُ الثَّلَاثَةُ مَرَحَلَةُ الْهُجُومِ الْإِسْتِرَاطِيْجِيِّ وَتَحْرِيرِ الْمُدُنِ، فَإِنَّ الْأَسْلِحَةَ الثَّقِيلَةَ هِيَ الْعِمَادُ الْأَسَاسِيُّ لِلْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ فِي تِلْكَ الْمَرَحَلَةِ.

مِنْ هُنَا نَسْتَنْتِجُ أَنَّ السَّلَاحَ الثَّقِيلَ هُوَ مَعْيَارٌ لِلتَّطَوُّرِ الْعَسْكَرِيِّ لِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ سَحْبَ ذَلِكَ السَّلَاحِ وَمَنْعَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ مِنَ الْحُصُولِ عَلَيْهِ بِالشَّكْلِ الْكَافِي، كَمَا أَنَّ حَجَبَ التَّدْرِيبِ الْمُنَاسِبِ عَلَى اسْتِخْدَامِ تِلْكَ الْأَسْلِحَةِ وَالتَّكْتِيكَاتِ الْمُلَائِمَةِ لَهَا، كُلُّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى عَرْقَلَةِ عَمَلِ الْمُجَاهِدِينَ عَسْكَرِيًّا، أَيَّ جَعْلِهِمْ فِي حَالَةٍ تَخَلَّفِ عَسْكَرِيِّ وَدَوْرَانٍ فِي

حَلَقَةٌ مُفْرَغَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ الْعَمَلِيَّاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُجْدِبَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِحَالَةٍ
إِحْبَاطٍ مَعْنَوِيٍّ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ إِمْكَانِيَّةِ تَدْمِيرِهِمْ عَسْكَرِيًّا بِوَاسِطَةِ
حَمَلَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ وَمَدْرُوسَةٍ جَيِّدًا مِنْ جَانِبِ قُوَّاتِ الْعَدُوِّ.

وَالْبِدَايَةُ الْمُبَكَّرَةُ جِدًّا، وَالَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا التَّقْرِيرُ عَنْ سِيَاسَةِ سَحْبِ
الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ مِنْ أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ يَقِفُ وَرَاءَهَا بِلَا شَكٍّ جِهَازُ
الاسْتِخْبَارَاتِ السُّوفِيَّتِي «كِي جي بي» مَعَ مَنْظُومَةٍ حُلْفَائِهِ. وَمِنْهُمْ حِزْبُ
الشَّعْبِ الْبَاكِسْتَانِي الَّذِي تَحَوَّلَ بَعْدَ إِعْدَامِ «ذُو الْفَقَّارِ عَلِيٍّ بُوتُو» رَئِيسِ
بَاكِسْتَانَ الَّذِي أَعْدَمَهُ رَئِيسُ أَرْكَانِ جَيْشِهِ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» وَاسْتَوْلَى عَلَى حُكْمِ
الْبِلَادِ فَوْقَ جُثَّةِ رَئِيسِهِ، ذَلِكَ الْحِزْبُ تَحَوَّلَ إِلَى مَنْظَمَةٍ إِرْهَابِيَّةٍ تُدَرِّبُ أَفْرَادَهَا
فِي الْكُنْتَلَةِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَعَمِلَ تَحْتَ إِشْرَافِ «مُوسْكُو» ضَمَّنَ مُعَدَّاتِ الْحَرْبِ
الْبَارِدَةِ لِيُزَعِّزَ اسْتِقْرَارَ نِظَامِ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» الْمُوَالِي لِأَمْرِيكََا.

لَقَدْ تَحَوَّلَ وَلاءُ حِزْبِ الشَّعْبِ مِنْ «مُوسْكُو» إِلَى «وَأَشْنُطْن» الَّتِي
أَوْصَلَتْ رَعيِمَةَ الْحِزْبِ «بِيَنْظِيرِ بُوتُو» إِلَى حُكْمِ بَاكِسْتَانَ فَوْقَ جُثَّةِ «ضِيَاءِ
الْحَقِّ». وَتَقُومُ أَمْرِيكََا بِتَوْطِيفِ إِمْكَانَاتِ ذَلِكَ الْحِزْبِ فِي الْإِرْهَابِ وَعَدَائِهِ
الْمُسْتَحْكِمِ لِلْإِسْلَامِ فِي ضَرْبِ الْإِسْلَامِ فِي مَنْطِقَةِ جَنُوبِ آسِيَا وَعَیْرِهَا مِنْ
الْمَنَاطِقِ. وَقَدْ بَدَأَتْ فِي وَلَايَتِهَا الْأُولَى فِي تَفْرِيعِ مَكَاسِبِ الْجِهَادِ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ مُحْتَوَاهَا، وَتَحْوِيلِ كُلِّ مَكَاسِبِهِ أَوْ مَا تَبَقَّى مِنْهَا إِلَى الْأَيْدِي

الأمريكية. وفي عهد وزارتها الثانية تولت تصفية التواجد العربي الذي رافق الجهاد الأفغاني.

حزب الشعب قام بتكليف من الاستخبارات السوفيتية بمهمة شراء الأسلحة الثقيلة وذخائرها من أيدي المجاهدين وسحبها إلى أسواق السلاح في مناطق القبائل الحدودية ذات الحكم الذاتي.

أما في عهد «ضياء الحق»، العهد الذهبي لتدويل القضية وتدقيق الإمدادات الخارجية، فقد مارس «ضياء الحق» رقابة صارمة على نوعيته وكمية الأسلحة الثقيلة ضمن استراتيجيته الأفغانية التي لخصها في جملة معبرة لرئيس استخباراته حين قال له: «دع الطبخة الأفغانية تنضج على نار هادئة»، أي أن وتيرة الحرب ومعدل تصاعدها وتطورها يجب أن يكون بطيئاً وهادئاً، ربّما حتى يسهل التحكم فيه أو إطفأؤه عند الضرورة، وطبقاً للمصالح الوطنية لباكستان أولاً ومصالح حلفائها الأمريكيين ثانياً.

في تلك الفترة كان «ضياء الحق» - باعتراف ضباط مخابراته الذين تكلموا عن تلك المرحلة - يحتجز كميات معتبرة من الأسلحة الثقيلة القادمة للمجاهدين، وكانوا يمنعون وصول بعضها، كل ذلك حتى لا يفلت المعيار وتسيطر الطبخة من يد الطباخ الماهر «ضياء الحق».

وسيلة أخرى اتبعتها أجهزة استخبارات «ضياء الحق»، وهي وسيلة

التَّدرِيبِ عَلَى الأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفَ كَانُوا يُدَرِّبُونَ المُجَاهِدِينَ
الأَفْغانِ عَلَى اسْتِخْدَامِ المِدفَعِيَّةِ بِدُونِ أَجْهَزَةٍ تَصْويِبٍ !!.

وَفِي المَرَحَلَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الحَرْبِ، حِينَمَا شَعَرَتْ أَمْرِيكَ أَنَّ نِظَامَ «كَابُلِ»
فِي طَرِيقِهِ إِلَى السُّقُوطِ - خَاصَّةً بَعْدَ انْسِحَابِ السُّوفِيَّتِ وَمَصْرَعِ «ضِيَاءِ
الحَقِّ» - دَفَعَتْ الاسْتِخْبَارَاتِ البَاكِسْتَانِيَّةَ إِلَى سَحْبِ ذَخَائِرِ الأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ
مِنَ الأَسْوَاقِ الحُرَّةِ لِلقَبَائِلِ وَمِنَ دَاخِلِ أَفْغانِستَانِ. وَبِالْفِعْلِ تَحَرَّكَ عَشْرَاتٌ مِنْ
تُجَّارِ القَبَائِلِ يَجْمَعُونَ تِلْكَ الذَّخَائِرِ مِنْ دَاخِلِ أَفْغانِستَانِ وَيَبِيعُهَا مَرَّةً أُخْرَى
لِلاسْتِخْبَارَاتِ البَاكِسْتَانِيَّةِ بِأَسْعَارٍ مُجْزِيَّةٍ.

وَحَتَّى بَعْدَ سُقُوطِ النِّظَامِ حَرَّكَتْ أَمْرِيكَ حَمَلَةً دَعَائِيَّةً مَحْمُومَةً حَوْلَ
صَوَارِيخِ «سِتْنَجِرِ» الأَمْرِيكِيَّةِ، وَطالَبَتْ الاسْتِخْبَارَاتِ البَاكِسْتَانِيَّةَ بِتَجْمِيعِهَا.
وَتَحَرَّكَ تُجَّارُ السَّلَاحِ القَبَائِلِيُّونَ وَجَمَعُوا مَا اسْتَطَاعُوا تَجْمِيعَهُ مِنْ تِلْكَ
الصَّوَارِيخِ وَبَاعُوهَا لِلاسْتِخْبَارَاتِ البَاكِسْتَانِيَّةِ الَّتِي أعَادَتْ بِبَيْعِهَا لِلاسْتِخْبَارَاتِ
الأَمْرِيكِيَّةِ مَعَ تَحْصِيلِ عُمُولَاتٍ مُجْزِيَّةٍ.

تِلْكَ السِّيَاسَةُ كَانَتْ ضِمْنَ عَوَامِلِ إطالَةِ مَدَى الحَرْبِ الأَفْغانِيَّةِ، وَبِالتَّالِيِ
زِيادَةُ تَكَالُفِهَا مِنَ الدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ. كَمَا أدَّتْ إِلَى خَرَابِ اقْتِصَادِيٍّ مُدْمِرٍ
لِلْمَجْمُوعَاتِ القَلِيلَةِ المُخْلِصَةِ الَّتِي كَانَتْ مُضْطَّرَّةً لِشِرَاءِ تِلْكَ الذَّخَائِرِ
لِاسْتِخْدَامِهَا فِي مَعَارِكِ تَحْرِيرِ المُدُنِ. وَقَدْ عَانَتْ المَجْمُوعَاتُ العَرَبِيَّةُ العَامِلَةُ

عَسْكَرِيًّا فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنْ جَرَاءِ تِلْكَ السِّيَاسَةِ، وَاسْتَنْزَفَتْ مُعْظَمَ مَوَارِدِهِمُ الْمَالِيَّةَ فِي شِرَاءِ ذَخَائِرٍ ثَقِيلَةٍ لِعَمَلِيَّاتِهِمُ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ لِحُلْفَائِهِمُ الْأَفْغَانَ - فِي «جَلال آباد» بِشَكْلِ خَاصٍّ - الَّذِينَ اعْتَمَدُوا كُليًّا عَلَى الْعَرَبِ فِي شِرَاءِ تِلْكَ الذَّخَائِرِ، حَتَّى أَنْ كَثِيرِينَ تَحَوَّلُوا إِلَى اخْتِرَافِ عَمَلِيَّاتِ نَصْبِ وَاحْتِيَالِ لِلْحُصُولِ عَلَى الذَّخَائِرِ مِنَ الْعَرَبِ ثُمَّ تَسْرِيْبِهَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى التُّجَّارِ وَيَبْعُهَا لَهُمْ، فَيَضْطَرُّ الْعَرَبُ لِشِرَائِهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَهَكَذَا^(١).

[٢٣] [٢٤] [٢٥] [٢٦] لَمْ تَتَحَرَّكَ بَاكِسْتَانُ لِمُسَانَدَةِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ فِي مِحْتَتِهِ إِلَّا بِنَاءً عَلَى «أوامر» أَمْرِيكِيَّةٍ. وَقَدْ أَصَرَ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» عَلَى ابْتِرَازِ أَمْرِيكَا إِلَى أَقْصَى مَدَى مُسْتَطَاعٍ لِلْحُصُولِ مِنْهَا عَلَى كُلِّ مَا يُقَوِّي مَرَكزَهُ فِي حُكْمِ بَاكِسْتَانَ وَيَزِيدُ مِنْ قِيَمَتِهِ فِي الْمَنْطِقَةِ وَالْعَالَمِ. وَقَدْ نَجَحَ فِي ذَلِكَ كَمَا لَمْ يَنْجَحْ أَيُّ حَاكِمٍ فِي الْعَالَمِ الثَّلَاثِ، وَقَدْ كَافَأَتْهُ أَمْرِيكَا فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ بِتَنْفِجِيهِ فِي الْجَوِّ مَعَ كِبَارِ جِنَرَالَاتِ الْجَيْشِ وَالِاسْتِخْبَارَاتِ.

المَوْقِفُ غَيْرُ الْأَخْلَاقِيِّ لِبَاكِسْتَانَ - الْحُكُومَةِ عَلَى الْأَقْل - هُوَ فِي الْأَعْرَافِ السِّيَاسِيَّةِ مَوْقِفٌ طَبِيعِيٌّ؛ حَيْثُ أَنَّ الْمَعْيَارَ هُوَ الْمَصْلَحَةُ وَلَيْسَ الْمَبْدَأُ. فَفِي بَدَايَةِ الْأَزْمَةِ لَمْ يَجِدِ الْمُهَاجِرُونَ خِيَامًا أَوْ مَعُونَاتٍ إِنْسَانِيَّةً فِي

(١) انظُرْ كِتَابَ «الْحَمَاقَةُ الْكُبْرَى».

انْتَظَرِهِمْ، فِيمَا عَدَا الْقَلِيلَ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي نَشَطَتْ فِيهَا هَيئاتٌ خَيْرِيَّةٌ وَإِسْلَامِيَّةٌ، بَلْ وَجَدَ الْمُهَاجِرُونَ بُيُوتًا بِالْإِجَارِ وَكَأَنَّهمْ مُوظَّفُونَ فِي الدَّوْلَةِ. أَمَّا الْمُجَاهِدُونَ فَقَدْ كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى نِظَامِ التَّهْرِيبِ عَبْرَ الْحُدُودِ الْجَبَلِيَّةِ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى كَمِّيَّاتٍ ضَخِيمَةٍ مِنَ الْعَتَادِ. لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَوَاقِفُ غَيْرُ الْأَخْلَاقِيَّةِ مِثَارَ نِقْمَةِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ وَالْمُتَعَاظِفِينَ مَعَهُ إِسْلَامِيًّا.

وَلَكِنْ مَآذَا عَنْ مَوْقِفِ «الْحُكُومَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» بَعْدَ تَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ، مِنْ إِخْوَانِهِمُ الطَّاجِيكَ الَّذِينَ وَاجَهُوا نَفْسَ الْمِحْنَةِ مِنَ الشُّيُوعِيِّينَ فِي خَرِيفِ عَامِ ١٩٩٢ م.؟ مَا هِيَ الْمُسَاعَدَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَوْ الْعَسْكَرِيَّةُ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُجَاهِدَةِ؟. لَا دَاعِي لِأَنْ نَسْأَلَ عَنْ عَدَدِ النِّسَاءِ اللَّاتِي اتُّهِّكَتْ أَعْرَاضُهُنَّ وَالرِّجَالِ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ سَلْبِ أَمْوَالِهِمْ، وَمُصَادَرَاتِ أَمْوَالِ الْمُهَاجِرِينَ الطَّاجِيكَ تَحْتَ تَهْدِيدِ سِلَاحِ «الْمُجَاهِدِينَ» الْأَفْغَانَ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ مِنْ نَهْرِ «جِيْحُون»!! كَمْ مِنَ الْمَعَايِيرِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَحْتَرَمَهَا الْعَدِيدُ مِنَ الْأَفْغَانَ عِنْدَ تَعَامُلِهِمْ مَعَ مُسْلِمِي طَاجِكِسْتَانَ مِنْ مُهَاجِرِينَ وَمُجَاهِدِينَ؟.

إِنَّ الْمُقَارَنَةَ بَيْنَ مَا فَعَلُوهُ مَعَ الطَّاجِيكَ وَمَا فَعَلَهُ الْبَاكِسْتَانِيُّونَ مَعَهُمْ هِيَ مُقَارَنَةٌ فِي صَالِحِ بَاكِسْتَانَ رُغْمَ كُلِّ النَّدَالَةِ وَالْوَضَاعَةِ الَّتِي مَيَّرَتْ مَوَاقِفَهَا

الرَّسْمِيَّةَ، وَاللَّامْبَالَةَ وَالسَّلْبِيَّةَ الَّتِي غَطَّتْ مَوَاقِفَهُمُ الشَّعْبِيَّةَ. هَذَا مَعَ اسْتِثْنَاءَاتٍ فِي الْأَوْسَاطِ الْقَبَلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ أَشْرَفَ مَوْقِفًا مِنْ بَاقِي الْفِئَاتِ. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نُنْسَى مَوَاقِفَ رَائِعَةً مِنْ مُسْلِمِي بَاكِسْتَانَ فِي مُنَاصَرَةِ الْأَفْغَانِ بِالْمَالِ وَالْدَّمِ. وَكَذَلِكَ مَوَاقِفَ رَائِعَةً مِنْ أَفْغَانٍ قَاتَلُوا بِبُطُولَةٍ وَفِدَائِيَّةٍ مَعَ إِخْوَانِهِمُ الطَّاجِيكَ. إِنَّ هَذِهِ الصُّورَ الْمُشْرِفَةَ هِيَ مِمَّا يَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي أَنْ الْخَيْرَ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مَوْجُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَكِنْ لِلْأَسَفِ فَإِنَّ الْمَسَاحَاتِ الْمُظْلَمَةَ مِنَ الصُّورَةِ هِيَ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَسَاحَاتِ الْمُضِيئَةِ.

أَمَّا حَادِثَةُ الطَّيَّارِ الْأَفْغَانِيِّ الَّذِي فَرَّ إِلَى بَاكِسْتَانَ بِطَائِرَتِهِ ثُمَّ أَعَادَتْهُ الْحُكُومَةُ مَعَ طَائِرَتِهِ كَيْ يُقْتَلَ فِي «كَابُل» فَلَمْ أَعْلَمْ مَزِيدًا مِنَ التَّفَاصِيلِ الَّتِي تُوَكِّدُهَا، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُسْتَبْعَدَةٍ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ، فَحُكُومَةُ بَاكِسْتَانَ فِي عَهْدِ «بِيَنْظِير» هِيَ الَّتِي شَارَكَتْ فِي اغْتِيَالِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّام» عَامَ ١٩٨٩ م، وَهِيَ الَّتِي طَارَدَتْ الْعَرَبَ وَشَرَّدَتْهُمْ وَسَجَّنَتْ عَشْرَاتٍ مِنْهُمْ وَلَفَّقَتْ الْقَضَايَا الْمَزُورَةَ ضِدَّ عَدَدٍ مِنْهُمْ فِي أَعْوَامِ ١٩٩٣ م - ١٩٩٤ م.

[٢٧] أَبَدَتْ إِيْرَانُ فِي بَدَايَاتِ ثَوْرَتِهَا تَعَاطُفًا مَلْحُوظًا مَعَ الْأَفْغَانِ مِنْ مَهَاجِرِينَ وَمُجَاهِدِينَ، وَعَلِمْتُ أَثْنََاءَ زِيَارَتِي إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ١٩٨١ م أَنَّ حِزْبَ إِسْلَامِي «حِكْمَتِيَار» قَدْ تَلَقَّى مَعُونَاتٍ مَالِيَّةٍ وَأَسْلِحَةَ مِنْ إِيْرَانَ وَلِيبِيَا، وَلَمْ يَتَأَكَّدْ ذَلِكَ النَّبَأُ إِلَّا مِنْ مَصْدَرٍ وَحِيدٍ وَإِنْ كَانَ لَهُ شَوَاهِدٌ تُؤَيِّدُهُ.

[٢٨] مُسَمَّيَاتٍ مِثْلَ «دَوْلِ إِسْلَامِيَّةٍ»، «حُكُومَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ»، «صَحَافَةُ إِسْلَامِيَّةٍ»، «صَحْوَةُ إِسْلَامِيَّةٍ»، «هَيْئَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ»... الخ، تَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ التَّمَحِيصِ، بَلْ إِلَى التَّبْدِيلِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا يَحْمِلُ مِنَ الْخِدَاعِ وَالتَّضْلِيلِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْمِلُ مِنَ الْحَقِيقَةِ. وَقَدْ أَوْصَحَتْ أَحْدَاثُ أَفْغَانِسْتَانَ وَمَا بَعْدَهَا أَنَّ «الدَّوَلَ الْإِسْلَامِيَّةَ» لَيْسَتْ لَهَا سِيَاسَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ أَوْ تَوَجُّهَاتٌ عَقَائِدِيَّةٌ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا دُمَى فِي مَسْرَحِ الْعَرَائِسِ الدَّوَلِيَّةِ، وَكَذَلِكَ هَيْئَاتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ، خَاصَّةً الْإِعَاثِيَّةُ، وَلِذَلِكَ حَدِيثٌ آخَرَ.

[٢٩] أَمْوَالُ فَاعِلِي الْخَيْرِ هُوَ مَوْضُوعٌ يَسْتَحِقُّ وَقْفَةً مُنْفَصِلَةً، وَنَقُولُ الْآنَ بِأَنَّ ذَلِكَ الْمَصْدَرَ كَانَ هَامًا وَمَوْثُرًا فِي الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَلَكِنَّ قَلِيلًا مِنْهُ تَمَّ تَوْظِيفُهُ فِي الْأَوْجِهَةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ.

وَعَلَى هَامِشِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ نَبَتَتْ كَثِيرٌ مِنَ الطُّفَيْلِيَّاتِ السَّامَّةِ وَالْأَعْشَابِ الضَّارَّةِ الَّتِي انْتَفَخَتْ بِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَدِمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ. لَقَدْ تَرَعَّرَعَتْ فِتْنَةٌ «جَامِعِي التَّبَرُّعَاتِ» الَّتِي كَانَتْ فِي أَغْلِبِهَا فِتْنَةٌ مِنَ الْأَفَاقِينَ وَالْمُحْتَالِينَ، بِاسْتِنَاءِ ضَبِيلٍ لِلْغَايَةِ لِقَلَّةِ بَدَلَتِ الْمُسْتَحِيلِ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ شَلَالَاتِ الْإِنْحِرَافِ وَالْإِفْتِرَاءِ. هَذِهِ الظَّاهِرَةُ الضَّارَّةُ ظَهَرَتْ قَبْلًا فِي التَّجْرِبَةِ الْجِهَادِيَّةِ فِي سُورِيَا، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْخَوْنَةِ الَّذِينَ بَاعُوا الْجِهَادَ وَتَحَالَفُوا مَعَ الشَّيْطَانِ فِي «بَغْدَادَ وَ «عَمَانَ».

وَتَصَخَّمَتْ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً فِي التَّجَرُّبَةِ الأفْغَانِيَّةِ، وَكَانَتْ تَنَائِجُهَا أَشَدُّ ضَرَرًا. وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ القَلِيلَ الَّذِي نَجَا مِنْ أَمْوَالِ «فَاعِلِي الخَيْرِ» كَانَ لَهُ نَتَائِجٌ بَاهِرَةٌ. وَنَسْتَطِيعُ القَوْلَ أَنَّ ذَلِكَ النَّذْرَ اليَسِيرَ كَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ جَدًّا فِي مُسَاعَدَةِ القِلَّةِ المُجَاهِدَةِ النَّادِرَةِ عَلَى إسْقَاطِ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ فِي «كَابُلٍ» وَالمَدْعُومِ أَمْرِيكِيًّا وَرُوسِيًّا وَحَلِيجِيًّا وَدُولِيًّا.

[٣٠] رِعَايَةُ أَسْرِ المُجَاهِدِينَ وَالشَّهَدَاءِ مَوْضُوعٌ إِنْسَانِيٌّ إِلَى جَانِبِ كَوْنِهِ مَوْضُوعًا مَعْنَوِيًّا يَتَعَلَّقُ بِالاسْتِقْرَارِ النَّفْسِيِّ لِلْمُجَاهِدِينَ وَاطْمِئْنَانِهِمْ عَلَى اسْتِقْرَارِ أَسْرِهِمْ، فَمِنْ مَسْئُولِيَّاتِ قِيَادَةِ الجِهَادِ العِنَايَةُ بِذَلِكَ الأَمْرِ. وَأَوْضَحَتْ التَّجَرُّبَةُ الأفْغَانِيَّةُ أَنَّ العَمَلَ الإِغَاثِيَّ الَّذِي يُدَارُ بِوَأَسِطَةِ قُوَى مُعَادِيَةِ لِلجِهَادِ أَوْ غَيْرِ مُبَالِيَّةٍ بِهِ - كَمَا حَدَثَ فِي أفْغَانِسْتَانَ - فَإِنَّ نَتَائِجَهُ تَكُونُ ضَارَةً بِالجِهَادِ وَنَشَاطِهِ القِتَالِيِّ. فَكَمَا رَأَيْنَا أَنَّ الفَوْضَى الإِغَاثِيَّةَ الَّتِي مَارَسَتْهَا مُؤَسَّسَاتُ الإِغَاثَةِ الصَّلِيبِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ كَانَتْ بِيئَةً لِتَنَامِي الفَسَادِ وَخَرَابِ الذَّمِّ، كَمَا كَانَتْ عَامِلَ جَذْبٍ لِلسَّعْبِ الأفْغَانِيِّ [وَسَبَبًا لِتَفْرِيعِ] الأَرَاضِي المُحَرَّرَةَ مِنْ سُكَّانِهَا.

وَأَوْضَحَتْ أفْغَانِسْتَانُ أَنَّ تَسْمِيَةَ «مُنَظَّمَاتِ إِغَاثَةِ إِسْلَامِيَّةٍ» هِيَ مِنْ ضَمَنِ المُسَمِّيَّاتِ المَكْدُوبَةِ؛ فَالإِغَاثَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ كَانَتْ «حُكُومِيَّةً» حَتَّى النُّخَاعِ وَخَاضِعَةً لِمَطَالِبِ حُكُومَاتِهَا، وَبَعْضُهَا مَارَسَ أَعْمَالًا تَجَسُّسِيَّةً ضِدَّ

المُجَاهِدِينَ، وَبَطَلِبٍ مِنْ حُكُومَاتِ بِلَادِهَا. وَقَدْ تَوَلَّى كَثِيرٌ مِنْ عَنَاصِرِ
الاستخباراتِ العَرَبِيَّةِ مَنَاصِبَ بَارِزَةٍ فِي تِلْكَ الْهَيْئَاتِ «الإِسْلَامِيَّةِ»، وَنَسْتَنِي
مِنْ ذَلِكَ مُنْظَمَةً وَاحِدَةً هِيَ «إِسْرَا»^(١) الَّتِي حَمَلَتْ طَابِعًا إِسْلَامِيًّا حَرَكِيًّا مُتَعَلِّقًا
بِالتَّحْرُكِ الإِسْلَامِيِّ فِي السُّودَانِ. لِذَلِكَ عَانَتْ مِنَ الْعُزْلَةِ وَمُخْتَلَفِ
الضُّغُوطَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدَمَتْ الكَثِيرَ مِنَ الإِسْهَامَاتِ الْبَارِزَةِ.

وَالْوَضْعُ الْأَمْثَلُ أَنْ تُوضَعَ الْأَعْتِبَارَاتُ الْجِهَادِيَّةُ فِي مُقَدِّمَةِ أَوْلِيَّاتِ الْعَمَلِ
الإِغَاثِيِّ بِحَيْثُ يَتَكَامَلُ الْعَمَلَانِ. وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فَإِنَّ الخِدْمَاتِ الإِغَاثِيَّةَ
لَا بُدَّ أَنْ تُعْطِيَ أَوْلَوِيَّةً مُطْلَقَةً لِعَائِلَاتِ الْمُجَاهِدِينَ وَأَسْرِ الشُّهَدَاءِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ
اِحْتِيَاجَاتِ بَاقِي الْفِئَاتِ. وَلِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْهَدَفِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ عَمَلِيَّاتُ
الإِغَاثَةِ فِي أَيْدِ إِسْلَامِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ تَابِعَةٍ لِقِيَادَةِ الْجِهَادِ أَوْ تَعْمَلُ بِتَنْسِيقٍ وَثِيقٍ
مَعَهَا.

وَلَكِنَّ الَّذِي ظَهَرَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هُوَ سَيْطَرَةُ الصَّلِيبِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ عَلَى جَوْهَرِ
الْعَمَلِ الإِغَاثِيِّ وَتَوَجُّهِهِ بِالشَّكْلِ الَّذِي يَنْفَعُ مَعَ مَصَالِحِهَا وَيُوقِعُ أَكْبَرَ الضَّرْرِ

(١) مُنْظَمَةُ «إِسْرَا» الإِغَاثِيَّةُ: اسْمُهَا مُنْظَمَةُ الإِغَاثَةِ الإِسْلَامِيَّةِ Islamic Relief Agency، مُؤَسَّسَةٌ
خَيْرِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ تَأَسَّسَتْ عَامَ ١٩٨١ م فِي «الْحُرْطُوم» بِالسُّودَانِ، وَتَنْشِطُ فِي الْبُلْدَانِ الإِسْلَامِيَّةِ الْفَقِيرَةِ
كَأَفْغَانِسْتَانَ وَبَاكِسْتَانَ وَدُولِ وَسَطِ أُفْرِيْقِيَا، وَلَهَا فُرُوعٌ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ دَوْلَةً.

بِالْمُسْلِمِينَ. وَأَثَارُ الصَّلِيَّةِ وَمَاسِيهَا الَّتِي أَوْقَعَتْهَا بِالشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ بِوَاسِطَةِ
نَشَاطَتِهَا «الْإِنْسَانِيَّة» وَ «الْإِفْغَانِيَّة» فِي أَفْغَانِسْتَانَ تَحْتَاجُ إِلَى مُجَلَّدَاتٍ
لِشَرْحِهَا.



١٩٨٠م

عَامُ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى الشُّيُوعِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مَعًا

كَانَتْ الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ عَلَى عِلْمٍ مُسَبِّقٍ بِنَوَايَا السُّوفِيَّةِ تَجَاهَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَالْحُشُودُ الْعَسْكَرِيَّةُ السُّوفِيَّةِ كَانَتْ مَكْشُوفَةً لِلْأَقْمَارِ الصَّنَاعِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. هَذَا إِلَى جَانِبِ تَحْذِيرَاتِ الدَّبْلُومَاسِيَّينَ الْأَمْرِيكِيِّينَ بِشَأْنِ غَزْوِ سُوفِيَّةِ وَشِيكٍ لِأَفْغَانِسْتَانَ، كَمَا أَوْضَحَتْ ذَلِكَ وَثَائِقُ السَّفَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي «طَهْرَانَ»، وَالَّتِي نُشِرَتْ فِيمَا بَعْدُ فِي الصُّحُفِ الْأَمْرِيكِيَّةِ نَفْسِهَا.

إِذْنُ فَالسياسةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ كَانَتْ مَعَ تَرْكِ الْعَزْوِ السُّوفِيَّةِ لِأَفْغَانِسْتَانَ يَتِمُّ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، ثُمَّ اسْتِغْلَالِ نَتَائِجِهِ لِلإِضْرَارِ بِالسُّوفِيَّةِ سِيَاسِيًّا وَدَعَائِيًّا عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ وَبَيْنَ دَوْلِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ الَّتِي كَانَتْ مُعْظَمُ شُعُوبِهَا تَرَى فِي السُّوفِيَّةِ نَصِيرًا لَهَا، وَعَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَرَبِيِّ بِشَكْلِ خَاصٍّ، وَذَلِكَ شَبِيهُهُ بِالْمَوْقِفِ الْأَمْرِيكِيِّ مِنْ أَحْدَاثِ ١١ سِبْتَمْبَرِ ٢٠٠١ م.

وَالثُّورَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْإِيرَانِيَّةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ شَغَلَتْ حَيْرًا حَيَوِيًّا فِي التَّفْكِيرِ الْأَمْرِيكِيِّ نَتِيجَةَ «الزَّلْزَالِ» السِّيَاسِيِّ الَّذِي أَحْدَثْتُهُ، خَاصَّةً أَنَّهَا طَرَحَتْ - كَأَحَدِ شَعَارَاتِهَا الرَّئِيسِيَّةِ - مَوْضُوعَ مُقَاوَمَةِ النُّفُوذِ الْأَمْرِيكِيِّ فِي بِلَادِ

المُسْلِمِينَ، وَأَطْلَقَ الْإِمَامَ «الْخُمَيْنِيَّ»^(١) وَقْتَهَا عَلَى أَمْرِيكَ لَقَبَ «الشَّيْطَانِ الْأَكْبَرِ»^(٢). لَمْ يَتَوَقَّفِ الْخَطْرُ الْإِيرَانِيَّ عَلَى مُجَرَّدِ الشَّعَارَاتِ، بَلْ تَخَطَّاهَا بِكَثِيرٍ حِينَ أَطَاحَتْ الثَّوْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْإِيرَانِيَّةُ^(٣) بِالنِّظَامِ «الشَّاهِنشَاهِيَّ»^(٤) الَّذِي كَانَ يُمَثِّلُ رَكِيزَةً رَئِيسِيَّةً لِلسِّيَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي مَنْطِقَةِ الْخَلِيجِ بِشَكْلِ خَاصٍّ وَفِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍّ.

كَانَ مِنَ الْمَنْطِقِيَّيْنِ أَنْ تَسْعَى أَمْرِيكَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ الْغَزْوِ إِلَى إِعَادَةِ تَشْكِيلِ عِلَاقَاتِهَا مَعَ شُعُوبِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِاعْتِبَارِهَا حَلِيفًا وَلَيْسَ عَدُوًّا، فِي مُقَابَلَةِ الْعُدُوانِ السُّوفِيَّيْتِيَّيْنِ «الْمُلْحِدِ».

(١) رُوحُ اللَّهِ (اسْمُ يَكْفُرٍ مُطْلَقُهُ وَالْمَقْرُبُ بِهِ) بِنُ مِصْطَفَى بْنِ أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ الْخُمَيْنِيِّ: أَشْهُرُ شَيَاطِينِ الرَّافِضِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وُلِدَ فِي ٢٤ سِبْتَمْبَرِ ١٩٠٢م، فَادَّ الثَّوْرَةَ الْإِيرَانِيَّةَ وَنَجَحَ فِي الْإِطَاحَةِ بِالشَّاهِ «مُحَمَّدِ رِضَا بَهْلَوِيِّ»، وَتَوَلَّى الْحُكْمَ فِي إِيرَانَ مِنْ ١ فَبْرَايِرِ ١٩٧٩م وَحَتَّى وَفَاتِهِ فِي ٣ يُونِيُو ١٩٨٩م.

(٢) وَأَصْحَابُ الْبَصِيرَةِ الْيَوْمَ يَعْرِفُونَ أَنَّ جَمِيعَهُمْ شَيَاطِينُ مَرَدَّةٍ يُعَادُونَ الْإِسْلَامَ دِينًا وَالْمُسْلِمِينَ أُمَّةً سِوَاءَ ادَّعَى بَعْضُهُمُ الْإِنْتِسَابَ لِلْمَسِيحِ فَكَانَ مَسِيحِيًّا أَوْ الْإِنْتِسَابَ لِلْإِسْلَامِ وَهُوَ رَافِضِيٌّ حَيْثُ مُشْرِكٌ.

(٣) الثَّوْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بَزَعْمِهِمُ، الرَّافِضِيَّةُ الْمَجُوسِيَّةُ الْبَاطِنِيَّةُ الشَّرِكِيَّةُ حَقِيقَةٌ، فَلَمْ تَعُدْ الْحَقَائِقُ الْيَوْمَ تَخْفَى عَلَى بَصِيرٍ أَوْ صَرِيرٍ.

(٤) الشَّاهِنشَاهِيَّ نَسَبَةٌ إِلَى «الشَّاهِنشَاهِ»، وَهِيَ لَفْظَةٌ فَارِسِيَّةٌ تَعْنِي «مَلِكَ الْمُلُوكِ»، وَتُطْلَقُ عَلَى مَلِكِ إِيرَانَ فِي الْفَتْرَةِ مَا قَبْلَ الثَّوْرَةِ الْإِيرَانِيَّةِ الْخُمَيْنِيَّةِ.

هَذَا عَلَى الْجَانِبِ النَّفْسِيِّ، أَمَا عَلَى الْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَسِيرِ الدَّفَاعُ عَنْ اُمْتِيَازَاتِ أَمْرِيكِيَّةٍ فِي الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِأَفْغَانِسْتَانِ، وَفِي الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ أَيْضًا لِحِمَايَةِ تِلْكَ الدُّوَلِ مِنْ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ وَالْحَقِيقِيِّ الَّذِي مَثَلُهُ الْاجْتِيَا حُ السُّوْفِيَّةِ لِذَوْلَةِ إِسْلَامِيَّةٍ «مُسَالِمَةٍ» هِيَ أَفْغَانِسْتَانُ.

إِنَّ إِثَارَةَ حَمَلَةٍ إِعْلَامِيَّةٍ عَلَى الْمُسْتَوَى الدُّوَلِيِّ كَفِيْلَةٌ بِتَحْقِيقِ أَهْدَافٍ كَثِيرَةٍ وَخَطِيرَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، مِنْهَا تَشْوِيْهُ صُورَةِ السُّوْفِيَّةِ دَوْلِيًّا، وَكَسْبِ صَدَاقَةِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ التَّغْطِيَةُ عَلَى عَمَلِيَّةِ تَسَلُّلِ كُبْرَى نَحْوِ مَرَاكِزِ سَيْطَرَةٍ أَقْوَى فِي الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ بِشَكْلِ خَاصٍّ، ثُمَّ الْمُضِيُّ قُدْمًا بِالْمَشْرُوعِ الْيَهُودِيِّ فِي فَلَاسْطِينَ نَحْوِ خُطُوَاتٍ مُتَقَدِّمَةٍ.

وَالَّذِي حَدَثَ أَنَّهُ فِي فَتْرَةِ الثَّمَانِيْنَ عِنْدَمَا كَانَتْ أَفْغَانِسْتَانُ هِيَ الْخُبْرُ الْيَوْمِيُّ لِلشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ تَقَدَّمَ الْمَشْرُوعُ الْيَهُودِيُّ فِي إِسْرَائِيلِ خُطُوَاتٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا، وَبِدُونِ أَنْ تَتَّبِعَهُ أَنْظَارُ شُعُوبِ الْمَنْطِقَةِ الْمُعَلَّقَةِ بِأَفْغَانِسْتَانِ. وَفِي خِلَالِ تِلْكَ الْحَقْبَةِ صَدَرَتْ قَوَانِينُ أَمْرِيكِيَّةٌ جَعَلَتْ التَّرَابُطَ بَيْنَ أَمْرِيكَا وَإِسْرَائِيلِ تَرَابُطًا عَضُويًّا بِحُكْمِ الْقَوَانِينِ الْأَمْرِيكِيَّةِ نَفْسِهَا، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّهُ خِلَالِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ أَصْبَحَتْ إِسْرَائِيلُ فِعْلِيًّا وَلايَةً أَمْرِيكِيَّةً ذَاتَ وَضْعٍ مُمْتَازٍ.

عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَرَبِيِّ الرَّسْمِيِّ [فَإِنَّ] حَالَةَ التَّبَعِيَّةِ التَّامَّةِ لِلْسِّيَاسَةِ

الأمريكية [ليست بمُسْتَعْرَبَةٍ]؛ فَعَدُوُّ أَمْرِيكَا هُوَ عَدُوُّ تِلْكَ الْأَنْظِمَةِ، وَالخَطَأُ هُوَ مَا تَرَاهُ الْوَالِيَاتُ الْمُتَّحِدَةُ خَطَأً، وَالصَّوَابُ كَذَلِكَ، وَالْعَمَلُ الشَّرْعِيُّ هُوَ مَا تُجِيزُهُ أَمْرِيكَا، وَالْعَمَلُ غَيْرُ الشَّرْعِيِّ هُوَ مَا لَا تَرْضَاهُ أَمْرِيكَا. وَبِالِاخْتِصَارِ فَإِنَّ أَمْرِيكَا بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الْأَنْظِمَةِ هِيَ الْإِلَهَ وَالرَّبُّ الْمَعْبُودُ؛ لِهَذَا فَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ تَمَامًا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ لِقَاءٍ بَيْنَ الْإِسْلَامِ كَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبَيْنَ تِلْكَ الْأَنْظِمَةِ، وَمِنْ بَابِ أَوْلَى بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ أَمْرِيكَا وَمَا تَمَثَّلَهُ أَمْرِيكَا مِنْ قِيمٍ تَعْتَصِبُ حَقَّ الْأُلُوْهِيَّةِ وَتَسْتَعْبِدُ الْبَشَرَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَمِنْ الْمُدْهَشِ أَنَّ «الْحِجْمَ الرَّئِيسِيَّ» لِلْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مَا زَالَ مُسْتَمْتًا مِنْ أَجْلِ السَّمَاحِ لَهُ بِالْعَمَلِ مِنْ خِلَالِ الْقَنَوَاتِ الرَّسْمِيَّةِ «الشَّرْعِيَّةِ»، وَيَطْمَحُ فِي دَوْرٍ مِنْ خِلَالِ الْمَهْرَلَةِ الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ!!

وَالأَدْهَى مِنْ ذَلِكَ أَنَّ «الْحَرَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ» الَّتِي سَاهَمَتْ فِي التَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ لَمْ تَخْرُجْ - إِلَّا نَادِرًا - عَنْ مَوَاصِفَاتِ الْعَمَلِ الْمُوَافِقِ لِلْمَصَالِحِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى نِهَايَةِ الْحَرْبِ. لَقَدْ وَصَلَ الْعَرَبُ إِلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ عِنْدَمَا قَرَّرَتْ أَمْرِيكَا اسْتِقْبَالَهُمْ أَوْ اسْتِغْلَالَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَغَادَرَ الْعَرَبُ سَاحَةَ أَفْغَانِسْتَانَ عِنْدَمَا قَرَّرَتْ أَمْرِيكَا الاسْتِغْنَاءَ عَنْ خِدْمَاتِهِمْ. وَفِيمَا بَيْنَ الاسْتِقْبَالِ وَالطَّرْدِ لَمْ يُحَاوِلِ الْعَرَبُ الْمُتَطَوِّعُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ سِيَاسَتُهُمُ الْمُسْتَقَلَّةُ.

مِنْ أخطرِ الدُّروسِ المُستفادَةِ مِنْ أفغانِستانَ أَنَّها تَجْرِبَةٌ أَوْصَحَتْ مَدَى السَّيْطَرَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى الحَرَكَةِ الإِسْلامِيَّةِ أَوْ الصَّخْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ، بَلْ وَالتَّحْرُكِ الجِهَادِيِّ الحَدِيثِ، وَالَّذِي كَانَ مِنْ المَفْرُوضِ أَنْ يَكُونَ الشَّرِيحَةَ الأَكْثَرَ تَطَوُّرًا وَنُضْجًا فِي التَّحْرُكِ الإِسْلامِيِّ الحَالِيِّ. هَذِهِ السَّيْطَرَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ إِمَّا مُباشِرَةً كَمَا كَانَتْ مَعَ قِطَاعِ الزُّعَمَاءِ الأفغانِ المُعتدِلينَ فِي أَحْزَابِ «بِيشاور» الجِهَادِيَّةِ، أَوْ غَيْرَ مُباشِرَةً عِبرَ باكِستانَ وَالسُّعُودِيَّةِ كَمَا كَانَتْ مَعَ الزُّعَمَاءِ «المُتشدِّدينَ» الأُصوليينَ مِنَ القَادَةِ الأفغانِ الجِهَادِيِّينَ!! وَمُصدِرُ الخَطْرِ هُوَ أَنْ يَظَلَّ العَمَلُ الجِهَادِيُّ الإِسْلامِيُّ تَحْتَ سَيْطَرَةِ القُوى المُعادِيَّةِ، وَأَنْ يُصْبِحَ سَلاحًا فِي أَيْدِي أَعْداءِ الإِسْلامِ يُسَخَّرُونَهُ لِخِدمَةِ مَصالِحِهِمُ الدُّوَلِيَّةِ.

وَالخُطُورَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي أفغانِستانَ تَجَلَّى فِي كَوْنِ الجِهَادِ نَشاطٌ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ نُظْرًا لِفُتُقدانِهِ القِيادَةَ الواضِحَةَ أَوْ المَرْجِعِيَّةَ الدِّينِيَّةَ المَوْثُوقَةَ؛ تَكْفِي عِدَّةُ خُطابَاتٍ نارِيَّةٍ مَعَ بَعْضِ فِتاوى مِنَ «عُلَماءِ» هُمْ فِي العادَةِ مُوظَّفُونَ حُكُومِيُونَ، حَتَّى يَتَحَرَّكَ مِئاتٌ أَوْ آلافُ الشَّبَابِ نَحْوَ سَاحاتِ المَوتِ بَحْثًا عَنِ الشَّهادَةِ وَالدرَجاتِ العُلَى فِي الجَنَّةِ.

إِنَّ السَّاحاتِ الَّتِي يَتَحَرَّكُ إِلَيْها هُوَ لَآءِ الشَّبَابِ هِيَ سَاحاتُ إِسْلامِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى الجِهَادِ وَالقِتالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِمَّا لِدَفْعِ عَدُوِّ صائِلٍ أَوْ لِإِزاحَةِ طَاغُوتٍ مُتَجَبِّرٍ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ إِقامَةِ شَرعِ اللَّهِ. وَكِلَا الهَدَفَيْنِ لا يَتِمُّ إِلَّا تَحْتَ

قِيَادَةَ إِسْلَامِيَّةٍ صَحِيحَةٍ. أَمَا أَنْ يَكُونَ الْجِهَادُ تَحْتَ قِيَادَاتٍ عَمِيلَةٍ لِلطَّاغُوتِ الدُّوَلِيِّ تَعْمَلُ بِتَوْجِيهِ وَإِشْرَافٍ وَتَمْوِيلٍ وَتَخْطِيطٍ ذَلِكَ الطَّاغُوتِ فَلَا يُمَكِّنُ فِي النَّهَائِيَةِ أَنْ نُحَقِّقَ أَهْدَافَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي تَحَرَّكْنَا مِنْ أَجْلِهَا. وَهَذَا مَا حَدَثَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ حَيْثُ لَمْ نَحْصُدْ سِوَى الشُّوكِ، وَاسْتَوَلَى الطَّاغُوتُ الدُّوَلِيُّ عَلَى كُلِّ الثَّمَارِ الشَّهِيَّةِ.

وَحَتَّى بَعْضُ الثَّمَارِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي جَاءَتْ وَسَطَ الْأَشْوَاكِ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، يُقَاتِلُنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الطَّاغُوتُ الدُّوَلِيُّ لِأَغْتِصَابِهَا، بَلْ وَيَسْعَى إِلَى حَرْقِ الْمُجَاهِدِينَ وَسَطَ أَكْوَامِ الشُّوكِ الَّتِي حَصَدُوهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

إِنَّ الْحَرَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ عَامَّةً وَالْجِهَادِيَّةَ خَاصَّةً مَا زَالَتْ حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةَ تَفْتَقِرُ إِلَى الْقِيَادَةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَمَلِ الْمُنْتَمِمْ. وَهَذَا النَّقْصُ يَجْعَلُهَا غَيْرَ مُؤَهَّلَةً لِإِنْجَازِ الْأَهْدَافِ الْمَنْوُطَةِ بِهَا، بَلْ قَدْ يَحْرِفُهَا عَنِ الْمَسَارِ الصَّحِيحِ لِتُصْبِحَ هِيَ نَفْسُهَا أَلْعُوبَةَ فِي أَيْدِي أَعْدَائِهَا.

مُلاحَظَةٌ: يَعْتَقِدُ كَثِيرُونَ أَنَّ الْبَصْمَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ وَالْأَمْرِيكِيَّةَ وَاضِحَةٌ

تَمَامًا فِي أَحْدَاثِ سِبْتَمْبَرِ ٢٠٠١ م فِي «وَأَشْنَطْن» وَ«نِيُوِيُورْكَ». وَيَعْتَقِدُ

الْكَاتِبُ أَنَّ تَنْظِيمَ الْقَاعِدَةِ تَمَّ اسْتِدْرَاجُهُ وَتَقْدِيمُ تَسْهِلَاتٍ لَهُ لِتَنْفِيذِ تِلْكَ

الْعَمَلِيَّاتِ - بَدُونِ عِلْمِهِ بِالطَّبَعِ - لِكُونَ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ كَانَتْ ضَرُورِيَّةً

لِإِطْلَاقِ اسْتِرَاطِيَجِيَّةٍ يَهُودِيَّةٍ لِتَهْدِيمِ الْإِسْلَامِ وَاسْتِكْمَالِ مَشْرُوعِ إِسْرَائِيلِ

الكُبْرَى وَإِقَامَةَ مَمْلَكَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَرَوْنَ أَنَّهَا سَتَحْكُمُ الْعَالَمَ كُلَّهُ مِنْ عَاصِمَتِهَا فِي الْقُدْسِ.



تَوَقَّيْتُ الْغَزْوِ السُّوفِيَّتِي لِأَفْغَانِسْتَانَ كَمَا لَا يَخْلُو مِنْ الْمَهَارَةِ؛ فَإِلَى جَانِبِ أَنَّهُ تَمَّ فِي الشِّتَاءِ - حَلِيفِهِمُ التَّقْلِيدِي فِي الْحُرُوبِ سِوَاءٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَوْ غَيْرِهَا - فَإِنَّهُ تَمَّ فِي تَوَقُّعِ سِيَاسِيٍّ مُلَائِمٍ لِلْغَايَةِ؛ فَقَدْ كَانَ غَرِيمُهُمُ الْأَمْرِيكِيُّ فِي نِقْطَةِ

مَيْتَةٍ سِيَاسِيًّا، فَالرَّئِيسُ الْأَمْرِيكِيُّ «كَارْتِر»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٤٩] كَانَ فِي لَحْظَاتِهِ



الْأَخِيرَةَ فِي الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ، وَالرَّئِيسُ الْجَدِيدُ «رِيْجَان»^(٢) [صُورَةٌ رَقْمَ ٥٠] الَّذِي تَسَلَّمَ مِنْهُ الْحُكْمَ، وَجَدَ أَمَامَهُ أَمْرًا وَاقِعًا فِي أَفْغَانِسْتَانَ. لِهَذَا لَمْ يُوَجِّهْ أَحَدٌ إِلَيْهِ السُّؤَالَ: «لِمَاذَا تَرَكْتُمْ

(١) جيمس إيرل كارتر: الرَّئِيسُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ لِلْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي الْمَفْتَرَةِ مِنْ ٢٠ يَنَايِرِ ١٩٧٧ م إِلَى ٢٠ يَنَايِرِ ١٩٨١ م، وُلِدَ فِي ١ أَوْتُوبَرِ ١٩٢٤ م، انْتُخِبَ عَضْوًا فِي مَجْلِسِ شِيُوخِ وَايَاتِهِ جُورْجِيَا عَامَ ١٩٦٢ م، ثُمَّ حَاكَمًا لِلْوَلَايَةِ عَامَ ١٩٧٠ م وَحَتَّى ١٩٧٥ م، تَرَشَّحَ لِلرَّئَاسَةِ عَنِ الْحِزْبِ الدِّيْمُوقْرَاطِيِّ. فِي عَهْدِهِ وَتَحْتَ رِعَايَتِهِ وَقَعَ «السَّادَاتُ» اتِّفَاقِيَّةَ «كَامب دِيْفِيد» مَعَ الْيَهُودِ.

(٢) دُونَالْد وِيلْسُون رِيْجَان: الرَّئِيسُ الْأَرْبَعُونَ لِلْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي الْمَفْتَرَةِ مِنْ ٢٠ يَنَايِرِ ١٩٨١ م إِلَى ٢٠ يَنَايِرِ ١٩٨٩ م. وُلِدَ فِي ٦ فَبْرَايِرِ ١٩١١ م. كَانَ يَعْمَلُ بِمَجَالِ التَّمْثِيلِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى مَجَالِ السِّيَاسَةِ كَحَاكِمِ وَايَاتِهِ «كَاليفُورْنِيَا» مِنْ عَامِ ١٩٦٧-١٩٧٥ م. تَرَشَّحَ لِلرَّئَاسَةِ عَنِ الْحِزْبِ الْجُمْهُورِيِّ. تُوُفِّيَ فِي ٥ يُونِيُو ٢٠٠٤ م.

ذَلِكَ يَحْدُثُ... وَمَاذَا فَعَلْتُمْ وَالسُّوفِيَّتُ يَحْتَشِدُونَ لِعُبُورِ حُدُودِ قَانُونِيَّةِ لِدَوْلَةِ ضَعِيفَةٍ؟». وَلَكِنْ بَدَأَتْ الْأَحَادِيثُ حَوْلَ إِجْرَاءَاتِ عِقَابِيَّةٍ ضِدَّ السُّوفِيَّتِ وَإِجْرَاءَاتِ لِتَطْوِيقِ آثَارِ الْغَزْوِ عَلَى الْمَصَالِحِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي جَنُوبِ وَعَرْبِ آسِيَا، وَخَاصَّةً مَنَاطِقَ نَفْطِ الْخَلِيجِ.

لَمْ تَتَحَرَّكَ الدَّوْلُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَارَسَتْ الْإِدَارَةَ الْأَمْرِيكِيَّةُ الْجَدِيدَةَ مَهَامَّ عَمَلِهَا، وَأَصْدَرَتْ أَوْامِرَهَا وَحَدَّدَتْ السِّيَاسَةَ الْعَامَّةَ «الْإِسْلَامِيَّةَ» لِمُوَاجَهَةِ خَطَرِ الْغَزْوِ السُّوفِيَّتِيِّ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْخُطُواتِ اللَّازِمَةَ فِي إِطَارِ الْمَنْظُورِ الْأَمْرِيكِيِّ.

وَبِنَاءً عَلَيْهِ عَقِدَ مُؤْتَمَرٌ طَارِئٌ لُوْزْرَاءِ خَارِجِيَّةِ الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي «إِسْلَامْ أَبَاد» لِبَحْثِ الْمَوْضُوعِ. وَتَمَّ إِصْدَارُ الْبَيِّنَاتِ الْمَعْهُودَةِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا، وَاتِّخَاذُ خُطُواتِ أَشَدُّ تَفَاهَةً، كَانَ أَعْظَمُهَا خَطَرًا هُوَ إِرْسَالُ طَائِرَتِي مَعُونَاتِ إِنْسَانِيَّةٍ مِنْ خِيَامٍ وَأَطْعِمَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ كَدَعْمٍ عَاجِلٍ مِنَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ. وَعَلَى صَعِيدِ «الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ» فَإِنَّ تَأْثِيرَاتِ ذَلِكَ الْمُؤْتَمَرِ عَلَيْهَا هُوَ إِضْرَارُ الْقَائِمِينَ عَلَى الْمُؤْتَمَرِ عَلَى تَشْكِيلِ كِيَانٍ مُتَّحِدٍ لِلْمُقَاوَمَةِ تَسْتَطِيعُ الدَّوْلُ الْخَارِجِيَّةُ التَّعَامُلَ مَعَهُ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَكَانَ عَدَدُ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ لِلْمُقَاوَمَةِ سِتَّةَ أَحْزَابٍ. وَبِشْكَلٍ عَاجِلٍ تَمَّ تَشْكِيلُ «الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِتَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ» بِرِئَاسَةِ «عَبْدِ الرَّسُولِ



سَيَّاف» الَّذِي خَرَجَ لِتَوَّهِ مِنْ سُجُونِ النَّظَامِ فِي «كَابُل». وَفِي أَقَلِّ مِنْ شَهْرَيْنَ تَحَوَّلَ مِنْ سَجِينٍ سِيَاسِيٍّ سَابِقٍ إِلَى رَّئِيسِ «الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِتَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ»، وَيَكُونُ أَوَّلَ أَعْمَالِهِ هُوَ الْاجْتِمَاعُ بِوُزَرَاءِ خَارِجِيَّةِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُنَاقَشَةِ مَوْقِفِ تِلْكَ الدُّوَلِ مِنْ قَضِيَّةِ بِلَادِهِ.

وَرُغْمَ أَنَّ زَعَامَةَ «سَيَّاف» وَظُهُورَهَا عَلَى سَطْحِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ كَانَ يَبْدُو وَفَتْهَا كَأَثَرِ ثَانَوِيٍّ لِذَلِكَ الْمُؤْتَمَرِ، إِلَّا أَنَّهُ بِمُرُورِ الْوَقْتِ ظَهَرَ أَنَّهُ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أخطرِ الْأَحْدَاثِ فِي الْمَسَارِ السِّيَاسِيِّ لِلْقَضِيَّةِ، خَاصَّةً فِي عِلَاقَتِهَا بِالتِّيَّارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَعَاطَفَتْ عَنْ بُعْدٍ، أَوْ قَدِمَتْ لِلْمُشَارَكَةِ مِيدَانِيًّا فِي الْجِهَادِ. وَأَيْضًا مِنْ حَيْثُ تَفَاقُمِ الصَّرَاعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي حَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

نَعُودُ إِلَى الْحَدِيثِ الصَّحْفِيِّ الْأَوَّلِ الَّذِي أَذْلَى بِهِ «رِيَجَان» عَقَبَ تَوَلِيهِ الرِّئَاسَةَ فِي شَهْرِ يَنَآيِرِ ١٩٨٠ م بَعْدَ أَيَّامٍ مِنَ الْعَزْوِ السُّوفِيَّتِيِّ. لَقَدْ اِحْتَوَى الْبَيَانُ عَلَى هُجُومٍ عَنِيفٍ عَلَى الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ وَعَدَوَانِيَّةٍ ضِدَّ الشُّعُوبِ.

وَالَّذِي لَمْ يَلَا حِظَّهُ كَثِيرُونَ، أَوْ لَا حِظُّهُ وَلَمْ يُعِيرُوهُ اِهْتِمَامًا كَبِيرًا هُوَ ذَلِكَ الْهُجُومُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَإِشَارَتُهُ إِلَى «مَخَاطِرِ تَهْدُدِ الْمَصَالِحِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ مِنْ جَرَاءِ دَعَاوَى دِينِيَّةٍ بَدَأَتْ تَظْهَرُ هُنَاكَ تَقُولُ بِأَنَّ أَقْصَرَ الطَّرِيقِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ هُوَ قَتْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى». تِلْكَ الْفَقْرَةُ كَانَتْ الْمَقْصُودَ بِهَا

الإسلام كدين في إشارة واضحة إلى ضرورة مقاومة هذا الدين في الشرق الأوسط، وهو التعبير الملتوي المعبر عن بلاد العرب. وتصورنا وتصور معظم المسلمين وقتها أن المقصود هو «إيران الشيعية» وتبسم كثيرون اغتباطاً لهذا الهجوم الأمريكي ضد الشيعة.

واكتشفنا منذ عام ١٩٨٩م أننا كأهل السنة والجماعة كنا هدفاً رئيسياً، وجاء دورنا بعد حرب «تحرير الكويت» حيث أعلنت أمريكا الحرب صراحة على الإسلام في المنطقة العربية والعالم. لقد اعتبر معظم الإسلاميين من أهل السنة بأن حرب أمريكا ضد إيران بواسطة العراق ودول الخليج هو عمل يخدم الإسلام لأنه ضربة للشيعة الذين هم «أخطر من اليهود والنصارى» على حسب الإعلام الديني الشائع في ذلك الوقت^(١). وإذا أضفنا إلى ذلك الموقف الأمريكي الذي اعتبرناه ضمناً موقفاً مباركاً، ذلك الموقف الأمريكي المساند للحقوق الإسلامية في أفغانستان، ومساند للمسلمين هناك

(١) يتضح من تعليقات الأستاذ مصطفى حامد في مواطن كثيرة من كتابه أنه لا يعطي الرافضة قدرهم المناسب من الخطورة على الأمة الإسلامية، فهو يحسبهم - كما يتبدى في كلماته - أنهم يتمنون إلى ملة الإسلام على الرغم من انحرافاتهم الشديدة، وهذا مخالف لحقيقتهم الظاهرة والباطنة، فالرافضة كفار أصليون، ولا يطلق عليهم لفظ الردة حتى؛ فكفرهم لم يسبقه إسلام، فقد ولدوا على تلك العقائد الكفرية، وإن ادعوا الانتساب للإسلام.

وَ «المُجَاهِدِينَ» لِلْقِيَامِ بِوَأَجِبِهِمُ الْمُقَدَّسِ فِي قِتَالِ الشُّيُوعِيَّةِ، لَعَلِمْنَا أَنَّنَا فِعْلًا وَتَقْنًا - ضَمْنِيًّا - فِي مَوْقِفِ التَّحَالُفِ مَعَ أَمْرِيكَا، حَتَّى وَإِنْ كُنَّا نُصْرِحُ دَائِمًا وَنُقْتَبِي بِكُفْرِهَا وَطَاغُوتِيَّتِهَا.

اِخْتِصَارًا فَإِنَّ «رِيحَانَ» فِي بَيَانِهِ الصَّحْفِيِّ الْأَوَّلِ أَعْلَنَ الْحَرْبَ صَرَاحَةً ضِدَّ الشُّيُوعِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مَعًا، وَلَكِنَّا تَعَامِينَا وَفَتَهَا عَنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، وَظَنَّنَاهُ قَدْ أَعْلَنَ الْحَرْبَ عَلَى الشُّيُوعِيَّةِ وَالشُّيُوعَةِ، حَتَّى أَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَّا رَبَطَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ [وَوَظْنَ] أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وَاخْتَلَقَ لِذَلِكَ شَتَّى الْحِيلِ، وَصَبَغَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطِلَاءِ شَرْعِيٍّ. وَلَكِنَّ أَمْرِيكَا نَفْسَهَا صَفَعَتْنَا بِالْحَقِيقَةِ بَعْدَ أَنْ انْسَحَبَ الْجَيْشُ الْأَحْمَرُ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَقَدْ صرَّحَ كِبَارُ مَسْئُولِيهَا بِأَنَّ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ قَدْ وَاجَهَتْ هَذَا الْقَرْنَ ثَلَاثَةَ أَعْدَاءٍ، هُمْ النَّازِيَّةُ وَالشُّيُوعِيَّةُ وَالْإِسْلَامُ، وَقَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ هَزِيمَةِ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ وَبَقِيَ أَمَامَهَا الْعَدُوُّ الْأَخِيرُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

لَيْسَ هُنَاكَ بِالطَّبَعِ أَكْثَرُ صَرَاحَةً مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ، وَظَهَرَتْ الْعِدَاوَةُ الصَّلِيبِيَّةُ أَسْطَعَ مِنَ الشَّمْسِ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ، وَاکْتَشَفْنَا مُتَأَخِّرِينَ جِدًّا أَنَّ أَمْرِيكَا تُعَادِي الْإِسْلَامَ كَدِينٍ وَلَا تُعَادِي مَذْهَبًا أَوْ طَائِفَةً أَوْ حِزْبًا إِسْلَامِيًّا، بَلْ الْإِسْلَامَ كُلَّهُ بِأَوْسَعِ مَعَانِيهِ وَأَشْمَلِ مَظَاهِرِهِ، وَحَرْبًا عَقَائِدِيَّةً وَلَيْسَتْ حَرْبًا عَلَى مَصَالِحِ

اقتِصَادِيَّةٍ أَوْ مَنَاطِقَ نَفُوذِ فَقَطْ^(١).

بَعْدَ حَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ انْهَارَ الْاِتِّحَادُ السُّوفِيَّتِي وَارْتَمَى سُيُوعِيُو رُوسِيَا
وَالْعَالَمِ تَحْتَ أَقْدَامِ امْرِيكََا يُقَاتِلُونَ الْاِسْلَامَ تَحْتَ رَايَتِهَا؛ لِأَنَّ الشُّيُوعِيَّةَ نَفْسَهَا
هِيَ اِفْرَازُ طَبِيعِيٍّ لِلصَّلِيْبِيَّةِ التَّوْرَانِيَّةِ الَّتِي يَعْتَبِقُهَا الْعَرَبُ. وَقَدْ عَادَتِ الشُّيُوعِيَّةُ
إِلَى وَكْرِهَا الْأَصْلِيِّ وَمَنْبِتِهَا الْأَوَّلِ، عَادَتُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ، عَادَتُ كَيْ تُوَاجِهُ
مِنْ مَحْضَنِهَا الْأَصْلِيِّ عَدُوَّهَا الْأَسَاسِيَّ «الْاِسْلَامَ».

(١) لَوْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَرَأُوا كَلَامَ رَبِّهِمْ وَفَهَّمُوهُ لَمَا تَأَخَّرَ إِذْرَاكُهُمْ لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ، سَوَاءَ صَرَخَ بِهَا
النَّصَارَى أَوْ لَمْ يُصِرُّ حُوا بِهَا، وَوَاءَ شَنُّوا حَرْبًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ لَمْ يَفْعَلُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي
مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَأَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتَمِهِمْ قُلُوبُكَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَادِي وَلَكِنْ أَتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلْيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اِسْتَلْعَمُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣١٧﴾﴾ [البقرة]، إِلَى آخِرِ
تِلْكَ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي تَنْطِقُ بِدَوَامِ الْعِدَاوَةِ بَيْنِ الْاِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَبَيْنَ مِلَلِ الْكُفْرِ جَمِيعِهَا
عَلَى اِخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ، وَإِنَّمَا أُوتِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِبَلِ اِغْفَالِهِمْ لِشَرِيْعَةِ رَبِّهِمْ قُرْآنًا وَسُنَّةً وَلَا نَهْمَ
رَكْنًا إِلَى الدُّنْيَا وَعَرْضِهَا الرِّائِلِ وَاتَّخِذُوهَا دَارَ مُسْتَقَرٍّ بَدَلًا عَنْ كَوْنِهَا دَارَ سَفَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ.

أقول أنه في ظني أننا دخلنا التجربة الأفغانية كتيار إسلامي حركي يتوهم تحالفاً ضمناً مع الولايات المتحدة ويتعمى أو يتمنى غير الواقع الذي كان يكذب تلك الأمنيات ويفضح ذلك التعمي. ولكن القادة الأفغان وقادة العمل الإسلامي العظام في باكستان وبلاد العرب من تيار «الإخوان» قد دخلوا الساحة مبصرين وعلموا حدودهم ودورهم والتزموا به، والتزموا الصمت إزاء جمهور المسلمين، فلم يفصحوا ذلك الاتفاق؛ لأن ذلك بالطبع يحرق دورهم، بل يلغي وجودهم على الساحة الإسلامية.

أما التيار الحركي الذي توافد وشارك فقد كان موقفه يتفاوت بين العمى والتعمي، فيما عدا قلة نادرة أهمل عليها تراب النسيان، أو لطخت سمعتها بطين الاتهامات والإشاعات التي أطلقتها عليهم أجهزة التأمير العاملة فوق الساحة الأفغانية.

وهكذا طبق الصمت المتأمر على القضية الأفغانية مصحوباً بأعلى ضوضاء شهدها العمل الإسلامي في عصره الراهن. وكانت ضوضاء تضليلية لخداع المسلمين، استخدمتهم لمصالح أمريكا والغرب، ولكن تحت راية إسلامية جهادية هذه المرة. وكنا قد عهدنا في العقود القريبة من حياتنا أن ذلك الدور «خداع الشعوب المسلمة وتسخيرها لخدمة الغرب» عهدنا ذلك من التيارات العلمانية بشتى اتجاهاتها، قومية كانت أم اشتراكية أو وطنية.

نَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى السُّؤَالِ الْحَرِجِ وَالْمُخِيفِ: هَلْ تَتَحَوَّلُ الْحَرَكَةُ الْجِهَادِيَّةُ إِلَى الْعُوبَةِ فِي أَيْدِي الطَّاغُوتِ الدُّوَلِيِّ كَيْ يُحَقِّقَ بِهَا أَهْدَافَهُ؟ هَلْ يُحْرَمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ سِلَاحِهِمْ الْوَحِيدِ لِلدَّفَاعِ عَنِ أَنْفُسِهِمْ وَعَنْ دِينِهِمْ وَأَرْضِهِمْ، وَمَنْ وَسِيلَتِهِمْ الْوَحِيدَةَ لِإِقَامَةِ شَرْعِ دِينِهِمْ، أَلَا وَهُوَ الْجِهَادُ؟. لَقَدْ كَانَتْ أَفْغَانِسْتَانُ تَحْذِيرًا حَاطِرًا لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يُسْرِقَ مِنْهُمْ دِينَهُمْ، وَيَرْتَدُّ سِلَاحُهُمْ إِلَى صُدُورِهِمْ.

لَقَدْ سُرِفَتْ حَرَكَاتُ إِسْلَامِيَّةٌ وَأَحْزَابٌ وَجَمَاعَاتٌ، ضَلَّتْ وَسَقَطَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَحَتَّى أَنْ بَعْضُ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ قَدْ أَنْشَأَتْهَا الصَّلِيبِيَّةُ نَفْسُهَا لِمُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ دَاخِلِ صُنُوفِهِ. وَيَجِبُ أَنْ نَسْعَى جَمِيعًا حَتَّى لَا يَلَاقِيَ الْجِهَادُ نَفْسَ الْمَصِيرِ.

أَوْشَكَ الْمُؤْتَمَرُ الطَّارِئُ لُوزَرَاءِ خَارِجِيَّةِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْإِنْعِقَادِ، وَلَمْ تَكُنْ الْمُنْتَظَمَاتُ الْجِهَادِيَّةُ فِي حَالَةٍ مُشْرِفَةٍ تَسْمَحُ لَهَا بِحُضُورِ الْمُؤْتَمَرِ؛ فَالْخِلَافَاتُ مُسْتَعْرَةٌ وَالْإِنْقِسَامَاتُ وَصَلَتْ بَعْدَ الْأَحْزَابِ إِلَى سِتَّةِ أَحْزَابٍ كَامِلَةٍ. فَطَلَبْتُ بَاكِسْتَانَ مِنْهُمْ عِنْدَمَا وَجَدْتُ أَنَّ الزُّعَمَاءَ السِّتَّةَ يُرِيدُونَ حُضُورَ الْمُؤْتَمَرِ، كُلُّ زَعِيمٍ يُمَثِّلُ حِزْبَهُ، طَلَبْتُ اخْتِيَارَ شَخْصٍ وَاحِدٍ يُمَثِّلُ الْأَحْزَابَ جَمِيعًا أَمَامَ الْمُؤْتَمَرِ. كَانَتْ الْمُسْكَلَةُ الَّتِي يَخْشَاهَا الزُّعَمَاءُ أَنَّهُ فِي حَالِ اخْتِيَارِ مُمَثِّلٍ وَاحِدٍ عَنِ الْأَحْزَابِ يُخَاطَبُ الْمُؤْتَمَرُ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ الشَّخْصَ

المُعْتَمَدَ لَدَى الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ أَىَّ مَعُونَاتٍ خَارِجِيَّةٍ سَوْفَ يَسَلِّمُهَا نِيَابَةً عَنِ الْآخَرِينَ، وَالْاِحْتِمَالُ الْأَغْلَبُ أَنَّهُ سَوْفَ يَسْتَأْثِرُ بِهَا لِنَفْسِهِ، وَقَدْ يَتَحَوَّلُ إِلَى صَاحِبِ حِزْبٍ، فَمِنْ السَّهْلِ أَنْ يَشْتَرِيَ مَنْ يُرِيدُ وَمَا يُرِيدُ بِوِاسِطَةِ الْمَالِ. كَانَ ذَلِكَ قَانُونَهُمْ، وَأَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا كَمَا كَانَ يَحْلُو لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَقُولَ بَدُونِ أَنْ يُفْصَحَ عَنْ تِلْكَ الشُّعَابِ الْمَجْهُولَةِ.

لَقَدْ شَهِدْتُ الْأَحْزَابُ الْأَفْغَانِيَّةَ الْجِهَادِيَّةَ عِدَّةَ مَهَازِلِ اتِّحَادِيَّةٍ، وَكُلُّ مُحَاوَلَةٍ كَانَتْ تُؤَدِّي إِلَى عَكْسِ الْمَفْرُوضِ مِنْهَا. كَانَتْ تُزِيدُ الْخِلَافَاتِ وَيَزِيدُ عِدَّةَ الْأَحْزَابِ حِزْبًا جَدِيدًا. وَكَانَ الْحَلُّ التَّقْلِيدِيُّ عِنْدَمَا يَرْغَبُ حِزْبَانِ فِي الْاِتِّحَادِ هُوَ اخْتِيَارُ شَخْصِيَّةٍ ضَعِيفَةٍ كَيْ تَرَأْسَ الْاِتِّحَادِ الْمَزْعُومِ. وَمَا أَنْ تَبْدَأَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ فِي مُمَارَسَةِ شَيْءٍ مِنْ صِلَا حَيَاتِيَّهَا الْقِيَادِيَّةِ حَتَّى تَنْشَقَّ عَنْهَا الْأَحْزَابُ الْمَكُونَةُ لِلْاِتِّحَادِ وَتَبْقَى تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ وَبَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ وَالْمُحِبِّينَ فِي تَشْكِيلِهِمُ الْاِتِّحَادِيَّ مْتَّهَمِينَ الْآخَرِينَ بِالْمُرُوقِ وَالخُرُوجِ عَنِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَبِنَفْسِ الْأُسْلُوبِ وَصَلَ «عَبْدُ الرَّسُولِ سَيَّافٌ» إِلَى سُدَّةِ الزَّعَامَةِ؛ فَقَدْ كَانَ ضَعِيفًا، خَارِجًا لِتَوِّهِ مِنْ سُجُونِ «كَابُلٍ»، وَيَسْكُنُ فِي عُرْفَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ، وَيَتَلَقَّى مُسَاعَدَاتٍ مَالِيَّةٍ مِنْ أَصْدِقَائِهِ دَاخِلِ الْمُنْتَظَمَاتِ. كَانَ أَشَدَّ الْمُعْتَرِضِينَ عَلَى تَرْشِيحِ «سَيَّافٍ» هُوَ «حِكْمَتِيَّارُ» الَّذِي وَاجَهَهُ بِحَمَلَةٍ عَنِيفَةٍ مِنَ التَّشْكِيكِ وَالِاتِّهَامَاتِ؛ فَقَدْ كَانَ يَرَى «سَيَّافٍ» قَدْ خَرَجَ مُعَافَى مِنْ سُجُونِ الشُّيُوعِيَّةِ فِي

«كابل» فِي قِصَّةٍ غَيْرِ مُقْنَعَةٍ؛ حَيْثُ كَانَ الشُّيُوعِيُّونَ يَقْتُلُونَ لِمُجَرَّدِ الاِشْتِيَاءِ، فَمَا بِالْهُمِ بِشَخْصٍ مِثْلِ «سَيَّاف» كَانَ فِي صُفُوفِ مُتَقَدِّمَةِ مِنْ زَعَامَاتِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ فِي «كابل»؟! لِمَاذَا لَمْ يَقْتُلُوهُ وَهُوَ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ فِي السَّجْنِ؟!.



وَأَصَافَتْ مَصَادِرُ حِزْبِ «حِكْمَتِيَار» بِأَنَّ «سَيَّاف» قَدْ اسْتَفَادَ مِنْ حِمَايَةِ الزَّعِيمِ الشُّيُوعِيِّ «حَفِيظِ اللَّهِ آمِينَ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٥١] الْمُهَنْدِسَ الْحَقِيقِيَّ لِلانْقِلَابِ الشُّيُوعِيِّ، وَالَّذِي تَوَلَّى رِئَاسَةَ الدَّوْلَةِ بَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ مِنْ سَلْفِهِ «نُورِ مُحَمَّدِ طَرَاقِي»، فَقَدْ كَانَ «سَيَّاف» وَ «آمِينَ» أَبْنَاءَ خَالَةٍ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ «سَيَّاف» لَمْ

يُسْجَنَ فِي السَّجْنِ الرَّهَيْبِ «بُولِي شِرْخِي» بَلْ إِنَّهُ نُقِلَ سَرِيعًا إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْاِحْتِجَازِ الْمُرَفَّهِ تَحْتَ حِمَايَةِ ابْنِ خَالَتِهِ.

وَلَمَزَتْ مَصَادِرُ الْحِزْبِ فِي الظُّرُوفِ الَّتِي اعْتُقِلَ فِيهَا «سَيَّاف» فِي عَهْدِ

(١) حَفِيظُ اللَّهِ آمِينَ: أَحَدُ السَّاسَةِ الْأَفْغَانِ الَّذِينَ نَظَّمُوا ثَوْرَةَ «سَاوَر» الَّتِي أَطَاحَتْ بِحُكُومَةِ «مُحَمَّدِ دَاوُدِ خَانَ». وُلِدَ فِي «بَاغْمَانَ» فِي ١ أَوْغُسْتُس ١٩٢٩ م، وَالتَّحَقَّ بِالْجَامِعَةِ فِي «كَابُل»، ثُمَّ عَمِلَ مُدَرِّسًا لِسَنَوَاتٍ قَبْلَ بَدَأِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ، حَيْثُ انْضَمَّ لِحِزْبِ الْمَجْلِسِ الدِّيْمُوقْرَاطِيِّ الْأَفْغَانِيِّ، وَكَانَ نَائِبًا عَنْهُ فِي الْبَرْلَمَانَ فِي عَامِ ١٩٦٩ م. شَغِلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ لِفَتْرَةٍ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ ١٤ سِبْتَمْبَرِ ١٩٧٩ م وَحَتَّى ٢٧ دَيْسَمْبَرِ ١٩٧٩ م، وَمَا لَبِثَ أَنْ اغْتِيلَ عَلَى يَدِ السُّوفِيَّتِ فِي هُجُومٍ مُسَلَّحٍ عَلَى قَصْرِ «تَاجِيْبِيح».

«مُحَمَّدَ دَاوُدَ»؛ فَقَدْ اِعْتَقَلَ وَهُوَ فِي مَطَارِ «كَابُل»، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي بَعْثَةِ تَعْلِيمِيَّةٍ مَوْضُوعَهَا «التَّأْهِيلُ الْقَانُونِي»!! .
بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ فَإِنَّ الْإِفْرَاجَ عَنِ «سَيَّافٍ» فِي أَعْقَابِ الْاِحْتِلَالِ الرَّوْسِيِّ، وَاغْتِيَالِ ابْنِ خَالَتِهِ «أَمِينٍ» مَا كَانَ لِيَتَمَّ خَطَأً كَمَا يَدَّعِي «سَيَّافٍ»، وَلَا بُدَّ أَنْ وَرَاءَهُ تَدْيِيرٌ مُعَيَّنٌ بَيْنَ «سَيَّافٍ» وَالشُّيُوعِيِّينَ وَالرُّوسِ.

كَانَتْ الْاِتِّهَامَاتُ خَطِيرَةً، لَكِنَّ رَوَاجَ الشَّائِعَاتِ فِي وَسَطِ الْأَفْغَانِ سَوَاءً بِالْحَقِّ أَوْ بِالْبَاطِلِ أَفْقَدَ تِلْكَ الْاِتِّهَامَاتِ أَهْمِيَّتَهَا. لَقَدْ تَبَنَّى «يُونُسُ خَالِصٌ» وَ «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» قَضِيَّةَ «سَيَّافٍ»، وَمَارَسَا ضُغُوطًا عَلَى بَاقِي الْأَطْرَافِ لِقُبُولِهِ حَتَّى نَجَحَ مَسْعَاهُمْ. وَقَدْ نَدِمَا عَلَى ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ. وَظَهَرَ إِلَى الْوُجُودِ اتِّحَادٌ جَدِيدٌ هُوَ «الْاِتِّحَادُ الْإِسْلَامِيُّ لِتَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ» وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّبَعِ هُوَ الْاِتِّحَادُ الْأَخِيرُ.

كَانَ الزَّمِيلُ «سَمِيرُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» يُعْطِي وَقَائِعَ الْمُؤْتَمَرِ مَنْدُوبًا عَنِ صَحِيفَةِ «الْاِتِّحَادِ»، وَكَانَ مُتَحَمِّسًا لِلْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَتَعْطِيَتُهُ الْمِيدَانِيَّةُ لِزِيَارَتِهِ لَوْلَايَةِ «بَاكْتِيَا» أَكْسَبَتْهُ شُهْرَةً وَأَكْسَبَتِ الصَّحِيفَةَ شَعْبِيَّةً كَبِيرَةً. وَقَدْ شَارَكَ «سَمِيرُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فِي مَجْهُودَاتِ الْوَحْدَةِ بَيْنَ الْمُنْتَظَمَاتِ، وَكَانَ يَرَى خُطُورَةَ الْخِلَافَاتِ الشَّخْصِيَّةِ بَيْنَ الْقَادَةِ، وَكَانَ يَتَشَكَّكُ فِي قَادَةِ الْمَكَاتِبِ فِي «بِشَاوَرٍ»، وَيَكُنُّ احْتِرَامًا كَبِيرًا لـ «يُونُسِ خَالِصٍ» كَقَائِدِ حِزْبٍ وَقَائِدِ حَرْبٍ

مِيدَانِي. صَدِيقُنَا «أَحْمَدُ الْمِنْيَاوِي» حَضَرَ أَيْضًا تِلْكَ الْمُسَاوَرَاتِ، وَكَانَ قَدْ عَادَ لِتَوَّهِ مِنْ «جَلالِ آبَاد» حَيْثُ شَارَكَ فِي عَمَلِيَّةٍ عَلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ بِرِفْقَةِ جَمَاعَةٍ تَابِعَةٍ لِمَوْلَايِ «خَالِص».

لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِنَا «الْمِنْيَاوِي» دَوْرًا سِيَّاسِيًّا بِهَذِهِ الْخُطُورَةِ؛ فَقَدْ انْتَهَى مُؤْتَمَرُ وُزَرَاءِ الْخَارِجِيَّةِ بِدُونِ أَيِّ التِّزَامَاتِ وَاضِحَةٍ أَوْ مُسَاعَدَاتٍ لِلشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ. كَانَ فَقَطْ مُنَاسَبَةً لِتَسْجِيلِ مَوْقِفِ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَيُّ نَتَائِجٍ. كَانَتْ صَدْمَةٌ لِلْقَادَةِ الْأَفْغَانِ وَصَدْمَةٌ لِأَنْصَارِ الْجِهَادِ وَالْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ صَدِيقِنَا «الْمِنْيَاوِي» وَالصَّحْفِيِّ «سَمِيرِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ»، فَطَلَبَ الْإِثْنَانِ مِنْ «سَيَّافٍ» أَنْ يَتَرَأَسَ وَفَدًا أَفْغَانِيًّا كَيْ يَزُورَ دَوْلَ الْخَلِيجِ لِطَلْبِ الْمُسَاعَدَةِ مِنَ النَّاسِ مُبَاشَرَةً. وَكَانَتْ الْمُسْكَكَةُ أَنَّ «سَيَّافٍ» لَمْ يَتَلَقَّ دَعْوَةَ رَسْمِيَّةً بِزِيَارَةِ أَيِّ مِنْ دَوْلِ الْخَلِيجِ، فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى هُنَاكَ؟.

وَالْمُسْكَكَةُ الْأُخْرَى أَنْ زِيَارَتَهُ بِصِفَتِهِ الرَّسْمِيَّةِ الْحَالِيَّةِ كَرَيْسٍ لِاتِّحَادِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ أَصْبَحَ لَهَا تَبَعَاتٌ سِيَّاسِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِالرَّوَابِطِ بَيْنَ الدَّوَلَةِ الدَّاعِيَّةِ وَبَيْنَ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ.

وَلَمَّا كَانَتْ الْعَقْلِيَّةُ الصَّعِيدِيَّةُ لَا تَرْتَبُطُ كَثِيرًا بِالْمَنْطِقِ - وَذَلِكَ مِنْ أَوْجُهٍ الشَّبهِ بَيْنَ الصَّعَايِدَةِ وَالْأَفْغَانِ، حَتَّى أَنْ أَحَدَ أَصْدِقَائِنَا الصَّعَايِدَةِ الْمُجَاهِدِينَ كَانَ يَقْدِمُ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ فُلَانُ الْفُلَانِيِّ مِنْ «صَعِيدِسْتَانِ» - لِذَلِكَ فَإِنَّ صَدِيقِنَا

«الْمِنْيَاوِيَّ» اقْتَرَحَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَسْعَى إِلَى الْحُصُولِ عَلَى تَأْشِيرَةِ لَوْفِدِ الْمُجَاهِدِينَ بِرِثَاسَةِ «سَيَّافٍ» عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ وَفِدٌ بَاكِسْتَانِيٌّ جَاءَ لِلْحُصُولِ عَلَى تَبَرُّعَاتٍ لِمَدْرَسَةِ دِينِيَّةٍ. وَعَلَى الْفَوْرِ وَافَقَ الصَّعَايِدَةَ الْأَفْغَانَ عَلَى اقْتِرَاحِ «الْمِنْيَاوِيَّ» أَوْ كَبِيرِ الصَّعَايِدَةَ كَمَا كُنْتُ أَطْلُقُ عَلَيْهِ أحيانًا، وَقَامَ «سَيَّافٌ» بِتَحْدِيدِ شَخْصِيَّاتِ الْوَفْدِ، وَكَانُوا كَالتَّالِي: «عَبْدُ الرَّسُولِ سَيَّافٌ»، «صِبْغَةُ اللَّهِ مُجَدِّدِي»، «مُحَمَّدُ نَبِيِّ مُحَمَّدِي»، «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي».

كَانَ صَدِيقَنَا الصَّعِيدِيَّ يَعْمَلُ وَقْتَهَا سِكْرَتِيرًا لِلدُّكْتُورِ «عِزُّ الدِّينِ



إِبْرَاهِيمَ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٥٢] الْمُسْتَشَارُ الثَّقَافِيُّ لِرئيسِ

الدَّوْلَةِ آنَذَاكَ وَحَتَّى تَارِيخِهِ. وَكَانَ الدُّكْتُورُ فِي شَبَابِهِ مِنْ

صُقُورِ «الإِخْوَانِ»، وَأَبْدَى تَعَاطُفًا مَعَ مَشْرُوعِ رِحْلَتِنَا

الأُولَى إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، وَتَكَلَّمَ مَعَنَا قَبْلَ رِحْلَتِنَا عَنْ

فَرِضِيَّةِ الْجِهَادِ، وَلَكِنَّهُ تَشَكَّكَ فِي الْوَضْعِ الْأَفْغَانِيِّ، وَقَالَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَكَانَ

(١) عِزُّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ: مِصْرِيٌّ عَمَلَ مُسْتَشَارًا ثَقَافِيًّا لِلشَّيْخِ «زَايِدٍ»، وَوُلِدَ فِي عَامِ ١٩٢٨ م، حَصَلَ عَلَى

لِلسَانِسِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ جَامِعَةِ «القَاهِرَةِ»، وَدُبُلُومِ التَّرْبِيَّةِ وَعِلْمِ النَّفْسِ مِنْ جَامِعَةِ «عَيْنِ شَمْسٍ»،

إِلَى جَانِبِ الْعَدِيدِ مِنَ الشَّهَادَاتِ وَالْمُؤَهَّلَاتِ مِنْ خَارِجِ مِصْرَ فِي مَجَالَاتِ الْفَلَسْفَةِ وَالْآدَابِ. شَغَلَ

مَنْصِبَ مُدِيرِ جَامِعَةِ الإِمَارَاتِ، وَهُوَ أَحَدُ كَوَادِرِ جَمَاعَةِ «الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، وَهُوَ مُؤَسَّسُ التَّنْظِيمِ

فِي لِيْبِيَا بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ.

الْمُنَاسِبَ. بِالطَّبَعِ لَمْ يُعْجِبْنَا رَأْيَهُ رُغْمَ أَنَّهُ قَالَ بَأْتَهُ لَا يَأْمُرُنَا وَلَا يَنْهَانَا. تَذَكَّرْتُ وَقْتَهَا مَا قَالَ لِي شَيْوْخُ الْأَوْقَافِ قَبْلَ ذَلِكَ بِعَامٍ قَبْلَ سَفَرِي إِلَى لُبْنَانَ.

كَانَ مِنْ صَلَاحِيَّاتِ مَكْتَبِ الدُّكْتُورِ «عِزُّ الدِّينِ» التَّقَدُّمُ إِلَى مَكْتَبِ الْجَوَازَاتِ بِطَلَبِ تَأْشِيرَاتِ زِيَارَةِ اللُّوْفُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَادِمَةِ إِلَى الْإِمَارَاتِ. تَكْفَلُ «أَحْمَدُ» بِتَمْرِيرِ أَوْرَاقِ الْوَفْدِ عَبْرَ الْقَنَوَاتِ الرَّسْمِيَّةِ كَوَاحِدٍ مِنَ الْوَفُودِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي تَأْتِي لِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ مِنْ مَسَاجِدِ الدَّوْلَةِ وَتَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنْ هَيْئَاتِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ. وَلَمْ يَنْتَبِهْ أَحَدٌ إِلَى أَسْمَاءِ الْوَفْدِ الَّذِينَ لَا يَدْرِي عَنْهُمْ مُوظَّفُو الدَّوْلَةِ أَيَّ شَيْءٍ.

وَصَلَ وَفْدُ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى مَطَارِ «أَبُو ظَبْيٍ»، وَكُنْتُ فِي اسْتِقْبَالِهِمْ مَعَ «الْمِنيَاوِي». وَحَدَّثَ ارْتِبَاكُ قَلِيلٌ فِي الْمَطَارِ حَيْثُ لَمْ يَحْضُرْ مَنْدُوبٌ رَسْمِيٌّ مِنْ مُوظَّفِي الدَّوْلَةِ لِاسْتِقْبَالِ الْوَفْدِ كَمَا يَمْتَضِي بِذَلِكَ «الْبُرُوتوكول»، حَتَّى أَنْ أَحَدَ مُوظَّفِي الْمَطَارِ تَشَكَّكَ فِي صِحَّةِ التَّأْشِيرَةِ، وَلَكِنَّ تَدَخُّلَاتِ «الْمِنيَاوِي» وَمَعْرِفَتُهُ الْعَمِيقَةَ بِالْإِجْرَاءَاتِ أَنْقَذَتِ الْمَوْقِفَ.

وَخَرَجَ الْوَفْدُ إِلَى سَاحَةِ الْخَلِيجِ الْوَاسِعَةِ مَبْهُورًا بِأَضْوَاءِ الْحَضَارَةِ وَبِهَارِجِ الْحَيَاةِ الْخَلِيجِيَّةِ. وَاصْطَحَبْنَاهُمْ إِلَى فُنْدِيقِ فَخْمٍ فِي الْعَاصِمَةِ حَيْثُ شَعَلُوا عِدَّةَ غُرَفٍ كَصُيُوفٍ عَلَى الدَّوْلَةِ. وَسَارَعْنَا بِإِبْلَاحِ الْخَبَرِ إِلَى صَدِيقِنَا «سَمِيرِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» كَيْ تَفَاجَأَ دَوَائِرُ الدَّوْلَةِ وَعَلَى رَأْسِهَا وَزَارَةُ الْخَارِجِيَّةِ بِأَنَّ وَفْدًا عَالِي

المُسْتَوَى لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ بِرِئَاسَةِ «الْبُرُوفُوسُور» «عَبْدِ الرَّسُولِ سَيَّاف» يُقَوْمُ بِزِيَارَةِ لِلدَّوْلَةِ بِنَاءً عَلَى دَعْوَةِ رَسْمِيَّةٍ وَجْهَتْ إِلَيْهِمْ!!، وَكَانَتْ الطَّامَّةُ الكُبْرَى.

وَبَدَأَتْ التَّحْرِيَّاتُ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ مَنْحِ التَّأْشِيرَةِ لِلْوَفْدِ الْأَفْغَانِيِّ، وَتَعَالَتْ الصَّيْحَاتُ فِي الْخَارِجِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَمَكْتَبِ الْمُسْتَشَارِ الثَّقَافِيِّ. الْاِحْتِيَاطَاتُ الَّتِي اتَّخَذَهَا «الْمِنْيَاوِي» أَوْقَفَتِ الْكَارِثَةَ؛ فَقَدْ كَانَ مِنْ ضِمْنِ التَّوْقِيعَاتِ عَلَى طَلَبِ التَّأْشِيرَةِ تَوْقِيعًا مِنْ مَكْتَبِ الشَّيْخِ «سُرُور» أَقْوَى رَجُلٍ فِي الْحُكُومَةِ، وَالَّذِي يَتَرَأَسُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ دَوَائِرِهَا الرَّسْمِيَّةِ. وَعِنْدَ صَحْرَةِ «سُرُور» تَوَقَّفَتِ الْعَاصِفَةُ، وَابْتَلَعَتِ الْخَارِجِيَّةُ الْمَسْمَارَ الصَّدِئَ وَاضْطَرَّتْ إِلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْأَمْرِ الْوَاقِعِ. أَمَّا «سُرُور» نَفْسُهُ فَلَمْ يَكُنْ دَاخِلَ الدَّوْلَةِ وَقْتَهَا، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى تَوْجِيهِ السُّؤَالِ إِلَيْهِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ، وَأُظْنُهُ لَا يَعْلَمُ مَا حَدَثَ إِلَى الْآنِ.

كَانَتْ تِلْكَ الزِّيَارَةُ الْمُعْجِزَةُ [هِيَ] الْخُطُوبَةُ الْأُولَى لـ «سَيَّاف» كَيْ يُرْسِي دَعَائِمَ قُوَّةٍ لِعَلَّاقَاتِهِ الْعَرَبِيَّةَ بِشَقَائِهَا الرَّسْمِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ. بَلْ كَانَتْ فُرْصَةً لِأَوَّلِ لِقَاءٍ مُبَاشِرٍ بَيْنَ جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ وَالشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، خَاصَّةً شُعُوبِ الْخَلِيجِ الَّتِي لَعِبَتْ الدَّورَ الْأَهَمَّ فِي جَانِبِ «التَّمْوِيلِ الشَّعْبِيِّ» لِلْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ.

أَجْرَى «سَيَّاف» خَاصَّةً، وَالْوَفْدُ الْمُرَافِقُ عَامَّةً لِقَاءَاتٍ وَاسِعَةً جِدًّا دَاخِلَ مُدُنِ الْإِمَارَاتِ. وَقَابَلُوا مَا لَا يُحْصَى مِنْ الْأَفْرَادِ الْعَادِيَّيْنَ وَالْمُتَحَمِّسِينَ

وَالْمُسْلِمِينَ الْمُتَدَيِّنِينَ، وَعَقِدَتْ لِقَاءَاتٍ كَثِيرَةً فِي الْمَسَاجِدِ، وَحَتَّى دَاخَلَ تَجْمَعَاتِ الْأَفْغَانِ، خَاصَّةً الْمَنْطِقَةَ الصَّنَاعِيَّةَ فِي مَدِينَةِ «الْعَيْنِ» الَّتِي تُعْتَبَرُ مَعْقَلًا لِلبَشْتُونَ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ وَبَاكِسْتَانَ.

كُنْتُ أَتَنَوَّبُ مَعَ الصَّدِيقَيْنِ «أَحْمَدَ» وَ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَى مَهَامِّ خِدْمَةِ الْوَفْدِ مِنْ قِيَادَةِ السِّيَارَاتِ إِلَى الْإِتِّصَالَاتِ وَالْمُكَاتَبَاتِ إِلَى الْإِسْتِشَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَتَحْدِيدِ جَدَاوِلِ الْمَوَاعِيدِ وَالزِّيَارَاتِ إِلَى تَرْتِيبِ الْمُقَابَلَاتِ الصَّحْفِيَّةِ. كَانَتْ الزِّيَارَةُ نَاجِحَةً لِلغَايَةِ، وَتَرَكْتُ تَأْثِيرًا عَمِيقًا وَإِجَابِيًّا لِصَالِحِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَانْهَلَتْ التَّبَرُّعَاتُ عَلَى الْوَفْدِ. وَلَمْ نُذِرْكَ وَقْتَهَا أَنْهَا بَدَايَةُ النِّهَائَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلاتِّحَادِ الْجَدِيدِ.

وَكَانَ الْهَدَفُ الْأَكْبَرُ وَقْتَهَا هُوَ تَرْتِيبُ لِقَاءِ الْوَفْدِ مَعَ رَئِيسِ الدَّوْلَةِ. لَمْ يَكُنِ الْمَوْضُوعُ سَهْلًا، فَالْخَارِجِيَّةُ مُسْتَاءَةٌ مِنْ تِلْكَ الْوَرُطَةِ، وَمَكْتَبُ الرَّئِيسِ لَا يَفْهَمُ كَيْفَ حَضَرَ هَؤُلَاءِ وَمَنْ أَحْضَرَهُمْ وَلِمَاذَا؟. وَظَلَّ كِبَارُ الْمُسْؤُولِينَ الرَّسْمِيِّينَ مُتَوَجِّسِينَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ رَدُّ فِعْلِ رَئِيسِ الدَّوْلَةِ تَجَاهَ الزِّيَارَةِ غَيْرِ وُدِّيٍّ، وَقْتَهَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتَطَايَرَ رُؤُوسٌ كَثِيرَةٌ.

كَانَ لِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» شَيْءٌ وَاضِحٌ مِنَ النُّفُوزِ فِي بِيْرُوقْرَاطِيَّةِ الدَّوْلَةِ آنَذَاكَ، خَاصَّةً فِي وَزَارَةِ التَّرْبِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ حَيْثُ كَانَ وَزِيرُهَا مُحْسُوبًا عَلَى تِيَارِ «الْإِخْوَانِ»، وَبِالتَّالِي كَانَتْ الْوَزَارَةُ أَحَدَ مَعَاقِلِهِمُ الرَّئِيسِيَّةِ. كَذَلِكَ وَزَارَةُ

الأوقافِ حيثُ وكيَلها مِنْ نُشطاءِ «الإخوان»، وَكانتُ وَزارتُهُ بِالتَّاليِ تَعُجُّ بِعناصِرِ «الإخوان» مِنْ مُختلفِ الجِنسيَّاتِ. وَأذكُرُ مُديرَ مَكتَبِهِ فِي «دُبَيِّ»، الأَخ «مَسعود» وَهُوَ مِصْرِيّ الجِنسيَّةِ، وَكانَ مُحَرِّكًا نَشيطًا لِتَسريعِ الصِّدامِ بَيْنَ مَجْمُوعَتِنَا الصَّغِيرَةِ وَقيادَةِ «سَياف»، حَتَّى نَجَحَ بَعْدَ حَوالِي خَمسِ سَنَواتٍ مِنْ تارِيخِ تِلْكَ الزِّيَّارَةِ فِي اسْتِصْدارِ فَرمانٍ مِنْ «سَياف» أَثناءَ زيارَتِهِ لـ «دُبَيِّ» بِإهدارِ دَمِي.

تَوَلَّى «مَسعود» الإِشْرافَ عَلى بَرنامِجِ «سَياف» المُتعلِّقِ بِاجْتِماعاتِهِ مَعَ قياداتِ وَعناصِرِ «الإخوان» فِي الإِماراتِ. وَدَفَعَ مَجْمُوعَتَنَا الصَّغِيرَةَ إِلى الخَلْفِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِتِلْكَ الفَقْرَةِ، وَلَكِنْ بَدُّلُوماسِيَّةِ ناعِمَةٍ، وَلَمْ نَعْتَرِضْ عَلى ذَلِكِ، وَاعتَبَرناهُ حَقًّا مَشْرُوعًا لهُم.

لَقَدْ لَاحَظنا مُحاولاتِ «الإخوان» رُكُوبَ المَوجَةِ وَالظُّهورَ الجَماهيرِيّ فِي قَضيَّةِ شَهِيرَةٍ. لَمْ يَدُرْ فِي خُلْدِنَا مُنافِسةُ «الإخوان» فِي ذَلِكِ المَجالِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكِ مُمكِنًا عَلى آيَةِ حَالٍ. وَمَا كانَ يَشعُرنَا وَقتَها وَظَلَّ كَذَلِكِ لِعِدَّةِ سَنَواتٍ وَبِالتَّحديدِ حَتَّى عامِ ١٩٨٤مَ حَيْثُ فَقدنا الأَمَلَ، كانَ هاجِسنا هُوَ تَحويلُ أَفغانِستانَ إِلى قِبَلَةِ لَطوايِبِ المُجاهِدينَ العَرَبِ، وَأَنْ يَتَوَلَّى «الإخوانُ المُسْلِمِينَ» - بِحُكمِ خِبرَتِهِمُ التَّاريخِيَّةِ وَوَفرةِ كَوادِرِهِمُ فِيمَا نَتَصَوَّرُ- أَنْ يَتَوَلَّوا تَنْظيمَ هَذَا العَمَلِ وَالإِشْرافَ عَلِيهِ. وَهَذِهِ النُّقطةُ بِالتَّحديدِ هِيَ الَّتِي

دَمَّرَتْ عِلَاقَاتِنَا مَعَهُمْ وَحَوَّلَتْهَا إِلَى حَالَةٍ مِنَ الْعَدَاءِ وَحَرْبٍ شَتَّوْهَا عَلَيْنَا بِدُونِ سَابِقِ إِنْذَارٍ.

أُطْلِقَتْ دَوَائِرُ «الإِخْوَانِ» خَبْرًا مَفَادُهُ أَنَّ الْأَفْغَانَ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مُتَطَوِّعِينَ، وَأَنَّ لَدَيْهِمْ مَا يَكْفِي مِنَ الرِّجَالِ، وَأَنَّهُمْ فَقَطٌ فِي حَاجَةِ إِلَى الْأَمْوَالِ لِشِرَاءِ الْأَسْلِحَةِ وَفِي حَاجَةِ لِمَعُونَاتٍ عَيْنِيَّةٍ لِلْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الْمَلَابِسِ وَالْأَدْوِيَةِ. وَأَرْفَقُوا ذَلِكَ بِفَتْوَى مَجْهُولَةٍ الْمَصْدَرِ تَقُولُ بِأَنَّ الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِنَّمَا هُوَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ وَلَيْسَ بِفَرَضٍ عَيْنٍ^(١).

(١) الْقَوْلُ بِأَنَّ الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَوْ غَيْرَهَا فَرَضٌ كِفَايَةٌ هُوَ قَوْلٌ صَحِيحٌ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ تَحَقُّقِ حَدِّ الْكِفَايَةِ الَّذِي يَكْفُلُ النَّصْرَ وَخُرُوجَ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانِهِمْ مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ دَهَمَ الْعَدُوُّ بِلَدَةٍ مُسْلِمَةً وَكَانَ أَهْلُهَا كَافِرِينَ لَصَدُّ صَوْلَةِ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ الْجِهَادَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ الْبَلَدَةِ يَكُونُ فَرَضٌ عَيْنٍ وَالْجِهَادُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَدُورُ بَيْنَ الْجَوَازِ وَالِاسْتِحْبَابِ، وَيُوصَفُ الْجِهَادُ بِعَامَّةٍ هُنَا بِأَنَّهُ فَرَضٌ كِفَايَةٌ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ تَحَقُّقِ حَدِّ الْكِفَايَةِ يَقِينًا. أَمَّا إِذَا كَمْ يَتَحَقَّقُ حَدُّ الْكِفَايَةِ، وَكَمْ يَكْفِي الْمُسْلِمُونَ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ عَلَى صَدِّ الْمُشْرِكِينَ لِعَدَمِ كِفَايَتِهِمْ أَوْ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ أَوْ لِخِيَانَةِ بَعْضِهِمْ أَوْ لِكَسَلِهِمْ أَوْ لِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ فَإِنَّ الْجِهَادَ يُمَسِّي فَرَضٌ عَيْنٍ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهَكَذَا تَسَعُّ دَائِرَةُ فَرَضِيَّةِ الْعَيْنِ حَتَّى تَعُمَّ الْأُمَّةَ بِأَكْمَلِهَا، لِذَا فَإِنَّ الْجِهَادَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَرَضٌ عَيْنٍ عَلَى الْأُمَّةِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ إِلَى تَحَقُّقِ حَدِّ الْكِفَايَةِ. وَبِالطَّبَعِ فَإِنَّ هَذَا الْحَدَّ كَمْ يَتَحَقَّقُ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ الْحَدِيثَ قَطُّ، وَلَا تَحَقَّقُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَلَا فِي غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا أُصْدِرَ عُلَمَاءُ السُّوءِ هَؤُلَاءِ تِلْكَ الْفَتْوَى الْأَثِمَةَ بَعْدَ تَقْدِيمِهِمْ بِأَنَّ الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى رِجَالٍ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ هِيَ الْمَدْخُلُ

كَانَ الْخَبْرُ وَالْفَتْوَى الْمُرَافِقَةُ لَهُ لَطْمَةً قَاصِيَةً لِمَشْرُوعِنَا الطَّمُوحِ، وَكَانَتْ خَيْبَةً أَمَلْنَا مَأْسَاوِيَةً عِنْدَمَا عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الرَّأْيُ الرَّسْمِيُّ لِلْإِخْوَانِ؛ فَقَدْ كَانَ فِي تَقْدِيرِنَا أَنَّ مَشْرُوعَنَا الْجِهَادِيَّ لَا يَسْتَطِيعُ تَنْفِيذُهُ سِوَى «الْإِخْوَانِ» أَصْحَابِ الْخَبْرَاتِ وَالتَّنْظِيمِ الدَّوْلِيِّ الضَّخْمِ.

فَاجَانَا بَعْضُ كِبَارِ «الْإِخْوَانِ» فِي الْإِمَارَاتِ أَنَّ مَا يَقُولُونَهُ حَوْلَ اخْتِيَابَاتِ الْمُجَاهِدِينَ وَفَرَضِيَّةِ الْجِهَادِ، إِنَّمَا مَصْدَرُهُ «أَمِيرُ الْجِهَادِ» وَرَأْسُ الْاِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ «الْبُرُوفُوسُور» «سَيَاف».

وَلَكِنَّ «سَيَاف» الَّذِي يَعْرِفُ طُمُوحَاتِنَا الْجِهَادِيَّةَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ خِلَالِ أَحَادِيثِنَا مَعَهُ نَفَى ذَلِكَ نَفْيًا قَاطِعًا. فَاتَّفَقْنَا مَعَهُ - لِإِزَالَةِ اللَّبْسِ حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ الْحَيَوِيَّةِ - بِأَنْ يُصْرَحَ فِي مُؤْتَمَرٍ صَحْفِيٍّ بِحَاجَةِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ إِلَى مُتَطَوِّعِينَ مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَعْقُولِ - بِالنِّسْبَةِ لَنَا عَلَى الْأَقْلِ - أَنْ يُوَاجِهَ شَعْبٌ صَغِيرُ الْعَدَدِ مِثْلَ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ جَيْشًا ضَخْمًا لِكُتْلَةِ دَوْلِيَّةٍ يَتَقَرَّبُ تَعْدَادُهَا مِنْ نِصْفِ الْمِليَارِ، وَهُوَ بِشَهَادَةِ الْعَالَمِ يُعْتَبَرُ أَضْحَمَّ

الْوَحِيدُ لِلْقَوْلِ بِأَنَّ الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِنَّمَا هُوَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ عَلَى اعْتِبَارِ تَحَقُّقِ حَدِّ الْكِفَايَةِ، وَهَذَا لِعَمْرِي خِيَانَةٌ لِلْأُمَّةِ لَا تُغْتَفَرُ وَتَدْلِيْسٌ وَكَذِبٌ، وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَى كَذِبِ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِمْرَارِ الْجِهَادِ الَّذِي تَحَقَّقَ فِيهِ حَدُّ الْكِفَايَةِ - بَرَعْمِهِمْ - أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ.

جَيْشٍ بَرِّيٍّ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

فَلَا مَجَالَ - فِيمَا نَرَى - لِلْحَدِيثِ عَنْ عَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى مُتَطَوِّعِينَ أَوْ الْقَوْلِ بِفَرَضِ الْكِفَايَةِ لِأَنَّهُ حَتَّى لَوْ تَدَخَّلَتِ الْجُيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ كُلُّهَا فِي أُنْفَاعِنِسْتَانَ فَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَافِيًا. وَتَكْفِي خِبْرَةُ الْحُرُوبِ مَعَ إِسْرَائِيلَ، فَكَيْفَ يَكُونُ عِدَّةٌ مِثَاتٍ أَوْ آلَافٍ مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ الْمَدَنِيِّينَ غَيْرَ ضَرُورِيٍّ؟! وَكَيْفَ يُمَكِّنُ تَدْرِيْبُ وَتَنْظِيمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَطَوِّعِينَ بِدُونِ جِهَازٍ مُنظَّمٍ [ذِي] خِبْرَةٍ مِثْلِ الْإِخْوَانِ؟.

رَتَبْنَا مُؤْتَمَرًا صَحْفِيًّا لِـ «سَيَّافٍ» وَالْوَفْدِ الْمُرَافِقِ لَهُ، عُقِدَ فِي الْفُنْدُقِ الَّذِي يُقِيمُ بِهِ الْوَفْدُ فِي «أَبُو ظَبِي». اتَّصَلْنَا بِالصُّحُفِ الْمَحَلِّيَّةِ، وَقَبْلَ بَدَايَةِ الْمُؤْتَمَرِ اتَّفَقْنَا مَعَ مَنْدُوبِ جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» عَلَى تَوْجِيهِ السُّؤَالِ التَّالِي: «هَلْ أَنْتُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى مُتَطَوِّعِينَ مُسْلِمِينَ لِمُسَانَدَتِكُمْ فِي الْجِهَادِ؟».

عُقِدَ الْمُؤْتَمَرُ وَانْهَأَتْ الْأَسْئَلَةُ وَتَأَخَّرَ سُؤَالُنَا الْمَنْشُودُ حَتَّى قُرْبِ نِهَآيَةِ الْجُلْسَةِ. وَمَا أَنْ أَلْقَى مَنْدُوبُ جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» السُّؤَالَ حَتَّى تَكْهَرَبَتْ أَعْصَابُنَا وَتَعَلَّقَتْ أَنْظَارُنَا بِالْأُسْتَاذِ «سَيَّافٍ» الَّذِي تَلَقَّى السُّؤَالَ وَنَهَى لِلْإِجَابَةِ. وَلَكِنَّ «صِبْغَةَ اللَّهِ مُجَدِّدِي» اَنْدَفَعَ كَالْقُنْبَلَةِ وَتَوَلَّى الْإِجَابَةَ بِعَعْصِيَّةٍ وَاضِحَةٍ قَائِلًا: «نَحْنُ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى رِجَالٍ وَلَكِنَّا فِي حَاجَةٍ إِلَى أَمْوَالٍ وَأَسْلِحَةٍ لِلْقِتَالِ، وَأَنَّ عَلَى الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ وَدُوَلِ الْغَرْبِ أَنْ تُمَدَّ الشَّعْبَ الْأَفْغَانِيَّ بِمُخْتَلَفِ نَوَاحِي الدَّعْمِ السِّيَاسِيِّ وَالْمَادِّي كَيْ يُوَاجِهَ الْغَزْوَ السُّوفِيَّتِيَّ».

اعتبر الصحافيون إجابة «مجددي» هي الإجابة الرئيسية، رغم أن «سياف» عقب عليها بردّ دبلوماسي لا يفيد شيئاً حيث قال: «إن الشعب الأفغاني يتصدى ببطولة للغزو السوفييتي، ولكن إذا كنا نحن لسنا في حاجة للمتطوعين المسلمين، أليس المسلمون في حاجة إلى الجهاد؟».

في كل المناسبات التالية ولمدة سنوات كان «سياف» يكرر نفس الجملة عند تعرضه لهذه النقطة الهامة. كان تخلصاً دبلوماسياً لبقاً من «أمير الجهاد»، فلا هو طلب متطوعين ولا هو رفض، وعلى كل طرف أن يفهم الجملة حسب هواه.

اكتشفنا في وقت متأخر نسبياً أنه من المحذور على «قادة الجهاد» من زعماء المنظمات في «بيشاور» توجيه دعوة عامة للتطوع في صفوف المجاهدين الأفغان، أي إعلان جهاد إسلامي عام، والاقتصار على «جهاد أفغاني» وهو لفظ لا أظنه خرج إلا من خزانة المصطلحات الصليبية اليهودية؛ لأنه شعار يدمر مفهوم الجهاد ويحوّله إلى عمل وطني بالمفهوم الغربي وليس فريضة وتكليفاً على أمة الإسلام التي لا تعترف أصلاً بالحدود السياسية التي فرضتها «الحضارة» الصليبية على بلاد المسلمين.

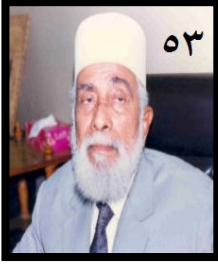
لقد ساد مصطلح «الجهاد الأفغاني» طوال مدة الحرب الأفغانية في كل صفوف المسلمين، ولم يتبّه إلا القليلون إلى المصيبة التي يحملها في ثناياه

ذَلِكَ الاِصْطِلَاحُ الْمَشْتُومُ، وَالَّذِي لَمْ يَسْبِقِ اسْتِخْدَامُهُ فِي أَيِّ عَمَلِيَّةٍ جِهَادِيَّةٍ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ، أَنَّهُ جِهَادٌ مُرْتَبِطٌ بِحُدُودٍ سِيَاسِيَّةٍ فَرَضَهَا الصَّلِيبِيُّونَ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَرْتَبِطْ الْجِهَادُ قَبْلًا بِحُدُودٍ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ بِأَقْوَامٍ بَعِيْنَهَا.

نَفْسُ التَّحْذِيرِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى جِهَادٍ عَامٍّ وَصَلَ إِلَى الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكُبْرَى الْمُرَشَّحَةِ لِلْقِيَامِ بِدَوْرٍ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ بِوَادِرِ التَّدْوِيلِ تَعْشَاهَا. وَأَثْنَاءَ إِقَامَتِي فِي بَاكِسْتَانٍ مُنْذُ مَارِسَ ١٩٨٥ مَ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّئِيسَ الْبَاكِسْتَانِيَّ «ضِيَاءَ الْحَقِّ» كَانَ قَدْ طَلَبَ مِنَ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي تَحَالُفٍ وَثِيقٍ مَعَ نِظَامِ الْجِنْرَالِ، طَلَبَ مِنْهَا أَلَّا تُحَوَّلَ قَضِيَّةُ أَفْغَانِسْتَانِ إِلَى قَضِيَّةِ شَعْبِيَّةِ بَاكِسْتَانِيَّةِ، وَأَنَّ تَكْتَفِي بِالْمُعَاوَنَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالِدَّعَائِيَّةِ فِي حُدُودِ الْمَعْقُولِ.

لَمْ يَلْبَثُ «الْإِخْوَانُ» فِي مِصْرَ أَنْ اتَّبَعُوا نَفْسَ الْمَنْهَجِ، وَذَبَلَتْ سَرِيْعًا مُحَاوَلَاتُهُمْ تَسْجِيلَ أَسْمَاءِ الشَّبَابِ الرَّاغِبِ فِي التَّطَوُّعِ لِلْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانِ، وَاکْتَفَوْا بِنَفْسِ الْحُدُودِ الَّتِي التَّرَمَّتْ بِهَا الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ مَعَ الْجِنْرَالِ «ضِيَاءَ الْحَقِّ». وَقَدْ صَرَّحَ الْأُسْتَاذُ «حَامِدُ أَبُو النَّصْرِ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٥٣]

(١) مُحَمَّدٌ حَامِدُ أَبُو النَّصْرِ: الْمُرْشِدُ الرَّابِعُ لِجَمَاعَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، وَوُلِدَ بِمَرْكَزِ «مَنْقَلُوطِ» بِمُحَافَظَةِ «أَسِيْوُط» بِمِصْرَ فِي ٢٥ مَارِسَ ١٩١٣ مَ، أَنْهَى دِرَاسَتَهُ الثَّانَوِيَّةَ ثُمَّ تَقَرَّعَ لِإِدَارَةِ أَمْلَاكِ أُسْرَتِهِ



المُرشدُ العامُّ لِجَمَاعَةِ «الإخوانِ المُسلمين» فِي مِصرَ أثناءَ زيارَتِهِ إلى «بِيشاور» فِي بَدَايَةِ التَّسْعِيناتِ، صرَّحَ بِأنَّهُ لَمْ يُرسلْ شَبابَ «الإخوان» لِلجِهَادِ فِي أفغانِستانَ لِأنَّ الحُكُومَةَ المِصرِيَّةَ لَمْ تَسْمَحْ بِذَلِكَ، وَأَنَّ مِنْ شُرُوطِ

الجِهَادِ مُوافَقَةَ «وَلِيِّ الأَمْرِ». أَحَدتْ تَصْرِيحاتُ المُرشدِ العامِّ صِجَّةً فِي أوساطِ الشَّبابِ العَرَبِ فِي أفغانِستانَ، وَتَلاشَى عِندَهُمْ ما تَبَقِيَ مِنْ شُبُهاتِ المِصْداقِيَّةِ لَدَى «الإخوان». وَكانتْ تَصْرِيحاتُ مُخرِجَةً جِداً لِلتَّجْمَعِ الإخْوانِيِّ العَامِلِ عَلى هَواِمِشِ القِضِيَّةِ الأفغانِيَّةِ فِي باكِستانَ.

فَهَمنا مُتأخِّراً - كالعَادةِ - تِلْكَ الحُدُودَ «الشَّيْطَانِيَّةَ» المِضْرُوبَةَ حَولَ قِضِيَّةِ أفغانِستانَ، وَأَنها إِسلامِيَّةٌ فِي الحُدُودِ الَّتِي تَخْدُمُ مَصالِحَ العَرَبِ، وَأَنَّهُ مِنْ المَحْظُورِ تَحْرِيكُ «الأُمَّةِ» إلى فَرِيضَةِ الجِهَادِ، وَأَنَّ الجِهَادَ يَجِبُ أَنْ يَظَلَّ أفغانِيًّا، وَهَكَذا اِخْتَرَعَ الصَّليبيُّونَ لَنا مُصْطَلَحَ «الجِهَادِ الأفغانِيِّ» وَتَدَاوَلْناهُ

الثَّرِيَّة. التَّقَى بِالإمامِ «حَسَنِ البَنَّا» فِي عامِ ١٩٣٣م، وَانْتظَمَ فِي سِلْكِ الجَماعَةِ، فَكانَ أوَّلَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْها مِنَ الصَّعِيدِ. تَدَرَّجَ فِي المَناصِبِ فِي الجَماعَةِ، فَشغَلَ مَنصِبَ نائِبِ شُعْبَةِ «مَنْفُوط» ثُمَّ أَصْبَحَ عَضُواً فِي مَجْلِسِ الشُّورى العامِّ، ثُمَّ عَضُواً فِي مَجْلِسِ الإِرشادِ العامِّ. اِعْتَقَلَ عَلى إِثْرِ أَحْداثِ عامِ ١٩٥٤م، وَحُكِمَ عَليهِ بالسَّجْنِ المُؤَبَّدِ (٢٥ عَماً)، فَضَى مِنْها عِشرينَ عَماً، ثُمَّ خَرَجَ عامَ ١٩٧٤م، وَتَوَلَّى مَنصِبَ الإِرشادِ خَلْفاً لـ «التَّلْمِسانِيِّ» عامَ ١٩٨٦م. تُوفِّيَ فِي القَاهِرَةِ فِي ٢٠ يَنابِرِ ١٩٩٦م.

نَحْنُ بِكُلِّ غَبَاءٍ طَوَالَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا مِنْ عُمُرِ الْقَضِيَّةِ.

كَانَ لِمَجْمُوعَتِنَا الصَّغِيرَةِ جَلَسَاتٌ مُطَوَّلَةٌ مَعَ «سَيَّافٍ»، خَاصَّةً بَعْدَ هَذَا
الْإِنْجَازِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعِ، وَاخْتِرَاقِ الْحِصَارِ وَالْعُزْلَةِ وَخُرُوجِ «سَيَّافٍ» لِمُقَابَلَةِ
جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ مُبَاشَرَةً، وَالظَّرْفِ الدُّوَلِيِّ وَالْعَرَبِيِّ الْمُنَاسِبِ لِحَرَكَتِهِ
وَدَعْوَتِهِ، وَالنَّجَاحِ الْكَبِيرِ الَّذِي صَادَفَهُ فِي الْإِمَارَاتِ بَعْدَ مُغَامَرَةِ الدُّخُولِ الَّتِي
رَتَّبَهَا بِنَجَاحٍ صَدِيقُنَا «الْمِنَاوِيِّ» كَبِيرُ الصَّعَايِدَةِ. وَمِنْ النِّقَاطِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي
رَكَّزْنَا عَلَيْهَا فِي جَلَسَاتِنَا الْخَاصَّةِ مَعَهُ:

١. إِنَّ الظُّرُوفَ الْمُوَاتِيَةَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِقَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى أَهَمِّ
قَضِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ، خَاصَّةً فِي ظِلِّ مَا يُحِيطُ بِالْقَضِيَّةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ مِنْ تَأْمُرِ عَرَبِيٍّ
وَدُوَلِيٍّ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ حَرَكَةَ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ سَوْفَ تَتَحَوَّلُ إِلَى أَهَمِّ
حَرَكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ، مُتَخَطِيَةً بِذَلِكَ الْحَرَكَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَالتَّقْلِيدِيَّةِ
فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةَ - خَاصَّةً
«سَيَّافٍ» رَأْسُ تِلْكَ الْحَرَكَةِ - قَدْ [تَتَحَوَّلُ] إِلَى أَهَمِّ [شَخْصِيَّاتٍ] فِي
قِيَادَاتِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الشَّعْبِيِّ.

٢. بِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ فَإِنَّهُ - أَيِ «سَيَّافٍ» - سَوْفَ يَتَعَرَّضُ لِعَمَلِيَّاتٍ احْتِوَاءٍ مِنْ
جَانِبِ الْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَمِنْ جَانِبِ الْمُنْظَمَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي
سَتَجِدُ نَفْسَهَا إِلَى جَانِبِهِ مُجَرَّدَ أَقْرَامٍ، فَسَوْفَ يُحَاوِلُونَ الْوُقُوفَ عَلَى

أَكْتَفَاهِ وَالْمُتَاجِرَةَ بِقَضِيَّتِهِ.

٣. أنَّ أموالَ الخَلِيجِ والسُّعُودِيَّةِ هِيَ مِثْلَ العَسَلِ المَسْمُومِ، مَا دَخَلَتْ إِلَى قَضِيَّةٍ إِلَّا وَدَمَّرَتْهَا. وَهُوَ مَا حَدَثَ مَعَ المُنْظَمَاتِ الفَلَسْطِينِيَّةِ، فَالأَمْوَالُ الخَلِيجِيَّةُ تَصْطَحِبُ مَعَهَا الانْقِسَامَاتِ وَالهَيْمَنَةَ السِّيَاسِيَّةَ الخَارِجِيَّةَ، لَيْسَ لِصَالِحِ حُكُومَاتِ الخَلِيجِ بِقَدْرٍ مَا هِيَ هَيْمَنَةٌ صَلِيبِيَّةٌ. وَطَالَبْنَا «سَيَّاف» الاِحْتِرَازَ مِنْ تِلْكَ الأَمْوَالِ وَالاَنْظِمَةِ القَائِمَةِ، فَأَكَّدَ لَنَا انْتِبَاهَهُ وَفَهَمَهُ لِتِلْكَ الخُطُورَةِ.

٤. إِنَّ زِيَارَتَهُ لِلدُّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَدَفُهَا تَوْطِيدَ اتِّصَالٍ مُبَاشِرٍ وَعَمِيقٍ بَيْنَ حَرَكَةِ الجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَالشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالاِعْتِمَادَ عَلَى مَا تَبَدَّلَهُ تِلْكَ الشُّعُوبِ مِنْ مَالٍ وَدِمَاءٍ. وَحَدَّرْنَا مِنْ تَكَرُّرِ خَطَايَا مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ الَّتِي رَكَزَتْ عَلَى تَقْوِيَةِ صِلَاتِهَا بِالحُكُومَاتِ وَأَهْمَلَتْ الشُّعُوبَ العَرَبِيَّةَ وَمَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَدِّمَهُ.

٥. أَنَّ الرِّايَةَ الإِسْلَامِيَّةَ وَشِعَارَ الجِهَادِ هُوَ أَكْبَرُ مَا يُمَيِّزُ قَضِيَّةَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَيَنْبَغِي عَدَمَ التَّفْرِيطِ بِالتَّوَجُّهِ الإِسْلَامِيِّ لِلْقَضِيَّةِ أَوْ الاِلْتِفَافِ حَوْلَهُ أَوْ تَفْرِيعِهِ مِنْ مُحْتَوَاهُ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ التِّيَّارَ «المُعْتَدِلَ» المَتَوَاجِدَ فِي القَضِيَّةِ هُوَ تِيَّارٌ ضَارٌّ وَخَطِرٌ عَلَى القِيَمَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِلْقَضِيَّةِ، وَرُبَّمَا اسْتَطَاعَ هَذَا التِّيَّارُ تَحْوِيلَ القَضِيَّةِ الأَفْغَانِيَّةِ مِنَ المَسَارِ الإِسْلَامِيِّ إِلَى المَسَارِ الوَطَنِيِّ كَمَا

فَعَلَّتْ مُنْظَمَةُ التَّخْرِيرِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ الحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ فِي قَضِيَّةِ فِلَسْطِينَ.

٦. أَنَّ الشُّعُوبَ الإِسْلَامِيَّةَ وَالعَرَبِيَّةَ قَدْ سَحَبَتْ ثِقَتَهَا مِنَ الزَّعَامَاتِ المُصْطَنَعَةِ الَّتِي تَبْنِي بَطُولَاتٍ زَائِفَةً مِنْ خَلْفِ مَيْكْرُوفُونَاتِ الإِذَاعَاتِ وَأُورَاقِ الصُّحُفِ، وَالَّتِي لَا تُشَاهِدُ إِلَّا فِي فَنَادِقِ الدَّرَجَةِ الأُولَى فِي هَذِهِ العَاصِمَةِ أَوْ تِلْكَ، تَتَقَلُّ مِنْ مُؤْتَمَرٍ إِلَى مُؤْتَمَرٍ وَمِنْ احْتِفَالٍ إِلَى آخَرَ. وَأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ بِقَضِيَّةِ الإِسْلَامِ فِي العَالَمِ، وَلَيْسَ فَقَطِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ فَعَلَيْهِ أَنْ يُمَارِسَ قِيَادَةَ مِيدَانِيَّةٍ مُرْتَكِزَةً عَلَى أَرْضِ الجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَلَيْسَ مِنْ وِرَاءِ الحُدُودِ. وَأَنَّ القِيَادَةَ الإِسْلَامِيَّةَ «الْمُتَّظِرَةَ» هِيَ تِلْكَ القِيَادَةُ الَّتِي تَتَقَدَّمُ صُفُوفَ القِتَالِ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِي تَطْفُو عَلَى السَّطْحِ كَمَا يَطْفُو الزَّبَدُ عَلَى سَطْحِ السَّيْلِ.

٧. لَيْسَ هُنَاكَ عَاصِمَةٌ أَوْ مَدِينَةٌ أَوْ دَوْلَةٌ فِي عَالَمِ المُسْلِمِينَ قَادِرَةٌ عَلَى احْتِمَالِ حَرَكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ جَادَّةٍ، نَاهِيكَ عَنِ حَرَكَةِ جِهَادِيَّةٍ تُصَادِمُ قُوَّةَ عَظْمَى. بَلْ إِنَّ «العَالَمَ الإِسْلَامِيَّ» يَعْجُزُ عَنِ مُسَانَدَةِ حَتَّى مُجَرِّدِ حَرَكَةٍ وَطَنِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ لَوْطَنِهَا. وَفِي المَاضِي القَرِيبِ شَاهَدْنَا مَا حَدَثَ فِي «عَمَّانَ» مَجَازَرَ أَيْلُولِ الأَسْوَدِ وَ«بَيْرُوتَ»، وَكَيْفَ أَنَّهُمَا تَحَوَّلَتَا إِلَى مَصَائِدَ لِشَبَابِ المُقَاوِمَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ رُغْمَ كُلِّ الانْحِرَافِ وَالشَّوَابِ فِي تِلْكَ المُقَاوِمَةِ. لِهَذَا فَمِنْ المُحْتَمَلِ جِدًّا أَنْ تَحَوَّلَ «بِيشاورَ» إِلَى نَفْسِ

المَصِيرِ، بَلْ إِنْ «بِشَاوَر» لَا بُدَّ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى مَرْكَزِ تَجَسُّسٍ عَلَى الْمُقَاوَمَةِ
وَاخْتِرَاقِ صُفُوفِهَا وَاغْتِيَالِ قِيَادَاتِهَا، وَكُلُّهَا دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِمَّا حَدَثَ فِي
«بَيْرُوت» وَ «عَمَّان».

٨. أَنْ إِسْرَائِيلَ لَنْ تَسْكُتَ وَهِيَ تَرَى حَرَكَةَ جِهَادِيَّةً صُخْمَةً وَمُتَقَدِّمَةً تَسْتَقْبِطُ
اهْتِمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَوَأَفِدُ عَلَيْهَا الشَّبَابُ الْمُسْلِمِ الْمُجَاهِدِ. فَهَذَا هُوَ عَيْنُ
مَا تَخْشَاهُ إِسْرَائِيلُ وَتَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ مَصْرَعُهَا الْحَتْمِيُّ. لِذَا فَإِنَّ إِسْرَائِيلَ
سَوْفَ تَتَوَاجَدُ بِسُرْعَةٍ عَلَى السَّاحَةِ الْبِشَاوَرِيَّةِ كَمَا فَعَلَتْ فِي «بَيْرُوت» وَ
«عَمَّان» وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَمَاكِنِ تَمَرُّزِ الْمُقَاوَمَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ، بَلْ إِنَّ دَوَافِعَ
إِسْرَائِيلَ أَقْوَى وَأَخْطَرُ حَيْثُ تَرَى الْإِسْلَامَ الْمُجَاهِدَ يَنْبَعُثُ مَرَّةً أُخْرَى
وَعَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ. وَإِنَّ الْحَلَّ هُوَ انْتِقَالُ الثَّقَلِ الْقِيَادِيِّ وَالْإِدَارِيِّ لِحَرَكَةِ
الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى دَاخِلِ الْأَرْضِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْمُحَرَّرَةِ، وَالْإِحْتِفَاطُ
فِي «بِشَاوَر» وَغَيْرِهَا بِمَجَرَّدِ مَكَاتِبِ إِدَارِيَّةِ فِرْعِيَّةٍ لِأَدَاءِ الْوِظَائِفِ
الْمَطْلُوبَةِ خَلْفَ الْحُدُودِ.

لَمْ يَلْبَثَ رَئِيسُ الدَّوْلَةِ أَنْ أُعْطِيَ الضَّوْءَ الْأَخْضَرَ وَحَدَّدَ مَوْعِدًا لِمُقَابَلَةِ
«سَيَّاف». كَانَ اللَّقَاءُ وَدِيًّا لِلغَايَةِ، وَكَانَ «زَايِد»^(١) غَارِقًا فِي الدَّهْشَةِ وَالذُّهُولِ

(١) الشَّيْخُ زَايِدُ بْنُ سُلْطَانَ آلِ نَهْيَانَ: أَوَّلُ رَئِيسٍ لِدَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامَ

وَلَا يَكَادُ يُصَدِّقُ أَنَّ الْأَفْغَانَ يُقَاتِلُونَ الرُّوسَ فِعْلًا. وَعَلَى هَذَا الْمِحْوَرِ ظَلَّ
يَتَسَاءَلُ طَوِيلًا فِي لِقَائِهِ مَعَ «سَيَّاف». وَكَمَا لَمْ سُنَّا لَاحِقًا فَإِنَّ مُعْظَمَ كِبَارِ
الْمَسْئُولِينَ فِي الْخَلِيجِ كَانُوا يَشْكُونَ فِي وُجُودِ خُدْعَةِ مَا، وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُمْ
ذِكَاؤُهُمْ أَنْ يَعْتَقِدُوا لِثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ بِأَنَّ الْأَفْغَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَاوِمُوا السُّوفِيَّتِ.

وَكََمَا أَخْبَرَنَا «سَيَّاف» بَعْدَ انْتِهَاءِ اللَّقَاءِ فَإِنَّ «زَايِدَ» طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ
لِزِيَارَةِ السُّعُودِيَّةِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ كَيْ يُخْبِرَهُ عَنْ مَوْقِفِهِمْ هُنَاكَ إِزَاءَ مَسْأَلَةِ مُسَاعَدَةِ
الْأَفْغَانَ، ثُمَّ وَعَدَهُ خَيْرًا. وَكَانَ مِنَ الْمَفْهُومِ ضِمْنَا أَنَّ «زَايِدَ» كَانَ يَرِغَبُ فِي
ضَبْطِ خُطْوَاتِهِ مَعَ الْخُطَى السُّعُودِيَّةِ تَجَاهَ الْأَفْغَانَ، وَحَتَّى لَا يَتَوَرَّطَ أَكْثَرَ مِنْ
الْأَلَاظِمِ أَوْ أَنْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرِ الْمُقَصِّرِ إِزَاءَ قَضِيَّةِ تَهُمِّ الْمَمْلَكَةِ، قَلْعَةَ أَمْرِيكََا فِي
الْجَزِيرَةِ.

«الْمِنْيَاوِي» عَبَّرَ اتِّصَالَاتِهِ الرَّسْمِيَّةِ مِنْ مَكْتَبِ الْمُسْتَشَارِ الثَّقَافِيِّ لِرَيْسِ
الدَّوْلَةِ - تِلْكَ اللَّافِتَةُ الرَّهِيْبَةُ - تَمَكَّنَ مِنَ الْإِتِّصَالِ بِالْهَيْئَاتِ الْمُوَازِيَةِ فِي قَطْرَ
وَحَصَلَ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ اسْتِصْافَةَ الْوَفْدِ الْأَفْغَانِيِّ. كُلُّ الْأَصْدِقَاءِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ

بِتَوْحِيدِ الْإِمَارَاتِ فِي ٢ دَيْسَمْبَرِ ١٩٧١ م، وُلِدَ فِي ٦ مَآيُو ١٩١٨ م، أَنْشَأَ مَعَ الشَّيْخِ «جَابِرِ الْأَحْمَدِ
الصُّبَّاحِ» مَجْلِسَ التَّعَاوُنِ الْخَلِيجِيِّ، وَتَوَلَّى حُكْمَ إِمَارَةِ «أَبُو ظَبْي» فِي ١٩٦٦ م. سِيرَتُهُ عَامِرَةٌ، تُوفِّيَ
فِي ٢ نَوْفَمْبَرِ ٢٠٠٤ م.

أَجْرُوا اتِّصَالَاتِهِمْ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَصْدِقَاءِ فِي قَطَرٍ لِعَمَلِ اللَّازِمِ لِإِنجَاحِ مُهِمَّةِ
وَفِدِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ. وَيُمْكِنُ أَنْ نَتَّصِرَ أَنَّ «الْإِخْوَانَ» كَانُوا الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً
فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ نُظْرًا لِثِقَلِ التَّجْمُّعِ الْإِخْوَانِيِّ فِي قَطَرٍ عَلَى الْمُسْتَوَاتِ
الشَّعْبِيَّةِ وَالرَّسْمِيَّةِ.

كَانَتْ جَوْلَةٌ قَطَرٍ نَاجِحَةً، وَخِلَالَ تَوَاجُدِ «سَيَّافٍ» فِي قَطَرٍ اسْتَطَاعَ
الْمُتَحَمِّسُونَ هُنَاكَ الْحُصُولَ عَلَى تَأْشِيرَةِ زِيَارَةٍ لَهُ وَلِلْوَفْدِ الْمُرَافِقِ لِزِيَارَةِ
الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَهِيَ الْوَرَقَةُ الرَّئِيسِيَّةُ وَالْحَرَكََةُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً فِي
الرَّحْلَةِ كُلِّهَا. وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الزِّيَارَةُ أخطرَ انْعِطَافٍ فِي تَارِيخِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ
عَامَةً وَمُسْتَقْبَلِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بِشَكْلِ خَاصٍّ.

عِنْدَمَا عَادَ «سَيَّافٌ» مِنَ الْمَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ هُوَ نَفْسُ الشَّخْصِ
الَّذِي ذَهَبَ. شَعَرْنَا عِنْدَمَا عَادَ بِشَيْءٍ مِنَ التَّغْيِيرِ وَلَكِنْ كَذَّبْنَا أَنْفُسَنَا، وَأَعْطَيْنَاهُ
مِنْ عِنْدِنَا مُبَرَّرَاتٍ كَافِيَةً.

كَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ الْأُولَى أَنَّ «سَيَّافٌ» عَادَ بِجَوَازِ سَفَرٍ سُّعُودِيٍّ. كُنَّا نَعْلَمُ
مَدَى صُعُوبَةِ الْحُصُولِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْوَثِيقَةِ، بَلْ إِنْ مُجَرَّدَ الْحُصُولِ عَلَى
تَأْشِيرَةِ زِيَارَةٍ لِلْمَمْلَكَةِ تُعْتَبَرُ عَمَلًا شَاقًّا، وَحَتَّى طَلَبُ الْعُمُرَةِ أَوْ الْحَجِّ قَدْ يَكُونُ
مُعَرَّضًا لِلرَّفْضِ بِدُونِ إِبْدَاءِ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ مَا شَاهَدْنَا عِدَّةَ حَالَاتٍ مِنْهُ.

وَلَمْ نَكُنْ نَرَى أَيَّ تَارِيخٍ سَابِقٍ يُبَرِّرُ هَذَا الرِّضَا الْغَامِرَ مِنَ الْمَمْلَكَةِ لـ

«سَيَّاف». الْمُهِمُّ [أَنَا] ابْتَلَعْنَا الْمَفَاجَأَ بِشَيْءٍ مِنَ الصُّعُوبَةِ، وَسَاقَ لَنَا «سَيَّافٌ»
 أَسْمَاءٌ كَثِيرَةً مِنَ الْعَائِلَةِ الْمَالِكَةِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْحَمَاسِ وَالرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ
 الْفِيَّاضَةِ، وَمِنْهُمْ نُوَّابٌ لِلْمَلِكِ، كُلُّ هَؤُلَاءِ سَاعَدُوا فِي حُدُوثِ الْمُعْجَزَةِ.

كَانَ هُنَاكَ تَغْيِيرًا لَفْظِيًّا قَدْ حَدَثَ، وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ غَادَرَنَا وَهُوَ يَحْمِلُ
 اسْمَ «عَبْدِ الرَّسُولِ سَيَّافٍ»، وَعَادَ وَهُوَ يَحْمِلُ اسْمًا جَدِيدًا هُوَ «عَبْدُ رَبِّ
 الرَّسُولِ سَيَّافٍ». وَكَمَا أَخْبَرْنَا هُوَ فَإِنَّ عُلَمَاءَ الْمَمْلَكَةِ الْحَرَبِيِّينَ عَلَى
 «الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ» افْتَرَحُوا وَنَفَّذُوا هَذَا التَّعْدِيلَ الْعَقَائِدِيَّ فِي الْاسْمِ.

وَمِنْ يَوْمِهَا لَمْ يَعُدْ «سَيَّافٌ» يُقَدِّمُ نَفْسَهُ لِلْعَرَبِ بِغَيْرِ هَذَا الْاسْمِ حَتَّى أَنَّهُ
 ادَّعَى أَنَّهُ اسْمُهُ الْأَصْلِيُّ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ. وَكَانَ ذَلِكَ مَصْدَرًا مُشَاحَةً صَغِيرَةً
 بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» الَّذِي جَاءَ يَوْمًا يُعَاتِبُنِي فِي عَامِ ١٩٨٦ م
 عِنْدَمَا ذَكَرْتُ فِي إِحْدَى الْمَقَالَاتِ «سَيَّافًا» بِاسْمِهِ الْأَصْلِيِّ «عَبْدِ الرَّسُولِ». فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ هَذَا هُوَ اسْمُهُ الْأَصْلِيُّ، وَلَكِنَّهُ أَنْكَرَ بِشِدَّةٍ قَائِلًا إِنَّ «عَبْدَ رَبِّ
 الرَّسُولِ» هُوَ اسْمُ الرَّجُلِ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّنِي أَعْرِفُ «سَيَّافًا» مُنْذُ
 عَامِ ١٩٨٠ م وَرَأَيْتُ الْوَرَقَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا كَوْتِيْقَةُ سَفَرٍ صَادِرَةٍ مِنْ بَاكِسْتَانِ، وَلَمْ
 تَكُنْ بَاكِسْتَانُ قَدْ صَرَفَتْ لَهُ بَعْدَ جَوَازًا بَاكِسْتَانِيًّا لِيَكُونَ مِثْلَ بَاقِي زُمَلَائِهِ مِنْ
 قَادَةِ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ جَمِيعًا جَوَازَاتِ بَاكِسْتَانِيَّةٍ، وَبَعْضُهُمْ يَحْمِلُ عِدَّةَ
 جَوَازَاتٍ صَادِرَةٍ مِنْ عِدَّةِ دَوْلٍ. سَكَتَ الشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ» عَلَى مَضْضٍ وَقَدْ

احْمَرَ وَجْهَهُ مِنَ الْإِنْفَعَالِ الْمَكْتُومِ؛ فَقَدْ كَانَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ يَتَّقُ تَمَامًا - وَقَفَّهَا - فِي سَيِّفٍ كَمَا لَا يَتَّقُ فِي شَيْءٍ آخَرَ، وَالْمَعْلُومَةُ الَّتِي يُجَادِلُنِي فِيهَا قَدْ اسْتَقَّاهَا مِنْ «سَيِّفٍ» شَخْصِيًّا. أُدْرِكْتُ يَوْمَهَا أَنَّ سِلْسِلَةَ أَكَاذِيبَ «سَيِّفٍ» تَبْدَأُ مِنْ اسْمِهِ.

وَمِنْ يَوْمِهَا إِلَى الْآنَ وَأَنَا أَعْجَبُ مِنَ السَّرْعَةِ الَّتِي اكْتَشَفَتْ بِهَا السُّلْطَاتُ السُّعُودِيَّةُ تِلْكَ الطَّبِيعَةَ الْمُنْحَرِفَةَ [لَدَى] ذَلِكَ الزَّعِيمِ الْإِسْلَامِيِّ الْأُصُولِيِّ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ مَنَحُوهُ مِنَ الزِّيَارَةِ الْأُولَى جَوَازَ سَفَرٍ سَعُودِيًّا، بَلْ تَبَنَوْهُ تَمَامًا عَلَى مُسْتَوَى الْعَمَلِ الرَّسْمِيِّ. وَحَتَّى وَقْتُ كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ مَا زَالَ «سَيِّفٌ» مُعْتَبَرًا لَدَى خُبْرَاءِ السِّيَاسَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ بِأَنَّهُ وَرَقَةٌ سَعُودِيَّةٌ.

وَفِي ظَنِّي أَنَّ الْفَتْرَةَ الَّتِي قَضَاهَا «سَيِّفٌ» فِي دِرَاسَتِهِ الْأَزْهَرِيَّةِ فِي عَهْدِ «السَّادَاتِ» ثُمَّ حُصُولَهُ عَلَى مَنَحَةِ دِرَاسِيَّةٍ مِنَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ فِي «التَّدْرِيبِ الْقَانُونِيِّ» !!، قَدْ وَفَّرَ لَهُ إِلَى السُّعُودِيَّةِ طَرِيقًا مُمَهَّدًا، رُغْمَ أَنَّهُ قَدْ أُلْقِيَ الْقَبْضُ عَلَيْهِ فِي مَطَارِ «كَابُلٍ» قَبْلَ رُكُوبِهِ الطَّائِرَةَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَمْرِيكَ لِتَلْقَى تَدْرِيئَهُ الْقَانُونِيِّ وَذَلِكَ فِي عَامِ ١٩٧٤ م. وَبِالتَّأَكِيدِ [فَإِنَّ] هُنَاكَ أَسْبَابًا أُخْرَى لَا أَعْلَمُهَا إِلَى الْآنَ. هَذَا وَقَدْ حَصَلَ «سَيِّفٌ» لِمَرَّتَيْنِ مُتتَالِيَتَيْنِ عَلَى جَائِزَةِ الْمَلِكِ «فَهْدٍ» لِخِدْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ نَوْعُ الْخِدْمَاتِ الَّتِي تُرْضِي «فَهْدًا» فِي مَجَالِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ.

تَقَابَلْنَا مَعَ «سَيِّفٍ» بَعْدَ جَوْلَتِهِ فِي قَطْرَ وَالسُّعُودِيَّةِ، وَجَدْنَاهُ أَكْثَرَ تَحْفَظًا

مِنْ ذِي قَبْلِ، وَلَمْ يَعْطِنَا تَفَاصِيلَ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْحَفَاوَةِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي قُوبِلَ بِهَا،
وَبِالنُّسْبَةِ لِلْأَمْوَالِ [فَقَدْ] التَّزَمَ الصَّمْتَ التَّامَّ، وَلَمْ نَسْمَحْ لِأَنْفُسِنَا بِأَنْ نَسْأَلَهُ مِثْلَ
هَذَا السُّؤَالِ. وَإِنْ كُنَّا نَتَوَقَّعُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ عَمَّا حَدَثَ مَعَهُ عَلَى
الْمُسْتَوَى الرَّسْمِيِّ، حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ الْمَوْضُوعُ مَثَارَ بَحْثٍ مُسْتَفِيزٍ فِي
جَلْسَاتِنَا الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِالْعَفْوِيَّةِ وَالِاسْتِفَاضَةِ.

تَحَدَّدَ مَوْعِدُ آخِرِ لِلِقَاءِ «زَايِدٍ» مَعَ «سَيَّافٍ»، وَعَادَ سَيَّافٌ كَيْ يُخْبِرَنَا بِأَنَّ
الَلِّقَاءَ كَانَ طَيِّبًا وَأَنَّ «زَايِدًا» قَدْ سَرَّهُ رَدُّ فِعْلِ السُّعُودِيَّةِ، وَأَنَّهُ قَرَّرَ الْمُسَانَدَةَ
الْمَالِيَّةَ لِلْأَفْغَانِ. لَمْ يُخْبِرْنَا «سَيَّافٌ» عَنْ حَجْمِ هَذِهِ الْمُسَاعَدَاتِ وَلَكِنَّهُ
اسْتَلَمَهَا وَغَادَرَ بِسُرْعَةٍ إِلَى «بِيشَاوَرٍ» طَالِبًا مِنَّا وَمِنْ كُلِّ مَنْ يَعْرِفُهُمُ الدُّعَاءَ لِأَنَّ
مَسْئُولِيَّاتٍ جَسَامًا تَنْتَظِرُهُ هُنَاكَ.

كَانَ صَاحِبِنَا الصَّعِيدِيُّ أَكْثَرَ خِبْرَةً فِي الطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ
«الْفُلُوسَ [أَيَ الْأَمْوَالِ] قَدْ [أَعْمَلَتْ] عَمَلَهَا فِي نَفْسِ الرَّجُلِ». وَ «إِسْمَاعِيلُ»
الْأَكْثَرُ وَاقِعِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ تَوَقَّعَ أَنَّهَا بَدَايَةُ طَرِيقِ الْإِنْجِرَافِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ فِي
الْمُسْتَوَى الَّذِي نَحْلُمُ بِهِ. وَرُغْمَ كَوْنِي أَكْبَرَهُمْ سِنًا [إِلَّا أَنِّي] اعْتَرَضْتُ عَلَى
رُوحِهِمُ الْمُتَشَائِمَةَ وَطَالَبْتُ إِعْطَاءَ الرَّجُلِ الْفُرْصَةَ كَامِلَةً حَتَّى يُظْهِرَ قُدْرَاتِهِ،
وَأَنَّ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُقَرَّرَ مُسْتَوِيَّاتِ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَفْرَادِ وَالْجِهَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَنَّ
عَلَيْنَا أَنْ نَقِفَ عِنْدَ الْحُدُودِ الَّتِي يَرُسُمُهَا لَنَا فِي عِلَاقَاتِنَا مَعَهُ، بِصِفَتِهِ قَائِدٍ

الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنَّ الْوَقْتَ مَا زَالَ مُبَكَّرًا جِدًّا حَتَّى نُصْدِرَ حُكْمًا نَهَائِيًّا عَلَى كَفَاءَةِ الرَّجُلِ كَقَائِدٍ أَوْ عَلَى حَرَكَتِهِ الْجِهَادِيَّةِ وَدَوْرَهَا الْإِسْلَامِيِّ. وَعَلَيْنَا أَلَّا نَتْرَاخَى فِي الْاِسْتِفَادَةِ مِنَ الْفُرْصَةِ الْمُتَاحَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَيْ نُحَقِّقَ أَهْدَافًا إِسْلَامِيَّةً أَوْسَعَ مِنْ النُّطَاقِ الْجُغْرَافِيِّ الْمَحْدُودِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ نَفْسِهَا. إِنَّهَا فُرْصَةٌ لِانْبِعَاطِ رُوحِيٍّ لِلْأُمَّةِ، وَتَكْوِينِ قُوَّةٍ جِهَادِيَّةٍ لِلدِّفَاعِ عَنِ مُقَدَّسَاتِهَا وَحُقُوقِهَا.

بَعْدَ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ اكْتَشَفْتُ مُتَأَخِّرًا - كَالْعَادَةِ - بِأَنَّ تِلْكَ الْأَفْكَارَ لَمْ تَكُنْ فَقَطْ أَكْبَرَ مِنْ إِمْكَانَاتِنَا عَلَى التَّنْفِيذِ، بَلْ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَحْتَمِلَهَا الْوَضْعُ الْإِسْلَامِيُّ كُلُّهُ. وَفِي النَّهَائِيَّةِ تَحَقَّقَ مَا هُوَ مُمَكِّنٌ فِي ظِلِّ الظُّرُوفِ الْعَامَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ. وَإِنْ كُنْتُ حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَظُنُّ أَنَّنَا كَمُسْلِمِينَ كَانَتْ أَمَامَنَا فُرْصَةٌ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لِتَحْقِيقِ إِنْجَازَاتٍ أَضْحَمَ وَأَخْطَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا حَقَّقْنَاهُ فِعْلًا. هَذَا لَوْ كُنَّا تَعَامَلْنَا مَعَ الْحَدَثِ بِشَيْءٍ مِنْ الْوَعْيِ وَالْعَمَلِ الْمُوَحَّدِ وَالْمُنْظَمِ.

عَادَرَ الْوَفْدُ الْأَفْغَانِيُّ «أَبُو ظَبْيِي» وَهُوَ - عَلَى مَا ظَهَرَ لَنَا - لَيْسَ عَلَى دَرَجَةِ كَامِلَةٍ مِنَ الْوِفَاقِ؛ فَرَيْسُ الْوَفْدِ «سَيَّافٌ» اسْتَحْوَذَ عَلَى كُلِّ الْاهْتِمَامِ وَالْأَضْوَاءِ. سَاعَدْتُهُ لُغْتُهُ الْعَرَبِيَّةُ، وَإِنْ كَانَ «صِبْغَةُ اللَّهِ مُجَدِّدِي» أَمْتَنَ مِنْهُ مَنْ حَيْثُ اللَّغَةُ لِكُونِهِ نَشَأَ فِي مِصْرَ فِي صَدْرِ شَبَابِهِ، وَلَكِنَّ «سَيَّافَ» الَّذِي عَثَرَ

عَلَى النَّعْمَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِمُخَاطَبَةِ الْجُمْهُورِ الْعَرَبِيِّ، جَعَلَ الْبَاقِينَ عَلَى هَامِشِ الْأَحْدَاثِ. لَقَدْ تَكَلَّمَ مَعَ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَا يَرِغْبُونَ [فِي] الْاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَفِي جَلْسَاتِهِ مَعَ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ عَلَى حِدَةٍ، فَكُلُّ جَمَاعَةٍ كَانَتْ تُفْضَلُ أَنْ يَكُونَ لَهَا جَلْسَاتٌ خَاصَّةٌ مَعَ «أَمِيرِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ»، وَفِي كُلِّ جَلْسَةٍ يَخْرُجُ الْمُجْتَمِعُونَ بِانْطِبَاعٍ قَوِيٍّ بِأَنَّ «سَيَّافَ» وَاحِدٌ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ.

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ «سَيَّافَ» فِي ذِكَائِهِ وَسُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ وَخَبْرَتِهِ بِالنَّفْسِ الْعَرَبِيَّةِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْعَزْفِ عَلَى أَوْتَارِهَا الْحَسَّاسَةِ، وَلَمْ تُقَارِبْهُ أَيُّ زَعَامَةٍ أَفْغَانِيَّةٍ أُخْرَى فِي هَذَا الْمِضْمَارِ. وَسَاعَدَهُ ذَلِكَ فِي اكْتِسَابِ الْعَرَبِ وَتَأْيِيدِهِمُ الْمَالِيَّ، وَفِي اكْتِسَابِ قِيَمَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَامَّةٍ وَلَيْسَ أَفْغَانِيَّةً [فَحَسْبُ].

وَلِأَنَّ الْمَعَايِيرَ الْحَقِيقِيَّةَ عَلَى السَّاحَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْهَا فِي مُخَيَّلَةِ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّينَ وَتَصَوُّرَاتِهِمْ غَيْرِ الْوَاقِعِيَّةِ عَنْ جُغْرَافِيَّةِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ أَوْ الْعَسْكَرِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، فَإِنَّهُ طَوَّلَ فِتْرَةَ الْجِهَادِ لَمْ يَكُنْ لـ «سَيَّافَ» وَزَنُّ يُعْتَدُّ بِهِ عَلَى سَاحَاتِ الْقِتَالِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْطَى بِقَبُولِ سِيَاسِيِّ وَسَطِ الْأَفْغَانَ الشَّعْبِيِّينَ أَوْ الْأَفْغَانَ الْحِزْبِيِّينَ.

كَانَ «مُجَدِّدِي» مَشْهُورًا فِي الْأَوْسَاطِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنَّهُ رَجُلٌ سِيَاسِيٌّ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مُجَاهِدًا، بَلْ مُجَرَّدَ لَاعِبٍ عَلَى سَاحَةِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ. وَنَفْسُ الْمَفْهُومِ شَاعَ عَنْ زَمِيلِهِ فِي نَفْسِ الْمَحْوَرِ «السَّيِّدِ أَحْمَدَ جِيلَانِي». وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ

«سَيِّفَ» خَاصَّةً وَزَمِيلَاهُ فِي الْمَحْوَرِ الْإِخْوَانِيَّ «حَكْمَتِيَّارَ» وَ «رَبَّانِيَّ» كَانُوا أَكْثَرَ دَهَاءٍ فِي الْمَجَالِ السِّيَاسِيِّ، وَيَكْفِي أَنَّهُمْ تَمَكَّنُوا مِنْ خِدَاعِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْعَالَمِ وَالرَّأْيِ الْعَامِّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ طَوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ، وَأَوْهَمُوهُمْ أَنَّهُمْ يَسِيرُونَ فِي اتِّجَاهِ إِسْلَامِيٍّ صُلْبٍ، بَيْنَمَا كَانُوا فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ أَشَدَّ تَوَاطُؤًا مَعَ الْقُوَى غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالَّتِي سَانَدَتْهُمْ بِقُوَّةٍ ضِدَّ السُّوفِيَّةِ، حَتَّى أَنَّنِي أَرَى الْآنَ أَنَّ «مُجَدِّدِيَّ» وَ «جِيلَانِيَّ» لَمْ يَكُونَا سِوَى مُبْتَدِئِيْنَ حَمَقِيَّ إِذَا قَسْنَاهُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأُصُولِيِّينَ الثَّلَاثَةِ.

«مُجَدِّدِيَّ» وَكَذَلِكَ زَمِيلُهُ «جِيلَانِيَّ» كَانَا مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى وَحَتَّى آخِرِ لِحَظَاتِ «الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيَّ» يُعْبَرُونَ عَنْ حَقِيقَةِ مَوْقِفِهِمُ السِّيَاسِيِّ. وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّ كُلَّ سِيَاسِيٍّ حَازِقٍ بِالْمَفْهُومِ الْمِيكَافِيلِيِّ^(١) لَا يُعْبَرُ مُطْلَقًا عَنْ حَقِيقَةِ نَوَايَاهُ

(١) الْمَفْهُومُ الْمِيكَافِيلِيِّ هُوَ الْمَبْدَأُ الشَّهِيرُ «الْعَايَةُ تُبَرِّرُ الْوَسِيلَةَ»، وَهُوَ مَبْدَأٌ نَفْعِيٌّ بَحْتُ، فَالْعَايَةُ وَالْهَدَفُ تُبَرِّرُ سُلُوكَ آيَةٍ سَبِيلٍ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ السُّبُلُ غَيْرَ مَشْرُوعَةٍ. وَيُخَالِفُ الْإِسْلَامُ تِلْكَ الْقَاعِدَةَ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالنُّصُوصِ وَالْأَخْلَاقِ، مِنْهَا الْقَاعِدَةُ الْفِقْهِيَّةُ «الْوَسَائِلُ لَهَا أَحْكَامُ الْمَقَاصِدِ». وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنَ الْمُوَارَاةِ وَالْمُدَارَاةِ بَلْ وَالْكَذِبِ أحيانًا فِي الْمَوَاطِنِ الْمَقْصُودَةِ شَرْعًا، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»، وَقَوْلِهِ ﷺ: «اسْتَعِينُوا عَلَيَّ قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ»، وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا»، وَقَوْلِهِ ﷺ: «... كُلُّ الْكُذِّبِ يُكْتَبُ عَلَيَّ ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا»، وَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

أَوْ حَقِيقَةَ مَوَاقِفِهِ، بَلْ يُعْطِي بِاسْتِمْرَارٍ إِشَارَاتٍ مُضَلَّلَةً عَنْ تِلْكَ النَّوَابِي
وَالتَّوَجُّهَاتِ، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا فَعَلَهُ «إِخْوَانُنَا الْأُصُولِيُّونَ» الْأَفْغَانُ.

كَانَ «مُجَدِّدِي» غَاضِبًا وَقَدْ مَرَّ بِحَالَةِ الثُّورَةِ الْعَصَبِيَّةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ عِنْدَ
مُنَاقَشَاتِهِ مَعَ بَعْضِ التَّجْمُعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى أَنَّهُ أَتَاهُمْ أَحْيَانًا بِعَدَمِ
إِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ الْأَفْغَانِيَّةِ أَوْ الدُّوَلِيَّةِ، وَأُظُنُّهُ كَانَ مُصِيبًا إِلَى حَدِّ مَا، وَلَكِنَّهُ دَافِعٌ
بِصَرَاحَةٍ وَقُوَّةٍ عَنِ ضَرُورَةِ الْمُسَانَدَةِ الْغَرِيبَةِ عَسْكَرِيًّا وَسِيَاسِيًّا حَتَّى يَسْتَطِيعَ
الْأَفْغَانُ مُقَاوَمَةَ السُّوفِيَّتِ. وَقَدْ أَكْسَبَتْهُ تِلْكَ الْأَرَاءُ شُكُوكًا وَعَدَاوَاتٍ التِّيَارَاتِ
الشَّعْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنْ أَكْسَبَتْهُ تَعَاطُفًا رَسْمِيًّا فِي الدَّوَائِرِ الْعُلْيَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ
يُتْرَجَمْ إِلَى مُسَانَدَةِ قَوِيَّةٍ لَهُ وَلِمَا يُمَثِّلُهُ مِنْ أَفْكَارٍ حَيْثُ كَانَتْ بَاكِسْتَانُ رَقَمًا
صَعْبًا أَمَامَ التَّدْخُلَاتِ الْخَارِجِيَّةِ فِي الشَّأْنِ الْأَفْغَانِيِّ. وَرُغْمَ خُضُوعِ السِّيَاسَةِ
الْبَاكِسْتَانِيَّةِ دَائِمًا لِلْمَطَالِبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ إِلَّا أَنْ فَتْرَةَ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» شَهِدَتْ نَوْعًا
مِنْ الشَّخْصِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ شَبَهَ الْمُسْتَقْلَلَةَ، وَوَقَفَتْ الْمَصَالِحُ الْوَطَنِيَّةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ
إِلَى جَانِبِ الْمَصَالِحِ الدُّوَلِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ جَنبًا إِلَى جَنبٍ فَوْقَ سَاحَةِ وَاحِدَةٍ هِيَ
السَّاحَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ. رَبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُحَاوَلَةُ [هِيَ] الْأُولَى وَالْأَخِيرَةُ فِي تَجْرِبَةِ
لِعَلَّاقَاتٍ شَبَهَ مُتَكَافِئَةً بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ.

«مُجَدِّدِي» أَنهَى زِيَارَتَهُ وَقَدْ ائْتَابَهُ شَكُّ عَمِيقٌ فِي جَدْوَى الْعَرَبِ
وَالتَّجْمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ «غَيْرِ الْوَاعِيَةِ» كَمَا أَنَّهُ ائْتَعَصَ لِلنُّجُومِيَّةِ الَّتِي فَازَ بِهَا
«سَيَّافٌ» حَدِيثُ الْعَهْدِ بِالْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ قِيَاسًا إِلَى «مُجَدِّدِي» الْمُخْضَرَمِ
الَّذِي عَمِلَ مَعَ «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ» فِي مَطْلَعِ الْخَمْسِينَاتِ فِي مِصْرَ ائْتَاءِ
حَرْبِ قِتَاةِ السُّوَيْسِ. فَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَمِلَ مُدْرَبًا ائْتَاءِ تِلْكَ الْفِتْرَةِ لِلشَّبَابِ
الْجَامِعِيِّ الْمِصْرِيِّ، وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُ «الْإِخْوَانُ» بِالْمُشَارَكَةِ الْقِتَالِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ
مُنَزَّوَجًا، وَكَانُوا لَا يُحِبُّونَ اشْتِرَاكَ الْمُتَزَوِّجِينَ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ.

أَمَّا «مُحَمَّدِي» فَقَدْ كَانَ كَعَادَتِهِ هَادِتًا بَعْمَقٍ وَلَا يُمَكِّنُ سَبْرُ أَغْوَارِهِ. وَكَمَا
عَرَفْتُهُ لِأَحِقًا فَقَدْ كَانَ شَخْصِيَّةً دَمِيَّةَ الْخُلُقِ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ حَيَوِيٍّ وَلَا يُمَكِّنُهُ إِدَارَةٌ
عَمَلٍ، وَحَتَّى تَنْظِيمُهُ الْخَاصُّ الْمُسَمَّى «حَرَكَةَ ائْتِقْلَابِ إِسْلَامِي» كَانَ يَتْرُكُهُ
لَوْلَدِهِ «أَحْمَدَ» كَنِي يُدِيرُهُ. أَمَّا «حَقَّانِي» فَكَانَ صَوْتِ الْحَقِيقَةِ الضَّاعِ فِي
صَحْبِ الْعَوَاطِفِ الْجَيَّاشَةِ وَالْمُخَطَّطَاتِ الْمُتَضَارِبَةِ وَالْأَحْلَامِ الطَّمُوحَةِ الَّتِي
اُتَّارَهَا «سَيَّافٌ» وَالْوَفْدِ الْأَفْغَانِيِّ. لَقَدْ كَانَتْ الزِّيَارَةُ صَحْرَةً ضَخْمَةً أَلْقَيْتَ عَلَى
سَطْحِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الرَّاكَدِ.

كَانَ «حَقَّانِي» قَدْ خَرَجَ لِتَوِّهِ مِنْ أَوَّلِ صِدَامٍ عَسْكَرِيٍّ لَهُ مَعَ الْجَيْشِ
الْأَحْمَرِ، لِذَا كَانَ النَّعْمَةُ النَّشَازَ فِي الْوَفْدِ الْأَفْغَانِيِّ لِأَنَّهُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمَثِّلُ
الْحَقِيقَةَ الْمِيدَانِيَّةَ لِلْجِهَادِ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ طَرْحَهُ لَمْ يَكُنْ مُتَجَانِسًا مَعَ الطَّبِيعَةِ

الاحتفالية للمواضيع التي طرحها الوفد والطابع الانفعالي الحماسي للاجتماعات، كما لم يكن متجانسا مع طبيعة الجمهور العربي [المعتاد] على سلبية الاستماع ونشوة الحماس والتأثر بالخطابات البليغة، فلم يكن ممارسا لحيوية المشاركة وما تجلبه من متاعب وصعاب لم يتعود عليها. ويصح ذلك بوجه خاص على المجتمع الخليجي فائق الرفاهية، بما في ذلك تجمعاته الإسلامية «المواطنة» أو «الوافدة». وأعظم ما تبغضه هم تلك التجمعات حتى وقت الزيارة كان دفع دربهات لمشاريع الخير هنا وهناك، وما الجهاد عندهم حتى ذلك الوقت إلا واحدا من المشروعات الخيرية، مثل بناء مسجد أو دار أيتام أو استكمال مركز إسلامي في دولة أوروبية.

كان «حقاني» يريد أن يناقش القتال ومستلزماته، والمجاهد ومطالبه، والجهاد وخطوط إمداده. وقد تحدث مع قليلين حول تلك الموضوعات واستوعبه أقل القليل منهم.

وظلت الجبهات ومشاكلها القتالية العملية أكبر الغائبين عن ساحة الاهتمام الشعبي العربي المسلم، طوال مدة القتال، مع تحسن نسبي بعد ظهور «أبي عبد الله أسامة بن لادن» على ساحة العمل القتالي العربي في أفغانستان، وهذا موضع أحاديث مطولة في مواضع مختلفة من هذا الكتاب.

شعر «حقاني» هو الآخر بمحدودية الإسلاميين العرب وسطحيتهم في

التَّعَامُلِ مَعَ الْحَدَثِ الْأَفْغَانِيِّ، وَأَنَّهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْأَحَادِيثِ الْمُدْهَشَةِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْمَوَاضِعِ الصَّعْبَةِ. بَلْ [هُم] فِي حَاجَةٍ إِلَى الْاسْتِمْتَاعِ بِمُشَاهَدَةِ الْأَحْدَاثِ وَالْاسْتِمْتَاعِ إِلَى وَقَائِعِهَا أَكْثَرَ مِنْ رَغْبَتِهِمْ فِي الْأَنْغِمَاسِ فِيهَا وَمُكَابَدَتِهَا. وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَ بِطَبِيعَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ أَهْمِيَّةَ الْحِفَاطِ عَلَى الْخُيُوطِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَنْمِيَّتِهَا، فَهُوَ قَدْ جَرَّبَ عَمَلِيًّا أَهْمِيَّةَ الْمُسَاهَمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى بَسَاطَتِهَا، وَقَدْ كَانَ مُحِقًّا فِي ذَلِكَ كَمَا أُثْبِتَتْ ذَلِكَ الْأَحْدَاثُ خِلَالَ فِتْرَةِ الْحَرْبِ الطَّوِيلَةِ.

قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى «سَيَّافُ» رِئَاسَةَ الْإِتِّحَادِ كَانَ قَدْ وَقَعَ مِثَاقًا أَوْ تَعَهُدًا كِتَابِيًّا يُحَدِّدُ مَهَامَهُ وَصَلَاحِيَّاتِهِ وَحُدُودَهُ الَّتِي يَعْمَلُ دَاخِلَ إِطَارِهَا. أَهَمُّ بُؤُودِ هَذِهِ الْوَثِيقَةِ، وَالَّتِي أَحْفَظُ بِهَا فِي مَلَفَاتِ حِزْبِ «إِسْلَامِي يُونُس خَالِص» وَهِيَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي رَشَّحَتْهُ وَضَغَطَتْ فِي سَبِيلِ تَوَلِّيهِ مَنْصِبَ الرِّئَاسَةِ حَتَّى نَجَحَتْ فِي ذَلِكَ:

١. **البند الأول:** أَنَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي يَجْمَعُهَا «سَيَّافُ» بِصِفَتِهِ رَئِيسًا لِلْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِتَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ يَقُومُ بِإِعَادَةِ تَقْسِيمِهَا بَيْنَ الْمُنْظَّمَاتِ الْمُكُونَةِ لِهَذَا الْإِتِّحَادِ وَعَدَدُهَا سِتُّ مُنْظَّمَاتٍ.

٢. **البند الثاني:** فِي حَالَةِ فَكِّ الْإِتِّحَادِ الْمَذْكُورِ يَتَعَهُدُ «سَيَّافُ» أَلَّا يُحَوِّلَ الْإِتِّحَادَ إِلَى حِزْبٍ خَاصٍّ بِهِ.

كَانَتْ تِلْكَ الْوَيْثِقَةُ سَرِيَّةً، وَلَمْ نَعْلَمْ بِوُجُودِهَا إِلَّا بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ مِنْ
الْخِلَافِ بَيْنَ «سَيَّافٍ» وَقَادَةِ الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى؛ فَقَدْ اخْتَارُوهُ لَيْسَ كَزَعِيمٍ
لِلْجِهَادِ كَمَا تَخَيَّلْنَا وَتَخَيَّلَ غَيْرُنَا مِنَ الْعَرَبِ، بَلْ اخْتَارُوهُ كَلَاْفِتَةً مُشْتَرَكَةً
يَجْمَعُونَ تَحْتَهَا الْأَمْوَالَ، ثُمَّ يُعَادُ تَقْسِيمُ هَذِهِ الْأَمْوَالِ بَيْنَ الْمُنْتَظَمَاتِ السُّتِّ،
كَأَنَّا يُرِيدُونَهُ مُجَرَّدَ صُنْدُوقِ جَمْعِ تَبَرُّعَاتٍ، أَوْ حَصَالَةَ نَقُودٍ.

فِي تَقْدِيرِي أَنَّ الْاِتِّفَاقَ الْمَذْكُورَ كَانَ ذَنْبًا وَمُخَادِعًا، وَكَانَ الْعَرَبُ أَكْثَرَ
مَنْ تَأَثَّرَ بِتِلْكَ الْخَدِيعَةِ وَلَمْ يَرْغَبُوا فِي الْإِفَاقَةِ مِنْهَا. لَقَدْ شَاهَدْتُ بِضَعِ
مُحَاوَلَاتٍ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ بَيْنَ الْقَادَةِ الْأَفْغَانِ، كَانَ الْهَدَفُ مِنْهَا تَحْقِيقُ مَنَافِعَ
مَادِّيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ عَلَى حِسَابِ الْعَرَبِ، وَحَتَّى يَتَجَنَّبُوا الْإِحَاحَ وَضُغُوطَ هَوُؤَلَاءِ
السُّدْجِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَمْوَالَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّذْيِيرِ.

عَادَ «سَيَّافٌ» مِنْ رِحْلَتِهِ الْخَلِيجِيَّةِ، وَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً قَدْ اِهْتَزَّتْ
بِدَاخِلِهِ. فَبَعْدَ أَنْ كَانَ يَسْكُنُ فِي عُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ فِي «جَمْرُودِ رُودٍ» يَتَبَرَّعُ
بِإِيجَارِهَا بَعْضَ الْأَصْدِقَاءِ، وَكَذَلِكَ يَتَبَرَّعُونَ بِمَا يَسُدُّ رَمَقَهُ، فَهِيَ هُوَ قَدْ عَادَ بَعْدَ
رِحْلَةٍ وَاحِدَةٍ مُرِبِحَةٍ وَمُبْهَجَةٍ وَقَدْ حَمَلَ مَلَائِينَ الدُّوَلَارَاتِ، هَكَذَا دُفَعَةٌ وَاحِدَةٌ
وَبِلَا مُقَدِّمَاتٍ أَوْ مَرَاحِلٍ مُتَدَرِّجَةٍ.

لَقَدْ أَعْطَاهُ «زَايِدٌ» مِليُونَ دُولَارٍ، وَمِنْ الْمَنْطِقِيِّ أَنْ تَكُونَ السُّعُودِيَّةُ [قَدْ]
دَفَعَتْ أضعافَ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ. عَلِمْنَا بَعْدَ سَنَوَاتٍ أَنَّهُ حَصَلَ مِنَ السُّعُودِيَّةِ فِي

تِلْكَ الزِّيَارَةُ عَلَى خَمْسَةِ مَلَائِينَ دُولَارٍ أَوْ ٤٠ مِليُونِ حَسَبِ مَصَادِرٍ أُخْرَى عَلِيمَةٍ. وَأَنْ تَكُونَ قَطْرٌ قَدْ دَفَعَتْ نِصْفَ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ عَلَى الْأَقْل. نَاهِيكَ عَنِ التَّبَرُّعَاتِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي انْهَالَتْ بِسَخَاءٍ غَيْرِ عَادِيٍّ.

وَقَدْ كَانَتْ تَبَرُّعَاتُ الْأَعْوَامِ التَّالِيَةِ عَلَى النُّطَاقِ الشَّعْبِيِّ مِنَ الصُّخَامَةِ بِدَرَجَةٍ لَا تُصَدَّقُ، فَقَدْ رَأَيْتُ بِنَفْسِي أَكْوَامَ الذَّهَبِ الَّذِي تَبَرَّعَتْ بِهِ النِّسَاءُ فِي «أَبُو ظَبْيٍ» فَقَطُّ. وَقَدْ كَانَتْ أَكْوَامُ الذَّهَبِ فِي السُّعُودِيَّةِ أَعْلَى وَأَضْخَمَ بِشَهَادَةِ الْعَرَبِ أَنْفُسِهِمْ وَأَحْيَانًا الْأَفْغَانَ الَّذِينَ لَا يُفْصِحُونَ عَادَةً عَنِ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَصِلُهُمْ.

رَفَضَ «سَيَّافٌ» تَوَزِيعَ الْأَمْوَالِ، وَقَدْ سَمِعَ الرَّعْمَاءُ فِي «بِيشَاور» عَنِ طَرِيقِ أَعْضَاءِ الْوَفْدِ وَالْأَفْغَانَ الْمُقِيمِينَ فِي الْخَلِيجِ، سَمِعُوا عَنْ سَلَالِ الْأَمْوَالِ الَّذِي انْهَالَ عَلَى «سَيَّافٍ»، فَهَرَعُوا إِلَيْهِ مُسْتَبْشِرِينَ يُطَالِبُونَ بِتَقْسِيمِ الْغَنِيمَةِ مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ. لَكِنَّهُمْ صُدُّوا بِمَوْقِفِ «سَيَّافٍ» الَّذِي رَفَضَ بِإِصْرَارٍ، وَقَدَّمَ حُجَجًا مَتِينَةً تُنَاقِضُ الْإِتِّفَاقَ الْمَكْتُوبَ وَتَنْقَلِبُ عَلَيْهِ. فَقَدْ احْتَجَّ «سَيَّافٌ» بِأَنَّ الْأَمْوَالَ قَدْ جُمِعَتْ بِاسْمِ الْإِتِّحَادِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّحِدُوا اتِّحَادًا حَقِيقِيًّا - بِالطَّبَعِ تَحْتَ إِمْرَتِهِ - حَتَّى يُمَكِّنَهُ إِنْفَاقَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ عَلَيْهِمْ.

فَهَمَّ الْقَادَةُ وَهُمْ الْمُتَمَرِّسُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَضَايَا، بِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ خَدَعَهُمْ، وَاسْتَعَلَّ قُوَّةَ مَرْكَزِهِ الْجَدِيدِ كَزَعِيمٍ لِلاتِّحَادِ كَيْ يُضْعِفَ مَرَاكِزَهُمْ وَيَسْتَوْلِي

عَلَى الْأَمْوَالِ.

اسْتَعْرَتْ الْحَرْبُ السِّيَاسِيَّةُ فِي «بِيْشَاوَر» بَيْنَ الْقَادَةِ السُّتَّةِ وَ «سَيَّاف» الضَّيْفِ الْجَدِيدِ عَلَى السَّاحَةِ الَّذِي تَحَوَّلَ فِي لُغْبَةٍ وَاحِدَةٍ بَارِعَةٍ إِلَى السَّيِّدِ الْأَوَّلِ لِهَذِهِ السَّاحَةِ.

بَدَأَ «سَيَّافُ» فِي تَدْعِيمِ مَوْقِفِهِ وَإِضْعَافِ مَوْقِفِ خُصُومِهِ - الْقَادَةِ السُّتَّةِ - وَأَخَذَ يُكَوِّنُ تَنْظِيمَهُ مُسْتَفِيدًا مِنْ قُوَّتِهِ الْمَالِيَّةِ الْعِمْلَاقَةِ وَقُوَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مِنْ اسْمِ الْإِتِّحَادِ. وَظَلَّتْ تِلْكَ هِيَ لُغْبَتُهُ الْمُفْضَلَةُ وَالرَّابِحَةُ حَتَّى نِهَآيَةِ الْجِهَادِ.

بِالْمَالِ وَالشَّرْعِيَّةِ بَنَى «سَيَّافُ» تَنْظِيمًا بِيْشَاوَرِيًّا ضَخْمًا، اشْتَرَى عُلَمَاءَ وَكَوَّنَ مِنْهُمْ مَجْلِسَ شُورَى، وَاشْتَرَى ضُبَّاطًا سَابِقِينَ، وَقَادَةً دَاخِلَ الْجَبَهَاتِ مِنْ السَّاعِينَ إِلَى أَعْلَى الْعُرُوضِ الْمَالِيَّةِ فِي «بِيْشَاوَر» وَتِلْكَ تِجَارَةٌ بَدَأَتْ تَزْدَهْرُ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ، ظَاهِرَةُ الْقَادَةِ الْمَيْدَانِيِّينَ الْهَابِطِينَ مِنْ الْجِبَالِ إِلَى «بِيْشَاوَر» بَحْثًا عَنْ فُرْصِ الرِّبْحِ السَّرِيعِ لِصَاحِبِ أَعْلَى سِعْرِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسْلِحَةِ.

وَالْعُلَمَاءُ الْغِيُورُونَ السَّاعُونَ إِلَى الْإِتِّحَادِ الْحَقِيقِيِّ اجْتَذَبُوا كَالْفَرَاشَاتِ الْحَائِرَةِ إِلَى «إِتِّحَادِ» «سَيَّافِ» الَّذِي حَوَّلَهُمْ بِمَهَارَةٍ إِلَى مُوظَّفِينَ مُخْلِصِينَ، بَعْدَ أَنْ أَعْرَقَهُمْ فِي رَغْدِ الْعَيْشِ مِنْ مَسْكَنِ وَكَمَالِيَّاتٍ وَمِنْحِ دَرَاسِيَّةٍ لِلْأَوْلَادِ.

عَدَدٌ مِنَ الْقَادَةِ الْبَارِزِينَ وَالْمَشْهُورِينَ اسْتَدْعَاهُمْ كَيْ يَقْفُوا إِلَى جَانِبِهِ لِبِنَاءِ
الِاتِّحَادِ الَّذِي طَالَمَا طَمَحُوا إِلَيْهِ. فَهَرَعُوا إِلَيْهِ بِإِخْلَاصٍ، وَبِالتَّدرِجِ تَحَوَّلُوا
إِلَى هَيَاكِلٍ خَشَبِيَّةٍ يَعْرضُهَا عَلَى الزُّوَارِ مُتَاجِرًا بِتَارِيخِهِمُ الْجِهَادِيَّ وَعِلْمِهِمُ
الدِّينِيَّ.

وَهَكَذَا بَدَأَتْ وَتِيرَةُ الْإِنْحِدَارِ تَتَزَايَدُ مَعَ بَدَايَةِ الْإِتِّحَادِ الْجَدِيدِ كَمَا لَمْ
يَسْبِقْ أَنْ حَدَثَ مَعَ الْإِتِّحَادَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي لَمْ يَكَدْ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فِي الْعَالَمِ
الْخَارِجِيِّ. لَقَدْ كَانَ الظَّرْفُ السِّيَاسِيُّ مُسَاعِدًا عَلَى سُطُوعِ نَجْمِ «سَيَافٍ»،
وَمُسَاعِدًا أَيْضًا عَلَى زِيَادَةِ وَتِيرَةِ الْإِنْحِرَافِ وَالْإِنْحِدَارِ الَّتِي بَدَأَهَا.

وَلَمْ تَكَدْ تَمْضِي أَشْهُرٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى وَقَعَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى عَلَى «الْجِهَادِ
الْأَفْغَانِيِّ» حِينَ قَرَّرَتْ أَمْرِيكََا تَحْتَ قِيَادَةِ رَئِيسِهَا الْجَدِيدِ «رُونَالْد رِيَجَان» أَنْ
تَتَبَّنَى سِيَاسَةَ التَّدخُّلِ فِي الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَتُحَوَّلَهَا إِلَى حَرْبٍ بِالْوَكَالَةِ طَبَقًا
لِتَقَالِيدِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ السَّائِدَةِ آنَ ذَاكَ.

وَقْتَهَا تَحَوَّلَتْ قَضِيَّةُ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى قَضِيَّةٍ دَوْلِيَّةٍ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ، وَأَخَذَ
الطَّابِعُ الْإِسْلَامِيُّ يَدْوِي وَالدَّمُ الْإِسْلَامِيُّ يَزْدَادُ نَزِيْفًا. أَمَّا الْقِيَادَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ،
أُصُولِيَّةٌ وَمُعْتَدِلَةٌ فَلَمْ تَكُنْ سِوَى أَحْجَارٍ عَلَى رُفْعَةِ الشَّطْرُنِجِ، وَمَا زَالَتْ كَذَلِكَ
حَتَّى الْآنَ.

لَمْ أَسْتَطِعْ الذَّهَابَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ فِي عَامِ ١٩٨٠م بِسَبَبِ كَارِثَةِ مَالِيَّةٍ

حَلَّتْ بِي إِثْرَ مُحَاوَلَةٍ فَاشِلَةٍ فِي مَجَالِ الْعَمَلِ الْحُرِّ تَفَادِيًا لِأَسْرِ الْوَضِيفَةِ.
وَأَنْتَهتْ الْمُحَاوَلَةُ بِالْوُقُوعِ فِي أَسْرِ الدُّيُونِ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ. وَفِي عَامِ ١٩٨٠ م
سَافَرَ «الْمِنْيَاوِيُّ» مُنْفَرِدًا وَشَارَكَ فِي عَمَلِيَّةٍ صَغِيرَةٍ فِي «جَلالِ آبَاد». وَرُغِمَ
عُزُوفِهِ عَنِ السِّيَاسَةِ وَشُكُوكِهِ وَكَرَاهِيَّتِهِ لَهَا وَلِرِجَالِهَا، إِلَّا أَنَّهُ أَحْرَزَ إِنْجَازًا
سِيَاسِيًّا تَارِيخِيًّا، بِإِخْرَاجِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ إِلَى مَجَالِ الْاهْتِمَامِ الشَّعْبِيِّ
الْإِسْلَامِيِّ، عَلَى عَكْسِ مَا كَانَ يَهْدَفُ إِلَيْهِ مُؤْتَمَرُ وُزَرَاءِ الْخَارِجِيَّةِ لِلدُّوَلِ
الْإِسْلَامِيَّةِ فِي «إِسْلَامِ آبَاد» الَّذِي أَرَادَهَا حَائِطَ مَبْكَى إِسْلَامِيًّا جَدِيدًا يُضَافُ
إِلَى الْحَائِطِ الْفِلَسْطِينِيِّ وَعَشْرَاتٍ غَيْرِهِ. كَانَتْ مُبَادَرَةٌ «الْمِنْيَاوِيُّ» مُجَازَفَةً
جُنُونِيَّةً، أَنْتَهتْ بِخَيْرٍ، وَجَاءَتْ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى الْعَرَبِ فِي بِلَادِهِمْ.



عَامَ ١٩٨١ م

قِتَالٌ ضِدَّ السُّوفِيَّتِ .. وَآخِرُ ضِدِّ الْمُنَظَّمَاتِ

تَحَرَّكَتْ فِي مَآيُو عَامِ ١٩٨١ م وَفِي ذِهْنِي الْمُرُورُ عَلَى نَفْسِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي زُرْنَاهَا فِي عَامِنَا الْأَوَّلِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، كَيْ أَلْحَظَ الْفَرْقَ بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ الْكَارِثَةُ الْعُظْمَى بِدُخُولِ السُّوفِيَّتِ وَتَدَخُّلِ الْجَيْشِ الْأَحْمَرِ ضِدَّ قُوَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ الْبِدَائِيَّةِ. كَانَتْ تَصِلُنَا رَسَائِلُ مُطْمَئِنَّةٌ وَوُفُودٌ مِنْ طَرَفِ الْمُجَاهِدِينَ. كَانَتْ الْإِتِّصَالَاتُ [طَبِيبَةً نَسِيًّا] وَمُتَّصِلَةً، خَاصَّةً مِنْ طَرَفِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعَرَّفْنَا عَلَيْهِمْ فِي رِحْلَتِنَا الْأُولَى، وَمِنْ طَرَفِ «سَيَّاف» الَّذِي كُنَّا نَعْتَبِرُ أَنْفُسَنَا مِنْ أَفْضَلِ أَصْدِقَائِهِ، وَقَدْ شَجَعَنَا هُوَ عَلَى هَذَا التَّصَوُّرِ. وَكَانَتْ رَسَائِلُهُ وَمَنْدُوبِيهِ فِي حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ بَيْنَ «بِيشَاوَر» وَالْخَلِيجِ.

وَسَاعَدَ عَلَى قُوَّةِ الْإِتِّصَالِ أَنَّ مَنْدُوبِي مَوْلَوِي «يُونُسَ خَالِصَ» وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ التَّقِينَا بِهِمْ وَتَوَطَّطَتْ صِلَاتُنَا مَعَهُمْ، كَانُوا تَحْتَ إِمْرَةِ «الْإِتِّحَادِ الْجَدِيدِ» وَتَحَوَّلُوا إِلَى تَبَعِيَّةِ «سَيَّاف» وَذَلِكَ بِأَمْرِ مِنْ «خَالِصَ» نَفْسِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ نَدِمَ عَلَيْهِ

كَمَا سَنَرَى الْآنَ.

مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ^(١) أَنَّنِي وَجَدْتُ بَيْنَ أَوْرَاقِي الْقَدِيمَةِ ثَلَاثَ رَسَائِلَ كُنْتُ
[قَدْ] كَتَبْتُهَا أَثْنَاءَ تِلْكَ الرَّحَلَةِ إِلَى أَصْدِقَائِي فِي «أَبُو ظَبْيٍ»، وَمِنْ حُسْنِ الْحِظِّ
أَيْضًا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَلْمُوهَا لِأَسْبَابٍ فَنِيَّةٍ. وَعِنْدَ عَوْدَتِي وَجَدْتُ الرَّسَائِلَ فِي
إِنْتَظَارِي فَاحْتَفَظْتُ بِهَا مِنْ وَقْتِهَا إِلَى الْآنَ.

وَسَوْفَ نُورِدُ نَصَّ الرَّسَائِلِ الثَّلَاثِ أَوَّلًا ثُمَّ نَتَّأَوَّلُ بِالتَّعْلِيقِ أَوْ التَّوْضِيحِ
بَعْضَ مَا جَاءَ فِيهَا. وَقَدْ نَرَبِطُ بَعْضَ مَحْتَوَيَاتِهَا بِمَا سَبَقَ أَوْ لَحِقَ مِنْ أَحْدَاثٍ.
وَكَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا فَإِنَّ تِلْكَ الرَّسَائِلَ تَوْضِحُ جَانِبًا صَغِيرًا وَثَانِيًا مِنَ التِّيَّارِ
العَرَبِيِّ الَّذِي رَافَقَ الْقَضِيَّةَ الْأَفْغَانِيَّةَ. وَالْأَدَقُّ أَنْ نَقُولَ بِأَنَّ جَمَاعَتَنَا الصَّغِيرَةَ
كَانَتْ تِيَّارًا ثَانِيًا لِلْغَايَةِ يَسِيرُ عَكْسَ سَلَالِ هَادِرٍ مِنَ التَّحْرُكِ العَرَبِيِّ وَالدُّوَلِيِّ.
لِهَذَا كَانَ تَأْثِيرُنَا أَشَدَّ تَوَاضِعًا، وَالْأَفْكَارُ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا، مُعْظَمُهَا ظَلَمَ مَعْرُوْلًا أَوْ
مُتَهَمًا أَوْ مَبْهُودًا، وَقَلِيلٌ مِنْهَا تَبَنَّاها التِّيَّارُ العَرَبِيُّ الهَادِرُ، وَطَبَقَهَا بِمَا لَمْ يَخْطُرُ
بِبَالِنَا مِنْ تَحْرِيفٍ. وَسَوْفَ يَأْتِي ذِكْرُ أُمْتِلَةٍ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ قَادِمَةٍ.

(١) قَدْ تَكَرَّرَ اسْتِخْدَامُ لَفْظِ «الْحِظِّ» مِنَ الْكَاتِبِ، وَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ مَدْلُولَ الْكَلِمَةِ يَنَاقِضُ مَعْنَى
الْقَدْرِ وَأَنَّ اسْتِخْدَامَهَا بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُخَالَفَةِ الْعَقْدِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَجَوَّزُ عَنْ ذَلِكَ لِيَقِينَنَا بِأَنَّ أَهْلَ مِصْرَ
يَسْتَحْدِمُونَ لَفْظَ «الْحِظِّ» وَيَعْنُونَ بِهِ «الْقَدْرَ» بِإِلَّا خِلَافٍ فِي الْمَدْلُولِ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا أَمْرٌ مَشْهُورٌ عَرَفًا.

وَالرَّسَائِلُ التَّالِيَةُ مُوجَّهَةٌ إِلَى صَدِيقِنَا «إِسْمَاعِيلَ» الَّذِي بَدَأَتْ قَبْضَتُهُ تَتَرَاخَى عَنِ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مُنْذُ عَامِ ١٩٨١ م حَتَّى قَطَعَ عِلَاقَتَهُ بِهَا عَمَلِيًّا فِي الْعَامِ التَّالِيِ. وَكَمَا ذَكَرْتُ فَقَدْ كَانَ الْأَكْثَرَ وَاقِعِيَّةً سِيَاسِيَّةً، وَلَكِنِّي الْآنَ بَعْدَ انْتِهَاءِ التَّجْرِبَةِ كُلِّهَا وَظُهُورِ كُلِّ نَتَائِجِهَا تَقْرِيْبًا أَقُولُ بِأَنَّ مَوْقِفَ صَدِيقِنَا كَانَ بِهِ الْقَلِيلُ مِنَ الصَّوَابِ وَالكَثِيرُ مِنَ الْخَطَا.



■ الرَّسَالَةُ الْأُولَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخ «إِسْمَاعِيلَ»: تَحِيَّةٌ طَيِّبَةٌ وَبَعْدُ،

أَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَجَمِيعِ الْإِخْوَةِ فِي أَحْسَنِ حَالٍ. أَكْتُبُ لَكَ الْيَوْمَ صَبَاحَ الثَّلَاثَاءِ ٢ / ٦ / ١٩٨٢ م وَمِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ أَعَادِرَ «بِيْشَاوَر» إِلَى «مِيرَانْشَاه» بَعْدَ الظُّهْرِ.

أَمْضَيْتُ الْإَيَّامَ الثَّلَاثَةَ الْمَاضِيَةَ فِي الْمُرُورِ عَلَى مَدَارِسِ أُنْبَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَعَلَى بَعْضِ الْمَعْسَكَرَاتِ وَالتَّقَطُّتُ بَعْضَ الصُّوَرِ وَسَأَحَاوَلُ الْحُصُولَ عَلَى بَعْضِ الْبَيِّنَاتِ عَنْ عَدَدِ الْمَدَارِسِ وَالطُّلَّابِ. أَحْوَالُ التَّلَامِيذِ سَيِّئَةٌ وَغَايَةٌ فِي الْقَسْوَةِ. وَقَدْ أَوْضَحْتُ لِلشَّيْخِ «سَيَّاف» وَكُلِّ مَنْ قَابَلْتُهُ مِنَ الْأَحْرَابِ

الإسلامية أن التعليم لا بد أن ينتقل من يد الأحزاب إلى يد مؤسسية إسلامية للتعليم تكون لها ميزانية ثابتة تساهم فيها الأحزاب. والسبب طبعاً لأن التنافس السياسي بين هذه الأحزاب تدفع ثمنه المدارس والأطفال [١]، وكثير من الدول ترفض المساهمة في عملية التعليم إلا بعد الاتحاد.

عملية الخلافات السياسية بين المنظمات مستمرة وممتزجة، وشيء مؤسف حقيقة. «غلب الدين»^(١) لن يدخل أي اتحاد مهما كان الأمر، هذا هو الظاهر حتى الآن. «برهان الدين» يرفض الاتحاد مع «غلب الدين»، «مجددي» و«جيلاني» يلعبان لحساب أمريكا على المكشوف واستطاعا السيطرة على الشيخ محمد نبي محمددي. وهذا أدى إلى انقسام في حزب «محمددي» كاد يؤدي إلى صدام يوم الجمعة الماضي لولا أن الله سلم [٢].

محور «مجددي - جيلاني» ورط الشيخ «يونس خالص» في بعض المواقف [التي] أساءت إلى علاقات حزبه مع أحزاب «غلب الدين» و«برهان الدين»، وأصبح الشك قائماً بينهم [٣]. والعلاقات متوترة بين «سياف» و«محمد يونس خالص» بسبب موافقة الشيخ «يونس» على بيان أعدته الثلاثة «مجددي» و«جيلاني» و«محمددي»، يعلنون فيه خلع «سياف»

(١) «غلب الدين» هو «قلب الدين حكمتيار».

وَالْغَاءِ الْاِتِّحَادِ وَتَوْجِيهِ اَنْتِهَامِ لـ «سَيَافٍ» بِاَنَّهٗ لَمْ يُقْسِمَ اَمْوَالَ الْاِتِّحَادِ بَيْنَهُمْ.

«سَيَافٍ» يُحَارِبُ مَعْرَكَةً شَرِسَةً لِتَكْوِينِ كَيَانِ اِتِّحَادِيٍّ بِأَيِّ شَكْلِ سَوَاءً بِاِتِّحَادٍ مَعَ «غَلَبِ الدِّينِ» وَ «بُرْهَانِ الدِّينِ»، وَقَدْ فَشَلَ فِي هَذَا حَتَّى الْاَنَ نَتِيْجَةَ رَفْضِ الْاِثْنَيْنِ لِمَبْدَاِ الْاِتِّحَادِ بَيْنَ حِزْبَيْهِمَا رُغْمَ مُوَافَقَةِ اَعْضَاءِ مَجْلِسِ الشُّوْرَى فِي الْحِزْبَيْنِ عَلَى الْاِتِّحَادِ بِالْاَغْلَبِيَّةِ، وَلَكِنَّ الزَّعِيْمِيْنَ ضَرَبَا بِالشُّوْرَى عَرَضَ الْحَاظِطِ. الْحَلُّ الْاٰخَرُ اَمَامَ «سَيَافٍ» هُوَ تَكْوِينُ تَجْمَعٍ مِنْ اَعْضَاءِ الْاَحْزَابِ مِنْ رِجَالِ الصَّفِّ الثَّانِي - وَهُمْ اَغْلَبِيَّةُ الْاَحْزَابِ - لِتَكْوِينِ اِتِّحَادٍ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِ الرُّوْسَاءِ، وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْحُصُولَ عَلَى اَغْلَبِ اَعْضَاءِ اَحْزَابِ «بُرْهَانِ الدِّينِ» وَ «غَلَبِ الدِّينِ» وَ «مُحَمَّدِ نَبِيِّ». وَاُظُنُّ اَنَّ اِعْتِقَادَهُ هَذَا صَحِيْحٌ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخُطُوَّةَ سَتَحْدُثُ اَرْتِبَاكًا كَبِيْرًا فِي الصُّفُوْفِ وَيُخْشَى مِنْ حُدُوْثِ صِدَامَاتٍ [٤].

اُصْدَرَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ بَيَانًا قَوِيًّا تَهْدُدُ فِيْهِ رُوْسَاءَ الْاَحْزَابِ بِالْاِتِّحَادِ فُوْرًا وَاِلَّا اُصْدَرَتْ بَيَانًا بِتَكْفِيْرِهِمْ اِذَا لَمْ يَتَّحِدُوْا. وَجَاءَ فِي هَذَا الْبَيَانِ، وَهُوَ بَيَانٌ جَيِّدٌ جَدًّا وَيَرْسُمُ خُطُوْطًا وَاَقِيْعِيَّةً وَقَوِيَّةً لِاِعَادَةِ تَشْكِيلِ الْبُنْيَانِ الْاِتِّحَادِيِّ، جَاءَ فِي الْبَيَانِ ١٠٣ مَادَّةٌ تُحَدِّدُ الْخُطُوَاتِ الْاِلَازِمَةَ لِتَشْكِيلِ الْاِتِّحَادِ وَتَشْكِيلِ مَجْلِسِ الشُّوْرَى وَالشُّرُوْطَ الصَّرُوْرِيَّةَ تَوَافُرْهَا فِي اَعْضَاءِ الْاِتِّحَادِ [٥].

مِنْ ضَمْنِ شُرُوْطِ الْعُلَمَاءِ اَنَّ الْمُنْظَمَ لِهَذَا الْاِتِّحَادِ لَا بُدَّ اَنْ يَكُوْنَ مَعْرُوْفًا

بِجِهَادِهِ الْإِسْلَامِيِّ، لَا الْقَوْمِيِّ وَعَدَمِ تَوَرُّطِهِ مَعَ الْعَهْدِ الْمَلَكِيِّ لِـ «ظَاهِرِ شَاهٍ». وَهَذِهِ الشُّرُوطُ سَتُؤَدِّي إِلَى اسْتِبْعَادِ «جِيلَانِي» وَ «مُجَدِّدِي» وَ «مُحَمَّدِ نَبِيِّ».

١. مِنْ شُرُوطِ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُرَشَّحَ كُلُّ حِزْبٍ ٢٠ عَضْوًا لِمَجْلِسِ الشُّورَى لِيُخْتَارَ الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ فَقَطْ لِلْمَجْلِسِ الْمَذْكُورِ. الْحِزْبُ الَّذِي لَنْ يَتَوَقَّرَ لَدَيْهِ عَشْرَةٌ أَعْضَاءٍ تَتَوَقَّرُ فِيهِمُ الصِّفَاتُ الْمَطْلُوبَةُ سَيَكُونُ عَدَدُ أَعْضَائِهِ أَقَلَّ مِنْ عَشْرَةٍ حَسَبَ الْعَدَدِ الَّذِي تَوَقَّرَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ.

٢. مَجْلِسُ الشُّورَى سَيُدِيرُ أُمُورَ الْإِتِّحَادِ بِشَكْلِ جَمَاعِيٍّ حَتَّى يَتِمَّ انْتِخَابُ رَئِيسٍ دَائِمٍ بَعْدَ دَمَجِ اللَّجَانِ الْإِتِّحَادِيَّةِ لِلدَّفَاعِ وَالْإِعْلَامِ... الخ.

٣. الشُّورَى رَأْيُهَا إِلْزَامِيٌّ عَلَى الرَّئِيسِ.

٤. سَيَكُونُ الْعُلَمَاءُ مَجْلِسَ إِفْتَاءٍ مُكَوَّنٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ.

٥. أَعْضَاءُ مَجْلِسِ الشُّورَى لَا بُدَّ أَنْ يُمَارِسُوا الْقِتَالَ فِي الْجَبَهَاتِ لِفَتْرَاتٍ مُعَيَّنَةٍ كُلِّ عَامٍ.

طَبَعًا أَنَا سَاعَادِرُ «بِيَسَاوَر» قَبْلَ أَنْ تَنْجَلِي الْمَعْرَكَةَ الْحَالِيَةَ، وَفِي ظَنِّي أَنَّهَا سَتَكُونُ حَاسِمَةً عَلَى الْمَجَالِ السِّيَاسِيِّ، فِيمَا أَنْ يَعْقُبَهَا اتِّحَادٌ حَقِيقِيٌّ أَوْ نَفْتٌ وَخَيْمُ الْعَوَاقِبِ.



أَرْسَلَ «الإخوان المسلمون» فِي مِصْرَ مَنْدُوبًا
لِلْمُسَاعَدَةِ فِي عَمَلِيَّةِ الْمُصَالِحَةِ بَيْنَ الْأَحْزَابِ، وَهُوَ
السَّيِّدُ «كَمَالُ السَّنَانِيرِي»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٥٤]، وَلَكِنَّ جُھُودَهُ
لَمْ تُسْفِرْ عَنْ شَيْءٍ لِلْأَسْفِ حَتَّى الْآنَ [٦].

جَمِيعُ مَنْ قَابَلْتُهُمْ أَجْمَعُوا أَنَّ الْمَوْقِفَ الْعَسْكَرِيَّ مُمْتَازٌ وَأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ
أَفْضَلُ تَنْظِيمًا وَفَعَالِيَّةً فِي الدَّخْلِ، وَأَنَّ مَوْقِعَهُمْ أَفْضَلُ هَذَا الْعَامِ مِنَ الْأَعْوَامِ
السَّابِقَةِ. وَجَمِيعُ الشَّوَاهِدِ الَّتِي رَأَيْتُهَا تُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ صَحِيحٌ [٧].

السَّيِّدُ «جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي» فِي مَوْقِعٍ قَرِيبٍ مِنْ «جَرْدِيز» عَاصِمَةِ
«بَاكْتِيَا»، وَقَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَضَعَ عَلَى قِمَمِ الْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ بِهَا أَسْلِحَةً ثَقِيلَةً فِي
وَضْعٍ يُمَكِّنُهُ مِنْ تَدْمِيرِ أَيِّ مَوْقِعٍ عَسْكَرِيٍّ فِي «جَرْدِيز» أَوْ مَا حَوْلَهَا إِلَى مَسَافَةِ
٢٠ كَمِ تَقْرِيبًا، وَلَكِنَّ مُشْكِلتَهُ أَنَّ الذَّخِيرَةَ غَيْرَ مُتَوَفَّرَةٍ لِهَذِهِ الْأَسْلِحَةِ.

السَّيِّدُ «مُطِيعُ اللَّهِ» تَرَكَ «بِيشَاوَر» قَبْلَ قُدُومِي بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ وَعَادَ إِلَى مَوْقِعِ

(١) مُحَمَّدُ كَمَالِ الدِّينِ السَّنَانِيرِي (١١ مَارِسَ ١٩١٨م - ٨ نَوْفَمْبِرَ ١٩٨١م): أَحَدُ أُبْرَزِ قِيَادَاتِ جَمَاعَةِ
«الإخوان المسلمين»، اتَّحَقَّ بِالْجَمَاعَةِ عَامَ ١٩٤١م. اعْتُقِلَ عَامَ ١٩٥٤م وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسُّجُونِ
عِشْرِينَ عَامًا، فَخَرَجَ عَامَ ١٩٧٤م. أُعِيدَ اعْتِقَالُهُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ فِي عَامِ ١٩٨١م وَتَعَرَّضَ
لِلتَّعْذِيبِ الشَّدِيدِ فِي فِتْرَتَيْ اعْتِقَالِهِ مِمَّا أَدَّى إِلَى وَفَاتِهِ وَهُوَ مُعْتَقَلٌ.

«الأوزجون»، وَسَوْفَ أَرْوَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. خَطُّ سِيرِي مِنَ الْيَوْمِ هُوَ «مِيرَانشَاه» - جَرْدِيز - أَوْزْجُون». سَوْفَ أَكْتُبُ لَكُمْ مِنْ «مِيرَانشَاه» إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَا يَسْتَحِقُّ، ثُمَّ أَكْتُبُ لَكُمْ مِنْ عِنْدِ الشَّيْخِ «جَلَالِ الدِّينِ» بِإِذْنِ اللَّهِ.

أَخْبَرَ الْأَخَّ «بَشِيرٌ» أَنَّنِي أَرْسَلْتُ «شِيكَ» لِصَدِيقِهِ فِي «بِيشَاوَر» وَأَوْصَلْتُ الْخَطَّابَ لِلْأَخِّ «نَجِيبٌ» فِي الْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ [٨]، وَهُوَ يَهْدِيهِ السَّلَامَ، أَمَّا الْأَخُّ «الْأَطْرَشُ» فَلَا يُوجَدُ أَحَدٌ بِهَذَا الْاسْمِ وَيَبْدُو أَنَّهُ أَخْطَأَ.

«أَحْمَدُ الْمِنْيَاوِيُّ» أَعْطَانِي عُنْوَانًا خَطًّا، وَلَمَّا كُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ «بِيشَاوَر» فِي الْوَالِدَةِ صَبَاحًا فِي تَاكْسِي خُصُوصِيٍّ مِنْ مَطَارِ «رَوَالْبِنْدِي» وَأَخَذْنَا نَبَحْتُ عَنْ عُنْوَانِ «الْمِنْيَاوِيِّ» لِأَكْثَرِ مِنْ سَاعَةٍ وَنِصْفٍ، وَقَدْ كَلَّفَنِي هَذَا الْخَطُّ ٧٠٠ رُوبِيَّةً لِلتَّاكْسِي !! أَرْجُو أَنْ يُجَهِّزَهَا «الْمِنْيَاوِيُّ» مُضَافًا إِلَيْهَا أَلْفَ رُوبِيَّةٍ أَتَعَابُ...

كُلُّ مَنْ هُنَا يُسَلِّمُونَ عَلَيْكُمْ كَثِيرًا جَدًّا...

صَمَانًا لِعَدَمِ الضِّيَاعِ، عَلَى كُلِّ شَخْصٍ يَأْتِي إِلَيَّ «بِيشَاوَر» لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، خَاصَّةً إِذَا وَصَلَ فِي اللَّيْلِ مِثْلِي، دَعُهُ يَأْخُذُ التَّاكْسِيَّ إِلَى مَنْطِقَةِ «صَدْر» وَهِيَ مَنْطِقَةُ السُّوقِ، وَيَذْهَبُ إِلَى فُنْدُقِ «سَكَاي لَاب» (ت ٧٤١٢١)، وَمُدِيرُ الْفُنْدُقِ هُوَ «مُحَمَّدُ عُمَرُ» صَدِيقُ جَمَاعَةِ مَوْلَانَا «يُونُسُ خَالِصٌ» سَيَعْمَلُ اللَّازِمَ لِتَوْصِيلِهِ.

مُرْسَلٌ لَكَ فِي خِطَابٍ آخَرَ وَرُبَّمَا مَعَ هَذَا الْخِطَابِ مَقَالَةٌ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ لِأَخِ صَحْفِيٍّ بَاكِسْتَانِيٍّ، وَهُوَ مُسْلِمٌ مُنَاصِرٌ لِلْمُجَاهِدِينَ وَعَلَى عِلَاقَةٍ وَطِيدَةٍ بِهِمْ جَمِيعًا، وَلَهُ وَكَالَهُ أُنْبَاءٌ خَاصَّةٌ بِالْمُجَاهِدِينَ، وَلَهُ عِدَّةٌ مُرَاسِلِينَ مِنْ صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ وَمِنْ سُكَّانِ الْمُدُنِ، أَرْجُو أَنْ تَأْخُذَ مَقَالَتَهُ وَتُقَدِّمَهَا لـ «سَمِيرٍ». إِذَا أَمَكَّنَ أَنْ يَعْقِدُوا مَعَهُ اتِّفَاقًا مَعَ أَيِّ صَحْفِيَّةٍ إِنْجِلِيزِيَّةٍ فِي الْإِمَارَاتِ لِيرَاسِلَهَا بِالصُّورِ وَالْأَخْبَارِ عَنِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

بِالْمُنَاسِبَةِ الْأَخِ الصَّحْفِيِّ يُجَهِّزُ لِكِتَابٍ كَالَّذِي كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ، وَهُوَ طَبْعًا عِنْدَهُ الْمَادَّةُ مُتَوَفَّرَةٌ أَكْثَرُ لِأَنَّهُ يَعِيشُ فِي وَسَطِ الْأَحْدَاثِ، أَرْجُو أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ فَهُوَ يَرْغَبُ فِي التَّعَرُّفِ عَلَيْكُمْ.

أَخِيرًا بَلِّغْ تَحِيَّاتِي لِلْإِخْوَةِ جَمِيعًا «بَشِيرٍ» وَ «جَمَالَ» وَ «مُحَمَّدَ بَدَوِيٍّ» وَ «أَحْمَدَ أَبُو لَبْنٍ» وَ «الْمِنْيَاوِيَّ» وَ «أَبُو عَاصِمٍ» وَ «عَبْدَ الرَّحْمَنِ».

رَجَاءٌ مُدَاوِمَةٌ الْكِتَابَةِ عَلَى عُنْوَانِ الْجَمَاعَةِ فِي «بِيشَاوَرٍ»، وَأَطِيبُ تَمَنِّيَاتِي لَكُمْ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

مَلْحُوظَةٌ: سَمِعْتُ أَنَّ مَوْلَانَا «خَالِصًا» سَيَصِلُ فِي الرَّابِعَةِ مَسَاءً، سَأَتُنْتَظِرُ حَتَّى أَرَاهُ، وَمَا زَالَتْ الْمُشَادَّاتُ مُسْتَمِرَّةً حَوْلَ بَيَانِ الْعُلَمَاءِ، كُلُّ طَرَفٍ يُحَاوِلُ

تَعْدِيلَهُ لِصَالِحِهِ، سَأَذْهَبُ الْآنَ لِمُقَابَلَةِ الْأُسْتَاذِ «السَّنَانِيرِيِّ». رَجَاءً كِتَابَةً رَقَمَ
صُنْدُوقِ بَرِيدِكَ، فَقَدْ اكْتَشَفْتُ أَنَّي لَمْ أَكْتُبْهُ عِنْدِي. جَاءَ مَوْلَانَا «خَالِصٌ»
وَاتَّفَقَ مَعِي عَلَى مُقَابَلَةِ «السَّنَانِيرِيِّ» وَوَعَدَ بِالسَّفَرِ مَعِي إِلَى «بَاكْتِيَا».



■ الرَّسَالَةُ الثَّانِيَةُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخ «إِسْمَاعِيلُ»، الإِخْوَةُ الْأَعَزَّاءُ،

سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ

أَكْتُبُ لَكُمْ هَذَا الْخِطَابَ مِنْ مَرْكَزِ مَوْلَانَا «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»، وَقَدْ
سَأَلَنِي عَنْكُمْ فَرْدًا فَرْدًا، وَيُرْسِلُ لَكُمْ سَلَامَهُ أَيْضًا فَرْدًا فَرْدًا. وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ
هُنَاكَ عَالَمِينَ مُخْتَلِفِينَ، عَالَمُ السِّيَاسَةِ وَالْأَحْزَابِ فِي «بِيشَاوَر» وَعَالَمُ
الْمُجَاهِدِينَ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ.

أَوْضَاعُ الْمُجَاهِدِينَ هُنَا أَفْضَلُ كَثِيرًا مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّصِرَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ لَمْ
يُحْضِرْ وَيُشَاهِدْ بِنَفْسِهِ. أَنَا نَفْسِي لَمْ أَكُنْ أَتَّصِرُ مَا كُنْتُ أَرَاهُ وَالْحَمْدُ وَالْفَضْلُ
لِلَّهِ وَحْدِهِ، فَهَذَا جَزَاءُ الصَّابِرِينَ. وَلَكِنِّي أَظُنُّ - وَيُشَارِكُنِي الرَّأْيِ الشَّيْخُ

«جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» وَالشَّيْخُ «سَيَّافٌ» وَالشَّيْخُ «يُونُسُ خَالِصٌ» وَكَثِيرُونَ مِمَّنْ قَابَلْتُهُمْ - أَنَّ النَّصْرَ لَنْ يَتِمَّ إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَ الْإِتِّحَادُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَالْخِلَافُ وَالتَّنَازُعُ عَلَى الرَّئِيسَةِ وَالزَّعَامَةِ مُخَالَفَةٌ لِأَمْرِ اللَّهِ بِالْوَحْدَةِ وَبِنِدِّ الْخِلَافِ، وَالنَّصْرُ لَا يُعْطِيهِ اللَّهُ لِعَاصٍ.

فِي الدَّخْلِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَفِرَّةٌ فِي السَّلَاحِ وَفِي الرِّجَالِ، وَرُغْمَ الهِجْرَةِ وَالْمُهَاجِرِينَ فَإِنَّ الْأَرْضِي كُلَّهَا مَزْرُوعَةٌ وَإِنْتِاجُهَا عَالٍ وَجَيِّدٌ، وَالْمَاشِيَّةُ كَثِيرَةٌ وَجَيِّدَةٌ، وَشَاءَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ أَنْ تُنْعِمَ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّاسِ بِفَيْضٍ مِنَ النِّعَمِ بِعَكْسِ مَا سَعَتْ إِلَيْهِ قُوَّاتُ الرُّوسِ مِنْ تَرْوِيعِ الْأَهَالِي وَتَدْمِيرِ الْقُرَى حَتَّى يَمْتَنِعَ الطَّعَامُ وَالْمَبْسُ عَنِ الْمُجَاهِدِينَ. وَالَّذِي يَحْدُثُ الْآنَ هُوَ الْعَكْسُ، فَالْخَيْرُ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الْحُقُولِ هَذَا الْعَامَ أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ جِدًّا مِمَّا رَأَيْتُهُ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ. وَقَدْ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ «جَلَّالُ الدِّينِ» أَنَّ أَسْعَارَ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ أَرْخَصُ مِنْهَا فِي بَاكِسْتَانَ.

وَعَسْكَرِيًّا فَإِنَّ جَيْشَ الْحُكُومَةِ يَهْرُبُ بِأَسْلِحَتِهِ كَثِيرًا وَيُقَاتِلُ قَلِيلًا تَحْتَ ضَعْفِ الرُّوسِ. نَشَاطُ الطَّيْرَانِ أضعفُ كَثِيرًا جِدًّا مِنَ الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ. فِي أَوَّلِ يَوْمٍ لِدُخُولِنَا الْحُدُودِ قُرْبَ «خُوسْت» وَقَرِيبًا مِنْ أَحَدِ مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِينَ جَاءَتْ الطَّائِرَاتُ عَلَى ارْتِفَاعٍ شَاهِقٍ لِدَرَجَةِ انْتِنِي لَمْ أَرَهَا، وَبَعْدَ أَنْ دَارَتْ حَوْلَ الْمَنْطِقَةِ لِدَقِيقَتَيْنِ رَمَتْ الْقَنَابِلَ وَذَهَبَتْ. طَبَعًا هَذَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفِ الطَّيَّارِينَ

مِنَ الْمُقَاوِمَةِ الْأَرْضِيَّةِ. الَّذِي أَدْهَشَنِي أَكْثَرَ أَنَّهُ خِلَالَ الْيَوْمَيْنِ التَّالِيَيْنِ كَانَتْ النَّاسُ تَسْأَلُ فِي الطَّرِيقِ الْجَبَلِيَّةِ عَنْ أَخْبَارِ غَارَةِ الطَّيْرَانِ، وَكَأَنَّهَا حَدَثٌ غَيْرُ عَادِيٍّ. وَعَلِمْتُ أَنَّهَا الْغَارَةُ الْأُولَى مُنْذُ عِدَّةِ شُهُورٍ مِنَ الْإِنْقِطَاعِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ تَحْدُثْ خَسَائِرٌ، بَلْ الْعَكْسُ، أَهَالِي الْقَرْيِ حَوْلَ «خُوسْت» يَحْضُدُونَ الْقَمْحَ الْوَافِرَ وَيَعِيشُونَ حَيَاةً عَادِيَّةً كَأَيِّ قَرْيَةٍ آمِنَةٍ مَوْفُورَةِ الرِّزْقِ. وَعَجِبْتُ أَنَّ أَحَدَ الصَّبِيَّانِ فِي سِنِّ السَّابِعَةِ وَفَتَيَاتٍ فِي التَّاسِعَةِ أَوْ الْعَاشِرَةِ يَرْعُونَ الْأَعْنَامَ وَالْإِبِلَ فِي سَفُوحِ الْجِبَالِ مُنْفَرِدِينَ. أَدْهَشَنِي هَذَا الْأَمْنُ فِي ظِلِّ الْحَرْبِ الْقَائِمَةِ، وَقَارَنْتُ هَذَا بِحَالِنَا فِي «أَبُو ظَبِي» مَثَلًا حَيْثُ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ مَنَّا عَلَى تَرْكِ ابْنِهِ أَوْ بِنْتِهِ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ مُنْفَرِدًا.

الْإِخْوَةُ الْأَعَزَّاءُ، «بِيشَاوَر» بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْزَابٍ وَصَمَّةٍ عَارٍ فِي جَبِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَاهْدَارُ لِبَطَاقَاتِ الْمُجَاهِدِينَ، وَتَأْخِيرُ لِيَوْمِ النَّصْرِ الَّذِي لَاحَتْ بَوَادِرُهُ وَتَأَخَّرَهُ مَعْصِيَةُ الْعَصَاةِ فِي «بِيشَاوَر». هُنَاكَ السِّيَاسَةُ كَأَسْوَأَ مَا تَكُونُ وَحِزْبِيَّةٌ مُتَعَصِّبَةٌ كَالَّتِي نَفَشَتْ لِلْأَسْفِ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ.

زَعَامَاتُ أَعْرَتْهَا الرِّئَاسَةُ وَالْجَاهُ وَالصُّورُ الْمُعَلَّقَةُ عَلَى الْجُدْرَانِ وَالتَّصْرِیحاتُ الرَّنَّانَةُ، وَحَوْلَهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُتَتَفِعِينَ وَمَجَالِسُ سُورَى لَا يُؤْخَذُ بِرَأْيِهَا، يَسْتَبَدِّلُهَا الزَّعِيمُ إِذَا ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا، وَيَطْرُدُ مَنْ يُخَالِفُهُ الرَّأْيَ مَذْمُومًا مَذْحُورًا وَيَقْرَبُ الْمُنَافِقِينَ. وَإِذَا اشْتَدَّتْ الضُّغُوطُ لِإِقَامَةِ الْوَحْدَةِ

اجْتَمَعُوا لِيُتِمُّوا وَحْدَةً تَمْتَصُّ السَّخَطَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَكُونُوا هُمْ أَوَّلَ هَادِمٍ لَهَا.
وَصَدَقَ الشَّيْخُ «جَلَالُ الدِّينِ» إِذْ وَصَفَ «بِيشَاوَر» بِأَنَّهَا مَوْطِنُ الْفِتَنِ. وَالْخُصُّ
لَكُمْ الْوَضْعَ السِّيَاسِيَّ فِي «بِيشَاوَر» بِالْآتِي:

١. مَشْرُوعُ اتِّحَادِ بَيْنَ «غَلَبِ الدِّينِ» وَ «بُرْهَانَ الدِّينِ»، وَافَقَ عَلَيْهِ مَجْلِسُ
الشُّورَى. الزَّعِيمَانِ الْكَبِيرَانِ رَفَضَا حُضُورَ اجْتِمَاعَاتِ مَجْلِسِ الشُّورَى
بِحُجَّةِ الْمَرَضِ وَالْإِنْشَغَالِ بِمُقَابَلَاتِ هَامَّةٍ!!، وَكَانَ الشَّيْخُ «سَيَّافٌ» وَمَا
زَالَ هُوَ الْمُحَرِّكُ لِهَذَا الْمَشْرُوعِ.

٢. الشَّيْخُ «سَيَّافٌ» يَسْعَى لِإِقَامَةِ وَحْدَةٍ بَيْنَ الْحَزْبَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ وَمَعَ
الْمُنَشَقِّينَ مِنَ الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى بِحَيْثُ يَتَوَفَّرُ لِلاتِّحَادِ تَمَثِيلُ أَغْلَبِيَّةِ
الْمُجَاهِدِينَ، ثُمَّ يَنْقَلُ كَأَنَّ نَشَاطِهِ إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَأُظُنُّ أَنَّهُ يُرَشِّحُ
نَفْسَهُ رَئِيسًا لِلاتِّحَادِ الْجَدِيدِ.

٣. جَمَاعَةٌ «مُحَمَّدُ نَبِيِّ مُحَمَّدِي» انْفَسَمَتْ عَلَى نَفْسِهَا بَعْدَ انْسِيَاقِ الشَّيْخِ
«مُحَمَّدِي» وَرَاءَ جَمَاعَةِ الْخِيَانَةِ الْعَلْنِيَّةِ «مُجَدِّدِي - جِيلَانِي». وَأَعْلَنَ
مُسَاعِدُهُ مَوْلَانَا «نَصْرُ اللَّهِ مَنْصُورٌ» وَمَعَهُ أَغْلَبِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ مِنْ مَجْلِسِ الشُّورَى
خَلَعَ «مُحَمَّدِي». فَأَرْسَلَ «مُحَمَّدِي» قُوَاتٍ مِنْ أَصْدِقَائِهِ «مُجَدِّدِي -
جِيلَانِي» لِتَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَكَاتِبِ وَتَمْنَعَ الْمُنَشَقِّينَ مِنْ دُخُولِهَا. الْمُهْمُ
[أَنَّ] جَمَاعَةَ «نَصْرِ اللَّهِ» فِي يَدِهَا الْقُوَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلْحِزْبِ، وَأَصْبَحَ

«مُحَمَّدِي» مُعَلَّقًا فِي الْهَوَاءِ. وَبِهَذَا أَصْبَحَ حِلْفُ الْخِيَانَةِ لَا وَزْنَ لَهُ مَادِيًا بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ «مُحَمَّدِي» وَحِيدًا. وَفَشَلَتْ مُحَاوَلَاتُ «مُجَدِّدِي» - جِيلَانِي» فِي اسْتِدْرَاجِ مَوْلَانَا «يُونُسَ خَالِصٍ» إِلَى شَرِكِ التَّعَاوُنِ مَعَهُمْ رُغْمَ إِطْلَاقِهِمْ شَائِعَاتٍ وَمَنْشُورَاتٍ تُؤَكِّدُ هَذَا التَّعَاوُنَ، وَلَكِنَّ هَذَا حَقِيقَةً غَيْرَ صَاحِحٍ، وَكَذَبَهُ الشَّيْخُ «خَالِصٌ» بِنَفْسِهِ.

٤. جَمَاعَةُ مَوْلَانَا «خَالِصٍ» تَرَعَّبُ بِإِخْلَاصٍ فِي الْإِتِّحَادِ الْإِنْدِمَاجِيِّ الْكَامِلِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، وَأَجَلَ الشَّيْخُ ذَهَابَهُ إِلَى الْجِهَادِ وَقَالَ لِمَنْدُوبِ جَمَاعَةِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»: «إِنَّ تَحْقِيقَ الْوَحْدَةِ الْآنَ مُقَدَّمٌ عَلَى ذَهَابِي إِلَى الْجِهَادِ، وَإِنْ جِهَادَنَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ بِلَا تَوْحِيدِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ». وَأَعْرَبَ عَنْ أَسْفِهِ بِأَنَّ كُلَّ مُحَاوَلَاتِ الْإِتِّحَادِ الَّتِي تَجْرِي حَالِيًا غَيْرُ جَادَّةٍ، وَلَكِنَّهُ سَيَمُكُّثُ فِي «بِشَاوَرٍ» لِيَبْدُلَ جُهْدَهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

٥. «سَيَافُ» يَعْمَلُ كَحِزْبٍ مُسْتَقِلٍّ مُنْذُ إِعْلَانِ الْإِتِّحَادِ، فَقَدْ بَقِيَتْ الْأَحْزَابُ غَيْرَ مُتَّحِدَةٍ - بِاسْتِثْنَاءِ مَوْلَانَا «خَالِصٍ» - وَظَلَّ «سَيَافُ» يَعْمَلُ مُنْفَرِدًا كَحِزْبٍ. وَقَدْ رَفَضَ «سَيَافُ» تَوْزِيعَ الْأَمْوَالِ عَلَى الْأَحْزَابِ حَتَّى تَتَّحِدَ، وَلَكِنَّ هَذَا الْإِجْرَاءَ لَمْ يُجِدْ، وَلَكِنَّهُ أَضْرَبَ بِجَمَاعَةِ «يُونُسَ خَالِصٍ» الَّتِي لَمْ يَعُدْ لَهَا جِهَازٌ مَالِيٌّ بَعْدَ أَنْ أَدْمَجَهُ فِي الْإِتِّحَادِ، وَقَدْ سَبَبَ هَذَا ضَرَرًا شَدِيدًا لِلْحِزْبِ وَأَوْقَعَ مُجَاهِدِيهِ فِي ضَائِقَةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَا زَالَ مَوْلَانَا

«خَالِص» يَحْمِلُ مَرَارَةً فِي نَفْسِهِ تَجَاهَ «سَيَّاف» لِهَذَا السَّبَبِ، [فَهُوَ الْمُنْدَمِجُ] [الَّذِي] أُصِيبَ بِالشَّرِّ نَتِيجَةً لِاسْتِقَامَتِهِ!!.

٦. حِزْبُ الْخِيَانَةِ الصَّرِيحَةِ «مُجَدِّدِي - جِيلَانِي» يَعْمَلُ بِنَشَاطٍ وَجِدِّ فِي إِعْرَاقِ الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْخِلَافِ، وَقَدْ نَجَحُوا فِي هَذَا إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ، وَتَعَاوَنُهُمْ أَمْرِيكَا وَمِصْرَ وَبَاكِسْتَانَ لِأَجْلِ الْأَنْحِرَافِ بِمَسَارِ الْجِهَادِ حَتَّى لَا يُؤْتِي نَتَائِجَهُ بِإِقَامَةِ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ. فَالرُّوسُ فِي مَازِقِ حَقِيقَتِي وَمَوْقِفٍ غَايَةً [فِي] السُّوءِ حَتَّى عَسْكَرِيًّا بِفَضْلِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ السُّؤَالَ هُوَ «مَا الْبَدِيلُ؟» وَ «مَنْ يَحْكُمُ أَفْغَانِسْتَانَ؟» [١٠].

٧. حِزْبُ الْخِيَانَةِ ضَعِيفٌ جِدًّا مَادِّيًّا، وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ إِلَّا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُقَاتِلِينَ. وَالْخِلَافَاتُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ بَاقِي الْأَحْزَابِ رُغْمَ سُوءِهَا إِلَّا أَنَّهُمَا أَدَّتْ إِلَى ارْتِفَاعِ كَبِيرٍ فِي الْوَعْيِ السِّيَاسِيِّ الْإِسْلَامِيِّ لَدَى عَامَّةِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ، وَهَذَا شَيْءٌ جَيِّدٌ جِدًّا، فَتَرَى شَخْصًا غَيْرَ مُتَعَلِّمٍ يُنَاقِشُكَ فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ وَالْجِهَادِ وَأَحْوَالِ «الْمَمَالِكِ الْعَرَبِيَّةِ» وَالِدُّوَلِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ بَارَاءً سَلِيمَةً وَوَاضِحَةً رُبَّمَا لَا تَتَوَفَّرُ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُثَقِّفِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ. وَهَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ دَلِيلٌ بَانَ هَذَا الشَّعْبَ الْمُسْلِمَ لَنْ يَنْخَدِعَ بِالسَّيْرِ وَرَاءَ الْأَفَاقِينَ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَجْتَازُ مِحْنَةَ الْفُرْقَةِ وَيُخَلِّصُهُ اللَّهُ مِنْ سُوءِ زُعَمَائِهِ الْفَاسِدِينَ الَّذِينَ يَقْفُونَ عَقَبَةً فِي وَجْهِ الْإِتِّحَادِ، فَالْتِنَاقُضُ وَاضِحٌ

وَمُفْجِعٌ بَيْنَ رَغْبَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَعَامَّةِ الشَّعْبِ فِي الْوَحْدَةِ وَبَيْنَ عَرْقَلَةِ
الزُّعَمَاءِ لَهَا، إِنَّهَا عَلَامَةٌ اسْتِنْفَهَامٍ كُبْرَى، وَمَأْسَاءٌ فِي الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ.
نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُزِيحَ هَذِهِ الْعُمَّةَ، وَيُوَحِّدَ رَايَةَ الْمُسْلِمِينَ
وَيَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ [١١].

الإخوة الأعزَّاءُ، رجاءٌ أن تقرأوا هذا الكلامَ جيِّداً، وأن تكتبوا لي عن
رأيكم، وهل يُمكنُ أن نقومَ بأيِّ دورٍ في هذا المجالِ؟، علماً بأنَّ «الإخوان
المُسْلِمِينَ» يواصلون جهوداً متصلةً منذُ شهرٍ، ولكنَّ بلا فائدةٍ. وسوف
تصلُ منهمُ وفودٌ على مُستوى عالٍ قريباً ولكنَّ المشكلةَ في هذه الوساطاتِ
أنَّها طارئةٌ، تستمرُّ أسبوعاً أو شهراً ينقضي في تسويقٍ ومماطلةٍ، ثمَّ يذهبُ
الوفدُ وتبقى المشكلةُ.

وقد طالبَ واحدٌ من حِزبِ مولانا «يونس خالص» مندوبَ «الإخوان»
أن تأتي اللجنةُ لتُقيمَ في «بيشاور» مع عائلاتِها، وتشاركَ في المُفاوضاتِ
كعضوٍ أساسيٍّ حتى تنفِرجَ الأزمةُ، ولكنَّ ردَّ مندوبِ «الإخوان» لم يكنْ شافياً
[١٢].

أظنُّ أنَّ الأمرَ أخطرُ من أن نقفَ منه موقِفَ المُتفرِّجِ، فدماءُ عَشْرَاتِ
الألوفِ من الشهداءِ مُعلَّقةٌ في أعناقِ كُلِّ منا، وليُحاسبَ كُلُّ منا نفسهَ قبلَ أن
يُحاسبَهُ اللهُ. وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أخوكم مصطفى

بأكتينا، في ١٠/٦/١٩٨١م



■ الرسالة الثالثة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخ «إسماعيل»، الإخوة الأعزاء

سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةٌ وَبَرَكَاتُهُ

أزجو من الله العليّ القدير أن تكونوا في خير حال، وأن يوفّقنا الله وإياكم إلى ما يحبّ ويرضى. الإخوة الكرام، لديّ الكثير جدّاً [مِمّا] أريد أن أقوله لكم، وعندما تنزّاحم الأفكار في رأسي بهذا الشكل فإنّي أفقد القدرة على الكتابة، ولكنني سأحاول التركيز سائلاً الله التوفيق.

١. صورة الجهاد هنا ليست بالبساطة التي كنا نتخيّلها؛ فالمعركة شرسة والمخلصون قلة قليلة والمنافقون والخونة كثرة غالبية، ورغم هذا - وتبارك ربّي القادر العزيز الجبار - فإن القلة الضعيفة المخلصة تضع العدو الجبار ذا العدد الضخم والعتاد الذي تشيب له الولدان، تضع هذا العدو في حصار خانق. وتبارك الله الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا

وَذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً

بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَضْرِبُ لَنَا الْمَثَلَ مَرَّةً أُخْرَى، وَمَنْ

أَرَادَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ عَنْ بَيْنَةٍ فَلْيَأْتِ هُنَا لِيَرَى بِعَيْنِهِ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ لَا يُبَدَّلُ [١٣].

٢. قِيَادَاتُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ هُنَا لَيْسَتْ فَوْقَ الشُّبُهَاتِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ أَمَامَ اللَّهِ

عَنْ عِدَّةِ جَرَائِمَ هِيَ:

أ. تَفْرِيقُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَزَرْعُ الْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ.

ب. التَّنَافُسُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا مِنْ رِعَامَةٍ وَرِئَاسَةٍ وَمَالٍ.

ت. ارْتِكَابُ مَعْصِيَةِ التَّفَرُّقَةِ وَالتَّنَازُعِ مُخَالِفِينَ أَوْامِرَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، لِهَذَا

سَيَتَأَخَّرُ الْفَتْحُ أَوْ قَدْ يَمْتَنِعُ إِذَا اسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةُ الْكُبْرَى.

فِي «جَرْدِيز» لَا تُطْلَقُ طَلْقَةً إِلَّا مِنْ جَانِبِ جَمَاعَةِ الشَّيْخِ «جَلَالِ الدِّينِ

حَقَّانِي»، وَبَاقِي الْجَمَاعَاتِ تَتَفَرَّجُ، رُغْمَ أَنَّ بَعْضَهَا يَمْتَلِكُ أَسْلِحَةً ثَقِيلَةً مَعَ

ذَخَائِرِهَا بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ [١٤]. وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، كَادَتْ أَنْ تَنْفَذَ ذَخِيرَةَ أَحَدِ

الْمَدَافِعِ الْهَامَّةِ، فَجَاءَتْ جَمَاعَةُ «غَلَبِ الدِّينِ» تَعْرِضُ «بَيْعَ» مَا لَدَيْهَا مِنْ

ذَخَائِرِهَا، وَعَدَّدَهَا ٢٠٠٠ قَدِيفَةً بِسِعْرِ ٤٠٠٠ أَفْغَانِي لِكُلِّ قَدِيفَةٍ [١٥]. طَبَعًا

الشَّيْخِ «جَلَالِ الدِّينِ» مُسْتَعِدُّ أَنْ يَبِيعَ [لِيبَعِ] أَوْلَادَهُ لِلْحُصُولِ عَلَى الذَّخِيرَةِ.

مِثَالُ آخَرٍ حَوْلَ «جَرْدِيز»، جَمَاعَةٌ لـ «غَلَبِ الدِّينِ» وَجَمَاعَةٌ «انْقِلَابِ

إِسْلَامِي» لـ «جِيلَانِي»، وَالْجَمِيعُ صَامِتُونَ كَالْمَوْتَى رُغْمَ الْمَعَارِكِ الْيَوْمِيَّةِ الَّتِي

تَخَوَّضَهَا جَمَاعَتُنَا هُنَا.

مِثَالٍ آخَرَ، تَوَاتَرَتْ الْأَنْبَاءُ مِنْ مَصَادِرٍ غَيْرِ حِزْبِيَّةٍ «مُتَطَوِّعِينَ» أَنَّ جَمَاعَةَ «غَلَبَ الدِّينِ» أَوْقَفَتْ الْقِتَالَ فِي مُعْظَمِ الْمُقَاتَلَاتِ مُنْذُ عِدَّةِ أَشْهُرٍ، وَأَنَّهَا ارْتَكَبَتْ عِدَّةَ جَرَائِمٍ اغْتِيَالٍ ضِدَّ مُجَاهِدِينَ بَارِزِينَ رَفَضُوا الْأَنْضِمَامَ إِلَيْهَا. وَلِلْعِلْمِ فَإِنَّ «غَلَبَ الدِّينِ» يَحْضُلُ عَلَى تَأْيِيدِ مَادِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ مِنْ جِهَتَيْنِ رَيْسِيَّتَيْنِ، هُمَا: إِيرَانُ وَجَمَاعَةُ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» [١٦]. وَلَا أُدْرِي إِذَا كَانَتْ الصُّورَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِهَذَا الرَّجُلِ قَدْ اتَّضَحَتْ لِلْإِخْوَانِ هَذِهِ الْأَيَّامِ أَمْ لَا، فَهُمْ الْآنَ قَرِيبُونَ مِنَ الصُّورَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى.

إِذَا كُنْتُمْ - مَا زِلْتُمْ - تَتَذَكَّرُونَ فِكْرَةَ الْمُعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي اقْتَرَحْنَاهُ مُنْذُ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ثُمَّ تَقَاعَسْنَا عَنْهُ، فَإِنَّهُ الْآنَ قَائِمٌ وَفَعَّالٌ لِدَرَجَةٍ عَجِيبَةٍ رُغِمَ قَلَّةِ عَدَدِ الْأَعْضَاءِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ عَرَبِيٌّ غَيْرَ الْعَبْدِ لِلَّهِ، وَالْجَمَاعَةُ يَتَدَرَّبُونَ عَلَى أَحْدَثِ الْأَسْلِحَةِ وَ [هُمْ] شُجْعَانٌ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ. وَلِلْعِلْمِ، أَحَدُ قَادَةِ حَرْبِ «جَرْدِيزِ» الْبَارِزِينَ جِدًّا ضَابِطٌ مُسْلِمٌ مُتَطَوِّعٌ عَلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْخِبْرَةِ وَالْكَفَاءَةِ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ عَرَبِيٍّ أَيْضًا، فَأَيْنَ أَنْتُمْ الْآنَ؟ [١٧].

أَمْسُ الْجُمُعَةِ، وَقَعْنَا فِي كَمِينٍ نَصَبَهُ لَنَا الْعَدُوُّ فِي الطَّرِيقِ، وَاسْتَعْمَلَ فِيهِ كُلَّ أَنْوَاعِ الْمَدْفَعِيَّةِ وَبَعْضَ الطَّائِرَاتِ الْهَيْلُوكِبَتِ، وَلَكِنَّا بِفَضْلِ اللَّهِ تَخَلَّصْنَا مِنْهُ وَلَمْ يُصَبْ مِنَّا أَحَدٌ.

إخوتي الأعزاء، يَعْلَمُ اللهُ أَيُّ فِي شَوْقِ لَكُمْ، وَأَدْعُو لَكُمْ فِي السَّرَّاءِ وَحِينَ
البأسِ. أَسْأَلُكُمْ الدُّعَاءَ، وَاتَّكِبُوا لِي بِمَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَ، وَسَلَامُ اللهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ.

أخوكم مصطفى



وَالآنَ إِلَى التَّعْلِيقَاتِ عَلَى تِلْكَ الرَّسَائِلِ:

[١] أحوال المدارس كما رأيتها في ذلك الوقت كانت في غاية السوء،
حتى أنه من الصعب أن نطلق عليها لفظ مدارس، حيث لا مبنى ولا كتب ولا
أي شيء سوى عزيمة شعب يرفض الهزيمة ويصر على الحياة، وهذه أعظم
ميزات هذا الشعب. كانت المدرسة تقام تحت شجرة كبيرة في الهواء الطلق
أو داخل فناء مبنى سكني، أو داخل إطار سور مهدم لمبنى قديم. والعجيب
هو معنويات المدرسين والأطفال. لم ألحظ وقتها انكساراً في النفوس أو
يأساً مطبقاً، بل رأيت حيويةً وأملاً وكلمة الإسلام والجهاد على لسان الصغار
والكبار. إن من أعجب الظواهر في أفغانستان هي الكيفية التي يحافظ بها
ذلك الشعب على روحه المعنوية، وتعلقه الفطري العنيف بالإسلام، مهما
كانت درجة جهله بهذا الدين، بل والمخالفات التي يرتكبها ضد تعاليمه.
كانت معنويات أطفال المهاجرين وآبائهم مفاجأة لي في ذلك الوقت إلى أن

شَاهَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرِيَّاتُ أَوْلِيكَ الْمُصَابِينَ فِي الْجَبَهَاتِ بِجُرُوحِ قَاتِلَةٍ، أَوْ
أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْفُنُونَ أَبْنَاءَ وَأَبَاءَ وَإِخْوَةَ، كَانَتْ مُفَاجَأَةً أَشَدُّ، وَأَيَقَنْتُ وَقْتَهَا أَنَّ
هَذَا الشَّعْبَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْهَزِيمَةِ، خَاصَّةً إِذَا امْتَزَجَتْ تِلْكَ الصَّلَابَةُ مَعَ مَشَاعِرِ
الدِّينِ.

كَانَتْ الْاِنْقِسَامَاتُ الْحَزْبِيَّةُ عَائِقًا أَمَامَ تَقْدِيمِ الْخَدَمَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالطَّبِيبَةِ
لِلْمُهَاجِرِينَ. وَفِي الْحَقِيقَةِ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ الْاِعْتِمَادُ عَلَى الْأَفْغَانِ
أَنْفُسِهِمْ فِي إِدَارَةِ أَيِّ عَمَلٍ، وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا عَدَمُ التَّأْهِيلِ الْفَنِيِّ،
وَالْأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ رُوحُ الْقَبْلِيَّةِ ثُمَّ رُوحُ الْحَزْبِيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُ وَلَاءَ أَصْحَابِ
الْوِظَائِفِ الْعَامَّةِ مُوجَّهًا فَقَطْ لِخِدْمَةِ قَبَائِلِهِمْ أَوْ أَحْزَابِهِمْ.

وَبِالنِّسْبَةِ لِلتَّعْلِيمِ فَقَدْ أَهْمَلْتُهُ الْإِغَاثَةَ الْعَرَبِيَّةَ حَتَّى بَدَأَتْ فِي بَحْثِهِ بِشَيْءٍ مِنْ
الْحَدِيثِ عَامَ ١٩٨٥ م مُنْظَمَةٌ «إِسْرًا» الَّتِي أَخَذَتْ زِمَامَ الْمُبَادَرَةِ فِي هَذَا
الْمَيْدَانِ، وَتَبِعَتْهَا بَاقِي الْمُنْظَمَاتِ. وَلَكِنَّ الْهَيْئَاتِ الصَّلِيبِيَّةَ كَانَتْ مُصَمِّمَةً عَلَى
الْاِنْفِرَادِ بِالْعَمَلِ التَّعْلِيمِيِّ وَإِبْعَادِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْهُ. وَقَدْ نَجَحَتْ فِي
ذَلِكَ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ، وَهَدَفُهَا بِالطَّبَعِ إِبْعَادُ التَّعْلِيمِ الْأَفْغَانِيِّ عَنِ الدِّينِ،
وَسَيَّلُهَا إِلَى ذَلِكَ «عَلْمَنَةُ الْمَنَاهِجِ» وَعَلْمَنَةُ الْمُدَرِّسِينَ، وَسَيَتَّبِعُ ذَلِكَ تَلْقَائِيًّا
عَلْمَنَةُ الْخَرِيَجِينَ.

[٢] أقدَمَ مَوْلَوِيٌّ «نَصْرُ اللَّهِ مَنْصُورٌ» عَلَى إِعْلَانِ عَزْلِ مَوْلَوِيٍّ «مُحَمَّدِيٍّ»

وَذَلِكَ بِتَأْيِيدِ مُعْظَمِ الْعُلَمَاءِ فِي الْحِزْبِ وَمُوَافَقَةِ أَكْثَرِ أَعْضَاءِ الشُّورَى. وَلَكِنَّ مَجْمُوعَةَ الْمُعْتَدِلِينَ وَحُلَفَاءَهَا الدُّوَلِيِّينَ لَمْ يَسْمَحُوا بِمِثْلِ تِلْكَ الْأَنْقِلَابَاتِ، وَلَوْ كَانَتْ شَرْعِيَّةً مِنْ خِلَالِ مَجَالِسِ الشُّورَى. وَأُظْهِرَتْ تَجْرِبَةُ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ أَنَّ الْمَفَاهِيمَ عَنِ الشُّورَى هِيَ مَفَاهِيمٌ تَسْلُبُ الشُّورَى جَوْهَرَهَا وَتُكْرَسُ اسْتِبْدَادَ الْقِيَادَةِ. وَقَدْ رَأَيْنَا كَيْفَ تَفَنَّنَتِ الْقِيَادَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ فِي تَفْرِيفِ الشُّورَى مِنْ مُحْتَوَاهَا وَتَحْوِيلِ مَجَالِسِ الشُّورَى إِلَى مَجَالِسٍ لِلْعَرَائِسِ الْخَشِيَّةِ.

وَرُغْمَ احْتِوَاءِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ عَلَى عَدَدٍ مِنْ أَفْضَلِ الْعُنَاصِرِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْجِهَادِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ الزَّعَامَاتِ اتَّقَنَتِ لُغْبَةَ «الْإِتْلَافِ» وَاسْتَخْدَمَتِ الْأَمْوَالَ كَمَا تَسْتَخْدِمُهَا أَيُّ سُلْطَةٍ طَاغُوتِيَّةٍ فِي تَخْرِيْبِ الدِّمَمِ وَتَحْوِيلِ الشُّجْعَانِ إِلَى مُنَافِقِينَ، وَالْعُلَمَاءِ إِلَى طَبَّالِينَ وَزَمَّارِينَ.

وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ «الْقَتْلَ» هُوَ الْعُنْصُرُ الْمُوَازِي لِلْمَالِ، فَمَنْ اسْتَعَصَى عَلَى الْأَوَّلِ تَكَفَّلَ بِهِ الثَّانِي. وَلَمَّا كَانَ الْقَتْلُ لَيْسَ سَهْلًا دَائِمًا فَإِنَّ الْقَتْلَ الْمَعْنَوِيَّ كَانَ دَائِمًا مَوْجُودًا. وَفِي سَاحَةِ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ إِذَا حَاوَلْتَ السُّؤَالَ عَنْ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ الْمُجَاهِدِينَ سَمِعْتَ عَنْهُ مَا يُدَمِّرُ سُمْعَتَهُ وَيَطْعُنُ فِي دِينِهِ وَجِهَادِهِ وَشَرَفِهِ، وَيُصَوِّرُهُ بِأَنَّهُ الْعَدُوُّ اللَّدُودُ وَالْعَقَبَةُ [الْكُوُودُ] فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ.

وَنَجَحَتْ تِلْكَ السِّيَاسَةُ أَيَّمَا نَجَاحٍ. وَكَأَيِّ سَاحَةِ إِسْلَامِيَّةٍ - وَلَكِنْ بَدْرَجَةٍ أَشَدَّ - سَادَ اخْتِلَاطُ الْأَحْكَامِ وَالْمَفَاهِيمِ وَسَادَتْ أَجْوَاءُ خَادِعَةٍ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكُذُوبُ، وَيُكَذِّبُ الصَّادِقُ وَيُؤْتِمَنُ الْخَائِنُ وَيَخُونُ الْأَمِينُ، فَتَقَلَّصَ الْخَيْرُ تَدْرِيجِيًّا حَتَّى يَرْتَعَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ فِي أَوْسَعِ مَجَالٍ مِنَ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَلَكِنْ رُغْمًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بَقِيَ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، فَالْخَيْرُ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٣] بدأ «يونس خالص» منذ ذلك التاريخ يعاني صحياً بسبب السنِّ وبسبب إصابة في ركبته أعجزته عن العمل الميداني. وكان الرجل غير مُقتنعٍ بالمُعسكرين المتواجدين على الساحة الحزبية في «بيشاور»: مُعسكر الأُصوليين «سياف» - حكمتيار - بُرهان»، ومُعسكر المُعتدلين «مُجددي» - جيلاني - مُحمّدي».

كَانَ لَا يَرَى الْإِخْلَاصَ فِي أَيِّ مِنَ الْمُعْسَكَرَيْنِ، بَلْ يَرَى أَنَّهُمَا عَلَى نَفْسِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْخُطُورَةِ. وَعَجَزَ «خَالِصٌ» لِأَسْبَابٍ ذَاتِيَّةٍ وَأُخْرَى مَوْضُوعِيَّةٍ عَنْ تَكْوِينِ الْبَدِيلِ. لِهَذَا أَخَذَتْ مَوَاقِفُهُ تَتَدَبَّدَبُ بَيْنَ الْمُعْسَكَرَيْنِ بَحْثًا عَنْ سَبِيلٍ وَسَطٍ. وَلَكِنَّهُ أَيْضًا لَمْ يَسْتَطِعْ، بَلْ تَوَرَّطَ فِي عِدَّةِ مَوَاقِفَ سِيَاسِيَّةٍ يَصْعُبُ تَبْرِيرُهَا أَوْ الدَّفَاعُ عَنْهَا. وَظَلَّ حَتَّى نِهَآيَةِ الْحَرْبِ فِي مَكَانٍ ضَائِعٍ بَيْنَ مُعْسَكَرِ الْأُصُولِيِّينَ وَمُعْسَكَرِ الْمُعْتَدِلِينَ، وَإِنْ كَانَتْ مَوَاقِفُهُ فِي أَغْلِبِهَا تَجْعَلُهُ أَقْرَبَ

إلى المُعَسِّكَرِ الأوَّلِ.

[٤] لَقَدْ نَفَذَ «سَيَّافٌ» خُطَّتَهُ وَكَوَّنَ تَنْظِيمَهُ مُسْتَفِيدًا مِنْ قُوَّتِهِ الْمَالِيَّةِ الَّتِي فَاقَتْ بِمَرَّاحِلِ قُوَّةِ بَاقِي زُعَمَاءِ الْمُنْظَمَاتِ، نَاهِيكَ عَنْ غَلَالَةِ [وَهُوَ الثَّوْبُ الرَّقِيقُ الشَّقَافُ] الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي لَفْظِ «الِاتِّحَادِ». وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى صِدَامَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي الدَّاخِلِ، اشْتَهَرَ مِنْهَا فِي الْخَارِجِ مَا حَدَثَ فِي مَنْطِقَةِ «مَيْدَانَ» الْقَرِيْبَةِ مِنْ «كَابُلٍ» عَامَ ١٩٨٤ م بَيْنَ تَنْظِيمِي «سَيَّافٍ» وَ «غَلَبِ الدِّينِ». وَالْأَخِيرُ كَانَ يَتَّبِعُ سِيَاسَةً حَازِمَةً تَجَاهَ مَنْ يَنْشُقُّ عَلَيْهِ تَمَثُّلٌ فِي عَمَلِيَّاتٍ اغْتِيَالٍ تَمَّ تَفْيِذُ كَثِيرٍ مِنْهَا عَلَى أَرْضِ بَاكِسْتَانَ، خَاصَّةً «بِيْشَاوَرِ»، وَعَدَدٌ مِنْهَا دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، إِضَافَةً إِلَى حُرُوبٍ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ فِي الدَّاخِلِ، خَاصَّةً ضِدَّ تَنْظِيمِ «رَبَّانِي».

وَكَانَ أَطْرَفُ مَا قَالَهُ أَحَدُ الشَّبَابِ مِنْ أَتْبَاعِ «حِكْمَتِيَارِ» تَبْرِيْرًا لِتِلْكَ السِّيَاسَةِ هُوَ قَوْلُهُ: «إِنَّ تَنْظِيمَنَا هُوَ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسِيُّ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا فِي النَّارِ». وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ التَّنْظِيرِيِّ فَإِنَّ «حِكْمَتِيَارِ» وَتَنْظِيمَهُ قَدْ عَجَّلَا بِإِرْسَالِ الْمِائَاتِ مِنَ الْأَفْغَانِ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى النَّارِ عِقَابًا عَلَى «شُدُوذِهِمْ». وَنُشِيرُ بِهِذِهِ الْمُنَاسَبَةِ إِلَى ضَرُورَةِ قِيَادَةِ عُلَمَاءٍ مُتَمَكِّنِينَ لِحَرَكَةِ الْجِهَادِ، أَوْ عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرٍ تَوَلَّيَهُمْ مَنْصِبَ الْفَتْوَى الشَّرْعِيَّةِ؛ حَتَّى لَا تَتَحَوَّلَ الْحَرَكََةُ الْجِهَادِيَّةُ إِلَى سَيْفِ مُسَلِّطٍ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ، وَوَبَالًا عَلَيْهِمْ لَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

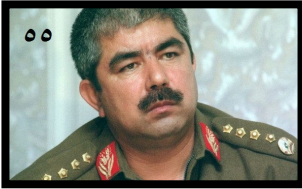
وَالْوَعْيُ الشَّرْعِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ ضُرُورِيَّانِ لِلحَرَكَاتِ الجِهَادِيَّةِ عَلَى مُسْتَوِيَاتِ القِيَادَةِ وَالْأَفْرَادِ حَتَّى تُحَصِّنَ نَفْسَهَا ضِدَّ الانْحِرَافِ. وَنُشِيرُ هُنَا إِلَى حَرَكَةِ «الخِلَافَةِ» الَّتِي ظَهَرَتْ فِي «بِيشَاوَر» عَامَ ١٩٩٣ م فِي بَدَايَاتِ انْهِيَارِ التَّوَالُجِدِ العَرَبِيِّ الجِهَادِيِّ هُنَاكَ. وَقَدْ اسْتَقْطَبَتِ الحَرَكَةُ العَدِيدَ مِنْ هَوْلَاءِ الشَّبَابِ، إِضَافَةً إِلَى «دِمَاءِ جَدِيدَةٍ» وَصَلَتْ مِنْ أوروْبَا. وَرُغْمَ البَصَمَاتِ الِاسْتِخْبَارَاتِيَّةِ عَلَى صَفَحَاتِ تِلْكَ الحَرَكَةِ وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّهَا وَجَدَتْ مَنْ يُبَايِعُ عَلَى المَوْتِ. وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ قَرَارَاتِ الخِلَافَةِ - وَهِيَ كَثِيرَةٌ - اسْتِبَاحَةُ دِمَاءِ وَأَمْوَالِ العَرَبِ فِي «بِيشَاوَر» وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَمْ يُبَايِعُوا الخَلِيفَةَ. وَشَجَّعَتْ حُكُومَةُ بَاكِسْتَانِ وَغَيْرَهَا مِنْ حُكُومَاتِ «الكُفَّارِ» تِلْكَ الحَرَكَةَ مِنْ طَرَفِ خَفِيِّ، ثُمَّ اسْتَفَادَتْ مِنْ فَضَائِحِهَا لِتَلْوِيثِ سُمْعَةِ العَرَبِ المُجَاهِدِينَ وَتَبْرِيرِ إِزْهَابِ وَمُطَارَدَةِ التَّجْمَعِ العَرَبِيِّ المُجَاهِدِ فِي بَاكِسْتَانِ.

وَعَوْدَةَ إِلَى فَقْدَانِ القَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ، كَنَتِيَجَةِ لِعِيَابِ أَوْ تَغْيِيبِ العُلَمَاءِ وَفُقْدَانِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ، أَنَّ قِطَاعًا بَارِزًا مِنَ العَرَبِ المُجَاهِدِينَ بَعْدَ انْهِيَارِ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ فِي «كَابُل» قَدْ انْضَمُّوا إِلَى «حِكْمَتِيَار» لِلقِتَالِ «رَبَّانِي» بِدَعْوَى:

١. أَنَّ «رَبَّانِي» تَحَالَفَ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ «البَارَشَام»، وَمَا زَالَ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي

الْجَيْشِ، كَمَا تَحَالَفَ مَعَ مِيلِيشِيَّاتِ «عَبْدِ الرَّشِيدِ دُوسْتَمِ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٥٥] الْأُوزْبِكِيَّةِ.

٢. «رَبَّانِي» مُتَحَالِفٌ مَعَ الشَّيْعَةِ الْأَفْغَانِ، وَهُمْ «كُفَّارٌ»، قَاتَلَهُمْ مُقَدَّمٌ عَلَى قِتَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.



وَلَكِنْ مَعَ بَدَايَةِ عَامِ ١٩٩٤ م تَبَدَّلَتْ خَرِيطَةُ التَّحَالَفَاتِ، وَتَحَالَفَ «دُوسْتَمِ» وَمِيلِيشِيَّاتُهُ مَعَ «حِكْمَتِيَّارِ»، كَمَا انْضَمَّتْ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ أَوْ نِصْفُ قُوَّاتِهِمْ عَلَى الْأَقْلِ، أَمَّا الشُّيُوعِيُّونَ فَمُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ تَحَالَفَ «حِكْمَتِيَّارِ» مَعَ بَقَايَا حِزْبِ «خَلْقِ» الشُّيُوعِيِّ، وَمُعْظَمُهُ مِنْ «الْبَاسْتُونِ» أَي نَفْسِ قَوْمِيَّةِ «حِكْمَتِيَّارِ». كَمَا أَنَّهُ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مُتَحَالِفٌ مَعَ مِيلِيشِيَّاتِ «عَبْدِ الْجَبَّارِ» وَهُوَ

(١) عَبْدُ الرَّشِيدِ دُوسْتَمِ: أَحَدُ رِجَالِ الْحَرْبِ وَالسِّيَاسَةِ الْأَفْغَانِ، أُوزْبِكِيٌّ وُلِدَ عَامَ ١٩٥٤ م بِوِلَايَةِ «جُوزْجَانِ» بِشَمَالِ أَفْغَانِسْتَانِ، شَغَلَ عِدَّةَ مَنَاصِبَ سِيَاسِيَّةٍ، فَقَدْ أَسَّسَ حِزْبَ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ، التَّحَقَّقَ بِالْجَيْشِ فِي ١٩٧٨ م، وَشَغَلَ مَنَاصِبَ رِئِيسِ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ، وَأَثْنَاءَ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ أَسَّسَ مِيلِيشِيَّاتِ أُوزْبِكِيَّةِ شُيُوعِيَّةٍ ضَمَّتْ أَكْثَرَ مِنْ ٢٠ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، قَاتَلَتْ إِلَى جَانِبِ الرُّوسِ وَالشُّيُوعِيِّينَ ضِدَّ الْمُجَاهِدِينَ. شَارَكَ بِقُوَّاتِهِ فِي فَتْحِ «كَابُلِ» عَامَ ١٩٩٢ م، وَأَنْضَمَّ إِلَى تَحَالَفِ الشَّمَالِ مَعَ «أَحْمَدِ شَاهِ مَسْعُودِ»، وَشَارَكَ فِي الْمُؤَاجَهَاتِ الْمُسَلَّحَةِ ضِدَّ «طَالِبَانَ»، كَمَا تَحَالَفَ مَعَ الْقُوَّاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْعَازِيَّةِ فِي ٢٠٠١ م لِإِسْقَاطِ الْإِمَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. يَشْغَلُ مَنَاصِبَ نَائِبِ الرَّئِيسِ الْأَفْغَانِيِّ «أَشْرَفِ غَنِي» مُنْذُ ٢٩ سِبْتَمْبَرِ ٢٠١٤ م.

شُيُوعِيٍّ مِنْ «قَنْدَهَار» وَبَشْتُونِيٍّ أَيْضًا. وَمَعَ هَذَا ظَلَّ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ الْعَرَبَ مَعَ «حِكْمَتِيَّار» حَتَّى لَاقَى عَدِيدٌ مِنْهُمْ رَبَّهُ [وَهُمْ] عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. وَتَرَكَ آخَرُونَ الْجِهَادَ لِأَنَّهَمْ أَدْرَكُوا جُزْءًا يَسِيرًا مِنَ الْحَقِيقَةِ، مَعَ اعْتِقَادِ مُعْظَمِهِمْ - حَتَّى تَارِيخِهِ - بِأَنَّ «حِكْمَتِيَّار» هُوَ «الْأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ»!!.

أَمَّا «أَبُو مُعَاذِ الْخَوْسْتِي»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٥٦] أَهَمُّ شَخْصِيَّاتِ وَقِيَادَاتِ التَّجْمَعِ الْعَرَبِيِّ الْمُقَاتِلِ مَعَ «حِكْمَتِيَّار» فِي «كَابُل»، وَقَدْ قُتِلَ فِي «كَابُل» فِي يُونِيهِ ١٩٩٤ م، هَذَا الْمُجَاهِدُ الْعَرَبِيُّ تَكَلَّمَ مَرَّةً مَعَ «حِكْمَتِيَّار» قَائِلًا: «أَنَا لَسْتُ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ، كَمَا أَنَّي لَا أَحِبُّ السِّيَاسَةَ وَلَا أَفْهَمُهَا، وَلَكِنِّي أَسِيرُ خَلْفَكَ ثِقَةً بِكَ، وَأَضَعُ الْمَسْئُورِيَّةَ كُلَّهَا فِي رَقَبَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَطَمَأَنَّهُ «حِكْمَتِيَّار» وَوَعَدَهُ خَيْرًا. وَلَنَا أَنْ نَخَيَّلَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ الْمُجَاهِدَةَ، وَهُوَ عَلَى خُلُقِ طَيِّبٍ وَشَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ وَنَقَاءِ نَفْسٍ، وَلَكِنَّهُ يُسَلِّمُ نَفْسَهُ هَكَذَا كَيْ يُقَوِّدَهُ زَعِيمٌ وَيَتَوَلَّى عَنْهُ الْقَرَارَ الشَّرْعِيَّ وَالْقَرَارَ السِّيَاسِيَّ، وَبِلاَ أَيِّ مُنَاقَشَةٍ لِأَنَّ أَحَانَ الْمُجَاهِدَ «لَا هُوَ رَجُلٌ دِينٍ وَلَا هُوَ رَجُلٌ سِيَاسَةٍ»، فَهُوَ وَأَمْثَالُهُ فَرَائِسُ سَهْلَةٍ

(١) أَبُو مُعَاذِ الْخَوْسْتِي: مُجَاهِدٌ أَرْدُنِيٌّ مِنْ أَصْلِ سُورِيٍّ، وَقِيلَ فَلَسْطِينِيٍّ، اشْتَهَرَ بِأَنَّهُ صَاحِبُ أَكْبَرِ شَارِبٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْرَكَةٍ فَتَحَ «كَابُل» أَثْنَاءَ قِتَالِهِ مَعَ «حِكْمَتِيَّار» ضِدَّ «مَسْعُود» وَ«رَبَّانِي»، وَقُتِلَ عَلَى يَدِ مِيلِيشِيَّاتِ «دُوسْتَم» الْأَوَزْبَكِيَّةِ. وَقَدْ سُمِّيَ أَحَدُ مُعَسَّكَرَاتِ الْعَرَبِ الْأَفْغَانِ فِي «جَلَالِ أَبَاد» بِاسْمِهِ.

وَأَدَوَاتُ نَادِرَةِ الْمِثَالِ لِتَحْقِيقِ مَارِبِ سِيَاسِيِّينَ خَوَنَةٍ وَقُوَى دَوْلِيَّةِ طَاغُوتِيَّةٍ كَافِرَةٍ.

إِنَّ حِرْصَ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ عَامَّةً عَلَى تَجْهِيلِ أَتْبَاعِهِ سِيَاسِيًّا، وَعَلَى تَسْطِيحِ مَعْلُومَاتِهِمُ الشَّرْعِيَّةِ وَحَضْرَهَا فِي بُؤْرِ ضَيْقَةٍ إِجْبَارِيَّةٍ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَحْمِلُ فِي طِيَّاتِهِ إِلَّا أَعْظَمَ الْأَضْرَارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ وَأَعْظَمَ الْخَدَمَاتِ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَانْتَبَهُوا يَا أَوْلِي الْأَبْصَارِ.



«خوست» فِي

السَّبْعِينَاتِ: أَجْيَالٌ مِنْ
الْمُجَاهِدِينَ، الْجَيْلُ
الْأَوَّلُ «يَسَار» «أَبُو مُعَاذِ
الْخُوسْتِيِّ»، أَفْضَلُ قَائِدِ
عَرَبِيِّ لِلْعَمَلِيَّاتِ

الْأَرْضِيَّةِ، تَابَعَ «حِمَكْتِيَار» حَتَّى الْمَوْتِ فِي قِتَالِ «كَابُل» بَيْنَ التَّنْظِيمَاتِ
وَالْعَرِيقَاتِ وَالطَّوَائِفِ الدِّينِيَّةِ، مَعَ الْجَيْلِ الْجَدِيدِ «يَمِين» «أَبِي مُصْعَبِ
الزَّرْقَاوِيِّ»، أَشْهَرُ قَائِدِ عَرَبِيِّ فِي الْعِرَاقِ [أَثْنَاءَ] الْاِحْتِلَالِ الْأَمْرِيكِيِّ، مَرَّةً
أُخْرَى الْمُجَاهِدُونَ الْعَرَبُ فِي مَصِيدَةِ الْحَرْبِ الطَّائِفِيَّةِ وَالْعَرِيقَةِ وَسَطَ مَجَاهِلِ
سِيَاسِيَّةٍ تَعْصِفُ بِهِمْ، فَمَنْ الْمَسْئُولُ عَنْ أَزْمَةِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ الْعَرَبِيِّ؟!.

[٥] كَانَتْ حَرَكَةُ الْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ هِيَ الْأَكْبَرُ مِنْ نَوْعِهَا وَالْأَخْطَرُ، كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ الْأَخِيرَةَ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ، بِمَعْنَى أَنْ التَّحَرُّكَاتِ الْأُخْرَى لِلْعُلَمَاءِ الْأَفْغَانِ كَانَتْ أضعفَ كَثِيرًا. وَفِي رَأْيِي أَنَّ هَذَا التَّحَرُّكَ كَانَ انْتِفَاضَةَ الْمَوْتِ لِلْعُلَمَاءِ الْأَفْغَانِ وَانْتِهَاءَ لِدَوْرِهِمْ التَّوْجِيهِيَّ الْأَسَاسِيَّ فِي الْجِهَادِ، وَانْتِقَالَ تِلْكَ الْمُهْمَةِ الْخَطِيرَةَ إِلَى أَيْدِي قَادَةِ الْأَحْزَابِ فِي «بِيشَاور». فَتَشَرَّدَمَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ «مَجَالِسِ الشُّورَى» لَدَى الْمُنْظَّمَاتِ، أَوْ رِئَاسَةِ بَعْضِ اللَّجَانِ الْهَامِشِيَّةِ فِي «بِيشَاور»، وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ عَادَ إِلَى الْقِتَالِ الَّذِي اسْتَهْلَكَ أَكْثَرَهُمْ.

تَحَرُّكُ الْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِ قَدْ تَمَّ الِاتِّفَافُ حَوْلَهُ وَإِجْهَاضُهُ مِنْ جَانِبِ زُعَمَاءِ الْأَحْزَابِ، وَإِنْ كَانَ «سَيَّاف» اسْتَفَادَ مِنْهُ كَثِيرًا لِتَدْعِيمِ مَوْقِفِهِ وَتَقْوِيَةِ «اتِّحَادِهِ»، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ سِوَاءِ فِي الشُّورَى أَوْ فِي رِئَاسَةِ لَجَانِ مُخْتَلِفَةٍ لِلْإِيْتَامِ وَالتَّعْلِيمِ وَالصَّحَّةِ... الخ. طَبَعًا الشُّرُوطِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي حَدَّدَهَا الْعُلَمَاءُ فِي بَيَانِهِمُ الْمَذْكُورِ لَمْ يُطَبَّقْ مِنْهَا شَيْءٌ فِي الْوَاقِعِ .

[٦] كَانَتْ مُفَاجَأَةٌ لِي أَنْ أَعْلَمَ بِوُجُودِ مَنْدُوبٍ عَنِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» فِي «بِيشَاور»، وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً لَهُ أَيْضًا أَنْ يُقَابِلَ شَخْصًا مِثْلِي مِنْ خَارِجِ فَنَوَاتِ «الْإِخْوَانِ». وَكَانَ «السَّنَانِيرِي» رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا رَأَيْتُهُ ذَكِيًّا، دَمِثَ الْخُلُقِ، مَرِحًا. سَادَتْ الْأُلْفَةُ بَيْنَنَا سَرِيعًا، سَاعَدَ عَلَيَّ ذَلِكَ اتِّفَاقُ وُجُهَاتِ نَظَرِنَا بِأَنَّ «سَيَّاف»

هُوَ الشَّخْصُ الْمُنَاسِبُ وَالشَّرْعِيُّ لِقِيَادَةِ اتِّحَادِ الْمُجَاهِدِينَ. وَأَيْضًا اتَّفَقْنَا بِأَنَّ مُعْظَمَ الْخِلَافَاتِ مَبْعُوثَةٌ عَوَامِلُ شَخْصِيَّةٌ، ثُمَّ اخْتَرْنَا الْمُشْتَرِكُ لِلشَّيْخِ «يُونُسَ خَالِصَ». وَبَعْدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ مِنْ مَجْهُودَاتِ الشَّيْخِ «السَّنَانِيرِيِّ» عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ قَامَ النُّظَامُ الْمِصْرِيُّ بِاعْتِقَالِهِ ثُمَّ اغْتِيَالِهِ فِي السَّجْنِ مُدْعِيًا أَنَّهُ انْتَحَرَ.

وَقَدْ رَبَطَ «الإِخْوَانُ» بَيْنَ اغْتِيَالِ «السَّنَانِيرِيِّ» وَبَيْنَ نَشَاطِهِ لِتَوْحِيدِ الْمُنْتَظَمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَفِي ظَنِّي أَنَّ هَذَا الْادِّعَاءَ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ بِصُورَةٍ تَخْتَلِفُ قَلِيلًا عَمَّا يُصَوِّرُهُ «الإِخْوَانُ». وَنَتِيجَةٌ لِمَلَا حَظَاتِي لِنَشَاطِ «الإِخْوَانِ» عَلَى السَّاحَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فَقَدْ لَاحَظْتُ ارْتِبَاطًا مُدْهَشًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَجْهُودَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لِحُكُومَةِ الْمَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ، حَتَّى أَنْ وَفُودًا مُشْتَرَكَةً قَدْ تَكَوَّنَتْ مِنْ الْجَانِبَيْنِ لِأَغْرَاضِ الْوَسَاطَةِ وَتَقْرِيبِ وَجْهَاتِ النَّظَرِ وَالْوَحْدَةِ بَيْنَ الْمُنْتَظَمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَكَانَ الطَّرْفَانِ - السُّعُودِيُّ وَالْإِخْوَانِيُّ - يَضْغَطَانِ بِثِقَلِ بَالِغِ لِصَالِحِ «سَيَافٍ» وَتَقْوِيَّتِهِ وَتَأْكِيدِ دَوْرِهِ.

وَكَمَا عَلِمْتُ مِنْ مَصَادِرَ عَرَبِيَّةٍ مُطَّلَعَةٍ أَنَّ «سَيَافٍ» قَدْ تَمَّ تَعْيِينُهُ مِنْ جَانِبِ التَّنْظِيمِ الدَّوْلِيِّ لِلْإِخْوَانِ مَسْئُولًا عَنِ الْفَرْعِ الْأَفْغَانِيِّ فِي التَّنْظِيمِ، وَهُوَ مَنْصِبٌ كَانَ يُنَافِسُهُ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ «بُرْهَانُ الدِّينِ رَبَّانِي» وَغَرِيمُهُ «حِكْمَتِيَارٍ». فَ «رَبَّانِي» أَقْدَمُ تَنْظِيمِيًّا وَأَكْبَرُ سِنًا، وَ «حِكْمَتِيَارٍ» أَكْثَرُ حَيَوِيَّةً وَأَدَقُّ تَنْظِيمًا وَأَشَدُّ بَرِيقًا فِي أَوْسَاطِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ.

وَقَدْ أثمرَ التَّعاوُنَ السُّعُودِيَّ الإِخوانِيَّ فِي جَعْلِ «سَيَّاف» هُوَ الشَّخْصِيَّةُ الأُولَى فِي أوساطِ الشَّبَابِ الإِسلامِيِّ عَلى مُستَوَى العالَمِ. وَأعكَسَ ذلكَ مادِّيًّا وَمَعنويًّا وَسِياسِيًّا عَلى «سَيَّاف» وَتَنظِيمِهِ الَّذِي ما كانَ لَهُ أنْ يَسْتَمِرَّ بِغَيرِ ذلكَ الدَّعَمِ، خَاصَّةً فِي وَجِهِ غَريمِهِ الأُصولِيِّينَ «بُرْهان» وَ «حِكمَتيار».

وَفِي ظَنِّي أنَّ «سَيَّاف» كانَ أَكْبَرَ انْحِرافِ فِي المَسِيرَةِ الجِهادِيَّةِ الأَفغانِيَّةِ، وَأَنَّ الدَّعَمَ السُّعُودِيَّ الإِخوانِيَّ قَدْ أَكسَبَهُ شَرعيَّةً وَشَعبيَّةً أَثَرَتْ فِي الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، بَلْ وَالتَّواجِدِ العَرَبِيِّ كُلِّهِ، وَفِي تَفكيرِ ذلكَ التَّيارِ وَمَشارِيعِهِ وَنشاطاتِهِ الَّتِي كانَتْ فِي مُعظَمِها فِي غَيرِ وَجْهَتِها الصَّحيحَةِ. لَقَدْ بُنيَ النِّشاطُ العَرَبِيُّ عَلى أساسِ خاطِئِ مَبنيٍّ عَلى تَقْميمِ مُضللٍّ تَمامًا حَولَ زَعامَةِ «سَيَّاف» وَباقيِ زَعاماتِ الأُصولِيِّينَ. وَمُضللٍّ فِيما يَتعلَّقُ بِدَوْرِ تلكَ الزَّعاماتِ وَتأثيرِها الحَقيقيِّ عَلى حَرَكَةِ الجِهادِ.

أَمَّا مُلاحَظَةُ جَماعَةِ «يُونُسَ خالِص» حَولَ مُوسِمِيَّةِ الوَساطاتِ العَرَبِيَّةِ وَدَعوَتِهِمْ لِتَكوينِ لَجنَةٍ إِسلامِيَّةٍ لِمُتابَعَةِ الأَوضاعِ وَبذَلِ المَساعيِّ كانَ اقْتِراحًا مَعقُولًا، وَرَبَّما أَنَّهُ كانَ المَخْرَجَ الحَقيقيِّ لِحالَةِ الضَّياعِ الأَفغانِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ لَو نَفَذَ هَذاَ الاقْتِراحَ مَجْموعَةٌ مِنَ المُخْلِصينَ، أَصحابِ الحَلِّ وَالعَقْدِ فِي العَمَلِ الإِسلامِيِّ. وَلَكنْ لَمْ تَكُنْ هُناكَ نَظْرَةٌ جَدِيدَةٌ تَجاهَ القَضِيَّةِ الأَفغانِيَّةِ، وَلَمْ يَرِ فِيها «الإِخوان» سِوى فُرْصَةٍ جَدِيدَةٍ لِتَحقيقِ مَكاَسِبِ آنيَّةِ بارِزِباطِهِمْ مَعَ السِّياسَةِ

السُّعُودِيَّةِ، وَالْأَشْتِرَاكِ مِنْ خِلَالِهَا فِي قَضِيَّةِ ذَاتِ طَابِعٍ دَوْلِيٍّ تَحْتَ قِيَادَةِ
أَمْرِيكَ.

وَكَانَ ذَلِكَ الْأَشْتِرَاكُ سَوْفَ يَرْفَعُ فِي ظَنِّهِمْ أَسْهُمَهُمْ لَدَى أَمْرِيكَ صَاحِبِيَّةَ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي مِصْرَ وَالْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَبِالتَّالِي فَإِنَّ مَوْقِفَ «الْإِخْوَانَ»
التَّنَافُسِيَّ عَلَى السُّلْطَةِ مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ الدِّيْمُوقْرَاطِيِّ سَوْفَ يَتَعَزَّزُ كَثِيرًا، بَلْ
قَدْ يُصْبِحُونَ قُوَّةً بَدِيلَةً مُنَاسِبَةً لِلنِّظَامِ الْفَاسِدِ الْمُهْتَرِي فِي مِصْرَ، وَبَدِيلًا
مَعْقُولًا عَنِ تَيَّارَاتٍ أُخْرَى مُتَشَدِّدَةٍ وَمُعَادِيَّةٍ بَعْنَفٍ لِأَمْرِيكَ وَمَصَالِحِهَا
وَمَشَارِعِهَا، خَاصَّةً الْمَشْرُوعَ الْإِسْرَائِيلِيَّ.

إِذَنْ فَالْسَّاحَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِخْوَانَ تَعْرِيزًا لِمَسِيرَتِهِمْ
الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ نَحْوَ السُّلْطَةِ فِي مِصْرَ، وَرَبَّمَا فِي بُلْدَانٍ أُخْرَى عَرَبِيَّةٍ، عَبْرَ
التَّفَاهُمِ مَعَ أَمْرِيكَ، الْقُوَّةِ الْمُسَيِّطِرَةِ عَلَى مُجْرِيَاتِ الْأَحْدَاثِ وَالْمَصَائِرِ فِي
الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

[٧] كَانَ مَوْقِفُ الْمُجَاهِدِينَ مُمْتَازًا؛ بِالْفِعْلِ كَانَ تَقَدُّمًا قَدْ حَدَثَ رُغْمَ أَنَّ
سَلْبِيَّاتٍ عَدِيدَةً بَدَأَتْ تَظْهَرُ كَمَا سَيَرِدُ ذِكْرُ بَعْضِهَا فِي الرَّسَائِلِ التَّالِيَةِ، وَلَمْ أَكُنْ
أَعْلَمُ وَفَتْهَا أَنَّ الْقَضِيَّةَ قَدْ تَمَّ تَدْوِيلُهَا وَأَنَّ أَمْرِيكَ قَدْ فَرَّرَتْ مُسَاعَدَةَ الْأَفْغَانَ
عَسْكَرِيًّا وَاعْتِبَارَ أَفْغَانِسْتَانَ سَاحَةً حَرْبٍ بِالْوَكَالَةِ.

كَانَ الْأَفْغَانُ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْتَوِيَّاتِ حَرِيصِينَ عَلَى عَدَمِ كَشْفِ مِقْدَارِ

المُسَاعَدَاتِ الَّتِي تَصِلُهُمْ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَمُدُّهُمْ بِهَا. بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، كَانُوا حَرِيصِينَ دَائِمًا عَلَى إِفْهَامِنَا أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يُسَاعِدُ وَأَنَّا - أَقْصِدُ أَيُّ مُسْتَمِعٍ لَهُمْ - [هُمُ الْوَحِيدُونَ الَّذِينَ يُسَاعِدُونَ] بِإِخْلَاصٍ. كَانَتْ تِلْكَ السِّيَاسَةُ مُفِيدَةً لَهُمْ عَلَى الْمُسْتَوَى الشَّخْصِيِّ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ ضَارَّةً جِدًّا بِقَضِيَّتِهِمْ.

وَعِنْدَ الْأَفْغَانِ [فَإِنَّ] الْأَعْتِبَارَ الشَّخْصِيَّ يَأْتِي أَوَّلًا، يَلِيهِ الْأَعْتِبَارُ الْقَبْلِيُّ، وَالْأَعْتِبَارَاتُ الدِّيْنِيَّةُ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ. أَمَّا «الْوَطَنُ» فَهُوَ مِنْهُوَ غَامِضٌ لَدَى الْأَفْغَانِ وَلَيْسَ لَهُ أَعْتِبَارٌ كَبِيرٌ، حَتَّى أَنْ النَّظَامَ الشُّيُوعِيَّ فِي آخِرِ عَهْدِهِ حَاوَلَ اللَّعَبَ بِهَذِهِ الْوَرَقَةِ وَكَانَ فَشَلُهُ سَاحِقًا.

وَمِنْ الْمَوْكِدِ أَنْ أَدَاءَ الْجَيْشِ الْأَحْمَرِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَشَفَ عَنْ أَوْجِهٍ قُصُورٍ رَهِيْبَةٍ، وَهُوَ مَا اكْتَشَفَهُ عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ الْقَادَةِ الْمَيْدَانِيِّينَ مِنْ أَمْثَالِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي». وَفِي كِتَابٍ لِمَسْئُولٍ فِي الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ كَانَ مُخْتَصًّا بِالنَّشَاطِ الْعَسْكَرِيِّ لِلْأَفْغَانِ، قَالَ بِأَنَّ السُّوفِيَّةَ كَانُوا يُمَكِّنُ هَزِيمَتَهُمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ١٩٨٣ م. وَلَمْ تَكُنْ [لِتَدْرِكَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ إِلَّا الْأَعْيُنُ الْخَبِيرَةُ]، وَقَدْ أُسْرِدُ لَاحِقًا عِدَّةَ أَحْدَاثٍ عَسْكَرِيَّةٍ تُثَبِّتُ تِلْكَ النَّظْرَةَ، فَقَطُّ فِي وَلايَةِ وَاحِدَةٍ هِيَ وَلايَةُ «بَاكْتِيَا».

وَمَا كَانَ لِأَمْرِيكَ أَنْ تُغَامِرَ بِالْمَرَاهِنَةِ عَلَى وَرَقَةٍ خَاسِرَةٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الْاِحْتِيَاطِ فَقَطُّ أَبْقُوا أَمْرَ تَدْخُلِهِمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ سِرًّا حَتَّى عَامَ ١٩٨٦ م، وَكَانَ

سِرًّا مَشْهُورًا وَلَكِنَّهُمْ رُغِمَ ذَلِكَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ رَسْمِيًّا إِلَّا فِي ذَلِكَ التَّارِيخِ.
وَتَارِيخُ أَمْرِيكَ الْعَسْكَرِيِّ يُبَيِّنُ أَنَّهَا تَظَلُّ بِعِيدَةٍ عَنِ مَسَارِحِ الْحَرْبِ الدَّائِرَةِ
حَتَّى:

- أ. يَتِمُّ إِهْلَاكُ جَمِيعِ الْأَطْرَافِ.
- ب. يَنْجَلِي الْمَوْقِفُ عَنِ تَفَوُّقِ نَسَبِي لِمَسَالِحِ [أَحَدِ الْأَطْرَافِ].
- ت. تَتَدَخَّلُ بِثَقْلِهَا كُلِّهِ لِمَسَالِحِ الطَّرْفِ ذِي التَّفَوُّقِ النَّسَبِيِّ.
- ث. يَتَسَبَّبُ «الثَّقَلُ الْأَمْرِيكِيُّ» فِي اخْتِلَالِ فَادِحٍ فِي الْمَوَازِينِ وَيَتَصَرُّ الطَّرْفُ
الْحَلِيفُ لَهَا.
- ج. تَقُومُ أَمْرِيكَ بِجَنِي جَمِيعِ ثَمَارِ النَّصْرِ لِمَسَالِحِهَا، وَلَا تَتْرُكُ لِحُلَفَائِهَا إِلَّا أَقْلَ
الْفُتَاتِ.
- ح. تَكُونُ النَّيْجَةُ النَّهَائِيَّةُ هِيَ انْتِصَارُ أَمْرِيكَ وَحَدِهَا، وَهَزِيمَةُ الطَّرْفَيْنِ
الْأَسَاسِيَيْنِ فِي الْحَرْبِ. حَدَثَ ذَلِكَ السِّيْنَارِيُّ فِي الْحَرْبَيْنِ الْعَالَمِيَّتَيْنِ
الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، كَمَا حَدَثَ تَحْتَ أَنْوْفَانَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَحَرْبِ «تَحْرِيرِ
الْكُوَيْتِ».

إِنَّ أَيَّ لَاعِبٍ مَاهِرٍ لَا بُدَّ أَنْ يَرْتَكِبَ أخطاءً، وَأَيُّ خِطَّةٍ مُحْكَمَةٍ لَا بُدَّ فِيهَا
مِنْ نَغْرَاتٍ. وَأُظُنُّ أَنَّهُ فِي حَالَةِ أَفْغَانِسْتَانَ وَحَرْبِ تَحْرِيرِ الْكُوَيْتِ كَانَتْ هُنَاكَ
نَغْرَاتٌ كَثِيرَةٌ قَاتِلَةٌ لِلْمَغَامِرَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِيهِمَا. وَالتَّارِيخُ مَلِيحٌ بِالشَّوَاهِدِ الَّتِي

تُبْتُ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْإِنْتِصَارَاتِ الْبَاهِرَةِ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْمَدَى الْقَصِيرِ، أَمَّا بِمُرُورِ الزَّمَنِ يَتَّضِحُ أَنَّهَا كَانَتْ مُقَدِّمَةً لِهَزَائِمٍ مَاحِقَةٍ. وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَفْغَانِسْتَانُ وَالْخَلِيجُ نَهَايَةَ حَقِيقِيَّةً لِأَمْرِيكََا كَقُوَّةِ عُظْمَى، بَلِ الْعَرَبِ وَحَضَارَتِهِ الْوَتَيْيَّةِ التَّوْرَاتِيَّةِ، وَإِنْ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ.

«نَجِيبُ اللَّهِ لِفُرَائِي»^(١) شَابٌ جَامِعِيٌّ نَشِطٌ مِنَ الْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِقِيَادَةِ «رَبَّانِي»، فَابْلَتْهُ وَتَحَدَّثَتْ مُطَوَّلًا مَعَهُ حَوْلَ مَشَارِيعِ الدَّمِجِ بَيْنَ الْحِزْبِ وَالْجَمْعِيَّةِ بِقِيَادَةِ «سَيَّافٍ»، وَكُنْتُ يَوْمَهَا مُتَحَمِّسًا لِلْمَشْرُوعِ. بِدَوْرِهِ كَانَ مُتَفَانًا لِلْغَايَةِ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي بَعْثَةِ دِرَاسِيَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَقَدْ أَتَمَّ بَعْثَتَهُ فِعْلًا، وَهُوَ الْآنَ يَتَوَلَّى مَنْصِبًا وَزَارِيًا هَامًا فِي حُكُومَةِ «رَبَّانِي» فِي «كَابُلٍ»، وَهِيَ حُكُومَةٌ مُعَادِيَةٌ تَمَامًا لِلتَّوْاجِدِ الْعَرَبِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانِ، وَتَبَدَّلَ جُهُودَهَا فِي إِنْهَائِهِ رُغْمَ ضَمَائِلِهِ حَالِيًا، وَتَصِفُ «الْعَرَبَ الْأَفْغَانَ» بِأَبْشَعِ الْأَوْصَافِ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُتَّاحَةِ تَحْتَ تَصَرُّفِهَا.

[٩] يَبْدُو أَنَّ السُّوفِيَّةَ حَرَّصُوا عَلَى عَدَمِ تَصْعِيدِ الْمَوْقِفِ عَلَى الْحُدُودِ مَعَ بَاكِسْتَانَ؛ سَعْيًا لِإِنْهَاءِ مُهْمَتِهِمْ بِأَقْلٍ قَدْرٍ مِنَ التَّوْتُرِ الْإِفْلِيمِيِّ. لِهَذَا تَجَنَّبُوا حُدُوثَ صِدَامَاتٍ كَبِيرَةٍ مَعَ رَكَائِزِ الْمُجَاهِدِينَ الْقَوِيَّةِ عَلَى الْحُدُودِ مَعَ

(١) نَجِيبُ اللَّهِ لِفُرَائِي: سَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْصِبَ وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ.

بَاكِسْتَان، وَبِالذَّاتِ فِي مُحَافِظَةِ «بَاكِتِيَا» ذَاتِ الْأَهْمِيَّةِ الْإِسْتِرَاتِيْجِيَّةِ الْفَائِزَةِ.

لِهَذَا بَقِيَتْ «خُوسْت» هَادِيَةً، وَأَحْبَطَ «جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي» وَالْقَوَاتِ الْمُتَحَالِفَةَ مَعَهُ مُحَاوَلَاتِ الرُّوسِ لِفَكِّ الْحِصَارِ الْبَرِّيِّ عَنِ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ الرُّوسُ مِنْ جِهَتِهِمْ غَيْرَ مُصْرِّينَ عَلَى ذَلِكَ تَفَادِيًا لِلتَّضْعِيدِ كَمَا ذَكَرْنَا، خَاصَّةً وَأَنْتَهُمْ مِنْ خِلَالِ الصَّدَامَاتِ الْأَوَّلِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُجَاهِدِي «بَاكِتِيَا» عَلِمُوا أَنَّ الْقِتَالَ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ سَوْفَ يَكُونُ شَدِيدَ الْوَطْأَةِ وَمُكَلَّفًا فِي الْأَرْوَاحِ وَالْعِتَادِ، لِهَذَا التَّرَمُّوا جَانِبَ الْحَدْرِ.

[١٠] «حِزْبُ الْخِيَانَةِ الصَّرِيحَةِ»: وَاضِحٌ مِنَ الْعَدَاءِ الَّذِي تَحْمِلُهُ الْعِبَارَةُ، بِأَنَّ الصُّورَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِذَوْرِ أَحْزَابِ «بِيْشَاوَر» لَمْ تَكُنْ قَدْ اتَّضَحَتْ بَعْدُ، فَالْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ سِوَى تَوْزِيْعِ أَدْوَارٍ لَيْسَ إِلَّا، وَأَنَّ «الْقَطِيْعَ الْقِيَادِيَّ» كُلَّهُ كَانَ يَسِيرُ فِي مَوْكِبِ الْخِيَانَةِ مِنْذُ الْبِدَايَةِ.

إِنَّهَا نَفْسُ الْمَسْرُوحِيَّةِ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْأَنْظِمَةِ؛ فَبَعْدَ عِدَّةِ عُقُودٍ ظَهَرَ لَنَا أَنَّ «الثُّورِيَّ» وَ «الرَّجَعِيَّ» [كِلَيْهِمَا يَعْمَلَانِ] ضَمَّنَ مُخَطَّطٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَدْوَارُ فِيهِ مُخْتَلِفَةً. ذَلِكَ الْمُخَطَّطُ أَوْصَلَنَا لِمَا نَشَاهِدُهُ حَالِيًا وَقَدْ كَتَبْتَهُ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ مِنْ اسْتِسْلَامِ الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْكَامِلِ تَقْرِيْبًا لِزَعَامَةِ «يَهُودِ إِسْرَائِيلَ» ثُمَّ تَحَالَفِ الْأَنْظِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ إِسْرَائِيلَ فِي مُطَارَدَةِ الْإِسْلَامِيِّينَ وَمُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَهْدِ الْإِسْلَامِ

وَقَلْبِهِ.

إِنَّ التَّكْتِيكَاتِ الصَّلِيبِيَّةَ - الْيَهُودِيَّةَ فِي السَّيْطَرَةِ عَلَى الْحَرَكَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تُمَارَسُ كُلُّهَا الْآنَ دَاخِلَ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ. وَلِتَتَّأَمَّلَ مَسِيرَةَ مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ وَزَعِيمِهَا «عَرَفَات»، وَكَيْفَ اتَّصَحَّ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ أَنَّ «عَرَفَات» لَيْسَ إِلَّا نَبْتَةٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ، وَالْمُنْظَمَةُ لَمْ تَكُنْ سِوَى وَعَاءٍ لِلتَّأْمُرِ الْيَهُودِيِّ. وَحَسَبَ مَا أَفْهَمُهُ بَعْدَ كُلِّ تِلْكَ السَّنَوَاتِ وَتَجْرِبَةِ الْاِحْتِكَائِ الْقَرِيبِ بِالتَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، فَإِنَّ الْمُنْظَمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةَ لَمْ تَكُنْ سِوَى صِنَاعَةٍ صَلِيبِيَّةٍ لِخِدْمَةِ أَعْرَاضِ دَوْلِ الصَّلِيبِ الْكُبْرَى فِي تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّ الْقَادَةَ السِّيَاسِيَّيْنَ الْأَفْغَانَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ «عَرَفَات».

وَالْخُطُورَةُ هُنَا كَمَا أَشْرْنَا وَسَوْفَ نُشِيرُ مَرَارًا هِيَ خُطُورَةُ سَيْطَرَةِ الصَّلِيبِيَّةِ عَلَى الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ، وَالنَّفَاقِ إِلَيْهِ عَبْرَ قِيَادَاتٍ وَتَنْظِيمَاتٍ تَكُونُ وَبَالًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بَدَلًا مِنْ إِقَامَةِ شَرْعِ اللَّهِ وَقَهْرِ الْكُفْرِ وَضُورًا إِلَى جَعْلِ الدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ. لَيْسَ هَذَا مَدْخَلًا لِلتَّشْكِيكِ أَوْ الْيَأْسِ بِقَدْرِ مَا هُوَ دَعْوَةٌ لِاتِّخَاذِ مَقَايِسَ مَوْضُوعِيَّةٍ وَمَعَايِيرَ شَرْعِيَّةٍ وَأَقْعِيَّةٍ، وَإِجْرَاءِ مُرَاقَبَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ شَامِلَةٍ عَلَى التَّنْظِيمَاتِ وَزَعَامَاتِهَا حَتَّى لَا يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ مِنَ الدَّاخِلِ.

وَحَسَبَ مَا نَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لَا مَخْرَجَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْهَآوِيَةِ الَّتِي سَقَطُوا فِيهَا إِلَّا بِالْجِهَادِ، وَمَا لَمْ تَكُنْ الْحَرَكََةُ الْجِهَادِيَّةُ إِسْلَامِيَّةً خَالِصَةً فَإِنَّهَا

لَنْ تُؤَدِّيَ الْغَرَضَ مِنْهَا، إِنْ لَمْ تَتَحَوَّلْ إِلَى تَدْمِيرِ دَاخِلِيٍّ لِلْمُسْلِمِينَ إِذَا مَا سَيَطَّرَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ كَمَا حَدَثَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

المَحْوَرُ الصَّلِيبِيُّ الَّذِي تَتَزَعَّمُهُ أَمْرِيكَا وَيَضُمُّ كُلًّا مِنْ بَاكِسْتَانَ وَمِصْرَ، بَرَزَ بَعْدَ دَعْوَةِ «السَّادَاتِ» إِلَى دَعْمِ الْأَفْغَانِ، وَاتَّخَذَ عِدَّةَ خُطَوَاتٍ مِثْلَ تَكْوِينِ «جَامِعَةِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ» الَّتِي تَضُمُّ مِصْرَ وَأَفْغَانِسْتَانَ وَالسُّودَانَ، وَكَانَتْ مُحَاوَلَةً مِنْ «السَّادَاتِ» لِلخُرُوجِ مِنْ عِزْلَتِهِ الشَّعْبِيَّةِ عَرَبِيًّا وَإِسْلَامِيًّا أَيْضًا. وَكَانَ «السَّادَاتُ» أَوَّلَ مَنْ اسْتَعْدَمَ الْقَضِيَّةَ الْأَفْغَانِيَّةَ وَشَعَارَاتِهَا الْإِسْلَامِيَّةَ لِتَغْطِيَةِ خُطَوَاتِهِ نَحْوَ الْيَهُودِ.

وَنَجَحَ «السَّادَاتُ» فِي اسْتِقْدَامِ وَفْدٍ مِنْ قِيَادَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي تَظَاهِرَةِ إِعْلَامِيَّةٍ، شَارَكَ مِنْ الْقَادَةِ «جِيلَانِي» وَ «مُجَدِّدِي» وَ «مُحَمَّدِي»، وَقَدْ تَوَرَّطَ «خَالِصٌ» فِي هَذَا الْوَفْدِ أَيْضًا. وَكَانَ «السَّادَاتُ» أَوَّلَ مَنْ فَضَحَ تَوَرَّطَ الْمُخَابِرَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ عِنْدَمَا كَشَفَ عَنْ صَفْقَةِ أَسْلِحَةٍ مِقْدَارُهَا خَمْسَةُ مَلَائِينَ دُولَارٍ لِصَالِحِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ مِنْ خِلَالِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. وَفِي تَقْدِيرِي أَنْ أَمْرِيكَا لَمْ تَكُنْ سَعِيدَةً بِهَذَا الْإِفْتِضَاحِ الْمُبَكِّرِ لِتَوَرَّطِهَا. الْمُهْمُ أَنْ الدَّوْرَ الْمِصْرِيَّ تَرَاجَعَ بَعْدَ ذَلِكَ عِدَّةَ خُطَوَاتٍ إِلَى الْخَلْفِ مُكْتَفِيًّا بِصَفَقَاتِ الْأَسْلِحَةِ عَلَى النَّمَطِ الَّذِي فَضَحَهُ «السَّادَاتُ». وَلَكِنَّ الْمَمْلَكَةَ الْعَرَبِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ تَقَدَّمَتْ لِتَأْخُذَ مَحَلَّ الصَّدَارَةِ

مِنْ بَيْنَ كُلِّ الْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى صَارَتْ أَحَدَ رَكِيزَتَيْنِ رَيْسِيَّتَيْنِ تَتَحَرَّكُ بِهِمَا أَمْرِيكَا فَوْقَ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَاحِدَةٌ هِيَ الْقَدَمُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ وَالْأُخْرَى هِيَ الْقَدَمُ السُّعُودِيَّةُ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ ظُهُورَ مِصْرَ تَحْتَ الْأَضْوَاءِ فِي السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ كَانَ سَيَفْضَحُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُورَاقِ وَيَكْشِفُ زَيْفَ التَّوَجُّهِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْمُنْظَمَاتِ وَالْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَهُوَ مَا كَانَ يُشْكَلُ خَطَرًا عَلَى كُلِّ الْمُخَطَّطِ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي قَامَ عَلَى فَلْسَفَةٍ مَفَادَهَا ضَرْبُ الشُّيُوعِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَأَسِيَا بِالْإِسْلَامِ وَحَرَكَتِهِ الَّتِي بَدَأَتْ تَنْمُو وَتَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ لَهَا تَحْتَ الشَّمْسِ.

وَلَيْسَ سِرًّا أَنَّ الْإِنْفَاقَ الرَّئِيسِيَّ عَلَى الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ قَدْ تَمَّ بِأَوَامِرِ أَمْرِيكِيَّةٍ مِنْ الْخِزَانَةِ السُّعُودِيَّةِ. هَذَا عَنْ الْمِيزَانِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ لِهَذَا التَّدْخُلِ. وَأَشْرَفَتْ بَاكِسْتَانُ عَلَى الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مِيدَانِيًّا، وَهِيَ الْمُهْمَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِجِهَازِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّ (ISI) الَّذِي أَنْشَأَهُ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» فِي عَامِ ١٩٧٩ م بِهَدَفِ الْإِشْرَافِ عَلَى الْمَشْكِلَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَتَطْوِيرِهَا وَالتَّحْكُمِ فِي تَأْثِيرِهَا عَلَى الْأَمْنِ الْقَوْمِيِّ الْبَاكِسْتَانِيِّ، وَبِالطَّبْعِ سَلَامَةِ نِظَامِ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» مِنْ أَنْ يَتَأَثَّرَ بِتِلْكَ الْمَشْكِلَةِ الْخَطِيرَةِ.

وَنُضِيفُ أَيْضًا أَنَّ الظُّهُورَ الْعَلَنِيَّ لِمِصْرَ كَانَ سَيِّئًا شُكُوكًا عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَ تَوَرُّطِ أَمْرِيكِيِّ إِسْرَائِيلِيٍّ؛ نَظْرًا لِسُقُوطِ مِصْرَ تَحْتَ الْهَيْمَنَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ. وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهَا تَوَاجُدٌ مُبَكَّرٌ فَوْقَ

سَاحَةَ «بِشَاوَر»، وَبِمَعْرِفَةِ الْقَادَةِ النَّاشِطِينَ فِي الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَقَدْ تَكَشَّفَتْ بَعْضُ أَوْرَاقِ هَذَا التَّوَاجُدِ فِي مُنَاسَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ عَامَ ١٩٩١ م فِي بَاكِسْتَانَ.

تَذَكَّرْتُ يَوْمَهَا التَّحْذِيرَ الَّذِي حَدَّرْنَاهُ «سَيَّاف» فِي عَامِ ١٩٨٠ م أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ الْأُولَى لِدَوْلِ الْخَلِيجِ، وَهِيَ التَّحْذِيرَاتُ الَّتِي أوردْنَاهَا سَابِقًا، وَقَدْ قَامَ «سَيَّاف» بِتَنْفِيذِ عَكْسِ جَمِيعِ تِلْكَ التَّحْذِيرَاتِ، وَكَانَ وَاحِدًا مِنْ الَّذِينَ تَعَامَلُوا بِوُضُوحٍ مَعَ الْخُبْرَاءِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ غَرِيمُهُ «حِكْمَتِيَار» وَبِشَكْلٍ أَعْمَقَ. وَسَنَعُودُ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى إِلَى مَسْأَلَةِ النَّشَاطِ الْإِسْرَائِيلِيِّ دَاخِلِ الْمُنْظَمَاتِ الْبِشَاوَرِيَّةِ.

[١١] الرُّوسُ فِي مَازِقِ حَقِيقِيٍّ، وَلَكِنْ مَا الْبَدِيلُ؟ وَمَنْ يَحْكُمُ

أَفْغَانِسْتَانَ؟:

تَعَجَّبْتُ كَثِيرًا وَأَنَا أُعِيدُ قِرَاءَةَ هَذِهِ الْفَقْرَةِ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ عَشْرَ عَامًا مِنْ كِتَابَتِهَا. وَوَجْهُ الْعَجَبِ هُوَ إِدْرَاكُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْخَطِيرَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُبَكَّرِ، وَأَطْنُ ذَلِكَ كَانَ مِنْ بَرَكَاتِ الْجِهَادِ، وَكَمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَدْرَكْنَاهَا وَفَهَمْنَاهَا بِفَضْلِ ذَلِكَ الْجِهَادِ الْمُبَارَكِ. وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَحَدُ الشَّخْصِيَّاتِ الْجِهَادِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي مِصْرَ بِأَنَّ: «مَا تَعَلَّمْنَاهُ وَفَهَمْنَاهُ فِي بَضْعِ سَنَوَاتٍ مِنْ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُحْصِلَهُ فِي مِائَةِ عَامٍ إِذَا بَقِينَا فِي أَمَاكِنَنَا

وَلَمْ نَحْضَرْ إِلَى هُنَا»^(١). وَكَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا بِأَنَّ الْأَعْيْنَ الْخَبِيرَةَ لَمْ يَكُنْ يَفُوتُهَا
 أَنَّ الرُّوسَ وَقَعُوا فِي وَرْطَةٍ لَا مَخْرَجَ مِنْهَا. وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْخُبْرَاءَ مِنْ طَوَاغِيَتِ
 الْعَالَمِ كَانَ يُرْعِبُهُمْ أَكْثَرَ أَنْ يَكُونَ الْبَدِيلُ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي يَصِلُ إِلَى حُكْمِ
 تِلْكَ الْقَلْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي سَقْفِ الْعَالَمِ «أَفْغَانِسْتَان» عَبْرَ حَرْبِ جِهَادِيَّةٍ مُطْفَرَةٍ
 ضِدَّ قُوَّةِ عَالَمِيَّةٍ عَظْمَى.

وَيُدْهَشُ بَعْضُ إِخْوَانِنَا إِذَا ذَكَرْتُ لَهُمْ أَنَّ سَبَبَ هَذَا الدُّعْرِ هُوَ أَنَّ أَمْرِيكَ
 وَإِسْرَائِيلَ رَأَوْا نَهَايَتَهُمْ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ فِي أَفْغَانِسْتَان. إِنَّ الْجَيْشَ الرُّوسِيَّ بِحُكْمِ
 الْخُبْرَاءِ هُوَ أَقْوَى بَرِّيًّا مِنْ أَيِّ جَيْشٍ آخَرَ فِي الْعَالَمِ، وَالْجُنْدِيُّ الرُّوسِيُّ أَكْثَرُ
 صَلَابَةً بِمَا لَا يُقَارَنُ، مِنْ الْجُنْدِيِّ الْأَمْرِيكِيِّ أَوْ الْأُورُوبِيِّ وَلَا دَاعِيٍّ لِيَذْكُرَ
 الْجُنْدِيَّ الْإِسْرَائِيلِيَّ؛ فَيَكْفِي أَنَّهُ يَهُودِيٌّ.

إِنَّ أَمْرِيكَ وَإِسْرَائِيلَ قَاتَلَا ضِدَّ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ وَالْعَرَبَ فِي أَفْغَانِسْتَان
 مِنْ أَجْلِ هَزِيمَتِهِمْ أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ مَنْعِهِمْ مِنْ تَحْقِيقِ هَدَفِهِمْ بِإِقَامَةِ حُكْمِ
 إِسْلَامِيٍّ فِي أَفْغَانِسْتَان. لَقَدْ اسْتَحْدَمَتْ أَمْرِيكَ وَإِسْرَائِيلُ الْقَادَةَ السِّيَاسِيَّةَ
 الْأَفْغَانَ وَمُنْظِمَاتِهِمُ الْبِيْشَاوَرِيَّةَ بِالضَّبْطِ كَمَا اسْتَحْدَمَتْ الْحُكُومَاتُ الْعَرَبِيَّةُ
 وَأَجْهَزَةُ الْأَمْنِ وَالِدِّفَاعِ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَقَاوِمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَنْعِهَا

(١) قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ»: «فِي حَدِيثٍ مَعَ الدُّكْتُورِ أَيْمَنَ الظَّوَاهِرِيِّ».

مِنَ التَّمَوِّ أَوْ النَّجَاحِ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا.

لَمْ يَكُنْ [أَمْرًا] غَرِيبًا الْحَرْبُ ضِدَّ الْإِسْلَامِ الَّتِي شَتَّتَهَا أَمْرِيكَ وَإِسْرَائِيلُ ضِدَّ الْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، مُسْتَحْدِمِينَ حُكُومَاتٍ مِثْلَ حُكُومَاتِ بَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ وَمِصْرَ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ هُوَ اسْتِحْدَامُ الْمُنْظَمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ الْبِشَاوْرِيَّةِ وَقِيَادَاتِهَا. وَهَذِهِ النُّقْطَةُ مَا زَالَتْ خَارِجَ إِدْرَاكَاتِ أَغْلِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَالشَّبَابِ الْمُجَاهِدِ فِي وَقْتِنَا الرَّاهِنِ، بَلْ مَوْضِعَ اسْتِهْجَانٍ وَاسْتِنكَارٍ أَكْثَرِهِمْ. وَأَرْجُو عِنْدَمَا يَصِلُ هَذَا الْكِتَابُ فِي أَيْدِي الْمُهْتَمِّينَ مِنَ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ النُّقْطَةُ وَاضِحَةً فِي أَذْهَانِهِمْ وَمَعْقُولَةً، لَيْسَ سَعْيًا لِإِدَانَةِ أَنْاسٍ بِأَعْيُنِهِمْ بِقَدْرِ مَا [تَكُونُ] مُحَاوَلَةً لِسَدِّ ثَغْرَةِ اسْتِحْدَامِهَا الْعَدُوِّ ضِدَّنَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَلَّا نَسْمَحَ لَهُ بِالْمَزِيدِ.

وَكَمَا قُلْنَا، فَإِنَّ السَّلَاحَ الْوَحِيدَ الْبَاقِيَّ فِي أَيْدِينَا وَعَلَيْهِ الْمُعْوَلُ فِي تَمَكِينِ شَرْعِ اللَّهِ وَالِدَّفَاعِ عَنِ دِينِهِ فِي الْأَرْضِ هُوَ الْجِهَادُ. وَهُوَ سِلَاحٌ لَا يَنْبَغِي بِأَيِّ حَالٍ أَنْ نَجْعَلَ عَدُوَّنَا يُسَيِّرُ عَلَيْهِ وَيَسْتَحْدِمُهُ ضِدَّنَا بِوَاسِطَةِ عُمَّالَتِهِ وَمُنْظَمَاتِهِمُ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِمَسَاجِدِ الضَّرَارِ.

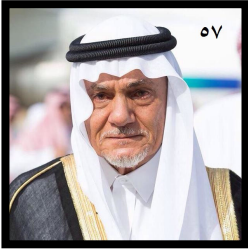
[١٢] مِنَ الْأَخْطَاءِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي لَازَمْتَنِي طُولَ فَتْرَةِ الْجِهَادِ هِيَ أَنَّ الشَّعْبَ الْأَفْغَانِيَّ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ سَوْفَ يَلْفُظُ قَادَةَ الْمُنْظَمَاتِ وَمُنْظَمَاتِهِمْ وَيَفْرُضُ شَرْعَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ مُجَاهِدِيهِ الْمُخْلِصِينَ وَقِيَادَاتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ

المُجَاهِدِينَ. وَكُنْتُ أَتَصَوَّرُ أَنَّ الْقَادَةَ الْخَوَنَةَ لَنْ يَجْرُوا عَلَيَّ دُخُولِ أَفْغَانِسْتَانَ
بَعْدَ الْفَتْحِ، وَرُبَّمَا [أَمْدَنِي] هَذَا التَّصَوُّرُ الْخَاطِئُ بِكَثِيرٍ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيَّ
الاسْتِمْرَارِ.

وَلَكِنَّ الَّذِي وَقَعَ كَانَ عَكْسَ هَذَا التَّصَوُّرِ الْمُتَّفَائِلِ؛ فَقَدْ كَانَتْ الْقُوَى
الْمُخْلِصَةُ قَلِيلَةً وَمُبْعَثَةً، وَلَمْ يَكُنْ أَثْقَلُ عَلَيَّ النَّفْسِ مِنْ رُؤْيَةِ الْمَشَاهِدِ الْهَزَلِيَّةِ
الَّتِي صَاحَبْتُ «فَتْحَ كَابُل»؛ فَالزَّعِيمُ «حِكْمَتِيَار» طَارَ إِلَيْهَا بِمُصَاحَبَةِ قَادَةِ
حِزْبِ «خَلْق» الشُّيُوعِيِّ مِنَ الْبَاشْتُونَ، وَهُمْ جِنْرَالَاتُ كِبَارٍ فِي وَزَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ
وَأَمِنَ الدَّوْلَةَ. أَمَّا الْقَائِدُ الْمِيدَانِي «مَسْعُود» - وَكُنْتُ أَحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ نَسْبِيًّا حَتَّى
ذَلِكَ الْوَقْتِ - فَقَدْ حَمَلْتُهُ وَقَوَاتِهِ طَائِرَاتُ الْمِيلِيشِيَاتِ الْأَوْزْبِكِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ
«جَلْمِ جَم»^(١) الَّتِي أَذَاقَتْ الشَّعْبَ الْأَفْغَانِيَّ الْأَمْرَيْنِ فِي قِتَالِهِمُ الشَّرْسِ ضِدَّ
الْمُجَاهِدِينَ. وَاكْتَمَلَتْ الْمَهْزَلَةُ بِتَحَرُّكِ مَوْكِبٍ ضَخْمٍ مِنَ السِّيَّارَاتِ الْفَخْمَةِ
الَّتِي تَقْلُ أَعْضَاءَ الْحُكُومَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي شَكَّلَهَا «سَيَّاف» تَحْتَ تَوْجِيهِ مُبَاشِرٍ
مِنَ الْأَمِيرِ «تُرْكِي الْفَيْصَل»^(٢) [صُورَةٌ رَقْم ٥٧] رَئِيسِ الْاسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةِ،

(١) الْمِيلِيشِيَاتُ الْأَوْزْبِكِيَّةُ الْمَارِكِسِيَّةُ: هِيَ مِيلِيشِيَاتُ مُسَلَّحَةٌ شُيُوعِيَّةٌ تَجَمَّعَتْ مِنْ وِلَايَاتِ الشَّمَالِ
الْأَفْغَانِيَّةِ، وَاتَّخَذَتْهَا مُسْتَقَرًّا لَهَا، كَانَتْ تَحْتَ قِيَادَةِ «عَبْدِ الرَّشِيدِ دُوسْتَم»، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ إِلَى جَانِبِ
الْقُوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ وَالرُّوسِيَّةِ.

(٢) تُرْكِي بِنُ فَيْصَلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سَعُودٍ: وُلِدَ فِي ١٥ فَبْرَايِرِ ١٩٢٥ م. بِ «مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ»، حَصَلَ عَلَيَّ



وَالَّذِي يَعْمَلُ تَحْتَ إِمْرَةِ الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ ضِمْنَ
فَرِيْقِ عَمَلٍ سَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِيْمَا بَعْدُ، يَضُمُّ مُمَثِّلِي
الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَالْإِسْرَائِيلِيَّةِ ثُمَّ الْمِصْرِيَّةِ فِي
آخِرِ الْأَمْرِ.

إِنَّ الْمَأْسَاةَ الَّتِي عَاصَرْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هِيَ مَلْهَأَةٌ مَأْسَاوِيَّةٌ مِنَ الطَّرَازِ
الْأَوَّلِ. لَقَدْ دَخَلَ «مُجَدِّدِي» «كَابُلَ» كَرَيْسِ الدَّوْلَةِ فِي حُكُومَةٍ يَرَأْسُهَا
«سَيَّافٌ» وَبَاقِي الْكِرَاسِي مُوزَعَةٌ بَيْنَ الَّذِينَ لَمْ يُشَارِكُوا فِي إِطْلَاقِ رِصَاصَةِ
وَاحِدَةٍ طُوَالَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا، بِإِسْتِثْنَاءِ «مَسْعُودٍ» وَزَيْرِ الدَّفَاعِ مَعَ وَاحِدٍ أَوْ
اِثْنَيْنِ مِنَ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ لَا وَزْنَ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ. وَالغَرِيبُ أَنَّ الْقَادَةَ الَّذِينَ كَانُوا
مُتَلَصِّقِينَ فِي «بِيشَاوَر» طُوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ أَقَامُوا فِي أَفْغَانِسْتَانَ بِصِفَةِ مُسْتَمِرَّةٍ
لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَسِيرَةِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ فِي «كَابُلَ»، فَلَمْ يَكُنْ «سَيَّافٌ» أَوْ
«بُرْهَانَ الدِّينِ» أَوْ «حِكْمَتِيَارٌ» يَعْرِفُونَ طَرِيقَ الْجَبْهَةِ إِلَّا فِي زِيَارَاتٍ

بِكَالِيْفُورْنِيَا أَلَذَابِ عَامَ ١٩٦٨ م مِنَ جَامِعَةِ «جُورْجِ تَاوَن» بِ «وَأَشْنُطُن». شَغَلَ مَنْصَبَ مُسْتَشَارِ
الْمَلِكِ «فَيْصَل» عَامَ ١٩٧٣ م، ثُمَّ رَئِيسِ الْإِسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةِ عَامَ ١٩٧٧ م وَحَتَّى ٢٠٠١ م. شَغَلَ
مَنْصَبَ سَفِيرِ الْمَمْلَكَةِ لَدَى الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ مِنْ ٢٠٠٥-٢٠٠٧ م، وَسَفِيرِ لَدَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي نَفْسِ الْفَتْرَةِ!!!

اسْتِعْرَاضِيَّةٍ لِلْمُتَاجِرَةِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَلَمْ يُمَارِسُوا وَلَوْ لِشَهْرٍ وَاحِدٍ دَوْرَ الْقِيَادَةِ الْجِهَادِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ دَاخِلَ الْمَيْدَانِ. وَلَكِنَّهُمْ مُنْذُ فَتْحِ «كَابُلٍ» وَحَتَّى الْآنَ - أَيِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا تَقْرِيْبًا - يُقِيمُونَ بِصِفَةِ شِبْهِ مُسْتَمِرَّةٍ يُدِيرُونَ فِتْنَةً هُوَ جَاءَ وَبِأُومِرَ مِنْ أَسْيَادِهِمْ الْقَدَمَاءِ أَمْرِيكًا وَبَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ.

مُلاحَظَةٌ: ظُهُورُ حَرَكَةِ «طَالِيَانٍ» وَاسْتِيْلَاؤُهَا عَلَى السُّلْطَةِ فِي «كَابُلٍ» وَطَرْدُهَا زَعَامَاتِ «بِيشَاوَرٍ» مِنَ الْحُكْمِ كَانَ تَحْقِيقًا لِتَوْقِعِي الْقَدِيمِ بِأَنَّ الشَّعْبَ الْأَفْغَانِيَّ لَنْ يَقْبَلَ هُوَ لِأَيِّ الزُّعَمَاءِ، فَاضْطُرَّتْ أَمْرِيكًا لِلتَّدْخُلِ لِغَرَضِ سَيْطَرَتِهَا عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ فِي حَرْبِ عَامِ ٢٠٠١ م^(١).

[١٣] طَلَبَ «خَالِصٍ» وَجَمَاعَتُهُ مِنَ الْأُسْتَاذِ «السَّنَانِيرِيِّ» بِأَنْ يُقِيمَ وَفْدٌ دَائِمٌ مِنْ «الْإِخْوَانِ» فِي «بِيشَاوَرٍ» لِمُتَابَعَةِ الْوَضْعِ بِشَكْلِ مُسْتَمِرٍّ. وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ «الْإِخْوَانَ» يَتَحَمَّلُونَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ مَسْئُولِيَّةِ «الْإِنْهِيَارِ الْأَفْغَانِيِّ» وَفَشَلِ التَّجْرِبَةِ الْجِهَادِيَّةِ هُنَاكَ، وَالْإِضْرَارِ بِالْمَجْهُودِ التَّطَوُّعِيِّ الْعَرَبِيِّ مِنْ نَوَاحِيهِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ. لَقَدْ ابْتَكَرَ «الْإِخْوَانُ» نَظْرِيَّةَ الْجِهَادِ بِأَمْرِ الْحُكُومَاتِ فَقَطْ، وَهَكَذَا فَعَلُوا فِي عَامِ ١٩٤٨ م ثُمَّ فِي حَرْبِ الْقَنَاةِ عَامَ ١٩٥٠ م.

(١) انْظُرْ كِتَابَ «صَلِيبٌ فِي سَمَاءِ قَنْدَهَارٍ» لِلْمُؤَلِّفِ.

وَفِي «الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ» الَّذِي طَبَّلُوا لَهُ بِأَعْلَى مَا يَمْلِكُونَ، ثُمَّ أَحْجَمُوا عَنْ التَّصَدِّي لِتَبِعَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَاکْتَفُوا بِالْمَظْهَرِيَّاتِ مِنْ أَعْمَالِ إِغَاثَةِ وَجَمْعِ تَبَرُّعَاتٍ مَعَ تَوَاجُدِ شَكْلِيٍّ مِنْ عُنَاصِرِ إِخْوَانِيَّةٍ مُتَمَرِّدَةٍ. إِنَّ تَوَاجُدًا إِخْوَانِيًّا قَوِيًّا فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَانَ - فِي تَقْدِيرِي - كَافِيًّا لِأَحْدَاثِ انْقِلَابِ إِسْلَامِيٍّ عَالَمِيٍّ. فَلَوْ تَصَوَّرْنَا أَنَّ تِلْكَ الْمَجْهُودَاتِ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ احْتَوَاهَا وَنَظَّمَهَا وَعَاءُ إِسْلَامِيٍّ وَاحِدٌ ذُو خَبْرَةٍ، إِذَنْ لَأَنعَدَمَتْ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ ظَوَاهِرُ الْفَوْضَى وَالتَّطَاحُنِ وَالْعَشَوَائِيَّةِ وَإِهْدَارِ الْأَمْوَالِ وَالدَّمَاءِ، وَلَكَانَتْ أَكْثَرَ فَعَالِيَّةٍ فِي الْمِيدَانِ، وَلَا تَرْتِ بِلَا شَكِّ فِي الْمَسِيرَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْقَضِيَّةِ، وَلَكَانَتْ خَسَائِرُنَا أَقَلَّ عَلَى الْمُسْتَوَى الْإِسْلَامِيِّ. وَلَا نَنْسَى أَنَّ طَبِيعَةَ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ كَانَتْ [لِتُسَاعِدَا] فِي تَبْنِي هَذَا التِّيَّارِ وَالتَّأَثُّرِ بِهِ، وَإِفْرَازِ قِيَادَاتٍ دِينِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ مُوَازِيَّةٍ وَمُوَاجِبَةٍ لِذَلِكَ الزَّخَمِ الْعَرَبِيِّ. كَانَ ذَلِكَ أَحَدَ أَحْلَامِنَا الَّتِي كَانَتْ غَيْرَ وَاقِعِيَّةٍ بِالْمَرَّةِ، وَقَدْ وَرَطْنَا ذَلِكَ فِي مَتَاعِبَ مَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً حَتَّى الْآنَ.

[١٤] كَانَتْ الرُّؤْيَةُ مُخْتَلِفَةً تَمَامًا بَيْنَ «بِيشَاوَر» وَخُطُوطِ الْقِتَالِ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَكَانَ «الإِخْوَانُ» وَالْعَرَبُ عَامَّةً يُكُونُونَ آرَاءً نِهَائِيَّةً عَنْ أَوْضَاعِ أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ خِلَالِ مُقَابَلَاتِهِمْ فِي «بِيشَاوَر» مَعَ قَادَةِ الْأَحْزَابِ «الْجِهَادِيَّةِ» وَكِبَارِ الْمَسْئُولِينَ فِيهَا. وَكَمَا سَنَلَا حِظًّا فِي تَقَارِيرِ تَالِيَّةٍ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَصْدَرًا لِخِلَافَاتٍ شَدِيدَةٍ نَاتِجَةٍ مِنْ اخْتِلَافِ الرُّؤْيَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

وَحَتَّىٰ عِنْدَمَا بَدَأَ الْعَرَبُ يَتَوَافِدُونَ إِلَىٰ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ شَابَ ذَلِكَ أَوْجُهُ تَقْصِيرِ خَطِيرَةٍ مِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا شَبَابًا صِغَارًا عَدِيمِي التَّجْرِبَةِ، كَانُوا يَدْخُلُونَ إِلَىٰ أَفْغَانِسْتَانَ بِقِنَاعَاتٍ جَاهِزَةٍ غَيْرِ قَابِلَةٍ لِلتَّبْدِيلِ، وَتَكُونُ رِحْلَتُهُمْ إِلَى الدَّاخِلِ هِيَ لِمَجَرَّدِ الْبَحْثِ عَنِ سُؤَالِهِ تُوَكَّدُ وَجْهَةَ النَّظَرِ تِلْكَ. وَعَالِبًا مَا تَكُونُ عُقُولُهُمْ قَدْ تَمَّ بِرَمَجَّتِهَا فِي «بِيشاور» عَلَىٰ أَيْدِي ذَلِكَ الْقَائِدِ «الْأُصُولِيِّ» أَوْ ذَاكَ، وَكَانَ لـ «سَيَّاف» الْغَلْبَةُ الْكَاسِحَةُ فِي نَشْرِ وُجْهَاتِ نَظَرِهِ وَبِرَّ مَجَّةِ عُقُولِ الشَّبَابِ نَظْرًا لِلْمَزَايَا الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا وَالَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي مَوَاضِعَ سَابِقَةٍ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُبَكَّرِ كَانَتْ الصُّورَةُ كَمَا ذَكَرْتَهَا الرَّسَالَةُ: «قَلَّةٌ ضَعِيفَةٌ مُخْلِصَةٌ، وَكَثْرَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْخَوَنَةِ». وَلَمْ يَكُنْ مَضَىٰ عَلَىٰ بَرْنَامَجِ تَدْوِيلِ الْقَضِيَّةِ سِوَىٰ عَامٍ وَاحِدٍ أَوْ أَقَلِّ. وَلَكِنَّا أَنْ نَتَّصِرَ الصُّورَةَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عَامِ ١٩٩٢م، وَهُوَ عَامُ الْفَتْحِ، وَكَمْ كَانَتْ السُّبْبَةُ بَيْنَ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُنَافِقِينَ. لَقَدْ كَانَتْ نِسْبَةٌ مُفْرِعَةً حَتَّىٰ أَنْ أَكْثَرَ مَا أَدْهَشَنِي هُوَ عَفْوُ اللَّهِ وَلَطْفُهُ الَّذِي نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

[١٥] فِي «جَرْدِيز» لَا تُطْلَقُ رِصَاصَةٌ إِلَّا مِنْ جَانِبِ جَمَاعَةِ الشَّيْخِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» وَبَاقِي الْجَمَاعَاتِ تَتَفَرَّجُ رُغْمَ أَنَّهَا تَمْتَلِكُ أَسْلِحَةً ثَقِيلَةً وَذَخَائِرَهَا بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ. هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَصْلُحُ لِلِاسْتِخْدَامِ بِدُونِ تَغْيِيرَاتٍ كَبِيرَةٍ أَثْنَاءَ مَعْرَكَةِ فَتْحِ «خُوسْت» فِي ١٩٩١م، وَسَيَّأْتِي ذِكْرُهَا تَفْصِيلًا بِإِذْنِ اللَّهِ. وَهَذَا الْمَشْهُدُ كَانَ هُوَ الْغَالِبُ فِي مُعْظَمِ الْجَبْهَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ بِاسْتِثْنَاءِ حَالَاتٍ

قَلِيلَةٍ وَمُشْرِفَةٍ، وَلَكِنَّ الْقَاعِدَةَ هِيَ الْقِتَالُ الْمُنْفَرِدُ مَعَ سَلْبِيَّةِ بَاقِي الْأَطْرَافِ الْجِهَادِيَّةِ بِسَبَبِ الْخِلَافَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ سِوَاءَ حِزْبِيَّةٍ أَوْ شَخْصِيَّةٍ.

غِيَابُ التَّنْسِيقِ بَيْنَ «الْمُجَاهِدِينَ» دَاخِلِ الْجَبْهَةِ الْوَاحِدَةِ كَانَ عَامِلًا مُسَاعِدًا لِلشُّيُوعِيِّينَ وَالسُّوفِيَّاتِ وَأَطَالَ أَمَدَ بَقَائِهِمْ وَأَنْجَحَ الْعَدِيدَ مِنْ حَمَلَاتِهِمُ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَحَمَاهُمْ مِنْ ضَرْبَاتٍ قَاتِلَةٍ كَانَتْ كَفِيلَةً بِإِنْهَاءِ الْاِحْتِلَالِ خِلَالَ فِتْرَةٍ أَقْصَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا حَدَثَ فِعْلًا. وَسَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا رَأْيَ ضَابِطِ الْاِسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ «مُحَمَّدُ يُوْسُف» فِي كِتَابِهِ «فَخُّ الدُّبِّ» بِأَنَّ الْحَرْبَ الْاَفْغَانِيَّةَ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَنْتَهِيَ عَامَ ١٩٨٣ مَ بِاَنْتِصَارِ الْمُجَاهِدِينَ.

إِنَّ طَبِيعَةَ الْمُجْتَمَعِ الْاَفْغَانِيِّ سَاعَدَتْ عَلَى هَذَا التَّفَكُّكِ، وَلَكِنَّ النِّشَاطَ التَّدْمِيرِيَّ لِلْمُنْظَمَاتِ - طَبَقًا لِسِيَاسَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ - كَانَتْ وَرَاءَ تَنْشِيطِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ السَّلْبِيَّةِ وَتَفَاقُمِهَا. وَلَا دَاعِي لِلذِّكْرِ بِأَنَّهُ مَعَ غِيَابِ التَّنْسِيقِ دَاخِلِ الْجَبْهَةِ الْوَاحِدَةِ لَا يُمَكِّنُ لَنَا أَنْ نَتَوَقَّعَ تَعَاوُنًا أَوْ تَنْسِيقًا بَيْنَ عِدَّةِ جَبَهَاتٍ. وَلَا تَخْفَى الْاَثَارُ الْهَائِلَةُ لِمِثْلِ هَذَا التَّنْسِيقِ فِي حَالِ حُدُوثِهِ.

وَعَكْسُ ذَلِكَ شَاهِدُنَاهُ، أَيَّ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ فِي حَالِ ائْتِصَارِهِمْ فِي جَبْهَةِ عَمَلِيَّاتٍ مُعَيَّنَةٍ فَإِنَّ حَالَةَ خِيَانَتِهِ تَحْدُثُ فِي جَبْهَةِ مُجَاوِرَةٍ بِحَيْثُ تَسْمَحُ بِمُرُورِ تَعَزِيزَاتِ الْعَدُوِّ بِسَلَامٍ لِإِنْقَاذِ قُوَّاتِهِ أَوْ اسْتِرْجَاعِ مَا فَقَدُوهُ مِنْ مَوَاقِعٍ.

وَتَفَكُّكُ الْجَبْهَةِ الْوَاحِدَةِ سَاعَدَ اِسْتِخْبَارَاتِ الْعَدُوِّ عَلَى اِخْتِرَاقِ جَمِيعِ

التَّنْظِيمَاتِ وَالْحُصُولِ عَلَى أَدَقِّ التَّفَاصِيلِ عَنِ الْأَحْوَالِ دَاخِلَ صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ. لِذَا فَقَدْ كَانَتْ الْأَسْتِخْبَارَاتُ - وَكَيْسَتْ قُوَّاتِ الْجَيْشِ - هِيَ الذَّرَاعُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلنِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ. وَقَدْ أَحْرَزَتْ الْأَسْتِخْبَارَاتُ أَعْظَمَ الْأَنْتِصَارَاتِ، وَلَمْ تَكُنْ الْأَنْتِصَارَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ لِلْعُدُوِّ بِنَفْسِ مُسْتَوَى نَجَاحَاتِهِ التَّجَسُّسِيَّةِ.

[١٦] حَضَرْتُ هَذِهِ الْمُسَاوِمَةَ حَوْلَ هَذِهِ الصَّفَقَةِ وَلَمْ أُصَدِّقْ نَفْسِي. وَكَانَتْ صَدْمَةً لِمَشَاعِرِي الْمِثَالِيَّةِ آنَذَاكَ، خَاصَّةً وَقَدْ كُنْتُ مُنْفَعِلًا بِيَرْنَامِجِ الْقَصْفِ الْمَدْفَعِيِّ حَيْثُ كَانَ هُوَ الْفَقْرَةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِي الْعَمَلِيَّاتِ وَقْتَهَا.

[١٧] «إِيرَان - لِيبيَا - حَرَكَةُ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» ثَلَاثَةُ أَطْرَافٍ بَيْنَهَا مِنْ التَّنَاقُضِ مَا لَيْسَ يَخْفَى. وَلَكِنَّ بَوَاطِنَ السِّيَاسَةِ تُخْفِي دَائِمًا مَا يَتَعَارَضُ مَعَ سَطْحِهَا الْخَارِجِيِّ. «غَلَبَ الدِّينِ» وَ «بُرْهَانَ الدِّينِ» أَيْضًا رُغْمَ كَوْنِهِمَا نَبْتَةً وَاحِدَةً انْقَسَمَتْ إِلَى شَطْرَيْنِ، فَبَيْنَهُمَا مِنَ التَّجَانُّسِ وَالتَّشَابُهِ بِقَدْرِ مَا يَبْدُو عَلَى السَّطْحِ مِنْ تَنَافُرٍ وَتَعَارُضٍ؛ فَالْإِثْنَانِ فِكْرِيًّا وَتَنْظِيمِيًّا مِنْ حَرَكَةِ «الْإِخْوَانِ»، وَارْتَبَطَ كِلَاهُمَا بِرَوَابِطٍ جَيِّدَةٍ - فِي بَدَايَةِ الْجِهَادِ - مَعَ نِظَامِ الثَّوْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي إِيرَانَ وَنِظَامِ «مُعَمَّرِ الْقَدَّافِيِّ» فِي لِيبيَا. وَقَبْلَ فَتْحِ «كَابُلِ» بِفَتْرَةِ لَيْسَتْ طَوِيلَةً حَضَرَ الزَّعِيمَانُ مُؤْتَمَرًا فِي لِيبيَا وَصَلِيًّا خَلْفَ «الْقَدَّافِيِّ» الَّذِي أَجْمَعَتْ أَكْثَرَ الْمَصَادِرِ الْفِقْهِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ الْمُعْتَبَرَةَ عَلَى كُفْرِهِ، وَتَسَبَّبَ لَهُمَا ذَلِكَ فِي

إِحْرَاجِ كَبِيرٍ مَعَ الْجَالِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُجَاهِدَةِ وَالْمُقِيمَةِ فِي بَاكِسْتَانَ «بِشَاوَر».

وَفِي فِتْرَةٍ لَاحِقَةٍ اهْتَزَّتْ عِلَاقَةُ «حِكْمَتِيَار» مَعَ «طَهْرَانَ» نَتِيجَةً لِمُغْرَبَاتِ السُّعُودِيَّةِ وَدُورِ الْخَلِيجِ. وَأَذَاعَتْ «طَهْرَانَ» أَنَّ عُنَاصِرًا مِنْ جَمَاعَةِ «حِكْمَتِيَار» قَدْ تَوَرَّطَتْ فِي نَشَاطَاتٍ مُعَادِيَّةٍ لِإِيرَانَ بِهَدَفِ التَّخْرِيبِ الدَّاخِلِيِّ. وَلَحَقَ «خَالِص» بِ«حِكْمَتِيَار» فِي عَدَائِهِ الْمَفْتُوحِ مَعَ إِيرَانَ نَتِيجَةً لِحَادِثِ تَسْرُبِ صَوَارِيخِ «سِتَنْجَر» مِنْ جَمَاعَةِ «خَالِص» فِي «هِيرَات» إِلَى أَيْدِي الْحَرَسِ الثَّوْرِيِّ الْإِيرَانِيِّ.

[١٨] «الْمُعَسَّكِرُ الْإِسْلَامِيُّ» فِي أَفْغَانِسْتَانَ لِتَدْرِيبِ الْعَرَبِ وَالْمُشَارَكَةِ الْقِتَالِيَّةِ، كَانَ أَحَدَ الْأَحْلَامِ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ مَجْمُوعَتُنَا تَحْقِيقَهَا؛ لِإِخْتِلَافِ وَجْهَاتِ النَّظَرِ وَتَفَاوُتِ الْأَسْتِعْدَادِ وَكَثْرَةِ الْمَشَاكِلِ الَّتِي لَا تَجِدُ حُلُولًا وَاضِحَةً. فَذُبُلَتْ الْفِكْرَةُ تَدْرِيجِيًّا، وَظَلَلَتْ أَتَابِعُهَا طُورَالِ مُدَّةِ الْحَرْبِ وَلَمْ تَتَحَقَّقْ الْفِكْرَةُ بِالشَّكْلِ الَّذِي كُنْتُ أَنْخِيَلُهُ، وَلَكِنْ أَشْيَاءٌ أُخْرَى تَحَقَّقَتْ، شَارَكْتُ فِي أَقْلِ الْقَلِيلِ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ حَدِيثٌ مُسْتَقِلٌّ.

أَمَّا مَا وَجَدْتُهُ فِي «جَرْدِيز» وَقْتَهَا فَقَدْ دَاعَبَ أَحْلَامَ فِكْرَتِي الْأُولَى وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُطَابِقًا تَمَامًا، وَإِنْ كَانَ بَاكُورَةً فِعْلِيَّةً لِلتَّوَاجُدِ الْإِسْلَامِيِّ الْقِتَالِيِّ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَكَانَ مُكُونًا مِنْ شَبَابِ بَاكِسْتَانِي وَهَذَا أَمْرٌ مُنْطِقِيٌّ مِنْ نَاحِيَةِ جُغْرَافِيَّةٍ.

ثُرَّةٌ فَوْقَ سَقْفِ الْعَالَمِ ... مِنْ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ ①

13 طَلِقَةٌ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حَوَادِثُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ ١٩٧٩-٢٠٠١ م

المجلد الثاني

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُهُ

مُصْطَفَى حَامِد
أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيِّ

اعْتَنَى بِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

أَبُو الْمَرْطُحِيِّ
طَلْحَةَ

هذا الكتاب..

مَضَى عَلَيَّ فَتْحُ (كَابُل) مَا يَقَارِبُ الثَّلَاثُونَ شَهْرًا، وَفِي هَذَا الْمَنَاقِبِ الْجَبَلِيِّ فِي مَنطِقَةِ (خوست) شَرَعْتُ فِي تَحْقِيقِ حَلْمٍ قَدِيمٍ، هُوَ وَضَعُ كِتَابٍ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَلَيْسَ هُنَاكَ أَسْوَأُ مِنْ هَذَا التَّوَقُّبِ لِلْكِتَابَةِ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَقَدْ اسْتَدَارَ الزَّمَانُ وَتَبَدَّلَتِ الْمَصَالِحُ وَأَسْفَرَتِ الْوُجُوهُ عَنِ مَلَاحِجِهَا الْأَصْلِيَّةِ بَعْدَ طَوْلٍ تَكَلَّفَ وَخَدَاعٍ، وَأَنْتَهَى أَحَدُ الْفُصُولِ الْكَالِحَةِ فِي لُغَةِ الْأُمَّمِ، تِلْكَ اللَّغَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الَّتِي لَا تَبَالِي بَدِينٍ أَوْ دِمَاءٍ. فَازَ الْأَقْوِيَاءُ بِالْغَنَائِمِ الضَّخْمَةِ، وَأَنْتَزَعُوا حَتَّى الْفَتَاتِ مِنَ أَفْوَاهِ حَلْفَانِهِمْ، وَرَضِيَ الَّذِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ بِفَشْوَرٍ تَافَهُةٍ مِنْ حَظْوِظِ الدُّنْيَا، بَاعُوا بِهَا الدِّينَ كَمَا بَاعُوا دِمَاءَ إِخْوَانِهِمْ، وَضَرَبُوا أُمَّتَهُمْ فِي مَقْتَلٍ وَصَدَمُوهَا فِي عَقَائِدِهَا وَأَمَالِهَا.

إِنَّ قَوْلَ الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ صَعِبٌ فِي الْحَيَاةِ الْعَادِيَةِ، وَتَزْدَادُ الصَّعُوبَةُ إِذَا تَعَلَّقَتْ الْحَقِيقَةُ بِحَالَةٍ حَرِبَ اخْتَلَطَتْ فِيهَا عَوَامِلُ الدِّينِ بِالْمَصَالِحِ، لِأَطْرَافٍ مُتَعَارِضَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَالْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَمُحَاوَلَةُ نَشْرِهَا عَلَى الْمَلَأِ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ إِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّةٌ انْتِحَارٌ مَعَ سَبْقِ الْإِصْرَارِ؛ لِأَنَّ الْمَقَاوِمَةَ لِهَذَا الْعَمَلِ لَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَحَدِ طَرَفِي الصَّرَاعِ، بَلْ مِنْ (كِلَيْهِمَا) مَعًا..

مُصْطَفَى حَامِدٍ
أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيِّ



حقوق الطبع محفوظة

لكل مسلم

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ٧/١٤٣٧-٢٠١٦

مؤسسة المرابطين لدعم الجهاد والمجاهدين

مؤسسة

المرابطين

لدعم الجهاد والمجاهدين

ثُرَّةٌ فَوْقَ سَقْفِ الْعَالَمِ... مِنْ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ (١)

١٥١ طَلَقَةٌ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حَوَادِثُ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ ١٩٧٩-٢٠٠١م

المُجَلَّدُ الثَّانِي

أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ

مُصْطَفَى حَامِد

اعْتَنَى بِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

عَطَّالَتْ
أَبُو الْمَلِطِيِّ

الرَّحْلَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى «جَرْدِيز»

عَامَ ١٩٨١ م

جَلَسْتُ مَعَ «قَارِي سَيْب» إِمَامِ مَسْجِدِ «المُهَاجِرِينَ» فِي «مِيرَانشَاه» تَعَبًا لِأَنَّنِي جِئْتُ مُنْفَرِدًا هَذَا الْعَامَ. وَسَأَلَنِي بِشَوْقٍ عَن زُمَلَانِي «أَحْمَد» وَ «إِسْمَاعِيل». وَقَصَّ عَلَيَّ أَخْبَارَ الْمُجَاهِدِينَ، خَاصَّةً أَخْبَارَ مَوْلَوِي «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» فِي «جَرْدِيز»، وَسَرَدَ بَعْضَ أَسْمَاءِ الشُّهَدَاءِ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَابَلْتُهُمْ فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ. كَانَ الرَّجُلُ ضَرِيرًا عَذَبَ الصَّوْتِ يُدْرِسُ أَطْفَالَ المُهَاجِرِينَ عُلُومَ الْقُرْآنِ. وَلَمَّا كَانَ جَمِيعٌ مَنْ أَعْرِفُهُمْ قَد تَوَجَّهُوا إِلَى جَبَهَاتِ الْقِتَالِ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بُدٌّ مِنْ أَنْ أَكُونَ ضَيْفَهُ حَتَّى تُرْتَبَ أَمْرَ الرَّحِيلِ إِلَى الْجَبَهَةِ.

تَطَوَّعَ لِمُرَافَقَتِي إِلَى «جَرْدِيز» شَابَانٍ مِنَ طُلَّابِ الْعِلْمِ الْمُجَاهِدِينَ، الْأَوَّلُ هُوَ «حَنِيفُ شَاه» وَالْآخِرُ «سَيْفُ الرَّحْمَنِ»، وَكِلَاهُمَا مَا زَالَ حَيًّا يُرْزَقُ، وَهَذَا بِالطَّبْعِ شَيْءٌ نَادِرٌ. الْأَوَّلُ أَصْبَحَ بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ وَاحِدًا مِنْ قَادَةِ الْمَجْمُوعَاتِ الْبَارِزِينَ، وَالثَّانِي عَمِلَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً فِي شِرَاءِ الذَّخَائِرِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالطَّعَامِ لِلْمُجَاهِدِينَ تَحْتَ إِمْرَةِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي».

مَا أَنْ عَبَّرْنَا الْحُدُودَ وَشَرَعْنَا الْمَسِيرَ فِي الْجِبَالِ حَتَّى اِكْتَشَفْتُ أَنْبِي
 مُصَابٌ بِنَزْلَةِ بَرْدٍ شَدِيدَةٍ، فَلَمْ أَكُنْ قَادِرًا عَلَى الْمَسِيرِ، وَلَا قَادِرًا عَلَى الْأَكْلِ،
 وَأَجْلِسُ لِلرَّاحَةِ عَلَى فِئْرَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا الرَّحْلَةُ الْأَخِيرَةُ، وَأَنْبِي
 لَنْ أَصِلَ أَبَدًا إِلَى «سِرَانَا» حَيْثُ «حَقَّانِي» وَرِجَالِهِ. كَانَ ذَلِكَ نَتِيجَةً غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ
 لِلِكْرَمِ الزَّائِدِ الَّذِي حَبَّانِي بِهِ «فَارِي سيب»؛ فَقَدْ أَتَحَفَّنِي بِسَرِيرٍ وَضَعَهُ لِي
 خَارِجَ الْمَسْجِدِ، وَاسْتَعَارَ مِنْ أَجْلِي مَرُوحَةً ضَخْمَةً سَلَطَهَا فَوْقَ رَأْسِي طُورَالِ
 اللَّيْلِ، فَالْجَوْ كَانَ صَيْفًا وَالبَعُوضُ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَدَّخِرْ - جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا - وَسَعَا
 فِي تَوْفِيرِ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ لِي. وَلَكِنَّ النَّتِيجَةَ كَانَتْ مُؤَسِفَةً عِنْدَمَا حَانَتْ سَاعَةُ
 الْجَدِّ وَبَدَأَتْ الرَّحْلَةُ الشَّاقَّةُ.

اضْطُرَرْنَا فِي رِحْلَتِنَا الْبَطِيئَةِ أَنْ نَمُرَّ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِينَ،
 وَتَتَلَكَّأُ أَكْثَرَ فِي دَكَائِنِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُقَدِّمُ خِدْمَاتِهَا لِلْمَسَافِرِينَ، مِنْ طَعَامٍ
 وَشَرَابٍ وَمَبِيَّتٍ وَتَسْمَى عِنْدَهُمْ «سَمَاوَاتٍ» وَهُوَ اسْمٌ عَجِيبٌ حَقًّا. كَانَ ذَلِكَ
 الْبُطْءُ الْمُؤَمِّلُ فِي الْمَسِيرِ مُزْعَجًا بِالنَّسْبَةِ لِلشَّائِبِينَ الْمُرَافِقِينَ لِي وَلَكِنَّهُ أَفَادَنِي
 مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى إِذْ تَعَرَّفْتُ بِشَكْلِ أَفْضَلِ عَلَى أَحْوَالِ الْقُرَى وَالْمُجَاهِدِينَ،
 وَالْمَعْنَوِيَّاتِ الْعَامَّةِ، وَتَعَرَّفْتُ عَلَى شَخْصِيَّاتٍ مُمْتَازَةٍ وَأَهْمُهَا الْقَائِدُ
 «شَاكِرِينَ» وَهُوَ ابْنُ عَمِّ مُرَافِقِي «حَنِيفِ شَاه». وَكَانَ «شَاكِرِينَ» شَابًّا حَادًّا
 الْمَلَامِحِ مُبْتَسِمًا دَائِمًا، نَحِيفًا طَوِيلَ الْقَامَةِ، قَوِيَّ الْبُنْيَةِ نَشِطًا، لَيْنَ الْمُعَامَلَةِ.
 كَانَ مِنْ قَبِيلَةِ «تَانَاي» أَوْ «ثَانِي» وَإِلَيْهَا يَنْتَمِي وَزَيْرُ الدُّفَاعِ الشُّيُوعِيُّ «شَاه نَوَاز

تَانَاي»^(١) الشَّهِيرُ. وَهِيَ قَبِيلَةٌ غَيْرٌ مَحْبُوبَةٌ مِنْ جِيرَانِهَا. وَرُغْمَ صِغَرِ حَجْمِهَا نَسَبِيًّا إِلَّا أَنَّهَا مَصْدَرٌ مَتَاعِبٌ كَثِيرَةٌ لِلْجَمِيعِ، وَكَانَتْ فِي مُعْظَمِهَا مُتَعَاظِفَةً مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ مِنْ أُنْبَائِهَا، وَهَكَذَا تَسَبَّبَتْ فِي مَشَاكِلَ كَثِيرَةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَرَجَ مِنْ «تَانَاي» مَجْمُوعَةٌ نَادِرَةٌ مِنَ الْقَادَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ مِنْ أُمَّثَالِ «شَاكِرِينَ» وَابْنِ عَمِّهِ «حَنِيفُ شَاه».

كَانَتْ مَعْرِفَتِي بِ «شَاكِرِينَ» قَصِيرَةً جِدًّا، فَبَعْدَ لِقَائِي هَذَا مَعَهُ، قَابَلْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى أثنَاءَ مَعْرَكَةِ «لِيَجَا» فِي «خُوسْت» أَيْضًا عَامَ ١٩٨٢ م، وَقَدْ اسْتُشْهِدَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي نَفْسِ الْعَامِ. لَقَدْ اسْتُشْهِدَ «شَاكِرِينَ» بِإِصَابَةٍ مُبَاشِرَةٍ مِنْ قَدِيفَةٍ دَبَابَةٍ، وَتَوَلَّى «حَنِيفُ شَاه» قِيَادَةَ الْمَجْمُوعَةِ، وَشَنَّ فُورًا هُجُومًا، وَبِالْأُخْرَى كَمِينًا كَاسِحًا ضِدَّ طَابُورِ عَسْكَرِيٍّ حُكُومِيٍّ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ أَنْجَحِ وَأَجْرًا كَمَا فِي الْمَنْطِقَةِ؛ فَقَدْ تَمَّ نَهَارًا وَفِي وَسَطِ مَنَاطِقِ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ مَوَاقِعِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ. وَنَجَحَ «حَنِيفُ شَاه» فِي اضْطِحَابِ غَنَائِمِهِ مِنَ الْكَمِينِ بِمَا فِي ذَلِكَ سَيَّارَاتٌ وَمُصَفِّحَاتٌ عَدَا الْأَسْلِحَةَ وَالْأَمْوَالِ.

(١) الْجِنْرَالُ شَاه نَوَّاز تَانَاي: شَعَلَ مَنْصِبَ وَزِيرِ الدَّفَاعِ الْأَفْغَانِيِّ فِي حُكُومَةِ الرَّئِيسِ «نَجِيبِ اللَّهِ»، وَقَادَ مُحَاوَلَةً لِلانْقِلَابِ عَلَيْهِ، وَاتَّهَمَتِ الْأَحْزَابُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِأَفْغَانِسْتَانِ بِالتَّنْسِيقِ مَعَهُ لِأَجْلِ الْقِيَامِ بِهَذَا الْانْقِلَابِ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ انْتِمَائِهِ لِحِزْبِ «خَلْقِ» الشُّيُوعِيِّ، وَالَّذِي قَامَ الْجِهَادُ ضِدَّهُ مِنْذُ بَدَايَاتِهِ.

قَضِينَا لَيْلَتَنَا الْأُولَى فِي مَرْكَزِ «شَاكِرِينَ»، وَكَانَ فِي أَحَدِ الْوُدَيَانِ الضَّعِيفَةِ الْمُتَفَرِّعَةِ مِنْ وَادِي «خُوسْت» فِي أَقْصَى الْغَرْبِ، وَهِيَ مَنْطِقَةٌ قَبَائِلِ «تَانَاي». فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ كَانَ رِجَالُ «شَاكِرِينَ» فِي اشْتِبَاكِ مَعَ الْعَدُوِّ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْمَرْكَزِ، وَلَكِنَّا سَمِعْنَا بِوُضُوحٍ قُصْفِ الْمِدْفَعِيَّةِ الثَّقِيلَةِ لِلْعَدُوِّ. وَمَعَ ذَلِكَ تَفَرَّغَ «شَاكِرِينَ» لِضِيَاغَتِنَا وَتَوَدُّعِنَا، وَأَرْسَلَ بَعْضَ رِجَالِهِ لِجِرَاسَتِنَا عِنْدَ عُبُورِ الْوَادِي فِي اتِّجَاهِ الْجِبَالِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ.

كَانَ مِنَ السَّهْلِ مِلَاحَظَةَ حَالَةِ انْتِعَاشِ عَامٍ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ الصُّورَةِ السَّابِقَةِ عَامَ ١٩٧٩ م. كَانَ عَدَدُ الْمُجَاهِدِينَ أَكْثَرَ وَمَعْنَوِيَاتُهُمْ أَعْلَى، وَالْقُرَى مَا زَالَتْ عَامِرَةً رُغْمَ عَمَلِيَّاتِ الْهَجْرَةِ الَّتِي تَمَّتْ، وَيَبْدُو أَنَّهَا كَانَتْ هِجْرَةً انْتِقَائِيَّةً أَوْ بَقَاءً انْتِقَائِيًّا، بِمَعْنَى أَنَّ الَّذِي هَاجَرَ كَانَ مِنَ الْفِئَاتِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي لَا تَحْتَمِلُ الْحَيَاةَ فِي ظِلِّ حَالَةِ الْحَرْبِ. وَبَقِيَتْ عَنَّا قُوَّةٌ قَادِرَةٌ عَلَى الْعَمَلِ وَالْقِتَالِ مَعًا.

مَضَى يَوْمَانِ وَمَا زِلْنَا فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ، وَفِي أَحَدِ «السَّمَاوَاتِ» تَمَدَّدْتُ كَمَنْ يَتَهَيَّأُ لِلانْتِقَالِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى. لَمْ أَكُ أَتَدَوَّقُ طَعَامًا مُنْذُ غَادَرْنَا «مِيرَانْشَاه»، وَالتَّهَابُ الْحَلَقِ جَعَلَنِي أَشْرَبُ الْمَاءِ بِلا حِسَابٍ حَتَّى أَنهَكَنِي الضَّعْفُ. «سَيْفُ الرَّحْمَنِ» الْفَتَى الرَّقِيقُ أَحْضَرَ لِي قَلِيلًا مِنَ التُّوتِ، لَا أَذْرِي مِنْ أَيْنَ حَصَلَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ لِي وَأَنَا فِي شِبهِ غَيْبُوتَةٍ. وَلَمَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ «تُوتٌ» انْتَابَنِي شَيْءٌ مِنَ النَّشَاطِ وَالتَّهَمُّتِ بِالسُّرْعَةِ الْمُمَكِّنَةِ،

وَطَلَبْتُ الْمَزِيدَ، وَاسْتَبَشَرَ الْفَتِيَانَ وَأَحْضَرَ كَمِيَّةً أُخْرَى، وَتَحَسَّنْتَ أَحْوَالِي قَلِيلًا. زَادَ مِنْ نَشَاطِي مَا أَخْبَرَانِي بِهِ أَنَّنَا عَلَى وَشِكِ التُّزُولِ إِلَى الطَّرِيقِ الْعَامِّ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى «جَرْدِيز»، وَمِنْ هُنَاكَ سَنَرَكَبُ شَاحِنَةً إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ «سِرَانَا». أَدْهَشَنِي النَّبَأُ وَدَفَعَنِي الْفُضُولُ إِلَى الْحَرَكَةِ وَأُنْسَانِي آلَامَ الْمَرَضِ.

الشَّاحِنَةُ الضَّخْمَةُ تَقْفُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْجَبَلِ، وَمُغَطَّةٌ بِعِنَايَةٍ خَوْفًا مِنَ الطَّيْرَانِ. الْمُسَافِرُونَ تَحْتَ الْأَشْجَارِ وَإِلَى جَانِبِ الصُّخُورِ فِي انْتِظَارِ مَوْعِدِ الْإِفْلَاحِ، أَقْصِدُ الْحَرَكَةَ. وَكَانَ عِنْدَ اصْفِرَارِ الشَّمْسِ تَفَادِيًا لِلطَّيْرَانِ، كَمَا يَحْدُثُ تَمَامًا فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ. كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنْ تَحْمِلَنَا الشَّاحِنَةُ الضَّخْمَةُ، وَهُوَ مَا حَدَثَ فِعْلًا، وَلَكِنْ لَمْ أَتَوَقَّعُ أَنْ أَحْمِلَ كَمِيَّاتٍ مِنَ الْمَتَاعِ وَمِنْ الْإِخْوَةِ الْمُسَافِرِينَ فَوْقَ رَأْسِي وَقَدَمِي وَصَدْرِي، وَكُلُّ مَا تَيْسَّرَ مِنْ جِسْمِي حَسْبَمَا تَيْحُهُ ظُرُوفُ الطَّرِيقِ. وَلِكُونِهَا التَّجْرِبَةُ الْأُولَى مِنْ نَوْعِهَا فَقَدْ أَنْسَتَنِي الدَّهْشَةُ سَلِيَّاتِ الرَّحَلَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ فِي السَّنَوَاتِ اللَّاحِقَةِ رَحَالَاتٍ «أَلِيَّةً» أَسْوَأَ مِنْ تِلْكَ بِكَثِيرٍ، وَيُمْكِنُنِي الْآنَ أَنْ أَقُولَ بِأَنَّهَا كَانَتْ رِحْلَةً «دَرَجَةَ أُوْلَى» رُغْمَ أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ رَأْيِي وَقْتَهَا.

تَقَابَلْتُ مَعَ الشَّيْخِ «جَلَالِ الدِّينِ» فِي «سِرَانَا»، وَكَانَ قَدْ مَضَى عَامٌ تَقْرِيبًا مِنْذُ آخِرِ لِقَاءِ لَنَا، وَكَانَ فِي «أَبُو ظَبْيِ» أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ مَعَ الْوَفْدِ الَّذِي تَرَأَّسَهُ «سَيَّاف». كَانَ أَهْمُ مَا يَشْغَلُنِي مَوْضُوعَانِ، الْأَوَّلُ مَا هُوَ الْوَضْعُ الْعَسْكَرِيُّ؟

وَكَيْفَ اسْتَطَاعُوا الصُّمُودَ إِلَى الْآنَ؟ وَكَانَ قَدْ مَضَى عَامٌ وَنِصْفٌ عَلَى التَّدَخُّلِ الْعَسْكَرِيِّ السُّوفِيَّتِيِّ، فَهَلْ يَعْتَقِدُ بِإِمْكَانِيَّةِ الْاسْتِمْرَارِ؟. الْمَوْضُوعُ الثَّانِي مَا هُوَ رَأْيُهُ فِي وَضْعِ «الْإِتِّحَادِ» الْآنَ؟ وَهَلْ هُنَاكَ أَمَلٌ فِي اتِّحَادِ حَقِيقِي بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ؟ وَمَا هُوَ دَوْرُ «سَيَافٍ»؟ وَكَيْفَ يُمَكِّنُ دَعْمَهُ؟.

بِالنَّسْبَةِ لِلوَضْعِ الْعَسْكَرِيِّ، كَانَ «جَلَالُ الدِّينِ» مُتَفَائِلًا، وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ تَحَسَّنَ عَنِ ذِي قَبْلِ، وَأَنَّ الرُّوسَ لَمْ يَكُونُوا مُخِيفِينَ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الَّتِي أُشِيعَتْ عَنْهُمْ، وَأَنَّ هَزِيمَتَهُمْ مُمَكِّنَةٌ جِدًّا لَوْ تَوَافَرَتْ بَعْضُ الشُّرُوطِ، وَعَلَى رَأْسِهَا اتِّحَادُ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْجَبَهَاتِ اتِّحَادًا حَقِيقِيًّا. وَأَنَّ الْعَقَبَةَ الرَّئِيسِيَّةَ أَمَامَ ذَلِكَ هُمْ قَادَةُ الْأَحْزَابِ فِي «بِيشاور»، الَّذِينَ يَبْذُلُونَ أَقْصَى جُهْدٍ لِمَنْعِ اتِّحَادِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الدَّخْلِ، وَيَهْدُدُونَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَنْعِ الْمُسَاعَدَاتِ، بَلْ وَيَحْرُضُونَ أَتْبَاعَهُمْ فِي الدَّخْلِ لِمُقَاتَلَةِ أَتْبَاعِ الْآخَرِينَ. وَهَذَا أَكْثَرُ مَا يَخْشَاهُ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْجِهَادِ، أَمَّا السُّوفِيَّتِيُّ فَلَيْسُوا هُمْ الْمُسْكَلَةُ الرَّئِيسِيَّةَ.

هَكَذَا كَانَ الْمَوْضُوعَانِ مُتْرَابِطَيْنِ؛ فَالْتَّقَدُّمُ عَلَى الْجَبَهَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ مُرْتَبِطٌ تَمَامًا بِتَحْقِيقِ تَرَابُطٍ فِي الْمَجَالِ السِّيَاسِيِّ، وَالْعَكْسُ يَبْدُو صَعْبًا، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْبَدِيلُ الْوَحِيدُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ التَّقَدُّمُ الْعَسْكَرِيُّ وَسَيْلَةً وَمَدْخَلًا لِتَحْقِيقِ تَمَاسُكٍ سِيَاسِيِّ، سَوَاءً تَمَّ هَذَا التَّمَاسُكُ فِي «بِيشاور» أَوْ كَمَا خَطَرَ فِي بَالِنَا لِأَحْقَاقٍ أَنْ يَتَمَّ تَمَاسُكٌ سِيَاسِيٌّ دَاخِلِيٌّ، أَيْ اتِّحَادٌ سِيَاسِيٌّ بَدِيلٌ فِي الدَّخْلِ،

وَالْغَاءُ دَوْرٍ زَعَامَاتٍ «بِيشاور»، وَهَذَا بِدَوْرِهِ لَمْ يَحْدُثْ مُطْلَقًا.



قِصَّةُ الضَّابِطِ «رَشِيدٍ»:

عَنْ الْوَضْعِ الْعَسْكَرِيِّ فِي «بَاكْتِيَا» أَخْبَرَنِي «جَلَالُ الدِّينِ» بِأَنَّ الرُّوسَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَغْيِيرَ الْأَوْضَاعِ السَّابِقَةِ، وَأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ اسْتَطَاعُوا إِحْبَاطَ مُحَاوَلَاتِ السُّوفِيَّةِ لِتَغْيِيرِ الْمَوَازِينِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْوَالِيَّةِ. وَأَهَمُّ الْعَلَامَاتِ أَنَّ الْجَيْشَ الْأَحْمَرَ فَشَلَّ فِي تَوْصِيلِ الْإِمْدَادَاتِ إِلَى مَدِينَةِ «خُوسْت» مِنْ الطَّرِيقِ الْبَرِّيِّ، سِوَاءَ عَبْرَ مَنَاطِقِ «زَدْرَانَ»، وَهِيَ قَبَائِلُ «جَلَالِ الدِّينِ»، أَوْ عَبْرَ الطَّرِيقِ الْمَارِّ فِي مَنَاطِقِ «مَنْجَل»، وَهِيَ قَبَائِلُ فِي شَمَالِ وَشَرْقِ الْمُحَافِظَةِ.

إِنَّ الْمُجَاهِدِينَ - كَمَا يَرَى «حَقَّانِي» - أَصْبَحُوا أَكْثَرَ جُرْأَةً عَلَى الرُّوسِ. وَقَدْ ذَكَرَ مَثَلًا لَطِيفًا عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ بِأَنَّ هُنَاكَ قَوْلًا لَدَى الْأَفْغَانِ بِأَنَّ «الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ الْكَلْبِ الَّذِي يَرُقُّ صَامِتًا، أَمَّا إِذَا بَدَأَ الْكَلْبُ فِي النُّبَاحِ فَلَا تَهْتَمُّ بِهِ». وَضَحَكَ «حَقَّانِي» قَائِلًا: «لَقَدْ نَبَحَ الرُّوسُ، فَسَقَطَتْ هَيْبَتُهُمْ فِي نُفُوسِنَا».

أَخْبَرَنِي «حَقَّانِي» بِأَنَّ بَاكِسْتَانَ بَدَأَتْ فِي إِعْطَاءِ بَعْضِ الْمُسَاعَدَاتِ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَأَنَّ أَسْلِحَةَ صِينِيَّةً وَمِصْرِيَّةً قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ عَنْ

طَرِيقِ بَاكِسْتَانِ، وَأَنَّ مِنْ ضَمَنِ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ صَوَارِيخُ «سَام ٧» الْمُضَادَّةُ لِلطَّائِرَاتِ، وَأَنَّ «حَقَّانِي» تَسَلَّمَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ صَوَارِيخَ، كَمَا تَسَلَّمَ عَدَدًا مِنْ الرَّشَاشَاتِ الثَّقِيلَةِ الْمُضَادَّةِ لِلطَّائِرَاتِ. وَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَرْكَزِ «سِرَانَا» اثْنَانِ مِنْ تِلْكَ الرَّشَاشَاتِ، أَحَدُهُمَا مَدْفَعُ «دُوشْكََا» ذُو أَرْبَعَةِ سَبْطَانَاتٍ مِنْ صِنَاعَةِ الصِّينِ، وَمَدْفَعُ رَشَاشٍ آخَرَ «زِيكُويَاك»، وَهُوَ صِنَاعَةٌ صِينِيَّةٌ أَيْضًا. أَمَّا الْمَدْفَعُ الْبُلْجِيكِيُّ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَتْ تَنْحَشِرُ فِيهِ الطَّلَقَاتُ فَلَمْ أَعُدْ أَرَاهُ، بَلْ أَنَّ الْعَدِيدَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ قَابَلْتُهُمْ فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ لَمْ يَعُدْ لَهُمْ وُجُودٌ؛ فَقَدْ لَاقُوا اللَّهَ شُهَدَاءَ، غَيْرَ أَنَّ وُجُوهًا جَدِيدَةً فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ، بَعْضُهُمْ شَبَابٌ دُونَ الْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمَرِ قَدْ ظَهَرُوا فِي الْجَبَهَاتِ وَالصُّفُوفِ الْأُولَى.

سَأَلْتُ عَنِ الْمَدَافِعِ الَّتِي تَقِصِفُ «جَرْدِيز»، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا مَدْفَعَانِ فَقَطْ، أَحَدُهُمَا مَدْفَعُ مِيدَانِ «أُوبُوس» عِيَارُ ١٢٢ مم، وَالآخَرُ مَدْفَعُ جَبَلِي عِيَارُ ٧٦ مم، وَكِلَاهُمَا مِنَ الْغَنَائِمِ، وَكَذَلِكَ قَدْ آتَيْتُهُمَا. أَمَّا التَّشْغِيلُ فَيَقُومُ بِهِ ضَابِطُ بَاكِسْتَانِيٍّ مُتَطَوِّعٌ، وَهُوَ يُشَارِكُ الْمُجَاهِدِينَ فِي عَمَلِيَّاتٍ أُخْرَى مِثْلَ التَّدْرِيبِ عَلَى الْمَدَافِعِ أَوْ الْهُجُومِ عَلَى الْمَوَاقِعِ. أَمَّا عَنِ قِصَّةِ ذَلِكَ الضَّابِطِ - وَاسْمُهُ «رَشِيد» - قَالَ «حَقَّانِي» أَنَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَمَا هُوَ فِي «مِيرَانْشَاه» يَتَهَيَّأُ لِعُبُورِ الْحُدُودِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ أَخْبَرَهُ بَعْضُ رِجَالِهِ أَنَّهُمْ شَاهَدُوا شَائِبِينَ بَاكِسْتَانِيِّينَ أَحَدُهُمَا يَقُولُ أَنَّهُ ضَابِطٌ فِي الْجَيْشِ، بَيْنَمَا هُمَا يُسَاوِمَانِ الْبَائِعَ فِي أَحَدِ دَكَائِنِ الْأَسْلِحَةِ، فِي شِرَاءِ بُنْدُقَيْتَيْنِ لَهُمَا، وَيُطَالِبَانِ بِتَخْفِيزِ السَّعْرِ لِأَنََّّهُمْ

مُجَاهِدَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

أَرْسَلَ «حَقَّانِي» رِجَالَهُ لِاسْتِدْعَاءِ الرَّجُلَيْنِ، وَتَعَرَّفَ عَلَيْهِمَا، إِنَّهُمَا الرَّائِدُ «رَشِيدٌ» وَابْنُ أُخْتِهِ «وَحِيدٌ»، وَهُوَ شَابٌّ فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ. قَدَّمَ «رَشِيدٌ» نَفْسَهُ إِلَى «حَقَّانِي» عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ رَائِدٌ سَابِقٌ فِي الْجَيْشِ الْبَاكِسْتَانِيِّ، اسْتَقَالَ مُؤَخَّرًا مِنَ الْخِدْمَةِ لِرَغْبَتِهِ الْإِلْتِحَاقَ بِالْمُجَاهِدِينَ؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ يَخْدُمُ بِذَلِكَ بَاكِسْتَانَ وَيُدَافِعُ عَنْهَا أَكْثَرَ مِنْ بَقَائِهِ ضَابِطًا فِي الْخِدْمَةِ وَبَعِيدًا عَمَّا يَحْدُثُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنَّ السُّوفِيَّةَ إِذَا لَمْ يَتِمَّ إِيقَافُهُمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ إِيقَافَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ بَاكِسْتَانَ سَوْفَ تَضِيعُ لَا مَحَالَةَ.

تَعَرَّفْتُ عَلَى «رَشِيدٍ» بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَدْ رَحَلْتُ إِلَيْهِ فِي جِبَالِ «سَاتِي كَنْدُو»، تَحَدَّثْنَا كَثِيرًا وَأَعْتَقَدُ أَنَّنَا أَصْبَحْنَا أَصْدِقَاءَ. وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ اسْتَفَدْتُ بِمَعْرِفَتِهِمْ خِلَالَ سَنَوَاتِ الْحَرْبِ؛ فَقَدْ سَاعَدْتَنِي نِقَاشَاتِي مَعَهُ فِي تَبَيُّنِ الْكَثِيرِ مِنْ أَسَاسِيَّاتِ الْمَوْقِفِ الْعَسْكَرِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ لِلْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَرُغْمَ أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِمَزَايَا لَمْ أَجِدْهَا فِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ عُيُوبَهُ عَرَقَلَتْ اسْتِمْرَارِيَّتَهُ فِي الْجِهَادِ. وَفِي ظَنِّي أَنَّ أخطرَ عُيُوبِهِ كَانَتْ حِرْصِهِ عَلَى رُؤْيَةِ دَوْرِهِ بَارِزًا وَمُعْتَرَفًا بِهِ، وَحِرْصِهِ أَيْضًا عَلَى إِبْرَازِ تَفُوقِهِ عَلَى الْآخَرِينَ.

لَقَدْ كَانَ دَوْرُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بَارِزًا فِعْلًا، وَكَانَ أَيْضًا مُتَفَوِّقًا عَلَى الْآخَرِينَ بِحُكْمِ احْتِرَافِهِ الْعَسْكَرِيِّ الَّذِي زَوَّدَهُ بِمَعَارِفَ كَانَ الْمُجَاهِدُونَ

يَجْهَلُونَهَا، وَهُمْ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا. لَقَدْ رَأَيْتُ «رَشِيد» فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَهُوَ تَقْرِيْبًا أَشْهُرُ شَخْصِيَّةٍ فِي الْمَنْطِقَةِ، يَعْرِفُهُ الشُّيُوخُ وَالْأَطْفَالُ. وَكَانَ مَا يَفْعَلُهُ مَثَارَ إِعْجَابِ الْجَمِيعِ؛ فَقَضَّيْتُهُ الْمَدْفَعِيَّ عَلَيَّ «جَرْدِيز» كَانَ حَدِيثَ الْمُجَاهِدِينَ وَسُكَّانِ الْمَنْطِقَةِ، وَكَانَ رَادِيُو «جَرْدِيز» يَسُبُّهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيُطَالِبُ بِرَأْسِهِ.

لَقَدْ حَدَّثَنِي «حَقَّانِي» عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَوَاتٍ، وَكَانَ «رَشِيد» عَلَيَّ وَشَكِّ مُغَادِرَةَ بَاكِسْتَانَ مُهَاجِرًا إِلَى كَنْدَا؛ فَقَدْ تَزَوَّجَ صَحْفِيَّةً كَنْدِيَّةً قَابَلَهَا فِي الْجَبْهَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ «رَشِيد» رَجُلٌ شَجَاعٌ، بَلْ هُوَ أَشْجَعُ مِنِّي فِي الْحَرْبِ، وَلَكِنَّ التَّعَامُلَ مَعَهُ صَعْبٌ جِدًّا». فِي سَنَوَاتٍ لَاحِقَةٍ قَابَلْتُ بَعْضَ الشَّبَابِ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ مِنْ نَفْسِ مَنطِقَةِ «رَشِيد»، وَكَانُوا مُجَاهِدِينَ مُتَثَقِّفِينَ وَأَذْكَيَاءَ، وَلِلْأَسَفِ وَجَدْتُهُمْ يَكْرَهُونَ الرَّجُلَ «رَشِيد»، وَيَصِرُّونَ أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا يَعْمَلُ لِصَالِحِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ. وَظَلَّتْ تِلْكَ التُّهْمَةُ تُلَاحِقُهُ أَيْنَمَا حَلَّ.

وَبِمَا أَنَّ «رَشِيد» كَانَ مِنْ أَهْمِ الشَّخْصِيَّاتِ غَيْرِ الْأَفْغَانِيَّةِ الَّتِي قَابَلْتُهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَكَانَ مُؤَهَّلًا عَمَلِيًّا لِلنَّشَاطِ الْقِتَالِيِّ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ تَوَافَدُوا لِاحِقًا عَلَيَّ أَفْغَانِسْتَانَ بِمَا فِي ذَلِكَ الْقَلِيلِ مِنَ الضُّبَّاطِ الْعَرَبِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي الْقِتَالِ، فَإِنِّي أَتَابَعُ قَلِيلًا حَالَتَهُ وَنَجَاحَاتِهِ وَإِخْفَاقَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُتَعَلِّقٌ كَثِيرًا بِالْحَالَةِ الْجِهَادِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَائِمَةً آنَذَاكَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

قَابَلْتُ «رَشِيد» لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ فِي الْمِيدَانِ عَامَ ١٩٨٢ م فِي مَعْرَكَةِ «لِجَاه» فِي «خوست»، وَيَوْمَهَا اخْتَلَفَ مَعَ «حَقَّانِي» وَانْتَهتْ عِلَاقَتُهُمَا. ثُمَّ انْتَقَلَ «رَشِيد» لِلْعَمَلِ مَعَ جَمَاعَةِ «خَالِص» فِي «جَلَالِ آبَاد»، ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَعَمَلَ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ مَعَ مَوْلَايِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور»، وَكَانَ تَوَافُقُهُ كَبِيرًا مَعَهُ. ثُمَّ بَدَأَتْ حَالُهُ حِصَارًا بَاكِسْتَانِيَّةً ضِدَّ «مَنْصُور» حَتَّى ذَبَلَ تَنْظِيمُهُ. أَمَّا «رَشِيد» فَقَدْ طَارَدَهُ رِجَالُ الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، وَطَلَبُوا مِنْ الْمُنْظَمَاتِ عَدَمَ التَّعَاوُنِ مَعَهُ، وَأَشَاعُوا حَوْلَهُ أَنَّهُ يَعْمَلُ مَعَ الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.

كَانَ الْإِتِّهَامُ عَجِيبًا لِمَنْ يَعْلَمُ بِوَاطِنِ الْأُمُورِ؛ فَالْمُخَابَرَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ وَقَتْهَا (١٩٨٥ م-١٩٨٦ م) كَانَتْ فِي قِمَّةِ تَأَلُّقِهَا فِي إِدَارَةِ مَشْرُوعِهَا فِي أَفْغَانِسْتَانِ. إِذْ نِ الْإِتِّهَامُ كَانَ لِتَشْوِيهِ السُّمْعَةِ وَكَيْسَ لِإِظْهَارِ حَقِيقَةِهَا، فَإِذَا كَانَ «رَشِيد» يَعْمَلُ لِلْإِسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْمَسَاسُ بِهِ، إِلَى جَانِبِ نُفُوزِهِ وَسَطُوْتِهِ عَلَى الْجَانِبِيْنَ الْبَاكِسْتَانِيِّ وَالْأَفْغَانِيِّ.

كَانَ «حَقَّانِي» وَاقِعِيًّا عِنْدَمَا أُخْبِرَنِي أَنَّ الرَّجُلَ يَسْتَحِيلُ التَّعَامُلَ مَعَهُ؛ لَقَدْ كَانَ مُنْصِفًا كَعَادَتِهِ فَلَمْ يَتَجَنَّبْ عَلَيْهِ أَوْ يَتَّهَمَهُ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّ، بَلْ أَنَّهُ أَثْنَى عَلَيَّ شَجَاعَتِهِ. وَعِنْدَمَا سَأَلْتُ أَحَدَ الْقِيَادِيِّينَ فِي جَمَاعَةِ «خَالِص» عَنْ سَبَبِ إِنْهَاءِ عِلَاقَتِهِمْ بِـ «رَشِيد»، رَدَّ قَائِلًا: «إِنَّ «رَشِيد» يَتَّعَامَلُ مَعَ الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، لِذَلِكَ أَنَّهُنَا عِلَاقَتَنَا مَعَهُ». كَانَتْ الْإِجَابَةُ اسْتِخْفَافًا وَاضِحًا بِي؛

فَكَانَتْ عِلَاقَتُهُمْ وَجَمِيعِ الْأَحْزَابِ مَعَ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ تَجْرِي عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ وَلَا تَحْتَاجُ أَيَّ دَلِيلٍ. فَكَيْفَ يَسْتَعْدِمُهَا تَهْمَةٌ ضِدَّ «رَشِيدٍ»؟.

اسْتَتَجْتُ وَقْتَهَا أَنْ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ تُحَرِّضُ عَلَيْهِ فِي «بِيشاور». وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَحَدُ الْعَامِلِينَ فِي مَكَاتِبِ «بِيشاور» بِأَنَّهُ قَدْ طُلِبَ مِنْهُمْ صِرَاحَةٌ مِنْ طَرَفِ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ عَدَمَ التَّعَاوُنِ مَعَ «رَشِيدٍ». وَأَذْكَرُ أَنَّهُ عِنْدَمَا عَادَرَ «رَشِيدٍ» مَوْقِعَ «لِيَجَاه» بَعْدَ نِقَاشٍ حَادٍّ مَعَ «حَقَّانِي»، فَإِنَّهُ أَرْسَلَ لِي رِسَالَةً مِنْ «مِيرَانشاه» بِأَنْ أَلْقَاهُ هُنَاكَ بِسُرْعَةٍ. وَهُنَاكَ شَرَحَ لِي أَوْجُهَ الْخِلَافِ مَعَ «حَقَّانِي»، وَكَانَتْ حَوْلَ خُطَّةِ الْهُجُومِ عَلَى حِصْنِ «لِيَجَاه»، وَإِصْرَارِ كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى وُجْهَةِ نَظَرِهِ، فَاحْتَدَّ «حَقَّانِي» فِي الرَّدِّ عَلَى «رَشِيدٍ»، الَّذِي شَعَرَ أَنَّهُ قَدْ أَهَيْنَ أَمَامَ بَاقِي الْقَادَةِ، فَتَرَكَ الْعَمَلَ مَعَ «حَقَّانِي» إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ.

كُنَّا وَقْتَهَا فِي بَيْتِ أَحَدِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَامِلِينَ مَعَ «حَقَّانِي» فِي «مِيرَانشاه». وَفَجْأَةً دَخَلَ عَلَيْنَا اثْنَانِ مِنْ أَفْرَادِ الْمُخَابِرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَطَلَبَا الْحَدِيثَ عَلَى أَنْفِرَادٍ مَعَ «رَشِيدٍ»، فَخَرَجَ الْأَفْغَانُ، وَبَقِيَتْ جَالِسًا عَلَى اعْتِبَارِ أَنِّي لَا أَفْهَمُ لُغَةَ «الْبَاشْتُو» الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا، كَمَا أَخْبَرَهُمْ «رَشِيدٌ» أَنِّي عَرَبِيٌّ أَتَكَلَّمُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ فَقَطْ. فَدَارَ حِوَارٌ بِالْأُورْدِيَّةِ. وَمِنْ خِلَالِ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْأُورْدِيَّةِ وَكَثْرَةِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ فِي بَاكِسْتَانَ - خَاصَّةً رِجَالَ الْجَيْشِ وَكِبَارُ الْمُوظَّفِينَ - فَهَمْتُ أَنْ اخْتِلَافًا كَبِيرًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

«رَشِيد» حَوْلَ السِّيَاسَاتِ العَسْكَرِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ اتِّبَاعُهَا فِي المَنْطِقَةِ، وَحَوْلَ نَوَايَا الرُّوسِ، وَالدَّوْرِ البَاكِسْتَانِيِّ المُفْتَرَضِ، وَإِمْكَانَاتِ المُجَاهِدِينَ وَاحْتِيَاجَاتِهِمْ. كَانَ الحَدِيثُ تَقْنِيًّا عَالِي المُسْتَوَى، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَدِيًّا؛ كَانَتْ وُجُهَاتُ النِّظَرِ مُخْتَلِفَةً إِلَى دَرَجَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ التَّشَاخُنِ.

كَانَ يُمَكِّنِي اسْتِتَاجَ أَنْ «رَشِيد» لَيْسَ وَاحِدًا مِنْهُمْ. وَكَانَ اسْتِتَاجِي الخَاصُّ فِيمَا بَعْدَ أَنْ «رَشِيد» كَانَ شَابًّا ذَكِيًّا طَمُوحًا جَدِيًّا، دَخَلَ الحَرْبَ وَهُوَ مُنْفَعِلٌ بِشَيْئِينَ، الأَوَّلُ أَهْمِيَّتُهَا لِلدِّفَاعِ عَنِ بِلَادِهِ وَأَهْمِيَّتُهَا لِلإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ. الثَّانِي أَنَّهُ خَاصَّ الحَرْبِ بِمَنْطِقِ رَجُلِ العِصَابَاتِ الحَقِيقِيِّ؛ فَقَدْ كَانَ وَاسِعَ الإِطْلَاعِ عَلَى كُتُبِ العِصَابَاتِ وَمُسْتَوْعِبًا فُنُونَهَا. وَقَدْ شَاهَدْتُ الكَثِيرِينَ مِنْ فِرْعِ الاسْتِخْبَارَاتِ البَاكِسْتَانِيَّةِ (ISI) وَهُمْ فِي مَهَامٍ دَاخِلِ أفْغَانِسْتَانَ. كَانُوا يَعْمَلُونَ كَمُسْتَشَارِينَ وَمَوْجِّهِينَ لِقَوْمِنَدَانَاتِ «قَادَةَ» المُجَاهِدِينَ، فَكَانُوا بَعِيدِينَ تَمَامًا عَنِ جُنُودِ الصِّفِّ الأَوَّلِ مِنَ المُجَاهِدِينَ، لِذَا لَمْ يَكُنْ يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ سِوَى المُخْتَصِّصِينَ. أَمَّا «رَشِيد» فَقَدْ كَانَ فِي سُلُوكِيَّاتِهِ وَأَدَائِهِ القِتَالِيِّ مَشْهَدًا نَمُودَجِيًّا لِأَحَدِ قَادَةِ حَرْبِ العِصَابَاتِ المِتَمَكِّنِينَ.

لَقَدْ كَانَ «رَشِيد» مُخْلِصًا لِدَوْرِهِ كَقَائِدٍ فِي أَحَدِ حُرُوبِ العِصَابَاتِ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ شَخْصِيًّا مَوْهَلَاتِ النَّجَاحِ مَا عَدَا عُنْصُرَ خَطِيرٍ وَاحِدٍ، فَقَدْ كَانَ غَرِيبًا عَنِ الشَّعْبِ الأفْغَانِيِّ الَّذِي يَكْرَهُ الغُرْبَاءَ، أَوْ عَلَى الأَقْلِ لَا يَنْدَمِجُ كَامِلًا مَعَهُمْ،

وَفِي كُلِّ الْحَالَاتِ لَا يُسَلِّمُ لَهُمْ بِقِيَادَةِ ظَاهِرَةِ لَشُونِهِ. كَانَ مَعْقُولًا أَنْ يَتَقَبَّلَ الْمُجَاهِدُونَ لِفَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ دَوْرًا لِرَجُلٍ مِثْلِ «رَشِيدٍ» حَتَّى يُمَكِّنَهُمْ تَعَلُّمَ الْمَهَارَاتِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا مَعَهُ، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَخْطُوَ إِلَى الْخَلْفِ خُطْوَةً وَاحِدَةً عَلَى الْأَقْل. وَرُغِمَ حَدَاثَةَ عُمُرِهِ «٢٨ عَامًا» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ رُتْبَةَ رَائِدٍ، وَهِيَ رُتْبَةٌ حَقِيقِيَّةٌ كَمَا أَكَّدَ أَبْنَاءُ مَنْطِقَتِهِ وَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَحِبِّهِ. وَكَانَ مَوْسُوعِي الْمَعْرِفَةِ فِي الْمَسَائِلِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ. كَمَا أَنَّهُ تَعَلَّمَ بِسُرْعَةٍ لُغَتَيْ الْبَاشْتُو وَالْفَارِسِيَّةِ حَتَّى أَصْبَحَ يَتَفَاهَمُ بِسُهُولَةٍ مَعَ الْأَفْغَانِ.

وَعِنْدَمَا سُدَّتِ الطَّرِيقُ أَمَامَ «رَشِيدٍ» فِي الْعَمَلِ الْمِيدَانِيِّ انْهَمَكَ فِي الْإِقَاءِ الْمُحَاضِرَاتِ فِي مُعَسَّكَرَاتِ التَّدْرِيبِ الْخَاصَّةِ بِالشَّيْخِ «نَصْرَ اللَّهِ مَنْصُورٍ». ثُمَّ أَنْشَأَ مَجَلَّةً خَاصَّةً بِالتَّنْظِيمِ وَأَسْمَاهَا «الصَّرَاطُ»، تَوَلَّى هُوَ كِتَابَتَهَا وَتَدْوِيرَ مَصَادِرِ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا مَعَ مُسَاعَدَةِ بَسِيطَةٍ مِنْ مَوْلَوِيِّ «مَنْصُورٍ» الَّذِي بَدَأَ يَخْتَنِقُ هُوَ أَيْضًا. وَتَنَاوَلَتْ «الصَّرَاطُ» بِالْفَارِسِيَّةِ وَالْبَاشْتُو تَحْرِيرَ مَقَالَاتٍ رَفِيعَةٍ الْمُسْتَوَى حَوْلَ تَطْبِيقَاتِ حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ عَلَى الْوَاقِعِ الْأَفْغَانِيِّ، وَتَحْلِيلِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَعَارِكِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْهَامَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي «بَانَشِيرٍ» وَ «بَاكْتِيَا».

لَمْ تَسْتَمِرَّ «الصَّرَاطُ» طَوِيلًا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مَجَلَّةً غَيْرَ عَادِيَّةٍ بِكُلِّ الْمَقَائِسِ إِذَا قَارَنَاهَا بِالْغُثَاءِ مِنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ بِشَتَّى اللُّغَاتِ، وَالَّتِي صَاحَبَتْ

الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ مُنْذُ نَشَأَتِهِ وَحَتَّى نَهَايَتِهِ، مَعَ اسْتِثْنَاءَاتٍ نَادِرَةٍ لَا تَتَعَدَّى عِدَّةَ إِصْدَارَاتٍ جَيِّدَةٍ مِنْ بَعْضِ الْمَجَلَّاتِ.

فِي عَامِ ١٩٨٤ م تَعَرَّفَ بَعْضُ أَصْدِقَائِي الْعَرَبِ فِي الْجَبَهَاتِ أَوْ فِي «بِشَاوَر» عَلَى «رَشِيد»، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَقَبَّلُوهُ لِأَسْبَابٍ مُتَفَاوِتَةٍ. بَعْضُهُمْ احْتَقَرَهُ لِأَنَّهُ «لَيْسَ مُلْتَزِمًا» فَهُوَ يَدَخِّنُ السَّجَائِرَ وَيَسْتَمِعُ إِلَى الْمَوْسِيقَى فِي الْمِذْيَاعِ، وَقَدْ وَاجَهُهُ بِتِلْكَ الْأَخْطَاءِ وَبِطَرِيقَتِهِمُ الْعَنِيفَةَ، فَشَعَرَ الرَّجُلُ بِالْحَرَجِ الشَّدِيدِ وَعَاتَبَنِي، كَيْفَ لَمْ أَلْفِتْ نَظْرَهُ إِلَى تِلْكَ الْأَخْطَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي إِجَابَةً مُنَاسِبَةً. أَمَّا الْآخَرُونَ فَلَمْ يَرَوْا فِيهِ غَيْرَ ضَابِطٍ بَاكِسْتَانِيٍّ مُرِيبٍ يَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِنَ الصَّحْفِيِّينَ الْغَرِبِيِّينَ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ إِلَى «بِشَاوَر»، وَيُقَابِلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُورُوبِيِّينَ الَّذِينَ يَتَقَاطَرُونَ عَلَى الْمَنْطِقَةِ.

وَبِالْفِعْلِ فَإِنَّ «رَشِيدًا» كَانَ قَدْ حَقَّقَ جُزْءًا لَا بِأَسْرٍ بِهِ مِنَ الشُّهُرَةِ بَعْدَ أَنْ قَابَلَهُ عَدَدٌ مِنَ الصَّحْفِيِّينَ الْغَرِبِيِّينَ فِي الْجَبَهَاتِ، وَحَصَلُوا مِنْهُ عَلَى تَحْلِيلَاتٍ عَمِيقَةٍ لِلْأَحْدَاثِ الْعَسْكَرِيَّةِ، أَغْضَبَ بَعْضُهَا «حَقَّانِي» وَآخَرِينَ؛ حَيْثُ أَنَّ «رَشِيدًا» وَصَفَ الْمُجَاهِدِينَ بِعَدَمِ النِّظَامِ وَالْعَشَوَائِيَّةِ فِي الْعَمَلِ وَكَثْرَةِ الْخِلَافَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ. وَلَمْ يَلْتَفِتْ هَؤُلَاءِ لِكَثْرَةِ النُّقَاطِ الْإِيجَابِيَّةِ فِي مَا أوردَهُ «رَشِيدًا» عَنِ الْمُجَاهِدِينَ. وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الطَّبِيعَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْفَخُورَةِ بِنَفْسِهَا وَالْحَسَّاسَةِ جِدًّا لِأَيِّ نَقْدٍ خَارِجِيٍّ لَهَا.

لَقَدْ وَرَدَ اسْمُ «رَشِيدٍ» فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ عَلَى الْأَقْلِ، نَشَرَهُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ
 الْغُرَبَاءِ عَنْ رِحْلَتِهِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ. كَمَا وَرَدَ اسْمُهُ فِي عِدَّةٍ إِذَاعَاتٍ وَبَعْضِ
 الْمَقَالَاتِ. لَقَدْ حَقَّقْتُ شَيْئًا مِنَ الشُّهُرَةِ. وَلِلشُّهُرَةِ نَتَائِجٌ سَيِّئَةٌ فِي غَالِبِ
 الْأَحْوَالِ؛ فَهِيَ تُغَيِّرُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ وَقَدْ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْعُرُورِ، كَمَا أَنَّ الشُّهُرَةَ تَزِيدُ
 مِنْ رَصِيدِ الشَّخْصِ مِنَ الْأَعْدَاءِ. وَلَكِنَّ الشُّهُرَةَ مَكَّنَتْ «صَدِيقِي» «رَشِيدًا» مِنْ
 الزَّوْجِ مِنْ تِلْكَ الصَّحْفِيَّةِ الْكَنْدِيَّةِ الَّتِي تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ فِي آخِرِ أَيَّامِ عَمَلِهِ
 الْمِيدَانِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، ثُمَّ أَسْلَمْتُ وَتَزَوَّجْتُهُ. ثُمَّ غَادَرَ مَعَهَا إِلَى كَنْدَا بَعْدَمَا
 نَجَحَتْ بَاكِسْتَانَ بِمُعَاوَنَةِ الْمُنْظَمَاتِ فِي حِصَارِهِ حَتَّى الْاِخْتِنَاقِ. وَقَدْ حَاوَلَ
 عَنْ طَرِيقِي أَنْ يَجِدَ مَنْفَذًا عَرَبِيًّا لِلْعَمَلِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ سِوَى عُكَّازٍ مَكْسُورٍ
 ارْتَكَزَ عَلَيْهِ «رَشِيدًا»؛ فَقَدْ كُنْتُ أَيْضًا مَبْذُورًا وَتَحْتَ الْحِصَارِ وَالْمُلَاحَقَةِ مِنْ
 أَعْدَاءِ أَقْوِيَاءِ نَافِذِينَ.

تَمَكَّنَ «رَشِيدًا» مِنْ «الْفِرَارِ» إِلَى كَنْدَا بِمُسَاعَدَةِ زَوْجَتِهِ، وَانْتَهَى تَأْثِيرُهُ تَمَامًا
 عَلَى الْعَمَلِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. لَقَدْ خَسِرَ «رَشِيدًا» بِذَلِكَ الْكَثِيرِ مِنَ الْفَضْلِ، وَخَسِرَ
 الْجِهَادُ شَخْصًا كُفُوًا وَشَجَاعًا وَعَارِفًا بِأُصُولِ عَمَلِهِ. لَمْ أَشْهَدْ قَطُّ عَلَى السَّاحَةِ
 الْأَفْغَانِيَّةِ شَخْصًا عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ مِنَ التَّاهِيلِ الْعِلْمِيِّ وَالْعَمَلِيِّ
 وَالذُّهْنِيِّ لِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ، كَمَا وَجَدْتُ فِي ذَلِكَ الشَّابِّ الضَّابِطِ «رَشِيدًا».
 لَكِنَّ الْحَالَةَ الْأَفْغَانِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ لَفَظْتَاهُ، وَهُوَ مِنْ جِهَتِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّجَانُسَ
 مَعَهُمَا.

إِنَّ حَالَةَ «رَشِيد» أَثَارَتْ فِي ذَهْنِي بَعْضَ التَّسَاؤُلَاتِ الْهَامَّةِ، مِنْهَا مَثَلًا:
 لِمَاذَا تَطْرُدُ «الْحَرَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ» الْكَفَاءَاتِ مِنْ بَيْنِ صُفُوفِهَا كَمَا تَنْفِي النَّارَ
 الْخَبَثَ؟ لِمَاذَا تَظَلُّ الْكَفَاءَةُ فِي جِهَةِ وَالْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ فِي جِهَةِ أُخْرَى؟
 وَلِمَاذَا يَظَلُّ الْعِلْمُ فِي جِهَةِ وَالنَّشَاطُ وَالْحَرَكَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي جِهَةِ أُخْرَى؟
 لِمَاذَا تَطْفِي عَلَى الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ صِفَةَ الْخَطَابَةِ وَالْعَتَرِيَّاتِ وَالْمُظَاهَرَاتِ
 الصَّاحِبَةِ وَالْفَارِغَةِ، بَدَلًا مِنْ الْجِدِّيَّةِ وَالْعِلْمِ وَالتَّخْطِيطِ؟.

وَعَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ يُمَكِّنُ أَنْ نَطْرَحَ عِدَّةَ صَفَحَاتٍ مِنْ الْأَسْئَلَةِ...، إِنَّ
 الْمُخَابَرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ عِنْدَمَا ضَيَّقَتْ عَلَى «رَشِيد» وَطَارَدَتْهُ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ
 لِأَنَّ «رَشِيد» يَعْمَلُ ضِمْنَ الْمُخَابَرَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَذَلِكَ لِسَبَبٍ بَسِيطٍ جَدًّا،
 وَهُوَ أَنَّ الْمُخَابَرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ نَفْسَهَا كَانَتْ تَعْمَلُ تَحْتَ تَوْجِيهِ الْمُخَابَرَاتِ
 الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَذَلِكَ بِاعْتِرَافِ بَاكِسْتَانَ نَفْسِهَا فِيمَا بَعْدُ وَمَسْئُولِي مُخَابَرَاتِهَا، فَقَطُّ
 كَانَ شَرْطُ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» أَلَّا تَتَخَطَّى أَمْرِيكَا الْقَنَوَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ.

فِي ظَنِّي أَنَّ بَاكِسْتَانَ رَأَتْ فِي حَيَوِيَّةِ «رَشِيد» وَكَفَاءَتِهِ خَطَرًا عَلَى
 مَشَارِيعِهَا وَمَشَارِعِ سَادَتِهَا الْأَمْرِيكَانَ. كَانَتْ حَالَةُ الْجَهَالَةِ الَّتِي تَطْفَحُ عَلَى
 «بِشَاوَر» وَنَشَاطَاتِهَا لَا تَسْمَحُ لِأَمْثَالِ تِلْكَ الْقُدْرَاتِ أَنْ تُمَارِسَ الْفِعْلَ وَالتَّأثيرَ
 الْعَمَلِيَّ، بَلْ تَدْفَعُهَا بِقُوَّةٍ إِلَى خَارِجِ السَّاحَةِ تَطْبِيقًا لِقَاعِدَةِ «الْعُمَلَةُ الرَّدِيئَةُ تَطْرُدُ
 الْعُمَلَةَ الْجَيِّدَةَ».

طَلَبَ مِنِّي «رَشِيد» فِي لِقَائِي الْأَوَّلِ مَعَهُ أَنْ أَحَاوِلَ تَجْمِيعَ عَدَدٍ مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ، يَقُومُ هُوَ بِتَدْرِيبِهِمْ لِلقِيَامِ بِعَمَلِيَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ رَاقِيَةٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ؛ لِأَنَّ لِلْأَفْغَانَ مَحْدُودِيَّتَهُمُ النَّاتِجَةُ عَنِ طِبَاعِهِمُ الْخَاصَّةِ وَعَدَمِ تَلْقِيهِمُ الْعُلُومَ الْحَدِيثَةَ وَعَصِيَّتَهُمُ الْقَبَلِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

كَانَ ذَلِكَ نَفْسَ مَا أَفْكَرُ فِيهِ، وَهُوَ أَيْضًا مَا لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ طَوَالَ سَنَوَاتِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ لِلْأَسْبَابِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا. وَالْعَرَبُ حَتَّى نِهَآيَةِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ لَمْ يُبْرَهِنُوا عَلَى أَنَّهُمْ أَمْسَكُوا بِالخَيْطِ الصَّحِيحِ لِلْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ. وَلَمْ يَقْتَنِعُوا عَمَلِيًّا بِأَهْمِيَّةِ التَّدْرِيبِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرَكَتِهِمْ فِي «جَاجِي» عَامَ ١٩٨٧ م. لَقَدْ كَانَ مُعْظَمُهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى فَتَاوَى تُقْنِعُهُمْ بِأَهْمِيَّةِ التَّدْرِيبِ، بَلْ فَتَاوَى تُقْنِعُهُمْ بِصِحَّةِ كُلِّ بِنْدٍ تَدْرِيبِيٍّ عَلَى حِدَةٍ؛ فَالْهَرَوَلَةُ قَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا غَيْرُ شَرْعِيَّةٍ، وَكَذَلِكَ قَالُوا عَنِ الرَّحْفِ. كَمَا أَنَّ الْأَوَامِرَ الْجَافَّةَ وَالصِّيَاحَ مِنْ جَانِبِ الْمُدْرَبِ أَوْ الْقَائِدِ إِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ «طَاغُوتِيٌّ»، كَذَلِكَ الْوُقُوفُ فِي صُفُوفٍ مُتَنَظِّمَةٍ أَوْ الصَّيْحَاتُ أَوْ الْإِرْهَاقُ فِي التَّدْرِيبِ أَوْ تَعَمُّدُ تَجْوِيعِهِمْ وَحِرْمَانِهِمْ مِنَ الرَّاحَةِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. كَانَتْ حَالَهُ مَأْسَاوِيَّةً أَنْ يُبْدَأَ الْعَمَلُ الْعَسْكَرِيُّ الْعَرَبِيُّ مِنْ تِلْكَ النُّقْطَةِ الْمُنْحَطَّةِ جَدًّا.

أَمَّا شَخْصٌ مِثْلَ «رَشِيد» فَهُوَ فِي نَظْرِهِمْ «غَيْرُ مُلتَزِمٍ» وَحَلِيقٌ يُدَخِّنُ السَّجَائِرَ وَيَسْتَمِعُ إِلَى الْمَوْسِقَى. فَلْيَذْهَبْ إِذْنًا إِلَى الْجَحِيمِ، وَقَدْ ذَهَبَ فِعْلًا،

وَهَلِ اللُّجُوءُ إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ إِلَّا الْجَحِيمُ بَعَيْنِهِ؟



مِدْفَعِيَّةُ الْجِبَالِ:

تَسَبَّبَتِ الْمِدْفَعِيَّةُ الثَّقِيلَةُ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْمُجَاهِدُونَ فِي مَصْرَعِ عَدَدٍ مِنْ كِبَارِ الْمَسْئُولِينَ، مِنْ بَيْنِهِمْ جِنْرَالُ سُوفِيَّتِي قَتَلَ بِقَذِيفَةِ مِدْفَعِيَّةٍ أَثْنَاءَ حُضُورِهِ اخْتِفَالِ تَكْرِيمٍ. وَالْأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْهَيْئَةُ السُّوفِيَّتِيَّةُ وَهَيْبَةُ النِّظَامِ الَّتِي وُضِعَتْ فِي حَرَجٍ بَالِغٍ مِنْ جَرَاءِ هَذَا «التَّطَاوُلِ» الْمِدْفَعِيِّ.

كَانَ أَمَامَ السُّوفِيَّتِ وَالْحُكُومَةِ خِيَارَانِ، الْأَوَّلُ هُوَ تَحْطِيمُ تِلْكَ الْمَدَافِعِ، وَالثَّانِي هُوَ تَوْسِيعُ النِّطَاقِ الدِّفَاعِيِّ حَوْلَ الْمَدِينَةِ بِحَيْثُ لَا تَصِلُهَا قَذَائِفُ الْمِدْفَعِيَّةِ. وَالْحَلُّ الثَّانِي وَاضِحَةٌ صُعُوبَتُهُ وَتَكَلِّفَتُهُ الْبَاهِظَةُ؛ فَهُوَ يَعْنِي فَرَضَ إِشْرَافِ عَسْكَرِيٍّ دَائِمٍ عَلَى مَسَاحَةٍ مِنَ الْجِبَالِ لَا تَقِلُّ عَنْ مَائَتِي كِيلُومِتْرٍ مُرَبَّعٍ. فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ الْجَيْشُ عَشْرَةَ كِيلُومِتْرَاتٍ عَلَى الْأَقْلِ دَاخِلَ الْجِبَالِ فِي الْعُمُقِ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ فِيهَا عَلَى مُوَازَاةِ الْمَدِينَةِ لِمَسَافَةِ عَشْرِينَ كِيلُومِتْرٍ أُخْرَى عَلَى الْأَقْلِ. فَكَمْ يَتَطَلَّبُ مِثْلَ ذَلِكَ الْمَجْهُودِ مِنْ رِجَالٍ وَعَتَادٍ وَأَمْوَالٍ؟! الْحَلُّ الْأَوَّلُ كَانَ هُوَ الْأَيْسَرُ، وَبَدَأَتْ فِيهِ الْقُوَّاتُ الشُّيُوعِيَّةُ عَلَى الْفَوْرِ وَبِاسْتِخْدَامِ كَافَّةِ السُّبُلِ الْمُنَاحَةِ.

كَانَتْ الْوَسَائِلُ الْعَسْكَرِيَّةُ لِتَدْمِيرِ مَدَافِعِ الْمُجَاهِدِينَ مُتَوَفِّرَةً لَدَى الْعَدُوِّ
 كَمَا أَنَّ الْمَهَارَةَ فِي اسْتِخْدَامِهَا لَمْ تَكُنْ تَنْقُصُهُ أَبَدًا. وَلَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي كَانَ
 يَنْقُصُهُ فِعْلًا هُوَ الشَّجَاعَةُ وَالتَّصْمِيمُ مَعَ تَدْنِي الْمَعْنَوِيَّاتِ، خَاصَّةً لَدَى الْجُنُودِ.
 وَكَانَتْ الصُّورَةُ عَكْسِيَّةً فِي طَرَفِ الْمُجَاهِدِينَ حَيْثُ الْعُنْصُرُ الْبَشَرِيُّ الْمُتَمَثِّلُ
 فِي الْأَفْرَادِ الْمُجَاهِدِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالتَّصْمِيمِ
 وَالْفِدَائِيَّةِ. وَتَوَاجُدُ قَائِدٍ مِثْلَ «رَشِيدٍ» مَعَهُمْ وَفَرَّ لَهُمْ عِدَّةٌ عَنَّا صِرَ فِينِيَّةً أَفَادَتَهُمْ
 كَثِيرًا؛ فَقُدْرَاتُهُ الْفَنِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ جَعَلَتْ الْمُوَاجَهَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ تُخَفِّةً جَمِيلَةً مِنْ فَنِّ
 التَّكْتِيكِ.

وَقَدْ أَفَادَنِي كَثِيرًا التَّمَعُّنُ فِي تِلْكَ الْأَشْتِبَاكَاتِ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظُورِ. وَكَمْ
 قَضَيْتُ السَّاعَاتِ الطُّوَالَ فِي مُنَاقَشَاتٍ مَعَ «رَشِيدٍ» حَوْلَ تِكْتِيكَاتِ الْمَعْرَكَةِ
 عَلَى جَانِبَيْهَا، وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ التَّجْرِبَةُ الْأُولَى الَّتِي أَكْتَشَفْتُ مِنْ خِلَالِهَا
 «الْجَانِبَ الْجَمَالِيَّ» فِي الْمَعَارِكِ وَالَّذِي يَتَمَثَّلُ فِي لَمَسَةِ الذِّكَاةِ الْإِنْسَانِيَّ الَّذِي
 يَدْعُمُهُ الْإِيمَانُ وَالتَّصْمِيمُ.

إِنَّ الْمَعَارِكَ تَذْهَبُ وَتَنْتَهِي، وَيَنْتَهِي مَا رَافَقَهَا مِنْ دِمَاءٍ وَمَشَاعِرِ أَلَمٍ
 وَخَوْفٍ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَبْقَى هُوَ آثَارُ الذِّكَاةِ وَالتَّصْمِيمِ الَّتِي تَظَلُّ تُثِيرُ الْإِعْجَابَ
 بِتِلْكَ الْمَعَارِكِ وَقَادَتِهَا. إِنَّ الْمَعَارِكَ الَّتِي تَخْلُو مِنْ جَمَالِ الْفِكْرَةِ التَّكْتِيكِيَّةِ
 لَيْسَتْ سِوَى صِرَاعِ حَيَوَانِيٍّ يَعْتَمِدُ الْعُنْفَ الْبَحْتِ، تَمَامًا كَمَا يَتَصَارَعُ ثُورَانِ أَوْ

كَلْبَانَ. لِذَلِكَ كَانَتْ مَعَارِكُ الْمُسْلِمِينَ - خَاصَّةً فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ - تَزَخَّرُ بِالْأَفْكَارِ التَّكْنِيكِيَّةِ الرَّائِعَةِ، حَتَّى كَانَتْ مَدْرَسَةً عَسْكَرِيَّةً فَرِيدَةً فِي نَوْعِهَا، تَجْمَعُ إِلَى ذِكَاةِ الْقَائِدِ وَعَبْقَرِيَّتِهِ قُوَّةَ الْجُنْدِيِّ وَإِيمَانَهُ وَتَضَمِيمَهُ.

يَذْهَبُ الْبَعْضُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحَرْبَ فَنٌّ وَلَيْسَتْ عِلْمًا، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ التَّعْرِيفُ صَاحِحًا فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّ فِي الْحَرْبِ طَابِعًا جَمَالِيًّا شَأْنُ كُلِّ الْفُنُونِ وَالْجَمَالُ يَأْتِي مِنْ رَوْعَةِ الْأَفْكَارِ التَّكْنِيكِيَّةِ وَرَوْعَةِ الْهَنْدَسَةِ الْإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ لِمُخَطَّطِي الْحَرْبِ. أَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْحَرْبِ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْجَمَالِ، فَهِيَ لَا تَعْنِي سِوَى الدَّمَارِ وَالْقَتْلِ، وَهِيَ كَرِيهَةٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَى أَنْفُسِ الْمَجَانِينِ الَّذِينَ يَجِبُ الْحَجْرُ عَلَيْهِمْ. وَصَدَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِينَ قَالَ:

﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢١٦]، فَالْحَرْبُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِ فَرِيضَةٌ وَلَيْسَتْ مُتَعَةً، وَلَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، اللَّهُمَّ ذَلِكَ الشُّعُورُ بِالرِّضَا وَالرَّاحَةِ النَّاتِجِينَ عَنِ شُعُورِ الْمُسْلِمِ أَنَّهُ يُطِيعُ رَبَّهُ وَيَرْضِيهِ عِنْدَمَا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ، وَهَذَا مَصْدَرُ سَعَادَةٍ لَا تُوصَفُ لِلْمُقَاتِلِ الْمُسْلِمِ، حَتَّى فِي أَحْلَاكِ لِحَظَاتِ الْمَعْرَكَةِ. لِذَلِكَ فَالْمُقَاتِلُ الْمُسْلِمُ دَائِمًا يَتَمَتَّعُ بِأَفْضَلِ الْمَعْنَوِيَّاتِ مُتَفَوِّقًا بِذَلِكَ عَلَى أَيِّ جَيْشٍ كَافِرٍ. وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ انْعِدَامَ حَالَاتِ الْاِئْتِكَاسِ الْمَعْنَوِيِّ الَّتِي قَدْ تُصِيبُ الْجَيْشَ الْمُسْلِمَ، وَلَكِنَّهُ سَرِيعًا مَا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا، مَا لَمْ تُرْتَكَبْ مُخَالَفَاتٌ شَرْعِيَّةٌ جَسِيمَةٌ.

كَانَ مَوْقِعُ الْمُجَاهِدِينَ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ مَوَاقِعِهِمْ فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ، كَانَ جَنُوبَ قَرْيَةِ «دَارَا» وَعَلَى مَسِيرَةِ سَاعَةٍ مِنْهَا، فِي طَرِيقٍ لَا يَضَعُ السَّيْرُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ صَالِحٍ لِمُرُورِ الْمَرْكَبَاتِ أَوْ الدَّبَابَاتِ، وَذَلِكَ بِالطَّبَعِ لِصَالِحِ الْمُجَاهِدِينَ. وَإِلَى الْجَنُوبِ مِنْ مَرَكَزِنَا جَبَلٌ مِثْلُ الْحَائِطِ الْقَائِمِ، وَهُوَ مِنْ تَحْفِ سِلْسِلَةِ «سَاتِي كاندو»، وَخَلْفَ هَذَا الْحَائِطِ قَرْيَةٌ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ، وَإِلَيْهَا تَصِلُ سَيَّارَاتُ الْمُجَاهِدِينَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ «سِرَانَا» مُسْتَخْدِمَةً الطَّرِيقَ الْعَامَّ لِعِدَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْعَامُّ الْوَاصِلُ بَيْنَ «خُوسْت» وَ «جَرْدِيز»، وَالَّذِي لَمْ تَسْتَطِعِ الْجِيُوشُ الشُّيُوعِيَّةُ اخْتِرَاقَهُ مُنْذُ مَعْرَكَةِ ١٩٧٩ م الَّتِي شَاهَدْنَا آثَارَهَا فِي رِحْلَتِنَا الْأُولَى، وَظَلَّ هَذَا الطَّرِيقُ «١١٠ كم» أَحَدَ مُعْضَلَاتِ الْحَرْبِ أَمَامَ السُّوفِيَّتِ حَتَّى افْتِتَاحِهِ بِمُؤَامَرَةِ دَوْلِيَّةِ أَشْرَفَتْ عَلَى تَنْفِيذِهَا الْمُخَابِرَاتُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ فِي شِتَاءِ ١٩٨٧ م - ١٩٨٨ م^(١).

فِي ذَلِكَ الْعَامِ ١٩٨١ م كَانَتْ الْحُكُومَةُ قَدْ أَخَلَّتْ قَرْيَةَ «دَارَا» بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَحْتِلُهَا أَثْنَاءَ زِيَارَتِنَا السَّابِقَةِ. وَكَانَتْ مُفَارَقَةً غَرِيبَةً، فَالْمَفْرُوضُ أَنْ يَكُونَ الْوَضْعُ عَكْسَ ذَلِكَ، خَاصَّةً بَعْدَ تَدَخُّلِ الرُّوسِ مِنْ نَاحِيَةِ، وَامْتِلَاكِ الْمُجَاهِدِينَ مَدَافِعَ ثَقِيلَةٍ أَبْعَدَ مَدَى مِنْ جِهَةِ أُخْرَى. وَلَكِنَّ الْجَيْشَ الْحُكُومِيَّ

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «أَنْظُرْ كِتَابَ: خِيَانَةُ عَلَى الطَّرِيقِ، مِنْ سِلْسِلَةِ أَدَبِ الْمَطَارِيدِ».

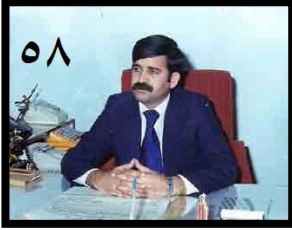
وَضَع «دَارًا» تَحْتَ نِيرَانِ مَدَافِعِهِ الْمُرَكَّزَةِ، وَكَانَ يَدْكُهَا مِنْ وَقْتِ إِلَى آخَرَ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتْ مَنَاطِقُهُ مُحَرَّمَةً، تُسْتَخْدَمُ فَقَطْ لِلْعُبُورِ السَّرِيعِ أَوْ الِاسْتِرَاحَاتِ الْقَصِيرَةِ.

وَكَانَ عُبُورُ قَرْيَةِ «دَارًا» ثُمَّ الْإِنْحِرَافُ غَرْبًا وَالسَّيْرُ عِدَّةَ كِيلُومِتْرَاتٍ فِي الْجِبَالِ يَنْقُلُ الْمُجَاهِدِينَ فِي مَوَاقِعَ مُرْتَفَعَةٍ [حَيْثُ] يُمَكِّنُهُمُ الْعَمَلُ ضِدَّ مَوَاقِعِ حُكُومِيَّةٍ فِي «بَنُو زَاي»، وَهِيَ مَنَاطِقُهُ وَاسِعَةٌ مُلْحَقَةٌ بِالْعَاصِمَةِ «جَرْدِيز»، وَتُشْرِفُ عَلَى الْمَدْخَلِ الْغَرْبِيِّ لِلْمَدِينَةِ عِنْدَ اتِّصَالِهَا مَعَ وَادِي «زورمات»، وَهُوَ وَادٍ خَصْبٌ مُتَّسِعٌ مَلِيٌّ بِالْقَرْيِ، يُوصِلُ إِلَى مُدِيرِيَّةِ «غَازِي» التَّارِيخِيَّةِ^(١). أَمَّا الْمَدْخَلُ الشَّرْقِيُّ لِمَدِينَةِ «جَرْدِيز» فَتُشْرِفُ عَلَيْهِ «سِيد كَرَم»، وَهِيَ مَرَكَزُ إِدَارِيٍّ وَعَسْكَرِيٍّ مُتَمَدُّ عِبْرَهُ الطَّرِيقُ الَّذِي يُوَاصِلُ الْإِمْتِدَادَ شَرْقًا حَتَّى «جَاجِي»، وَهُوَ مَوْقِعٌ أَفْغَانِيٌّ شَهِيرٌ، ارْتَبَطَ بِالنَّشَاطِ الْجِهَادِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَهُوَ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ^(٢). وَ«سِيد كَرَم» هِيَ مَسْقَطُ رَأْسِ «نَجِيبِ اللَّهِ» آخِرِ رَئِيسِ شِيعِيِّ لِلبِلَادِ، أَمَّا «زورمات» فَهِيَ مَسْقَطُ رَأْسِ «أَسْلَمِ

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «نُورُ مُحَمَّدٍ طَرْقِي الزَّعِيمِ الشُّيُوعِيِّ مُؤَسَّسُ النِّظَامِ الْقَائِمِ بِتَسْمِيَةِ إِلَى غَازِي».

(٢) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «[انظُرْ] كِتَاب: مَعَارِكُ الْبَوَابَةِ الصَّخْرِيَّةِ».

وَطَنْجَار»^(١) [صُورَةٌ رَقْم ٥٨] أَحَدِ الْأَعْمَدَةِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلانْتِقَالِ الشُّيُوعِيِّ، وَهُوَ ضَابِطٌ كَبِيرٌ فِي سِلَاحِ الطَّيْرَانِ.



أَخْبَرَنِي «رَشِيد» أَنَّهُمْ قَدْ أَطْلَقُوا صَارُ وَخَيْنٍ مِنْ طِرَازِ «سَام ٧» ضِدَّ الطَّائِرَاتِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُصَبِّ أَهْدَافَهَا، وَلَكِنَّ الطَّائِرَاتِ أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ حَذَرًا.

وَبِالْفِعْلِ فَقَدْ لَاحَظْتُ أَنَّ مَجْهُودَ الطَّيْرَانِ أَقَلُّ مِنَ الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، كَمَا أَنَّهُ يَأْتِي مُرْتَفِعًا جَدًّا فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ.

كُنْتُ مُنْدَهَشًا لِهَذَا الْأَدَاءِ الضَّعِيفِ لِلجَيْشِ الشُّوفِيَّتِيِّ الرَّهِيبِ، وَتَنَاقَشْتُ مُطَوَّلًا مَعَ «رَشِيد» حَوْلَ ذَلِكَ الْأَمْرِ. هُوَ نَفْسُهُ كَانَ مُنْدَهَشًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ الشُّوفِيَّتِ رُبَّمَا يُحَاوِلُونَ تَحَاشِي تَوَرُّطٍ وَاسِعٍ كَالَّذِي حَدَثَ لِأَمْرِيكََا فِي فَيْتَنَامَ، لِذَلِكَ فَهُمْ يُحَافِظُونَ عَلَى مُسْتَوَى مَعْقُولٍ مِنَ التَّوَاجِدِ الْعَسْكَرِيِّ حَتَّى

(١) مُحَمَّدٌ أَسْلَمَ وَطَنْجَار: عَسْكَرِيٌّ وَسِيَاسِيٌّ أَفْغَانِيٌّ، وُلِدَ فِي مَقَاطَعَةِ «خُوسْت» عَامَ ١٩٥١ م تَقْرِيبًا، كَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي انْتِقَالِ عَامِ ١٩٧٨ م الَّذِي أَطَاحَ بِحُكْمِ الرَّئِيسِ «مُحَمَّدِ دَاوُدِ خَانَ». التَّحَقَّقَ بِالْحِزْبِ الْجُمْهُورِيِّ الدِّيْمُوقْرَاطِيِّ الْأَفْغَانِيِّ الْمَدْعُومِ مِنَ الرُّوسِ. بَعْدَ الْانْتِقَالِ شَارَكَ فِي حُكُومَةِ حِزْبِ «خَلْق» الشُّيُوعِيِّ بَعْدَةَ مَنَاصِبَ، مِنْهَا وَزِيرُ الْأَتِّصَالَاتِ وَوَزِيرُ الدَّخْلِيَّةِ وَوَزِيرُ الدِّفَاعِ. وَفِي حُكُومَةِ حِزْبِ «بَارَشَام» شَارَكَ بِمَنْصِبِي وَزِيرِ الدَّخْلِيَّةِ ثُمَّ وَزِيرِ الدِّفَاعِ. تُوُفِّيَ فِي ٢٤ نَوْفَمْبَرِ ٢٠٠٠ م فِي أُوكرَايْنَا، نَتِيجَةَ إِصَابَتِهِ بِمَرَضِ السَّرَطَانِ.

لَا تَتَعَاطَمَ الْخَسَائِرُ وَالنَّفَقَاتُ.



القَوَانِينُ الْخَاصَّةُ لِلْحَرْبِ:

كَانَ مَوْقِفُ الْقَوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ وَاصِحَ الْحَرَجِ، وَشَعَرَ الْأَهَالِي بِضَعْفِهِ فَارْتَفَعَتْ الْمَعْنَوِيَّاتُ وَزَادَ عَدَدُ الْمُتَطَوِّعِينَ فِي مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِينَ. أَمَّا «حَقَّانِي» فَقَدْ خَطَرَ لَهُ الْهُجُومُ عَلَى «جَرْدِيز» وَالْاِسْتِيلَاءُ عَلَيْهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ صَارَحَ «رَشِيد» بِذَلِكَ الْخَاطِرِ. وَالْعَجِيبُ أَنَّ «رَشِيد» أَيَّدَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ طَلَّبَ أَنْ يَضَعَ «حَقَّانِي» تَحْتَ إِمْرَتِهِ ثَلَاثِمِائَةَ مُجَاهِدٍ. وَأَخْبَرَنِي «رَشِيد» أَنَّ بَرْنَامَجَهُ لِلْقَصْفِ الْمُدْفَعِيِّ هُوَ تَمْهِيدٌ لِذَلِكَ الْهُجُومِ، وَالْهَدَفُ مِنَ الْقَصْفِ هُوَ إِضْعَافُ دِفَاعَاتِ الْعَدُوِّ وَمَعْنَوِيَّاتِهِ.

لَمْ يَخَامِرْنِي شَكٌّ وَقْتَهَا بِأَنَّ «حَقَّانِي» لَوْ حَاوَلَ فَسَوْفَ يَنْجَحُ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ الْاِعْتِقَادُ إِلَى قِلَّةِ خِبْرَتِي مِنْ نَاحِيَةِ وَاِرْتِفَاعِ مَعْنَوِيَّاتِي بِشَكْلِ كَبِيرٍ مِنْ نَاحِيَةِ ثَانِيَّةٍ، ثُمَّ انْتَصَارَاتِ الْمُجَاهِدِينَ ضِدَّ الرُّوسِ وَالْجَيْشِ الْحُكُومِيِّ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ، وَأَخِيرًا ثِقَّتِي فِي «جَلَالِ الدِّينِ» كَقَائِدٍ، وَرِجَالِهِ الْمُؤْمِنِينَ الشُّجْعَانَ.

فِكْرَةُ الْهُجُومِ عَلَى «جَرْدِيز» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ سَابِقَةً جِدًّا لِأَوَانِهَا، وَالْغَرِيبُ أَنَّهَا خَطَرَتْ عَلَى ذَهْنِ «حَقَّانِي» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْجَيْشِ

السُّوفِيَّتِي مَا زَالَ طَارَجًا لَمْ تُسْتَنْزَفْ قُوَاهُ أَوْ مَعْنَوِيَّاتُهُ. وَغَرِيبٌ أَيْضًا أَنْ يُوَافِقَ «رَشِيد» عَلَى رَأْيِهِ، وَهُوَ الضَّابِطُ الْمُحْتَرِفُ. عَلَى آيَةٍ حَالٍ لَمْ تُنْفَذِ الْفِكْرَةَ وَاسْتَبَدَلَتْ بِالهُجُومِ عَلَى «تَعْمِيرٍ»، وَهِيَ قَرْيَةٌ حَدِيثَةٌ تُسْتَحْدَمُ لِإِدَارَةِ مَنْقَطَةٍ وَاسِعَةٍ وَالْإِشْرَافِ عَلَيْهَا عَسْكَرِيًّا، وَهِيَ فِي الطَّرْفِ الْعَرَبِيِّ لِـ «جَرْدِيزٍ» عَلَى بُعْدِ حَوَالِي عِشْرِينَ كِيلُومِتْرًا، وَيَخْتَرِفُهَا الطَّرِيقُ الرَّئِيسِيُّ الْوَاصِلُ بَيْنَ «جَرْدِيزٍ» وَ«عَازِنِي». كَانَ هُجُومُ «تَعْمِيرٍ» نَاجِحًا لِلْغَايَةِ، وَقَلَبَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَفَاهِيمِ كَمَا سَيَأْتِي شَرْحُهُ.

وَلَكِنْ نَعُودُ إِلَى فِكْرَةِ الْهُجُومِ عَلَى «جَرْدِيزٍ» لِكُونَ ذَلِكَ مَعْلَمًا مِنْ مَعَالِمِ التَّفْكِيرِ الْعَسْكَرِيِّ لِـ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»، الرَّجُلِ الْأَهَمِّ فِي «بَاكْتِيَا» حَتَّى نِهَايَةِ الْحَرْبِ، وَامْتِدَادًا لِتَقَالِيدِ الْأَبْطَالِ مِنْ مُقَاتِلِي قَبَائِلِ الْبَشْتُونِ. فَقَدْ كَانَ لِلْبَطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ عِنْدَ «حَقَّانِي» مَكَانَةٌ عَالِيَةٌ جَدًّا، فَالْهُجُومُ مَهْمَا كَانَتْ الْمَخَاطِرُ، وَالثَّبَاتُ أَمَامَ الْعَدُوِّ مَهْمَا كَانَتْ الْعَوَاقِبُ كَانَتْ مَفَاهِيمٌ قَوِيَّةٌ فِي ذَهْنِيَّتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ. الشَّجَاعَةُ فِي الْهُجُومِ، وَالثَّبَاتُ فِي الدَّفَاعِ صِفَاتٌ جَيِّدَةٌ بِلَا شَكٍّ إِذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي مَكَانِهَا الصَّحِيحِ، وَهُوَ مَا يَفْعَلُهُ قَائِدٌ نَاجِحٌ مِثْلَ «جَلَالِ الدِّينِ». وَبِالنِّسْبَةِ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْجِيُوشِ الْحَدِيثَةِ وَأَسْلِحَتِهَا الْجَدِيدَةِ يَحْتَاجُ تَطْبِيقُ مِثْلِ تِلْكَ الْمَفَاهِيمِ - مِنْ جَانِبِ قَائِدِ لِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ - إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحِرْصِ حَتَّى تُعْطِيَ تِلْكَ الْمَفَاهِيمُ نَتَائِجَ إِيْجَابِيَّةً وَلَا تَتَحَوَّلُ إِلَى الْعَكْسِ. فَالْهُجُومُ الشَّجَاعُ بِدُونِ خَوْفٍ قَدْ يَكُونُ مُفِيدًا لِلْغَايَةِ، وَقَدْ يَكُونُ مُدْمِرًا وَذَا

عَوَاقِبَ وَخِيَمَةَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَالِدَّفَاعَ الْمُسْتَمِيَّتُ قَدْ يَكُونُ مُفِيدًا مَهْمَا بُذِلَ فِيهِ مِنْ تَضْحِيحَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ وَبَالًا وَسَبَبًا فِي هَزِيمَةٍ قَاتِلَةٍ.

لَقَدْ تَعَلَّمَ الْمُجَاهِدُونَ الْأَفْغَانَ كَثِيرًا مِنْ تَجَارِبِهِمْ، وَ «جَلَالِ الدِّينِ» أَيْضًا، مِنْ خِلَالِ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ تَعَلَّمَ الْكَثِيرَ وَامْتَلَكَ مِيزَانًا صَحِيحًا لِتَقْدِيرِ الْأُمُورِ. وَبِالطَّبَعِ كَانَ هُنَاكَ ثَمَنًا لِنَيْلِكَ الْمَعْرِفَةِ، ثَمَنًا مِنْ الدَّمَاءِ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. مَعَ هَذَا ظَلَّتْ تَقَالِيدُ أَبْطَالِ الْبَشْتُونَ حَيَّةً فِي ذَهْنِهِ وَسُلُوكِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُعْظَمُ الْقَادَةِ الْمُتَمَازِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

لَقَدْ كَانَ لـ «جَلَالِ الدِّينِ» قَرَارًا خَطِيرًا مُخَالَفًا لِمَبَادِي حَرْبِ الْعِصَابَاتِ حِينَ قَرَّرَ الدَّفَاعَ عَنْ مُكْتَسَبَاتِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَعَدَمَ الْإِنْسِحَابِ وَالْبَدءِ مِنَ «الصَّنْفِرِ» حَتَّى لَا تُدْمِرَهُ الْقَوَاتُ الرُّوسِيَّةُ. وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الرَّأْيِ الرَّائِدُ «جُولزْرَاكُ»، وَكَانَ مُسَاعِدًا عَسْكَرِيًّا لَهُ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِ الْقَبِيلَةِ وَمُدْرَسٌ سَابِقٌ فِي الْأَكَادِيمِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي «كَابُلِ». كَانَتْ تِلْكَ الْمَشُورَةُ فِي عَشِيَّةِ اسْتِيْلَاءِ السُّوفِيَّتِ عَلَى «كَابُلِ». وَمَشُورَةُ «جُولزْرَاكِ» صَحِيحَةٌ فَنِيًّا وَأَكَادِيمِيًّا، وَلَكِنْ وَجْهَةٌ نَظَرٍ «حَقَّانِي» كَانَتْ الْأَكْثَرُ صِحَّةً بِالنِّسْبَةِ لِلْوَاقِعِ الْأَفْغَانِيِّ. وَقَدْ كَانَتْ مُبَرَّرَاتٍ رَفُضِهِ لِمُقْتَرَحَاتِ «جُولزْرَاكِ» كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْدَ ذَلِكَ كَالْتَّالِي:

أ. إِنَّ فَكَّ مَجْمُوعَاتِنَا الْقِتَالِيَّةِ الْكَبِيرَةِ وَإِخْفَاءَ أَسْلِحَتِنَا الثَّقِيلَةِ فِي مَخَابِيءِ سَرِّيَّةٍ، وَالْعُودَةَ إِلَى أَسْلُوبِنَا الْأَوَّلِ فِي الضَّرْبِ وَالْإِخْتِفَاءِ كَانَ سَيَحْرِمُنَا مِنْ

مُكْتَسَبَاتٍ عَامِينَ مِنَ الْقِتَالِ. وَلَمْ يَكُنْ مُقَاتِلُونَ لِيَتَحَمَّلُوا تِلْكَ النَّكْسَةَ، وَكَانَتْ تَعْنِي بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ هَزِيمَةَ وَالِاسْتِسْلَامَ لِلْعَدُوِّ، وَمَا كَانُوا لِيُنْهَضُوا بَعْدَهَا لِلْقِتَالِ. وَهَذِهِ نُقْطَةٌ هَامَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَعْرِفَةِ الْقَائِدِ لِنَفْسِيَّاتِ مُقَاتِلِيهِ. فَالْأَنْسَحَابُ الْوَاسِعُ كَانَ سَيُودِّي إِلَى هَزِيمَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَاسْتِسْلَامٍ لِلْعَدُوِّ. إِذَنْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ خِيَارَ الْقِتَالِ هُوَ الْأَصُوبُ حَتَّى لَوْ حَمَلَ فِي طَيَّاتِهِ مَخَاطِرَ الْإِبَادَةِ. هَكَذَا فَكَّرَ «حَقَّانِي»، وَكَانَ مُصِيبًا تَمَامًا. وَنَسْتَتِجُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَوَاعِدَ الْحَرْبِ وَقَوَائِنَهَا لَيْسَتْ مُقَدَّسَةً، بَلْ يُمَكِّنُ تَعْدِيلُهَا أَوْ تَخْطِئُهَا، بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ وَاجِبًا فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ الْخَاصَّةِ، كَالْحَالَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدْدِهَا الْآنَ. وَلَا يُمَكِّنُ [لِأَحَدٍ] سِوَى الْقَائِدِ الْفِذُّ أَنْ يَسْتَتِجَ «قَوَائِنَ الْحَرْبِ الْخَاصَّةِ» الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِأَوْضَاعٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ فِي أَحَدِ الْحُرُوبِ، كَمَا فَعَلَ «حَقَّانِي» فِي هَذِهِ الْحَالَةِ. وَلَا بُدَّ مِنَ الْاعْتِرَافِ أَنَّ الْعَدِيدَ مِنَ الْقَادَةِ الْأَفْغَانَ الْمُقَاتِلِينَ قَدْ طَوَّرُوا قَوَائِنَ الْحَرْبِ بِمَا يُنَاسِبُ «الْحَالَةَ الْأَفْغَانِيَّةَ» مِنْ حَيْثُ طَبِيعَةِ الشَّعْبِ فِكْرِيًّا وَنَفْسِيًّا وَسُلُوكِيًّا. وَكَانَ الْعَدِيدُ مِنْ هَذِهِ التَّطَوُّيرَاتِ عَبَقْرِيًّا، وَبَعْضُهُ الْآخِرُ أَدَّى إِلَى كَوَارِثَ لِأَنَّهُ كَانَ خَاطِئًا. وَعَلَى [الْعُمُومِ فَقَدْ] ظَلَّ الْأَفْغَانُ يُقَاتِلُونَ «بِطَرِيقَتِهِمُ الْخَاصَّةِ» طَوَالَ مُدَّةِ الْحَرْبِ، لِذَلِكَ كَانَ [مِنَ الْعَسِيرِ] جِدًّا عَلَى غَيْرِ الْأَفْغَانِ مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ - عَرَبًا أَوْ غَيْرِهِمْ - أَنْ يَتَوَاءَمَ مَعَ الطَّرِيقِ الْقِتَالِيَّةِ لِلْأَفْغَانِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ اسْتِسَاغَتُهَا أَوْ مُجَارَاتُهَا فِي مُعْظَمِ الْأَحْوَالِ. مِنْ

أَجَلَ ذَلِكَ لَجَأَ الْعَرَبُ فِي مَرَاحِلَ مُتَأَخِّرَةٍ إِلَى تَكْوِينِ مَجْمُوعَاتٍ قِتَالِيَّةٍ خَاصَّةٍ، تُقَاتِلُ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَجْمُوعَاتٍ أَفْغَانِيَّةٍ، وَفِي أَحْيَانٍ قَلِيلَةٍ قَاتَلُوا مُنْفَرِدِينَ.

ب. أَضَافَ «حَقَّانِي» - دِفَاعًا عَنِ قَرَارِهِ - قَائِلًا: «إِنَّ الْأَنْسِحَابَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَعْمَاقِ الْجِبَالِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَ سَيْتِيحٌ لِلسُّوفِيَّةِ فُرْصَةَ الْاِسْتِيْلَاءِ السَّهْلِ عَلَى الطُّرُقِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تَخْتَرِقُ مَنَاطِقَنَا صَوْبَ حُدُودِ بَاكِسْتَانَ. وَبِالتَّالِي سَوْفَ يَقْطَعُونَ خُطُوطَ إِمْدَادِنَا وَيَعْرِقُلُونَ حَرَكَتَنَا، وَيُسَيِّطِرُونَ بِسُهُولَةٍ عَلَى التَّجْمُعَاتِ السُّكَّانِيَّةِ الَّتِي سَوْفَ تَكُونُ أُسِيرَةً لَدَيْهِمْ، حَتَّى أَوْلِيكَ الَّذِينَ تَحَرَّرُوا فِي السَّنَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ. فَإِذَا تَحَقَّقَ لِلسُّوفِيَّةِ ذَلِكَ فَسَوْفَ يُطَارِدُونَنَا فِي الْجِبَالِ وَيَتَصَيَّدُونَنَا وَاحِدًا وَاحِدًا كَمَا تُصَادُ الْوُحُوشُ [فِي] الْبَرِّيَّةِ.

إِنَّ قَرَارَ الْبَدءِ مُجَدِّدًا مِنَ الصَّفْرِ فِي حَرْبِ عِصَابَاتِ بَدَائِيَّةٍ كَانَ سَيَقُودُنَا إِلَى هَزِيمَةٍ سَرِيعَةٍ بِلا مُقَاوَمَةٍ. بَيْنَمَا رَجُلُ الْقَبَائِلِ أَصْحَابُ الْغَيْرَةِ عَلَى الدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ كَانُوا سَيَقَاتِلُونَ بِاسْتِمْرَارٍ ضِدَّ السُّوفِيَّةِ إِذَا نَحْنُ ثَبَتْنَا فِي أَمَاكِينِنَا لِلدَّفَاعِ. وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا حَدَثَ، فَنَجَحْنَا بِذَلِكَ فِي إِحْبَاطِ الْمَجْهُودِ الْعَسْكَرِيِّ السُّوفِيَّةِيِّ فِي مَنَاطِقِنَا، حَتَّى أَنَّ وَضَعَ السُّوفِيَّةِ حَالِيًا «١٩٨١م» [بَات] أَضْعَفَ مِنْ مَوْقِفِ الْجَيْشِ الشُّيُوعِيِّ قَبْلَ تَدَخُّلِ السُّوفِيَّةِ.

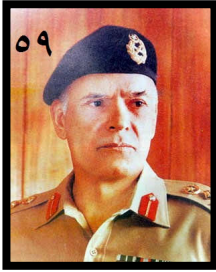
هَذَا وَسَوْفَ نَمُرُّ فِي سَرْدِنَا خِلَالَ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى التَّجَاوُزَاتِ الْخَلَّاقَةِ لِقَوَائِنِ الْحَرْبِ، وَالَّتِي كَانَتْ بَحْثًا مُلْهِمًا عَنِ «الْقَوَائِنِ الْخَاصَّةِ» لِلْحَرْبِ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَهُوَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ حَرْبٍ عِصَابَاتٍ نَاجِحَةٍ. وَهِيَ مُهِمَّةُ الْقِيَادَةِ وَكَوَادِرِهَا الْعَامِلَةِ، وَكُلُّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ فِي الْقِتَالِ.

إِنَّ الدَّفَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ عَنِ مُكْتَسَبَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي «بَاكْتِيَا»، وَالنَّجَاحَ فِي ذَلِكَ عَامَ ١٩٨٠ م، ثُمَّ الْقَرَارَ الطَّمُوحَ لِلْغَايَةِ بِالْهُجُومِ عَلَى «جَرْدِيز» ١٩٨١ م دَلِيلٌ عَلَى تَرَسُّخِ أُسْلُوبِ قِتَالِيٍّ لَدَى الْقَادَةِ الْأَفْغَانِ الْبَارِزِينَ، خَاصَّةً حَالَةَ «حَقَّانِي» الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا.

وَالسَّبَبُ فِي تَطْوِيلِنَا حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ هُوَ ادِّعَاءَاتُ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ «فَخُّ الدُّبِّ» الَّذِي سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَهُوَ كِتَابٌ خَاصٌّ لَوْجَهَاتِ نَظَرِ صَاحِبِهِ كَضَابِطِ مُخَابَرَاتٍ سَابِقٍ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَكُونَ مُجَاهِدًا يَخُوضُ حَرْبَ عِصَابَاتٍ عَقَائِدِيَّةٍ ضِدَّ عَدُوِّ سَاحِقِ التَّفَوُّقِ. فَقَدْ كَانَ الْعَقِيدُ «مُحَمَّدُ يُوْسُفُ» مُجَرَّدَ الْعَبْدِ الْمَأْمُورِ تَحْتَ إِدَارَةِ قَائِدِهِ الْجِنْرَالِ «أَخْتَرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٥٩] رَئِيسِ جِهَازِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ (ISI) الَّذِي

(١) أَخْتَرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَانَ: رَئِيسُ جِهَازِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ١٩٧٩-١٩٨٩ م، وَشَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ ١٩٨٧-١٩٨٨ م. وَوُلِدَ فِي ١١ يُونِيُو

كَانَ بَدْوَرِهِ عَبْدَ الْمَأْمُورِ تَحْتَ إِمْرِهِ رَئِيسِهِ الْجِنْرَالِ «ضِيَاءَ الْحَقِّ» رَئِيسِ الدَّوْلَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَسْتَرْسِلَ إِلَى حَلَقَةِ أَعْلَى لِنَقُولَ أَنَّ ضِيَاءَ الْحَقِّ كَانَ أَيْضًا عَبْدَ الْمَأْمُورِ لَدَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَإِنْ كَانَ كَمَا ذَكَرْنَا عَبْدًا عَلَى وَشِكِّ التَّمَرُّدِ، وَقَدْ دَفَعَ ثَمَنَ تَمَرُّدِهِ، إِذْ دَمَّرَهُ الْأَمْرِيكَانُ فِي طَائِرَتِهِ مَعَ «أَخْتَرِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ» وَغَيْرِهِمْ مِنْ كِبَارِ ضَبَّاطِ بَاكِسْتَانِ وَحَتَّى مَعَ السَّفِيرِ الْأَمْرِيكِيِّ نَفْسِهِ.



لَقَدْ ادَّعَى «مُحَمَّدُ يُونُسُ» فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ فِكْرَةِ الدَّفَاعِ الثَّابِتِ عَنِ مَنْطِقَةِ «عَلِي خِيل» فِي «جَاجِي» «مَعْرَكَةِ ١٩٨٧ م»، وَعَنْ قَاعِدَةِ «جَاوَر» التَّابِعَةِ لِـ «حَقَّانِي» «مَعْرَكَةِ ١٩٨٦ م». وَالادِّعَاءَاتُ نَابِعَةٌ مِنَ الْغُرُورِ وَالتَّعَالِي الَّذِي يُمَيِّزُ رِجَالَ الْإِسْتِخْبَارَاتِ، خَاصَّةً أُولَئِكَ الَّذِينَ قَامُوا بِمَهَامٍ كَبِيرَةٍ فِي يَوْمٍ مَا. وَادَّعَى الْعَمِيدُ أَنَّهُ خَالَفَ بِذَلِكَ الْقَوَاعِدَ التَّقْلِيدِيَّةَ لِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ، فَتَعَرَّضَ لِإِتِّقَادَاتٍ مَرُوءِيَّةٍ.

سَتَتَعَرَّضُ لِأَحِقِّا لِحَالَتِي «جَاوَر» وَ «جَاجِي»، وَكَيْفَ أَنَّ الْأَسْبَابَ

١٩٢٤ م، وَالتَّحَقَّقَ بِالْجَامِعَةِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ بِـ «لَنْدُن» وَتَخَرَّجَ مِنْهَا فِي عَامِ ١٩٤٥ م حَاصِلًا عَلَى بَكَالِيرِيوس فِي الْعُلُومِ، ثُمَّ حَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِيسْتِيرِ فِي الْاِقْتِصَادِ مِنْ جَامِعَةِ «بِيل» الْأَمْرِيكِيَّةِ عَامَ ١٩٤٧ م. التَّحَقَّقَ بِجَيْشِ الْهِنْدِ الْبَرِيطَانِيَّةِ فِي ١٩٤٦ م، ثُمَّ بِالْجَيْشِ الْبَاكِسْتَانِيِّ عَامَ ١٩٤٩ م.

الْحَقِيقِيَّةَ لِلدَّفَاعِ الثَّابِتِ عَنْهُمَا تَعُوذُ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى إِلَى «حَقَانِي» شَخْصِيًّا وَأُسْلُوبِهِ الْقِتَالِيِّ، وَمَلَابَسَاتِ الْقِتَالِ فِي «بَاكْتِيَا»، وَالْعَوَامِلِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْقَبَلِيَّةِ فِيهِ. أَمَّا فِي حَالَةِ «جَاغِي» وَالْقِتَالِ الثَّابِتِ عَنْهَا، فَالَّذِي يَقِفُ خَلْفَهَا هُوَ شَخْصٌ عَرَبِيٌّ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَتِلْكَ ظَاهِرَةٌ نَادِرَةٌ وَفَرِيدَةٌ فِي الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، ذَلِكَ الشَّخْصُ هُوَ «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ». وَسَوْفَ نَتَعَرَّضُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ لِلْحَالَتَيْنِ لِكُونِهِمَا مِنْ مَعَالِمِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَأَغْنَاهَا بِالذُّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ. وَكَمَا أَنَّ مُكْتَسَبَاتِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ سَقَطَتْ فِي أَيْدٍ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ، كَذَلِكَ كُلُّ الْمَيْرَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي حَدَثَتْ، تُحَاوَلُ تِلْكَ الْأَطْرَافُ أَنْ تَنْسِبَهَا إِلَى نَفْسِهَا. فَالْأَمْرِيكَانُ يَنْسِبُونَ النَّصْرَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَصَارُوا خِمْمَ الْعَجِيبِ «سْتَنْجِرَ» وَحَتَّى إِلَى الْبِغَالِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي أُرْسِلُوهَا كَيْ تَحُلَّ مَشَاكِلَ اللُّوجِسْتِيكَ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ!!

أَمَّا خَدْمَتُهُمْ مِنَ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ فَادَّعُوا بِأَتْنَهُمْ هُمْ الَّذِينَ خَطَّطُوا وَدَرَّبُوا وَقَادُوا، وَلَمْ يَتْرَكُوا لِلْأَفْغَانِ سِوَى التَّنْفِيذِ الَّذِي كَانَ مَلِيًّا بِالسُّوءَاتِ كَمَا يَتَّضِحُ فِي كِتَابِ «فُخُّ الدُّبِّ». أَمَّا الَّذِينَ صَنَعُوا النَّصْرَ، وَأَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، فَهُمْ إِمَّا تَحْتَ التَّرَابِ أَوْ تَرَكُوا السَّاحَاتِ وَاخْتَفَوْا، تُلَاحِظُهُمْ «لَعْنَةُ أَفْغَانِسْتَانَ» الَّتِي أَنْزَلْتَهَا عَلَيْهِمْ أَمْرِيكَانَا. قَالُوا قَدِيمًا إِنَّ «الْهَزِيمَةَ يَتِيمَةَ» وَالنَّصْرَ لَهُ مَائَةٌ أَبٍ. وَلَكِنَّ الْأَبَ الشَّرْعِيَّ لِلنَّصْرِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مُطَارِدٌ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ، وَحَتَّى عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ نَفْسِهَا.

الطَّرِيقُ الَّذِي شَقَّهَ «حَقَّانِي» لِعُبُورِ «الْحَائِطِ الْجَبَلِيِّ» خَلْفَ مَرْكَزِنَا فِي «سَاتِي كندو» كَانَ هُوَ الْآخِرُ مِنَ الْإِنجَارَاتِ الَّتِي قَدْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا كَثِيرُونَ. وَكَانَ أَوَّلَ طَرِيقٍ غَيْرِ قَانُونِيٍّ شَقَّهَ الْمُجَاهِدُونَ لِخِدْمَةِ الْعَمَلِيَّاتِ. وَأَمْثَالُ تِلْكَ الطُّرُقِ أَدَّتْ دَوْرًا حَيَوِيًّا فِي عَمَلِيَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ ظَاهِرًا لِلْعَايَةِ فِي وَاِلَايَةِ «بَاكْتِيَا». وَقَدْ بَرَعَ «حَقَّانِي» فِي ذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ «الْهَنْدَسَةِ»، وَكُنْتُ أَعْتَبِرُهُ أَكْبَرَ «مُهَنْدِسٍ فِي بَاكْتِيَا». لَيْسَتْ الْمَسْأَلَةُ مُجَرَّدَ بَرَاعَةٍ فَنِيَّةٍ، حَيْثُ أَنَّ الْمُعِدَّاتِ الْحَدِيثَةَ لِشَقِّ الطُّرُقِ لَمْ تَظْهَرْ إِلَّا فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا، وَشَقُّ طَرِيقٍ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْجِبَالِ الْوَعْرَةِ لَيْسَ - فَنِيًّا - بِالشَّيْءِ السَّهْلِ. وَالْأَهْمُّ مِنْ ذَلِكَ اخْتِيَارُ مَكَانِ الطَّرِيقِ وَخَطُّ سَيْرِهِ بِحَيْثُ يَلْبِي عِدَّةَ مُتَطَلِّبَاتٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ، أَهْمُهَا بِالطَّبَعِ خِدْمَةُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الْأَهْدَافِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَمِنْهَا عَدَمُ اكْتِشَافِهِ مِنْ قَبْلِ مَرَاكِزِ الْعَدُوِّ الْأَرْضِيَّةِ، وَإِذَا كَانَتْ الْمَنْطِقَةُ مَأْهُولَةً نِسْبِيًّا فَإِنَّ مُوَافَقَةَ السُّكَّانِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الطَّرِيقِ تُعْتَبَرُ ضَرْورِيَّةً. قَدْ تَسْتَدْعِي الْمُوَافَقَةَ دَفْعَ بَعْضِ الْأَمْوَالِ لِلْأَهَالِي أَوْ الْإِنْجِرَافِ بِالطَّرِيقِ بَعِيدًا عَنِ قُرَاهِمِ، أَوْ مُجَرَّدَ إِفْنَاعِهِمْ بِأَهْمِيَّةِ الطَّرِيقِ لِلْمُجَاهِدِينَ.

وَالسَّبَبُ هُوَ أَنَّ التَّجْرِبَةَ أَثَبَّتْ أَنَّ الطَّرِيقَ مَهْمَا كَانَ بَدَائِيًّا فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ هَدَفًا لِهُجُومِ الطَّائِرَاتِ. وَالقُرَى الَّتِي يَخْتَرِفُهَا أَوْ يَمُرُّ قَرِيبًا مِنْهَا تُعْتَبَرُ هِيَ الْأُخْرَى أَهْدَافًا مُحْتَمَلَةً. لَقَدْ أَهْدَرَ الطَّيْرَانُ الشُّيُوعِيَّ آلَافَ الْأَطْنَانِ مِنَ الْقَنَابِلِ عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ الطُّرُقِ بَدُونِ أَيِّ نَتِيجَةٍ مَلْمُوسَةٍ؛ لِأَنَّ إِصْلَاحَ الطَّرِيقِ أَوْ الْإِنْجِرَافَ

قَلِيلًا إِلَى أَحَدِ الْأَجْنَابِ بَعِيدًا عَنْ حُفْرِ الْقَنَابِلِ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْعَسِيرِ، حَتَّى أَنْ
بَعْضَ الْحُفْرِ الضَّخْمَةِ لِلْقَنَابِلِ كَانَتْ تُدْفَنُ بِأَلَا مَجْهُودٍ بِوَاسِطَةِ الرَّمَالِ
وَالصُّخُورِ الَّتِي تَحْمِلُهَا مِيَاهُ السُّيُولِ وَالْأَمْطَارِ.

وَالْمَلَا حَظٌّ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ انْتِصَارَاتٌ كَبِيرَةٌ، خَاصَّةً فِي مَرَحَلَةِ الْعَمَلِيَّاتِ
الْمُتَوَسِّطَةِ وَالْكَبِيرَةِ بَدُونِ وُجُودِ شَبَكَةِ طُرُقٍ مُنَاسِبَةٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَازِ «غَيْرِ
القَانُونِيِّ».

هُنَاكَ مَلَا حَظُّهُ الْاِزْتِبَاطِ الْمُتَبَادَلِ بَيْنَ كَثَافَةِ الْعَمَلِيَّاتِ وَكَثَافَةِ شَبَكَةِ الطُّرُقِ
«غَيْرِ الْقَانُونِيِّ»، وَهُوَ اِزْتِبَاطٌ جَدِيرٌ بِالتَّأَمُّلِ. فَقَدْ تُوِّدِي شَبَكَةَ طُرُقٍ مِنْ هَذَا
النُّوعِ إِلَى إِعْطَاءِ أَهْمِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِمَنْطِقَةٍ لَمْ تَكُنْ مُهِمَّةً سَابِقًا، وَالْعَكْسُ أَيْضًا
صَاحِحٌ، فَقَدْ تَحَوَّلَ مَنْطِقَةٌ هَامَّةٌ جِدًّا عَسْكَرِيًّا إِلَى مَنْطِقَةٍ خَامِلَةٍ لِعَدَمِ وُجُودِ
طُرُقٍ مُنَاسِبَةٍ بِهَا. بَلْ إِنْ كَثَافَةُ شَبَكَةِ الطُّرُقِ قَدْ تَوَثَّرَتْ فِي التَّخْطِيطِ الْاِسْتِرَاطِيَّيِ
لِلْعَمَلِيَّاتِ؛ فَقَدْ كَانَ مَلَا حَظًّا فِي مَعْرَكَةِ فَتْحِ «خُوسْتِ» أَنْ وُجُودَ شَبَكَةِ طُرُقٍ
جَيِّدَةٍ فِي الْقِطَاعِ الْجَنُوبِيِّ مِنَ الْجِبَالِ «مَنْطِقَةِ بَارِي» قَدْ فَرَّضَ عَلَى مُخَطِّطِ
عَمَلِيَّاتِ الْهُجُومِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» أَنْ يَرْكُزَ عَلَى ذَلِكَ الْقِطَاعِ فِي عَمَلِيَّةِ
الْهُجُومِ الرَّئِيسِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ. بِالطَّبَعِ لَمْ تَكُنْ شَبَكَةُ الطُّرُقِ هِيَ الْاِعْتِبَارُ
الْوَحِيدُ، وَلَكِنَّهَا مِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْاِعْتِبَارَاتِ الَّتِي جَعَلَتْ «بَارِي» مُنْطَلَقًا لِلْهُجُومِ
الْآخِرِ وَالنَّاجِحِ عَلَى «خُوسْتِ».

نَعُودُ إِلَى الطَّرِيقِ غَيْرِ القَانُونِيِّ الَّذِي كَانَ يَرْبِطُ مَرْكَزَنَا بِالعَالَمِ الخَلْفِيِّ مِنْ حَيْثُ يَجِيءُ الإِمْدَادُ مُتَخَطِّيًا الحَائِطَ الجَبَلِيَّ الرَّهِيْبَ. ذَلِكَ الطَّرِيقُ لَمْ يَجْعَلِ الإِمْدَادَاتِ أَمْرًا سَهْلًا فَحَسْبُ، بَلْ جَعَلَ المُنَاوَرَةَ بِتَحْرِيكِ المِذْفَعِيَّةِ أَمْرًا مُمَكِّنًا وَمُذْهِلًا لِلْعَدُوِّ بِحَيْثُ كَانَتْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَحْدُثُ لَهُ مُفَاجَأَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ حَيْثُ مَكَانِ الرِّمَاطِ وَمِنْ حَيْثُ التَّوْقِيْتِ.

فَشَلَّتْ مِذْفَعِيَّاتُ العَدُوِّ وَرِمَاطَاتُهُ الكَثِيْفَةُ فِي أَنْ تَنَالَ مِنْ مَدَافِعِ المُجَاهِدِيْنَ. كَذَلِكَ فَشَلَّتْ عِدَّةٌ مُحَاوَلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ، حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ فِي مُجَرَّدِ تَحْدِيدِ أَمَاكِنِ اخْتِفَائِهَا. وَلَكِنَّهُ تَمَكَّنَ أَحْيَرًا مِنْ إِرْسَالِ بَعْضِ الجَوَاسِيْسِ [الَّذِيْنَ] حَدَّدُوا لَهُ مَكَانَ المِذْفَعِ بِدَقَّةٍ، وَكَانَ يَوْمًا غَيْرُ سَعِيدٍ. وَيُمْكِنُ تَخْيُّلُ مَا حَدَثَ لَنَا فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَلَكِنْ بِفَضْلِ اللَّهِ لَمْ يُصَبْ أَحَدٌ، وَلَكِنْ مِذْفَعَنَا الثَّقِيْلَ (١٢٢م) أُصِيبَ بِعِدَّةِ شَطَايَا غَيْرِ مُؤَثِّرَةٍ، وَلَكِنَّهَا خَدَشَتْ كَرَامَتَهُ، فَتَوَقَّفَ بَرْنَامُجُهُ لِعِدَّةِ أَسَابِيْعٍ، اسْتُخْدِمَ خِلَالَهَا الهَاوِنُ «غَرْنَايِ ١٢٠م» وَالمِذْفَعُ الجَبَلِيُّ (٧٦م)، وَكِلَاهُمَا أَيْسَرُ نِسْبِيًّا مِنْ حَيْثُ المُنَاوَرَةُ، خَاصَّةً المِذْفَعُ الجَبَلِيُّ ذُو العَجَلَاتِ الكَاوِثِشِيَّةِ الَّذِي يُمَكِّنُ قَطْرُهُ بِسَيَّارَةَ «بِيكَاب»، وَحَتَّى يُمَكِّنُ دَفْعُهُ بِوَاسِطَةِ الأَفْرَادِ. أَمَّا «الغَرْنَايِ» فَمَا زِلْتُ أَعْتَبِرُهُ مِنْ أَعْبَى الأَسْلِحَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتُخْدِمَهَا رِجَالُ حَرْبٍ عِصَابَاتٍ. وَلَمْ تُسْتَخْلَصْ تِلْكَ النَّتِيْجَةُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ فَقَطُّ، بَلْ فِي تَجَارِبِ أُخْرَى أَيْضًا.

وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَرْكَزُ يُعْتَبَرُ الْأَهَمَّ وَالْأَقْوَى فِي «بَاكْتِيَا» كُلِّهَا فَسُوفَ أُعَدُّ
أَهَمَّ الْأَسْلِحَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي وَجَدْتَهَا فِيهِ مُقَارَنَةً بِمَا كَانَ مَوْجُودًا فِي الْعَامِ
١٩٧٩ م.

■ أَوَّلًا «الْمِدْفَعِيَّة»:

- مِدْفَعٌ وَاحِدٌ «أُوبُوس» عِيَار ١٢٢ مم رُوسِيّ الصُّنْعِ مِنَ الْغَنَائِمِ.
- مِدْفَعٌ وَاحِدٌ جَبَلِيّ عِيَار ٧٦ مم رُوسِيّ الصُّنْعِ مِنَ الْغَنَائِمِ.
- مِدْفَعٌ عَدِيمُ الازْتِدَادِ عِيَار ٨٢ مم صِيْنِيّ الصُّنْعِ.
- هَاوِنٌ «غِرَانَاي» عِيَار ١٠٥ مم مِصْرِيّ الصُّنْعِ.

■ ثَانِيًا «الْمُضَادَّاتُ الْجَوِّيَّة»:

- عَدَدٌ ٢ صَارُوْخِ أَرْضِ جَوٍّ «سَام ٧» مِنْ مِصْرَ.

هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَدَدٍ مِنْ بِنَادِقِ «كَلَّاشْنِكُوف» مِصْرِيَّةٍ وَصِيْنِيَّةٍ، بِحَيْثُ
أَصْبَحَتْ الْبِنَادِقُ الْإِنْجِلِيزِيَّةُ الْقَدِيمَةُ مِنْ طِرَازِ «لِي أَنْفِيلْد» قَلِيلَةَ التَّوَاجِدِ



[نِسِيًّا] فِي الْأَيْدِي. وَلَمْ تَكُنْ
الدَّفَاعَاتُ الْجَوِّيَّةُ تَحْتَوِي - إِضَافَةً
إِلَى صَارُوْخِي «سَام ٧» إِلَّا عَلَى
رَشَاشِ «دُوشْكََا» عِيَار ١٢.٧ مم

رُوسِي الصُّنْعِ كَثِيرِ الْأَعْطَالِ أَيْضًا، وَكَالْعَادَةِ. أَمَّا هَاوِنِ عِيَارُ ٨٢ مِمَّ الَّذِي كَانَ نَجْمَ ١٩٧٩ م فِي نَفْسِ الْمَنْطِقَةِ فَلَمْ أُشَاهِدْهُ، وَيَبْدُو أَنَّهُ أُصِيبَ. [البندقيَّةُ اللانجليزية الصُّنْعِ Lee Enfield: صورة رقم ٦٠]

كَانَ فِي الْمَرْكَزِ حَوَالِي أَرْبَعِينَ مُجَاهِدًا، وَكُنَّا فِي شَهْرِ شَعْبَانَ، لِذَلِكَ كَانَ الْعَدُوُّ مُرْتَشِحٌ لِلانْخِفاضِ، وَهَذَا مَا حَدَثَ فِعْلًا. وَقَدْ هَاجَمَ الْعَدُوُّ مَرْكَزَنَا هُجُومًا كَبِيرًا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكَانَ هَدْفُهُ الْأَوَّلُ تَدْمِيرَ الْمَدَافِعِ، وَهَدْفُهُ الثَّانِي دَفْعَنَا إِلَى الْخَلْفِ لِتَأْمِينِ الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّهُ أَخْفَقَ فِي كِلَا الْهَدَفَيْنِ.



مَازِقٌ مَعَ طَيَّارٍ حَاقِدٍ:

وَلَكِنَّا أَيْضًا أَخْفَقْنَا فِي إِصَابَةِ إِحْدَى طَائِرَاتِهِ بِوَأَسِطَةِ صَارُوخٍ «سَام». وَالْأَرْجَحُ أَنَّ «سَام» هُوَ الَّذِي أَخْفَقَ، فَقَدْ تَمَّتِ الرَّمَايَةُ فِي ظُرُوفٍ مِثَالِيَّةٍ وَمَسَافَةٍ مُنَاسِبَةٍ تَمَامًا ضِدَّ طَائِرَةٍ هَيْلُوكِبَتَّر «مي ٢٤»، وَمَرَّ الصَّارُوخُ عَلَى بُعْدِ عَشْرَةِ أَمْتَارٍ مِنْ ذَيْلِ الطَّائِرَةِ بِدُونِ أَنْ يَبْدُلَ أَدْنَى مَجْهُودٍ لِمُتَابَعَتِهَا. وَالْأَرْجَحُ أَنَّ جِهَازَ الصَّارُوخِ لِلْبَحْثِ وَالْمُتَابَعَةِ لَمْ يَكُنْ يَعْمَلُ. وَفِي الْوَاقِعِ أَنَّ مُعْظَمَ صَوَارِيخِ «سَام» الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ كَانَتْ تُعَانِي مِنْ نَفْسِ الْعَيْبِ. وَقَدْ أَفَادَ أَحَدُ الْخُبْرَاءِ فِي هَذَا الْمَجَالِ بِأَنَّ تِلْكَ الصَّوَارِيخَ قَدِيمَةٌ وَمُخْرَنَةٌ مُنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَأَنَّ الْأَجْهَازَ الدَّقِيقَةَ دَاخِلَ الصَّارُوخِ تَتَلَفُ بَعْدَ مُدَّةٍ مَحْدُودَةٍ. وَعَلَى

آيَةٌ حَالٍ فَإِنَّ صَوَارِيخَ «سَام» أَوْحَتْ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ بِفِكْرَةِ عَبْقَرِيَّةٍ، وَهِيَ اسْتِخْدَامُ الْقَذَائِفِ الْمُضَادَّةِ لِلدُّرُوعِ «آر بي جي» ضِدَّ الطَّائِرَاتِ الْهَيْلُوكْبَتَرِ بِوَجْهِ خَاصٍّ. وَكَانَتْ النَّتَائِجُ نَاجِحَةً جِدًّا، فَقَدْ أَخَافَتْ تِلْكَ الْقَذَائِفُ الطَّيَّارِينَ، وَأَحْرَزَتْ نَفْسَ نِسْبَةِ إِصَابَاتِ صَوَارِيخِ «سَام ٧»، فَلَمْ تَسْقُطْ أَيُّ طَائِرَةٍ.

كَانَتْ الْحَمْلَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ ضِدَّ مَرْكَزِنَا مِنَ الطَّرَازِ التَّقْلِيدِيِّ، وَاسْتَعْرَقَتْ نَهَارًا وَاحِدًا، مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى قُرْبِ الْمَغْرِبِ. بَدَأَتْ بِالْقَصْفِ الْمِدْفَعِيِّ الشَّدِيدِ عَلَى مَرْكَزِنَا وَعَلَى الْمَنَاطِقِ الَّتِي سَوْفَ تَحْتَلُّهَا الْقُوَّةُ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ. وَفِي الْعَاشِرَةِ صَبَاحًا بَدَأَتْ أَفْوَاجٌ مِنْ سُكَّانِ الْقَرْيِ تَأْتِي لِلْمُسَاعَدَةِ فِي صَدِّ الْقَوَّاتِ الْحُكُومِيَّةِ. وَكَانَ مَنْظَرًا مُؤَثِّرًا لِلغَايَةِ؛ فَقَدْ سَمِعُوا قَصْفَ الْمِدْفَعِيَّةِ الشَّدِيدِ وَفَهَّمُوا بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّهُ هُجُومٌ وَاسِعٌ، فَحَضَرُوا مَعَ بِنَادِقِهِمُ الْقَدِيمَةَ يَسْأَلُونَ عَنْ مَكَانِ الْعَدُوِّ كَيْ يَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ. وَكَانَ مُقَاتِلُوا كُلِّ قَرْيَةٍ يَتَوَجَّهُونَ فِي كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ صَوْبَ الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ. سُكَّانُ بَعْضِ الْقَرْيِ جَاءُوا بِالطُّبُولِ يَفْرَعُونَ بِقُوَّةٍ وَيُلَوِّحُونَ بِالْبِنَادِقِ الْقَدِيمَةِ. كَانَتْ صُورَةٌ تَارِيخِيَّةً لِلْحُرُوبِ الْقَدِيمَةِ مَحْفُوظَةً فِي الْمَتْحَفِ التَّارِيخِيِّ لِأَفْغَانِسْتَانَ. كَانَ تَعْدَادُ مَرْكَزِنَا قَدْ انْخَفَضَ قَبْلَ الْهُجُومِ بِسَبَبِ مُغَادَرَةِ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى قُرَاهِمُ حَسَبَ تَقَالِيدِهِمُ الثَّابِتَةِ، فَانْخَفَضَ عَدَدُنَا إِلَى أَقَلِّ مِنَ النِّصْفِ. وَلَكِنَّ عِنْدَ الظُّهْرِ كَانَ عَدَدُنَا أَكْبَرَ مِنْ مِقْدَارِهِ الْأَصْلِيِّ. كَثِيرُونَ أَخَذُوا مَوَاقِعَ أَمَامِيَّةً لِلدَّفَاعِ عَنْ

مَرَكَزِنَا، وَلَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ أَكْثَرَهُمْ، وَلَكِنَّ جَمِيعَهُمْ كَانُوا مِنْ مَنَاطِقِ الْجَوَارِ.
كَانَ مَشْهَدًا مُؤَثِّرًا وَغَنِيًّا بِالذَّلَالَاتِ، وَلَمْ أَشْهَدْ مِثْلَهُ أَبَدًا بَعْدَ ذَلِكَ، بَلْ شَاهَدْتُ
عَكْسَهُ تَمَامًا فِي عَامِ ١٩٩٠ مَ عِنْدَمَا تَوَافَدَ النَّاسُ مِنْ بَاكِسْتَانِ لِنَهْبِ الْمُدُنِ
الْمَفْتُوحَةِ، وَقَدْ ظَنُّوا وَقْتَهَا أَنَّ «خُوسْت» عَلَى وَشِكِ الْفَتْحِ. فَجَاءُوا فِي
عَشْرَاتٍ مِنَ السِّيَّارَاتِ وَمِائَاتٍ أَوْ آلَافٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَلِحُسْنِ الْحِطِّ فَإِنَّ الْمَدِينَةَ
لَمْ تُفْتَحْ وَقْتَهَا.

لَمْ يُقْتَلْ أَوْ يُجْرَحَ أَحَدٌ مِنْ أَفْرَادِ مَرَكَزِنَا، وَلَكِنَّ بَعْضَ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ قَدْ
جُرِحُوا، وَكُنْتُ مَعَ «رَشِيد» وَالشَّبَابِ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَنَا، وَعَدَدُهُمْ
حَوَالِي خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ تَقْرِيْبًا. كُنَّا جَمِيعًا مُرَشَّحِينَ بِجِدَارَةِ كَيْ نَكُونَ ضَمْنَ
عِدَادِ الْقَتْلَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَإِذْ لَخَسِرَتْ أَفْغَانِسْتَانُ أَوَّلَ مَجْمُوعَةٍ «دَوْلِيَّة»
مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَدْرِي كَمْ كَانَ ذَلِكَ سَيُؤَثِّرُ عَلَى مَسِيرَةِ الْجِهَادِ
الطَّوِيلَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانِ، سَلِيْبًا أَمْ إِيْجَابِيًّا، فَالْمَهْمُ أَنَّنَا لَمْ نُقْتَلْ.

وَفِي الْوَاقِعِ أَنَّ الصَّارُوخَ «سَام ٧» قَدْ وَضَعْنَا جَمِيعًا فِي مَازِقِ خَطِيرٍ، فَقَدْ
حَمَلْنَا الصَّارُوخِينَ وَتَسَلَّلْنَا إِلَى سَفْحِ جَبَلِيٍّ مُنْبَسِطٍ مُوَاْجِهٍ لِسَهْلِ «جَرْدِيز»،
وَكَمْنَا لِطَائِرَتَيْنِ «مِي ٢٤» كَانَتَا تَصْبَانِ حِمَمَهَا عَلَى الْخَطِّ الْأَوَّلِ لِلْمُجَاهِدِينَ.
كَانَ أَحَدُ الصَّارُوخِينَ جَاهِزًا لِلِاسْتِخْدَامِ، وَكَانَ «رَشِيد» هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ،
وَكَانَتْ أَقْوَمُ بِدَوْرِ مُسَاعِدِ الرَّامِي، بَيْنَمَا الشَّبَابُ الْآخَرُونَ يَحْمِلُونَ الصَّارُوخَ

الثَّانِي وَيَقُومُونَ بِالْحِمَايَةِ مِنْ قَرِيبٍ. كَمَا ذَكَرْنَا، [فَقَدْ] مَرَّ صَارُ وَخُنَا مُرُورَ
 الْكِرَامِ مِنْ خَلْفِ ذَيْلِ الْهَيْلُوكُبْتَرِ الْأَخِيرَةِ. فَوَاصَلَتِ الطَّائِرَتَانِ سَيْرَهُمَا إِلَى
 نِهَايَةِ الْوَادِي، وَانْحَرَفَتِ الْأُولَى عَائِدَةً إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَّا الطَّائِرَةُ الْأُخْرَى فَقَدْ
 اسْتَدَارَتْ رَاجِعَةً. تَوَجَّسْتُ سُرًّا مِنْ تِلْكَ الْاسْتِدَارَةِ، أَمَّا «رَشِيدٌ» فَقَدْ جَنَّ
 جُنُونَهُ وَانْتَابَتْهُ عَصِيْبُهُ شَدِيدَةٌ حَتَّى أَنَّهُ فَشِلَ فِي تَرْكِيْبِ الْبَطَّارِيَةِ الْخَاصَّةِ
 لِلصَّارُوخِ الثَّانِي، وَهِيَ عَادَةٌ تُرَكَّبُ بِسُهُولَةٍ، وَنَتِيْجَةٌ لِلْعَصِيْبَةِ اسْتَعَصَتْ،
 فَتَجَمَّعَ الشَّبَابُ حَوْلَ الصَّارُوخِ، وَلَكِنِّي طَالَبْتُ بِمُعَادَرَةِ الْمَنْطِقَةِ بِسُرْعَةٍ.
 رَفَضَ «رَشِيدٌ» وَرَفَضَ الْآخَرُونَ، بَلْ أَنَّهُمْ أَعْطُونِي بِنَادِفُهُمْ حَتَّى يَتَفَرَّغُونَ لِهَذَا
 الصَّارُوخِ وَبَطَّارِيَتِهِ الْمُشَاكِسَةِ. كَانَ تَكْدُّسًا خَطِرًا وَمُحْزِنًا. حَلَقَةٌ مِنَ الشَّبَابِ
 تُصَارِعُ صَارُوخًا وَكَأَنَّهُ بَغْلٌ جَامِحٌ. لَمْ أَرْفَعْ نَظْرِي عَنْ الْهَيْلُوكُبْتَرِ وَبَاتَ
 وَاضِحًا لِي فَقَطُّ أَنَّهَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْنَا. وَمِنْ جَانِبِي أُرْسَلْتُ إِلَى الْمَجْمُوعَةِ بَيِّنَاتٍ
 مُتَّضِبَةً وَتَحْذِيرَاتٍ، وَلَكِنْ لَا مُجِيبَ. مَسَحْتُ الْمَنْطِقَةَ بَعَيْنِي لِاخْتِيَارِ الْمَكَانِ
 الْمُنَاسِبِ كَيْ أَتَوَاجَدَ فِيهِ خِلَالَ الْأَزْمَةِ الْقَادِمَةِ لَا مَحَالَةَ بَعْدَ ثَوَانٍ. وَعُدْتُ
 بِنَظْرِي إِلَى الطَّائِرَةِ. وَخِيَلْ إِلَيَّ أَنَّ نَظْرَاتِي التَّقَّتْ بِنَظْرَاتِ الطَّيَّارِ، وَيَا لَهَا مِنْ
 نَظْرَاتٍ، إِنَّ أَحَدَنَا عَلَى وَشِكِّ أَنْ يَقْتُلَ الْآخَرَ، وَلَنْ أَكُونَ أَنَا سِوَى الْقَتِيلِ.

لَمْ أَرْفَعْ نَظْرِي عَنْ خَصْمِي وَأَنَا أَصِيحُ فِي جَمَاعَتِنَا بِصَوْتٍ كَالرَّعْدِ،
 وَلَكِنْ بِلُغَةٍ إِنْجِلِيزِيَّةٍ سَلِيمَةٍ «إِجْرٍ»، وَتَابَعْتُ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ وَجَرَيْتُ فِي اتِّجَاهِ
 مُتَعَامِدٍ عَلَى خَطِّ اقْتِرَابِ الطَّائِرَةِ، وَلَا أَدْرِي هَلْ كَانَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى تَفْكِيرٍ

سَلِيمٍ مُسَبِّقٍ أَمْ أَنْ قَدَمَايَ قَدْ اِكْتَسَبَتَا خِبْرَةً إِضَافَةً إِلَى غَرِيزَةٍ فِطْرِيَّةٍ قَوِيَّةٍ فِي
 الْهُرُوبِ السَّيِّدِ وَاخْتِيَارِ الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. تَحَرَّكْتُ
 بِسُرْعَةٍ لَا بَأْسَ بِهَا إِذَا وَضَعْنَا فِي الْاِعْتِبَارِ اُنَّبِي كُنْتُ صَائِمًا، كَمَا اُنَّبِي كُنْتُ
 اَحْمِلُ عَلَى كِتْفَايَ بِنَادِقِ الْمَجْمُوعَةِ كُلِّهَا تَقْرِيْبًا. اَمَّا بَاقِي الْمَجْمُوعَةِ فَقَدْ
 تَحَرَّكْتُ إِلَى اَعْلَى السَّفْحِ حَيْثُ كُتِلَتْ ضَخْمَةٌ سَوْدَاءَ مِنَ الصُّخُورِ، لَقَدْ غَامَرُوا
 بِالتَّحْرُكِ فِي نَفْسِ خَطِّ تَحْرُكِ الطَّائِرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ نَجَحُوا فِي الْحُصُولِ عَلَى
 مَكَانٍ اَفْضَلَ مِنَ الَّذِي فُزْتُ بِهِ؛ فَقَدْ وَجَدْتُ نَفْسِي مَحْشُورًا فِي شِقِّ ضَيْقٍ
 حَفَرَتْهُ مِيَاهُ السُّيُولِ وَعَمَقَتْهُ اَقْلٌ مِنْ قَدَمٍ، وَلَكِنَّهُ طَوِيلٌ جِدًّا وَمُتَعَرِّجٌ.

وَلِمُدَّةِ عِدَّةِ قُرُونٍ، وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي تَخَيَّلْتُهَا لِلْمَعْرَكَةِ غَيْرِ الْمُتَكَافِئَةِ بَيْنِي
 وَبَيْنَ الْهَيْلُوكِبَتَرِ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً مِنْ جَانِبٍ وَاَحِدٍ كَمَا هُوَ وَاِضْحَحُ، مَعْرَكَةٌ
 صِرَاعِ بَقَاءٍ وَمُنَافَسَةٍ بَيْنَ اَفْضَلِ تَكْنُؤُلُوجِيَا عَسْكَرِيَّةٍ فِي عَالَمِ طَائِرَاتِ
 الْهَيْلُوكِبَتَرِ وَبَيْنَ غَرِيزَةِ الْاِنْسَانِ فِي التَّخْفِي وَالِاِخْتِبَاءِ النَّابِعَانِ مِنْ حُبِّ الْبَقَاءِ.
 لَقَدْ تَعَطَّيْتُ بِالرِّدَاءِ الْاَفْغَانِي «الْبَاتُو» وَحَاوَلْتُ الْمُنَاوَرَةَ بِالزَّحْفِ وَتَغْيِيرِ
 مَكَانِي بَيْنَ كُلِّ زَخَّةٍ نِيرَانٍ تَرَشُّقُهَا الطَّائِرَةُ عَلَى جَانِبِي الْحُفْرَةَ. وَبَعْدَ كُلِّ تَغْيِيرِ
 اُتَلَّقَى عَدَدًا اٰخَرَ مِنَ الزَّرْحَاتِ كَدَلِيلٍ عَلَى اَنْ رَامِي الرَّشَاشِ يَرَانِي بِوُضُوحٍ
 كَامِلٍ.

وَمِنْ حُسْنِ الْحِظِّ اَنْ هَذَا الطَّيَّارَ «الْحَاقِدَ» كَانَ قَدْ اَفْرَغَ صَوَارِيخَهُ «جَوْ

أَرْضٍ فِي رِمَايَاتِهِ السَّابِقَةِ عَلَى مُجَاهِدِينَا فِي الْخَطِّ الْأَوَّلِ، وَإِلَّا فإِنِّي وَإِخْوَانِي عِنْدَ الصَّخْرَةِ كُنَّا قَدْ فُزْنَا بِمَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ رَمَضَانَ عَامَ ١٤٠١ هـ، وَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ مُبَارِكٍ، وَلَكِنَّا لَمْ نَكُنْ فِي الْمُسْتَوَى اللَّائِقِ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الشُّهَادَةِ، لَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا فِي أَيِّ يَوْمٍ جَاءَ بَعْدَهُ حَتَّى لَحِظْنَا هَذِهِ.

نَجَحْنَا فِي مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ بَعْدَ انْصِرَافِ الطَّائِرَةِ الَّتِي أفرَغَتْ كُلَّ مَخزُونِهَا مِنَ الطَّلَقَاتِ حَتَّى أَصْبَحَتْ خَالِيَةً مِنَ الذَّخِيرَةِ. وَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ وَقَعْنَا فِي وَرْطَةٍ مَعَ الْقَصْفِ الْمِدْفَعِيِّ حَتَّى عَادَتْ الطَّائِرَاتُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ. وَلَكِنَّ الْقَوَاتِ الْحُكُومِيَّةَ تَجَمَّدَتْ فِي أَمَاكِنِهَا ثُمَّ تَرَاجَعَتْ تَمَامًا بَعْدَ الْعَصْرِ. وَحَامَتْ الطَّائِرَاتُ النَّفَاثَةَ فَوْقَ مَوَاقِعِنَا لَكِنِّهَا لَمْ تُشَارِكْ فِي الْاِحْتِفَالِ لِسَبَبِ مَجْهُولٍ. وَهَكَذَا فَشَلَّتِ التُّكْنُولُوجِيَا مُتَمَثِّلَةً فِي صَارُوخِ «سَام ٧» فِي أَنْ تَتَوَاقَمَ مَعَنَا. وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مَعَنَا فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ مَعَ أَجْهَزَةٍ أُخْرَى وَمُنَاسَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، إِلَّا أَنَّ الْحَادِثَ الْمَذْكُورَ ظَلَّ أخطَرَهَا.

وَلَمْ تَمْضِ سِوَى أَيَّامٍ حَتَّى اكْتَمَلَ الدَّرْسُ أَمَامَ أَعْيُنِنَا، وَظَهَرَ سِلَاحُ آخَرٍ ضِدَّ الطَّيْرَانِ أَيْضًا، لَا يَعْتَمِدُ عَلَى التُّكْنُولُوجِيَا، وَلَكِنْ اعْتَمَدَ عَلَى عَوَامِلَ عَيْبِيَّةٍ نَعْجَزُ عَنْ فَهْمِهَا. وَلَنْضَعُ هَذَا الْحَادِثَ إِلَى جَانِبِ حَدِيثِ «سَام ٧» ثُمَّ نَقَارِنُ.



... وَمُقَاتِلَاتٌ تُقَدِّمُ لَنَا الدَّعْمَ !!:

فِي التَّاسِعَةِ صَبَاحًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّمَضَانِيِّ الْمُشْرِقِ كَانَ جَمِيعٌ مِنْ فِي
الْمَرْكَزِ نَائِمِينَ، حَيْثُ لَا نَوْمَ تَقْرِيًّا أَثْنَاءَ اللَّيْلِ. كُنَّا فِي حَيْمَةِ أَعْلَى الْجَبَلِ،
صَوْتُ الطَّائِرَةِ النَّفَّاثَةِ الْمُنْقِصَةِ فَوْقَ الْحَيْمَةِ أَثَارَ فُزَعْنَا وَنَقَمَتْنَا. أَحَدُ
الْمُجَاهِدِينَ دَخَلَ الْحَيْمَةَ غَاضِبًا، وَاسْتَلَّ مُسَدَّسَهُ وَأَطْلَقَ عِدَّةَ طَلَقَاتٍ فِي
أَعْقَابِ الطَّائِرَةِ، فَلَمْ أَتَمَالِكْ نَفْسِي مِنَ الضَّحِكِ. وَحَتَّى الْآنَ أُبْتَسِمُ كُلَّمَا
تَذَكَّرْتُ الْمَوْقِفَ.

دَارَتِ الطَّائِرَةُ وَهِيَ تَتَمَائِلُ حَوْلَ قِمَّةِ جَبَلِنَا، وَلَكِنْ عَلَى ارْتِفَاعٍ مُنَاسِبٍ،
رُبَّمَا تَفَادِيًا لِمُسَدَّسِ صَدِيقِنَا. انْصَرَفَ الطَّيَّارُ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْرَضَ مَهَارَتَهُ فِي
إِعْظَمَتِنَا. اخْتَفَى وَلَمْ يَرَمْ عَلَيْنَا قَنَابِلَهُ رُغْمَ أَنَّ لَا نَشْكُ فِي أَنَّهُ رَأَا. لَعِبَتْ
الْوَسَاوِسُ فِي رَأْسِي وَسَأَلْتُ «رَشِيدَ» عَنْ رَأْيِهِ فِيْمَا حَدَثَ، وَبِالْأَحْرَى فِيْمَا
سَوْفَ يَحْدُثُ. وَجَدْتُهُ هُوَ أَيْضًا فِي قَلْبِي وَيَتَوَقَّعُ سَرًّا. فَاقْتَرَحْتُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا
تَحْسُبًا لِلْأَمْرِ. مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ «الْحَائِطِ» نَزَلَ بِسُرْعَةٍ رَجُلٌ يَحْمِلُ رِسَالَةً مِنْ
«رَشِيدِ» إِلَى الْمُجَاهِدِينَ فِي الْمَرْكَزِ بِالْإِنْشَارِ وَتَجْهِيزِ «الدُّوَشْكَ» لِلطَّوَارِي.
وَبَعْدَ عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَمَامًا مِنْ اخْتِفَاءِ الطَّائِرَةِ الْأُولَى ظَهَرَتْ ثَلَاثُ طَائِرَاتٍ
وَاضِحَةً الْفَخَامَةَ ذَاتُ لَوْنٍ رَمَادِيٍّ عَلَى غَيْرِ عَادَةِ الطَّائِرَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ ذَاتِ
اللَّوْنِ الْفِضِّيِّ. تَعَرَّفَ «رَشِيدَ» عَلَى الطَّائِرَاتِ بِأَنَّهَا مِنْ طِرَازِ «مِيج ٢٣».

مَرَّتِ الطَّائِرَاتُ مِنْ فَوْقِ خَيْمَتِنَا الْبَيْضَاءِ ثُمَّ شَكَلَتْ حَلَقَةً تَدُورُ حَوْلَ قِمَّةِ جَبَلِنَا. لَمْ يَعْذُ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلتَّخْمِينِ، لَقَدْ جَاءَ «الْكِبَارُ» لِلْقَضَاءِ عَلَيْنَا. لَمْ تَكُنْ الطَّائِرَةُ الْأُولَى سِوَى صَبِيِّ شَقِيٍّ نَقَلَ الْخَبَرَ إِلَى إِخْوَانِهِ الْكِبَارِ. كُلُّ مَنْ يَحْمِلُ سِلَاحًا مِنَّا أَطْلَقَ فِي اتِّجَاهِ الطَّائِرَاتِ، نَعْرِفُ أَنَّنَا لَنْ نُصِيبَهَا، وَلَكِنَّا سَوْفَ نُقْتَلُ عَلَى آيَةٍ حَالٍ، [أَوْ] هَكَذَا تَصَوَّرْنَا.

كَمَنْ «رَشِيدٌ» مَعَ صَارُوخٍ «سَامِ ٧»، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِتَكَرُّرِ الْمَأْسَاءِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْكِلَاشِشُكُوفَ أَكْثَرَ مِصْدَاقِيَّةً، وَبَدَأْتُ فِي اسْتِخْدَامِهِ ضِدَّ الطَّائِرَاتِ. بَعْدَ عِدَّةِ دَوْرَاتٍ اخْتَفَتِ الطَّائِرَاتُ الثَّلَاثَةُ فِي اتِّجَاهِ الْغَرْبِ، وَلِعِدَّةِ دَقَائِقَ حَبَسْنَا فِيهَا الْأَنْفَاسَ؛ فَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَعُودُونَ وَلَكِنْ كَيْ يَقْصِفُونَا مَبَاشَرَةً بِلَا أَيِّ لَفٍّ أَوْ دَوْرَانٍ. وَأَخَذْتُ أَتْلُو كُلَّ مَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْفَعُنِي عِنْدَمَا أَلْقَى اللَّهُ بَعْدَ دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ.

سَمِعْنَا صَوْتَ طَيْرَانٍ بَعِيدٍ نَسْبِيًّا ثُمَّ تَكْبِيرَةً هَائِلَةً مِنَ الْقِمَّةِ الْقَرِيبَةِ، يُطْلِقُهَا مَجَاهِدٌ أَخَذَ يَتَقَافَزُ طَرْبًا، صَائِحًا «زنده باد إسلام»، ثُمَّ صَوْتَ انفِجَارَاتٍ تَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْوَادِي. أَسْرَعْنَا إِلَى الْقِمَّةِ الْقَرِيبَةِ فَكَانَ مَنْظَرًا لَا يُصَدِّقُ. الطَّائِرَاتُ الثَّلَاثُ الَّتِي نَتَوَقَّعُ أَنْ تَقْصِفَنَا تَقُومُ بِعَمَلٍ غَيْرٍ مَعْقُولٍ!! إِنَّهَا تَقْصِفُ مَوَاقِعَ الْعَدُوِّ عَلَى جَبَلٍ «جوجارى» عَلَى بُعْدِ حَوَالِي عَشْرَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ، فَدَمَّرَتْهَا شَرًّا تَدْمِيرًا. كَانَتْ مَوَاقِعُ الْعَدُوِّ تُسْتَخْدَمُ لِلتَّرْصُدِ وَحِمَايَةِ الْمَدْخَلِ الشَّرْقِيِّ لِلْوَادِي،

فَالجَبَلُ مَنِيْعٌ وَمُرْتَفَعٌ وَيَقَعُ مُعْظَمُهُ فِي الوَادِي بِحَيْثُ يَسْهُلُ الدَّفَاعُ عَنْهُ
وَتَمُوِيْنُ قُوَاتِهِ.

كَانَتْ تِلْكَ هِيَ المَرَّةُ الأُوْلَى وَالأَخِيْرَةُ الَّتِي أَرَى فِيهَا عَمَلِيَّةَ قَصْفِ جَوِّي
بِهَذَا الجَمَالِ. كَانَ مَنظَرُ الطَّائِرَاتِ رَائِعًا وَهِيَ تَدُوْرُ ثُمَّ تَنْقُضُ عَلَى هَدَفِهَا، ثُمَّ
أَعْمِدَةُ الدُّخَانِ وَالنَّارِ تَتَصَاعَدُ مِنَ الانفجَارَاتِ، وَمَا أَنْ تَفْرَغَ طَائِرَةٌ مِنْ
انْقِضَاضِهَا حَتَّى تَتْبَعَهَا الثَّانِيَةُ ثُمَّ الثَّالِثَةُ.

وَلَا يُمَكِّنُ تَصَوُّرُ حَالَةِ الذُّعْرِ الَّتِي أَصَابَتْ القُوَاتِ الشُّيُوعِيَّةَ فَوْقَ الجَبَلِ؛
لِأَنَّ آخِرَ مَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُهُ هُوَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِقَصْفِ جَوِّي. وَقَدْ وَصَلْتَنَا فِي اليَوْمِ
التَّالِي مَعْلُومَاتٌ عَن خَسَائِرِ العَدُوِّ، وَأَقْلُ مَا تُوصَفُ بِهِ أَنَّهَا كَانَتْ فَادِحَةً.

ذَلِكَ هُوَ العَامِلُ الغَيْبِيُّ الَّذِي لَمْ يُحِطَّمْ طَيْرَانِ العَدُوِّ، بَلْ حَوَّلَهُ إِلَى العَمَلِ
لِصَالِحِنَا. وَلَمْ أَشْهَدْ حَادِثًا مِثْلَ هَذَا بَعْدَ ذَلِكَ. وَلَكِنْ شَاهَدْتُ فِيمَا بَعْدُ كَيْفَ
مَكَّنَّا اللهُ مِنْ تَدْمِيْرِ طَائِرَاتِ العَدُوِّ، وَلِذَلِكَ قِصَصُ أُخْرَى.

بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ بَدَأْنَا فِي تَجْهِيزِ غَارَةِ بَنِيْرَانِ الهَاوِنِ «الغرنائي» المِصْرِي.
اسْتَطْلَعْنَا مَنطِقَةَ «بنو زاي» عِدَّةَ مَرَّاتٍ، لِهَذَا عَبْرْنَا قَرْيَةَ «دَارًا» فِي كُلِّ مَرَّةٍ.
وَيَبْدُو أَنَّ العَدُوَّ شَعَرَ بِذَلِكَ. وَفِي يَوْمٍ تَحَرَّكْنَا لِتَنْفِيْذِ العَمَلِيَّةِ وَأَثْنَاءَ عُبُورِنَا
لِلقَرْيَةِ فُوجِنَا بِمِدْفَعِيَّاتِ العَدُوِّ تَصُبُّ حُمَمَهَا فَوْقَ رُؤُوسِنَا.

كَانَتْ إِرْشَادَاتُ «رَشِيد» السَّرِيعَةَ نَافِعَةً جِدًّا فِي إِفْلَاتِنَا مِنَ الْكَمِينِ. لَقَدْ جَرَى شَرْقًا فَتَبِعْنَاهُ بِسُرْعَةٍ، وَكَانَتْ الْقَدَائِفُ تَنْهَمُرُ أَمَامَنَا وَخَلْفَنَا وَإِلَى جِهَةِ الْعَرَبِ. وَمَا أَنْ أَفْلَتْنَا مِنْ مَنْطِقَةِ النَّيْرَانِ حَتَّى كَانَتْ طَائِرَاتُ الْهَيْلُو كَبَّرَ تَبَحُّثُ عَنَّا. اسْتَمَرَّتْ كَذَلِكَ نِصْفَ السَّاعَةِ ثُمَّ عَادَتْ أَدْرَاجَهَا.

كَانَ تَنْسِيقُ عَمَلِنَا جَيِّدًا؛ فَقَدْ كَانَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ تَحْرُسُ الْمَكَانَ الَّذِي سَوْفَ نَسْتُخْدِمُهُ فِي الرَّمَايَةِ مُنْذُ الصَّبَاحِ، وَمَجْمُوعَةٌ أُخْرَى نَقَلَتْ الْهَائُونَ وَالذَّخَائِرَ عَلَى ظُهُورِ الْبِغَالِ، وَمَجْمُوعَةٌ ثَالِثَةٌ رَافَقَتْ «رَشِيد» إِلَى الْمَوْعِ الْمَنُشُودِ. بَدَأَتْ رِمَايَاتُنَا قُرْبَ الْعِشَاءِ، فَقَدْ اِكْتَشَفْنَا أَنَّ الْمِدْفَعَ مَا زَالَ مُشَحَّمًا وَلَمْ يُنْظَفُوهُ مِنَ الشَّحْمِ قَبْلَ إِحْضَارِهِ. رَدَّ الْعَدُوُّ عَلَيَّ نِيرَانَنَا بِكَثَافَةٍ، وَلَاوَّلَ مَرَّةٍ أَشَاهِدُ الْقَنَابِلَ الْفُسْفُورِيَّةَ، وَقَدْ أَحْرَقَتْ الْجِبَالَ مِنْ خَلْفِنَا.

لَمْ يَسْتَطِعِ الْعَدُوُّ تَحْدِيدَ مَكَانِنَا بِدِقَّةٍ، وَالْأَغْلَبُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ نَسْتُخْدِمُ الْمِدْفَعَ الْجَبَلِيَّ، وَهُوَ أَطْوَلُ مَدَى مِنَ الْهَائُونَ «غَرْنَاي»، لِذَلِكَ كَانَتْ رِمَايَاتُ الْعَدُوِّ خَلْفَنَا بِمَسَافَةٍ كَبِيرَةٍ نَسْبِيًّا. أَظُنُّهَا كَانَتْ الْمَرَّةَ الْأُولَى فِي اسْتِخْدَامِ ذَلِكَ الْهَائُونَ، وَلَمْ أَشَاهِدْهُ بَعْدَهَا فِي يَدِ الْمُجَاهِدِينَ إِلَّا فِي السَّتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ.



مَعَ رَفِيعِ اللَّهِ!!:

رَكِبْنَا شَاحِنَةً عَسْكَرِيَّةً وَتَحَرَّكَتْ بِنَا عَلَى الطَّرِيقِ الْأَسْفَلْتِي لِمُدَّةِ نِصْفِ سَاعَةٍ، ثُمَّ نَزَلْنَا إِلَى أَحَدِ «السَّمَاوَاتِ» عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ قَرْيَةِ «إِبْرَاهِيمِ خَيْلٍ»، حَيْثُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُقَاهِي وَالِدَكَائِينَ الطَّيْنِيَّةِ تُقَدِّمُ خَدَمَاتَهَا لِلْمَسَافِرِينَ وَالْقَوَافِلِ الْعَابِرَةِ. بَعْضُنَا كَانَ مُفْطِرًا فَتَنَاوَلَ الشَّاي الْأَخْضَرَ، وَآخَرُونَ أَنَّهُمْ كُتِبُوا فِي شِرَاءِ بَعْضِ الْبَسْكَوِيَّاتِ الْحَجْرِيَّةِ كَنُوعٍ مِنَ التَّرْفِيهِ عَلَى وَجِبَةِ الْإِفْطَارِ لِلصَّائِمِينَ. كَانَتْ الْقَوَافِلُ الْمُتَّجِهَةُ نَحْوَ الشَّمَالِ أَوْ الْقَادِمَةُ مِنْ هُنَاكَ تَمُرُّ مِنْ هُنَا بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى.

كَانَتْ «سَرَانَا» عَلَى بُعْدِ عِدَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ فَقَطُ إِلَى الْغَرْبِ مِنْ تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامِ. انْتَحَيْتُ جَانِبًا وَتَغَطَّيْتُ بِرِدَائِي حَتَّى أَفُورَ بِقِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ فِي أَحَدِ أَجْنَابِ الدُّكَانِ. لَمْ أَكَدْ أَذْهَبُ فِي غَيْبُوبَةِ النَّوْمِ حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ عَلَى صِيَاحِ «رَشِيدٍ» وَهُوَ يَقُولُ ضَاحِكًا: «يَا إِلَهِي أَنْتَ هُنَا؟». قَالَهَا بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ فَأَذْرَكْتُ أَنَّ أَحَدَ الصَّحْفِيِّينَ الْأُورُوبِيِّينَ مِنَ الَّذِينَ تَعَرَّفُوا عَلَيَّ «رَشِيدًا» قَدْ عَادَ إِلَى هُنَا مَرَّةً أُخْرَى، وَقَدْ أَجَابَ ذَلِكَ الْوَافِدُ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَلَى دَهْشَةِ «رَشِيدٍ» بِتَسَاوُلٍ أَكْثَرَ غَرَابَةً: «يَا إِلَهِي، وَأَنْتَ مَا زِلْتَ حَيًّا؟».

بَعْدَ دَقَائِقَ كُنْتُ أَتَعَرَّفُ عَلَيَّ «رَفِيعِ اللَّهِ»، وَهُوَ مُصَوِّرٌ تِلْفِزِيُونِيٌّ مِنْ أَسْتْرَالِيَا، أَسْلَمَ مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا، وَحَضَرَ مِنْذُ أَشْهُرٍ وَصَوَّرَ فَيْلَمًا عَنِ

المُجَاهِدِينَ وَعَرَضَهُ فِي تِلْفِزْيُونِ بِلَادِهِ فَلَاقَى إِعْجَابًا كَبِيرًا، لَذَا فَقَدْ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى وَمَعَهُ مُصَوِّرٌ آخَرَ جَاءَ لِمُسَاعَدَتِهِ. تَعَرَّفَ «رَفِيعُ اللَّهِ» عَلَى «رَشِيدٍ» أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ السَّابِقَةِ.

فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ أَحْضَرَ لَهُ بَعْضَ الْخَرَائِطِ لِمَنْطِقَةِ «بَاكْتِيَا»، وَزَوْجًا مِنْ أَجْهَزَةِ اللَّاسَلِكِيِّ الصَّغِيرَةِ «ووكي توكي». سَمِعَ «رَفِيعُ اللَّهِ» أَنَّ هُنَاكَ اسْتِعْدَادَاتٍ لِمَعْرَكَةٍ كَبِيرَةٍ فِي «تعمير» غَرْبِ «جَرْدِيز»، وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَبْقَى حَتَّى تَصَوِّرِ الْمَعْرَكَةَ عَلَى شَرْطِ الْأَتَاخِرِ كَثِيرًا.

لَقَدْ أَثَارَ «رَفِيعُ اللَّهِ» فِي نَفْسِي الْكَثِيرَ مِنَ الشُّجُونِ حَوْلَ مِحْوَرِ رَيْسِي وَهُوَ: أَيْنَ الْعَرَبُ؟. فَهَذَا هُوَ «رُوفَائِلُ» الْإِيطَالِي الْأَصْلِ وَالْمُسْلِمُ فَقَطٌ مُنْذُ أَرْبَعَةِ عَشْرَ عَامًا يَنْفَجِرُ حَمَاسًا وَحَيَوِيَّةً لِلْجِهَادِ فِي جِبَالِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَهَذَا هُوَ «رَشِيدٌ» وَالْفِتْيَةُ الْخَمْسَةُ مَعَهُ يُصَارِعُونَ الطَّائِرَاتِ وَالِدَبَّابَاتِ بِحَيَوِيَّةٍ وَحَمَاسٍ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ فِي الْإِعْلَامِ... وَفِي الْقِتَالِ... وَفِي كُلِّ شَيْءٍ؟. لِمَاذَا هَذَا الْمَوَاتُ وَالرُّكُودُ؟ وَالتَّعَامُلُ مَعَ الْجِهَادِ كَمَا يَتِمُّ التَّعَامُلُ السَّلْبِيُّ مَعَ الْمُسْلِمَاتِ التِّلْفِزْيُونِيَّةِ؟. وَمَتَى يُدْرِكُ الْعَرَبُ أَنَّ الْجِهَادَ فِي حَاجَةِ إِلَى الْجُهْدِ وَالِدِّمِ وَالْمَالِ...؟ وَلَيْسَ مُجَرَّدَ بَضْعَةٍ دَرِيهَمَاتٍ تَجْرُحُ كَرَامَةَ الْمُسْلِمِ أَكْثَرَ مِمَّا تُعِينُهُ عَلَى خَوْضِ حَرْبٍ حَقِيقِيَّةٍ.

قَالَهَا لِي مَرَّةً أَحَدُ أَصْدِقَائِي فِي «أَبُو ظَبِي»: «لَقَدْ دَفَعْنَا الْكَثِيرَ لِلْمُجَاهِدِينَ

في أفغانِستان، فأين هي الانتصارات والفتوحات؟»، فسألتُه: «هل حاولت مرةً واحدةً أن تحسب كم يكلفُ اشتباكُ يستغرقُ دقائق معدودةً مع طابورٍ للشُّيوعيين؟». لم يردَّ جوابًا لأنَّهُ لم يكنْ هناك ولو لينصفِ ساعةً.

وحتى نهايةِ الحربِ كانَ القليلُ جدًّا من العَرَبِ [الَّذِينَ أَدْرَكُوا] فِدَاحَةَ التَّكْلِفَةِ المَالِيَّةِ لِلْمَعَارِكِ، فكلَّمَا تَقَدَّمتْ مَرَّاحِلُ الحَرْبِ زَادَتْ تَكْلِفَتُهَا؛ فَالمَعْرَكَةُ فِي بَدَايَةِ الجِهَادِ يُمكنُ خَوْضُهَا بَعْدَهُ طَلَقَاتٍ كَمَا ذَكَرْنَا، وَلَكِنْ فِي وَسْطِ الحَرْبِ حَيْثُ الأَسْلِحَةُ الثَّقِيلَةُ وَالمَجْمُوعَاتُ الكَبِيرَةُ فَلا يُمكنُ مُقَارَنَتُهَا بِمَرَّاحِلِ البَدَايَةِ مِنْ حَيْثُ التَّكْلِفَةُ. أمَّا إِذَا دَخَلَتْ الحَرْبُ مَعْرَكَتَهَا الحَاسِمَةَ وَبَدَأَ المُجَاهِدُونَ مُحَاوَلَاتِ اقْتِحَامِ المُدُنِ، فَتلكَ قِصَّةٌ أُخْرَى لا يَكادُ يَتَصَوَّرُهَا المُسْلِمُ العَادِيٌّ مِنْ حَيْثُ هَوْلِ المَعْرَكَةِ وَلا مِنْ حَيْثُ تَكْلِفَتِهَا.

لِهَذَا نُبَيِّنُ الحَدِيثَ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ حَوْلَ هَذِهِ المَرَّحَلَةِ عِنْدَ حَدِيثِنَا عَنِ فَتْحِ مَدِينَةِ «خُوسْت». وَحَتَّى نَكُونَ مُنْصِفِينَ فَلا بُدَّ مِنَ الاعْتِرَافِ «بِفَضْلِ» الأَنْظِمَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي مَسَحَتْ شَخْصِيَّةَ مُوَاطِنِيهَا، وَأَرْضَعَتْهُمْ الذَّلَّةَ وَالمَهَانَةَ وَالحَوْفَ مَعَ حَلِيبِ أُمَّهَاتِهِمْ.

لَمْ يَكُنْ «رَفِيعُ اللَّهِ» يَخْشَى شَيْئًا عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى بَلَدِهِ أُسْتُرَايَا، وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى شَيْئًا فِي بَاكِسْتَانِ، لَا فِي المَطَارَاتِ وَلا الفَنَادِقِ وَالشُّوَارِعِ. وَهنا نَعْتَرِفُ أَيْضًا أَنَّ الإنسانَ العَرَبِيَّ كَافِرًا أَوْ مُسْلِمًا هُوَ إنْسانٌ حُرٌّ إِلَى دَرَجَةِ

خِيَالِيَّةٍ إِذَا قَارَنَاهُ بِالْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ خَاصَّةً. وَلِنُعْتَرِفَ أَنَّنَا عِنْدَمَا حَضَرْنَا إِلَى
أَفْغَانِسْتَانَ كُنَّا نَتَلَفَّتْ خَلْفَنَا وَحَوْلَنَا وَتَحْتِسِبُ أَنْفَاسُنَا فِي كُلِّ مَحَطَّةٍ لِلْحَرَكَةِ،
فِي الْمَطَارَاتِ وَالطَّرِيقَاتِ. كُنَّا نَتَوَقَّعُ دَوْمًا نَظْرَاتِ الْمُخْبِرِ أَوْ يَدَهُ الثَّقِيلَةَ عِنْدَمَا
نَهْبِطُ كَالْمُصِيبَةِ عَلَى كَيْفِ أَحَدِنَا. لَمْ نَكُنْ نَشْعُرُ بِطَعْمِ الْحُرِّيَّةِ إِلَّا بَعْدَ مُعَادَرَةِ
آخِرِ نَقْطَةٍ عَلَى الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ. كَانَ الْهَوَاءُ يُصْبِحُ أَكْثَرَ إِنْعَاشًا، وَتَخْتَلِفُ
مَنَاطِرُ الْجِبَالِ وَطَعْمُ الْحَيَاةِ، حَتَّى كَسَرَاتِ الْخُبْزِ الْجَافَّةِ تُصْبِحُ لَذِيذَةً وَمُشْبَعَةً.
كُنْتُ أَظُنُّ فِي الْبِدَايَةِ أَنَّ تِلْكَ الْمَشَاعِرَ خَاصَّةً بِي وَحَدِي، حَتَّى وَجَدْتُ أَحَدَ
إِخْوَانِنَا الْعَرَبِ يَتَلَفَّظُ بِهَا كَمَا كَانَتْ تَدُورُ فِي ذَهْنِي تَمَامًا. لَقَدْ كَانَ لِتِلْكَ
الْمَشَاعِرِ أَثْرٌ كَبِيرٌ عَلَى سُلوُكِيَّاتِ وَتَفْكِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي
تَوَافَدَ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ مَدَّةِ الْحَرْبِ. كَانُوا يَكْتَشِفُونَ
أَنْفُسَهُمْ وَمَوَاطِنَ قُوَّتِهَا عِنْدَمَا يَسْتَعِيدُونَ حُرِّيَّتَهُمْ فِي جِبَالِ أَفْغَانِسْتَانَ، فَكَانُوا
أَكْثَرَ بَأْسًا فِي الْقِتَالِ حَتَّى مِنْ الْأَفْغَانِ أَنْفُسِهِمْ. وَكَانُوا أَكْثَرَ غَيْرَةً عَلَى مَصِيرِ
أَفْغَانِسْتَانَ وَعَلَى نَقَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَرْضِهَا، وَعَلَى إِسْلَامِيَّةِ نِظَامِهَا الْقَادِمِ أَكْثَرَ
مِنْ مُعْظَمِ الْأَفْغَانِ، بَلْ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ الظَّرْفُ الرَّاهِنُ وَقَتُّهَا، وَأَكْثَرَ مِنْ طَاقَةِ
الْأَفْغَانِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّطْبِيقِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا رَيْسِيًّا - فِيمَا أَعْتَقَدُ -
مِنْ أَسْبَابِ الْفَجْوَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْأَفْغَانِ، وَتَطَرَّفِ الْمَوَاقِفِ
الْعَرَبِيَّةِ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ. «رَفِيعُ اللَّهِ» الْحُرُّ الطَّلِيْقُ ذَكَرَنِي بِعُبُودِيَّتِنَا لِلْحُكَّامِ
وَالْأَنْظِمَةِ، كُنْتُ أُرْتِي لِحَالِي وَحَالِ إِخْوَانِي.

قَضِينَا الْعَدِيدَ مِنْ لِيَالِي رَمَضَانَ دَاخِلَ خَيْمَتِنَا التَّارِيخِيَّةِ عَلَى ظَهْرِ الْجَبَلِ
«الْحَائِطِ»، قَضِينَاهَا فِي الْحَدِيثِ الثَّلَاثِيِّ بَيْنِي وَبَيْنَ «رَشِيدٍ» وَ «رَفِيعِ اللَّهِ»، أَمَّا
الْمُصَوِّرُ الْآخَرُ - وَقَدْ كَانَ نَصْرَانِيًّا - فَقَدْ كَانَ يُفَضِّلُ النَّوْمَ أَوْ الصَّمْتَ. حَكَى
لَنَا «رَفِيعُ اللَّهِ» عَنْ عَمَلِهِ التَّلْفِيزِيِّ وَأُسْرَتِهِ وَمَزْرَعَتِهِ الصَّغِيرَةِ وَالْحَيْلِ الَّتِي
يُرَبِّيهَا وَعِشْقِهِ لِلْفُرُوسِيَّةِ. رَأَيْتُ فِيهِ إِنْسَانًا شُجَاعًا وَنَبِيلًا وَذَكِيًّا لَا يَتَلَوَّنُ أَوْ
يُخَادِعُ.

لَمْ نَلْبَثْ إِلَّا عِدَّةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَحَوَّلْنَا إِلَى «شَاهِي كُوتٍ»، وَهِيَ قَرْيَةٌ سَاحِرَةٌ
جَنُوبَ وَادِي «زُورَمَاتٍ» وَمُقَابِلَةَ تَمَامًا لِمَرْكَزِ «تَعْمِيرِ» الْهَدَفِ الْقَادِمِ
لِلْمُجَاهِدِينَ. «شَاهِي كُوتٍ» قَرْيَةٌ جَبَلِيَّةٌ وَلَكِنَّهَا وَفِيرَةٌ الْمِيَاهِ وَأَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ،
وَذَاتَ جَمَالٍ يَطُولُ وَصْفُهُ وَيَطُولُ وَصْفُهَا. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّهَا إِحْدَى الْجَنَّاتِ
الْمَجْهُولَةِ الَّتِي تَزْخُرُ بِهَا أَفْغَانِسْتَانُ. بُيُوتُهَا جَمِيعًا طَالَهَا الدَّمَارُ الْكَامِلُ أَوْ
الْجُزْئِيُّ. كَانَتْ أَشْجَارُ التُّوتِ وَالْمَشْمَشِ تَمَلَأُ الطَّرِيقَاتِ الضَّيْقَةَ وَأَفْنِيَةَ الْبُيُوتِ
الْمَهْجُورَةِ. وَكَمِّيَّاتٌ هَائِلَةٌ مِنَ الثَّمَارِ مَطْرُوحَةٌ أَرْضًا لَا تَجِدُ مَنْ يَلْتَقِطُهَا.
وَجَدْنَا فِي الْقَرْيَةِ أُسْرَةً وَاحِدَةً فَقَطْ. مُجَاهِدٌ وَاحِدٌ مَعَ زَوْجَتِهِ وَطِفْلٍ وَطِفْلَةٍ،
كِلَاهُمَا تَحْتَ السَّادِسَةِ مِنَ الْعُمْرِ، يَقِفَانِ فِي دُهُولٍ وَسَطِ الطَّرِيقَاتِ الْمُقْفَرَةِ
وَالْحُقُولِ الْمَلِيئَةِ بِالْأَعْشَابِ الْبَرِّيَّةِ الْمُوحِشَةِ.

كَانَ مَنْظَرُ الطِّفْلَيْنِ لَا يَقِلُّ وَحِشَةً وَحُزْنًا عَنْ مَنْظَرِ الْقَرْيَةِ الْمُدْمَرَةِ. تَخَيَّلْتُ

هَذَا الْمَكَانَ قَبْلَ الْحَرْبِ، وَكَمْ كَانَ مَرْحُ الْأَطْفَالِ وَسَعَادَتُهُمْ فِي وَسْطِ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ الظِّلِيلَةِ وَجَدَاوِلِ الْمَاءِ الَّتِي تَرْوِي الْعَطَشَ وَلَا يَرْتَوِي مِنْهَا النَّظْرُ. تَخَيَّلْتُ أَطْفَالِي لَوْ جَاءُوا مَعِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ. تَبَسَّمْتُ لِهَذَا الْخَاطِرِ كَمْ سَتَكُونُ صُعُوبَةً أَنْ أَجْمَعَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ فَوْقِ الْأَشْجَارِ وَجَدَاوِلِ الْمَاءِ، وَحَتَّى مِنْ الْحُقُولِ الْمَهْجُورَةِ ذَاتِ الْأَعْشَابِ الْوَحْشِيَّةِ.

زَارْنَا «جَلَالُ الدِّينِ» فِي الْقَرْيَةِ، وَعَقَدَ جَلْسَةَ سُورَى مُوسَعَةً مَعَ مُجَاهِدِي الْمَنْطِقَةِ وَمَا تَبَقِيَ مِنَ السُّكَّانِ، وَأَخْبَرَنِي عَنْ وَفْدٍ ذَهَبَ إِلَى بَاكِسْتَانِ كَيْ يُقْنَعَ أَهْلِي «شاهي كوت» بِالْعُودَةِ التَّدْرِيجِيَّةِ عَلَى أَنْ يَعُودَ الرِّجَالُ أَوَّلًا مَعَ بَعْضِ النِّسَاءِ لِرِزَاعَةِ الْأَرْضِ.

أَفْلَحَتْ مَجْهُودَاتُ التَّسَبُّثِ بِالْأَرْضِ لِفَتْرَةٍ مَحْدُودَةٍ ثُمَّ انْهَارَتْ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا. وَقَدْ عُدْتُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى «شاهي كوت» عَامَ ١٩٨٨ م وَكَلِمَ أَجِدُ فِيهَا سِوَى الْمُجَاهِدِينَ فَقَطْ، وَبِدُونِ أَثَرٍ لِحَيَاةِ مَدِينَةِ لِلْسُّكَّانِ. إِنَّهَا سِيَاسَةٌ الْأَرْضِ الْمَحْرُوقَةِ، وَتَفْرِيعِ الْأَرْضِ مِنَ السُّكَّانِ، وَالَّتِي تَكَانَفَ عَلَى تَنْفِيذِهَا السُّوْفِيَّةُ وَقَادَةُ الْأَحْزَابِ فِي «بِيشاور» مَعَ «مُنْظَمَاتِ الْإِغَاثَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ» بِسِيَاسَاتِهَا الْخَبِيثَةِ.

بِالتَّدْرِيجِ بَدَأَتْ تَتَّصِحُ فِكْرَةُ الْهُجُومِ عَلَى مَرَكِزِ «تَعْمِيرِ». وَكَمَا ذَكَرْنَا فَإِنَّ الرُّوحَ الْمَعْنَوِيَّةَ كَانَتْ فِي قَمَّتِهَا؛ فَضْرَبَاتُ الْمُجَاهِدِينَ نَاجِحَةٌ بِاسْتِمْرَارٍ،

وَالْمُبَادَرَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ فِي يَدِهِمْ دَائِمًا، وَالْعَدُوُّ فِي حَالَةِ إِحْبَاطٍ وَهَجْمَاتُهُ فَاشِلَةٌ،
وَسِلَاحُهُ الْجَوِّيُّ يَبْدُو كَأَنَّهُ فَقَدَ تَأْثِيرَهُ حَتَّى تَعَوَّدَ النَّاسُ عَلَى الْإِفْلَاتِ مِنْهُ
وَتَحْمَلُ تَوَاجِدِهِ كَضَيْفٍ ثَقِيلٍ، ضَارًّا أَحْيَانًا.

عُقِدَتِ الْعَدِيدُ مِنْ جَلَسَاتِ الشُّورَى دَاخِلَ بِيُوتِ «شَاهِي كُوتِ» الْمُدْمَرَةِ،
تَمَتَّعْتُ خِلَالَهَا بِأَكْلِ أَكْبَرِ وَأَشْهَى كَمِيَّةٍ مِنْ فَاكِهَةِ الْمِشْمِشِ وَالثُّوتِ. كُنْتُ
مَسْرُورًا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، لَيْسَ مِنْ أَجْلِ الْفَاكِهَةِ فَقَطُّ، وَلَكِنْ لِكَوْنِي
أَرَى اتِّحَادًا حَقِيقِيًّا بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ، اتِّحَادًا يَتَخَطَّى الْقَبِيلَةَ وَالْحِزْبَ. لَمْ أَكُنْ
وَإِهْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَدْ أَثْبَتَتْ مَعْرَكَةُ «تَعْمِيرِ» أَنَّ مَا كُنْتُ أَرَاهُ كَانَ حَقِيقَةً؛
فَالْمَعْرَكَةُ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ رَائِعَةٍ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ تَحَدٍّ لِلسُّوفِيَّةِ فِي «بَاكْتِيَا».
الْقِتَالُ كَانَ فِي مُتَّصِفِ وَاوِي «زورمات» فَسِيحِ الْأَرْجَاءِ، حَيْثُ الْغَلْبَةُ
الْعَسْكَرِيَّةُ لِمَنْ يُسَيِّطِرُ عَلَى الْجَوِّ وَيَمْتَلِكُ الدَّبَابَاتِ. الْمَعْرَكَةُ أَثْبَتَتْ الْعَكْسَ،
الْكِفَّةُ كَانَتْ لِ «الْمُسْلِمِينَ الْمُتَّحِدِينَ» الشُّجْعَانَ الْفِدَائِيِّينَ.

رُبَّمَا كَانَتْ مَعْرَكَةُ «زورمات» سَبَبًا فِي وُقُوعِي فِي خَطَأٍ فَادِحٍ فِي حِسَابَاتِي
الْأَفْغَانِيَّةِ؛ فَقَدْ ظَلَلْتُ أَعْتَقِدُ حَتَّى لَحْظَةٍ فَتَحِ «كَابُلِ» أَنَّ هُنَاكَ قُوَّةَ خَفِيَّةً
مُخْلِصَةً وَمُتَّحِدَةً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ سَوْفَ تَلْتَقِي فِي اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ،
وَتَقْرِضُ حَلًّا إِسْلَامِيًّا فِي أَفْغَانِسْتَانَ رُغْمًا عَنِ الْأَحْزَابِ وَمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ تَدَخُّلِ
أَجْنَبِيٍّ صَلِيبِيٍّ يَهُودِيٍّ فِي شُؤُونِ أَفْغَانِسْتَانَ. كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَهْمُ الْأَكْبَرُ الَّذِي

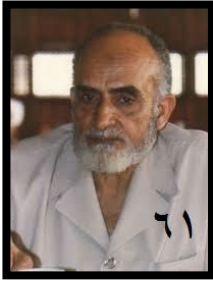
ظَلَّ يَلْزُمُنِي. وَأُظْنُهُ كَانَ أَكْبَرَ أخطاءِي فِي تِلْكَ السَّنَوَاتِ، وَمِنْ فَوَائِدِ ذَلِكَ الْوَهْمِ أَنْ سَاعَدَنِي عَلَى الْإِحْتِفَاطِ بِمَعْنَوِيَّاتٍ عَالِيَةٍ حَتَّى فِي أَحْلَاكِ الطُّرُوفِ.

تَجَمَّعَ قَادَةُ الْمَجْمُوعَاتِ فِي أَيَّامِ وَلِيَالِي رَمَضَانَ يَتَنَاقَشُونَ، وَتَجَمَّعَتِ الْإِمْكَانَاتُ وَكَانَتْ الْحَصِيلَةُ مُدْهَلَةً بِمِقْيَاسِ ذَلِكَ الْوَقْتِ. تَجَمَّعَتْ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ سِتُّ دَبَابَاتٍ إِضَافَةً إِلَى عِدَّةِ مَدَافِعِ مِيدَانِ عِيَارِ ١٢٢ مِمَّ وَمَدَافِعِ جَبَلِيَّةِ عِيَارِ ٧٦ مِمَّ، إِضَافَةً إِلَى عَدَدِ كَبِيرٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ شَارِكُوا فِي [الْعَمَلِيَّةِ].

لَقَدْ تَأَخَّرَ الْإِتِّفَاقُ كَثِيرًا وَلَمْ تُنْفَذِ الْعَمَلِيَّةُ إِلَّا بَعْدَ عِيدِ الْأَضْحَى، وَانْتِهَاءِ جَمِيعِ الْمُنَاسَبَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي تَسْتَدْعِي إِجَازَةً إِجْبَارِيَّةً مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ حُضُورَهَا. وَأَبْلَغَنِي «رَشِيدٌ» بِنَتَائِجِهَا [هَاتِفِيًّا]، كَمَا تَلَقَّيْتُ رِسَالَةً كِتَابِيَّةً مِنْ «حَقَّانِي» حَوْلَ نَتَائِجِ الْمَعْرَكَةِ. بَعَثْتُ بِهَا إِلَى جَرِيدَةِ «الْإِتِّحَادِ» مَعَ شَرْحِ مُوجِزٍ لِأَهْمِيَّةِ نَتَائِجِ الْمَعْرَكَةِ وَالتَّحَدِّيَّاتِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا.

لَقَدْ تَرَكْتُ تِلْكَ الْمَعْرَكَةَ تَأْكِيدًا فِي نَفْسِ مَنْ حَاضَوْهَا بِأَنَّ الرُّوسَ قَابِلُونَ تَمَامًا لِلْهَزِيمَةِ. وَهِيَ نَتِيجَةُ كَانَ مِنَ الْعَسِيرِ إِفْنَاعِ النَّاسِ بِهَا، فَبَقِيَتْ حِكْرًا عَلَى الْمُقَاتِلِينَ فَقَطْ. لِذَلِكَ اخْتَلَفَتْ كَثِيرًا حِسَابَاتُ خُطُوطِ الْقِتَالِ مَعَ حِسَابَاتِ «بِشَاوَرٍ» وَالْمُتَعَاوِنِينَ مَعَهَا. وَأُظْنِي تَبَيَّنَتْ وَجْهَةَ النَّظَرِ الْأُولَى وَتَصَادَمَتْ بِشِدَّةٍ مَعَ مُعْتَنِي الرِّأْيِ الْبِشَاوَرِيِّ.

كَوْنَتْ رَأْيًا مَفَادُهُ أَنَّ الْمُسَاعَدَاتِ يَجِبُ أَنْ تُصَبَّ مُبَاشَرَةً فِي الدَّخْلِ، وَأَنْ يَتَوَاجَدَ الْمُتَطَوِّعُونَ الْعَرَبُ هُنَاكَ كَيْ يَقُومُوا بِمِهْمَةٍ مُزْدَوَجَةٍ، فَمِنْ جِهَةٍ يُسَاعِدُونَ عَلَى إِقَامَةِ اتِّحَادٍ حَقِيقِيٍّ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ الْحَقِيقِيِّينَ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يُنْظِمُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيُقَاتِلُونَ إِلَى جَانِبِ إِخْوَانِهِمُ الْأَفْغَانَ. وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ دَوْرَ «الإخوان» مَا زَالَ ضَرْوْرِيًّا لِتَنْظِيمِ الْعَمَلِ الْعَرَبِيِّ نَفْسِهِ، وَلَمْ أَجِدْ أَمَامِي بَدِيلًا عَنِ «الإخوان»؛ فَتَابَعْتُ الْجَزِيَّ خَلْفَ ذَلِكَ السَّرَابِ حَتَّى أَفْقْتُ عَلَى ضَرْبَاتٍ مُؤَلِّمَةٍ فَوْقَ رَأْسِي مِنْ «الإخوان» أَنْفُسِهِمْ، أَعَادَتْ إِلَيَّ إِبْصَارِي مِنْ جَدِيدٍ، وَفَهَمْتُ بَعْضًا مِنْ حَقَائِقِ الْحَيَاةِ الْمُؤَلِّمَةِ.



وَلَمْ أُسْتَرِدِّ وَعَيْبِي إِلَّا فِي عَامِ ١٩٨٤ م بَعْدَ لِقَاءِ لِي فِي «بِشَاوَر» مَعَ الْأُسْتَاذِ «مُصْطَفَى مَشْهُور»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٦١]، وَهُوَ مِنْ قِيَادَاتِ «الإخوان» فِي مِصْرَ. لَقَدْ أَفْنَعْنِي الرَّجُلُ تَمَامًا أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ ٤٨ وَ ٨٤، إِنَّهُ تَبَدُّلٌ كَامِلٌ لِمَوَاقِعِ

(١) مُصْطَفَى مَشْهُور: الْمُرْشِدُ الْخَامِسُ لِجَمَاعَةِ «الإخوان المُسْلِمِينَ»، وُلِدَ فِي مُحَافَظَةِ «الشَّرْقِيَّةِ» بِمِصْرَ فِي ١٥ سِبْتَمْبَرِ ١٩٢١ م، تَخَرَّجَ فِي كَلِّيَّةِ الْعُلُومِ بِجَامِعَةِ «القَاهِرَةِ» فِي ١٩٤٢ م. اِعْتُقِلَ بَعْدَ أَحْدَاثِ ١٩٥٤ م، وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ، ثُمَّ اِعْتُقِلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي عَامِ ١٩٦٥ م إِلَى أَنْ أُفْرَجَ عَنْهُ فِي عَهْدِ الرَّئِيسِ «أَنْوَرِ السَّادَاتِ». تَوَلَّى مَنَصِبَ الْمُرْشِدِ الْعَامِّ خَلْفًا لـ «مُحَمَّدِ حَامِدِ أَبُو النَّصْرِ» فِي عَامِ ١٩٩٦ م.

الأزقَام، وَتَبْدِيلُ كَامِلٍ لَيْسَ لِمَوَاقِفِ «الإِخْوَانِ»، بَلْ لِ «الإِخْوَانِ» أَنْفُسِهِمْ.

شَتَانِ شَتَانِ بَيْنَ إِخْوَانِ ١٩٤٨ م، أَوْلَيْكَ الأَبْطَالُ المُجَاهِدُونَ، وَإِخْوَانِ ١٩٨٤ م أَصْحَابِ الدَّوْرِ المُتَوَاضِعِ فِي رِكَابِ القُوَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ المُهَيِّمَةِ عَلَى شُؤُونِ العَالَمِ. لَقَدْ قَامَ «الإِخْوَانُ» بِالدَّوْرِ الَّذِي يُنَاسِبُ مُوَهَّلاتِهِمُ الحَالِيَّةَ. قَامُوا بِهِ فِي سُورِيَا ثُمَّ فِي أَفْغَانِسْتَانِ فِي عَقْدِ الثَّمَانِيَّاتِ. بَاعُوا قَضِيَّتَيْنِ جِهَادِيَّتَيْنِ لِحِسَابِ السِّيَاسَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ. وَيَا لَهُ مِنْ دَوْرٍ إِسْلَامِيٍّ لِلجَمَاعَةِ التَّارِيخِيَّةِ الأُمِّ!!

عَنْ مَعْرَكَةِ «تَعْمِيرِ» مَرَّةً أُخْرَى، اسْتَمَرَّتِ المَعْرَكَةُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ مُتَوَاصِلَةً، حُوصِرَ فِيهَا المَوْقِعُ، وَحَاوَلَتْ قُوَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ مِنْ «جَرْدِيزِ» القَرِيبَةِ أَنْ تَفْكَ الحِصَارَ فَأَوْقَعَهَا المُجَاهِدُونَ فِي كَمِينٍ وَدَمَّرُوهَا. وَاسْتَمَرَّتِ المَعْرَكَةُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ إِضَافِيَّةً فَتَحَ فِيهَا المَرْكَزُ. وَأَمَامِي الآنَ قَائِمَةُ الغَنَائِمِ، وَكَانَتْ: دَبَابَتَيْنِ سَلِيمَتَيْنِ مِنْ طِرَازِ «تِي ٥٤»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٦٢] وَمِدْفَعَيْنِ مِنْ عِيَارِ ٧٦ مم، مَعَ ٣

(١) الدَّبَابَةُ تِي - ٥٤: دَبَابَةٌ رُوسِيَّةٌ الصُّنْعُ، أُنتِجَ النَّمُودَجُ الأَوَّلُ مِنْهَا عَامَ ١٩٤٦ م بَعْدَ إِجْرَاءِ تَعْدِيلَاتٍ عَلَى الدَّبَابَةِ تِي - ٤٤ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ فِي الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ. دَخَلَتْ الخِدْمَةَ فِي عَامِ ١٩٥٠ م، وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ الدَّبَابَاتِ المُتَوَسِّطَةِ. طُولُهَا ٦.٠٤ مِتر، وَعَرْضُهَا ٣.٢٧ مِتر، وَارْتِفَاعُهَا ٢.٤٠ مِتر، وَتَسَعُ لِأَرْبَعِ أَفْرَادٍ. سُمْكُ دِرْعِهَا ٩٩ مم، وَسِلَاحُهَا الأَسَاسِيُّ مِدْفَعٌ ١٠٠ مم، وَرَشَّاشَانِ ٧.٦٢ مم.

رَشَاشَاتٍ ثَقِيلَةٍ مِنْ طِرَازٍ «دُوشْكَا»، وَ ٧ صَنَادِيقَ قَنَابِلٍ يَدَوِيَّةٍ، وَ ١٢٢ أَلْفَ طَلَقَةٍ كِلَاشِنْكُوفَ، وَ ٦ رَشَاشَاتٍ خَفِيفَةٍ مَعَ عِدَّةِ سَيَّارَاتٍ مُحَمَّلَةٍ بِالْأَغْذِيَةِ وَالْمَلَابِسِ الشُّتَوِيَّةِ، [وَقَدْ] كَانَ الشُّتَاءُ عَلَى الْأَبْوَابِ. وَقَدْ جُرِحَ «حَقَّانِي» فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَمَعَهُ ٤٤ جَرِيحًا آخَرَ. أَمَّا عَدَدُ الشُّهَدَاءِ فَكَانَ ثَلَاثَ عَشَرَ شَهِيدًا.



اسْتَمَرَ الْمُجَاهِدُونَ فِي وَادِي «زُورْمَات» أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ قَبْلَ وَبَعْدَ الْعَمَلِيَّاتِ، وَقَطَعُوا تَمَامًا الطَّرِيقَ بَيْنَ «جَرْدِيز» وَ «غَزْنِي»، وَقَطَعُوا أَيْضًا اتِّصَالَ «جَرْدِيز» مَعَ «كَابُل»، أَيْ أَنَّ «جَرْدِيز» قَضَتْ فِتْرَةً مِنَ الْحِصَارِ الْبَرِّيِّ الْكَامِلِ. وَفَشَلَ الرُّوسُ فِي تَطْهِيرِ وَادِي «زُورْمَات» الْفَسِيحِ طَوَالَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ، بَلْ فَشَلُوا فِي صَدِّ هَجَمَاتِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى مَوَاقِعَ رَيْسِيَّةٍ فِي ذَلِكَ الْوَادِي، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا مَرَكُزُ «تَعْمِير».

هَلْ كَانَ ذَلِكَ يَعْنِي شَيْئًا آخَرَ سِوَى أَنَّ السُّوفِيَّةَ لَيْسُوا سِوَى نُمُورٍ مِنْ وَرَقٍ، وَأَنَّهُمْ قَابِلُونَ لِلْهَزِيمَةِ؟، لَقَدْ وُلِدَتْ فِي «تَعْمِير» وَتَرَعَرَعَتْ فِكْرَةٌ فَتَحَ الْمُدُنَ الْكَبِيرَةَ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَيْفًا شَاحِبًا قَبْلَهَا، أَصْبَحَتْ بَعْدَ «تَعْمِير» فِكْرَةً مَعْقُولَةً. لَمْ تَبَارِحْ تِلْكَ الْفِكْرَةُ الطَّمُوحَةَ ذَهْنَ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي». وَسَوْفَ نَتَحَدَّثُ عَنْ نُمُورِ تِلْكَ الْفِكْرَةِ وَتَطَوُّرِهَا فِي بَرَامِجِ الْعَسْكَرِيَّةِ حَتَّى حَقَّقَ أَكْبَرَ

إِنجَازِ عَسْكَرِيٍّ فِي حَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ مُتَمَثِّلًا فِي فَتْحِ مَدِينَةِ «خُوسْت».

هَذَا الْكَلَامُ يَتَعَلَّقُ كَثِيرًا بِمَا ذَكَرَهُ «مُحَمَّدُ يُوسُفُ» فِي كِتَابِهِ «فَتْحُ الدُّبِّ»،
وإِدْعَاءَاتِهِ كَضَابِطِ مُخَابَرَاتٍ بِأَنَّ أَفْكَارَ الدَّفَاعِ الثَّابِتِ عَنِ الْقَوَاعِدِ
الِإِسْتِرَاطِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ كَانَتْ فِكْرَتَهُ، وَأَنَّهُ سَانَدَ مَشْرُوعًا لِلهُجُومِ عَلَى
«خُوسْت» عَامَ ١٩٨٥ مَ قَامَ بِهِ الْمُجَاهِدُونَ وَلَكِنَّهُ تَكَلَّلَ بِالْفَشْلِ. وَسَوْفَ
نَتَعَرَّضُ لِكُلِّ ذَلِكَ فِي حِينِهِ.



عَامَ ١٩٨٢ م

التَّحَوُّلُ نَحْوَ «خُوسْت»... وَالطَّرِيقُ إِلَى «جَاوَر»

ظَهَرَتْ أَهْمِيَّةُ «بَاكْتِيَا» أَمَامَ نَاطِرِيَّ بِالتَّدرِيجِ، لَيْسَ فَقَطُ مِنْ خِلَالِ
 المَعَايشَةِ المِيدَانِيَّةِ، لَكِنْ مِنْ خِلَالِ مُنَاقَشَاتِ مُطَوَّلَةٍ مَعَ ثَلَاثِ شَخْصِيَّاتٍ لَهَا
 ثِقَلُهَا العَسْكَرِيُّ وَالفِكْرِيُّ، وَهُمُ «جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي» وَمَا يُمَثِّلُهُ مِنْ ثِقَلِ دِينِي
 وَعَسْكَرِيٍّ وَسِيَاسِيٍّ دَاخِلِ «بَاكْتِيَا» وَمَا حَوْلَهَا، وَالرَّائِدُ «رَشِيدُ» الَّذِي قَابَلْتُهُ
 عَامَ ١٩٨١ م، وَقَدْ كَانَ رَجُلَ عِصَابَاتٍ بِفِطْرَتِهِ وَدِرَاسَتِهِ، ثُمَّ الرَّائِدُ «جولزراك»
 المُدْرَسُ السَّابِقُ بِالكَلِيَّةِ الحَرْبِيَّةِ فِي «كَابُل»، وَالَّذِي عَمِلَ لِفَتْرَةٍ مُسْتَشَارًا
 عَسْكَرِيًّا وَمُسَاعِدًا مِيدَانِيًّا مَعَ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»، وَأظُنُّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ فَنَرَاتِ
 حَيَاتِهِ العَسْكَرِيَّةِ حُصُوبَةً وَثِرَاءً. وَقَدْ انْتَهَتْ تِلْكَ الفَتْرَةُ عَامَ ١٩٨٥ م عِنْدَمَا
 التَّحَقَّ «جولزراك» بِالجِهَازِ العَسْكَرِيِّ لِلاتِّحَادِ الإِسْلَامِيِّ لِمُجَاهِدِي
 أَفْغَانِسْتَانَ الَّذِي يَقُودُهُ «سَيَّاف» حَيْثُ دُفِنَ «جولزراك» كَرَجُلٍ عَسْكَرِيٍّ،
 وَتَحَوَّلَ إِلَى العَمَلِ البِيرُوقْرَاطِيِّ فِي «بِشَاوَر».

وَحَيْثُ أَنَّ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةَ تَتَعَامَلُ غَالِبًا مَعَ الثَّوَابِتِ، خَاصَّةً الثَّوَابِتُ
 الجُغْرَافِيَّةُ الَّتِي يَصْنِفُهَا البَعْضُ بِأَنَّهَا المَادَّةُ الخَامُ لِلإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا
 أَنْ أَجِدَ تَأْكِيدًا لِأَهْمِيَّةِ «بَاكْتِيَا» فِيمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ «فِخُّ الدُّبِّ» مُضَافًا إِلَيْهَا
 أَرْقَامَ ذَاتِ دَلَالَاتٍ عَنِ نِسْبَةِ الإِمْدَادَاتِ الَّتِي ضَخَّطَتْهَا المُخَابِرَاتُ البَاكِسْتَانِيَّةُ

عَبْرَتِكَ الْمُحَافَظَةَ. لَذَا فَقَدْ شَهِدْتَ «بَاكْتِيَا» عَدَدًا مِنْ أَعْظَمِ مَعَارِكِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي أَدْعِي بِأَنَّ مَصِيرَ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ قَدْ تَحَدَّدَ فِي مُعْظَمِهِ فَوْقَ جِبَالِهَا الْعَتِيدَةِ وَعَلَى أَيْدِي مُجَاهِدِيهَا مِنْ رِجَالِ الْقَبَائِلِ الْأَشْدَاءِ وَقَادَتِهَا الْأَفْدَاذِ. وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ التَّنَبُّأً بِذَلِكَ مِنْذُ سَنَوَاتٍ مُبَكَّرَةٍ جِدًّا مِنَ الْحَرْبِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي أَحَدِ التَّقَارِيرِ الْمِيدَانِيَّةِ الَّتِي نَشَرْتَهَا جَرِيدَةُ الْإِتِّحَادِ فِي ١٠/١٢/١٩٨٢ م حَيْثُ وَرَدَتْ فِقْرَةٌ أَفْرَأُهَا الْآنَ وَأَشْعُرُ بِالِاسْتِعْرَابِ لِكُونِهَا وَرَدَتْ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ الْمُبَكَّرَةِ، فَكَانَتْ مِثْلَ النُّبُوءَةِ الَّتِي سَبَقَتْهَا إِزْهَاصَاتُ كَانَتْ وَاضِحَةً لِلْبَعْضِ وَأَغْمَضَ كَثِيرُونَ أَعْيُنَهُمْ أَوْ أَهَالُوا عَلَيْهَا التُّرَابَ لِأَسْبَابٍ عَدِيدَةٍ.

تَقُولُ عِبَارَةً فِي ذَلِكَ التَّقْرِيرِ: «خُوسْت... اسْمٌ لِمَدِينَةٍ أَفْغَانِيَّةٍ كَبِيرَةٍ تَقَعُ عَلَى الْحُدُودِ الْجَنُوبِيَّةِ الْمُلاصِقَةِ لِبَاكِسْتَانَ، وَهِيَ غَيْرُ مَشْهُورَةٍ فِي الْخَارِجِ شُهْرَةً وَادِي «بَانَشِير» أَوْ نَفَقِ «سَالَانَج»، وَلَكِنَّهَا بِتَوَاضُعٍ جَمٍّ تَبْدُو وَكَانَتْهَا سَيَتَحَدَّدُ فِيهَا جَانِبٌ كَبِيرٌ مِنْ مَصِيرِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَبَعِيدًا عَنِ الْأَضْوَاءِ تَجْرِي هُنَاكَ أَشْرَسُ مَعَارِكِ صِرَاعِ الْبَقَاءِ».

وَأُظَنُّهَا أَحَدَ النِّقَاطِ الْهَامَّةِ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ، أَلَا وَهِيَ إِقْدَاءُ بَعْضِ الضُّوئِ مِنْ قَرِيبٍ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْمَعَارِكِ. وَالتَّيَّجَةُ الْمُتَرْتَبَةُ عَلَى ذَلِكَ إِثْبَاتُ أَنَّ النِّظَامَ الشُّيُوعِيَّ قَدْ انْهَارَ بِفِعْلِ الْمَعَارِكِ الَّتِي دَارَتْ فِي «بَاكْتِيَا»، خَاصَّةً مَعْرَكَةَ

فَنَحِ «خُوسْت» الَّتِي دَمَّرَتِ النَّظْرِيَّةَ الْأُمْنِيَّةَ لِلنِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ، فَاِنْهَارَ بَعْدَ عَامٍ تَقْرِيْبًا مِنْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ.

لَقَدْ حَاوَلَ الْبَعْضُ الطَّعْنَ فِي تَقْسِيمِنَا لِأَهْمِيَّةِ «بَاكْتِيَا»، وَمُنَادَاتِنَا الْمُبَكِّرَةَ بِضُرُورَةِ مُسَانَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِيهَا بِاعْتِبَارِهَا «الْبَوَابَةُ الصَّخْرِيَّةُ» لِأَفْغَانِسْتَانَ. وَحَاوَلَ «سِيَّافٌ» أَنْ يَطْعَنَ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَصَوَّرَ لِاتِّبَاعِهِ مِنَ الْعَرَبِ أَنَّ ذَلِكَ التَّقْسِيمَ نَابِعٌ مِنْ صِدَاقَتِي مَعَ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»، وَأَنَّهَا مُجَرَّدُ آرَاءٍ شَخْصِيَّةٍ. وَلَكِنَّ «سِيَّافٌ» عِنْدَمَا حَاوَلَ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ مُجَدًّا عَسْكَرِيًّا لَمْ يَجِدْ سِوَى «بَاكْتِيَا»، فَكَانَتْ قِصَّتُهُ مَعَ «جَاغِي»، ثُمَّ اسْتَدْرَجَ التَّوَّاجِدِ الْعَرَبِيِّ إِلَى «جَاغِي»، الَّذِي نَتَجَ عَنْهُ مَعَارِكُ «جَاغِي» الْعَرَبِيَّةَ عَامَ ١٩٨٧م، وَبُرُوزُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» عَلَى مَسْرَحِ الْأَحْدَاثِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَمَا تَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ [الظُّهُورِ] مِنْ تَطَوُّرَاتٍ أَفْغَانِيَّةٍ وَغَيْرِ أَفْغَانِيَّةٍ.

لَقَدْ كَانَتْ «بَاكْتِيَا» هِيَ مَحْضِنُ التَّوَّاجِدِ الْعَرَبِيِّ الْحَقِيقِيِّ عَلَى السَّاحَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَفَرَضَتْ ذَلِكَ حَتْمِيَّاتُ الْجُغْرَافِيَا أَكْثَرَ مِنَ الْقَنَاعَاتِ وَالِدِّرَاسَاتِ الَّتِي لَمْ تَكَدْ تَظْهَرُ فِي أَوْسَاطِ الْعَرَبِ الْمُجَاهِدِينَ. وَأَظُنُّ أَنَّ مَا كَتَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ سِوَاءَ فِي الصُّحُفِ، مِثْلَ «الْإِتِّحَادِ» وَغَيْرِهَا، أَوْ التَّقَارِيرِ الْخَاصَّةِ الَّتِي وَزَعْتُهَا عَلَى بَعْضِ الْمُهْتَمِّينَ وَالْأَصْدِقَاءِ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ يُذَكِّرُ عَلَى مَسِيرَةِ الْحَرَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ، نَاهِيكَ عَنِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَلَكِنَّ تَحْرُكَنَا

الصَّغِيرِ ظَلَّ مُلْتَزِمًا بِقُوَّةِ بَيْتِكَ النَّظْرَةَ، وَأَحْرَزَ بَعْضَ الْإِجَابِيَّاتِ وَالنَّجَاحَاتِ عَلَى سَاحَةِ «بَاكْتِيَا» الْعَسْكَرِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِيمَا بَعْدَ.

وَقَبْلَ أَنْ نُسْتَعْرِضَ بَعْضَ الْكِتَابَاتِ حَوْلَ «بَاكْتِيَا»، أَحَدُهَا تَقْرِيرٌ كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُهُ عَامَ ١٩٨٤ م، وَبَعْضُهَا فَقْرَاتٌ وَرَدَّتْ فِي كِتَابِ «فُحْ الدُّبِّ»، قَبْلَ ذَلِكَ نَمُرُّ عَلَى بَعْضِ الْمَحَطَّاتِ فِي عَامِي ١٩٨٢ م وَ ١٩٨٣ م حَيْثُ أَنَّ الْحَدِيثَ عَنْ «بَاكْتِيَا» سَوْفَ يُقْحِمُنَا مُبَاشَرَةً فِي أَحْدَاثِ ١٩٨٤ م، لِذَلِكَ سَوْفَ نَبْقَى قَلِيلًا فِي مَحَطَّةِ عَامِ ١٩٨٢ م.



مَا أَنْ هَبَطْتُ الثَّلُوجُ فِي «جَرْدِيز» فِي شِتَاءِ ١٩٨١ م حَتَّى نَزَلَ «حَقَّانِي» إِلَى الْجَنُوبِ وَبَدَأَ نَشَاطَهُ الْعَسْكَرِيَّ فِي مَدِينَةِ «خُوسْت»، حَيْثُ الْبُرُودَةُ أَقْلُ قَسْوَةً، وَيُمْكِنُ لِلْمُجَاهِدِينَ الْعَمَلُ فِيهَا أَثْنَاءَ الشِّتَاءِ. وَقَبْلَ بَدَايَةِ الْعَامِ الْجَدِيدِ كَانَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الْاسْتِيْلَاءِ عَلَى حِصْنِ «دَابْجِي» الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي أَحَدِ الْمَمَرَّاتِ الطَّبِيعِيَّةِ الْوَاصِلَةِ بَيْنَ «خُوسْت» وَالْأَرَاضِي الْبَاكِسْتَانِيَّةِ. أَتَاخَ هَذَا النَّصْرُ حُرِّيَّةَ حَرَكَةٍ أَوْسَعَ لِلْمُجَاهِدِينَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ، وَلَكِنَّ الْاسْتِفَادَةَ مِنْهُ لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً لِلغَايَةِ لِسَبَبَيْنِ، الْأَوَّلُ بَعْدَهُ النَّسْبِيُّ عَنْ «مِيرَانشَاه» الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، وَالَّتِي كَانَتْ الْمَعْقِلَ الصَّدِيقَ خَلْفَ الْحُدُودِ حَيْثُ الْإِمْدَادِ وَمَرَاكِزِ الْقِيَادَةِ وَالْإِدَارَةَ لِمُنْظَمَاتِ الْمُجَاهِدِينَ. وَالسَّبَبُ الثَّانِي وَالْأَهَمُّ أَنَّ قَبَائِلَ مِنْ

مَنْطَقَةَ «مير علي» القَرِيْبَةِ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ لَمْ تَكُنْ مُتَعَاوِنَةً مَعَ الْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَتْ تَتَلَقَّى دَعْمًا مَالِيًّا وَتَسْلِيحًا مِنْ حُكُومَةِ «كابل» الشُّيُوعِيَّةِ. وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - وَقَدْ كَتَابَتْ هَذِهِ الْأُسْطُرَ - أَشْعُرُ بِالْأَهْمِيَّةِ الْعَالِيَةِ لِمَتَّحِ حِصْنِ «دَابْجِي» بِأَكْثَرِ مِمَّا كُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ [فِي] وَقْتِ حُدُوثِهِ. عَقِيدُ الْأَسْتِخْبَارَاتِ «مُحَمَّدُ يُوْسُف» عَبَّرَ فِي كِتَابِهِ وَبِشَيْءٍ مِنَ الْاِحْتِقَارِ لِتِلْكَ الْفُتُوْحَاتِ الْحُدُودِيَّةِ، وَقَالَ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مُحِبَّةً لَدَى «قَوْمِنْدَانَاتِ» - قَادَةَ- الْمُجَاهِدِينَ الْمِيدَانِيِّينَ لِكَوْنِهَا قَرِيْبَةً مِنْ مَرَاكِزِ الْإِمْدَادِ دَاخِلِ الْحُدُودِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، كَمَا أَنَّهَا تَضْمَنُ لَهُمْ الشَّاءَ وَالْمُكَافَأَةَ مِنَ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَالسُّمْعَةَ الْعَالِيَةَ فِي الْخَارِجِ عَبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ. كَانَ مَا يَقُولُهُ الْعَقِيدُ صَحِيحًا فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، سَوْفَ يَرُدُّ مَعَنَا ذِكْرُ بَعْضِهَا. وَلَكِنَّ فَتْحَ «دَابْجِي» لَمْ يَكُنْ مِنْ تِلْكَ الْحَالَاتِ.

أَقُولُ، أَدْرَكْتُ الْآنَ أَهْمِيَّةَ تِلْكَ الْفُتُوْحَاتِ الْحُدُودِيَّةِ وَضَرُورَتَهَا لِتَأْمِينِ مَنَافِذِ أَمْنِيَّةٍ وَمَحْمِيَّةٍ يَسْتَعْدِمُهَا الْمُجَاهِدُونَ فِي الْعُبُورِ. وَقَدْ عَاصَرْنَا فِي الْعَامَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ ١٩٩٣ م، ١٩٩٤ م مَأْسَاةَ الْمُجَاهِدِينَ فِي طَاجِكِسْتَانَ وَهُمْ لَا يَجِدُونَ تِلْكَ الْمَنَافِذَ؛ فَقَدْ اتَّخَذَ الرُّوسُ مِنْ نَهْرِ «جِيْحُون» «أَمُو دَارِيَا» عَائِقًا طَبِيعِيًّا أَقَامُوا خَلْفَهُ نِقَاطَ الْحِرَاسَةِ وَالذَّوْرِيَّاتِ مَانِعِينَ الْمُجَاهِدِينَ مِنَ الْعُبُورِ. وَخِلَالَ هَذَيْنِ الْعَامَيْنِ لَمْ يَكُنْ الْعُبُورُ مُمَكِّنًا إِلَّا بِدَفْعِ رَشَوَاتٍ مُحْتَرَمَةٍ لِلضُّبَّاطِ الرُّوسِ، مَعَ وُجُودِ مَخَاطِرَ دَائِمَةٍ أَثْنَاءَ عُبُورِ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِي يَسْتَمِرُّ أحيانًا بِطُولِ سِتِّينَ كِيلُومِترًا عَلَى طَوَالِ النَّهْرِ وَتَحْتَ مُلَاحَظَةِ الرُّوسِ حَتَّى

يُنْحَرَفَ الْمُجَاهِدُونَ شَمَالًا إِلَى عُمُقِ الْبِلَادِ.

كَانَتْ الْحُدُودُ الْأَفْغَانِيَّةُ دَائِمًا تَسْتَعْصِي عَلَى الْإِغْلَاقِ لِطَبِيعَتِهَا الْجَبَلِيَّةِ وَطُولِهَا الَّذِي يَسْتَحِيلُ تَعْطِيقُهُ. وَلَيْسَ الْحَالُ كَذَلِكَ - بِكُلِّ أَسْفٍ - فِي حَالَةِ طَاجِكِيسْتَانَ فِي جِهَادِهَا الرَّاهِنِ. لِهَذَا لَمْ يَشْعُرِ الْعَقِيدُ بِأَهْمِيَّةِ ذَلِكَ الْعَمَلِ، فَقَدْ وَصَفَ مُحَاوَلَاتِ الرُّوسِ إِغْلَاقِ الْحُدُودِ الْأَفْغَانِيَّةِ مَعَ بَاكِسْتَانَ بِأَنَّهَا مِثْلَ مُحَاوَلَةِ إِغْلَاقِ صُنْبُورِ الْمِيَاهِ بِوَضْعِ الْيَدِ عَلَى فُوهَتِهِ.

لَقَدْ حَاصَرَ «حَقَّانِي» حِصْنَ «دَابْجِي» لِمُدَّةِ شَهْرٍ وَنِصْفٍ، وَمَنَعَ كُلَّ



النَّجْدَاتِ الْقَادِمَةِ مِنْ «خُوسْت» وَدَمَّرَهَا. وَفِي النِّهَايَةِ فَرَّتْ حَامِيَةُ الْحِصْنِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ تَارِكِينَ الْعَدِيدَ مِنَ الْقَتْلَى وَالْجَرَاحَى وَكَمِّيَّاتٍ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْعَتَادِ، مِنْ بَيْنَهَا دَبَّابَتَانِ مِنْ طِرَازِ «تِي ٣٤»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٦٣]، وَمُصَفِّحَةٌ وَاحِدَةٌ.

(١) الدَّبَّابَةُ تِي - ٣٤: دَبَّابَةٌ رُوسِيَّةٌ مُتَوَسِّطَةٌ، أُنتِجَتْ عَامَ ١٩٤٠م، وَاسْتَمَرَ إِنتَاجُهَا حَتَّى عَامِ ١٩٥٨م. اسْتُخْدِمَتْ بِكَثْرَةٍ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَفِي أَكْثَرِ حُرُوبِ الْمَنْطِقَةِ فِي تِلْكَ الْمُنْتَرَةِ وَفِيمَا بَعْدَهَا. طُولُهَا ٦.٦٨ مِترًا، وَعَرْضُهَا ٣ مِترًا، وَارْتِفَاعُهَا ٢.٤٥ مِترًا، وَتَسَعُ لِأَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ تَبَعًا لِسَنَةِ تَصْنِيعِهَا. سُمِّكَ دِرْعُهَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَجْزَاءِ الْمَحْمِيَّةِ فِيهَا. السَّلَاحُ الْأَسَاسِيُّ مِدْفَعٌ

وَقَدْ بَدَلَ «جَلَالَ الدِّينِ حَقَّانِي» جُهُودًا كَبِيرَةً حَتَّى أَفْنَعَ السُّلْطَاتِ
 الْبَاكِسْتَانِيَّةَ بِنَقْلِ تِلْكَ الدَّبَابَاتِ عَبْرَ الْأَرْضِي الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَإِدْخَالِهَا مَرَّةً أُخْرَى
 إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَبْرَ مَمَرٍ «صَدَقِي» أَوْ مَمَرٍ «غَلَامِ حَانَ» الْقَرِيبِ مِنْهُ، وَكِلَاهُمَا
 يُؤَدِّيَانِ إِلَى مَنَاطِقِ نَشِطَةٍ وَحَسَّاسَةٍ عَسْكَرِيًّا. وَكَانَ لِتِلْكَ الْمُعِدَّاتِ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ
 فِي عَدَدِ مِنَ الصَّدَامَاتِ الْهَامَّةِ مَعَ الْقُوَّاتِ الشُّعُوبِيَّةِ.



الطَّرِيقُ إِلَى «جَاوَر»:

تَحَرَّكَتْ بِنَا «السُّوزُوكِي» الصَّغِيرَةُ عَبْرَ الْحُدُودِ مِنْ مَعْبَرٍ «صَدَقِي». كَانَ
 «رَشِيدٌ» إِلَى جَانِبِي وَالضَّابِطُ «عُمَرُ» يَقُودُ السَّيَّارَةَ، وَخَلَفْنَا خَمْسَةَ مِنْ
 الْمُجَاهِدِينَ، وَالْجَمِيعُ وُجَّهَتْهُمْ «جَاوَر».

«جَاوَر» ذَلِكَ الْأِسْمُ الَّذِي سَمِعْتُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَبِالطَّبَعِ لَمْ يَدُرْ بِخَلْدِي أَنَّهُ
 سَتَكُونُ لَهُ فِي السَّنَوَاتِ الْقَادِمَةِ تِلْكَ الْأَهْمِيَّةُ الْهَائِلَةُ. أَمَّا الضَّابِطُ «عُمَرُ» فَهُوَ
 شَابٌّ مِنْ قَبِيلَةِ «زَدْرَانَ»، التَّحَقَّ بِالْمُجَاهِدِينَ وَأَصْبَحَ مِنْ رِجَالِ «حَقَّانِي»

المُتَقَرِّينَ. بَدَأَ حَيَاتَهُ الْعَمَلِيَّةَ مَعَهُ مَسْئُولًا عَنِ «جَاوَر». كَانَ «رَشِيدٌ» يَرَى أَنَّ «جَاوَر» مُهِمَّةٌ وَلَكِنَّهُ مَا كَانَ يَثِقُ كَثِيرًا فِي كِفَاةِ «عُمَر». وَفِي السَّنَوَاتِ اللَّاحِقَةِ أَصْبَحَ الضَّابِطُ الشَّابُّ «عُمَرُ» مَسْئُولًا عَنِ «الاسْتِطْلَاعِ» وَجَمَعَ الْمَعْلُومَاتِ لَدَى «حَقَّانِي»، كَمَا أَشْرَفَ لِفَتْرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ الْإِعْلَامِيَّةِ، كَانَ أَوْلَاهَا مَحَطَّةُ الْإِدَاعَةِ الْمُتَقَلَّةِ. وَكُنَّا فِي الطَّرِيقِ كَيْ نَشَاهِدَهَا فِي «جَاوَر». وَيَبْدُو أَنَّ مُهِمَّةَ «جَاوَر» الْأَسَاسِيَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ تَكُونَ مُسْتَقَرًّا لِتِلْكَ الْإِدَاعَةِ، وَتَوْفَّرَ لَهَا الْحِمَايَةُ مِنَ الطَّيْرَانِ أَوْ تَخْرِبِ جَوَاسِسِ الْعَدُوِّ. أَمَّا مَهَامُ «جَاوَر» كَقَاعِدَةِ خَلْفِيَّةٍ فَلَمْ تَكُنْ وَاضِحَةً كَثِيرًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَكِنَّهَا نَبَتْ وَازْدَهَرَتْ بِالتَّدْرِيجِ كَوَاحِدَةٍ مِنْ أَهَمِّ الْقَوَاعِدِ الْخَلْفِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ، رُبَّمَا عَلَى نِطَاقِ أَفْغَانِسْتَانَ كُلِّهَا. وَدَارَتْ فَوْقَهَا وَاحِدَةٌ مِنْ أَعْنَفِ مَعَارِكِ السُّوفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ وَرُبَّمَا أَعْنَفُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَذَلِكَ بَعْدَ حَوَالِي أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ مِنْ زِيَارَتِي الْأُولَى لَهَا، أَيَّ عَامٍ ١٩٨٦ م.

كَانَتْ «جَاوَر» فِي خُطُوبِهَا الْأُولَى عِبَارَةً عَنْ حَيْمَةِ وَاحِدَةٍ فَوْقَ رُبُوعِ مُشَجَّرَةٍ، وَعَرَبِيَّةٌ لِلْإِدَاعَةِ مُخْتَفِيَّةٍ بَيْنَ الصُّخُورِ وَالشُّجَيْرَاتِ، وَعَدَدٌ مِنَ الْعُمَّالِ مُنْهَمِكِينَ فِي تَهْيِئَةِ حُفْرَةٍ فِي الْهَضْبَةِ التُّرَابِيَّةِ لِإِخْفَاءِ عَرَبِيَّةِ الْإِدَاعَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ قَدْ مَضَى عَلَى عَمَلِهَا سِوَى أَيَّامٍ وَتَقْصُفُهَا الطَّائِرَاتُ عَلَى غَيْرِ هُدًى، حَتَّى سَاعَدَتْهَا الْمُضَادَّاتُ الْجَوِّيَّةُ فِي تَحْدِيدِ الْمَوْقِعِ بِدَقَّةٍ، فَبَدَأَتْ الطَّائِرَاتُ تُحَدِّدُ هَدَفَهَا بِسُهُولَةٍ نَسْبِيًّا. كَانَتْ تِلْكَ الْمُضَادَّاتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِبَارَةً عَنْ مِدْفَعِ



وَاحِدٍ «زِيكُوْيَاك» عِيَار ١٤.٥ مِم^(١) [صُورَةٌ رَقْم ٦٤]. أَمَا
الإِذَاعَةُ فَكَانَتْ تَبْتُ بَرَامِجَ مُعَدَّةٍ سَلْفًا وَمُسَجَّلَةً فِي
مَدِينَةِ «مِيرَانْشَاه»، وَذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ لِمُدَّةٍ نِصْفِ
سَاعَةٍ.

أَخْبَرَنِي «حَقَّانِي» وَفَتَهَا أَنَّ حُكُومَةَ بَاكِسْتَانِ قَدْ سَلَّمَتِ الْمُجَاهِدِينَ أَرْبَعِ
أَوْ خَمْسَ مَحَطَّاتٍ إِذَاعِيَّةٍ مُتَقَلِّةٍ، كَانَتْ مَحَطَّةٌ «جَاوَر» وَاحِدَةً مِنْهَا. تَذَكَّرْتُ
مُحَاوَلَتَنَا الْفَاشِلَةَ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَحَطَّةٍ إِذَاعِيَّةٍ مِنَ الشَّارِقَةِ مُنْذُ ثَلَاثِ
سِنَوَاتٍ. كُنَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَتَوَقَّعُ تَأْثِيرًا دَرَامَاتِيكِيًّا لِلإِذَاعَةِ، وَأَنَّهَا سَتَقُودُ إِلَى
ثَوْرَةٍ عَامَّةٍ عِنْدَمَا يَعْلَمُ الشَّعْبُ بِانْتِصَارَاتِ الْمُجَاهِدِينَ. الْآنَ هُنَاكَ خَمْسُ
إِذَاعَاتٍ عَلَى الْأَقْلِ وَلَمْ نَحْصُلْ عَلَى تِلْكَ النَّتِيجَةِ الَّتِي نَتَّصَوَّرُهَا. فَهَلْ كَانَ
تَصَوُّرُنَا الْأَوَّلَ عَلَى خَطَأٍ؟. أَظُنُّهُ كَانَ بِهِ كَمِيَّةٌ مِنَ الْمُبَالِغَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى
خَطَأٍ كَامِلٍ. لَقَدْ كَانَ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي عَامِهِمُ الْأَوَّلِ - قَبْلَ الْمُسَانَدَةِ الدُّوَلِيَّةِ -

(١) مِدْفَعُ الزِّيْكُوْيَاك: هِيَ تَسْمِيَّةٌ مَحَلِّيَّةٌ لِلْمِدْفَعِ الرَّشَاشِ الثَّقِيلِ KPV-١٤.٥، وَهُوَ مِدْفَعٌ رُوسِيٌّ
ثَقِيلٌ. دَخَلَ الْخِدْمَةَ فِي عَامِ ١٩٤٩ مِ كَرَشَاشٍ مَحْمُولٍ لِلْأَفْرَادِ، وَلَكِنْ بِحُلُولِ عَامِ ١٩٦٠ مِ أُدْخِلَتْ
عَلَيْهِ تَعْدِيلَاتٌ نُظِّرًا لِثِقَلِهِ الْبَالِغِ، وَأَصْبَحَ مِدْفَعًا ثَقِيلًا غَيْرَ مَحْمُولٍ مُضَادًّا لِلطَّائِرَاتِ. يَبْلُغُ مَدَاهُ ٣
آلَافٍ مِترَ أُفْقِيٍّ وَ أَلْفَيْنِ مِترَ رَأْسِيٍّ. وَرِزْنُهُ ٤٩ كِجَم، وَطُولُ مَاسُورَتِهِ ١.٩٨ مِترَ، وَلَا يَزَالُ مُسْتَعْمَدًا
إِلَى الْآنِ.

تَأْثِيرُ أُسْطُورِيٍّ عَلَى النَّفْسِ، وَلَكِنَّنِي اِكْتَشَفْتُ مُتَأَخِّرًا كَالْعَادَةِ أَنَّ بَرِيْقَ الْمُجَاهِدِينَ يَخْبُو عِنْدَمَا تَزْدَادُ الْمُسَانَدَةُ الْخَارِجِيَّةُ لَهُمْ، خَاصَّةً مِنْ أَطْرَافِ يَكْرُهَهَا الشَّعْبُ تَقْلِيدِيًّا. فَبَاكِسْتَانُ لَيْسَتْ مِنَ الدُّوَلِ الْمَحْبُوبَةِ لَدَى الْأَفْغَانِ، بَلْ أَنَّهَا عَدُوٌّ تَقْلِيدِيٌّ مُنْذُ الْاِحْتِلَالِ الْبَرِيْطَانِيِّ لِلْهِنْدِ. كَذَلِكَ أَمْرِيْكََا وَالْعَرَبُ كَانُوا مَكْرُوهِينَ مِثْلَ الرُّوسِ أَوْ أَكْثَرَ. وَهَكَذَا وَجَدْتُ الدَّعَايَةَ الشُّيُوعِيَّةَ الْمُضَادَّةَ تَفْهَمًا وَلَوْ مَحْدُودًا مِنَ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ، وَلَوْ لَا الْمُسَانَدَةَ الْعَرَبِيَّةَ - خَاصَّةً الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبَ - لَفَقَدَ الْمُجَاهِدُونَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ مِصْدَاقِيَّتَهُمْ.

التَّوَاجُدُ الْعَرَبِيُّ فِي أَفْغَانِسْتَانِ كَانَ أَكْثَرَ أَهْمِيَّةً مِنْ أَيِّ سِلَاحٍ عَسْكَرِيٍّ أَوْ أَمْوَالٍ لِأَنَّهُ تَوَاجُدٌ يَتَّصِلُ بِصَمِيمِ وَجْهِ الصِّدَامِ، أَلَا وَهُوَ الْجَانِبُ الْعَقَائِدِيُّ وَالنَّفْسِيُّ. لِهَذَا كَانَتْ الْحَمْلَةُ الصَّلِيبِيَّةُ رَهِيْبَةً ضِدَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ. وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ دَوْرُ أَمْرِيْكََا فِي قِيَادَةِ هَذِهِ الْحَمْلَةِ وَدَوْرُ الْأَنْظِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي خَوْضِ عِمَارِ الْحَرْبِ ضِدَّ مَنْ أَسْمَوْهُمْ بِـ «الْأَفْغَانِ الْعَرَبِ» بَدَلًا مِنْ «الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ» أَوْ «الْأَبْطَالِ الْعَرَبِ».

مَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيْلَةٌ حَتَّى تَحَرَّكْنَا فِي مَجْمُوعَةٍ مِنْ عِشْرِينَ مُجَاهِدٍ بِقِيَادَةِ «رَشِيدٍ» فِي مِهْمَةٍ اسْتِطْلَاعٍ اسْتَعْرَفَتْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْمَسِيرِ الشَّاقِّ. شَمَلَ الْاِسْتِطْلَاعُ مَنْطِقَتَيْنِ، الْأُولَى مَنْطِقَةَ «دَرَاغِي» فِي الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ «جَاوَر»، وَالْأُخْرَى مَنْطِقَةَ «لِيْجَاه» فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا. بَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنَ الرَّحْلَةِ فَرَّ

ثَلَاثَةُ جُنُودٍ مِنْ حِصْنِ «لِيَجَاه» وَأَفَادُوا بِأَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا أَثْنََاءَ عَمَلِيَّةِ الاسْتِطْلَاعِ،
وَوَصَفُوا أَفْرَادَ الْمَجْمُوعَةِ بِأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَرْتَدِي طَاقِيَّةً بِيضَاءَ «رَشِيد»، وَآخَرُ
كَانَ يَلْتَقِطُ الصُّورَ الفُوتُوغْرَافِيَّةَ «كَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ». وَأَفَادُوا أَيْضًا بِأَنَّ ضَابِطَ
المَوْقِعِ طَالَبُهُمْ بِإِطْلَاقِ نِيرَانِ الرَّشَاشِ التَّقِيلِ عَلَى هَذِهِ المَجْمُوعَةِ، وَلَكِنَّهُمْ -
أَيَّ الجُنُودِ الثَّلَاثَةِ - جَادَلُوهُ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ المَجْمُوعَةَ - أَيْ نَحْنُ - إِنَّمَا هِيَ
مَجْمُوعَةٌ مُسَالِمَةٌ مِنْ عَابِرِي السَّبِيلِ !!.

شَعَرْتُ بِالخَجَلِ وَقَتَّهَا مِنْ حَالَتِنَا كَمَجْمُوعَةِ اسْتِطْلَاعِ مُهْمَلَةٍ. وَلَكِنِّي
رَأَيْتُ دُورِيَّاتٍ كَثِيرَةً أَسْوَأَ حَالًا مِنْ حَالَتِنَا تِلْكَ. عَلَى آيَةِ حَالٍ كَانَ الاسْتِطْلَاعُ
عَلَى حِصْنِ «دَرَاغِي» جَيِّدًا، رُبَّمَا لِأَنَّهُ تَمَّ أَثْنََاءَ النَّهَارِ، وَتَمَّ عَنْ مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ.
أَمَّا عِنْدَ «لِيَجَاه» فَقَدْ كُنَّا فِي جَبَلٍ مُرْتَفِعٍ عَنِ مُسْتَوَى الحِصْنِ الحُكُومِيِّ
«البُوسَطَةِ»، وَلَمْ نَكُنْ قَرِيبِينَ بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ، لِذَا ائْتَابَتْنَا حَالَةٌ مِنَ الإِهْمَالِ
وَالتَّسَيُّبِ. وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ ظُهُورَنَا قُرْبَ «لِيَجَاه» كَانَ حَدَثًا غَرِيبًا عَلَى حَامِيَتِهَا
الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ فِي هُدُوءٍ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَكَانَ حَقًّا نَذِيرَ سُؤْمٍ لَهُمْ. أَثَارَ
ذَلِكَ شُجُونَ الجُنُودِ، أَوْ أَثَارَ خَوْفَهُمْ فَهَرَبُوا وَأَذَلُّوا بِمَعْلُومَاتٍ كَانَتْ كَافِيَةً كَي
يَأْخُذَ مَوْلَايُ «جَلَالُ الدِّينِ حَقَّانِي» قَرَارًا بِغَزْوِ «لِيَجَاه».

بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ تَحَرَّكْتُ مَعَ مَجْمُوعَةٍ بِرِئَاسَةِ «رَشِيد» مَعَ مِدْفَعِ هَاوِنٍ وَسَطِ
- عِيَارِ ٨٢مم - لِمُنَاوَسَةِ الحِصْنِ وَالبَقَاءِ هُنَاكَ كَطَلِيعَةٍ لِقَوَاتِ الغَزْوِ الَّتِي

سَوْفَ يَحْشِدُهَا «حَقَّانِي». كُنَّا فِي مُتَّصِفِ فَضْلِ الصَّيْفِ وَتَمَّ فَتْحُ حِصْنِ «لِيَجَاه» مَعَ نَهَايَةِ الْخَرِيفِ، وَتَقَهَّرَ الْعَدُوُّ تَارِكًا جِبَالَ «لِيَجَاه» تَمَامًا، وَبِذَلِكَ سَيْطَرَ الْمُجَاهِدُونَ عَلَى الْمَمَرِّ الَّذِي كَانَتْ تُعْلِقُهُ تِلْكَ «الْبُوسَطَةُ الْحُكُومِيَّةُ» فِي نَهَايَةِ السُّلْسِلَةِ الْجَبَلِيَّةِ. وَلَكِنَّ الْقُوَّاتِ الْحُكُومِيَّةَ اتَّخَذَتْ مَوْعِدًا فِي الْوَادِي عَلَى بُعْدِ عِدَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنْ مَدْخَلِ الْمَمَرِّ. وَعَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ اتَّخَذَ «حَقَّانِي» ذَلِكَ الْأَسْلُوبَ التَّدْرِيجِيَّ الْبَطِيءَ حَتَّى تَوَصَّلَ إِلَى فَتْحِ «خُوسْت» عَامَ ١٩٩١ م.

كَانَتْ إِسْتِرَاطِيَّةً مُنَاسِبَةً تَمَامًا كَمَا أُثْبِتُ التَّجْرِبَةُ لِلْوَاقِعِ الْعَسْكَرِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ لِلْمَنْطِقَةِ. كَانَتْ عَمَلِيَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ تَدْفَعُ الْقُوَّاتِ الْحُكُومِيَّةَ بِالتَّدْرِيجِ نَحْوَ الْوَادِي تَارِكِينَ الْجِبَالَ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الْمُجَاهِدِينَ، وَبَعْدَهَا بَدَأَتْ الْمَعَارِكُ فِي الْوَادِي نَفْسِهِ، وَهِيَ بِالطَّبَعِ أَكْثَرُ صُعُوبَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ اتَّبَعُوا نَفْسَ الْأَسْلُوبِ الْبَطِيءِ فِي الْقَضْمِ التَّدْرِيجِيِّ وَإِنْقِاصِ الْأَرْضِ مِنْ أَطْرَافِهَا. إِنَّ مَعْرَكَةَ «دَابْجِي» الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا أَنْهَتْ سَيْطَرَةَ الْحُكُومَةِ عَلَى مَنَفَذِ حُدُودِيٍّ مَعَ بَاكِسْتَانِ فِي نُقْطَةٍ تَبْعُدُ حَوَالِي أَرْبَعِينَ كِيلُومِتْرًا عَنْ مَرَكِزِ «خُوسْت»، وَأَتَّاحَ ذَلِكَ إِمْكَانِيَّةً أَفْضَلَ لِلْإِمْدَادِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ. أَمَّا فِي «لِيَجَاه» فَإِنَّ سَيْطَرَةَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى جِبَالِهَا قَدْ أَتَّاحَ لَهُمْ إِمْكَانِيَّةً أَفْضَلَ لِلتَّسَرُّبِ إِلَى دَاخِلِ الْوَادِي وَالْوُصُولِ إِلَى الْمَرَاكِزِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْقِيَادِيَّةِ هُنَاكَ. وَذَلِكَ [هُوَ] السَّبَبُ وَرَاءَ الْحَمَلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي قَامَ

بِهَا السُّوفِيَّتُ لِاسْتِعَادَةِ زِمَامِ الْأُمُورِ وَفَرَضِ تَوَازُنِ جَدِيدِ فِي مَصْلَحَةِ الْقَوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ. وَكَانَتْ أَقْوَى تِلْكَ الْحَمَلَاتِ فِي أَعْوَامِ ١٩٨٣ م، ١٩٨٥ م، ١٩٨٦ م، وَالْأَخِيرَةُ كَانَتْ مِنْ أَشَدِّ مَا شَهِدَتْهُ أَفْغَانِسْتَانُ مِنْ مَعَارِكِ.

كَانَتْ رِحْلَتُنَا الْاسْتِطْلَاعِيَّةُ أَوَّلَ تَدَشِينِ لِنَشَاطَاتِ «جَاوَر»، كَمَا كَانَتْ عَمَلِيَّةُ «لِيَجَاه» أَوَّلَ حَمَلَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ تَقُومُ [فِيهَا] «جَاوَر» بِدَوْرٍ قَاعِدَةَ الْإِنْطِلَاقِ وَالتَّمْوِينِ وَالْإِدَارَةِ. وَانْتَهَى ذَلِكَ الدَّوْرُ بِإِسْقَاطِ مَدِينَةِ «خُوسْت» الَّذِي أَدَّى مُبَاشَرَةً إِلَى انْهِيَارِ «كَابُل» وَنِظَامِهَا الشُّيُوعِيَّ بَعْدَ عَامٍ وَاحِدٍ مِنْ فَتْحِ «خُوسْت».

كَانَ لِمَجْمُوعَتِنَا غَارَةٌ يَوْمِيَّةٌ عَلَى حِصْنِ «لِيَجَاه»، وَتَتَابَعَ وَصُولُ الْإِمْدَادَاتِ، فَأَصْبَحَ لَدَيْنَا مَدْفَعِي «دُوشْكَ» يَعْمَلَانِ عَلَى التَّلَالِ بِهَدَفِ الْحِمَايَةِ مِنْ غَارَاتِ الطَّيْرَانِ. وَتَزَايَدَ تَدْرِيجِيًّا عَدَدُ الْمُجَاهِدِينَ، وَاقْتَرَبَ مَدْفَعُ «الدُّوشْكَ» أَكْثَرَ حَتَّى صَارَ فِي مَقْدُورِهِ إِصَابَةُ جُنُودِ الْحُكُومَةِ فِي الْحِصْنِ، وَقَدْ ضَايَقَهُمْ ذَلِكَ كَثِيرًا. وَلَمْ تُفِدْ مَدْفَعِيَّةُ الْحُكُومَةِ وَلَا غَارَاتُ الطَّائِرَاتِ النَّفَائَةَ فِي تَحْسِينِ وَضْعِ حَامِيَةِ الْحِصْنِ. وَتَتَابَعَ ضَغْطُ الْمُجَاهِدِينَ وَغَارَاتُ الْهَائُونَ الْمُؤَثَّرَةُ، وَزَادَتْ الْإِصَابَاتُ فِي صُفُوفِ الْجُنُودِ بَيْنَمَا لَمْ نُصَبْ بِأَيَّةِ خَسَائِرٍ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَتَطَوَّرَ الْأَمْرُ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ فَوَصَلَتْ عِدَّةٌ مُصَفَّحَاتُ إِلَى الْحِصْنِ وَنَقَلَتْ

الْجُنُودَ إِلَى الْخَلْفِ. وَخِيَّلَ إِلَيْنَا أَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدْ انْتَهَتْ، فَتَقَدَّمْنَا خَمْسَةَ
 أَشْخَاصٍ نَحْوَ الْحِصْنِ فِي حِرْصٍ شَدِيدٍ لِسَبَبَيْنِ، الْأَوَّلُ عَدَمُ تَأْكُدِنَا بِأَنَّ كُلَّ
 الْجُنُودِ قَدْ رَحَلُوا، وَالثَّانِي خَوْفُنَا مِنْ حُقُولِ الْأَلْغَامِ الَّتِي نَشَرَهَا الْعَدُوُّ فِي
 الْمَنْطِقَةِ كُلِّهَا وَلَيْسَ فَقَطْ حَوْلَ الْحِصْنِ، وَأَثَارَ ذَلِكَ الدُّعْرَ فِي صُفُوفِنَا. وَمَا أَنْ
 وَصَلْنَا إِلَى مَسَافَةِ مِائَةِ مِثْرٍ مِنَ الْحِصْنِ حَتَّى أَزَّتْ رِصَاصَةٌ فَوْقَ رُؤُوسِنَا.
 تَصَوَّرْنَا أَنَّ أَحَدَ الْمُجَاهِدِينَ قَدْ أَطْلَقَهَا لِأَنَّهَا لَمْ نَشَاهِدْ آيَةَ حَرَكَةٍ فِي الْحِصْنِ.
 وَلَكِنَّ تَتَابِعَ الرِّصَاصِ نَبَّهَنَا إِلَى أَنَّ مَصْدَرَهُ جَاءَ مِنَ الْحِصْنِ فَاتَّخَذْنَا سَوَاتِرَ
 قَرِيبَةً وَبَدَأْنَا فِي تَبَادُلِ النَّيْرَانِ.

كَانَ مَعَنَا الضَّابِطُ «كَمَالٌ»، وَهُوَ ضَابِطٌ شَابٌّ رَأَيْتُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي «لِجَاهِ»،
 كَانَ هَادِئًا لِلْغَايَةِ، وَعَيْنِدًا لِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ. كَانَ يَحْمِلُ عَلَى كَتِفِهِ مِدْفَعًا عَدِيمَ
 الْإِزْتِدَادِ بَيْنَمَا يَحْمِلُ مُسَاعِدُهُ عِدَّةَ قَدَائِفَ، فَبَدَأَ عَلَى الْفُورِ فِي الرِّمَائَةِ عَلَى
 الْحِصْنِ، فَانْقَطَعَتِ الرِّمَائَةُ مِنْهُ تَمَامًا.

كَانَ وَاضِحًا أَنَّ الْأَسْتِيْلَاءَ عَلَى الْحِصْنِ مَسْأَلَةٌ غَايَةٌ فِي الْبَسَاطَةِ؛ فَلَا أَحَدَ
 هُنَاكَ غَيْرَ ثَلَاثَةِ جُنُودٍ كَمَا قَدَّرْنَا ذَلِكَ مِنَ الرِّمَائَاتِ، وَلَكِنَّ الْمَشْكَالَةَ كَانَتْ
 [هِيَ] الْأَلْغَامُ. لَقَدْ تَوَقَّفَ زَحْفُ الْمُجَاهِدِينَ عِدَّةَ أَيَّامٍ وَهُمْ يُحَاوِلُونَ فَتْحَ ثَغْرَةٍ
 لِلنَّفَازِ إِلَى الْحِصْنِ. وَكَانَتْ فِتْرَةٌ كَافِيَةٌ جَهَّزَتْ الْحُكُومَةَ فِيهَا قُوَّاتِهَا وَجَابِهَتْنَا
 فِيهَا بِهَجُومٍ مُضَادٍّ شَدِيدٍ كَانَ أَسْوَأَ مَا فِيهِ طَائِرَاتُ الْهَيْلُوكِبَتَرِ.

مَرَّةً أُخْرَى أَوَّاجَهُ مِحْنَةَ الْهَيْلُو كَبَّرَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ «دَارَا» فِي الْعَامِ الْمَاضِي. لَمْ تَكُنْ مِحْنَةً «لِيَجَاه» بِنَفْسِ الشَّدَّةِ، وَلَكِنَّهَا دَامَتْ لِفَتْرَةٍ أَطْوَلَ؛ فَقَدْ تَمَكَّنَتْ الطَّائِرَاتُ - وَأَظْنُهَا لَا تَقِلُّ عَنْ سِتِّ طَائِرَاتٍ - مِنْ إِسْكَاتِ مِدْفَعِي «الدُّوْشَكَ». لَمْ تُصِْبِ الْمَدَافِعُ، وَلَكِنَّ الْأَطْقَمَ لَمْ تَسْتَطِعِ الثَّبَاتَ أَمَامَ الصَّوَارِيخِ الَّتِي صَبَّتْهَا الطَّائِرَاتُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ. أَصْبَحَ مُعْسَكَرُنَا بِلَا دِفَاعٍ جَوِّيٍّ. وَصَمَّتِ النَّيْرَانُ مِنْ جَانِبِنَا تَمَامًا، وَتَفَرَّعْنَا عِدَّةَ سَاعَاتٍ لِلْجَرِيِّ فِي الشَّعَابِ وَالْوُدْيَانِ وَبَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ، بَيْنَمَا الطَّائِرَاتُ السَّتُّ تَلَا حَقْنَا بِالنَّيْرَانِ مِنْ نُقْطَةٍ إِلَى أُخْرَى. كُنَّا أَشْبَهُ بِسَرْبٍ مِنَ الْجِرْذَانِ تَطَارِدُهُ سِتُّ مِنَ الْقِطَطِ الْمُتَوَحِّشَةِ. وَقُرْبَ الْعَصْرِ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ غَيْرَ الْمُتَكَافِئَةِ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ أَنْفُسُنَا، وَهَبَطَتْ مَعْنَوِيَاتُنَا بِسَبَبِ عَجْزِنَا الْمُهِينِ أَمَامَ الطَّائِرَاتِ. لَمْ يَمْنَعِ ذَلِكَ ظُهُورَ حَالَةٍ مِنَ الْمَرَحِ وَ «التَّبْرِيكَاتِ» بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ. كَانَتْ مُفَاجَأَةً سَارَةً لَنَا أَلَّا نَجِدَ آيَةَ خَسَائِرٍ فِي مُعْسَكَرِنَا سِوَاءٍ فِي الْأَفْرَادِ أَوِ الْمُعِدَّاتِ. لِهَذَا قَضَيْنَا لَيْلَةً مَرِحَةً حَوْلَ أَكْوَابِ الشَّايِ الْأَخْضَرِ الَّذِي لَمْ أُسْتَمْتِعْ بِهِ تَمَامًا لِكَوْنِهِ خَالِيًا مِنْ السُّكَّرِ.

وَصَلَتْ التَّعْزِيزَاتُ إِلَى حِصْنِ «لِيَجَاه» وَدَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ مَرَّةً أُخْرَى، وَاسْتَدْعَى الْأَمْرُ اسْتِمْرَارَ الْمَعْرَكَةِ عِدَّةَ أَشْهُرٍ أُخْرَى حَتَّى تَمَّ الْاسْتِيْلَاءُ التَّامُّ عَلَيْهِ. وَيُمْكِنُ إِزْجَاعُ السَّبَبِ الْأَسَاسِيِّ إِلَى الْأَلْغَامِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَوْقِعَةُ أَوَّلَ مُعَايِشَةٍ عَمَلِيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِي لِخَطُورَةِ الْأَلْغَامِ. وَقَدْ كَانَتْ أَفْغَانِسْتَانَ حَالَةً لَمْ

تَكَرَّرَ سَابِقًا فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ بِالنُّسْبَةِ لِبِشَاعَةِ اسْتِخْدَامِ الْأُلْغَامِ إِلَى حَدِّ فَاقِ
أَيِّ حَاجَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ.

أَمَّا الْهَيْلُوكُبْتَرُ - وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ لِقَائِي الثَّانِي مَعَهَا - فَقَدْ زَادَ احْتِرَامِي لَهَا
كَسِلَاحٍ فَعَالٍ، وَزَادَتْ قِنَاعَتِي أَيْضًا بِإِمْكَانِ التَّغَلُّبِ عَلَيْهَا، وَأَنَّهَا مُشْكَلَةٌ تَتَعَلَّقُ
بِمَتَانَةِ الْأَعْصَابِ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. وَافْتَنَعْتُ بِأَنَّ تَأْثِيرَهَا مَحْدُودٌ جِدًّا عَلَى
مَسِيرَةِ الْعَمَلِيَّاتِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ تَضَارِيسُ الْأَرْضِ تَمَاطِلُ تِلْكَ الَّتِي كُنَّا
نُقَاتِلُ عَلَيْهَا فِي «بَاكْتِيَا»، أَرْضٌ صَخْرِيَّةٌ وَعَرَّةٌ كَثِيرَةٌ الْأَشْجَارِ. فِي مِثْلِ تِلْكَ
الْأَرْضِ لَا يَحْتَاجُ الْمُجَاهِدُ لِأَكْثَرِ مِنْ قَدَمَيْنِ تُجِيدَانِ اتِّخَاذَ الْقَرَارِ الْمُنَاسِبِ
فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.

وَجَدْتُ ذَلِكَ الْحَلَّ الْأَمْثَلَ وَرَأَيْتُهُ أَفْضَلَ حَتَّى مِنْ اسْتِخْدَامِ الصَّوَارِيخِ
الْمَحْمُولَةِ عَلَى الْكَتِفِ، وَمَا زِلْتُ عَلَى قِنَاعَةٍ بِأَنَّ الْأَفْدَامَ الْمُدْرَبَةَ أَفْضَلُ أَلْفَ
مَرَّةً مِنْ «سِتْنَجَرٍ» الْأَمْرِيكِيِّ. أَمَّا الرَّشَاشَاتُ الثَّقِيلَةُ فَهِيَ كَارِثَةٌ حَقِيقِيَّةٌ عَلَى
مُسْتَحْدِمِيهَا، خَاصَّةً فِي مُوَاجَهَةِ الْهَيْلُوكُبْتَرِ، وَهَكَذَا كَانَتْ نَصَائِحُنَا لِأَخْوَانِنَا
الْمُجَاهِدِينَ فِي طَاجِكِيسْتَانَ عِنْدَمَا لَمَسْنَا دُعْرَهُمْ مِنَ الطَّيْرَانِ وَبَحْثَهُمْ
الْمَلْهُوفَ عَنْ بَقَايَا صَوَارِيخِ «سِتْنَجَرٍ» الَّتِي كَانَتْ أَمْرِيكَا تُسَابِقُ الزَّمْنَ فِي
سَبِيلِ جَمْعِهَا مِنْ أَفْغَانِيسْتَانَ. وَبِالْفِعْلِ اسْتَطَاعَ الْمُجَاهِدُونَ الطَّاجِيكَ مُجَابَهَةَ
الطَّيْرَانِ بِنَجَاحٍ أَكْثَرَ هَذَا الْعَامِ - ١٩٩٤م - رُغْمَ عَدَمِ وُجُودِ «سِتْنَجَرٍ» لَدَيْهِمْ

مَعَ وُجُودِ عَدَدٍ مَحْدُودٍ جِدًّا مِنْ صَوَارِيخِ «سَام ٧» الرُّوسِيَّةِ، فَقَدْ تَفَادُوا تَأْثِيرَ الطَّيْرَانِ، وَأَسْقَطُوا عَدَدًا مَحْدُودًا جِدًّا مِنَ الْهَيْلُوكُبْتَرِ، كَانَتْ وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ مِنْهُمَا بِوَأَسْطَةِ «سَام ٧»، ذَلِكَ الصَّارُوخُ الْأَحْمَقُ، فَمُنْذُ حَادِثَةِ «دَارَا» وَأَنَا أَشْعُرُ بِكَرَاهِيَّةٍ شَخْصِيَّةٍ تَجَاهَهُ.

لَقَدْ أَدْرَكَ إِخْوَانُنَا الطَّاجِيكَ أَنَّ الِاسْتِخْدَامَ الْجَيِّدَ لِطَبِيعَةِ الْأَرْضِ هُوَ خَيْرُ سِلَاحٍ فِي مُوَاجَهَةِ الطَّيْرَانِ، خَاصَّةً فِي مَرَاكِلِ الْجِهَادِ الْأُولَى وَغِيَابِ التَّدْرِيبِ الْجَيِّدِ عَلَى الرَّشَاشَاتِ الثَّقِيلَةِ وَعَدَمِ تَوَافُرِ الصَّوَارِيخِ الْمُنَاسِبَةِ.

وَلَا يُمَكِّنُ إِنْكَارُ أَنَّ صَارُوخَ «سْتِنَجِر» كَانَ فَعَالًا فِي مُوَاجَهَةِ الْهَيْلُوكُبْتَرِ بِشَكْلِ خَاصٍّ، حَتَّى أَنْ تَأْثِيرَهَا تَقَهَّقَرَ كَثِيرًا مُنْذُ ظُهُورِهِ. وَيَجِبُ مَلَاَحَظَةَ أَنَّ الرَّادِعَ الْمَعْنَوِيَّ لِأَيِّ سِلَاحٍ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ قِيَمَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ. لِهَذَا فَبِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ نِسْبَةِ الْإِصَابَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا الصَّارُوخُ الْمَذْكُورُ، وَلَكِنَّ الْهَالَةَ الدَّعَائِيَّةَ حَوْلَهُ كَانَتْ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ تَأْثِيرِهِ الْعَمَلِيِّ. وَقَدْ تَأَثَّرَ الْعَدُوُّ كَثِيرًا بِتِلْكَ الدَّعَايَةِ وَانْهَارَتْ قِيَمَةُ الْهَيْلُوكُبْتَرِ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ. أَمَّا الطَّائِرَاتُ النَّفَّاثَةُ فَقَدْ ضَاعَ جُزْءٌ مِنْ فَعَالِيَّتِهَا لِاضْطِرَّارِهَا إِلَى الِارْتِفَاعِ أَكْثَرَ مِنْ مَدَى الصَّارُوخِ «٦ كَم تَقْرِيْبًا». أَمَّا نِسْبَةُ الْإِصَابَةِ الْعَالِيَّةِ الَّتِي رَوَّجَهَا الْإِعْلَامُ الْأَمْرِيكِيُّ فَقَدْ كَانَتْ مَحْضَ تَهْوِيلٍ وَلَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ الدَّعَايَةِ لِتَرْوِيحِ السِّلَاحِ فِي السُّوقِ الدُّوَلِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى التَّأْثِيرِ السِّيَاسِيِّ لِتِلْكَ الدَّعَايَةِ.

أَمَّا الرَّشَاشَاتُ الثَّقِيلَةُ فَقَلِيلًا مَا اسْتُخْدِمَتْ بِشَكْلِ جَيْدٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى طَاقِمٍ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ التَّدْرِيبِ. كَمَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ الاسْتِخْدَامِ الْجَمَاعِيِّ لِتِلْكَ الْأَسْلِحَةِ، وَمَا يَسْتَدْعِيهِ ذَلِكَ مِنْ كَمِيَّةٍ ضَخْمَةٍ مِنَ الذَّخَائِرِ، وَهَذَا شَرْطٌ صَعْبٌ أَيْضًا. يُضَافُ إِلَيْهِ صُعُوبَةُ الْمُنَاوَرَةِ بِتَحْرِيكِ تِلْكَ الْأَسْلِحَةِ وَذَلِكَ يَجْعَلُهَا هَدَفًا ثَابِتًا لِلطَّيْرَانِ.

يَسْتَجِيبُ مَوْلَايُ «جَلَّالُ الدِّينِ» بِسُهُولَةٍ لِلتَّحَدِّيِّ؛ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا فَعَلَهُ الطَّيْرَانُ بِنَا، فَوَجَّهَ تَأْنِيْبًا شَدِيدًا لِأَطْقَمِ «الدُّوْشَكَ»، وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِإِجْرَاءَاتٍ عَمَلِيَّةٍ أُخْرَى، فَأَحْضَرَ وَاحِدًا مِنْ صَوَارِيخِ «سَامِ ٧» وَسَلَّمَهُ إِلَى الضَّابِطِ «كَمَالِ»، وَأَحْضَرَ مِدْفَعًا مِنْ طِرَازِ «زِيكُويَاك» ١٤٠٥ م وَوَضَعَهُ عَلَى جَبَلٍ مُرْتَفِعٍ خَلْفَ مَوَاقِعِنَا، وَأَحْضَرَ عَدَدًا مِنْ قَوَازِفِ «آرَبِي جِي» الْمُضَادَّةِ لِلدَّرُوعِ وَأَمَرَ رِجَالَهُ بِاسْتِخْدَامِهَا ضِدَّ الْهَيْلُوكْبَتَرِ وَأَيْضًا ضِدَّ النَّفَّاثَاتِ. لَمْ يَكْتَفِ «حَقَّانِي» بِكُلِّ ذَلِكَ، بَلْ سَلَّحَ نَفْسَهُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَوَازِفِ، وَكَانَ يَصْعَدُ بِنَفْسِهِ إِلَى أَقْرَبِ قِمَّةٍ إِلَيْهِ عِنْدَمَا يَسْمَعُ صَوْتَ الطَّيْرَانِ قَادِمًا، وَكَانَ يَرْمِي عَلَى الطَّائِرَاتِ بِنَفْسِهِ.

[كَانَتْ] تِلْكَ الْإِجْرَاءَاتُ مُجْتَمِعَةٌ هِيَ نَمُودَجٌ مِثَالِي لِرُوحِ التَّحَدِّيِّ وَالْمُوَاجَهَةِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا أُسْلُوبُ «حَقَّانِي» فِي الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا «بِضَمَّتُهُ الْعَسْكَرِيَّةُ». لَقَدْ فَهَمَ الرَّجَالُ أَنَّ التَّرَاجُعَ أَمَامَ

الطَّيْرَانِ مَمْنُوعٌ، وَأَنَّ الاسْتِخْدَامَ «الْمُلْهَمَ» لِلأَرْجُلِ غَيْرُ مَسْمُوحٍ بِهِ بَعْدَ الْآنِ.

شَعَرَ الْعَدُوُّ بِقُوَّةِ مَوْعِنَا فَتَحَوَّلْنَا تَلْقَائِيًّا إِلَى هَدَفِ هَامٍ، وَحَرَمْنَا ذَلِكَ مِنْ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، وَصِرْنَا عُرْضَةً دَائِمًا لِلْقَصْفِ الْمُدْفِعِيِّ وَالغَارَاتِ الْجَوِيَّةِ الَّتِي زَادَتْ حَدِيثَهَا بَعْدَمَا رَأَتْ قُوَّةَ النَّيْرَانِ الصَّاعِدَةِ إِلَيْهَا. وَبِسُرْعَةٍ عَزَزَ الْعَدُوُّ مَوَاقِعَهُ حَوْلَ حِصْنِ «لِيَجَاهِ»، وَبَدَأَتْ الْمَوَاقِعُ الْقَرِيبَةُ مِنْهُ وَالْقَوَاعِدُ الرَّئِيسِيَّةُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ تَقَدَّمَ دَعْمًا مُدْفِعِيًّا لِلْحِصْنِ. لَقَدْ وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا فَجَاءَةً وَسَطَ الْجَحِيمِ، بَيْنَمَا بَرْنَا مَجْنَا الْهُجُومِي قَدْ تَجَمَّدَ بِسَبَبِ الْأَلْغَامِ. فِي حِينِ تَحَوَّلِ هَمْنَا الْأَوَّلِ [إِلَى] الدَّفَاعِ عَنِ أَنْفُسِنَا وَمَرْكَزِنَا. هَذَا التَّحَوُّلُ آدَى إِلَى نُشُوبِ خِلَافٍ بَيْنَ «رَشِيدٍ» وَ«حَقَانِي» لَمْ يَجْتَمِعَا بَعْدَهُ أَبَدًا.

غَادَرَ «رَشِيدُ» الْمَوْقِعَ وَمِنْ يَوْمِهَا لَمْ أُقَابِلْهُ فِي الْجَبَهَاتِ. تَوَافَدَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى الْمَنْطِقَةِ بَعْدَمَا أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا أَنْ تُهَاجِمَ الْقُوَاتُ الْحُكُومِيَّةُ مَرَاكِزَ الْمُجَاهِدِينَ. وَوَصَلَ إِلَيْنَا مُدْفِعُ جَبَلِيٍّ عِيَارُ ٧٦ مِم فَاصْبَحَتْ نَيْرَانُ مُدْفِعِيَّتِنَا تَصِلُ إِلَى أْبْعَدَ مِنَ الْحِصْنِ نَفْسِهِ وَتَطَالَ طَوَابِيرَ التَّعْزِيزَاتِ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ. لَمْ أَكُنْ أَيْضًا سَعِيدًا بِكُلِّ تِلْكَ التَّطَوُّرَاتِ، كَانَ الطَّيْرَانُ وَحْدَهُ كَافِيًا لِلنَّيْلِ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِي. فَحَتَّى شَائِ الصَّبَاحِ لَمْ يُعَدِّ مُمْكِنًا تَنَاوُلَهُ بِاسْتِرْخَاءٍ، وَاللَّيْلُ مَلِيٌّ بِالتَّوَتُّرِ وَالاسْتِنْفَارِ وَقَدَائِفِ الْمُدْفِعِيَّةِ الثَّقِيلَةِ الَّتِي تَأْتِينَا مِنْ عُمُقِ الْوَادِي.

كَانَ بَرْنَامَجَنَا الْمُدْفَعِيُّ نَاجِحًا عَلَى الْحِصْنِ فَقَطْ، وَمُنْعَدِمَ التَّأثيرِ عَلَى
عُمُقِ العَدُوِّ. وَالصُّمُودَ أَمَامَ الطَّيْرَانِ بِلَا مُضَادَّاتٍ كَافِيَةٍ أَصَابَنَا بِخَسَائِرِ بَشَرِيَّةِ
وَمَادِّيَّةِ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ بِشَيْءٍ عَلَى الطَّيْرَانِ طَوَالَ فِتْرَةِ تَوَاجُدِي. كَانَ الْمَطْلُوبُ هُوَ
الثَّبَاتُ عَلَى هَذَا الوَضْعِ حَتَّى تَنْتَهِيَ جَلَسَاتُ الشُّورَى المِيدَانِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ
تَنْهَالُ، فَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَقَرَّرَ شَيْءٌ نِهَائِيٌّ عَنِ البَرْنَامَجِ وَلَا عَنِ المَجْمُوعَاتِ الَّتِي
سَوْفَ تُشَارِكُ فِيهِ. بَعْضُ الاجْتِمَاعَاتِ جَرَتْ فِي «جَاوَر» خَلْفَنَا بِمَسَافَةِ عَشْرَةِ
كِيلُومِتْرَاتٍ مَلِيئَةً بِالجِبَالِ الوَعِرَةِ، وَبَعْضُ الاجْتِمَاعَاتِ جَرَتْ فِي مَوَاقِعِنَا الَّتِي
لَمْ يَكُنْ بِهَا خَنْدُقٌ وَاحِدٌ حَتَّى تَلِكَ اللَّحْظَةَ.

انْتَهَتْ مُشَارَكَتِي فِي مَعْرَكَةِ «لِيَجَاه» عِنْدَ تَلِكَ النُّقْطَةِ، وَلَكِنَّ التَّطَوُّرَاتِ
اسْتَمَرَّتْ نَحْوَ شَهْرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، انْتَهَتْ بِاسْتِيْلَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى الحِصْنِ
وَالوُقُوفِ عَلَى أَعْتَابِ الوَادِي الفَسِيحِ، وَدَفْعِ العَدُوِّ عِدَّةَ كِيلُومِتْرَاتٍ دَاخِلِ
الوَادِي، وَحِرْمَانِهِ مِنْ جِبَالِ المَنْطِقَةِ المَنْبِيَعَةِ.

كَانَ نَصْرًا رَائِعًا، جَعَلَ غَرْبَ الوَادِي فِي وَضْعٍ خَطِرٍ؛ فَمَدَّخَلَ وَادِي
«لِيَجَاه» يُبِيحُ الوُصُولَ إِلَى مَنطِقَةِ الغَرْبِ كُلِّهَا وَيَجْعَلُ العَمَلِيَّاتِ مُمَكِّنَةً ضِدَّ
عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ تَلِكَ المَوَاقِعِ. بَلْ إِنَّ مَوْقِعَ القِيَادَةِ الرَّئِيسِيِّ لَغَرْبِ الوَادِي - وَهُوَ
حِصْنُ «دَرَاغِي» حَيْثُ الإِدَارَةُ وَالقِيَادَةُ لِلْمَنْطِقَةِ الغَرْبِيَّةِ - أَصْبَحَ هُوَ أَيْضًا
مُهَدَّدًا. وَبِالْفِعْلِ تَمَّ الاسْتِيْلَاءُ عَلَى «دَرَاغِي» بِوَاسِطَةِ قُوَّاتِ «حَقَّانِي»

الْمُتَحَرِّكَةِ مِنْ «لِيَجَاه»، وَلَكِنْ بَعْدَ ٩ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ مِنْ مَعْرَكَةِ «لِيَجَاه» الْأُولَى الَّتِي نَصِفُ بِدَايَاتِهَا هُنَا. وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ هُوَ ذِكْرُ تَفَاصِيلِ تِلْكَ الْمَعَارِكِ، بَلْ فَقَطْ ذِكْرُ بَعْضِ الْمَعَالِمِ الَّتِي تُوَضِّحُ الصُّورَةَ الْعَامَّةَ، وَمَا يُسَاعِدُ قَارِئَنَا التَّارِيخِيَّ الْمُتَنَطِّرَ عَلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْأَوْضَاعَ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً، وَنُحَاوِلُ أَيْضًا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ أَوْجِهٍ الْاسْتِفَادَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ وَمَا يُمَكِّنُ اسْتِخْلَاصَهُ مِنْ نَتَائِجِ.

وَنُحَاوِلُ أَنْ «تَتَفَلَّسَفَ» قَلِيلًا، وَنَعُودُ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ سَابِقًا عَنْ «الْقَوَانِينِ الْخَاصَّةِ بِالْحَرْبِ»، وَهِيَ قَوَانِينٌ تَتَعَلَّقُ بِالْقِتَالِ فِي ظُرُوفٍ خَاصَّةٍ جِدًّا بِحَيْثُ يَسْتَدْعِي ذَلِكَ إِجْرَاءَ تَعْدِيلَاتٍ فِي قَوَاعِدِ الْقِتَالِ الْمَعْرُوفَةِ أَوْ حَتَّى وَضَعَ بَعْضُ الْقَوَاعِدِ الْجَدِيدَةِ. وَقُلْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتِي إِلَّا لِنَوْعِ نَادِرٍ مِنَ الْقِيَادَاتِ، فَهَنَّاكَ خَطَأَيْنِ شَائِعَيْنِ يَقَعُ فِيهِمَا قَادَةُ الْحُرُوبِ:

- أ. **الْخَطَأُ الْأَوَّلُ:** الْإِلْتِزَامُ الْحَرْفِيُّ الْجَامِدُ بِقَوَاعِدِ الْحَرْبِ كَمَا ذَكَرْتُمْ فِي الْكُتُبِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَكَمَا تُدْرَسُ فِي الْأَكَادِيمِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ.
- ب. **الْخَطَأُ الثَّانِي:** الْإِهْمَالُ الْمَتَهَوَّرُ لِقَوَاعِدِ الْحَرْبِ بِدَعْوَى أَنَّهَا «كَلَامٌ نَظْرِيٌّ» كَمَا كَانَ يَحُلُّو لِبَعْضِ إِخْوَانِنَا الْعَرَبِ أَنْ يُطْلِقُوا عَلَيْهَا.

بِالنِّسْبَةِ لِلْخَطَأِ الْأَوَّلِ فَهُوَ شَائِعٌ فِي ضُبَّاطِ الْجُيُوشِ النَّظَامِيَّةِ الَّذِينَ قَدَفْتَهُمُ الْأَقْدَارُ إِلَى حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ. وَقَدْ شَاهَدْتُ عَدَدًا مِنْهُمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ،

أَكْثَرُهُمْ كَانُوا أَفْغَانًا وَقَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ. وَالضُّبَّاطُ الْعَرَبُ بِشَكْلِ خَاصٍّ فَشَلُّوا فِي التَّكْيِيفِ مَعَ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ بِشَكْلِ عَامٍّ وَمِنْ بَابِ أَوْلَى الطَّبِيعَةِ الْخَاصَّةِ لِلْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَالَّتِي اهْتَدَتْ إِلَيْهَا الْعَدِيدُ مِنَ الْمَجْمُوعَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَطَبَقَتْهَا بِنَجَاحٍ، وَحَتَّى «رَشِيدٍ» بِمُؤَهَّلَاتِهِ وَقُدْرَاتِهِ فَشَلَّ أَيْضًا فِي احْتِمَالِ الْوَضْعِ الْأَفْغَانِيِّ الْخَاصِّ. وَكَانَتْ «لِيَجَاه» نِهَآيَةَ عَمَلِهِ فِي «بَاكْتِيَا»، وَمَا لَبِثَ أَنْ فَشَلَ بِسُرْعَةٍ فِي تَجَارِبِهِ الْأُخْرَى فِي «جَلَالِ آبَادٍ»، فَانْكَمَشَ إِلَى مَجَالِ التَّدْرِيبِ ثُمَّ إِلَى الْكِتَابَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي صَحِيفَةِ «الصَّرَاطِ» التَّابِعَةِ لِمَوْلَايِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُورٍ»، حَتَّى تَرَكَ السَّاحَةَ الْأَفْغَانِيَّةَ.

وَمِنْ ضَمْنِ مَا يَتَأَثَّرُ بِهِ الْأُسْلُوبُ الْقِتَالِيُّ الْحَالَةُ الثَّقَافِيَّةُ لِلْمُجْتَمَعِ؛ فَالْمُجْتَمَعَاتُ الْوَاقِعَةُ تَحْتَ التَّأْثِيرِ الْعَرَبِيِّ أَوْ الشَّرْقِيِّ تَتَأَثَّرُ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ بِالْأُسْلُوبِ الْقِتَالِيِّ الْعَسْكَرِيِّ لِلْعَرَبِ أَوْ الشَّرْقِ. وَلَمَّا كَانَ الْأَفْغَانُ مِنْ أَقَلِّ الشُّعُوبِ تَأَثَّرًا بِالثَّقَافَاتِ الْخَارِجِيَّةِ إِضَافَةً إِلَى مَتَانَةِ الْوَضْعِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْقَبْلِيِّ وَسِيَادَةِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَنْبَتَ «أُسْلُوبُ قِتَالِ أَفْغَانِيٍّ»، وَهُوَ مَا شَاهَدْنَاهُ فِي «لِيَجَاه». وَكَانَ أُسْلُوبًا تَبَلُّورًا بِالتَّدْرِيجِ حَتَّى أَصْبَحَ مَدْرَسَةً قِتَالِيَّةً، هَذَا الْأُسْلُوبُ وَتِلْكَ الْمَدْرَسَةُ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا التَّكْيِيفُ مَعَهَا أَوْ اسْتِسَاعَتُهَا مِنْ جَانِبِ أَفْرَادٍ مِنْ خَارِجِ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ وَمِنْ خَارِجِ الثَّقَافَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

لَمْ تَنْجَحِ الْمَجْمُوعَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ بِنَفْسِ الدَّرَجَةِ، وَبَعْضُهَا فَشِلَ فِي تَخْطِي
حَدِّ مُعَيَّنٍ فِي عَمَلِهِ الْقِتَالِيِّ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَجَمَّدَ عِنْدَ مَرَحَلَةٍ قِتَالِيَّةٍ أَوْلِيَّةٍ. وَلَا
شَكَّ أَنَّ «جَلَالَ الدِّينِ حَقَّانِي» كَانَ وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ طَوَّرُوا إِلَى أَقْصَى حَدِّ
مُمْكِنٍ أُسْلُوبًا أَفْغَانِيًّا لِلْقِتَالِ كَانَ نَاجِحًا وَمُؤَثِّرًا لِلْعَايَةِ.

كَمَا رَأَيْنَا فَإِنَّ «حَقَّانِي» تَخَلَّى مُبَكَّرًا عَنِ سِيَاسَةِ «اضْرِبْ وَاهْرُبْ»،
وَرَفَضَ اتِّبَاعَهَا كَمَا رَأَيْنَا، حَتَّى عِنْدَمَا بَدَأَ الرُّوسُ فِي فَرَضِ احْتِلَالِهِمْ
العَسْكَرِيِّ، بَلْ مَضَى إِلَى حَدِّ الْقَبُولِ بِمُجَازَفَةِ «المُوَاجَهَةِ الشُّجَاعَةِ»، لَيْسَ
فَقَطْ فِي الْجِبَالِ، خَاصَّةً عَلَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى «خُوسْت»، بَلْ وَفِي الْوُدْيَانِ
الْمَفْتُوحَةِ كَمَا رَأَيْنَا فِي «تَعْمِيرِ» فِي وَادِي «زُورْمَات». لَقَدْ تَحَمَّلَ «حَقَّانِي» مِنْ
جَرَاءِ ذَلِكَ خَسَائِرَ كَبِيرَةً، لَكِنَّهُ حَقَّقَ نَتَائِجَ عَظِيمًا، خَاصَّةً عَلَى الْمُسْتَوَى
النَّفْسِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، وَحَتَّى لَوْ عَادَتْ عَجَلَةُ التَّارِيخِ إِلَى الْوَرَاءِ مَا أَظُنُّ عَسْكَرِيًّا
مُحْتَرِفًا يُوَافِقُ عَلَى آرَاءِ «حَقَّانِي» تِلْكَ، رُغْمَ أَنَّهُ [قَدْ] ثَبَّتَ عَمَلِيًّا أَنَّهَا الْأَصْلَحُ
لِلتَّرْكِيبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَظُرُوفِهَا الْفَرِيدَةِ، بَلْ وَظُرُوفِ «بَاكْتِيَا» الْأَشَدَّ خُصُوصِيَّةً.

وَكَمَا رَأَيْنَا، لَمْ يَسْتَطِعْ ضَابِطٌ قَدِيرٌ مِثْلَ «رَشِيد» أَنْ يَتَقَبَّلَ أُسْلُوبَ
«حَقَّانِي» فِي مَعْرَكَةِ «لِيَجَاه»، كَمَا أَنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. لَمْ أَكْتَشِفْ وَفَتْهَا
أَنَّ «حَقَّانِي» قَدْ انْتَقَلَ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَرَاكِلِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَاتَّخَذَ
بِذَلِكَ قَرَارًا مِنْ أخطرِ قَرَارَاتِ قِيَادَةِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَهُوَ قَرَارُ التَّحَوُّلِ مِنْ

مَرَحَلَةٍ إِلَى أُخْرَى. وَهُوَ قَرَارٌ مِنْ الْخُطُورَةِ بِحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ يُودِّي إِلَى هَزَائِمٍ ثَقِيلَةٍ قَدْ تَتَحَوَّلُ إِلَى هَزِيمَةٍ كَامِلَةٍ.

بَدَأَ «حَقَّانِي» يُقَاتِلُ بِمَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةٍ مُسْتَحْدِمًا قَدْرًا مِنَ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ هَادِفًا إِلَى طَرْدِ الْعَدُوِّ مِنَ الْجِبَالِ وَدَفْعِهِ نَحْوَ السُّهُولِ. لَمْ يَقْرَأْ «حَقَّانِي» حَتَّى الْآنَ كِتَابًا وَاحِدًا فِي حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَلَكِنَّهُ تَصَرَّفَ بِغَرِيزَةٍ فِطْرِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَحَسَّاسَةٍ، وَتَعَلَّمَ الدَّرُوسَ بِسُرْعَةٍ مُتَّخِذًا الْمَسَارَ الْمُنَاسِبَ لِحَالَتِهِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْخَاصَّةِ.

سَأَوِرْدُ حَادِثَتَيْنِ لِتَوْضِيحِ «الْحَالَةِ الْبَشَرِيَّةِ» الْخَاصَّةِ الَّتِي أَمَلْتُ أُسْلُوبًا قِتَالِيًّا بَعِيْنِهِ، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِكَثِيرٍ مِنَ الثَّوَابِتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَالْحَادِثَتَانِ مِنْ مَنطِقَةِ «لِيَجَاه».

الْحَادِثَةُ الْأُولَى:

جَلَسْنَا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ لِتَنَاوُلِ الشَّيْءِ الْأَخْضَرِ وَبَعْضِ الْخُبْزِ، وَهَذِهِ مُنَاسِبَةٌ مِنْ أَكْثَرِ الْمُنَاسِبَاتِ الْيَوْمِيَّةِ سَعَادَةً وَأَنْشِرَاحًا. بَعْدَ مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ كُنْتُ قَدْ أَحْسَسْتُ بِوُضُوحِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ كَانَتْ فِي دَوْرِيَّةٍ لَيْلِيَّةٍ خَلْفَ خُطُوطِ الْعَدُوِّ فِي الْوَادِي. وَتَعَرَّفْتُ عَلَى صَوْتِ صَدِيقِي الْقَدِيمِ مَوْلَوِيِّ «مُحَمَّدِ سُور» مُرَافِقَنَا فِي أَوْلَى مَعَارِكِنَا دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ.

أَجَلْتُ اللَّقَاءَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَقَدْ كَانَ لِقَاءً سَعِيدًا غَمَرَهُ الْبُشْرُ الصَّادِقُ
وَالْمَوَدَّةُ. بَعْدَ انْتِهَاءِ جَلْسَةِ الشَّايِ هَمَسَ مَوْلَوِيٌّ «سُرُور» فِي أُذُنِ طَبَّاحِ
الْمُعَسْكَرِ فَأَحْضَرَ لَهُ إِبْرِيْقًا صَخْمًا مِنَ الشَّايِ الْأَخْضَرِ الْمُرِّ. مَا زَالَتْ تِلْكَ
لَمَسَّتُهُ الشَّخْصِيَّةُ مُنْذُ عَرَفْتَهُ، إِبْرِيْقُهُ الْخَاصُّ مِنَ الشَّايِ الَّذِي يُعَادِلُ فِي حَجْمِهِ
كَمِيَّةَ الشَّايِ لِلْمُعَسْكَرِ بِأَجْمَعِهِ. قَدَّمَ لِي الرَّجُلُ كُوبًا، ارْتَشَفْتُ مِنْهُ عَلَى
مَضَضٍ، وَجَلَسْنَا نَتَبَادُلُ الْأَخْبَارَ وَالتَّعْلِيْقَاتِ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ خَلْفِ
الْحِبَالِ وَبَاتَتْ تَغْمُرُنَا بِأَشْعَتِهَا. بَدَأَ هَدِيرُ الطَّائِرَاتِ النَّفَّاثَةِ يَظْهَرُ فِي الْأُفُقِ
الْبَعِيدِ، فَانْسَلَّ الرَّجَالُ الَّذِينَ صَقَلْتَهُمْ تَجْرِبَةُ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ، وَظَلَّ مَوْلَوِيٌّ
«سُرُور» يَرْتَشِفُ الشَّايَ بِهُدُوءٍ كَأَنَّهُ يَسْتَمَعُ إِلَى شَقِشَقَةِ الْعَصَافِيرِ. اقْتَرَبَ مِنَّا
الْهَدِيرُ وَظَهَرَتِ النَّفَّاثَاتُ الْفَضِيَّةُ تَدُورُ حَوْلَ مُعَسْكَرِنَا، وَهَذَا دَلِيلٌ لَا يُدْحَضُ
عَلَى أَنَّ الشَّرَّ قَدْ اقْتَرَبَ. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْوَقُورَ لَمْ تُفَارِقْهُ الْابْتِسَامَةُ وَظَلَّ يُدِيرُ
الْحَدِيثَ الْعَذْبَ وَلَكِنَّ ذَهْنِي بَدَأَ يَشْرُدُ وَتَعَلَّقْتُ أُذُنَايَ بِالسَّمَاءِ وَعَيْنَايَ تَدُورُ
بِحَدْرٍ فِيمَا حَوْلِي كَيْ أَنْتَخِبَ الْمَكَانَ الْمُنَاسِبَ لِحُضُورِ الْمَآسَاةِ الْقَادِمَةِ.

لَيْسَ لَدَيْنَا خَنَادِقٌ وَلَا مَعَارَاتٍ، فَقَطُّ صُخُورٌ وَأَشْجَارٌ وَبَعْضُ مَجَارِي
السَّيْلِ الضَّيِّقَةِ. لَمْ أَسْتَطِعِ التَّحْمَلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ تَمَادَى الطَّيَّارُ فِي
مُنَاوَرَاتِهِ فَوَقْنَا فَطَلَبْتُ بِرِفْقٍ مِنَ الشَّيْخِ أَنْ نَتَحَرَّكَ تَحَسُّبًا لِلْأَخْطَارِ، فَلَوَّحَ
بِكَاسِ الشَّايِ الْأَخْضَرِ الَّتِي فِي يَدِهِ وَقَالَ بِرِفْقٍ: «تَتَحَرَّكُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَمَا
أَفْرُغُ مِنْ هَذَا الْكُوبِ». وَبِالْفِعْلِ نَفَذَ مَا قَالَ، وَبِكُلِّ هُدُوءٍ، ثُمَّ سَمِّيَ اللَّهُ وَبَدَأَ

يَتَحَرَّكَ بِهُدُوءٍ كَامِلٍ!!!.

الْحَادِثَةُ الثَّانِيَةُ:

مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الظَّهِيرَةِ كُنَّا قَرِيبِينَ مِنْ حِصْنِ «لِيَجَاه» مَعَ عَدَدٍ مَحْدُودٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ حَيْثُ وَصَلْنَا قَرِيبًا مِنْ حِزَامِ الْأَلْعَامِ. وَتَبَادَلْنَا إِطْلَاقَ النَّارِ مِنَ الْبِنَادِقِ مَعَ جُنُودِ الْحَامِيَّةِ، وَكَانُوا قَلِيلِينَ. وَلَكِنَّ دَعْمًا مِدْفَعِيًّا قَوِيًّا وَصَلَهُمْ مِنْ مَوَاقِعِهِمُ الْقَرِيبَةِ وَمِنَ الْعُمُقِ. فَقَضَيْنَا فِتْرَةَ عَصِيْبَةٍ وَنَحْنُ نُبَدِّلُ أَمَاكِنَنَا بِاسْتِمْرَارٍ حَتَّى تَخَلَّصْنَا مِنَ النَّيْرَانِ وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَنْطِقَةِ، وَلَكِنَّ الْمِدْفَعِيَّةَ اسْتَمَرَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَكْثَرِ مِنْ سَاعَتَيْنِ عَلَى نَفْسِ مَنْطِقَتِنَا الْأُولَى وَمَا حَوْلَهَا.

كَانَ الْقَصْفُ مِنَ الشَّدَّةِ بِمَكَانٍ بَحِيثٌ أَنْ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ خَلْفِنَا اسْتَعَدُّوا لِاسْتِقْبَالِ هُجُومٍ شَيْعُوِيٍّ مُضَادٍّ، وَبَدَأُوا التَّحَرُّكَ إِلَى الْأَمَامِ لِصَدِّ الْهُجُومِ. قَابَلُونَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِنَا وَسَأَلُوا عَنِ الْمَوْقِفِ فَأَخْبَرْنَاهُمْ أَنَّهُ لَا هُجُومَ مُتَوَقَّعَ حَتَّى الْآنَ.

فِي الطَّرِيقِ قَابَلْنَا شَيْخًا طَاعِنًا فِي السِّنِّ ذَا لِحْيَةٍ بِيَضَاءٍ، يَبْرُقُ مِنْ شِدَّةِ النَّظَافَةِ، يَرْتَدِي الْبِيَاضَ فِي جَمِيعِ مَلَابِسِهِ وَعِمَامَتِهِ. وَيَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ وَيَسِيرُ بِخُطَى وَئِيدَةٍ يَنْمَا يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ الْعَتِيقَةَ عَلَى كَتِفِهِ. سَأَلْنَا بِصَوْتٍ وَاهِنٍ: «هَلْ جَاءَ الْعَدُوُّ؟»، [قُلْنَا]: «لَا لَمْ يَجِيءْ»، [قَالَ]: «أَيْنَ هُمْ الْآنَ؟»، [قُلْنَا]: «بَعِيدٌ عِنْدَ مَدْخَلِ الْوَادِي»، [قَالَ]: «جَيْدٌ، إِذَنْ عِنْدِي وَقْتُ كَيْ أَنْوَضَّأَ»

وَأَصَلِّي الظُّهْرَ، ثُمَّ أَذْهَبُ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ لِلتَّعَرُّضِ». أَذْهَلَنِي الشَّيْخُ وَحَدِيثُهُ، وَمَا زِلْتُ أَعْجَبُ حَتَّى الْآنَ.

وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِنَا تَعْلِيْقًا عَلَى الْحَادِثَتَيْنِ فَنَقُولُ، إِنَّ بَشْرًا مِنْ طِرَازٍ خَاصٍّ جَدًّا كَهَوْلَاءٍ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ طَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ جَدًّا فِي الْقِتَالِ. وَهَذَا مَا كَانَ، فَلَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ صَبْرًا. لِهَذَا تَحَرَّكْنَا مَعَ الْوَقْتِ نَحْوَ تَكْوِينِ مَجْمُوعَاتِنَا الْقِتَالِيَّةِ الْخَاصَّةِ كَيْ نُقَاتِلَ بِطَرِيقَتِنَا الْخَاصَّةِ. وَبِالْمِثْلِ صَادَفْنَا نَحْنُ الْمُتَطَوِّعُونَ الْعَرَبُ بَعْضَ النَّكْسَاتِ وَبَعْضَ النَّجَاحَاتِ. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّهُ إِلَى حَدِّ مَا كَانَتْ هُنَاكَ مَدْرَسَةٌ عَرَبِيَّةٌ لِلْقِتَالِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَعَلَى الْأَصَحِّ مَدَارِسٌ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ فِي حِينِهِ.



الْغَامُ خَلَطِ الْأُورَاقِ:

نَقِيضٌ لِلصُّورَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ رَأَيْتُهُ فِي حَادِثَةِ الْأَغَامِ. فَقَدْ شَاعَ فَجَاءَةً بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ أَنَّ السُّلْطَاتِ الشُّيُوعِيَّةَ فِي «خُوسْت» قَدْ نَجَحَتْ فِي تَلْغِيمِ مَنْطِقَةِ «لِيَجَاه» بِوَاسِطَةِ عُمَّالِهَا. وَتَحَدَّدَ الْخَبْرُ أَكْثَرَ عِنْدَمَا عَلِمْنَا أَنَّ أَحَدَ عُمَّالِ الْحُكُومَةِ قَدْ وَضَعَ سِتَّةَ الْأَغَامِ مُضَادَّةً لِلْأَفْرَادِ فِي مَكَانٍ مَّا مِنْ مَنْطِقَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِي «لِيَجَاه». وَعَلِمْنَا أَنَّ الْمَنْطِقَةَ الْمُسْتَحْدَمَةَ لِلرِّمَايَةِ بِالْهَائُونَ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الْأَغَامِ.

سَافَرْنَا إِلَى «مِيرَانشاه» حَيْثُ نَشَأَتِ الْإِشَاعَةُ، وَمَعَ فَرِيقِ الْأَسْتِقْصَاءِ ذَهَبْنَا فِي سَيَّارَةٍ صَغِيرَةٍ إِلَى عَدَدٍ مِنَ الْبُيُوتِ النَّائِيَةِ قُرْبَ الْحُدُودِ. وَرَكِبَ مَعَنَا شَخْصٌ لَا أَعْرِفُهُ، قَالُوا بِأَنَّهُ «مُجَاهِدٌ». فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ يُقَوْمُ بِعَمَلٍ غَرِيبٍ لِلْعَايَةِ، كَانَ يَسْتَخْرِجُ الْأَلْغَامَ مِنْ مَنْطِقَتِنَا، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا عَلَى نَفْسِ الْهَضْبَةِ الَّتِي نَسْتَحْدِمُ مِنْهَا الْهَائُونَ، وَثَلَاثَةٌ أُخْرَى مُتَمَرِّقَةٌ فِي الْوَادِي وَهَضْبَةِ مُقَابِلَةٍ كُنَّا نَحْتَمِي بِهَا أحيانًا. سَأَلْتُ «رَشِيدٌ» بِدَهْشَةٍ عَمَّا أَرَاهُ. كَيْفَ يَتَعَرَّفُ هَذَا الرَّجُلُ بِدِقَّةٍ عَلَى مَوَاقِعِ الْأَلْغَامِ وَيُدُونُ أَيِّ مُعَدَّاتٍ فَنِيَّةٍ لِلْكَشْفِ عَنْهَا؟! .

ضَحِكَ «رَشِيدٌ» وَقَالَ: «بِبَسَاطَةٍ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي زَرَعَهَا». وَعَلِمْتُ مِنْهُ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ يَعْمَلُ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ، أَمَّا أَخُوهُ فَيَعْمَلُ مَعَ الْمِيلِيشِيَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَأَنَّ عِلَاقَاتِهِمَا الْعَائِلِيَّةَ لَمْ تَنْقَطِعْ، وَبِهَذَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُهُمَا تَقْدِيمَ بَعْضِ الْمُسَاعَدَاتِ إِلَى الْآخَرِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي شَاهَدْنَاهُ أَمَامَنَا فِي «لِيَجَاه».

لَقَدْ نَالَ هَذَا «الْمُجَاهِدُ» مُكَافَأَةً مِنْ «حَقَّانِي» لِقَاءِ رَفْعِ الْأَلْغَامِ، وَبِالتَّأَكِيدِ أَنَّهُ نَالَ مُكَافَأَةً مِنْ حُكُومَةِ «خُوسْت» لِقَاءِ زَرْعِ الْأَلْغَامِ. أَمَّا أَخُوهُ فَقَدْ نَالَ هُوَ الْآخَرَ مُكَافَأَةً مِنْ نَفْسِ الْحُكُومَةِ فِي مُقَابِلِ نَقْلِ الْأَلْغَامِ إِلَى أَخِيهِ «الْمُجَاهِدِ» كَيْ يَزْرَعَهَا فِي طَرِيقِ إِخْوَانِهِ الْمُجَاهِدِينَ.

كُنْتُ مَذْهُولًا وَقَتَّهَا؛ فَقَدْ كَانَتْ الْمَرَّةَ الْأُولَى الَّتِي أَرَى فِيهَا أَنَّ الْأُورَاقَ قَدْ بَدَأَتْ تَخْتَلِطُ، حَتَّى دَاخَلَ الْجَبَهَاتِ. فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ كَانَتْ الْأُورَاقُ

المخلوطة هي القاعدة الغالبة، وسادت العناصر المغشوشة ساحات الجهاد. واستخدم الشعار المقدس للتمويه على أشنع أنواع الاستعمار، استعمار الحروب والدماء وجني الثروات المحرمة من ورائها. لم يعد الفساد والغش مقتصرًا على «بشاور»، بل اكتسحت أواجه ساحات القتال في الداخل، وما رأيتُه في «حادثة الألبان» كان مجرد بداية للظاهرة الناشئة.

في ذلك الوقت لم يكن في «ليجاه» من المتطوعين غيري وغير «رشيد». أما باقي المجموعة التي كانت معه في العام الماضي فلم يحضر منها أحد هذا العام. لم ننجح في إقناع أحد [في الإمارات] بالحضور رغم كل التحريض وعروض المساعدة، حتى جماعتنا الأقربون، كل منهم كان لديه ما يشغله من أمور الأسرة أو العمل. كان الجهاد في قمة الأولويات النظرية لدى الملتزمين، [وعند] التطبيق فإنه لا يكاد يجد له موطن قدم في وسط المشاغل الأخرى التي تجد دومًا مبررات شرعية قوية. حتى أن أحد أصدقائي المقربين ومن أشد المتحمسين للجهاد، كان يضع برنامج «الترفيه الأسري» لعائلته فوق جلسات العمل التي كنا نعقدُها من أجل بحث سبل دعم الجهاد في أفغانستان، كانت العائلة ونزعتها «فرض عين» على صاحبنا، أما الجهاد فكان «فرض كفاية». ومن العبث محاولة إقناعه بغير ذلك؛ فلديه من الحُجج الشرعية ما يكفي حاجته وزيادة.

إِزْعَاجُ فِقْهِيٍّ - اسْتِخْبَارِيٍّ:

قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ وَطِيسُ الْمَعْرَكَةِ فِي «لِيَجَاه» وَصَلْنَا مِنْ «مِيرَانِشَاه» خَبْرٌ
أَذْهَلَنِي مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، أَخْبَرُونَا أَنَّ عَشْرَةَ مِنْ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ عَلَى وَشِكِ
الْوُصُولِ إِلَيْنَا لِلْمُشَارَكَةِ فِي الْجِهَادِ. عَشْرَةٌ دُفِعَتْ وَاحِدَةً!! لَمْ أَكْذُ أَصْدَقُ
نَفْسِي، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمَنَّى مُجَرَّدَ عَرَبِيٍّ وَاحِدٍ.

وَصَلَّ «الْإِخْوَةَ» الْعَرَبُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكَانَتْ مَجْمُوعَتُنَا تَتَحَرَّكُ
بِالْهَوَانِ لِقِصْفِ الْحِصْنِ. فَحَضَرَ مَعَنَا أَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَبَقِيَ الْآخَرُونَ؛ فَقَدْ
كَانُوا غَيْرَ جَاهِزِينَ. شَارَكَ الْإِخْوَةَ الْجُدُّ بِحِمَاسِ التَّجْرِبَةِ الْأُولَى وَشَفَافِيَّتِهَا
الرُّوحَانِيَّةَ، وَأَشْعَلَ ذَلِكَ حِمَاسَ الْقُدَمَاءِ وَأَبْكَاهُمْ. بَقِيَ «الْإِخْوَةَ» مَعَنَا بَاقِي
هَذَا الْيَوْمِ وَالْيَوْمِ التَّالِيِ فَقَطْ، وَغَادَرُوا وَسَطَ دَهْشَتِنَا لِهَذِهِ الْمُشَارَكَةِ الْخَاطِئَةِ.
وَلِلْحَقِيقَةِ أَحْزَنَنِي شُعُورِي بِالرَّاحَةِ لِنْدَهَابِهِمْ، وَكَادَ أَنْ يُبْكِيَنِي، لَيْسَ فِرَاقُهُمْ
وَلَا انْفِعَالَتُهُمْ الْإِيمَانِيَّةُ، بَلْ مَشَاكِلُهُمُ الدَّاخِلِيَّةُ وَإِزْعَاجُهُمْ لِلْقَادَةِ الْأَفْغَانِ.

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَشَاهِدُ هَذَا الْإِزْعَاجَ الْعَرَبِيَّ، وَكَشَانِ أَعْغَلِبِ التَّجَارِبِ الْأُولَى
فَإِنَّهَا تَحْمِلُ فِي نَفْسِيهَا مَعَالِمَ الْمُسْتَقْبَلِ. كَانَ إِزْعَاجًا ذَا شِقِّينِ، الْأَوَّلُ وَالْأَهَمُّ
إِزْعَاجُ فِقْهِيٍّ، وَالثَّانِي إِزْعَاجُ عَسْكَرِيٍّ.

مَوْلَوِي «أَرْسَلَانَ رَحْمَانِي»^(١) [صُورَةَ رَقْم ٦٥] وَاحِدٌ مِنْ أَشْهَرِ قَادَةِ
 الْمُجَاهِدِينَ مِيدَانِيًّا، وَهُوَ مِنْ مَنْطِقَةِ «الأورجون»، وَهُوَ وَزِيرٌ حَالِيًّا فِي «كَابُل»
 يَشْغَلُ وَزَارَةَ الْعَدْلِ!!، وَكَانَ أَوَّلَ ضَحَايَا الإِزْعَاجِ الْفِقْهِيِّ
 لِلْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ. وَمِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِي يَدِ
 شَابٍّ مِنْ «الإخوان المسلمين» لَطِيفِ الْمَعْشَرِ مُبْتَسِمِ
 دَائِمًا هَادِي الطَّبَعِ صَبُورٍ. وَاسْتَعَلَّ الْأَخُ «عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ» كُلَّ مِيزَاتِهِ تِلْكَ فِي إِقْنَاعِ مَوْلَوِي «أَرْسَلَانَ» بِالِإِقْلَاعِ عَنْ تَنَاوُلِ
 «النُّسُور»، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ «التبناك» الْأَخْضَرِ يَتِمُّ تَعَاطِيهِ عَنْ طَرِيقِ الْفَمِ،
 [وَذَلِكَ] بِتَخْزِينِهِ خَلْفَ الشَّفَةِ السُّفْلَى، وَهُوَ شَائِعٌ جِدًّا فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

مَوْلَوِي «أَرْسَلَانَ» عَالِمٌ أَيْضًا، وَدَافَعَ عَنْ مَوْقِفِهِ قَائِلًا أَنَّ عُلَمَاءَ الْأُخْتِافِ
 فِي أَكْثَرِهِمْ يُجِيزُونَ «النُّسُور»، وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ يَرَى أَنَّهُ مَكْرُوهٌ. الْأَخُ «عَبْدُ اللَّهِ»

(١) مَوْلَوِي أَرْسَلَانَ رَحْمَانِي: أَحَدُ قَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ، شَغَلَ مَنْصِبَ مُسَاعِدِ وَزِيرِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي
 وَوَزِيرِ الدَّرَاسَاتِ فِي حُكُومَةِ «طَالِبَانَ»، وَقَدْ تَصَالَحَ مَعَ حُكُومَةِ «كَرَازَاي» بَعْدَ سُقُوطِ الإِمَارَةِ
 الإِسْلَامِيَّةِ، وَشَغَلَ مَنْصِبَ نَائِبِ وَزِيرِ الْأَوْقَافِ فِي الْحُكُومَةِ الْجَدِيدَةِ. وَكَانَ أَحَدَ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ
 السُّلْمِ الْأَعْلَى فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَعُضْوًا مَجْلِسِ الشُّيُوخِ وَرَئِيسَ كُتْلَةِ «الإِصْلَاحِ وَالْعَدَالَةِ» الْبِرْلَمَانِيَّةِ.
 اغْتِيلَ «رَحْمَانِي» يَوْمَ الْأَحَدِ ١٣ / ٥ / ٢٠١٢ م حَيْثُ أُطْلِقَ عَلَيْهِ شَخْصُ النَّارِ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ لِمَجْلِسِ
 الشُّيُوخِ فَأَرْدَاهُ قَتِيلًا، وَقَدْ نَسِبَ اغْتِيَالَهُ إِلَى جَمَاعَةِ «مِحَادِ مِلَادَادِ اللَّهِ».



مُهَذَّبٌ وَصَبُورٌ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُوَاصِلَ النَّقَاشَ لِمُدَّةِ يَوْمٍ كَامِلٍ. تَعَمَّدْتُ أَلَّا أَحْضَرَ سِوَى الْاِفْتِتَاحِيَّةِ. فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ سَأَلْتُ مَوْلَوِيَّ «أَرْسَلَانَ» عَنِ النَّيِّجَةِ، فَقَالَ أَنَّهُ قَدْ خَسِرَ الْمَعْرَكَةَ وَاضْطُرَّ أَنْ يُعَاهِدَ الْأَخَ «عَبْدَ اللَّهِ» وَيُقْسِمَ عَلَى أَنْ لَا يَتَنَاوَلَ «النَّسْوَارَ» مَرَّةً أُخْرَى. وَقَدْ أَوْفَى مَوْلَوِيَّ «أَرْسَلَانَ» بِعَهْدِهِ، وَكُلَّمَا قَابَلْتُهُ بَعْدَهَا - وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى فتراتٍ مُتْبَاعِدَةٍ بِالْأَشْهُرِ أَوْ بِالسَّنَوَاتِ - كَانَ يُخْبِرُنِي ضَاحِكًا أَنَّهُ مَا زَالَ مُحَافِظًا عَلَى عَهْدِهِ.

غَادَرَ الْوَفْدَ الْعَرَبِيَّ مَنْطِقَةَ «لِيَجَاهَ»، وَانْقَطَعَ مَوْلَوِيَّ «أَرْسَلَانَ» لِمُدَّةِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ عَنِ اجْتِمَاعَاتِ مَجْلِسِ الشُّورَى الْقِيَادِيِّ بِسَبَبِ صُدَاعٍ شَدِيدٍ فِي الرَّأْسِ نَتِيجَةَ إِقْلَاعِهِ عَنِ «النَّسْوَارِ» كَمَا أَخْبَرَنِي بِنَفْسِهِ. بَعْدَ ذَلِكَ عَادَ إِلَى حَالَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ وَشَارَكَ فِي الْمَعْرَكَةِ حَتَّى نَهَايَتِهَا.

أَمَّا الْأَخُ «عَبْدُ اللَّهِ» فَقَدْ انْصَرَفَ إِلَى «بِيْشَاوَرٍ» لِيُمَارِسَ مُهْمَتَهُ الَّتِي لَمْ حَ لِي عَنْهَا عِنْدَمَا عَرَفَ صَلَاتِي الْقَوِيَّةَ بِالْأُسْتَاذِ - يَقْصِدُ سَيَّافَ - وَالَّذِي أَخْبَرَهُ عَنِ تَوَاجُدِي فِي «لِيَجَاهَ». فَقَدْ أَخْبَرَنِي «عَبْدُ اللَّهِ» بِأَنَّهُ قَادِمٌ مِنَ السُّعُودِيَّةِ بِتَكْلِيفٍ مِنْ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» كَيْ يَكُونَ فِي مُسَاعَدَةِ الْأُسْتَاذِ «سَيَّافَ». وَبَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَخَ «عَبْدُ اللَّهِ» تَوَلَّى مَسْئُولِيَّةَ جَمْعِ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ الْإِخْوَةِ الْعَرَبِ وَفَتَحَ مَلَفَاتٍ لَهُمْ لِيَضْبُطَ الْحَالَةَ الْأُمْنِيَّةَ وَحِمَايَتِهَا مِنَ الْاِخْتِرَاقِ !! وَأَصْبَحَ لِلْأَخِ سَيَّارَةٌ فَخْمَةٌ جِدًّا مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ الْمُخْصَّصِ

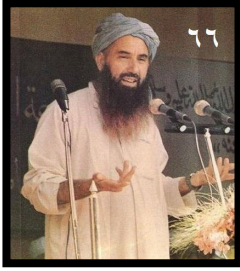
لِقِيَادَاتِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ مِنْ أَفْغَانِ «بِشَاوَر».

وَعِنْدَمَا اخْتَدَمَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ «سَيَّاف» عَلِمْتُ أَنَّ «عَبْدَ اللَّهِ» قَدْ سَرَّبَ مَعْلُومَاتٍ «خَطِيرَةَ» لِعَدِيدٍ مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ فِي «بِشَاوَر» - وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَصْدِقَاءُ مُقَرَّبُونَ لِي - حَوْلَ اجْتِمَاعَاتِ سِرِّيَّةٍ دَارَتْ فِي «إِسْلَامْ آبَاد» بَيْنِي وَبَيْنَ السُّوفِيَّتِ. تِلْكَ الْاجْتِمَاعَاتُ الَّتِي كَانَتْ سِرِّيَّةً لِدَرَجَةِ أَنْبِي شَخْصِيًّا - صَاحِبِ الْعِلَاقَةِ الْمُبَاشِرَةِ - لَمْ أَعْرِفْ عَنْهَا شَيْئًا إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْأَخِ «الْمُخْبِرِ» الَّذِي أَذْهَشْتَنِي قُدْرَتُهُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى الْمَعْلُومَاتِ، حَتَّى تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَحْدُثْ!! وَأَسْعَدَنِي أَنَّ صُفُوفَ «الْإِخْوَانِ» تَحْتَوِي عَلَى تِلْكَ الْقُدْرَاتِ الْخَارِقَةِ فِي مَجَالِ الاسْتِخْبَارَاتِ الدُّوَلِيَّةِ.

كَانَتْ تَقْدِيرَاتِي الشَّخْصِيَّةُ أَنَّ عَدَدَ الْأَفْرَادِ الْمُجَنَّدِينَ لِصَالِحِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنْوَاعِهَا فِي وَسَطِ الشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ الْمُجَاهِدِ لَا تَقُلُّ عَنْ نِسْبَةِ مُخْبِرٍ وَاحِدٍ لِكُلِّ خَمْسَةِ مُجَاهِدِينَ. وَلَا أَدْرِي كَمْ كَانَتْ سَتَكُونُ النِّسْبَةُ لَوْ حُرِّمَتْ السَّاحَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ مِنَ الْحِمَايَةِ الْأُمْنِيَّةِ الَّتِي نَسَجَهَا «الْإِخْوَانُ» حَوْلَ السَّاحَةِ، وَمِنْ خِلَالِ كَفَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَكَثِيرَةٍ، مِنْهَا الْأَخُ «عَبْدُ اللَّهِ» عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحَصْرِ.

وَعَلَى هَامِشٍ تِلْكَ الْفَقْرَةَ نَقُولُ بِأَنَّ «الْأَحْزَابَ الْجِهَادِيَّةَ» فِي «بِشَاوَر» كَانَتْ فِي قَبْضَةِ مُحْكَمَةٍ لِلْمُخَابَرَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ بِتَوْجِيهَاتِ

أَمْرِيكِيَّةٍ مُبَاشِرَةٍ. أَمَّا التَّوَاجُدُ الِاسْتِخْبَارَاتِي لِلْمَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ فَقَدْ ظَهَرَ عَلَى السَّطْحِ بِوُضُوحٍ عَامٍ ١٩٨٣ م، وَبَدَأَ يَتَنَامَى بِشَكْلِ سَرَطَانِيٍّ نَافَسَ التَّوَاجُدَ الْبَاكِسْتَانِيَّ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِعِ مُنَافَسَةً خَطِيرَةً أَدَّتْ إِلَى تَحَرُّشَاتٍ خَفِيَّةٍ بَيْنَهُمَا،



كَمَا حَدَّثَ فِي عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ»^(١) الزَّعِيمِ الْأَفْغَانِيِّ السَّلَفِيِّ [صُورَةٌ رَقْمٌ ٦٦]، [وَقَدْ] كَانَ تَنْظِيمُهُ غِطَاءً شَفَافًا لِرِجَالِ الِاسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةِ. وَقَدْ رَتَبَتْ بَاكِسْتَانُ مَعَ «حِكْمَتِيَارِ» عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ» بِوِاسِطَةِ شَابِّ مِصْرِيٍّ مُتَحَمِّسٍ جِدًّا وَعَاطِفِيٍّ.

وَتِلْكَ هِيَ تَقْدِيرَاتِي الشَّخْصِيَّةُ مِنْ مُتَابَعَتِي لِلْحَادِثِ وَقَتِّهَا. أَمَّا التَّحْقِيقَاتُ الَّتِي جَرَتْ فِيهَا كَالْعَادَةِ لَا تَكْشِفُ إِلَّا عَنِ الْجُثِّثِ الْمُمَزَّقَةِ، أَمَّا الْفَاعِلُ فَهُوَ مَجْهُولٌ رُغْمَ أَنْ الْجَمِيعَ يَعْرِفُونَهُ!!.

(١) مُحَمَّدٌ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْمَنَّانِ: الشَّهِيرُ بِـ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ»، أَحَدُ قَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ، وَأَحَدُ كِبَارِ الْمَشَايخِ فِيهَا، وُلِدَ فِي قَزِيَّةِ «نَنْجَلَامِ» بِوَادِي «بِيَج» بِمُحَافَظَةِ «كَنْر» بِأَفْغَانِسْتَانَ، طَلَّبَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ فِي بَلَدْتِهِ ثُمَّ فِي بَاكِسْتَانَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ «مَوْلَانَا مُحَمَّدَ ظَاهِرٍ». كَانَ الشَّيْخُ «جَمِيلُ الرَّحْمَنِ» مَاتُورِدِيًّا حَنْفِيًّا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ اطَّلَعَ عَلَى مُصَنَّفَاتِ الْإِمَامِ «ابْنِ تَيْمِيَّةَ» وَالشَّيْخِ «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ»، فَتَحَوَّلَ عَنِ الْمَاتَرِيذِيَّةِ، وَقَامَ بَعْدَهَا بِمُحَارَبَةِ الْبِدْعِ الْمُشْتَبِهَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُحِيطِ بِهِ، وَتَصْحِيحِ بَعْضِ الْعَقَائِدِ الَّتِي شَابَهَا بَعْضُ انْحِرَافِ، وَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ الْمُجَاهِدِينَ لِلنِّظَامِ الشَّيْوَعِيِّ فِي وِلَايَةِ «كَنْر»، أَتْنَى عَلَيْهِ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِيَّةِ كَالشَّيْخِ «ابْنِ بَازٍ» وَ «الْأَبْنَانِي».

لَيْسَ هَذَا حَالَ قَضِيَّةٍ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ» فَقَطْ، بَلْ قَضِيَّةَ الرَّئِيسِ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» نَفْسِهِ، وَقَضِيَّةَ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» مِنْ بَعْدِهِ. وَسَتَحَدِّثُ أَيْضًا فِي مَكَانٍ آخَرَ عَنِ الْمُخَابِرَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ فِي «بِيشاور». ثُمَّ أَذْهَبُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ دَوْرِ الْجِهَازِ الْاسْتِخْبَارِيِّ لِلْإِخْوَانِ وَأَجْهَزَةٍ مُمَثِّلَةٍ كَوْنَتْهَا الْأَحْزَابُ الْأَفْغَانِيَّةُ وَعَلَى رَأْسِهَا وَأَكْفَاهَا جِهَازُ «حِكْمَتِيَار».

كُلُّ تِلْكَ الْأَجْهَزَةِ تَابَعَتْ - مِنْ ضِمْنِ مَا تَابَعَتْ - الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبَ. وَالسُّؤَالُ هُوَ «لِصَالِحٍ مَنْ؟»، وَ«مَنْ كَانَ عَدُوَّهَا الْمُسْتَهْدَفَ بِالْمُتَابَعَةِ طَالَمَا [أَنَّهُ] لَيْسَ الْمُخَابِرَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةَ وَالْمِصْرِيَّةَ وَالْأَسْعُودِيَّةَ وَلَا الْإِسْرَائِيلِيَّةَ؟». وَفَاتِنَا أَنْ نَذْكَرَ أَنَّهُ لَيْسَتْ أَيْضًا الْمُخَابِرَاتِ السُّوفِيَّةِ هِيَ الْعَدُوُّ طَالَمَا أَنَّ اغْتِيَالَ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» تَمَّ بِعَمَلِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَ أَجْهَزَةِ الْمُخَابِرَاتِ الرَّوْسِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى أَرْجَحِ الْاِحْتِمَالَاتِ، وَكَمَا أَشَارَ الْعَدِيدُ مِنَ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ.

تَقْدِيرِي الشَّخْصِيُّ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبَ كَانُوا هُمْ الْهَدَفُ، وَمُتَابَعَةُ تَحْرُكَاتِهِمْ وَنَشَاطَاتِهِمْ كَانَتْ هِيَ الْمُسْتَهْدَفَةُ، وَلِصَالِحِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

فَهَلْ كَانَتْ اسْتِخْبَارَاتُ «الْإِخْوَانِ» تَعْمَلُ لِصَالِحِ بَعْضِ تِلْكَ الْجِهَاتِ؟، وَهَلْ كَانَ ذَلِكَ جُزْءًا مِنَ الصَّفَقَةِ الدُّوَلِيَّةِ الَّتِي انْخَرَطَ «الْإِخْوَانُ» بِمُوجِبِهَا فِي

قَضِيَّةَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَتَمَهِيدًا مُبَكَّرًا لِلْحَرْبِ عَلَى «الْإِرْهَابِ الْإِسْلَامِيِّ» الَّتِي
بَدَأَتْ عَامَ ٩٣ وَقَدْ تَسْتَمِرُّ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ؟.

كَانَ «رَشِيدٌ» هُوَ الصَّحِيحُ الثَّانِيَةُ لِلِإِزْعَاجِ الْفِقْهِيِّ الَّذِي سَنَّهُ الْعَرَبُ فِي
زِيَارَتِهِمُ الْخَاطِفَةَ، وَلَا أُدْرِي مَاذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُصْبِحَ عَلَيْهِ الْحَالُ لَوْ مَكَّنُو
عِدَّةَ أَيَّامٍ أُخْرَى.

كَانَ حَظُّ «رَشِيدٍ» عَاطِرًا؛ فَقَدْ تَعَاوَرَهُ عَدَدٌ مِنَ الْإِخْوَةِ الْجُدُدِ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ
الْأَخُ «عَبْدُ اللَّهِ» الْمَهْدَبُ الصَّبُورُ. كَانَ فِيهِمْ اثْنَانِ عَلَى الْأَقْلِّ مِنَ الشَّمَالِ
الْإِفْرِيقِيِّ وَالْمَشْهُورِينَ بِنَفَازِ الصَّبْرِ. وَكَانَ «رَشِيدٌ» مَتَّهَمًا بِثَلَاثِ مَعَاصٍ فِي آنٍ
وَاحِدٍ، فَهُوَ أَوْلَا حَلِيقُ، يُعْنِي الشَّارِبَ وَيَحْلِقُ اللَّحِيَةَ. ثَانِيًا هُوَ يُدَخِّنُ
السَّجَائِرَ، ثَالِثًا هُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى الرَّادِيُو الَّذِي يَبِثُّ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَصْوَاتِ
الْمُوسِيقِيَّةِ.

كَانَ «رَشِيدٌ» فِي حَالَةٍ ذُهُولٍ مِمَّا يَسْمَعُ، وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْجِدًا، ثُمَّ قَذَفَ
الْكُرَةَ إِلَى مَلْعَبِي قَائِلًا: «هَذَا الشَّخْصُ مَعِيَ مُنْذُ سِنِينَ وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِشَيْءٍ مِنْ
ذَلِكَ، فَهُوَ الْمَسْئُولُ». كَانَتْ حَرَكَةٌ بَارِعَةً لَمْ تُنْجِهْ مِنَ الْمُطَارَدَةِ الْفِقْهِيَّةِ
لِلْإِخْوَةِ، وَإِنْ نَجَحَتْ فِي جَعْلِي هَدَفًا احْتِيَاطِيًّا لِتِلْكَ الضَّرَبَاتِ.

أَغْلَقَ «رَشِيدٌ» الْمَذْيَاعَ وَامْتَنَعَ عَنِ التَّدْخِينِ بَاقِيِ الْيَوْمِ. وَبِالتَّالِيِ لَمْ يَسْتَطِعْ
الْقِيَامَ بِأَيِّ عَمَلٍ، حَتَّى الْكَلَامِ. وَلِلْأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُطْلَقَ لِحِيَّتُهُ خِلَالَ

السَّاعَاتِ الْقَلِيلَةِ الْمُتَبَقِّيَةِ عَلَى رَحِيلِ الإِخْوَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ غَادَرُوا الْمَرْكَزَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ. تَنَفَّسَ «رَشِيدُ» الصُّعْدَاءِ وَدَخَنَ سَجَائِرُهُ بِأَثَرِ رَجْعِيٍّ، وَفَتَحَ الْمَذْيَاعَ بَاحِثًا عَنِ نَشْرَةِ لِلْأَخْبَارِ، وَسَأَلَنِي مُنْذَهَشًا: «هَلْ كُلُّ الْعَرَبِ كَذَلِكَ؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي عَنْ طِبَاعِكُمْ؟ هَلْ مَا يَقُولُونَهُ صَحِيحٌ؟ وَلِمَاذَا لَمْ تُوضِّحْ لِي ذَلِكَ؟»، ثُمَّ سَكَتَ فَجَأَةً وَأَخَذَ يَنْفُضُ دُخَانَ سَجَائِرِهِ وَهُوَ شَارِدُ الذَّهْنِ.

وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ «الْغَارَاتِ الْفِقْهِيَّةَ» كَانَتْ أَحَدَ الْوَسَائِلِ الْفَعَّالَةِ فِي تَخْرِيبِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ وَالْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ. كَانَ الشَّابُّ الْعَرَبِيُّ يُعْطِي لِنَفْسِهِ مِبَاشَرَةَ حَقِّ الْفِتْوَى وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَغَالِبًا مَا يَتَمُّ ذَلِكَ بِجَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ وَبَغْيٍ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ حَقِيقِيٍّ. وَهَذِهِ إِحْدَى الْمَشْكَلَاتِ الَّتِي تُقَابِلُ الْحَرَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، فَجَمَاهِيرُ الْمُسْلِمِينَ تَنْفَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَتَتَّخِذُ مَوْقِفًا سَلْبِيًّا أَوْ مُعَادِيًّا مِنَ الْبَرْنَامَجِ الْإِسْلَامِيِّ خَشْيَةً أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى تَحَكُّمِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْأَجْلَافِ فِي مَصَائِرِ النَّاسِ.

فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَدَّى كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ ذَلِكَ الدَّوْرَ الْمُنْفَرَّ وَلَكِنْ عَنْ نَوَايَا حَسَنَةٍ. وَلَكِنَّ الاسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةَ بِشَكْلِ خَاصٍّ وَالْعَرَبِيَّةَ عَامَةً أَرْسَلَتْ عَشْرَاتٍ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْجَبْهَاتِ، خَاصَّةً بَعْدَ الْانْسِحَابِ السُّوفِيَّتِيِّ، وَقَامُوا بِمَجْهُودٍ تَنْفِيرِيٍّ كَادَ أَنْ يُؤَدِّيَ أَحْيَانًا إِلَى صِدَامَاتٍ مُسْلِحَةٍ. وَقَدْ أَفْتَى بَعْضُ عُلَمَاءِ الْأَفْغَانَ بِتَكْفِيرِ الْعَرَبِ الْمُجَاهِدِينَ بِدَعْوَى أَتْهَمُ

وَهَابِيُّونَ. جَاءَ ذَلِكَ كَرْدَةً فِعْلٌ مُتَسَاوِيَةٌ لِمَا فَعَلَهُ وَهَابِيُّو النِّظَامِ السُّعُودِيِّ الَّذِينَ
وَزَعُوا عَلَى الْأَفْغَانِ اتِّهَامَاتِ الشُّرْكِ وَالْبِدْعِ وَالتَّكْفِيرِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَهَانُوا
الْمَذْهَبَ الْحَنَفِيَّ وَعُلَمَاءَهُ عَلَى الْمَلَأِ. وَلَمَّا كَانَتْ السَّاحَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ تَسْمَحُ
لِأَيِّ جِهَةٍ أَنْ تَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ، فَقَدْ أَدَّى هَؤُلَاءِ «الْوَهَابِيُّونَ» التَّابِعُونَ
لِلْإِسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةِ دَوْرًا مُدْمِرًا تَمَامًا دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، أَضْرَّ كَثِيرًا بِالِدَّوْرِ
الْعَرَبِيِّ وَعَجَّلَ فِي ذُبُولِهِ، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مُسْتَقْبَلًا يُذَكِّرُ بَعْدَ «الْفَتْحِ» وَسُقُوطِ
الشُّبُوعِيَّةِ فِي «كَابُلٍ».

الإزعاج العسكري الذي مارسه الضيوف العرب لم يقل جهالة عن
برنامجهم الشرعي؛ فقد اجتمع عدد منهم حول «حقاني» و «أرسلان»
بصفتهما الوحيدان اللذان يتكلمان العربية ثم هاجموا بعنف النشاط
العسكري في «ليجاه» بدعوى أنه «غير شرعي»!!! كانت «صدمة» أسمعها
لأول مرة. أضاف «العلماء العرب» أن البرنامج الحالي لا يحتوي على فقرة
الافتحام والفتح، فلما رد المجاهدون بأن الأعلام تقف عائقا، رد عليهم
العلماء بأن يقتحموا الأعلام فيموت من يموت شهيدا، والذي يعيش يستولي
على الحصن ثم يكملون هكذا حتى يستولون على المدينة كلها؛ فهذا هو
الإسلام دين الفتوحات، وغير ذلك فهو بدعة منكرة وضلالة تؤدّي إلى

النَّارِ^(١).

تَوَقَّتْ عَنْ حُضُورِ الْمُنَاقَشَةِ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَدِّ وَأَنْسَحَبَتْ خَشِيئَةً أَنْ أَنْفَجِرَ غَضَبًا فِي وَجْهِ ذَلِكَ الْجِهْبِيدِ. وَطَالَتْ الْمُنَاقَشَةُ الْعَقِيمَةُ سَاعَاتٍ طَوَالَ، لَا أَدْرِي كَيْفَ عَثَرَ «حَقَّانِي» وَ «أَرْسَلَانَ» عَلَى كُلِّ ذَلِكَ الصَّبْرِ لِسَمَاعِ كُلِّ ذَلِكَ السَّيْلِ مِنَ الْهَرَاءِ. وَالْأَعْجَبُ أَنَّهُمْ حَاوَلُوا إِفْهَامَهُ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تَعْتَرِضُ فَتَحَ الْحِصْنِ وَالْمَدِينَةَ بِالْأَسْلُوبِ «الشَّرْعِيِّ» الَّذِي يَصِفُهُ. ذَكَرُوا أَنَّ الطَّائِرَاتِ وَالْمَدَافِعِ وَالذَّبَابَاتِ وَخُطُوطِ الدَّفَاعِ وَعَجَزَ الْمُجَاهِدِينَ فِي السَّلَاحِ وَالذَّخَائِرِ وَالتَّدْرِيبِ... الخ^(٢). ضَاعَ الْيَوْمُ وَخَرَجَ الْقَادَةُ يُعَانُونَ مِنَ الصَّدَاعِ، وَلَمْ يَفْتَنِعْ «المُفْتِي الْجَنْرَال».

(١) هَذَا مِنْ نَتَائِجِ ضَحَالَةِ فِكْرِ سَلَفِييِ الْعَصْرِ وَمَنْ لَمْ يَمَارِسِ الْعَمَلَ مِنْهُمْ وَانْتَفَى بِالتَّنْظِيرِ الْبَاهِتِ فِي الْمَسَاجِدِ بَعِيدًا عَنْ سَاحَاتِ الْعَمَلِ الْوَاسِعَةِ كَثِيرَةَ الْمُتَغَيَّرَاتِ وَالْعَوَامِلِ وَالْعَوَاقِقِ، هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَيْقِ مَفْهُومِهِمْ عَنِ الْبِدْعِ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَسْأَلُونَ سَيْفَ التَّبْدِيعِ وَالتَّفْسِيْقِ وَالتَّكْفِيرِ أحيانًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَمَنْ يُخَالِفُهُمْ. وَهَذَا النَّوعُ مِنَ السَّلَفِيِّينَ هُمْ مَنْ يُوطَّؤُونَ لِلطَّوْأغِيَةِ الْآنَ وَيُعْطُونَهُمْ شَرْعِيَّتَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَنْ إِذْنِهِمْ.

(٢) أَيُّ أَنَّهُمْ حَاوَلُوا التَّطَرُّقَ إِلَى تَفْسِيرِ الْجَوَانِبِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْإِسْتِزَاتِيْجِيَّةِ الْبَحْتَةِ، وَالَّتِي لَا تَتَأْتِي إِلَّا بِالْعِلْمِ الْحَيَاتِيِّ الْمُكْتَسَبِ، حَاوَلُوا تَفْسِيرَهَا بِأَسْلُوبِ شَرْعِيٍّ بَحْتِ كَمَا لَوْ كَانُوا يُنَاقِشُونَ مَسْأَلَةً فِي الصَّلَاةِ أَوْ الزَّكَاةِ، وَهَذَا لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى الْغَفْلَةِ وَالْحِمَاقَةِ وَقَصْرِ النَّظَرِ وَالْعُرُورِ وَالتَّشْبَعِ بِمَا لَمْ يُعْطَوْهُ.

بَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنْ مُغَادَرَةِ الْوَفْدِ لِمَوَاقِعِنَا [كُنْتُ] عَائِدًا إِلَى «مِيرَانشَاه»، نَزَلْتُ مَعَ «رَشِيد» إِلَى هُنَاكَ لِقَضَاءِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ فَوَجَدْنَا الْإِخْوَةَ الْعَرَبَ قَدْ تَأَخَّرَ سَفَرُهُمْ لِأَسْبَابٍ فَنِيَّةٍ. فَقَضَوْا هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ فِي بَيْتِ تَابِعٍ لـ «حَقَّانِي». وَكَانَتْ الْمُدَّةُ كَافِيَةً لِتَفْجِيرِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ أَعْضَاءِ الْوَفْدِ كَيْ تَصِلَ إِلَى قُرْبِ دَرَجَةِ الْاِشْتِيَاكِ، وَانْقَسَمُوا إِلَى مَجْمُوعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ مَجْمُوعَاتٍ مُتَخَاصِمَةٍ!!!.

شَعَرْنَا بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ، خَاصَّةً وَأَنَّ تِلْكَ الْحَالَةَ بَاتَتْ مَفْضُوحَةً لَدَى الْأَفْغَانِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْوَفْدَ الْعَرَبِيَّ مِثْلَ كُلِّ الْوُفُودِ الْأُخْرَى لَا يَكُلُّ وَلَا يَمَلُّ مِنْ تَذْكِيرِ الْأَفْغَانِ بِضُرُورَةِ الْوِحْدَةِ^(١).

كُنْتُ أَظُنُّ فِي الْبِدَايَةِ أَنَّ الْوَفْدَ كُلَّهُ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ الْمُقِيمِينَ فِي «لَنْدُن»؛ فَقَدْ عَرَفَنِي بَعْضُهُ بِنَفْسِهِ بِهَذَا الشَّكْلِ. وَلَكِنْ اتَّضَحَ أَنَّهُمْ مِنْ أَمَاكِنَ شَتَّى مُتَفَرِّقَةٍ تَجَمَّعُوا فَقَطُّ عِنْدَ «سَيَّاف» الَّذِي شَحَنَهُمْ إِلَى «لِيَجَاه».

(١) وَالَّذِي يَنْبَغِي هُوَ أَنْ يَتَّصَدَّرَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي تِلْكَ السَّاحَاتِ الْعُلَمَاءُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَحُسْنِ إِدْرَاكِ الْوَاقِعِ، وَلَا يَنْبَغِي عَلَى عَامَّةِ الشَّبَابِ الْإِسْلَامِيِّ كَثْرَةُ مَنَاقِشَةِ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالتَّصَدُّرُ لَهَا، وَإِنْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ؛ لِأَنَّ مَا خَفِيَ عَنْهُمْ كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يُدْرِكُونَهُ، وَالتَّرَيُّثُ فِي مِثْلِ تِلْكَ السَّاحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْلَى وَانْفَعُ دَائِمًا، وَبِخَاصَّةٍ وَأَنَّهُ مَجْهُولُ الْعَيْنِ لَدَى مَنْ يَقُومُ بِتَوْجِيهِهِمْ أَوْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْوِحْدَةِ أَوْ غَيْرِهَا.

كَانَتْ الْأَفْكَارُ مُخْتَلِفَةً وَالتَّوَجُّهَاتُ الْحَزَبِيَّةُ مُتَبَايِنَةً وَالمَدَارِسُ الفِقْهِيَّةُ مُتَبَاعِدَةً، فَكَانَ الخِلَافُ وَالتَّهَامَاتُ. حَتَّى أَنْ عَدَدًا مِنْهُمْ جَاءَ يُقْسِمُ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الضُّيُوفِ كَانَ يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ يَشْكُونَ فِي كَوْنِهِ جَاسُوسًا يَعْمَلُ لِحُكُومَةِ الْأُرْدُنِ أَوْ لِإِسْرَائِيلَ.

وَكَانَ الضَّيْفُ فَلَسْطِينِي الْأَصْلِ وَمَقِيمًا فِي الْأُرْدُنِ. كَانَتْ التُّهْمَةُ خَطِيرَةً، وَدُقَّتْ لَهَا أَجْرَاسُ الْإِنْدَارِ. وَكَانَتْ الْإِجَابَةُ الَّتِي قُدِّمَتْ إِلَيْهِمْ «إِذَا قَدَّمْتُمْ الدَّلِيلَ فَلَنْ يَعُودَ هَذَا الشَّخْصُ إِلَى أَهْلِهِ حَيًّا يُرْزَقُ»، وَلَكِنَّهُمْ فَشَلُوا فِي ذَلِكَ. وَالأَذْهَى أَنَّ أَحَدَ أَفْرَادِ وَفِدِ «لُنْدُن» - وَهُوَ مِصْرِيُّ الْأَصْلِ - قَالَ أَنَّهُ يَعْرِفُ الشَّخْصَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَأَنَّهُ كَانَ فِي مِصْرَ سَابِقًا وَتَمَّ القَبْضُ عَلَيْهِ فِي قَضِيَّةِ «السَّادَاتِ» أَوْ فِي أَعْقَابِهَا، وَأَنَّهُ مَعْلُومٌ جَيِّدًا لَدَى الْإِخْوَةِ فِي مِصْرَ.

تَنَفَّسْتُ الصُّعْدَاءَ، وَتَعَجَّبْتُ مِنَ المَدَى الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ الخُصُومَاتُ الهُوجَاءُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَأَنَّ أَوَّلَ [مَا] يَضِيعُ فِيهَا هِيَ الْحَقِيقَةُ، وَأَنَّ أَوَّلَ المُسْتَفِيدِينَ مِنْهَا هُمْ عَنَاصِرِ العَدُوِّ المَزْرُوعَةِ بِكثْرَةٍ فِي الوَسْطِ الْإِسْلَامِيِّ. وَطَالَمَا أَنَّ كُلَّ شَخْصٍ تَقَفُ عَلَى رَأْسِهِ - بِالْحَقِّ أَوْ بِالْبَاطِلِ - تُهْمَةُ التَّجَسُّسِ، فَالنتيجةُ أَنْ تُصِحَّ التُّهْمَةُ فَارِعَةً مِنْ أَيِّ مَعْنَى وَيَسْتَحِيلُ إثْبَاتُهَا. بَلْ تَحَوَّلَ إِلَى كَلَامٍ مُبْتَدَلٍ لَا يُلْتَمَتُ إِلَيْهِ، وَلَمْ جَرَّدِ حَشْوِ الْأَحَادِيثِ فِي مَجَالِسِ النِّمِيمَةِ.

عِنْدَهَا تَعْمُّ الطَّمَأِينَةُ جَوَاسِسَ الْعَدُوِّ وَيَعْمَلُونَ بِنَبَاتٍ وَثِقَةٍ فِي النَّفْسِ، بَلْ يُمَكِّنُهُمْ عِنْدِيذٍ أَنْ يَتَصَدَّرُوا الْمَجَالِسَ بَلْ وَالْجَمَاعَاتِ، وَحَتَّى يُمَكِّنَهُمْ تَوَزِيعُ الْاِتِّهَامَاتِ وَتَرْوِجِهَا إِلَى أَقْصَى حَدٍّ، وَحَتَّى تَفْقِدَ مَعْنَاهَا وَخُطُورَتَهَا، وَهَكَذَا فَعَلُوا فِي «بِشَاوَر».



سُقُوطُ الْهَيْبَةِ السُّوفِيَّةِ:

أَحْدَاثٌ عَامَ ١٩٨٢ م زَوَّدَتْنَا بِالْعَدِيدِ مِنَ الْإِشَارَاتِ الْهَامَّةِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْأَفْغَانِيِّ وَالْمُسْتَوَى الْعَرَبِيِّ. مِنْ تَجْرِبَتِنَا الْمُبَاشِرَةِ فِي أَطْرَافِ «خُوسْت» اسْتَتَجْنَا أَنَّ «خُوسْت» يُمَكِّنُ فَتْحَهَا، بَلْ أَنَّ السُّوفِيَّةَ يُمَكِّنُ دَحْرَهُمْ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ كُلِّهَا. وَهَكَذَا فَإِنَّ الْاِتِّصَارَاتِ - حَتَّى الصَّغِيرِ مِنْهَا - تُعْطِي دُفْعَاتٍ مَعْنَوِيَّةً هَائِلَةً. وَفِي الْمُقَابِلِ كَانَتْ الْقَوَاتُ الشُّيُوعِيَّةُ تَنْهَارُ مَعْنَوِيَّاتِهَا بِنَفْسِ الْمِقْدَارِ. وَفِي تَصْرِيحِ نَادِرٍ قَالَ أَحَدُ الضُّبَّاطِ الرُّوسِ لِلصَّحَافَةِ: «لَا يُمَكِّنُنَا هَزِيمَةٌ هُوَ لَاءُ الْمُتَمَرِّدِينَ بِوَأَسْطَةِ جَيْشٍ يَفِرُّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَجُنُودِ مِيلِيشِيَا لَا يُؤَدُّونَ وَاجِبَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ».

وَفِي «لِجَاه» أَيْضًا قَصَفَتْ طَائِرَاتُ الْهِيلُوكُوبْتَرِ مَرَاكِزَ الْمُجَاهِدِينَ بِنَحْوِ ٣٦٠٠ صَارُوخٍ فِي الْمَعْرَكَةِ الْأَخِيرَةِ فَقَطُّ!! وَأَسْقَطَ الْمُجَاهِدُونَ إِحْدَى هَذِهِ الطَّائِرَاتِ - وَرَبَّمَا أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ - وَوَجَدُوا جُثَّتَ نِسَاءٍ مُتَفَحِّمَةٍ فِي وَاحِدَةٍ

مِنْهَا. لَا نَدْرِي حَتَّى الْآنَ السَّرَّ فِي وُجُودِ هَؤُلَاءِ [النُّسُورَةَ] فِي الْهَيْلُوكُبْتَرِ، وَمِنْ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ تَكُونَ الْهَيْلُوكُبْتَرِ فِي مَهَامِّهَا الْقِتَالِيَّةِ مَكَانًا مُنَاسِبًا لِلْمُتَعَةِ.

وَلَكِنَّ الْحَادِثَ نَفْسَهُ اسْتَفَزَّ مَشَاعِرَ الْمُجَاهِدِينَ وَسُكَانَ الْمَنْطِقَةِ. وَعَلِمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السُّوفِيَّةَ يُعَالِجُونَ حَالَاتِ الْإِنْهِيَارِ الْعَسْكَرِيِّ وَالنَّفْسِيِّ فِي صُفُوفِ الْقُوَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ بِوَاسِطَةِ حَمَلَاتِ عَسْكَرِيَّةٍ كَاسِحَةٍ يُسْتَخْدَمُ فِيهَا السَّلَاحُ الْجَوِّيُّ الْمُتَفَوِّقُ مَعَ قُوَّةِ هُجُومِيَّةٍ أَرْضِيَّةٍ خَاصَّةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ قُوَّاتٍ مُتَقَاةٍ مِنْ كَافَّةِ الْفِرَقِ الْعَامِلَةِ فِي الْجَيْشِ. وَحَسَبَ أَرْجَحِ الْإِحْتِمَالَاتِ، فَلَمْ يَمْتَلِكِ النِّظَامُ الشُّيُوعِيُّ - أَثْنَاءَ وُجُودِ السُّوفِيَّةِ أَوْ بَعْدَهَا - أَكْثَرَ مِنْ قُوَّةِ هُجُومِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، كَانَ يُسْتَخْدَمُهَا فِي أَمَاكِنِ الْحَاجَةِ، وَلَمْ يَحْدُثْ - بِحَسَبِ مُتَابَعَاتِي - أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ جَعَلُوا السُّوفِيَّةَ فِي مَوْقِفِ حَرَجٍ فِي جَبْهَتَيْنِ فِي وَقْتِ وَاحِدٍ. بَلْ كَانُوا دَائِمًا يَعْمَلُونَ مُنْفَرِدِينَ وَبِلَا تَنْسِيقٍ مُشْتَرِكٍ، لَيْسَ فَقَطْ عَلَى مُسْتَوَى الْبِلَادِ كُلِّهَا، بَلْ وَحَتَّى عَلَى مُسْتَوَى الْمُحَافَظَةِ الْوَاحِدَةِ. وَكَانَتْ تِلْكَ إِحْدَى السَّلِيَّاتِ الْقَاتِلَةِ فِي الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ لِلْمُجَاهِدِينَ.

كَانَتْ الْحَمَلَاتُ الرُّوسِيَّةُ تُسْفِرُ غَالِبًا عَنْ دَفْعِ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى الْخَلْفِ وَاسْتِعَادَةِ الْمُكْتَسَبَاتِ الْأَرْضِيَّةِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَالْإِحْتِفَازَ بِبَعْضِهَا فِي أَيْدِي قُوَّاتِ الدَّفَاعِ الْمَحَلِّيَّةِ مِنْ «جَيْشٍ وَمِيلِيْشِيَا». ثُمَّ تَعُودُ الْقُوَّةُ الضَّارِبَةُ إِلَى «كَابُلٍ» كَيْ يَبْدَأَ السِّينَارِيُّو مِنْ جَدِيدٍ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْقُوَّاتِ الْمَحَلِّيَّةِ. حَدَثَ

ذَلِكَ فِي مُعْظَمِ أَرْجَاءِ أَفْغَانِسْتَانَ، لَمْ تَكَدْ الْمَعَارِكُ الْعَنِيفَةُ تَتَوَقَّفُ فِي كُلِّ أَفْغَانِسْتَانَ.



المُدُنُ الأفْغَانِيَّةُ عَامَ ٨٢:

كَانَ «أَحْمَدُ شَاهِ مَسْعُودٌ» قَدْ لَمَعَ نَجْمُهُ هَذَا الْعَامَ ١٩٨٢ م، وَذَاعَتْ شُهْرَتُهُ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، مَقْرُونًا بِاسْمِ مَنْطِقَةِ «بَانَشِير».

فَمِنْ هُنَاكَ يَسْتَطِيعُ الْمُجَاهِدُونَ تَهْدِيدَ مَمَرِ «سَالَانَج»، الشُّرْيَانَ الْأَهَمَّ لِلْإِمْدَادَاتِ الْقَادِمَةِ مِنَ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، عَبْرَ جِسْرِ «حِيرْتَانَ» عَلَى نَهْرِ «آمُو دَارِيَا» - نَهْرِ «جِيْحُون» - الَّذِي يَفْصِلُ أَفْغَانِسْتَانَ عَنِ الْحُدُودِ السُّوفِيَّتِيَّةِ فِي طَاجِكِسْتَانَ وَأُوزْبِكِسْتَانَ.

وَمِنْ «بَانَشِير» يُمَكِّنُ تَهْدِيدَ شِمَالِ الْعَاصِمَةِ «كَابُل»، خَاصَّةً مَنْطِقَةَ «بَاجِرَام» الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى أَهَمِّ قَاعِدَةٍ جَوِّيَّةٍ فِي الْبِلَادِ.

ظَلَّ «مَسْعُودٌ» هُوَ النَّجْمُ الْأَكْثَرُ لَمَعَانًا فِي سَمَاءِ الصَّحَافَةِ الدُّوَلِيَّةِ عَامَةً وَالْفَرَنْسِيَّةِ خَاصَّةً. وَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّى آخِرِ أَيَّامِ الْحَرْبِ وَسُقُوطِ النِّظَامِ، حِينَ تَحَوَّلَ «مَسْعُودٌ» مُشَارَكَةً مَعَ غَرِيمِهِ «حِكْمَتِيَار» زَعِيمِ تَنْظِيمِ «حِزْبِ إِسْلَامِي» لِيُصْبِحَا نَجْمَا الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَتْ حَمَلَاتُ السُّوفِيَّتِ عَلَى «بَانَشِير» هِيَ الْأَعْفُفُ مِنْ نَوْعِهَا مُنْذُ
وُصُولِهِمْ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ. وَأَكْسَبَ ذَلِكَ «مَسْعُودًا» وَ «بَانَشِيرًا» شُهْرَةً عَالَمِيَّةً
مُدَوِّيَّةً، لَمْ تَلْبَثْ أَنْ دَخَلَتْ مُنْعَطَفًا خَطِيرًا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ١٩٨٣ م كَمَا
سَنَرَى.

أَيْضًا «قَنْدَهَار» وَ «هَيْرَات» [كَانَتَا مَلِيَّتَانِ] بِالْمَلَا حِمِ الدَّامِيَّةِ، حَيْثُ أَبْدَى
الْمُجَاهِدُونَ جُرْأَةً وَإِقْدَامًا مُنْقَطِعًا النَّظِيرِ، وَتَحَمَّلَ الْأَهَالِي خَسَائِرَ فَادِحَةً
لِلْغَايَةِ؛ فَفِي كِلْتَا الْمَدِينَتَيْنِ تَمَكَّنَ الْمُجَاهِدُونَ فِي فِتْرَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ مِنَ الْاسْتِيْلَاءِ
عَلَيْهِمَا. وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الدَّفَاعَ عَنِ الْمَدِينَتَيْنِ فِي وَجْهِ الْقُوَاتِ السُّوفِيَّتِيَّةِ
وَسِلَاحِ طَيْرَانِهَا الرَّهِيْبِ. وَكَانَتْ النَّتِيْجَةُ عَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْقَتْلَى
الْمَدَنِيِّينَ. لِذَا كَانَتْ تَجْرِبَتَنَا «هَيْرَات» وَ «قَنْدَهَار» مَائِلَةً أَمَامَ أَعْيُنِ الْمُجَاهِدِينَ
فِي «خُوسْت» الَّذِينَ تَرَاوَدُّهُمْ أَحْلَامُ اجْتِيَا حِ الْمَدِينَةِ.

وَرُغْمَ أَهْمِيَّةِ «خُوسْت» عَسْكَرِيًّا وَاسْتِرَاتِيْجِيًّا فَقَدْ كَانَ أَمْرُ الدَّفَاعِ عَنْهَا
بَرِيًّا. [كَانَتْ مَسْأَلَةٌ سَهْلَةً نِسْبِيًّا بِالنُّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ] لِسُهُولَةِ عَزْلِ الْمَدِينَةِ
بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى الطَّرِيقَيْنِ الْوَاصِلَيْنِ إِلَيْهَا. أَمَّا الدَّفَاعُ عَنْهَا ضِدَّ الطَّيْرَانِ فَلَمْ يَكُنْ
بِالْأَمْرِ السَّهْلِ، وَظَلَّ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ فُتِحَتْ الْمَدِينَةُ فِي ٣١ / ٣ / ١٩٩١ م.
وَلَكِنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ خَالِيَةً مِنَ الْمَدَنِيِّينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَكَانَتْ خَسَائِرُ
الْقَصْفِ الْجَوِّيِّ وَالصَّارُوخِيِّ خَسَائِرَ طَفِيْفَةً وَكُلُّهَا فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ.

أزمة في الكرملين:

في ذلك العام ظهرت الأزمات المتفاقمة داخل الكتلة الشيوعية كلها،
 أزمة قيادة في الكرملين الذي كان يحكمه أنصاف الموتى،
 فالزعيم «بريجنيف»^(١) [صورة رقم ٦٧] ومنذ احتلال أفغانستان
 وهو يحكم من غرفة الإنعاش، ولا يكاد يحضر اجتماعاً
 عاماً. وظهوره العام يثير قلق السوفييت والعالم، وتتردد
 أسئلة مثل: من يحكم تلك الإمبراطورية في حقيقة الأمر؟ من وراء ذلك
 الشبح الوهمي «بريجنيف»؟ من يملك القرار؟ ومن يضع أصابعه على
 الأزرار النووية؟.

مات «بريجنيف» ودفعت أجهزة الاستخبارات السوفييتية «كي جي بي»
 برئيسها «أندرووبوف»^(٢) [صورة رقم ٦٨] إلى سدة الرئاسة، ويا للمفاجأة؛ كان هو

(١) ليونيد بريجنيف (١٩ ديسمبر ١٩٠٦م - ١٠ نوفمبر ١٩٨٢م): كان رئيساً للاتحاد السوفييتي في الفترة من ١٤ أكتوبر ١٩٦٤م إلى ١٠ نوفمبر ١٩٨٢م، وشغل منصب الأمين العام للحزب الشيوعي عن نفس الفترة.

(٢) يوري فلاديميروفيتش أندرووبوف (١٥ يونيو ١٩١٤م - ٩ فبراير ١٩٨٤م): تولى رئاسة المخابرات السوفييتية في الفترة ما بين ١٩٦٧م و ١٩٨٢م، ثم شغل منصب أمين عام الحزب الشيوعي خلفاً لـ «بريجنيف» من ١٩٨٢ وحتى وفاته في ١٩٨٤م.

الْآخِرُ نِصْفَ مَيْتٍ وَفِي بَضْعَةِ أَشْهُرٍ لَحِقَ هُوَ الْآخِرُ بِالرَّفِيقِ «بَرِيغِينِف».



وَالْغَرِيبُ أَنَّهُ أَثْنَاءَ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ اسْتَهْلَكَ
السُّوفِيَّتُ ثَلَاثَةً مِنْ زُعَمَاءِ الْكِرْمَلِينَ «بَرِيغِينِف» وَ
«أَنْدُرُوبُوف» وَ «شِيرِينْكَو»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٦٩].



وَالْأَخِيرَانِ مِنْ زُعَمَاءِ الـ «كِي جِي بِي». وَفِي عَامِ ١٩٨٤ م
وَصَلَ «جُورْبَاتَشُوف»^(٢) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٧٠] إِلَى كُرْسِيِّ الرِّئَاسَةِ
فِي الْكِرْمَلِينَ، وَكَانَ أَيْضًا مُرْسَلًا مِنْ طَرَفِ الـ «كِي جِي
بِي».



وَفِي أَفْغَانِسْتَانَ تَمَّ اسْتِهْلَاكُ ثَلَاثَةِ زُعَمَاءِ شِيُوعِيِّينَ
«طَرَقِي» وَ «حَفِيظُ اللَّهِ أَمِين» وَ «بَابْرَاكُ كَارْمَل». وَقَدْ قُتِلَ
الْأَوَّلُ وَالثَّانِي، وَتَمَّ عَزْلُ الثَّلَاثِ كَيْ يَتَوَلَّى الرِّئَاسَةَ عَنْهُ
الزَّعِيمُ «نَجِيبُ اللَّهِ» رَئِيسُ جِهَازِ الاسْتِخْبَارَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ «خَاد»، التَّابِعِ لِجِهَازِ

(١) قُسْطَنْطِينُ تَشِيرِينْكَو (٢٤ سِبْتَمْبَرِ ١٩١١م - ١٠ مَارِسِ ١٩٨٥م): شَغَلَ مَنْصِبَ أَمِينِ عَامِّ الْحِزْبِ الشُّيُوعِيِّ خَلْفًا لِـ «أَنْدُرُوبُوف» عَامَ ١٩٨٤ م وَحَتَّى وَفَاتِهِ.

(٢) مِيخَائِيلُ سِيرِجِينِيَّتْشُ جُورْبَاتَشُوف (٢ مَارِسِ ١٩٣٢م): شَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ الْحِزْبِ الشُّوفِيَّتِيِّ الشُّيُوعِيِّ مِنْ ١٩٨٥م - ١٩٩١م، وَمَنْصِبَ رَئِيسِ الدَّوْلَةِ مِنْ عَامِ ١٩٨٨م إِلَى ١٩٩١م.

الاستخباراتِ السوفيتيةِ «الكي جي بي».

أزمة القيادة لم تكن مقصورةً على «موسكو» و«كابل»، بل تعدتها إلى أوربا الشرقية، التي زودتها أفغانستان والورطة السوفيتية فيها بستارٍ أمينيٍّ كافٍ كي تبدأ بوادرُ الثورة ومطالبُ الإصلاح، بعد أن كان ذلك مُستحيلًا قبل الحربِ الأفغانية. وكان أشهرُ تلك التحديات هو تحدي نقابة العمال «تضامن»^(١) في بولندا للسيطرة السوفيتية والحكم الشيوعي هناك.

وأجمع خبراءُ الغرب أن ذلك كان في حكم المستحيل لولا المقاومة الأفغانية التي تستهلك السوفيت في أفغانستان، ولا تترك لهم فرصة العمل في مناطق أخرى وتأديب «تضامن» في بولندا. وقد أبلغت المخابرات الأمريكية مجلة «نيوزويك» بالسيناريو المحتمل للتدخل السوفيتي في بولندا واحتمالات المقاومة الشعبية في ذلك البلد^(٢). وانتهى ذلك التقرير بفقرة ذات معاني عميقة، تقول: «وأخيرًا يُمكن القول بأن حرب العصابات التي قد

(١) حركة تضامن واسمها نقابة العمال ذاتية الحكم المستقلة: هو اتحاد نقابات عمال بولندي تأسس في ٣١ أغسطس ١٩٨١م، وكانت أول نقابة لا تخضع لسلطة الحزب الشيوعي في دول اتحاد وارسو الشيوعي. بلغ عدد أعضائه قرابة ٩.٥ مليون عضو.

(٢) يقول الشيخ أبو الوليد المصري: «أنظر جريدة الفجر الطيبانية في ٢٢/١٢/١٩٨٠م».

تَحَدَّثُ - يَقْصِدُ فِي بُولَنْدَا - لَنْ تَكُونَ عَائِقًا أَمَامَ الرُّوسِ، وَقَدْ يَسْتَسَلِمُ الْمُقَاوِمُونَ الْوَطَنِيُّونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُقَاتِلُوا مِنَ الْغَابَاتِ الَّتِي تَشْغُلُ رُبْعَ مِسَاحَةِ الْبِلَادِ إِذَا لَمْ تَتَعَزَّزْ أَمَالُهُمْ فِي الْإِنْتِصَارِ، إِذْ أَنْ الْقِتَالِ بِدُونِ الْأَمَلِ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ التَّفَكِيرِ الْأُورُوبِيِّ. إِنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْمُسْلِمِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مَثَلًا الَّذِينَ قَدْ يُوَاجِهُونَ الْمَوْتَ بِدُونِ التَّفَكِيرِ فِي نَصْرِ مُؤَزَّرٍ» .

وَبِالْفِعْلِ فَإِنَّ النَّصْرَ الْمُؤَزَّرَ كَانَ أَمَلًا بَعِيدًا وَهَدَفًا هَامِشِيًّا لَدَى مُعْظَمِ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ عَرَبٍ وَأَفْغَانَ. وَسَيَرِدُ مَعَنَا فِيمَا بَعْدُ مَنَاقِشَاتٌ حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ. كَانَتْ الرِّغْبَةُ فِي الشَّهَادَةِ هِيَ الدَّافِعُ وَالْمُحَرِّكُ لَدَى جَمِيعِ الْمُخْلِصِينَ حَتَّى أَنَّهُمَا طَغَتْ كَثِيرًا عَلَى عُنْصُرِ الْإِعْدَادِ الْجَدِّيِّ لِلْحَرْبِ، حَتَّى فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُدْرَاتِ الْقَلِيلَةِ الْمُتَاحَةِ^(١).

(١) إِنَّ تَوَلِيَةَ نَيْلِ الشَّهَادَةِ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ الْأَوْلَوِيَّةَ الْأُولَى وَالْقَصْوَى لَهَا مِنْ أَوْجِهٍ الْحَلَلِ الْعَمَلِيِّ وَالْمَنْهَجِيِّ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصِدَ الْأَوَّلَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَدَى الْمُجَاهِدِينَ هُوَ إِحْرَارُ النَّصْرِ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَيْسَ نَيْلُ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّ نَشْرَ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ هِيَ مَقْصِدٌ مُقَدَّمٌ عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ لِلنَّفْسِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هُوَ فَرْقٌ بَيْنَ نَفْعٍ عَامٍّ وَنَفْعٍ خَاصٍّ، وَالنَّفْعُ الْعَامُّ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّفْعِ الْخَاصِّ. فَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ لَهُ الْمُجَاهِدُونَ هُوَ النَّصْرُ وَسُلُوكُ كُلِّ سَبِيلٍ مُوصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَالشَّهَادَةُ رِزْقٌ وَمِنْحَةٌ وَفَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَنْفَضُّ بِهَا عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ، وَيُورِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ، فَإِذَا نَالَ الْجَمِيعُ الشَّهَادَةَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا لِنَشْرِ الدِّينِ، ذَلِكَ فَضْلًا عَمَّا يَحْدُثُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي

المُهْم، فَإِنَّ قِلَّةَ مِنَ النَّاسِ كَانَتْ تَسْعَى حَيْثُ نَحْوِ النَّصْرِ وَنَحْوَ تَرْتِيبِ
الْقُدْرَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِإِنْتِزَاعِ أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ أَيْدِي السُّوفِيَّةِ، بَلْ وَحَتَّى تَحْوِيلِهَا
إِلَى مُرْتَكِزٍ لِلدَّفَاعِ الْإِسْلَامِيِّ ضِدَّ الشُّيُوعِيَّةِ وَالصَّلِيبِيَّةِ - الْيَهُودِيَّةِ جَمِيعًا.

حَقَّقَ «ابْنُ لَادِن» ذَلِكَ الْحُلْمَ الْإِسْلَامِيَّ بِأَسْوَأِ طَرِيقَةٍ مُمَكِّنَةٍ عَامَ
٢٠٠١م، فَأَوْجَدَ ذَرِيعَةً لِلاِخْتِلَالِ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي كَانَ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ مُنْذُ عَامِ
١٩٨٩م عَلَى الْأَقْلِّ^(١).

وَأَعْتَرَفُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ هَاجِسِي الْأَكْبَرِ طَوَالَ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَقَدْ زَوَّدَنِي
ذَلِكَ الْأَمَلُ الْعَرِيضُ بِقُدْرَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ فِي سَاحَةِ تَلْفِظِنِي بِاسْتِمْرَارٍ،
وَعَوَامِلُ الطَّرْدِ وَالْمُقَاوَمَةِ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ عَوَامِلِ التَّجَاوُبِ. وَأَظُنُّ أَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ
الْأَمَلِ قَدْ تَحَقَّقَ وَلَكِنْ بِصُورَةٍ مُغَايِرَةٍ تَمَامًا لِمَا كُنْتُ أَتَصَوَّرُهُ، وَتِلْكَ النُّقْطَةُ

الأخذُ بِالسَّبَابِ وَالْقُصُورِ فِي الإِعْدَادِ وَالْفَاءِ النَّفْسِ فِي بَعْضِ الْمَهَالِكِ غَيْرِ الصَّرُورِيَّةِ وَعَدَمِ النَّظَرِ فِي
عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ الصَّارَةِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى قَصْرِ الْغَايَةِ عَلَى نَيْلِ الشَّهَادَةِ وَتَقْدِيمِ ذَلِكَ
عَلَى غَايَةِ تَحْقِيقِ النَّصْرِ. فَالْمُسْلِمُ إِنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ رُزِقَهَا وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، بَلْ وَإِنْ لَمْ
يُحِوِلْ فِي يَدِهِ سَيْفًا قَطُّ وَإِنْ لَمْ يُهَاجِرْ إِلَى سَاحَةِ الْجِهَادِ، فَلْيَعْلَمْ الْمُجَاهِدُ أَنَّهُ إِنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ
نَالَهَا وَإِنْ عَمَّرَ وَمَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَلَا يَدْعُ ذَلِكَ الرَّجَاءَ يُؤَثِّرُ بِالسَّلْبِ عَلَى عُمُومِ الْأُمَّةِ بِفَقْدِهِ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ
أَوْ بِفَقْدِ سَبَابِ النَّصْرِ.

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «رَاجِعْ كِتَابَ صَلِيبِ فِي سَمَاءِ قَنْدَهَارِ».

نُوجِّلُ بِحَثِّهَا فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى مِنَ الْكِتَابِ.

أَقُولُ أَنَّ هُنَاكَ بَشَائِرَ قَوِيَّةً لِانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كَانَتْ وَاضِحَةً مُنْذُ وَقْتِ مُبَكَّرٍ. وَأَدْرَكَ الْعَرَبُ - قَبْلَنَا بِكَثِيرٍ - حُطُورَةَ مَا يَحْدُثُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى أَوْضَاعِ الْعَالَمِ أَجْمَعٍ. وَوَضَعُوا الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ فِي إِطَارِهِ الْعَالَمِيِّ الصَّحِيحِ، بِعَكْسِ مَا فَعَلَ مُعْظَمُنَا بِأَنَّ قَرْمَنَا مَا يَحْدُثُ فِي حُدُودِ مَصَالِحِ فَرْدِيَّةٍ أَوْ حَزْبِيَّةٍ. وَبِقَدْرِ مَا كَانَ الْجِهَادُ عَمَلًا وَخَطِيرًا عَلَى مَصَالِحِ الْعَالَمِ، بِقَدْرِ مَا كَانَتْ «الْحَرَكَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ» وَ«التَّحْرُكُ الْإِسْلَامِيُّ» قِرْمًا صَغِيرًا لَا يَكَادُ يُبْصِرُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ.



أَفْغَانِسْتَانَ.. جِهَادٌ لِأَجْلِ الْعَالَمِ:

فِي يُوغُوسْلَافِيَا عَامَ ١٩٨٠ م مَاتَ الزَّعِيمُ الشُّيُوعِيُّ «تِيْتُو»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٧١]،

(١) جُوزِيْفُ بَرُوزِ تِيْتُو (٧ مَآيُو ١٨٩٢ م - ٤ مَآيُو ١٩٨٠ م): سِيَاسِيٌّ وَعَسْكَرِيٌّ ثُورِيٌّ، وُلِدَ فِي كُرُوَاتِيَا، وَانْضَمَّ إِلَى الثُّورَةِ الْبَلْشَفِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ عَامَ ١٩١٧ م، ثُمَّ انْضَمَّ إِلَى الْحِزْبِ الشُّيُوعِيِّ السُّوفِيَّةِيِّ، وَعَمِلَ فِي صُفُوفِ الْجَيْشِ الْأَحْمَرِ. هَاجَرَ إِلَى يُوغُوسْلَافِيَا وَانْضَمَّ إِلَى الْحِزْبِ الشُّيُوعِيِّ بِهَا وَكَانَ زَعِيمَهُ ١٩٣٩ م - ١٩٨٠ م، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُقَاوَمَةِ الْيُوغُوسْلَافِيَّةِ ضِدَّ الْعَزْوِ النَّازِيَّ ١٩٤١ م - ١٩٤٥ م. سَعَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ وُزَرَاءِ يُوغُوسْلَافِيَا مِنْ ١٩٤٣ م - ١٩٦٣ م، وَكَانَ فِي نَفْسِ الْفَتْرَةِ أَوَّلَ رَئِيسِ لِجُمْهُورِيَّةِ

وَكَانَ مُتَوَقِّعًا لَدَى عَسْكَرِيِّينَ كِبَارٍ فِي الْغَرْبِ أَنْ تُؤَدِّيَ التَّوَتُّرَاتُ الَّتِي سَوِّفَ تَحْدُثُ فِي يُوغُوسْلَافِيَا عَلَى أَثَرِ وَفَاةِ «تَيْتُو» إِلَى نُشُوبِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّلَاثَةِ. وَهَكَذَا تَنَبَّأَ الْجِنِرَالُ الْبَرِيطَانِيُّ «جُون هَاكَيْت» فِي كِتَابِهِ الشَّهِيرِ «الْحَرْبُ



الْعَالَمِيَّةِ الثَّلَاثَةِ»، وَقَدْ نَاقَشْتُهُ مَجَلَّةً أَمْرِيكِيَّةً «نِيوز أند ورلد ريبورت» حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ تَحْدِيدًا، وَكَانَ هَذَا الْحِوَارُ: «فِي كِتَابِكَ «الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّلَاثَةُ» تَنَبَّأْتَ بِأَنَّ التَّدْخَلَ السُّوفِيَّتِي فِي يُوغُوسْلَافِيَا عَقِبَ وَفَاةِ «تَيْتُو» يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بَدَايَةَ الْمُنْعَطِفِ الَّذِي قَدْ يَنْتَهِي بِالْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ،

فَلِمَاذَا لَمْ يَقُمْ الرُّوسُ بِتَنْفِيذِ هَذَا السِّينَارِيُو بَعْدَ أَنْ تَرَكَ «تَيْتُو» مَسْرَحَ الْأَحْدَاثِ؟. فَأَجَابَ الْجِنِرَالُ «هَاكَيْت»: «فِي رَأْيِي أَنْ غَزَوْا أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ وَضَعَ الرُّوسَ فِي وَضْعٍ بَالِغِ الصُّعُوبَةِ بِدَرَجَةٍ لَمْ تَكُنْ مُتَوَقَّعَةً، فَادَّى ذَلِكَ إِلَى تَلَاشِي فُرْصٍ تَدْخُلُهُمْ فِي يُوغُوسْلَافِيَا. لَقَدْ كَانَ الرُّوسُ يُدْرِكُونَ بِأَنَّ تَدْخُلَهُمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَنْ يَكُونَ سَهْلًا وَأَنَّ بَاقِي الْعَالَمِ لَنْ يَتَقَبَّلَهُ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ الصُّعُوبَةِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ رَدُّ الْفِعْلِ الْعَالَمِيِّ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْعُنْفِ. لَقَدْ اِكْتَشَفَ الرُّوسُ أَنََّّهُمْ قَدْ قَضَمُوا بِغَزْوِ

أَفْغَانِسْتَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يُمَكِّنُ لَهُمْ مَضْغُهُ. وَقَدْ يَبْدُو مِنَ الْغَرِيبِ الْقَوْلُ بِأَنَّ قَضِيَّةَ السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ قَدْ اسْتَفَادَتْ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ نَتِيجَةَ لِلْغَزْوِ السُّوفِيَّتِيِّ لِأَفْغَانِسْتَانَ^(١) أَنْتَهَى.

إِنَّ الْحَرْبَ الْأَفْغَانِيَّةَ «الْجِهَادَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ» لَمْ يُنْقِذِ الْعَالَمَ مِنْ حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ ثَالِثَةٍ فَحَسَبَ، بَلْ إِنَّهُ أَدَّى إِلَى اسْتِبْعَادِ هَذَا الْاِحْتِمَالِ تَمَامًا، وَلَوْ إِلَى مَدَى غَيْرِ مَنْظُورٍ، كَمَا أَدَّى إِلَى تَحْرِيرِ بُولَنْدَا، بَلْ وَتَحْرِيرِ أُوْرُوبَا الشَّرْقِيَّةِ كُلِّهَا. وَلَكِنَّ الْحَرْبَ الْعَالَمِيَّةَ الثَّالِثَةَ نَشَبَتْ ضِدَّ الْإِسْلَامِ فِي يُوغُوسْلَاوِيَا وَأَفْغَانِسْتَانَ وَالْقَوْقَازَ وَآسِيَا الْوُسْطَى وَالْعَالَمَ الْعَرَبِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ.

هَذِهِ حَقِيقَةٌ يَحْرِصُ الْغَرْبُ عَلَى حَاجِبِهَا، وَنَحْنُ نَحْرِصُ فِي أَغْلِبِنَا عَلَى عَدَمِ فَهْمِهَا أَوْ تَنَاسِيهَا. وَمَعَ هَذَا فَهَذِهِ فَقَطْ بَعْضُ نَتَائِجِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ مُبَالِغًا إِذَا قُلْتُ أَنَّ أَفْغَانِسْتَانَ غَيَّرَتْ التَّكْوِينَ السِّيَاسِيَّ لِهَذَا الْعَالَمِ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَتْهُ الْحَرْبَيْنِ الْعَالَمِيَّتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَّةُ. عَلَى الْأَقْلِ سَوْفَ يَكُونُ تَأْثِيرُهَا الْمُسْتَقْبَلِيَّ إِضَافَةً إِلَى تَأْثِيرِهَا الْحَالِيَّ أَعْمَقَ تَأْثِيرًا عَلَى مَسِيرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمُسْتَقْبَلِهَا الْقَادِمِ. وَسَوْفَ نَعُودُ إِلَى تِلْكَ النُّقْطَةِ مَرَّاتٍ أُخْرَى خِلَالَ هَذَا الْكِتَابِ.

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «أَنْظُرُ جَرِيدَةَ الْفَجْرِ الظُّبَيْيَّةَ ٢٥ / ١١ / ١٩٨٠ م».

إِنَّ أَهَمَّ آثَارِ الْحَرْبِ الْجِهَادِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَيْسَتْ فِي كَمِيَّةِ الْخَسَائِرِ
 الْبَشَرِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي أَصَابَتْ الْاِتِّحَادَ السُّوفِيَّيَّ، وَذَلِكَ عَلَى
 رُغْمِ أَهْمِيَّةِ تِلْكَ الْخَسَائِرِ. إِنَّ أَهَمَّ آثَارِ تِلْكَ الْحَرْبِ هِيَ آثَارُهَا غَيْرُ الْمُبَاشِرَةِ
 سِوَاءً عَلَى أَطْرَافِهَا الْمُبَاشِرِينَ «السُّوفِيَّيْتِ - الْأَفْغَانَ - الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ»، أَوْ
 عَلَى أَطْرَافِ الْعَالَمِ الْأُخْرَى بَدءًا بِالْقُوَى الْكُبْرَى خَاصَّةً الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ
 وَالْقُوَى الْيَهُودِيَّةُ - وَالَّتِي لَا تُمَثِّلُ إِسْرَائِيلَ سِوَى الْوَجْهِ السِّيَاسِيِّ لِهَذَا الْوُجُودِ
 الْمُتَّحَكِّمِ دَوْلِيًّا - ثُمَّ أَخِيرًا الْوُجُودَ الْإِسْلَامِيَّ، الْإِسْلَامُ كَدِينٍ مُسْتَهْدَفٌ مَعَ
 الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

إِنَّ الْأَهْمِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِأَيَّةِ حَرْبٍ تَمَثَّلُ فِي نَتَائِجِهَا غَيْرِ الْمُبَاشِرَةِ. تِلْكَ
 الْحَقِيقَةُ يُؤَكِّدُهَا خُبْرَاءُ الْاِسْتِرَاتِيْجِيَّةِ الَّذِينَ أَكَّدُوا ذَلِكَ الْاِتِّجَاهَ بَعْدَ اسْتِقْرَاءِ
 نَتَائِجِ الْمَعَارِكِ الْكُبْرَى فِي التَّارِيخِ وَقَالُوا: «إِنَّ أَهْمِيَّةَ الْمَعَارِكِ لَا تُقَاسُ
 بِكَمِّيَّاتِ الْأَسْلِحَةِ أَوْ الْوَسَائِطِ الْقِتَالِيَّةِ الَّتِي تَمَّ دَفْعُهَا إِلَى مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، وَلَا
 تُقَاسُ بِمَدَى الْخَسَائِرِ الَّتِي أَوْقَعَهَا أَحَدُ الْأَطْرَافِ الْمُتَّحَارِبَةِ بِالطَّرْفِ الْأُخْرَى.
 وَهُنَاكَ عَشْرَاتُ الْأَمْثَلَةِ لِهَزَائِمِ كُبْرَى وَقَعَتْ بِأَحَدِ الْأَطْرَافِ وَلَكِنَّهَا أَدَّتْ إِلَى
 يَقْظَةٍ وَنَشَاطٍ وَعَمَلٍ ثُمَّ انْتِصَارٍ كَبِيرٍ اسْتِعَادَ بِهِ مَكَانَتَهُ. وَعَشْرَاتُ الْأَمْثَلَةِ
 الْأُخْرَى عَنْ قُوَى كُبْرَى مُخِيفَةٍ وَمُنْتَصِرَةٍ لَاقَتْ حَقْفَهَا عَلَى أَيْدِي قُوَى أَصْغَرَ
 وَأَكْثَرَ تَخَلُّفًا وَبِدَائِيَّةً. فَهُنَاكَ حُرُوبٌ تُؤَدِّي بِشَكْلِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ وَعَلَى مَدَى
 طَوِيلٍ نَسْبِيًّا إِلَى سُقُوطِ قُوَى عَظْمَى وَنُشُوءِ قُوَى عَظْمَى أُخْرَى، وَهُنَاكَ دَوْمًا

مَعْرَكَةٌ مَا تَكُونُ هِيَ عَلَامَةٌ ذَلِكَ التَّحَوُّلِ فِي مَسِيرَةِ الْحَرْبِ، وَتَكُونُ نَتَائِجُهَا
غَيْرَ الْمُبَاشِرَةِ أَعْظَمَ مِنْ نَتَائِجِهَا الْمُبَاشِرَةِ عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ.

وَعَلَى هَذَا نَقُولُ أَنَّ أَفْغَانِسْتَانَ كَانَتْ نُقْطَةً تَحَوُّلٍ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ. وَالَّذِي
لَا نَرَاهُ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ أَنَّ تَارِيخَنَا الْحَدِيثَ قَدْ دَخَلَ مُنْعَطَفًا جَدِيدًا خَطِرًا
وَحَاسِمًا مَعَ جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَمَعَ نَهَائِيَّتِهِ بِوَجْهِ خَاصٍّ.

رُبَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الصَّحَافَةِ ثُمَّ اقْتِرَابِي الْوَثِيقُ بِحَرَكَةِ الْجِهَادِ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ وَعَلَى خُطُوطِ الْقِتَالِ بِالذَّاتِ، قَدْ أَتَا حَالِي فُرْصَةً أَنْ أَلْمَسَ تِلْكَ
الْحَقِيقَةَ، حَقِيقَةَ الْخُطُورَةِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ لِلْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، خُطُورَةِ الشُّعَارِ
«الْجِهَادِ» وَخُطُورَةِ الْأَرْضِ «أَفْغَانِسْتَانَ» وَخُطُورَةِ الشَّعْبِ «الْأَفْغَانَ» ثُمَّ
خُطُورَةِ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ «الْعَرَبُ الْمُجَاهِدُونَ» عُنْصُرًا فَاعِلًا فِي تِلْكَ الْمُعَادَلَةِ.

كُنْتُ أَرَى التَّيِّجَةَ هِيَ تَفْجِيرُ ذَلِكَ الْوَضْعِ الْخَانِقِ الَّذِي يَعِيشُهُ الْمُسْلِمُونَ
تَحْتَ سَيْطَرَةِ التَّحَالِفِ «الْيَهُودِيِّ - الصَّلِيبِيِّ»، وَمَا الشُّيُوعِيَّةُ إِلَّا أَحَدَ مَكُونَاتِ
ذَلِكَ التَّحَالِفِ، وَكَيْسَتْ أَبَدًا نَقِيضًا لَهُ، بَلْ هِيَ مُجَرَّدُ «مَنَافِسٍ» فِي سُوقِ
الْمَنَافِعِ وَمَجَالَاتِ السَّيْطَرَةِ.

فَالشُّيُوعِيَّةُ وَالنَّازِيَّةُ وَالْفَاشِيَّةُ وَالرَّأْسِمَالِيَّةُ وَالصُّهْيُونِيَّةُ، جَمِيعُهَا لَيْسَتْ
سِوَى تَعْبِيرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ لِمُحْتَوَى حَضَارِيٍّ وَاحِدٍ لِلرَّجُلِ الصَّلِيبِيِّ الْأَبْيَضِ.

فِي الْعَامِ الْمَذْكُورِ ١٩٨٢ م كَانَتْ تَحْرُكَاتُ الْيَهُودِ فِي الْمَنْطِقَةِ اسْتِنْفَازِيَّةً بِشَكْلِ اسْتِثْنَائِيٍّ، وَلَمْ يُصَاحِبْ ذَلِكَ أَيُّ تَحْرُكٍ إِسْلَامِيٍّ شَعْبِيٍّ، لَا فِي مُوَاجَهَةِ الْيَهُودِ وَلَا فِي جَبْهَةِ بَعِيدَةٍ مِثْلَ أَفْغَانِسْتَانَ، نَتَمَكَّنُ فِيهَا مِنَ التَّعْبَةِ وَالتَّدْرِيبِ نَمَهِيدًا لِمَعْرَكَتِنَا الْحَتْمِيَّةِ مَعَ الْيَهُودِ.

تَمَكَّنَ الْجَيْشُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مِنْ اجْتِيَاكِ جَنُوبِ لُبْنَانَ بِسُهُولَةٍ بِالْعَةِ، وَعَنِمَ مِائَاتُ الشَّاحِنَاتِ مِنْ أَسْلِحَةِ مُنْظَمَةِ «التَّحْرِيرِ» الَّتِي كَانَتْ تُدَافِعُ عَنِ الْمَنْطِقَةِ بِقُوَّاتٍ نِظَامِيَّةٍ فَشَلَّتْ حَتَّى فِي الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهَا. وَلَمْ تُجَهِّزْ نَفْسَهَا لِحَرْبِ عِصَابَاتٍ رُغِمَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ خِيَارُهَا الْوَحِيدُ لِمُقَاتَلَةِ الْيَهُودِ فِي ظُرُوفِهَا آنَذَاكَ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ عَسْكَرِيُّونَ مِنْ كَافَّةِ الْإِتِّجَاهَاتِ، غَرِبِيِّونَ وَيَهُودُ وَفَلَسْطِينِيِّونَ... الخ .

ثُمَّ تَقَدَّمَتِ الْقُوَّاتُ الْيَهُودِيَّةُ وَاحْتَلَّتْ جُزْءًا مِنْ «بَيْرُوتِ» وَحَاصَرَتْ رِجَالَ الْمُنْظَمَةِ وَمَعَهُمُ الزَّعِيمُ «عَرَفَاتُ» دَاخِلَ «بَيْرُوتِ» الْغَرِبِيَّةِ حَتَّى أَجْبَرْتُهُمْ عَلَى الْاسْتِسْلَامِ وَالْخُرُوجِ مِنْ لُبْنَانَ عَلَى سُفُنِ الْأَسْطُولِ الْأَمْرِيكِيِّ كَيْ يُوزَعُوا عَلَى «الشَّتَاتِ» بَدَلًا مِنَ الْيَهُودِ. فَذَهَبُوا إِلَى أَصْقَاعِ شَتَى فِي الْيَمَنِ وَالسُّودَانَ وَتُونِسَ... الخ .

عَمَلِيًّا سَقَطَتْ هَذَا الْعَامِ آخِرُ قِلَاعِ «اللَّادِينِيَّةِ» الْعَرَبِيَّةِ الْمُوَاجِهَةِ لِإِسْرَائِيلَ، مُتَمَثِّلَةً فِي شَخْصِ «عَرَفَاتِ» وَمُنْظَمَتِهِ. فِي وَقْتِ كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ يَعْمَلُ

«عَرَفَاتُ» وَمُنْظَمَةُ «التَّحْرِيرِ» كَقُوَاتِ أَمْنٍ لِحِمَايَةِ إِسْرَائِيلَ مِنْ خَطَرِ الْحَرَكَةِ الْجِهَادِيَّةِ فِي فَلَسْطِينَ تَحْتَ سِتَارِ الْحُكْمِ الذَّاتِيِّ فِي غَزَّةَ وَأَرِيحَا!!، وَمَعَ هَذَا لَمْ تَتَحَرَّكَ الْقُوَى الْإِسْلَامِيَّةُ لِاخْتِلَالِ مَوَاقِعِهَا فِي فَلَسْطِينَ وَمَا حَوْلَهَا.

اِكْتَفَتْ الْحَرَكَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِاسْتِعْرَاضِ قُدْرَاتِهَا الْبَلَاغِيَّةِ فِي الشَّجْبِ وَالتَّيْدِيدِ مُضَافًا إِلَيْهَا الْمَزِيدُ مِنْ أَحْكَامِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَلَكِنْ لَا شَيْءَ عَلَى الْأَرْضِ.

وَفِي تَقْدِيرِي أَنَّهُ لَوْ لَا التَّحَرُّكُ الْإِسْلَامِيُّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَالرُّوحُ الْجِهَادِيَّةِ الَّتِي نَبَتْ هُنَاكَ وَتَحَرَّكَتْ عَسْكَرِيًّا، مَا كَانَ لِيُمْكِنَ أَنْ يَبْدَأَ التَّحَرُّكُ الْجِهَادِيُّ فِي فَلَسْطِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةَ سَنَوَاتٍ، حِينَ بَدَأَتْ حَرَكَةُ الْإِنْتِفَاضَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ أَوْ ثَوْرَةَ الْحِجَارَةِ ثُمَّ حَرَكَةُ «حَمَاس» - حَرَكَةُ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ثُمَّ حَرَكَةُ «الْجِهَادِ». مُنْذُ أَعْوَامِ ١٩٨٧ م وَ ١٩٨٨ م حِينَ أَخَذَ التَّحَرُّكُ الْجِهَادِيُّ الْعَرَبِيُّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ ظُهُورَهُ الْعَلَنِيَّ الْكَثِيفَ، وَالَّذِي يَرْجِعُ أَكْثَرَ الْفَضْلِ فِيهِ لِشَخْصَيْنِ هُمَا الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» ثُمَّ «أَسَامَةُ بْنُ لَادِينَ» أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. الْأَوَّلُ بَدَلَ جُهْدًا خَاصًّا لِفَلَسْطِينَ مِنْ بَاطِنِ نَشَاطِهِ الْأَفْغَانِيَّ، وَكَانَ ذَلِكَ مُبَرَّرًا كَافِيًا كَيْ أَعْتَقَدَ أَنَّ عَمَلِيَّةَ اغْتِيَالِهِ كَانَتْ مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الْمُخَابِرَاتِ السُّعُودِيَّةِ وَالْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَأَنَّ مُنْظَمَةَ «ذُو الْفُقَّارِ» التَّابِعَةَ لِأَلِ «بُوتُو» فِي بَاكِسْتَانَ كَانَتْ هِيَ أَدَاةُ التَّنْفِيدِ الْمُبَاشِرَةِ.

كَانَ فِي تَقْدِيرِي أُنَدَاكَ أَنَّ الْحَرَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بَاتَتْ مَحْصُورَةً بَيْنَ نَقْطَتَيْنِ،
 الْأُولَى عَدَمُ الْأَهْلِيَّةِ وَالثَّانِيَةُ التَّوَاتُؤُ وَرُبَّمَا «الْخِيَانَةُ». عِنْدَ التُّقْطَةِ الْأُولَى تَقِفُ
 الْأَجْيَالُ الشَّابَّةُ وَتَحْرُكَاتُهَا الْجِهَادِيَّةُ، وَعِنْدَ التُّقْطَةِ الثَّانِيَةِ يَقِفُ «الْإِحْوَانُ»
 وَالْحَرَكَاتُ التَّقْلِيدِيَّةُ الْأُخْرَى بِمَا فِيهَا الْمُؤَسَّسَاتُ الدِّيْنِيَّةُ الرَّسْمِيَّةُ. لِهَذَا فَقَدْ
 كُنْتُ مُقْتَبِعًا بِضُرُورَةٍ «التَّطْعِيمِ الْأَفْغَانِي» لِلتَّحْرُكِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَرَبِيِّ. كُنْتُ
 أَرَى أَنَّ التَّجْرِبَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَكْثَرُ حَيَوِيَّةً وَأَكْثَرُ غِنَى مِنْ حَالَةِ
 الْجُمُودِ وَالتَّخْلُفِ الَّتِي تَرْزُحُ فِيهَا الْجَمَاعَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، حَتَّى
 مَعَ عَدَمِ إِغْفَالِنَا لِلْسَّلْبِيَّاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ وَاضِحَةً فِي ثَنَائَا الْعَمَلِ الْأَفْغَانِي.
 وَظَلَّ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام» حَتَّى لَحْظَاتِهِ الْأَخِيرَةَ يُدَافِعُ عَنِ وَجْهَةِ نَظَرٍ
 مُشَابِهَةٍ لَوْلَا أَنَّهُ أَغْفَلَ سَلْبِيَّاتٍ خَطِيرَةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ، بَلْ
 وَتَعَمَّدَ تَبْرِيرَهَا وَالدِّفَاعَ عَنْ أَصْحَابِهَا، وَكَانَتْ تِلْكَ أَحَدَ عَوَامِلِ بُرُودَةِ
 الْعَلَاقَاتِ بَيْنَنَا وَرَحْمَتَهُ.

كَانَ التَّحَدِّي الْأَكْبَرُ فِيمَا كُنْتُ أَفَكِّرُ فِيهِ هُوَ كَيْفَ نُنْفَعُ الشَّبَابَ الْعَرَبِيَّ
 بِالتَّوَجُّهِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ لِلِقِتَالِ. كَانَتْ الْمُقَاوِمَةُ لِهَذَا التَّوَجُّهِ عَيْنِفَةً جِدًّا. حَتَّى
 الشَّبَابُ الْمُسْلِمُ الْمُتَحَمُّسُ كَانَ يَرَى الْفِكْرَةَ ضَرْبًا مِنَ الْخِيَالِ. وَعِنْدَمَا كُنْتُ
 أَفَاتِحُ بَعْضَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُمْ مِمَّنْ يَعْلَمُونَ بِدَهَابِي إِلَى هُنَاكَ، كَانَتْ تَغْمُرُهُمْ
 الدَّهْشَةُ وَيُعْرَبُونَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ بِالْجِهَادِ. وَحَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ
 مِمَّنْ أَعْرِفُهُمْ أَوْ اتَّصَلْتُ بِهِمْ، وَرُبَّمَا تَحَرَّكَ شَخْصٌ وَاحِدٌ «مِصْرِيٌّ» مِنْ

«دُبِّي»، لا أذكر إن كان في عام ١٩٨٢م أو العام التالي له، وكان من «الإخوان المسلمين» وذهب عبر جماعة «سياف» إلى مكان قرب «كابل». وأثار ذلك موجة حماس عارمة وسط شباب «الإخوان» المتحمس.

وقد بذل «الإخوان» جهداً كبيراً في امتصاصها وتحويل مسارها مرة أخرى إلى جانب المساندة «الإغاثية» للجهاد في أفغانستان. وقصروا العمل العسكري في حدود مرسومه بعناية تسمح بتدجين شبابهم وإفناعهم أن هناك عملاً جهادياً لهم في أفغانستان. ويكفي أن قيادة الجهاد الشرعية هي في أيدي «الإخوان» ممثلين بـ «سياف» كزعيم، وأيضاً بـ «حكمتيار» و «رباني» كقادة تنظيمات أصولية. كما تسمح تلك المساهمة الشكلية الهامشية بإحباط أي محاولة للتنظيم العربي داخل أفغانستان أو بروز قيادات إسلامية عربية تأخذ طابعاً جهادياً يسحب البساط من تحت أرجل «الإخوان» كتنظيم عالمي. فأي شخصية عربية تنظم وتقوم العرب داخل أفغانستان كانت بلا شك سوف تدمر «الإخوان» عربياً وتسحب كواديرهم وتحوّل التحرك الإسلامي العربي في اتجاه جهادي معادٍ «الصليبي-اليهودية»، وهذا يتعارض جذرياً مع توجه «الإخوان» المتفاهم مع الأوضاع الدولية السائدة والمشارك معها في اللعبة السياسية القائمة.

لهذا كانت تلك المعارك الطاحنة وراء الكواليس، والتي تميزت بالضرب

تَحْتَ الْحِزَامِ، تِلْكَ الْمَعْرَكَةُ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهَمِّ شَخْصِيَّتَيْنِ
جَمَاهِيرِيَّتَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ، وَالَّذَانِ تَاهَلَا لِأَسْبَابٍ مُتَّوَعَةٍ وَلَكِنْ مُخْتَلِفَةً، تَاهَلَا



لِتَجْمِيعِ وَرَعَامَةِ مُعْظَمِ التِّيَّارِ الْجِهَادِيِّ الْعَرَبِيِّ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ. هَذَيْنِ الشَّخْصِيَّتَيْنِ هُمَا الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ»

وَ«أَسَامَةُ بْنُ لَادِنٍ» [إِمَامُ الْمُجَاهِدِينَ: صُورَةٌ رَقْمٌ ٧٢]، وَكِلَاهُمَا

ذَاقَ الْأَمْرَيْنِ مِنْ مُؤَامَرَاتِ «الْإِخْوَانِ»، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلَانِ لَمْ

يُنْقَلَا الْمَعْرَكَةَ إِلَى الْعَلَنِ. وَأَحْسِبُ ذَلِكَ مِنْ أخطاءِهِمَا الْبَارِزَةِ إِضَافَةً إِلَى
أخطاءٍ أُخْرَى عَدِيدَةٍ.

لَقَدْ كَانَ التَّسْتُرُ عَلَى الْأخطاءِ وَالْعُيُوبِ وَعَرَضَ الْأُمُورَ بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ غَيْرِ
وَاقِعِيَّةٍ عَلَى الرَّأْيِ الْعَامِّ الْإِسْلَامِيِّ بِهَدَفٍ جَذَبَ الشَّبَابَ وَتَشْجِيعَ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى التَّبَرُّعِ لِلجِهَادِ وَدَفَعِ قَضِيَّةَ الجِهَادِ وَأَفْغَانِسْتَانَ إِلَى الْأَمَامِ هِيَ حِجَجٌ كُنْتُ
أُحَالِفُهُمَا بِشَأْنِهَا كَثِيرًا. وَكُنْتُ أَرَى الْمُكاشَفَةَ وَالوُضُوحَ [أَكْثَرَ إِفَادَةً] عَلَى
الْمَدَى الْبَعِيدِ مَهْمَا كَانَتْ مَشَاكِلُهَا الْعَاجِلَةَ، وَلَكِنَّهُمَا نَفَّذَا مَا رَأْيَاهُ صَحِيحًا،
فَقَدْ كَانَتْ الْإِمْكَانَاتُ لَدَيْهِمَا تَسْمَحُ بِذَلِكَ.



عام ١٩٨٣ م ثورة في «الأوزجون»

مع بداية عام ١٩٨٣ م كان المجهود الإسلامي الشَّعبيُّ مُنحصراً في جمع التبرعات العينية للمجاهدين الأفغان. ومقولة أن «الأفغان ليسوا في حاجة إلى الرجال» كانت هي السائدة، ويروَّج لها «الإخوان» وباقى العاملين على الساحة الإسلامية الشَّعبيَّة.

وصلت إلى «بيشاور» في ربيع ذلك العام لأجد الضَّجيج واللَّغَط أعلى من أيِّ عام سبق، والوفود الإسلامية الوافدة في قمة نشاطها. لقد جمعت السعودية أبرز الشخصيات الإخوانية مع بعض السلفيين مع عدد ضئيل من أبرز ضباط استخباراتها وكونت «لوبي» إسلامياً شَعبيًّا، يضغط من أجل تثبيت زعامة «سياف» للجهاد في أفغانستان، وأيضا للضغط إعلامياً وشعبياً على «ضياء الحق» حتى يتوقف عن مساعدة الأحزاب الأخرى. رغم أن «ضياء الحق» كانت له حساباته المختلفة، ويعتبر «حكمتيار» هو الورقة الباكستانية الثابتة والأكيدة على الساحة الأفغانية.

ومع هذا نجحت الضغوط السعودية باستخدام الأموال لتسكين حواطر

قَادَةَ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَبِاسْتِخْدَامِ الْقِيَمَةِ الدِّينِيَّةِ لِلْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ، فَجَذَبَتْ السُّعُودِيَّةُ وَوَفَدَهَا الْإِسْلَامِيَّ زُعَمَاءَ الْأَفْغَانِ إِلَى دَاخِلِ الْكَعْبَةِ كَيْ يُقَسِّمَ الْجَمِيعُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْإِتِّحَادِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ وَعَلَى طَاعَةِ زَعِيمِهِ «سَيَّافٍ»، وَالْقَسْمُ عَلَى حُلِّ الْمُنْتَظَّمَاتِ التَّابِعَةِ لَهُمْ وَالْإِنْدِمَاجِ كُلِّيًّا فِي الْإِتِّحَادِ.

وَقَدْ وَقَعَ الْقَادَةُ عَلَى بَيِّنَاتٍ تُفِيدُ بِذَلِكَ، وَقَامَتِ السُّعُودِيَّةُ وَالْإِعْلَامُ الْإِخْوَانِيُّ بِنَشْرِ تِلْكَ الْبَيِّنَاتِ عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ مُمَكِّنٍ.

بِالطَّبَعِ لَمْ يَكُنْ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» رَاضِيًا عَمَّا حَدَثَ، وَالْقَادَةُ الْأَفْغَانُ كَانُوا فِي غَايَةِ الْإِتِّعَاضِ، وَمَا أَنْ حَصَلُوا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي وَزَعَهَا عَلَيْهِمُ الْوَفْدُ الْإِسْلَامِيُّ وَمَسْئُولُو السُّعُودِيَّةِ لِقَاءِ التَّوْقِيعِ عَلَى أَوْرَاقِ الْإِتِّحَادِ حَتَّى تَوَجَّهَ الزُّعَمَاءُ جَمِيعًا - مَا عَدَا «سَيَّافٍ» طَبَعًا - إِلَى «ضِيَاءِ الْحَقِّ» كَيْ يُخْبِرُوهُ بِأَنَّ مَا حَدَثَ لَيْسَ إِلَّا مُجَامَلَاتٍ دُبُلُو مَاسِيَّةٍ لِلْوُفُودِ الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يَأْخُذُ مِثْلَ ذَلِكَ التَّهْرِيجِ السُّعُودِيِّ مَا خَذَ الْجَدُّ.

وَلَكِنَّ الصَّرَاعَ الدَّاخِلِيَّ بَيْنَ الْمُنْتَظَّمَاتِ صَارَ أَكْثَرَ حِدَّةً، لَيْسَ فَقَطْ فِي مَجَالِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ وَحَرْبِ الشَّائِعَاتِ فِي «بِيشاور» وَالْخَارِجِ، بَلْ إِنَّ الصَّدَامَاتِ الْمُسَلَّحَةَ شَهِدَتْ مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ اتِّسَاعًا وَنُمُوءًا كَبِيرًا، وَأَلْقَتِ الْمُنْتَظَّمَاتُ الرَّئِيسِيَّةُ مُعْظَمَ جُهِدِهَا الدَّاخِلِيَّ فِي تَنْمِيَةِ الصَّرَاعِ وَالْقِتَالِ

الدَّخِيلِي.

لَمْ يَكُنْ «الإِخْوَانُ» أَوْ السُّعُودِيُّونَ أَوْ الْوُفُودُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي بَدَأَ عَدَدُهَا يَتَزَايَدُ وَكَمِّيَّةُ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَحْمِلُهَا لـ «سَيَّافٍ» تَتَعَاظَمُ، لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ - أَوْ أَنَّهُمْ تَجَاهَلُوا عَمْدًا - مَسْأَلَةُ الْإِتِّصَالِ الْمُبَاشِرِ بِالْجَبَهَاتِ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ فِي عَتَبَارِهِمْ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ.

حَتَّى «سَيَّافٍ» نَفْسُهُ كَانَ بَعِيدًا جِدًّا عَنِ الْجَبَهَاتِ أَوْ الْعِنَايَةِ بِشَأْنِهَا. كَانَ غَارِقًا حَتَّى أُذُنِيهِ فِي الصَّرَاعِ مَعَ زُمَلَائِهِ قَادَةَ الْأَحْزَابِ، وَكُلُّ هَمِّهِ مُنْصَبٌّ عَلَى تَجْفِيفِ مَوَارِدِهِمُ الْمَالِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ، أَيْ الْإِسْتِحْوَاذُ مُنْفَرِدًا عَلَى نَهْرِ الْأَمْوَالِ الْمُتَدَفِّقِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. كَانَ ذَلِكَ يُمَكِّنُ فَهْمَهُ لَوْ أَنَّ «سَيَّافٍ» تَوَجَّهَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ - الَّتِي أَكْسَبَتْهُ قُوَّةٌ سِيَاسِيَّةٌ وَمُؤَيِّدِينَ، وَجَذَبَتْ رَائِحَتُهَا عَشْرَاتِ الْقَادَةِ فِي الدَّخِيلِ، بِأَيْعُوهُ وَأَعْيُنُهُمْ بِالطَّبَعِ عَلَى خَزِينَتِهِ الْمُمْتَلِئَةِ - لَوْ أَنَّهُ تَوَجَّهَ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ الْمَالِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ نَحْوَ جَبْهَةِ الْقِتَالِ لَكَانَ مَا يَفْعَلُهُ مَعْقُولًا وَمُبْرَّرًا.

وَلَكِنَّ الْجَبَهَاتِ مَا زَالَتْ تُعَانِي كَمَا كَانَتْ فِي السَّابِقِ، بَلْ زَادَتْ الشُّكَايَاتُ الْقَادِمَةَ مِنْ هُنَاكَ. وَ «بِيشَاوَرٍ» صَارَتْ أَكْثَرَ جَاذِبِيَّةً لِمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْحَالُ أَوْ أَرَادَ ثَرَاءً سَرِيعًا؛ فَتَوَافَدَ عَلَيْهَا عُلَمَاءٌ وَقَادَةٌ وَمُجَاهِدُونَ وَأَفَاقُونَ وَسَمَاسِرَةٌ وَجَوَاسِيسٌ. وَالْمَالُ الْعَرَبِيُّ الْمُتَدَفِّقُ بِأَلَا حِسَابٍ وَبِلَا بَصِيرَةٍ أَدَّى إِلَى تَعَفُّنِ سَرِيعٍ فِي «بِيشَاوَرٍ» مِنْ قِمَّتِهَا السِّيَاسِيَّةِ إِلَى قَاعِهَا الْبَشَرِيِّ الْمُتَمَثِّلِ

فِي الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ شَاعَ فِيهِمُ التَّسَوُّلُ وَالْكَذِبُ وَالْاِحْتِيَالُ لِلْحُصُولِ عَلَى نَصِيْبِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ الْمُشَاعَةِ.

[وَقَدْ] عَلِمْتُ مِنْ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ الْأَفْغَانَ أَنْ تَشْبِيهَا بَدَأَ فِي الرِّوَاكِ بَيْنَ الْأَفْغَانَ يَقُولُ بِأَنَّ «الْعَرَبَ مِثْلَ الْحَمِيرِ الَّتِي تَحْمِلُ زَكَاةَ مَنْ الْمَالِ».

وَلِلْأَسَفِ فَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ يَمَسُّ أَكْثَرَ فِئَاتِ الْمُسْلِمِينَ إِخْلَاصًا، وَالَّذِينَ التَّبَسَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَوَقَعُوا فِي الْخَدِيعَةِ، لَيْسَتْ خَدِيعَةَ الْقَادَةِ الْأَفْغَانَ بَلْ خَدِيعَةَ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» وَحَلَفَائِهِمُ السُّعُودِيِّينَ الرَّسْمِيِّينَ. كَانَتْ السُّعُودِيَّةُ تَتَحَرَّكُ وَتُنْفِقُ بِهَدَفِ إِفْسَادِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ وَتَحْوِيلِهِ إِلَى سَبَاقِ عَلَى الْمَالِ وَالْمَكَاسِبِ، وَقَدْ نَجَحَتْ أَيْمًا نَجَاحٍ. وَكَانَتْ تَعْمَلُ بِهَدَفِ إِحْكَامِ السُّيُطْرَةِ عَلَى الزُّعَمَاءِ وَعَلَى الْأَحْزَابِ لِيَسْهَلَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّحَكُّمُ فِي مَصِيرِ الْقَضِيَّةِ كُلِّهَا، وَيَأْتِي ذَلِكَ لِصَالِحِ السُّعُودِيَّةِ كَدَوْلَةٍ، وَلَكِنَّهُ لِصَالِحِ أَسْيَادِهِمْ «الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى».

كَانَتْ السُّعُودِيَّةُ وَ «الْإِخْوَانُ» يَعْلَمُونَ أَنَّ هُنَاكَ إِمْدَادَاتٍ رَسْمِيَّةَ دَوْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَى أَحْزَابِ «بِيشَاوَر»، وَذَلِكَ ضِمْنَ عَمَلِيَّةِ سِرِّيَّةِ تُشْرِفُ عَلَيْهَا الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ، بَيْنَمَا تَتَوَلَّى الْمُخَابِرَاتُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ مُهِمَّةَ التَّنْفِيذِ الْمِيدَانِيِّ. كَانَ لِكُلِّ حِزْبٍ - بِمَا فِي ذَلِكَ الْحِزْبِ الْخَاصُّ بِ «سَيَّافِ» «الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِتَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ - مَبْغَا مُعَيَّنًا مِنْ الْمَالِ لِتَوْزِيْعِهِ عَلَى الْجَبَهَاتِ، وَكَذَلِكَ كَمِّيَّاتٍ مِنْ

الأسلحةِ والذخائرِ إضافةً إلى مُرتبٍ شهريٍّ لفائدِ التنظيمِ في «بِشاور».

كَانَتْ بَاكِسْتَانُ تَتَدَخَّلُ فِي نِسْبِ تَوْزِيعِ الْأَسْلِحَةِ، وَكَانَتْ النُّسْبَةُ الْأَكْبَرُ تَصِلُ إِلَى فَتَاهَا الْمُفْضَلِ «حَكْمَتِيَار»، وَأَثَارَ ذَلِكَ حَفِيزَةُ زُمَلَانِهِ الْقَادَةِ، بَلْ وَأَثَارَ ذَلِكَ نِعْمَةُ أَمْرِيكَ الَّتِي رَأَتْ بَاكِسْتَانُ تَفْرِضُ آرَاءَهَا وَرَجَالَهَا فِي عَمَلِيَّةِ تَتَوَلَّاهَا أَمْرِيكَ بِنَفْسِهَا.

وَأَيْضًا تَدَخَّلَ الْعَرَبُ بِهَذَا الشَّكْلِ بِقِيَادَةِ السُّعُودِيَّةِ أَثَارَ حَفِيزَةَ بَاكِسْتَانِ، فَقَدْ انْقَلَبَتِ الْآيَةُ وَأَصْبَحَ «سَيَافُ» «رَجُلَ السُّعُودِيَّةِ» صَاحِبَ الثَّقَلِ الْأَكْبَرِ فِي «حَرَكَةِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ»!!

فِي بَدَايَةِ التَّدَخُّلِ الْأَمْرِيكِيِّ كَانَ نَصِيبَ كُلِّ حِزْبٍ جِهَادِيٍّ مَبْلَغٌ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ مِائَتَيْ مِائَةٍ وَمِائَتَيْ مِائَةٍ رُوْبِيَّةٍ بَاكِسْتَانِيَّةٍ، وَلَكِنْ مَا أَنْ أْتَمَّ «سَيَافُ» رِحْلَتَهُ الْخَلِيجِيَّةَ الْأُولَى حَتَّى مَنَحَتْهُ السُّعُودِيَّةُ مَبْلَغًا أَكْثَرَ مِنْ مَجْمُوعِ مَا تَتَلَقَّاهُ جَمِيعُ الْمُنْتَظَمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ مِنْ بَاكِسْتَانِ لِأَكْثَرِ مِنْ عَامَيْنِ.

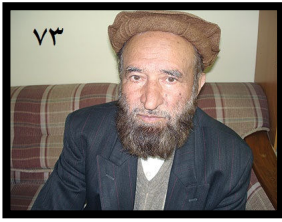
وَهُنَا كَانَ الزَّلْزَالُ، فَالْمَعْرَكَةُ الْحَقِيقِيَّةُ كَانَتْ بَيْنَ الزُّعَمَاءِ مِنْ أَجْلِ الاسْتِخْوَاذِ عَلَى هَذِهِ الْغَنِيمَةِ الْهَائِلَةِ، وَالَّتِي لَا تُكَلِّفُ شَيْئًا سِوَى بَضْعِ جَلَسَاتٍ وَالطَّنْطَنَةِ بَعْدَهُ جُمْلٍ إِسْلَامِيَّةٍ مَعَ زُخْرَفَتِهَا بِبَعْضِ الْأَحَادِيثِ وَالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ. وَطَبَقًا لِمَعْلُومَاتٍ أَخْبَرَنِي بِهَا «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ» فِي حَدِيثٍ خَاصٍّ: «فَوَرَ تَوْقِيعِ الْقَادَةِ عَلَى وَثِيقَةِ التَّنَازُلِ عَنِ زُعَامَةِ أَحْزَابِهِمْ، تَلَقَّى «سَيَافُ» مِنَ السُّعُودِيَّةِ

مَبْلَغَ ٤٨٠ مِليُونِ رُوبِيَّةٍ بَاكِسْتَانِيَّةٍ، أَيَّ مَا يُعَادِلُ ٣٠ مِليُونِ دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ، نَصَفَهَا مِنَ الْأَمِيرِ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» وَلِيِّ الْعَهْدِ، إِضَافَةً إِلَى ١١٥ سَيَّارَةً قَدَّمَهَا لـ «سَيَّافٍ». كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ السُّعُودِيِّينَ أَرْسَلُوا عَشْرَةَ مَلَائِينَ دُولَارٍ أُخْرَى مَعَ السَّفِيرِ السُّعُودِيِّ «عَلَمْدَارٍ» الَّذِي سَلَّمَهَا لـ «سَيَّافٍ» أَيْضًا.

كَانَتْ الْمُسْكِلةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِي مُجْتَمَعِ الْقَادَةِ الْكِبَارِ هِيَ كَيْفِيَّةُ اقْتِسَامِ الْغَنَائِمِ الْعَرَبِيَّةِ. وَتَفَتَّتْ أَذْهَانُهُمُ الْعَبْقَرِيَّةُ عَنْ أَنْ يَتَوَلَّى الْقَادَةُ الْكِبَارُ مَسْئُولِيَّةَ اللَّجَانِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَهَذِهِ اللَّجَانُ يَتِمُّ تَخْصِيصُ مِيزَانِيَّاتٍ مُحْتَرَمَةٍ لَهَا. وَبَعْدَ أَنْ تُوزَعَ الْمِيزَانِيَّاتُ فَلَا أَحَدٌ يَسْأَلُ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصَّرْفِ. وَتَبَقَى الْأَحْزَابُ كَمَا هِيَ، تُنْفِقُ مِنْ نَفْسِ دَخْلِهَا الْأَصْلِيِّ الْقَادِمِ مِنَ الْأَيْدِي الْبَاكِسْتَانِيَّةِ بِأَوَامِرِ أَمْرِيكِيَّةٍ. أَمَّا الْأَمْوَالُ الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ غَنَائِمٌ لِلْقَائِدِ وَحْدِهِ يَصْرِفُ كَيْفَمَا يَشَاءُ أَوْ يَدَّخِرُ كَيْفَمَا يَشَاءُ لَا مَعْقَبَ لِأَمْرِهِ.

وَكَانَ الْإِتِّحَادُ يَضُمُّ عَدَا «سَيَّافٍ» ثَلَاثَةَ زُعَمَاءَ أَسَاسِيِّينَ هُمْ «حِكْمَتِيَّارٌ» وَ «رَبَّانِيٌّ» وَ «يُونُسُ خَالِصٌ». أَمَّا «حِكْمَتِيَّارٌ» فَكَانَ يَحُوزُ عَلَى تَخَوُّفِ الْآخَرِينَ وَكَرَاهِيَّتِهِمْ. كَانَ «سَيَّافٌ» وَ «رَبَّانِيٌّ» الْأَكْثَرُ تَقَارُبًا فِي تَحَالُفٍ غَيْرِ مُعْلَنٍ ضِدَّ «حِكْمَتِيَّارٍ». أَمَّا «يُونُسُ خَالِصٌ» الْعَالِمُ الطَّيِّبُ فَقَدْ كَانَ مُخْلِصًا لِلْغَايَةِ لِقَضِيَّةِ الْإِتِّحَادِ. لِذَلِكَ لَمْ يَشْتَرِكْ فِي الْمُنَاوَرَاتِ الدِّينِيَّةِ لِبَاقِي الْقِيَادَاتِ. وَبَعْدَ الْإِتِّحَادِ الْأَخِيرِ تَقَلَّدَ مَسْئُولِيَّةَ رِئَاسَةِ اللَّجْنَةِ الْمَالِيَّةِ. مُهِمَّةٌ تِلْكَ اللَّجْنَةُ أَنْ تَكُونَ قَنَاءَةً

تَوْصِيلٍ، تَسْتَلِمُ مِنْ «سَيَّافٍ» الْأَمْوَالَ الْمُخَصَّصَةَ لِبَاقِي الدَّجَانِ وَتُوصِلُهَا إِلَيْهَا.



لَمْ تَكُنْ تِلْكَ اللَّجْنَةُ مُخَوَّلَةً بِاسْتِلامِ آيَةِ تَبَرُّعَاتٍ قَادِمَةٍ
لِلاتِّحَادِ؛ فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ مَسْئُورِيَّةَ «سَيَّافٍ» شَخْصِيًّا
أَوْ نَائِبِهِ الحَمِيمِ المُهَنْدِسِ «أحمد شاه»^(١) [صُورَةٌ رَقْمٌ ٧٣]

الَّذِي فَرَعَتْهُ السُّعُودِيَّةُ كَيْ يَعْمَلَ نَائِبًا لـ «سَيَّافٍ» مُقَابِلَ رَاتِبِ شَهْرِيٍّ يَصِلُهُ مِنْ
المَمْلَكَةِ.

مَعَ وُصُولِي إِلَى «بِيشاور» وَجَدْتُ الشَّيْخَ «يُونُسَ خَالِصٍ» مُتَبَرِّمًا وَيَضِجُ
بِالشَّكْوَى مِنْ «سَيَّافٍ» وَالْقَادَةَ وَالْعَرَبِ. وَأَفَاضَ مَعِي بِالشَّكْوَى قَائِلًا: «إِنَّ
«الإِخْوَانَ الْعَرَبِ» أَفْسَدُوا كُلَّ شَيْءٍ وَأَصْبَحَ الْجِهَادُ مُهَدَّدًا بِالفِشَلِ مِنْ جَرَاءِ
تَدَخُّلِهِمْ. هُمْ يَأْتُونَ وَيَذْهَبُونَ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُخْلِفُونَ وَرَاءَهُمْ جِبَالَاً مِنْ
المَشَاكِلِ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً أَصْلًا. إِنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ شِرَاءَنَا بِالمَالِ. قَبْلَ أَنْ
يَعْقِدُوا بَيْنَنَا الاتِّحَادَ الأَخِيرَ وَرَعُوا عَلَيْنَا الشُّيُوكَاتِ وَكَانَتْهَا رِشْوَةٌ حَتَّى نَقْبَلَ بِـ
«سَيَّافٍ». وَلَمَّا جَلَسْنَا مَعَهُمْ وَبَدَأَتْ أَنْتَقِدُ سِيَّاسَةَ «سَيَّافٍ» تَدَخَّلَ أَحَدُهُمْ
لِمَنْعِي مِنَ الكَلَامِ، وَأَخْرَجْتُ الشُّيُوكَ مِنْ جَيْبِي وَرَمَيْتُهُ إِلَيْهِ قَائِلًا: «إِذَا كَانَ هَذَا

(١) أحمد شاه أحمدزي (٣٠ مارس ١٩٤٤): وُلِدَ فِي «كَابُل» وَتَخَرَّجَ فِي كَلِيَّةِ المُهَنْدَسَةِ مِنْ جَامِعَتِهَا،
وَحَصَلَ عَلَى شَهَادَةِ عَالِيَةٍ مِنْ جَامِعَةِ «كُلُورَادُو» الأَمْرِيكِيَّةِ عَامَ ١٩٧٥ م، وَعَمِلَ بِجَامِعَةِ «المَلِكِ فَيْصَلِ»
بِالسُّعُودِيَّةِ. شَغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ وُزَرَاءِ أَعْغَانِسْتَانَ مِنْ ١٩٩٢ م- ١٩٩٦ م.

الشَّيْكَ سَيَمْنَعُنِي مِنَ الْكَلَامِ فَأَنَا لَا أُرِيدُهُ». لَقَدْ جَعَلُونَا نُقْسِمُ دَاخِلَ الْكَعْبَةِ عَلَى الْإِتِّحَادِ، وَقَبْلَ أَنْ نَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ بَدَأَتْ الْخِلَافَاتُ بَيْنَنَا. لَيْسَ بَيْنَنَا اتِّحَادٌ، وَكُلُّ زَعِيمٍ يَعْمَلُ لِمَصْلَحَتِهِ وَلِحِزْبِهِ الْخَاصِّ. أَنَا رَأَيْتُ اللَّجْنَةَ الْمَالِيَّةَ وَكَيْسَ مِنْ صِلَاحِيَّتِي اسْتِلاَمُ أَمْوَالِ التَّبَرُّعَاتِ، وَكَيْسَ مِنْ صِلَاحِيَّتِي طَلَبُ كُشُوفَاتِ الصَّرْفِ مِنْ رُؤَسَاءِ اللَّجَانِ - الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ الْأَحْزَابِ -، لَقَدْ أَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ الْمَالَ لِنَفْسِهِ وَلِحِزْبِهِ، تَقَسَّمَتْ بَيْنَهُمُ الْأَمْوَالُ وَلَمْ يَصِلْ شَيْءٌ لِلْمُجَاهِدِينَ.

مَثَلًا، اللَّجْنَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ الَّتِي يَرَأُسُهَا «رَبَّانِي» صَرَفْنَا لَهَا أَكْبَرَ مَبْلَغٍ مِنَ الْمِيزَانِيَّةِ وَهُوَ ٢٦٠ مِلْيُونِ رُوبِيَّةٍ بَاكِسْتَانِيَّةٍ، وَانْفَقْنَا مَعَ «رَبَّانِي» أَنْ يَدْفَعَ لِلْمُجَاهِدِينَ أَجْرَةَ انْتِقَالِ السَّلَاحِ إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانِ، وَلَكِنَّهُ دَفَعَ فَقَطْ لَهُؤُلَاءِ التَّابِعِينَ لِحِزْبِهِ «الْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» وَعِنْدَمَا جَاءَ لَهُ مُجَاهِدُو الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى قَالَ لَهُمْ أَنَّ الْمِيزَانِيَّةَ قَدْ نَفَذَتْ. وَالنَّيْجَةُ أَنْ قَوَافِلَ الْمُجَاهِدِينَ الَّتِي تَنْقُلُ السَّلَاحَ جَلَسَتْ عَلَى الْحُدُودِ تَرْفُضُ التَّحَرُّكَ إِلَى الدَّاخِلِ بِدَعْوَى أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ أَجْرَةَ النَّقْلِ».

لَقَدْ ضَمَّ الْإِتِّحَادُ زُعَمَاءَ أَقَلِّ أَهْمِيَّةٍ مِثْلَ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُورٍ» وَ «رَفِيعِ اللَّهِ

مُؤَذِّنٌ»^(١) وَ «قَاضِي مُحَمَّدٍ أَمِينٌ»^(٢)، وَ جَمِيعُهُمْ مُنْشَقُّونَ عَنِ أَحْزَابِ أُخْرَى، وَ كَوَّنُوا أَحْزَابَهُمُ الْمُسْتَقَلَّةَ، وَ انْضَمُّوا إِلَى «سَيَافٍ» رَغْبَةً فِي أَنْ يَدْعَمَهُمْ مَالِيًا وَ سِيَاسِيًا فِي مُقَابَلَةِ زُعَمَائِهِمُ السَّابِقِينَ الَّذِينَ يُضْمِرُونَ لَهُمُ الشَّرَّ.

مِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةِ تَكُونُ الْإِتِّحَادُ الْإِسْلَامِيَّ لِْمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَ قَدَّمَ كُلَّ حِزْبٍ عَدَدًا مِنْ أَعْضَاءِ الشُّورَى كَيْ يَكُونُوا مَجْلِسًا لَهُ سُلْطَاتُ إِشْرَافِيَّةٍ عَلَى الْإِتِّحَادِ وَ شُؤُونِهِ. وَ مِنْ سُلْطَاتِ هَذَا الْمَجْلِسِ انْتِخَابُ رَئِيسٍ جَدِيدٍ لِلْإِتِّحَادِ بِشَكْلِ دَوْرِيٍّ كُلِّ شَهْرَيْنِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، ثُمَّ كُلِّ عَامَيْنِ بَعْدَ قَسَمِ الْكَعْبَةِ.

كَانَ الْمَفْرُوضُ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ أَيْضًا ضَمَانُ مَصَالِحِ كُلِّ حِزْبٍ دَاخِلِ الْإِتِّحَادِ، فَقَدْ كَانَ التَّمثِيلُ مُتَوَازِنًا مَعَ الْقُوَّةِ السُّبِّيَّةِ لِكُلِّ حِزْبٍ، وَ ذَلِكَ يَضْمَنُ تَدَاوُلَ السُّلْطَةِ سَلْمِيًّا بَيْنَ قَادَةِ الْمُنْظَمَاتِ، وَ ذَلِكَ بِالتَّنَاوُبِ عَلَى رِئَاسَةِ الْإِتِّحَادِ.

(١) مَوْلَايِ رَفِيعِ اللَّهِ مُؤَذِّنٌ: أَحَدُ كِبَارِ عُلَمَاءِ وَ مُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَ مُؤَسَّسُ جَبْهَةِ «إِنْقِلَابِ إِسْلَامِيٍّ»، انْضَمَّ لِحَرَكَةِ «طَالِبَانَ» وَ شَغَلَ مَنْصِبَ وَزِيرِ الدَّوْلَةِ لِلْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ اسْتَقَالَ مِنْ الْحُكُومَةِ بَعْدَ دُخُولِ «طَالِبَانَ» لِ «كَابُلٍ».

(٢) مَوْلَايِ قَاضِي مُحَمَّدٍ أَمِينٌ وَ قَاد: شَغَلَ مَنْصِبَ وَزِيرِ الْإِتِّصَالَاتِ فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَامَ

وَكَمَا نَرَى فَإِنَّ الْمَقْصُودَ الْأَسَاسِيَّ لَمْ يَكُنْ هُوَ تَنْظِيمُ شُؤُونِ الْجِهَادِ بِقَدْرِ مَا كَانَ الْأَسْتِيْلَاءُ عَلَى الْأَمْوَالِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَكَانَةِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي يَمْنَحُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْعَرَبُ لِقَادَةِ الْجِهَادِ، خَاصَّةً الْقِيَادَةَ السِّيَاسِيَّةَ لِلاتِّحَادِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَكَانَةَ الشَّعْبِيَّةَ تُتْرَجَّمُ أَيْضًا إِلَى تَبَرُّعَاتٍ وَأَمْوَالٍ.

اسْتِطَاعَ «سَيَّافٌ» بِدِهَائِهِ وَقُدْرَاتِهِ الْمَالِيَّةِ الْهَائِلَةِ وَمُسْتَشَارِيهِ مِنَ السُّعُودِيِّينَ وَحَرَكَهَ «الْإِخْوَانَ» أَنْ يُمْكِّنَ لِنَفْسِهِ نِهَائِيًّا مِنْ زَعَامَةٍ «أَبْدِيَّةٍ» لِلاتِّحَادِ؛ فَقَدْ «اشْتَرَى» مُعْظَمَ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الشُّورَى وَقَدَّمَ لَهُمُ الْهَدَايَا الْعَيْنِيَّةَ، وَبَنَى لَهُمُ الْبُيُوتَ وَأَمَدَّهُمْ بِالْكَمَالِيَّاتِ وَقَدَّمَ الْخِدْمَاتِ لِأَبْنَائِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ فِي مَجَالِ الْبَعَثَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي السُّعُودِيَّةِ وَالْخَلِيجِ وَ «إِسْلَامِ آبَاد».

وَأَصْبَحَ «سَيَّافٌ» مُتَمَكِّنًا مِنْ فَرَضِ أَيِّ شَيْءٍ يَرَاهُ عَلَى مَجْلِسِ الشُّورَى، أَيَّ أَنْ الْمَجْلِسَ [قَدْ] صَارَ أَحَدَ اللَّجَانِ التَّابِعَةِ لِجِزْبِهِ أَوْ لَهُ شَخْصِيًّا. وَهَكَذَا أُغْلِقَ الْمَجَالَ نِهَائِيًّا عَلَى مُنَافِسِيهِ لَوْلَا أَنَّهُ سَمَحَ بِتَوَلِّي صَدِيقِيهِ «بُرْهَانَ الدِّينِ» وَ «يُونُسَ خَالِصَ» رِئَاسَةَ الْإِتِّحَادِ مَرَّةً وَاحِدَةً لِكُلِّ مِنْهُمَا لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ لِلدَّوْرَةِ الْوَاحِدَةِ؛ وَذَلِكَ حَتَّى يُبْعَدَ عَن نَفْسِهِ أَيَّ اتِّهَامٍ بِالتَّسَلُّطِ وَالْإِفْسَادِ. كَانَ «سَيَّافٌ» لَدَيْنَا حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلَ الْخِيَارَاتِ الْمَطْرُوحَةِ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَلَمْ تَكُنْ ارْتِبَاطَاتُهُ الْعَمِيقَةُ بِ «الْإِخْوَانِ» وَالسُّعُودِيَّةِ قَدْ اتَّضَحَتْ لَنَا بِأَبْعَادِهَا الْحَقِيقِيَّةِ. كُنَّا نَرَى عُيُوبَهُ وَنُمْنِي أَنْفُسَنَا أَنَّهَا قَابِلَةٌ لِلْعِلَاجِ إِذَا حَقَّقَ

«سَيَّافٌ» شَرَطَيْنِ، وَقَدْ صَارَ حَنَاهُ بِذَلِكَ:

■ **الشَّرْطُ الْأَوَّلُ:** أَنْ يَتْرَكَ «بِيشَاوَر»، وَأَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى قِيَادَةِ مِيدَانِيَّةٍ دَاخِلِ أْفَغَانِسْتَانَ. فَإِنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يَكُونُ فَتْحًا مُبِينًا لِلْأْفَغَانَ وَكُلِّ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ تَوَاجُدَهُ بِالْدَاخِلِ مَعَ إِمْكَانَاتِهِ الْمَالِيَّةِ وَسُمْعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَوْفَ يَدْفَعَانِ بِالْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ إِلَى أْبْعَدِ مَدَى، وَسَوْفَ يَكُونُ الْإِنْتِصَارُ قَرِيبًا. وَيَكْفِي أَنْ مَهَازِلَ «بِيشَاوَر» وَنِزَاعَاتِهَا الَّتِي أُعْرِفَتْ الْأْفَغَانَ وَالْعَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ سَوْفَ تَنْتَهِي.

■ **الشَّرْطُ الثَّانِي:** أَنْ يَتَصَرَّفَ كَقَائِدٍ لِلْمُسْلِمِينَ الْأْفَغَانَ وَلَيْسَ كَقَائِدٍ تَنْظِيمٍ يَرَعَى مَصَالِحَ الْمُتَمِيمِينَ إِلَيْهِ فَقَطْ. لِهَذَا، فَعَلَيْهِ أَنْ يُقَدِّمَ كُلَّ عَوْنٍ مُمَكِّنٍ لِلْمُجَاهِدِينَ حَسَبَ أَهْمِيَّةِ مَنَاطِقِهِمْ وَشِدَّةِ الْمَعَارِكِ عِنْدَهُمْ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ أَيِّ انْتِمَاءٍ تَنْظِيمِيٍّ أَوْ قَبْلِيِّ.

كَانَ «سَيَّافٌ» يُوَافِقُ مَعَنَا عَلَى كُلِّ مَا نَقُولُ، بَلْ وَيَزِيدُنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ دَوْمًا يَطْلُبُ التَّأْجِيلَ حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ بَعْضِ الْمَشَاكِلِ الْعَاجِلَةِ وَالْخَطِيرَةِ الَّتِي تُهَدِّدُ الْإِتِّحَادَ.

بَدَأَ يَتَتَابَعُنَا الْقَلْقُ مِنْ بَعْضِ التَّنَاقُضَاتِ الَّتِي لَاحَظْنَاهَا فِي «سَيَّافٍ». فَبَيْنَمَا هُوَ يَعِدُنَا بِالتَّحَوُّلِ إِلَى الدَّاخِلِ وَتَشْكِيلِ قِيَادَةِ مِيدَانِيَّةٍ إِذَا بِهِ يَسْتَدْعِي عَدَدًا مِنْ أَهَمِّ الْعُلَمَاءِ الْقَادَةِ كَيْ يُرْغِمَهُمْ بِالْإِحْرَاجِ وَالْإِغْرَاءِ عَلَى أَنْ يَتَسَلَّمُوا وَظَائِفَ

إِدَارِيَّةٍ فِي الْإِتِّحَادِ.

لَقَدْ تَكَدَّسَتْ «بِيشَاوَر» بِالْعُلَمَاءِ وَالْقَادَةِ الْعَسْكَرِيِّينَ الْمَشْهُودِ لَهُمْ وَتَحَوَّلُوا إِلَى وَظَائِفَ مَكْتَبِيَّةٍ بِدَعْوَى أَنَّ «الْإِتِّحَادَ» فِي حَاجَةٍ إِلَى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْمُخْلِصِينَ كَيْ يَقِفَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَيَقْوَى. وَأَنَّهُ بَدُونِ الْإِتِّحَادِ فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ نَصْرٌ. فَمَا بِالْكَ وَرَرِيْسُ الْإِتِّحَادِ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُ ذَلِكَ بِمَا لَهُ مِنْ مَكَانَةٍ «شَرْعِيَّةٍ» وَ «قُدْرَةٍ مَالِيَّةٍ»؟؟.

كَانَ أَوَّلُ ضَحَايَا هَذَا الْإِتِّجَاهِ هُوَ مَوْلَايِي «يُونُسُ خَالِصٌ» إِضَافَةً إِلَى مَشَاكِلِهِ الصَّحِيَّةِ، لَكِنَّهُ مُنْذُ عَامِ ١٩٨١ م وَهُوَ فِي «بِيشَاوَر» حَتَّى يُقِيمَ اتِّحَادًا صَحِيحًا، فَخَسِرَتْهُ الْجَبَهَاتُ، وَلَمْ يُنْشِئْ أَيَّ اتِّحَادٍ.

قَابَلْتُ الصَّدِيقَ الْقَدِيمَ مَوْلَايِي «جَلَالَ الدِّينِ حَقَّانِي»، كَانَ أَيْضًا فِي «بِيشَاوَر» وَقَدْ كَلَّفَهُ «سَيَافٌ» أَنْ يَكُونَ نَائِبًا لـ «رَبَّانِي» فِي اللَّجْنَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ. كَانَ «حَقَّانِي» غَيْرَ رَاضٍ عَنِ اللَّجْنَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي لَا هَمَّ لَهَا إِلَّا دَفْعُ أُجْرَةِ نَقْلِ الْأَسْلِحَةِ بِالْبِغَالِ وَالخَيْلِ، فَهِيَ لَجْنَةٌ نَقْلِيَّاتٍ وَلَيْسَتْ لَجْنَةٌ عَسْكَرِيَّةً.

اضْطُرَّ «حَقَّانِي» لِمُغَادَرَةِ «بِيشَاوَر» رُغْمَ عَدَمِ مُوَافَقَةِ «سَيَافٍ»؛ فَقَدْ كَانَ لَدَى «حَقَّانِي» بَرْنَامُجٌ لِلْعَمَلِيَّاتِ ضِدَّ مَدِينَةِ «أُورْجُون» فِي وِلَايَةِ «بَاكْتِيَا» الْوَاقِعَةِ إِلَى جَنُوبِ وِلَايَةِ «بَاكْتِيَا»، وَتَرَبُّطُهُمَا نَفْسُ السَّلَاسِلِ الْجَبَلِيَّةِ وَالْوُدْيَانِ، بَلْ وَنَفْسُ الْقَبَائِلِ.

تَمَكَّنَ «حَقَّانِي» مِنَ الْحُصُولِ عَلَى نِصْفِ مِليونِ رُويَّةٍ بَاكِسْتَانِيَّةٍ مِنْ «سَيَّافٍ» لِتَمْوِيلِ الْعَمَلِيَّاتِ فِي الْأُورْجُونِ. وَكُنْتُ بِرِفْقَةٍ «حَقَّانِي» وَهُوَ يُعَادِرُ «بِشَاوَرَ» كَيْ أَحْضَرَ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ.

عَلَى بُعْدِ حَوَالِي ٤٠ كَمٍ مِنْ «بِشَاوَرَ» تَقَعُ قَرْيَةُ «دَارَا آدَم خِيل» الَّتِي تُدِيرُهَا الْقَبَائِلُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ، وَتَتَّخِذُهَا مَرْكَزًا لِتَصْنِيعِ وَيَبِيعِ الْأَسْلِحَةِ، ثُمَّ الْمُخَدَّرَاتِ وَالْبَضَائِعِ الْمُهَرَّبَةِ.

كَانَ لـ «حَقَّانِي» أَصْدِقَاءُ أَقْوِيَاءُ مِنْ تُجَّارِ «دَارَا»، كَانُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِإِقْرَاضِهِ مُعَدَّاتٍ وَذَخَائِرَ بِالْمَلَائِينِ، عَلَى أَنْ يُوجَّلَ الدَّفْعُ إِلَى حِينِ مَيْسَرَةٍ. لَمْ يَخْرُجْ «حَقَّانِي» مِنْ «دَارَا» إِلَّا وَقَدْ فَرِغَ جَيْبُهُ تَمَامًا. اشْتَرَى مِذْفَعًا وَاحِدًا مُضَادًّا لِلطَّائِرَاتِ (١٤٠٥م) وَذَخَائِرَ لِلْمِذْفَعِ الْمَذْكُورِ، وَلِمِذْفَعِ الدُّوَشْكَاءِ الْمَوْجُودِ بِالْجَبْهَةِ. إِضَافَةً إِلَى ذَخَائِرٍ خَفِيفَةٍ وَمُنْظَارًا لِمِذْفَعِ مِيدَانٍ. وَخَرَجَ مَدْيُونًا فِي آخِرِ النَّهَارِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ سَعِيدًا بِتِلْكَ الْإِضَافَاتِ الْجَدِيدَةِ.

كَانَ مَعَنَا فِي الرَّحْلَةِ ثَلَاثُ شَخْصِيَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ مُمْتَازَةٍ. الْأَوَّلُ الرَّائِدُ «جُولزْرَاك» الْمُدْرَسُ السَّابِقُ فِي الْكُلِّيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ وَالشَّاعِرُ وَالْمُؤَلِّفُ الْأَدِيبُ. وَالثَّانِي الضَّابِطُ «مُحَمَّدُ أَخْتَر» الَّذِي طُرِدَ مِنَ الْجَيْشِ وَسُجِنَ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ مَعَ «سَيَّافٍ» بِسَبَبِ انْتِمَائِهِ الْإِسْلَامِيِّ. وَالثَّلَاثُ ضَابِطُ الْمِذْفَعِيَّةِ «سِرَاجُ الدِّينِ»، وَقَدْ كَانَ قَوِيَّ الْبِنِيَّةِ مُتَّجِهًا الْوَجْهَ، وَلَا أَذْكَرُ أَنَّنِي رَأَيْتُهُ مُبْتَسِمًا. وَأَنْصَمَّ إِلَيْنَا



رَابِعٌ وَهُوَ الضَّابِطُ «معافي خان»، كَانَ هُوَ أَيْضًا قَوِيَّ الْجِسْمِ وَلَكِنَّهُ خَجُولٌ لَطِيفٌ الْمَعْشَرِ وَدُودٌ مَعَ كُلِّ الزُّمَلَاءِ. وَالْأَخِيرُ اسْتَمَرَّتْ مَعْرِفَتِي بِهِ حَتَّى نِهَآيَةِ الْحَرْبِ حَيْثُ أَصْبَحَ قَائِدًا بَارِزًا مِنْ قَادَةِ «حَقَّانِي». أَمَّا الثَّلَاثَةُ الْآخَرُونَ فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ بِدَآيَةِ عَمَلِهِمْ مَعَ «الْإِتِّحَادِ» وَتَحْتَ قِيَادَةِ «سَيَافِ».

كَانَ «سِرَاجُ الدِّينِ» وَ «مَعَاوِي خَانَ» كِلَاهُمَا مِنْ رِجَالِ الْمِدْفَعِيَّةِ وَكَانَتْ مُهِمَّتُهُمَا تَشْغِيلَ أَحَدِ الْمَدَافِعِ لِمُسَانَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ. أَمَّا «جولزراك» وَ «مُحَمَّدُ أَخْتَرُ» فَكِلَاهُمَا كَانَتْ مُهِمَّتُهُ اسْتِشَارِيَّةً وَأَيْضًا لِيَجْعَلَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ بِاسْمِ الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَأَظْنُهَا كَانَتْ الْمَرَّةَ الْأُولَى - وَرَبَّمَا الْآخِرَةَ - الَّتِي يُحَاوَلُ «سَيَافُ» أَنْ يَدْعَمَ مَعْرَكَةَ عَسْكَرِيَّةً لَيْسَتْ نَابِعَةً مِنْ تَنْظِيمِهِ، وَلَكِنَّهُ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يُعْتَبَرُ «حَقَّانِي» أَقْرَبَ حُلَفَائِهِ. وَيَكْفِي أَنَّهُ السَّبَبُ الْمُبَاشِرُ فِي انْتِخَابِهِ رَئِيسًا لِلْإِتِّحَادِ عَامَ ١٩٨٠ م، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الدُّعَاةِ إِلَى الْإِتِّحَادِ بَيْنَ فَصَائِلِ الْمُجَاهِدِينَ.

مَعَ الضُّبَّاطِ الثَّلَاثَةِ أُجْرِيَتْ نِقَاشَاتٌ كَثِيرَةٌ مُمْتَعَةٌ أَفَادَتْنِي كَثِيرًا فِي التَّعَرُّفِ عَلَى أَحْوَالِ الْجَيْشِ قَبْلَ الْإِنْقِلَابِ الشُّيُوعِيِّ وَتَصَرُّفَاتِ الضُّبَّاطِ الْمُعَادِينَ لِلشُّيُوعِيَّةِ فِي الْجَيْشِ، وَكَيْفَ دَبَّرُوا عِدَّةَ مَحَاوَلَاتِ انْقِلَابِيَّةٍ فَشَلَّتْ جَمِيعُهَا بِسَبَبِ الْإِرْتِجَالِ وَسُوءِ التَّنْظِيمِ. كَمَا رَتَّبُوا الْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِيَّاتِ الْفِرَارِ مَعَ جُنُودِهِمْ وَعَتَادِهِمْ وَأَنْضَمُّوا لِلْمُجَاهِدِينَ، وَتَأَثَّرَتْ كَثِيرًا بِقَصَصِ

التَّطْهِيرِ الدَّمَوِيِّ دَاخِلَ الْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ.

وَلِلْحَقِيقَةِ فَإِنَّ السُّوفِيَّةَ اسْتَطَاعُوا تَكْوِينَ كَوَادِرَ عَالِيَةِ التَّأْهِيلِ دَاخِلَ قِطَاعَاتِ الْجَيْشِ وَالْمُخَابِرَاتِ وَالْحِزْبِ أَوْ الْأَحْزَابِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَكَانَ الْإِنْفِلَابُ الشُّيُوعِيِّ عَامَ ١٩٧٨ م خَاتِمَةَ سِلْسِلَةِ أَعْمَالِ دُؤُوبَةِ وَمُنْظَمَةٍ يُنْفِذُهَا الشُّيُوعِيُّونَ الْأَفْغَانَ تَحْتَ تَوْجِيهِ مُبَاشِرٍ مِنْ مَسْئُولِيهِمْ فِي السَّفَارَةِ السُّوفِيَّةِ فِي «كَابُلٍ». وَكَانَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْضُ الْمَجْهُودِ التَّنْظِيمِيِّ دَاخِلَ الْجَيْشِ، خَاصَّةً مِنْ طَرَفِ «حِكْمَتِيَارٍ»، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ سَيِّئَةً وَبِدَائِيَّةً، لِذَا كُشِفَتْ بِسُهُولَةٍ وَقَمَعَهَا الشُّيُوعِيُّونَ بِوَحْشِيَّةٍ بِالْغَةِ.



التَّصْنِيعُ الْعَسْكَرِيُّ:

كَانَ الضُّبَّاطُ الثَّلَاثَةُ أَذْكَيَاءَ وَمُتَّقِينَ عَلَى غَيْرِ عَادَةِ ضُبَّاطِ الْجَيْشِ. وَبِقَدْرِ مَا كَانَتْ أَحَادِيثِي مَعَهُمْ مُفِيدَةً وَمُفَعِّمَةً بِالْأَمَلِ إِلَّا أَنَّهَا انْتَهَتْ بِالدُّخُولِ إِلَى أَبْوَابِ مَشَارِيعِ عَمَلِيَّةٍ أَدَّتْ إِلَى تَبْدِيلِ مَسَارِي مَعَ «سَيَّافٍ» وَالِاتِّحَادِ، بَلْ أَثَّرَتْ إِلَى دَرَجَةٍ بِالْغَةِ عَلَى تَوَاجُدِي فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَحَتَّى نِهَايَةِ الْحَرْبِ، وَرُبَّمَا إِلَى وَقْتِنَا الْحَالِي. وَلِنَبْدَأُ الْقِصَّةَ مِنْ أَوَّلِهَا.

بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْجَبْهَةِ وَالْمُنَاوَشَاتِ مَعَ الْعَدُوِّ عَلَى أَشَدِّهَا وَكَانَ نَجْمٌ

المَوْقِفِ هُوَ مَدْفَعُ الدُّوشْكَا وَرَامِيهِ الْعَجِيبُ الَّذِي صَارَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي الصَّبْرِ وَالصُّمُودِ وَالِدَهَائِ؛ فَقَدْ كَانَ مُشْتَبِكًا بِمُفْرَدِهِ مَعَ حِصْنِ رَيْسِيٍّ لِلْعَدُوِّ، وَمَعَ الْهَيْلُوكُبْتَرِ الَّذِي يُدَاهِمُهُ مِنْ أَنْ لَا خَرُّ ثُمَّ مَعَ الْمِدْفَعِيَّةِ الَّتِي تَبَاغَتْهُ عَلَى فِتْرَاتٍ مُتَقَطَّةٍ.

صَارَ الرَّجُلُ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي مَوْقِعِهِ الْمُعْزِلِ، وَلَا يَطِيقُ أَحَدٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ أَنْ يَصْبِرَ مَعَهُ يَوْمًا وَاحِدًا أَوْ يَوْمَيْنِ، بَيْنَمَا هُوَ رَاسِخٌ كَالْجَبَلِ يَشْتَبِكُ بِمُفْرَدِهِ مَعَ جَيْشٍ كَامِلٍ، فَأَثَارَ حَمَاسَ الْجَمِيعِ، وَكَانَتْ تَذْهَبُ إِلَيْهِ وَفُودُ الْمُجَاهِدِينَ لِلتَّهْنَةِ وَتُقَدِّمُ لَهُ الدَّعْمَ مِنْ بَعِيدٍ، خَاصَّةً ضِدَّ مُشَاةِ الْعَدُوِّ إِذَا حَاوَلُوا التَّقَدُّمَ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ. وَفَجَاءَةً تَوَقَّفَتْ الدُّوشْكَا وَتَقَهَّقَرَ الرَّامِي إِلَى الْخُطُوطِ الْخَلْفِيَّةِ؛ فَقَدْ نَفَذَتْ الذَّخَائِرُ. عَمَّ الْحُزْنَ صُفُوفَ الْمُجَاهِدِينَ لِتَوَقُّفِ هَذِهِ الْأَشْتَبَاكَاتِ الرَّائِعَةِ وَالْمُثِيرَةِ، وَبَدَأَ الطَّيْرَانُ بِأَنْوَاعِهِ يَكْنِسُ الْمَنْطِقَةَ مَوْقِعًا مَوْقِعًا. اسْتَعْرَقَ الْأَمْرُ حَوَالِي أُسْبُوعًا حَتَّى اسْتَطَاعَ مَوْلَوِي «مُحَمَّدَ حَسَنَ» قَائِدَ الْمَوْقِعِ أَنْ يَجِدَ عِدَّةَ صِنَادِيقَ ذَخِيرَةٍ.

هُنَا تَسَاءَلْتُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ لِشُعُورِي أَنَّنِي أَتَطَرَّقُ إِلَى أَسْرَارِ عَسْكَرِيَّةٍ، فَسَأَلْتُ الرَّائِدَ «جولزراك» - وَقَدْ كَانَ أَقْرَبَ أَفْرَادِ الْمَجْمُوعَةِ إِلَى نَفْسِي - سَأَلْتُهُ: «أَلَا يَصْنَعُ الْإِتِّحَادَ ذَخَائِرَ لِلْأَسْلِحَةِ الْأَسَاسِيَّةِ؟». وَفِي الْحَقِيقَةِ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنَّ «سَيَّافَ» قَدْ بَدَأَ مُنْذُ مُدَّةٍ فِي شَيْءٍ مِثْلِ هَذَا. وَلَكِنِّي فُوجِئْتُ بِتَأْكِيدِ

«جولزراك» أن مثل هذا الشيء غير موجود، بل إنه على خطورته لم يُطرح للبحث ولو لمرة واحدة!!.

وهنا تدخل باقي الضباط واتسعت المناقشة لتشمل الوضع السياسي للقضية الأفغانية، إضافة إلى وضعها الداخلي سياسياً وعسكرياً، وكانت حقاً مناقشة مستفيضة، بل ممتعة ومفيدة، والأهم أننا خرجنا في نهايتها بقرار ومُسودة مشروع لتصنيع الذخائر على أن أتولى بشخصي مفتاحه «سياف» وإقناعه وبدء العمل معه في المشروع؛ وذلك لما يعرفونه من قوة علاقتي به، ولكوني عربياً، وهذه هي المفاجأة، فسوف أستطيع تحريك الموضوع أكثر من أي واحد منهم رغم أنهم من الطاقم العسكري للاتحاد!!، وذلك للمكانة الخاصة التي يحظى بها العرب لدى «سياف»!!.

كانت مبررات العجلة في ذلك الأمر راجعة إلى الموقف السياسي العالمي من قضية أفغانستان، إضافة إلى تطورات داخلية خطيرة. ففي ٢٢ أبريل ١٩٨٣م استطاع المبعوث الخاص للأمم المتحدة لدى أفغانستان أن يتوصل إلى اتفاق بين حكومتي «كابل» و«إسلام آباد»، يقضي الاتفاق بالسعي عبر مفاوضات غير مباشرة بين الطرفين وبواسطة الأمم المتحدة إلى إقرار تسوية سياسية لمشكلة أفغانستان من أجل وضع أساس دائم لحسن الجوار بين البلدين.

كَانَتْ ضَرْبَةً سِيَاسِيَّةً غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ اهْتَرَّتْ لَهَا وَضَعُ الْجِهَادِ وَبَدَأَتْ تَظْهَرُ أَوْلَى مَعَالِمِ التَّأْمُرِ الدُّوَلِيِّ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ، وَبِوَاسِطَةِ بَاكِسْتَانِ الْمُحَضِّنِ الْأَسَاسِيِّ لِلْأَحْزَابِ وَالْمُجَاهِدِينَ. وَكَانَ التَّوْقِيْتُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ دَعْمًا سِيَاسِيًّا لِنِظَامِ «كَابُل» الَّذِي يَحْتَفِلُ سَنَوِيًّا بِيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ أَبْرِيلَ لِذِكْرِ الْإِنْقِلَابِ الشُّيُوعِيِّ. فَظَهَرَ الْأَمْرُ كَأَنَّهُ هَدِيَّةُ أَعْيَادِ الْمِيلَادِ نَهْدِيهَا الْأُمَّمُ الْمُتَّحِدَةَ لِلنِّظَامِ.

وَكَانَتْ أَوَّلَ إِشَارَةٍ عَنِ حَالَةِ الْعِدَاءِ الْمَكْتُومِ الَّذِي تُكِنُّهُ الْمُنْظَمَةُ الدُّوَلِيَّةُ لِلْأَفْغَانِ وَقَضِيَّتِهِمُ الْجِهَادِيَّةِ. طَبَعًا حَاوَلَ أَرْبَابُ الْجِهَادِ أَنْ يَرُدُّوا بِطَرِيقَتِهِمُ التَّهَرِّبِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ التَّحَدِّيِ الدُّوَلِيِّ فَجَاءَ الْإِعْلَانُ عَنِ الْإِتِّحَادِ السُّبَاعِيِّ الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ مُنْذُ قَلِيلٍ، وَالَّذِي نَظَّمَتْهُ الْأَسْتِخْبَارَاتُ السُّعُودِيَّةُ وَ «الْإِخْوَانُ» وَأَفْرَادٌ آخَرُونَ لَا يَنْقُصُهُمُ الْإِخْلَاصُ وَلَا الْأَمْوَالُ، وَلَا السَّدَاجَةُ أَيُّضًا. وَكَانَ الْإِعْلَانُ عَنِ قِيَامِ الْإِتِّحَادِ «الْوَرْقِيِّ» فِي ٢٢ مَآيُو ١٩٨٣ م، الْمُوَافِقِ التَّاسِعِ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٠٣ هـ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِتِّحَادَ الْمَزْعُومَ كَانَ تَفَاقُمًا لِلْأَزْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي يَعِيشُهَا الْجِهَادُ مُنْذُ نَشَأَتِهِ. وَجَاءَتْ الْخُطْوَةُ الدُّوَلِيَّةُ بِبَدءِ الْمُفَاوَضَاتِ لِتَزِيدَ الْأَزْمَةَ سُوءًا وَتَفْتَحَ مَزَادَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ فِي فَضِيَّةِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ، بَلْ فَضِيَّةِ الْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ نَفْسِهِ.

دَاخِلِيًّا كَانَتْ هُنَاكَ كَارِثَةٌ لَا تَقَلُّ سُوءًا، فَبَعْدَ حَمَلَاتِ «بَانَشِير» الَّتِي يُقَالُ

أَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى سَبْعِ حَمَلَاتٍ عَنِيفَةٍ قَامَ بِهَا السُّوفِيَّتُ لِتَدْمِيرِ قَوَاعِدِ «مَسْعُودٍ» فِي «بَانَشِيرٍ»، هَذِهِ الْحَمَلَاتُ أَسْفَرَتْ مُؤَخَّرًا عَنْ مُبَاحَثَاتٍ ثَنَائِيَّةٍ بَيْنَ «مَسْعُودٍ» وَالْجِنَرَالَاتِ السُّوفِيَّتِ انْتَهَتْ بِإِعْلَانِ هُدْنَةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ. وَكَانَتْ قُبْلَةً أَحَدَتْ دَوِيًّا عَنِيفًا فِي أَوْسَاطِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الدَّخْلِ، وَلَعَطًا فِي «بِشَاوَرٍ» الَّتِي لَا يَنْقُضُهَا اللَّغَطُ.

بَعْضُ الْقَادَةِ الْمُخْلِصِينَ فِي الْجَبَهَاتِ أَخْبَرَنِي وَقْتَهَا بِأَنَّ هُدْنَةَ «مَسْعُودٍ» إِنَّمَا هِيَ طَعْنَةٌ فِي الظَّهْرِ وَبِدَايَةُ النِّهَايَةِ لِلْجِهَادِ، وَفِي الدَّخْلِ كَانَتْ تَعْلِيقاتُ الْمُجَاهِدِينَ تَدُورُ حَوْلَ هَذَا الْمَعْنَى.

تَحَدَّثْتُ مَعَ ضَبَّاطِ الْإِتِّحَادِ، وَكَانَ تَقْيِيمُنَا أَنَّنَا أَمَامَ مُؤَامَرَةِ دَوْلِيَّةٍ وَانْهِيَارِ دَاخِلِيٍّ عِنْدَ «مَسْعُودٍ» قَدْ يَكُونُ مُؤَامَرَةً دَاخِلِيَّةً كَمَا يَعْتَقِدُ الْبَعْضُ. إِذَنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا فَسَوْفَ تُقَطَّعُ الْمُسَاعَدَاتُ الْخَارِجِيَّةُ الْقَادِمَةُ عَبْرَ بَاكِسْتَانٍ، بَلْ أَنَّهَا قَدْ تَعْلِقُ الْحُدُودَ فِي وَجْهِ الْمُجَاهِدِينَ فِي مُحَاوَلَةٍ لِفَرَضِ تَسْوِيَةِ سِيَاسِيَّةٍ لِقَضِيَّتِهِمْ لَا تَوَافِقُ أَهْدَافَهُمُ الْإِسْلَامِيَّةَ.

وَزَادَ الطَّيْنَ بِلَّةً تَسْرِيَّاتٌ رَوَّجَتْهَا الصَّحَافَةُ الْعَالَمِيَّةُ عَنْ اسْتِعْدَادِ بَاكِسْتَانِيٍّ لِقَبُولِ حُكُومَةٍ شِيعِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ، يَكُونُ فِيهَا «بَابْرَاك كَارْمِلِ» الزَّعِيمُ الشَّيْوعِيُّ الْأَفْغَانِيُّ رَئِيسًا لِلْبِلَادِ، وَيَكُونُ «حِكْمَتِيَارِ» الزَّعِيمُ الْأُصُولِيُّ الْمْتَشَدُّ رَئِيسًا لِلوُزَرَاءِ. وَبِهَذَا يَكُونُ الرَّجُلَانِ الْقَوِيَّانِ قَادِرَانِ عَلَى فَرَضِ

السَّلَامِ عَلَى جَمِيعِ الْأَطْرَافِ وَوَقَفِ «الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ فِي الْبِلَادِ» !!

كَانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ إِشَارَةٍ، وَلَمْ يُصَدِّقْهَا أَحَدٌ، خَاصَّةً نَحْنُ مِنَ السُّدُجِ الْمُتَحَمِّسِينَ، فَمَهْمَا كَانَتْ تَحَفُّظَاتُنَا عَلَى قَادَةِ الْأَحْزَابِ فَلَنْ يَقْبَلَ أَيُّ مِنْهُمْ بِالْمُشَارَكَةِ فِي السُّلْطَةِ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ، وَكَمْ أَثْبَتَتْ السَّنَوَاتُ التَّالِيَةُ مِقْدَارَ عِبَائِنَا.

المُهْمُّ، كَانَ اسْتِتْجَانًا الْأَسَاسِيَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ السَّعْيِ نَحْوَ الْاِكْتِفَاءِ ذَاتِيًّا مِنْ الذَّخَائِرِ الْمُهِمَّةِ وَتَضْيِيعِهَا دَاخِلَ الْمَنَاطِقِ الْمُحَرَّرَةِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ تَحْسُبًا لِاحْتِمَالِ إِغْلَاقِ الْحُدُودِ مُسْتَقْبَلًا عِنْدَ إِقْرَارِ تَسْوِيَةِ سِيَاسِيَّةٍ. وَقُلْنَا أَنَّهُ حَتَّى فِي حَالَةٍ فَشَلٍ مِثْلَ تِلْكَ التَّسْوِيَةِ أَوْ تَأْخِيرِهَا، فَإِنَّ امْتِلَاكَ الْمُجَاهِدِينَ تِلْكَ الْقُدْرَةَ التَّضْيِيعِيَّةَ وَالْاِكْتِفَاءِ الذَّاتِيَّ فِي الْأَسَاسِيَّاتِ سَوْفَ يَقْوِي مَوْقِفَهُمْ إِزَاءَ بَاكِسْتَانَ وَآيِّ طَرَفٍ خَارِجِيٍّ يُحَاوِلُ الضَّغْطَ عَلَيْهِمْ أَوْ التَّأْثِيرَ عَلَى قَرَارِهِمْ.

كَانَتْ اسْتِتْجَانَاتُنَا مَنْطِقِيَّةً وَمَعْقُولَةً، وَتَحَمُّسَ الْجَمِيعِ لَهَا لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ تَعَجَّلُوا ذَهَابِي إِلَى «بِيشَاوَر» لِبَحْثِ الْأَمْرِ مَعَ «سَيَّاف» وَالْبَدْءِ فِيهِ فَوْرًا.



أَوْرُجُون: بَيْنَ الْقِطَاعِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْقِطَاعِ الْإِدَارِيِّ:

قَبْلَ أَنْ نَمْضِيَ قُدَمَا خَلْفَ مَشْرُوعِنَا الْعَسْكَرِيِّ، سَنُلْقِي أَوَّلًا نَظْرَاتٍ عَلَى

«الأورجون»، تلك المدينة الصغيرة وكأنها قرية كبيرة تقع في وادٍ تحيط به الجبال، ولكن على مساحة أقل من مدينة «خوست» بكثير. يربطها مع «خوست» طريق لم يكن قد تم رصفه، وقطعه المجاهدون منذ سنوات. ظل هناك طريق واحد يربطها مع وادي «زورمت»، وهكذا يمكنها الاتصال مع مدينتي «جردين» و «عزني». وهذا الطريق أيضًا سهل التحكم فيه وإغلاقه، ولكن الحكومة الشيوعية استطاعت عقد اتفاقات سرية مع بعض مجموعات المجاهدين وبعض رجال القبائل حتى يظل هذا الطريق مفتوحًا، على الأقل أمام قوافل الإمدادات عند الضرورة. طبعًا لم نذكر ذلك في بداية الأمر؛ فقد كان هناك من سبق «مسعود» في عقد هدنة سرية مع الروس، ولكن شهرة «مسعود» جعلت لهذا الاتفاق وقع الكارثة.

من الحدود الباكستانية وحتى مواقع المجاهدين حول «أورجون»، تحتاج إلى رحلة [تقطعها السيارة] في أكثر من خمس ساعات عبر طرق سيئة في الجبال وتقطع أيضًا بعض الوديان القابلة للزراعة، والتي تتشرف فيها القرى المدمرة التي ما زال بعضها مأهولًا نسبيًا.

«أورجون» هي عاصمة محافظة «باكتكا»، تلك المحافظة لم تكن موجودة قبل الانقلاب الشيوعي، ولكنها ظهرت بقرار «ثوري» من «نور محمد طرقي» أول زعيم شيوعي للبلاد، الذي أمر بتقسيم محافظة «باكتيا»

إِلَى مُحَافِظَتَيْنِ حَتَّى يَسْهَلَ التَّحَكُّمُ بِهَا إِدَارِيًّا وَعَسْكَرِيًّا بَعْدَ أَنْ اسْتَشْرَى فِيهَا التَّمَرُّدُ الْمُسْلَحَ «الْجِهَادُ». وَجُغْرَافِيًّا فَإِنَّ الْمُحَافِظَتَيْنِ يُشْكَلَانِ وَحَدَّةٌ لَا يُمْكِنُ تَجْزِئَتُهُمَا؛ فَالْجِبَالُ وَالوِدْيَانُ وَحَتَّى الْقَبَائِلُ مُتَّصِلَةٌ بِشَكْلِ عَضْوِيٍّ. وَالطَّرِيفُ أَنَّ ذَلِكَ التَّقْسِيمَ أَثَارَ مَشَاكِلَ فِي حِزْبِ «يُونُسَ خَالِصٍ»؛ فَقَدْ كَانَ مَوْلَوِيٍّ «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» هُوَ قَائِدُ عَامِّ مُحَافِظَةِ «بَاكْتِيَا» مِنْ طَرَفِ الْحِزْبِ، وَمَا أَنْ أُصْدِرَ «طَرْقِي» قَرَارَهُ بِالتَّقْسِيمِ حَتَّى أُصْدَرَ مَوْلَوِيٍّ «خَالِصٍ» قَرَارًا مُمَازِلًا، فَعَيَّنَ الْقَائِدَ «مُطِيعَ اللَّهِ» قَائِدًا عَلَى مُحَافِظَةِ «بَاكْتِيَا» الْجَدِيدَةِ، وَانْكَمَشَتْ صَلاحيَّاتُ «حَقَّانِي» فِي إِطَارِ «بَاكْتِيَا» الْجَدِيدَةِ، تَسَبَّبَ ذَلِكَ فِي حُدُوثِ شَرْخٍ دَاخِلِيٍّ لَمْ يَنْدَمِلْ حَتَّى نَهَايَةِ الْحَرْبِ؛ فَمَكَانَةُ «حَقَّانِي» الْعَمَلِيَّةُ دَاخِلَ الْحِزْبِ أَخَذَتْ تَنْكَمِشُ، فَتَصَرَّفَ هُوَ بِشَكْلِ أَكْثَرِ اسْتِقْلَالِيَّةٍ وَرَاهِنٍ كَثِيرًا عَلَى اتِّحَادِ يَأُوِي الْجَمِيعِ، وَلَكِنَّهُ عَانَى مِنَ الْاِتِّحَادِ أَكْثَرَ مِمَّا عَانَى دَاخِلَ حِزْبِهِ الْقَدِيمِ.

وَلَعَلَّ حَادِثَ تَقْسِيمِ «بَاكْتِيَا» يَلْفِتُ نَظْرَنَا إِلَى سُهُولَةِ تَجْزِئَةِ الْمُسْلِمِينَ وَضَرْبِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَبِإِجْرَاءَاتِ بَسِيطَةٍ لَا تَكْلُفُ أَعْدَائِهِمْ شَيْئًا. وَفِي الْمُقَابِلِ نَرَى صُعُوبَةَ تَوْحِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَحَتَّى اسْتِحَالَةَ ذَلِكَ أحيانًا. كَمَا يَلْفِتُ نَظْرَنَا إِلَى خَطَايَا كَانَ شَائِعًا فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَلَا وَهُوَ تَوَزِيعُ الْمَسْئُولِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ طَبَقًا لِلتَّقْسِيمَاتِ الْإِدَارِيَّةِ الْقَائِمَةِ. فَالَّذِي يُمَسِّكُ بَيْنَ يَدَيْهِ خَرِيطَةَ التَّوَزِيعِ الْإِدَارِيِّ لِلبِلَادِ فَإِنَّهُ لَا يُخْطِئُ كَثِيرًا إِذَا قَالَ إِنَّهَا أَيْضًا خَرِيطَةُ التَّقْسِيمَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ وَبِالطَّبَعِ فَإِنَّ ذَلِكَ خَطَأٌ وَاضِحٌ، فَالْقِطَاعَاتُ

العسْكَرِيَّةُ لِلْمُجَاهِدِينَ يَجِبُ أَنْ تَخْضَعَ أَسَاسًا لِاعْتِبَارَاتِ جُغْرَافِيَّةٍ وَكَيْسَتْ إِدَارِيَّةً. بِمَعْنَى أَنَّ سِلْسِلَةَ الْجِبَالِ الْمُتَّصِلَةَ وَالْوُدْيَانَ وَالْمَسَالِكَ الْجَبَلِيَّةَ وَالْأَنْهَارَ وَطُرُقَ الإِمْدَادِ الْمُسْتَخْدَمَةَ لِخِدْمَةِ مَنَاطِقِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَسْكَرِيَّةِ أَوْ الْمُحَرَّرَةِ، مِثْلَ تِلْكَ الْمَنَاطِقِ تُعْتَبَرُ كُلُّ وَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا قِطَاعًا عَسْكَرِيًّا قَائِمًا بِذَاتِهِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّقْسِيمَاتِ الإِدَارِيَّةِ الَّتِي تَرَسُمُهَا الْحُكُومَةُ بِغَرَضِ تَسْهِيلِ إِدَارَتِهَا لِلْبِلَادِ، وَحَتَّى بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّقْسِيمَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي يُقَسِّمُ الْجَيْشُ الْبِلَادَ عَلَى أَسَاسِهَا إِلَى قِطَاعَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ، فَالاعْتِبَارَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ تَخْتَلِفُ كَثِيرًا لَدَى الطَّرْفَيْنِ أَيِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْجَيْشِ الْحُكُومِيِّ.

بِالطَّبَعِ فَإِنَّ الْعَوَامِلَ الْجُغْرَافِيَّةَ هِيَ مَحْوَرُ تَحْدِيدِ الْقِطَاعَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ، مَعَ عَدَمِ إِغْفَالِ الْعُنْصُرِ الْبَشَرِيِّ، أَيِ السُّكَّانِ وَإِنْتِمَاءِ إِيَّاهُمْ الْعِرْقِيَّةَ وَالدِّيْنِيَّةَ، وَكَذَلِكَ عِلَاقَاتِهِمُ التَّارِيخِيَّةَ مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، وَمَدَى دَرَجَةِ التَّفَاهُمِ أَوْ الْعِدَاءِ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا. وَأَيْضًا مَعَ اعْتِبَارِ عَوَامِلِ سِيَاسِيَّةٍ مِثْلَ الْحُدُودِ الْمُشْتَرَكَةِ مَعَ الدُّوَلِ الْأُخْرَى، وَمَوَاقِفِ تِلْكَ الدُّوَلِ مِنَ الْحَرْبِ، أَيِ دَرَجَةِ صِدَاقَتِهَا أَوْ عِدَائِهَا لَنَا.

وَيَذْهَبُ الْبَعْضُ إِلَى أَنَّ تَحْدِيدَ الْقِطَاعَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ يَأْتِي كَحُطْوَةٍ تَالِيَةٍ لِتَحْدِيدِ حُطُوطِ الإِمْدَادِ. وَحَوْلَ حُطُوطِ الإِمْدَادِ تُقَامُ الْقِطَاعَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ، فَيَكْسِبُ حُطُّ الإِمْدَادِ مَنَاعَةً دِفَاعِيَّةً، وَتَكْتَسِبُ الْقِطَاعَاتُ سُهُولَةً نَسْبِيَّةً فِي

الإمداد. وَيَذْهَبُ هُوَ لِأَنَّ الْخُطَّةَ «الدَّفَاعِيَّةَ» الَّتِي تُدْرَسُ مُسَبِّقًا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ هِيَ خُطَّةُ الدَّفَاعِ عَنْ هَذَا الشُّرْيَانِ الْحَيَوِيِّ «خَطُّ الإِمْدَادِ». وَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ اسْتِثْنَاءً وَاضِحًا فِي فَلْسَفَةِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، خَاصَّةً فِي مَرَحَلَتِهَا الْأُولَى؛ فَهِيَ دَائِمًا تَهَاجِمُ وَتَخْتَفِي وَلَا تُدَافِعُ إِلَّا نَادِرًا، وَلِمُجَرَّدِ كَسْبِ الْوَقْتِ وَتَوْفِيرِ مَخْرَجِ آمِنٍ لِلانْسِحَابِ.

وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَظْهَرُ الْقَوَاعِدُ الإِدَارِيَّةُ الْكَبِيرَةُ - كَمَا حَدَثَ فِي «جَاوَر» مَثَلًا - فَإِنَّ وَضْعَ خُطَّةِ الدَّفَاعِ تَكُونُ ضَرُورِيَّةً فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ تَحَاشِيِ فَلْسَفَةِ «الدَّفَاعِ لِأَخْرِ رَجُلٍ» أَوْ «الدَّفَاعِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ». بَلْ إِنَّ فِكْرَةَ الدَّفَاعِ تَتَرَكَّزُ حَوْلَ هَدَفِ إيقَاعِ خَسَائِرٍ عَالِيَةِ بِالْعَدُوِّ وَقِتَالِهِ فِي أَرْضٍ مُجَهَّزَةٍ سَلْفًا لِقِتَالِهِ، مَعَ التَّسْلِيمِ بِقُدْرَةِ الْجَيْشِ النِّظَامِيِّ فِي مَرَحَلَتِي حَرْبِ الْعِصَابَاتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى أَيِّ بُقْعَةٍ أَرْضٍ يُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا، وَسَوْفَ نَرَى أُمَّثِلَةً عَمَلِيَّةً عَلَى ذَلِكَ.

وَنُشِيرُ هُنَا إِلَى اعْتِقَادِنَا بِأَنَّ نَجَاحَاتِ «مَسْعُود» الْأَوَّلِيَّةَ فِي قِتَالِهِ فِي «بَانْشِير» يَعُودُ إِلَى أَنَّهُ تَعَامَلَ مَعَ وَادِي «بَانْشِير» كَوَحْدَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَجُغْرَافِيَّةٍ وَسُكَّانِيَّةٍ مُتْكَامِلَةٍ، وَتَحَقَّقَ لَهُ تَوْحِيدُ الْقِيَادَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ تَحْتَ إِمْرَتِهِ الْمُبَاشِرَةِ.

كَمَا أَنَّ أَكْبَرَ نِقَاطِ ضَعْفِ «مَسْعُود» فِي ظَنِّي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ السَّيْطِرَةَ عَلَى طُرُقِ الإِمْدَادِ الْخَاصَّةِ بِهِ، وَالَّتِي تَأْتِي مِنْ بَاكِسْتَانِ، تِلْكَ الطَّرِيقُ كَانَتْ تُغْلَقُ

لِفَتْرَاتٍ طَوِيلَةٍ أَوْ قَصِيرَةٍ، لَيْسَ بِالْقُوَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ، بَلْ بِقُوَّاتٍ غَرِيبَةٍ
«حِكْمَتِيَّارٍ».

وَمَعَ الْوَقْتِ تَحَوَّلَتْ «بَانْشِير» وَمَا حَوْلَهَا مِنْ مَنَاطِقِ الشَّمَالِ الْأَفْغَانِيِّ إِلَى
سَاحَةِ قَتَالٍ يَدُورُ أَسَاسًا بَيْنَ الْفَرَعِيِّينَ الشَّهِيرِينَ وَتَحْتَ سَمْعٍ وَبَصَرٍ، بَلْ
وَمُبَارَكَةِ السُّوفِيَّيِّتِ وَقُوَّاتِ الْحُكُومَةِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَتِلْكَ قِصَّةٌ أُخْرَى.



مَعَ «تَمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ» فِي «الْأَوْزْجُونِ»:

الْعَرَبُ الَّذِينَ قَابَلْتُهُمْ فِي «الْأَوْزْجُونِ» كَانُوا صُورَةً مُشْرِقَةً وَمُتَفَانِلَةً. وَفِي
الْوَاقِعِ أَنْنِي قَابَلْتُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ مَجْمُوعَةً نَادِرَةً مِنَ الْبَشَرِ مِنْ مُخْتَلَفِ
الْأَجْنَاسِ، يَجْمَعُ بَيْنَهُمُ الْحَمَاسُ لِلْجِهَادِ وَالْحَالَةُ الرَّوْحَانِيَّةُ السَّامِيَّةُ، خَاصَّةً
وَأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ يَجْتَذِبُ عَادَةً إِلَى جِبَهَاتِ الْقِتَالِ نَوْعِيَّاتٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
يُفَضِّلُونَ قِضَاءَ الشَّهْرِ الْكَرِيمِ فِي أَجْوَاءِ خَاصَّةٍ تَتَمَيَّزُ بِهَا جِبَهَاتُ الْجِهَادِ.

يَكْفِي أَنْنِي قَابَلْتُ مِنَ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ «تَمِيمَ الْعَدْنَانِيِّ»، وَهُوَ مِنْ
الشَّخْصِيَّاتِ النَّادِرَةِ وَالْبَارِزَةِ، وَالَّتِي ارْتَبَطَ اسْمُهَا بِالْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَتْ تِلْكَ زِيَارَتُهُ الْأُولَى إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ، أَرْسَلَهُ «سَيَّاف» إِلَى
«الْأَوْزْجُونِ» عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهَا مَعْرَكَةٌ تَرْفَعُ عَلَمَ الْإِتِّحَادِ. كَانَ زُمَلَائِي مِنَ الْعَرَبِ

قَدْ غَادَرُوا قَبْلَ وُصُولِ «تَمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ»، وَهَكَذَا صِرْنَا وَحِيدَيْنِ وَرَبَطْنَا بِسُرْعَةٍ صِدَاقَةً وَتَفَاهُماً، سَاعَدَ عَلَيْهَا رُوحُهُ الْمَرِحَةُ الْمُتَسَامِحَةَ وَإِقْبَالُهُ الطُّفُولِيَّ عَلَى الْجِهَادِ، بِكُلِّ الشَّوْقِ وَالْعَفْوِيَّةِ. وَكَانَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** يَبْحَثُ عَنِ الشَّهَادَةِ بِنَهْمٍ، وَلَا يُبَالِي بِأَيِّ اعْتِبَارَاتٍ قِتَالِيَّةٍ، رَبَّمَا لِأَنَّهَا كَانَتْ تَجْرِبَتَهُ الْأُولَى، وَرُغْمَ أَنْ وَزَنَهُ يَتَعَدَّى الْمِائَةَ كِيلُوْجَرَامٍ^(١).

أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُعْمَلُ فِي مَعْهَدٍ يَتَّبِعُ شَرِكَةَ «أَرَامْكَو» فِي السُّعُودِيَّةِ، حَيْثُ يُدْرَسُ اللُّغَةُ الْإِنْجِلِيزِيَّةُ - عَلَى مَا أَذْكَرُ - وَأَخْبَرَنِي أَنَّ وَالِدَهُ فَلَسْطِينِيَّ وَوَالِدَتَهُ مِصْرِيَّةً. لِهَذَا كَانَ يَتَذَوَّقُ اللَّهْجَةَ الْمِصْرِيَّةَ جَيِّدًا. وَأَضْحَكَ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ حَدِيثًا دَارَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَحْنُ نَتَجَوَّلُ فِي التَّلَالِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْمُعَسْكَرِ تَبَاَحَثُ حَوْلَ مُشْكَلَةِ الْأَلْغَامِ حَوْلَ حِصْنِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَشْتَبِكُ مَعَهُ مُعَسْكَرُنَا.

قُلْتُ لَهُ: «إِنِّي أَفَكَّرُ فِي اسْتِخْدَامِ حِمَارٍ يَجْرُ خَلْفَهُ عِدَّةٌ أَثْقَالٍ ثُمَّ نَدْفَعُهُ أَمَامَنَا نَحْوَ الْحِصْنِ لِتَنْفِجِ الْأَلْغَامِ ثُمَّ نُهَاجِمُ بَعْدَ ذَلِكَ». قَالَ بِحِمَاسٍ: «فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ، مَا الْمَانِعُ مِنْ تَنْفِيزِهَا»، قُلْتُ: «أَخْشَى أَنْ يَتْرَكَنَا الْحِمَارُ وَ «يَقْمِصُ» إِذَا سَمِعَ إِطْلَاقَ النَّارِ»، أَيِ أَخْشَى أَنْ يَحْزَنَ وَيَفِرَّ هَارِبًا. ضَحِكَ «تَمِيمٌ» حَتَّى

(١) الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «لِلْمَزِيدِ رَاجِعٌ مَوْقِفُهُ فِي مَعْرَكَةِ «جَاجِي» فِي كِتَابِ مَعَارِكِ الْبَوَابَةِ الصَّخْرِيَّةِ».

جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَمْسِكُ بَطْنَهُ، وَالْقَى بُنْدُقَيْتَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ بِشِدَّةٍ وَيَتَلَوَّى مِنْ أَلَمِ الضَّحِكِ وَيُرَدِّدُ الْكَلِمَةَ الْمِصْرِيَّةَ «يَقْمِصُ» وَيَقُولُ: «هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَمْ أَسْمَعْهَا مِنْ زَمَانٍ، «يَقْمِصُ»...»، وَهَكَذَا ظَلَّ يَضْحَكُ حَتَّى تَوَقَّفَ رُغْمًا عَنْهُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ.

كَانَ ظَرِيفًا حَتَّى فِي أَحْلَاكِ الْمَوَاقِفِ، وَجَعَلْتَنِي تِلْكَ الْمَيْزَةَ أُحِبُّهُ وَأُقَدِّرُهُ، فَمِنَ النَّادِرِ أَنْ تَجِدَ شَخْصًا مَرِحًا وَيَظُلُّ كَذَلِكَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ.

وَكَانَتْ قِمَّةَ مَوَاقِفِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَوْمَ زِيَارَتِنَا لِمَوْقِعِ «الدُّوشَكَا» الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سَابِقًا. ذَهَبَ «تَمِيمٌ» حَتَّى يَرَى تِلْكَ الْمُعْجِزَةَ، فَأَخَذْنَاهُ إِلَى هُنَاكَ وَكُنَّا قُرْبَ الظُّهْرِ. كَانَ عَدَدُ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ يُسَاعِدُونَ رَامِي «الدُّوشَكَا» فِي تَحْسِينِ مَوْقِعِهِ، فَوَضَعُوا حَوْلَ مَدْفَعِهِ عِدَّةَ أَكْيَاسٍ مِنَ الرَّمْلِ. وَتَحْتَ أَحَدِ الصُّخُورِ هَيَّأُوا لَهُ وَلِمُسَاعِدِهِ جِلْسَةً تُظَلِّلُهَا أَغْصَانُ الْأَشْجَارِ لِلِاسْتِرَاحَةِ وَتَنَاوُلِ الشَّايِ، ثُمَّ حَفَرُوا خَنْدَقًا صَغِيرًا مَسْتَقِيمًا بِالْأَغْصَانِ وَالْأَحْجَارِ لِلِاخْتِمَاءِ فِيهِ وَقْتَ الضَّرُورَةِ.

أَصَرَ الشَّيْخُ «تَمِيمٌ» أَنْ يَرْمِي عِدَّةَ طَلَقَاتٍ عَلَى الْحِصْنِ الْحُكُومِيِّ الْمُقَابِلِ، وَكَانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ الطَّلَقَاتِ فِي حَيَاتِهِ الْجِهَادِيَّةِ. فَأَطْلَقَهَا وَسَطَ جَوْوِ إِيْمَانِيٍّ مُتَدَفِّقٍ؛ فَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِتَأْتُرٍ وَدَعَا الْجَمِيعَ مَعَهُ وَيَكُونُوا. ثُمَّ ضَغَطَ عَلَى الزَّنَادِ مَرَّاتٍ فَصَبَّ خُطُوطًا مِنَ الْحَمَمِ الْمُتَتَابِعَةِ عَلَى فِنَاءِ الْحِصْنِ فَارْتَمَى

الْجُنُودُ أَرْضًا. سَاعَدْنَا «تَمِيمَ» عَلَى التُّهُوسِ مِنْ خَلْفِ الْمِدْفَعِ، وَبَدَأَ الْحِصْنَ فِي الرَّدِّ بِرَشَاشَاتِهِ الثَّقِيلَةِ، وَلَكِنْ بِلَا تَرْكِيزٍ، فَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَجَحَ حَتَّى الْآنَ فِي تَحْدِيدِ مَوْعِ مِدْفَعِنَا بِدَقَّةٍ. وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ طَائِرَاتِ الْهَيْلُوكْبَرِ يَأْتِي هَادِرًا مِنْ طَرْفِ الْمَدِينَةِ.

سَحَبْنَا الشَّيْخَ «تَمِيمَ» نَحْوَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ مُتَعَجِّبٌ. فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّنَا نُرِيدُهُ أَنْ يَدْخُلَهُ رَفَضَ وَوَقَفَ قُرْبَ فَتْحَةِ الْخَنْدَقِ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ لِلطَّائِرَاتِ - وَكَانَ يَلْبَسُ بَدَلَةً قَرِيبَةً مِنَ الْبِيَاضِ - يَسْتَبْهِمُ وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُهْلِكَهُمْ. كَانَتْ أَرْبَعَةٌ طَائِرَاتٍ تَتَّجِهُهُ نَحُونَا عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ، فَدَخَلَ أَحَدُ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى دَاخِلِ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَجْذِبُ «تَمِيمَ» مِنْ يَدِهِ، بَيْنَمَا قُمْتُ مَعَ مُجَاهِدٍ آخَرَ بِدَفْعِهِ مِنَ الْخَلْفِ نَحْوَ الْحُفْرَةِ فَسَقَطَ فِيهَا، وَقَذَفْنَا أَنْفُسَنَا خَلْفَهُ، فَقَدْ صَارَتْ الطَّائِرَاتُ فَوْقَنَا تَقْرِبًا. سَقَطَ الشَّيْخُ «تَمِيمُ» عَلَى الْمُجَاهِدِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَخَذَ يَصِيحُ حَتَّى نُنْقِذَهُ مِنْ تَحْتِ الْجَسَدِ الضَّخْمِ لِصَدِيقِنَا «تَمِيمِ». كُنَّا اثْنَيْنِ فَوْقَ «تَمِيمِ»، وَ«تَمِيمُ» بِثِقَلِهِ فَوْقَ الْمُجَاهِدِ الْمُسْكِينِ.

لَمْ يَكُنْ «تَمِيمُ» يَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةَ فِي هَذَا الْوَضْعِ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ لِلْمُجَاهِدِ أَسْفَلَ مِنْهُ: «تَسْتَأْهِلُ؛ فَقَدْ مَنَعْتَنِي الشَّهَادَةَ!». أَحَدُنَا نَضْحَكَ جَمِيعًا وَنَحْنُ مُكْوَمُونَ دَاخِلَ حُفْرَةٍ مُظْلِمَةٍ وَالطَّائِرَاتُ تَصُبُّ نِيرَانَهَا عَلَى قِمَّةِ قَرِيبَةٍ.

المَوْقِفُ الْأَخِيرُ مَعَ الشَّيْخِ «تَمِيمٍ» كَانَ لَيْلَةَ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ. وَكَانَ مَوْعِدَ عَمَلِيَّةٍ قَرَّرَهَا مَوْلَايُ «مُحَمَّدُ حَسَنٌ» قَائِدُ مَنْطِقَتِنَا. وَكَانَ مِنَ الْمُتَقَرَّرِ أَنْ تَتَقَدَّمَ مَجْمُوعَةٌ نَحْوَ الْحِصْنِ وَتَرْمِي عَلَيْهِ صَوَارِيخَ «آرَبِي جِي»، أَمَّا الْمَجْمُوعَةُ الْأُخْرَى فَتُشَكِّلُ حَلْفَةً حَوْلَ الْحِصْنِ وَتَرْمِي عَلَيْهِ بِالْأَسْلِحَةِ الصَّغِيرَةِ، خَاصَّةً أَبْرَاجَ الْحِرَاسَةِ الْمُزَوَّدَةَ بِرَشَاشَاتٍ ثَقِيلَةٍ.

كَانَتْ الْمُسْكَلَةُ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ يَكْرَهُونَ تَمَامًا اضْطِحَابَ شَخْصٍ ثَقِيلِ الْوِزْنِ أَثْنَاءَ الْعَمَلِيَّاتِ لِأَنَّ عَمَلِيَّةَ إِخْلَائِهِ مِنْ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ إِذَا جُرِحَ أَوْ قُتِلَ سَوْفَ تَكُونُ مَأْسَاءً. وَقَدْ غَادَرَ الْمَوْقِعَ مُنْذُ أَيَّامِ اثْنَانِ مِنَ الْعَرَبِ - مِنْ فَلَسْطِينَ أَيْضًا - كَانَ أَحَدُهُمَا ضَخْمَ الْجُنَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرَ شَبَابًا مِنْ شَيْخِنَا «تَمِيمٍ»، فَكَانَ الْمُجَاهِدُونَ يَرْفُضُونَ الْخُرُوجَ مَعَهُ فِي عَمَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَانَ يَضْطَرُّ لِاضْطِحَابِ صَدِيقِهِ الْعَرَبِيِّ مَعَهُ فِي نَفْسِ الْعَمَلِيَّةِ ثُمَّ يَبْدَأُ فِي إِقْنَاعِ الْمُجَاهِدِينَ بِاضْطِحَابِهِمَا عَلَى أَنْ يَتَكَلَّفَ الْعَرَبِيُّ الْآخَرَ بِإِخْلَاءِ زَمِيلِهِ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ إِذَا أُصِيبَ.

أَمَامَ مَوْلَايُ «مُحَمَّدِ حَسَنٍ» قَدَّمْتُ نَفْسَ الْكَفَالَةِ لِلشَّيْخِ «تَمِيمٍ»، فَقَدْ كَانَ حَجْمُهُ أَضَخْمَ مِنْ حَجْمِ الْأَخِ الْعَرَبِيِّ السَّابِقِ، وَقَدْ وَافَقَ «مُحَمَّدُ حَسَنٌ» بِصُعُوبَةٍ. وَفِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَمْنَعَ «تَمِيمَ الْعَدْنَانِيَّ» مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْقِتَالِ.

مَعَ الْغُرُوبِ غَادَرْنَا آخِرَ سِلْسِلَةٍ فِي الْجِبَالِ وَتَحَرَّكْنَا إِلَى مَدْخَلِ الْوَادِي حَيْثُ طَرِيقِ رَيْفِيٍّ مُحَاطٍ بِالْأَشْجَارِ يَخْتَرِقُهُ جَدُولٌ عَذْبٌ غَزِيرُ الْمَاءِ. كُنَّا نَعْبُرُهُ أحيانًا فِي النَّهَارِ أَثناءَ زيارَتِنَا لِمَرْكَزِ مَوْلَوِي «أرسلان» الْواقِعِ إِلَى غَرْبِ مَرْكَزِنَا بَعْدَهُ كَيْلُومِترَاتٍ، وَسَطِ الْحُقُولِ وَالْأَشْجَارِ فِي قَرْيَةٍ مَهْجُورَةٍ. وَمَا أَنْ تَحَرَّكْنَا عِدَّةً أمتارٍ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى انْهَأَتْ عَلَيْنَا عَشْرَاتٌ مِنْ قَدَائِفِ الْمِدْفَعِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتتابَعَتْ كَذَلِكَ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

كَانَ يَصْحَبُنَا الرَّائِدُ «جولزراك» وَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْعَمَلِيَّةِ سِوَى ضَيْفٍ مِثْلِنَا. كَانَ أَوَّلَ هَمِّنا تَحْرِيكُ الشَّيْخِ «تَمِيم» بَعِيدًا عَنِ مَنْطِقَةِ النَّيرانِ. كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْفِزَ عَبْرَ جَدُولِ مَاءٍ صَغِيرٍ إِلَى الْيَمِينِ، وَنَتَقَدَّمَ دَاخِلَ الْأَرْضِ الزَّرَاعِيَّةِ، فَهَنَّاكَ عِدَّةُ حَفْرٍ وَمَجَارِي مَائِيَّةٍ صَغِيرَةٍ جافَّةٍ، قَفَزْنَا إِلَيْهَا كَيْ نَحْتَضِنَ تُرَابَهَا الْغَالِيَّ وَنَمَسَحَ وُجُوهَنَا فِيهِ بِشَوْقٍ!! فَهَلْ كَانَ قَصْفُ الْعَدُوِّ لِمَدْخَلِ الطَّرِيقِ عَمَلًا رُوتِينِيًّا تَصَادَفَ مَعَ مُرُورِنَا فِيهِ؟ أَمْ هُوَ كَمِينٌ مُدَبَّرٌ؟. لَا أَدْرِي حَتَّى الْآنَ، كُلُّ مَا أَعْلَمُهُ أَنَّهُ عَمَلٌ سَيِّءٌ جِدًّا وَمُتَوَحِّشٌ، وَلَوْ لَا دَعَوَاتِ الشَّيْخِ «تَمِيم» وَصِيحَاتِهِ الْمُدَوِّيَّةِ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ لاعتَبَرْتُ ذَلِكَ الْحَادِثَ مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ السَّيِّئَةِ.

كَانَتْ فَنَاءُ الرِّيِّ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ تَسْتَوْعِبَ شَيْخُنَا «تَمِيم» بِجُثَّتِهِ الضَّخْمَةِ، فَظَلَّ مُعَلَّقًا فَوْقَهَا مُتَعَرِّضًا بِذَلِكَ لِخَطَرِ الشَّطَايَا الْمُتَنَائِرَةِ. فَانْتَقَلْتُ وَإِيَّاهُ إِلَى

مُنْخَفِضٍ وَاسِعٍ ذِي جِدَارٍ مُنْحَدِرٍ فِي اتِّجَاهِنَا. لَمْ يَكُنْ الْمَكَانُ مِثَالِيًّا وَلَكِنَّهُ كَانَ مُرِيحًا بِالنِّسْبَةِ لِلضَّيْفِ. وَلِحُسْنِ الْحِظِّ أَنَّ الْعَدُوَّ حَرَّكَ نِيرَانَهُ إِلَى الْغَرْبِ مِنْ مَوْعِينَا فَأَصْبَحَتْ النَّيِّرَانُ خَلْفَنَا بِمَسَافَةٍ أَبْعَدَ قَلِيلًا، فَأَخَذْنَا نَتَنَفَّسُ بِهُدُوءٍ وَنَسْتَمِعُ بِابْتِهَاجٍ أَكْثَرَ إِلَى نَكْبِيرَاتِ الشَّيْخِ «تَمِيمٍ» وَتَهْلِيلَاتِهِ. وَالْأَهَمُّ هُوَ أَنَّنا بَدَأْنَا نَبْتَسِمُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ وُقُوعِنَا فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ.

بَعْدَ مَسِيرَةِ طَوِيلَةٍ وَمُتَعَرِّجَةٍ وَسَطِ الْمَزَارِعِ وَكَانَتْ مَلِيئَةً بِالتَّحَدِّيَّاتِ لِلشَّيْخِ «تَمِيمٍ»، وَبِالتَّالِي لِي أَيْضًا كَمُسَاعِدٍ خَاصٍّ لَهُ، وَصَلْنَا إِلَى الْقَرْيَةِ وَسَاحَتِهَا الْفَسِيحَةِ بِأَشْجَارِهَا الضَّخْمَةِ، تَجَمَّعْنَا هُنَاكَ وَبَدَأَ تَوَزِيعُ الرِّجَالِ وَتَوَجِيهِهِمْ إِلَى أَهْدَافِهِمْ. حَمَلَ الْقَازِفَ الصَّارُوخِي الشَّابُّ «مُحَمَّدَ عَلِيَّ»، وَهُوَ أَوْزُبَكِي الْأَصْلِ انْضَمَّ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ لِلْجِهَادِ قَبْلَ وَصُولِنَا إِلَى مَرَكِزِ «مُطِيعِ اللَّهِ» فِي زِيَارَتِنَا الْأُولَى بِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ. وَهُنَاكَ تَعَرَّفْنَا عَلَيْهِ، وَعِنْدَمَا تَقَابَلْنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ تَعَانَقْنَا بِحَرَارَةٍ تَلِيْقُ بِزُمَلَاءِ قُدَامِي. لَمْ أَدْرِ وَقْتَهَا أَنَّ عَامًا وَاحِدًا فَقَطْ تَبَقَّى عَلَيَّ اسْتِشْهَادُ هَذَا الْفَتَى الرَّائِعِ، وَبِالطَّبَعِ لَمْ أَتَصَوَّرُ أَنْ أَعِيشَ لِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ حَتَّى الْآنَ بَعْدَ ذَلِكَ اللَّقَاءِ اللَّيْلِيِّ قُرْبَ حِصْنِ الْعَدُوِّ غَرْبِ «الْأَوْزُجُونِ».

عَبَرْنَا الْقَرْيَةَ وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ عَبْرَ حُقُولٍ مُتَدَرِّجَةِ الانْخِفَاضِ، يَصِلُ الْفَرْقُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ مِثْرٍ بَيْنَ كُلِّ سَطْحٍ وَالْآخَرَ. وَصَلَ الشَّيْخُ «تَمِيمٌ» رُغْمَ

التَّحَدِّيَاتِ وَأَطْلَقْنَا النَّارَ سَوِيًّا عَلَى أَبْرَاجِ الْقَلْعَةِ، وَلَكِنَّ «مُحَمَّدَ عَلِيَّ» أَخْطَأَ الْقَلْعَةَ فِي قَدِيفَتَيْنِ عَبَّرَتَا ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ نَحْوَ الْمَجْهُولِ. تَأَخَّرَ رَدُّ فِعْلِ الْعَدُوِّ حَتَّى تَرَا جَعْنَا إِلَى أَوَّلِ مَنَازِلِ الْقَرْيَةِ، ثُمَّ فَتَحَ عَلَيْنَا نِيرَانَ رَشَاشَاتِهِ الثَّقِيلَةِ. امْتَنَعْنَا عَنِ الرَّدِّ، وَلَكِنَّ مِنْ مَوْقِعِنَا الْجَبَلِيِّ رَدَّتْ «الدُّوشَكَا» بِأَقْوَاسٍ رَائِعَةٍ مِنَ النِّيرَانِ تَعْرِفُ طَرِيقَهَا جَيِّدًا إِلَى دَاخِلِ الْقَلْعَةِ.

اِخْتَبَأْنَا فِي مَجَاهِلِ الْحُقُولِ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى أَنْهَى الْعَدُوُّ قِصْفَهُ الْمِدْفَعِيِّ عَلَى مَنَاطِقٍ مُتَفَرِّقَةٍ يَتَوَقَّعُ وُجُودَنَا فِيهَا، وَتَوَقَّفَتْ رَشَاشَاتُهُ الثَّقِيلَةُ عَنِ التَّمْشِيطِ الْعَشَوَائِيِّ. وَانْتَظَرْنَا حَتَّى تَجْمَعَ الرَّجَالُ كُلُّهُمْ، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ آيَةٌ إِصَابَاتٍ عِنْدَنَا. عُدْنَا أَدْرَاجَنَا إِلَى الْمَرْكَزِ، وَكَانَ قَمَرُ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ رَمَضَانَ يَتَلَأُلُ فِي سَمَاءِ «الْأُورْجُون».

كَانَتْ تِلْكَ آخِرُ مُشَارَكَةِ مِيدَانِيَّةٍ لِي مَعَ «تَيْمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ»؛ لَقَدْ عَادَ وَسَجَّلَ شَرِيطًا مُفْعَمًا بِالْحَمَاسِ وَالْعَاطِفَةِ عَنِ رِحْلَتِهِ تِلْكَ. وَتَفَرَّغَ لِلْعَمَلِ مَعَ «سَيَّافٍ» بِكُلِّ طَاقَتِهِ الْهَائِلَةِ وَصِفَاتِهِ النَّفِيَّةِ.

التَّقِينَا قَبْلَ وَفَاتِهِ أَوْ إِغْتِيَالِهِ بَعْدَهُ أَشْهُرٍ وَذَلِكَ فِي سُوقِ «صَدْرٍ» فِي «بِشَاوَرٍ». كُنْتُ مُنْتَظِرًا دَاخِلَ سَيَّارَتِي، وَكَانَ هُوَ مَارًّا فِي سَيَّارَتِهِ، أَلْقَى السَّلَامَ عَلَيَّ وَهُوَ فِي سَيَّارَتِهِ ثُمَّ مَضَى. لَمْ يَتَوَقَّفْ لِلْحَدِيثِ. كَانَتْ عِلَاقَتِي قَدْ تَدَهَوْرَتْ مَعَ «سَيَّافٍ» مُنْذُ سَنَوَاتٍ، وَانْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى هُوَ لَاءِ

الَّذِينَ أُكِنُّ لَهُمْ حُبًّا عَمِيقًا مِنْ أَمْثَالِ «تَمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ» وَ «جولزراك».

بَعْدَ عِدَّةِ أَسَابِيعَ تَكَرَّرَ نَفْسُ الْمَوْقِفِ، وَتَلَقَّيْتُ مِنَ الشَّيْخِ «تَمِيمٍ» سَلَامًا عَابِرًا مِنْ سَيَّارَتِهِ الْمُتَحَرِّكَةِ عَلَى مَهَلٍ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَصَلَنِي خَبْرٌ وَفَاتِهِ. وَمَا زِلْتُ أَعْتَبِرُهُ أَطْهَرَ الْقُلُوبِ وَأَصْفَى النُّفُوسِ الَّتِي دَاسَتْ عَلَى الْأَرْضِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَوَهَبَتْ حَيَاتَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ أَفْغَانِسْتَانَ. أَحْيَانًا لَا أَسْتَطِيعُ وَصْفَهُ **رَحِمَهُ اللَّهُ** إِلَّا بِأَنَّهُ أَضْحَمُ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا لِأَجْلِ أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَتْ مَعْرَكَةٌ «٢٥ رَمَضَانَ ١٤٠٣ هـ» فِي «الْأَوْزْجُونَ» مُنْعَطَفًا فِي تَفْكِيرِي تِجَاهَ الْمُشَارَكَةِ الْقِتَالِيَّةِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ. لَمْ أَعِدْ أَشْكُ فِي أَنَّ أُسْلُبَهُمْ فِي الْقِتَالِ لَا يُنَاسِبُنَا، وَأَنَّا نَكْرُرُ مَا يَفْعَلُونَهُ بِطَرِيقَةٍ أَقْلَ كَفَاءَةٍ وَأَكْثَرَ تَكْلُفَةٍ. فَمَا مَعْنَى أَنْ يَقْطَعَ الْعَرَبِيُّ آلَافَ الْأَمْيَالِ وَيَتَكَلَّفَ آلَافَ أَوْ مِئَاتِ الدُّوَلَارَاتِ كَيْ يُطْلِقَ عِدَّةَ طَلَقَاتٍ عَلَى حَائِطِ طِينِيٍّ أَوْ حَاجِزِ صَخْرِيٍّ؟. وَمَا مَعْنَى أَنْ يَجْلِسَ الْعَرَبِيُّ فِي الْجَبْهَةِ أَيَّامًا أَوْ أَسَابِيعَ أَوْ حَتَّى عِدَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ يَنْتَقِلَ إِلَى بِلَادِهِ وَهُوَ لَمْ يَكُدْ يَتَعَرَّفْ عَلَى مَنْطِقَةِ الْقِتَالِ أَوْ الْمُجَاهِدِينَ أَوْ أُسْلُوبِ الْعَمَلِ وَطَرِيقَتِهِ؟. وَمَا مَعْنَى أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عَرَبِيٌّ أَوْ اثْنَانِ فِي جَبْهَةِ قِتَالٍ كَبِيرَةٍ؟.

لِكَيْ يَكُونَ هُنَاكَ عَمَلٌ عَرَبِيٌّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عَرَبٌ كَثِيرُونَ بِشَكْلِ يَكْفِي لِلْقِيَامِ بِعَمَلٍ جَمَاعِيِّ بِأُسْلُوبٍ مُمَيَّزٍ، وَلِكَيْ نَحْصُلَ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ

لَا بُدَّ مِنْ تَدْرِيبِ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ. فَالتَّدْرِيبُ عَلَى أَيْدِي الْأَفْغَانِ يَنْقِلُ مَعَهُ كُلَّ الْأَخْطَاءِ الَّتِي يَرْتَكِبُونَهَا فِي اسْتِخْدَامِ السَّلَاحِ وَتَكْنِيكِ الْقِتَالِ.

وَلَكِنْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ عَرَبٌ كَثِيرُونَ وَمُعَسَّكِرٌ تَدْرِيبٌ ثُمَّ مَجْمُوعَاتٌ مُقَاتِلَةٌ عَرَبِيَّةٌ، فَكَمْ يُكَلِّفُ كُلُّ هَذَا؟ وَمَنْ يَدْفَعُ؟ وَكَيْفَ نَحَافِظُ عَلَى اِزْبَاطِ هَؤُلَاءِ؟ تَحْتَ آيَةِ قِيَادَةٍ؟ وَتَحْتَ أَيِّ تَنْظِيمٍ؟ وَمَا هُوَ فِكْرُ هَذَا التَّنْظِيمِ فِي وَسَطِ الْأَمْوَاجِ الْمُتَلَاطِمَةِ مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُتَضَادَّةِ وَالْمُضْطَرِبَةِ الَّتِي تَمُوجُ بِهَا أَوْسَاطُ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ وَتَجْمَعَاتِهِ؟.

هَذَا الْعَامُ رَأَيْتُ شَبَابًا عَرَبًا أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي، وَكَانُوا مَعْقُولِينَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْفَوْجِ الْإِزْعَاجِيِّ الَّذِي سَقَطَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا فِي «لِجَاه» فِي الْعَامِ الْمَاضِي. وَلَكِنَّهُمْ مَا زَالُوا كَسْحَابَةَ صَيْفٍ، سُرْعَانَ مَا تَمُرُّ وَلَا تَتْرُكُ أَثْرًا عَلَى أَرْضِ الْجِهَادِ. وَإِنْ كَانَتْ تَتَحَوَّلُ عِنْدَ عَوْدَتِهَا إِلَى أَدَوَاتٍ رَائِعَةٍ لِلتَّعْبِيَةِ وَجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ الَّتِي تَصُبُّ فِي النِّهَآيَةِ فِي أَيْدِي عِصَابَاتِ السِّيَاسَةِ فِي «بِشَاوَر».

كُلُّ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ الْحَآئِرَةِ لَمْ تَجِدْ عَمَلِيًّا إِجَابَةً شَافِيَةً إِلَّا بِوُصُولِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِن» إِلَى الْمَسْرَحِ الْأَفْغَانِيِّ عَامَ ١٩٨٧م كَيْ يَقْلِبَ كُلَّ الْمَوَازِينِ، وَيَضَعُ قَوَانِينَ جَدِيدَةً وَيَخْلُقُ وَاقِعًا عَرَبِيًّا جَدِيدًا. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَيْضًا الْحَلَّ الْأَمْثَلِ الَّذِي أَحْلَمُ بِهِ. وَلَكِنَّهُ عَلَى آيَةِ حَالٍ وَضَعَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْلَامِ عَلَى سَآحَةِ

الواقع، رَضِيَ مَنْ رَضِيَ وَغَضِبَ مَنْ غَضِبَ، فَهَذَا هُوَ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» وَعَلَى الْعَالَمِ أَنْ يَتَدَبَّرَ أَمْرَهُ. فَكَانَتْ لِي مَعَهُ جَوْلَاتٌ، وَمَا أَمْتَعَهَا مِنْ جَوْلَاتٍ!!

مِنْ الْأَحْدَاثِ الَّتِي أَثَّرَتْ عَلَى مَسِيرَتِنَا الْأَفْعَائِيَّةِ كَانَ الْحَادِثَ التَّالِيَّ. فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ تَحَرَّكَتْ مَجْمُوعَةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنْ سِتِّ مِنَ الشَّبَابِ وَمَعَهُمْ مِدْفَعٌ وَاحِدٌ عَدِيمٌ الْارْتِدَادِ فِي مُهِمَّةٍ لِضَرْبِ الْحِصْنِ بَعْدَ فِدَائِفِ ثُمَّ الْعُودَةِ مَرَّةً أُخْرَى. بَعْدَ أَنْ أَدَّى الشَّبَابُ مُهِمَّتَهُمْ بِنَجَاحٍ، وَنُظِرًا لِأَنَّهَا تَكَرَّرَتْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ وَمِنْ نَفْسِ الْمَوْقِعِ، فَقَدْ كَانَتْ هَاوِنَاتُ الْعَدُوِّ جَاهِزَةً، فَاَنْطَلَقَتْ فَوْرًا مِنْ دَاخِلِ الْقَلْعَةِ لِتُدَكَّ الْمَنْطِقَةَ الَّتِي ضَرَبَ مِنْهَا الشَّبَابُ. فَاَحْتَمَى هُوَ لِأَنَّ دَاخِلَ بَيْتٍ قَرِيبٍ، فَنَزَلَتْ قَدِيفَةٌ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ، فَاَنْهَارَ عَلَيْهِمْ. تَمَكَّنَ أَرْبَعَةٌ مِنْ الْخُرُوجِ مِنْ تَحْتِ الْأَنْقَاضِ، وَطَلَبُوا مُسَاعَدَةً لِإِخْرَاجِ زَمِيلَيْهِمْ. فَاَخْرَجُوا أَحَدَهُمْ مَقْتُولًا وَالْآخَرَ بِيْرَتٍ سَاقِهِ، فَاَحْضَرُوهُ إِلَى الْمُعَسْكَرِ عَلَى سَرِيرٍ مِنَ الْخَشَبِ وَالْحِجَالِ. كَانَ يَتَكَلَّمُ وَعِظَامُ سَاقِهِ الْمَكْسُورَةَ بَارِزَةً وَالْدَّمُ يَتَدَفَّقُ مِنْهَا، وَلَيْسَ بَيْنَنَا مَنْ يَسْتَطِيعُ عَمَلُ أَيِّ شَيْءٍ. فَلَا أَحَدٌ مُدْرَبٌ عَلَى الْإِسْعَافَاتِ الْأَوَّلِيَّةِ، بَلْ لَيْسَ لَدَيْنَا قِطْعَةٌ شَاشٍ وَاحِدَةٍ!! بَعْدَ سَاعَةٍ تَقْرِيْبًا فَاصَتْ رُوحُ الشَّابِّ.

أَرْسَلُوا فِي اسْتِدْعَاءِ أَبِيهِ مِنْ قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ. وَعِنْدَ الظُّهْرِ تَمَّ دَفْنُ الشَّابِّينِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَتْ الدِّمَاءُ مَا زَالَتْ تَتَدَفَّقُ مِنْ جُرُوحِهِمَا. وَمَا أَنْ

تَمَّ الدَّفْنُ حَتَّى وَصَلَ وَالِدُ الشَّابِّ، وَكَانَ الشَّهِيدُ هُوَ ابْنُهُ الْوَحِيدُ. جَثَا الرَّجُلُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ إِلَى جَانِبِ الْقَبْرِ وَجَعَلَ يَتَّحِبُّ بِشِدَّةٍ حَتَّى خِلَتْ أَنَّهُ سَوْفَ يَمُوتُ إِلَى جَانِبِ قَبْرِ ابْنِهِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَرَّةُ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ الَّتِي أَرَى فِيهَا أَفْغَانِيًّا يَتَّحِبُّ. لَقَدْ بَكَى جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ فَقَدْ كَانَ الشَّهِيدَانِ صَغِيرَا السِّنِّ وَمِنْ أَلْطَفِ الْمُجَاهِدِينَ أَخْلَافًا، وَلَمْ يَتَخَيَّلْ أَحَدٌ أَنَّا لَنْ نَرَاهُمْ مَرَّةً أُخْرَى؛ فَالْمِهْمَةُ كَانَتْ رُوتَيْنِيَّةً فِي نَظَرِ الْجَمِيعِ. كَانَ ذَلِكَ بِالتَّحْدِيدِ هُوَ الْمَقْتَلُ؛ فَإِذَا تَحَوَّلَ الْعَمَلُ الْهُجُومِيَّ إِلَى طَابِعٍ ثَابِتٍ وَرُوتَيْنِيَّ سَهَّلَ عَلَى الْعَدُوِّ الْقَضَاءَ عَلَى الْقَائِمِينَ عَلَيْهِ.

انصبتِ نِقْمَتِي مَرَّةً أُخْرَى عَلَى «بِشَاوَر» وَمَنْ فِيهَا. لَقَدْ زُرْتُ عَدَدًا مِنْ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ هُنَاكَ. وَرُغِمَ الشُّكَاوَى الَّتِي لَا تَهْدَأُ هُنَاكَ فَقَدْ كَانَتْ الْحَالَةُ أَفْضَلَ مِنْ هُنَا بِمَا لَا يُمْكِنُ مُقَارَنَتُهُ؛ هُنَاكَ مُسْتَشْفِيَّاتٌ بَاكِسْتَانِيَّةٌ وَأَفْغَانِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ وَصَلِيبِيَّةٌ وَعَشْرَاتٌ مِنَ الْأَطِبَّاءِ وَأَطْنَانٌ مِنَ الدَّوَاءِ - وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْهُ فَاقِدُ الصَّلَاحِيَّةِ - وَلَكِنْ هُنَاكَ شَيْئًا. وَلَكِنْ فِي خِدْمَةِ مَنْ؟ الْمُهَاجِرِينَ؟ وَمَا الْمُهَاجِرُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ؟. إِذَا كَانَ الرَّجُلُ هُنَا يَمُوتُ لِعَدَمِ وُجُودِ قِطْعَةٍ مِنَ الْقُطْنِ وَرِبَاطٍ مِنَ الشَّاشِ، وَلِعَدَمِ وُجُودِ طَيِّبٍ أَوْ حَتَّى مُمَرِّضٍ يُوقِفُ النَّزِيفَ، فَكَمْ مِنَ الْأَرْوَاحِ زُهَقَتْ وَسَوْفَ تُزْهَقُ مِنْ جَرَاءِ هَذَا الْإِهْمَالِ؟، وَإِلَى مَتَى تَبْقَى «بِشَاوَر» مِثْلَ التَّنِينِ يَبْتَلِعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَشْبَعُ أَبَدًا، بَلْ يَطْلُبُ الْمَزِيدَ دَوْمًا. وَمَا نَصِيبُ جَبَهَاتِ الْجِهَادِ مِنْ ذَلِكَ التَّنِينِ إِلَّا نَفَثَاتٌ

اللَّهَبِ الَّتِي تَحْرِقُ الْجِهَادَ وَلَا تَضُرُّ الْعَدُوَّ.

كَانَتْ مِثْلَ تِلْكَ الْخَوَاطِرِ وَرَاءَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْجُهُودِ لِتَقْلِ الْخِدْمَاتِ الطَّبِيعَةِ
أَوْ جُزْءٍ مِنْهَا إِلَى دَاخِلِ جَبْهَاتِ الْقِتَالِ. وَأَسْفَرَتْ تِلْكَ الْمَجْهُودَاتِ عَنْ نَتَائِجِ
طَبِيعَةٍ تَمَّ مُعْظَمُهَا عَلَى أَيْدِي غَيْرِنَا كَمَا هِيَ الْعَادَةُ دَائِمًا، وَلَكِنَّا أَثْرْنَا الْكَثِيرَ مِنْ
الضَّجِيجِ حَتَّى حَدَثَتْ الِاسْتِجَابَةُ، فَكَانَتْ نَقْلَةً إِلَى الْأَمَامِ.

وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْهَا أَبَدًا فِي أَيِّ وَقْتٍ كَافِيَةٍ أَوْ تَتِمُّ عَلَى مَا يَنْبَغِي. وَلَكِنْ بِلَا
شَكٍّ فَإِنَّ إِخْوَانَنَا الْأَفْغَانَ كَانُوا أَسْعَدَ حَظًّا وَأَوْفَرَ خِدْمَاتٍ مِنْ أَيِّ حَرَكَةٍ
جِهَادِيَّةٍ سَابِقَةٍ أَوْ لَاحِقَةٍ حَتَّى وَقْتَنَا الْحَالِي. وَكَانَتْ أَكْبَرُ انْتِصَارَاتِنَا الطَّبِيعَةِ هِيَ
قُدُومُ مُؤَسَّسَةِ «إِسْرَاءَ» لِلإِغَاثَةِ لِتَقْدِمَ خِدْمَةَ نَوْعِيَّةً مُتَمَيِّزَةً لِلشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ،
وَكَانَتْ أَكْثَرَ الْمُؤَسَّسَاتِ الإِغَاثِيَّةِ تَحَرُّرًا مِنَ النُّفُوزِ الصَّارِّ، سِوَاءِ الْهَيْمَنَةِ
السُّعُودِيَّةِ أَوْ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ أَوْ الدَّوَلِيَّةِ. وَفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ كَانَتْ مُحَايِدَةً تَمَامًا فِي
وَسَطِ التِّيَّارَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ، الْحِزْبِيِّ مِنْهَا وَالْمَذْهَبِيِّ. فَكَانَتْ الْأَكْثَرَ قَبُولًا
وَاحْتِرَامًا وَإِنْ كَانَتْ دَوْمًا الْأَقْلَّ مِنْ حَيْثُ الإِمْكَانِيَّاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ،
وَعَوَّضَ ذَلِكَ مَجْمُوعَةً رَائِعَةً مِنْ شَبَابِ السُّودَانِ الْإِسْلَامِيِّينَ الْوَاعِينَ الَّذِينَ
عَمِلُوا بِحِمَاسٍ وَصَمْتٍ وَحِيَادٍ، وَمَا زَالُوا يَعْمَلُونَ حَتَّى الْآنَ وَسَطَ الْفِتْنَةِ
الْأَفْغَانِيَّةِ الْخَانِقَةِ، وَالضَّغْطِ الصَّلِيبِيِّ الْحَادِّ، رَبَّمَا لِإِنْقَاذِ مَا يُمَكِّنُ إِنْقَاذَهُ.

لِثَانِي وَآخِرِ مَرَّةٍ يَصْحَبُنِي صَدِيقٌ مِنَ الإِمَارَاتِ إِلَى الْجَبْهَةِ. كَانَ الْأَخُّ

«عَفِيفِي» هَذِهِ الْمَرَّةَ رَفِيقَ الدَّرْبِ إِلَى «أَوْزُجُون» حَيْثُ بَقِيَ مَعِي هُنَاكَ لِمُدَّةِ أُسْبُوعَيْنِ، تَرَكَ فِيهَا أَثْرًا طَيِّبًا مَا زَالَ يَذْكُرُهُ كُلُّ مَنْ مَوْلَوِي «مُحَمَّدَ حَسَنَ» وَالضَّابِطُ «مُعَافِي حَانَ». وَلَكِنَّهُ لِلْأَسَفِ لَمْ يُكْرَرْ الْمَحَاوَلَةَ مَرَّةً أُخْرَى. «عَفِيفِي» كَانَ مِنْ جَمَاعَةِ «الإِخْوَانِ»، وَمِنْ الشَّبَابِ النَّشِيطِينَ هُنَاكَ، وَكَانَ مَسْؤُولًا عَنْهُمْ آنَذَاكَ الشَّيْخُ «مُحَمَّدَ مُصْطَفَى» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي كَانَ مُوجِّهًا تَرْبُويًّا فِي وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ. وَكَانَ رَجُلًا مَحْبُوبًا مُتَحَمِّسًا لِلجِهَادِ وَلِنَشْرِ الإسلامِ، فَضَى فِتْرَةً لَا بَأْسَ بِهَا فِي سُجُونِ مِصْرَ، وَخَرَجَ مِنْهَا بِأَمْرٍ مُسْتَعْصِيَةٍ أَدَّتْ إِلَى وَفَاتِهِ يَرْحَمُهُ اللَّهُ.

دَعَانِي الشَّيْخُ «مُحَمَّدُ مُصْطَفَى» إِلَى بَيْتِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَكَانَ الْعَدِيدُ مِنَ الشَّبَابِ عِنْدَهُ. وَسَأَلَنِي كَثِيرًا عَنْ أَفْغَانِسْتَانَ وَأَحْوَالِ الجِهَادِ، وَكَانَ يَتَجَاوَبُ مَعَ رَغْبَاتِ الشَّبَابِ حَوْلَهُ فِي تَأْيِيدِ ذَلِكَ الجِهَادِ. وَلَكِنَّ إِرْسَالَهُمْ إِلَى هُنَاكَ كَانَ يَتِمُّ بِحِسَابَاتٍ كَثِيرَةٍ وَبَعْدَ الاتِّصَالِ مَعَ القِيَادَةِ فِي مِصْرَ عَلَى الأَرْجَحِ. لِذَلِكَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْ إِخْوَانِ الإِمَارَاتِ إِلَى الجِهَادِ إِلَّا أَعْدَادًا مَحْدُودَةً جِدًّا، كَانَ مِنْهُمْ صَدِيقِي «عَفِيفِي» الَّذِي ظَلَّ يَتَصَوَّرُ حَتَّى آخِرِ رَمَقٍ أَنَّ «الإِخْوَانَ المُسْلِمِينَ» هُمْ القِيَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَنَّ مُعَسْكَرَاتِهِمْ تَمَلَأُ جَنَابَاتِ البِلَادِ وَعَمَلِيَّاتِهِمْ تَقْضِ مَضَاجِعَ الرُّوسِ.

كَانَ الأَخُ يَعِيشُ فِي وَهْمٍ كَبِيرٍ، وَكُلَّمَا حَاوَلْتُ إِفْهَامَهُ أَنَّ مَا يَعْتَقِدُهُ غَيْرُ

صَحِيحٍ، نَظَرَ إِلَيَّ بِابْتِسَامَةٍ لَطِيفَةٍ وَلَكِنَّهَا تَحْمِلُ مَعَانِي التَّوْبِيخِ الْمُهْدَبِ، وَتَتَّهَمُنِي بِلَا مُوَارِيَةِ أَنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ أَسْرَارُهَا فِي بئرٍ عَمِيقَةٍ. وَعِنْدَمَا صَاقَ مِنْ عَتْرَاضَاتِي وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ ١٩٨٨ م - عَلَى مَا أَذْكَرُ - قَالَ لِي: «وَمَاذَا تَظُنُّ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّامَ» وَ «أَسَامَةَ بْنَ لَادِنَ»؟ إِنَّهُمَا مَبْعُوثَانِ مِنَ «الإِخْوَانِ» وَغَيْرُهُمَا كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ فَهَذِهِ أَسْرَارُ الْجَمَاعَةِ». كَانَتْ فَضِيحَةً مَيُوسًا مِنْهَا، وَلَكِنَّنَا نَجَحْنَا فِي الإِبْقَاءِ عَلَى صِدَاقَتِنَا الْحَقِيقِيَّةِ حَتَّى آخِرِ لِقَاءِ بَيْنَنَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ.

قَبْلَ أَنْ نَتْرَكَ مَعَارِكَ «الأُورْجُونِ» نُشِيرُ إِلَى آخِرِ حَادِثٍ ذِي دَلَالَةٍ رَأَيْتُهُ هُنَاكَ. فَمَا أَنْ عُدْنَا مِنْ غَارَتِنَا اللَّيْلِيَّةِ عَلَى الْحِصْنِ حَتَّى وَجَدْنَا مَوْلَوِيَّ «مُحَمَّدَ حَسَنَ» يُجَهِّزُ نَفْسَهُ لِعَمَلِيَّةِ صَبَاحِيَّةِ بِالْهَآوِنِ، وَمَعَهُ ضَابِطُ شَابُّ يُدْعَى «تُورَانَ مُحَمَّدَ»، وَهُوَ مِنْ أبنَاءِ الْمُنْطِقَةِ. فَقَدْ وَصَلَهُ لَيْلًا رَسُولٌ مِنْ طَرَفِ مَوْلَوِيَّ «أَحْمَدَ جُولَ» الَّذِي يَعْمَلُ فِي الْجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، قَالَ إِنَّ الأَخِيرَ اسْتَطَاعَ لَيْلًا رَفَعَ الأَلْعَامَ وَالأَسْتِيلاءَ عَلَى الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ، وَفِي الصَّبَاحِ فَإِنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَأْتِي جُنُودُ الْحُكُومَةِ كَيْ يَشْغَلُوا نِقَاطَ تَرَصُّدِهِمْ فَوْقَ الْجَبَلِ، وَبِالطَّبَعِ فَإِنَّهُمْ سَيَقْعُونَ فِي أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ اسْتَوَلُوا سِرًّا عَلَى الْجَبَلِ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ، وَلَكِنَّهُ يَتَوَقَّعُ قَصْفًا مَدْفَعِيًّا شَدِيدًا مِنْ جَانِبِ العَدُوِّ، لِذَا فَهُوَ يَطْلُبُ مِنْ مَوْلَوِيَّ «مُحَمَّدَ حَسَنَ» أَنْ يَشْتَبِكَ مَعَ العَدُوِّ مِنْ نَاحِيَّتِهِ حَتَّى يُخَفِّفَ الضَّغْطَ عَنْهُمْ.

فَرِحَ الْمُجَاهِدُونَ بِالنَّبَأِ السَّارِ. وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ قَدْ قَضَى لَيْلَتَهُ فِي اشْتِبَاكِ
 الْأَمْسِ، وَبَعْضُهُمْ بَاتَ لَيْلَتَهُ فِي قُرَى قَرِيْبَةٍ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنْ تَنَاوُلِ السَّحُورِ.
 خَرَجْتُ مَعَ مَوْلَايَ «مُحَمَّدَ حَسَنَ» وَمَعَهُمَا شَابٌّ عَرَبِيٌّ وَصَلَ حَدِيثًا، وَشَابٌّ
 بَاكِسْتَانِيٌّ «سَجَادَ الرَّحْمَنِ» يَدْرُسُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي «إِسْلَامْ آبَاد».
 سَارَ بِنَا «مُحَمَّدَ حَسَنَ» فِي اتِّجَاهِ الشَّرْقِ مَسَافَةً طَوِيلَةً، وَإِذَا بِالْحِصْنِ الَّذِي كُنَّا
 نَسْتَبِكُ مَعَهُ فِي اللَّيْلِ لَا يَبْعُدُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ مِترٍ عَنَّا. وَهُنَا وَضَعَ الشَّيْخُ الْهَآوِنُ
 عَلَى الْأَرْضِ، وَبَدَأَ يَعْمَلُ فِي تَجْهِيْزِ الْمِدْفَعِ لِلرَّمَايَةِ. كَانَ الْجُنُودُ يَتَجَوَّلُونَ
 فَوْقَ أَسْوَارِ الْحِصْنِ. سَأَلْتُ الرَّجُلَ مُتَعَجِّبًا كَيْفَ يَعْمَلُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ؟ لَا
 شَكَّ أَنَّ قُوَّةَ الْحِصْنِ سَوْفَ تَقْضِي عَلَيْنَا فِي دَقَائِقَ. ضَحِكَ قَائِلًا: «تَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ، إِذَا ضَرَبُوا عَلَيْنَا سَنَضْرِبُ عَلَيْهِمْ، اطمئن، إِنَّهُمْ يَخَافُونَ مِنَّا، وَاللَّهُ
 يَحْفَظُنَا».

بَدَأَ الْهَآوِنُ فِي الْعَمَلِ وَكَانَتْ تِلْكَ أَبْعَدَ مَسَافَةٍ يُمَكِّنُنَا الذَّهَابَ إِلَيْهَا. وَمَعَ
 هَذَا وَضَعَ الشَّيْخُ فِي قَدَائِفِ الْهَآوِنِ ضِعْفَ عَدَدِ حَلَقَاتِ الْبَارُودِ الْمُقَرَّرَةِ كَحَدِّ
 أَقْصَى؛ وَذَلِكَ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى أَبْعَدِ مَسَافَةٍ مُمَكِّنَةٍ وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى خَطَرِ
 انْفِجَارِ الْمِدْفَعِ.

وَالطَّرِيفُ أَنَّ الْجُنُودَ عَلَى سُورِ الْحِصْنِ كَانُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِمَشْهَدِ الْقَدَائِفِ
 الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ عِنْدِنَا، وَهُمْ يَقْفُونَ بِتَكَاسُلٍ. ثُمَّ جَاءَنَا الرَّدُّ الْمِدْفَعِيُّ مُشَوِّشًا

وَبَعِيدًا. فَضَلْتُ عِنْدَهَا أَنْ أَنَامَ عَلَيَّ كَوْمَةٌ عُسْبٍ قَرِيبَةٍ تَارِكًا الشَّيْخَ وَالضَّبَّاطَ فِي بَرْنَامَجِهِمَا الْعَجِيبِ، فَلَمْ أَكُنْ قَدْ نِمْتُ مُنْذُ الْأَمْسِ. لَقَدْ اسْتَتَجْتُ سَاعَتَهَا أَنَّ الْجَيْشَ يُعَانِي مِنْ تَفَكُّكِ دَاخِلِيٍّ وَعَدَمِ قَنَاعَةٍ بِالْقِتَالِ.

بَعْدَ لَيْلَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْحَدَثِ فُوجِئْنَا بِرِمَايَاتٍ كَثِيفَةٍ وَأَنْفِجَارَاتٍ، فَظَنَّنَا الْعَدُوَّ يُهَاجِمُ وَأَنَّهُ اشْتَبَكَ مَعَ مَوْقِعِ «الدُّوشَكَا» الْمُتَقَدِّمِ. فَأَخَذْنَا الْأَسْلِحَةَ وَصَعَدْنَا بِسُرْعَةٍ إِلَى الْقِمَمِ الْقَرِيبَةِ. وَبَعْدَ حَوَالِي سَاعَةٍ عَلِمْنَا أَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْجُنُودِ قَدْ فَرُّوا مِنَ الْحِصْنِ وَأَنْفَجَرَ فِي عَدَدٍ مِنْهُمْ أَلْغَامٌ مِنْ تِلْكَ الْمُحِيطَةِ بِالْحِصْنِ، كَمَا أَنَّ الضَّبَّاطَ أَرْغَمُوا بَاقِي الْجُنُودِ أَنْ يَفْتَحُوا النَّارَ عَلَى الْفَارِّينَ فَقَتَلَ عَدَدٌ آخَرَ. وَقَدْ وَصَلْنَا بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ خَمْسَةَ عَشَرَ جُنْدِيًّا مِنْهُمْ جَرَحَى، وَقَدْ تَرَكُوا عَدَدًا مِنْ جُثَثِ الرُّمْلَاءِ لَا يَعْرِفُونَ عَدَدَهُمْ. كَانُوا جِيعَمًا مِنْ وَايَاتِ الشَّمَالِ الْأَفْغَانِيِّ، قَضُوا مَعَنَا حَتَّى أَيَّامِ الْعِيدِ الْأُولَى ثُمَّ غَادَرَ مُعْظَمُهُمْ إِلَى بَاكِسْتَانِ.



خِيَانَةٌ فِي «أُرْجُون»:

كَانَ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يُنْهِيَ الْوَفْدُ الْعَسْكَرِيُّ الْإِتِّحَادِيَّ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ «حَقَّانِي» مَبَاحَثَاتٍ مَعَ قَادَةِ الْمَنْطِقَةِ مِنَ الْأَحْزَابِ الْمُخْتَلِفَةِ بِهَدَفِ شَنْ هُجُومٍ مُوَحَّدٍ عَلَى مَدِينَةِ «أُرْجُون». طَالَتِ الْمَبَاحَثَاتُ كَثِيرًا رُغْمَ اتِّفَاقِ مُعْظَمِ الْقِيَادَاتِ عَلَى الْعَمَلِ بِشَكْلِ مُشْتَرِكٍ تَحْتَ قِيَادَةِ «حَقَّانِي». وَلَكِنَّ قَائِدَ حِزْبِ

«إِسْلَامِي حِكْمَتِيَار» رَفَضَ هَذَا الْاِتِّفَاقَ وَأَصَرَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْقَائِدُ الْعَامُّ.

كَانَ ذَلِكَ الْقَائِدُ حَدِيثَ السُّنَنِ وَالتَّجْرِبَةَ وَلَمْ يَكُنْ مَوْضِعَ تَرْجِيهِ مِنْ
الْآخِرِينَ لِأَسْبَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَكِنَّهُ أَصَرَ. هَذَا الْقَائِدُ وَيُدْعَى «خَالِدَ فَارُوقِي»^(١)



[صُورَةٌ رَقْمَ ٧٤] وَأَقَفَ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ أَنْ يَمْنَعَ النَّجْدَاتِ
العَسْكَرِيَّةَ الشُّيُوعِيَّةَ مِنْ دُخُولِ الْمَنْطِقَةِ حَيْثُ أَنَّ
مَوْقِعَهُ عَلَى التَّلَالِ وَالْجِبَالِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى الطَّرِيقِ
تُمْكِّنُهُ مِنْ ذَلِكَ، [وَرُغْمَ] سُهُولَةِ الْعَمَلِيَّةِ لِكَوْنِ

الطَّرِيقِ قَدْ تَمَّ تَلْغِيمُهُ بِكَثَافَةٍ فَقَدْ ضَاعَتْ عِدَّةٌ أَشْهُرٍ فِي تِلْكَ الْمُبَاحَثَاتِ حَتَّى
بَدَأَتْ الْمَعَارِكُ مَعَ دُخُولِ الشِّتَاءِ. انْضَمَّتْ دَبَّابَتَانِ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ، فِي
أَحَدِهِمَا ضَابِطٌ كَبِيرٌ يُدْعَى «نَظَرُ مُحَمَّدٍ» مِنْ قَبِيلَةِ «زِدْرَانٍ»، وَعَلَى دَرَجَةٍ مِنْ
الْقَرَابَةِ مَعَ الضَّابِطِ الْاِتِّحَادِيِّ «جُولَزْرَاكٍ»^(٢).

اسْتُخْدِمَ الْمُجَاهِدُونَ الدَّبَّابَتَيْنِ فِي فَتْحِ الْحِصْنِ الْعَرَبِيِّ لِلْمَدِينَةِ، وَالَّذِي

(١) خَالِدُ فَارُوقِي: أَحَدُ السِّيَاسِيِّينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ، كَانَ عَضْوًا فِي الْبَرْلَمَانِ الْأَفْغَانِيِّ عَنِ وِلَايَةِ
«بَاكْتِيكَ»، كَانَ زَعِيمَ حِزْبِ إِسْلَامِيٍّ أَنْشَأَهُ بِنَفْسِهِ. شَارَكَ فِي الْمَعَارِضَةِ السُّلْمِيَّةِ لِسِيَاسَاتِ السُّرْدَارِ
«دَاوُدَ»، وَبَعْدَ أَنْ قَامَ السُّوْفِيَّةُ بِاجْتِيَاكِ أَفْغَانِسْتَانَ انْضَمَّ إِلَى الْجِهَادِ الْمُسَلَّحِ.

(٢) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «نَظَرُ مُحَمَّدٍ مِنْ أَبْطَالِ كِتَابِ «خِيَانَةُ عَلِيِّ الطَّرِيقِ»، رَاجِعَ الْكِتَابِ
الثَّلَاثَ مِنْ هَذِهِ السُّلْسِلَةِ».

كُنَّا نَسْتَبِكُ مَعَهُ. ثُمَّ هَاجَمَ الْمُجَاهِدُونَ الْمَدِينَةَ نَفْسَهَا وَاقْتَحَمُوا نِصْفَهَا، وَتَهَيَّأَ النِّصْفُ الْآخِرُ لِلِاسْتِسْلَامِ لَوْلَا أَنْ حَدَّثَتْ مُفَاجَأَةً.

جَاءَ الْخَبْرُ أَنَّ الْقُوَاتِ الرَّوسِيَّةَ قَدْ عَبَرَتِ الْمَنَاطِقَ الْمَلْعُومَةَ وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

أُصْدِرَ «حَقَّانِي» وَأَمْرُهُ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ بِالْإِنْسِحَابِ فَوْرًا مِنَ الْوَادِي وَالصُّعُودِ إِلَى قِمَمِ الْجِبَالِ.

لَقَدْ بَدَأَتْ الْقُوَاتِ الرَّوسِيَّةُ حَمَلَةَ مُطَارَدَةِ شَرِسَةَ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَتْ الثَّلُوجُ قَدْ غَمَرَتْ الْمَنْطِقَةَ وَجَعَلَتْ حَيَاةَ الْمُجَاهِدِينَ لَا تَطَاقُ؛ فَلَيْسَ لَدَيْهِمْ مَرَاكِزُ إِيوَاءٍ، فَالطَّيْرَانُ يُطَارِدُهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالْهَيْلُوكِبَرُ تُوَجَّهُ نِيرَانِ الصَّوَارِيخِ وَالْمِدْفَعِيَّةِ. وَتَسَرَّبَ الْمُجَاهِدُونَ إِلَى خَارِجِ الْمَنْطِقَةِ، وَلَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا «حَقَّانِي» وَعَدَدٌ مَحْدُودٌ جِدًّا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ. وَانْتَشَرَتْ إِشَاعَةٌ بِأَنَّ الرَّوسَ سَوْفَ يَقُومُونَ بِعَمَلِيَّاتِ إِنْزَالِ خَلْفِ الْمُجَاهِدِينَ لِقَطْعِ طَرِيقِ اتِّصَالِهِمْ مَعَ بَاكِسْتَانَ. لَقَدْ كَانَتْ تَجْرِبَةٌ عَسِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ لـ «حَقَّانِي»، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ الْوَحِيدَةَ فِي حَيَاتِهِ مِنْ هَذَا النَّوعِ.

كَانَ سَبَبُ هَذَا الْإِنْقِلَابِ أَنَّ «خَالِدَ فَارُوقِي» تَرَكَ مَرَاكِزَهُ فَوْقَ الْجِبَالِ وَغَادَرَ الْمَنْطِقَةَ بِسَبَبِ الْبَرْدِ وَالثَّلْجِ وَبِدُونِ أَنْ يُخْطِرَ «حَقَّانِي» بِذَلِكَ. فَأَوْقَعَ بِذَلِكَ هَزِيمَةً مُؤَلِّمَةً بِالْمُجَاهِدِينَ وَأَضَاعَ عَلَيْهِمْ نَصْرًا لَا شَكَّ فِيهِ.

مِثْلَ هَذِهِ الْحَوَادِثِ تَكَرَّرَتْ بِشَكْلِ لَا يَتْرُكُ لَدَيْنَا شَكَّ فِي أَنَّهَا كَانَتْ مُرْتَبِطَةً بِالصَّرَاعَاتِ الْحِزْبِيَّةِ وَالْأَحْقَادِ الشَّخْصِيَّةِ، وَأَحْيَانًا بِأَمْرٍ مِنْ بَاكِسْتَانَ، كَمَا سَنَرَى تَفْصِيلًا فِي مُنَاسَبَاتٍ لَاحِقَةٍ سَوْفَ نَتَنَاوَلُهَا^(١).

إِنَّ رَفُضَ «فَارُوقِي» لِلاتِّفَاقِ آخَرَ الْمَعْرَكَةِ عَنْ مَوْعِدِهَا الْمُقَرَّرِ عِدَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى بَدَأَتْ فِي مَوْسِمِ الثَّلُوجِ الَّذِي لَا يُنَاسِبُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَيِّ شَكْلِ، وَلَكِنَّهُ يُنَاسِبُ الْعَدُوَّ بِشَكْلِ مِثَالِيٍّ.

وَتَارِيخِيًّا فَإِنَّ الرُّوسَ حُلَفَاءَ طَبِيعِيُونَ «لِلحِجْرَالِ ثَلْجٍ» أَيِّ لِلشَّتَاءِ. وَدِفَاعًا عَنْ بِلَادِهِمْ فَإِنَّهُمْ يُوَصِّلُونَ الْفِرَارَ أَمَامَ الْغَزَاةِ حَتَّى يَأْتِيَ الثَّلْجُ فَيَبْدَأُونَ هَجَمَاتِهِمْ الْمُعَاكِسَةَ، وَكَانُوا يَنْجَحُونَ، وَهَكَذَا هَزَمُوا «نَابُولِيُونَ» ثُمَّ «هَتَلَر».

وَنَرَى كَيْفَ أَنَّهُمْ هَاجَمُوا أَفْغَانِسْتَانَ فِي الشَّتَاءِ، وَهَاجَمُوا «حَقَّانِي» نَفْسَهُ فِي شِتَاءِ ١٩٨٧م - ١٩٨٨م. وَمُعْظَمُ - وَرُبَّمَا - كُلِّ مَهَامِهِمُ الْمُسْتَحِيلَةَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ حَقَّقُوهَا عَسْكَرِيًّا فِي الشَّتَاءِ. وَفِي لَحْظَةِ كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ ١٥/١٢/١٩٩٤م تَقُومُ الْقَوَاتُ الرُّوسِيَّةُ الْآنَ بِغَزْوِ جُمْهُورِيَّةِ الشَّيْشَانَ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ذُرُورَةِ فَصْلِ الشَّتَاءِ.

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «أَنْظُرُ كِتَابَ خِيَانَةِ عَلِيِّ الطَّرِيقِ».

إِنَّ الشِّتَاءَ عَدُوٌّ تَقْلِيدِيٌّ لِرِجَالِ الْعِصَابَاتِ؛ فَطُرُقُهُمُ الْبِدَائِيَّةُ تُعَلِّقُ بِالثُّلُوجِ، وَمَقَارُهُمْ فِي الْجِبَالِ وَالْغَابَاتِ تُصْبِحُ الْحَيَاةُ فِيهَا صَعْبَةً لِلْغَايَةِ. وَتَنْقُلُهُمْ عَلَى الْأَقْدَامِ وَالذَّوَابِّ صَعْبٌ وَيَسْهُلُ اكْتِشَافُهُ. كَذَلِكَ فَإِنَّ أَيَّ نَشَاطٍ عَسْكَرِيٍّ لَهُمْ فِي مَنْطِقَةٍ مَا سَوْفَ يُجَابُهُ بَرْدَةٌ فِعْلٍ مِنَ الْعَدُوِّ تَتَمَثَّلُ كَالْعَادَةِ فِي قِصْفِ الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ.

وَفِي ظُرُوفِ الشِّتَاءِ فَإِنَّ هِجْرَةَ السُّكَّانِ وَلُجُوءَهُمْ إِلَى الْجِبَالِ الْقَرِيبَةِ أَوْ النُّزُوحِ إِلَى قُرَى أُخْرَى مَسْأَلَةٌ غَايَةُ الصُّعُوبَةِ، يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مَآسٍ لَا تُحْتَمَلُ، قَدْ تَوَدَّيَ إِلَى انْقِلَابِ السُّكَّانِ وَإِلَى مُقَاوَمَتِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ عَسْكَرِيًّا وَبِنَشَاطٍ، أَوْ إِلَى تَفْرِيعِ الْمَنْطِقَةِ نَهَائِيًّا مِنَ السُّكَّانِ، أَيَّ نَجَاحِ سِيَاسَةِ الْأَرْضِ الْمَحْرُوقَةِ الَّتِي يَتَّبِعُهَا الْعَدُوُّ فِي حَرْبِ الْمُجَاهِدِينَ لِحِرْمَانِهِمْ مِنْ مُسَانَدَةِ السُّكَّانِ.

لَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ قُوَّاتِ الْعِصَابَاتِ لَا تَعْمَلُ فِي الشِّتَاءِ، وَلَكِنْ يَعْنِي أَنَّهَا لِكَيْ تَقَاتِلَ فِي الشِّتَاءِ فَإِنَّ الْمَجْهُودَ الْإِدَارِيَّ اللَّازِمَ لِذَلِكَ هُوَ مَجْهُودٌ فَائِقُ الصَّخَامَةِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى إِعْدَادٍ طَوِيلٍ دَقِيقٍ وَمُكَلَّفٍ.

لِهَذَا فَالْعِصَابَاتُ الرُّوسِيَّةُ الَّتِي قَاتَلَتْ الْأَلْمَانَ كَانَتْ مَدْعُومَةً بِقُوَّةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي سَحَّرَتْ كُلَّ إِمْكَانَاتِهَا خَلْفَ تِلْكَ الْمَجْمُوعَاتِ، وَاسْتَخْدَمَتْ فِي إِمْدَادِهَا الطَّائِرَاتِ الَّتِي أَسْقَطَتْ عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ وَالذَّخَائِرَ، وَحَتَّى الضُّبَّاطَ الْمُخْتَصِّصِينَ وَالْأَمْوَالَ وَالْمَلَابِسَ الشُّتَوِيَّةَ.

أَرْسَلَ الشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» مَجْمُوعَةً مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ مَعَ مَعُونَاتٍ إِلَى «حَقَّانِي» فِي «الْأُورْجُون» فِي أَوَّلِ حَادِثَةٍ مِنْ نَوْعِهَا حَسَبَ مَعْلُومَاتِي، وَكَانَتْ مُشْكِلَةً «أُورْجُون» قَدْ دَخَلَتْ عَامَ ١٩٨٤ مَ عَبْرَ بَوَائِبِهِ الشُّتُوبِيَّةِ. لَمْ يَتَلَقَّ «حَقَّانِي» مِنَ الْإِتِّحَادِ غَيْرَ نِصْفِ الْمِثْيُونِ الْمَذْكُورِ سَابِقًا. وَثَبَاتُهُ فِي «الْأُورْجُون» لَفَتَ إِلَيْهِ الْأَنْظَارَ، خَاصَّةً وَأَنَّ الْإِتِّحَادَ وَ«سَيَّاف» كَانُوا يُشِيعُونَ عَنْ الْمَعْرَكَةِ أَنَّهَا اتِّحَادِيَّةٌ. وَكَانَ الْحَدِيثُ عَنْ «حَقَّانِي» يَقْتَرِنُ بِالْجَبَهَاتِ وَالْقِتَالِ، وَالْكَلامُ عَنْ «سَيَّاف» يَقْتَرِنُ بِالْحَدِيثِ عَنْ «بِيشَاوَر» وَمَشَاكِلِ الْأَحْزَابِ.

وَقَدْ خَرَجَ «حَقَّانِي» مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَهُوَ يَتَبَنَّى مَوْقِفًا أَكْثَرَ تَحْدِيدًا حَوْلَ الْإِتِّحَادِ وَدَوْرِهِ وَضُرُورَةِ ارْتِبَاطِهِ بِالْجَبَهَةِ وَالْقِتَالِ، وَأَنَّ مَا يَعْنِيهِ بِكَلِمَةِ الْإِتِّحَادِ لَا يُقْصَدُ مِنْهَا «بِيشَاوَر» بِقَدْرِ مَا تَعْنِي أَفْغَانِسْتَانَ.

ذَهَبَ عَدَدٌ كَبِيرٌ نِسْبِيًّا - بِمَعَايِيرِ ذَلِكَ الْوَقْتِ - إِلَى «الْأُورْجُون»، وَإِنْ كَانَ عَلَى شَكْلِ مُبْعَثٍ، وَلَكِنَّهُ بُشْرَى لِلْعَيْثِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي سَوْفَ يَنْهَمِرُ عَلَى الْجَبَهَاتِ. وَعَدَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَهَبُوا لِلنَّجْدَةِ «حَقَّانِي» كَانُوا مِنْ أَفْضَلِ مَنْ مَارَسَ الْعَمَلَ الْعَسْكَرِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَوْسَاطِ الْعَرَبِ. وَالتَّفَاتُ الشَّيْخِ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» إِلَى مَعَارِكِ «الْأُورْجُون» وَقَائِدِ مُقَاتِلٍ مِثْلَ «حَقَّانِي» وَدَعْوَتُهُ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ كَانَتْ بَادِرَةً عَفْوِيَّةً تَحَوَّلَتْ بَعْدَ أَشْهُرٍ إِلَى سِيَاسَةٍ ثَابِتَةٍ تَتَوَجَّهُ نَحْوَ

الدَّخِلِ بِوَأَسْطَةِ «مَكْتَبِ الخَدَمَاتِ».

وَكَانَ بَرْنَامِجُ «حَقَّانِي» الَّذِي سَاعَدْتُهُ فِي صِيَاغَتِهِ عَلَى شَكْلِ مَشْرُوعِ تَمَّ تَوَازِيهِ عَلَى الْمُهِتَمِّينَ بِالْجِهَادِ فِي مَنَاطِقِ الخَلِيجِ. وَقَدْ وَصَلَ إِلَى الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» وَإِلَى «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنٍ» أَيْضًا.

كَانَ مَشْرُوعًا نَبَتْهُ القَوِيَّةُ وَبَلُورَتُهُ جَاءَتْ عَلَى أَضْوَاءِ اللَّهَبِ المُنْبِعِثِ مِنْ «الأُورْجُونِ»، وَإِشَارَاتِ الخَطَرِ الَّتِي انْبَعَثَتْ مِنْ هُنَاكَ، بَلْ وَإِشَارَاتِ النَّصْرِ المُحْتَمَلِ أَيْضًا. العَدُوُّ قَابِلٌ لِلْهَزِيمَةِ، وَلَكِنَّا نَعْمَلُ بِشَكْلِ مَأْسَاوِيٍّ، [كَانَ هَذَا هُوَ] مُلَخَّصُ الدُّرُوسِ الَّتِي تَلَقَّيْنَاهَا فِي «الأُورْجُونِ».

عِنْدَمَا غَادَرْنَا «تَمِيمَ العَدْنَانِيَّ» إِلَى «بِيشَاوَرٍ» ثُمَّ عَادَ إِلَى «بِلَادِ العَرَبِ» سَجَّلَ شَرِيطًا عَنْ رِحْلَتِهِ. اسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ، وَقَدْ هَزَّنِي الشَّرِيطُ رُغْمَ أَنَّهُ لَمْ يُضِفْ إِلَيَّ أَيَّ مَعْلُومَةٍ جَدِيدَةٍ. وَلَكِنَّ بَرَّةَ الإِخْلَاصِ وَالنِّقَاءِ وَالحَمَاسِ جَعَلْتَنِي أَبْكِي وَأَنَا أَسْمَعُهُ. حَدَّثَ لِي هَذَا وَأَنَا أَعْلَمُ الجَانِبَ الأَخَرَ مِنْ الصُّورَةِ، جَانِبَ الفَسَادِ وَالتَّامُرِ وَالخِيَانَةِ وَالصَّعْفِ البَشَرِيِّ وَالقُصُورِ العَمَلِيَّةِ. أَيُّ تِلْكَ الجَوَانِبِ الَّتِي لَا يُحِبُّ المُسْلِمُ بِفِطْرَتِهِ أَنْ يَعْلَمَهَا أَوْ أَنْ يُحَدِّثَ عَنْهَا أَحَدًا. فَمَاذَا يَحْدُثُ لِلْمُسْلِمِ البَعِيدِ عَنِ الحَدِيثِ وَهُوَ يَسْمَعُ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّرِيطِ؟

وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ اسْتَمَعْتُ إِلَى شَرِيطٍ يَحْكِي عَنْ تَوَاجُدِ مُجَاهِدِينَ عَرَبٍ فِي

أَفْغَانِسْتَانَ. فِعْلًا كَانَ الْعَيْثُ الْعَرَبِيُّ عَلَى وَشِكِّ أَنْ يَنْهَمَرَ تَارِكًا خَلْفَهُ أَغْلَالَ
التَّرْدُّدِ وَالْخَوْفِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمِيَاهَ الطَّاهِرَةَ عَلَى أَيِّ الْأَرْضِي سَوْفَ تَمُرُّ؟
وَمَنْ سَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا؟ الْمُنْظَمَاتُ وَالْأَحْزَابُ؟ الْأَمْجَادُ الشَّخْصِيَّةُ وَالتُّجَّارُ
وَالسَّمَّاسِرَةُ؟ أَمْ الْإِسْلَامُ وَالْأُمَّةُ الَّتِي تَحْتَضِرُ تَحْتَ أُحْدِيَةِ الْيَهُودِ
وَالصَّلِيبِيِّينَ؟.

كُنْتُ أَرَى «بِيشاور» بِفَسَادِهَا وَقَدْ فَعَرْتُ فَهَا لَتَبْتَلَعَ آمَالَ الْأُمَّةِ وَشَبَابَهَا
وَأُمُومِهَا وَدِمَاءَ أَبْنَائِهَا. وَكُنْتُ أَفْرَعُ وَأَنَا أَرَى قِيَادَاتِ الْعَمَلِ الشَّعْبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ
تَنْدَفِعُ وَتَأْخُذُ مَعَهَا الْأُمَّةُ إِلَى ذَلِكَ الْفَمِ الْمُنتَنِ الْفَاغِرِ فِي «بِيشاور». بَلْ -
وَهَذَا هُوَ الْأَذْهَى - أَنْ كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الْقِيَادَاتِ تَجَهَّزَتْ هِيَ الْأُخْرَى لِالْتِقَاطِ
بَعْضِ الْعِظَامِ الْمُتَبَقِّيَّةِ مِنْ تِلْكَ الْمَائِدَةِ الْآئِمَّةِ كَيْ تَبْنِي لِنَفْسِهَا صَرْحًا أَرْضِيًّا
وَضِيْعًا.

شَعَرْتُ فِي هَذَا الْعَامِ أَنَّهُ مِنْ «الْأَوْزْجُون» بَدَأَتْ انْعِطَافَةٌ جَدِيدَةٌ وَمَسَارَاتٌ
جَدِيدَةٌ، لَيْسَ مَعِيَ فَقَطْ بِالْمَشْرُوعِ الْعَسْكَرِيِّ الْوَلِيدِ، وَلَيْسَ بِقُدُومِ «تَمِيمِ
الْعَدْنَانِيِّ» بِطَاقَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ، وَلَيْسَ بِالشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّام» وَلَفْتَتِهِ الْمُؤَفِّقَةَ إِلَى
الْجَبَّهَاتِ. لَيْسَ بِهَذَا كُلِّهِ فَقَطْ، بَلْ إِنَّ مُجْمَلَ الْأَحْدَاثِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ
وَالسِّيَاسَةَ الدُّوَلِيَّةَ إِزَاءَ مَا يَحْدُثُ فِيهَا قَدْ بَدَأَتْ تَدْخُلُ مُنْعَطَفًا آخَرَ.



مَعَ «رَبَّانِي» فِي «وَأَنَا»:

كَمَا أَنَّ الْجَبْهَةَ هِيَ أَفْضَلُ مَكَانٍ لِقَضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَذَلِكَ فَإِنَّ أُمَّتَ أَيَّامِ الْعِيدِ تَكُونُ هُنَاكَ، خَاصَّةً إِذَا لَمْ يُهَاجِمِ الْعَدُوُّ. قَضَيْنَا يَوْمَيْنِ مِنَ الْمَرَحِ وَمُسَابَقَاتِ الرِّمَاطِ. وَبِمَا أَنَّنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْفِكْرَةِ فَقَدْ اضْطُرَرْتُ إِلَى تَمْوِيلِ بَرَامِجِ الْجَوَائِزِ. اسْتَطَعْنَا الْحُصُولَ عَلَى بَعْضِ الْبَيْضِ وَالْحَلْوَى الْمَخْزُونَةِ مُنْذُ الْعَهْدِ الْمَلَكِيِّ. وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنْ أَقُولَ أَيْضًا أَنَّ الْجَبْهَةَ هِيَ أَفْضَلُ مَكَانٍ تَكْشِفُ فِيهِ أَنْ حَتَّى أَبْشَعَ الْمَأْكُولَاتِ الَّتِي تَرْفُضُهَا فِي حَيَاتِكَ الْعَادِيَّةِ تَجِدُهَا أَشْهَى مِنْ طَعَامِ الْمُلُوكِ.

وَدَعْتُ الْجَمِيعَ، مُودِّعًا ذَلِكَ الْجَوَّ الْقُدْسِيَّ، مُتَقِبًا بِكُلِّ أَسَى نَحْوِ «بِشَاوَر» ثُمَّ بِلَادِ الْعَرَبِ. كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقَابِلَ «حَقَّانِي» فِي مَدِينَةِ «مِيرَانشَاه». وَأَتَى مَعِيَ أَيْضًا مَوْلَايَ «مُحَمَّدَ حَسَنَ» لِتَعْزِيَةِ «حَقَّانِي» الَّذِي تُوفِّيتُ أُخْتَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقَدْ تَرَكَ الْجَبْهَةَ فَجَاءَهُ عِنْدَمَا عَلِمَ بِحَالَتِهَا وَحَضَرَ وَفَاتَهَا، وَمَا أَكْثَرَ الْحَالَاتِ الَّتِي تَلْقَى فِيهَا «حَقَّانِي» التَّعَازِي.

«وَأَنَا» مَدِينَةُ جَبَلِيَّةٌ، وَهِيَ عَاصِمَةُ الْجُزْءِ الْجَنُوبِيِّ لِمَنْطِقَةِ «وَزِيرِ سْتَانَ» الْحُدُودِيَّةِ، كَمَا أَنَّ «مِيرَانشَاه» هِيَ عَاصِمَةُ الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ. وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا تَقْطَعُهَا السَّيَّارَةُ الْعَادِيَّةُ فِي ثَمَانِ سَاعَاتٍ.

قَضَيْنَا اللَّيْلَةَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ رِيفِيٍّ ضَخْمٍ يَمْلِكُهُ أَحَدُ الْأَفْغَانَ، وَيَسْتَضِيْفُ

فِيهِ الْمُجَاهِدِينَ أَثْنَاءَ عُبُورِهِمْ رُغْمَ أَنْ أَكْثَرَ الْأَحْزَابِ افْتَتَحَتْ لَهَا بُيُوتًا خَاصَّةً فِي الْمَدِينَةِ. جَلَسْنَا فِي غُرْفَةِ الضِّيَافَةِ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى سَمِعْنَا طَلَقَاتٍ غَزِيرَةً تَمَلَأُ السَّمَاءَ نُورًا وَالْأَرْضَ ضَجِيجًا. «لَقَدْ وَصَلَ الْأُسْتَاذُ رَبَّانِي»، هَكَذَا أَخْبَرَنَا مُضِيفُنَا. وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقٌ حَتَّى وَجَدْتُ الرَّجُلَ يَجْلِسُ إِلَى يَسَارِي هَادِنًا وَفُورًا خَفِيضَ الصَّوْتِ. رَحَّبْتُ بِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ فَفَرِحَ كَثِيرًا لِكَوْنِي عَرَبِيًّا؛ فَلَمْ يَكُنْ هَذَا وَارِدًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَيْ وَجُودِ الْعَرَبِ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ، وَأَنْدَهَشَ أَكْثَرَ عِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّي قَادِمٌ مِنْ «الْأُورْجُونِ». وَبَدَأَ بَيْنَنَا حَدِيثٌ طَوِيلٌ.

وَبِمَا أَنَا نَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ فِي بَيْتِ طِينِيٍّ وَفِي مَنْطِقَةِ قَبَلِيَّةِ نَائِيَّةٍ تَهَبُّ عَلَيْهَا نَسَمَاتُ الْجِهَادِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانِ، فَقَدْ تَخَيَّلْتُ أَنَّهُ حَدِيثٌ مِنَ الْقَلْبِ، خَاصَّةً أَنَّ الرَّجُلَ فَاجَأَنِي بِكَمِّيَّةٍ مِنَ الصَّرَاحَةِ وَ«النَّقْدِ الذَّاتِي» لَمْ أَتَوَقَّعْهَا أَوْ أُطْلَبَهَا مِنْهُ.

انْتَقَدَ «رَبَّانِي» الْعَرَبَ وَتَدَخَّلَهُمْ غَيْرَ الْمَدْرُوسِ فِي شُؤْنِ الْأَفْغَانِ، وَأَنَّهُمْ يُسَبِّبُونَ مِنَ الْأَضْرَارِ أَكْثَرَ مِمَّا يُقَدِّمُونَ مِنَ الْفَوَائِدِ. وَأَنَّ الْإِتِّحَادَ غَيْرَ قَائِمٍ عَمَلِيًّا، وَأَنَّ الْمَشَاكِلَ بَيْنَ الْمُنْظَمَاتِ تَتَفَاقَمُ بِسَبَبِ مُحَاوَلَاتِ الْعَرَبِ فَرَضَ «سَيَّافٌ» زَعِيمًا لِلْإِتِّحَادِ، وَقَالَ: «نَحْنُ فَاشِلُونَ وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُدِيرَ مَكْتَبًا فِي «بِشَاوَر»، فَكَيْفَ نُدِيرُ دَوْلَةً فِي أَفْغَانِسْتَانِ؟!».

مَا زَالَتْ جُمْلَتُهُ تِلْكَ تَدُورُ فِي ذِهْنِي وَأَنَا أَشَاهِدُ مَا يَفْعَلُهُ الْآنَ فِي «كَابُلِ»

كَرَّيسٍ لِلدَّوْلَةِ هُنَاكَ، وَكَيْفَ أَنَّهُ اسْتَبَقَى كُلَّ الشُّيُوعِيِّينَ الْمُتَّبِعِينَ مِنْ حُطَامِ
النِّظَامِ السَّابِقِ، وَاسْتَخْدَمَهُمْ فِي نَفْسِ مَوَاقِعِهِمْ فِي قِيَادَةِ الْجَيْشِ وَالدَّوْلَةِ.
وَكَيفَ أَنَّهُ يَتَحَالَفُ بِشَكْلِ كَامِلٍ مَعَ بَقَايَا جَنَاحِ «بَارَشَام» الشُّيُوعِيِّ، بَيْنَمَا
يَتَحَالَفُ غَرِيمُهُ وَرَرَّيسُ وَرَرَّائِهِ «حِكْمَتِيَار» مَعَ جَنَاحِ «خَلْق» الشُّيُوعِيِّ.

وَاصْلَنَا الْمَسِيرَ نَحْوَ «مِيرَانشَاه» وَسَطَ مَنْطِقَةِ الْقَبَائِلِ فِي رِحْلَةِ طَرِيفَةٍ لَا
تَنْقُصُهَا الْإِثَارَةُ. الْمَنْطِقَةُ مَحْظُورَةٌ عَلَى الْأَجَانِبِ - مِنْ أُمَّثَالِي - وَمَحْظُورَةٌ
حَتَّى عَلَى الْبَاكِسْتَانِيِّينَ مِنْ غَيْرِ أُنْبَاءِ الْمَنْطِقَةِ بِدُونِ تَصْرِيحٍ رَسْمِيِّ مِنْ
الْجِهَاتِ الْمُخْتَصَّةِ. نَقَاطُ التَّفْتِيشِ كَثِيرَةٌ يُدِيرُ مُعْظَمَهَا مِيلِيشِيَاتٌ قَبَلِيَّةٌ،
وَبَعْضُهَا حَرَسُ حُدُودٍ، كَانَتْ تُثِيرُ الرُّعْبَ فِي نَفُوسِ أُمَّثَالِي. فَلَوْ أَنَّهُمْ اِكْتَشَفُوا
هُوَئَيْتِي لَكَانَتْ سِلْسِلَةٌ مِنَ الْمَتَاعِبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ. فَهُنَاكَ سُجُونٌ
وَتَحْرِيَّاتٌ وَرَشَاوَى وَسَرِقَاتٌ... الخ، حَيْثُ يَخْتَلِطُ الْقَانُونُ بِالْفَسَادِ الْإِدَارِيِّ
بِالْهَمْجِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ بِالْعَوَامِلِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَوَاقِفِ الْمُتَبَايِنَةِ إِزَاءَ الْجِهَادِ، فَهُنَاكَ
أَعْدَاءٌ مُتْرَبِّصُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، خَاصَّةً فِي مَنَاطِقِ الْقَبَائِلِ الَّتِي تَبِيعُ وَلَاءَهَا فِي
مَوَاسِمَ مُتَغَيِّرَةٍ.

وَفِي دَاخِلِ أَجْهَرَةِ الدَّوْلَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ كُنَّا نَخْشَى أَتْبَاعَ «بُوتُو» الْمُتَشَرِّينَ
هُنَا وَهُنَاكَ، وَيُضْمِرُونَ أَشَدَّ الْعَدَاءِ لِلْمُجَاهِدِينَ وَالْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ نِظَامٌ
«ضِيَاءَ الْحَقِّ» قَدْ اسْتَأْصَلَ هُوَ لَاءٌ، وَلَكِنَّهُ اسْتَبَعَدَ رُمُوزَهُمُ الْكَبِيرَةَ، حَتَّى

تَبَدَّلَتِ الظُّرُوفُ السِّيَاسِيَّةُ وَاغْتَبِيلَ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» وَعَادَ هُوَ لِإِحْكَامِ بَاكِسْتَانَ فِي «عَهْدِهَا الدِّيْمُوقَرَاتِي» لِيَذُوقَ الْإِسْلَامِيُونَ طَعْمَ الْعَلَقَمِ فِي انْتِظَارِ الْمَذَابِحِ وَالسُّجُونِ.

كَانَ يَقُودُ السِّيَارَةَ مَوْلَوِي «مُحَمَّدَ حَسَنَ» الَّذِي تَعَلَّمَ مِنْذُ أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ دَاخِلَ الْجَبْهَةِ كَيْفَ يَقُودُ السِّيَارَةَ. الطَّرِيقُ الْجَبَلِيَّةُ تُضِحُّ خَطِرَةً أحيانًا، وَشَيْخُنَا مُتَوَكِّلٌ دَائِمًا عَلَى اللَّهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا بِدَلِيلِ أَنَّ اللَّهَ أَنْجَانَا رُغْمَ سِيَافَتِهِ الْخَطِيرَةِ. شَعَرَ الشَّيْخُ بِالتَّعَبِ فَنَظَرَهُ ضَعِيفٌ رُغْمَ النِّظَارَةِ الَّتِي يَلْبَسُهَا، وَظَهَرَهُ يُؤَلِّمُهُ بِسَبَبِ عِرْقِ النَّسَا الَّذِي يَضْرِبُهُ بِمَوْجَاتِ أَلَمٍ مُبَاغِتَةٍ وَمُوجِعَةٍ. لَمْ يَكُنْ فِي السِّيَارَةِ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْقِيَادَةَ غَيْرِي، وَكَيْفَ أَقُودُ وَأَنَا عَرَبِيٌّ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ أُخْتَبَى بَيْنَ الرُّكَّابِ حَتَّى لَا يَفْتَضِحَ أَمْرِي؟. «تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»، أَمَرَنِي الشَّيْخُ الْمَرِيضُ وَلَمْ يَكُنْ أَمَامِي بُدٌّ مِنْ إِطَاعَةِ الْأَمْرِ.

وَاتَّبَعْنَا أُسْلُوبًا سَهْلًا وَلَكِنَّهُ نَاجِحٌ. جَلَسَ الشَّيْخُ إِلَى جَانِبِي بِعِمَامَتِهِ الصَّخْمَةِ بَيْنَمَا أَرْتَدِي أَنَا قُلُنْسُوءَةً أَفْغَانِيَّةً أَكْبَسُهَا عَلَى رَأْسِي حَتَّى الْحَاجِبِينَ. وَكَلَّمَا مَرَرْنَا عَلَى حَاجِزِ بَادِرِهِمُ الشَّيْخُ بِالْقَاءِ السَّلَامِ وَرَفَعَ يَدَهُ بِالتَّحِيَّةِ. فَبَدَا كَأَنَّهُ مِنْ زُعَمَاءِ الْقَبَائِلِ الْمَعْرُوفِينَ فِي الْمَنْطِقَةِ لِأَنَّهُ تَصَرَّفَ بِالْفَقَّةِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّنِي سَائِقُهُ الْخَاصُّ، فَيَبَادِرُونَ فَوْرًا إِلَى فَتْحِ الطَّرِيقِ بِدُونِ إِلْقَاءِ الْأَسْئَلَةِ، وَمَا أَنْ نُغَادِرَ الْمَوْقِعَ حَتَّى يَضْحَكَ «مُحَمَّدَ حَسَنَ» مِنْ قَلْبِهِ

وَيَضْرِبُنِي عَلَى كَتْفِي قَائِلًا: «هَذِهِ بَرَكَاتُ الْجِهَادِ يَا شَيْخَ».

فِي نَفْسِ لَيْلَةٍ وَصُورِنَا إِلَى «مِيرَانشَاه» قَابَلَنَا «حَقَّانِي» الَّذِي تَحَدَّثَ مَعَنَا بِطَرِيقَتِهِ الْمَعْهُودَةِ عِنْدَمَا تُدَاهِمُهُ الْأَحْدَاثُ الشَّدِيدَةُ، لَا يَبْتَسِمُ مُطْلَقًا، يَتَكَلَّمُ بِهُدُوءٍ وَتَرَكِيزٍ شَدِيدٍ. كُنْتُ أَعْطُهُ عَلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ. كَانَ يَصْعُجُ جِدَارًا مِنْ الصُّلْبِ الْبَارِدِ بَيْنَ عَقْلِهِ وَبَيْنَ عَوَاطِفِهِ. قَدَّمْنَا لَهُ التَّعَاذِي أَوَّلًا، ثُمَّ الشَّكْلَ النَّهَائِيَّ لِلْعَرَضِ الَّذِي سَوْفَ أَقْدُمُهُ لـ «سَيَّاف». فَقُلْتُ لَهُ: «أَوَّلًا: إِنَّ الْمَشْرُوعَ اتِّحَادِيَّ فِي الْأَسَاسِ، فَهَذِهِ فُرْصَةٌ لِتَقْوِيَةِ الْإِتِّحَادِ، وَجَعَلِهِ اتِّحَادًا جَدِيدًا يَتَوَلَّى مَشَارِعًا جِهَادِيَّةً حَقِيقِيَّةً. ثَانِيًا: أَنْ تَتَوَلَّى شَخْصِيَّةً إِسْلَامِيَّةً مَعْرُوفَةً وَمَقْبُولَةً وَمُحْتَرَمَةً وَجِهَادِيَّةً الْإِشْرَافَ الْمَالِيَّ وَالْإِدَارِيَّ عَلَى الْمَشْرُوعِ. هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ تَتَوَلَّى الدَّعْوَةَ إِلَى الْمَشْرُوعِ وَجَمَعَ التَّبَرُّعَاتِ لَهُ وَالْإِتِّفَاقَ مَعَ الْكَفَاءَاتِ الْفَنِّيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ كَيْ تَقْدَّمَ خِدْمَاتِهَا لِلْمَشْرُوعِ، وَلَا أَجِدُ مَنْ تَتَوَفَّرُ فِيهِ تِلْكَ الصِّفَاتِ غَيْرَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّام». ثَالِثًا: وَجُودٌ مِثْلَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ يَضْمَنُ «إِسْلَامِيَّةً» الْمَشْرُوعَ وَيَنْجُو بِهِ مِنَ الْحِزْبِيَّةِ؛ فَهُوَ سَيَضْمَنُ مُشَارَكَةَ الْكَفَاءَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي الْمَشْرُوعِ أَيَّا كَانَ انْتِمَاؤُهَا الْحِزْبِيَّ. كَذَلِكَ يَضْمَنُ تَوْزِيعَ إِنتَاجِ الْمَشْرُوعِ وَفَوَائِدِهِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَهْمَا كَانَتْ أَحْزَابُهُمْ أَوْ مَنَاطِقُهُمْ».

وَإِقْنَنِي «حَقَّانِي» عَلَى كُلِّ مَا قُلْتُ، بَلْ إِنَّهُ تَحَمَّسَ بِشِدَّةٍ وَقَالَ: «هَذَا أَهَمُّ

مَشْرُوعٍ فِي مَرَحَلَتِنَا الرَّاهِنَةِ، وَقَدْ كُنْتُ عَلَى وَشِكِّ التَّحَرُّكِ نَحْوَ «الأُورْجُونِ»،
وَلَكِنْ سَوْفَ أُرْجِي ذَلِكَ حَتَّى تَتَّصِلَ مَعِ «سَيَّافٍ» وَتُخْبِرَنِي تِلْفُونِيًّا بِالتَّيَجَّةِ.

زَادَنِي كَلَامُهُ حَمَاسًا حَتَّى طَارَ مِنْ عَيْنِي النَّوْمُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَتَحَرَّكَتُ مَعِ
أَوَّلِ صَوءٍ نَحْوِ «بِيشاور».



مَعَ أَمِيرِ البَطَّاطِينِ فِي «بِيشاور»:

لَمْ يَعدُ مِنَ السَّهْلِ مُقَابَلَةَ «سَيَّافٍ». مَضَتْ تِلْكَ الأَيَّامُ الَّتِي كَانَ فِيهَا اللِّقَاءُ
سَهْلًا لَا يَكَادُ يَقْطَعُهُ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَهِي كُلُّ مَا نَرَعُبُ فِي قَوْلِهِ، وَهُوَ كَثِيرٌ. الآنَ،
كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَقْدِ عِدَّةِ مَوَاعِيدَ مَعَ نَائِبِهِ «أَحْمَدُ شَاهٍ» يَعْقُبُهَا اعْتِدَارٌ أَوْ إِخْلَافٌ
لِلْمَوْعِدِ؛ فَالرَّجُلُ مَشْغُولٌ جِدًّا.

عَشْرَاتُ الصُّيُوفِ العَرَبِ حَضَرَتْ تَبَارِكُ وَتُبَاعِعُ، وَتَدْفَعُ. لَمْ تَعدُ
مَجْمُوعَتُنَا الصَّغِيرَةُ فِي الإِمَارَاتِ هِيَ كُلُّ شَيْءٍ، عَشْرَاتُ المَجْمُوعَاتِ مِثْلُنَا،
بَلْ أَكْثَرُ جَمْعًا وَأَمْوَالًا وَنَشَاطًا. تُوزَعُ الأَشْرِطَةُ، تُلقَى الخُطْبَةُ فِي التَّجْمَعَاتِ
الْخَاصَّةِ وَرُبَّمَا المَسَاجِدِ. تَجْمَعُ الأَمْوَالُ وَتُرْسَلُ مَنْدُوبَهَا إِلَى «بِيشاور» كَيْ
يُبَاعِعَ، وَيَدْفَعُ.

اكتَشَفْتُ بِسُهُولَةٍ أَنَّ مَجْمُوعَتَنَا هِيَ الأَقْلُ قُدْرَةً عَلَى جَمْعِ الأَمْوَالِ.

وَأَشْرِطَةُ «سَيَّاف» الَّتِي كُنَّا نَطْبَعُهَا وَنُوزِّعُ الْمِثْمَاتَ مِنْهَا سِرًّا أَصْبَحَتْ تُطْبَعُ بِالْآلَافِ، وَإِلَى جَانِبِهَا شَرَائِطُ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّام» وَ «تَمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ»، وَتَبَاعُ عَلْنَا عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَ «الْمَكْتَبَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ». تَكَثَّفَ النَّشَاطُ الْإِخْوَانِيُّ، وَحَتَّى هُمْ لَمْ يَعُودُوا عُظْمَاءَ الْمَيْدَانِ الْوَحِيدِينَ؛ فَقَدْ دَخَلَتْ مَجْمُوعَاتٌ لَا حَصْرَ لَهَا.

وَبَرَزَ «السَّلْفِيُّونَ» عَلَى السَّاحَةِ كَيْ يُنَافِسُوا «الْإِخْوَانَ»، بَلْ وَيَتَمَوَّقُونَ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً فِي السُّعُودِيَّةِ، فِي مَجَالِ جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالِدَّعَايَةِ لِلجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ وَلِـ «سَيَّاف» «أَمِيرِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ»، ذَلِكَ اللَّقْبُ الضَّخْمُ الْمَهِيْبُ.

تَصَادَفَ وَجُودُ «سَيِّدِ أَحْمَدِ شَاه» صَدِيقِنَا الْقَدِيمِ مِنْ «أَبُو ظَبْيِي» الَّذِي أَدْخَلْنَا سَاحَةَ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هُوَ وَوَالِدُهُ «سَيِّدُ مُحَمَّدِ طَاهِرٍ». جَاءَ مَنُذُوبًا عَنْ مُجَاهِدِي «هَيْرَات» مَسْقُطِ رَأْسِهِ كَيْ يُدَافِعَ عَنْ حُقُوقِهِمْ وَيُطَالِبُ لَهُمْ بِالسَّلَاحِ وَالْأَمْوَالِ. كَانَ يَحْمِلُ أَطْنَانًا مِنْ الشَّكََاوَى ضِدَّ الْأَحْزَابِ وَإِهْمَالِهَا لِمَنْطِقَةِ غَرْبِ أَفْغَانِسْتَانَ. السَّلَاحُ هُنَاكَ قَلِيلٌ وَهُنَاكَ حَاجَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ.

لَقَدْ أَخَذَ إِذْنَا مِنْ «حَقَانِي» وَ «يُونُسِ خَالِصِ» وَ «سَيَّاف» لِأَن يَتَفَرَّغَ هُوَ لِمُسَاعَدَةِ مُجَاهِدِي الْغَرْبِ وَرِعَايَةِ مَصَالِحِهِمْ فِي «بِيشَاوَر» وَجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ

لَهُمْ مِنَ الْإِمَارَاتِ وَغَيْرِهَا. قَالَ أَنَّهُ حَصَلَ عَلَى كَلَامٍ جَيِّدٍ مِنْ «سَيَّافٍ» وَ «خَالِصٍ» وَلَكِنْ لَا شَيْءَ تَمَّ حَتَّى الْآنَ. «خَالِصٍ» اعْتَدَرَ بِضَيْقِ ذَاتِ الْيَدِ وَلَكِنَّهُ خَصَّصَ أَسْلِحَةً وَذَخَائِرَ وَتَرَكَ لـ «سَيِّدِ أَحْمَدٍ» مَشَاكِلَ نَقْلِهَا وَتَدْيِيرِ الْمَالِ اللَّازِمَ لِذَلِكَ، وَكَيْسَ هُنَاكَ سِوَى الْإِتِّحَادِ وَ «سَيَّافٍ». وَلَكِنَّهُ يَجِدُ أَنَّ اللَّقَاءَ مَعَ «سَيَّافٍ» مُعْضَلَةٌ؛ فَهُوَ مُنْذُ أُسْبُوعَيْنِ يَتَلَقَّى مِنْهُ الْمَوَاعِيدُ وَلَا يَجِدُ مِنْهُ الْوَفَاءَ. ضَحِكَ قَائِلًا: «إِنَّ «سَيَّافٍ» رَيْسُكُمْ أَنْتُمْ الْعَرَبَ وَكَيْسَ رَيْسَ الْأَفْغَانَ، كُنَّا غَاضِبُونَ عَلَيْهِ، أَنْتُمْ فَقَطْ تَتَّخِذُونَهُ زَعِيمًا وَتَمُدُّونَهُ بِأَمْوَالٍ طَائِلَةٍ لَا يَصِلُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْهَا شَيْءٌ».

أَغْضَبَنِي كَلَامُهُ كَثِيرًا حَتَّى أَنْبِي رَفَعْتُ صَوْتِي بِالصِّيَاحِ وَأَسْمَعْتُهُ كَلَامًا جَارِحًا مِثْلَ: «أَنْتُمْ الْأَفْغَانُ شَعْبٌ مُتَمَرِّدٌ وَلَا يَصْلُحُ مَعَكُمْ حَاكِمٌ صَالِحٌ، بَلْ لَا يُنَاسِبُكُمْ إِلَّا مُسْتَبِدٌّ ظَالِمٌ مِثْلَ «طَرْقِي» وَ «كَارْمِلٍ». لِمَاذَا لَا تُعْطُوا الرَّجُلَ فُرْصَةً وَتَتَعَاوَنُوا مَعَهُ بَدَلًا مِنْ تَحْطِيمِهِ وَهُوَ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ؟».

كَانَ صَدِيقِي فِي مِثْلِ حَجْمِي مَرَّتَيْنِ عَلَى الْأَقْلِ، وَلَكِنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِخُلُقِ كَرِيمٍ وَمَرَحٍ طَبِيعِيٍّ. فَأَبْتَسَمَ ضَاحِكًا وَقَالَ: «تَعْرِفُ مَاذَا نَقُولُ عَنْ صَاحِبِكُمْ «سَيَّافٍ»، نَحْنُ نَقُولُ عَنْهُ «مَدَارِي» - أَيُّ مُمَثِّلٍ أَوْ مُشَخَّصَاتِي -». أَوْفَقْتُ الْمُنَاقَشَةَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، وَلَكِنَّهُ حَتَّى [يَرْضِيَنِي] قَالَ إِنَّهُ سَوْفَ يَصْطَحِبُنِي لِمُقَابَلَةِ «سَيَّافٍ» بِدُونِ مَوْعِدٍ مُسَبِّقٍ، وَإِلَّا فَإِنِّي سَوْفَ أَقْضِي شَهْرًا آخَرَ فِي

«بِشَاوَرٍ» قَبْلَ أَنْ أَتَمَّكَنَ مِنْ مُقَابَلَتِهِ.

أَدْرَكْتُ أَنَّ صَدِيقِي «السَّيِّدَ أَحْمَدَ» هُوَ أَيْضًا «مَدَارِي»، وَإِلَّا مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُدَبِّرَ لِي وَلَهُ لِقَاءً مَعَ «سَيَّافٍ» بِمِثْلِ هَذِهِ الْبِرَاعَةِ. لَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْ وُجُودِي مَعَهُ كَعَرَبِيٍّ أَفْضَلَ [إِسْتِفَادَةً].

تَوَجَّهْنَا إِلَى مَكْتَبِ «سَيَّافٍ» بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي مَوْجِعٍ يُبْعَدُ أَمْتَارًا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي اغْتِيلَ فِيهِ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامَ» بَعْدَ ذَلِكَ بِسِتِّ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا. وَفَوْجِنَا بِطَابُورٍ طَوِيلٍ مِنَ الْأَفْغَانِ يُشْبِهُ الطَّابُورَ الَّذِي يَقِفُ عَلَى أَبْوَابِ الْجَمْعِيَّاتِ التَّعَاوُنِيَّةِ عِنْدَنَا فِي مِصْرَ أثنَاءَ عَهْدِهَا الْاِسْتِرَاكِيِّ. وَكَانَ رِجَالُ أَمْنِ «سَيَّافٍ» يُشْرِفُونَ عَلَى النِّظَامِ بِصُعُوبَةٍ وَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَى الْمَكْتَبِ مِنْ خَارِجِ هَذَا الصَّفِّ. سَأَلْتُ عَنْ سَبَبِ هَذَا التَّجْمُهْرِ، فَكَانَتْ الْإِجَابَةُ أَنَّ الْاِتِّحَادَ يُوزَعُ بِطَائِنَاتٍ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَأَنَّ «سَيَّافٍ» بِنَفْسِهِ يَقُومُ بِهَذَا الْعَمَلِ !!.

أَمْسَكْنِي «سَيِّدُ أَحْمَدَ» مِنْ يَدِي وَاقْتَحَمَ بَابَ الْبَيْتِ بِجَسَارَةٍ وَتَجَهَّمِ، فَانْقَضَ عَلَيْنَا نِصْفُ دَسْتَةٍ مِنَ الْحَرَسِ الْمُسَلَّحِينَ وَأَمْسَكُوا بِخِنَاقِنَا. فَصَاحَ فِيهِمْ صَدِيقِي غَاظِبًا وَبِصَوْتِ جَهْوَرِيٍّ: «هَذَا عَرَبِيٌّ ضَيْفٌ يُرِيدُ أَنْ يُقَابَلَ «سَيَّافٍ» لِأَمْرِ هَامٍّ، أَهَكَذَا تَعَامِلُونَ الضُّيُوفَ الْعَرَبَ؟».

تَغَيَّرَ الْمَوْقِفُ إِلَى النَّقِيضِ تَمَامًا، فَارْتَسَمَتْ الْاِبْتِسَامَاتُ الْوَاسِعَةُ عَلَى

الْوُجُوهُ ثُمَّ اصْطَحَبْنَا اثْنَانِ مِنْهُمْ إِلَى دَاخِلِ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ لَا يَقِلُّ أزدِحامًا. وَصَعَدْنَا الدَّرَجَ إِلَى غُرْفَةِ «سَيَّافٍ»، فَوَجَدْنَا هَامِلِيَّةً بِالْعَرَبِ وَالْأَفْغَانِ. أَقْبَلَ «سَيَّافٌ» وَصَافَحَنَا وَاعْتَذَرَ لِإِنْشِعَالِهِ وَطَلَبْنَا بِالْإِنْتِظَارِ قَلِيلًا.

بَعْدَ الْعِشَاءِ اسْتَطَعْنَا الْجُلُوسَ مَعَهُ، فَأَخَذَنَا إِلَى غُرْفَةِ أَضِيقَ مُتَمَرِّعَةٍ مِنْ غُرْفَتِنَا تِلْكَ. وَكَانَتْ أَيْضًا مُزْدَحِمَةً بَعْدَ مِنَ الْأَفْغَانِ وَالْعَرَبِ الْأَكْثَرِ أَهْمِيَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ فِي الْغُرْفَةِ الْأَوْسَعِ، وَلَهُمْ مَوَاضِعٌ أَكْثَرُ خُصُوصِيَّةً، هِيَ كَمَا شَاهَدْنَا تَسْلِيمِ شَيْكَاتٍ وَأَمْوَالِ التَّبَرُّعَاتِ.

سَأَلْتُهُ عَنْ قِصَّةِ الزُّحَامِ فَذَكَرَ نَفْسَ السَّبَبِ، أَنَّهَا بَطَّاطِينَ أُتِيَ بِهَا الْعَرَبُ وَيَقُومُ هُوَ بِتَوَزِيْعِهَا. فَأَعْرَبْتُ لَهُ عَن دَهْشَتِي، لِمَاذَا لَا يُكَلِّفُ أَحَدَ مَوْظِفِيهِ بِهَذَا الْعَمَلِ وَيَتَفَرَّغُ هُوَ لِلْأَهَمِّ مِنَ الْأَعْمَالِ؟. وَكَانَتْ إِجَابَتُهُ لَا تَقِلُّ غَرَابَةً، فَقَالَ بَانَ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَقْبَلُونَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا الْبَطَّاطِينَ إِلَّا مِنْهُ شَخْصِيًّا. لَمْ أَقْتَبِعْ بِالْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ دَخَلْتُ مَعَهُ مُبَاشَرَةً فِي الْمَوْضُوعِ وَشَرَحْتُ لَهُ مِنْ مَنْشَأِ الْفِكْرَةِ إِلَى حَدِيثِي مَعَ «حَقَّانِي» وَطَلَبْتُ مِنْهُ جَوَابًا، فَأَعْرَبَ عَن سَعَادَتِهِ بِالْمَشْرُوعِ وَأَكَّدَ أَهْمِيَّةَ الْبَالِغَةِ وَطَالَبَنِي أَنْ نَبْدَأَ فَوْرًا فِي الْبَحْثِ عَن هَذِهِ الْمُعَدَّاتِ فِي الْبِلَادِ الْخَارِجِيَّةِ، وَأَنْ نَنْظُلَّ عَلَى اتِّصَالِ دَائِمٍ حَتَّى تُتَابِعَ مَعًا خُطُواتِ التَّنْفِيذِ.

أَكَّدْتُ لَهُ أَنَّ نَسْتَطِيعُ الْبَحْثَ فِي أُرُوبًا عَن الْمَاكِينَاتِ وَأَنْ نُبَلِّغَهُ بِالنَّتَائِجِ،

وَلَكِنَّ مَجْمُوعَتَنَا فِي الْإِمَارَاتِ فَقِيرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُ الْأَشْتِرَاكَ فِي تَمْوِيلِ
 الْمَشْرُوعِ نَفْسِهِ، وَنَحْنُ نَرْغَبُ أَنْ يَتَوَلَّى الْأَتْحَادُ الْمَشْرُوعَ بِأَكْمَلِهِ وَأَنْ يَقْتَصِرَ
 دَوْرُنَا عَلَى إِجْرَاءِ الْأَتْصَالَاتِ الْخَارِجِيَّةِ، أَمَّا الْقَرَارَاتُ بِرَفْضِ أَوْ قَبُولِ
 الْعُرُوضِ الْمَطْرُوحَةِ ثُمَّ إِبْرَامِ الْأَتْفَاقَاتِ النَّهَائِيَّةِ فَمَتْرُوكٌ لَهُ وَحْدِهِ كَرَيْسٍ
 لِلْأَتْحَادِ، فَوَافَقَ عَلَى ذَلِكَ بِتَرَحُّبٍ.



مَخَاضُ بَعْدِ الْهَزِيمَةِ:

الْمُفَاوِضَاتُ بَيْنَ «حَقَّانِي» وَقَادَةِ «الْأُورْجُونِ» مِنْ جَانِبِ، وَبَيْنَ «خَالِدِ
 صِدِّيقِي» مِنْ جَانِبِ آخَرَ أَضَاعَتْ فِتْرَةَ الصَّيْفِ وَمُعْظَمَ الْخَرِيفِ بِلَا نَتِيجَةٍ.
 وَلَمْ تَجِدْ تَوْسُلَاتُهُمْ إِلَى «حِكْمَتِيَارِ» كَيْ يَضْغَطَ عَلَى قَائِدِهِ فِي «الْأُورْجُونِ»
 كَيْ يَنْضَمَّ إِلَى بَرْنَامِجِ اجْتِيَاكِ الْمَدِينَةِ، لَكِنَّ «حِكْمَتِيَارِ» أَيْدٍ مَوْفَقَ «صِدِّيقِي».

ضَاعَتْ أَشْهُرُ الْعَمَلِ فِي الْمُحَاوَلَاتِ، وَبَدَأَتْ الْعَمَلِيَّاتُ عَلَى أَبْوَابِ
 الشَّتَاءِ، وَمَا أَنْ نَزَلَ الشَّلْجُ وَتَقَدَّمَ الْمُجَاهِدُونَ وَاسْتَوْلُوا عَلَى نِصْفِ الْمَدِينَةِ
 حَتَّى فَتَحَ «صِدِّيقِي» الطَّرِيقَ أَمَامَ قُوَّاتِ الْعَدُوِّ كَيْ تُدَاهِمَ إِخْوَانَهُ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ.

لَمْ تَكُنْ تِلْكَ كُلَّ الْمَآسَاءِ، فَالْأَتْحَادُ الْإِسْلَامِيُّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ لَمْ

يُقَدِّمُ سِوَى نِصْفِ مِليُونِ رُوبِيَّةٍ، وَلَمْ يَمِدَّ الْمَعْرَكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا يَلْزَمُ مِنْ طَعَامٍ
أَوْ ذَخَائِرٍ، وَكَانَ عَلَى «حَقَّانِي» أَنْ يَتَدَبَّرَ أَمْرَهُ بِوَصْفِهِ مَسْئُولًا عَنِ الْمَعْرَكَةِ،
فَأَخَذَ يَقْتَرِضُ مِنَ التُّجَّارِ لِشِرَاءِ أَطْعَمَةٍ وَذَخَائِرٍ وَيَغْرُقُ تَحْتَ الدُّيُونِ
الْمُتْرَاكِمَةَ.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَخَذَ يَغْرُقُ تَحْتَ وَطْأَةِ هُجُومِ شَيْوعِي كَاسِحٍ، لَمْ يَخْلَعَهُ
فَقَطُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، بَلْ مِنْ كُلِّ الْجِبَالِ الْمُشْرِفَةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ لَاحَقَهُ وَمَنْ تَبَّقَى مَعَهُ
مِنْ رِجَالٍ دَاخِلِ الْجِبَالِ.

وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي سَمَاءِ أَفْغَانِسْتَانَ تَظْهَرُ فِي الْعَمَلِيَّاتِ طَائِرَاتُ «سُوخوي
٢٥»، وَقَدْ أْبْلَغْنَا الْمُجَاهِدِينَ بِقُدْرَاتِ خُرَافِيَّةِ لَتِلْكَ الطَّائِرَةِ لَمْ نَجِدْهَا مَكْتُوبَةً
حَتَّى الْآنَ فِي أَيِّ مَرَجِعٍ عَسْكَرِيٍّ، كَمَا أَنَّنَا لَمْ نُشَاهِدْ مِثْلَهَا فِيَمَا بَعْدَ.
وَاسْتُخْدِمَ السُّوفِيَّيْتُ بِكَثَافَةِ الْغَامِ الْفَرَاشَةَ الَّتِي تُلْقِيهَا الطَّائِرَاتُ، وَهِيَ الْغَامُ
تَخْصَصَتْ فِي بَتْرِ الْقَدَمِ، وَلَا تَقْتُلُ وَلَا تَقْطَعُ الرَّجُلَ كَامِلَةً، وَفَلَسَفْتُهَا هِيَ أَنْ
تَمَلَأَ الْمُجْتَمَعَ بِالْعَجْزَةِ وَالْمُعَوِّقِينَ فَتَزْدَادُ مَشَاكِلُهُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَفَقْرُهُ.

صَاحِبِنَا «الْمِنْيَاوِيُّ» طَارَ مِنْ «أَبُو ظَبِي» إِلَى «بِيشَاوَر» ثُمَّ «الْأُورْجُون» كَيْ
يَقْضِي مَعَ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» - صَدِيقِهِ الْقَدِيمِ - الْأَيَّامَ الْأَخِيرَةَ مِنْ مِحْنَةِ
«الْأُورْجُون». وَرَجَعَ هُوَ الْآخِرُ بِانْطِبَاعٍ مُتْقَارِبٍ. فَلَا بُدَّ مِنْ تَغْيِيرِ طَرِيقَةِ
الْعَمَلِ، وَالِاتِّحَادِ لَا بُدَّ أَنْ يُصْبِحَ اتِّحَادًا مِيدَانِيًّا، هَكَذَا كَانَتْ رُؤْيُتُهُ تَقْرِيْبًا، وَكُنَّا

مُتَّفِقِينَ تَمَامًا.

صَاحِبِنَا تَكَلَّمَ مَعَ «سَيَّافٍ» فِي مَشَاكِلِ الْإِتِّحَادِ وَضُرُورَةِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ. كَمَا تَكَلَّمَ مَعَهُ فِي مَشْرُوعِ التَّصْنِيعِ وَأَبْلَغَهُ بِنَتَائِجِ الْبَحْثِ فِي أُورُوبًا. وَكَانَ «الْمِنْيَاوِيُّ» هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الشَّرِكَاتِ الْأُورُوبِيَّةَ الَّتِي يُدِيرُهَا ضُبَّاطٌ مُتَقَاعِدُونَ تَهْتَمُّ أَسَاسًا بِالتَّدْرِيبِ الْعَسْكَرِيِّ، وَيُمْكِنُهَا أَنْ تُسَاعِدَ فِي مَوْضُوعِ التَّصْنِيعِ وَتَوْرِيدِ الْمَاكِينَاتِ الضَّرُورِيَّةِ، وَحَتَّى يُمَكِّنُهَا إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُدَبِّرَ مَوْضُوعَ تَهْرِيْبِ أَسْلِحَةٍ أَوْ مُعِدَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ تَحْتَاجُوهَا.

أَعْطَاهُ «سَيَّافٌ» مُوَافَقَةً عَلَى التَّدْرِيبِ وَالتَّصْنِيعِ مَعًا. وَطَلَبَ مِنْدُوبًا عَنِ الْجِهَةِ الَّتِي تَرَعَّبُ فِي التَّعَاوُنِ كَيْ يَتَفَاوَضَ مَعَهُ فِي «بِيشَاوَر».

ثُمَّ دَخَلَتِ الْمُنَاقَشَاتُ فِي مَوْضُوعِ الْعَرَبِ الَّذِينَ بَدَأُوا يَظْهَرُونَ فِي «بِيشَاوَر» فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْجَبَهَاتِ، وَحَوْلَ الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى لِتَوْجِيهِهِمْ وَالِاسْتِيفَادَةِ مِنْهُمْ. وَقَدَّمَ «الْمِنْيَاوِيُّ» اقْتِرَاحًا بِإِنْشَاءِ مَكْتَبٍ خَاصٍّ تَابِعٍ لِلِإِتِّحَادِ يَتَوَلَّى الْإِشْرَافَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ وَالْعِنَايَةَ بِشَأْنِهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ الْإِرْشَادَاتِ الضَّرُورِيَّةَ. وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ يَتَوَلَّى هَذَا الْمَكْتَبُ الَّذِي يُدِيرُهُ الْعَرَبُ أَيْضًا مِهْمَةَ الْإِتِّصَالِ بِالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ فِيْمَا يَخْتَصُّ بِقَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَيَنْقَلُ إِلَيْهِمْ أَخْبَارُ الْجِهَادِ وَتَطَوُّرَاتِ الْأَحْدَاثِ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ. وَأَنْ يَكُونَ اتِّصَالُهُ بِالْهَيْئَاتِ

الرَّسْمِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ.

وَأَفَقَ «سَيَّاف» عَلَى الْفَوْرِ، عَلَى أَنْ يَتَكَفَّلَ «الْمِنْيَاوِيُّ» بِتَأْسِيسِ الْمَكْتَبِ وَتَنْظِيمِهِ. فَبَادَرَ الْأَخُ بِمَالِهِ الْخَاصِّ، وَجَهَّزَ عُرْفَةً خَصَّصَهَا «سَيَّافٌ» لِهَذَا الْغَرَضِ، وَاتَّفَقَ مَعَ شَائِبِينَ مِنَ الْعَرَبِ أُمَّمًا دَرَّاسَتَيْهِمَا سَابِقًا فِي جَامِعَةِ «بِشَاوَر» عَلَى أَنْ يَتَوَلَّيَا مَهَامَّ الْمَكْتَبِ الْإِدَارِيَّةِ إِلَى حِينِ اسْتِكْمَالِ الْمَشْرُوعِ الَّذِي أُسْمِيْنَاهُ لِاحِقًا «مَكْتَبُ الْإِتِّصَالِ الْإِسْلَامِيِّ». وَأَفَقَ «سَيَّافٌ» عَلَى تَعْيِينِ الشَّائِبِينَ؛ فَهُوَ يَعْرِفُهُمَا جَيِّدًا، وَتَرَكَ «الْمِنْيَاوِيُّ» مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لِلشَّائِبِينَ لِيَتَدَبَّرَا أُمُورَهُمَا الشَّخْصِيَّةَ وَأُمُورَ الْمَكْتَبِ إِلَى حِينِ عَوْدَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى لِاسْتِكْمَالِ الْمَشْرُوعِ، وَاتَّفَقَ مَعَهُمَا عَلَى الْخُطُوطِ الْعَامَّةِ لِلْعَمَلِ.

وَقَدَّمَ «الْمِنْيَاوِيُّ» مُقْتَرَحًا لـ «سَيَّاف» بِأَنْ يَبْدَأَ «الْإِتِّحَادُ» أَعْمَالًا اسْتِشْمارِيَّةً تُبِيحُ لَهُ دَخْلًا يَكْفُلُ لَهُ اعْتِمَادًا عَلَى الْمَوَارِدِ الذَّائِبَةِ بَعِيدًا عَنِ التَّبَرُّعَاتِ الَّتِي قَدْ تَتَوَقَّفُ أَوْ تَقَلُّ كَثِيرًا. وَاقْتَرَحَ أَنْ تَكُونَ بَعْضُ الْاسْتِشْمارَاتِ عِبَارَةً عَنِ مَشَارِيحِ إِنْتَاجِيَّةٍ يُشَارِكُ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَتَكُونُ مَصْدَرًا دَخَلٍ لَهُمْ وَلِلْجِهَادِ. كَمَا أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ قَدْ يَحْضُرُونَ مُسْتَقْبَلًا لِلْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ قَرِيبًا مِنَ الْجِهَادِ يَجِدُونَ فِيهَا أَعْمَالًا تَكْفُلُ عَيْشَتَهُمْ وَنَفَقَاتِهِمْ.

سَوْفَ نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْمُقْتَرَحَاتِ عَلَى خُطُورَتِهَا تَعَثَّرَتْ وَمَاتَتْ فِي بَدَايَاتِ الطَّرِيقِ، وَبَعْضُهَا تَمَّ إِهْمَالُهُ عَمْدًا. لَمْ نَكُنْ نَحْنُ وَلَا غَيْرُنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

الَّذِينَ اتَّفَقُوا حَوْلَ التَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ هُمْ الَّذِينَ يَرْسُمُونَ خُطُواتِ الْعَمَلِ الْأَفْغَانِيَّ وَمَلَامِحَهُ. كَانَتْ أَمْرِيكَا تَحْدِيدًا هِيَ الَّتِي تَرَسِّمُ الْإِطَارَ الْعَامَّ وَتَحَدِّدُ الْأَدْوَارَ، وَتَخْتَارُ الْمُمَثِّلِينَ، حَتَّى لَا يُرْفَعَ السُّتَارُ عَنْ هَذِهِ الْكُومِيْدِيَا الْمُبْكِيَّةِ إِلَّا عَنْ انْتِصَارِ الْعَرَبِ وَهَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ.



الإنجليز في «بيشاور»:

كَانَتْ الشَّرِكَاتُ الْمُهْتَمَّةُ بِمِثْلِ الْمَوَاضِعِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي نَبَحْتُ عَنْهَا كَثِيرَةً لِدَرَجَةٍ مُدْهِشَةٍ. فِي كُلِّ أَنْحَاءِ أُرُوبًا وَأَمْرِيكََا، وَكَانَتْ الْمَشْكَلَةُ هِيَ فِي اخْتِيَارِ أَحَدِهَا بِحَيْثُ لَا نَقَعُ فَرِيْسَةَ عَمَلِيَّةِ اخْتِيَالٍ أَوْ ضَحِيَّةٍ لِأَحَدِ الْحُكُومَاتِ. وَأَخِيرًا تَمَّ اخْتِيَارُ شَرِكَةِ بَرِيْطَانِيَّةِ مُرْخَصَةِ مَقْرَهَا «لُنْدُن»، وَيُدِيرُهَا صَابِطُ سَابِقُ فِي الْقُوَاتِ الْخَاصَّةِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ. تَمَّ التَّأَكُّدُ مِنْ جَدِيَّةِ الشَّرِكَةِ بِوَاسِطَةِ عَدَدٍ مِنْ الْعَرَبِ الْمُقِيمِينَ فِي الْعَاصِمَةِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ. فَبَدَأَتْ الْإِجْرَاءَاتُ وَتَمَّ الْاِتِّفَاقُ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُرْسَلُوا اثْنَيْنِ مِنْ مَنْدُوبِيْهِمْ إِلَى «بِيْشَاوَر» لِلاِتِّفَاقِ مُبَاشَرَةً مَعَ «سَيَاف» بِشَأْنِ مَوْضُوعَيْنِ هُمَا: التَّدْرِيْبُ وَالتَّصْنِيْعُ.

وَقَبْلَ وُضُوعِ الْوَفْدِ الْبَرِيْطَانِيِّ بَعْدَةَ أَيَّامٍ، كُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى «بِيْشَاوَر» لِتَنْسِيْقِ عَرْضِنَا الْمُقَدَّمِ إِلَى الشَّرِكَةِ. وَطَلَبَ «سَيَاف» أَنْ يَتَوَلَّى نَائِبُهُ «أَحْمَدُ شَاه» أَمْرَ الْمُنَاقَشَاتِ نِيَابَةً عَنْهُ، وَأَنْ أَسَاعِدَهُ فِي تِلْكَ الْمُهْمَةِ عَلَى أَنْ نُطْلِعَهُ

أَوَّلًا بِأَوَّلِ عَلَى التَّطَوُّرَاتِ كَيْ يُقَرَّ هُوَ الاتِّفَاقُ النَّهَائِيَّ إِذَا تَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَى شَيْءٍ.

فِي حَوَالِي العَاشِرَةِ صَبَاحًا وَصَلَتْ طَائِرَةُ الحُطُوطِ الجَوِّيَّةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ مِنْ «كَرَاتِشِي» إِلَى «بِيشَاوَر». وَكُنْتُ مَعَ نَائِبِ «سَيَّاف» نَقَفُ عَلَى بَابِ المَطَارِ نَتَفَحَّصُ وَجُوهَ القَادِمِينَ، فِي انْتِظَارِ اثْنَيْنِ مِنَ الأُورُوبِيِّينَ، أَحَدُهُمَا نَحِيفُ طَوِيلُ القَامَةِ وَالأَخْرُ قَصِيرٌ مُمْتَلِئُ الجِسْمِ، هَكَذَا وَصَلْتَنَا مَوَاصِفَاتِيهِمَا تِلْفُونِيًّا وَعَلِمْنَا اسْمَ أَحَدِهِمَا، وَلَا أَتَذَكَّرُهُ الآنَ، وَلَمْ يَكُنْ صَعْبًا العُثُورُ عَلِيهِمَا وَسَطَ عَشْرَاتِ المُسَافِرِينَ الأفْغَانِ وَالبَاكِسْتَانِيِّينَ، وَبَعْضِ العَرَبِ القَادِمِينَ إِلَى «أَرْضِ الجِهَادِ فِي بِيشَاوَر» لِإِيصَالِ الأَمْوَالِ إِلَى «سَيَّاف».

اصْطَحَبْنَا الضَّيْفَيْنِ إِلَى أَرْقَى فَنَادِقِ «بِيشَاوَر»، حَسَبَ طَلَبِهِمَا المُسَبِّقِ، وَحَجَزْنَا عُرْفَتَيْنِ، وَاحِدَةٌ لَهُمَا وَالأُخْرَى لِي وَلِـ «أَحْمَدِ شَاه». وَبَدَأْنَا عَلَى الفُورِ جَلْسَةً قَصِيرَةً لِلتَّعَارُفِ أَعَقَبَتْهَا جَلْسَةٌ عَمَلٍ بَعْدَ العَصْرِ.

مُنْذُ جَلْسَةِ العَمَلِ الأُولَى وَحَتَّى نِهَآيَةِ الاجْتِمَاعَاتِ، وَجَدْتُ نَفْسِي وَحِيدًا فِي إِدَارَةِ النِّقَاشِ مَعَ «الخُبْرَاءِ الأَجَانِبِ»!!؛ فَالْمُهَنْدِسُ «أَحْمَدُ شَاه» إِمَّا أَنْ يَعْتَذَرَ عَنِ الجَلْسَاتِ أَوْ أَنْ يَأْتِي مُتَأَخِّرًا بِحِجَّةِ الانشغالِ فِي جَلْسَاتِ الشُّورَى وَغَيْرِهَا ثُمَّ يُكْمِلُ النُّومَ أَثْنَاءَ الجَلْسَةِ، وَرُبَّمَا كَانَ يَتَظَاهَرُ بِذَلِكَ حَتَّى لَا يُشَارِكَ بِشَيْءٍ.

عَرْضَنَا الْإِتِّفَاقَ الْأَخِيرَ عَلَى «سَيَّافٍ» فَأَقَرَّ الْبُؤَدَ التَّالِيَةَ، تَقُومُ الشَّرِكَةُ الْمَعْنِيَّةُ بِتَدْرِيبِ حَوَالِي سَبْعِينَ مُجَاهِدًا فِي أَرْبَعَةِ دَوَرَاتٍ تَخْصُصِيَّهَ هِيَ:

أ. دَوْرَةُ حِرَاسَاتٍ خَاصَّةٍ، لِحَرَسِ «سَيَّافٍ» فَقَطُّ.

ب. دَوْرَةُ مَدَافِعِ هَاوِنٍ.

ت. دَوْرَةُ مُتَفَجِّرَاتٍ.

ث. دَوْرَةُ تِكْتِيكِ.

وَأَذْكَرُ أَنْ مُدَّةَ الدَّوْرَةِ مِنْ أَرْبَعَةٍ إِلَى سِتَّةِ أَسَابِيعَ، وَتَكْلُفَةُ الدَّوْرَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةِ آلَافِ جُنِيهِ إِسْتِرْلِينِي. كَانَتْ التَّكْلُفَةُ بِنَظَرِي بَاهِظَةً، وَلَكِنَّ «سَيَّافٍ» قَرَّرَ الْمُوَافَقَةَ عَلَيْهَا.

أَمَّا عَنِ التَّصْنِيعِ فَقَدْ كَانَ الْإِتِّفَاقُ أَنْ يُبَدَأَ بِمَشْرُوعِ إِعَادَةِ تَعْبِيَةِ طَلَقَاتِ الْكَلَالِشْنُكُوفِ وَالذُّوْشْكَ وَالزُّوْكَيَاكِ، وَأَنْ تُجَهِّزَ الشَّرِكَةُ عِدَّةَ عُرُوضٍ لِلْمَاكِينَاتِ الْمُتَاحَةِ وَأَسْعَارَهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشْرُوعِ مِنْ قِطْعِ غِيَارٍ وَفَنِيَيْنٍ... الخ.

طَالَبَ مَنْدُوبُ الشَّرِكَةِ بِتَجْهِيزِ مُعَسْكَرٍ خَاصٍّ لِلدَّوَرَاتِ، فَأَجَابَ «سَيَّافٌ» بَعْدَ اسْتِشَارَةِ لَجَنَّتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ أَنَّهُ فِي خِلَالِ إِسْبُوعٍ أَوْ اثْنَيْنِ يُمَكِّنُ تَجْهِيزَ الْمُعَسْكَرِ الْمَطْلُوبِ. فَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ تَكُونَ الْمُدَّةُ شَهْرًا حَتَّى لَا تَحْضُرَ اللَّجَنَةُ مَعَ الْمُدَرِّبِينَ وَلَا تَجِدَ الْمُعَسْكَرَ جَاهِزًا فَتَتَحَمَّلَ تَكْلُفَةً كَبِيرَةً وَمَشَاكِلَ لَا دَاعِيَ

لَهَا. أَكَّدَ «سَيَّافٌ» عَلَى أَنْ يَأْتِيَ مَنْدُوبٌ مِنَ الشَّرِيكَةِ بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ كَيْ يَرَى
 الْمُعْسَكَرَ وَتَجْهِيذَاتِهِ، فَإِنْ كَانَتْ كَافِيَةً اسْتَدْعَى بَاقِيَ أَطْقَمِ التَّدْرِيبِ. وَافَقَ
 مَنْدُوبُ الشَّرِيكَةِ عَلَى الْعَرْضِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ تَكْلُفَةُ ذَلِكَ خَارِجَ نِطَاقِ الْمَبْلَغِ
 الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ. كَذَلِكَ أَيُّ عَمَلِيَّةٍ تَأْخِيرٍ نَتَسَبَّبُ فِيهَا فَسَوْفَ نَتَحَمَّلُ عُقُوبَاتِ
 مَالِيَّةٍ مُتَّمَثِلَةً فِي رَوَاتِبَ وَنَفَقَاتِ إِعَاشَةٍ فِي فَنَادِقِ دَرَجَةِ أَوْلَى !!.

كُنْتُ أَشْعُرُ بِغَطْرَسَةِ الْإِنْجِلِيزِ وَاسْتِغْلَالِهِمْ، وَلَكِنَّ «سَيَّافٌ» وَافَقَ وَأَعْطَى
 الضُّوءَ الْأَخْضَرَ لِلبَدءِ.

عَادَرْنَا وَفَدَّ الْخُبْرَاءِ الْأَجَانِبِ وَبَقِيْتُ فِي «بِيشَاوَر» فِتْرَةً إِضَافِيَّةً قَابَلْتُ فِيهَا
 «سَيَّافٌ» لِمُنَاقَشَةِ بَعْضِ الْمَسَائِلِ عَلَى حَافَةِ الْمَشْرُوعِ. فَاقْتَرَحْتُ عَلَيْهِ أَنْ
 يَكُونَ الْمَشْرُوعُ اتِّحَادِيًّا بِأَنْ يَسْتَقْدِمَ إِلَيْهِ مُجَاهِدِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْزَابِ،
 وَبَعْضِ الضُّبَّاطِ مِنْ أَحْزَابٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَاقْتَرَحْتُ أَنْ يَكُونَ «جُولُزْرَاك» هُوَ
 الْمَسْئُولُ عَنِ الْعَمَلِيَّةِ كُلِّهَا نَظْرًا لِشَخْصِيَّتِهِ الْمُحْتَرَمَةِ وَخِبْرَتِهِ فِي الْكُلِّيَّةِ
 الْعَسْكَرِيَّةِ، وَخِبْرَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ ثُمَّ إِجَادَتِهِ التَّامَّةِ لِلْإِنْجِلِيزِيَّةِ. وَافَقَ «سَيَّافٌ» عَلَى
 الْمُقْتَرَحَاتِ وَوَعَدَنِي خَيْرًا. وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْفُقْرَةَ الْخَاصَّةَ بِنَا فِي الْمَشْرُوعِ قَدْ
 انْتَهَتْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، وَبَاقِي الْخُطُوبَاتِ هِيَ مِنْ اخْتِصَاصِ الْإِتِّحَادِ.

ثُمَّ عَادَرْتُ «بِيشَاوَر» وَقَدْ عَمَّرْتَنِي السَّعَادَةَ بِهَذَا الْإِنْجَازِ وَتِلْكَ الْمُغَامَرَةَ
 فِي مِيدَانِ غَرِيبٍ وَعَجِيبٍ. سَنَبْدُ أَوَّلَ خُطُوبَاتِ التَّصْنِيعِ الْعَسْكَرِيِّ دَاخِلَ

أَفْغَانِسْتَانَ، وَسَبَدًا أَوَّلَ خُطُواتِ التَّدْرِيبِ الْحَقِيقِيِّ الْمُتَقَدِّمِ. وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِتِّحَادِ وَبِقِيَادَةِ مُوَحَّدَةٍ، لَا شَكَّ أَنَّ عَلَيَّ وَشَكَّ الْحَرَكَةِ الصَّحِيحَةِ فِي الْجِهَادِ.

وَقَدْ تَأَجَّجْتُ تِلْكَ السَّعَادَةَ بِمَكْتَبِ الْإِتِّصَالِ الْإِسْلَامِيِّ، ذَلِكَ الْمَشْرُوعُ الطَّمُوحُ الَّذِي سَوْفَ يَجْمَعُ الْعَرَبَ فِي وَعَاءِ اتِّحَادِي وَاحِدٍ، وَهَذَا مَا كُنَّا نَطْمَحُ إِلَيْهِ وَنَدْعُو «الْإِخْوَانَ» أَنْ يَتَوَلَّوهُ وَلَكِنَّهُمْ نَكَّصُوا. وَهَذَا هُوَ «سَيَّافٌ» يَتَوَلَّى دَوْرَ الزَّعَامَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ وَلَكِنْ عَلَيَّ أَرْضِ الْوَأَقِعِ وَمِيَادِينِ الْجِهَادِ.

سَيَجْتَمِعُ الْعَرَبُ وَيَتَوَحَّدُونَ تَحْتَ رَايَةِ «سَيَّافٍ» كَزَعِيمٍ، وَالْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ كَتَنْظِيمٍ. وَسَوْفَ يُشَارِكُونَ فِي الْعَمَلِ الْإِعْلَامِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالتَّدْرِيبِ الرَّاقِي، وَالْعَمَلِ الْقِتَالِيِّ الْمُتَطَوِّرِ. إِذَنْ سَتَظْهَرُ الْقُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي نَحْلُمُ بِهَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ، قُوَّةُ التَّدْخُلِ الْإِسْلَامِيِّ الَّتِي تُجَاهِدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَسْتَدْعِيهِ الْحَاجَةُ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. إِنَّهَا أَفْغَانِسْتَانُ الَّتِي سَنَقْلِبُ مِنْهَا الْمَوَازِينَ وَنُخَاطِبُ مِنْهَا الْعَالَمَ، فَمَتَى يَفْهَمُ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ؟.

وَكُلَّمَا ارْتَفَعَتْ بِي الطَّائِرَةُ فِي الْجَوِّ ارْتَفَعَتْ أَحْلَامِي فَوْقَهَا بِأَمْيَالٍ حَتَّى جَاوَزَتْ أَحْلَامِي كَافَّةً تَأْثِيرَاتِ الْجَاذِبِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ. وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ

حَتَّى كَانَتْ الصَّدَمَاتُ كَالرَّزَايَا تَجْدِبُنِي إِلَى الْأَرْضِ بِقَسْوَةٍ كَيْ أُفِيقَ وَلَوْ قَلِيلًا
عَلَى فَهْمِ الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ.

تَلَقَى صَدِيقُنَا «الْمِنْيَاوِيَّ» مُكَالِمَةً هَانِفِيَّةً مِنْ صَدِيقِهِ فِي «لُنْدُن» يُخْبِرُهُ فِيهَا
أَنَّ الشَّرِكَةَ قَدْ أَرْسَلَتْ مَنْدُوبَهَا إِلَى «بِيشَاوَر» فِي الْمَوْعِدِ الْمَقْرَّرِ كَيْ يُشْرِفَ
عَلَى تَجْهِيزَاتِ الْمُعَسْكَرِ. وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا فِي اسْتِقْبَالِهِ هُنَاكَ، وَقَضَى عِدَّةَ أَيَّامٍ
فِي الْفُنْدُقِ يُحَاوِلُ الْإِتِّصَالَ مَعَ «سَيَّاف» أَوْ «أَحْمَدُ شَاه». وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ جَاءَهُ
الْأَخِيرُ كَيْ يُخْبِرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَلْعَوْا الْإِتِّفَاقَ. وَلَمَّا طَالَبَهُ الْمَنْدُوبُ بِتَذْكَرَةِ الطَّائِرَةِ
وَأَجْرَةِ الْفُنْدُقِ، كَمَا يَنْصُ الْإِتِّفَاقُ، رَفَضَ «أَحْمَدُ شَاه» قَائِلًا إِنَّهَا مَسْئُولِيَّةُ
«الْمِنْيَاوِيَّ» وَأَنَّهُ سَوْفَ يَدْفَعُ!!

جُنَّ جُنُونِ صَدِيقِنَا «الْمِنْيَاوِيَّ»، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ
آخَرَ سِوَى أَنْ يَدْفَعَ وَهُوَ نَاقِمٌ عَلَى «سَيَّاف» وَ «أَحْمَدُ شَاه» وَالْإِتِّحَادِ، بَلْ وَكُلَّ
أَفْغَانِسْتَانَ!!

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى عَلِمْنَا أَنَّ «سَيَّاف» أَمَرَ بِإِعْلَاقِ الْمَكْتَبِ
الْعَرَبِيِّ الَّذِي افْتَتَحَهُ «الْمِنْيَاوِيَّ»، وَطَرَدَ الشَّابِّينَ الْمَسْئُولِينَ عَنْهُ. وَكَانَتْ
حُجَّتُهُ فِي ذَلِكَ، وَالَّتِي أَخْبَرَ بِهَا «الْمِنْيَاوِيَّ» أَنَّ الشَّابِّينَ غَيْرُ أَمِينِينَ وَغَيْرُ
مَوْثُوقِينَ لَدَيْهِ، وَذَلِكَ رُغْمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُمَا فِي الْبِدَايَةِ.

زَادَتْ الشُّكُوكُ فِي «سَيَّاف» وَجِدَّتِيهِ وَحَقِيقَةَ نَوَايَاهُ. طَالَبْنَا الْآخَرِينَ

بِالْحِرْصِ فِي دَفْعِ الْأَمْوَالِ، وَالتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّهَا تُنْفَقُ فِي وَجْهَتِهَا الصَّحِيحَةِ، وَأَنَّهُ مِنْ الْأَفْضَلِ الدَّفْعِ لِصَالِحِ مَشْرُوعَاتٍ مُحَدَّدَةٍ مَعَ مُرَاقَبَةٍ تَنْفِيذِهَا أَوْلًا بِأَوَّلٍ، وَأَنَّ أَوْلَوِيَّةَ الْإِنْفَاقِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لِلجَبَّهَاتِ وَالْمُجَاهِدِينَ. زَادَتْ تِلْكَ التَّسْبِيهَاتُ مِنْ عَزَلَتِنَا، وَمِنْ الاتِّهَامَاتِ الَّتِي أُثِيرَتْ حَوْلَنَا، خَاصَّةً مِنْ «الإخوان»، رُغْمَ أَنَّهُمْ حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمْ يَفْتَحُوا عَلَيْنَا نِيرَانًا مُبَاشِرَةً. وَالمُتَبَرِّعُونَ مِنْ غَيْرِ «الإخوان» تَجَاهَلُونَا تَمَامًا أَوْ تَشَكَّكُوا فِيْنَا، فَالْتَزَمُوا جَانِبَ الحَذَرِ.

وَلَعَلَّ أَكْبَرَ إِيجَابِيَّاتِ تِلْكَ التَّجْرِبَةِ الْفَاشِلَةِ مَعَ «سَيِّف» هُوَ اِكْتِسَابُنَا صَدِيقًا رَائِعًا هُوَ الْحَاجُّ «سَيِّف»، وَهُوَ مُهَنْدِسٌ قَدِيرٌ وَإِخْوَانِيٌّ قَدِيمٌ جِدًّا. وَإِنْ كَانَ مُحْسُوبًا عَلَى تَيَّارِ الْمُعَارَضَةِ، وَيُعَانِي عَزْلَةً مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الجَوِّ الإِخْوَانِيِّ السَّائِدِ، بَلْ يُعَارِضُهُ. وَمَعَ هَذَا يَتَمَتَّعُ بِاحْتِرَامٍ كَبِيرٍ فِي أَوْسَاطِهِمْ نُظْرًا لِتَارِيخِهِ الشَّخْصِيِّ وَتَارِيخِ أُخِيهِ وَالعَائِلَةِ فِي صُفُوفِ «الإخوان»، خَاصَّةً تَجْرِبَةَ الجِهَادِ ضِدَّ الإِنْجِلِيزِ فِي قَنَاةِ السُّوَيْسِ.

لَقَدْ تَحَمَّسَ الْحَاجُّ «سَيِّف» كَثِيرًا لِمَشْرُوعِ التَّصْنِيعِ وَالتَّدْرِيبِ، وَشَجَّعَنَا فِي التَّوَجُّهِ نَحْوَ الجَبَّهَاتِ بِالقِتَالِ وَالخِدْمَاتِ. وَلَمَّا كَانَ «سَيِّف» أَكْبَرَنَا سِنًا فَقَدْ فَرَضَ عَلَيْنَا جَنَاحَ الحِمَايَةِ ضِدَّ هَجَمَاتِ «الإخوان»، خَاصَّةً عِنْدَمَا حَمِيَ الوَطِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةَ أَشْهُرٍ وَأَصْبَحَتْ الاتِّهَامَاتُ الهَائِلَةُ تُوجَّهُ لَنَا عَلْنَا

وَعَلَى اتِّسَاعِ الْقَارَاتِ الْخَمْسِ. وَكَانَ مَوْقِفُهُ شُجَاعًا وَجَرِيئًا؛ فَقَدْ قَالَ لِلْإِخْوَانِ وَقْتَهَا: «إِذَا كُنْتُمْ تَتَهْمُونَ هَؤُلَاءِ بِالْعَمَالَةِ فَاتَّهْمُونِي مَعَهُمْ لِأَنِّي مِنْهُمْ، هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى اتِّهَامِي؟». وَلَا أَنْسَى لَهُ هَذَا الْمَوْقِفَ أَبَدًا؛ فَقَلِيلٌ هُمْ الرَّجَالُ الَّذِينَ يُبْتِنُونَ عَلَى مَا يَرَوْنَهُ حَقًّا فِي مُوَاجَهَةِ الْجَمَاهِيرِ الَّتِي تَسُبُّ وَتَلْعَنُ وَتُكَيِّلُ الاتِّهَامَاتِ، وَفِي وَجْهِ زَعَامَاتٍ انْتَفَخَتْ حَتَّى لَمْ تَعُدْ تَرَى سِوَى ذَوَاتِهَا الْمُتَضَخِّمَةِ.

وَرُغِمَ سِنُّهُ الْمُتَقَدِّمِ شَارِكِ الْحَاجِّ «سَيْفٍ» فِي قِيَادَةِ مَجْمُوعَتِنَا وَإِثْرَائِهَا بِالنَّقَاشَاتِ، وَقَدْ كَانَ يَمِيلُ إِلَى الدَّقَّةِ وَالْعِنَايَةِ بِالتَّفَاصِيلِ - رُبَّمَا بِحُكْمِ عَمَلِهِ الْهِنْدَسِيِّ - كَمَا كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْعُودَةِ إِلَى الْحَقِّ وَبِكُلِّ تَوَاضِعٍ.

وَكَانَتْ الشَّخْصِيَّةُ الْإِخْوَانِيَّةُ الْأُخْرَى الَّتِي أَحْبَبْتَهَا كَثِيرًا وَاحْتَرَمْتَهَا أَشَدَّ الْإِحْتِرَامِ هُوَ الشَّيْخُ «أَبُو أُسَامَةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَلِيٌّ»، رُغِمَ أَنَّنَا التَّقِينَا عَلَى فِتْرَاتٍ مُتَقَطَّعَةٍ خِلَالَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ. كَانَتْ أَوْجُهُ شَبَّهَ تَرْبُطُهُ بِالْحَاجِّ «سَيْفٍ»، مِنْ حَيْثِ الدَّقَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالصَّرَامَةِ وَالشَّدَّةِ فِي الْحَقِّ. وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَخَصِّصًا فِي الْمَجَالِ الْعَسْكَرِيِّ نَظْرًا لِمَاضِيهِ فِي حَرْبِ فَلَسْطِينِ. وَسَاهَمَ أَيْضًا فِي التَّجْرِبَةِ الْجِهَادِيَّةِ فِي سُورِيَا بِوَاسِطَةِ التَّدْرِيبِ، وَخَرَجَ مِنْهَا نَاقِمًا عَلَى «الْإِخْوَانِ» وَالْفَسَادِ الَّذِي اسْتَشْرَى فِيهِمْ وَانْحِرَافِ قِيَادَتِهِمْ. وَكَانَ لَا يَتَحَرَّجُ فِي أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَنًا أَمَامَنَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ، رُغِمَ أَنَّنَا لَسْنَا مِنْ «الْإِخْوَانِ». لَقَدْ أَثَارَ سَخَطَ

«الإخوان» وَغَضَبَهُمْ، لَكِنْ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى مُوَاجَهَتِهِ أَوْ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِي الْمُوَاجَهَةِ. وَكَانَتْ عِبَارَتُهُ الْمَشْهُورَةُ: «إِنَّهُمْ لَيْسُوا إِخْوَانًا، أَنَا الإِخْوَانُ، أَنَا إِخْوَانٌ «حَسَنَ الْبَنَّا»، إِخْوَانِ الْجِهَادِ فِي فَلَسْطِينَ وَقَنَاةِ السُّوَيْسِ».

وَبَيْنِي وَبَيْنَ «أَبِي أُسَامَةَ» كَانَتْ بَعْضُ خِلَافَاتِ النَّظَرِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْغَانِسْتَانَ. فَبَيْنَمَا كَانَ يَرَى أَنَّ الِانْحِرَافَاتِ الْمُتَزَايِدَةَ فِي مَسِيرَةِ الْجِهَادِ، سَوَاءً عَلَى مُسْتَوَى الْقِيَادَةِ أَوْ حَتَّى مُسْتَوَى الْجَبَهَاتِ تَجْعَلُنَا نِنَاقِ بِاسْمِ الْجِهَادِ أَنْ يَتَلَوَّثَ بِأَنْ نُطْلِقَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَرْبِ، كَانَ يَرَى أَنَّهَا مُجَرَّدَ حَرْبٍ وَلَيْسَتْ جِهَادًا. وَكُنْتُ أَعَارِضُهُ فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ بِحُجَّةٍ أُخْرَى مُعَاكِسَةً كَانَتْ تُسَكِّتُهُ، وَلَكِنْ لَمْ تُقْنِعْهُ تَمَامًا، فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُ: «إِنَّ أُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ فِي حَالَةِ انْهِيَارٍ، وَقَدْ فَسَدَ دِينُهَا، وَلَكِنَّا لَا نَقُولُ أَنَّهَا كَفَرَتْ. فَرُغِمَ أَنْ صَلَاتَنَا لَيْسَتْ بِصَلَاةٍ وَكَذَلِكَ حَجَّاتُنَا وَزَكَاتُنَا وَحَتَّى شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي نَقُولُهَا، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ بِشَكْلِهِ الصَّحِيحِ إِلَّا فِي نِطَاقِ قَلْبَةٍ نَادِرَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَقُولُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ وَلَا تَحُجُّ وَلَا تَنْطِقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ. إِنَّهَا تَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ بِطَرِيقَةٍ سَيِّئَةٍ وَغَيْرِ صَحِيحَةٍ، فَقَدَّتْ مَعْنَاهَا أَوْ الْمَطْلُوبَ مِنْهَا، وَلَكِنَّا نَنْظُرُ نَعْتَرِفُ لِتِلْكَ الْأُمَّةِ بِالْإِسْلَامِ، وَهَكَذَا الْجِهَادُ، فَهُوَ كَمَا تَرَى فِي أَفْغَانِسْتَانَ، فِيهِ كُلُّ الْعُيُوبِ الَّتِي ذَكَرْتُ، وَلَكِنَّ هَكَذَا حَالُنَا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ، وَهَكَذَا جِهَادُنَا، فَإِذَا تَحَسَّنَتْ دَرَجَاتُ الْإِسْلَامِ عِنْدَنَا تَحَسَّنَتْ حَالَةُ الْجِهَادِ وَبَاقِي الْعِبَادَاتِ».

وَفِي آخِرِ لِقَاءٍ لَنَا بَعْدَ فَتْحِ «كَابُلٍ»، وَقَدْ خُضْنَا فِي نَفْسِ النُّقَاشِ لِلْمَرَّةِ
الْأَخِيرَةِ ضَحِكَ قَائِلًا: «أَنْتَ تَخَافُ أَنْ تَقُولَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ جِهَادًا». فَأَجَبْتُهُ: «مَا
زِلْتُ مُصِرًّا أَنَّهُ كَانَ جِهَادًا، كَانَ فِيهِ الْقَلِيلُ مِنَ الْإِحْلَاصِ وَالْمُخْلِصِينَ،
وَعَالِيَهُ مِنَ الْحَبَثِ وَالْحُبْنَاءِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ جِهَادًا، جِهَادًا نَاقِصًا كَمَا هُوَ إِسْلَامُنَا
فِي هَذَا الزَّمَانِ».

كَانَتْ بَدَايَةُ تَعَرُّفِنَا بِأَبِي أُسَامَةَ هِيَ التَّدَاعِيَاتُ الَّتِي تَرْتَبَتْ عَلَى مَسِيرَتِنَا
الْقِتَالِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْجِهَادِ، وَهِيَ الْخُطُوبَاتُ الَّتِي أَعْقَبَتْ فَشَلَ مَشْرُوعِ
التَّصْنِيعِ سَابِقِ الذِّكْرِ. لَقَدْ خَسِرْنَا الْكَثِيرَ فِي تِلْكَ الْمَسِيرَةِ وَكَسَبْنَا أَيْضًا الْكَثِيرَ،
وَمِنْ أَهَمِّ مَكَاسِبِنَا كَانَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنَ «الْإِحْوَانِ»، الْحَاجُّ «سَيْفٌ» وَ «أَبُو
أُسَامَةَ».



مَنْ «بَابِي» إِلَى «بَاجِي»:

لَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ مَعَالِمِ عَامِ ١٩٨٣ م فِي مَسِيرَةِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هُوَ
ظُهُورُ اسْمِ «بَابِي» فِي قَامُوسِ الْجِهَادِ.

تَكَلَّمْتُ مَعَ «حَقَّانِي» فِي «بِشَاوَر» عَنْ رَغْبَتِي فِي إِحْضَارِ عَائِلَتِي إِلَى
بَاكِسْتَانَ كَيْ أَتَفَرَّغَ لِلْعَمَلِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ. وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى

الَّتِي نُثِيرُ فِيهَا هَذَا الْمَوْضُوعَ. فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْحُكُومَةَ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ وَزَعَتَ عَلَيَّ قَادَةَ الْأَحْزَابِ وَقَادَةَ الْجَبَهَاتِ الْمَشْهُورِينَ قِطْعًا مِنَ الْأَرْضِ فِي مَنطِقَةٍ خَارِجَ «بِشَاوَر» تُدْعَى «بَابِي» عَلَى بُعْدِ حَوَالِي ٢٠ كِيلُومِتْرًا فِي الطَّرِيقِ إِلَى «إِسْلَامْ آبَاد».

ثُمَّ عَرَضَ عَلَيَّ أَنْ أَخُذَ قِطْعَةَ الْأَرْضِ الْخَاصَّةِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي «بِشَاوَر» لِأَنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يُعْرِفُهُ فِي مَشَاكِلِهَا، وَقَدْ تَوَكَّلَ إِلَيْهِ مَهَامُ إِدَارِيَّةٍ فِي الْإِتِّحَادِ تَجَعَلَهُ بَعِيدًا عَنِ الْجَبَهَاتِ.

وَأَخْبَرَنِي أَنَّ مَوْلَوِيَّ «أَرْسَلَانَ» لَهُ قِطْعَةٌ أَرْضٍ مُجَاوِرَةٌ لَهُ، وَأَنَّهُ شَرَعَ فِي بِنَائِهَا. أَجَبْتُهُ أَنَّنِي سَوْفَ أَكُونُ مَسْرُورًا بِأَنْ أَكُونَ جَارًا لِمَوْلَوِيَّ «أَرْسَلَانَ» وَلَكِنِّي مَشْغُولٌ بِالنُّسْبَةِ لِدِّرَاسَةِ الْأَوْلَادِ، فَأَوْلَادِي عَدَدُهُمْ كَبِيرٌ وَمَعْظَمُهُمْ فِي سِنِّ الدِّرَاسَةِ. لِذَا سَوْفَ أُنَحِّثُ إِمْكَانِيَّةَ الْإِقَامَةِ فِي «إِسْلَامْ آبَاد» عِنْدَمَا أَتَاكُدُ مِنْ وَضْعِ الْمَدَارِسِ الْعَرَبِيَّةِ بِهَا.

وَعَلِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ «فَاعِلِي الْخَيْرِ» مِنَ السُّعُودِيَّةِ قَدْ اشْتَرَوْا مِنْ حُكُومَةِ بَاكِسْتَانَ مِسَاحَةً وَاسِعَةً فِي مَنطِقَةِ «بَابِي» وَوَهَبُوهَا لِمَوْلَوِيَّ «سَيَاف» كَيْ يُقِيمَ عَلَيْهَا قَرْيَةً جِهَادِيَّةً يَسْتَوْعِبُ فِيهَا رِجَالَهُ وَمُوظَّفِيهِ وَقَادَتَهُ وَمَشَارِبِعَهُ الْجِهَادِيَّةِ!! وَمَدَارِسَ وَمُسْتَوْصَفَاتٍ عِلَاجِيَّةً، وَحَتَّى جَامِعَاتٍ.

وَهَكَذَا مَعَ الْوَقْتِ ابْتَلَعَتْ «بَابِي» لَيْسَ فَقَطْ أَمْوَالَ الْعَرَبِ الَّتِي أَغْدَقُوهَا

بَعِيرٍ حِسَابٍ لِلتَّنْمِيَةِ وَلِلتَّعْمِيرِ، وَلَكِنَّهَا ابْتَلَعَتْ عَشْرَاتٍ مِنْ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ الْمُقْتَدِرِينَ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوهَا وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَّا إِلَى الْمَقَابِرِ أَوْ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ لِتَوَلَّى بَعْضَ الْمَنَاصِبِ فِي «الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» بَعْدَ الْفَتْحِ. وَهِيَ الْحُكُومَةُ الَّتِي تُدِيرُ الْحَرْبَ الْأَهْلِيَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَحَظْنَا هَذِهِ.

كُنْتُ أَرَى فِي «بَابِي» مُجَرَّدَ «سِيرِك» يُدِيرُهُ مُهَرَّجِي الْجِهَادِ لِمُجَرَّدِ سَلْبِ أَمْوَالِ الْعَرَبِ وَإِبْعَادِهِمْ عَنِ الْمُسَاهَمَةِ الْجَادَّةِ فِي الْجِهَادِ، وَكَأَنَّا يُحِيطُونَهَا بِجَوِّ كَاذِبٍ مُضَلَّلٍ، وَيَضُخُّونَ فِي أَسْمَاعِهِمْ يَوْمِيًّا عَشْرَاتِ الْأَكَاذِيبِ وَالْإِفْتِرَاءَاتِ، وَيَرْفَعُونَ لَدَيْهِمْ أَقْوَامًا وَيَضْعُونَ آخَرِينَ، حَتَّى صَارَتِ الصُّورَةُ الَّتِي يَتَمُّ بِثَمَّ مِنْ «بِشَاوَر» - بِوَأَسْطَةِ «سَيَاف» بِصِفَتِهِ الْجَدِيدَةِ الْمَهِيَّةِ، وَكِبَارِ الْمَسْؤُولِينَ حَوْلَهُ-، هَذِهِ الصُّورَةُ لَا تَمُتُ بِصَلَةِ لَصُورَةِ الْجِهَادِ الْحَقِيقِيَّةِ وَلَا تُسَاعِدُ بِأَيَّةِ حَالٍ عَلَى مَعْرِفَةِ الْقَضِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَ «سَيَاف» وَغَيْرُهُ مِنَ الْقَادَةِ لَا يَرِغْبُونَ إِطْلَاقًا فِي أَنْ يَتَعَمَّقَ الْعَرَبُ فِي صَلَاتِهِمِ الْمِيدَانِيَّةِ بِأَفْغَانِسْتَانَ وَالْجِهَادِ هُنَاكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يَفْضَحُهُمْ وَيُوضِّحُ أَوْجُهَ الزَّيْفِ فِي الْعَمَلِيَّةِ كُلِّهَا.

كَانَ الْمَطْلُوبُ هُوَ أَنْ يَحْضُرَ الْعَرَبُ إِلَى «بِشَاوَر» كَيْ يَسْتَمِعُوا إِلَى الْأَكَاذِيبِ وَيُشَاهِدُوا تَمَثُّلَاتٍ مَحْبُوكَةً يُدِيرُهَا الْقَادَةُ وَمُسَاعِدُوهُمْ، مَعَ مَزِيدٍ مِنَ الْهَيَاجِ الْعَاطِفِيِّ الْمَحْمُومِ الَّذِي تُثِيرُهُ الْأَشْرَطَةُ وَالْمَجَلَّاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي

ضَخَّمَتِ الْحَدِيثَ حَوْلَ مَوَاضِعَ فَرَعِيَّةٍ، أَهْمَهَا «الْكَرَامَاتُ» الَّتِي كَثُرَ اللَّغَطُ حَوْلَهَا فِي أَحَادِيثٍ قَلِيلٍ مِنْهَا صَحِيحٌ وَأَكْثَرُهَا كَاذِبٌ.

الْكِتَابُ الْإِسْلَامِيُّونَ فِي حَدِيثِهِمْ عَنِ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ مِنَ الْأَفْغَانِ «الَّذِينَ يُدَكِّرُونَهُمْ بِالصَّحَابَةِ» تَمَادَوْا فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ الْمُدْمَرِ، لَيْسَ فَقَطٌ لِلْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بَلْ لِتَارِيخِنَا الْإِسْلَامِيِّ وَرُمُوزِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ عَنْ «سَيَافٍ» إِنَّهُ «عَمْرٌ» الثَّلَاثُ فِي زُهْدِهِ وَتَوَاضُعِهِ!! إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَصَلَ التَّضْلِيلُ أَوْ الْعَمَى. وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ يَعْتَرِضُ أَوْ حَتَّى يَتَحَفَّظَ، فَهُوَ إِمَّا «عَدُوٌّ لِلْجِهَادِ»، وَقَدْ نَلْتُ هَذِهِ التُّهْمَةَ مَرَارًا، أَوْ هُوَ زَنْدِيقٌ يُنْكِرُ الْكَرَامَاتِ، أَوْ هُوَ يَطْعَنُ فِي نَزَاهَةِ رُوَاةِ تِلْكَ الْكَرَامَاتِ، وَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْفِئَةِ الَّتِي إِنْ قَابَلَ أَمْثَالَهُمْ «الْبُخَارِيُّ» أَخَذَ عَنْهُمْ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ مَنْ يَرُدُّ هَذِهِ فَقَدْ رَدَّ تِلْكَ!! سَمِعْتُ هَذَا التَّهْرِيجَ وَأَمْثَالَهُ بِأَذْنِي مِنْ شَخْصِيَّاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَعَلَى قُرَائِنَا الْمُسْتَقْبَلِيِّينَ أَنْ يَتَخَيَّلُوا دَرَجَةَ الْإِنْحِطَاطِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَانْخَرَطْنَا بِهَا فِي أَعَاصِيرِ الْجِهَادِ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَتْ «بَابِي» هِيَ بَوْتَقَةٌ كُلُّ ذَلِكَ الْغُثَاءِ، وَالهُوسِ الْجَمَاعِيِّ بِاسْمِ الْجِهَادِ. كَانَتْ «حَمَلَةً إِسْلَامِيَّةً» لِتَضْلِيلِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَلِمَنْعِهَا مِنَ الرُّوْيَةِ السَّلِيمَةِ، وَبِالتَّالِي مَنْعِهَا مِنْ رَدَّةِ الْفِعْلِ الصَّحِيحَةِ. حَمَلَةٌ أَوْ قَدَهَا أَعْدَاءُ الْأُمَّةِ وَانْسَاقَ فِيهَا بَعْفَوِيَّةٌ وَصِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ رُمُوزِ الْأُمَّةِ الَّتِي دَفَعَتْهُمْ السَّاحَةَ

الأفغانِيَّةُ إِلَى مُقَدِّمَةِ الصُّفوفِ فِي أَوْسَاطِ الإِسْلَامِيِّينَ .

لَقَدْ كَانَتْ الإِسْتِخْبَارَاتُ السُّعُودِيَّةُ هِيَ المُهَنْدِسُ الأَكْبَرُ وَالمُنْفِذُ الأَوَّلُ لِهَذِهِ الحَالَةِ مِنَ الفَوْضَى الهُوجَاءِ فِي مَجَالِ الفِكرِ الجِهَادِيِّ الَّذِي رَافَقَ الحَرْبَ الأفغانِيَّةَ، أَوْ مَجَالِ العَمَلِ الإِسْلَامِيِّ لِمُسَاعَدَةِ الشَّعْبِ الأفغانِيِّ فِي مَجَالِ التَّبَرُّعَاتِ المَالِيَّةِ وَالعَيْنِيَّةِ، أَوْ مَجَالِ القِتَالِ فِي الجَبَهَاتِ الَّذِي انْفَلَتَ فِي وَفْتِ مَا بِلَا ضَابِطٍ، وَبِدُونِ رَغْبَةِ الأفغانِ أَوْ السُّعُودِيِّينَ أَنفُسِهِمْ .

وَلَكِنَّ مُحَاوَلَاتِ إِحْبَاطِهِ وَتَضْلِيلِهِ أَوْ إِضَاعَتِهِ فِي مَسَالِكِ ضَارَّةٍ وَغَيْرِ نَافِعَةٍ لِلجِهَادِ، كُلُّهَا مُحَاوَلَاتٌ لَمْ تَتَوَقَّفْ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى، وَحَتَّى بَعْدَ نِهَآيَةِ الحَرْبِ ضِدَّ النُّظَامِ فِي «كَابُل» .

وَلَا تُذَكَّرُ «بَابِي» إِلاَّ وَذُكِرَتْ مَعَهَا شَقِيقَتُهَا «جَاجِي»، ذَلِكَ المَوْقِعُ الحُدُودِيُّ الَّذِي مَارَسَ فِيهَا «سَيَاف» تَضْلِيلًا عَسْكَرِيًّا عَلَى جُهَلَاءِ العَرَبِ المُتَحَمِّسِينَ حَتَّى المَوْتِ، وَالمُتَحَرِّقِينَ لِلشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَسْمَعْ فِي حَيَاتِهِ صَوْتَ طَلْقَةٍ أَوْ يَلْمَسَ بِيَدِهِ بُنْدُقيَّةً، نَاهِيكَ أَنْ يَحْضَرَ حَرْبًا .

كَانَتْ ضُغُوطَاتُ العَرَبِ عَلَى «سَيَاف» كَيْ يَذْهَبُوا إِلَى الجَبَهَاتِ آخِذَةً فِي التَّصَاعُدِ مَعَ تَزَايُدِ أَعْدَادِ العَرَبِ الوَافِدِينَ إِلَى أفغانِسْتَانِ .

تَعَمَّدَ «سَيَاف» فِي البِدَايَةِ إِرسَالَ المُتَحَمِّسِينَ العَرَبِ إِلَى جَبَهَاتِ

«مَضْمُونَةٌ سِيَاسِيًّا» أَي تَقْوُدُهَا شَخْصِيَّاتٌ مَضْمُونَةٌ، أَي غَيْرُ طَمُوحَةٍ سِيَاسِيًّا
وَمُرْتَبِطَةٌ بِالِاتِّحَادِ. فَكَانَ الْاِتِّجَاهُ الْأَسَاسِيُّ نَحْوَ جَبَهَاتِ «جَلَالِ الدِّينِ
حَقَّانِي». وَلَمَّا كَبُرَ «حَقَّانِي» إِلَى حَجْمِ أَثَارِ تَوْجُّسَاتِ «سَيَّافٍ» تَفَتَّقَ ذَهْنُهُ عَنِ
جَبَهَةِ أُخْرَى قَرِيبَةٍ مِنْ «كَابُلٍ»، هِيَ جَبَهَةُ «شَكَرْدَرَةِ» الَّتِي يَقْوُدُهَا الشَّابُّ
الذِّكِيُّ الطَّمُوحُ «مُحَمَّدُ صَدِيقِ شُكْرِي» الَّذِي كَانَ فِي طَوْرِ التَّمْيِيزِ عَلَى يَدِ
أُسْتَاذِهِ وَقَائِدِهِ «سَيَّافٍ». وَلَمْ يَلْبَثِ الْقَلْقُ أَنْ اِنْتَابَ «سَيَّافٍ» مِنْ نِبَاهَةِ
«شُكْرِي» الَّذِي اتَّقَنَ الْعَرَبِيَّةَ بِسُرْعَةٍ، وَبَدَأَ يَتَكَلَّمُهَا بِطَرِيقَةِ «سَيَّافٍ» وَيُحَاكِيهِ
فِي إِلْقَائِهِ، تَمَامًا كَأَنَّهُ صُورَةٌ طُبْتُ الْأَصْلِ، فَحَازَ إِعْجَابَ زُورَاهِ مِنَ الشَّبَابِ
الْعَرَبِ، وَعَقَدَ صِدَاقَةً مَتِينَةً مَعَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ»، وَرَوَى لَهُ عِدَّةَ
«كِرَامَاتٍ» لِأَصْلِ لَهَا، وَلَكِنَّهَا حَازَتْ إِعْجَابَ الشَّيْخِ فَأُورَدَهَا فِي كِتَابِهِ عَنِ
الكَرَامَاتِ الْمُسَمَّيِ «آيَاتِ الرَّحْمَنِ فِي جِهَادِ الْأَفْغَانِ» بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ «شُكْرِي»
عَلَى صِحَّتِهَا. كَمَا زَادَتْ زِيَارَتُهُ لَهُ فِي بَيْتِهِ فِي «إِسْلَامَ آبَادٍ» وَفِي تَجَمُّعَاتِ
الْعَرَبِ، خُصُوصًا الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ فِي «بِيشَاوَرٍ»، فَزَادَتْ شَعْبِيَّةُ «شُكْرِي»
كَثِيرًا. وَبَدَأَتْ التَّبَرُّعَاتُ تَنْهَالُ عَلَى جَبَهَتِهِ مِبَاشِرَةً عَلَى شَكْلِ هِبَاتِ عَيْنِيَّةٍ
تُسَلَّمُ إِلَيْهِ شَخْصِيًّا.

شَعَرَ «سَيَّافٍ» بِالْخَطَرِ فَكَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَوَاجَدَ بِنَفْسِهِ فِي سِيرِكِ
لِلْأَلْعَابِ النَّارِيَّةِ يُرْضَى نَزَوَاتِ الشَّبَابِ الْعَرَبِ. فَتَفَتَّقَتْ عَقْلِيَّتُهُ الْمُتَوَقِّدَةُ عَنِ
«جَاجِي»، كَأَوَّلِ سِيرِكِ أَفْغَانِيٍّ لِلْأَلْعَابِ الْجِهَادِيَّةِ، مُخَصَّصٌ لِلْسِّيَاحِ الْعَرَبِ.

عَامُ ١٩٨٤ م الانْحِرَافُ يَتَأَصَّلُ

«جَاجِي» كَانَتْ نَجْمَ عَامِ ١٩٨٤ م بِلَا مُنَازَعٍ بِالنُّسْبَةِ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ
وَجَمَاهِيرِ المُسْلِمِينَ المُتَحَمِّسَةِ.

لَمْ يَكُنْ الأَمْرُ كَذَلِكَ بِالنُّسْبَةِ لِي وَبِالنُّسْبَةِ لِقَلَّةِ نَادِرَةِ مِنَ العَرَبِ، وَلَا
بِالنُّسْبَةِ لِأَكْثَرِيَّةِ الأفْغَانِ، سِوَاءِ القَادَةِ أَوْ «الْكُومُنْدَانَاتِ» أَوْ حَتَّى الأَفْرَادِ
العَادِيَّينَ. كُنْتُ أَرَاهَا تَهْرِيجًا وَتَضْلِيلًا وَاسْتِزْأَفًا لِأَمْوَالِ العَرَبِ [وَاحْتِيَالًا]
عَلَيْهِمْ.

طَرِيقَةُ «سَيَّافٍ» فِي قِيَادَةِ الأِتِّحَادِ جَعَلْتَنِي أَتَشَكُّ فِي إِمْكَانِيَّاتِهِ لِأَنْ يَكُونَ
قَائِدًا حَقِيقِيًّا لِلجِهَادِ وَلِلشَّعْبِ الأفْغَانِيِّ. لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ «قَائِدِ آخَرَ» مِثْلَ
هُؤُلَاءِ الَّذِينَ سَبَّوهُ.

نَفْسُ المَنْهَجِ وَنَفْسُ العَقْلِيَّةِ إِلاَّ أَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ قُدْرَةً عَلَى الخِدَاعِ وَالمُرَاوَعَةِ
فَفَازَ عَلَى الجَمِيعِ. وَأَمْسَكَ بِسَيْفِ الشَّرْعِيَّةِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الأَمْوَالِ المُتَدَفِّقَةِ
عَلَى الأِتِّحَادِ بِصِفَتِهِ رَئِيسًا لِذَلِكَ الأِتِّحَادِ، وَلَكِنَّهَا تَحَوَّلَتْ إِلَى أَمْوَالِ شَخْصِيَّةِ
سَاعَدْتُهُ فِي تَقْوِيَةِ مَرَكِّزِهِ وَزِيَادَةِ عَدَدِ أَتْبَاعِهِ. وَلَمْ يُصَبَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى دَاخِلِ

الْجِهَادِ فِي الْجَبَهَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِنْفَاقَ عَلَى الْجِهَادِ تَمْوِيلًا وَتَسْلِيحًا كَانَ قَدْ أَصْبَحَ مُهِمَّةً أَمْرِيكِيَّةً. وَ «سَيَاف» أَوْ غَيْرُهُ مِنْ قَادَةِ الْأَحْزَابِ غَيْرُ مُسْتَعِدِّ بِالْمَرَّةِ أَنْ يُضْحِيَ بِغَنَائِمِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ كَيْ يُنْفِقَهَا عَلَى الْجِهَادِ نِيَابَةً عَنِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ الْمُخَابِرَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ تُشَدِّدُ قَبْضَتَهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ عَلَى أُمُورِ الْقِتَالِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَكَانَتْ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ تَسْتَخْدِمُ «الْأَحْزَابَ الْجِهَادِيَّةَ» فِي «بِيشَاوَر» كَقَنَاةٍ رَيْسِيَّةٍ لِلدُّخُولِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَالتَّعَامُلِ مَعَ «الْقَوْمِنْدَانَاتِ» الْمَحَلِّيِّينَ. وَسَوْفَ نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْقَنَاةَ تَمَّ الاسْتِغْنَاءُ عَنْهَا تَقْرِيبًا فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ وَتَحَوَّلَ الْبَاكِسْتَانِيُّونَ إِلَى الْإِتِّصَالِ الْمُبَاشِرِ مَعَ كُلِّ «قَوْمِنْدَانٍ» عَلَى حِدَةٍ، فَتَهَمَّشَتْ الْأَحْزَابُ وَتَحَوَّلَ الزُّعَمَاءُ إِلَى مُجَرَّدِ بِيَادِقٍ عَلَى رُقْعَةِ اللَّعْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ.

فِي «بِيشَاوَر» لَمْ يَكُنْ الدَّوْرُ الْأَمْرِيكِيُّ قَدْ اتَّضَحَتْ لَنَا أُبْعَادُهُ الْحَقِيقِيَّةُ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَكُنَّا نَظُنُّهُ هَامِشِيًّا، وَكَذَلِكَ دَوْرُ بَاكِسْتَانَ وَالسُّعُودِيَّةِ.

كُنَّا نَعْتَقِدُ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَا يَقُولُهُ لَنَا الْمُجَاهِدُونَ فِي الْجَبَهَاتِ وَالْقَادَةَ فِي «بِيشَاوَر» أَنَّ بَاكِسْتَانَ تُقَدِّمُ بَعْضَ الْمُسَاعَدَاتِ، وَلَا نَسْتَلِمُ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِيكََا. وَاسْتَتَجْتُ وَفْتَهَا أَنَّ الْيَدَ الْأَمْرِيكِيَّةَ تُصَافِحُ الْيَدَ الْأَفْغَانِيَّةَ وَهِيَ تَرْتَدِي الْقَفَازَ الْبَاكِسْتَانِيَّ، حَتَّى لَا يَنْتَقِضَ وَضُوءُ الْأَطْهَارِ مِنْ قِيَادَاتِ «بِيشَاوَر».

وَعَبْرَ الْأَحْزَابِ الْبِشَاوَرِيَّةِ تَجِدُ الْمُسَاعَدَاتُ طَرِيقَهَا إِلَى قَادَةِ الْجَبَهَاتِ،
رُبَّمَا تَحْسَبًا لِلْحَسَاسِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَ الْكُفَّارِ وَاحْتِقَارِهِمْ
الْفِطْرِيِّ لِلْبَاكِسْتَانِيِّينَ.

كَانَ ذَلِكَ لِمَرْحَلَةٍ اسْتَمَرَّتْ حَتَّى عَامَ ١٩٨٧ مِ عِنْدَهَا قَلَّتْ هَذِهِ الْحَسَاسِيَّةُ
وَتَطَوَّرَ «الْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ» لَدَى الْقَوْمُنَدَانَاتِ وَعَامَّةِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ بِحَيْثُ
أَصْبَحَ يَتَحَمَّلُ التَّعَامُلَ الْمُبَاشَرَ مَعَ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ بِدُونِ وَاسِطَةِ قَنَوَاتِ الْأَحْزَابِ
فِي «بِشَاوَر». بَلْ أَصْبَحَ يَتَحَمَّلُ مَزِيدًا مِنَ التَّعَامُلِ الْمَكْشُوفِ مَعَ الْأَمْرِيكَانِ
وَالْأُورُوبِيِّينَ «الْكُفَّارِ» الَّذِينَ أَصْبَحُوا «أَصْدِقَاءَ»، وَلَوْ مُوقَّتًا وَتَحْتَ ضَغْطِ
الْحَاجَةِ.

قَبْلَ أَنْ يَتَوَجَّهَ «سَيَّاف» إِلَى «جَاجِي» فِي زِيَارَتِهِ الْأُولَى لَهَا، كُنْتُ فِي
مَكْتَبِهِ مَعَ الصَّدِيقِ «الْمِنْيَاوِي» كَيْ نُطْلِعَهُ عَلَى آخِرِ تَطَوُّرَاتِ الْبَحْثِ حَوْلَ
مَشْرُوعِ التَّصْنِيعِ الْعَسْكَرِيِّ. وَكُنَّا نَعْتَزِمُ قَضَاءَ بَعْضِ الْوَقْتِ فِي الْجَبَهَاتِ عِنْدَ
مَوْلَايِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» صَدِيقِنَا الدَّائِمِ. فَلَمْ نَكُنْ قَدْ تَجَمَّعْنَا سَوِيَّةً فِي
الْجَبَهَةِ مِنْذُ زِيَارَتِنَا الْأُولَى لِأَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ١٩٧٩ مِ.

كَانَتْ مُفَاجَأَةً لَنَا عِنْدَمَا عَلِمْنَا أَنَّ «سَيَّاف» قَدْ أَسَّسَ مَرَكْزًا عَسْكَرِيًّا فِي
«جَاجِي»، وَأَنَّهُ يَنْوِي نَقْلَ مَقَرِّ إِقَامَتِهِ إِلَى هُنَاكَ.

كَانَ ذَلِكَ أَمَلْنَا مِنْذُ الْبِدَايَةِ. وَلَا حَظُّتُ أَنَّ «سَيَّاف» كَانَ مُتَّحَفْظًا قَلِيلًا وَهُوَ

يَزُفُ إِلَيْنَا الْبُشْرَى رُغْمَ عِلْمِهِ بِالْحَاحِنَا عَلَيْهِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ كَيْ يَتَّخِذَ تِلْكَ الْخُطْوَةَ. وَقَالَ بَأْتَهُ لَنْ يَنْقَلِ مَقَرَّ إِدَارَةِ الْإِتِّحَادِ إِلَى «جَاجِي» كَمَا طَلَبْنَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صِلَاحِيَةِ الْمَوْقِعِ وَمَنَاعَتِهِ. وَدَعَانَا إِلَى مُرَافَقَتِهِ إِلَى هُنَاكَ، فَوَعَدْنَاهُ بِاللِّحَاقِ بِهِ فِيمَا بَعْدُ.

دَارَتْ رَأْسِي وَلَا أَكَادُ أَصَدُّقُ، هَلْ يَفْعَلُهَا «سَيَافُ» أَحِيرًا؟ تِلْكَ هِيَ فُرْصَتُهُ الْأَخِيرَةُ كَيْ يُصْبِحَ قَائِدًا حَقِيقِيًّا لِلجِهَادِ، وَأَنْ يُصْبِحَ الْإِتِّحَادُ اتِّحَادًا حَقِيقِيًّا لِلْمُجَاهِدِينَ، وَلَيْسَ اتِّحَادًا وَرَقِيًّا بَيْنَ السَّاسَةِ. وَلَكِنْ لِمَاذَا يَتَحَرَّكُ مُنْفَرِدًا؟. تَسَاءَلْنَا فِي انْزِعَاجٍ؛ لِكُونِهِ يَدْخُلُ إِلَى «بَاكْتِيَا» - تِلْكَ الْمَنْطِقَةُ الْحَسَّاسَةُ - بِدُونِ قَادَتِهَا الْكِبَارِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ «حَقَّانِي» وَأَصْحَابُهُ الْآخَرُونَ مَوْلَوِيَّ «أَحْمَدُ جُول» وَمَوْلَوِيَّ «أَرْسَلَان» وَعَشْرَاتُ آخَرُونَ؟!

جُرَيْبِيَّةٌ أُخْرَى مِنَ الصُّورَةِ فِي «بِيشَاوَر» آنَذَاكَ، رَأَيْنَاهَا عِنْدَ الْعَصْرِ. لَقَدْ وَصَلْنَا دَعْوَةً مِنْ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ لِحُضُورِ اجْتِمَاعٍ فِي «بَيْتِ بَاكْتِيَا»، وَهُوَ مَنْزِلُ اتَّخِذَهُ مَوْلَوِيَّ «خَالِص» كَاسْتِرَاحَةٍ لِقَادَةِ مُحَافَظَةِ «بَاكْتِيَا» وَمُجَاهِدِيهَا عِنْدَ زِيَارَتِهِمْ لـ «بِيشَاوَر». ذَهَبْتُ مَعَ «الْمِنْيَاوِي» إِلَى هُنَاكَ بِصُحْبَةِ مَوْلَوِيَّ «عَبْدِ الرَّحِيمِ أَخُو زَانَدَه» الَّذِي صَارَ وَزِيرًا لِلْعَدْلِ بَعْدَ فَتْحِ «كَابُل». فَوَجَدْنَا الْبَيْتَ مُزْدَحِمًا بِشَكْلِ غَيْرِ عَادِيٍّ. كَانَ هُنَاكَ مَا بَيْنَ خَمْسِينَ إِلَى سَبْعِينَ مِنْ قَادَةِ الدَّخْلِ، لَيْسَ فَقَطُ مِنْ «بَاكْتِيَا» وَ «بَاكْتِيَا»، وَلَكِنْ أَيْضًا مِنْ «غَارِزِي» وَ

«لوجر» وَغَيْرَهَا مِنَ الْمُحَافَظَاتِ. كَانَتْ الْوُجُوهُ عَابِسَةً وَالْكَالَامُ يَدُورُ بِنَبْرَاتٍ غَاضِبَةٍ مَعَ تَلْوِيحٍ عَنيفٍ بِالْأَيْدِي وَالْقَبْضَاتِ. كَانَ الْجَوُّ مُلَبَّدًا وَيُنْدِرُ بِالْخَطْرِ. فَسَأَلْنَا مَوْلَوِيَّ «عَبْدَ الرَّحِيمِ» عَنِ مَوْضُوعِ الْاجْتِمَاعِ وَسَبَبِ هَذَا التَّوَثُّرِ. فَأَخْبَرَنَا بِأَنَّ فِتْنَةَ عَلِيٍّ وَشَكَّ أَنْ نَقَعَ.

هُؤُلَاءِ هُمْ مِنْ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ مِنْ حِزْبِ «خَالِصِ» «حِزْبِ إِسْلَامِيٍّ»، وَجَمِيعُهُمْ جَاءَ يَشْكُو وَيَتَوَعَّدُ؛ فَالضَّغَطُ الْعَسْكَرِيُّ السُّوفِيَّتِيُّ الْوَاقِعُ عَلَيْهِمْ يَتَّصَعَدُ بَيْنَمَا مَا يَصِلُهُمْ مِنْ إِمْكَانَاتٍ لَا يَكَادُ يَكْفِيهِ الْحَدُّ الْأَدْنَى مِنَ الْمَطَالِبِ. وَيَسْمَعُونَ عَنِ الْمَلَائِينِ الَّتِي يَصُبُّهَا الْعَرَبُ فِي «بِشَاوَرِ» عَلَى «سَيَافٍ». وَهَذَا الْأَخِيرُ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِحِزْبِهِ الْخَاصِّ، وَلَا يُعِيرُ اهْتِمَامًا لِبَاقِي الْمُجَاهِدِينَ. وَحِزْبُ «خَالِصِ» أَفْلَسَ تَقْرِيْبًا أَوْ يَكَادُ بِسَبَبِ ارْتِهَانِهِ الْكَامِلِ «لِلاتِّحَادِ» مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَالِيَّةِ.

وَهَكَذَا صَارَ حُهُمُ «خَالِصِ» أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهُمْ، وَطَالَبَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى «سَيَافٍ». وَالْأَخِيرُ أَهْمَلَهُمْ بَلْ تَرَكَ «بِشَاوَرِ» مِنْ جَرَاءِ ضَعْفِهِمْ وَضَعَطِ مَجْمُوعَاتٍ مُمَائِلَةٍ قَدِمَتْ مِنَ الدَّاخِلِ تُطَالِبُ بِالذَّعْمِ فِي مُوَاجَهَةِ مَوْسِمِ قِتَالِيٍّ هُوَ الْأَشَدُّ وَالْأَسْوَأُ مِنْ نَوْعِهِ مُنْذُ دُخُولِ السُّوفِيَّتِ، وَقَدْ تَأَكَّدَتْ لِي صِحَّةُ هَذَا التَّقْيِيمِ مِنْ مَصَادِرٍ مُسْتَقِلَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ. إِذَنْ «جَاجِي» كَانَتْ لـ «سَيَافٍ» مَهْرَبًا مِنْ ضُغُوطِ الدَّاخِلِ، لَا تَوَجُّهًا إِلَى الدَّاخِلِ أَوْ أَنَّهَا هُرُوبٌ إِلَى

الأمم كما يقولون. كما أنها توجه نحو مزيد من الانفصالية الحزبية، وليست خطوة اتحادية. وها هم قواد «باكثيا» وما حولها يهددون وينذرون، وكانت أهم البؤد العملية المطروحة على جدول أعمالهم هي اقتراح بمهاجمة قوافل «جماعة سياف» أي الاتحاد أينما وجدت!!.

لقد اقتربت الفتنة وشمّرت عن ساعديها، فما العمل؟. كان الوضع سيئاً في الداخل، واستخدم الروس بتوسع أسلوب مهاجمة قوافل إمداد المجاهدين بواسطة الطيران وقوات الكوماندوز. واستطاعوا تدمير عدد لا يُستهان به من تلك القوافل، بل وعطلوا مسيرها في بعض الطرق، أي أن المجاهدين بدأوا يخسرون طرق إمدادهم، وهذا من مؤشرات خسارة الحرب. ولم يقف الأمر عند ذلك بل إن نشاط الكوماندوز السوفييتي «سباتناز» قد توسع واشتمل على أسلوب الهجمات المباغته على مراكز المجاهدين في العمق وتدميرها وقتل من فيها حيث أنه يضرب في أماكن وتوقيتات غير متوقعة وبعد الحصول على معلومات تفصيلية عن الأهداف المقصودة. وذلك بفضل نمو نشاط جهاز الاستخبارات الأفغاني «خاد» ونجاحه الواسع في اختراق الجبهات القتالية، فضلاً عن «بيشاور» المهلهلة.

تدفقت علينا أخبار تلك العمليات مثل الصواعق أو السيل المنهمر حتى تخيلنا أن النهاية تقترب؛ فمركز «مطيع الله» قرب «الأورجون» تم تدميره

وَقَتْلَ مَنْ فِيهِ بِوَأَسِطَةِ قُوَّاتِ الْكُومَانْدُوزِ السُّوفِيَّيَّةِ الْمَحْمُولَةِ بِطَائِرَاتِ
 الْهِيلُو كُبْتَر. وَعِدَّةُ مَعْسَكَرَاتٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْحُدُودِ عَلَى الْجَانِبِ الْأَفْغَانِيِّ تَمَّ
 تَدْمِيرُهَا بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ. وَاسْتُخْدِمَ الْكُومَانْدُوزِ السُّوفِيَّيَّةِ الْأَرَاضِي الْبَاكِسْتَانِيَّةَ
 نَفْسَهَا فِي الْهُجُومِ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمَعْسَكَرَاتِ، خَاصَّةً فِي مُحَافَظَةِ «كُونر»،
 فَكَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ تَامَّةً بِأَنَّ كَانَ الْهُجُومُ قَادِمًا مِنَ الْجِهَةِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعَةِ. وَقَدْ
 تَوَاطَأَ بَعْضُ قَادَةِ الْمَعْسَكَرَاتِ فِي قَلِيلٍ مِنْ تِلْكَ الْهَجَمَاتِ، أَيْ أَنَّ بَعْضَهُمْ
 كَانَ عَمِيلًا لِ «الْخَاد» وَبَاعَ الْمَعْسَكَرَ وَمَنْ فِيهِ. وَبَعْضُهُمْ كَرَّرَ نَفْسَ الْخِيَانَةِ
 أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ اكْتِشَافُهُ، وَبَعْضُهُمْ اسْتَمَرَ فِي مَوَاقِعَ أُخْرَى وَلَمْ تَتِمَّ
 مُعَاقَبَتُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

كَانَتْ قَوَافِلُ الْإِمْدَادِ إِلَى الْمُحَافَظَاتِ الشَّمَالِيَّةِ ضَخْمَةً لِلْغَايَةِ وَتَتَكَوَّنُ مِنْ
 عَشْرَاتِ الْبِغَالِ وَالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَقَدْ دَمَّرَ الرُّوسُ الْكَثِيرَ مِنْهَا بِوَأَسِطَةِ كَمَائِنَ
 مُذْهِلَةٍ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْقَوَافِلُ تُكْتَشَفُ بِوَأَسِطَةِ الْجَوَاسِسِ الْمُنْبُتِينَ عَلَى طُرُقِ
 الْإِمْدَادِ، خَاصَّةً فِي الْمَطَاعِمِ الْعَامَّةِ «السَّمَاوَاتِ»، أَوْ بِوَأَسِطَةِ طَائِرَاتِ
 الْاسْتِكْشَافِ. وَأَحْيَانًا أُخْرَى يَتِمُّ رَصْدُهَا مِنْ «بِيشَاور»، وَيَنْتَقِلُ مَعَهَا جَاسُوسٌ
 مُخْتَرِفٌ ضَمَّنَ أَفْرَادَ الْقَافِلَةِ نَفْسَهَا، الَّتِي تَضُمُّ إِلَى جَانِبِ أَفْرَادِهَا الْأَصْلِيِّينَ
 الْمُخَصَّصِينَ لِلْحِمَايَةِ أَفْرَادًا عَادِيَّينَ مِنْ عَابِرِي السَّبِيلِ أَوْ الْمُسَافِرِينَ إِلَى نَفْسِ
 الْمَنَاطِقِ الَّتِي تَقْصِدُهَا الْقَافِلَةُ.

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدْ ظَهَرَتْ الْأَشْتَبَاكَاتُ الْمُسَلَّحَةُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَحْضُورَةً تَقْرِيبًا فِي شَمَالِ أَفْغَانِسْتَانَ بَدَأَتْ تَزْحَفُ حَتَّى وَصَلَتْ «كَابُلَ». وَانْتَقَلَ الصَّرَاعُ السِّيَاسِيُّ بَيْنَ أَعْدَاءِ «بِيشَاوَر» إِلَى «كَابُلَ»، فَاشْتَبَكَ رِجَالُ «حِكْمَتِيَار» «حِزْبُ إِسْلَامِيٌّ» مَعَ رِجَالِ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» «الْجَمْعِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ»، وَدَخَلَ رِجَالُ «سَيَّاف» لِأَوَّلِ مَرَّةٍ رُغْمَ حَدَاثَةِ تَشْكِيلِهِمُ السِّيَاسِيِّ، فَقَاتَلُوا ضِدَّ رِجَالِ «حِكْمَتِيَار». الْغَرِيبُ أَنَّ هَذَا مَا يَدُورُ الْآنَ فِي «كَابُلَ»، إِذْ يُقَاتِلُ «سَيَّافٌ» وَ «رَبَّانِي» ضِدَّ حِكْمَتِيَار!!

كَمَا عَلِمْنَا أَنَّ أَفْرَادًا مِنْ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ «خَاد» قَدْ [دَخَلُوا] فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ حَوْلَ «كَابُلَ»، وَيَصُبُّونَ الزَّيْتَ عَلَى النَّارِ، وَبَيْنَهُمْ أَفْرَادٌ كَانُوا ضَبَّاطًا سَابِقِينَ فِي الدَّوْلَةِ انْضَمُّوا حَدِيثًا إِلَى الْمُجَاهِدِينَ وَتَوَلَّوْا مَهَامَ قِيَادِيَّةٍ حَوْلَ «كَابُلَ»، ثُمَّ بَدَأَتْ لُغْبَتُهُمُ الْكُبْرَى فِي إِشْعَالِ الْفِتْنَةِ الدَّاخِلِيَّةِ.

وَالْغَرِيبُ أَنَّ الزُّعَمَاءَ فِي «بِيشَاوَر» كَانُوا يُدَافِعُونَ بِاسْتِمَاتَةٍ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنْدَسِّينَ وَيَشْهَدُونَ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَبِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مَعَهُمْ مِنْذُ زَمَنِ طُوبَلٍ وَأَنَّهُمْ انْضَمُّوا إِلَيْهِمْ عَلَانِيَةً عِنْدَمَا اكْتَشَفَتِ الدَّوْلَةُ أَمْرَهُمْ. فَاخْتَلَطَتِ الْحَقَائِقُ وَتَدَاخَلَتِ الصُّفُوفُ وَأَصْبَحَ [مِنْ الصَّعْبِ] مَعْرِفَةُ الْحَقِيقَةِ أَوْ مَعْرِفَةُ مَنْ يَعْمَلُ مَعَ مَنْ؟.

إِنَّ هَذَا مَا يَحْدُثُ فِي «كَابُلَ» سَاعَةَ كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ، فَالْشُّيُوعِيُّونَ

الْقُدَامَى فِي الْجَيْشِ وَالْمُخَابِرَاتِ وَقُوَّاتِ الْمَيْلِيشِيَا وَأَجْهَزَةِ الدَّوَلَةِ الْإِدَارِيَّةِ قَدْ دَخَلُوا فِي صُفُوفِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَقَاتِلَيْنِ فِي «كَابُل»، فَرِيقُ رَئِيسِ الدَّوَلَةِ «رَبَّانِي» وَحَلِيفِهِ «سَيَّاف»، وَفَرِيقُ «حِكْمَتِيَار» رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ وَحَلِيفِهِ «عَبْدِ الرَّشِيدِ دُوسْتَم» أَكْبَرُ قَائِدِ لِلْمَيْلِيشِيَااتِ الشُّيُوعِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ قَبْلَ سُقُوطِ النِّظَامِ.

وَيَدْفَعُنَا ذَلِكَ إِلَى الْاِعْتِقَادِ - إِضَافَةً إِلَى شَوَاهِدَ كَثِيرَةٍ - إِلَى أَنَّ الْأُورَاقَ الْإِسْلَامِيَّةَ - الشُّيُوعِيَّةَ كَانَتْ مَخْلُوطَةً تَمَامًا دَاخِلَ الْأَحْزَابِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ التَّمَايُزُ الَّذِي كُنَّا نَتَخَيَّلُهُ بِأَنَّ أَحْزَابَ «بِيشَاوَر» - خَاصَّةً الْأُصُولِيَّةَ - خَالِيَةٌ تَمَامًا مِنْ أَيِّ شَائِبَةٍ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ. بَلْ إِنَّ عَنَاصِرَ شِيُوعِيَّةٍ عَتِيقَةً كَانَتْ تَتَوَلَّى مَنَاصِبَ حَسَّاسَةً، وَلَكِنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الْأَنْظَارِ، خَاصَّةً أَنْظَارِ الْعَرَبِ الْمَبْهُورِينَ بِالتَّجْرِبَةِ الْجِهَادِيَّةِ الْمُثِيرَةِ، وَبِالْخَيَالَاتِ الْمُدْهَشَةِ الَّتِي أُطْلِقَ عَنَانُهَا «الصَّحَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ» وَالْخُطَبَاءُ الْمُفَوَّهُونَ وَالْكَتُبُ الَّتِي تُحَلِّقُ بِقَارِئِهَا فِي أَجْوَاءِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَتُضَعِّفُ ارْتِبَاطَهُ وَوَعِيَهُ بِالْمَصَائِبِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى الْأَرْضِ إِلَى جَانِبِهِ وَحَوْلَهُ عَلَى كُلِّ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

كَانَتْ «كَابُل» تَحْطَى بِأَكْبَرِ حَشْدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَسْلِحَةِ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ بَاكِسْتَانَ مِنْ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ. فَهَكَذَا تَقْضِي الْاِسْتِرَاطِيَجِيَّةُ الَّتِي وَضَعَهَا الْجِنِرَالُ «أَخْتَرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ» مُدِيرُ الْمُخَابِرَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَأَقْوَى رَجُلٍ فِي الدَّوَلَةِ بَعْدَ «ضِيَاءِ الْحَقِّ». وَحَسَبَ أَقْوَالِ الزُّعَمَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَإِنَّ عَدَدَ

رِجَالِهِمْ تَرَاوَحَ مَا بَيْنَ ٢٠ إِلَى ٣٠ أَلْفٍ مُجَاهِدٍ لِلْحِزْبِ الْوَاحِدِ.

«سَيَّافٌ» رُغْمَ حَدَائِثِهِ اسْتَطَاعَ حَشْدَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا حَوْلَ «كَابُلٍ»، حَسَبَ تَصْرِيحَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ. وَبِالطَّبَعِ تَمَّ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ الْآخِرِينَ، فَكَانَ مِنَ الْمَنْطِقِيِّ أَنْ تَحْدُثَ الْأَشْتِبَاكَاتُ؛ فَقَدْ تَحَوَّلَ «الْقَوْمُنَدَانَاتُ» وَرِجَالُهُمْ إِلَى سِلْعَةٍ تَخْضَعُ لِلْعَرْضِ وَالطَّلَبِ. كَانَ «سَيَّافٌ» يَمْتَلِكُ الْقَدْرَ الْأَعْظَمَ مِنَ السُّيُولَةِ الْمَالِيَّةِ، فَاشْتَرَى مَا شَاءَ مِنَ الْقَادَةِ. أَمَّا «حِكْمَتِيَارٌ» فَيَتَبَنَّى دَائِمًا سِيَاسَةَ الرَّدْعِ وَالتَّصْفِيَةِ، خَاصَّةً بِالنُّسْبَةِ لِمَنْ يَنْشَقُونَ عَلَيْهِ أَوْ الْمُنَاوِئِينَ لَهُ.

فِي كِتَابِهِ «فُخُّ الدُّبِّ» ذَكَرَ الرَّائِدُ «مُحَمَّدُ يُونُسُ» رَيْسُ فِرْعِ أَفْغَانِسْتَانَ فِي الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ أَنَّ «سَيَّافٌ» طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَوَلَّى بِمُفْرَدِهِ مِهْمَةَ الدَّفَاعِ عَنِ الْمَنْفَذِ الْحُدُودِيِّ فِي «جَاغِي». وَكَانَ يَرْغَبُ أَلَّا يُشَارِكَهُ حِزْبٌ آخَرَ فِي تِلْكَ الْمِهْمَةِ. وَيَبْدُو أَنَّ الْأَسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ أَوْكَلَتْ إِلَيْهِ الْمِهْمَةَ الرَّئِيسِيَّةَ وَتَرَكَتْ لِلْآخِرِينَ دَوْرًا ثَانَوِيًّا كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَحْدَاثُ الْمَنْطِقَةِ وَمَعَارِكُهَا.

كَانَتْ الْمَنْطِقَةُ هَامَّةً جِدًّا كَمَنْفَذِ حُدُودِيٍّ تَعْبُرُ مِنْهُ الْإِمْدَادَاتُ مِنْ بَاكِسْتَانَ إِلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْوَالِيَّاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَذَكَرَ «مُحَمَّدُ يُونُسُ» أَنَّ «جَاغِي» كَانَ يَعْبُرُ مِنْهَا مَا نِسْبَتُهُ ٤٠٪ مِنَ الْإِمْدَادَاتِ.

لَقَدْ اُنْدَفَعَ «سَيَّافٌ» إِلَى مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ بِذَهَابِهِ إِلَى «جَاغِي»، فَهُوَ يُدَافِعُ عَنِ مَنْفَذِ هَامٍّ وَمَنْطِقَةِ اسْتِرَاتِيஜِيَّةٍ فِي اعْتِبَارَاتِ بَاكِسْتَانَ، وَكَانَ قَبْلَهَا قَدْ حَجَزَ

لِنَفْسِهِ مَكَانًا آخَرَ بَارِزًا فِي «كَابُل»، تَطْبِيقًا لِنَفْسِ الْاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى قِتَالٍ دَاخِلِيٍّ حَوْلَ «كَابُل». وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَقَّقَتْ لَهُ «جَاجِي» مَرْكَزًا مُتَفَوِّقًا لَدَى الْعَرَبِ، فَأَصْبَحَ زَعِيمَهُمُ الْأَكْبَرَ وَمَثَلَهُمُ الْأَعْلَى وَمَهْوَى الْأَفْتِدَةِ وَالْأَمْوَالِ.

أَدَّتْ خُطْوَةَ «جَاجِي» إِلَى تَذْمُرٍ مُعْظَمٍ قَادَةَ «بَاكِتِيَا» وَعُلَمَائِهَا الْمُجَاهِدِينَ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَعْتَبِرْ حُكُومَةُ بَاكِسْتَانِ «سَيَّاف» إِلَّا عَمِيلاً لِلسُّعُودِيَّةِ حَلِيفِهَا اللَّدُّودِ، بَيْنَمَا ظَلَّ «حِكْمَتِيَارُ» مِنْ لَحْظَتِهِ الْأُولَى وَحَتَّى الْآنَ هُوَ فَتَى بَاكِسْتَانِ الْأَوَّلِ فَوْقَ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْعَلَاقَاتِ الدَّاخِلِيَّةَ بَيْنَ الدُّوَلِ «الْحَلِيفَةِ» أَمْرِيكَا- بَاكِسْتَانِ- السُّعُودِيَّةِ كُلَّمَا تَعَرَّضْتُ إِلَى «مَشَاكِلِ عَائِلِيَّةٍ» فَإِنَّهَا تَنْعَكِسُ فِي مَوْفِقِ كُلِّ دَوْلَةٍ مِنْ حَلِيفِ الدَّوَلَةِ الْأُخْرَى. فَعِنْدَمَا غَضِبَ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» مِنَ السُّعُودِيَّةِ قَالَ لِ «سَيَّاف» فِي أَحَدِ الْمَوَاقِفِ: «إِنَّ الْأَمْوَالَ لَا تَصْنَعُ الزُّعَمَاءَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَقُولُ فَسَوْفَ أُعِيدُكَ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ».

وَلَا يَمْنَعُ هَذَا مِنْ أَنَّهُ اضْطُرَّ أَحْيَانًا إِلَى تَأْدِيبِ فَتَاهُ الْمُدَلَّلِ «حِكْمَتِيَارُ» عِنْدَمَا رَفَضَ الْأَخِيرُ مُقَابَلَةَ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ، فَقَالَ لَهُ «ضِيَاءُ الْحَقِّ»: «نَحْنُ الَّذِينَ صَنَعْنَاكَ، وَيُمْكِنُ أَنْ نُدْمِرَكَ فِي ثَوَانٍ»، وَأَبْلَغَهُ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ مُدِيرِ الْمُخَابَرَاتِ.

وَقَدْ عَانَى «حِكْمَتِيَارُ» مِنْ فِتْرَاتِ التَّوَتُّرِ فِي الْعَلَاقَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ

الباكستانية، حَيْثُ وَجَّهَ إِلَيْهِ الْأَمْرِيكَانُ حَمَلَاتٍ إِعْلَامِيَّةً شَدِيدَةً وَتَصْرِيحَاتٍ عَنِيفَةً مِنْ مَسْئُولِيهِمْ.

وَلَكِنَّ «سَيَّاف» رُغِمَ انْتِمَائِهِ الْكَامِلِ لِلْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ فَقَدْ فَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْإِدَارَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي الْمَجَالِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي كَانَ حِكْرًا عَلَى بَاكِسْتَانٍ، فَهِيَ السُّعُودِيَّةُ تَنْجَحُ فِي فَرْضِ زَعِيمٍ عَلَى كُلِّ الْمُنْظَمَاتِ الَّتِي كَانَتْ ضَمَّنَ الْحَدِيقَةِ الْخَاصَّةِ بِبَاكِسْتَانٍ.

ثُمَّ هَا هُوَ «سَيَّاف» يَفْرِضُ لِنَفْسِهِ - وَمِنْ ثَمَّ لِحَلِيفَتِهِ السُّعُودِيَّةِ - مَجَالًا بَارِزًا عَلَى السَّاحَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي مَكَائِنٍ خَطِيرِينَ بِالنِّسْبَةِ لِالِاسْتِرَاطِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، وَهُمَا «كَابُل» الْعَاصِمَةُ وَالْهَدَفُ النَّهَائِي لِلْحَرْبِ كَمَا تَرَاهُ بَاكِسْتَانٌ، ثُمَّ «جَاجِي» أَهَمُّ الْمَنَافِذِ الْحُدُودِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

كَانَتْ الْمُنَافَسَةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ مَعَ حُلَفَائِهَا تَدُورُ فِي الْخَلْفِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ عَنِيفَةً فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى دَرَجَةٍ سَالَتْ فِيهَا بَعْضُ الدَّمَاءِ، وَسَوْفَ نَتَعَرَّضُ لِبَعْضِ تِلْكَ الْحَالَاتِ فِي حِينِهَا.



نَكْسَةُ الْمَشَارِعِ الْكَبِيرَةِ:

شَعَرْنَا بِاقْتِرَابِ كَارِثَةِ الْاِقْتِتَالِ الدَّاخِلِيِّ يُخَيِّمُ فَوْقَ «بَاكِتِيَا»، وَبِالْفِشَلِ

النَّهَائِي يُخَيِّمُ عَلَى الْمَشْرُوعِ الْإِتِّحَادِيَّ. فَاجْتِمَاعُ «الْقَوْمُنَدَانَات» فِي بَيْتِ «بَاكْتِيَا» يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ. وَقَرَّرْنَا التَّحَرُّكَ بِسُرْعَةٍ لِتَلَاوِي الكَارِثَةِ. التَّقْيِينَا مَعَ عَدَدٍ مِنْ كِبَارِ قَادَةِ «بَاكْتِيَا» مِثْلَ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» وَمَوْلَايِ «أَرْسَلَانَ» وَمَوْلَايِ «أَحْمَدِ جُول» ثُمَّ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور»، ثُمَّ اتَّصَلْنَا بِالرَّائِدِ «جُولْزَرَكَ» الَّذِي كَانَ ضِمْنَ اللَّجْنَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْإِتِّحَادِ وَفَتْهَا. كَانَتْ النَّتَائِجُ إِيجَابِيَّةً لِلْعَايَةِ وَتَبَلَّوْرَتْ فِي اقْتِرَاحِ مُحَدَّدٍ وَافَقَ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ.

يَقُولُ الْاِقْتِرَاحُ: «إِنَّ «سَيَّاف» وَضَعَ قُوَّتَهُ وَسُمْعَتَهُ، بَلْ وَسُمْعَةَ الْمُجَاهِدِينَ كُلَّهُمْ - لِكُونِهِ رَئِيسًا لِلْإِتِّحَادِ- فِي مُقَابَلَةِ حِصْنٍ صَغِيرٍ فِي «جَاجِي»، هُوَ حِصْنٌ «تَشَاوَنِي». لِذَا فَإِنَّ الْعَدُوَّ سَوْفَ يُرَكِّزُ قُوَّاتِهِ لِلدَّفَاعِ عَنْ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُحَدَّدَةِ، بَلْ سَوْفَ يُوَجِّهُ هُجُومًا مُعَاكِسًا إِلَى مَعَاقِلِ «سَيَّاف» فِي «جَاجِي»؛ لِخَلْعِهِ مِنْ هُنَاكَ، وَتَدْمِيرِ مَرَاكِزِهِ، بِمَا يَحْمِلُهُ ذَلِكَ مِنْ إِهَانَةٍ وَضَرْبَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ لِجَمِيعِ الْمُجَاهِدِينَ.

الْبَدِيلُ الَّذِي يَقْتَرِحُونَهُ: هُوَ شَنْ هُجُومٍ شَامِلٍ عَلَى نِطَاقِ مُحَافَظَةِ «بَاكْتِيَا» كُلِّهَا ضِدَّ كُلِّ مَرَاكِزِ الْعَدُوِّ. وَيَسْتَعْرِقُ الْهُجُومُ حَسَبَ الْاِقْتِرَاحِ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. وَيَتَوَقَّعُ الْقَادَةُ أَنَّ ذَلِكَ الْهُجُومَ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ مِنْ حَيْثُ اتَّسَاعِهِ الْجُغْرَافِيَّ وَأَعْدَادِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْقِيَادَاتِ الْكَبِيرَةِ الْمُشَارِكَةِ فِيهِ، وَلَاوَلِ مَرَّةً بِاسْمِ الْإِتِّحَادِ الْجَدِيدِ وَرَعِيمِهِ «سَيَّاف»، سَوْفَ يُسْفِرُ عَنْ تَشْتِيتِ قُوَّاتِ

الْعَدُوَّ وَإِيقَاعِ خَسَائِرٍ فَادِحَةٍ فِي قُوَّاتِهِ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَخْسِرُ حَتْمًا عَدَدًا مِنْ الْمَوَاقِعِ الْهَامَّةِ، قَدْ يَكُونُ مِنْ بَيْنِهَا حِصْنُ «تَشَاوُنِي» وَرُبَّمَا أَمَاكِنُ أُخْرَى أَكْثَرُ أَهْمِيَّةً.

كَانَتْ الْخُطُوَّةُ طَمُوحَةً وَجَدَابَةً، وَلَا أَنْكَرُ أَنَّهَا اسْتَوَلَّتْ عَلَيَّ كَيْانِي كُلَّهُ. كَانَتْ تَتَّبِعُنِي تِلْكَ الْحَالَةَ أَمَامَ الْخُطَطِ الْعَسْكَرِيَّةِ مِنْ هَذَا النَّوعِ، كُنْتُ أَرَاهَا رَائِعَةً مِنْ الْوَجْهِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِكُونِهَا غَيْرَ تَقْلِيدِيَّةٍ وَطَمُوحَةً وَجَرِيئَةً، وَكُنْتُ أَرَاهَا رَائِعَةً مِنْ الْوَجْهِ السِّيَاسِيَّةِ؛ فَالَاتِّحَادُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ سَوْفَ يَصِلُ أَحْيَرًا إِلَى الْمِيدَانِ الْقِتَالِيِّ، وَهَذِهِ مِنْ بَشَائِرِ النَّصْرِ الْكُبْرَى.

اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَيَّ تَكْلِيفِ الرَّائِدِ «جُولَزْرَاك» بِوَضْعِ تَفَاصِيلِ الْخُطَّةِ، ثُمَّ حَسَابِ تَكْلُفَتِهَا الْمَالِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى كَمِّيَّاتِ الْعَنَادِ وَأَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ الْمَطْلُوبَةِ لِكُلِّ مَوْقِعٍ. وَافَقَ «جُولَزْرَاك» بِسُرُورٍ وَحَمَاسٍ.

قَضَى الرَّائِدُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي إِعْدَادِ الْخُطَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ مَعَ الْخَرَائِطِ اللَّازِمَةِ، كَمَا أَعَدَّ جَمِيعَ الْكُشُوفَاتِ الَّتِي تَحْتَوِي التَّفْصِيلَاتِ الدَّقِيقَةَ. وَقَدْ تَعَاوَنَ مَعَهُ الْقَادَةُ فِي إِمْدَادِهِ بِكَافَّةِ الْبَيِّنَاتِ الصَّرُورِيَّةِ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ وَعَدَدِ مُجَاهِدِيهِمْ وَالْأَسْلِحَةِ وَالذِّخَائِرِ الْمُتَوَفَّرَةِ، وَالْأَهْدَافِ الْمُحْتَمَلَةَ لَدَيْهِمْ، ثُمَّ احْتِيَاجَاتِهِمْ لِلْعَمَلِيَّاتِ الْقَادِمَةِ... إِلَى آخِرِ تِلْكَ التَّفْصِيلَاتِ.

فِي خِصْمِ تِلْكَ الْخُطَّةِ الطَّمُوحَةِ تَقَدَّمْنَا بِاقْتِرَاحِ أَوْلِيِّيِّ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالذُّورِ

العَرَبِيِّ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْكُبْرَى. فَاقْتَرَحْتُ أَنْ يَتَوَلَّى الْعَرَبُ الْجَانِبَ الْمَالِيَّ،
أَيَّ جَمْعِ الْأَمْوَالِ اللَّازِمَةِ لِلْمَعْرَكَةِ، ثُمَّ الْإِشْرَافُ عَلَى عَمَلِيَّةِ الْإِمْدَادِ وَالتَّمْوِينِ
أثناء الْعَمَلِيَّاتِ بِحَيْثُ تَتَلَقَّى كُلُّ مَجْمُوعَةٍ مُقَاتِلَةٍ الْمَقَادِيرَ اللَّازِمَةَ مِنْ مَوَادِّ
الْإِمْدَادِ الَّتِي تُفَرِّقُهَا الْقِيَادَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ. وَالْجَانِبُ الْعَرَبِيُّ يَتَوَلَّى أَيْضًا تَنْظِيمَ
الْمُشَارَكَةِ الْمُبَاشِرَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ الْمُتَطَوِّعِ.

فَفَزَنِي فِي مَبَاشَرَةِ اسْمِ «أَبُو أُسَامَةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَلِيٍّ»، وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ
قَبْلًا، فَهُوَ رَجُلٌ عَسْكَرِيٌّ مُجَاهِدٌ، وَذُو سُمْعَةٍ عَالِيَةٍ وَهَيْبَةٍ فِي صُفُوفِ
«الْإِخْوَانِ». فَهُوَ بِخَبْرَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَحَزْمِهِ وَهَيْبَتِهِ قَادِرٌ - فِي ظَنِّي - عَلَى إِدَارَةِ
هَذَا الْعَمَلِ وَفَرْضِ الْأَنْضِبَاتِ وَالْإِتِّزَامِ عَلَى كُلِّ الْأَطْرَافِ الْمُشَارِكَةِ فِيهِ. أَمَّا
صِلَاتُهُ وَسُمْعَتُهُ فِي أَوْسَاطِ «الْإِخْوَانِ»، فَسَوْفَ تَكْفُلُ - فِي ظَنِّي أَيْضًا -
مُبَارَكَةَ إِخْوَانِيَّةٍ، وَرُبَّمَا مُشَارَكَةَ جَدِيَّةٍ فِي الْمَشْرُوعِ، أَوْ عَلَى أَوْعَافِ
الْإِحْتِمَالَاتِ سَوْفَ تَكْفُفُ أَذَاهُمْ عَنَّا، فَلَا يُهَاجِمُونَ الْعَمَلَ وَيُجْهِضُونَهُ
كَعَادَتِهِمْ إِزَاءَ أَيِّ عَمَلٍ غَيْرِ نَابِعٍ مِنْ عِنْدِهِمْ.

اتَّصَلْنَا [هَاتِفِيًّا] بِصَدِيقِنَا الْحَاجِّ «سَيْفٍ» فِي الْإِمَارَاتِ وَأَخْبَرْنَا بِإِجَازِ أَنْنَا
نُرِيدُ «أَبُو أُسَامَةَ» لِأَمْرِ هَامٍّ طَرَأَ هُنَا. فَادْرَكَ عَلَى الْفُورِ أَنَّهُ تَطَوَّرَ إِجْبَابِي
وَخَطِيرٌ. فَأَعْطَانَا رَقْمَ هَاتِفِ «أَبِي أُسَامَةَ» فِي الْكُوَيْتِ، وَدَارَ مَعَهُ حِوَارٌ سَاخِنٌ،
وَكَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَحَاوَرُ مَعَهُ، وَيَكَادُ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرُ ذَلِكَ الْحِوَارِ هُوَ نَفْسُهُ

الَّذِي دَارَ مَعَهُ فِي آخِرِ لِقَاءِ بَيْنَنَا بَعْدَ فَتْحِ «كَابُلِ» بَعْدَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ لِي «أَبُو أُسَامَةَ» هَاتِفِيًّا: «مَاذَا تُرِيدُونَ مِنِّي؟ لَيْسَ عِنْدِي وَقْتُ كَيْ أُضِيعَهُ مَعَ هَؤُلَاءِ، إِنَّهُمْ مَجْمُوعَةٌ نَصَّابِينَ لَا يُرِيدُونَ الْجِهَادَ، بَلْ يُرِيدُونَ جَمْعَ الْأَمْوَالِ، هَذَا لَيْسَ جِهَادًا، هَذَا قِتَالٌ عَادِيٌّ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ خُلُقُ الْمُسْلِمِ وَلَا خُلُقُ الْمُجَاهِدِ، أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، كُونُوا جَادِّينَ. لَا تَخَدَعُوا الْمُسْلِمِينَ وَتَقُولُوا هَذَا جِهَادٌ. هَؤُلَاءِ الزُّعَمَاءُ يُرِيدُونَ السُّلْطَةَ وَيُرِيدُونَ الزَّعَامَةَ وَيَكْذِبُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ».

أَجَبْتُهُ بِأَنَّنا عَلِمْنَا كُلَّ ذَلِكَ، وَلَكِنْ جَدَّ الْآنَ وَضِعَ مُخْتَلِفٌ قَدْ يُغَيِّرُ الْأُمُورَ، وَأَنَّ وُجُودَهُ حَيَوِيٌّ فِي هَذَا الْأَمْرِ. رَقَّ قَلْبُ الرَّجُلِ وَقَالَ: «لَقَدْ نَصَحْتُكُمْ وَقُلْتُ لَكُمْ مَا عِنْدِي فَإِذَا كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ حَقًّا أَنْ هُنَاكَ أَمَلٌ فَسَوْفَ أَحْضِرُ إِلَيْكُمْ كَيْ نَرَى، وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ».

تَحَرَّكْنَا التَّالِي كَانَ فِي اتِّجَاهِ «يُونُسَ خَالِصَ»، وَكُنْتُ لَمْ أَرَهُ مُنْذُ عَامَيْنِ تَقْرِيْبًا. تَقَابَلْنَا مَعَهُ وَمَعَ نَائِبِهِ «حَاجِّي دِينَ مُحَمَّدَ» صَدِيقِنَا الْقَدِيمِ، فِي أَحَدِ مَكَاتِبِهِمْ فِي «بِيشاور» بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ. وَكَانَ لِقَاءً عَاصِفًا، وَلَكِنَّهَا عَاصِفَةٌ عَاتِيَةٌ تَهْبُ مِنْ اتِّجَاهِ وَاحِدٍ، وَهُوَ اتِّجَاهُ الشَّيْخِ «خَالِصَ». لِأَكْثَرِ مِنْ سَاعَةٍ وَالشَّيْخُ يَهَاجِمُنَا «بِصِفَتِنَا الْعَرَبِ» - كُلُّ الْعَرَبِ - الَّذِينَ أَفْسَدُوا الْإِتِّحَادَ وَظَلَمُوا الْأَحْزَابَ وَفَرَضُوا «سَيَّافَ»، وَأَضْرَبُوا الْجِهَادَ فِي الْجَبَهَاتِ بَعْدَ أَنْ أَعْرَفُوا «بِيشاور» بِالْأَمْوَالِ. وَسَاعَدْنَا «حَقَّانِي» بِالْأَمْوَالِ حَتَّى وَهَنْتَ رَوَابِطَهُ

مَعَ حِزْبِهِ. وَكُنَّا مَعِينِينَ بِهَذِهِ النُّقْطَةِ بِصِفَانَا أَقْرَبِ الْعَرَبِ إِلَى «حَقَّانِي» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

لَمْ يَتْرُكْ لَنَا الشَّيْخُ فُرْصَةً لِالْتِقَاطِ الْأَنْفَاسِ. وَلَمْ نَكُنْ مُسْتَعِدِّينَ حَتَّى لِلْمُجَادَلَةِ. سَمِعْنَا الْهُجُومَ وَنَحْنُ نَبْتَسِمُ بِرُوحِ رِيَاضِيَّةٍ؛ فَقَدْ كُنَّا نُحِبُّ الرَّجُلَ وَنَحْتَرِمُهُ كَثِيرًا، وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ؛ فَالْإِخْلَاصُ وَالصَّرَاحَةُ سِمَتُهُ الْأَصْلِيَّةُ، وَعَيْبُهُ الْأَكْبَرُ سُرْعَةُ الْغَضَبِ وَرُدُودُ الْفِعْلِ السَّرِيعَةُ غَيْرَ الْمَدْرُوسَةِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ أَكْثَرُ أَخْطَائِهِ. وَيَبْقَى أَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْفِئَةِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى الْحَقِّ سَرِيعًا عِنْدَمَا يُزُولُ عَنْهَا الْغَضَبُ، أَوْ يَتَبَيَّنُ لَهَا الصَّوَابُ. وَالْغَرِيبُ أَنَّ مَجْمُوعَةً مِنْ أَقْرَبِ وَأَفْضَلِ أَصْدِقَائِي تَجْمَعُهُمْ تِلْكَ الصِّفَةُ، مِنْهُمْ «أَبُو أَسَامَةَ» وَ «الْمِنْيَاوِيُّ» وَ «سَيْفٌ» ثُمَّ شَيْخُنَا الْفَاضِلُ «يُونُسُ خَالِصٌ».

بَعْدَ أَنْ أَفْرَغَ مَوْلَايُ «خَالِصٌ» جُعْبَتَهُ مِنَ الْغَضَبِ قَامَ لِيَتَوَضَّأَ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ الْعَصْرَ. وَكَأَنَّهُ أَحْسَسَ بِالنَّدَمِ لِهَذَا الْهُجُومِ الَّذِي لَا نَسْتَحِقُّ مُعْظَمَهُ، فَكَلَّمَنَا بِهُدُوءٍ يُشْبِهُ الِاعْتِدَارَ، فَقَالَ: «سَوْفَ أَتْرُكُكُمْ مَعَ «حَاجِّي دِينَ مُحَمَّدٍ» وَأَنَا مَعَكُمْ فِي كُلِّ مَا تَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ». لَمْ يَتَّبِعْنِي أَدْنَى شَكٍّ فِي صِدْقِ قَوْلِهِ، وَبَدَأْنَا بِحَثًّا مُفْصَلًا مَعَ «حَاجِّي دِينَ مُحَمَّدٍ» حَوْلَ الْمَشْرُوعِ.

بَدَأَ الرَّجُلُ مَعَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْفِظِ وَسَأَلَ: «لِمَ أَدَا «بَاكْتِيَا»؟ لِمَ لَا تَبْدَأُونَ مَشْرُوعًا كَهَذَا فِي «جَلَالِ آبَادٍ»؟». لَمْ أَشَأْ أَنْ أَخُوضَ مَعَهُ فِي جِدَالٍ مُطَوَّلٍ،

وَاخْتَصَرْتُ الْمَوْضُوعَ فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ: «إِذَا نَجَحَ مَشْرُوعُكُمْ هَذَا فِي «بَاكْتِيَا» فَسَوْفَ يَكُونُ مِنَ السَّهْلِ تَطْبِيقُهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ». فَتَخَلَّى عَنِ تَحْفُظِهِ وَأَعْلَنَ مُوَافَقَتَهُ التَّامَّةَ لِلْمَشْرُوعِ وَوَعَدَ بِدَعْمِهِ بِكَافَّةٍ مَا يَمْلِكُ مِنْ إِمْكَانَاتٍ، فَرَبَطْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّائِدِ «جُولَزْرَاك» لِيَحِثَّ التَّفَاصِيلَ وَالِاتِّفَاقَ عَلَيْهَا.

إِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْاِتِّصَالَاتُ الْوَاسِعَةُ مِنْ دَاخِلِ أَيِّ مَكْتَبٍ تَابِعٍ لِتَنْظِيمٍ مُعَيَّنٍ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ مَكْتَبًا لِلِاتِّحَادِ، فَسَوْفَ تَكُونُ مَوَاقِفُ الْأَفْغَانِ مُنْحَازَةً ضِدَّ الْمَشْرُوعِ أَوْ مَعَهُ حَسَبَ الْمَكَانِ الْمُنْطَلِقِ مِنْهُ. وَعَلَى هَذَا الْاِعْتِبَارِ الْمُنْحَرِفِ سَوْفَ يَتَّزَجِحُ مُسْتَقْبَلُ الْمَشْرُوعِ. فَكَانَ مِنَ الْأَنْسَبِ الْبَقَاءُ فِي أَحَدِ فَنَادِقِ «بِشَاوَر» بَعِيدًا عَنِ الْمَكَاتِبِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

لَمْ يَكُنْ «الْمِنْيَاوِي» يُطِيقُ مَزَاجِي الْمُتَوَاضِعِ فِي الْمَسَائِلِ الْمَعِيشِيَّةِ، بَيْنَمَا كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ أَتَحَمَّلَ شَطَحَاتِهِ الْأُرْسُتُقْرَاطِيَّةَ فِي هَذَا الْمَجَالِ. فَاخْتَارَ فُنْدُقًا مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى، وَتَكَفَّلَ بِالْمَصَارِيفِ فَوَافَقْتُ. كَانَتْ مَوْجَةً مِنَ الْحَرِّ اللَّافِحِ تَجْتَاخُ بَاكِسْتَانَ، وَكَانَتْ الصُّحُفُ تَعْتَبِرُهَا الْأَشَدَّ مِنْ نَوْعِهَا مُنْذُ عَشْرَاتِ السِّنِينَ. تَمَتَّعْنَا بِالتَّكْيِيفِ الْمَرْكَزِيِّ لِلْفُنْدُقِ، وَكَانَتْ الْاجْتِمَاعَاتُ الْعَدِيدَةُ تَدُورُ فِي غُرْفَتِنَا خَاصَّةً، وَأَكْثَرُ الْمُشَارِكِينَ فِي الْمَشْرُوعِ يَكَادُ يَخْتَنِقُ مِنْ مَوْجَةِ الْحَرِّ الَّتِي لَمْ يَشْهَدْ لَهَا مَثِيلًا فِي حَيَاتِهِ. وَكَانَ مَوْلَايُ «أَرْسَلَانَ» يُمَازِحُنَا قَائِلًا: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَزُورَكُمْ كَثِيرًا لِأَنَّ غُرْفَتَكُمْ بَارِدَةٌ».

وَصَلَ «أَبُو أُسَامَةَ» وَشَارَكَنَا عَلَى مَضْضِ [الْبَقَاءِ] فِي الْفُنْدُقِ بَعْدَ أَنْ أَكَّدَ لَهُ «الْمِنْيَاوِيُّ» أَنَّ ذَلِكَ يَتِمُّ عَلَى حِسَابِهِ الْخَاصِّ وَكَيْسَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ صَبَّ عَلَيْنَا حُمَمَ هَجَمَاتِهِ الثَّقِيلَةَ، وَعَلَى أُمَّثَالِنَا مِنْ «الْمُطَبِّلِينَ وَالْمُزْمِرِينَ» لَهُؤُلَاءِ «الْمُجْرِمِينَ» مِنْ قَادَةِ الْأَحْزَابِ. وَقَالَ إِنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِمْ مُطَوَّلًا فِي عَامِ ١٩٨٠م، وَفِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ أَعْلَنَ رَأْيَهُ الصَّرِيحَ عَلَى الْمَلَإِ قَائِلًا: «إِنَّ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ فِيكُمْ هُوَ أَنْ نَحْتَجِزَكُمْ فِي عُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ لِمُدَّةِ يَوْمٍ، فِيمَا أَنْ تَتَّفِقُوا جَمِيعًا عَلَى إِمَارَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، أَوْ أَنْ نَقْتُلَكُمْ جَمِيعًا وَنَخْتَارَ شَخْصًا آخَرَ لِلْإِمَارَةِ».

وَكَمْ أَعْجَبَنِي ذَلِكَ الرَّأْيُ وَتَمَنَيْتُ دَوْمًا لَوْ أَنَّهُ نُفِذَ فِعْلًا، إِذْ لَجَبْنَا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ مَصَائِبَ عَظِيمَةً وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَعَلِمْنَا أَنَّ وَجْهَةَ نَظَرِ «أَبِي أُسَامَةَ» تِلْكَ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقِيَادَاتِ الْعُلْيَا فِي «الْإِخْوَانِ»، لِذَا فَإِنِّي أَعْتَبِرُهُمْ قَدْ سَارُوا عَمْدًا فِي طَرِيقِ الْإِنْحِرَافِ وَالتَّضَلُّيلِ.

وَكَمَا حَدَّثَ مَعَ مَوْلَايِ «خَالِصٍ» أَنَّهُ «أَبُو أُسَامَةَ» هُجُومُهُ الصَّاحِبَ، وَشَعَرَ أَنَّنَا غَيْرُ مَعْنِيَيْنَ بِأَكْثَرِ تِلْكَ الْمَشَاكِلِ، فَبَدَأَ يَسْتَمِيعُ لَنَا بِهُدُوءٍ. وَسَرَدْنَا عَلَى أَسْمَاعِهِ كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّفْصِيلِ.

أَبْدَى الرَّجُلُ إِعْجَابَهُ بِالْمَشْرُوعِ وَإِنْ كَانَ مَا زَالَ مُتَشَكِّكًا فِي جِدِّيَّةِ الْقِيَادَاتِ، خَاصَّةً «سَيَافٍ». وَقَالَ إِنَّهُ لَا يُمَانِعُ مِنْ خَوْضِ التَّجْرِبَةِ حَتَّى نَهَايَتِهَا،

وَحَتَّى تَتَأَكَّدَ جَمِيعًا مِنْ حَقِيقَةِ هَوْلِ النَّاسِ. وَلَكِنَّهُ أَضَافَ فِقْرَةَ جَدِيدَةً إِلَى الْمَشْرُوعِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ [مِنْ] أَنْ يُنْفِقَ «سَيَافٌ» عَلَى الْمَشْرُوعِ مِنْ أَمْوَالِ الْإِتِّحَادِ؛ ضَمَانًا لِلْجَدِيدَةِ فِي الْإِتِّزَامِ، وَأَيْضًا حَتَّى لَا يُنْظَرَ لِلْمَشْرُوعِ كَأَنَّهُ مُنَاسِبَةٌ أُخْرَى «لِنَهْبِ أَمْوَالِ الْعَرَبِ» عَلَى حَدِّ تَعْيِيرِهِ. أَمَّا إِذَا عَجَزَتْ أَمْوَالُ الْإِتِّحَادِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ يَتَكَفَّلُونَ بِتَدْبِيرِ الْمَبَالِغِشِ الْمَطْلُوبَةِ. وَافْقَنَا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّفَقْنَا بِالطَّبَعِ عَلَى أَنَّهُ سَيَتَوَلَّى تَمَثِيلَ الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْمَشْرُوعِ، وَأَنْ يَضَعَ تَحْتَ إِمْرَتِهِ مِنَ الْعَرَبِ الْأَشْخَاصَ الْمُنَاسِبِينَ وَالضَّرُورِيِّينَ لِلْعَمَلِ.

كَانَتْ تَقْدِيرَاتُ «جُولِزْرَاك» أَنَّ الْمَعْرَكَةَ سَوْفَ تَتَكَلَّفُ شَهْرِيًّا مَبْلَغًا يَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ إِلَى خَمْسَةِ مَلَائِينَ رُوبِيَّةٍ شَهْرِيًّا، وَذَلِكَ لِفَتْرَةٍ قَدْ تَمْتَدُّ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ دَخَلَ «سَيَافٌ» شَهْرِيًّا - مِنْ تَبَرَّعَاتِ الْعَرَبِ - يَفُوقُ بِمَرَا حِلِّ تَكْلِفَةِ الْمَعْرَكَةِ كُلِّهَا طَوَالَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرِ الْمُفْتَرَحَةِ.



تَحَرَّكَتْ قَافِلَتُنَا الْمَهِيئَةُ فِي عِدَّةِ سَيَّارَاتٍ عَبَرَ مَنَاطِقَ الْقَبَائِلِ فِي «بَارَا شِينَار» ثُمَّ «تْرِيْمَنْجَل». ثُمَّ صَعَدْنَا الْجَبَلَ الشَّاهِقَ فِي طَرِيقِ غَيْرِ مُمَهَّدٍ حَتَّى وَصَلْنَا مَنَاطِقَ «جَاجِي» الْأَفْغَانِيَّةِ الَّتِي تَكْسُوهَا غَابَاتُ الصَّنُوبَرِ. تَجَمَّعْنَا فِي مَرْكَزِ «سَيَافٍ» دَاخِلِ إِحْدَى الْخِيَامِ، وَكَانَ عَدَدُ الْخِيَامِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ. قَالُوا لَنَا إِنَّ «سَيَافٍ» «فِي الْمُقَدِّمَةِ»، وَكَانَ «أَبُو أُسَامَةَ» قَدْ كَتَبَ بِالْأَمْسِ رِسَالَةً

لِ «سَيَّافٍ» يُخْبِرُهُ فِيهَا بِوُضُوعِهَا وَيَطْلُبُ مُقَابَلَتَهُ، وَقَدْ حَدَّدَ «سَيَّافٌ» مَوْعِدَ الْمُقَابَلَةِ عَلَى ظَهْرِ نَفْسِ الرِّسَالَةِ، وَتَرَكَهَا فِي الْمَرْكَزِ مَعَ الْحَرَسِ، وَقَدْ حَدَّدَ مَوْعِدًا فِي الظُّهْرِ أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ «إِذَا كَانَ وَضَعُ الْحَرْبِ يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ» !!، حَسَبَ نَصِّ الرِّسَالَةِ الَّتِي مَا زِلْتُ أُحْتَفِظُ بِهَا. لَمْ أُسْتَرْخِ لِتِلْكَ الْجُمْلَةِ، وَشَعَرْتُ فِيهَا بِالتَّصْنَعِ وَالْمُبَالَغَةِ.

بَدَأْتُ جَلَسْتَنَا بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ. بَدَأَهَا «أَبُو أُسَامَةَ» بِأَنْ طَلَبَ بِإِخْرَاجِ كُلِّ مَنْ لَيْسَ لَهُ صِلَةٌ بِالْمَوْضُوعِ. فَأَخْرَجَ «سَيَّافٌ» رِجَالَهُ وَبَقِيَ فَقَطُّ شَابُّ سُعُودِي يُدْعَى «نِزَارٌ»، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْمُؤْمَلِينَ لِـ «سَيَّافٍ» كَمَا عَلِمْنَا، وَبِالتَّالِي لَمْ يَشْمَلَهُ الْاسْتِثْنَاءُ.

فَبَدَأَ الْاجْتِمَاعُ، وَكَانَتْ الْجَلِيسَةُ تَشْمَلُ «سَيَّافًا» وَمَوْلَايَ «جَلَالَ الدِّينِ حَقَّانِي» وَمَوْلَايَ «أَرْسَلَانَ رَحْمَانِي» وَمَوْلَايَ «أَحْمَدَ جُولَ» وَمَوْلَايَ «نَصْرَ اللَّهِ مَنْصُورًا» وَمَوْلَايَ «عَبْدَ الرَّحِيمِ أَخُونَزَادَةَ». أَمَّا عَلَى الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ فَكَانَ «أَبُو أُسَامَةَ» وَ «الْمِنْيَاوِي» وَالْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ وَالِدُكَتُورُ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ»، ثُمَّ الشَّابُّ السُّعُودِيُّ «نِزَارٌ».

طَرَحَ «أَبُو أُسَامَةَ» الْمَشْرُوعَ مُبَيِّنًا أَهْدَافَهُ وَأَهْمِيَّتَهُ وَدَوَّرَ كُلَّ طَرَفٍ فِي الْمُشَارَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ، وَالِدَّوْرَ الْإِتِّحَادِيَّ الْمَنْشُودَ. اسْتَوْفَى «أَبُو أُسَامَةَ» عَرْضَ الْفِكْرَةِ، وَبَدَأَتْ النِّقَاشَاتُ الَّتِي شَارَكَ فِيهَا الْجَمِيعُ تَقْرِيْبًا، وَحَانَتْ سَاعَةٌ

القرار، وتعلقت الأنفاس ترقباً لما سينطق به «سياف».

فأنتى على الفكرة وأيدها ووعد خيراً ثم سكت. تقدم «أبو أسامة» وطالب بموقف أكثر تحديداً. وسأل «كم ستدفع في تمويل المعركة؟ ومتى نبدأ؟»، فإنا لا أحب التسويف وكثرة الاجتماعات، فإذا كنا قد قررنا أن نبدأ فلنبدأ الآن. إن ميزانية المعركة كما حسبتها «جولزراك» هي ثلاثة ملايين شهرياً، ضعتها الآن على الطاولة ولنبدأ العمل فوراً».

وهنا أخذت الحماسة الشاب السعودي «نزار» وانبرى قائلاً: «أنا أذفع تكلفة الشهر الأول، والأموال معي في بيشاور». وعلى عكس ما كان متوقعاً [فقد] انزعج «سياف» لهذا القول وطالب بعدم اتخاذ أي قرار مالي، وععل ذلك بعدم قدرته على ذلك، حتى يعرض الأمر على مجلس الشورى في «بيشاور» في جلسة الأربعاء المقبل. كانت جلستنا تلك ليلة الأول من رمضان ١٤٠٤ هـ، الموافق الخميس الأول من يونيو ١٩٨٤ م.

شعر الجميع أنه يتهرّب ويسوف؛ فالكُل يعرف أن الأموال كلها تصب عنده، وأنه صاحب القرار الأول والأخير. وأن ميزانية الاتحاد هي ميزانية صورية لا تقارن بميزانية «سياف» التي تتعاضد يوماً بعد يوم بالتبرعات المباشرة القادمة من السعودية والخليج وغيرها.

لم تجد اعتراضات «أبو أسامة» حتى رضخ [أخيراً] ونظر إلينا نظرة ذات

مَغْزِي، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ؟».

تَوَقَّفتُ الْمُنَاقَشَاتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَدِّ، وَطَلَبَ «سَيَّافُ» أَنْ يَجْتَمَعَ عَلَيَّ
انْفِرَادٍ بِالْقَادَةِ الْأَفْغَانِ. ثُمَّ أَخَذَهُمْ إِلَى خَيْمَةِ قَرِيبَةٍ وَتَكَلَّمْتُ مَعَهُمْ حَوْلَ سَاعَةٍ.
ثُمَّ حَضَرُوا إِلَيْنَا وَهُمْ يَتَهَيَّأُونَ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ ثُمَّ النَّوْمِ. وَلَمْ يُطَلِّعُونَا عَلَى
الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي بَحَثُوهَا، فَتَحَيَّلْتُ أَنَّهُمْ بَحَثُوا مَزِيدًا مِنَ التَّفَاصِيلِ الْإِجْرَائِيَّةِ
حَوْلَ الْمَشْرُوعِ. وَلَيْسَ مُدْهَشًا أَنْ أَقُولَ إِنَّي كُنْتُ - كَالْعَادَةِ - مُخْطِئًا.

فِي الصَّبَاحِ الْمُبَكَّرِ لِيَوْمِ الْخَمِيسِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٠٤ هـ تَهَيَّأْنَا
لِلرَّحِيلِ، وَأَكَّدْتُ الْإِتِّفَاقَ مَعَ «سَيَّافِ» بِأَنِّي سَوْفَ أَنْتَظِرُهُ فِي «بِيشَاورِ» إِلَى
يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ حَتَّى أَقِفَ عَلَيَّ نَتِيجَةَ عَرْضِ الْمَشْرُوعِ عَلَيَّ مَجْلِسِ الشُّورَى.
وَدَعَّنَا «سَيَّافُ» عِنْدَ الْخَيْمَةِ وَذَهَبْنَا إِلَى الطَّرِيقِ فِيهِ أَنْتَظَرِ بَاقِي أَعْضَاءِ الْوَفْدِ
حَتَّى تَتَحَرَّكَ السِّيَّارَاتُ دُفْعَةً وَاحِدَةً. وَأثناءَ الْحَدِيثِ قَالَ أَحَدُ الْقَادَةِ - وَأُظُنُّهُ
مَوْلَايَ «أَحْمَدُ جُولُ» - بِأَنَّ «سَيَّافِ» لَنْ يَحْضُرَ جَلِيسَةَ الشُّورَى الْقَادِمَةَ.
فَصَحَّحْتُ لَهُ مَعْلُومَاتِهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَحْضُرُ وَقَدْ أَكَّدَ لِي ذَلِكَ مُنْذُ قَلِيلٍ
وَهُوَ يُودِّعُنِي. فَأَكْمَلَ الرَّجُلُ قَوْلَهُ بِأَنَّ «سَيَّافِ» فِي حَدِيثِهِ الْخَاصِّ مَعَهُمْ لَيْلَةٌ
أَمْسٍ قَالَ إِنَّهُ عَيْرٌ مُوَافِقٍ عَلَيَّ الْمَشْرُوعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَإِنَّهُ مُضْطَرٌّ لِإِظْهَارِ
الْمُؤَافَقَةِ أَمَامَ الضُّيُوفِ الْعَرَبِ، وَطَلَبَ الْقَادَةَ الْأَفْغَانِ مِنَ الْحَاضِرِينَ أَلَّا
يُفْتَحُوا بَابَ النِّقَاشِ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْمَوْضُوعِ حَتَّى لَا تَسُوءَ سُمْعَةُ الْأَفْغَانِ

لَدَى الْعَرَبِ !!.

انْفَجَرَ «أَبُو أُسَامَةَ» غَاظِبًا، وَكَلَّمَ «أَحْمَدَ جُول» كَلَامًا شَدِيدًا ضِدَّ الْأَفْغَانَ وَضِدَّ قَادَةَ الْأَفْغَانَ، وَوَصَفَهُمْ بِالْخِدَاعِ. وَسَأَلَهُ مُسْتَنْكِرًا لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنَا بِذَلِكَ بِالْأَمْسِ، ثُمَّ التَّفَتَ نَحْوِي وَنَحْوَ «الْمِنْيَاوِيِّ» وَبَدَأَ يَصْرُخُ فِي وُجُوهِنَا وَيُؤَنِّبُنَا بِشِدَّةٍ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ فَلَمْ تُصَدِّقُونِي !! إِنَّهُمْ مَجْمُوعَةٌ كَذَّابِينَ، لَقَدْ أَهْدَرْتُمْ وَفِي وَعَظَلْتُمْ أَعْمَالِي، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

تَدَرَّعْنَا بِالصَّبْرِ وَطَلَبْتُ مِنْهُ الْإِنْتِظَارَ حَتَّى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، وَمِنْ بَعْدِهَا فَلْيَقُلْ مَا يَشَاءُ، فَإِنَّ «سَيَّافًا» قَدْ أَكَّدَ لِي مُنْذُ قَلِيلٍ أَنَّهُ سَوْفَ يَحْضُرُ، وَلَعَلَّ هُنَاكَ الْتِبَاسًا فِي الْفَهْمِ. فَضَحِكُ بِتَهَكُّمٍ وَقَالَ لِي: «أَنْتُمْ بُلْهَاءٌ وَسَتَطَّلُونَ بُلْهَاءًا، لَنْ يَحْضُرَ «سَيَّافًا»، وَلَنْ يُنْفَذَ الْمَشْرُوعُ. الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُنْفَذَ مَشْرُوعًا كَهَذَا لَا يَعْزُضُهُ عَلَى مَجْلِسِ الشُّورَى فَيَفْضَحَ سِرِّيَّةَ الْعَمَلِ، وَيُعْطِلُهُ فِي مُنَاقَشَاتٍ مُطَوَّلَةٍ وَتَصْوِيبٍ. إِنَّ «سَيَّافًا» يُرِيدُ الْأَمْوَالَ فَقَطْ وَلَا يُرِيدُ الْجِهَادَ. إِنَّهُ يَلْعَبُ بِالْجِهَادِ وَ «يَنْصُبُ» - أَي يَحْتَالُ - عَلَى الْعَرَبِ. أَنْتَ تُرِيدُ فِي الْمَشْرُوعِ أَنْ تَسْحَبَ الْخَزِينَةَ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ وَيَتَوَلَّى الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهِمْ جَمْعَ الْأَمْوَالَ وَصَرَفَهَا وَالْإِشْرَافَ عَلَى تَوْزِيعِ الْإِمْدَادَاتِ وَمُرَاقَبَةِ سَيْرِ الْعَمَلِيَّاتِ، «صَحَّ النَّوْمُ». وَهُوَ، كَيْفَ يَسْرِقُ وَيَنْهَبُ وَيَكْذِبُ عَلَى الْعَرَبِ؟».

كَانَ «الْمِنْيَاوِيُّ» صَابِرًا عَلَى مَضَضٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّاكَ نَفْسَهُ فَاَنْفَجَرَ فِي

وَجِهٍ «أَبِي أُسَامَةَ» وَنَحْنُ فِي «تَرِيْمَنْجَلٍ» أَسْفَلَ الْجَبَلِ، وَبِنَفَادِ صَبْرٍ وَصُرَاخٍ مُرْتَفَعٍ طَالِبُهُ أَنْ يَصْبِرَ!!.

كَانَ الْجَوْ قَائِظًا فِي بَاكِسْتَانَ، وَكَانَ السَّفَرُ طَوِيلًا وَشَاقًّا، وَنَحْنُ صِيَامٌ، لَا يُرِيدُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَبْدَأَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْإِفْطَارِ، وَسَادَنَا الْوُجُومُ وَالصَّمْتُ بَاقِي الْيَوْمِ حَتَّى أَفْطَرْنَا فِي ضِيَاةِ مَوْلَوِي «مَنْصُورٍ» فِي مَدِينَةِ «كُوَهَات»، وَهُنَاكَ قَضَيْنَا اللَّيْلَ.

بَقِيَتْ مَعَ «الْمِنْيَاوِي» فِي «بِيشَاوَر» عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي انْتِظَارِ انْعِقَادِ جَلْسَةِ الشُّورَى، وَانْتِظَارِ «سَيَافٍ». لَمْ أَكْذُ أَكْمَلُ يَوْمًا وَاحِدًا فِي «بِيشَاوَر» حَتَّى زَارَنِي شَابٌّ سُعُودِيٌّ مِنْ هَوْلَاءِ الَّذِينَ اِكْتَسَبُوا شُهْرَةً فِي الْمَجَالِ الْأَفْغَانِيِّ، وَكَانَ قَاسِمًا مُشْتَرَكًا فِي مُعْظَمِ الْوُفُودِ الَّتِي تَرُوحُ وَتَجِيءُ لِلْوَسَاطَةِ [فِي] الصُّلْحِ أَوْ عَقْدِ الْاِتِّحَادَاتِ. كَانَ سَلْفِيًّا وَلَكِنَّهُ ذُو سُمْعَةٍ عَالِيَةٍ لَدَى الْأَفْغَانِ لِمَكَانَتِهِ الْكَبِيرَةِ وَمُسَاعَدَاتِهِ الْمَالِيَّةِ السَّخِيَّةِ وَنَشَاطِهِ مَعَ الْأَفْغَانِ. جَلَسَ وَحَدَّثَنِي عَنْ تَجْرِبَتِهِ الْفَرِيدَةِ عِنْدَمَا عَقَدَ الْاِتِّحَادَ الْأَخِيرَ بِقِيَادَةِ «سَيَافٍ»، وَكَيْفَ أَنَّهُ مَعَ عُلَمَاءِ السُّعُودِيَّةِ الْكِبَارِ اصْطَحَبُوا الْقَادَةَ السَّبْعَةَ إِلَى دَاخِلِ الْكَعْبَةِ، وَجَعَلُوا يُقْسِمُونَ بِالْإِيْمَانِ الْمُغْلَظَةِ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْاِتِّحَادِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ وَالْاِنْخِلَاعِ مِنْ زَعَامَةِ أَحْزَابِهِمْ وَحَلِّهَا وَتَسْلِيمِ كُلِّ مُقَدَّرَاتِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ لِلْاِتِّحَادِ، وَلَا يَعْصُونَ لِزَعِيمِهِ أَمْرًا. وَكَيْفَ كَانَ الْوَاعِظُ

السُّعُودِيُّ يَقِفُ وَسَطَ الكَعْبَةِ يَدْعُو وَالزُّعَمَاءُ السَّبْعَةُ يُؤَمِّمُونَ، وَيَلْعَنُونَ كُلَّ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الاتِّحَادِ أَوْ يَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ. وَأَنَّ ذَلِكَ اسْتَمَرَّ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ سَاعَةٍ حَتَّى أَيَقْنَ القَوْمُ أَنَّ الاتِّحَادَ لَا رَجْعَةَ فِيهِ؛ فَبَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الأَيْمَانِ دَاخِلَ الكَعْبَةِ مَاذَا يَتَّبَعِي مِنَ الإِسْلَامِ لِأَيِّ مُخَالَفٍ لَهَا؟!.

أَعْرَبَ الشَّابُّ الضَّيْفُ عَنْ أَسْفِهِ لِأَنَّ بَعْضَ القَادَةِ بَدَأُوا يَتَفَلَّتُونَ مِنْ أَيْمَانِهِمُ المَغْلَظَةَ الَّتِي شَهِدَهَا بِنَفْسِهِ دَاخِلَ الكَعْبَةِ. وَفِي نَهَايَةِ الحَدِيثِ سَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ المُشْكِلَةِ بَيْنِي وَبَيْنَ «سَيَّافٍ». أَلْجَمْتَنِي الدَّهْشَةُ وَسَأَلْتُ: «أَيُّهُ مُشْكِلَةٌ؟». قَالَ: «كُنَّا بِالأَمْسِ - أَوَّلَ رَمَضَانَ - فِي زِيَارَةِ لـ «سَيَّافٍ» فِي «جَاجِي» وَكَانَ حَانِقًا عَلَيَّكَ وَعَلَى زَمِيلِكَ «المِنْيَاوِيِّ» وَ «أَبِي أُسَامَةَ المِصْرِيِّ». زَادَتْ دَهْشَتِي وَقُلْتُ لَهُ: «لَقَدْ غَادَرْنَا فِي صَبَاحِ نَفْسِ اليَوْمِ وَنَحْنُ فِي أُطْيَبِ حَالٍ وَلَا شَيْءَ بَيْنَنَا سِوَى الأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ». رَدَّ الشَّابُّ: «إِنَّهُ يَتَّهَمُكُمْ بِمُحَاوَلَةِ تَخْرِيْبِ الاتِّحَادِ، وَتَشْجِيعِ «المَوْلَوِيَِّّةِ» - أَيِ العُلَمَاءِ - عَلَى الخُرُوجِ مِنَ الاتِّحَادِ وَتَشْكِيلِ حِزْبٍ خَاصٍّ بِهِمْ، وَبِأَنَّكُمْ مُرْتَبِطُونَ بِأَجْهَزَةٍ اسْتِخْبَارَاتٍ أجنبيَّةٍ تُحَرِّكُكُمْ ضِدَّ الاتِّحَادِ وَضِدَّ «الجِهَادِ الأَفْغَانِيِّ». وَقَدْ قَالَ عَنْكَ أَنَّكَ مُرْتَبِطٌ بِالمُخَابِرَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَ «المِنْيَاوِيِّ» بِالمُخَابِرَاتِ الأَلْمَانِيَّةِ، وَعَنْ «أَبِي أُسَامَةَ» أَنَّهُ حَاقِدٌ عَلَى الجِهَادِ».

ضَحَكْتُ، وَشَرُّ البَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ؛ فَقَدْ وَقَعَ مَا لَا أَتَوَقَّعُهُ عَلَى الإِطْلَاقِ أَوْ

حَتَّى يَخْطُرَ فِي بَالِي. يَبْدُو أَنَّ «سَيَافَ» قَرَّرَ أَنْ يَسْحَقَنَا. تَسَاءَلْتُ فِي نَفْسِي عَنْ السَّبَبِ، كَانَ يُمَكِّنُهُ بِبَسَاطَةٍ أَنْ يَرْفُضَ الْمَشْرُوعَ أَوْ يُوجِّلَ بَحْثَهُ. هَلْ شَعَرَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ فَهِمَ حَقِيقَتَهُ وَسَوَفَ يَطْعَنُ فِي أَهْلِيَّتِهِ فَبَدَأَ هُوَ بِالهُجُومِ؟، وَهَاجَمَ بِأَسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ بِالإِشَاعَةِ وَتَلْوِيثِ السُّمْعَةِ مُسْتَعْلًا سُمْعَتَهُ الْعَالِيَةَ وَمِصْدَاقِيَّتَهُ كَزَعِيمِ إِسْلَامِيٍّ لِلجِهَادِ، بَلْ وَأَبْرَزُ زُعَمَاءِ وَأَمْرَاءِ الحَرَكَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَآمِيرٌ لِلجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ - أَهْمُ قَضِيَّةٍ فِي عَالَمِ اليَوْمِ - وَمَسْنُودٌ بِالقُوَّةِ الدُّوَلِيَّةِ لِلإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ التَّنْظِيمَ الأَكْبَرَ وَالأَضْحَمَ وَالأَكْثَرَ نُفُودًا فِي عَالَمِ الحَرَكَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَبِالحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ صَاحِبَةَ الحَوْلِ وَالطَّوْلِ وَكُنُوزِ قَارُونَ مِنْ «البِتْرُودُولَارِ».

هَذَا العِمْلَاقُ يَتَحَرَّكُ لِسِحْقِنَا نَحْنُ؟! فَمَنْ نَحْنُ؟ وَمَاذَا مَعَنَا مِنْ قُوَّةٍ وَمَاذَا خَلْفَنَا مِنْ سَنَدٍ؟ وَإِلَى مَنْ نَشْكُو؟ وَمَنْ يَحْكُمُ بَيْنَنَا؟ وَإِذَا تَكَلَّمْنَا فَمَنْ حَتَّى سَيَسْتَمِعُ إِلَيْنَا؟ وَمَنْ يُصَدِّقُنَا إِذَا تَكَلَّمْنَا؟ وَهَلْ يَخْطُرُ فِي بَالِ مُسْلِمٍ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ فِي لِحْظَتِنَا هَذِهِ أَنَّ «سَيَافَ» يَكْذِبُ وَيَحْتَالُ وَيَسْرِقُ وَيَتَأَمَّرُ مِثْلَ بَقِيَّةِ «الزُّعَمَاءِ» عَلَى سَطْحِ المَعْمُورَةِ؟.

لَخَصْتُ مَا حَدَثَ لِضَيْفِي الشَّابِّ السُّعُودِيِّ، وَأَوْصَحْتُ لَهُ أَنَّ الأَمْرَ أبْسَطُ مِنْ هَذَا، وَهُوَ لَا يَتَعَدَّى مُحَاوَلَةَ لِلاتِّفَاقِ عَلَى بَرْنَامَجٍ عَسْكَرِيٍّ تَحْتَ رِئَاسَةِ «سَيَافَ» كَأَمِيرٍ لِلجِهَادِ، وَكَانَ بِصُحْبَتِنَا عَدَدٌ مِنْ خَيْرَةِ العُلَمَاءِ المُجَاهِدِينَ،

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْخُطَّةَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهَا وَأَعَدَّهَا أَفْضَلَ ضَابِطٍ لَدَى «سَيَّافٍ» وَهُوَ الرَّائِدُ «جُولَزْرَاك»، وَأَتْنِي جَالِسٌ الْآنَ مَعَ «الْمِنْيَاوِي» فِي «بِيشَاوَر» بِأَعْمَلِ سِوَى انْتِظَارِ حُضُورِ «سَيَّافٍ» وَإِضْدَارِ قَرَارِ مَجْلِسِ الشُّورَى.

انصَرَفَ الصَّيْفُ، وَلَمْ تَنْصَرِفِ الْهَوَاجِسُ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي تَأَكَّدَتِ الْإِشَاعَةُ وَأَنْتَشَرَتْ وَأَخْبَرَنِي طَيْبٌ عَرَبِيٌّ بِأَنَّهُ سَمِعَهَا مُتَدَاوِلَةً فِي مَجَالِسِ بَعْضِ الْعَرَبِ، فَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْمُوَامَرَةِ الَّتِي يُحَرِّكُهَا بَعْضُ الْعَرَبِ، وَيَذْكُرُونَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي لَا يَعْرِفُونَ أَصْحَابَهَا، بِاسْتِثْنَاءِ قَلَّةٍ مِنْهُمْ تَعْرِفُ «أَبَا أُسَامَةَ». أَصْبَحَتْ إِقَامَتُنَا شَاقَّةً وَنَحْنُ نَعُدُّ السَّاعَاتِ. انصَرَفَ «الْمِنْيَاوِي» وَبَقِيَتْ وَحِيدًا فِي «بِيشَاوَر» حَتَّى جَاءَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ.

فِي الصَّبَاحِ اسْتَأْجَرْتُ «رَكْشَا» حَتَّى مَبْنَى مَجْلِسِ الشُّورَى، وَكَانَ يَقَعُ فِي مَبْنَى وَاسِعٍ لِمَدْرَسَةٍ تَبْعُدُ عَنِ «بِيشَاوَر» عِدَّةَ كِيلُومِتْرَاتٍ عَلَى طَرِيقِ «إِسْلَامْ أَبَاد». قَابَلْتُ مَوْلَوِيَّ «نَصْرَ اللَّهِ مَنْصُورَ»، وَكَانَ يَشْغُلُ مَنْصِبَ سِكْرَتِيرِ الْإِتِّحَادِ، وَيَتَوَلَّى سِكْرَتَارِيَّةَ مَجْلِسِ الشُّورَى. فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ بِأَنَّ «سَيَّافَ» لَمْ يَحْضُرْ وَلَكِنَّهُ أَرْسَلَ رِسَالَةً خَطِيئَةً إِلَى «حِكْمَتِيَارِ» الَّذِي يَتَوَلَّى رِئَاسَةَ هَذِهِ الْجَلْسَةِ وَلَا نَدْرِي مَاذَا كَتَبَ فِيهَا.

انْتَهَتْ الْجَلْسَةُ مَعَ أَذَانِ الظُّهْرِ فَسَأَلْتُ مَوْلَوِيَّ «مَنْصُورَ» عَنِ أَخْبَارِ مَشْرُوعِنَا فَقَالَ: «عِنْدَ أَذَانِ الظُّهْرِ قَامَ الْأَعْضَاءُ يُرِيدُونَ الْإِنْصِرَافَ لِلصَّلَاةِ،

وَكَانَ «حِكْمَتِيَّارَ» عَلَى الْمَنْصَبِ فَطَلَبَ مِنْهُمْ الْإِنْتِظَارَ لِسَمَاعِ مَا جَاءَ فِي رِسَالَةٍ وَصَلَتْهُ مِنْ «سَيَّافٍ». فَانْتَظَرَ الْأَعْضَاءَ وَهُمْ وَقُوفٌ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مُحْتَوِيَّاتِ الرِّسَالَةِ بِسُرْعَةٍ، وَمِنْ ضَمْنِ مَا فِيهَا طَلَبُ مِنْ «سَيَّافٍ» بِأَنْ يَعْتَمِدَ الْمَجْلِسُ مَبْلَغًا لِلْعَمَلِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي «بَاكْتِيَا». فَأَشَاحَ الْأَعْضَاءُ بِأَيْدِيهِمْ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يُدْلِي بِتَعْلِيْقٍ مُخْتَلِفٍ وَانْصَرَفُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَانْتَهَتْ الْجَلْسَةُ!! قُلْتُ لَهُ: «هَكَذَا؟»، قَالَ: «هَكَذَا». فَسَأَلْتُهُ: «وَمَاذَا نَفْعُ الْآنَ؟». فَافْتَرَحَ الْإِنْتِظَارَ إِلَى الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ، فَرَبَّمَا يَحْضُرُ «سَيَّافٍ». فَقُلْتُ لَهُ: «وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مُمَكِّنٍ».

ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْضُوعِ «بَانَشِيرٍ»، وَكُنْتُ أَعْلَمُ بِأَنَّ الْمَجْلِسَ يَبْحَثُ مِنْذُ شَهْرَيْنِ فِي افْتِرَاحِ بِإِرْسَالِ مُسَاعِدَاتٍ مَالِيَّةٍ إِلَى هُنَاكَ. وَكَانَتْ الْعَمَلِيَّاتُ الْأَخِيرَةُ قَدْ انْتَهَتْ مِنْذُ عِدَّةِ أَشْهُرٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى «بَانَشِيرٍ» أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِتِّحَادِ. فَقَالَ مَوْلَايُ «مَنْصُورٌ»: «لَقَدْ أَقَرَّ الْمَجْلِسُ مُسَاعِدَةَ «أَحْمَدَ شَاهِ مَسْعُودٍ» بِمَبْلَغِ مَلْيُونِي رُوْبِيَّةٍ». فَعَلَّقْتُ عَلَى ذَلِكَ قَائِلًا: «إِنَّ الْمَبْلَغَ قَلِيلٌ ثُمَّ إِنَّهُ يَذْهَبُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ». فَرَدَّ قَائِلًا: «لَيْتَهُ يَصِلُ؛ فَقَدْ اعْتَرَضَ بَعْضُ الْأَعْضَاءِ مِنْ جَمَاعَةِ «حِكْمَتِيَّارَ» قَائِلِينَ بِأَنَّ الْمَبْلَغَ يَجِبُ أَلَّا يَذْهَبَ كُلُّهُ إِلَى «مَسْعُودٍ» بَلْ يَجِبُ أَنْ يُوزَعَ بِالتَّسَاوِي عَلَى قَادَةِ جَمِيعِ الْأَحْزَابِ فِي «بَانَشِيرٍ»، وَبِنَاءِ عَلَى هَذَا الْإِفْتِرَاحِ قَرَّرَ الْمَجْلِسُ تَشْكِيلَ لَجْنَةٍ وَإِرْسَالَهَا إِلَى «بَانَشِيرٍ» لِتَقْرِيرِ الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَى الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُوزَعَ بِهَا الْمَبْلَغُ الْمَذْكَورُ فِي حَالَةِ وُصُولِهِ!!».

صَحِكَتُ حَتَّى كِدْتُ أَنْسَى هُمُومِي؛ هَلْ مَا أَسْمَعُهُ الْآنَ أَحَدُ الْمَشَاهِدِ
الْهَزَلِيَّةِ فِي مَسْرَحِ «نَجِيبِ الرَّيْحَانِي»؟ أَمْ أَنَّهُ مِنْ مَشَاهِدِ شُورَى الْمُجَاهِدِينَ؟
وَسَأَلْتُ مَوْلَوِيَّ «مَنْصُورَ»: «أَهْكَذَا يُدَارُ الْجِهَادُ؟! لَقَدْ صَدَقَ «أَبُو أُسَامَةَ»، إِنَّ
مَشْرُوعَنَا لَنْ يَرَى النُّورَ أَبَدًا». ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِ مَا وَصَلَنِي عَنْ «سَيَّافِ»
فَأَنْدَهَشَ لِمَا يَسْمَعُهُ.

تَمَنَيْتُ أَنْ أُعَادِرَ «بِيشَاوَرَ» بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ؛ فَالْمَشْرُوعُ الَّذِي ظَنَّنَاهُ فُرْصَةً
سَانِحَةً لِتَحْوِيلِ الْمَسَارِ الْجِهَادِيِّ لِلْعَرَبِ وَالْأَفْغَانِ نَحْوَ الْجِدَّةِ وَالِاتِّحَادِ
الْحَقِيقِيِّ، انْقَلَبَ عَلَيْنَا بِأَسْوَأِ الْعَوَاقِبِ، وَكَانَ أَسْوَأَ كَارِثَةٍ نُوَاجِهُهَا فِي عَمَلِنَا
الْأَفْغَانِيِّ.

تَأَثَّرْتُ بِشِدَّةٍ كُلِّ خُطُوبَاتِنَا التَّالِيَةِ؛ فَقَدْ أَصْبَحْنَا نُوَاجِهُ قُوَى لَا طَاقَةَ لَنَا بِهَا،
وَجَمِيعُهَا قُوَى تَمْلِكُ مِنْ قُدْرَةِ الْفِعْلِ وَالتَّأَثِيرِ الْقَدَرِ الْهَائِلِ، بَيْنَمَا لَا نَمْلِكُ
نَحْنُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.



فِي مُتَّصِفِ رَمَضَانَ اجْتَمَعْنَا فِي «أَبُو ظَبِي» حَتَّى نَبْحَثَ فِي آثَارِ الْكَارِثَةِ
الَّتِي حَدَّثَتْ، وَمَاذَا يُمَكِّنُنَا عَمَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. لَقَدْ وَصَلَتْ تَعْلِيمَاتُ «سَيَّافِ» إِلَى
دَوَائِرِ «الْإِخْوَانِ» فِي الْإِمَارَاتِ وَمِصْرَ، حَتَّى إِلَى الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي
بَاكِسْتَانَ. الْجَمِيعُ الْآنَ يَعْرِفُ الْمُؤَامِرَةَ وَالْمُتَامِرِينَ، وَيَتَمَنَّى الْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ

خِدْمَةً لِلْإِسْلَامِ.

كَانَ الْحَاجُّ «سَيْفٌ» هُوَ الْأَكْثَرُ شَجَاعَةً وَهُجُومِيَّةً. فَقَدْ هَاجَمَ «الْإِخْوَانَ» بَعْنَفٍ وَدَافَعَ عَنَّا دِفَاعًا مَجِيدًا، وَأَظْهَرَ فِي ذَلِكَ شَجَاعَةً أَدْيِيَّةً نَادِرَةً؛ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَحْرِقَهُ الشَّرُّ الْمُتَطَايِرُ مِنْ تِلْكَ الْاِتِّهَامَاتِ وَيَقْضِي عَلَيْهِ مَعْنَا. وَسَمِعْتَهَا مِنْهُ وَهُوَ يُخَاطِبُهُمْ بِحِدَّةٍ: «إِذَا كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُمْ عَمَلَاءٌ فَاتَّهَمُونِي مَعَهُمْ لِأَنِّي مِنْهُمْ، هَلْ يَجْرُؤُ مِنْكُمْ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتَّهَمِي؟».

كَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ فَارِسًا حَقِيقِيًّا فِي مَيْدَانٍ يَشْكُو مِنْ نُدْرَةِ الْفَرَسَانِ، مَيْدَانِ الْعَدْلِ وَالصِّدْقِ، وَقَوْلِ الْحَقِّ فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ. لَقَدْ رَأَيْتُ الْكَثِيرَ مِنْ صَنَائِدِ الْقِتَالِ يَجْبُنُونَ فِي أَمْثَالِ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ.

لَمْ يَكُنْ مَوْقِفْنَا عَلَى كُلِّ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ السُّوءِ الَّتِي تَوَقَّعْنَاها؛ فَقَدْ كَانَ إِقْحَامُ «أَبِي أُسَامَةَ» مَعْنَا عَمَلًا رَائِعًا قَوِيَّ مَوْقِفْنَا وَأَضْعَفَ مَوْقِفَ الْخُصُومِ؛ فَالرَّجُلُ ذُو هَيْبَةٍ وَمِصْدَاقِيَّةٍ دَاخِلَ «الْإِخْوَانِ»، رُغْمَ كَوْنِهِ دَائِمَ الْهُجُومِ عَلَى سِيَاسَاتِهِمْ.

لَمْ يُوَجِّهْ «سَيْفٌ» أَيَّ اِتِّهَامَاتٍ لِلْقَادَةِ الْأَفْغَانِ الَّذِينَ رَافَقُونَا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ وَجَّهَ اِتِّهَامًا مُبْهَمًا يَمَسُّ الْجَمِيعَ وَلَا يَتَّهَمُ أَحَدًا بِالتَّحْدِيدِ. وَإِنْ كَانَ «حَقَّانِي» تَأَثَّرَ مُسْتَقْبَلًا بِهَذَا الْاِتِّهَامِ الَّذِي رَوَّجَهُ «سَيْفٌ» سِرًّا بِأَنَّ «حَقَّانِي» يَسْعَى نَحْوَ إِنْشَاءِ حِزْبٍ مُسْتَقِلٍّ، وَكَانَتْ تِلْكَ التُّهْمَةُ كَفِيلَةً بِالْإِضْرَارِ بِسُمْعَتِهِ وَالْإِضْرَارِ

بِالْمُسَاعَدَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِيهِ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ تَعَرَّفُوا عَلَيَّ
نَشَاطِهِ الْجِهَادِيِّ فِي الْجَبَهَاتِ.

الدُّكْتُور «عَبْدُ اللَّهِ عَزَام» - الْعَرَبِيُّ الْأَوَّلُ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ - مَالَ إِلَى
جَانِبِنَا وَلَمْ يُشَارِكْ فِي هِسْتَرِيَا الْعَدَاءِ ضِدَّنَا، خَاصَّةً [وَأَنَّهُ] تَلْمِيذٌ سَابِقٌ فِي
مُعَسْكَرِ «أَبِي أُسَامَةَ» الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَعْوَارِ الْأُرْدُنِّ فِي السِّتِينَاتِ كَيْ يُدْرَبَ فِيهِ
أَفْرَادَ «الْإِخْوَانِ». لِذَا رَفَضَ الْاِتِّهَامَاتِ الَّتِي يُرَوِّجُهَا «سَيَّاف»، وَلَكِنْ بِهُدُوءٍ
حَتَّى لَا يُعَرِّضَ عِلَاقَتَهُ مَعَ «سَيَّاف» لِلخَطَرِ، وَحَتَّمَا أَنَّهُ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَسْلَمٌ
لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُبَيِّرَ مُشْكَلَةَ كَهَذِهِ لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا
بِشَخْصَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَتُودِّي هَذِهِ الْمُشْكَلَةُ إِلَى الْإِضْرَارِ بِعِلَاقَتِهِ مَعَ «سَيَّاف»
الَّتِي يَرَى أَنَّهَا مُؤَثِّرَةٌ لِلغَايَةِ فِي عِلَاقَةِ الْعَرَبِ بِالْجِهَادِ، وَبِالتَّالِي فِي مُسْتَقْبَلِ
الْجِهَادِ ذَاتِهِ.

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَعْجَبَنِي مَوْقِفُ الْحَاجِّ «سَيِّف» وَوَجَدْتُهُ أَكْثَرَ أَخْلَاقِيَّةً وَأَكْثَرَ
إِسْلَامِيَّةً بِالتَّالِي. فَإِذَا نَحْنُ تَرَكْنَا لـ «الْأَمِيرِ» الْكَبِيرِ حَقَّ النَّيْلِ مِنَ الْأَعْرَاضِ
وَالتَّجَاوُزِ عَلَى الْعِبَادِ، فَنَحْنُ إِذَنْ نُجَهِّزُ فِي «طَاغُوتٍ» وَلَكِنَّهُ إِسْلَامِيٌّ!! إِذَا
جَازَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعُ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ. وَهَكَذَا أَصْبَحَ «سَيَّافٌ» حَالِيًّا، وَمَعَهُ
«حِكْمَتِيَارٌ» وَ«رَبَّانِيٌّ» وَغَيْرُهُمْ؛ فَقَدْ اعْتَادُوا التَّجَاوُزَ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَقِفْ
فِي وُجُوهِهِمْ أَحَدٌ لِيَأْمُرَ وَيَنْهَى، وَكَانَ مِنَ الْمَسْمُوحِ - كَمَا هِيَ حَالَتُنَا - هَضْمٌ

حُقُوقِ الصَّغَارِ الضُّعَفَاءِ حَتَّى لَا يَغْضَبُ الْأَمْرَاءُ الْأَقْوِيَاءُ أَوْ لَوْ الْحَلُّ وَالْعَقْدُ.
فَدَارَ الزَّمَنُ وَتَحَوَّلَ الْكِبَارُ إِلَى طَوَاغِيَتٍ يَقْتُلُونَ بِلَا حِسَابٍ وَيَطْأُونَ أَجْسَادَ
الْمَظْلُومِينَ وَيَتَجَاهَلُونَ الشَّرِيعَةَ.

لَمْ يَكُنْ مَوْقِفَنَا سَيِّئًا لِلْعَايَةِ لِكَوْنِ الْإَيَّامِ الْقَلِيلَةِ مَا بَيْنَ جَلْسَةِ الشُّورَى الَّتِي
تَكَلَّمْنَا عَنْهَا وَبَيْنَ مُغَادَرَتِنَا «بِيشاور» لَمْ تَمْضِ بِلَا فَائِدَةٍ. فَقَدْ تَنَاقَشْنَا فِيَمَا
يُمْكِنُ عَمَلُهُ، عَلَى ضَوْءِ أَنَّهُ لَمْ تَصِلْنَا إِجَابَةً صَرِيحَةً وَمُبَاشِرَةً مِنْ «سَيَّاف».
وَعَلَى عِتْبَارِ أَنَّ الْقَادَةَ الَّذِينَ تَكَلَّمْنَا مَعَهُمْ مَا زَالُوا مُرَحِّبِينَ بِالْفِكْرَةِ وَأَبْدُوا
اسْتِعْدَادًا لِتَنْفِيذِهَا، وَلَوْ عَلَى نِطَاقٍ دَاخِلِيٍّ فِيَمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَكْتَشِفَ «سَيَّاف»
صِحَّةَ خَطِّهِمْ وَاسْتِحَالَةَ تَحْقِيقِ شَيْءٍ فِي الْمِيدَانِ الْعَسْكَرِيِّ بِالشَّكْلِ الَّذِي
يَعْمَلُ بِهِ، عِنْدَهَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ أَمِيرًا عَلَى الْمَشْرُوعِ.

وَطَالَمَا أَنَّ الْعَرَبَ أَصْبَحُوا جُزْءًا عَضُوبِيًّا فِي الْمَشْرُوعِ فَلَا بُدَّ مِنْ وَضْعِ
إِطَارٍ لِهَذَا التَّوَاجُدِ. فَقَرَّرْنَا أَنَّ مَكْتَبَ الْإِتِّصَالِ الَّذِي كُنَّا نَفَكِّرُ فِيهِ وَعَرَقَلَهُ
«سَيَّاف» لَا بُدَّ مِنْ إِحْيَائِهِ مَرَّةً أُخْرَى مُرْتَبِطًا بِالْمَشْرُوعِ.

كَانَتْ الْفِكْرَةُ وَاضِحَةً. الْعَرَبُ يَتَحَمَّلُونَ التَّمْوِيلَ وَلَا بُدَّ أَنْ يُشْرِفُوا عَلَى
عَمَلِيَّةِ الْإِمْدَادِ وَكَوْنِهَا تَسِيرٌ طَبَقًا لِلخَطَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَلَيْسَ [تَبَعًا لِإِعْتِبَارَاتِ]
الشَّخْصِيَّةِ أَوْ الْقَبَلِيَّةِ أَوْ الْحِزْبِيَّةِ. وَكَانَ مِنَ الْمَفْهُومِ بَيْنَنَا أَنَّ «مَكْتَبَ الْإِتِّصَالِ»
طَالَمَا هُوَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِعِ فَإِنَّ إِشْرَافَهُ عَلَى الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ يُصْبِحُ مُمَكِّنًا

وَمُفِيدًا. فَإِذَا تَوَافَرَتْ عَنَاصِرُ عَسْكَرِيَّةٍ ذَاتِ خِبْرَةٍ فَهِيَ تُشَارِكُ عَلَى مُسْتَوَى الْقِيَادَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ مَعَ الْأَفْغَانِ. وَبِالنِّسْبَةِ لِلْأَفْرَادِ فَيُمْكِنُ تَوْجِيهِهُمْ إِلَى مُعَسَّكَرَاتِ التَّدْرِيبِ. وَكَانَتْ اتِّفَاقَاتٌ قَدْ تَمَّتْ مَعَ مَوْلَوِيٍّ «مَنْصُورٍ» بِشَأْنِ اسْتِخْدَامِ مُعَسَّكَرِ «قَيْسٍ» التَّابِعِ لَهُ فِي تَدْرِيبِ الْعَرَبِ قَبْلَ إِشْرَاكَهُمْ فِي الْمَعَارِكِ.

فَالْتَّوَجُّدُ الْعَرَبِيُّ الْقِتَالِيُّ سَوْفَ يَمْتَدُّ مِنَ الْقِيَادَةِ حَتَّى الْخُطُوطِ الْأُولَى لِلْقِتَالِ، مُرُورًا بِعَمَلِيَّاتِ التَّدْرِيبِ وَعَمَلِيَّاتِ الْإِمْدَادِ. فَهُوَ إِذَنْ تَوَاجُدٌ شَامِلٌ فَعَّالٌ قَائِمٌ عَلَى خُطَطِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ الْجَمَاعِيِّ فِي الْمَنَاطِقِ الْأَكْثَرِ أَهْمِيَّةٍ لِلْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ.

وَهَذَا الْحُلُّ السَّعِيدُ الَّذِي اِزْتَأَيْنَاهُ قَدْ حَلَّ مُشْكَلَةَ التَّمْوِيلِ الَّتِي كَانَتْ تَعْرِضُ فِكْرَتَنَا الْأَصْلِيَّةَ بِإِنْشَاءِ قُوَّةٍ تَدْخُلُ سَرِيعَ إِسْلَامِيَّةٍ، فَبِلِكَ الْقُوَّةِ سَوْفَ تَنْشَأُ مِنْ بَاطِنِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ نَفْسِهِ وَبِاسْتِخْدَامِ نَفْسِ مَصَادِرِ التَّمْوِيلِ.

كَانَ مِنْ مَهَامِّ مَكْتَبِ الْإِتِّصَالِ بَحْثُ الْمَشَارِيعِ الَّتِي تُفِيدُ الْجِهَادَ، ثُمَّ الْعَمَلُ عَلَى تَنْفِيزِهَا. وَكَانَ عَلَى قِمَّةِ الْاهْتِمَامِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَوْضُوعِي التَّصْنِيعِ وَالتَّدْرِيبِ.

فَوَرَوْضُولَنَا إِلَى «بِشَاوَرٍ» فِي رِحْلَتِنَا وَقَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ «سَيَّافٌ» إِلَى «جَاجِي» كُنَّا قَدْ أَمْسَكْنَا خِيوطًا جَدِيدَةً فِي الْمَوْضُوعَيْنِ.

بِالنَّسْبَةِ لِلتَّصْنِيعِ وَجَدْنَا أَنَّ مَوْلَوِيَّ «نَصْرَ اللَّهِ مَنْصُورًا» قَدْ أَنْشَأَ مَصْنَعًا
لِلذَّخَائِرِ فِي مَنطِقَةِ «دَارًا» ٥٠ كم مِنْ «بِيشَاوَر» فِي مَنطِقَةِ الْقَبَائِلِ، وَذَلِكَ
بِالتَّعَاوُنِ مَعَ الرَّائِدِ «رَشِيد» صَدِيقِي الْقَدِيمِ.

كَانَتْ مُفَاجَأَةً سَارَةً وَغَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ. طَلَبَ مِنِّي «الْمِنيَاوِيَّ» أَنْ أَذْهَبَ مُنْعَرِدًا
لِرُؤْيَا مَصْنَعِ مَوْلَوِيَّ «مَنْصُورًا» وَ «رَشِيدًا»، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ، الْأَوَّلُ أَنَّهُ
اعتَبَرَنِي مَسْئُولًا عَنْ مِثْلِ تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ، فَهِيَ لَا تَشْغَلُهُ كَثِيرًا، وَالسَّبَبُ
الثَّانِي أَنَّهُ غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِهَذَا «الْمِيجُورِ رَشِيدًا». وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَعْرَبًا مِنْ
صَدِيقِي الصَّعِيدِيِّ ذِي الْمَزَاجِ الْحَادِّ.

عَبَرْنَا «دَارًا»، وَقَبْلَ صُعودِ جَبَلِ «كُوهَات» الْمُرْتَفِعِ انْحَرَفْنَا يَمِينًا فِي طَرِيقِ
تُرَابِي حَتَّى إِحْدَى الثُّرَى الدَّاخِلِيَّةِ فِي بَطْنِ الْجَبَلِ. وَفِي بَيْتٍ وَاسِعٍ ذِي سُورٍ
مُرْتَفِعٍ كَانَ مَصْنَعُ الذَّخَائِرِ يَخْطُو أَوْلَى خُطُواتِهِ. كَانَتْ الْمُعِدَّاتُ قَلِيلَةً
وَقَدِيمَةً، تَمَّ شِرَاؤها مِنْ السُّوقِ الْمَحَلِّيَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْحَلُّ الْأَسْهَلُ وَالْمُتَاحُ.
كَانَ هُنَاكَ فُرنٌ لِصَهْرِ الْمَعَادِنِ وَفُرنٌ لِلْمُعَالَجَةِ الْحَرَارِيَّةِ، وَثَلَاثُ مَخَارِطَ،
إِحْدَاهَا ضَخْمَةٌ جِدًّا، هَذَا عَدَا الْمَكَابِسَ وَمَكْشَطَةٌ وَاحِدَةٌ... وَهَكَذَا. كَانَتْ
الْمُعِدَّاتُ أَكْثَرَ مِمَّا تَوَقَّعْتُ.

كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى التِّيَّارِ الْكَهْرَبَائِيِّ الْمَأْخُودِ مِنْ شَبَكَةِ الْحُكُومَةِ، وَهِيَ
لَا تَكْفِي لِإِحْتِيَاجَاتِ الْمَصْنَعِ. وَكَانُوا يَعْمَلُونَ فِي حَفْرِ بئرٍ لِتَوْفِيرِ الْمِيَاهِ،

كَذَلِكَ بِنَاءُ عِدَّةٍ غُرَفٍ لِلطَّاقِمِ الدَّائِمِ لِلْمَشْرُوعِ. كَانَ الْمَصْنَعُ مُسَجَّلًا بِاسْمِ أَحَدِ زُعَمَاءِ الْمَنْطِقَةِ الْمَحَلِّيِّينَ، وَكَانَ صَدِيقًا لِمَوْلَايَ «مَنْصُور»، فَلَيْسَ مَسْمُوحًا لِلأَفْعَانِ أَوْ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ بِالتَّمَلُّكِ أَوْ افْتِتَاحِ تِلْكَ الْمَشَارِعِ فِي الْمَنْطِقَةِ.

كَانَتْ خُطَّةُ التَّصْنِيعِ طُمُوحَةً؛ فَقَدْ انْتَهَوْا مِنْ تَصْنِيعِ جِسْمِ قَدَائِفِ الْهَائُونَ ٨٢ مِمَّ وَكَانُوا بِصَدَدِ الْانْتِهَاءِ مِنْ كِبْسُولَةِ التَّفْجِيرِ الْخَاصَّةِ بِهَا.

وَتَنَاقَشْنَا طَوِيلًا مَعَ «رَشِيدٍ» وَالْفَنِّيِّينَ - وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَنْطِقَةِ - حَوْلَ الذَّخَائِرِ الْخَفِيْفَةِ وَالْمُتَوَسِّطَةِ لِلرَّشَاشَاتِ. وَامْتَدَّ النِّقَاشُ لِيَشْمَلَ أَسَاسَ فِكْرَةِ الْاِكْتِفَاءِ مِنَ الْعِتَادِ الْأَسَاسِيِّ لِلأَسْلِحَةِ، ثُمَّ كَيْفَ نَنْقُلُ كُلَّ هَذَا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، لِأَنَّ الْفِكْرَةَ هِيَ الْاِسْتِغْنَاءُ عَنِ بَاكِسْتَانَ الَّتِي قَدْ تَغْلُقُ حُدُودَهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ.

فَقَالَ مَوْلَايَ «مَنْصُور» إِنَّهُ يَنْوِي نَقْلَ الْمَصْنَعِ بَعْدَ اسْتِكْمَالِهِ وَإِنْهَاءِ التَّجَارِبِ الصَّرُورِيَّةِ إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ فِي «أُورْجُون» فِي مَنْطِقَةِ جَبَلِيَّةِ حَصِيْنَةِ، قَبَائِلُهَا مُوَالِيَةٌ لَهُ. وَمِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ ذَلِكَ الْمَوْقِعِ فَإِنَّهُ يَنْوِي تَجْهِيْزَ قُوَّةٍ خَاصَّةٍ قُوَامَهَا حَوَالِي مَائَةِ مُجَاهِدٍ مُدْرَبُونَ تَدْرِيْبًا عَالِيًّا.

وَهُنَا تَحَوَّلْنَا تَلْقَائِيًّا إِلَى الشُّقِّ الثَّانِي مِنْ مَشْرُوعِنَا وَهُوَ التَّدْرِيْبُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَدَيْهِمْ مُعْسَكَرَ تَدْرِيْبٍ يُدْعَى مُعْسَكَرَ «فَيْس» فِي الْمَنَاطِقِ الْحُدُودِيَّةِ قُرْبَ أَفْغَانِسْتَانَ، فِي مَنْطِقَةِ «صَدَى» الْقَبَلِيَّةِ، وَهِيَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي افْتِتَحَ فِيهَا «سَيَافُ»

مُعَسَّكَرًا لِلتَّدْرِيبِ، وَاتَّخَذَ الْعَرَبُ مِنْهَا مَوْقِعًا خَاصًّا لِلتَّدْرِيبِ مُنْذُ عَامِ ١٩٨٥ مَ تَقْرِيْبًا.

إِنَّهَا نَفْسُ الْمَشْرُوعَاتِ الَّتِي نَبَحْتُ عَنْهَا، هَذَا هُوَ التَّدْرِيبُ الْخَاصُّ فِي مُعَسَّكَرِ «فَيْس»، بَيْنَمَا نَبَحْتُ عَنْهُ فِي أُورُوبَا. فَمَنْ يَقُومُ بِهَذَا التَّدْرِيبِ وَمَا هُوَ مُسْتَوَاهُ؟ وَمَا هِيَ خُطَّةُ الْاِسْتِفَادَةِ مِنْهُ؟ هَلْ هُوَ تَدْرِيبٌ لِلِقِتَالِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ كُلِّهَا، أَمْ لِمَجْرَدِ حِرَاسَةِ مَشَارِيعٍ مِثْلَ هَذَا الْمَصْنَعِ؟.

أَجَابَنِي مَوْلَايُ «مَنْصُور» وَ «رَشِيد» [عَلَى] تِلْكَ التَّسْأُؤَلَاتِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي يَقُومُ بِالتَّدْرِيبِ فِي الْمُعَسَّكَرِ ضُبَّاطٌ مُتَقَاعِدُونَ مِنَ الْجَيْشِ الْبَاكِسْتَانِيِّ. وَلَا أُدْرِي الْآنَ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَعْلُومَةُ صَحِيحَةً أَمْ لَا، فَقَدْ كَانَ دَوْرُ بَاكِسْتَانَ فِي التَّدْرِيبِ مَجْهُولًا لَدَيْنَا، كَذَلِكَ عُمُقُ تَدَخُّلِهَا فِي الْمَوَاضِعِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ. وَإِنْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَوْلَايَ «مَنْصُور» وَ «رَشِيد» كِلَيْهِمَا صَاحِبُ نَزْعَةٍ اسْتِقْلَالِيَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَا زِلْتُ أُسْتَبْعِدُ أَنَّهُمَا كَانَا تَحْتَ نَفُوذِ بَاكِسْتَانِيِّ مُبَاشِرٍ فِي مَشَارِيعِهِمَا تِلْكَ، وَيُقْوِي هَذَا الظَّنُّ أَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْمَشَارِيعِ قَدْ أَفْشَلَتْهَا بَاكِسْتَانَ كَمَا سَنَرَى.

كَانَ «رَشِيد» يَنْوِي إِعَادَةَ تَدْرِيبِ وَتَنْظِيمِ جَمَاعَةِ مَوْلَايَ «مَنْصُور» مِنْ مُخْتَلَفِ الْمُحَافَظَاتِ، وَقَالَ إِنَّهُ بَدَأَ دَوْرَاتٍ لِرَفْعِ كَفَاءَةِ قَادَةِ الْمَجْمُوعَاتِ، وَعَقِبَ الْاِنْتِهَاءِ مِنْهَا سَوْفَ يَشْرَعُ مَعَ مَوْلَايَ «مَنْصُور» فِي عَمَلِيَّةِ إِعَادَةِ التَّنْظِيمِ

لِقَوَاتِ الدَّاحِلِ طِبْقًا لِخُطَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ.

غَيْرَ أَنَّ الْمُشْكِلَةَ الْمَالِيَّةَ تَقِفُ حَائِلًا صَعْبًا دُونَ ذَلِكَ الْبِرْنَامِجِ الطَّمُوحِ. فَاقْتَرَحْتُ أَنْ يَتَحَوَّلَ الْبِرْنَامِجُ مِنْ خُطَّةٍ صَغِيرَةٍ لِتَنْظِيمِ صَغِيرٍ إِلَى خُطَّةٍ اتِّحَادِيَّةٍ تَشْمَلُ كُلَّ الْمُسْتَعِدِّينَ لِلانْخِرَاطِ فِيهَا، فَتَكُونُ الْعَمَلِيَّةُ بِالتَّالِي هِيَ عَمَلِيَّةُ إِعَادَةِ تَدْرِيْبٍ وَتَنْظِيمِ قُوَّاتِ الْمُجَاهِدِيْنَ الْأَفْغَانَ تَحْتَ قِيَادَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَطَالَ مَا أَنَّ الْعَرَبَ بَدَأُوا يَتَوَافَدُونَ وَتَزَدَادُ تَدْرِيْجِيًّا مُشَارَكَتُهُمُ الْمَالِيَّةُ وَالْبَشَرِيَّةُ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَجْعَلَ لَهُمْ دَوْرًا مُتَنَاسِبًا مَعَ قُدْرَاتِهِمْ عَلَى الْمُشَارَكَةِ، مِثْلَ مَجَالَاتِ الدَّعْوَةِ وَالتَّخْطِيْطِ وَمُعَسْكَرَاتِ التَّدْرِيْبِ وَالْمَجْمُوعَاتِ الْقِتَالِيَّةِ، وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ تَوْفِيْرُ مَصَادِرِ التَّمْوِيْلِ لِلْبِرْنَامِجِ الْقِتَالِيِّ، بَعِيْدًا عَنِ سَيْطَرَةِ الدُّوْلِ وَالْحُكُومَاتِ بِأَنْوَاعِهَا.

كَانَتْ الْفِكْرَةُ جَذَابَةً وَيَصْعُبُ رَفْضُهَا. وَظَلَّتْ قُدْرَاتُنَا عَلَى التَّنْفِيْذِ أَدْنَى بِكَثِيْرٍ مِنْ قُدْرَاتِنَا عَلَى الْحُلْمِ، خَاصَّةً وَأَنَّ أَعْدَاءَ هَذَا الْاِتِّجَاهِ جَهَّزُوا خُطُوطَهُمْ الدَّفَاعِيَّةَ وَشَنُّوا هُجُومًا وَقَائِيًّا نَاجِحًا، فَدَمَّرُوا آمَالَنَا بِشَكْلِ كَامِلٍ، وَلَكِنَّا أَوْجَدْنَا بَعْضَ الْبَدَائِلِ طِبْقًا لِلإِمْكَانَاتِ الْمُتَاحَةِ، وَنَفَّذْنَا بِهَا بَعْضَ الْأَعْمَالِ النَّاجِحَةِ. كَمَا أَنَّ الْمُعَسْكَرَ الْمُعَادِي لَنَا لَمْ يَسْتَطِعْ إِجْهَاضَ الدَّوْرِ الْعَرَبِيِّ كُلِّهِ، وَإِنْ نَجَحَ فِي إِهْدَارِ مُعْظَمِهِ.

قَادَةُ «بَاكْتِيَا» الَّذِينَ حَاوَلُوا مَعْنَا فِي «جَاجِي» طَالَبُونَا بِالاسْتِمْرَارِ فِي

المُحَاوَلَةِ. وَمَوْلَوِيٌّ «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» بَدَأَ مَشْرُوعًا صَغِيرًا دَاخِلَ قَاعِدَتِهِ فِي «جَاوَر» لِإِنشَاءِ وَرْشَةٍ صَغِيرَةٍ لِإِصْلَاحِ الْأَسْلِحَةِ. يَقُومُ بِالْعَمَلِ فِيهَا عُمَالٌ مَهْرَةٌ مِنْ مَنْطِقَةِ الْقَبَائِلِ عَلَى أَنْ يَتَدَرَّبَ عَلَى أَيْدِيهِمْ عَدَدٌ مِنَ الشَّبَابِ الْأَفْغَانِيِّ مِنْ صِغَارِ السَّنِّ. وَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ عَدَمُ اكْتِمَالِ تَجْهِيزَاتِ «جَاوَر» قَرَّرَ أَنْ يَبْدَأَ قَرِيبًا مِنَ الْحُدُودِ دَاخِلَ بَاكِسْتَانِ حَتَّى تَتِمَّ تَجْهِيزَاتُ الدَّاخِلِ، أَي كَمَا فَعَلَ مَوْلَوِيٌّ «مَنْصُور» فِي مَشْرُوعِهِ.

«حَقَّانِي» قَرَّرَ بَدَأَ عَمَلِيَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ مِنْ مَنَاطِقِهِ كَنَوْعٍ مِنَ الدَّعْمِ لِـ «سَيَّاف» فِي «جَاوِي»، وَكَنَوْعٍ مِنَ الْبِدَايَةِ الْعَمَلِيَّةِ لِلْمَشْرُوعِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، وَلَوْ عَلَى نِطَاقٍ صَغِيرٍ. وَقَدَّمْنَا لَهُ مَبْلَغًا صَغِيرًا كَانَ مَعْنَا لِتَشْجِيعِهِ عَلَى الْبَدْءِ بِلَا تَأْخِيرٍ. وَكَانَ الْمَبْلَغُ ٦٣٥ أَلْفَ رُوبِيَّةٍ بَاكِسْتَانِيَّةٍ، عَلَى أَنْ نُحَاوِلَ تَوْسِيعَ الْعَمَلِيَّاتِ مِنْ جِهَتِهِ وَزِيَادَةَ الْمَعُونَاتِ الْمُرْسَلَةِ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ فُرْصَةٍ أَوْ أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ لِمَنْطِقَةِ الْخَلِيجِ مَعَ مَوْسِمِ الْحَجِّ الْقَادِمِ. أَحَدُ الْمُتَبَرِّعِينَ مِنْ قَطْرٍ اقْتَنَعَ بِفِكْرَةِ مَصْنَعِ الذَّخَائِرِ فَوَعَدَ بِمُسَاعَدَةٍ مَالِيَّةٍ.



مَعَ الشَّيْخِ «الْجَزَائِرِيِّ»:

إِذَنْ كَانَتْ هُنَاكَ حَرَكَةٌ فِي الْإِتِّجَاهِ الْمَطْلُوبِ. أَمَّا التَّقَدُّمُ غَيْرُ الْمُتَوَقَّعِ فَجَاءَ مَعَ زِيَارَةِ الشَّيْخِ «أَبِي بَكْرٍ الْجَزَائِرِيِّ» [صُورَةٌ رَقْم ٧٥] إِلَى «بِيشَاوَر». وَكَانَ وَقْتُهَا



يَتَمَتَّعُ هُوَ وَبَاقِي عُلَمَاءِ السُّعُودِيَّةِ بِسَمْعَةٍ طَيِّبَةٍ وَاحْتِرَامٍ
كَبِيرٍ فِي أَوْسَاطِ «بِيشَاوَر» الْعَرَبِيَّةِ. جَاءَ الشَّيْخُ
لِاسْتِطْلَاعِ الْأَحْوَالِ وَمُحَاوَلَةِ الْإِصْلَاحِ كَعَادَةِ
«الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

فِي بَيْتِ هَادِيٍّ بِأَحَدِ الضَّوَاكِي غَيْرِ الْمَطْرُوقَةِ جَعَلُوا لِلشَّيْخِ مَضَافَةً خَاصَّةً
بِهِ. وَبِنَاءٍ عَلَى مَوْعِدٍ مُسَبِّقٍ ذَهَبَتْ لزيَارَتِهِ بِرِفْقَةِ الطَّبِيبِينَ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» وَ
«سَيِّدِ أَحْمَدٍ»، وَكَانَا يَعْمَلَانِ فِي خِدْمَةِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَفْغَانِ، وَيُؤَسِّسَانِ هَيْئَةً
إِعَاثِيَّةً جَدِيدَةً هِيَ «إِسْرَا». وَكِلَاهُمَا كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِتَطَوُّرِ مَجْهُودَاتِنَا، وَرَغْبَتِنَا
فِي مُنَاقَشَةِ الشَّيْخِ فِي هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَمَلِ إِصْلَاحِ مَسِيرَةِ الْجِهَادِ.

كَانَ الشَّيْخُ «الْجَزَائِرِيُّ» بِرِفْقَةِ الدُّكْتُورِ «العظمة» مِنَ السُّعُودِيَّةِ، وَجَلَسْنَا
جَمِيعًا لِتَبَادُلِ وُجْهَاتِ النَّظَرِ وَالْمَشُورَةِ. فُوجِئْتُ بِفِرَاسَةِ الشَّيْخِ «الْجَزَائِرِيِّ»
وَالْمَامَةِ الْعَمِيقِ وَالصَّحِيحِ لِلوَضْعِ فِي «بِيشَاوَر»، وَقَدْ كَانَتْ قَلَّةٌ نَادِرَةٌ تَمْتَلِكُ
تِلْكَ الرُّؤْيَا الصَّحِيحَةَ لِلوَضْعِ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تِلْكَ الصُّوَصَاءِ وَالصَّخَبِ
الْمُضَلَّلِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَمَّ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ: «لَقَدْ فَضَيْتُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ،
وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَّحِدُوا، وَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ لَا تَشْغَلُهُ سِوَى مَصَالِحِهِ
الشَّخْصِيَّةِ، لَقَدْ ذَكَرْتُ لِي بِقَادَةِ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ الْجَزَائِرِيَّةِ عِنْدَنَا فِي الْجَزَائِرِ، إِنَّهُمْ

نَفْسِ النَّوْعِيَّةِ). لَقَدْ أُثْبِتَتْ تَجْرِبَةُ أَفْغَانِسْتَانَ عُمَقَ تِلْكَ الرُّؤْيَةِ وَصِدْقَهَا، فَالادِّعَاءَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِقَادَةِ أَحْزَابِ «بِشَاوَر» الْجِهَادِيَّةِ لَمْ تَتَعَدَّ كَوْنَهَا قِشْرَةَ طِلَاءٍ مُصْطَنَعَةً لِحَقِيقَةِ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ، وَرُبَّمَا مُعَادِيَةٍ لِلْإِسْلَامِ.

شَرَحْنَا لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ التَّفَاصِيلِ حَوْلَ مَشْرُوعِنَا وَأَهْدَافِهِ، وَهِيَ بِاخْتِصَارٍ: مُحَاوَلَةٌ تَجْمِيعِ الْمُسَاعَدَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَعَاءٍ وَاحِدٍ تُشْرِفُ عَلَيْهِ هَيْئَةٌ وَاحِدَةٌ، عَلَى أَنْ يَتِمَّ تَوْجِيهُ تِلْكَ الْمَعُونَاتِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ وَفَقًّا لِمَشَارِيعِ مُحَدَّدَةٍ يُشْرِفُ الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى سَلَامَةٍ سَيْرِهَا. وَقُلْنَا لَهُ إِنَّ الْعَرَبَ يَجِبُ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ دَفْعِ أُمُورِهِمْ لِقَادَةِ الْأَحْزَابِ، أَوْ ضَخِّهَا فِي بَاكِسْتَانَ وَ «بِشَاوَر» لِلْإِنْفَاقِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَيَضْعُفُ بِذَلِكَ الْجِهَادُ وَيَنْتَهِي، وَتَتَحَوَّلُ قَضِيَّةُ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى قَضِيَّةٍ لَاجِئِينَ.

انْتَهَتْ الْجَلْسَةُ بِقَنَاعَةٍ تَامَّةٍ مِنْ جَانِبِ الشَّيْخِ وَقَالَ: «هَذَا هُوَ مَشْرُوعُ الْمُسْتَقْبَلِ، سَوْفَ أَنْكَلِّمُ مَعَ الْعُلَمَاءِ وَالتُّجَّارِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْمَسْئُولِينَ، وَسَوْفَ أَقْتَرِحُ عَلَيْهِمْ تَشْكِيلَ لَجْنَةٍ تَطُوفُ بِالدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَدْعُو إِلَى مُسَاعَدَةِ الْجِهَادِ، وَهَذِهِ اللَّجْنَةُ تُشْرِفُ عَلَى جَمْعِ الْمَعُونَاتِ وَتَوْجِيهِهَا بِمَا يُرْضِي اللَّهَ وَيَقْوِي الْجِهَادَ».

اعْتَبَرْنَا وَقْتَهَا انْضِمَامَ الشَّيْخِ «الجزائري» إِلَى الْمُعَسْكَرِ الْمُنَادِي بِتَوْجِيهِ الْأَنْظَارِ وَالْمَجْهُودَاتِ إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ، اعْتَبَرْنَا ذَلِكَ نَصْرًا لَا شَكَّ فِيهِ،

وَأِنْ كُنْتُ قَدْ شَعَرْتُ بِالْقَلْقِ مِنْ أَنْ تَتَوَلَّى السُّعُودِيَّةُ الْقَفْزَ فَوْقَ هَذِهِ الْمَوْجَةِ وَتَطْوِيَعَهَا لِمَنْهُومِهَا الرَّسْمِيِّ [غَيْرِ الْإِسْلَامِيِّ] مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي وَقْتَهَا. وَقَدْ دَعَانِي إِلَى الْقَلْقِ حَدِيثُ الشَّيْخِ «الْجَزَائِرِيِّ» عَنْ «الْأُمْرَاءِ وَالْمَسْئُولِينَ»، فَذَلِكَ يُهَدِّدُ التَّحْرُكَ الْمَنْشُودَ بِأَفْذَحِ الْعَوَاقِبِ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ لِنَرَى النَّتَائِجَ.

وَلَمْ يَطُلْ انْتِظَارُنَا كَثِيرًا فَقَدْ كَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ لِهَذَا الْعَامِ هُوَ نُقْطَةُ انْقِلَابٍ فِي الْمَشَارِيعِ الْعَرَبِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَحَدَّثَ مَا تَوَقَّعْتُهُ بِأَنْ قَفَزَتْ الْحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ إِلَى دَاخِلِ الْقِطَارِ الْجَدِيدِ، وَأَمْسَكَتْ مُعْظَمَ مَفَاتِيحِ التَّوْجِيهِ فِيهِ. فَجَاءَ تِيَارُ الْعَمَلِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ مُكَبَّلًا بِالرُّؤْيَا السُّعُودِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُ أَوْ لَا يَشْعُرُ قَادَةُ ذَلِكَ التَّوْجِيهِ. وَلَكِنَّ السِّيَاسَةَ السُّعُودِيَّةَ فَشَلَّتْ فِي نِهَائَةِ الْأَمْرِ بِنِسْبَةِ مُعَيَّنَةٍ بِحَيْثُ أُسْفَرَ الْعَمَلُ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ عَنْ بَعْضِ الْفَوَائِدِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلتَّوْجِيهِ الْجِهَادِيِّ فِي الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.



«ابْنُ لَادِنَ» فِي «شِبَاكِ جَاغِي»:

نَجَحَتْ «مَدِينَةُ الْأَلْعَابِ النَّارِيَّةِ» الَّتِي افْتَتَحَهَا «سَيَّافٌ» فِي «جَاغِي»، وَبَهَرَتْ شَبَابَ الْعَرَبِ الْمُنْدَفِعِ حَمَاسًا، وَجَمَاهِيرَ الرَّفَاهِيَّةِ فِي السُّعُودِيَّةِ. فَكَانَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْجَمِيعِ عَالَمًا جَدِيدًا مُنْفَعًا بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَالْإِثَارَةِ. وَفَتَحَتْ

شَلَّالَ الدُّوَلَارَاتِ عَلَى صَاحِبِ الْمَلْهَى .

وَصَمَّمَ «سَيَّافٌ» شَبَكَةَ مَلَاهِيهِ بِشَكْلِ مُدْهِشٍ، فَمَلْهَى الْاِسْتِقْبَالِ وَالتَّهْيِئَةِ فِي «بَابِي» الْقَرِيْبَةِ مِنْ «بِشَاوَر»، وَمَلْهَى آخِرُ لِلْاَلْعَابِ النَّارِيَّةِ وَقِمَّةِ الْاِثَارَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي «جَاغِي» الْمَلَاصِقَةِ تَمَامًا لِحُدُودِ بَاكِسْتَانِ بَعْدَ حَوَالِي ثَمَانِ سَاعَاتٍ بِالسِّيَّارَةِ فِي رِحْلَةٍ عَجِيْبَةٍ فِي اَرْضِ الْقَبَائِلِ الَّتِي تُذَكِّرُ الْمُرَفَّهِيْنَ بِأَجْوَاءِ اَلْفِ لَيْلَةٍ وَكَيْلَةٍ وَالشَّاطِرِ «حَسَن» .

وَبَلَغَ الْاِثْتِقَانُ حَدًّا كَبِيْرًا، حَتَّى اَنْ اَحَدَ كِبَارِ الدُّعَاةِ فِي «أَبُو ظَبِي» قَامَ بِزِيَارَةِ اِلَى تِلْكَ الْمَلَاهِي، وَجَلَسَ يَحْكِي عَنْ مُغَامَرَاتِهِ لِشَبَابِ «الْاِخْوَانِ» الْمُتَفَنِّيْنَ حَوْلَهُ، وَيَصِفُ لَهُمْ كَيْفَ اَنَّهُ تَحَرَّكَ سَبْعَةَ سَاعَاتٍ كَامِلَةٍ فِي سَيَّارَةٍ وَهُوَ يَقْطَعُ الْاَرْضَ الْاَفْغَانِيَّةَ الْمُحَرَّرَةَ مِنْ «بَابِي» حَتَّى «جَاغِي» !!. لَقَدْ تَصَوَّرَ الرَّجُلُ لِفَرْطِ طَبِيْبَتِهِ وَحِمَاسَتِهِ اَنْ اَفْغَانِسْتَانَ تَبْدَأُ مِنْ «بَابِي»، وَاَنْ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْمَلْهَى الْاَوَّلِ «بَابِي» اِلَى الْمَلْهَى الثَّانِي «جَاغِي» هِيَ اَرْضٌ قَدْ حَرَّرَهَا «سَيَّافٌ» !!. وَلَا اُدْرِي اِذَا كَانَ هُوَ [الَّذِي] قَدْ اَوْهَمَ نَفْسَهُ وَخَدَعَهَا، اَمْ اَنْ فَرِيْقَ التَّمْثِيْلِ التَّابِعِ لـ «سَيَّافٍ» مِنْ كِبَارِ اَنْصَارِهِ مِنْ اَفْغَانٍ وَعَرَبٍ قَدْ كَذَّبُوا عَلَيْهِ وَاَوْهَمُوهُ .

اصْطَادَتْ شَبَاكُ «سَيَّافٍ» الْكَثِيْرَ مِنْ الْاَسْمَاكِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَتْ اَكْبَرُ الْاَسْمَاكِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الشُّبَاكِ فِي بَدَايَاتِ تَكْوِيْنِ «جَاغِي» هُوَ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اَسْمَةٌ بِنُ لَادِنٍ» الَّذِي كَانَ هُنَاكَ فِي اَوَاخِرِ رَمَضَانَ ١٤٠٤ هـ، اَيَّ بَعْدَ وُقُوعِ

أَزْمَتَنَا الْكُبْرَى مَعَ «سَيَّافٍ» بِحَوَالِي ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ.

لَا شَكَّ فِي أَنَّ «سَيَّافٍ» قَدْ شَعَرَ بِسَعَادَةٍ بِالْعَةِ بِهَذَا الصَّيْدِ الثَّمِينِ، فَ«أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» هُوَ أَكْبَرُ الْمُتَبَرِّعِينَ وَالْمُنَاصِرِينَ لِجِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ - أَوْ مِنْ أَكْبَرِهِمْ - وَبِالتَّالِي فَهُوَ أَكْبَرُ مَصَادِرِ التَّمْوِيلِ لِـ «سَيَّافٍ».

لَقَدْ كَسَبَ «سَيَّافٍ» مِنْ وُقُوعِ ذَلِكَ الصَّيْدِ فِي شِبَاكِهِ عِدَّةَ مَلَائِينَ مِنْ الدُّوَلَارَاتِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ. وَلَكِنَّهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي الْغَيْبَ أَوْ تَبَأً بِتَوَجِّهَاتِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» مُسْتَقْبَلًا لَتَمَنَّى عَدَمَ [حُضُورِهِ]، وَلَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ «جَاغِي» بَلْ وَدُخُولِ أَفْغَانِسْتَانَ إِنْ اسْتَطَاعَ.

لَا شَكَّ أَنَّ زِيَارَةَ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» غَيْرَ الْمُتَوَقَّعَةِ قَدْ فَتَحَتْ صَفْحَةً جَدِيدَةً وَحَاسِمَةً فِي الدَّوْرِ الْعَرَبِيِّ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَدْرِي بِذَلِكَ أَوْ يَتَوَقَّعُهُ، حَتَّى «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» نَفْسُهُ. إِنْ حَيَاةَ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» أَخَذَتْ مُنْحَنَى جَدِيدًا بِزِيَارَتِهِ تِلْكَ إِلَى «جَاغِي» وَهِيَ أَوَّلُ زِيَارَةٍ لَهُ لِأَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ - وَسَوْفَ نَسْتَعْرِضُ تِلْكَ الزِّيَارَةَ فِي وَقْفَةٍ خَاصَّةٍ - وَلَكِنَّا نَقْفِزُ الْآنَ إِلَى نَتَائِجِهَا الْمُبَاشِرَةِ كَيْ نَرِبَطَهَا بِنَتَائِجِ تَحْرُكَاتِنَا الَّتِي كَانَتْ تَدُورُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، لِنَرَى إِلَى أَيِّ حَدِّ انْتَقَتِ النَتَائِجُ وَاخْتَلَفَتْ فِي آنٍ وَاحِدٍ.

لِتَتَوَقَّفْ قَلِيلًا مَعَ ذِكْرِيَّاتِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» فِي زِيَارَتِهِ الْأُولَى لِأَفْغَانِسْتَانَ كَمَا وَرَدَتْ فِي كِتَابِ «صَفْحَاتٍ مِنْ سِجْلِ الْأَنْصَارِ الْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ» الْجُزْءِ

الأوَّلِ لِلْكَاتِبِ «بِاسِلِ مُحَمَّدٍ». يَقُولُ تَحْتَ عُنْوَانٍ «جَاجِي نَافِذَةٌ عَلَى بَعْضِ الْحَقِيقَةِ»: «حَتَّى الرَّبْعِ الأوَّلِ مِنْ عَامِ ٨٤ كَانَ تَرَدُّدُ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» عَلَى الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي «لَاهُور» لِتَسْلِيمِ التَّبَرُّعَاتِ دَوْرِيًّا وَحَثِيًّا وَمُتَوَاصِلًا. لَكِنَّ «أُسَامَةَ» ظَلَّ مُتَهَيِّبًا مِنْ دُخُولِ الْجَبَهَاتِ أَوْ حَتَّى مُجَاوَزَةَ «لَاهُور» وَ «إِسْلَامِ آبَاد» إِلَى «بِيشَاور». وَعِنْدَمَا تَطُوفُ ذِكْرِيَّاتُ هَاتِيكَ الْإَيَّامِ فِي ذَاكِرَةِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» يَسْتَعْرِضُهَا بِمَرَارَةٍ كَبِيرَةٍ وَيَقُولُ: حَتَّى عَامِ ١٤٠٤ هـ ظَلَّ التَّهْيِيبُ مِنَ الْمُشَارَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ مَآثِلًا أَمَامِي بِشَتَى السُّبُلِ وَالْوَسَائِلِ، وَالْأَعْدَارُ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا لِلْمُشَبِّطِينَ، وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهُهُمْ بِحُسْنِ ظَنٍّ حَيْثُ أَنَّهُمْ أَلْفُوا هَذَا الْجَوْفِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. وَعَلَى هَذَا الْحَالِ اسْتَمَرَّرْنَا لِلْأَسْفِ، وَأَقُولُ لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ إِلَى رَجَبِ عَامِ ١٤٠٤ هـ حَيْثُ دَخَلْنَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُعَسَّكَرَاتِ الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ فِي الدَّخْلِ».

وَعَنْ نَفْسِ هَذِهِ الْمُثَبِّطَاتِ يَتَحَدَّثُ د. «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام» فِيَقُولُ: «كَانَ الْأَخُ «أُسَامَةُ بْنُ لَادِنَ» قَدْ جَاءَ إِلَى «إِسْلَامِ آبَاد» عَامَ ٨٤ م يَحْمِلُ مُسَاعِدَاتٍ، وَكَانَ مُتَهَيِّبًا مِنْ أَنْ يَصِلَ «بِيشَاور»، فَبَعْضُ الْعُقَلَاءِ كَانُوا يُوَصُّوْنَهُ بِذَلِكَ حَتَّى لَا تُوَضَعَ عَلَيْهِ الْعُيُونَ وَحَتَّى... وَحَتَّى... فَقُلْتُ لَهُ لَا تَسْتَمِعْ لِأَحَدٍ وَأَذْهَبْ إِلَى «جَاجِي» فَالْشَيْخُ «سَيَّافُ» هُنَاكَ...».

وَعَلَى هَذِهِ الْفَقْرَةَ نُعَلِّقُ وَنَقُولُ بِأَنَّ حَالَةَ الْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ كَانَتْ سَائِدَةً

وَتَقِيلَةً جِدًّا فِي أَوْسَاطِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَوْسَاطِ الْإِسْلَامِيِّينَ الْحَرَكَِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ. الرَّهْبَةُ مِنَ الْقِتَالِ، وَالَّتِي يُعْطُونَهَا بِتَأْوِيلَاتٍ شَرْعِيَّةٍ عَدِيدَةٍ مِثْلَ إِشْكَالِ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَفَرَضِ الْعَيْنِ فِي الْقِتَالِ، وَمِثْلَ الدَّعْوَةِ وَالْإِعْدَادِ، وَإِذْنِ الْوَالِدِينَ وَإِذْنِ قَادَةِ التَّنْظِيمَاتِ ... الخ.

وَهُنَاكَ خَوْفٌ وَرَهْبَةٌ أُخْرَى أَشَدُّ هِيَ الرَّهْبَةُ مِنْ «الاسْتِخْبَارَاتِ» الَّتِي صَارَتْ تَمْنَعُ الْغَالِبِيَّةَ الْعُظْمَى مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنْ فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ، اللَّهُمَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الْبَسِيطَةُ الَّتِي تَرُصُّهَا الْاسْتِخْبَارَاتُ أَيْضًا وَتَخْتَرِنَهَا لَدَيْهَا كَيْ تَسْتَحْدِمَهَا ضِدَّهُمْ عِنْدَمَا يَسْتَدْعِي الْأَمْرُ الْإِقَاءَ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيبَهُمْ لَوْ قَفَّ نَشَاطِهِمْ. أَيُّ أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ الْاسْتِخْبَارَاتِ مَنَعَ هُوَ لَا مِنْ فِعْلِ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ كَشْفِ أَنْفُسِهِمْ لِلْاسْتِخْبَارَاتِ بِالْفِ خَطِئًا وَخَطِئًا.

وَتَعْلِيْقًا حَوْلَ دَوْرِ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ كَوْسِيطِ «مُؤْتَمَنِ» مِنْ جَانِبِ الْمُسْلِمِينَ، خَاصَّةً هُوَ لَا الْذِينَ يَأْخُذُونَ بِتَوْصِيَّاتِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، فَقَدْ كَانَتْ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي نَظَرِ هُوَ لَا هِيَ مَصْدَرُ الْمَعْلُومَاتِ الْمَوْثُوقَةِ، وَالتَّقْدِيرَاتِ الدَّقِيقَةِ، وَالنَّزَاهَةِ الَّتِي لَا تَرْقَى إِلَيْهَا الشُّكُوكُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ «بِالْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ». فَكَانَتْ الْجَمَاعَةُ هِيَ الْقَنَاءُ الرَّئِيسَةَ لِتَوْصِيلِ التَّبَرُّعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَمِنْ مُسْلِمِي أَوْرُوبَا إِلَى مُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ.

وَحَسَبَ مَعْلُومَاتِي فِي ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ، أَنَّ كُلَّ تِلْكَ الثَّقَةِ أَوْ مُعْظَمَهَا لَمْ تَكُنْ فِي مَحِلِّهَا. وَفِي ظَنِّي أَنَّ دَوْرَ الْجَمَاعَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ تَجَاهَ قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ كَانَ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ الصِّفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَقَدْ كَانَتْ الْجَمَاعَةُ وَمَا نَزَالَ تُمَثِّلُ امْتِدَادًا بَاكِسْتَانِيًّا - أَمْرِيكِيًّا دَاخِلَ الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَمِنْ حَيْثُ الْأَمَانَةُ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَوْقَ الشُّبُهَاتِ، وَأَذْكَرُ مُشْكِلَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَدِيقِنَا «أَبِي أُسَامَةَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلِيٍّ» بِشَأْنِ سِتَّةِ سَيَّارَاتٍ إِسْعَافٍ تَوَسَّطَ هُوَ بِشَأْنِهَا كَيْ تَنْقَلَ مِنَ الْأَمَانِيَا - تَبَرُّعًا مِنَ الْجَالِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هُنَاكَ - إِلَى إِخْوَانِهِمُ الْأَفْغَانَ. وَبَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ جَاءَ «أَبُو أُسَامَةَ» إِلَى بَاكِسْتَانَ لِيَجِدَ أَنَّ السَيَّارَاتِ تَعْمَلُ فِي أَحَدِ مُسْتَشْفِيَّاتِ الْجَمَاعَةِ قُرْبَ مَدِينَةِ «لَاهُور» الْبَاكِسْتَانِيَّةِ. فَغَضِبَ وَثَارَ وَلَكِنَّ كِبَارَ مَسْئُولِي الْجَمَاعَةِ طَمَأنُوهُ بِأَنَّ هَذِهِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ أَيْضًا تُقَدِّمُ خَدَمَاتَهَا إِلَى الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ، «وَالْمَسَافَةَ بَيْنَ «لَاهُور» وَ«بِشَاوَر» أَكْثَرَ مِنْ ٤٠٠ كَم». وَقَدْ كَانَ التَّوَسُّعُ الْكَبِيرُ فِي مَشْرُوعَاتِ الْجَمَاعَةِ وَمُنْشَاتِهَا مُنْذُ بَدَايَةِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ مَوْضِعَ تَسَاوُلٍ بَلْ وَتَنْدُرٍ دَاخِلَ بَاكِسْتَانَ وَأَوْسَاطِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ.

وَفِي ظَنِّي أَنَّ دَوْرَ الْجَمَاعَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ لَا يَقِلُّ سُوءًا - إِنْ لَمْ يَزِدْ - عَنِ دَوْرِ «الإِخْوَانِ» تَجَاهَ أَفْغَانِسْتَانَ، بَلْ وَالْقَضِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَالَمِ. وَمَا زَالَتْ الْجَمَاعَةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ تُعْتَبَرُ حَتَّى الْآنَ أَحَدَ أَعْمَدَةِ الْقِتَالِ الدَّائِرِ فِي «كَابُل» إِلَى جَانِبِ «حِكْمَتِيَار» ضِدَّ «رَبَّانِي» وَ«سَيَّاف»، وَلَهَا مَرَاكِزُ تَدْرِيْبٍ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ يَتَخَرَّجُ مِنْهَا الْعَشْرَاتُ ثُمَّ يَتَوَجَّهُونَ لِلْقِتَالِ فِي «كَابُل» عِدَّةَ أَشْهُرٍ،

وَذَلِكَ تَمْهِيدًا لِلْقِتَالِ فِي «كَشْمِير» مُسْتَقْبَلًا!!.

وَلَمْ يَحْدُثْ خِلَالَ فِتْرَةِ الْجِهَادِ الَّتِي قَارَبَتْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا ضِدَّ الشِّيُوعِيِّينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَنْ افْتَتَحَتْ الْجَمَاعَةُ مَعْسَكَرَاتِ تَدْرِيبٍ لِعِنَاصِرِهَا مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. بَلْ لَمْ يَكُنْ سِرًّا اتِّفَاقُ الْجَمَاعَةِ مَعَ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» عَلَى أَلَّا تَدْعُو الْجَمَاعَةُ أَفْرَادَهَا أَوْ الشَّعْبَ الْبَاكِسْتَانِيَّ إِلَى الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَقَالَ لَهُمْ «ضِيَاءُ الْحَقِّ»: «لَا أُرِيدُ قَضِيَّةَ أَفْغَانِسْتَانَ هَمًّا شَعْبِيًّا، وَيَجِبُ أَنْ تَظَلَّ مَحْصُورَةً فِي إِطَارِ الْمُسَاعَدَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ». وَلَمْ تَخْرُقِ الْجَمَاعَةُ ذَلِكَ الْإِتِّفَاقَ وَلَوْ لِثَانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ. وَذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ أَفْرَادًا مِنَ الْجَمَاعَةِ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَالْجِهَادِ هُنَاكَ - وَهَذَا مَا حَدَّثَ مَعَ أَفْرَادٍ مِنَ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» أَيْضًا- وَلَكِنَّ ذَلِكَ تَمَّ خَارِجَ سِيَاسَةِ الْجَمَاعَةِ، وَاجْتِهَادًا مِنْ أَشْخَاصٍ لَمْ يَتِمَّا لِكُومَا مَشَاعِرَهُمُ الْإِسْلَامِيَّةَ وَأَنْسَاقُوا خَلْفَهَا رُغْمًا عَنِ أَوْامِرِ الْجَمَاعَةِ وَسِيَاسَتِهَا الْمُعْلَنَةِ.

وَلَعَلَّ أَكْبَرَ إِجْازَاتِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّام» كَانَتْ كَسْرَ حَالَةِ الْجُمُودِ وَالْخَوْفِ وَالْقِيُودِ الْمُصْطَنَعَةِ الَّتِي كَبَلَتْ الشَّبَابَ الْمُسْلِمَ وَمَنْعَتْهُ مِنَ الْمُشَارَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَيَادِينِ الْقِتَالِ، سَوَاءً تِلْكَ الْعَقَبَاتِ النَّابِعَةِ مِنَ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَفْسِهَا وَمَا تُثِيرُهُ مِنْ رَهْبَةٍ أَكْثَرَهَا عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ وَقِيعِيٍّ، وَبَعْضُهَا صَحِيحٌ قَطْعًا.

وَقَدْ تَبَنَّى «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» نَفْسَ الْمُنْطَلِقِ، مُنْطَلِقِ إِيقَاطِ الْأُمَّةِ وَبَثَّ رُوحَ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَيْنَ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ وَشَبَابِ الْجَزِيرَةِ بِشَكْلِ خَاصٍّ.

كَانَتْ مُنْطَلَقَاتُ الرَّجُلَيْنِ مُتَطَابِقَةً، وَلَكِنَّ أُسْلُوبَ عَمَلِهِمَا مُتَبَايِنٌ كَمَا سَنَشْرَحُ ذَلِكَ. أَمَّا الْمُنْطَلِقُ الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ فَيُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ مِنْهَجًا ثَانِيًا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَبْدَأِ، وَطَرِيقًا ثَالِثًا مِنْ حَيْثُ الْعَمَلِ. فَلَمْ أَكُنْ أَرَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ إِلْهَابَ عَوَاطِفِ الْأُمَّةِ وَإِثَارَةَ حَمَاسِ شَبَابِهَا لِلْقِتَالِ [هَدَفًا] نَسَعَى إِلَيْهِ حَالِيًا، فَالْأَجْدَى هُوَ نَشْرُ الْوَعْيِ الْمُتَبَصِّرِ وَلَيْسَ الْحَمَاسِ الْأَهْوَجِ. وَأَنَّهُ مِنَ الْخَطَرِ إِثَارَةُ الْمَشَاعِرِ الْمُلْتَهَبَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَحْدِيدًا، لِاعْتِبَارَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا:

١. أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِبْتِقَاؤُهَا عَلَى نَفْسِ الْوَتِيرَةِ مِنَ الْحَمَاسِ، إِلَّا إِذَا مَارَسْنَا سِيَاسَةً غَوْغَائِيَّةً مِثْلَ تِلْكَ الَّتِي اتَّبَعَهَا «عَبْدُ النَّاصِرِ» أَوْ «الْقَذَافِي» وَ«صَدَّامُ» وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْقِيَادَاتِ الثَّورِيَّةِ الْفَاسِدَةِ. قَدْ نَضَطَّرْتُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ إِلَى الْكُذْبِ أَوْ التَّصْنَعِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسَالِيبِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي لَا نُوَافِقُ عَلَيْهَا بِالطَّبَعِ، وَقَدْ حَدَّثَ ذَلِكَ بِكُلِّ أَسْفٍ.

٢. أَنَّ الْحَمَاسَ عِبَارَةٌ عَنْ وَمِيضٍ مُؤَقَّتٍ، مَفْعُولُهُ كَبِيرٌ جِدًّا وَلَكِنْ لَوْقَتٍ مَحْدُودٍ لِلْغَايَةِ. وَإِذَا لَمْ يَصِلِ الْمُتَحَمِّسُ - وَالْمُصِيبَةُ إِذَا كَانَتْ جَمَاهِيرًا



مِنَ الْمُتَحَمِّسِينَ - [أَوْ جَمَاهِيرِ الْمُتَحَمِّسِينَ] إِلَى هَدَفِهَا الَّذِي تَحَمَّسَتْ لَهُ بِسُرْعَةٍ فَإِنَّهَا تُصَابُ بِالْإِحْبَاطِ وَخَيِّبَةُ الْأَمَلِ وَالْيَأْسِ. وَقَدْ يَدْفَعُهَا ذَلِكَ إِلَى الْبَحْثِ عَنِ مَسَارَاتٍ جَدِيدَةٍ «غَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ».

٣. الأعدادُ الكَبِيرَةُ إِذَا أَقْدَمَتْ عَلَى الْجِهَادِ فَمَنْ الْمُسْتَحِيلِ اسْتِعَابُهَا، لَا فِي «بِشَاوَرٍ» وَلَا فِي جَبَهَاتِ الْقِتَالِ. وَالتَّكْلُفَةُ الْمَالِيَّةُ سَوْفَ تَكُونُ فَوْقَ الطَّاقَةِ. وَالانْضِبَاطُ قَدْ يَكُونُ مَعْدُومًا، وَالتَّيْبِجَةُ النَّهَائِيَّةُ قَدْ تَكُونُ صِفْرًا.

وَالْبَدِيلُ هُوَ قَبُولُ مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ جَدًّا مِنْ الشَّبَابِ وَتَأْهِيلُهُمْ تَأْهِيلًا عَالِيًا «دِينِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَسِيَاسِيًّا» لِيَكُونُوا بِمَثَابَةِ كَوَادِرِ أَوْ قِيَادَاتٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ. وَحَوْلَ هَؤُلَاءِ يُمَكِّنُ تَدْرِيجِيًّا بِنَاءَ قُوَّةٍ تَتَزَايَدُ طَبَقًا لِلْإِمْكَانَاتِ الْمُتَاحَةِ وَظُرُوفِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ، تَكُونُ بِمَثَابَةِ خَزَانِ الْخِبْرَةِ الْجِهَادِيَّةِ. وَيُمْكِنُهَا مُسَاعَدَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيِّ مَكَانٍ طَبَقًا لِلْأَحْدَاثِ وَالظُّرُوفِ الْقَادِمَةِ.

كُنْتُ فِي بَدَايَةِ أَحْدَاثِ أَفْغَانِسْتَانَ أَنْخِيْلُ أَنَّ «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ» هُمْ الْمُؤَهَّلُونَ لِأَدَاءِ ذَلِكَ الْعَمَلِ. وَلَمْ أَكُنْ وَقْتُهَا أَدْرِكُ الصُّورَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِمَا صَارَ إِلَيْهِ «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمُونَ»، وَأَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ الَّتِي كُنْتُ أَفْكَرُ فِيهَا لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ. وَأَنَّ الْأَسْمَ التُّجَارِيَّ قَدْ تَمَّتْ سَرِيقَتُهُ، وَلِأَعْرَاضِ الْاِحْتِيَالِ يَسْتَعْدِمُهُ أَقْوَامٌ آخَرُونَ.

كَمَا نَرَى مِنْ حِوَارِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ» مَعَ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» أَنَّهُ شَجَعَهُ عَلَى

الدُّخُولِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَأَنْ يَذْهَبَ إِلَى «جَاجِي» لِأَنَّ «سَيَّافَ» هُنَاكَ. فَدُخُولُ «سَيَّافَ» إِلَى «جَاجِي» رُغْمَ أَنَّهُ لَمْ يُقْصِدْ مِنْهُ دَفْعَ الْعَرَبِ وَتَشْجِيعَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، بَلْ فَقَطَّ مُجَرَّدًا إِمْتَاعَهُمْ بِعَرْضٍ مُثِيرٍ لِإِطْلَاقِ النَّارِ بِهَدَفِ اسْتِجْلَابِ إِعْجَابِهِمْ، فَتَخَرُّجُ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجُيُوبِ. وَلَكِنَّ التَّنَائِجَ غَيْرَ الْمَقْصُودَةَ كَانَتْ كَثِيرَةً جِدًّا فِي أَفْغَانِسْتَانَ. فَكَثِيرٌ مِنْ عَرَبِ الْجَزِيرَةِ وَالسُّعُودِيَّةِ الَّذِينَ اعْتَبَرُوا «سَيَّافَ» أَمِيرًا لِلجِهَادِ وَأَكْثَرُهُمْ أَعْطَاهُ الْبَيْعَةَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، قَدْ ذَهَبَ خَلْفَهُ إِلَى الْجَبْهَةِ، وَبَعْضُهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» كَانُوا ذَوُو شَأْنٍ عَظِيمٍ [وَلَهُمْ] مُسَاهِمَاتٌ مِيدَانِيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَغَيْرُ مُتَوَقَّعَةٍ لَا تَتَوَافَقُ إِطْلَاقًا مَعَ أَهْدَافِ «سَيَّافَ» الْإِنْتِهَازِيَّةِ، وَلَا أَهْدَافِ الْقُوَى الدَّوْلِيَّةِ وَالْإِقْلِيمِيَّةِ الَّتِي تُدِيرُ أَحْدَاثَ أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ وَرَاءِ سِتَارٍ.

كَانَ «سَيَّافُ» قَدْ أَنْشَأَ مُعَسَّكْرًا لِلتَّدْرِيبِ الصُّورِيِّ فِي «جَاجِي» عَلَى نَفَقَةِ مُتَبَرِّعٍ عَرَبِيٍّ، [هُوَ] الشَّيْخُ «صَالِحُ كَامِلٍ» مِنَ السُّعُودِيَّةِ، وَالَّذِي قَالَ: «أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا كَتِيبَةً بَدْرِيَّةً عَدَدُهَا ٣١٣ مُجَاهِدًا كَمُجَاهِدِي بَدْرٍ، فَسَمِّيَ الْمُعَسَّكْرُ «كَتِيبَةُ بَدْرٍ».

التَّدْرِيبُ الصُّورِيُّ فِي «كَتِيبَةِ بَدْرٍ» وَالْقِتَالُ الصُّورِيُّ فِي «جَاجِي» تَحَوَّلَ فِيمَا بَعْدُ عَلَى يَدِ الضَّيْفِ الْخَجُولِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» إِلَى تَدْرِيبٍ حَقِيقِيٍّ وَمَعَارِكٍ حَقِيقِيَّةٍ أَحْرَجَتْ كَثِيرِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ «سَيَّافَ»، وَكَشَفَتْ الْكَثِيرَ مِنْ

الْأَقْبَعَةَ وَالزَّيْفَ الَّذِي تَشْرَتَّقُ حَوْلَ الْجِهَادِ.

نَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ذِكْرِيَاتِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ حَيْثُ يَقُولُ عَنْ زِيَارَتِهِ الْأُولَى: «فُوجِئْتُ بِالْوَضْعِ مُتَدَنِّيًّا جِدًّا جِدًّا مِنْ نَاحِيَةِ الْإِمْكَانِيَّاتِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، الْأَسْلِحَةِ وَالطَّرِيقِ وَالْخَنَادِقِ... وَاسْتَعْفَرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَشَعَرْتُ أَنَّي أذْنَبْتُ بِسَبَبِ سَمَاعِي لِبَعْضِ الْإِخْوَةِ وَالْمَشَايخِ وَالْأَحْبَابِ فَلَمْ أَدْخُلْ إِلَى الدَّخْلِ خَشْيَةً أَنْ يُسَبَّبَ ذَلِكَ حَرَجًا أَمْنِيًّا، وَشَعَرْتُ أَنَّ هَذَا التَّأخِيرَ لِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ لَا تُكْفِّرُهُ إِلَّا شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...».

وَهَذِهِ الْفَقْرَةُ تُوضِّحُ مَدَى الْحَرَجِ الَّذِي شَعَرَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنَدَمَ عَلَى تَقْصِيرِهِ وَسَمَاعِهِ لِنَصَائِحَ غَيْرِ صَحِيحَةٍ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ سَبَبَ هَذَا التَّدَنِّيِّ الَّذِي رَأَاهُ وَلَمْ يُحَدِّدْ أَسْبَابَهُ، بَلْ قَبْلَ تَلْقَائِيَّيَا مَا يَقُولُهُ «سَيَّافٌ» تَبْرِيرًا لِهَذَا الْإِنْحِطَاطِ فِي الْإِعْدَادِ بِالنُّسْبَةِ لِأَهَمِّ مَوْقِعٍ بِالنُّسْبَةِ لَهُ، مَوْقِعِ الْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي يُبَاشِرُهَا بِنَفْسِهِ وَبِاسْمِ الْمُجَاهِدِينَ جَمِيعًا، الَّذِينَ يُمَثِّلُهُمُ الْإِتِّحَادُ رَسْمِيًّا. كَانَ «سَيَّافٌ» يَدَّعِي بِأَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ إِمْكَانَاتِهِ، فَلَيْسَ لَدَيْهِ مَا يَكْفِي لِتَعْطِيَةِ مَطَالِبِ الْمُهَاجِرِينَ وَجَبَهَاتِ أَفْغَانِسْتَانَ الَّتِي تَحْوِي مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي هِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.

كَانَ «أَسَامَةُ بْنُ لَادَنَ» وَالشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» يُصَدِّقَانِ تِلْكَ الدَّعَاوَى

الكَاذِبَةَ، وَظَلًّا كَذَلِكَ حَتَّى وَقَّتِ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا. وَحَتَّى إِذَا سَمِعَا أَوْ رَأَيَا مَا يُشَكِّكُ فِي سُلُوكِ «سَيَّافٍ» وَتَصَرُّفَاتِهِ وَالانْحِرَافَاتِ الَّتِي لَا تُخْطِئُهَا عَيْنٌ فِي سُلُوكِيَّاتِ كِبَارِ مَسْئُولِي وَقَادَةِ مَجْمُوعَاتِهِ - فِي مُعْظَمِهِمْ - بَلْ وَتَفَشَّتْ تِلْكَ الْعُيُوبُ فِي كُلِّ الْأَحْزَابِ وَمُعْظَمِ الْجَبَهَاتِ، كَانَ الرَّجُلَانِ يُفَضِّلَانِ الصَّمْتَ وَالتَّعَاضِي، حَتَّى لَا تَفْسُدَ عِلَاقَتُهُمْ مَعَ الْقِيَادَاتِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْجِهَادِ، وَحَتَّى لَا يَنْفِضَ الشَّبَابُ الْمُتَطَوِّعُ وَيَرْجِعَ عَنِ الْجِهَادِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ جَذْبُهُ بِصُعُوبَةٍ بِالْغَةِ بِوِاسِطَةِ الْكُتُبِ وَالشَّرَائِطِ الَّتِي رَسَمَتْ صُورَةَ شَفَافَةٍ جِدًّا وَرَوْحَانِيَّةً، لَا نَقُولُ كَاذِبَةً وَلَكِنْ نَقُولُ إِنَّهَا تُمَثِّلُ شَرِيحَةً صَغِيرَةً وَفِي تَنَاقُصٍ دَائِمٍ دَاخِلِ التِّيَّارِ الْمُجَاهِدِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. أَمَّا الصُّورَةُ الْعَامَّةُ فَهِيَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ تَزْدَادُ كَابَةً، وَيَتَزَايِدُ الانْحِرَافُ بِشَكْلِ مُخِيفٍ، حَتَّى أَنَّ الْمَسِيرَةَ كُلَّهَا أَضْحَتْ مُهَدَّدَةً.

لَقَدْ حَافِظَ الرَّجُلَانِ عَلَى عِلَاقَاتِ طَبِيبَةٍ وَوُدِّيَّةٍ عَلَى قَدْرِ مَا أُمَكَّنَهُمَا طَوَالَ الْفِتْرَةِ الَّتِي قَضِيَاهَا فِي الْجِهَادِ مَعَ الْقِيَادَاتِ الرَّسْمِيَّةِ لِهَذَا الْجِهَادِ، خَاصَّةً «سَيَّافٍ».

وَمِنْ جِهَتِي فَقَدْ اعْتَبَرْتُ ذَلِكَ خَطَأً عَلَى الْمَدَى الْبَعِيدِ؛ لِأَنَّهُ تَضَلِيلٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَنِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي سَوْفَ تَظْهَرُ رُغْمًا عَنِ الْجَمِيعِ فِي يَوْمٍ مَا، طَبَقًا لِقَاعِدَةٍ «مِنْ الْمُمَكِّنِ أَنْ تَخْدَعَ بَعْضَ النَّاسِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُكَ خِدَاعُ كُلِّ النَّاسِ كُلَّ الْوَقْتِ».

كُنْتُ وَقْتَهَا - وَمَا زِلْتُ - مِنْ أَنْصَارِ فِكْرَةِ كَشْفِ كُلِّ الْحَقَائِقِ أَمَامَ الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مَعْلُومَةٌ تَمَامًا فِي كُلِّ الْعَالَمِ، مَا عَدَا الْوَسْطِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَّفَاعِلِ مَعَ قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ فَإِنَّهُ مَحْرُومٌ مِنْ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ، بَلْ إِنَّ مَعْلُومَاتٍ مُضَلَّلَةً وَمُشِيرَةً لِلْعَوَاطِفِ هِيَ الَّتِي تُرَوِّجُ بِشِدَّةٍ بَيْنَ أَوْسَاطِهِ، وَمَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَعْلُومَاتٍ يُنْظَرُ إِلَيْهَا وَإِلَى قَائِلِهَا نَظْرَةً شَكٌّ وَرِييَّةٌ. وَهَذَا مَا حَدَّثَ تَمَامًا مَعِي. إِضَافَةً لِلْهَجَمَاتِ السَّاحِقَةِ الَّتِي سَنَهَا «سَيَّافٌ» وَأَعْوَانُهُ مِنْ الْعَرَبِ، فَتَقَلَّصَ دَوْرِي وَانْكَمَشَ، بَلْ أَصْبَحَ مَشْبُوهًا وَ[أَصْبَحْتُ] مُطَارِدًا مُعْظَمَ الْوَقْتِ.

وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ، فَإِنَّ سِيَاسَةَ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ» وَ «أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» قَدْ أَدَّتْ نَتَائِجَ إِيْجَابِيَّةً لَا يُمَكِّنُ انْكَارَهَا. فَقَدْ نَجَحَتْ فِي اجْتِدَابِ آلَافِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ مِنْ كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، مُعْظَمُهُمْ شَارِكٌ فِي الْجِهَادِ، وَاسْتِفَادَ كَثِيرًا مِنْ دُرُوسِهِ النَّفْسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ تَدَرَّبَ بِدَرَجَاتٍ مُتَّفَاوِتَةٍ. وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ قَدْ اِكْتَسَبَ قُدْرَةً وَمَنَاعَةً فِي مُوَاجَهَةِ الْأَخْطَارِ الْمَاحِقَةِ لِلْقِتَالِ غَيْرِ الْمُتَكَافِيٍّ أَمَامَ قُوَى عَظْمَى مِثْلِ السُّوفِيَّةِ.

مِثْلُ هَذَا الْإِقْبَالِ الْجَمَاهِيرِيِّ الْوَاسِعِ، وَالْمُشَارَكَةِ الْمُبَاشِرَةِ فِي الْجِهَادِ مَا زَالَتْ آثَارُهَا - وَسَوْفَ تَظُلُّ لِمَدَى بَعِيدٍ - تَتَفَاعَلُ وَتُؤَثِّرُ عَلَى مَسِيرَةِ الْأَحْدَاثِ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْعَرَبِيَّةِ خَاصَّةً.

وَلَا شَكَّ عِنْدِي فِي أَنَّ ظُهُورَ الْجِهَادِ فِي فَلَسْطِينَ وَالْجَزَائِرِ وَكَثِيرٍ مِنْ
أَحْدَاثِ مِصْرَ يُعْزَى بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ إِلَى هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ الْمُجَاهِدِ الَّذِي أَطْلَقَ
عَلَيْهِمُ الْإِعْلَامُ الصُّهْيُونِيَّ لِقَبِّ «الْأَفْغَانَ الْعَرَبِ»، حَتَّى صَارَتْ مُصْطَلَحًا
دَوْلِيًّا لِلتَّعْرِيفِ [بِتِلْكَ] الطَّلَائِعِ الْمُجَاهِدَةِ.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ السِّيَاسَةَ الْجَمَاهِيرِيَّةَ الَّتِي اتَّبَعَهَا الرَّجُلَانِ، وَالَّتِي تَعْنِي
ضِمْنَا سِرَّ الْعُيُوبِ وَمُهَاذَنَةَ الْقَادَةِ، قَدْ أُنتَجَتْ سَلْبِيَّاتٍ خَطِيرَةً، فَقَدْ حَدَثَ مَا
كَانَ مُتَوَقَّعًا عِنْدَمَا اكْتَشَفَتْ بَعْضُ قِطَاعَاتِ الْمُتَطَوِّعِينَ الْعَرَبِ صُورَةَ مَا
يَحْدُثُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَكَانَتْ صَدْمَةً قَاسِيَةً لَمْ يَتَحَمَّلُوهَا، وَحَمَلُوا تَبَعَهَا
الرَّجُلَيْنِ مَعًا، أَوْ لِأَحَدِهِمَا. بَعْضُ الشَّبَابِ ازْتَكَسَ إِلَى مَجَالِ التَّكْفِيرِ الَّذِي
شَمِلَ الْقَادَةَ الْأَفْغَانَ، وَالْقَائِدِينَ الْعَرَبِيِّينَ «أَبَا عَبْدِ اللَّهِ» وَالشَّيْخَ «عَبْدَ اللَّهِ»،
وَبَعْضُهُمْ أَدْخَلَ جَمِيعَ الْأَفْغَانَ أَوْ مُعْظَمَهُمْ فِي حَظِيرَةِ الْكُفْرِ.

أَمَّا الْمُتَعَدِّلِينَ مِنْ قِطَاعِ الصَّدْمَةِ فَقَدْ غَادَرَ بِصَمْتٍ يَجْتَرُّ أَحْزَانَهُ، وَلَا يَدْرِي
أَحَدٌ مَا هِيَ رُدُودُ فِعْلِهِ عَلَى تَجْرِبَتِهِ تِلْكَ، وَإِنْ كَانَ يُمْكِنُنَا تَحْيِيلُ بَعْضِهَا.

إِنَّ السِّيَاسَةَ الْمَرْنَةَ الَّتِي اتَّبَعَهَا الرَّجُلَانِ مَكْتَبِيَّتُهُمَا مِنْ فِعْلِ الْكَثِيرِ مِنْ
الْأَعْمَالِ الْإِجَابِيَّةِ، مَعَ كَمِيَّةٍ لَا بَأْسَ بِهَا مِنَ السَّلْبِيَّاتِ، [وَقَدْ مَنَعْتَنِي سِيَاسَتِي]
الْمُتَشَدِّدَةَ - إِلَى جَانِبِ أَسْبَابٍ أُخْرَى - مِنْ تَنْفِيدِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَشَارِيعِ الَّتِي
كُنْتُ أَحْلُمُ بِهَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ افْتَرَضْنَا جَدَلًا عَوْدَةَ عَقَارِبِ الزَّمَنِ إِلَى الْوَرَاءِ

فَأُظْنِي سَوْفَ التَّنَزُّمِ نَفْسَ الْمُوقِفِ، وَأُظْنُ أَنْ الرَّجُلَانَ أَيْضًا لَنْ يُغَيِّرَا كَثِيرًا
النَّهَجَ الَّذِي اخْتَارَاهُ لِلْعَمَلِ. نَعُودُ إِلَى نَفْسِ الْكِتَابِ لِنُنْقِلَ مِنْهُ الْفَقْرَةَ الْأَخِيرَةَ
مِنْ نَفْسِ الْفَضْلِ «جَاجِي: نَافِذَةٌ عَلَى بَعْضِ الْحَقِيقَةِ»، حَيْثُ يَقُولُ:

«فِي مَوْسِمِ حَجِّ هَذَا الْعَامِ ١٤٠٤ هـ سِبْتَمْبَرِ ٨٤م كَانَتْ قَنَاةُ الدُّكْتُورِ
«عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» وَالْأَخِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» بِإِمْكَانِيَّةٍ تَحْقِيقِ دَوْرٍ أَكْثَرَ إِيْجَابِيَّةٍ
لِلْعَرَبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ تَبَلَّوْرَتْ تَمَامًا... فَلَمَّا اجْتَمَعَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
الْمُبَارَكَةِ مَعَ الشَّيْخِ «سَيَّافٍ» - الَّذِي قَدِمَ إِلَى الْحَجِّ أَيْضًا - لَمْ يَلْبَثْ «أَسَامَةُ»
أَنْ طَرَحَ الْفِكْرَةَ وَأَبْدَى حَمَاسًا غَيْرَ [مَحْدُودٍ] لِتَحْقِيقِهَا. يَقُولُ د. «عَبْدُ
اللَّهِ»: حَجَجْنَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَجَلَسْنَا مَعَ الشَّيْخِ «سَيَّافٍ»، وَطَرَحَ الْأَخُ «أَسَامَةُ»
فِكْرَةَ تَجْمِيعِ الْعَرَبِ فِي تَجْمُوعٍ وَاحِدٍ لِحِمَايَتِهِمْ وَتَرْبِيَّتِهِمْ وَحَتَّى يَأْنَسُوا
بِإِخْوَانِهِمْ. وَقَالَ الْأَخُ «أَسَامَةُ»: أَنَا مُتَكَفِّلٌ بِكُلِّ عَرَبِيٍّ يَأْتِي، سَكَنًا وَتَذَكْرَةً
وَمَضْرُوفًا وَأَسْرَةً... مُنْذُ خُرُوجِهِ مِنْ بَلَدِهِ وَحَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا. وَحَدَّدْنَا مَعَ
«الشَّيْخِ «سَيَّافٍ» رَاتِبَ الْأَخِ الْعَرَبِيِّ وَزَوْجَتِهِ وَمَاذَا يَكْفِيهِ مَعَ الْبَيْتِ وَمَا إِلَى
ذَلِكَ. كَانَتْ الْفِكْرَةُ قَائِمَةً فِي ذَهْنِي وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَاقَ الْأَخَ «أَبَا عَبْدِ اللَّهِ»
فَدَعَمَنَا مَالِيًّا.... وَيَتَحَدَّثُ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» عَنْ ذَلِكَ الْإِتِّفَاقِ فَيَقُولُ: ذَكَرْتُ
لِلشَّيْخِ «سَيَّافٍ» وَبِوُجُودِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» أَنَّ الْعَرَبَ بَدَأَتْ أَعْدَادُهُمْ
تَرْتَفِعُ تَدْرِيجِيًّا، وَيَا حَبْدًا لَوْ تَأْذَنَ لَنَا - بِحُكْمِ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُجَاهِدِينَ وَرَأْسُ
الْإِتِّحَادِ يَوْمَهَا - فِي إِنْشَاءِ مَكْتَبٍ أَوْ بَيْتٍ نَسْتَقْبِلُ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الْعَرَبَ

وَنَسْتَعِيدُ مِنْ طَقَاتِهِمْ. فَأَذِنَ لَنَا فِي ذَلِكَ... وَفِعْلًا تَأَسَّسَ الْمَكْتَبُ بَعْدَ الْحَجِّ مُبَاشَرَةً وَمَضَى الْعَمَلُ تَدْرِيجِيًّا... ثُمَّ يُضِيفُ د. «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنْتُ قَدْ أَخْرَجْتُ فَنَوَى «الدَّفَاعُ عَنِ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ أَهْمُ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ» وَاسْتَنْفَرْتُ الْإِخْوَةَ الْعَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَأْتُوا، وَذَكَرْتُ لَهُمْ عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَطِئَ الْعَدُوُّ شِبْرًا مِنْ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ أَصْبَحَ الْجِهَادُ فَرَضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَرْأَةُ دُونَ إِذْنِ زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ دُونَ إِذْنِ سَيِّدِهِ، وَالْوَلَدُ دُونَ إِذْنِ وَالِدِهِ، وَالْمَدِينُ دُونَ إِذْنِ دَائِنِهِ، وَالتَّلْمِيذُ دُونَ سُؤَالِ شَيْخِهِ، وَابْنُ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ دُونَ أَنْ يَسْتَشِيرَ حَرَكَتَهُ وَقَادَتَهُ... وَنَقَلْتُ نُصُوصًا لِلْفُقَهَاءِ فِي هَذَا وَوَزَعْتُهَا، وَغَضِبَ مَنْ غَضِبَ وَرَضِيَ مَنْ رَضِيَ، وَعَتَبَ مَنْ عَتَبَ. إِخْوَانَنَا عَتَبُوا عَلَيْنَا وَأَقَامُوا زُوبَعَةً فِي وُجُوهِنَا بِأَنَّكَ تُغْرِي الشَّبَابَ بِالتَّمَرُّدِ عَلَيْنَا... فَقُلْتُ لَهُمُ الشَّرْعُ فَوْقَ الْجَمِيعِ، فَوْقَ الْحَرَكَةِ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ».

فِكْرَةُ تَجْمِيعِ الْعَرَبِ وَتَحْقِيقِ دَوْرٍ أَكْثَرَ إِجْبَابِيَّةً بَدَأَتْ أُخِيرًا تَتَحَرَّكُ، وَقَدْ تَوَفَّرَ لَهَا عُنْصُرَانِ هَامَانٍ مِنْ عُنَاصِرِ النَّجَاحِ، الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» كَعَالِمٍ وَخَطِيبٍ مُجَاهِدٍ وَمَقْبُولٍ فِي الْأَوْسَاطِ الْإِسْلَامِيَّةِ، خَاصَّةً «الْإِخْوَانُ»، وَبِالتَّالِي لَمْ تَتَبَرَّغْ جَمَاعَةٌ مَّا بَزَرَ عِ الْأَلْغَامِ فِي طَرِيقِهِ. وَالعُنْصُرُ الثَّانِي هُوَ «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ» الشَّابُّ الْمُتَحَمِّسُ الَّذِي يَتَمَيُّ إِلَى أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ ثَرِيَّةٍ وَقَوِيَّةٍ اجْتِمَاعِيًّا إِلَى دَرَجَةٍ يُمَكِّنُ اعْتِبَارَهُ أَحَدَ أَمْرَاءِ السُّعُودِيَّةِ لَوْلَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَائِلَةِ الْمَالِكَةِ.

وَكَانَ لِـ «أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» عَلاَقَاتٌ قَوِيَّةٌ مَعَ «الإخوان»، وَسَاعَدَهُمْ بِقُوَّةٍ أَيَّامَ جِهَادِهِمْ ثُمَّ مَحْتَتِهِمْ فِي سُورِيَا، وَسَاقَ إِلَيْهِمْ مَلَائِينَ الدُّوَلَارَاتِ. وَهَكَذَا كَانَتْ بَدَايَةُ طَرِيقِهِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، خَالِيَةً مِنْ آيَةِ أَلْغَامِ تَبْتُّهَا الْجَمَاعَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ، خَاصَّةً «الإخوان». أَمَّا عَلَى الْجَانِبِ الأَفْغَانِيِّ، فَـ «سَيَّافٌ» لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا - فِي اعْتِقَادِي - لِهَذَا الاقْتِرَابِ الشَّدِيدِ لِلْعَرَبِ مِنَ السَّاحَةِ، وَدُخُولِهِمْ مَجَالَ المُشَارَكَةِ الفِعْلِيَّةِ الإِيجَابِيَّةِ، فَذَلِكَ كَفَيْلٌ أَنْ يَكشِفَ الكَثِيرَ مِنَ الحَقَائِقِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَوْفَ يَتَضَرَّرُ مِنْ ذَلِكَ.

كَانَ الوَضْعُ الَّذِي يَتَمَنَّهُ هُوَ دَوَامُ ذَلِكَ البَرْنَامِجِ المُخَادِعِ الَّذِي بَنَاهُ فِي «بَابِي» وَشَقِيقَتَيْهَا «جَاجِي». أَمَّا بَاقِي زُعمَاءِ الأَحْزَابِ فِي «بِيشاور» فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِإثَارَةِ مَشَاعِرِ الحِقْدِ وَالحَسَدِ وَالكِرَاهِيَّةِ. بَعْضُ تِلْكَ المَشَاعِرِ أَفْصَحَ عَنِ نَفْسِهِ وَبَعْضُهَا الأَخْرُ ظَلَّ مَكْتُومًا حَتَّى ظَهَرَ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ.

لَقَدْ شَاهَدَ الزُّعمَاءُ أَعْدَادَ العَرَبِ تَتَزَايِدُ وَتَلْتَفُ حَوْلَ «سَيَّافٍ» وَتَهِيلُ عَلَيْهِ مَلَائِينَ الدُّوَلَارَاتِ وَمَعُونَاتٍ عَيْنِيَّةً لَا تُحْصَى، مِنْ مُعِدَّاتٍ وَسَيَّارَاتٍ وَمَلَابَسٍ وَأَحْذِيَّةٍ وَأَطْعِمَةٍ... الخ. كُلُّ ذَلِكَ يَتَكَدَّسُ فِي مَخَازِنِ «سَيَّافٍ» بِصِفَتِهِ رَئِيسًا شَرْعِيًّا لِلجِهَادِ فِي نَظَرِ العَرَبِ الَّذِينَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ شَيْئًا عَنِ طَبِيعَةِ القَضِيَّةِ الأَفْغَانِيَّةِ وَطَبِيعَةِ شَعْبِهَا.

وَكَمَّا نَرَى فَإِنَّ «أَبَا عَبْدِ اللَّهِ» تَكْفَلُ بِالأَمْوَالِ اللَّازِمَةِ لِاسْتِيعَابِ العَرَبِ،

فَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ مُشْكِلَةً تَمْوِيلًا، وَالشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ» بِخُطْبِهِ وَمَقَالَاتِهِ وَأَشْرَاطِهِ
أَلْهَبَ الْقُلُوبَ فَتَوَافَدَ الْعَرَبُ أَفْوَاجًا بَعْدَمَا تَصَدَّى الرَّجُلُ بِنَجَاحِ لِكُلِّ «الْأَنْغَامِ
الْفِقْهِيَّةِ» الَّتِي وَضَعَتْهَا الْجَمَاعَاتُ فِي طَرِيقِ الشَّبَابِ الرَّاعِبِ فِي الْمُشَارَكَةِ فِي
الْجِهَادِ.

وَلَا نَنْسَى أَنَّ الْإِجْمَاعَ الدُّوَلِيَّ عَلَى مُسَاعَدَةِ أَفْغَانِسْتَانَ قَدْ أَرْغَمَ
الْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى إِعْطَاءِ الضُّوءِ الْأَخْضَرَ لِلتَّيَّارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيهَا كَيْ
تَنْشَطَ فِي اتِّجَاهِ مُسَاعَدَةِ الْأَفْغَانِ، وَمُهَاجِمَةِ الشُّيُوعِيَّةِ الْمُلْحِدَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ
عَمَلًا لَا بَأْسَ بِهِ، بَلْ وَحَتَّى نَافِعًا، طَالَمَا [أَنَّهُ] يَصْرِفُ الْأَنْظَارَ عَنِ إِسْرَائِيلَ
وَالْوَالِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَمُخَطِّطِهِمَا الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُ بِسُرْعَةٍ وَنَجَاحٍ لَا نَظِيرَ لَهُمَا
فِي سَبِيلِ الْاسْتِيْلَاءِ عَلَى الْمَنْطِقَةِ بِالْكَامِلِ وَإِلَى الْأَبَدِ.



جِهَادٌ بِلَا خُطَّةٍ:

أَخِيرًا وَصَلَ الْعَرَبُ أَفْغَانِسْتَانَ، وَتَوَافَرَتْ لَهُمُ الْأَمْوَالُ اللَّازِمَةُ. وَهِيَ
الْقِيَادَةُ الَّتِي لَا شَكَّ فِيهَا وَلَا نِزَاعَ بِشَأْنِهَا مُتَمَثِّلَةٌ فِي عَالِمِ جَلِيلٍ وَخَطِيبٍ مُفَوَّهِ
هُوَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامُ»، فَمَا هُوَ الْبَرْنَامُجُ؟.

كَانَ ذَلِكَ فِي نَظَرِي هُوَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى. وَلَمْ أَشْعُرْ فِي يَوْمٍ مَّا بِأَنَّ

النَّشَاطَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَوَلَّاهَا الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» تُمَثِّلُ بَأَيَّةِ حَالٍ بَرْنَامَجًا صَحِيحًا، هَذَا إِذَا كَانَتْ بَرْنَامَجًا وَلَيْسَ مُجَرَّدَ سِلْسِلَةِ أَعْمَالٍ عَشْوَائِيَّةٍ كَمَا أَظُنُّهَا. لَا شَكَّ أَنَّ كَمِّيَّةً مِنَ الْفَائِدَةِ [قَدْ] وَصَلَتْ إِلَى الْجِهَادِ مِنْ مَشَارِعِ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ»، وَلَكِنْ لَا أَظُنُّ أَنَّي رَأَيْتُ عَمَلًا مَدْرُوسًا أَوْ مُنْفَعًا بِعِنَايَةٍ خِلَالَ ذَلِكَ السَّبِيلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّاحِبَةِ الَّتِي تَوَلَّاهَا «مَكْتَبُ الْخِدْمَاتِ» الَّذِي أَنْشَأَهُ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» بِتَمْوِيلٍ أُسَاسِيٍّ مِنْ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ».

أَمَّا مَشَارِعُ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» فَهِيَ دَوْمًا جَاهِزَةٌ وَفَوْرِيَّةٌ وَحَاسِمَةٌ. فَبَعْدَ غَارَةِ الطَّيْرَانِ الْأُولَى الَّتِي شَاهَدَهَا قَرَّرَ أَنْ يَبْدَأَ فِي بِنَاءِ أَنْفَاقٍ وَمَلَاجِيٍّ فِي «جَاجِي»، وَأَنْ يُصَلِّحَ الطَّرِيقَ. وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ إِحْضَارَ الْمُعِدَّاتِ اللَّازِمَةِ مِنَ السُّعُودِيَّةِ، وَلَهُ هُنَاكَ شَرِكَةٌ مُقَاوَلَاتٍ قَوِيَّةٌ.

يَقُولُ كِتَابُ «الْأَنْصَارِ الْعَرَبِ» فِي نَفْسِ الْفَصْلِ الَّذِي نَقَرْنَا فِيهِ عَنْ تِلْكَ التَّجْرِبَةِ: «وَهَكَذَا وَضَعَ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» يَدَهُ عَلَى الْجُرْحِ الْحَقِيقِيِّ أَوْ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ... وَبَاتَ عَلَى قَنَاعَةٍ كَافِيَةٍ بِأَنَّ أُسْلُوبَ الْمُسَاعَدَاتِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبْلُغُ الْجَبَهَاتِ غَيْرَ صَحِيحٍ... وَبِحُكْمِ خِبْرَتِهِ الْمُتَخَصِّصَةِ وَتَجْرِبَتِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ فِي حَفْرِ أَنْفَاقِ «مَكَّةَ» الشَّهِيرَةِ، بَدَأَتْ فِكْرَةٌ نَقَلَ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ إِلَى جِبَالِ «جَاجِي» تَدَاعِبُ مُخَيَّلَتِهِ، وَلَمْ تَأْخُذْ وَقْتًا طَوِيلًا لِتَبْلُورَ لَدَيْهِ، وَلِتَتَحَوَّلَ مِنْ مُجَرَّدِ فِكْرَةٍ طَمُوحَةٍ إِلَى حَقِيقَةٍ وَاقِعِيَّةٍ نَفَّذَهَا بِنَفْسِهِ. يَقُولُ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ»:

ازْدَادَتْ قَنَاعَتِي بَعْدَمَا رَجَعْتُ مِنْ زِيَارَةِ أَفْغَانِسْتَانَ بِأَهْمِيَّةِ الطُّرُقِ وَالْأَنْفَاقِ
لِلْمُجَاهِدِينَ هُنَاكَ... الطُّرُقُ نُظِرًا لِقَاتِلَتِهَا وَلِضَيْقِهَا إِنْ وُجِدَ مِنْهَا شَيْءٌ...
وَالْأَنْفَاقُ حَتَّى يَضَعَ الْمُجَاهِدُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَمُسْتَشْفِيَاتِهِمْ وَأَمَاكِينَ رَاحَتِهِمْ فِي
الْجِبَالِ بَعِيدًا عَنِ قَصْفِ الطَّيْرَانِ. وَلَكِنْ - وَبِكُلِّ أَسْفٍ - لَمْ أَبْدَأُ الْفِكْرَةَ حَتَّى
عَارَضَنِي الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ... وَأَفْصِدُ هُنَا بِالنَّاسِ الطَّيِّبِينَ الْمُحِبِّينَ لِلْجِهَادِ
وَالْإِسْلَامِ. وَذَلِكَ لِشِدَّةِ الْهَالَاتِ الْمُلقَاةِ عَلَى عُقُولِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْكُفَّارِ
الرُّوسِ وَالْأَمْرِيكَانِ أَنَّهُمْ قُوَى عَظْمَى وَأَنَّهُمْ لَا يُقَهَّرُونَ، وَأَنَّ لَدَيْهِمُ الْأَجْهَزَةَ
وَالْأَسْتِخْبَارَاتُ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ... وَأَكْثَرُهَا مُضْحَمٌ كَثِيرًا عَنِ حَقِيقَتِهِ، وَلَوْ آمَنَ
الْإِنْسَانُ بِهَذَا التَّضَخِيمِ لَمَا تَحَرَّكَ. فَقِيلَ لِي أَوْلَا: كَيْفَ سَتُخْرِجُهَا مِنْ
الْمَمْلَكَةِ؟ ثَانِيًا: كَيْفَ سَتُدْخِلُهَا إِلَى بَاكِسْتَانَ وَبِأَيِّ صِفَةٍ؟... ثَالِثًا: الْمَنْطِقَةُ
الَّتِي سَتَعْمَلُ فِيهَا «جَاغِي» الْمَشْهُورُ أَنَّ فِيهَا عَدَدًا مِنْ غَيْرِ الْمَوَالِينِ
لِلْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَنْقَلُونَ الْأَسْرَارَ لِلْأَعْدَاءِ، وَأَنْتَ لَا تَحْمِلُ دَرَجَةً عَادِيَةً...
هَذِهِ الْأَيَّاتُ أَشْبَهُ بِالْمُدْرَعَةِ... فَأَوَّلُ مَا [أَنْ] يَدْخُلُوا سَتَأْتِي الطَّائِرَاتُ
وَتَضْرِبُهَا... قُلْتُ: وَاللَّهِ إِذَا حَدَّثَ، أَعَذَرْنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِلَّا فَانْشَغَلْ.
وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ [أَنْ] يَسَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ كُلَّهُ، مِنْ خُرُوجِهَا إِلَى
دُخُولِهَا وَحَتَّى وَصُولِهَا إِلَى هُنَا. أَدْخَلْنَاهَا بِاسْمِ الْمُجَاهِدِينَ عَنْ طَرِيقِ الْهَيْلَالِ
الْأَحْمَرِ السُّعُودِيِّ، وَسَاعَدَنَا السَّفِيرُ - جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا - «أَبُو مُحَمَّدٍ تَوْفِيقُ عِلْمِ
دَار»، سَاعَدَنَا جِدًّا فِي إِدْخَالِهَا... وَبَدَأَ الْعَمَلُ.»

لَقَدْ بَدَأَ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» بَرْنَامَجَهُ بِالْاِحْتِيَاجَاتِ الَّتِي تَعَرَّفَ عَلَيْهَا خِلَالَ تَجْرِبَتِهِ الْأُولَى الْمُبَاشِرَةِ لِأَرْضِ الْجِهَادِ، وَظَلَّتْ أَعْمَالُ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» تَرْتَدِي ذَلِكَ الطَّابِعَ فِي أَغْلِبِهَا، أَي طَابَعَ التَّجْرِبَةَ الذَّاتِيَّةَ الْمُبَاشِرَةَ وَالْقَرَارَاتِ الْفَوْرِيَّةَ الْحَاسِمَةَ. وَبِقَدْرِ مَا فِي هَذَا الْأُسْلُوبِ مِنْ مَزَايَا وَجَازِيَّةٍ جَذَبَتْ كَثِيرِينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْحَاسِمِ الَّذِي يُقَاتِلُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ صَامِدًا فِي الْمَيْدَانِ، هَذَا إِلَى جَانِبِ مِيزَاتِ شَخْصِيَّةٍ عَدِيدَةٍ لَدَى «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ»، وَرُغْمَ الصَّدَاقَةِ وَالثِّقَةِ الَّتِي رَبَطْتَنِي بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنَوَاتٍ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ غَالِبًا فِي مُقَدِّمَةِ الْمُعَارِضِينَ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَشَارِعِهِ الْحَسَّاسَةِ، فِي مُقَدِّمَتِهَا «جَاجِي» ثُمَّ «جَلَالِ آبَادٍ» بَعْدَ ذَلِكَ.

لَمْ يَتَحَرَّكَ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» هُوَ الْآخِرُ طَبَقًا لِتَصَوُّرٍ مُسَبِّقٍ، وَلَا وُفُقَ خُطَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ، وَلَمْ يُنْفَذْ هُوَ الْآخِرُ مَشْرُوعًا مُتَكَامِلًا. وَلَكِنَّهُ انْدَفَعَ كَالْإِعْصَارِ فِي تَنْفِيذِ عَدَدٍ مِنَ الْمَشَارِيعِ الَّتِي رَأَاهَا مِنْ مَوْعِيهِ هَامَةً جِدًّا وَلَا تَحْتَمِلُ التَّأْجِيلَ. كَانَ «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنٍ» أَكْثَرَ عَمَلِيَّةٍ مِنَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ»، قُلُّ أَكْثَرَ «قِتَالِيَّةٍ» وَغَرَامًا بِالْمَعَارِكِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يُحْسَبُ لَهُ، خَاصَّةً فِي زَمَانٍ كَانَ فِيهِ الْجُبْنُ وَالْقُعُودُ وَالذَّلَّةُ شِعَارًا وَمَنْهَجَ حَيَاةٍ لَدَى مُعْظَمِ الْأُمَّةِ، بَلْ أَيْضًا لَدَى جَمَاعَاتٍ وَطَلَائِعَ إِسْلَامِيَّةٍ!! وَلَكِنَّ انْدِفَاعَاتِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» الَّتِي يَنْقُصُهَا التَّبَصُّرُ - فَإِلَى جَانِبِ فَوَائِدِهَا الْجَانِبِيَّةِ - تَسَبَّبَتْ فِي آثَارٍ سَلْبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ انْعَكَسَ بَعْضُهَا عَلَيْهِ شَخْصِيًّا وَسَبَّبَتْ لَهُ مُعَانَاةً كَانَ يُمَكِّنُ تَجَنُّبَهَا، [وَسَبَّبَتْ] لِعَمَلِهِ

نَكَسَاتٍ كَانَ يُمَكِّنُ تَلَا فِيهَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ نَشَاطَ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» قَدْ اِحْتَوَى بَعْضَ النِّقَاطِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي كُنْتُ أَفَكِّرُ فِيهَا، وَلَمْ أَسْتَطِعْ تَنْفِيزَهَا لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ، فَقَدْ [قَدِمَ] «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» مُبَاشَرَةً إِلَى الْجَبْهَةِ وَجَعَلَهَا مِحْوَرًا لِنَشَاطِهِ، فَكَمَا رَأَيْنَا أَنَّهُ تَحَمَّسَ لِمَشْرُوعِ «تَحْصِينِ جَاغِي» وَتَطْوِيرِ «بُنَيْتِهَا التَّحْتِيَّةِ» بِوِاسِطَةِ الطُّرُقِ وَالْأَنْفَاقِ، ثُمَّ دَخَلَ تَدْرِيجِيًّا إِلَى مَجَالِ الْقِتَالِ فِي «جَاغِي» أَيْضًا، ثُمَّ تَطَرَّقَ إِلَى مَوْضُوعِ التَّدْرِيبِ ثُمَّ التَّنْظِيمِ كَمَا سَنَرَى لِاحِقًا.

كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ التَّصَوُّرَاتِ إِلَى الصَّوَابِ طِبْقًا لِمَا كُنْتُ أَفَكِّرُ فِيهِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ ضَيْفًا دَائِمًا فِي نَادِي الْمُعْتَرِضِينَ عَلَى طَرِيقَةِ التَّنْفِيزِ، وَمُعْتَرِضًا دَوْمًا عَلَى الْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ لِذَلِكَ النِّشَاطِ، بِمَعْنَى السِّيَاسَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الَّتِي اتَّبَعَهَا «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ»، وَمِحْوَرُهَا الْاعْتِرَافُ بِالشَّرْعِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ «سَيَّاف»، وَيَلِيهِ فِي الْأَهَمِّيَّةِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ «حِكْمَتِيَار» ثُمَّ «رَبَّانِي» ثُمَّ «خَالِص». وَيُشَارِكُهُ فِي تِلْكَ الرُّوْيَةِ الدُّكْتُور «عَبْدُ اللَّهِ»، بَلْ هِيَ مِنْ صُنْعِ الشَّيْخِ «عَبْدُ اللَّهِ» نَفْسِهِ.

بِالطَّبَعِ طَرَأَتْ تَغْيِيرَاتٌ تَدْرِيجِيَّةٌ عَلَى مَوْقِفِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ»، وَلَمْ يَعُثْرْ عَلَى الْمَوْقِفِ الصَّحِيحِ إِلَّا بَعْدَ فَتْحِ «كَابُل» حَيْثُ اكْتَشَفَ - وَصَارَ حِنِي بِذَلِكَ - «إِنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَصْلُحُونَ». لَقَدْ اكْتَشَفَ زَيْفَهُمْ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ، حَيْثُ تَرَكَ السَّاحَةَ وَلَمْ يَعُدْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَيْهَا.

كَانَتْ الرَّهَانَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ لـ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» رِهَانَاتٌ خَاسِرَةٌ، بَدَأَتْ بِـ

«سَيَّاف»، وَاَنْتَهَتْ بِ «حِكْمَتِيَار»، أَيُّ أَنَّهُ سَارَ سِيَاسِيًّا مِنْ سَيِّئٍ إِلَى أَسْوَأَ. وَرِهَانَاتُهُ السِّيَاسِيَّةُ عَرَبِيًّا كَانَتْ خَطِيرَةً وَغَيْرَ مَقْبُولَةٍ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي؛ فَقَدْ رَاهَنَ عَلَى الْمَوْقِفِ السُّعُودِيِّ وَمَسْئُولِي الْمَمْلَكَةِ فِي بَاكِسْتَان. وَقَدْ اسْتَتَجَتْ أَنَّ حِطَّتَهُ هِيَ الْاسْتِفَادَةُ مِنَ الْمَوْقِفِ الْمُعْلَنِ وَالْمُنْدَفِعِ مِنْ جَانِبِ الْمَمْلَكَةِ لِمُسَانَدَةِ الْأَفْغَانِ ضِدَّ الْغَزْوِ السُّوفِيَّتِيِّ، وَذَلِكَ مِنْ مُنْطَلَقِ إِسْلَامِيٍّ. لَقَدْ قَدَّمَتْ الْمَمْلَكَةُ مُسَاعَدَاتٍ سَخِيَّةً لِلْأَفْغَانِ رَسْمِيًّا وَعَلْنَا. كَانَ ذَلِكَ هُوَ الضَّوْءُ الْأَخْضَرُ لِأَجْهَزَةِ الدَّوْلَةِ وَالْأَجْهَزَةِ الشَّعْبِيَّةِ وَلِلْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَخُطَبَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالصُّحُفِ الْإِسْلَامِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ، لَقَدْ انْطَلَقَ الْجَمِيعُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُسْتَفِيدِينَ مِنَ الضَّوْءِ الْأَخْضَرِ، وَكُلُّ يَغْنِي عَلَى لَيْلَاهُ. هُنَاكَ مَنْ تَحَرَّكَ إِرْضَاءً لِلَّهِ، وَبَعْضُهُمْ لِإِرْضَاءِ الْمَلِكِ، بَعْضُهُمْ لِإِرْضَاءِ أَسْيَادِ الْمَلِكِ «الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ». وَبَعْضُهُمْ أَشْرَكَ تِلْكَ الْأَهْدَافَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ لِيَنَالَ رِضَى الْجَمِيعِ. وَهَكَذَا فَعَلَ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» مَثَلًا الَّذِي تَحَرَّكَ لِتَقْوِيَةِ سُلْطَانِهِ فِي بَاكِسْتَان، وَلِإِرْضَاءِ أَمْرِيكََا، وَكُلُّ ذَلِكَ - كَمَا قَدَّرَ هُوَ - فِي سَبِيلِ اللَّهِ!!.

وَفِي ظَنِّي أَنَّ مُعْظَمَ مَنْ تَحَرَّكَوا [لِأَجْلِ] أَفْغَانِسْتَانَ تَحَرَّكَوا لِضَرْبِ عِدَّةِ عَصَافِيرٍ فِي أَنْ وَاحِدٍ، تُؤَدِّي كُلُّهَا إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ. وَهَؤُلَاءِ [كَانُوا] أَوَّلَ مَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ وَمَدَّ يَدَهُ وَلِسَانَهُ لِلْبَطْشِ بِهِ عِنْدَمَا صَدَرَتْ أَوْامِرَ «رَبِّهِ الْأَصْلِيِّ» أَيُّ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ.

وَلَا شَكَّ عِنْدِي فِي أَنَّ مَسْئُولِي السَّفَارَةِ السُّعُودِيَّةَ فِي بَاكِسْتَانَ، خَاصَّةً فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ لَمْ يَكُونُوا سِوَى فَرِيقِ عَمَلٍ مِنَ الاسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةِ جَاءَ لِيَعْمَلَ خِصِيصًا فِي الْقَضِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ إِلَى جَانِبِ جِهَازِ الاسْتِخْبَارَاتِ الْبَاكِسْتَانِي «آي إس آي»، وَكِلَاهُمَا تَحْتَ قِيَادَةِ فَرِيقِ الاسْتِخْبَارَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْمُقِيمِ فِي بَاكِسْتَانَ تَحْتَ رِعَايَةِ وَإِشْرَافِ السَّفَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي «إِسْلَامْ أَبَاد».

وَعَلَى هَذَا لَيْسَ بِمُسْتَعْرَبٍ أَنْ يَكُونَ السَّفِيرُ وَمُدِيرُ مَكْتَبِهِ كِلَاهُمَا يَحْمِلُ رُتْبَةً عَسْكَرِيَّةً، فَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ مَهَامٌ عَسْكَرِيَّةٌ عَدِيدَةٌ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ تَقُومَ بِهَا السَّفَارَةُ تَجَاهَ أَفْغَانِسْتَانَ. لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ جِسْرٌ جَوِّيٌّ مِنَ السُّعُودِيَّةِ إِلَى بَاكِسْتَانَ لِنَقْلِ الْعِتَادِ الْعَسْكَرِيِّ الَّذِي تُجَهِّزُهُ الْمُخَابِرَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ كَيْ يُنْقَلَ إِلَى «أَحْزَابِ الْمُجَاهِدِينَ» الْأَفْغَانَ. [انظُرْ الْخَرِيْطَةَ التَّوْضِيْحِيَّةَ ص ٨٦٠]

وَلَمْ تَكُنْ مَهَامُ السَّفَارَةِ السُّعُودِيَّةِ عَسْكَرِيَّةً فَقَطْ - وَإِنْ كَانَ أَهَمُّ الْمَنَاصِبِ يَشْغَلُهَا الْعَسْكَرِيُّونَ - وَلَكِنْ هُنَاكَ مَهَامٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ سِيَاسِيَّةٌ وَاسْتِخْبَارَاتِيَّةٌ. مَشْرُوعٌ طَمُوحٌ كَالَّذِي قَدَّمَهُ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» لَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَحْطَى بِمُسَاعَدَةِ «تَوْفِيْقِ عِلْمِ دَارٍ» وَالسُّلْطَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ؛ فَالْمَشْرُوعُ يَصُبُّ لِتَدْعِيمِ «سَيَافٍ»، الرَّجُلِ الْأَوَّلِ لِلسُّعُودِيَّةِ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ، حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقَبْلَ بُرُوزِ نَجْمِ مَوْلَوِيِّ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ».

ثَانِيًا، فَإِنَّ تَدْعِيمَ نُقْطَةِ «جَاجِي» الْحُدُودِيَّةِ يُعْتَبَرُ تَأْمِينًا إِضَافِيًّا لِنُقْطَةِ

حَسَّاسَةٍ لِلأَمْنِ البَاكِسْتَانِيِّ، وَلِلخَطِّ الرَّئِيسِيِّ لِإِمْدَادَاتِ المُجَاهِدِينَ، [حَيْثُ] تَمُرُّ مِنْهُ ٤٠ ٪ مِنْ الإِمْدَادَاتِ حَسَبَ مَا قَالَهُ العَمِيدُ «مُحَمَّدُ يُوْسُف» فِي كِتَابِهِ «فُحُّ الدُّبِّ».

إِذَنْ المَشْرُوعُ حَتَّى الآنَ يَتَمَاشَى مَعَ السِّيَاقِ العَامِّ وَلَا يَخْرُجُ عَلَيْهِ، بَلْ عَلَى العَكْسِ يَدْعُمُهُ وَيَزِيدُهُ قُوَّةً وَيُكْسِبُهُ شَعْبِيَّةً، وَهَذَا مَكْسَبٌ إِضَافِيٌّ. فَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يَتَحَمَّسَ السَّفِيرُ وَتَأْتِيَ المُعِدَّاتُ وَيَبْدَأُ العَمَلُ.

وَأَقُولُ إِنَّ الرَّجُلَيْنِ الدُّكْتُورَ «عَبْدَ اللَّهِ» وَ «أَبَا عَبْدِ اللَّهِ» كِلَيْهِمَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى عَدَمِ إِغْضَابِ المَمْلَكَةِ أَوْ إِثَارَةِ مَخَافِهَا، وَقَدَّمَا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ ضَمَانَاتٍ وَتَطْمِينَاتٍ فِي ظَنِّي أَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ مُنَاسِبَةً، كَمَا أَنَّهُمَا لَمْ تُفْعَدْ فِي تَغْيِيرِ سِيَاسَةِ المَمْلَكَةِ؛ فَقَدْ جَاءَتْ المُسَاعَدَاتُ وَالتَّسْهِيلَاتُ عِنْدَمَا كَانَ ذَلِكَ يَخْدُمُ الخُطَّةَ العَامَّةَ - الأَمْرِيكِيَّةَ فِي الأَسَاسِ - ثُمَّ تَوَقَّفَت المُسَاعَدَاتُ وَالتَّسْهِيلَاتُ، بَلْ وَبَدَأَتِ الحَرْبُ السَّاخِنَةُ، عِنْدَمَا تَغَيَّرَتِ الطُّرُوفُ وَتَبَدَّلَتِ المَصَالِحُ، فَشَارَكَتِ المَمْلَكَةُ فِي اغْتِيَالِ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ».

ثُمَّ حَاوَلْتُ تَدْمِيرَ عَمَلِ «أَسَامَةَ بِنِ لَادِن» فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَبَدَّلْتُ فِي ذَلِكَ الكَثِيرِ، ثُمَّ حَاوَلْتُ تَجْمِيدَ الرَّجُلِ نَفْسِهِ دَاخِلِ المَمْلَكَةِ، ثُمَّ هَا هِيَ تَسْعَى إِلَى قَتْلِهِ حَتَّى الآنَ وَهُوَ خَارِجُ البِلَادِ بَعْدَ أَنْ سَحَبَتْ مِنْهُ الجِنْسِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ وَجَمَدَتْ أَمْوَالَهُ.

إِنَّ تَعَاوُنَ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَعَ أَنْظِمَةِ «مُرْتَدَّةٍ أَوْ صَلِيبِيَّةٍ» هُوَ خَطَأٌ شَائِعٌ يَحْتَاجُ إِلَى مُرَاجَعَةٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْلَى وَمِنْ ثَمَّ حِسَابُ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ. لَقَدْ أَدْرَكَ الْإِسْلَامِيُّونَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ أَنَّ حُكُومَتِي السُّعُودِيَّةَ وَبَاكِسْتَانَ لَمْ تَتَحَرَّكَمَا قَطُّ لِخِدْمَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، بَلْ لِخِدْمَةِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَوْلَى وَأَخِيرًا. وَفَاتَ هَؤُلَاءِ أَنْ يُلَاحِظُوا أَنَّ الْمَسَاعِي التَّدْمِيرِيَّةَ لِلْحُكُومَتَيْنِ فِي مَسِيرَةِ الْجِهَادِ لَمْ تَتَوَقَّفْ لِحُظَّةٍ، وَإِنْ اخْتَبَأَتْ فِي الْبِدَايَةِ تَحْتَ سِتَارِ كَثِيفٍ مِنْ الْمَعُونَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَسْلِحَةِ وَغَيْرِهَا. وَلَكِنَّ الْأَسْلُوبَ الَّذِي قَدَّمَتْ بِهِ تِلْكَ الْمُسَاعَدَاتِ كَانَ أَشَدَّ تَدْمِيرًا لِقُوى الْمُسْلِمِينَ مِنْ طَائِرَاتِ السُّوفِيَّةِ وَدَبَّابَاتِهِمْ.

إِنَّ السَّفَارَةَ السُّعُودِيَّةَ فِي «إِسْلَامِ آبَاد» اعْتَبَرَتْ أَنَّ مَشْرُوعَ «جَاجِي» هُوَ مَشْرُوعُهَا، [وَقَدْ قَامَ] السَّفِيرُ وَمُدِيرُ مَكْتَبِهِ وَغَيْرُهُمَا بِزِيَارَاتٍ «نِصْفِ سِرِّيَّةٍ» أُحِيطَتْ بِمَهْرَجَانِ دَعَائِيٍّ وَعَاطِفِيٍّ فِي أَوْسَاطِ الْعَرَبِ وَاتِّحَادِ «سَيَافٍ». وَظَلَّتْ الْأَنْفُ وَالْيَدُ وَالْعَيْونُ السُّعُودِيَّةُ وَسِفَارَتُهَا شَدِيدَةً الْإِلْتِصَاقِ بِالرَّجُلَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ، د. «عَزَّام» وَ«أَسَامَةَ بْنِ لَادِن»، وَأُحِيطَ كِلَاهُمَا بِعُنَاصِرِ تَجَسُّسِيَّةٍ كَمَا يُحَاطُ الْإِضْبَعُ بِالْخَاتَمِ، وَقَدْ أَثَّرَ ذَلِكَ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ فِي خُطَطِ وَمَشَارِيعِ الرَّجُلَيْنِ وَمَدَى انْضِبَاطِهَا وَفَقًّا لِشُرُوطِ الْمَمْلَكَةِ.

وَحَرَّصَ الرَّجُلَانِ الْكَبِيرَانِ قَوْلًا وَعَمَلًا عَلَى تَأْكِيدِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عِنْدَهُمَا

يَجْرِي فِي الْخَفَاءِ، وَلَيْسَ لَدَيْهِمَا أَسْرَارٌ، وَأَنْ بَرَّامِجُهُمَا - فِي الْجَبَهَاتِ
وَالْمَعْسَكَرَاتِ بِوَجْهِ خَاصٍّ - هِيَ بَرَامِجٌ عَلَيَّيَّةٌ جَمَاهِيرِيَّةٌ مَفْتُوحَةٌ لِلْجَمِيعِ،
وَلَيْسَتْ مُوجَّهَةً ضِدَّ أَحَدٍ سِوَى الشُّوفِيَّتِ، وَلَا شَأْنَ لَهَا بِالْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ
عَامَّةً، وَالسُّعُودِيَّةِ خَاصَّةً. فِي تِلْكَ الْمَعْسَكَرَاتِ كَانَتْ هُنَاكَ بِالتَّالِي
مَحْظُورَاتٌ جَوْهَرِيَّةٌ، بَعْضُهَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ، خَاصَّةً مَوْضُوعُ
الْحَاكِمِيَّةِ. وَبَعْضُهَا مَسَائِلُ سِيَاسِيَّةٌ، فَلَا يُسْمَحُ مَثَلًا بِالْمَسَاسِ بِقُدْسِيَّةِ
الْأَحْزَابِ الْجِهَادِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، خَاصَّةً الثَّلَاثِي الْإِخْوَانِي وَعَلَى رَأْسِهِ «سَيَافٌ».
وَبَعْضُهَا مَسَائِلٌ فَنِيَّةٌ مِثْلُ تَدْرِيسِ عِلْمِ الْمُتَفَجَّرَاتِ أَوْ مَسَائِلِ حَرْبِ
الْعِصَابَاتِ.

هَذِهِ الْخُطُوطُ الْحَمْرَاءُ انْتَهَكَتْ أَحْيَانًا، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ مُعْظَمَ الْوَقْتِ
وَإِجْمَالًا مُحْتَرَمَةً. غَنِيٌّ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّ لِدَلِكْ ثَمَنًا فَادِحًا عَلَى الدُّورِ الْعَرَبِيِّ
نَفْسِهِ، وَعَلَى التَّشْوِيهِ الْفِكْرِيِّ وَالْحَرَكَاتِي وَالْتَّنْظِيمِي الَّذِي أَصَابَهُ.

وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْفَوَائِدُ هِيَ أَنَّ هَذَا التَّجْمَعِ الْعَرَبِيِّ كَانَ الْأَكْثَرُ ثُرُوءًا
وَإِمْكَانِيَّةً فِي تَارِيخِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ. وَطَالَمَا أَنَّ تِلْكَ الْإِمْكَانَاتِ
كَانَتْ تَحْتَ الْمُرَاقَبَةِ، أَوْ مَشْرُوطَةً، وَأَنَّ هَذَا التَّجْمَعِ ظَلَّ يُعَانِي مِنَ الْفِرَاقِ
الَّذِي مَلَأَتْهُ تَحْرُكَاتٌ مُرْتَجِلَةٌ مَعَ شَحْنِ عَاطِفِيٍّ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلْفَهْمِ، فَقَدْ
انْتَشَرَتْ فِي هَذَا التَّجْمَعِ أَمْرَاضٌ وَانْحِرَافَاتٌ عَدِيدَةٌ. فَلَمْ يَكُنْ أَبَدًا تَجْمَعًا

مَلَائِكِيًّا أَوْ فَوْقَ الشُّبُهَاتِ. بَلْ كَانَ صُورَةً مُصَغَّرَةً لِلأُمَّةِ المُسْلِمَةِ بِأَسْرِهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ مَزَايَا وَتَشَوُّهَاتٍ، وَبِالتَّالِي صُورَةً مُصَغَّرَةً لِلحَرَكَةِ الإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا، بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ مِثَالِيَّاتٍ وَانْحِرَافَاتٍ وَأَوْجِهٍ قُصُورٍ.

وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ د. «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام» عَنْ فَتَاوِيهِ الَّتِي أَعْضَبَتْ الجَمَاعَاتِ الإِسْلَامِيَّةَ، وَالْمَقْصُودُ هُمْ «الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ» تَحْدِيدًا. فَقَدْ رَأَوْا أَنْ أَفْغَانِسْتَانَ وَالتِّيَّارَ الجِهَادِيَّ المُتَنَامِي هُنَاكَ أَخَذَ يَجْذِبُ عَنَاصِرَ شَابَّةٍ مُخْلِصَةً مِنْ «ثَلَاجَاتِ التَّبْرِيدِ وَالتَّجْمِيدِ» الَّتِي يُقِيمُهَا «الإِخْوَانُ» فِي البِلَادِ العَرَبِيَّةِ، إِلَى سَاحَاتِ الجِهَادِ وَالقِتَالِ الشَّرِسِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَهُنَا ثَارَتِ الشُّجُونُ التَّنْظِيمِيَّةُ وَصِرَاعُ الزَّعَامَاتِ وَالمَصَالِحِ. فَهِيَ هُوَ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام» يُصْبِحُ أَكْثَرَ جَمَاهِيرِيَّةً وَمِصْدَاقِيَّةً مِنَ المُرْشِدِ العَامِّ للإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ فِي مِصْرَ.

ثُمَّ تَتَارُ تَسَاؤُلَاتٌ عَنِ مَنَهِجِ الجِهَادِ نَفْسِيهِ، وَهَلْ هُوَ فَرِيضَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِالسُّوْفِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ أَمْ أَنَّهُا يُمَكِّنُ أَنْ تَشْمَلَ اليَهُودَ وَالعَرَبَ «الصَّلِيْبِيَّ - صُهَيْبُونِي»، خَاصَّةً فِي فِلَسْطِينِ؟. وَإِذَا كَانَتْ الحُكُومَةُ الأَفْغَانِيَّةُ فِي «كَابُل» كَافِرَةً لِأَنَّهَا أَلْعُوبَةُ فِي يَدِ الشُّيُوعِيِّينَ السُّوْفِيَّةِ، فَمَا هُوَ الحُكْمُ الشَّرْعِيُّ لِلحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ فِي مِصْرَ وَسُورِيَا وَالعِرَاقِ وَالسُّعُودِيَّةِ؟. وَمَا هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الكُفْرِ الشُّيُوعِيِّ وَالكُفْرِ العَرَبِيِّ الصَّلِيْبِيِّ أَوْ الكُفْرِ اليَهُودِيِّ؟. كَلَّمَا مَضَتْ السُّنُونُ بِالجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ زَادَتْ الأَسْئَلَةُ المَطْرُوحَةَ حَرَجًا.

وَكَانَ الْخَوْفُ الْأَكْبَرُ لَدَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَبَعْضِ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَنْتَصِرَ الْإِسْلَامُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَيُثَبِّتُ الْجِهَادَ جَدْوَاهُ فِي تَغْيِيرِ الْوَاقِعِ الْمُظْلِمِ لِلْمُسْلِمِينَ. لِهَذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِفْشَالِ التَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْجِهَادِيَّةِ، وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَشْرِيدِ وَتَدْمِيرِ الْعَرَبِ الَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِالتَّجْرِبَةِ وَآثَرُوا فِيهَا. وَهَذَا مَا حَدَّثَ فِعْلًا، وَذَلِكَ كَانَ الْبَرْنَامَجَ الْأَمْرِيكِيِّ الْجَدِيدِ، وَالَّذِي بَدَأَ فَوْرَ إِتْمَامِ السُّوفِيَّةِ لِانْسِحَابِهِمْ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ. الْحَرْبُ الْأَمْرِيكِيَّةُ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ فِي أُكْتُوبَرِ ٢٠٠١ م كَانَتْ اسْتِكْمَالًا لِذَلِكَ الْبَرْنَامَجِ الْأَمْرِيكِيِّ، وَمِنْ أَجْلِ الْقَضَاءِ الْمَادِي النَّهَائِيِّ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَثَرَتْ فِيهِمُ التَّجْرِبَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ، هَذَا إِلَى جَانِبِ أَهْدَافِ اقْتِصَادِيَّةٍ وَاسْتِرَاطِيَّةٍ^(١).

وَكَانَ أَوَّلَ ضَحَايَا تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْخَائِنَةِ هُوَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام» الَّذِي اغْتِيلَ بِطَرِيقَةٍ وَحْشِيَّةٍ فِي «بِيشَاوَر» تَحْتَ أَنْظَارِ تَلَامِيذِهِ وَمُرِيدِيهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ كَيْ يَوْمَهُمْ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.

نَقُولُ إِنَّ «الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ» قَاوَمُوا الدُّكْتُورَ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّام» وَعَمِلُوا سِرًّا عَلَى إِفْشَالِهِ، بَلْ إِفْشَالِ التَّجْرِبَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْجِهَادِيَّةِ، فَكَانُوا وَسِيطًا رَيْسِيًّا لِإِقْنَاعِ فَصَائِلِ الْأَفْغَانِ وَأَحْزَابِهِمْ قَبُولِ حُكُومَةِ إِسْلَامِيَّةٍ شَيْوَعِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ فِي

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «رَاجِعْ كِتَابَ صَلِيبِ فِي سَمَاءِ قَنْدَهَار».

«كَابُل» تَضَمَّنَهَا وَتَسَانَدُهَا «مُوسِكُو» وَ «وَاشْنَطُن» وَالِدُ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ، [وَقَدْ كَانَ] الْقِيَادِي الْإِخْوَانِي السُّورِيَّ «عَدَنَان سَعْد الدِّينِ مِنْ نُجُومِ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ. بَدَأَ دَوْرُ «الْوَسَاطَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» بَعْدَ عَامِ ١٩٨٦ مِ عِنْدَمَا أَعْلَنَ «جُورْبَاتشُوف» أَنَّهُ سَيَتْرُكُ أَفْغَانِسْتَانَ.

أَمَّا «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» فَقَدْ قَاسَى مِنْهُمْ الْأَمْرَيْنِ أَثْنَاءَ «أَزْمَةِ جَلَالِ آبَاد»، وَمُحَاوَلَةِ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» تَوْحِيدَ «جِبَهَاتِ الْعَرَبِ» الَّتِي انْقَسَمَتْ عَلَى نَفْسِهَا فِي «جَلَالِ آبَاد»، وَصَارَتْ «دُويَلَاتِ جِهَادِيَّةِ عَرَبِيَّةِ». فَقَدْ أَفْشَلَ «الْإِخْوَانُ» مَجْهُودَاتِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» وَاتَّهَمُوهُ بِالْعَمَالَةِ لِلْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ!! وَقَالُوا بِصَرَاحَةٍ وَبِلَا مُوَارَبَةٍ: «لَنْ نَسْمَحَ بِأَنْ يَتَحَوَّلَ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» إِلَى رَمَزٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ». كَانُوا يُرِيدُونَهَا سَاحَةً قَفْرَاءَ إِلَّا مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ، فَلَا زَعَامَةَ جَدِيدَةً وَلَا فِكْرًا جَدِيدًا وَلَا تَنْظِيمًا جَدِيدًا يَنْبُتُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى نِيرَانِ الْمَعَارِكِ فِي ضَوْءِ الرُّوْيَةِ الْفِقْهِيَّةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي كَانَتْ يُحَرِّكُهَا الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام»، وَالخُطُواتِ الْعَمَلِيَّةِ الْجَسُورَةِ - رُغْمًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ - الَّتِي يَدْفَعُهَا «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ».

وَالْعَجِيبُ أَنَّ كُلَّ هَذَا الْحِصَارِ وَكُلَّ تِلْكَ الْأَخْطَاءِ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَفْغَانِسْتَانَ هِيَ نُقْطَةُ تَحَوُّلٍ لِلْعَالَمِ أَجْمَعٍ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَلِطَلَّاعِيهِمْ بِشَكْلِ خَاصٍّ. وَمَا تَبَقَّى مِنْ سَنَوَاتٍ فِي هَذَا الْقَرْنِ الْمِيلَادِيِّ ثُمَّ الْقَرْنِ الَّذِي يُوشِكُ

عَلَى الْأَنْبِلَاجِ، [فِي أَنْ] كُلِّ الدَّلَائِلِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ سَوْفَ يَحْمِلُ بَصْمَاتِ
أَفْغَانِسْتَانَ، وَبَصْمَاتِ «الْعَرَبِ الْأَفْغَانِ» أَوْ أَنْبَطَالِ الْعَرَبِ الْمُجَاهِدِينَ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ، وَسَوْفَ يَحْمِلُ بِلَا شَكِّ بَصْمَاتِ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامَ» وَ «أَسَامَةَ
بْنِ لَادِنَ» أَيْضًا.

حَمَلَ الْقَرْنَ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ أَوَّلَ بَصْمَةٍ وَضَعَهَا «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ»
بَطْرِيقَةَ خَاطِئَةٍ، وَتَحْمِلُ سِمَاتِ الْأَسْتِدْرَاجِ الْأَمْرِيكِيِّ لِلرَّجُلِ، فَبَرَّرَ لَهُمْ تَنْفِيذَ
مُخَطَّطٍ مُسَبِّقٍ يَجْعَلُ ذَلِكَ الْقَرْنَ هُوَ قَرْنَ الْحَرْبِ السَّاخِنَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ،
وَبُزُوعِ إِسْرَائِيلَ الْكُبْرَى، قَبْلَ الْحُكْمِ الْيَهُودِيِّ السَّافِرِ لِلْعَالَمِ مِنْ عَاصِمَةِ
مَمْلَكَتِهِمُ الْقُدْسِ !!



مُقْتَرَحَاتُ قَادَةِ الْجِهَادِ:

حَضَرَ «جَلَّالُ الدِّينِ حَقَّانِي» إِلَى الْإِمَارَاتِ قَبْلَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْحَجِّ، وَمَعَ
جَمَاعَتِنَا هُنَاكَ الَّتِي أَطْلَقَتْ عَلَى نَفْسِهَا «لَجْنَةُ أَبُو ظَبْيٍ لِمُنَاصَرَةِ الْجِهَادِ
الْأَفْغَانِيِّ». وَكَانَتْ قَدْ ضَمَّتْ قَلِيلًا مِنَ الْأَعْضَاءِ الْجُدُدِ، وَأَقَامَتْ شَبَكَةَ
اتِّصَالَاتٍ لَا بَأْسَ بِهَا مَعَ الْأَشْخَاصِ وَالْجِهَاتِ الْمُهْتَمَّةِ بِالْمَوْضُوعِ الْأَفْغَانِيِّ،
بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ نِقَاطِ الْإِلْتِقَاءِ أَوْ الْاِخْتِلَافِ فِي وُجْهَاتِ النَّظَرِ، وَقَدْ تَوَلَّى
الْحَاجُّ «سَيْفٌ» تَوْجِيهَ تِلْكَ السَّفِينَةِ الْغَرِيبَةِ.

عَقَدْنَا جَلَسَاتٍ مُطَوَّلَةً مَعَ «حَقَّانِي»، وَتَبَلَّوْرَتِ الْآرَاءُ عَنْ تَصَوُّرٍ مُشْتَرَكٍ دَاخِلِ اللَّجْنَةِ لِلْمَوْقِفِ السِّيَاسِيِّ وَلِبَرْنَامَجِ الْمُسَاعَدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَهُ الْمُسْلِمُونَ لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْعَانَ. وَقُمْتُ بِصِيَاغَةِ ذَلِكَ فِي تَقْرِيرٍ تَمَّ تَوْزِيْعُهُ عَلَى نِطَاقِ صَيِّقٍ دَاخِلِ دَائِرَةِ الْمُهْتَمِّينَ، وَمِنْهُمْ «الْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ» بِالطَّبْعِ، وَكَذَلِكَ كِبَارُ الْمُتَبَرِّعِينَ وَالنَّاشِطِينَ فِي الْإِمَارَاتِ وَقَطْرَ وَالسُّعُودِيَّةِ.

أَمَّا «حَقَّانِي» فَقَدْ اصْطَحَبَ مَعَهُ عَشْرَاتٍ مِنْ نُسَخِ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ ذَلِكَ التَّقْرِيرِ، وَيَبْدَأُ بِعُنْوَانٍ «مُقْتَرَحَاتُ قَادَةِ الْجِهَادِ»، ذَلِكَ لِأَنَّ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ يَحْمِلُ تَصَوُّرًا سَلْبِيًّا لِلْأَحْزَابِ وَالِاتِّحَادِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَضْعُهُ فِي مَآزِقٍ حَرَجٍ مَعَ تِلْكَ الْجِهَاتِ وَمَعَ الْعَرَبِ الْمُتَحَزِّبِينَ لِـ «سَيَّاف».

وَرَعَ «حَقَّانِي» ذَلِكَ التَّقْرِيرَ عَلَى كِبَارِ النَّاشِطِينَ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، وَمِنْهُمْ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام». وَاتَّصَوَّرَ أَنَّهُ وَصَلَ أَيضًا إِلَى «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» أَوْ عَلَى الْأَقْلِ أَنَّهُ سَمِعَ بِمُحْتَوَاهُ.

قَبْلَ أَنْ نُورِدَ نَصَّ التَّقْرِيرِ، أُشِيرُ إِلَى أَنَّ مِثْلَ تِلْكَ التَّقَارِيرِ لَمْ تَلَقَ تَجَاوُبًا يُعْتَدُّ بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ قِلَّةً نَادِرَةً أُعْجِبَتْ بِمُحْتَوَاهَا وَتَحَمَّسَتْ لَهُ. وَبِشَكْلِ عَامٍّ تَعَرَّضْتُ أَمْثَالَ تِلْكَ التَّقَارِيرِ لِلِاتِّهَامِ وَإِلَى الرِّبْطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُؤَامَرَاتِ خَطِيرَةٍ تُحَاكُّ ضِدَّ الْجِهَادِ، أَوْ أَنَّ مَنْ يَكْتُبُهَا أَوْ يُرَوِّجُهَا إِنَّمَا هُمْ جِهَاتٌ عِلْمَانِيَّةٌ أَوْ يَسَارِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَأَنَّ أُسْلُوبَهَا «غَيْرُ إِسْلَامِيٍّ» بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَسْتَدِلُّ بِالآيَاتِ

وَالْأَحَادِيثِ، وَلَيْسَ لَدَيْهِ أَدَلَّةٌ شَرْعِيَّةٌ. وَأَنَّ مُحْتَوَيَاتِ التَّقْرِيرِ مَسَائِلُ ظَنِّيَّةٌ وَ «شُغْلٌ سِيَاسِيَّةٌ»، وَبِالتَّالِي فَهِيَ شَيْءٌ غَيْرُ مَرْغُوبٍ فِيهِ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ.

وَنَسُوقُ فِيمَا يَلِي نَصَّ ذَلِكَ التَّقْرِيرِ كَامِلًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَنْقَسِمُ عَالَمُ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى قِسْمَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ:

- الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: السِّيَاسِيُّونَ الْمُحْتَرِفُونَ فِي «بِيشَاوَر».
- الْقِسْمُ الثَّانِي: الْمُقَاتِلُونَ فِي دَاخِلِ الْأَرَاضِي الْأَفْغَانِيَّةِ.

وَسَنَحَاوُلُ أَنْ نَسْتَعْرِضَ بِإِيْجَازٍ الْوَضْعَ الرَّاهِنَ لِكَلَا الْمَجْمُوعَتَيْنِ

أَوَّلًا: السِّيَاسِيُّونَ الْمُحْتَرِفُونَ:

أَفْرَادُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ هُمْ مُعَارِضُونَ سَابِقُونَ لِحُكُومَاتِ أَفْغَانِيَّةٍ مُتَعاقِبَةٍ مُنْذُ عَهْدِي «ظَاهِرِ شَاه» وَ «دَاوُد»، ثُمَّ الْحُكْمِ الْمَارْكَسِي الَّذِي جَاءَ بِهِ انْقِلَابُ «نُورِ مُحَمَّدِ طَرَاقِي». وَقَدْ قَصَرَتْ الْحُكُومَةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ مَجَالَ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ وَأَحْزَابِهِمُ الَّتِي كَوْنُوهَا فِي مَدِينَةِ «بِيشَاوَر» الْبَاكِسْتَانِيَّةِ.

وَقَدْ شَهِدَ الْعَمَلُ السِّيَاسِيُّ لَهُؤُلَاءِ مُنْذُ نَشَأَتِهِ عِدَّةَ انْقِسَامَاتٍ كَمَا تَمَيَّزَ بَعْدَمُ

الانْسِجَامِ وَغُمُوضِ الْأَهْدَافِ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَهْدَافُ الْمُعْلَنَةُ مُتَقَارِبَةً، بَلْ مُتَطَابِقَةً أحيانًا، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى مَا كَانَ مُتَوَقَّعًا مِنْ تَفَاهُمٍ وَتَنَسِيقٍ. بَلْ الْعَكْسُ هُوَ الَّذِي حَدَثَ، وَهَذَا يَدْفَعُ إِلَى الْاِعْتِقَادِ بِأَنَّ الْأَهْدَافَ غَيْرَ الْمُعْلَنَةَ لَهُؤُلَاءِ السِّيَاسِيِّينَ تَتَنَاقَضُ مَعَ مَا هُوَ مُعْلَنٌ عَنْهَا، كَمَا قَدْ يُشِيرُ أَيْضًا إِلَى اِرْتِبَاطِ سِيَاسِيَّةٍ مَعَ قُوَى أُجْنَبِيَّةٍ مُتَعَارِضَةِ الْمَصَالِحِ، مِمَّا أَدَّى بِدَوْرِهِ إِلَى هَذَا التَّصَارُعِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ.

وَقَدْ حَاوَلَ الْقَادَةُ تَحْسِينَ صُورَتِهِمْ أَمَامَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ فَحَاوَلُوا إِقَامَةَ اتِّحَادٍ لِيَجْمَعَ أَحْزَابَهُمْ، وَلَكِنَّ الْمَحَاوَلَةَ أَسْفَرَتْ عَنْ مَزِيدٍ مِنَ الْاِنْتِقَامِ، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ تَبَلُّورِ الْوَضْعِ عَنْ اتِّحَادَيْنِ مُتَمَايِزَيْنِ.

الِاتِّحَادُ الْأَوَّلُ:

وَهُوَ الْاِتِّحَادُ الثَّلَاثِيُّ تَحْتَ قِيَادَةِ السَّيِّدِ «أَحْمَدَ جِيلَانِي» وَعُضُوبِيَّةٌ كُلٌّ مِنْ «صِبْغَةَ اللَّهِ مُجَدِّدِي» وَ «مُحَمَّدَ نَبِيِّ مُحَمَّدِي». وَمِنْ نَاحِيَةِ عَسْكَرِيَّةٍ فَإِنَّ فَاعِلِيَّةَ هَذَا الْاِتِّحَادِ ضَعِيفَةٌ جِدًّا، وَإِنْ كَانَ لـ «مُحَمَّدَ نَبِيِّ» بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْجَيِّدِينَ يُحَارِبُونَ فِي الدَّخْلِ. أَمَّا اتِّبَاعُ الطَّرِيقَةِ الْجِيلَانِيَّةِ فَتَرَكِزُهُمُ الْأَسَاسِيُّ فِي وِلَايَةِ «بَاكْتِيَا» وَسُمِعَتْهُمْ فِي الْمِيدَانِ غَيْرِ جَيِّدَةٍ.

وَمِنْ نَاحِيَةِ سِيَاسِيَّةٍ يُنَادِي «الْجِيلَانِي» صَرَاحَةً بِعَوْدَةِ الْمَلِكِ «ظَاهِرِ شَاه» لِحُكْمِ أَفْغَانِسْتَانَ تَحْتَ غِطَاءِ اِتِّفَاقٍ دَوْلِيٍّ يَضْمَنُ حِيَادَ أَفْغَانِسْتَانَ، أَيْ يَتَمَتَّعُ

الشَّرْقُ وَالْعَرَبُ بِنُفُوزِ مُتَسَاوٍ فِيهَا.

هَذَا وَيَحْطَى هَذَا الْإِتِّحَادُ بِمُبَارَكَةِ أَمْرِيكَ وَالْقَوَى التَّابِعَةِ لَهَا فِي آسِيَا. كَمَا
أَنَّ فِكْرَةَ عَوْدَةِ الْمَلِكِ السَّابِقِ تَلَاقِي تَحْيِيدًا مُتْرَايِدًا دَاخِلَ أَوْسَاطِ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَهَالِي وَالرَّازِحِينَ تَحْتَ الْإِحْتِلَالِ الرُّوسِيِّ. وَهَذَا نَاتِجٌ عَنْ طُولِ الْمُعَانَاةِ
وَعَدَمِ ظُهُورِ بَارِقَةِ أَمَلٍ لِحَلِّ مَشَاكِلِهِمْ إِضَافَةً إِلَى الطَّرِيقَةِ الْعَقِيمَةِ الَّتِي يُدَارُ
بِهَا الْجِهَادُ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَالْفَوْضَى وَاللَّامْبَالَاةِ فِي صُفُوفِ الْأَحْزَابِ فِي
«بِشَاوَر».

يُلَاحِظُ وَجُودَ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَارِكِسِيِّينَ الَّذِينَ فَرُّوا مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ نَتِيجَةً
لِتَقَاتِلِ الْأَجْنِحَةِ الشُّيُوعِيَّةِ «حَلَق» وَ «بَارَشَام»، وَقَدْ انْضَمَّ هَؤُلَاءِ إِلَى صُفُوفِ
الْأَحْزَابِ الْمُكَوَّنَةِ لِهَذَا الْإِتِّحَادِ بَعْدَ إِعْلَانِ «تَوْبَتِهِمْ». وَلَكِنْ يُعْتَقَدُ أَنَّ
انْضِمَامَهُمْ هُوَ وَسِيلَةٌ اسْتِرْضَاءٍ لِلشُّوفِيَّةِ وَتَلْمِيحًا لَهُمْ بِإِمْكَانِ التَّعَاوُنِ.

الْوَضْعُ الْمَالِي لِهَذَا الْإِتِّحَادِ جَيِّدٌ بِسَبَبِ إِغْرَاقِ الْمَعُونَاتِ الْمَالِيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ
القَوَى الدَّوْلِيَّةِ الْمُؤَيَّدَةِ لِاتِّجَاهِهِ، كَذَلِكَ مَعُونَاتُ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يَقُومُ بِبَيْعِ
عَالِبَتَيْهَا الْعُظْمَى دَاخِلَ الْأَسْوَاقِ الْحُرَّةِ فِي بَاكِسْتَانَ. هَذَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا
يَكَادُ يُنْفَقُ هَذَا الْإِتِّحَادُ شَيْئًا عَلَى أُمُورِ الْجِهَادِ فِي دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ.

الاتِّحَادُ الثَّانِي: الاتِّحَادُ الْإِسْلَامِيُّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ:

وَهُوَ بِرِئَاسَةِ «عَبْدِ رَبِّ الرَّسُولِ سَيَّافٍ»، وَيَضُمُّ أَحْزَابَ كُلِّ مَنْ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» وَ «غَلْبِ الدِّينِ حِكْمَتِيَارٍ» وَ «يُونُسَ خَالِصٍ»، بِالْإِضَافَةِ إِلَى تَنْظِيمَيْنِ صَغِيرَيْنِ انْشَقَّا عَنْ أَحْزَابِ الاتِّحَادِ الثَّلَاثِيِّ، وَأَنْصَمَا لِهَذَا الاتِّحَادِ، وَهَذَانِ التَّنْظِيمَانِ بِقِيَادَةِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُورٍ» وَ «رَفِيعِ اللَّهِ مَوْذَنٍ».

وَمِنْ نَاحِيَةِ سِيَاسِيَّةٍ فَإِنَّ هَذَا الاتِّحَادَ يُطَالَبُ بِإِقَامَةِ حُكْمِ إِسْلَامِيٍّ حَقِيقِيٍّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَرَفُضِ أَيِّ حَلٍّ آخَرَ. وَيُجْمَعُ الْقَادَةُ الْمُكُونُونَ لِهَذَا الاتِّحَادِ عَلَى هَذَا الْمَطْلَبِ ظَاهِرِيًّا، وَلَكِنَّ احْتِدَامَ الصَّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ بَيْنَهُمْ فِي «بِشَاوَرٍ» وَالْقِتَالِ الْمُسْتَمِرِّ بَيْنَ أَتْبَاعِهِمْ فِي أَنْحَاءٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ يُلْقِي ظِلَالًا مِنْ الشُّكِّ حَوْلَ صِدْقِ التَّزَامِهِمْ بِهَذَا الشُّعَارِ. فَبَيْنَمَا لَمْ تَنْقَطِعْ الاِشْتِبَاكَاتُ بَيْنَ أَعْوَانِ «غَلْبِ الدِّينِ» وَ «بُرْهَانَ الدِّينِ» مِنْ نَاحِيَةٍ، وَأَنْفِجَارُ الاِشْتِبَاكَاتِ بَيْنَ أَتْبَاعِ «غَلْبِ الدِّينِ» وَ «سَيَّافٍ» فِي مُحَافَظَةِ «مَيْدَانَ»، بَلْ وَمَنْعُ أَتْبَاعِ «سَيَّافٍ» مِنَ الدُّخُولِ أَصْلًا إِلَى بَعْضِ الْمُحَافَظَاتِ بِوَاسِطَةِ أَتْبَاعِ «بُرْهَانَ الدِّينِ» وَ «غَلْبِ الدِّينِ». كُلُّ هَذَا وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ يُلْقِي ظِلَالًا مِنْ الشُّكِّ حَوْلَ حَقِيقَةِ تَوَجُّهَاتِ هُؤُلَاءِ الْقَادَةِ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الاتِّحَادُ هُوَ مَعْقَدٌ أَمَلِ الْمُسْلِمِينَ خَارِجَ أَفْغَانِسْتَانَ فِي إِيجَادِ قِيَادَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ تَصِلُ بِالْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى غَايَاتِهِ،

لَكِنَّ هَذَا الْأَمَلَ لَمْ يَتَحَقَّقْ وَفَسَلَ هَذَا الْإِتِّحَادُ فِي تَحْقِيقِ أَيِّ مِنَ الْأَهْدَافِ الْمَرْجُوءَةِ، وَتَحَوَّلَ إِلَى حِزْبٍ صَغِيرٍ يُقَوِّدُهُ «سَيَافٌ» قِيَادَةٌ مَرَكِزِيَّةٌ قَلِيلَةُ الثَّقَةِ فِيْمَنْ حَوْلَهَا. وَبَيْنَمَا يَمْتَلِكُ هَذَا الْحِزْبُ قُدْرَاتٍ مَالِيَّةً كَبِيرَةً إِلَّا أَنَّهُ يُعَانِي مِنْ ضَعْفِ الْأَتْبَاعِ فِي الدَّخْلِ وَانْعِدَامِ الْكَفَاءَةِ الْإِدَارِيَّةِ فِي «بِشَاوَر».

وَلِلْأَحْزَابِ الدَّاخِلَةِ فِي هَذَا الْإِتِّحَادِ أَتْبَاعٌ كَثِيرُونَ يُحَارِبُونَ بِاسْمِهَا فِي مُعْظَمِ أَنْحَاءِ أَفْغَانِسْتَانَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا تُمَارَسُ عَلَيْهِمْ قِيَادَةٌ حَقِيقِيَّةً، وَيَقْتَصِرُ دَوْرُهَا عَلَى إِعَادَةِ تَوْزِيعِ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي تَلَقَّاهَا فِي «بِشَاوَر» عَلَى أَتْبَاعِهَا فِي الدَّخْلِ، فِي مُقَابِلِ تَعَهُّدِ هَؤُلَاءِ بِعَدَمِ التَّعَاوُنِ مَعَ أَتْبَاعِ الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى، وَأَحْيَانًا يَتِمُّ الْإِتِّفَاقُ عَلَى مُقَاتَلَةِ أَتْبَاعِ الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى فِي الْمَنْطِقَةِ، وَإِنْ كَانَ الْقِتَالُ فِي الدَّخْلِ يَتِمُّ غَالِبًا نَتِيجَةً لِسُوءِ تَوْزِيعِ السَّلَاحِ عَلَى أَفْرَادِ مَشْبُوهِينَ أَوْ لِنَفْرِيقِ الْجَبَهَاتِ فِي الدَّخْلِ مِنْ الْعُلَمَاءِ الْقِيَادِيِّينَ الَّذِينَ اسْتَشْهِدُوا أَوْ جَذَبَتْهُمْ الْأَحْزَابُ وَلِجَانِ الْإِتِّحَادِ إِلَى «بِشَاوَر» لِكَيْ تَبْتَلِعَهُمُ الدَّوَامَةُ السِّيَاسِيَّةُ الْعَقِيمَةُ فِي «بِشَاوَر».

وَبَوَاجِهِ عَامٌّ تَمَيَّزَتْ أَحْزَابُ هَذَا الْإِتِّحَادِ بِالسَّلِيَّاتِ التَّالِيَةِ:

١. عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِتِّحَادِ فِيْمَا بَيْنَهَا، فَفَرَارُ الْإِتِّحَادِ بَيْنَ الْأَحْزَابِ يُبْقَى فِي يَدِ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَحَدَهَا، بِصِفَتِهَا الْجِهَةُ الَّتِي سَمَحَتْ بِتَكْوِينِ هَذِهِ الْأَحْزَابِ، وَهِيَ الَّتِي تَقُومُ بِتَمْوِيلِهَا وَتَسْلِيحِهَا وَإِعْطَائِهَا تَسْهِلَاتِ الْحَرَكََةِ

عَلَى أَرْضِهَا.

٢. لَمْ يَتِمَّ اخْتِيَارُ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ مِنْ جَانِبِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ أَوْ الْمُجَاهِدِينَ فِي الدَّخْلِ، بَلْ اخْتِيرُوا مِنْ جَانِبِ حُكُومَةِ بَاكِسْتَانِ.

٣. مُؤَهَّلَاتُ الزَّعَامَةِ لَهُؤُلَاءِ الْقَادَةِ هِيَ الْأَمْوَالُ وَالْأَسْلِحَةُ الَّتِي تَصِلُهُمْ مِنْ الْخَارِجِ وَلَيْسَ لِكُونِهِمْ قَادَةً حَقِيقِيَّةً لِلْقِتَالِ - فِيمَا عَدَا «يُونُسَ خَالِصٍ» - لِهَذَا يَنْعَدُ تَقْدِيرُهُمْ الْأَدْبِي لَدَى مُجَاهِدِي الدَّخْلِ.

٤. الْأَحْزَابُ وَكَوَادِرُهَا وَالْإِتِّحَادُ بِمُؤَسَّسَاتِهِ الْإِدَارِيَّةِ، جَمِيعُهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الْقِتَالِ. لِهَذَا أَنْعَدَتْ لَدَيْهَا الْحَسَاسِيَّةَ لِحَاجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ وَضَعْفَتْ اسْتِجَابَتُهُمْ لِمُتَطَلِّبَاتِ الْجِهَادِ، فَبَعَدَتْ الشُّقَّةُ بِالتَّدْرِيجِ بَيْنَ «بِشَاوَرَ» وَالْجَبَهَةِ، وَسَادَ بَيْنَهُمَا الْجَفَاءُ وَسُوءُ الظَّنِّ.

٥. يَقُومُ السِّيَاسِيُّونَ فِي «بِشَاوَرَ» بِتَوْزِيعِ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَمْوَالِ فِي الدَّخْلِ طَبَقًا لِلْإِرْتِبَاطَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْقَبِيلِيَّةِ وَلَيْسَ طَبَقًا لِإِحْتِيَاجَاتِ الْفِعْلِيَّةِ لِلْجِهَادِ.

٦. تَسْتَهْلِكُ «بِشَاوَرَ» أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِي الْمَوَارِدِ الْمَالِيَّةِ لِلْإِتِّحَادِ - طَبَقًا لِلْمَصَادِرِ الرَّسْمِيَّةِ لِلْإِتِّحَادِ - وَذَلِكَ عَلَى اللَّجَانِ الْإِدَارِيَّةِ الْمُتَضَخِّمَةِ، وَمُعَسَّكَرَاتِ التَّدْرِيبِ حَوْلَ «بِشَاوَرَ»، وَالَّتِي لَا تُؤَدِّي هَدَفًا مَفْهُومًا، فَالتَّدْرِيبُ الَّذِي تَقَدَّمَهُ لَا قِيمَةَ لَهُ عَمَلِيًّا، لِتَدْنِي مُسْتَوَاهُ وَعَدَمِ مُطَابَقَتِهِ لِإِحْتِيَاجَاتِ الْجِهَادِ.

٧. تَحْتَفِظُ بَاقِيَ الْأَحْزَابِ بِمَا يُسَمَّى بِمُعَسْكَرَاتِ التَّدْرِيبِ قُرْبَ «بِشَاوَرٍ» وَعَلَى الْحُدُودِ، وَهِيَ بِالْمِثْلِ لَا تَخْدُمُ أَعْرَاضَ الْجِهَادِ، وَيَبْقَى وُجُودُهَا بِهَذِهِ الصُّورَةِ أَحَدًا اِحْتِمَالَيْنِ:

- أ. إِمَّا أَنَّهَا مِيلِيشِيَا تَابِعَةٌ لِلْقَائِدِ بَعَرَضِ رَفْعِ اسْمِهِ أَمَامَ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَالْوُفُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ الزَّائِرَةِ.
- ب. أَوْ كَوْنُ أَفْرَادِ هَذِهِ الْمُعَسْكَرَاتِ قُوَّةَ اِحْتِيَاطٍ عَسْكَرِيٍّ فِي خِدْمَةِ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ لِعَرَضِ الْأَمْنِ فِي الْمَقَاطِعَاتِ الْحُدُودِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَحْزَابِ الْمُعَارِضَةِ «الْبَاكِسْتَانِيَّةِ».

٨. تَتَحَمَّلُ تِلْكَ الْأَحْزَابُ الْمَسْئُولِيَّةَ الْكَامِلَةَ عَنْ عَمَلِيَّاتِ الْأَقْتِتَالِ فِي الدَّخْلِ سِوَاءَ نَتِيجَةِ سُوءِ تَوْزِيعِ السَّلَاحِ أَوْ بِالِاتِّفَاقِ الْمُسَبِّقِ عَلَى تَدْبِيرِ تِلْكَ الْمَعَارِكِ.

٩. تَتَحَمَّلُ تِلْكَ الْأَحْزَابُ الْمَسْئُولِيَّةَ الْكَامِلَةَ عَنْ عَرَقْلَةِ كَافَةِ الْمُحَاوَلَاتِ الْمَبْدُولَةِ بَيْنَ مُجَاهِدِي الدَّخْلِ لِلتَّنْسِيقِ الْعَسْكَرِيِّ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتِلْكَ الْأَحْزَابُ تَقُومُ فَوْرًا بِمَنْعِ الْأَسْلِحَةِ وَالِإِمْدَادَاتِ عَمَّنْ يَثْبُتُ لَدَيْهَا قِيَامُهُ بِهَذَا الْعَمَلِ مِنْ بَيْنِ أَتْبَاعِهَا فِي الدَّخْلِ.

١٠. إِهْدَارُ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْمَالِيَّةِ فِي غَيْرِ أَعْرَاضِ الْجِهَادِ.

١١. عَرَقَلَةُ تَقَدَّمِ الْقَادَةَ الْبَارِزِينَ فِي الدَّخْلِ وَنَشْرَ الشَّائِعَاتِ عَنْهُمْ وَحَجْبُ
أَخْبَارِهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْخَارِجِ.

١٢. عَدَمُ تَنْمِيَةِ طَاقَاتِ الْجِهَادِ وَدَفْعِهِ نَحْوَ اسْتِقْلَالِ أَكْبَرَ عَنِ بَاكِسْتَانِ
وَعَيْرِهَا. وَذَلِكَ بِعَدَمِ الْإِقْدَامِ عَلَى إِقَامَةِ مَشَارِيعِ تَصْنِيعِ وَصِيَانَةِ الْأَسْلِحَةِ
بِدَاخِلِ الْأَرْضِ الْمُحَرَّرَةِ، وَكَذَلِكَ الْمَشَارِيعِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي الدَّخْلِ الَّتِي
تَكْفُلُ الْاِسْتِقْلَالَ الْاِقْتِصَادِيَّ وَلَوْ جُزْئِيًّا.

١٣. تَرْكِيزُ قَوَاعِدِ تِلْكَ الْأَحْزَابِ وَجَمِيعِ نَشَاطَاتِهَا دَاخِلِ «بِيشاور» - وَكَأَنَّ
هَذَا الْوَضْعَ دَائِمٌ وَلَا رَجْعَةَ فِيهِ - وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَحْزَابُ تَسْعَى فِعْلًا
نَحْوَ تَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ لَعَمِلَتْ عَلَى تَغْيِيرِ هَذَا الْوَضْعِ بِسُرْعَةٍ، فَهُوَ يُمَثِّلُ
خُطُورَةَ التَّصْفِيَّةِ عِنْدَ أَيِّ بَادِرَةٍ تَغْيِيرٍ فِي الْخَطِّ السِّيَاسِيِّ لِحُكُومَةِ بَاكِسْتَانِ.
وَلَكِنَّ تِلْكَ الْأَحْزَابَ مُطْمَئِنَّةٌ لِهَذَا الْوَضْعِ لِأَنَّهَا فِي وَاقِعِ الْحَالِ لَيْسَتْ إِلَّا
امْتِدَادًا أَفْغَانِيًّا لِلنِّظَامِ الْبَاكِسْتَانِيِّ الْقَائِمِ. لِهَذَا فَهِيَ تَتَحَرَّكُ فِي إِطَارِ النَّظَرَةِ
الْاِسْتِرَاطِيَجِيَّةِ لِلْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي هَذَا الصَّرَاحِ الْمُسَلَّحِ، وَلَمْ تَتَّخِذْ
خُطُورَةً وَاحِدَةً تُثَبِّتُ غَيْرَ ذَلِكَ حَتَّى الْآنَ.

١٤. صَرَخَ الزُّعَمَاءُ السِّيَاسِيُّونَ أَنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ بِأَيِّ شَكْلِ عَلَى إِدَارَةِ
الْبِلَادِ، وَأَنَّهُ فِي حَالِ تَسَلُّمِهِمُ السُّلْطَةَ فَإِنَّ الشَّعْبَ سَيُثَوِّرُ عَلَيْهِمْ لِعَدَمِ
كِفَايَتِهِمْ، وَهَذَا قَدْ يُفَسِّرُ إِلَى حَدِّ مَا عَدَمَ حَمَاسَتِهِمْ لِحَلِّ الْقَضِيَّةِ بِسُرْعَةٍ

وَمِيْلَهُمْ إِلَى تَطْوِيلِهَا.

الْوَضْعُ فِي الدَّاخِلِ وَقَادَةُ الْجَبَهَاتِ:

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ يَتَنَاقَصُ قَادَةُ الْجَبَهَاتِ الْمُخْلِصُونَ، إِمَّا بِالِاسْتِشْهَادِ أَوْ بِاسْتِدْرَاجِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ فِي «بِيشاور» لَهُمْ. وَقَدْ مَلَأَ هَذَا الْفِرَاعَ النَّاتِجَ عَنَّا صِرْ سَيِّئَةً أَوْ عَدِيمَةً الْخُبْرَةَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ. بَيْنَمَا يُعَانِي مَنْ تَبَقَّى مِنْ الْمُخْلِصِينَ مَرَارَةَ الْقِتَالِ الضَّارِي بِدُونِ دَعْمٍ حَقِيقِيٍّ أَوْ قِيَادَةٍ مُخْلِصَةٍ تَقُومُ عَلَى رِعَايَةٍ وَقِيَادَةٍ مُجْمَلٍ حَرَكَةَ الْجِهَادِ فِي الْبِلَادِ لِتَكُونَ مِنْهَا حَرَكَةٌ قَوِيَّةً قَادِرَةً عَلَى دَحْرِ الْعَدُوِّ.

وَلَقَدْ بَدَلْ هُوْلَاءِ مُحَاوَلَةً لِتَلَا فِي هَذَا الْوَضْعِ، فَاجْتَمَعَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ١٩٨٣ م وَاتَّخَذُوا عِدَّةَ قَرَارَاتٍ هَامَّةٍ فِي التَّنْسِيقِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي النُّوَاحِي الْعَسْكَرِيَّةِ وَالتَّمْوِينِ. وَهَذِهِ الْخُطُوَّةُ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا الْفَائِقَةِ فَإِنَّهَا لَمْ تَتَقَدَّمْ كَثِيرًا فِي مَجَالِ التَّطْبِيقِ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ:

١. جُوبَهُ هُوْلَاءِ الْقَادَةُ بِحَالَةٍ مِنْ التَّشَكُّكِ مِنْ قَادَةِ «بِيشاور»، وَتَمَّ التَّصْيِيقُ عَلَيْهِمْ فِي مَجَالِ الْإِمْدَادِ وَالتَّمْوِينِ.

٢. هُوْلَاءِ الْقَادَةُ فِي حَالَةٍ قِتَالٍ مُسْتَمِرٍّ مَعَ الْعَدُوِّ، وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ الْفُرْصَةُ لِتَطْوِيرِ تَعَاوُنِهِمُ الْعَسْكَرِيِّ وَالْإِدَارِيِّ. هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى فَقْرِهِمُ الْمَادِّي الَّذِي لَا

يُسَاعِدُ عَلَى تَنْمِيَةِ قُدْرَةِ جَبَهَاتِ الْقِتَالِ وَالْعَمَلِ عَلَى اسْتِقْلَالِهَا عَنْ
إِمْدَادَاتِ «بِشَاوَر» وَلَوْ إِلَى حَدِّ مَا.

وَلِلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْوَرُظَةِ لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْقَادَةِ إِلَّا أَحَدُ خِيَارَيْنِ، وَهُمَا:

أ. إِمَّا تَرْكُ الْجِهَادِ وَالذَّهَابُ إِلَى «بِشَاوَر»، وَخَوْضُ الصَّرَاحِ السِّيَاسِيِّ هُنَاكَ
فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَى الْمَعُونَاتِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَتَبْتَلِعُهُمْ دَوَامَهُ
«بِشَاوَر»، وَسَتَنْقَطِعُ صِلَتُهُمْ بِالْجِهَادِ، وَهُوَ مَا حَدَثَ لِكَثِيرِينَ.

ب. الْخِيَارُ الثَّانِي هُوَ قَبُولُ عُرُوضِ الْمُسَاعَدَةِ الْمَطْرُوحَةِ مِنْ وَسْطَاءِ الدُّوَلِ
الْغَرِيبَةِ، وَالَّذِينَ يَطُوفُونَ جَبَهَاتِ الْقِتَالِ عَلَى شَكْلِ أَطْبَاءٍ وَصَحْفِيِّنَ وَهَذَا
مَا قَبَلَهُ قَائِدُ بَارِزٍ مِثْلَ «أَحْمَدَ مَسْعُودٍ» فِي «بَانَشِير»، وَهِيَ عُرُوضٌ يَرْفُضُهَا
هُؤُلَاءِ.

وَبَيْنَمَا يَتَّصِلُ «مَسْعُودٌ» بِبَاقِي قَادَةِ الْجَبَهَاتِ لِإِقْنَاعِهِمْ بِالسَّيْرِ تَحْتَ لِيَاكِهِ
يَقِفُ الْقَادَةُ الْمُسْلِمُونَ فِي الدَّخْلِ عَاجِزِينَ عَنِ تَطْوِيرِ التَّعَاوُنِ بَيْنَهُمْ وَالْحِفَاطِ
عَلَى الْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

مُقْتَرَحَاتُ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ:

تَقَدَّمَ بَعْضُ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ فِي الدَّخْلِ بِأَرَاءٍ مُحَدَّدَةٍ لِبَعْضِ الْإِخْوَةِ الْعَرَبِ
حَوْلَ مَطَالِبِهِمْ وَشُرُوطِهِمْ فَيَمْنُ يَرْتَضُونَهُ قَائِدًا عَلَيْهِمْ:

أولاً: مطالبهم لاستمرار الجهاد:

١. توفير الإمدادات التَّمَوِينِيَّةِ وَالذَّخَائِرِ لِلْمُجَاهِدِينَ بِصِفَةِ مُسْتَمِرَّةٍ.
٢. العَمَلُ عَلَى تَقْوِيَةِ الْجِهَادِ بِعَدَمِ تَحْرِيطِ أَحْزَابِ «بِيشَاوَر» لِلْمُجَاهِدِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ.
٣. اتِّخَاذُ الْإِجْرَاءَاتِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا رَفْعُ الْفَاعِلِيَّةِ الْقِتَالِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ وَتَأْمِينُهُمْ ضِدَّ تَقَلُّبِ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ فِي بَاكِسْتَانِ.

ثانياً: شروطهم في القيادة المطلوبة للمجاهدين:

١. أَنْ تَكُونَ الْقِيَادَةُ إِسْلَامِيَّةً، مِنْ صُفُوفِ الْمُقَاتِلِينَ، تَعِيشُ فَوْقَ الْأَرْضِي الْمَحَرَّرَةِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانِ، وَوَسَطِ الْمُجَاهِدِينَ وَفِي نَفْسِ ظُرُوفِهِمُ الْمَعِيشِيَّةِ.
٢. تُسَيِّطِرُ هَذِهِ الْقِيَادَةُ عَلَى أَعْمَالِ الْقِتَالِ فِي الْجَبَهَاتِ وَعَلَى الْإِمْدَادِ.
٣. أَبَدَتْ تِلْكَ الْقِيَادَاتُ عَدَمَ اسْتِعْدَادِهَا لِقَبُولِ أَيِّ قِيَادَةٍ لَا تَتَوَفَّرُ فِيهَا تِلْكَ الْمُواصِفَاتِ بِمَا فِي ذَلِكَ قِيَادَاتُ «بِيشَاوَر» السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَقَاعَسَتْ عَنْ إِدَارَةِ وَقِيَادَةِ الْقِتَالِ فِي الْجَبَهَاتِ.

اقْتِرَاحُ هَامٍ:

هَذَا وَقَدْ أَبَدَتْ الْقِيَادَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْبَارِرَةَ فِي دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ اسْتِعْدَادَهَا لِعَقْدِ اجْتِمَاعٍ مُوسَّعٍ لِقَادَةِ الْجِهَادِ الْبَارِزِينَ، مِنْ الْمُقَاتِلِينَ دَاخِلَ الْجَبَهَاتِ، بِحُضُورِ مُمَثِّلِينَ عَنِ الْعَرَبِ الْعَامِلِينَ عَلَى دَفْعِ عَجَلَةِ الْجِهَادِ، وَبَحْثِ السُّبُلِ اللَّازِمَةِ لِإِجَادِ اتِّحَادٍ إِسْلَامِيٍّ حَقِيقِيٍّ دَاخِلَ الْجَبَهَاتِ، وَتَطْوِيرِ الْجِهَادِ وَتَقْوِيَّتِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ الْمَرْجُوءَةِ، وَوَضْعِ مُخَطَّطٍ عَمَلِيٍّ لِذَلِكَ، وَبَذْلِ أَقْصَى الطَّاقَاتِ لِتَنْفِيذِهِ.

مَلَامِحُ عَامَّةٌ لِمَشْرُوعِ عَرَبِيٍّ لِدَعْمِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ:

الْهَدَفُ مِنْ هَذَا الْمَشْرُوعِ هُوَ تَقْدِيمُ الدَّعْمِ الْمُبَاشِرِ الْفَعَّالِ لِمُجَاهِدِي الدَّاخِلِ وَتَقْوِيَةِ الْجِهَادِ وَتَفَادِي الْفِتْنَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي «بِيشَاوَر».

أَوَّلًا: تَكْوِينُ لَجْنَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ مَوْثُوقٍ بِهَا قَادِرَةٍ عَلَى الْحَرَكََةِ وَاسْتِقْرَاءِ الْأَحْدَاثِ، وَتَوْضُوعِ تَحْتِ تَصَرُّفِهَا اعْتِمَادَاتٍ مَالِيَّةٍ مُنَاسِبَةٍ، وَتَتَوَلَّى هَذِهِ اللَّجْنَةُ وَضَعَ الْخُطَطِ الْكَفِيلَةِ بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَهْدَافِ، وَمُتَابَعَةِ تَنْفِيذِهَا، وَيَكُونُ مَرْكَزُهَا فِي إِحْدَى دَوْلِ الْخَلِيجِ.

ثَانِيًا: إِقَامَةُ مَكْتَبِ اتِّصَالٍ فِي «بِيشَاوَر»، مِهْمَتُهُ تَحْقِيقُ الْارْتِبَاطِ بَيْنَ اللَّجْنَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُجَاهِدِي الدَّاخِلِ، وَمُتَابَعَةُ إِصْالِ الْمُسَاعَدَاتِ إِلَيْهِمْ وَمُتَابَعَةُ تَنْفِيذِ

المَشْرُوعَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا لِكَيْ تُقَامَ عَلَى الْأَرْضِ الْمُحَرَّرَةِ مِثْلَ تَصْنِيعِ الذَّخَائِرِ وَصِيَانَةِ الْأَسْلِحَةِ وَالخِدْمَاتِ الطَّبِيبَةِ... الخ.

ثَالِثًا: ضُبَّاطُ الْأَرْبَابِ، وَهُمْ مَجْمُوعَةٌ عَرَبِيَّةٌ أَفْغَانِيَّةٌ مُهِمَّتُهَا رَبْطُ حَرَكَةِ الْجَبَهَاتِ فِي الدَّاخِلِ مَعَ مَكْتَبِ الْأَتْصَالِ، وَإِصَالِ الْمَعُونَاتِ وَمُتَابَعَةِ الْمَشْرُوعَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْجَبَهَاتِ، كَذَلِكَ فَضَاءُ فتراتِ طَوِيلَةٍ هُنَاكَ لِمُعَايَشَةِ أَوْضَاعِ الْمُجَاهِدِينَ وَأَحْوَالِ الْقِتَالِ وَتَقْدِيمِ تَقَارِيرٍ وَمُقْتَرَحَاتٍ إِلَى مَكْتَبِ الْأَتْصَالِ فِي «بِشَاوَر».

المَشْرُوعَاتُ الْمُقْتَرَحَةُ لِتَقْوِيَةِ الْجِهَادِ:

١. إِقَامَةُ صِنَاعَةِ ذَخَائِرِ الْأَسْلِحَةِ الْخَفِيفَةِ وَالرَّشَاشَاتِ الثَّقِيلَةِ كَمَرَحَلَةٍ أُولَى، وَذَلِكَ دَاخِلَ الْمَنَاطِقِ الْمُحَرَّرَةِ الَّتِي يَسْهُلُ الدِّفَاعُ عَنْهَا وَإِخْفَاءُ الْمُنْشآتِ فِي كُھُوفِهَا الْجَبَلِيَّةِ.

٢. الإِمْدَادُ بِوَسَائِلِ إِصْلَاحِ الْأَسْلِحَةِ الصَّغِيرَةِ، لِلقِيَامِ بِالِإِصْلَاحَاتِ الْجَارِيَةِ وَإِبْدَالِ قِطْعِ الْغِيَارِ مَعَ إِقَامَةِ وَرَشِّ ثَابِتَةٍ لِلقِيَامِ بِالِإِصْلَاحَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ.

٣. إِنْشَاءُ مَرَاكِزٍ لِلتَّدْرِيبِ الْمُتَقَدِّمِ لِقُوَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ، وَالاقْتِرَابُ بِمُسْتَوَاهِمُ مِنْ مُسْتَوَى تَدْرِيبِ الْقُوَّاتِ الْخَاصَّةِ، وَإِعْطَاءُ الدَّوَرَاتِ التَّخْصِصِيَّةِ فِي هُنْدَسَةِ الْمِيدَانِ، وَهَذَا بِدَوْرِهِ يُؤَدِّي إِلَى اخْتِصَارِ وَقْتِ الْمَعَارِكِ وَتَكَالُيفِهَا

وَخَسَائِرِهَا الْبَشَرِيَّةَ.

٤. إنشاءُ مدرّسةٍ لتدريبِ الكلابِ على اكتِشافِ الألغامِ والمتفجّراتِ وهي مُشكلةٌ خطيرةٌ يُعاني منها المُجاهدون.

٥. العملُ على إحلالِ أنواعٍ جديدةٍ من الألغامِ الحارقةِ المُصنّعةِ محليًّا، وهذا مُمكنٌ عمليًّا وبسهولةٍ ولكنّه يحتاجُ إلى تمويلٍ.

٦. أ. إنشاءُ مراكزٍ إسعافٍ مُتقدّمةٍ مُزوّدةٍ بوسائلِ إسعافٍ عاجلةٍ ومن ١-٢ مُمرّضٍ مُدرّبٍ.

ب. إنشاءُ مُستشفياتٍ ميدانيّةٍ في مراكزِ قيادةِ الجبهاتِ وتزويدها بالأطباءِ والمُعَدّاتِ والأدويةِ.

٧. تبني استراتيجيّةٍ قتاليّةٍ جديدةٍ، فبدلاً من الوضعِ الحاليّ حيثُ تُركّزُ الأحزابُ قوّتها كلّها حولَ «كابل» في انتظارِ انسحابِ الجيشِ الروسيّ لِلانقِصاضِ على مركزِ الحُكمِ والاستيلاءِ على السُّلطةِ، علينا أن نعملَ على بناءِ قواعدٍ قتاليّةٍ فعّالةٍ على أوسعِ رُفعةٍ من البلادِ والقتالِ بأسلوبِ حربِ العصاباتِ والاستنزافِ المُستمرِّ في كافّةِ المناطقِ وقطعِ محاورِ الإمدادِ حتّى ينشرَ الروسُ قوّاتهم فوق رُفعةٍ واسعةٍ من الأرضِ فتزدادُ خسائرُهم في المُعدّاتِ والأفرادِ ويزدادُ العبءُ الماديّ، وتزدادُ صُعبَةُ

المواصلاتِ وَتَنْخِيفُ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْعَدُوِّ. وَبِنَاءٍ عَلَى هَذِهِ النَّظَرَةِ الْجَدِيدَةِ تُصْبِحُ تَقْوِيَةُ الْمُقَاتَلَاتِ الشَّمَالِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ أَمْرًا هَامًّا، وَهِيَ مَنَاطِقٌ مُهِمَّةٌ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي.

٨. الْعَمَلُ عَلَى تَخْزِينِ أَكْبَرِ كَمِّيَّةٍ مُمَكِّنَةٍ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الذَّخَائِرِ وَالْوَجَبَاتِ الْجَافَّةِ فِي دَاخِلِ الْجَبَهَاتِ بِعَرَضِ الْاِكْتِفَاءِ الذَّائِي لِمُدَدٍ طَوِيلَةٍ.

٩. اسْتِحْدَاثُ بَرْنَامَجِ اتِّصَالَاتٍ بَيْنَ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ بِالْوَسَائِلِ السُّلْكِ وَاللَّاسِلْكِ وَمَرَاكِزِ بَرِيدٍ مُتَنَقِّلَةٍ بِحَيْثُ تَكُونُ الرَّسَائِلُ الْكِتَابِيَّةُ مُنْتَظِمَةً بَيْنَ الْجَبَهَاتِ، وَكَذَلِكَ الْاِتِّصَالُ اللَّاسِلْكِ.

تَحْدِيدُ الْقَدْرِ الْأَدْنَى مِنَ التَّعَاوُنِ الْعَسْكَرِيِّ بَيْنَ الْجَبَهَاتِ، الَّذِي يَهْدَفُ إِلَى عَدَمِ إِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ لِلْعَدُوِّ لِلاِسْتِفْرَادِ بِأَحَدَى الْجَبَهَاتِ وَتَرْكِيزِ ضَرْبَاتِهِ الْبَرِّيَّةِ وَالْجَوِّيَّةِ عَلَيْهَا.

وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لَا بُدَّ مِنَ الْاِتِّفَاقِ عَلَى وَسَائِلِ الْمُسَانَدَةِ بَيْنَ الْجَبَهَاتِ، فَمَثَلًا فِي حَالَةِ حُدُوثِ هُجُومٍ مُوسَّعٍ يَتِمُّ تَنْشِيطُ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ لِإِجْبَارِ الْعَدُوِّ عَلَى نَشْرِ قُوَّاتِهِ وَعَدَمِ تَرْكِيزِهَا عَلَى جَبَهَةٍ وَاحِدَةٍ لِسَحْقِهَا.

انْتَهَى التَّقْرِيرُ

مُلاحَظَاتٌ حَوْلَ التَّقْرِيرِ:

يَحْتَوِي التَّقْرِيرُ تَشْكِيكًا فِي التَّوَجُّهَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ لِقَادَةِ الْأَحْزَابِ، وَهُوَ مَا أُثْبِتَ الْأَحْدَاثُ صِحَّتَهُ، خَاصَّةً بَعْدَ فَتْحِ «كَابُلٍ»؛ حَيْثُ ظَهَرَ أَنَّ إِقَامَةَ دَوْلَةِ إِسْلَامِيَّةٍ غَيْرِ مَطْرُوحٍ فِي تَفْكِيرِ هَؤُلَاءِ، بَلْ إِنَّهُمْ هَاجَمُوا الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبَ إِمَّا صَرَاحَةً كـ «رَبَّانِي»، أَوْ ضِمْنًا كـ «سَيَافٍ». أَمَّا «حِكْمَتِيَارٍ» فَقَدْ اسْتَخْدَمَهُمْ فِي قِتَالِ مُنَافِسِيهِ، فَاحْتَضَنَهُمْ فِي خُطُوطِهِ الْأَمَامِيَّةِ.

إِشْعَالُ الْقِتَالِ الدَّاخِلِيِّ وَالْفِتَنِ الدَّاخِلِيَّةِ لَهُ أَسْبَابُهُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ بِلَا شَكٍّ، وَلَكِنَّ الْجِهَادَ فِي بَدَايَتِهِ أَحْمَدَ تِلْكَ الْفِتَنِ بِشَكْلِ تَامٍّ تَقْرِيْبًا، حَتَّى أَنَا شَاهِدُنَا جَبَهَاتٍ تُقَاتِلُ فِيهَا عِدَّةٌ قَوْمِيَّاتٍ أَفْغَانِيَّةٍ جَنبًا إِلَى جَنْبٍ، وَمِنْ عِدَّةٍ قَبَائِلٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَلَكِنَّ الْأَحْزَابَ أَيْقَظَتْ الْفِتْنَ وَدَفَعَتْهَا بِقُوَّةٍ حَسَبَ الْمُخَطَّطَاتِ الْمُمْلَاةِ عَلَيْهَا.

وَمَا زَالَتْ تِلْكَ وَظِيْفَتُهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ حَتَّى تَمَزَّقَتْ الْبِلَادُ وَسَادَهَا الْخَوْفُ وَأَنْعَدَامُ الْأَمْنِ وَالكَرَاهِيَّةُ الْعِرْقِيَّةُ، وَأَنْحَسَرَتْ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ وَاخْتَفَى شِعَارُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَقْرِيْبًا، وَهَذَا مَا نُسَاهِدُهُ الْآنَ وَفَتْ كِتَابَةَ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَالْكَلِمَةُ الْعُلْيَا الْآنَ هِيَ لِلْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ وَالِدَوْلِ الصَّلِيبِيَّةِ.

حَوَى التَّقْرِيرُ أَوَّلَ تَعْرِيزٍ بِـ «مَسْعُودٍ»، وَارْتِبَاطِهِ بِالدَّوْلِ الْغُرَيْبِيَّةِ. وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ مَوْضُوعَ «مَسْعُودٍ» ظَلَّ غَامِضًا إِلَى حَدِّ مَا بِالنُّسْبَةِ لِي، وَلَمْ يَتَّضِحْ

بِشَكْلِ كَامِلٍ إِلَّا فِي لِحَظَاتِ دُخُولِهِ «كَأْبُل» عَلَى طَائِرَاتِ «عَبْدِ الرَّشِيدِ دُوسْتَم» أَشْهَرَ قَائِدٍ لِلْمِلِيشِيَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ. وَالْأَغْلَبُ أَنَّ «مَسْعُودًا» مَعَ اِزْتِبَاطِهِ بِالرُّوسِ مِثْلَ اخْتِرَاقًا فَرَنْسِيًّا لِحَبْهَةِ أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ مِنَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ سَيِّدَةَ الْعَرَبِ وَقَائِدَةَ الْعَمَلِيَّةِ الْكُبْرَى فِي أَفْغَانِسْتَانَ ضِدَّ السُّوْفِيَّةِ.

وَكَانَ لِبرِيطَانِيَا اخْتِرَاقُهَا أَيضًا، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ أَكْثَرَ انضِبَاطًا مِنْ فَرَنْسَا. فَبِئْسَ عَهْدِ رَيْسَةِ الْوُزَرَاءِ الْبِرِيطَانِيَّةِ «مَرْجِرِيَّتْ تَاتَشَر» اخْتَارَتْ بِرِيطَانِيَا بِلَا رَجْعَةٍ زَوَاجًا كَاثُولِيكِيًّا مَعَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. لِذَلِكَ حَرَصَتْ بِرِيطَانِيَا عَلَى لَعِبِ أَوْرَاقِهَا الْأَفْغَانِيَّةِ تَحْتَ سَمْعٍ وَبَصَرِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ. وَمِنْ أَوْرَاقِهَا الْمَلِكُ «ظَاهِر شَاه» وَ «السَّيِّدُ أَحْمَدُ جِيلَانِي» زَعِيمُ حِزْبِ «جَبْهَةِ مَحَازِ مَلِّي أَفْغَانِسْتَانَ». [وَمِنْ أَوْرَاقِهَا] جَانِبٌ مِنَ الْعَدَاءِ وَالْقِتَالِ الْمَرِيرِ بَيْنَ «مَسْعُودًا» وَ «حِكْمَتِيَارًا»، [وَالَّذِي] يُمَكِّنُ إِزْجَاعَهُ إِلَى اخْتِلَافِ جَهَةِ التَّمْوِيلِ، [وَبِالتَّالِيِ الْوَلَاءِ].

وَجَبْهَةُ الْحُلَفَاءِ لَمْ تَخُلْ هِيَ الْأُخْرَى مِنْ أَزْمَاتٍ حَادَّةٍ، تَمَّتْ تَرْجَمَتُهَا إِلَى قِتَالِ بَيْنِ الْأَتْبَاعِ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَعِنْدَمَا تَعَدَّتْ السُّعُودِيَّةُ حُدُودَهَا وَتَخَطَّتْ صَلَاحِيَّاتِ بَاكِسْتَانَ، جُوبَهُ «سَيَّاف» بِقِتَالِ دَاخِلِيٍّ مِنْ جَانِبِ «حِكْمَتِيَارًا» أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ «مُقَابِلَ مَعُونَاتِ بَاكِسْتَانِيَّةٍ».

وَعِنْدَمَا تَضَخَّم دَوْرُ مَوْلَايِ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ» فِي وِلَايَةِ «كُونَار»،
وَبِمُسَاعَدَةِ السُّعُودِيَّةِ أَقَامَ إِمَارَتَهُ السَّلَفِيَّةَ، اتَّحَدَتْ جَمِيعُ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ
عَلَى مُسْتَوَى الْقِيَادَاتِ فِي «بِشَاوَر» وَقَادَةُ جَبَهَاتِهِمْ فِي «كُونَار» - لِأَوَّلِ وَآخِرِ
مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ الْحَرْبِ الْأَفْغَانِيَّةِ - وَدَمَّرُوا دَوْلَةَ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ» فِي «كُونَار».
وَدَبَّرَ «حِكْمَتِيَار» عَمَلِيَّةَ اغْتِيَالِ الرَّجُلِ نَفْسِهِ بِوَاسِطَةِ شَابِّ عَرَبِيٍّ مُتَحَمِّسٍ جِدًّا
لِلْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ وَلِزَعَامَةِ «حِكْمَتِيَار».

أَمَّا عَنِ مَلَامِحِ الْمَشْرُوعِ الْعَرَبِيِّ الْمُقْتَرَحِ لِدَعْمِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ:

الْبَنْدُ الْأَوَّلُ فِيهِ هُوَ تَقْرِيْبًا اقْتِرَاحُ الشَّيْخِ «أَبِي بَكْرِ الْجَزَائِرِيِّ»، وَتَلْكَ
اللَّجْنَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ الَّتِي مَرْكَزُهَا إِحْدَى دَوْلِ الْخَلِيْجِ كَانَتْ سَتَتْحَوَّلُ
إِلَى لَجْنَةٍ تَابِعَةٍ لِحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ، فَالْتَّمُوْيلُ فِي أَغْلَبِهِ سُعُودِيٌّ، وَمَقَرُّ اللَّجْنَةِ
غَالِبًا سَيَكُونُ أَيْضًا هُنَاكَ. فَهَذَا الْاِقْتِرَاحُ لَمْ يَكُنْ لِيُغَيِّرِ الْوَضْعَ السَّائِدَ، بَلْ
سَوْفَ يُكْرَسُهُ وَيُعْطِيهِ - ظَاهِرِيًّا - طَابَعًا إِسْلَامِيًّا عَامًّا.

الْبَنْدُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ [الَّذَانِ يَتَحَدَّثَانِ] عَنِ مَكْتَبِ الْاِتِّصَالِ لِتَحْقِيقِ
الْاِزْتِبَاطِ بَيْنَ اللَّجْنَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُجَاهِدِي الدَّاخِلِ وَمُتَابَعَةِ اِبْصَالِ الْمُسَاعَدَاتِ
إِلَيْهِمْ وَمُتَابَعَةِ تَنْفِيذِ الْمَشْرُوعَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا مِثْلَ تَصْنِيْعِ الدَّخَائِرِ وَصِيَانَةِ
الْأَسْلِحَةِ وَالْخَدَمَاتِ الطَّبِيَّةِ... الخ، كَانَ ذَلِكَ مَا قَامَ بِهِ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ
عَزَّام» فِيْمَا بَعْدَ تَحْتِ اسْمِ «مَكْتَبِ الْخَدَمَاتِ» مَعَ فَارِقِ جَوْهَضْرِيِّ هُوَ أَنَّنَا كُنَّا

تَحَدَّثَ عَنْ مَشَارِيعَ عَسْكَرِيَّةٍ، وَعَمَلِيَّةٍ إِمْدَادٍ وَتَمْوِينٍ تَخْدُمُ عَمَلِيَّاتٍ قِتَالِيَّةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا، عَلَى غِرَارِ مَا حَوَّلْنَاهُ فِي «بَاكْتِيَا» وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ «سَيَّاف». وَلَكِنَّ الدُّكْتُورَ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّامَ» انْطَلَقَ بِمَفْهُومٍ مَعْلُوطٍ تَمَامًا بِنَاءً عَلَى تَقْيِيمَاتِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي اسْتَقَاهَا مِنْ «بِيَشَاوَر» الَّتِي تَتَمَيَّزُ دَوْمًا بِأَجْوَاءٍ مُشَوَّشَةٍ وَمَعْلُومَاتٍ مَعْكُوسَةٍ.

لَقَدْ كَانَ مَفْهُومُ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ» «إِغَاثِيًّا إِنْسَانِيًّا عَاطِفِيًّا»، وَلَمْ يَكُنْ ذَا تَوَجُّهِ عَسْكَرِيٍّ عَلَى الإِطْلَاقِ. أَرَادَ الرَّجُلُ إِغَاثَةَ جَمِيعِ جَبَهَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي جَمِيعِ أَفْغَانِسْتَانَ، حَتَّى لَا يَتَوَقَّفَ الْجِهَادُ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْمُنْطَلَقِ الصَّحِيحِ عَمَلِيًّا؛ فَفِي الْحُرُوبِ لَا يُمَكِّنُ مِرَاعَاةُ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ لِلْجَمِيعِ، حَتَّى وَلَوْ كَانُوا جَمِيعًا مُقَاتِلِينَ، فَهَنَّاكَ خُطَّةً عَسْكَرِيَّةً تُرَاعَى فِيهَا الْأَوْلِيَّاتُ.

وَخُطَّةُ الإِمْدَادِ وَالتَّمْوِينِ «اللُّوجَسْتِيك» تَتَّبَعُ الخُطَّةَ العَسْكَرِيَّةَ خُطْوَةً بِخُطْوَةٍ وَلَا تَنْفَصِلُ عَنْهَا. وَلَمَّا كَانَتْ الْأَحْزَابُ لَا تَمْتَلِكُ خُطَّةً عَسْكَرِيَّةً، بَلْ إِنَّهَا تَنْفُذُ عَمَلِيَّاتٍ بِالْقِطْعَةِ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ الاسْتِخْبَارَاتِ العَسْكَرِيَّةِ الْبَاكْسْتَانِيَّةِ الَّتِي تَمْلِكُ الخُطَّةَ العَامَّةَ وَلَا تُطْلَعُ عُمَّالُهَا إِلَّا عَلَى التَّفَاصِيلِ الْمَطْلُوبِ تَنْفِيذُهَا هُنَا أَوْ هُنَاكَ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ الشَّيْخَ «عَبْدَ اللَّهِ» انْطَلَقَ عَلَى سَجِيَّتِهِ الطَّيِّبَةِ الرُّوحَانِيَّةِ يُبْعِثُ مِائَاتِ الْمَلَائِينَ مِنَ الدُّوَلَارَاتِ عَلَى أَرْضِ عَطْشَى وَلَا تَرْتَوِي، وَبِغَيْرِ خُطَّةٍ أَوْ خِبْرَةٍ أَوْ نَظْرَةٍ بَعِيدَةٍ لِلْأُمُورِ.

فِي نَظَرِي أَنَّهُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَبَنَّى مَشَارِعًا عَلَى نَمَطِ مَشْرُوعِ «بَاكْتِيَا» الْعَسْكَرِيِّ، وَيَتَكَفَّلُ بِإِمْدَادِهِ، وَقَدْ كَانَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ. وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَجْمَعَ قَادَةَ الدَّخْلِ حَوْلَهُ فِي تَنْفِيدِ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ. وَلَكِنَّهُ بِالطَّبَعِ سَوْفَ يُوَاجِهُ حَرْبًا شَعْوَاءً مِنْ حُكُومَةِ بَاكِسْتَانِ وَأَسْيَادِهَا، وَمِنْ الْأَحْزَابِ الْعَفْنَةِ فِي «بِيشَاوَر» لِكُونِهِ قَدْ خَرَجَ عَنِ السِّيَازِيوِ الْمَوْضُوعِ لِتِلْكَ الْحَرْبِ، بِأَنْ تَظَلَّ حَرْبًا بِالْوَكَالَةِ يَخُوضُهَا الْمُسْلِمُونَ لِصَالِحِ أَمْرِيكََا تَحْتَ رَايَةِ الْجِهَادِ.

فِي ظَنِّي أَنْ اتِّحَادًا بَيْنَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ» وَقِيَادَاتِ الدَّخْلِ الْمُخْلِصِينَ وَبِاسْتِخْدَامِ ذَلِكَ التَّمْوِيلِ الضَّخْمِ الَّذِي تَوَفَّرَ لَهُ، وَمَثَاتِ الشَّبَابِ الَّذِينَ بَدَأُوا يَتَوَافَدُونَ لِلْجِهَادِ وَيَتَحَرَّقُونَ شَوْقًا لِلشَّهَادَةِ. كَانَ يُمَكِّنُ لِلدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ» أَنْ يُحَدِّثَ انْقِلَابًا جِهَادِيًّا فِي أَفْغَانِسْتَانِ. وَلَكِنَّهُ فَضَّلَ الْمُهَادَنَةَ مَعَ الْجَمِيعِ حَتَّى تَسِيرَ السَّفِينَةُ بِهُدُوءٍ وَيَسْتَفِيدَ مِنْ كُلِّ الطَّاقَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِمَا فِيهَا طَاقَاتُ الْمَمْلَكَةِ وَطَاقَاتُ بَاكِسْتَانِ وَرَعِيمِهَا «ضِيَاءِ الْحَقِّ» الَّذِي كَانَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَامُ» يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ كَثِيرًا، بَلْ يَعْتَبِرُهُ بَطَلًا إِسْلَامِيًّا.

عَلَى أَسْوَأِ الْأَفْتِرَاضَاتِ فَإِنَّ أَتْبَاعَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ» سِيَاسَةً هُجُومِيَّةً كَتَلِكَ الَّتِي افْتَرَحَهَا التَّقْرِيرُ، فَإِنَّهُ كَانَ سَيَتَعَرَّضُ لِلْحَرْبِ وَتَشْوِيهِ السُّمْعَةِ وَالْحِصَارِ، وَبِالتَّأَكِيدِ الْقَتْلِ أَيْضًا. وَلَكِنْ أَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ مَا حَدَّثَ بَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا مِنْ تَارِيخِ افْتِتَاحِ مَكْتَبِ الْخَدَمَاتِ؟، حَيْثُ اغْتِيلَ الرَّجُلُ وَعَاشَ

آخِرَ أَيَّامِهِ فِي حَالَةِ حِصَارٍ وَتَشْوِيهِ وَهُجُومٍ مِنَ الْجَمِيعِ، حَتَّى أَصْدَقَائِهِ قَادَةَ الْأَحْزَابِ الْأُصُولِيَّةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ «سَيَّاف»، وَكَانَتْ السُّعُودِيَّةُ أَكْبَرَ مُمَوَّلِيهِ هِيَ أَكْبَرُ الْمُشَارِكِينَ فِي قَتْلِهِ، وَكُلُّ أَوْ مُعْظَمُ الَّذِينَ تَسَلَّمُوا مِنْهُ مَعُونَاتٍ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ أَنَّهُمْ بِأَنَّهُ كَانَ مُنْحَازًا، وَأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ صُفُوفِ الْأَفْغَانِ، وَأَنَّ «الْجِهَادَ الْأَفْغَانِيَّ» قَدْ تَدَهَوَرَ بِوُضُوحِ الْعَرَبِ وَتَدَخُّلَاتِهِمْ الْخَرْقَاءِ فِي الشُّؤُونِ الْأَفْغَانِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ.

إِنشَاءُ مَدْرَسَةٍ لِتَدْرِيبِ الْكِلَابِ عَلَى اكْتِشَافِ الْأَلْغَامِ:

مَشْرُوعٌ لَمْ يَرَ النُّورَ حَتَّى الْآنَ، أَفْغَانِسْتَانُ تَحْتَوِي عَلَى أَكْبَرِ عَدَدٍ مِنَ الْأَلْغَامِ فِي الْعَالَمِ، أَيُّ أَنْ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَوَقَّعَ أَنْ يُقْتَلُوا بِالْأَلْغَامِ هُوَ الْأَعْلَى مِنْ نَوْعِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ.

وَرُغْمَ أَنْ الْوَضْعَ آخِذٌ فِي التَّدَهُّورِ فَإِنَّ مَشْرُوعًا بَسِيطًا كَهَذَا لَا يُمْكِنُ تَنْفِيذُهُ - رُبَّمَا - حَتَّى تُقَرَّرَ دَوْلُ الصَّلِيبِ إِقَامَتَهُ لَنَا؛ حَتَّى تُحَقِّقَ مَصَالِحَهَا فِي مَكَانٍ مَا فِي وَقْتِ مَا.

الْأَلْغَامُ الْحَارِقَةُ الْمُصَنَّعَةُ مَحَلِّيًّا:

هُوَ حُلْمٌ صَغِيرٌ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَحَقَّقْ، وَلَمْ نَكَدْ نَرِ أَيَّ شَيْءٍ مُصَنَّعٍ مَحَلِّيًّا، بَلْ أَمْضَيْنَا الْحَرْبَ كُلَّهَا مَعَ «الْمُسْتَوْرِدِ». حَتَّى تَعْبَةُ الطَّلَقَاتِ الصَّغِيرَةِ

لَمْ تَرَ النُّورَ!!.

بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ سَمِعْتُ عَنْ بَعْضِ «مَشْرُوعَاتِ تَصْنِيعِ عَسْكَرِيٍّ» لِهَذَا الْحَرْبِ أَوْ ذَاكَ، وَظَلَّتْ كُلُّهَا بِلاَ دَلِيلٍ، كَمَا أَنَّهَا جَاءَتْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْهَدَفُ مِنْهَا الْاِسْتِقْلَالَ ذَاتِيًّا فِي حَوْضِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ لِإِفْنَاءِ أَفْغَانِسْتَانَ وَشَعْبِهَا. الْمُجَاهِدُونَ الْعَرَبُ - خَاصَّةً جَمَاعَةُ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنٍ» - كَانَ لَهُمُ السَّبْقُ فِي مَسَائِلِ عَدِيدَةٍ وَحَيَوِيَّةٍ مِنْهَا التَّصْنِيعُ، وَلَكِنْ فِي مَجَالِ ضَيْقٍ وَهُوَ تَصْنِيعُ الْمُتَفَجَّرَاتِ مَعَ تَطْوِيرٍ فِي أَجْهَزَةِ التَّحَكُّمِ عَنْ بُعْدٍ، وَقَضَايَا تَدْرِيْبِيَّةٍ عَدِيدَةٍ بَلَغَ بَعْضُهَا شَأْنًا مُحْتَرَمًا.

كَانَ ذَلِكَ ضِمْنَ مَوْضُوعَاتٍ خَرَجَتْ عَنْ نِطَاقِ الْحِصَارِ وَالسَّيْطِرَةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَى الشَّاطِطِ الْعَرَبِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

المُسْتَشْفِيَّاتُ الْمِيدَانِيَّةُ:

كَانَتْ مِنْ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي أَثَارَتَهَا لَجِئْتُنَا الْمُوقَّرَةُ وَخَطَّتْ فِيهَا خُطُوبَاتٍ صَغِيرَةً أَثَارَتْ حَمَاسَ الْبَاقِينَ حَتَّى أَصْبَحَتْ الْخِدْمَةُ الطَّبِيَّةُ الَّتِي قُدِّمَتْ إِلَى الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ - كَمَا أَعْتَقِدُ - هِيَ الْأَفْضَلُ مِنْ نَوْعِهَا لِأَيِّ حَرْبٍ عَصَابَاتٍ فِيهَا مَضَى.

لَقَدْ أَنْشَأْنَا عِدَّةَ عِيَادَاتٍ صَغِيرَةٍ لِلْغَايَةِ، أَكْثَرُهَا يَعْتَمِدُ عَلَى مُمَرِّضٍ مُتَنَقِّلٍ

وإمكانية بدائية لنقل الجرحى، لكنّ تعمل قريباً جداً من الخطّ الأوّل. وكانت الوكالة الإسلامية للإغاثة «إسرا» هي أوّل من تبنى ذلك التوجه في العمل الطّبيّ وجعله لصيقاً بالعمل الجهادي. وبعد ذلك تقدّمت الهيئات العربيّة الأكثر قدرة وعمِلت ما يُمكنُ اعتباره الكثير، وقامت المؤسسات الصّليبيّة بالمنافسة في نفس المجال، وكانت أوسع انتشاراً جغرافياً لأنها لم تضع لنفسها تلك الحدود التي رسمتها الهيئات العربيّة حول عملها، مثل الشُّروط العقائديّة، أي اشتراط صحّة العقيدة قبل تقديم الخدمة الإغاثيّة. أو الشُّروط السياسيّة، مثل ضرورة موافقة «سياف» على المشروع ومكانه، وشخصيات الأفراد والتجمّعات التي يُمكنها الاستفادة منه. وقد تساقطت بعض هذه الشُّروط مع الوقت.

البند السابع: [الاستنزاف وحرب العصابات]:

من مقترحات التطوير يكاد أن يكون أخطر المقترحات وأكثرها استحالة على التنفيذ لأنه من اختصاص الكبار، وليس من اختصاص «الأدوات» التي تُنفذ حرباً بالوكالة من أمثال «حضرَاتنا» من المجاهدين المتحمسين.

لقد تحمّس بعض الصّغار للفكرة، ووصفها قادة الأحزاب - خاصة «سياف» - بأنها مؤامرة أمريكية - روسيّة لإفشال الجهاد!!

بعد عدّة أشهر من كتابة التقرير تناقشت مطوّلاً مع الرائد «رشيد» في

مُعَسِّكَرٍ «قَيْسٍ» الْحُدُودِيِّ. وَكَانَ لَدَيْهِ تَصَوُّرٌ اسْتِرَاتِيغِيٌّ مُفَصَّلٌ قُتِمَتْ بِتَسْجِيلِهِ وَصِيَاغَتِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ أُطْلِعَتْ عَلَيْهِ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» طَالِبًا مِنْهُ عَدَمَ تَصَوُّيرِهِ لِأَنَّهُ بِخَطِّ الْيَدِ، حَتَّى نَقُومَ بِطَبَاعَتِهِ أَوْلًا. وَلَكِنَّ مُسَاعِدَهُ «أَبَا أَكْرَمٌ» قَامَ بِتَصَوُّيرِهِ وَعَرَضَهُ عَلَى «سَيَّافٍ» الَّذِي وَصَفَهُ بِأَبْشَعِ النُّعُوتِ وَأَنَّهُ أَخْطَرُ الْمُؤَامِرَاتِ، وَقَالَ إِنَّهُ «مَنْشُورٌ» مُوجَّهٌ ضِدَّهُ شَخْصِيًّا. وَلَكِنْ بَعْدَ حَوَالِي عَامَيْنِ قَامَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» بِنَشْرِ مُعْظَمِ ذَلِكَ التَّقْرِيرِ فِي مَجَلَّةِ «الْجِهَادِ» الَّتِي يُشْرِفُ عَلَيْهَا - وَلَمْ يُشْرَ بِالطَّبَعِ إِلَى مَنْ أَعَدَّ التَّقْرِيرَ - وَقَالَ إِنَّ لَهُ بَعْضَ التَّحْفُظَاتِ عَلَى تِلْكَ الدِّرَاسَةِ. أَظُنُّهُ يَعْنِي الْجَانِبَ السِّيَاسِيَّ الَّذِي يُدِينُ الْإِتِّحَادَ وَ«سَيَّافٍ» وَالْمُنْظَمَاتِ وَالسُّعُودِيَّةِ...، وَلَكِنَّهُ يُشِيدُ بِرُوحِ التَّجْدِيدِ وَالْعُمُقِ فِيهَا، وَيَطْلُبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْإِهْتِمَامَ بِتِلْكَ الدِّرَاسَاتِ. لَمْ يُشْرَ بِالطَّبَعِ إِلَى أَنْ أُسْلُوبَهَا غَيْرُ إِسْلَامِيٍّ، وَأَنَّهَا ذَاتَ طَابَعٍ مَادِّيٍّ يُوحِي بِأَنَّ وِرَاءَهَا شَيْعُوْعِيُونَ أَوْ عِلْمَانِيُونَ كَمَا قَالَ بَعْضُ جَهَابِدَةٍ «بِشَاوَرٍ» مِنَ الْعَرَبِ.

الطَّرِيفُ أَنَّ «أَبَا أَكْرَمٍ» - وَكَانَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» قَدْ اسْتَدْعَاهُ مِنْ الْأُرْدُنِّ كَيْ يَسْتَفِيدَ مِنْ خِبْرَاتِهِ الَّتِي اِكْتَسَبَهَا مَعَ مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ كَمُدْرَبٍ وَمَسْئُولٍ طِبِّيٍّ - قَدْ غَادَرَ بَاكِسْتَانَ غَاضِبًا، وَقَالَ لِي بِالنِّصِّ: «هُؤْلَاءِ الْقَادَةُ خُبْتَاءٌ، وَاللَّهُ إِنْ حِذَاءَ «يَاسِرِ عَرَفَاتٍ» أَشْرَفَ مِنْ أَكْبَرِ لِحْيَةٍ فِيهِمْ». كَانَتْ تِلْكَ لِحْظَةً نَادِرَةً مِنْ لِحْظَاتِ الصِّدْقِ مَعَ الذَّاتِ.

وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ تَنْفِيدُ سَطْرٍ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الدَّرَاسَةِ الْقِيَمَةِ لَا قَبْلَ نَشْرِهَا وَلَا بَعْدَ ذَلِكَ، رُغْمَ أَنَّ «سَيَّاف» اقْتَبَسَ بَعْضَ مَا بِهَا مِنْ تَعْبِيرَاتٍ جَدِيدَةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً إِطْلَاقًا فِي سَاحَةِ «بِيشاور» الْمَلِيَّةِ بِالْعِبَارَاتِ الْإِنْشَائِيَّةِ الطَّنَائَةِ. فَبَدَأَ يَتَكَلَّمُ عَنْ «مَرَّاحِلِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ»، وَكَيْفَ أَنَّهُ الْآنَ فِي مَرِحَلَةٍ كَذَا، وَقَدْ أَنْهَى مَرِحَلَةَ كَذَا... فَهَتَفَ وَكَبَّرَ لَهُ مُرِيدُوهُ الَّذِينَ يُطْرِبُهُمُ الْكَذِبُ، خَاصَّةً إِذَا جَاءَ مِنْ زَعِيمِ ذِي لِحْيَةٍ عَظِيمَةٍ.

البند الثامن:

تَكْدِيسُ أَكْبَرِ كَمِيَّةٍ مُمَكِّنَةٍ مِنَ الذَّخَائِرِ وَالْوَجَبَاتِ الْجَافَّةِ دَاخِلَ الْجَبَهَاتِ لِتَحْقِيقِ الْاِكْتِفَاءِ الذَّاتِيِّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ. هَذَا الْبَنْدُ يَفْقَدُ الْكَثِيرَ مِنْ مَعْنَاهُ مَا لَمْ يَرْتَبِطْ بِاسْتِرَاتِيجِيَّةٍ لِلْعَمَلِيَّاتِ لِتَحْدِيدِ الْمَنَاطِقِ وَالْكَمِّيَّاتِ وَالْأَنْوَاعِ الْمَطْلُوبَةِ طَبَقًا لِلبَرْنَامِجِ الْعَسْكَرِيِّ.

وَبِالتَّالِي لَمْ يَكُنْ الْمُجَاهِدُونَ قَادِرِينَ عَلَى الْقِتَالِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْ تَنْفِيدِ بَرَامِجٍ وَاسِعَةٍ قَدْ تُؤَدِّي إِلَى قَلْبِ مَوَازِينِ الْقُوَى لِصَالِحِهِمْ. لِذَا كَانَ مِنَ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ بِلا انْتِصَارٍ عَسْكَرِيٍّ بَعْدَ مُصَالِحَةٍ سِيَاسِيَّةٍ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْمُخَطَّطَ أَنْهَارَ بِسَبَبِ نَجَاحِ الْمُجَاهِدِينَ فِي اقْتِحَامِ مَدِينَةِ «خُوسْت»، وَلِعَوَامِلٍ أُخْرَى سَوْفَ نَذْكُرُهَا فِي وَقْتِهَا.

البند التاسع:

استُخْدِثَ بَرْنَامِجٌ اتِّصَالَاتٍ بَيْنَ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ. حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ أَجْهَزَةُ اللَّاسِلِكِيِّ الْكَبِيرَةِ تُسْتَخْدَمُ بِنُدْرَةٍ. أَمَّا الْأَجْهَزَةُ الصَّغِيرَةُ لِلاتِّصَالِ الْقَرِيبِ بَيْنَ الْمَجْمُوعَاتِ فَلَمْ أَرَهَا فِي الْجَبَهَاتِ إِلَّا فِي عَامِ ١٩٨٥ م. وَكَانَتْ مَعَنَا فِي مَجْمُوعَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ آنَذَاكَ، وَكَانَتْ فَاشِلَةً تَمَامًا وَخَرَجَتْ مِنَ الْخِدْمَةِ بِسُرْعَةٍ. وَلَكِنَّ الْعَرَبَ أَدْخَلُوهَا بِكَثْرَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَنَشَرُوهَا فِي مُعْظَمِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَعَلَى نَفَقَتِهِمْ الْخَاصَّةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ مِنْ مُسَاهِمَاتِهِمْ الْقَلِيلَةِ وَلَكِنَّ كَثِيرَةَ النِّفْعِ وَالْمُعَاكَسَةِ لِلْخُطَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي تَحْجِيمِ الْمُجَاهِدِينَ بِطُرُقٍ شَتَّى.

البند العاشر:

اقتِراحُ تعاونٍ بَيْنَ الْجَبَهَاتِ لِمَنْعِ الْعَدُوِّ مِنَ الْاِنْفِرَادِ بِجَبَهَةٍ وَتَصْفِيَّتِهَا. وَهَذَا أَيْضًا اقْتِراحٌ لَمْ يَرَ النُّورَ عَلَى الْإِطْلَاقِ طَوَالَ فِتْرَةِ الْحَرْبِ. بَلْ إِنَّ الْعَكْسَ [هُوَ مَا] قَدْ حَدَثَ.

فَإِذَا نَجَحَ الْمُجَاهِدُونَ فِي قِطَاعٍ مَّا فَإِنَّ الْغَيْرَةَ - أَوْ التَّأَمَّرَ - يَدْفَعُ آخِرِينَ لِفَتْحِ الطُّرُقِ أَمَّا نَجْدَاتِ الْعَدُوِّ كَيْ تَهَاجِمَ «إِخْوَانَهُمُ الْمُجَاهِدِينَ» وَاسْتِعَادَةَ التَّوَاظُنِ فِي الْمَنْطِقَةِ. وَحَوَادِثُ مِنْ هَذَا النُّوعِ لَا تَكَادُ تُحْصَى. وَفِي ظَنِّي أَنَّ تِلْكَ الْخِيَانَاتِ لَمْ تُرْتَكَبْ عَلَى مُسْتَوَى قَادَةِ صِغَارٍ أَوْ كِبَارٍ دَاخِلِ الْجَبَهَاتِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا عَلَى مُسْتَوَى قَادَةِ الْأَحْزَابِ، وَبِالطَّبَعِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُرْتَبِطٌ بِوَتِيرَةٍ

تَصَاعُدِ الْحَرْبِ وَخُطُوبِهَا الْحَمْرَاءَ الَّتِي تَرَعَاهَا الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ بِوَاسِطَةِ
بَاكِسْتَانِ.

فَلَمْ يَكُنْ مَطْرُوحًا لِلْبَحْثِ مُجَرَّدُ احْتِمَالِ انْتِصَارِ الْمُجَاهِدِينَ عَسْكَرِيًّا،
وَإِنَّمَا خَطَرَ فِي ذَهْنِ الْجِنْرَالِ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» أَنْ يَقْفِزَ فَوْقَ ذَلِكَ الْحَاجِزِ عَامَ
١٩٨٨ مِ اغْتَالَهُ أَصْدِقَاؤُهُ الْأَمْرِيكَانِ وَأَعْدَاؤُهُ الرُّوسُ فِي أَوَّلِ عَمَلِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ
لَهُمْ - عَلَى حَدِّ عِلْمِي آنَذَاكَ - فِي فَتْرَةِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ أَوَّلَ
نَمُودَجٍ لِتَعَاوُنِهِمَا الْمُشْتَرَكِ فِي فَتْرَةٍ مَا بَعْدَ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ أَوْ النِّظَامِ الدُّوَلِيِّ
الْجَدِيدِ كَمَا أَسْمَاهُ الْأَمْرِيكَانُ.



نَحْوَلَاتٍ جَدِيدَةٍ:

عَادَ «حَقَّانِي» إِلَى «أَبُو ظَبِي» بَعْدَ انْتِهَاءِ مَوْسِمِ الْحَجِّ وَهُوَ مُتَّفَائِلٌ حَيْثُ
لَمَسَ تَجَاوُبًا وَاتِّجَاهًا مَلْمُوسًا لِلتَّحَرُّكِ نَحْوِ الدَّاخِلِ، وَزِيَادَةَ الْوَعْيِ لَدَى كِبَارِ
الْإِنْتِصَارِ الْعَرَبِ بِسَلْبِيَّاتِ «بِيشَاوَر» وَخُطُورَتِهَا؛ فَقَدْ تَقَابَلَ هُنَاكَ مَعَ الدُّكْتُورِ
«عَبْدِ اللَّهِ عَزَّام» وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحَاتِ الْجَدِيدَةَ، وَأَبْدَى الرَّجُلُ تَفَهُُّمًا
وَحَمَاسًا لِلتَّوَجُّهِ ذَاتِهِ، وَكَذَلِكَ الشَّيْخُ «أَبُو بَكْرٍ الْجَزَائِرِيِّ» الَّذِي رَوَّجَ لِنَفْسِ
الِاتِّجَاهِ الَّذِي وَعَدْنَا بِهِ فِي «بِيشَاوَر»، وَلَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ «أَسَامَةَ بْنَ لَادِنَ» وَقَتَّهَا،
وَرُبَّمَا كَانَ اسْمُهُ مَجْهُولًا لَدَيْنَا، وَلَكِنَّهُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَالِ وَالنُّفُودِ

وَالْحَمَّاسِ قَدْ وَصَلَتْهُمْ أَصْدَاءُ تِلْكَ النَّدَاءَاتِ.

وَقَدْ فَاتَحَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» وَ «أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ» «سَيَّافَ» فِي بَدءِ الْعَمَلِ فِي ذَلِكَ الْاِتِّجَاهِ بِالشُّكْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سَابِقًا. وَرَجَعَ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» إِلَى «بِشَاوَرَ» كَيْ يَبْدَأَ بَرْنَامَجَهُ الْجَدِيدَ. أَمَّا «حَقَّانِي» فَكَانَتْ جُهُودُهُ فِي الْإِمَارَاتِ قَدْ قَطَعَتْ شَوَاطِئَ بَعِيدًا. وَلَمَّا كَانَتْ أَضْوَاءُ الشُّعُودِيَّةِ كُلِّهَا مُسَلَّطَةً عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَالْجِهَادِ، طَبَقًا لِلْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ، أَقْلَعَتْ دَوْلَةُ الْإِمَارَاتِ خَلْفَ الْمَمْلَكَةِ وَأَضَاءَتْ أَيْضًا جَمِيعَ الْأَضْوَاءِ الْخَضِرَاءِ.

وَتَقَابَلَ رَئِيسُ الدَّوْلَةِ الشَّيْخُ «زَايِدَ» مَعَ «حَقَّانِي»، وَتَلَاَقَتِ الطَّبِيعَةُ الصَّحْرَاوِيَّةُ الْجَافَّةُ بِالطَّبِيعَةِ الْجَبَلِيَّةِ الصَّلْدَةِ وَالْجَسُورَةِ. وَأُظُنُّ أَنَّ «زَايِدَ» كَانَ يَشْعُرُ أَنَّ «حَقَّانِي» صَدِيقُهُ وَيَكُنُّ لَهُ احْتِرَامًا خَاصًّا. وَقَدْ اسْتَطْلَعَ مَوْقِفَهُ بِشَأْنِ الْبَحْثِ عَنِ حَلِّ سِيَاسِيٍّ لِلْحَرْبِ مَعَ الشُّوْفِيَّةِ، وَفَاجَأَهُ مَوْقِفُ «حَقَّانِي» وَثِقْتَهُ فِي نَصْرِ عَسْكَرِيٍّ. وَكَانَ سُكَّانُ الْإِمَارَاتِ - وَأُظُنُّ أَيْضًا بَدَوُ الْجَزِيرَةِ كُلِّهِمْ - فِي حَالَةٍ دَهْشَةٍ وَأَنْبَهَارٍ وَإِعْجَابٍ بِهَؤُلَاءِ الْأَفْغَانَ الْجَبَلِيِّينَ وَشَجَاعَتِهِمْ الْأُسْطُورِيَّةِ فِي الْقِتَالِ ضِدَّ الرُّوسِ. وَخَاطَبَ ذَلِكَ فِطْرَةَ كَامِنَةً وَتَارِيخًا بَعِيدًا يَوْمَ أَنْ كَانَ بَدَوِيُّ الْجَزِيرَةِ رَجُلًا حُرًّا وَشَجَاعًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَطْفَحَ عَلَيْهِ النَّفْطُ الْأَسْوَدُ اللَّزِجُ فَيَطْفِئُ فِيهِ كَثِيرًا مِنْ أَنْوَارِ الْفِطْرَةِ وَإِشْرَاقِ الْإِسْلَامِ.

تَقَابَلَ «حَقَّانِي» بِصِفَتِهِ الْاِتِّحَادِيَّةِ كَنَائِبٍ لِرَئِيسِ اللَّجْنَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلْاِتِّحَادِ

الإسلاميِّ لمجاهدي أفغانستان، تقابلَ معَ عددٍ من حُكَّامِ الإماراتِ وكبارِ المسؤولينِ في الدَّولةِ، وألقى مُحاضرةً في «لِوَاءِ البَدْرِ» في «رَأْسِ الخَيْمَةِ»، حَضَرَهَا عددٌ كَبِيرٌ مِنَ الضُّبَّاطِ، وَتَكَلَّمَ «حَقَّانِي» مِنْ نَاحِيَةِ إِسْلَامِيَّةٍ قِتَالِيَّةٍ عَنِ المَعَارِكِ مَعَ السُّوفِيَّةِ وَالتَّوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَقَاطَعَهُ الضُّبَّاطُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِالهِتَافِ وَالتَّكْبِيرِ.

كَانَتْ مُفَاوِضَاتٌ وَمَطَالِبٌ «حَقَّانِي» تَدُورُ فِي إِطَارِ صِفَتِهِ الاتِّحَادِيَّةِ وَوَأفَقَ مَعَهُ «زَايِدٌ» عَلَى عِدَّةِ خُطُوبَاتٍ «ثُورِيَّةٍ» لِخِدْمَةِ الشَّعْبِ الأَفْغَانِيِّ، وَفَقَّأ لِمُقْتَرِحَاتٍ «حَقَّانِي». فَمَثَلًا وَافَقَ عَلَى إِعْطَاءِ مَكْتَبٍ مَجَّانِيٍّ لِلاتِّحَادِ مَعَ تَسْهِيلَاتٍ لِهَذَا المَكْتَبِ. وَوَأفَقَ عَلَى سِيَّاسَةِ اسْتِقْدَامِ عَمَالَةٍ أَفْغَانِيَّةٍ لِلعَمَلِ فِي الإِمَارَاتِ بِمَا يَخْدُمُ قَضِيَّةَ دَعْمِ الأَسْرِ المُحْتَاجَةِ وَالمُتَضَرِّرَةِ وَأَسْرِ المُجَاهِدِينَ طَبَقًا لِلوَائِحِ عَمَالَةٍ يُجَهِّزُهَا قِسْمُ عُمَالِيٍّ فِي مَكْتَبِ الاتِّحَادِ بِالدَّوَلَةِ. وَكَانَ عَلَى وَشِكِّ المُوَافَقَةِ - أَوْ أَنَّهُ وَافَقَ فِعْلًا - عَلَى مَنَحِ مَكْتَبِ الاتِّحَادِ بِالدَّوَلَةِ الحَقَّ فِي الحُصُولِ عَلَى «مُسْتَهْلَكَاتِ جَيْشِ الإِمَارَاتِ» مِنَ المَلَابِسِ، وَالبَحْثِ لِأَحِقًّا فِي مَوْضُوعِ المُعِدَّاتِ، وَكَانَتْ مَعْلُومَاتُنَا تُفِيدُ بِأَنَّ تِلْكَ المُسْتَهْلَكَاتِ تَكْفِي وَتَنفِيضُ عَنْ حَاجَةِ المُجَاهِدِينَ فِي المَلَابِسِ وَالأَحْدِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

كَانَتْ تِلْكَ المُوَافَقَاتُ السَّخِيَّةُ وَغَيْرُهَا فِي انْتِظَارِ عَوْدَةِ «حَقَّانِي» حَتَّى يُرَاجِعَ «زَايِدًا» بِشَأْنِهَا وَيَحْصُلَ مِنْهُ عَلَى قَائِمَةٍ مُوقَّعَةٍ مِنْ طَرَفِهِ لِلدَّوَائِرِ

المُخْتَصَّةِ.

أَعْوَانُ «سَيَّافٍ» مِنَ الْعَرَبِ «الإِخْوَانِ» وَمَكَاتِبُ «سَيَّافٍ» فِي الإِمَارَاتِ لَمْ يُعْجِبَهَا هَذَا التَّقْدِيمُ الَّذِي أَحْرَزَهُ «حَقَّانِي»، خَاصَّةً وَأَنَّ اتِّصَالَاتِ «سَيَّافٍ» بِهِمْ تُرَكِّزُ مِنْذُ مَوْسِمِ الْحَجِّ عَلَى أَنَّ «حَقَّانِي» أَصْبَحَ خَارِجًا عَلَى الْإِتِّحَادِ، بَلْ وَيَعْمَلُ عَلَى هَدْمِهِ. وَأَنَّهُ بِصَدَدِ تَنْفِيذِ «مُؤَامَرَةٍ» لِتَكْوِينِ حِزْبٍ خَاصٍّ بِهِ يَجْمَعُ حَوْلَهُ أَنْصَارَهُ وَ «الْمَوْلَوِيَّةِ» الْآخِرِينَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ. وَأَنَّ خَلْفَ «حَقَّانِي» تَقِفُ مَجْمُوعَةٌ مَشْبُوهَةٌ مِنَ الْعَرَبِ الْعَمَلَاءِ، وَمُعْظَمُهُمْ فِي «أَبُو ظَبِّي»، وَعَلَى رَأْسِهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ - عَنِّي وَعَنْ «الْمِنْيَاوِيِّ» -.

لَمْ يَكْتَفِ «سَيَّافٍ» بِذَلِكَ بَلْ أَرْسَلَ مِنْ «بِشَاوَرٍ» تِلْكَسَ إِلَى مَنْدُوبِهِ فِي «أَبُو ظَبِّي»، وَيُدْعَى «خَانَ مُحَمَّدٍ»، يُطَالِبُهُ فِيهِ بِتَحْوِيلِ ذَلِكَ التِّلْكَسِ إِلَى الدِّيْوَانِ الْأَمِيرِيِّ. وَيَقُولُ فِيهِ بِالنَّصِّ: «الإِخْوَةُ الْأَعْرَاءُ، أَيُّ شَخْصٍ يَأْتِي إِلَيْكُمْ يَطْلُبُ الْمُسَاعَدَةَ لِلْمُجَاهِدِينَ فِيمَا عَدَا مَنْدُوبِنَا «خَانَ مُحَمَّدٍ» فَإِنَّهُ يَأْخُذُ هَذِهِ الْمُسَاعَدَاتِ لِنَفْسِهِ. وَنَحْنُ نَرْجُوكُمْ أَنْ تَوْجَّهُوا كُلَّ مُسَاعَدَاتِكُمْ لَنَا مِنْ خِلَالِ «خَانَ مُحَمَّدٍ». الْمُخْلِصُ بُرُوفُوسِير (أ. ر. سَيَّافٍ) رَئِيسُ الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ».

أَحْدَثَ التِّلْكَسُ ضَجَّةً فِي «أَبُو ظَبِّي» وَالْإِمَارَاتِ، وَسَعَى بِهِ مَنْدُوبُ «سَيَّافٍ» وَبَعْضُ أَنْصَارِهِ مِنَ الْعَرَبِ «الإِخْوَانِ»، وَطَافُوا بِهِ لَدَى كُلِّ مَنْ يَهْمُهُ

أمر أفغانستان، وكانت إهانةً واضحةً لـ «حقاني»، ولكنها أضرت بالموقف العام من الأفغان وهزت الثقة بهم، فإذا كان «حقاني» ليس موثوقاً لدى رئيس الاتحاد، فمن يكون موثوقاً؟ هذا لأن «حقاني» معروف في الإمارات منذ سنوات طويلة بأنه واحد من أشهر قادة الجبهات المقاتلين، بينما «خان محمد» مندوب «سياف» شخص يتمتع بسمعة سيئة لدى الأفغان أنفسهم. باقي مندوبي الأحزاب لدى الدولة فسروا التلّكس أنه موجهٌ ضدهم أيضاً، وأنه سوف يضر بعملهم، وربما وضعهم تحت طائلة القانون بصفتهم مُحْتالين.

انتقل التوتّر إلى أكبر مركزٍ للأفغان في الإمارات، وهو المنطقة الصناعية في «العين»، التي تأتي عدّة آلافٍ من «الباتان» في أحد أحياء «الصفّيح» التي لا تدخلها الشرطة إلا بإذنٍ مسبقٍ. الحرب الأهلية بين أعوان المنظمات والدائرة على أشدها في شمال أفغانستان وحول «كابل» كادت أن تنتقل إلى المدينة الصناعية وغيرها من تجمّعات الأفغان.

بدل «حقاني» جهوده لتفادي الأزمة، وعقد اجتماعاً في «أبو ظبي» مع جميع المندوبين لوضع ميثاق عملٍ وتكوين لجنةٍ واحدة تنطق باسم الأفغان، حتى لا يفقد الجميع مصداقيتهم، وأن تكون رئاسة اللجنة بالتناوب بين المندوبين، وأن يُشرف على اللجنة مجموعة من العرب المتعاطفين، مع

مَنْدُوبٍ مِنْ وَرَارَةِ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ الْوَرَارَةُ الَّتِي تَتَعَامَلُ مَعَهُمْ رَسْمِيًّا. عَلَى أَنْ تَكُونَ تِلْكَ اللَّجْنَةُ بَعِيدَةً عَنِ الْحَزْبِيَّةِ وَخِلَافَاتِ «بِشَاوَرٍ»، وَأَنْ تَعْمَلَ وَفَقًا لِمِيثَاقِهَا الدَّاخِلِيِّ لِخِدْمَةِ الْمُجَاهِدِينَ كَافَّةً.

وَتَمَّتْ كِتَابَةُ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ الَّذِي يُنظَّمُ اللَّجْنَةُ الْمُوَحَّدَةَ، وَنُوقِشَتْ مَعَ مُدِيرِ مَكْتَبِ وَزِيرِ الْأَوْقَافِ، وَأَقْرَأَهَا الْمَنْدُوبُونَ بِالْإِجْمَاعِ. وَلَكِنْ مَا أَنْ سَافَرَ «حَقَّانِي» إِلَى «بِشَاوَرٍ» حَتَّى نَقَضَ مَنْدُوبُ «سَيَّافٍ» الْعَهْدَ بِأَوْامِرٍ مِنْ «سَيَّافٍ» كَمَا قَالَ، وَتَمَسَّكَ بِصِفَتِهِ الرَّسْمِيَّةِ كَمَنْدُوبٍ لِلاتِّحَادِ الشَّرْعِيِّ فِي «بِشَاوَرٍ».

انْفَضَّتِ اللَّجْنَةُ وَبَدَأَتْ الْحَرْبُ الْبَارِدَةُ بَيْنَ مَنْدُوبِي الْأَحْزَابِ وَمَكَاتِبِهِمُ الَّتِي انْتَشَرَتْ مِثْلَ حَبَّاتِ الْجُدْرِيِّ عَلَى جِلْدِ الْإِمَارَاتِ، فَأَثَارُوا دَهْشَةً الْأَصْدِقَاءِ وَالْغَمَزِ وَاللَّمَزِ مِنَ الْأَعْدَاءِ الشَّامِتِينَ. شَهِدَتْ تِلْكَ الْمَكَاتِبُ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَالِاخْتِلَاسَاتِ، وَاحْتَرَفَ بَعْضُ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا لُغْبَةَ الْجِبَابِيَّةِ لِصَالِحِ أَحْزَابِ «بِشَاوَرٍ» مُقَابِلَ عُمُولَةٍ عَالِيَةٍ. وَإِذَا شَكَّتْ «بِشَاوَرٍ» فِي أَمَانَةِ أَحَدِهِمْ انْتَقَلَ لِلْعَمَلِ كَمَنْدُوبٍ لِحِزْبٍ آخَرَ. فَتَنَقَّلَ مُعْظَمُهُمْ بَيْنَ الْأَحْزَابِ السَّبْعَةِ يَحْضُلُونَ فِيهَا عَلَى خِطَابَاتِ تَرْكِيَّةٍ لَدَى السُّلْطَاتِ وَيُبَاشِرُونَ جَمْعَ الْأَمْوَالِ وَتَوَزِيعَ مَجَلَّاتِ الْجِهَادِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَحْزَابِهِمْ، مَعَ أَخْبَارِ الْجَبَبَاتِ الَّتِي تَنْسُبُ كُلَّ مَا يَحْدُثُ مِنْ قِتَالٍ إِلَى الْحِزْبِ الَّذِي يَحْمِلُونَ بِطَاقَةَ تَرْكِيَّةٍ صَادِرَةً عَنْهُ.

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَى الْإِمَارَاتِ، بَلْ إِنَّ الْإِمَارَاتِ كَانَتْ أَكْثَرَ
الْمَنَاطِقِ انْضِبَاطًا إِذَا مَا قِيسَتْ بِغَيْرِهَا فِي الْخَلِيجِ، حَيْثُ دَخَلَ الْعَدِيدُ مِنَ
الْمَنْدُوبِينَ فِي الْأَعْمَالِ التِّجَارِيَّةِ وَالْاِسْتِثْمَارِ الْخَاصِّ.

اِخْتِصَارًا [فَقَدْ] نَفَسَى الْفَسَادُ فِي الْعَمَلِ الْأَفْغَانِيِّ لِيَطْفَحَ فِي «بِشَاوَر» إِلَى
الْأَمَامِ نَحْوِ الْجَبَهَاتِ، وَإِلَى الْخَلْفِ حَيْثُ مَنَاطِقِ جَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ. كَانَتْ
مَدْرَسَةً وَاحِدَةً لِلْمُتَاجِرَةِ بِالشَّعَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُقَابِلَ قُوَّةِ الْمَالِ وَالْقُوَّةِ
السِّيَاسِيَّةِ.

وَلَا بُدَّ أَنْ نَذْكَرَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَبَهَاتِ كَانَتْ تَحْوِي فِئَةً مِنَ الْمُخْلِصِينَ
الَّذِينَ يَنْدُرُ أَمْثَالُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْخُطُوطَ الْمَالِيَّةَ فِي الْخَلِيجِ قَدْ حَوَتْ
قَلَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا. وَلِلْأَسَفِ فَإِنَّ الْخُبْثَ كَانَ هُوَ الَّذِي يَتَزَايِدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ،
وَعَلَى جَمِيعِ الْمَحَاوِرِ.

وَالطَّرِيفُ أَنَّهُ حَتَّى الْآنَ - وَنَحْنُ فِي الْعَامِ الثَّلَاثِ لِلْفِتْنَةِ فِي «كَابُل» - فَإِنَّ
الْعَدِيدَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَنْدُوبِينَ مَا زَالَ يَجْمَعُ التَّبَرُّعَاتِ مِنَ الْخَلِيجِ بِدَعْوَى
مُوَاصَلَةِ الْجِهَادِ ضِدَّ الطَّرْفِ الْآخِرِ الَّذِي خَانَ الْإِسْلَامَ وَتَحَالَفَ مَعَ
الشُّيُوعِيِّينَ !!



مَطْلُوبٌ لِلْقَتْلِ:

لَمَّا كَانَتْ دَعْوَتُنَا تَرْتَكِزُ عَلَى ضَرُورَةِ تَوَاجُدِ الْعَرَبِ فِي قَلْبِ الْعَمَلِيَّةِ الْجِهَادِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، لِلْمُشَارَكَةِ وَلِتَصْحِيحِ الْمَسَارِ، فَقَدْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَبْدَأَ أَحَدٌ لِّلْتَفَرُّغِ لِهَذَا الْعَمَلِ. وَأَسْعَدَنِي الْحِطُّ أَنْ أَكُونَ الْمُتَفَرِّغَ الْأَوَّلَ مِنْ قِبَلِ لَجْنَةِ «أَبُو ظَبْيٍ» لِمُسَانَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانِ، وَقَدْ كُنْتُ أَيْضًا الْمُتَفَرِّغَ الْوَحِيدَ مِنْ بَيْنِ أَعْضَاءِ اللَّجْنَةِ. فَقَدَّمْتُ اسْتِقَالَتِي مِنْ جَرِيْدَةِ «الْفَجْرِ» الَّتِي فَضَيْتُ بِهَا أَمْتَعَ سِنَوَاتِ حَيَاتِي الْعَمَلِيَّةِ فِي الْإِخْرَاجِ الصَّحْفِيِّ، وَاتَّفَقْتُ مَعَ جَرِيْدَةِ «الْإِتِّحَادِ» عَلَى أَنْ أَمْدَهُمْ بِالْمَقَالَاتِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَهَذَا مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ مُنْذُ عَامِ ١٩٧٩ م، وَلَكِنْ بَدَايَةٌ مِنْ عَامِ ١٩٨٥ م بَدَأْتُ فِي نَشْرِ تِلْكَ الْمَقَالَاتِ بِاسْمِي، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَنْشُرُهَا سَابِقًا بِلَا تَوْقِيْعٍ.

لَقَدْ اعْتَبَرْتُ نَفْسِي مُنْذُ الرَّحْلَةِ الْأُولَى إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ قِسْمًا إِعْلَامِيًّا لِلْمُجَاهِدِينَ عَامَّةً، وَلَكِنْ لَيْسَ لِصَالِحِ حِزْبٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ فَرْدٍ، إِلَّا فِيمَا يُحَقِّقُ كُلُّ طَرَفٍ مِنْ مَصْلَحَةٍ عَامَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْجِهَادِ طِبْقًا لِمَا أَظُنُّهُ صَحِيْحًا.

كَانَ مِنَ الْمُقَرَّرِ أَنْ تُنْظَمَ قَاعِدَةُ الْعَمَلِ فِي «بِيْشَاوَر»، فَلَا بُدَّ مِنْ مَقَرٍّ أَوْ مَكْتَبٍ وَمَجْمُوعَةٍ مِنَ الشَّبَابِ. أَمَّا اتِّصَالَاتُ الدَّخْلِ وَمَشَارِيْعُهُ فَبَدَأْتُ مِنْ نَفْسِ الْخِيُوطِ الَّتِي تَجَمَّعَتْ لِمَشْرُوعِ «بَاكْتِيَا».

كَانَتْ مِيْزَانِيَّةُ الْعَمَلِ مُتَوَاضِعَةً جِدًّا، وَلَكِنْ خَطَّتْنَا مَبْنِيَّةً عَلَى دِرَاسَةِ

المَشَارِيعِ الْمُقْتَرَحَةِ، ثُمَّ إقْنَاعِ الْآخَرِينَ بِتَنْفِيدِهَا، إِمَّا بِأَنْفُسِهِمْ أَوْ بِالِاشْتِرَاكِ مَعَنَا، بِحَيْثُ نَتَوَلَّى عَمَلِيَّةَ الْمُتَابَعَةِ وَالْإِشْرَافِ. لِهَذَا فَقَدْ كُنْتُ أَعْتَبِرُ دَوْرَنَا هُوَ دَوْرُ اسْتِطْلَاعٍ وَتَوَجِيهِ.

كُنْتُ أَظُنُّ - بِتَوَاضُعٍ طَبْعًا - أَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَى إِجْرَاءِ بَحْثٍ أَدَقٍّ وَأَشْمَلٍ، وَالنَّفَازِ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيدَانِ الْأَفْغَانِيِّ وَمَشَاكِلِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعَرَبِ الْآخَرِينَ.

الْمِيزَةُ الْكُبْرَى الَّتِي كُنَّا نَمْتَلِكُهَا هِيَ تَحَرُّرُنَا مِنَ الْمُعَوَّقَاتِ الشَّائِعَةِ، مِثْلَ الْإِنْتِمَاءِ الْحِزْبِيِّ أَوْ عِبَادَةِ الشَّخْصِيَّاتِ، أَوْ الْعَاطِفِيَّةِ الْهَائِمَةِ، أَوْ الْعَمَلِ لِجِهَاتٍ رَسْمِيَّةٍ «حُكُومِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامِيَّةٍ». وَمَا سِوَى ذَلِكَ، مَا كُنَّا نَتَمَيِّزُ عَنْ أَحَدٍ، بَلْ كُنَّا نَأْتِي فِي ذَيْلِ الْقَائِمَةِ.

بَعْضُ الْمَزَايَا شَارَكْنَا فِيهَا آخَرُونَ، وَأَهْمُهَا عَتَبَارُ الْعَمَلِ الْقِتَالِيِّ هُوَ صُلْبُ الْجِهَادِ، وَكُلُّ النِّشَاطَاتِ الْأُخْرَى لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَدْفُهَا النِّهَائِيَّ تَقْوِيَةَ الْقِتَالِ وَمُسَانَدَتَهُ. وَبِهَذَا لَا تَكُونُ الْمَشْرُوعَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَوْ الْإِعَاثِيَّةُ أَعْمَالًا تَائِهَةً فِي الْفَضَاءِ، بَلْ مُرْتَبِطَةٌ بِالْخُطَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمَجْهُودِ الْقِتَالِيِّ. وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَشْرُوعَاتُ التَّعْلِيمِ وَالصِّحَّةِ وَالطَّرِيقِ وَالْإِنشَاءَاتِ بِأَنْوَاعِهَا وَالزَّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَاتِ... الخ.

وَقَدْ شَارَكْنَا «أَسَامَةَ بْنَ لَادِنَ» فِي جُزْءٍ مِنْ تِلْكَ الرُّؤْيَا، وَهُوَ التَّقْيِيمُ الْقَائِلُ بِأَنَّ الْقِتَالَ هُوَ صُلْبُ الْجِهَادِ. أَمَّا الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَامُ» وَالْمُؤَسَّسَاتُ الْعَرَبِيَّةُ

فَتَعَامَلْتُ فِي الْغَالِبِ مَعَ تِلْكَ النَّشَاطَاتِ كَجُرِّيَّاتٍ مُنْفَصِلَةٍ، قَدْ تَسَاعَدُ أَحْيَانًا الْمَجْهُودَ الْقِتَالِيَّ. وَلَهُمْ بَعْضُ الْعُذْرِ فِي ذَلِكَ لِكَوْنِ الْعَمَلِ الْقِتَالِيِّ مَجْهُولَ الْاِسْتِرَاطِيَجِيَّةِ «فَهِيَ مُحَبَّأَةٌ بِالْخِزَانَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ»، وَمَا يَظْهَرُ مِنْهُ هُوَ بَعْضُ الْمَعَارِكِ الْمُتَنَازِرَةِ هُنَا وَهُنَاكَ، كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً لَكِنْ بِلاَ سِيَاسَةٍ وَاضِحَةٍ لِلْعَمَلِيَّاتِ.

فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الدُّكْتُور «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّام» يُنْشِئُ مَشْرُوعَهُ الْجَدِيدَ فِي «بِيشَاوَر» تَحْتَ اسْمِ «مَكْتَبِ الْخَدَمَاتِ» مِنْ أَجْلِ أَهْدَافٍ مُتَقَارِبَةٍ مِنْ مَبَادِي عَمَلِنَا، كُنْتُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ أَتَابِعُ عَمَلِنَا السَّابِقَ فِي نَفْسِ الْاِتِّجَاهِ، وَلَا يَدْرِي أَيُّ مَنَا عَنِ الْآخِرِ سِوَى أَخْبَارٍ مُتَنَازِرَةٍ.

كَانَتْ سُمْعَتِي فِي الْحَضِيضِ وَقْتَهَا فِي «بِيشَاوَر»، وَقَدْ وَصَلَنِي تَهْدِيدٌ عَلَى لِسَانِ «سَيَّاف» بِأَنَّهُ سَوْفَ يَقْتُلُنِي إِذَا حَاوَلْتُ الْقُدُومَ إِلَى «بِيشَاوَر»، وَكَذَلِكَ صَاحِبِي «الْمِينَاوِي».

مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّ أَكْثَرَ الْعَرَبِ الَّذِينَ بَدَأُوا يَتَزَايِدُونَ فِي «بِيشَاوَر» لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ سِوَى اسْمِي، إِذَنْ لَوَجَدْتُ مَشَقَّةً كَبِيرَةً وَقْتَهَا وَأَنَا أَتَحَرَّكَ فِي «بِيشَاوَر» عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، لَا خَوْفًا مِنْ تَهْدِيدَاتِ «سَيَّاف»، وَلَكِنْ تَفَادِيًا لِأَنْ يَجْذِبَنَا «سَيَّاف» إِلَى مِيدَانِ الْمُهَاتَرَاتِ الْعَلْنِيَّةِ الَّتِي لَا أَجِيدُهَا وَلَا تَنَاسِبُ عَمَلِنَا.

كَأَنَّا يَسْمَعُونَ اسْمِي وَاسْمَ صَاحِبِي مَقْرُونًا بِمُؤَامَرَةِ غَرَبِيَّةٍ خَبِيثَةٍ لِتَخْرِيبِ
الْإِتِّحَادِ لِصَالِحِ حِزْبِ جَدِيدٍ يَنْشُقُّ عَنْهُ يُقِيمُهُ الْمَوْلَوِيَّةُ «الْعُلَمَاءُ».

قَامَ «الْمِنْيَاوِيُّ» فِي صَيْفِ ٨٤م بِالْإِتِّفَاقِ مَعَ خَمْسَةِ مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ
عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا مَعَنَا «مَكْتَبِ أَبُو ظَنِّي» فِي تَقْدِيمِ الْعَوْنِ لِلْمُجَاهِدِينَ دَاخِلَ
الْجَبَهَاتِ. وَافَقَ الشَّبَابُ وَاسْتَأْجَرَ لَهُمْ «الْمِنْيَاوِيُّ» بَيْتًا فِي «بِيشَاوَر» حَتَّى
يَكُونَ مَقَرًّا لِعَمَلِنَا فِي «بِيشَاوَر».

وَافَقَ الشَّبَابُ تَحْتَ ضَغْطِ ظُرُوفِهِمْ فِي «بِيشَاوَر»، وَالْجَوُّ فِي «بَابِي» الَّذِي
لَمْ يَعُدَّ يُوَافِقُهُمْ. شَارَكُوا فِي قِتَالِ «جَاجِي» حَتَّى مَلُّوا مِنْ أُسْلُوبِهِ الْعَقِيمِ؛
هُجُومٌ عَلَى حِصْنِ «تِشَاوَنِي» الْقَرِيبِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي لَا يَنْتُجُ عَنْهَا شَيْءٌ
سِوَى مَزِيدٍ مِنَ الْجَرْحِ وَالشَّهْدَاءِ.

وَعِنْدَمَا اشْتَدَّتْ الْحَمْلَةُ ضِدَّنَا فِي «بِيشَاوَر» سَمِعَ بِهَا الشَّبَابُ، فَانْسَحَبُوا
مِنَ الْعَمَلِ بِهُدُوءٍ، وَأَنْزَلُوا فِي أَحَدِ الْمَكَاتِبِ التَّابِعَةِ لـ «حَقَّانِي» فِي «بِيشَاوَر».
وَعِنْدَمَا ذَهَبَتْ هُنَاكَ فِي شَهْرِ أُكْتُوبَرِ كَانَ قَدْ تَبَقَّى مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فَقَطْ، مُتَمَيِّزِينَ
فِعْلًا خُلُقًا وَعَقْلًا، لَمْ يَسْتَسِيغُوا مَا يَحْدُثُ فِي «بِيشَاوَر»، وَصَدَمَتْهُمْ صُورَةُ
الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُنْتَظَمَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَفَوْضَى الْعَرَبِ، وَبَعْدَمَا سَمِعُوهُ فِي
«بِيشَاوَر» مَلَأَهُمُ الشُّكُّ فِينَا، وَارْتَابُوا فِي نَوَايَانَا.

بَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ مِنَ الْعَمَلِ وَالنَّقَاشَاتِ الْمُطَوَّلَةِ بَدَأُوا يَتَّقِنُونَ بِمَا نَعْمَلُ،

وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تُمْحَى

شُكُوكُهُ بِالْكَامِلِ، بَلْ بَقِيَتْ كَذَلِكَ رُبَّمَا لِسَنَوَاتٍ. كَانَتْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ
مُكَوَّنَةً مِنْ:



▪ «أَبُو حَفْصِ الْمِصْرِيِّ»^(١) [صُورَةٌ رَقْمَ ٧٦]، وَهُوَ أَوَّلُ

مَنْ قَابَلْتُهُ مِنْ أَفْرَادِ الْمَجْمُوعَةِ، وَأَكْثَرُ أَفْرَادِ

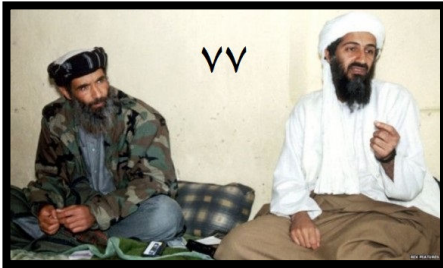
الْمَجْمُوعَةِ تَحَفُّظًا وَشُكُوكًا، وَقَدْ تَحَوَّلَ إِلَى

الْعَمَلِ مَعَ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» مُنْذُ مَعْرَكَةِ «جَاغِي»، وَهُوَ مُجَاهِدٌ حَالِيًا فِي

(١) صُبْحِي عَبْدَ الْعَزِيزِ أَبُو سِتَّةِ الْجَوْهَرِيِّ: وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِ«مُحَمَّدِ عَاطِفٍ» وَأَيْضًا بِالشَّيْخِ «تَيْسِيرِ عَبْدِ
اللَّهِ»، كُنِيَّتُهُ «أَبُو حَفْصِ الْمِصْرِيِّ» وَيُسَمِّيهِ شَبَابُ الْمُجَاهِدِينَ بِ«الْكُومِنْدَانِ» وَهُوَ لَقَبٌ يُطْلَقُ عَلَى
القَائِدِ الْمِيدَانِيِّ فِي الْقَوَاتِ الْخَاصَّةِ فِي اللُّغَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَلَعَلَّ أَصْلَ الْكَلِمَةِ مِنَ التُّرْكِيَّةِ وَتَرَجَّعُ تِلْكَ
التَّسْمِيَةُ لِأَنَّهُ كَانَ الْقَائِدَ الْعَسْكَرِيِّ لِتَنْظِيمِ «قَاعِدَةِ الْجِهَادِ». وُلِدَ فِي مُحَافَظَةِ «إِلْمِينَا» فِي ١٧ يَنَآيِرِ
١٩٥٨م وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَعَمِلَ فِي الشُّرْطَةِ الْمِصْرِيَّةِ ضَمَّنَ قُوَاتِ الْحَرَسِ الْجَامِعِيِّ بِمُحَافَظَةِ
«أَسِيُوطَ»، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى السُّعُودِيَّةِ لِإِدَاءِ الْعُمْرَةِ وَتَوَجَّهَ مِنْهَا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ عَامَ ١٤٠٢هـ وَقَدَّمَ نَفْسَهُ
لِمَكْتَبِ الْأَنْصَارِ التَّابِعِ لِلشَّيْخِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» لِاسْتِقْبَالِ وَإِسْتِقْدَامِ الْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ. كَانَ رَضِيَ اللَّهُ
قِيَادِيًا بَارِزًا فِي تَنْظِيمِ «القَاعِدَةِ» وَأَحَدَ الْمُؤَسِّسِينَ لَهُ وَنَائِبًا لِأَمِيرِ التَّنْظِيمِ الشَّيْخِ «أَسَامَةَ بْنِ لَادِنَ»
بَعْدَ اسْتِشْهَادِ الْقَائِدِ «أَبِي عُبَيْدَةَ الْبَنْشِيرِيِّ»، وَكَانَ مُلَازِمًا لَهُ فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ إِلَّا فِي آخِرِ أَيَّامِهِ
لِتَدَابِيرِ أَمْنِيَّتِهِ، وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي تَأْهِيلِ الْمُجَاهِدِينَ عَسْكَرِيًّا. وَقَدْ نَالَ الشَّهَادَةَ - تَقَبَّلَهُ اللَّهُ - فِي
نُوفَمْبَرِ لِعَامِ ٢٠٠١م فِي قَصْفِ لَطَائِرَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ بِدُونِ طَيَّارٍ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

القرن الإفريقي ومطلوب للإعدام في مصر، كَشَانِ أَيِّ مِصْرِيٍّ قَاتَلَ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ. تَوَلَّى «أَبُو حَفْصِ» رِئَاسَةَ اللِّجْنَةِ العَسْكَرِيَّةِ فِي تَنْظِيمِ «القَاعِدَةِ»
مُنْذُ عَامِ ١٩٩٦ م، وَاسْتُشْهِدَ فِي الحَرْبِ الأَمْرِيكِيَّةِ عَلى أَفْغَانِسْتَانَ فِي
عَارَةِ جَوِيَّةٍ عَلى مَقَرِّ عَمَلِهِ فِي «قَنْدَهَار» عَامَ ٢٠٠١ م. [السَّيْحُ أَسَامَةُ بْنُ لَادِنَ مَعَ

أَبِي حَفْصِ المِصْرِيِّ: صُورَةٌ رَقْمَ ٧٧]



«عَبْدُ الرَّحْمَنِ المِصْرِيِّ»، وَهُوَ
الْوَحِيدُ الَّذِي عَمَلَ مَعِي بِلا تَرَدُّدٍ،
وَرَبَطْنَا صِدَاقَةَ مِيدَانِيَّةٍ عَمِيقَةً حَتَّى
اسْتُشْهِدَ عَامَ ١٩٨٨ م.

«عَبْدُ الرَّحْمَنِ العِرَاقِيَّ»، وَقَدْ خَدَمَ فِي الجَيْشِ العِرَاقِيِّ، وَفَرَّ إِلَى إِيْرَانَ
أثناءَ الحَرْبِ، وَمِنْهَا إِلَى بَاكِسْتَانَ، عِنْدَمَا قَابَلْتُهُ كَانَ قَدْ فَقَدَ الثِّقَةَ تَمَامًا فِي
الجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَفِي المُجَاهِدِينَ الأَفْغَانِ وَالْعَرَبِ. كَانَ مُتَشَكِّكًا
فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفَاقِدًا لِلثِّقَةِ فِي أَيِّ تَحَسُّنٍ عَلى أَيِّ مَجَالٍ. عَقَلِيَّتُهُ عَمَلِيَّةٌ
وَمُنَظَّمَةٌ وَقَدَّمَ اقْتِرَاحَاتٍ جَيِّدَةً لِلْعَمَلِ سَوْفَ نَسْتَعْرِضُ بَعْضَهَا. وَلَكِنَّ
فُقْدَانَهُ لِلثِّقَةِ وَضَعْفَ الأَمَلِ أَفْقَدَاهُ القُدْرَةَ عَلى مُمَارَسَةِ التَّغْيِيرِ. وَكَانَ
يَسْحَرُ مِنْ عَمَلِنَا وَيَقُولُ: «أَنْتُمْ كَمَنْ يُعْطِي حُفْنَةً مُقْوِيَةً لِجِثَّةِ مَيْتٍ... إِنْ
الجِهَادَ الأَفْغَانِيَّ قَدْ مَاتَ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ عَلى تَقْوِيَتِهِ»، كَانَتْ رُؤْيَاهُ سَوْدَاءَ
وَلَكِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنَ الصِّحَّةِ. هَاجَرَ بَعْدَ سَنَوَاتٍ وَحَصَلَ عَلى جِنْسِيَّةٍ

سُويسِرِيَّة، وَعَادَ بَعْدَ نِهَايَةِ الْجِهَادِ مُحَاوِلًا الْاسْتِقْرَارَ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَكَانَ قَدْ رُزِقَ ابْنَتَيْنِ، وَخَافَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْجَوِّ الْأُورُوبِيِّ، وَلَكِنَّهُ اعْتَقَلَ مَعَ بَنَاتِهِ فِي الْحَمْلَةِ ضِدَّ الْعَرَبِ مَارِسَ ٩٣ م، فَاضْطُرَّ إِلَى الْمَغَادِرَةِ إِلَى مَكَانٍ مَجْهُولٍ، رُبَّمَا كَانَ الشَّيْشَانِ.

■ «عَبْدُ الصَّبُورِ» [أَوْ] «وَدِيعَ حَدَادٍ»، وَهُوَ لُبْنَانِيٌّ تَحَوَّلَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ، كَانَ مِثَالِيًّا حَالِمًا، نَشِطًا وَدَوُوبًا وَصَبُورًا. وَكَانَ الْأَكْثَرُ جِدِّيَّةً فِي أَدَاءِ أَيِّ عَمَلٍ يُكَلَّفُ بِهِ. هَاجَرَ إِلَى أَمْرِيكََا وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ وَحَصَلَ عَلَى الْجِنْسِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. عَادَ فِي آخِرِ عَامٍ مِنَ الْجِهَادِ ثُمَّ هَاجَرَ مَرَّةً أُخْرَى تَحْتَ ضَعْفِ الْمُطَارَدَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ الْعَرَبِ. «عَبْدُ الصَّبُورِ»: سَجِينٌ حَالِيًّا فِي أَمْرِيكََا بِتُهْمَةِ الْإِنْتِمَاءِ لِتَنْظِيمِ «القَاعِدَةِ»، عَلَى أَثَرِ تَفْجِيرِ سَفَارَاتِ أَمْرِيكََا فِي «نِيْرُوبِي وَ «ذَارِ السَّلَامِ» عَامَ ١٩٩٨ م.

كَانَ مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا زِيَادَةُ عَدَدِ أَفْرَادِ مَجْمُوعَتِنَا بَعْدَ أَنْ سَاءَتْ سُمْعَتِي وَأَصْبَحْتُ مَطْلُوبًا. وَبَعْضُ شَبَابِ الْعَرَبِ الْمُتَحَمِّسِينَ أَخْبَرَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَوَاتٍ أَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنِّي كَيْ يَقْتُلَنِي بَعْدَ مَا سَمِعَهُ مِنْ «سَيَّافٍ». وَلِحُسْنِ الْحِظِّ أَنْ هُوَ لَآءِ حَضَرُوا مَعَارِكَ «جَاجِي» ١٩٨٧ م بِقِيَادَةِ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ»، وَفِيهَا اكْتَشَفُوا حَقِيقَةَ «سَيَّافٍ»، وَبِالتَّالِي بَحْثُوا عَنِّي كَيْ نَكُونَ أَصْدِقَاءَ.

كَانَتْ قُدْرَاتُنَا عَلَى الْعَمَلِ مَحْدُودَةً، وَإِنْ كُنَّا قَدْ تَطَرَّقْنَا خِلَالَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ

إِلَى مَجَالَاتٍ وَاسِعَةٍ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى مَجْمُوعَةٍ عَمَلٍ كَبِيرَةٍ كَيْ تُعْطِيَهَا. اِكْتَشَفْنَا مَجَالَاتٍ وَاسِعَةً جِدًّا لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِنَا السَّيْرُ فِيهَا بَعِيدًا لِقَلَّةِ الْأَفْرَادِ وَالْأَمْوَالِ وَظُرُوفِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ. فَاِكْتَفَيْنَا بِإِجْرَاءِ بَعْضِ الدَّرَاسَاتِ وَكِتَابَةِ عِدَّةِ تَقَارِيرٍ عَنِ مَجَالَاتِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ وَمُتَطَلِّبَاتِهَا، ثُمَّ وَزَعْنَاهَا عَلَى الْمُهْتَمِّينَ. وَاِكْتَشَفْنَا أَنَّ ذَلِكَ [قَدْ] اسْتُخْدِمَ كَوَرْقَةٍ ضِدَّنَا بِوَأَسِطَةِ «سَيَّافٍ» وَ «الإِخْوَانِ»، وَصَوَّرُوا ذَلِكَ بِصِبْغَةٍ تَأْمُرِيَّةٍ مُرْعِبَةٍ.



وَكَانَ أَنْجَحُ مَجْهُودَاتِنَا الْبَسِيطَةِ، وَالَّتِي تَرَكَتْ أَثْرًا كَبِيرًا بَعْدَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ هُوَ:

قِسْمُ الْأَبْحَاثِ وَالْمَعْلُومَاتِ:

وَبَدَأَ بِتَكْوِينِ مَكْتَبَةٍ جَيِّدَةٍ كَانَ لَهَا أَثْرٌ بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ لَمْ [نَكُنْ] نَتَوَقَّعُهُ. فَقَدْ اِهْتَمَمْنَا بِشِرَاءِ كُتُبٍ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَأَذْهَشْنَا غَزَارَةً مَا يَعْرِفُهُ الْغَرْبُ عَنِ تِلْكَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُقَابِلِ جَهْلِنَا الَّذِي يَكَادُ يَكُونُ تَأْمًا، فِيمَا عَدَا الْمَعْلُومَاتِ الْمُتَدَاوِلَةِ فِي «بِيشَاور» مِنْ مُهَاتَرَاتٍ وَأَكَاذِيبَ وَإِشَاعَاتٍ، هَذِهِ كَانَتْ بِضَاعَةَ «بِيشَاور»، وَظَلَّتْ كَذَلِكَ حَتَّى دَمَّرَتْ بِاِكْسْتَانَ التَّجْمَعِ الْعَرَبِيِّ هُنَاكَ.

جَمَعْنَا أَيْضًا كَمِيَّةً مِنَ الْخَرَائِطِ الْجُغْرَافِيَّةِ وَالسُّكَّانِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ ثُمَّ بَدَأْنَا
بَعْدَ ذَلِكَ بِالْاهْتِمَامِ بِالْكَتُبِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَعَلَى مَدَى سَنَوَاتٍ كَانَ لَدَيْنَا عَدَدٌ لَا
بَأْسَ بِهِ مِنْ الْكَتُبِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُمْتَازَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَحَتَّى بِالْفَرَنْسِيَّةِ.

وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ اهْتِمَامُنَا الْأَكَادِيمِيِّ بِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَقَدْ كَانَ
لِلرَّائِدِ «رَشِيدٍ» دَوْرٌ هَامٌّ فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ، فَقَدْ حَاضَرَنا فِي مُعَسْكَرِ «قَيْسٍ»
لِعِدَّةِ لَيَالٍ عَن حَرْبِ الْعِصَابَاتِ، وَعَن بَرْنَامَجِ إِعَادَةِ تَنْظِيمِ الْجِهَادِ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى أَسَاسِ عِلْمِيٍّ مِنْ حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ. وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَدْخَلًا
غَايَةً فِي الْأَهْمِيَّةِ، تَأَثَّرْتُ بِهِ حَتَّى الْآنَ، وَأَثَرَ عَلَى بَاقِي زُمَلَائِي كَذَلِكَ. وَقَدْ
جَمَعْتُ تِلْكَ الْمُحَاضِرَاتِ فِي الْمَذْكُورَةِ الَّتِي تَحَدَّثْتُ عَنْهَا سَابِقًا، وَأَرْجُو أَنْ
أَتِمَّكَنَ مِنْ طِبَاعَتِهَا بِشَكْلِ مُسْتَقِلٍّ فِي وَقْتٍ مَا.

وَقَدْ اسْتَعَارَ «رَشِيدٌ» عِدَّةَ كُتُبٍ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي «رَاوَلْبِنْدِي»
وَأَعْطَاهَا لَنَا، وَلِلْأَسَفِ لَمْ نَسْتَطِعْ إِعَادَتَهَا كُلَّهَا إِلَيْهِ، بِغَيْرِ قَصْدٍ أَوْ سُوءِ نِيَّةٍ.
وَعَمِلَ «عَبْدُ الصَّبُورِ» فِي تَرْجَمَةِ بَعْضِهَا.

وَقَدْ أَنْهَى بِسُرْعَةٍ تَرْجَمَةَ كِتَابٍ عَن حَرْبِ الْعِصَابَاتِ فِي أُنْدُونِسِيَا مِنْ
تَأْلِيفِ «عَبْدِ الْحَارِثِ نَاسْتِيُونِ»، وَهُوَ كِتَابٌ فَتَحَ لَنَا أَيْضًا الْمَزِيدَ مِنْ نَوَافِدِ
الْمَعْرِفَةِ فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ، الَّذِي حَمَلْتُ رَايَةَ التَّبَشِيرِ لَهُ مُنْذُ تِلْكَ الْإَيَّامِ وَحَتَّى
الْآنَ، وَكَانَ لِي بَعْضُ الْكِتَابَاتِ حَوْلَهَا - أَيَّ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ - وَقَدْ نَتَعَرَّضُ

لِبَعْضِهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا، وَقَدْ اِكْتَسَبَ هَذَا الْعِلْمَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ، وَبِصُعُوبَةٍ وَبَعْدَ شُكُوكٍ مِنْ جَانِبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ حَتَّى الْآنَ لَمْ يَجِدْ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِنَايَةٍ فِي الْأَوْسَاطِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُجَاهِدَةِ.

كَانَتْ مَكْتَبَتُنَا [هِيَ] أَوَّلَ مَكْتَبَةٍ «غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ» فِي أَوْسَاطِ الْعَرَبِ، وَشَاعَتْ عَنْهَا أَخْبَارٌ مُخِيفَةٌ تَتَنَاقَلُ سِرًّا بِأَنَّهَا تَنْشُرُ فِكْرًا عِلْمَانِيًّا مَشْبُوهًا. وَتَعَرَّضَ الشَّبَابُ مَعِيَ إِلَى حِمَلَاتِ نَفْسِيَّةٍ رَهيبَةٍ، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ صَمَدُوا لَهَا. حَتَّى أَنْ بَعْضَ الضُّيُوفِ طَلَبُوا مِنَ الْإِخْوَةِ إِطْلَاعَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ، وَبَعْضُهُمْ تَأَكَّدَتْ شُكُوكُهُ وَأَصْبَحَتْ يَقِينِيَّةً بِأَنَّ هَذَا فِكْرٌ مَشْبُوهٌ وَغَيْرُ إِسْلَامِيٍّ، وَبَعْضُهُمْ تَجَاوَبَ وَحَتَّى تَحَمَّسَ وَعَمِلَ مَعَنَا - وَلَوْ لِفِتْرَةٍ بَسِيطَةٍ - وَعَدَدُهُمْ لَمْ يَتَجَاوَزْ أَصَابِعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ مُكْتَمَلَةَ الْعَدَدِ. وَلَكِنْ عَدَدًا لَا بَأْسَ بِهِ أَصْبَحَ مُتَعَاطِفًا أَوْ مُحَايِدًا، وَتَزَايَدَ عَدَدُ هَذَا الْمُعَسْكَرِ خَاصَّةً بَعْدَ مَعْرَكَةِ الْعَرَبِ فِي «جَاجِي»؛ فَقَدْ اِكْتَسَبْتُ بَعْدَهَا عَدَدًا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْجُدِّدِ، وَتِلْكَ فِي نَظْرِي مِنْ عَظَائِمِ الْكَرَامَاتِ الَّتِي حَدَّثْتُ فِي جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانِ.

بَدَأْنَا بِرِنَامَجِ التَّدْرِيبِ الَّذِي كُنَّا نَحْلُمُ بِهِ، بَدَأَتْ بِهِ مَجْمُوعَتُنَا نَفْسُهَا فِي مُعَسْكَرِ «فَيْس». كَانَ مُعَسْكَرًا هَادِنًا قَلِيلَ الْعَدَدِ، فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مِنْ قَادَةِ الْمَجْمُوعَاتِ الْمُتَمَازِينَ لَدَى الشَّيْخِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور»، يُدَرِّبُهُمْ أَثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةً مِنَ الْجَيْشِ الْبَاكِسْتَانِيِّ، [وَقَدْ] أَفْهَمُونَا أَنَّهُمْ مُتَقَاعِدُونَ وَيَعْمَلُونَ بِالْأَجْرِ فِي

المُعَسْكَرِ. قَضَى إِخْوَانُنَا شَهْرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَبَدَأُوا مَعَ قِرَاءَتِهِمُ الشَّرْعِيَّةَ وَالتَّدْرِيْبَ مَعَ قِرَاءَةِ كُتُبٍ فِي حَرْبِ الْعِصَابَاتِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْرَةُ - حَسْبَ شِهَادَتِهِمْ حَتَّى آخِرِ وَقْتٍ - أَفْضَلَ فِتْرَةً تَأْهِيلٍ وَاسْتِيْعَابٍ صَادَفُوهَا.

قَامَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعِرَاقِيُّ» وَ «عَبْدُ الصَّبُورِ» بِعَمَلٍ أَوَّلِ دِرَاسَةِ مِيدَانِيَّةٍ عَنِ أَحْوَالِ التَّعْلِيمِ دَاخِلَ وَخَارِجَ أَفْغَانِسْتَانَ «لِلْمُهَاجِرِينَ»، أَمْضُوا فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ، وَكَلَّفَتْ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ كَانَ بِالنَّسْبَةِ لَنَا كَبِيرًا جِدًّا. وَلَكِنْ مِنْ تِلْكَ الدَّرَاسَةِ الَّتِي أُعْطِينَاهَا لِلْمُؤَسَّسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْإِعَاثَةِ «إِسْرًا» انْبَثَقَتْ الْمَجْهُودَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ. لِذَا فَإِنَّ تِلْكَ الدَّرَاسَةَ فِي نَظْرِي كَانَتْ الْأَوْسَعُ فَائِدَةً فِي كُلِّ نَشَاطَاتِنَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَرُبَّمَا لَوْ قَتِ طَوِيلٌ.

أَمَّا عَمَلُنَا فِي مَجَالِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ فَقَدْ تَعَثَّرَ وَلَمْ نَسْتَطِعْ مُتَابَعَتِهِ عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي كُنَّا نُرِيدُهُ، وَبَدَأْنَا فِي مُحَاوَلَةٍ تَوْحِيدِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْإِمْدَادِ بَيْنَ جَمَاعَتَيْ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي» وَ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور» فِي «بَاكْتِيَا». وَفُوجِنَا بِأَنَّهُمْ بَدَأُوا يُطَالِبُونَنَا بِسَدَادِ فَوَاتِيرِهِمْ وَقَضَاءِ دِيُونِهِمْ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا نَسْتَطِيعُهُ، فَلَيْسَ الْهَدَفُ أَنْ نُصْبِحَ مُجَرَّدَ دَافِعِي فَوَاتِيرِ.

وَلِلْأَسْفِ أَنْ هَذَا مَا انْحَدَرَ إِلَيْهِ الْمَجْهُودُ الْعَرَبِيُّ وَرَسَخَهُ عَمَلُ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» فِي عَمَلِيَّةِ إِمْدَادِ الْجَبَهَاتِ الَّتِي سَتَّحَدَّثُ عَنْهَا.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَوَقَّفَ مَشْرُوعُ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور» لِصِنَاعَةِ الدَّخَائِرِ بَعْدَ أَنْ

أَغْلَقَتْ بَاكِسْتَانَ الْمَصْنَعَ وَمَنْعَتْهُمْ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، وَهَدَدَتْهُمْ، فَتَوَقَّفَ الْعَمَلُ فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ.

أَمَّا مَشْرُوعُ «حَقَّانِي» فِي «جَاوَر» فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُمَوِّلُهُ نَظْرًا لِأَنَّ سَمْعَتَهُ قَدْ تَصَرَّرَتْ هُوَ أَيْضًا بَعْدَ مَا شَنَّ «سَيَّاف» عَلَيْهِ حَمَلَةً فِي أَوْسَاطِ الْعَرَبِ، وَوَصَمَهُ بِالتَّامْرِ لِتَكْوِينِ حِزْبٍ خَاصٍّ. وَهَكَذَا تَوَقَّفَ الشُّقُّ الثَّانِي مِنْ مَشَارِعِنَا الصَّنَاعِيَّةِ.

أَمَّا عَنِ الْأُبْحَاثِ السِّيَاسِيَّةِ فَلَمْ أَكْذِ أَعْمَلُ فِتْرَةً قَصِيرَةً نِسْبِيًّا حَتَّى فُوجِئْتُ بِكَمِّيَّةِ الْمَعْلُومَاتِ الضَّخْمَةِ الَّتِي حَصَلْتُ عَلَيْهَا، وَكُنْتُ أَعْمَلُ بِطَرِيقَةٍ صَحْفِيَّةٍ فِي حَلَقَةِ اتِّصَالَاتٍ لَيْسَتْ كَافِيَةً، وَإِنْ كَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ الْحَلَقَةِ الْمُعْتَادَةِ لِلْأَفْرَادِ. فَمَثَلًا عَلِمْتُ عَنْ طَرِيقِ «رَشِيد» وَزَمَلَائِهِ فِي مُعَسْكَرِ «قَيْس» مَا يَدُورُ فِي أَوْسَاطِ الضُّبَّاطِ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ عَنْ أَوْضَاعِ أَفْغَانِسْتَانَ وَالْمَنْطِقَةِ، وَالْمَوْقِفَ بَيْنَ بِلَادِهِمْ وَالْهِنْدِ. وَتَصَادَفَ أَنْ اسْتَضَافَ مَوْلَايُ «مَنْصُور» ضَيْوْفًا مِنْ أَمْرِيكَا يَعْمَلُونَ فِي وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ - حَسَبَ قَوْلِهِمْ - جَاءُوا لِاسْتِطْلَاعِ الْأُمُورِ. فَرَارُوا مُعَسْكَرَ «قَيْس» لِيَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى «جَاجِي» مَعَ جَمَاعَةٍ «مَنْصُور» ثُمَّ عَادُوا بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ وَقَدْ كُسِرَتْ نَظَارَةُ أَحَدِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا فِي قِمَّةِ النَّشُورَةِ وَالسَّعَادَةِ. هُوَ لَأَيْضًا تَكَلَّمُوا كَثِيرًا وَاسْتَمَعْتُ إِلَيْهِمْ وَسَأَلْتُهُمْ.

كَانَتْ مُدْهِشَةً كَمِّيَّةُ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي حَصَلْتُهَا فِي وَقْتٍ قَلِيلٍ، وَمُنْجَعَةٌ إِذَا

قُورِنْتَ مَعَ عَالَمِ التَّجْهِيلِ فِي «بِشَاوَرٍ». وَشَعَرْتُ أَنَّهَا مُؤَامِرَةٌ عَلَى الْعَقْلِ الْمُسْلِمِ وَالشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، هَذَا التَّسْطِيحُ لِلْأُمُورِ وَحَجْبُ الْمَعْلُومَاتِ وَنَشْرُ الشَّائِعَاتِ وَإِحْرَاقُ الْبُخُورِ فِي جَوْ النَّشْوَةِ الرُّوحَانِيَّةِ الْهَائِجَةِ بِحِمَاسٍ.

هُنَاكَ وَضِعَ الْعَرَبُ فِي قَفْصِ اللَّعْبَةِ الدَّوْلِيَّةِ وَتَحْتَ رَحْمَةِ لَاعِبِي الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ قَادَةِ الْأَفْغَانِ كَيْ يَمْتَصُّوا أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ يَدْفَعُوهُمْ إِلَى سَاحَاتِ الْأَلْعَابِ النَّارِيَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَافُوهُمْ فِي خُطُوطِ الْمَعَارِكِ الْأُولَى كَيْ يُقَاتِلُوا نِيَابَةً عَنْهُمْ، وَلِصَالِحِ أَمْجَادِ الْقَادَةِ وَسُمِعْتِهِمْ كَمَا حَدَثَ فِي مَعَارِكِ الْعَرَبِ فِي «جَاجِي» ثُمَّ «جَلَالِ آبَادٍ».

لَكِنَّ الْحَدِيثَ بِالْأَرْقَامِ أَوْ عَنِ التَّخْطِيطِ أَوْ عَنِ الْعِلْمِ الْعَسْكَرِيِّ كَانَ يُعْتَبَرُ رُوحًا مَادِّيَّةً بَعِيدَةً عَنِ الْإِيمَانِ، أَوْ أَنَّهَا نَشَاطٌ عَقْلِيٌّ يُنَاقِضُ الْإِيمَانَ. وَظَلَّ الْحَالُ كَذَلِكَ إِلَى مَا بَعْدَ مَعْرَكَةِ «جَلَالِ آبَادٍ» الَّتِي كَانَتْ ضَرْبَةً قَاسِيَةً لِلْعَرَبِ فَقَدُوا فِيهَا أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ عَلَى مَدَارِ الْحَرْبِ. ظَهَرَ مِنْ بَعْدِهَا نُزُوعٌ إِلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّفَهُمِ لِلْأُمُورِ وَاسْتِخْدَامِ الْعَقْلِ. وَإِنْ كَانَ لِيَتْلِكَ الْمَعْرَكَةِ مِنْ مَزَايَا فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ الْعَقْلَانِيَّ - إِذَا جَازَ لَنَا التَّعْيِيرُ - هُوَ أَحَدُ نَتَائِجِهَا الْإِيجَابِيَّةِ.

وَنُقَدِّمُ تَقَارِيرَ كِتَابَتِهَا فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ تُصَوِّرُ الْمَوْقِفَ الْعَامَّ وَقَتَهَا وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي كُنَّا نَحَاوِلُ أَنْ نُعَالِجَ بِهَا الْمُعْضَلَاتِ، وَهِيَ خَمْسَةُ تَقَارِيرٍ كُتِبَتْ فِي آخِرِ

شَهْرَيْنِ مِنْ عَامِ ١٩٨٤ م فِي الرَّحْلَةِ قَبْلَ الْأَخِيرَةِ مِنْ انْتِقَالِي الدَّائِمِ إِلَى هُنَاكَ
فِي بَدَايَاتِ الْعَامِ التَّالِيِ أَيَّ فِي ١٩٨٥ م.



التَّقريرُ الأوَّلُ

الشِّتَاءُ الحَرَجُ

٢٤ / ١٠ / ١٩٨٤ م

يُمَثِّلُ عَامُ ١٩٨٤ م انْعِطَافًا حَادًّا نَحْوَ الانْهِيَارِ بِالنَّسْبَةِ لِلْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ عَلَى جَمِيعِ الْجَبْهَاتِ وَفِي شَتَى أَوْجِهِ النَّشَاطِ، وَالْأَشْهُرِ الْقَلِيلَةِ الْمُتَبَقِّيَةِ مِنْ فَصْلِ الشِّتَاءِ هَذَا الْعَامِ مَعَ بَدَايَاتِ الْعَامِ الْقَادِمِ وَحَتَّى رَبِيعِ ١٩٨٥ م سَيَشْهَدُ أَوْضَاعًا جَدِيدَةً تَمَامًا وَتَطَوُّرَاتٍ قَدْ تَكُونُ حَاسِمَةً بِالنَّسْبَةِ لِمُسْتَقْبَلِ الْمُقَاوَمَةِ.

الْخَطْرُ الدَّاهِمُ وَالْمُعَلَّقُ فَوْقَ رَأْسِ الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ يَتِمَثَّلُ فِي التَّعَاوُنِ السُّوفِيَّتِيِّ الْهِنْدِيِّ لِإِسْقَاطِ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ الْحَالِيَّةِ لِكَيْ يَفْتَحَ الْبَابَ فِي بَاكِسْتَانَ لِانْقِلَابٍ عَسْكَرِيٍّ يَأْتِي بِحُكُومَةٍ جَدِيدَةٍ تَنْتَهِجُ خَطًّا سِيَاسِيًّا مُخَالَفًا لِذَلِكَ الَّذِي تَتَّبَعُهُ الْحُكُومَةُ الْحَالِيَّةُ.

تَفَاصِيلُ الْمُخَطِّطِ الْهِنْدِيِّ السُّوفِيَّتِيِّ وَضِعَتْ فِي «طَشْقَنْد» خِلَالَ زِيَارَةِ «إِنْدِيرَا غَانْدِي»^(١) الَّتِي تَمَّتْ سِرًّا هُنَاكَ. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ حُكُومَةُ الْهِنْدِ

(١) إِنْدِيرَا غَانْدِي (١٩ نُوْفَمْبَرِ ١٩١٧ م - ٣١ أُكْتُوبَرِ ١٩٨٤ م): شَغَلَتْ مَنَصِبَ رَئِيسِ وُزَرَائِ الْهِنْدِ

تُواجهُ مشاكلَ حادَّةً معَ طائِفَةِ «السَّيِّخِ»^(١) واضطِّراباتٍ دينيَّةٍ وعِرقِيَّةٍ عَديدهٍ ومُتتاليَّةٍ، أَصَبَحَتْ تُشكِّلُ خَطراً عَلى تَماسِكِ الدَّولَةِ الهِنديَّةِ.

وكالعادةِ في مِثْلِ هَذِهِ الظُّروفِ فَإِنَّ المَخْرَجَ أَمَامَ أَيِّ حُكُومَةٍ هُوَ اللُّجُوءُ إِلَى حَرْبٍ خَارِجٍ الحُدُودِ لِلْمُحَافَظَةِ عَلى الوَحْدَةِ القُومِيَّةِ لِلدَّولَةِ. وَفِي حَالَةِ الهِنْدِ بِالذَّاتِ فَإِنَّ العَدُوَّ الَّذِي يُمكِنُ مُحارَبَتَهُ وإِحْرازَ النِّصْرِ عَليهِ هُوَ باكِستانُ. وَبالنِّسْبَةِ لِلسُوفِيَّةِ فَإِنَّ حَرْباً بَينَ الهِنْدِ وَباكِستانِ تُؤدِّي إِلَى هَزِيمَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَلَوْ مَحْدُودَةٍ بِالجَيْشِ الباكِستانيِّ سَتُؤدِّي حَتْمًا إِلَى سُقُوطِ الحُكُومَةِ وَظُهُورِ نِظامٍ أَكثَرَ مَرُونَةٍ وَتَفاهُماً مَعَ السُوفِيَّةِ، وَيَقْبَلُ بِفَرَضٍ حَلٍّ سِياسِيٍّ فِي أَفْغانِستانِ، يُثَبِّتُ الأَطْماعَ السُوفِيَّةِ فِي تِلْكَ الدَّولَةِ، وَيُوقِفُ نِشاطَ المُقاوَمَةِ الأَفْغانِيَّةِ.

يُقَالُ إِنَّ الخُطَّةَ قَدِ تَمَّ اعْتِمادُها وَتَحَدَّدَ الهَدَفُ العَسْكَرِيُّ لِلهِنْدِ بِالهُجُومِ عَلى «كَشْمِيرٍ» وَمَنْطِقَةِ «البَنْجابِ» «لأهور»، واحْتِلالِ أَرْضٍ فِي كِلا الجَبْهَتَيْنِ

لأربعةِ فتراتٍ، مِنْها ثَلَاثَةٌ مُتتالياتٍ مِنْ ١٩٦٦م - ١٩٧٧م، وَالفَتْرَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ ١٩٨٠م وَحَتَّى اغْتِيالِها فِي ١٩٨٤م.

(١) السَّيِّخُ: قَوْمٌ يَدِينُونَ بِالسِّيخِيَّةِ، وَهِيَ دِيانَةٌ نَشَأَتْ فِي شَمالِ الهِنْدِ فِي القَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ، ابْتَدَعَهَا «ناناك»، وَيُسَمُّونَهُ «الجُورُو» أَيْ المُعَلِّمُ أَوْ الإِمَامُ.

أَوْ «كَشْمِير» عَلَى الْأَقْلِّ. وَتَحَدَّدَ وَقْتُ الْهُجُومِ فِي الشِّتَاءِ، وَاسْتَلَمَتِ الْهِنْدُ مُعَدَّاتٍ هُجُومِيَّةً خَاصَّةً بِالْمَنَاطِقِ الثَّلْجِيَّةِ، مُدْرَعَاتٍ وَدَبَابَاتٍ، وَحَشَدَتْ حَتَّى الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ عَشْرَةَ فِرْقَةَ عَسْكَرِيَّةٍ عَلَى الْحُدُودِ مَعَ بَاكِسْتَانَ فِي الْمَنَاطِقِ الْمَذْكُورَتَيْنِ.

بِالنِّسْبَةِ لِبَاكِسْتَانَ فَإِنَّ الدِّفَاعَ عَنِ «كَشْمِير» شِتَاءً أَمْرٌ صَعْبٌ أَمَامَ هُجُومِ مُدْرَعٍ؛ لِعَدَمِ امْتِلَاكِ بَاكِسْتَانَ مُعَدَّاتٍ مُلَائِمَةً لِمَصَدِّ الْهُجُومِ.

انْشِغَالَ أَمْرِيكَ بِالْمَعْرَكَةِ الْإِنْتِخَابِيَّةِ جَعَلَ قِيَادَتَهَا غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى مُوَاجَهَةِ مَوَاقِفَ كَبِيرَةٍ بِهَذَا الْحَجْمِ. أَمَّا وَاجِبَاتُ السُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْخُطَّةِ فَهِيَ:

١. تَشْدِيدُ الضَّغْطِ عَلَى قَوَاعِدِ الْمُجَاهِدِينَ فِي كَافَةِ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ، خَاصَّةً طُرُقَ الْإِمْدَادَاتِ، وَالْقَوَاعِدِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ. وَقَدْ نَجَحَتْ فِي تَنْفِيذِ هَذِهِ الْمُهْمَةِ حَتَّى الْآنَ بِشَكْلِ لَمْ يُسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ. فَتَمَّتْ لَهُمُ السَّيْطَرَةُ عَلَى كُلِّ «بَانَشِير» تَقْرِيْبًا، كَذَلِكَ الْمَنَاطِقِ الْغَرْبِيَّةِ الْمُحَادِيَةِ لِإِيرَانَ.

٢. نَقْلُ التَّهْدِيدِ الْعَسْكَرِيِّ حَتَّى حُدُودِ بَاكِسْتَانَ بِتَكْثِيفِ الْعَمَلِيَّاتِ عَلَى الْحُدُودِ وَقَصْفِ مَوَاقِعَ بَاكِسْتَانِيَّةٍ بِالطَّيْرَانِ وَزَرْعِ الْأَلْغَامِ وَعَمَلِيَّاتِ التَّخْرِيْبِ يَتَقَوْمُ بِهَا عُمَّالٌ. وَهُمْ يُعَدُّونَ الْعُدَّةَ الْآنَ لِعَمَلِيَّاتٍ وَاسِعَةٍ ضِدَّ الْمُحَافَظَاتِ الْحُدُودِيَّةِ مِثْلَ «بَاكْتِيَا» وَ«نَجْرَهَار» وَ«فَنْدَهَار». وَالْهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ إِزْغَامُ بَاكِسْتَانَ عَلَى حَشْدِ قُوَّاتٍ أَكْبَرَ فِي مَنْطِقَةِ الْحُدُودِ مَعَ

أَفْغَانِسْتَانَ لِسِتَّاحٍ فُرْصَةً أَفْضَلَ لِلْهِنْدِ فِي تَوْجِيهِ ضَرْبَتَيْهَا بِنَجَاحٍ.

٣. زِيَادَةُ تَيَّارِ الْهَجْرَةِ الْمُتَدَفِّقِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى بَاكِسْتَانَ عَنْ طَرِيقِ قَصْفِ الْقُرَى وَدَفْعِ السُّكَّانِ لِلْفِرَارِ حَتَّى تَزْدَادَ الْأَعْبَاءُ وَالْمَشَاكِلُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْاِقْتِصَادِيَّةُ عَلَى بَاكِسْتَانَ.

٤. تَدْعِيمًا لِلْمَجْهُودِ الْعَسْكَرِيِّ ضِدَّ الْمَقَاوِمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَضِدَّ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ اسْتَقْدَمَتْ «مُوسْكُو» خَمْسَ فِرَقٍ عَسْكَرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ إِلَى «كَابُلٍ»، وَبِهَذَا تُصْبِحُ الْقُوَّةُ الْعَسْكَرِيَّةُ الرَّوْسِيَّةُ قَادِرَةً عِنْدَ الْحَاجَةِ عَلَى شَنْ هُجُومٍ عَسْكَرِيٍّ خَاطِفٍ ضِدَّ بَاكِسْتَانَ، وَاحْتِلَالِهَا فِي أَقَلِّ مِنْ أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، أَوْ الْبَقَاءِ دَاخِلِ حُدُودِ أَفْغَانِسْتَانَ وَتَطْهِيرِ قَوَاعِدِ الْمُجَاهِدِينَ، ثُمَّ تَقْدِيمِ الْعَوْنِ الْكَافِي لِلْجَيْشِ الْأَفْغَانِيِّ لِتَخْطِي الْحُدُودَ مَعَ بَاكِسْتَانَ وَالِاسْتِيْلَاءِ عَلَى الْمَنَاطِقِ الْخَلْفِيَّةِ الَّتِي يَسْتُخْدِمُهَا الْمُجَاهِدُونَ لِلتَّدْرِيْبِ وَالْإِمْدَادِ مِثْلَ «شَاتْرَال» وَ «بَارَاشْنَار» وَ «بِيْشَاوَر» وَ «كُوبِتَا».

عَلَى آيَةِ حَالٍ فَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ هِيَ الْآنَ فِي أَيْدِي الْقُوَاتِ السُّوْفِيَّةِ بِشَكْلِ كَامِلٍ. وَلَيْسَ أَمَامَ الْمَقَاوِمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي أَكْثَرِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي تَشْهَدُ الْعَمَلِيَّاتِ الْآنَ غَيْرِ التَّرَاجُعِ غَيْرِ الْمُنْظَمِ. وَأَعْلَنْتِ الْقِيَادَةُ الشُّيُوعِيَّةُ فِي «كَابُلٍ» مِرَارًا أَنَّ هَذَا الزَّخَمَ الْهُجُومِيَّ لَنْ يَتَوَقَّفَ حَتَّى يَتِمَّ الْقَضَاءُ عَلَى الْمَقَاوِمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَتُعْلَقَ الْحُدُودُ.

الْوَضْعُ الدَّاخِلِيُّ:

تَعَرَّضَتْ مُعْظَمُ الْقَوَاعِدِ الْهَامَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ لِعَمَلِيَّاتِ تَمْشِيْطِ قَوِيَّةٍ وَفَعَالَةٍ أَدَّتْ إِلَىٰ إِنْهَاءِ الْخَطَرِ الَّذِي تُمَثِّلُهُ تِلْكَ الْقَوَاعِدُ عَلَىٰ اسْتِقْرَارِ الْحُكْمِ فِي «كَابُلٍ». وَلَمْ يَتَبَقَّ غَيْرُ مَنَاطِقَ قَلِيلَةٍ جِدًّا لَمْ تَطْلُهَا إِجْرَاءَاتُ التَّمْشِيْطِ السُّوفِيَّيَّةِ وَذَلِكَ فِي مَقَاطِعَاتِ «نَجْرَهَار» وَ «بَاكْتِيَا». أَمَّا «قَنْدَهَار» فَقَدْ أَغْلَقُوا الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَّةَ إِلَيْهَا مِنْذُ أَيَّامٍ. وَقَدْ بَدَأَتْ حَمَلَاتٌ عَلَىٰ مَوَاقِعِ الْمُجَاهِدِينَ فِي «نَجْرَهَار» بِحَضْرٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَقْوَى قَوَاعِدِهِمْ فِي مَنْطِقَةِ «أَزِيرَاك» التَّابِعَةِ لِـ «يُونُسِ خَالِصٍ». وَتَدَوَّرُ الْآنَ مَعَارِكٌ عَنِيفَةٌ. وَاتَّبَعَ الرُّوسُ نَفْسَ أُسْلُوبِهِمُ الْمُعْتَادِ، الْبِدَايَةُ بِالْقَصْفِ الْجَوِّيِّ ثُمَّ أَنْزَالِ الْقُوَّاتِ الْمَحْمُولَةِ جَوًّا لِقَطْعِ خُطُوطِ الْإِمْدَادِ أَوْ التَّرَاجُعِ عَنِ الْمُجَاهِدِينَ ثُمَّ الْهُجُومِ الْبَرِّيِّ بِالْقُوَّاتِ الْمِيكَانِيكِيَّةِ وَالْمُشَاةِ. وَمَا زَالَتْ الْوَعُودُ تَتَوَالَىٰ مِنْ «كَابُلٍ» وَ «مُوسْكُو» أَنَّ هَذَا الْعَامَ سَيَشْهَدُ نِهَآيَةَ الْمُقَاوَمَةِ وَإِغْلَاقِ الْحُدُودِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَتَسْرَبَتْ مَعْلُومَاتٌ مِنْ «كَابُلٍ» إِلَىٰ الْمُجَاهِدِينَ أَنَّ حَمَلَاتٍ مُرَكَّزَةً يَجْرِي إِعْدَادُهَا ضِدَّ «بَاكْتِيَا» وَ «قَنْدَهَار» قَرِيبًا وَخِلَالَ هَذَا الشَّتَاءِ.

وَجَاءَتْ الْأَنْبَاءُ مُؤَخَّرًا بِوُصُولِ الْقُوَّاتِ إِلَى «الْأَوْزْجُون» وَقَصْفِ قُرَى

«بَاكْتِيَا».



أَوْضَاعُ الْمَدِينِ:

الْمَدِينُونَ هُمُ الْهَدَفُ الْأَسَاسِيُّ مِنْ هَذِهِ الْهَجْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْقَاسِيَةِ. فَتَصْنِفُهُ الْمُجَاهِدِينَ جَسَدِيًّا مَسْأَلَةً مُسْتَحِيلَةً؛ فَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْانْسِحَابِ وَالتَّرَاجُعِ عِنْدَمَا تَكْتَسِحُهُمْ مَوْجَةُ هُجُومٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا دَفْعًا، وَخَسَائِرُهُمْ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى حَدِّ مَا قَلِيلَةٌ. كَمَا أَنَّ عَمَلِيَّةَ إِغْلَاقِ الْحُدُودِ الَّتِي يَتَوَعَّدُ بِهَا السُّوفِيَّةُ وَحُكُومَةُ «كَابُل» هِيَ أَيْضًا مَطْلَبٌ مُسْتَحِيلٌ؛ فَالْحُدُودُ طَوِيلَةٌ جِدًّا، وَيُمْكِنُ اخْتِرَاقُهَا مِنْ أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ. وَلَكِنَّ إِغْلَاقَ الْمَمَرَاتِ الْمُعْتَادَةِ يَجْعَلُ عَمَلِيَّةَ الْإِمْدَادِ وَالتَّمْوِينِ مَسْأَلَةً شَاقَّةً وَمُرْهَقَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَلَكِنَّ لَا يَجْعَلُهَا مُسْتَحِيلَةً تَمَامًا.

يَبْقَى الْهَدَفُ الرَّئِيسِيُّ لِلْسُّوفِيَّةِ مِنْ عَمَلِهِمُ الْعَسْكَرِيِّ الضَّخْمِ هُوَ إِيقَاعُ أَكْبَرِ قَدْرِ مُمَكِّنٍ مِنَ الْخَسَائِرِ فِي صُفُوفِ الْمَدِينِ لِإِنْهَاءِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْمُقَاوَمَةِ وَإِصَالِهِمْ إِلَى دَرَجَةِ الْيَأْسِ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ اسْتِمْرَارِ الْجِهَادِ أَوْ تَغْيِيرِ الْحُكْمِ الشُّيُوعِيِّ الْقَائِمِ.

لِهَذَا يَعْمَدُ السُّوفِيَّةُ إِلَى تَدْمِيرِ الْقَرْيِ وَإِزَالَتِهَا مِنَ الْوُجُودِ وَإِيقَاعِ أَكْبَرِ قَدْرِ مِنَ الْخَسَائِرِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ فِي صُفُوفِ الْمَدِينِ. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ الرُّوسَ قَدْ نَجَحُوا إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ فِي إِضْعَافِ الرُّوحِ الْقِتَالِيَّةِ لَدَى الْمَدِينِ، بَلْ فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ أَيْضًا، وَسَاعَدَهُمْ فِي ذَلِكَ السَّلْبِيَّاتُ الْكَثِيرَةُ

المَوْجُودَةُ فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ مُسْتَوَى الْقِيَادَاتِ إِلَى مُسْتَوَى
الْوَحْدَاتِ الصَّغِيرَةِ.

وَتَوَافُرُ إِحْصَائِيَّاتٍ دَقِيقَةٍ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَكِنَّ الصُّورَةَ
التَّفَرِيقِيَّةَ لِلتَّرْكِيبِ السُّكَّانِيِّ هِيَ كَالتَّالِي:

- مِليُونٌ مُهَاجِرٍ إِلَى بَاكِسْتَانَ وَإِيرَانَ.
- مِليُونٌ مُهَاجِرٍ إِلَى دَوْلِ أُرُوبِيَّةٍ وَأَسْيَوِيَّةٍ أُخْرَى.
- ١.٥ مِليُونٌ شَهِيدٌ.
- ٦ مِليُونٌ [يُمَثِّلُونَ] سُكَّانَ الْعَاصِمَةِ وَالْمُدُنِ الْكُبْرَى تَحْتَ سَيْطَرَةِ
الْحُكُومَةِ.
- ٤ مِليُونٌ [وَهُمْ] سُكَّانُ الْأَرْيَافِ وَالْجِبَالِ وَغَيْرِهِ.
- ١٧ مِليُونٌ الْإِجْمَالِي.

وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْجِهَادَ^(١) هُوَ حَالَةٌ خَاصَّةٌ ذَاتُ صِبْغَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مِنْ حَالَاتٍ
مَا يُسَمَّى بِـ «الْحُرُوبِ الشَّعْبِيَّةِ» أَوْ «حَرْبِ الْعِصَابَاتِ» أَوْ «حَرْبِ الْأَنْصَارِ» إِلَى
آخِرِ تِلْكَ الْمُصْطَلِحَاتِ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا قِتَالُ يَقُومُ بِهِ شَعْبٌ مُسْتَضْعَفٌ ضِدَّ

(١) الْمَقْصُودُ هُنَا مِنَ الْجِهَادِ هُوَ جِهَادُ الدَّفْعِ مَعَ غِيَابِ الْجَيْشِ النَّظَامِيِّ لِلْأُمَّةِ، وَالَّذِي يَتَحَقَّقُ بِهِ حَدُّ
الْكَفَايَةِ مِنَ الدَّفْعِ عَنْهَا وَعَزْوِ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ الْكَافِرَةِ.

غَزَوْا أَجْنَبِيًّا لِأَرْضِيهِ مُزَوِّدٍ بِكَافَّةِ الْأَسْلِحَةِ وَالْقُوَّاتِ النَّظَامِيَّةِ. فِي حِينٍ يَفْتَقِرُ هَذَا الشَّعْبُ لِمَقْوَمَاتِ الْحَرْبِ النَّظَامِيَّةِ ضِدَّ الْغَزَاةِ وَلَا يَبْقَى أَمَامَهُ سِوَى شَنْ حَرْبِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تَتَفَقُّ وَإِمَكَانَاتِهِ.

وَتِلْكَ الْحُرُوبُ الَّتِي تَحُوضُهَا الشُّعُوبُ ضِدَّ جُيُوشِ غَازِيَةِ تَعْتَمِدُ أُسَاسًا عَلَى قُوَّاتِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ لِضَرْبِ الْخَصْمِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مُعْتَمِدَةً عَلَى أَسْلِحَةٍ بَسِيطَةٍ، وَلَكِنَّ اعْتِمَادَهَا الْأَسَاسِيَّ بَعْدَ اعْتِمَادِهَا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ عَلَى دَعْمِ الشَّعْبِ وَتَعَاوُنِهِ مَعَ تِلْكَ الْمَجْمُوعَاتِ الْمُقَاتِلَةِ. لِهَذَا تَلَجَأُ الْجُيُوشُ الْغَازِيَةُ إِلَى تَدْمِيرِ الْأَرْبَابِ الْقَائِمِ بَيْنَ الشَّعْبِ وَقُوَّاتِ الْعِصَابَاتِ.

وَفِي حَالَتِنَا هَذِهِ بَيْنَ الْأَفْغَانِ كَشَعْبٍ وَبَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ، لِهَذَا كَانَتْ سِيَاسَةُ الْأَرْضِ الْمَحْرُوقَةِ الَّتِي يَتَّبِعُهَا الرُّوسُ حَالِيًا [هِيَ] دَفْعَ السُّكَّانِ إِلَى الْهِجْرَةِ إِلَى الدُّوَلِ الْمُجَاوِرَةِ أَوْ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمُدُنِ لِلْعَيْشِ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الْحُكُومَةِ وَإِشْرَافِهَا.

وَبِالنَّظَرِ إِلَى الْجَدْوَلِ السَّابِقِ [الْإِحْصَائِيَّةِ السَّابِقَةِ] يَتَّضِحُ أَنَّ سُكَّانَ الْأَرْيَافِ قَدْ انْخَفَضَ عَدَدُهُمْ إِلَى حَدِّ الْخُطُورَةِ، وَبِالنِّسْبَةِ لِمَسَاحَةِ أَفْغَانِسْتَانَ فَإِنَّ عَدَدَ أَرْبَعَةِ مَلَائِينَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْأَرْضَ شَبَهُ خَالِيَةٍ، وَهَذَا يَحْرِمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ وَسَطِهِمُ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي يَتَحَرَّكُونَ فِيهِ وَيُمِدُّهُمْ بِالْمُسَاعَدَاتِ

اللَّازِمَةَ مِنْ رِجَالٍ وَطَعَامٍ وَمَعْلُومَاتٍ وَمُسَاعَدَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً. إِنَّ السُّكَّانَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ مِثْلَ الْمَاءِ بِالنِّسْبَةِ لِأَسْمَاكِ الْأَنْهَارِ عَلَى حَسْبِ قَوْلِ الْمُجَاهِدِينَ أَنْفُسِهِمْ، فَإِذَا جَفَّ النَّهْرُ فَإِنَّ الْأَسْمَاكَ حَتْمًا تَخْتَنِقُ وَتَمُوتُ. وَسُكَّانُ الرَّيفِ هُمْ الْفِئَةُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ لِأَنَّ مَنَاطِقَ الرَّيفِ وَالْجِبَالِ هِيَ مَنَاطِقُ النُّفُوزِ التَّقْلِيدِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ. بَيْنَمَا تُمَثِّلُ الْمُدُنُ مَنَاطِقَ السُّلْطَةِ الْحُكُومِيَّةِ.

وَفِي الْمَرَحَلَةِ الْحَالِيَةِ فَإِنَّ الرُّوسَ اسْتَعْلَمُوا مَوْجَةَ أَنْدِفَاعِهِمْ الْأَخِيرَةَ وَتَحْطِيمَ أَكْثَرِ مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِينَ وَقَوَاعِدِهِمْ الْأَسَاسِيَّةَ لَكَيْ يَدْعُمُوا سُلْطَةَ الْحُكُومَةِ عَلَى سُكَّانِ الرَّيفِ. فَبَدَأَتِ الْحُكُومَةُ فِي عَمَلِ حَصْرِ لِسُكَّانِ الْقُرَى وَصَرْفِ بَطَاقَاتِ هُوِيَّةٍ لِكُلِّ أُسْرَةٍ، تُسَجَّلُ فِيهَا بَيِّنَاتٌ كَامِلَةٌ عَنِ الْأُسْرَةِ. وَتَكُونُ الْقُرَى عُرْضَةً لِلْمُدَاهَمَةِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَعِنْدَ تَوَاجُدِ شَخْصٍ زَائِدٍ عِنْدَ أُسْرَةٍ مَا فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ مِنْ «الْمُخْرَبِينَ»، وَتُعَرَّضُ الْأُسْرَةُ بِكَامِلِهَا لِلْعُقُوبَةِ الْجَمَاعِيَّةِ. كَذَلِكَ بَدَأَتِ الْحُكُومَةُ فِي مَنَعِ انْتِقَالِ الْمُواطِنِينَ بَيْنَ الْمُحَافَظَاتِ إِلَّا بِتَصْرِيحَاتٍ خَاصَّةٍ مِنَ السُّلْطَاتِ، وَأَيُّ شَخْصٍ يُسَافِرُ بِلَا تَصْرِيحٍ يُعْتَبَرُ «مُخْرَبًا»، وَالْعُقُوبَةُ مَعْرُوفَةٌ سَلْفًا. وَهَذِهِ الْإِجْرَاءَاتُ تَحْرِمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ الْحَرَكََةِ إِلَى الْقُرَى أَوْ بَيْنَ الْمُحَافَظَاتِ، وَكَذَلِكَ تُسَهِّلُ لِلْحُكُومَةِ إِحْكَامَ رِقَابَتِهَا عَلَى الْأَرْيَافِ وَسُهُولَةِ تَجْنِيدِ الْقَرَوِيِّينَ فِي الْجَيْشِ وَدَفْعِهِمْ لِمُحَارَبَةِ الْمُجَاهِدِينَ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُشِيرَ أَيْضًا إِلَى الْمَتَاعِبِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا الْمَدِينِيُّونَ فِي الْقُرَى مِنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ. وَهِيَ مَتَاعِبٌ دَفَعَتْ الْكَثِيرِينَ إِلَى الْهَجْرَةِ إِلَى خَارِجِ أَفْغَانِسْتَانَ، أَوْ إِلَى الْمُدُنِ تَحْتَ رَحْمَةِ الْحُكُومَةِ. وَفِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ تَقَدَّمَ الْقُرَوِيُّونَ بِطَلَبَاتٍ إِلَى الْحُكُومَةِ لِإِعَادَةِ احْتِلَالِ أَرْضِيهِمْ وَتَخْلِيصِهِمْ مِنْ أَدَى الْمُجَاهِدِينَ. فَفِي ظِلِّ الظُّرُوفِ الْمَعِيشِيَّةِ الصَّعْبَةِ الَّتِي يَحْيَاهَا سُكَّانُ الْقُرَى لَجَأَ الْمُجَاهِدُونَ إِلَى مُطَالَبَتِهِمْ بِالْعُشْرِ كَضَرِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى وَاجِبَاتِ الضِّيَافَةِ الَّتِي تُفَرِّضُ عَلَى السُّكَّانِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُزَوِّدُوا الْمُجَاهِدِينَ بِالطَّعَامِ وَالْحَلِيبِ وَأَحْيَانًا الْمَيْتِ^(١).

(١) هُنَا يَجِبُ التَّنَطُّقُ إِلَى آفَةِ حَادِثَةٍ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا نَزْعُهُمْ خُلُوعَ الْأُمَّةِ مِنْهَا حَتَّى فِي عُسُورِهَا الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي حَالِ أَنْ هَجَمَ الْعَدُوُّ عَلَى بَلَدَةٍ مُسْلِمَةٍ يُصِحُّ فَرَضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ قَادِرٍ فِيهَا، حَتَّى عَلَى النِّسَاءِ، فَيَخْرُجُ الْإِبْنُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ أَبِيهِ وَالْمَرْأَةُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا وَالْمَدِينِيُّ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ دَائِيهِ، وَهَذَا مَجْلُ إِجْمَاعٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَقَدْ نَقَلَ الشَّيْخُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ فِي كِتَابِهِ «الدَّفَاعُ عَنْ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ أَهْمُ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ»، فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَهْلُ تِلْكَ الْبَلَدَةِ الدَّفَاعَ عَنْهَا وَجَبَ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نُصْرَتُهُمْ، وَيَأْتِمُّ الْقَادِرُ إِذَا مَا نَكَثَ عَنِ الْجِهَادِ. وَهُنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْبِلَادَ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي وَجَبَ عَلَى أَهْلِهَا الْجِهَادَ لَا يُوجَدُ فِيهَا مَا يُسَمَّى «مَدِينِيَّةً»، فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَدِينِيَّةٍ مُسْلِمُونَ وَبِلَادُهُمْ تَحْتَ الْغَزْوِ، فَهَؤُلَاءِ «الْمَدِينِيُّونَ» الْقَاعِدُونَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَبَسْتُونَ مِنْ مُمَارَسَاتِ الْمُجَاهِدِينَ غَيْرِ الْمُنْضَبِطَةِ، أَيْنَ هُمْ مِنْ وَاجِبِ الْجِهَادِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْهِمْ؟! أَيْقَعُدُونَ هُمْ وَيَسْتَنْظِرُونَ غَيْرَهُمْ لِيُجَاهِدُوا بَدَلًا مِنْهُمْ؟!، نَحْنُ لَمْ نَتَطَرَّقْ إِلَى جِهَادِ النِّسَاءِ بَعْدَ، بَلْ نَحْنُ نَسْتَأْوِلُ الْقَادِرِينَ مِنَ الرِّجَالِ فَحَسَبَ!! نَحْنُ لَا نُبَرِّرُ بِالطَّبَعِ الْمُمَارَسَاتِ الَّتِي لَا تَمْتُّ لِلْإِسْلَامِ - فَضْلًا عَنْ

وَأَعْدَادُ الْمُجَاهِدِينَ عَادَةً أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَدْعِيهِ ضَرُورَاتِ الْعَمَلِيَّاتِ فِي
 الْمَنْطِقَةِ فَأَخَذَتِ الْعَمَلِيَّةُ طَابَعِ الْبَلَطَجَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ وَاجِبًا شَرْعِيًّا. بِالإِضَافَةِ إِلَى
 تَعَدُّدِ الْمَجْمُوعَاتِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْوَاحِدَةِ، وَكُلِّ مَجْمُوعَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ حَقَّهَا
 كَامِلًا مِنْ السُّكَّانِ الْفُقَرَاءِ أَصْلًا. وَلَجَأَ بَعْضُ الْمُجَاهِدِينَ لِلْحُصُولِ عَلَى حَقِّهِ
 مِنَ السُّكَّانِ بِالضَّرْبِ وَالتَّهْدِيدِ وَأَحْيَانًا الْقَتْلِ. فَلَجَأَ السُّكَّانُ إِلَى التَّصَرُّفَاتِ
 السَّابِقَةِ الذِّكْرِ. أَمَّا فِي الْمُدُنِ فَالْأَحْوَالُ لَا تَقِلُّ سُوءًا. فَقَدْ أَصْبَحَتِ الْمُدُنُ
 مُكَدَّسَةً فَوْقَ طَاقَةِ اسْتِيعَابِهَا، وَالْمُهَاجِرُونَ يَفْتَقِرُونَ إِلَى مُعْظَمِ مُسْتَلْزَمَاتِ
 الْمَعِيشَةِ مِنْ سَكَنِ وَطَعَامٍ وَمَلَابِسٍ. وَأَصْبَحَ أَكْثَرُ الْأَعْمَالِ رِبْحًا بِالنِّسْبَةِ
 لِسُكَّانِ الْمَدِينَةِ هُوَ التَّعَاوُنُ مَعَ الْحُكُومَةِ الَّتِي تَدْفَعُ بِسَخَاءٍ لِكُلِّ مَنْ يُيَدِي شَيْئًا
 مِنَ التَّعَاوُنِ وَلَوْ كَانَ تَافِهًا.

وَبِالتَّالِيِ أَصْبَحَتِ حَرَكََةُ الْمُجَاهِدِينَ دَاخِلَ الْمُدُنِ أَكْثَرَ صُعُوبَةً لِكَثْرَةِ

الْجِهَادِ- بِصِلَةِ وَالتِّي خَرَجَتْ عَنْ بَعْضِ مَنْ يَنْسَبُونَ إِلَى الْجِهَادِ، وَلَكِنَّا نُنَبِّهُ أَنَّ الْقَاعِدِينَ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ
 لَا بُدَّ وَأَنْ يَنْتَلِيَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِصُنُوفٍ مِنَ الْبَلَاءِ بِحَقِّ أَوْ بِيَاطِلٍ، وَإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَى تِلْكَ الظَّاهِرَةِ الْخَطِيرَةِ
 لِأَنَّهَا مُتَشَبِّهَةٌ الْيَوْمَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ أَجْمَعٍ، فَتَرَى أَنَّ أَقْلَ الْقَلِيلِ هُمْ مَنْ حَمَلُوا وَاجِبَ الْجِهَادِ عَلَى
 أَعْتَاقِهِمْ بَيْنَمَا نَزَحَ الْأَكْثَرُونَ وَفَرُّوا وَلَجَّأُوا إِلَى بُلْدَانٍ أُخْرَى أَوْ فَعَدُوا فِي بِيُوتِهِمْ مُنْتَظِرِينَ الْخَلَاصِ،
 فَمَنْ يُجَاهِدُ أَهْلَ الْكُفْرِ إِذَا وَقَدَ نَزَلُوا بِدِيَارِنَا؟!، وَهَذَا الْأَمْرُ مُشَاهِدٌ الْيَوْمَ بِكَثْرَةِ فِي جِهَادِ أَهْلِ الشَّامِ
 لِلرَّافِضَةِ وَالرُّوسِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

الْجَوَاسِيسِ فِيهَا. بَلْ وَتُرْسَلُهُمْ إِلَى مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِينَ حَوْلَ الْمُدُنِ لِجَمْعِ
الْمَعْلُومَاتِ لِقَاءِ مُكَافَأَتٍ كَبِيرَةٍ.



الْمَوْقِفُ السِّيَاسِيُّ:

إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَسْئُولٌ عَنِ الْإِنْهِيَارِ الْحَاصِلِ فِي جَبْهَةِ الْجِهَادِ وَالْهَزِيمَةِ
الْعَسْكَرِيَّةِ الْحَالِيَةِ فَهُوَ بِلَا شَكٍّ قِيَادَاتُ الْأَحْزَابِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ. فَتِلْكَ الْقِيَادَاتُ
رَكِبَتْ مَوْجَةَ الْجِهَادِ مُنْذُ بَدَايَتِهَا وَأَعْلَنْتْ نَفْسَهَا الْمَسْئُولَةَ عَنِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ
وَالْقَائِدَةَ لَهَا. وَهُوَ ادِّعَاءٌ بَاطِلٌ مِنْ أُسَاسِهِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَتَاكَ لِتِلْكَ
الْقِيَادَاتِ شَرْعِيَّةَ الْحُصُولِ عَلَى الْمُسَاعَدَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْعَيْنِيَّةِ الَّتِي تَدْفَقَتْ
لِمُسَاعَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَأَنْتَفَحَتْ الْأَرْصَدَةَ الْمَالِيَّةُ وَصَاقَتْ
الْمَخَازِنُ بِالْمُسَاعَدَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، فَوَصَلَتْ إِلَى الْأَسْوَاقِ لِتُبَاعَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ
بِأَسْعَارٍ بَخْسَةٍ. بَيْنَمَا أَصْحَابُهَا الشَّرْعِيُّونَ يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا وَيَتْرَكُونَ مَوَاقِعَهُمْ
لِلرُّوسِ لِعَدَمِ وُجُودِ مَلَاسٍ أَوْ غِطَاءٍ يَقِيهِمْ ثَلْجَ الْجِبَالِ.

وَأَمْتَلَأَتْ السَّاحَةُ السِّيَاسِيَّةُ لِلْأَحْزَابِ بِالصُّرَاخِ وَالِاتِّهَامَاتِ وَالصَّرَاعَاتِ
وَالْمُنَاوَرَاتِ وَمَسْرَحِيَّاتِ الْوَحْدَةِ وَالِاتِّحَادِ، إِلَى آخِرِ الْمَهَازِلِ الَّتِي ضَخَّمَتْ
السَّلْبِيَّاتِ وَأَعَاقَتْ الْجِهَادَ، كَمَا ضَخَّمَتْ مَعَهَا الْأَرْصَدَةَ الْمَالِيَّةَ لِكَثِيرِينَ
وَتَحَوَّلُوا مِنْ فُقَرَاءِ مُعْدَمِينَ إِلَى أَصْحَابِ مَلَائِينَ يَحْمِيهِمْ حَرَسٌ مُسَلَّحٌ،

وَتَفَرَّدُ لَهُمُ الصُّحُفُ صَفْحَاتِهَا. وَالسِّيَاسِيُّ الْبَارِعُ هُوَ شَخْصٌ يَرْبُحُ دَائِمًا، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ بِضَاعَتُهُ غَالِيَةً كَمُشْكِلَةٍ بِحَجْمِ الْمُشْكِلَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَبِضَاعَتُهُ فِيهَا دِمَاءٌ مِليُونَ وَنِصْفُ مِليُونَ إِنْسَانٍ، وَالْأَمُّ التَّشْرُدُ وَالضِّيَاعُ لِأَرْبَعَةٍ وَنِصْفِ مِليُونَ آخَرِينَ. وَكَمَا اسْتَفَادَتْ الْقِيَادَاتُ مِنْ انْتِفَاصَةِ الْجِهَادِ تَسْتَعِدُّ الْآنَ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْاِنْتِكَاسَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي تَعِيشُهَا الْمُقَاوِمَةُ.

وَتَفِيدُ الْأَنْبَاءُ الَّتِي نَقَلَهَا أَفْغَانٌ قَادِمُونَ مِنْ أُرُوبًا كَانُوا عَلَى اتِّصَالٍ وَثِيقٍ بِمُفَاوَضَاتٍ «جِينِيف» بَيْنَ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَالْحُكُومَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ وَإِشْرَافِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ، أَنَّ تِلْكَ الْمُفَاوَضَاتُ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى النَّجَاحِ وَالتَّوَصُّلِ إِلَى حَلِّ سِيَاسِيٍّ لِلْأَزْمَةِ وَإِعْلَانِ حُكُومَةِ أَفْغَانِيَّةٍ فِي الْمَنْفَى تُشَارِكُ فِي الْحَلِّ السِّيَاسِيِّ الْقَادِمِ. أَفَادَتْ تِلْكَ الْمَصَادِرُ أَنَّ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» قَدْ وَافَقَ عَلَى تِلْكَ الْمُفَاوَضَاتِ مَعَ الْوَفْدِ الْبَاكِسْتَانِيِّ فِي «جِينِيف». وَكَانَ «رَبَّانِي» يُمَثِّلُ تَحَالُفًا مِنْ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ يَضُمُّ الْقَادَةَ «جِيلَانِي» وَ «مُجَدِّدِي» وَ «مُحَمَّدَ نَبِيَّ» وَ «يُونُسَ خَالِصَ». وَبِهَذَا لَا يَكُونُ خَارِجَ هَذَا الْاِتِّفَاقِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الْمَشْهُورَةِ سِوَى «عَلْبِ الدِّينِ» وَ «سَيَافَ».

وَيَبْدُو أَنَّ الْحُكُومَةَ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ لَا تَرْتَعِبُ فِي خُرُوجِ كَافَّةِ الْأُورَاقِ مِنْ يَدِهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. فَاشْتَرَاكَ كَافَّةُ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي الْحَلِّ السِّيَاسِيِّ مُمَكِّنٌ جِدًّا، وَلَكِنْ لَنْ يَتَبَقَّى فِي يَدِ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ أُورَاقٌ تَلْعَبُ بِهَا فِي

المُستقبلِ ضدَّ الوضعِ السِّيَاسِيِّ القَادِمِ مِنْ «كَابُل» إِذَا أَبْدَى رُوحًا عَدَائِيَّةً ضِدَّ بَاكِسْتَانَ. لِهَذَا فَمِنْ الحِكْمَةِ إِبْقَاءُ حِزْبٍ أَوْ اثْنَيْنِ لِحَالَةِ الطَّوَارِي إِذَا لَمْ تَسِرْ الأُمُورُ فِي المُستقبلِ عَلَى مَا يُرَامُ، فَيُمْكِنُ إِذَا اسْتُخْدِمَ الحِزْبَيْنِ البَاقِيَيْنِ فِي أَعْمَالٍ إِزْعَاجِيَّةٍ تَدْفَعُ حُكُومَةَ «كَابُل» إِلَى مَوَاقِفَ أَكْثَرَ مَعْقُولِيَّةً مَعَ جَارَتِهَا بَاكِسْتَانَ.



مَلَامِحُ الحَلِّ السِّيَاسِيِّ المُقْتَرَحِ:

- قَطْعُ المَعُونَاتِ وَالتَّسْهِيلَاتِ المَمْنُوحَةِ مِنْ بَاكِسْتَانَ لِلْمُقَاوَمَةِ الأَفْغَانِيَّةِ.
- إِغْلَاقُ الحُدُودِ البَاكِسْتَانِيَّةِ فِي وَجْهِ رِجَالِ المُقَاوَمَةِ.
- قَبُولُ الحُكُومَةِ الأَفْغَانِيَّةِ الجَدِيدَةِ بِوُجُودِ عَنَاصِرٍ مُخْتَلِطَةٍ مِنْ الأَحْزَابِ المُقَاوَمَةِ وَالأَحْزَابِ الشِّيْعِيَّةِ كَأَفْرَادٍ فِي الحُكُومَةِ.
- وَوُجُودُ عَدَدٍ مِنَ القَوَاعِدِ العَسْكَرِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ فِي البِلَادِ بِشَكْلِ دَائِمٍ.
- مِنْ المَفْهُومِ سَلْفًا أَنَّ الحُكُومَةَ الجَدِيدَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ صَدِيقَةً لِلسُّوفِيَّةِ وَتَقْبَلُ بِشَرَطِ السُّوفِيَّةِ فِي تَسْيِيرِ المَسَائِلِ الدِّفَاعِيَّةِ وَالأَمْنِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ... الخ.
- كَمَا يَنْبَغِي لَهَا «احْتِرَامُ» الاتِّفَاقَاتِ الَّتِي سَبَقَ وَأَبْرَمَتَهَا الحُكُومَاتُ الأَفْغَانِيَّةُ السَّابِقَةُ.

مَوْقِفُ بَاكِسْتَانِ مِنَ الْحَلِّ السِّيَاسِيِّ:

- تُوَافِقُ بَاكِسْتَانُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَلِّ تَحْتَ وَطْأَةِ الْخَوْفِ مِنَ التَّهْدِيدِ الْعَسْكَرِيِّ السُّوفِيَّتِيِّ وَالْهِنْدِيِّ الَّذِي يُهَدِّدُ وُجُودَ بَاكِسْتَانِ كدَوْلَةٍ وَيَعْرِضُهَا لِلتَّمَتِّ وَالصِّيَاعِ.
- عَدَمُ ثِقَةِ بَاكِسْتَانِ فِي دَعْمِ حُلْفَائِهَا لَهَا وَقْتِ الشَّدَّةِ، خَاصَّةً وَأَنَّ لَهَا تَجَارِبَ سَابِقَةً مَرِيرَةً مَعَهُمْ . فَلَيْسَ هُنَاكَ أُمَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ تُرَحِّبُ بِتَسَاقُطِ الصَّوَارِيخِ النَّوَوِيَّةِ عَلَى أَرَاضِيهَا مِنْ أَجْلِ سَوَادِ عِيُونِ دَوْلَةٍ أُخْرَى . وَبَاخْتِصَارٍ فَبَاكِسْتَانُ لَا تَتَّقُ فِي شَجَاعَةِ أَمْرِيكََا أَمَامَ التَّصْمِيمِ وَالْعَزِيمَةِ الَّتِي يُبْدِيهَا السُّوفِيَّتِيُّ.



مَوْقِفُ الْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ:

تَمَامًا كَمُنْظَمَاتِ الثَّوْرَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَنْظَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّ الْمُنْظَمَاتِ وَالْأَحْزَابَ الْأَفْغَانِيَّةَ تَشْعُرُ بِعَدَمِ شَرْعِيَّتِهَا، وَاعْتِصَابِهَا لِصِفَةِ الْجِهَادِ وَتَمَثِيلِ الْمُجَاهِدِينَ، إِضَافَةً إِلَى عَدَمِ امْتِلَاكِهَا أَيِّ قُدْرَةٍ ذَاتِيَّةٍ لِإِدَارَةِ الْجِهَادِ بِمَعْرِزٍ عَنِ إِرَادَةِ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، وَالْإِمْدَادَاتِ الْهَائِلَةِ الَّتِي تَأْتِي عَنْ طَرِيقِهَا أَوْ فَوْقَ أَرَاضِيهَا بِرِضَاهَا وَمُوَافَقَتِهَا. فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَحْزَابِ إِلَّا أَنْ تُوَافِقَ

عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوَافِقُ عَلَيْهِ الْحُكُومَةُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ إِنْ [كَانَ] سِلْمًا أَوْ حَرْبًا.

بَدَأَتْ بَعْضُ الْقِيَادَاتِ فِي تَسْوِيقِ رُوحِ الْهَزِيمَةِ سِرًّا وَبَثَّهَا فِي صُفُوفِ الْأَفْغَانَ، مُهَاجِرِينَ وَمُجَاهِدِينَ. وَتَقُولُ الدَّعَايَةُ إِنَّ الْمُجَاهِدِينَ عَاجِزُونَ عَنْ صَدِّ الرُّوسِ، وَأَنَّ الْمُقَاوِمَةَ أَصْبَحَتْ غَيْرَ مُمَكِّنَةٍ.

أَبَدَتْ الْأَحْزَابُ سَلِيَّةً مُدْهِشَةً وَمُثِيرَةً لِلتَّسَاوُلِ، بَلْ تَدْعُو إِلَى الْاِتِّهَامِ أَمَامَ أَخْبَارِ تَقَدُّمِ الْقُوَاتِ الشُّيُوعِيَّةِ وَتَحْطِيمِهَا مَعَاقِلَ الْمُجَاهِدِينَ وَإِعْلَاقِهَا لِأَكْثَرِ الْمَمَرَّاتِ الْحُدُودِيَّةِ. الْيَوْمَ الْأَرْبَعَاءُ ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٤ م - وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ - ذَهَبَ مَوْلَوِيٌّ «أَرْسَلَانَ رَحْمَانِي» - وَهُوَ مِنْ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ الْمَشْهُورِينَ - إِلَى مَجْلِسِ الشُّورَى وَطَلَبَ بَحْثَ الْإِجْرَاءَاتِ الْوَاجِبِ اتِّخَاذِهَا بِسُرْعَةٍ لِمَصَدِّ الْهَجَمَاتِ الرُّوسِيَّةِ عَلَى نِقَاطِ الْحُدُودِ، وَخَاصَّةً أَنَّ الْأَخْبَارَ وَصَلَتْ فِي يَوْمٍ سَابِقٍ بِإِعْلَاقِ مَمَرَّاتِ «قَنْدَهَار»، وَوُضُوعِ قُوَاتِ سُوفِيَّةٍ إِلَى «أُورْجُون»، وَسَعِيهَا لِإِعْلَاقِ الْمَمَرَّاتِ فِي «بَاكْتِيَا» وَشَنْ حَمَلَةٍ [عَلَيْهَا]. بَدَأَ الطَّيْرَانُ بِالْتَّمْهِيدِ لَهَا عَنْ طَرِيقِ قَصْفِ الْقَرْىِ وَمَرَازِكِ الْمُجَاهِدِينَ.

وَكَانَ الرَّجُلُ يَكَادُ أَنْ يَبْكِي، وَلَكِنَّ مَجْلِسَ الشُّورَى رَفَضَ بَحْثَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. أَمَّا «سِيَّاف» رَئِيسُ الْاِتِّحَادِ فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يُطِيبَ خَاطِرَ الشَّيْخِ فَوَعَدَهُ بِبَحْثِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْقَادِمِ!! وَمِنْ الْمَعْرُوفِ عَنْ رَئِيسِ الْاِتِّحَادِ أَنَّهُ إِذَا وَعَدَ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ حَتْمًا لَنْ يُنْفِذَهُ.

مَوْقِفُ أَمْرِيكَأ مِنَ الْحَلِّ السِّيَاسِيِّ:

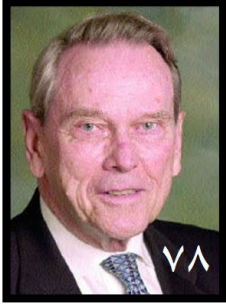
إِذَا قَارَنَّا مَوْقِفَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ بِمَوْقِفِ الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فَالنتيجةُ هِيَ أَنَّ الْحُكُومَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ هِيَ الطَّرْفُ الْوَحِيدُ الَّذِي اتَّخَذَ الْمَوْقِفَ الْإِسْلَامِيَّ الصَّحِيحَ!

لَقَدْ رَأَتْ أَمْرِيكَأ أَنَّ الْحَلَّ السِّيَاسِيَّ سَوْفَ يُعْطَى لِلسُّوفِيَّةِ كُلِّ مُمَيَّرَاتِ الْاِحْتِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ بِدُونِ التَّكْلُفَةِ الْبَاهِظَةِ مَادِيًّا وَسِيَاسِيًّا الَّتِي يَتَكَبَّدُهَا السُّوفِيَّةُ مِنْ جَرَاءِ هَذَا الْاِحْتِلَالِ. كَمَا أَنَّهُ يُفَضُّوتُ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ أَمَامَ الْمُعَسْكَرِ الْعَرَبِيِّ فِي اسْتِدْرَاجِ السُّوفِيَّةِ وَاسْتِنْرَافِهِمْ فِي «الْمُسْتَنْقَعِ» الْأَفْغَانِيِّ حَسَبَ تَعْيِيرِهِمْ. لِهَذَا رَفَضَتْ الْحُكُومَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ الْاِقْتِرَاحَ وَأَبْلَغَتْ ذَلِكَ لِلْمُتَّفَاوِضِينَ فِي «جِينيف»، فَأُسْقَطَ فِي يَدِ الْوَفْدِ الْبَاكِسْتَانِيِّ كَمَا أُسْقَطَ فِي يَدِ وَفْدِ «الْمُجَاهِدِينَ»!

وَتَأَجَّلَ الْبَحْثُ إِلَى الْمُفَاوَضَاتِ الْمُتَنْظَرَةِ فِي فَبْرَايرِ الْقَادِمِ. وَالْوَفْدُ الْأَفْغَانِيُّ هُوَ الرَّابِحُ أَيَّا كَانَ الْقَرَارُ، فَالسَّلَامُ يَعْنِي السُّلْطَةَ وَالْمُشَارَكَةَ فِي الْحُكْمِ، وَالْحَرْبُ تَعْنِي الْمَلَائِينَ مِنَ الدُّوَلَارَاتِ وَالْآفَاءِ مِنْ قِطْعِ السَّلَاحِ تُوزَعُ عَلَى الْأَحْبَابِ، أَوْ تَبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ.

يُقَالُ إِنَّ تَأْكِيدَاتِ أَمْرِيكِيَّةَ وَصَلَتْ إِلَى الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ بِأَنَّ أَمْرِيكَأ لَنْ تَسْمَحَ بِتَدْمِيرِ بَاكِسْتَانِ، وَأَنَّهَا سَتَتَدَخَّلُ إِذَا لَزِمَ الْأَمْرُ ضِدَّ أَيِّ غَزْوٍ هِنْدِيٍّ أَوْ

سُوْفِيَّتِي لِأَرْضِيهَا. وَأَنَّ الْأُسْطُولَ السَّابِعَ وَالْخَامِسَ يَجُولَانِ فِي الْمَحِيطِ
الْهِنْدِيِّ قَرِيبًا مِنْ شَوَاطِئِ بَاكِسْتَانَ حَتَّى يَزُولَ الْخَطَرُ.



وَأَمْسُ الثَّلَاثَاءِ ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٤ م وَصَلَ إِلَى «إِسْلَام
آبَاد» «رِيْتَشَارْدُ مُورْفِي»^(١) السِّكْرَتِيرَ لِشُؤُونِ الدَّوْلَةِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ [صُورَةٌ رَقْمٌ ٧٨] قَادِمًا مِنْ «نِيُو دِلْهِي». وَيَبْدُو أَنَّهُ
يَحْمِلُ تَأْكِيدَاتٍ أَكْثَرَ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَدَى جِدِّيَّتِهَا، وَلَكِنَّهَا
الْأَمَلُ الْوَحِيدُ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ بَاكِسْتَانُ لِعُبُورِ هَذَا الشِّتَاءِ
الْحَرَجِ.



الْمَوْقِفُ الْإِسْلَامِيُّ:

الْأَقْطَابُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْفَاعِلَةُ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ قُطْبَانِ، تَرْتِيبُهُمَا حَسَبَ

الْأَهْمِيَّةِ:

- (١) رِيْتَشَارْدُ وِيلِيَامُ مِيرْفِي (٢٩ يُولْيُو ١٩٢٩ م): دِيْبْلُومَاسِيٌّ أَمْرِيكِيٌّ، شَغَلَ عِدَّةَ مَنَاصِبَ دِيْبْلُومَاسِيَّةٍ،
مِنْهَا نَائِبُ الْقَنْصُلِ فِي رُودِيْسِيَا ١٩٥٥ م - ١٩٥٨ م، وَعَمَلٌ فِي مَكْتَبِ شُؤُونِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ ١٩٥٩ م -
١٩٧١ م، وَسَفِيرُ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ فِي مُورِيْتَانِيَا ١٩٧١ م - ١٩٧٤ م، وَفِي سُورِيَا ١٩٧٤ م - ١٩٧٨ م،
وَفِي الْفِلِيبِينِ ١٩٧٨ م - ١٩٨١ م، وَفِي السُّعُودِيَّةِ ١٩٨١ م - ١٩٨٣ م، وَعَبَّرَ ذَلِكَ.

١. «الإخوان المسلمون».

٢. الحكومة السعودية.

وَكَأَلَا الْقُطْبَيْنِ يَعْمَلَانِ حَالِيًا عَلَى نَسْقٍ وَتَرْتِيبٍ وَاحِدٍ فِي مُعَالَجَةِ الْأَزْمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، حَتَّى أَنَّهُ قَدْ تَكَوَّنَ وَفُدَّ مُشْتَرَكٌ مِنَ الْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ وَ «الإخوان» زَارَ «بِيشاور» مُؤَخَّرًا فِي مُهِمَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ، الْهَدَفُ مِنْهَا تَثْبِيتُ رِئَاسَةِ «سَيَّاف» لِلاتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ وَإِظْهَارِ التَّأْيِيدِ لَهُ، حَتَّى لَوْ انْفَضَّ بَاقِي الزُّعَمَاءِ مِنَ الْإِتِّحَادِ وَبَقِيَ «سَيَّافٌ» مُنْفَرِدًا، وَهُوَ الْوَضْعُ الْحَادِثُ حَالِيًا فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ.

«الإخوان المسلمون»:

قَبْلَ بَحْثِ مَوْقِفِهِمُ السِّيَاسِيِّ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُفِيدِ وَصْفٌ وَضَعِهِمُ التَّنْظِيمِيَّ وَفِكْرِهِمُ الْحَرَكَِيَّ مِنْ خِلَالِ صُورَةٍ أَدْبِيَّةٍ مُبَسَّطَةٍ.

يُشْبِهُ تَنْظِيمُ «الإخوان» الْحَيَوَانَ الْمُنْقَرِضَ الْمُسَمَّى «الدِّينَاصُور» الَّذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِجَسَدٍ صَخْمٍ لَا يُمَكِّنُ مُقَاوَمَتَهُ، وَلَكِنَّهُ بَطِيءُ الْحَرَكََةِ وَعَقْلُهُ صَغِيرٌ جَدًّا لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ هَذَا الْحَجْمِ الصَّخْمِ. كَانَ مِنْ نَتِيجَةِ هَذَا التَّكْوِينِ غَيْرِ الْمُتَنَاسِقِ أَنْ تَمَكَّنَتْ حَيَوَانَاتٌ فَارِضَةٌ صَغِيرَةٌ سَرِيعَةُ الْحَرَكََةِ وَذَكِيَّةٌ مِنْ أَكْلِ بَيْضِ الدِّينَاصُورِ الصَّخْمِ صَغِيرِ الْعَقْلِ بَطِيءِ الْحَرَكََةِ الْكَثِيرِ الْأَكْلِ بِصُورَةٍ دَمَّرَتْ الْبَيْئَةَ مِنْ حَوْلِهِ. وَفِي النِّهَايَةِ انْقَرَضَ الدِّينَاصُورُ بِفِعْلِ هَذِهِ الْقَوَارِضِ الصَّغِيرَةِ، حَتَّى الْبَيْئَةُ مِنْ حَوْلِهِ لَمْ تَعُدْ تَحْتَمِلُهُ وَلَمْ تَكْفِ الْمَوَارِدُ الْمَتَّاحَةَ

لِإِطْعَامِهِ.

تَنْظِيمُ «الإخوان» بِالْمُقَابِلِ يَتَمَتَّعُ بِالصَّخَامَةِ الْعَدَدِيَّةِ وَالانْتِشَارِ الْأُفْقِيِّ الْوَاسِعِ، وَتَأْثِيرِهِ الدَّعَائِيَّ فِي الْأَوْسَاطِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ يُمَثِّلُ الْجِسْمَ الرَّئِيسِيَّ لِلْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ . هَذِهِ الصَّخَامَةُ الدِّينَاصُورِيَّةُ فِي الْحَجْمِ يُقَابِلُهَا فِكْرٌ حَرَكِيٌّ ضَحْلٌ وَإِمْكَانِيَّةٌ حَرَكِيَّةٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا، وَعَقْلٌ غَيْرُ قَابِلٍ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْوَاقِعِ الْحَيِّ . وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ أَدَّتْ إِلَى هَزِيمَةِ «الإخوان» وَبِالتَّالِيِ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ كَكُلِّ فِي مُوَاجَهَاتٍ حَاسِمَةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَلَا دَاعِي لِدِكْرِهَا.

بِنَفْسِ هَذَا الْمَنْطَلِقِ الدِّينَاصُورِيِّ تَدَخَّلَ «الإخوان» فِي قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ . وَحَرَّكُوا الْجَمَاهِيرَ الْإِسْلَامِيَّةَ لِلتَّعَاطُفِ وَمُسَانَدَةِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ، كَحَرَكَةِ جِهَادٍ إِسْلَامِيِّ .

وَتَوَلَّى «الإخوان» مِنْ خِلَالِ جِهَازِهِمُ الدِّينَاصُورِيِّ مُهِمَّةَ التَّصَرُّفِ الْمُبَاشِرِ فِي دَعْمِ جِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ . وَلَكِنَّ الْعَقْلَ الدِّينَاصُورِيَّ الْقَاصِرَ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى إِدْرَاكِ الْأَبْعَادِ الْمُعَقَّدَةِ لِلْعَمَلِيَّةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَكَانَ تَقْيِيمُهُ لِلْوَضْعِ [سَطْحِيًّا] وَيَفْتَقِرُ إِلَى الْوَاقِعِيَّةِ وَالْعُمُقِ . فَأَجَّجَتْ مَجْهُودَاتُ «الإخوان» فِي «بِيشاور» صِرَاعَاتِ الزَّعَامَةِ فِيهَا وَالتَّنَافُسَ الشَّرِسَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَتَكْدِيسَ الْمَعُونَاتِ .

مُنْطَلَقِ «الإخوان» فِي تَقْدِيمِ الدَّعْمِ لِلْمُنْتَظَمَاتِ الأفْغَانِيَّةِ كَانَ حَزْبِيًّا، وَكَانَ هَمُّهُمْ مُنْصَبًا لِلْبَحْثِ عَنِ زَعِيمٍ يَحْمِلُ فِكْرَ «الإخوان» لِكَيْ يُوجِّهُوا إِلَيْهِ الدَّعْمَ وَالْمُسَانَدَةَ المَادِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ. وَتَقَلَّبُوا فِي اخْتِيَارِ الزُّعَمَاءِ، بِدَايَةِ مَنْ «صَبَغَهُ اللهُ مُجَدِّدِي» ثُمَّ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي»، ثُمَّ «غَلَبَ الدِّينِ»، وَأَخِيرًا «سَيَّاف» كَاخْتِيَارٍ نَهَائِيٍّ، وَأَعْلَنُوا صِرَاحَةً أَنَّهُ لَا رُجُوعَ عَنْهُ.

الحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ:

قَدَّمتِ الحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ مُسَاعَدَاتٍ كَبِيرَةً لِجَمِيعِ الزُّعَمَاءِ الأفْغَانِ بِأَلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَمُسَاعَدَاتٍ أُخْرَى لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ خِلَالِ الْهَلَالِ الْأَحْمَرِ السُّعُودِيِّ. وَلَمَّا تَزَايَدَ التِّيَّارُ الشَّعْبِيُّ فِي المَمْلَكَةِ نَحَوَ تَأْيِيدِ القَضِيَّةِ الأفْغَانِيَّةِ، وَكَانَ هَذَا التِّيَّارُ مُتَأَثِّرًا أَسَاسًا بِدَعَايَاتِ «الإخوانِ المُسْلِمِينَ» وَتَصَوُّرِهِمْ لِلوَضْعِ السِّيَاسِيِّ الأفْغَانِيِّ، فَقَدْ كَانَ الرَّأْيُ العَامُّ الإِسْلَامِيُّ فِي السُّعُودِيَّةِ خَاضِعًا لِتَصَوُّرَاتِ «الإخوانِ المُسْلِمِينَ». لِهَذَا فَهُوَ تِيَّارٌ مُنْفَعِلٌ وَمَتَعَاطِفٌ مَعَ «سَيَّاف» كَزَعِيمٍ، وَالاتِّحَادِ الإِسْلَامِيِّ لِمْجَاهِدِي أفْغَانِستَانِ كَمُؤَسَّسَةٍ. وَأصْبَغَتْ دَعَايَةُ «الإخوانِ» عَلَى «سَيَّاف» وَالاتِّحَادِ قُدْسِيَّةً غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلْمُنَاقَشَةِ، وَبِالمِثْلِ كَانَ الرَّأْيُ العَامُّ السُّعُودِيُّ. وَجَاءَ أَيْضًا المَوْقِفُ الرَّسْمِيُّ لِلحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ مُطَابِقًا لِلتِّيَّارِ الشَّعْبِيِّ المَوْجُودِ، وَوَضِعَتْ الإِمْكَانِيَّاتُ المَالِيَّةُ الفَلَكِيَّةُ لِلْمَمْلَكَةِ وَتَأْيِيدُهَا المَعْنَوِيَّ الضَّخْمُ لِدَعْمِ زَعَامَةِ «سَيَّاف» أَيَّا كَانَ مَوْقِفُ الزُّعَمَاءِ

الآخرين.

وَتَجَدُّرُ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ التَّايِيدَ الْقَادِمَ مِنَ السُّعُودِيَّةِ جَاءَ مَبْنِيًّا عَلَى مُؤَثَّرَاتٍ مَذْهَبِيَّةٍ، فَقَدْ عَمَدَ عُلَمَاءُ السُّعُودِيَّةِ إِلَى نَشْرِ الْمَذْهَبِ السَّلَفِيِّ بَيْنَ الْأَفْغَانِ، وَحَصَلُوا عَلَى رِضَا بَعْضِ الْقَادَةِ، وَخَاصَّةً «سَيَّافٍ»، فَأَقَامُوا مَعْهَدًا فِي «لَاهُور» لِنَشْرِ السَّلَفِيَّةِ، وَمَنَحُوا إِعَانَةً مَالِيَّةً لِلْمُتَسَبِّبِينَ إِلَيْهِ. وَقَدْ انْضَمَّ إِلَى الْمَعْهَدِ عَدَدٌ مِنْ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الشُّورَى الْأَفْغَانِيِّ. وَطُبِعَتْ كَمِّيَّاتٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكُتُبِ السَّلَفِيَّةِ وَوُزِعَتْ بَيْنَ الْأَفْغَانِ.

وَبِهَذَا تَطَابَقَ مُنْطَلَقُ «الإِخْوَانِ» الْحَزْبِيِّ مَعَ مُنْطَلَقِ السُّعُودِيَّةِ الْمَذْهَبِيِّ لِيُكُونَ تَيَّارًا حَادًّا سَتَظْهَرُ لَهُ تَأْثِيرَاتٌ كَبِيرَةٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، بَلْ إِنَّ آثَارَهُ بَدَأَتْ تَظْهَرُ مِنَ الْآنِ، وَهِيَ:

١. كَرَاهِيَّةٌ مُتَنَامِيَةٌ مِنْ جَانِبِ الْأَفْغَانِ تِجَاهَ الْعَرَبِ، يُزَكِّيهَا الْعُلَمَاءُ الْمُتَعَصِّبُونَ وَقَادَةُ الْأَحْزَابِ، عَلَى اعْتِبَارِ [أَنَّ] الْعَرَبَ وَهَابِيُونَ جَاءُوا تَحْتَ سِتَارِ الْمُسَاعَدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَرَضِ نَشْرِ الْمَذْهَبِ الْوَهَابِيِّ الَّذِي يُعَادِلُ الْكُفْرَ عِنْدَ الْعَوَامِّ وَهُمْ أَكْثَرُ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ.

٢. كَرَاهِيَّةٌ مِنْ جَانِبِ الْأَفْغَانِ لِجَمَاعَةِ «الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، فَمُنْذُ سَنَوَاتٍ خَلَّتْ قَبْلَ الْإِنْقِلَابِ كَانَتْ الْعِلَاقَاتُ مُتَوَثِّرَةً بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَأَجْيَالِ الشَّبَابِ الْإِسْلَامِيِّ الْجَدِيدِ الَّذِي يَحْمِلُ أَفْكَارًا عَصْرِيَّةً، بِاعْتِبَارِ أَنَّ هَذِهِ الْأَفْكَارَ

أَفْكَارُ إِنْوَانِيَّةٍ لَا تَتَطَابَقُ مَعَ رُوحِ الْإِسْلَامِ. أَمَّا الْآنَ فَقَادَةُ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ
أَحْرَهُمْ [أَيَّ حَجْمَهُمْ وَهَمَّشَهُمْ] الدَّعْمُ الْإِنْوَانِيَّةِ الْمَادِّيِّ وَالْأَدْبِيِّ لِـ
«سَيَّافٍ»، [فَإِنَّهُمْ] لَا يُؤْمِنُونَ فِي الدَّعَايَةِ ضِدَّ «الْإِنْوَانِ» الَّذِينَ تَدَخَّلُوا
لِفَرْضِ زَعَامَتِهِ عَلَيْهِمْ.

٣. تَوَرَّطَ «الْإِنْوَانِ» فِي هُجُومٍ مُبَاشِرٍ ضِدَّ قَادَةِ أَحْزَابٍ عَدِيدِينَ مِثْلَ
«جِيلَانِي» وَ «مُجَدِّدِي» وَ «مُحَمَّدِي» وَ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» وَ «غَلِبِ
الدِّينِ حِكْمَتِيَارٍ». وَقَدْ وَجَّهَ الزَّعِيمَانِ الْآخِرَانِ تَهْدِيدَاتٍ مَكْشُوفَةً
لِلْإِنْوَانِ لِإِيْقَافِ الْهُجُومِ الشَّخْصِيِّ عَلَيْهِمَا.

وَنَتِيجَةً لِهَذَا فَقَدْ تَقَلَّصَتْ قُدْرَةُ «الْإِنْوَانِ» عَلَى الْمُنَاوَرَةِ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ،
وَأَصْبَحُوا الْآنَ فِي قَبْضَةِ «سَيَّافٍ» الَّذِي لَا مَجَالَ لَهُمْ لِلْعَمَلِ إِلَّا مِنْ خِلَالِهِ.
وَهَكَذَا انْقَلَبَ الْوَضْعُ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ «سَيَّافٍ» أَدَاةً لِلْإِنْوَانِ فِي
أَفْغَانِسْتَانَ، تَحَوَّلَ «الْإِنْوَانِ» إِلَى أَدَاةٍ فِي يَدِ «سَيَّافٍ» يَسْتَعْدِمُهُمْ فِي تَوْطِيدِ
مَرْكَزِهِ الْأَدْبِيِّ وَسَمْعَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَبِالتَّالِي ضَمَانُ مَوْرِدِ مَالِيٍّ
ضَخْمٍ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ، مُتَدَفِّقٍ بِاسْتِمْرَارٍ، يَضْمَنُ لـ «سَيَّافٍ» تَفَوُّقَهُ الْمَالِيَّ
الْمُطْلَقَ عَلَى كَافَّةِ الْأَحْزَابِ.



إمكانيات العمل في المستقبل:

يُشْتَرَطُ لِاسْتِمْرَارِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ الْفَعَّالِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بَقَاءَ الدَّوْلَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ صَحِيحَةٍ وَمُتَمَاسِكَةٍ وَمُسْتَقَرَّةٍ. وَبِمَعْنَى أَدَقِّ، أَنْ تَمُرَّ الْأَزْمَةُ الْحَالِيَّةُ فِي هَذَا الشَّتَاءِ الْحَرِجِ، وَأَنْ يَبْقَى النُّظَامُ السِّيَاسِيُّ فِي بَاكِسْتَانَ بِلَا تَغْيِيرٍ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ أُخْرَى حَتَّى يُعَادَ تَنْظِيمُ الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ لِحَرْبِ عِصَابَاتِ طَوِيلَةٍ الْمَدَى.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ تَبْرَزَ مِنْ صُفُوفِ الْأَفْغَانَ قُوَّةٌ فَعَّالَةٌ قَادِرَةٌ عَلَى تَحْلِيلِ الْوَضْعِ الرَّاهِنِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ سَلْبِيَّاتِ الْمَرْحَلَةِ الْمَاضِيَّةِ وَالتَّخْطِيطِ الْوَاعِي لِحَرْبٍ مُنْظَمَةٍ طَوِيلَةٍ الْمَدَى ضِدَّ الْجَيْشِ الرَّوسِيِّ وَالْعَقِيدَةِ الشُّيُوعِيَّةِ.

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: لِكَيْ تَنْتَصِرَ حَرَكَةُ الْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَوْسِيعِ رُقْعَةِ الْمُشَارَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أُفْقِيًّا وَرَأْسِيًّا، وَقَصْرِ دَوْرِ الْأَفْغَانَ فِي مَهَامِّ مُحَدَّدَةٍ. فَمِنْ الْمُنْطَقِيِّ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ الْجَانِبَ السِّيَاسِيَّ لِلْقَضِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْجَانِبَ التَّنْظِيمِيَّ الْمُتَعَلِّقَ بِالْأُمُورِ الْإِدَارِيَّةِ كَافَّةً، بِمَا فِيهَا إِدَارَةٌ مُعَسَّكَرَاتِ التَّدْرِيْبِ.

وَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ الْإِشْرَافَ الدَّقِيقَ وَالْمُنْظَمَ عَلَى الْجَانِبِ اللُّوجِسْتِيِّ «الْإِمْدَادُ وَتَمْوِينُ الْجَبَهَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ».

وَمِنَ الْمَنْطِقِيِّ وَالضَّرُورِيِّ مُسَاهَمَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَانِبِ الْمُتَعَلِّقِ
بِالْبَحْثِ الْإِسْتِرَاتِيغِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْقَضِيَّةِ، وَوَضْعُ فَلَسَفَةِ عَسْكَرِيَّةٍ
وَتَطْوِيرُ التَّكْتِيكِ الْعَسْكَرِيِّ وَفَقًّا لِمُتَطَلِّبَاتِ الْجِهَادِ وَتَدْرِجٍ مَرَّاحِلِهِ.

فَمِنَ الْمَنْطِقِيِّ وَالضَّرُورِيِّ «أَسْلَمَةُ» الْقَضِيَّةِ عَلَى النَّمَطِ الْقَائِلِ بِتَدْوِيلِ
الْقَضِيَّةِ. هَذَا وَإِلَّا سَوْفَ نَفَاجًا بِتَحْوُلِ دِرَامِيٍّ لِمَسَارِ الْقَضِيَّةِ نَحْوِ الْقَوْمِيَّةِ،
وَرُبَّمَا نَحْوِ الْقَبَلِيَّةِ وَإِقَامَةِ دُوِيَّاتِ الْأَقْلِيَّاتِ. وَهُوَ مَا يَسْعَى الرُّوسُ إِلَيْهِ بِأَحْيَاءِ
الْقَوْمِيَّاتِ وَاللُّغَاتِ الْقَبَلِيَّةِ، وَالتَّأَكِيدِ عَلَيْهَا لِشِرْذِمَةٍ [مِنْ] الشَّعْبِ إِلَى كُتْلٍ
مُنَّاحِرَةٍ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنِ التَّجْمَعِ الْوَاحِدِ تَحْتَ رَايَةٍ عَقِيدِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ
الإِسْلَامُ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: يَفْتَقِرُ الْجِهَادُ الْأَفْغَانِيُّ مِنْذُ بَدَايَتِهِ إِلَى عُنْصُرِ التَّنْظِيمِ
وَالفِكْرِ، وَاعْتَمَدَ عَلَى جَانِبِ الْقِتَالِ فَقَطْ. وَمِنَ الْمُفْتَرَضِ [مِنْ] الْعَالَمِ
الإِسْلَامِيِّ جَبْرُ هَذَا الْعَجْزِ بِإِنْشَاءِ قَنَوَاتٍ تَنْظِيمِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ أَفْغَانِيَّةٍ لِحَبْطِ
الْمَسَائِلِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا سَابِقًا، وَإِنْشَاءِ مَوْسَّسَاتٍ فِكْرِيَّةٍ لِمُعَالَجَةِ الْمَسَائِلِ الَّتِي
تَتَطَلَّبُ الْبَحْثَ النَّظْرِيَّ وَالْعِلْمِيَّ.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: مَسْأَلَةُ إِجَادِ زَعَامَةٍ مَرْكَزِيَّةٍ لِمُجْمَلِ الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ
بِصُورَةٍ عَاجِلَةٍ فِكْرَةً خَاطِئَةً مِنْ أَسَاسِهَا. وَهِيَ قَضِيَّةٌ شَائِكَةٌ لِظُرُوفِ
التَّدْخُلَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا، وَالزَّعَاةَ الْفَرْدِيَّةِ وَالْقَبَلِيَّةِ

لِلشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ. فَقَضِيَّةُ الزَّعَامَةِ وَإِبْجَادُ الزَّعِيمِ قَضِيَّةٌ سَتُحْلَلُ مَعَ مُرُورِ وَقْتٍ طَوِيلٍ نَسْبِيًّا. وَيَبْغِي التَّرْكِيزُ الْآنَ عَلَى إِنْشَاءِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْمُنْتَظَمَةِ الْقَادِرَةِ عَلَى إِدَارَةِ الْجِهَادِ بِدُونِ التَّرْكِيزِ عَلَى الشَّخْصِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ لِلزَّعِيمِ فِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ، فَهِيَ قَضِيَّةٌ لَنْ يَحُلَّهَا إِلَّا الشَّعْبُ الْأَفْغَانِيُّ بِنَفْسِهِ، وَالتَّدْخُلُ الْخَارِجِيُّ حَتَّى مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَنْ يَزِيدَ الْقَضِيَّةَ إِلَّا تَعْقِيدًا.

الشَّرْطُ السَّادِسُ: الْحَرْبُ عَلَى الْأَسَاسِ الْقَبَلِيِّ لَمْ تَعُدْ صَالِحَةً لِلْمَرْحَلَةِ الْمُقْبَلَةِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِسْرَاعِ بِتَكْوِينِ وَحَدَاتٍ صَغِيرَةٍ جَيِّدَةِ التَّدْرِيْبِ لِتُقَاتَلَ بِالْأَسَالِيْبِ الْحَدِيثَةِ لِحَرْبِ الْعِصَابَاتِ، مَعَ بَذْلِ الْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ بِأُمُورِ «اللُّوجِسْتِيك» الْخَاصَّةِ بِهَا؛ كَيْ تَتِمَّكَنَ مِنَ الْعَمَلِ فِي الْعُمُقِ تَحْتَ ظُرُوفٍ قَاسِيَةٍ وَبِدُونِ تَوَقُّفٍ أَوْ اعْتِمَادٍ عَلَى الْأَهَالِيِّ.

الْحَرْبُ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ سَتَكُونُ أَقْلَ تَكْلُفَةً بِالنَّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ وَأَقْلَ إِزْعَاجًا بِالنَّسْبَةِ لِسُكَّانِ الْقُرَى؛ لِأَنَّهَا سَتُخَفَّفُ عِبَاءُ إِعَاشَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَنْهُمْ، إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ سَتَكُونُ أَكْثَرَ إِزْبَاكًا لِلْعَدُوِّ وَإِنْهَاكًا لِقُوَّاتِهِ وَإِضْعَافًا لِهَيْبَةِ الْحُكُومَةِ وَسَيْطَرَتِهَا. وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ فِي الْمَرْحَلَةِ الرَّاهِنَةِ.

الشَّرْطُ السَّابِعُ: الْعَمَلُ عَلَى مَنَعِ هِجْرَةِ السُّكَّانِ مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ، وَالْعَمَلُ عَلَى إِعَادَةِ أَكْبَرِ قَدْرِ مُمَكِّنٍ إِلَى دَاخِلِ الْبِلَادِ، وَصَرْفِ الْمُسَاعَدَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ لِمَنْ تَضَرَّرَ مِنْهُمْ بِحَرْقِ الْمَزْرُوعَاتِ أَوْ هَلَاكِ الْمَاشِيَّةِ، كَيْ يَبْقُوا

فِي الْأَرْضِ وَلَا يُهَاجِرُوا، مَعَ تَقْدِيمِ خَدَمَاتٍ تَعْلِيمِيَّةٍ وَصِحِّيَّةٍ وَأَمْنِيَّةٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْمُجَاهِدِينَ، وَعَدَمِ مُطَالَبَتِهِمْ بِأَيِّ التِّزَامِ مَادِّيٍّ إِطْلَاقًا.

وَبِذَلِكَ يَسْتَعِيدُ الْمُجَاهِدُونَ ثِقَةَ السُّكَّانِ وَتَعَاوُنَهُمْ، وَيُخَفِّفُ عِبَاءَ الْمُهَاجِرِينَ عَنِ بَاكِسْتَانَ الَّتِي قَدْ يُؤَثَّرُ تَدْفُقُ الْهَجْرَةِ عَلَى حَالَتِهَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ.

الشَّرْطُ الثَّامِنُ: اسْتِغْلَالُ تَجْمُّعَاتِ الْمُهَاجِرِينَ لِتَجْنِيدِ قُوَّاتِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَوَضْعُ بَرَامِجِ تَرْبِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ عَلَى أُسُسِ إِسْلَامِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِضَمَانِ اسْتِمْرَارِ الْجِهَادِ لِعِدَّةِ أَجْيَالٍ قَادِمَةٍ، حَتَّى يَتِمَّ دَحْرُ الْجَيْشِ الرَّوسِيِّ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ وَمَلَا حَقَّتَهُ وَإِجْلَاؤُهُ عَنِ مُجْمَلِ الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي آسِيَا الْوُسْطَى.

الشَّرْطُ التَّاسِعُ: لِمُسَاعَدَةِ الْأَفْغَانِ عَلَى تَكْوِينِ الْقُدْرَةِ الذَّائِبَةِ عَلَى التَّخْطِيطِ طَوِيلِ الْمَدَى وَالْإِدَارَةِ النَّاجِحَةِ لَا بُدَّ مِنْ إِعْطَاءِ صِلَاحِيَّاتٍ أَكْبَرَ لِلْمُتَّقِنِينَ الْإِسْلَامِيِّينَ، وَعَدَمِ تَرْكِ نَوَاحِي التَّخْطِيطِ وَالْإِدَارَةِ لِلْعُلَمَاءِ، فَقَدْ أُثْبِتَتْ الْمَرْحَلَةُ الْمَاضِيَّةُ عَدَمَ قُدْرَتِهِمْ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ.

كَمَا يَنْبَغِي التَّرْكِيزُ عَلَى إِنْشَاءِ أَجْهَزَةٍ تَنْفِذِيَّةٍ ذَاتَ كَفَاءَةٍ بِدُونِ التَّرْكِيزِ أَوْ وَضْعِ هَالَاتِ التَّمَجِيدِ حَوْلَ الْقِيَادَاتِ الْفَرْدِيَّةِ.

هَذِهِ أَهْمُ اشْتِرَاطَاتِ اسْتِمْرَارِ الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ لِلْمَرْحَلَةِ
الْقَادِمَةِ.

فَهَلْ يَبْرُزُ فِي صُفُوفِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَنْ هُمْ قَادِرُونَ عَلَى التَّنْفِيذِ؟
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَدَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى
الْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ.



التَّقريرُ الثَّاني

خُطواتُ عَمَلِيَّةٍ فِي الجِهَادِ الإِسْلامِيِّ بِأَفْغانِسْتانَ

لَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ التَّعَرُّفُ بِعُمقٍ عَلى أبعادِ أيِّ مُشكِلةٍ بَدُونِ الاقْتِرَابِ المُبَاشِرِ مِنْها وَدِرَاسَتِها مِيدانِيًّا عَلى أَرْضِ الوَاقِعِ. وَمَا زالَ المُسْلِمُونَ حَتَّى الآنَ أَكْثَرَ الأُمَّمِ تَخَلُّفاً فِي إدْرَاقِ هَذِهِ البَدِيهيَّةِ.

حَتَّى بِالنَّسْبَةِ لِدرَاسَةِ قَضايائِهِم المَصيرِيَّةِ فَمَا زالَ نَعْتَمِدُ أَثناءَ دِرَاسَتِنَا لِقَضايانا عَلى تِلْكَ الأَخْبَارِ وَالتَّحليلاتِ الَّتِي تَصِلُنَا أَساساً مِنْ أَعْدائِنَا وَعَبَرِ وَسائِلِهِم الدَّرَاسِيَّةِ وَالإِعلامِيَّةِ.

وَإِذا حَاولَ المُسْلِمُونَ الاقْتِرَابَ مِنْ إِحْدَى قَضايائِهِم لِدرَاسَتِها فَلَيْسَ لَدِيهِم الصَّبْرُ الكافي لِلبَقاءِ فِي مِيدانِ المُشكِلةِ لِفِترَةٍ كافِيَةٍ. وَتِلْكَ المَشاكِلُ وَالقَضايَا تَحْتَاجُ إِلى سَنواتٍ وَسَنواتٍ مِنَ المُتابَعَةِ الدَّقِيقةِ وَالبَحْثِ المُضني لِلوُصُولِ إِلى أَعْماقِها. ناهِيكَ عَن تَأثيرِ الدَّارِسِ المُسْلِمِ بِخَلْفِيَّاتِهِ الحِزبيَّةِ أَوْ المَذهبيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُهُ يُحَدِّدُ مَوقِفَهُ مِنَ المُشكِلةِ سَلْفاً وَقَبْلَ شُرُوعِهِ فِي الدَّرَاسَةِ، مِمَّا يَجْعَلُ دِرَاساتِ الإِسْلامِيَّينَ اِنْفِعالِيَّةً وَليستَ مَوْضُوعيَّةً.

كَمَا أَنَّ العُقُولَ الإِسْلامِيَّةَ الجَيِّدَةَ وَالْمُوهَلَةَ لِلبَحْثِ العِلْمِيِّ وَالتَّحليلِيِّ

مَشْغُولَةٌ بِوِظَائِفِهَا الْحَيَاتِيَّةِ، وَيَبْقَى لِلْمَشَاكِلِ الْحَادَّةِ أَنْاسٌ لَيْسُوا عَلَى مُسْتَوَى
الْبَحْثِ وَالدِّرَاسَةِ.

وَبِدُونِ الْخَوْضِ كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْمُشْكَلَةِ الْحَسَّاسَةِ - مُشْكَلَةِ قُصُورِ الْعَقْلِ
الْإِسْلَامِيِّ الْحَدِيثِ عَنْ مُتَابَعَةِ قَضَايَا أُمَّتِهِ - فَإِنَّ قَضِيَّةَ أَفْغَانِسْتَانَ أَكْبَرُ مِثَالٍ
عَلَى فَشْلِ الْعَقْلِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَسَطْحِيَّتِهَا، وَالطَّابِعِ الْإِنْفَعَالِيِّ السَّادِجِ لِشَخْصِيَّةِ
الْمُسْلِمِ الْحَدِيثِ.

إِنَّ مُعْظَمَ مَنْ تَعَرَّضُوا لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَانْفَعَلُوا بِهَا وَتَصَدُّوا لِحَلِّ مَشَاكِلِهَا لَمْ
يَقْرَأُوا فِي حَيَاتِهِمْ كِتَابًا وَاحِدًا عَنْ أَفْغَانِسْتَانَ. بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَمْ يُطَالِعْ
خَرِيطَةَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَوَاقِعَ مُدْنِهَا الرَّئِيسِيَّةِ.

هَذَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَذَخَّرَ فِيهِ الْمَكْتَبَاتُ بِعَشْرَاتِ الْكُتُبِ عَنْ أَفْغَانِسْتَانَ
بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ [الَّتِي] تَتَنَاوَلُ أَدَقَّ التَّفَاصِيلِ عَنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مُنْذُ فَجْرِ
التَّارِيخِ وَحَتَّى الْيَوْمِ، وَفِي شَتَّى نَوَاحِي الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ...
الخ.

لَمْ يُفَكِّرْ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَرْعُبُونَ فِي تَحْرِيرِ أَفْغَانِسْتَانَ فِي تَحْرِيرِ عُقُولِهِمْ
مِنْ الْجَهْلِ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا حَتَّى الْآنَ حَقِيقَةَ مَا هِيَ أَفْغَانِسْتَانُ وَمَنْ
هُوَ شَعْبُ أَفْغَانِسْتَانَ؟.

عَلَيْنَا عَلَى الْأَقْلِّ أَنْ نُتْرَجِمَ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ وَنَتَعَرَّفَ أَوْلًا عَلَى الْقَضِيَّةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا، ثُمَّ نَجْمَعُ مَعْلُومَاتِنَا بِوَسَائِلِنَا الْخَاصَّةِ، ثُمَّ نُعَاشِ الْقَضِيَّةَ بِتَفَاصِيلِهَا سَاعَةً بِسَاعَةٍ، وَبَعْدَ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِعَمَلِنَا تَأْثِيرٌ فِي مُجْرِيَاتِ الْأَحْدَاثِ. هَذَا إِذَا كُنَّا جَادِّينَ فِعْلًا فِيمَا نَقُولُهُ عَنْ دَحْرِ الشُّيُوعِيَّةِ وَرَفَعِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى آخِرِ هَذِهِ الشَّعَارَاتِ الرَّنَّانَةِ الَّتِي لَا يَدْعُمُهَا أَيُّ فِعْلٍ حَقِيقِيٍّ.

لِلْأَسَفِ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ - خَاصَّةً الْعَرَبَ - [هُم] أَكْثَرُ النَّاسِ جَهْلًا بِحَقِيقَةِ الْمَشْكِلَةِ، وَأَكْثَرُهُمْ سَدَاجَةٌ فِي الْحَرَكََةِ وَتَخْبُطًا فِي الْقَضِيَّةِ، مِثْلَ الْأَعْمَى الَّذِي يَتَخَبَّطُ وَيُحَطِّمُ مَا حَوْلَهُ. هَذَا لِأَنَّ الْجَهْلَ عَمَى وَالتَّعَصُّبَ الْحِزْبِيَّ عَمَى وَالتَّعَصُّبَ الْمَذْهَبِيَّ عَمَى ثَالِثًا.

لِهَذَا جَاءَتْ فِكْرَةُ لَجْنَةِ الْإِمْدَادِ الَّتِي هِيَ قَيْدُ الْإِنْشَاءِ الْآنَ. جَاءَتْ مُتَأَخَّرَةً خَمْسَ أَوْ سِتَّ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ، وَلَكِنَّهَا خُطُوَةٌ صَحِيحَةٌ عَلَى آيَةِ حَالٍ. وَلَا يَدْفَعُنَا ضَعْفُنَا الْحَالِي إِلَى هَدْمِهَا أَوْ تَرْكِهَا تَذْبُلًا، بَلْ [عَلَى] الْعَكْسِ يَنْبَغِي تَقْوِيَّتُهَا وَدَعْمُهَا وَتَوْسِيعُ نَشَاطِهَا لِتَكُونَ قَاعِدَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ لِمُعَالَجَةِ قَضِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ حَسَّاسَةٍ لِلْغَايَةِ، وَنَمُودُجًا جَدِيدًا لِلْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُنْتَظَمِ.

وَلِكُنِّي نَصِلَ بِهَا إِلَى الشَّكْلِ وَالْفَاعِلِيَّةِ الْمَنْشُودَةِ نَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ وَمُثَابَرَةٍ وَمَجْهُودَاتٍ ضَخْمَةٍ، وَلَكِنْ لَا بَدِيلَ عَنْ ذَلِكَ.

عَمَلُ هَذِهِ اللَّجْنَةِ بِوَجْهِ عَامٍّ يَنْقَسِمُ إِلَى:

أَوَّلًا: قِسْمُ الْأَبْحَاثِ وَالْمَعْلُومَاتِ:

١. أَبْحَاثٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِدَوْلَةِ أَفْغَانِسْتَانَ تَارِيخِيًّا وَجُغْرَافِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا. وَمَصَادِرُ هَذَا الْبَحْثِ أَسَاسًا الْكُتُبُ الَّتِي نُشِرَتْ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَالْخَرَائِطُ الْغَرْبِيَّةُ الَّتِي تُوضِّحُ الشَّرَوَاتِ وَتَوَزِيعَ السُّكَّانِ وَالتَّضَارِيسَ الْجُغْرَافِيَّةَ... الخ. [وَقَدْ] بَدَأَ الْعَمَلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ، وَلَكِنْ بَدُونِ تَرْجَمَةٍ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى الْآنَ.

٢. أَبْحَاثٌ سِيَاسِيَّةٌ مِيدَانِيَّةٌ عَنِ التَّطَوُّرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مِثْلَ الْأَحْزَابِ وَالْجَمَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَمَوْقِفِ الدُّوَلِ الصَّدِيقَةِ وَالْمُسَاعَدَاتِ الْمُقَدَّمَةِ لِلْمَقَاوِمَةِ وَأَنْوَاعِهَا... الخ، [وَقَدْ] بَدَأَ الْعَمَلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ.

٣. الْمُتَابَعَةُ الْمُتَّصِلَةُ بِأَخْبَارِ الْقِتَالِ فِي الدَّخْلِ وَتَطَوُّرَاتِ الْوَضْعِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ فِي الدَّخْلِ، [وَقَدْ] بَدَأَ الْعَمَلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ.

٤. قِسْمُ الْأَبْحَاثِ وَالدرَاسَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِتَطْوِيرِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ لِلْمَقَاوِمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ فِي الْمَرْحَلَةِ الْقَادِمَةِ، وَتَطْوِيرِ مُسْتَوَى التَّدْرِيْبِ وَنَشْرِ الثَّقَافَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ. وَجَارِي الْإِعْدَادُ لِهَذَا الْعَمَلِ، وَتَمَّ الْإِتِّفَاقُ مَعَ بَعْضِ ضُبَّاطِ الْمُجَاهِدِينَ لِإِعْدَادِ بَعْضِ الْكُتُبِ وَطِبَاعَتِهَا لِللِّغَاتِ الْبَشْتُو

وَالْفَارِسِي وَالْعَرَبِي. وَيُتَنظَرُ أَنْ يَظْهَرَ الْإِنْتَاجُ خِلَالَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ.

ثَانِيًا: قِسْمُ الْخِدْمَاتِ الْمُبَاشِرَةِ:

أ. مُحَاوَلَةٌ تَقْدِيمِ خِدْمَاتٍ إِدَارِيَّةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ وَتَنْظِيمِ أَعْمَالِهِمُ الْإِدَارِيَّةِ.

ب. مُحَاوَلَةٌ إِجَادِ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ الْجَيِّدَةِ النَّشِيطَةِ فِي الدَّخْلِ، وَخَلْقِ رِبَاطٍ تَنْظِيمِيٍّ بَيْنَهُمْ، خَاصَّةً فِي جِهَازِ الْإِمْدَادِ وَالتَّمْوِينِ «اللُّوجِسْتِيك» وَجِهَازِ الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ.

ج. الْمُسَاهَمَةُ فِي بَرَامِجِ التَّدْرِيْبِ وَالْعَمَلِ عَلَى تَطْوِيرِهَا. وَمِنْ خِلَالَ بَرَامِجِ تَدْرِيْبِيَّةٍ مُتَطَوَّرَةٍ يُمَكِّنُ رِبْطَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ مَنَاطِقَ مُخْتَلِفَةٍ، وَحَتَّى مِنْ جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لِتَخْطِي حَوَاجِزَ التَّعَصُّبِ الْقَبْلِيِّ وَالْحِزْبِيِّ، وَذَلِكَ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ ضُبَّاطٍ مُتَقَفِينَ إِسْلَامِيَّينَ مِنَ الْأَفْغَانِ.

مُلاحَظَةٌ: الْأَقْسَامُ «أ» وَ «ب» بَدَأَتْ مِنْ خِلَالَ الْمَكْتَبِ الْمُشْتَرَكِ فِي «مِيرَانشاه» بَيْنَ جَمَاعَةِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور» وَ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»، [وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ فِي مَرَحَلَتِهِ الْبِدَائِيَّةِ. أَمَّا الْقِسْمُ «ج» فَقَدْ بَدَأَ الْعَمَلُ الْفِعْلِيُّ مِنْ خِلَالَ مُعَسْكَرٍ تَابِعٍ لـ «نَصْرِ اللَّهِ» الَّذِي أَخَذْنَا فِيهِ صِلَاحِيَّاتٍ عَمَلٍ جَيِّدَةٍ. وَالْمُعَسْكَرُ مَبْنِيٌّ أَصْلًا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، وَبَدَأَ أَشْخَاصٌ مِنَ الْمَكْتَبِ - مَكْتَبِ الْإِمْدَادِ - فِي الْعَمَلِ فِيهِ.

د. توسيع مجال الاتصالات والتعاون مع جماعات المجاهدين المخلصين في مناطق مختلفة من البلاد مع إعطاء الأولوية للمناطق الإستراتيجية الهامة. [وقد] بدأنا التعاون مع جماعة «نورستان» الذين أعلنوا دولة إسلامية في منطقتهم، ولكنهم يعانون من مشاكل كثيرة. منطقتهم هامة جداً لأنها المعبر الأساسي إلى «بانشير» ومناطق الحدود مع روسيا.

ه. قسم المشروعات: بهدف إنشاء مشاريع داخل الجبهات، إنتاجية أو تصنيعية أو تكتيكية «أنفاق وملاجئ»، ولم يبدأ العمل [فيها] بعد.

من المعروف [أن] كل أوجه النشاط السابقة ما زالت في مراحلها المبكرة جداً، ولم تمتد جذورها إلى الأرض بالشكل الكافي، وما زال يتقصنا أشياء كثيرة ووقت أطول حتى نصل إلى الصورة العملية المطلوبة. وما زلنا في مرحلة استكشاف أرضية الواقع وتشكيل جهاز بشري صالح للعمل، وهي من المشاكل الكبرى. كما أن العمل بوجه عام حتى يصبح مؤثراً وحتى تأخذ قضية أفغانستان مسارها الصحيح فإنها تحتاج [إلى] جبهة إسلامية قوية تُساندها بشكل علمي ومنظم. ويتفرغ للعمل بها عدد كافٍ من الشباب المثقف الذي توزع عليه مهام محددة في مجالات مختلفة بناءً على خطة مدروسة ومحكمة. علينا أن نسعى في هذا مهما طال الوقت لأن ذلك [بمثابة] دعامة رئيسية للنصر ولا مهرب منه.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَقَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ بِالنَّصْرِ عَلَى
 الْأَعْدَاءِ مَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ الْأَعْدَاءِ وَجَبَرُوتِهِمْ. وَكِتَابُ اللَّهِ شَاهِدٌ عَلَى هَذَا فِي
 مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّا حَتَّى الْآنَ لَمْ نَفِ بِيَعْتِنَا لِلَّهِ، وَلَقَدْ عَصَيْنَا أَمْرَهُ تَعَالَى فِي
 قَوْلِهِ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الْحَجَّ: ٧٨]، وَلَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى
 الْآنَ. فَهَلْ أَنْ لَنَا أَنْ نُقَدِّمَ نَصِينَا فِي الصَّفْقَةِ لِكِي نَنْتَظِرَ الثَّمَنَ، وَهُوَ إِحْدَى
 الْحُسْنَيْنِ؟

نَرْجُو أَنْ نَفْعَلَ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ.

«بِيشَاوَر»

الأزْبَعَاءُ ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٤ م



التَّحْرِيرُ الثَّلَاثُ

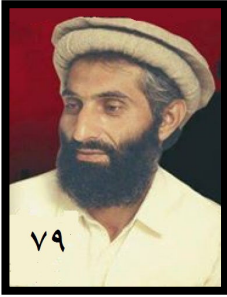
الانقِسامَاتُ

تَتَعَرَّضُ الْأَحْزَابُ الْأَفْغَانِيَّةُ إِلَى انْقِسامَاتٍ عَدِيدَةٍ تَزِيدُهَا ضَعْفًا، فَلَقَدْ شَهِدَتْ الْفِتْرَةَ الْأَخِيرَةَ عِدَّةَ انْقِسامَاتٍ تَمَثَّلَتْ فِي انْفِصَالِ بَعْضِ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ الْبَارِزِينَ عَنِ أَحْزَابِهِمْ وَسَعْيِهِمْ إِلَى تَدْيِيرِ شُؤْنِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ بَعِيدًا عَنِ تَأْثِيرِ الْأَحْزَابِ.

أَبْرَزُ هَذِهِ الانْقِسامَاتِ هُوَ انْفِصَالُ «أَحْمَدُ شَاهِ مَسْعُودٍ» قَائِدِ «بَانَشِيرٍ» عَنِ حِزْبِهِ «الْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» بِقِيَادَةِ «رَبَّانِي»، وَبَدَأَ «مَسْعُودٌ» يُنْشِئُ مَكَاتِبَ خَاصَّةً لَهُ فِي «بِيشاورٍ» وَأُورُوبَا.

انْفِصَلَ بْرُوفُوسُور «فَرِيدٌ»^(١) [صُورَةُ رَقْمِ ٧٩]، وَهُوَ قَائِدُ بَارِزٍ فِي الْحِزْبِ الْإِسْلَامِيِّ «قَلْبِ الدِّينِ» فِي مَنطِقَةِ «كَابُلٍ». مُنْذُ عِدَّةِ أَشْهُرٍ انْفِصَلَ «جَلالُ

(١) عَبْدُ الصَّبُورِ فَرِيدُ كُوهِسْتَانِي (١٩٥٢م - ٢ مَآيُو ٢٠٠٧م): شَغَلَ مَنصِبَ وَزِيرِ الدَّوْلَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ ٦ يُولْيُو ١٩٩٢م إِلَى ١٥ أَوْغُسْتُس ١٩٩٢م فِي حُكُومَةِ الْمُجَاهِدِينَ. بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ عُضْوًا فِي الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلْبَرَكْمَانِ الْأَفْغَانِيِّ. قَتِلَ فِي إِطْلَاقِ نَارٍ خَارِجٍ مَنزِلِهِ فِي عَامِ ٢٠٠٧م.



الدِّينِ حَقَّانِي» عَنْ حِزْبِ إِسْلَامِي «يُونُسَ خَالِصٍ»، وَبَدَأَ
يَعْمَلُ مُسْتَقِلًّا عَنْ حِزْبِهِ. كَمَا وَاجَهَ حِزْبُ «خَالِصٍ» عِدَّةَ
انْقِسَامَاتٍ أُخْرَى.

وَهَذِهِ الانْقِسَامَاتُ فِي الدَّخْلِ جَاءَتْ مُتَلَازِمَةً مَعَ
النَّكْسَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الدَّخْلِ، وَأَبْرَزُهَا:

- اسْتِيْلَاءُ السُّوفِيَّتِ عَلَى وَادِي «بَانَشِيرٍ» كُلِّهِ، وَاحْتِفَاطُهُمْ بِنِقَاطِ مُرَاقَبَةِ
عَلَى قِمَمِ الْجِبَالِ عَلَى طُولِ الْوَادِي.
- الْاسْتِيْلَاءُ عَلَى وَادِي «كُونَارٍ» بِأَكْمَلِهِ.
- السَّيْطَرَةُ عَلَى وَايَةِ «قَنْدَهَارٍ» وَإِعْلَاقُ مُمَرَّاتِهَا.
- تَمْشِيْطُ مَدِيْنَةِ «هِيْرَاتٍ» وَمُحَافَظَاتِ الْغَرْبِ وَإِخْلَائِهَا مِنْ الْمَرَاكِزِ الْقَوِيَّةِ
لِلْمُجَاهِدِيْنَ.
- تَصْفِيَةُ أَقْوَى مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِيْنَ فِي «جَلَالِ آبَادٍ» التَّابِعِ لِحِزْبِ «قَلْبِ
الدِّينِ»، وَتَوْجِيْهُ صَرْبَاتٍ قَوِيَّةٍ لِمَرْكَزِ «خَالِصٍ» الْقَرِيبِ مِنْهُ.
- تَصْفِيَةُ مَرَاكِزِ الْمُجَاهِدِيْنَ فِي الْجَبَلِ الْأَسْوَدِ «تُورْ غَارٍ» فِي مَنْطِقَةِ «غَزْنِي».
- تَصْفِيَةُ قَاعِدَةِ «قَلْبِ الدِّينِ» الْقَوِيَّةِ فِي «أُورْجُونٍ»، وَالْاسْتِيْلَاءُ عَلَى
أَسْلِحَتِهَا وَمُعَدَّاتِهَا بِالْكَامِلِ.
- بَدَايَةُ حَمَلَةٍ كَبِيْرَةٍ عَلَى «نُورِسْتَانَ» مُنْذُ أَيَّامِ بَغْرَضِ تَصْفِيَةِ جُيُوبِ الْمُقَاوِمَةِ

بِهَا وَإِحْكَامِ السَّيْطَرَةِ عَلَى مَدْخَلِ «بَانَشِير» الشَّمَالِي، وَإِغْلَاقِ الْمَمَرَاتِ الَّتِي تَعْبُرُ «نُورِسْتَانَ» إِلَى «بَادُخْشَانَ» وَمَنَاطِقِ الشَّمَالِ الْأُخْرَى.

هَذَا وَقَدْ تَعَرَّضَ حِزْبُ «سَيَّاف» إِلَى نَكْسَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ فِي «جَاغِي» بَعْدَ فَشْلِ حَمَلَتِهِ الضَّخْمَةِ عَلَى الْحِصْنِ الصَّغِيرِ الْمَوْجُودِ بِهَا، وَبَعْدَ أَنْ وَزَعَ عِدَّةَ مَلَائِينَ عَلَى قَبَائِلِ «جَاغِي» - الْمَبْلَغُ غَيْرُ مَعْلُومٍ وَيُقَدَّرُ مَا بَيْنَ ١٠ مَلَائِينَ إِلَى ٣٠ مِليُونِ رُويَّةٍ بَاكِسْتَانِيَّةٍ - [الَّتِي] انْقَلَبَتْ عَلَيْهِ وَأَخَذَتْ سِلَاحًا وَأَمْوَالًا مِنَ الْحُكُومَةِ، وَقَتَلَتْ فِي الشَّهْرِ الْمَاضِي وَاحِدًا مِنْ أَبْرَزِ قَوَادِهِ فِي «جَاغِي».

وَقَدْ طَلَبَ ثَلَاثَةٌ مِنْ قَوَادِ «سَيَّاف» فِي «جَاغِي» مُنْذُ أَيَّامِ الْانْضِمَامِ إِلَى حِزْبِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُور»، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ مَنَعًا لِلْمَشَاكِلِ مَعَ «سَيَّاف».

وَ «سَيَّاف» يُوَاجِهُ انْشِقَاقًا آخَرَ مِنْ أَقْرَبِ مُعَاوَنِيهِ وَحُلَفَائِهِ السِّيَاسِيِّينَ. فَهَنَّاكَ أُنْبَاءً عَنِ انْشِقَاقِ يَقُودِهِ نَائِبُهُ الْمُهَنْدِسُ «أَحْمَدُ شَاه» بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَوْلَوِي «فَيَاض»^(١) الْمُسَاعِدِ الْعَسْكَرِيِّ لِـ «سَيَّاف» مَعَ «قَاضِي أَمِين» لِتَكْوِينِ مَجْمُوعَةٍ

(١) مَوْلَوِي عَبْدُ اللَّهِ فَيَاض: أَحَدُ قَادَةِ الْمَجْمُوعَاتِ الْجِهَادِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَكَانَ مُعَارِضًا دَائِمًا لِحَرَكَةِ «الطَّالِبَانَ». وَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْمُهْجُومِ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ يُونِيُو ٢٠٠٣مَ بِقُبْلَةِ يَدَوِيَّةٍ أُلْقِيَتْ عَلَى مَسْجِدِهِ بِ «فَنْدَهَار» مِمَّا أَدَّى إِلَى إِصَابَتِهِ وَتَسْعَةِ أُخْرَيْنَ. وَقَدْ أُطْلِقَ مُسْلِحَانِ يَسْتَقِيلَانِ دَرَاجَةً نَارِيَّةً النَّارَ عَلَيْهِ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ مَحَلِّ عَمَلِهِ فِي ٢٩ مَآيُو ٢٠٠٥مَ فَأَرْدِيَاهُ قَتِيلًا، وَقَدْ نُسِبَتْ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتُ لِحَرَكَةِ

مُسْتَقْلَةً عَنِ «سَيَّاف».



الْبَحْثُ عَنِ الْإِتِّحَادِ:

مِنَ الْعَسِيرِ جِدًّا اسْتِمْرَارُ وَضْعِ الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى وَضْعِهِ الرَّاهِنِ لِمُدَّةِ سَنَةٍ أُخْرَى. فَمَوْعِدُ الْإِتِّخَابَاتِ قَدْ اقْتَرَبَ، وَقَادَةُ الْأَحْزَابِ الْمُشَارِكَةِ فِي الْإِتِّحَادِ مُجْمِعُونَ عَلَى إِقْصَاءِ «سَيَّاف».

«سَيَّاف» نَفْسُهُ فِي أَوْعَاقِ حَالَاتِهِ؛ فَدَاخَلَ أَفْغَانِسْتَانَ لَمْ يَنْجَحْ طَوَالَ مُدَّةِ زَعَامَتِهِ مِنْ بِنَاءِ قُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ يُعْتَدُّ بِهَا. لَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَعْوَانِ فِي الْمَنْطِقَةِ حَوْلَ «كَابُل»، وَكُلُّهَا مِنَ النَّوْعِيَّاتِ الرَّدِيئَةِ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ، وَأَكْثَرُ الْقُوَادِ عِنْدَهُ سَبَقٌ وَأَنْ خَدَمُوا كَمِلِيْشِيَّاتٍ فِي الْحُكُومَةِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَنَشَرُوا فِي مَنَاطِقِهِمُ الْحَالِيَةَ النَّزَاعَاتِ، فَأَصْبَحَتْ سُمْعَتْهُ فِي الدَّاخِلِ سَيِّئَةً.

كَذَلِكَ فَشَلُّهُ الْأَكْبَرُ فِي «جَاغِي» الَّتِي أَرَادَ لَهَا أَنْ تَكُونَ مَعْرَكَةً تَرْفَعُ مِنْ أَسْهُمِهِ فِي دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ وَعِنْدَ أَعْوَانِهِ مِنَ الْعَرَبِ. وَأَرَادَ هَذَا النَّصْرَ أَنْ

يَكُونُ خَالِصًا لَهُ، لِذَلِكَ رَفَضَ الْعَرَضَ الَّذِي تَقَدَّمَ بِهِ قَادَةُ «بَاكْتِيَا» لِخَوْضِ
 الْحَرْبِ إِلَى جَانِبِهِ فِي كُلِّ الْمُحَافَظَةِ، وَلَكِنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْرِقُوا مِنْهُ الْأَصْوَاءَ،
 خَاصَّةً وَأَنَّ فِيهِمْ قُوَادًا نَالُوا شُهْرَةً فِي الْخَارِجِ، وَلَهُمْ سُمْعَةٌ عَالِيَةٌ فِي دَاخِلِ
 أَفْغَانِسْتَانَ مِنْ أَمْثَالِ مَوْلَوِيِّ «أَرْسَلَانَ رَحْمَانِي» وَمَوْلَوِيِّ «نَصْرَ اللَّهِ مَنْصُور»
 وَمَوْلَوِيِّ «جَلَالَ الدِّينِ حَقَّانِي» وَمَوْلَوِيِّ «أَحْمَدَ جُول». لِهَذَا شَرَعَ فِي
 مُهَاجِمَةِ هَؤُلَاءِ وَاتَّهَمَهُمْ بِالتَّامُرِ ضِدَّ الْإِتِّحَادِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ عُنَاصِرِ عَرَبِيَّةٍ
 مَشْبُوهَةٍ.

عَلَى آيَةِ حَالٍ «سَيَّافٌ» يَمْلِكُ أَغْلَبِيَّةَ الْأَصْوَاتِ فِي مَجْلِسِ الشُّورَى الْعَالِيِ
 نَتِيجَةً لِلانْقِسَامَاتِ الْعَدِيدَةِ فِي صُفُوفِ الْأَحْزَابِ وَالْمَعُونَاتِ الْمَالِيَّةِ الْكَبِيرَةِ
 الَّتِي صَرَفَهَا «سَيَّافٌ» لِلْمُتَعَاطِفِينَ مَعَهُ، فَأَصْبَحَ يَمْلِكُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ عَدَدِ
 الْأَصْوَاتِ، وَهَذَا يَكْفُلُ نَجَاحَهُ فِي أَيِّ انْتِخَابَاتٍ قَادِمَةٍ.

فِي خِلَالِ الْعَامِ الْحَالِيِّ بُذِلَتْ عِدَّةٌ مُحَاوَلَاتٍ لِخَلْعِ «سَيَّافٍ» مِنَ الزَّعَامَةِ،
 كَذَلِكَ قَرَّرَ عَدَدٌ مِنَ الْقَادَةِ إِقَامَةَ اتِّحَادٍ آخَرَ وَتَرْكِ «سَيَّافٍ» مُنْفَرِدًا فِي اتِّحَادِهِ.
 لَقَدْ حَاوَلَ «رَبَّانِي» وَ «خَالِصٌ» وَ «مُجَدِّدِي» إِعْلَانَ اتِّحَادٍ جَدِيدٍ، وَلَكِنَّ
 السُّعُودِيَّةَ لَمْ تُوَافِقْ، وَكَذَلِكَ بَاكِسْتَانَ.

أَدْرَكَ الرُّؤَسَاءُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ خَلْعُ «سَيَّافٍ» دَاخِلِيًّا، لِهَذَا فَهَمُّ مُجْتَمِعُونَ
 هَذِهِ الْأَيَّامِ بِشَكْلِ مُرَكِّزٍ جِدًّا فِي مُحَاوَلَةِ لِإِقْصَاءِ «سَيَّافٍ» عَنِ زَعَامَةِ الْإِتِّحَادِ.

وَمَجْلِسُ الشُّورَى الْعَالِي الْمَكُونُ مِنْ قَادَةِ الْأَحْزَابِ الدَّاخِلَةِ فِي الْإِتِّحَادِ مُنْعَقِدٌ مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ بِحُضُورِ «سَيَّافٍ»، وَالْمَوْضُوعُ الْمَطْرُوحُ هُوَ تَعْدِيلُ صِيغَةِ الْإِتِّحَادِ وَإِقْصَاءُ الرَّئِيسِ الْحَالِيِّ.



تَرْتِيبُ الْأَوْرَاقِ:

لَقَدْ رَتَّبَ رُؤَسَاءُ الْأَحْزَابِ مَوَافِقَهُمْ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ فِي لِقَاءَاتِ سِرِّيَّةٍ، وَأَسْفَرَ الْمَوْقِفُ عَنْ تَيَّارَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ، وَلَكِنَّهُمَا مُتَّفِقَانِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ إِبْعَادُ «سَيَّافٍ» عَنِ الرَّئِيسَةِ.

فِي مَجْلِسِ الشُّورَى الْعَالِي يُطَالِبُ الرُّؤَسَاءُ جَمِيعًا - فِيمَا عَدَا «سَيَّافٍ» طَبْعًا - أَنْ يَكُونَ الْإِتِّحَادُ فِي شَكْلِ ائْتِلَافِ حِزْبِيٍّ، بِمَعْنَى أَنْ يَحْتَفِظَ كُلُّ حِزْبٍ بِلِجَانِهِ الْأَسَاسِيَّةِ «الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ»، وَأَنْ يَتَمَّ الْعَمَلُ الْمُشْتَرَكُ فِي بَاقِي اللَّجَانِ. وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ الْحُكُومَةَ الْبَاكِسْتَانِيَّةَ لَنْ تُوَافِقَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَضْعِ.

وَرُغْمَ أَنْ «سَيَّافٍ» يَعْلَمُ كَمَا يَعْلَمُ بَاقِي الرُّؤَسَاءِ مَوْقِفَ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ يُصِرُّ عَلَى الْإِتِّحَادِ الْإِنْدِمَاجِيِّ لِإِحْرَاجِ بَاقِي الرُّعَمَاءِ وَإِدَاتِهِمْ أَمَامَ الرَّأْيِ الْعَامِّ الْإِسْلَامِيِّ وَالْخَلِيجِيِّ بِالذَّاتِ، الَّذِي لَا يُدْرِكُ حَقِيقَةَ هَذَا الْوَضْعِ وَلَا يَسْتَطِيعُ زُعَمَاءُ الْأَحْزَابِ شَرْحَ حَقِيقَةِ الْوَضْعِ لِأَنَّهُ يَكْشِفُ

عَجَزَهُمْ وَتَبَعِيَّتَهُمُ السِّيَاسِيَّةَ لِلْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ.

وَبِهَذَا يَبْقَى «سَيَاف» مُهَيِّمًا عَلَى الرَّأْيِ الْعَامِّ الْخَلِيجِيِّ وَمِثَاتِ الْمَلَائِينَ مِنْ الدُّوَلَارَاتِ الَّتِي تَتَدَفَّقُ مِنْ هُنَاكَ، وَلَكِنَّ الزُّعَمَاءَ يُبْدُونَ إِصْرَارًا عَلَى تَغْيِيرِ صِيغَةِ الْإِتِّحَادِ وَزَعَامَتِهِ.

وَلَكِنَّ مَنْ الْمُرْشَحُ لِقِيَادَةِ الْإِتِّحَادِ الْقَادِمُ؟

هُنَاكَ تَيَّارَانِ مُتَنَافِسَانِ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا أَنْصَارُهُ وَثِقَلُهُ السِّيَاسِيُّ وَالْعَسْكَرِيُّ.

أَوَّلًا: الْإِتِّجَاهُ الْأَوَّلُ بِقِيَادَةِ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي»، وَهُوَ لَدَى الْأَفْغَانِ يُمَثَّلُ تَيَّارَ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ». وَيَشْمَلُ كَذَلِكَ «سَيَاف» وَ «قَلْبُ الدِّينِ»، وَهُوَ تَيَّارٌ غَيْرٌ مَحْبُوبٌ عَامَّةً بَيْنَ الشَّعْبِ، خَاصَّةً بَعْدَ اِزْتِبَاطِهِ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ بِالْمَذْهَبِ السَّلَفِيِّ، وَهُوَ تَيَّارٌ مُتَّهَمٌ بِالْعَمَلِ عَلَى تَغْيِيرِ الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ [وَاسْتِبْدَالِ السَّلَفِيَّةِ بِهِ]. وَهَذِهِ الْإِشَاعَةُ قَلَّصَتْ شَعْبِيَّةَ الزُّعَمَاءِ الثَّلَاثَةِ كَثِيرًا. وَمِنْ نَاحِيَةِ سِيَاسِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ يُذَكَّرُ بَيْنَ الْأَفْكَارِ وَالتَّوْجُّهَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لـ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي» وَ «سَيَاف»، كِلَاهُمَا يُمَثَّلُ لَدَى الْغَرْبِ وَبَاكِسْتَانَ وَالْخَلِيجِ التَيَّارَ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعْتَدِلَ، بَيْنَمَا يُمَثَّلُ «قَلْبُ الدِّينِ» التَيَّارَ الثَّوْرِيَّ الْمُتَطَرِّفَ. وَفِي حَالِ نَجَاحِ «بُرْهَانَ الدِّينِ» فِي تَزَعُّمِ الْإِتِّحَادِ فَإِنَّهُ سَيَحْطَى بِنَفْسِ التَّائِيدِ الْخَارِجِيِّ الَّذِي يَحْطَى بِهِ «سَيَاف» حَالِيًا؛ فَلَهُ عِلَاقَاتٌ سَابِقَةٌ قَوِيَّةٌ بـ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» وَالسُّعُودِيَّةِ، وَهُمَا حَلِيفَا «سَيَاف» الرَّئِيسِيَّانِ.

دَاخَلَ أَفْغَانِسْتَانَ فَإِنَّ «رَبَّانِي» لَهُ ثِقَلٌ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ ثِقَلِ «سَيَّافٍ»، وَلَكِنَّهُ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ ضَعُفَ لِإِنْفِصَالِ قَادَةِ بَارَزِينَ عَنْ حِزْبِهِ. كَذَلِكَ فَإِنَّ قِتَالَهُ الْمُتَوَاصِلَ ضِدَّ «قَلْبِ الدِّينِ» فِي الدَّاخِلِ مُنْذُ الْعَامِ الْأَوَّلِ لِلْجِهَادِ وَحَتَّى الْآنَ قَدْ أَضْرَبَ بِكِلَيْهِمَا كَثِيرًا فِي الدَّاخِلِ، وَأَضْعَفَ قُوَّاتِهِمَا عَسْكَرِيًّا وَتَأْيِيدَ الْأَفْغَانَ لَهُمَا.

ثَانِيًا: الْاِتِّجَاهُ الثَّانِي بِقِيَادَةِ «نَصْرِ اللَّهِ مَنْصُورٍ»، وَهُوَ يُمَثِّلُ الْعُلَمَاءَ، وَهُمْ الْقُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْبَارِزَةُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَالْقِيَادَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ لِلشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ. هَذِهِ الْقُوَّةُ تَجْمَعُ لِمُوَاجَهَةِ السَّلْبِيَّاتِ الَّتِي أَحْدَثَهَا تَيَّارُ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» «قَلْبِ الدِّينِ - رَبَّانِي - سَيَّافٍ»، وَتُرِيدُ أَنْ تَنْزِعَ الزَّعَامَةَ مِنْ هَذَا الْمِحْوَرِ الَّذِي عَلِقَتْ فِي رَقَبَتِهِ أَكْثَرُ سَلْبِيَّاتٍ وَمَصَائِبَ السَّنَوَاتِ السَّتِّ الْمَاضِيَّةِ.

دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، يُعْتَبَرُ هَذَا التَّيَّارُ الْأَقْوَى فِي وَسْطِ الْمُجَاهِدِينَ، وَهُمْ أَكْثَرُ تَعَاطُفًا وَتَعَلُّقًا بِهِ. وَعَيْبُ هَذَا التَّيَّارِ قُصُورُهُ التَّنْظِيمِيَّةُ وَقِلَّةُ خِبْرَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ.

أَمَّا «مَنْصُورٌ» فَإِنَّ ائْتِعَادَهُ عَنِ الْأَضْوَاءِ طَوَالَ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَّةِ قَدْ أَفَادَهُ كَثِيرًا، وَهُوَ مُقَاتِلٌ قَدِيمٌ وَدُوَّ اِتِّجَاهِ عَمَلِيٍّ. وَفِي الْحَقِيقَةِ فَقَدْ اسْتَطَاعَ فِي مَظَلَّةِ الصَّمْتِ الَّذِي لَازِمًا تَكُونُ قَاعِدَةٌ صُلْبَةٌ لِلْعَمَلِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، [وَالَّتِي مِنْ الْمُمْكِنِ] أَنْ تُشَكَّلَ مُفَاجَأَةً [فِي] السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الْقَادِمَةِ.

جُزءٌ كَبِيرٌ مِنْ أَعْضَاءِ وَقَادَةِ حَرَكَةِ «طَالِبَانَ» كَانُوا مِنْ تَلَامِيذَةِ وَأَتْبَاعِ مَوْلَوِيٍّ «مَنْصُورٍ». وَكَانَ ابْنُهُ «سَيْفُ الرَّحْمَنِ» أَحَدَ كِبَارِ قَادَتِهِمُ الْعَسْكَرِيِّينَ. اغْتِيلَ مَوْلَوِيٌّ «مَنْصُورٌ» قُرْبَ «جَارْدِيزِ»، وَتَشِيرُ أَصَابِعُ الاتِّهَامِ إِلَى جَمَاعَةِ «حِكْمَتِيَارِ». أَمَّا ابْنُهُ «سَيْفُ الرَّحْمَنِ» فَقَدْ اخْتَفَى إِثْرَ مَعَارِكِ قَوِيَّةٍ مَعَ الْقَوَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي «زَرَمَاتِ»، وَيُشَاعُ أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ هُنَاكَ.

أَمَّا سِيَّاسِيًّا فَإِنَّ هَذَا التِّيَّارَ لَنْ يَحْظَى بِتَأْيِيدِ عَرَبِيٍّ أَوْ عَالَمِيٍّ، فِقِيَادَةَ الْعُلَمَاءِ لَدَى الْعَالَمِ الْغَرْبِيِّ وَالْخَلِيجِيِّ مُرْتَبِطَةٌ بِتَجْرِبَةِ الْإِمَامِ «الْخُمَيْنِيِّ» الْمَرِيرَةِ بِالنُّسْبَةِ لَهُمْ. وَلِهَذَا إِذَا سَيَّطَرَ هَذَا التِّيَّارُ عَلَى قِيَادَةِ الْجِهَادِ فَإِنَّ نَجَاحَهُ دَاخِلِيًّا مُمَكِنٌ بِشَرَطِ الْاعْتِمَادِ عَلَى أَهْلِ الْخِبْرَاتِ مِنْ غَيْرِ الْعُلَمَاءِ، أَمَّا نَجَاحُهُ عَرَبِيًّا وَدَوْلِيًّا فَيَبْدُو أَمْرًا أَكْثَرَ صُعُوبَةً.

«بِيشَاوَرِ»

١٩٨٤/١١/١٩ م



التَّقريرُ الرَّابِعُ

مُقَابَلَةٌ عَمَلٍ مَعَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ»

الْجُمُعَةُ ٣٠ / ١١ / ١٩٨٤ م

تَمَّتْ مُقَابَلَةُ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» وَمُنَاقَشَتُهُ فِي الْبَرْنَامِجِ الْمُقَدَّمِ إِلَيْهِ فِي ١٩ / ١١ / ١٩٨٤ م. لَمْ يَقْرَأِ الدُّكْتُورُ غَيْرَ مُقَدِّمَةِ الْبَرْنَامِجِ، ثُمَّ حَوَّلَنَا إِلَى مُسَاعِدِهِ - الَّذِي سَبَقَ وَاطَّلَعَ عَلَى الْبَرْنَامِجِ الْمُقَدَّمِ - لِلْمُنَاقَشَةِ، وَكَانَ رَأْيُهُ كَالتَّالِي:

أ.. الْبَحْثُ الْمُقَدَّمُ مُمْتَازٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَجْهُودِ.

ب.. أَهْمُ الْخِدْمَاتِ الْمَطْلُوبَةِ هُوَ إِنْشَاءُ قِسْمٍ لِلْأَبْحَاثِ وَالدِّرَاسَاتِ وَتَجْمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. وَطَالَبْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا الْقِسْمِ، وَأَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ لِتَقْدِيمِ أَيِّ مُسَاعَدَةٍ مَادِّيَّةٍ.

ج.. تَعَهَّدَ بِاسْتِقْدَامِ اثْنَيْنِ مِنَ الْمُتَرَجِّمِينَ لِدَعْمِ قِسْمِ الْأَبْحَاثِ الْمَوْجُودِ لَدَيْنَا.

د.. بَاقِي الْبَرْنَامِجِ يَبْدُو لَهُ خَيَالِيًّا وَغَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّطْبِيقِ، وَيَرَى أَنَّ الْقَضِيَّةَ مَيُوسَّرُ مِنْهَا.

ه.. أَوْضَحَ أَنَّ نَشَاطَهُمْ يَنْحَصِرُ فِي التَّالِي:

١. إِرْسَالُ مَنْدُوبِينَ مِنْ طَرَفِهِمْ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى الْجَبَهَاتِ لِتَوْزِيعِ

المَعُونَاتِ العَيْنِيَّةِ.

٢. مُحَاوَلَةٌ إِنْشَاءٍ مُعَسِّكِرٍ تَدْرِيْبٍ يُشْرِفُ عَلَيْهِ العَرَبُ، وَيَتَدَرَّبُ فِيهِ مُجَاهِدُو الأَحْزَابِ الثَّلَاثَةِ المُتَنَافِسَةِ «سَيَافٍ - بُرْهَانَ الدِّينِ - قَلْبِ الدِّينِ». وَبَدَأَتْ اسْتِعْدَادَاتُ المُعَسِّكِرِ فِعْلًا عَلَى مَضْضٍ مِنْ جَانِبِ الزُّعَمَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يُبْدُونَ تَبَرُّمًا مِنْ ضُغُوطَاتِ العَرَبِ.

٣. المُسَاعَدَةُ فِي إِنْشَاءِ مَدَارِسَ بِالدَّخْلِ، وَبَدَأُوا بِمُسَاعَدَةِ ٣ مَدَارِسَ.

٤. تَقْدِيمُ مُسَاعَدَاتٍ مَالِيَّةٍ لِلسَّبَابِ العَرَبِ المُتَوَاجِدِينَ لِمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى البَقَاءِ وَالاسْتِمْرَارِ.

٥. التَّخْطِيطُ لِإِقَامَةِ صِنَاعَاتٍ اسْتِمَارِيَّةٍ فِي بَاكِسْتَانِ مِثْلِ المَلَابِسِ وَالأَحْذِيَّةِ، يُخَصَّصُ إِنْتَاجَهَا وَرَبْحَهَا لِلْمُجَاهِدِينَ.

هَذَا وَيَتَمَيَّزُ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» بِالإِخْلَاصِ الشَّدِيدِ وَسَلَامَةِ الطَّوِيَّةِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ المَزَايَا تَجْعَلُهُ فَرِيسَةً سَهْلَةً لِخِدَاعِ القَادَةِ الأفْغَانِ وَأَكَاذِيْبِهِمْ. وَمَعْلُومَاتُهُ عَنِ أَوْضَاعِ الجِهَادِ مُسْتَقَاءَةٌ مِنْ جَمَاعَةِ الإِتِّحَادِ، وَهِيَ مَعْلُومَاتٌ خَاطِئَةٌ مَلِيئَةٌ بِالمُبَالَغَاتِ.

مَجْهُودَاتُ الدُّكْتُورِ لِخِدْمَةِ الجِهَادِ هِيَ مَجْهُودَاتٌ خَيْرِيَّةٌ، وَلَكِنْ عَيْرٌ مُتْرَابِطَةٌ فِي بَرْنَامِجٍ مَدْرُوسٍ. يُفْتَقِدُ الدُّكْتُورُ دَعْمَ الجَمَاعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، خَاصَّةً «الإِخْوَانَ»، وَيُوجِّهُ إِلَيْهِمْ انْتِقَادَاتٍ لِمَوْقِفِهِمُ السَّلْبِيِّ مِنْ أُفْغَانِسْتَانَ.

لِقَاءِ الدُّكْتُورِ لَنَا كَانَ طَبِيبًا لِلغَايَةِ، وَاسْتِقْبَالُهُ العَلَنِيَّ لَنَا وَتَرْحِيبُهُ أَحْبَطَ
مُخَطَّطَ «سَيَّافٍ» لِعَزْلِنَا عَنِ العَرَبِ المَوْجُودِينَ، وَنَشْرِهِ الإِشَاعَاتِ عَنَّا
وَالتَّشْكِيكَ فِي «هُويَاتِنَا».

كَانَ كَلَامُ المُهَنْدِسِ «سَيَّافٍ» مَعَ الدُّكْتُورِ «عَزَّامٍ» فِي مُنَاسَبَةٍ سَابِقَةٍ خَيْرٌ
تَمْهيدٌ لِنَجَاحِ لِقَائِنَا وَالوُصُولِ إِلَى تَفَاهُمٍ سَرِيعٍ رُغْمَ التَّشْوِيشِ الحَاصِلِ مِنْ
«سَيَّافٍ».



بَرَامِجُنَا تَحْتَ التَّنْفِيزِ:

قَبْلَ الحَدِيثِ عَن بَرْنَامِجِنَا العَمَلِيِّ مِنْ الأَفْضَلِ أَنْ نَرُسِمَ صُورَةَ سَرِيعَةً
لِلجَوِّ النَّفْسِيِّ المُحِيطِ بِالعَامِلِينَ فِي قَضِيَّةِ الجِهَادِ بِوَضْعِ عَامٍّ وَبِالعَرَبِ
المُتَوَاجِدِينَ هُنَاكَ وَخَاصَّةً مَجْمُوعَتِنَا.

أَوَّلًا: الأَفْغَانُ:

- المُبَادَرَةُ العَسْكَرِيَّةُ انْتَقَلَتْ إِلَى يَدِ السُّوفِيَّةِ كَامِلَةً، وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ قَاعِدَةٌ
قَوِيَّةٌ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي الدَّخْلِ لَمْ يَجْرِ تَحْطِيمُهَا.
- فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ كَانَتْ مُقَاوَمَةُ المُجَاهِدِينَ ضَعِيفَةً وَغَيْرَ مُنَظَّمَةٍ، وَبِهَذَا
ارْتَسَمَتْ صُورَةُ الانْتِكَاسَةِ وَالتَّهَاوِي.

- ضَرَبَاتُ عَنيفَةٍ جِدًّا وَجَّهَتْ لِلْمَدَنِيِّينَ، فزَادَ تَدَفُّقُ الْهَجْرَةِ، وَكَادَ الرَّيْفُ أَنْ يَكُونَ خَالِيًّا إِلَّا مِنْ الْمُتَعَاوِنِينَ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ. أَخْبَرَنَا «رَبَّانِي» أَنَّ أخطرَ مَا يُوَاجِهُ الْمُجَاهِدِينَ فِي الدَّخْلِ هُوَ الْمَجَاعَةُ بَعْدَ خَرَابِ الرَّيْفِ، وَلَيْسَ ضَرَبَاتِ السُّوفِيَّتِ رُغمَ قُوَّتِهَا.
- فَقَدَ الشَّعْبُ وَالْمُقَاتِلُونَ نِقْتَهُمْ فِي الْقِيَادَاتِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ كَجَامِعِي مَلَائِينَ، وَتَوَجَّهَ عَامَّةُ النَّاسِ إِلَى حُلِّ مَشَاكِلِهِمُ الْخَاصَّةِ وَجَمْعِ الْأَمْوَالِ لِإِعَالَةِ أَسْرِهِمْ بِأَيِّ طَرِيقٍ، سَوَاءً مِنَ الْأَحْزَابِ أَوْ الْحُكُومَةِ أَوْ أَيِّ مَجَالٍ عَمَلٍ خَارِجٍ أَفْغَانِسْتَانَ.
- حَتَّى رُؤَسَاءُ الْأَحْزَابِ لَا يُخْفُونَ نَبْرَةَ الْهَزِيمَةِ وَالْيَأْسِ.
- قَادَةُ الْجَبَهَاتِ الْمُخْلِصِينَ - [وَهُمْ] قِلَّةٌ نَادِرَةٌ - مُصَمِّمُونَ عَلَى الْقِتَالِ حَتَّى الشَّهَادَةِ، وَلَا أَمَلٌ لَدَيْهِمْ فِي تَحْقِيقِ تَقَدُّمِ.
- اتِّحَادُ «بِيشاور» أَنْهَارَ تَمَامًا، وَلَمْ تَظْهَرْ أَيُّ بَادِرَةٍ عَمَلِيَّةٍ عَنْ مُحَاوَلَةِ اتِّحَادٍ فِي دَاخِلِ الْجَبَهَاتِ.
- كَثُرَتْ حَوَادِثُ التَّسْلِيمِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، خَاصَّةً حَوْلَ «كَابُل»، فَرَجَالَ مِنْ جَمَاعَةِ «قَلْبِ الدِّينِ» وَجَمَاعَةِ «سَيَّاف» سَلَّمُوا نِصْفَ مَنْصَاتِ الصَّوَارِيخِ الْمَوْجُودَةِ لَدَيْهِمْ لِلْحُكُومَةِ.

ثَانِيًا: الْعَرَبُ غَيْرَ الْمُقِيمِينَ:

- الأثرياء من السُّعُودِيَّةِ يَدْعَمُونَ «سَيَّاف» بِقُوَّةٍ وَبِشَكْلِ شَخْصِيٍّ بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ مَوْقِفِ الاتِّحَادِ، وَيَنْدُرُ أَنْ يَشُدَّ سُعُودِيٌّ عَنِ تِلْكَ الْقَاعِدَةِ. هُنَاكَ جَمَاعَةٌ عَمَلُ سُعُودِيَّةٍ مُرْتَبِطَةٌ بِـ «سَيَّاف» بِشَكْلِ دَائِمٍ سَوَاءً بِالْبَقَاءِ أَوْ الرَّحَلَاتِ الْمَكُوكِيَّةِ الْمُتَقَارِبَةِ، وَلَا نَعْلَمُ هَلْ هَذَا مَجْهُودٌ شَعْبِيٌّ أَمْ حُكُومِيٌّ؟
- أموال الخَلِيجِ بِوَجْهِ عَامٍّ تَصُبُّ عِنْدَ «سَيَّاف» إِلَّا مَا نَدَرَ.
- الشَّبَابُ الْمُتَحَمِّسُ الَّذِي لَا يَمْتَلِكُ أَمْوَالًا يَتَوَجَّهُ بِشَكْلِ عَامٍّ إِلَى «سَيَّاف»، وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى «بُرْهَانَ الدِّينِ» وَ «قَلْبِ الدِّينِ». هَذَا الشَّبَابُ فَقَدَ الثِّقَةَ وَالْأَمَلَ فِي الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ بَعْدَ أَنْ أُطْلِعَ عَلَى مَا يَجْرِي فِي الْجَبَهَاتِ.

ثَالِثًا: الْعَرَبُ الْمُقِيمُونَ:

- هُمْ بِشَكْلِ عَامٍّ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْعُودَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ بِسَبَبِ مَشَاكِلِ سِيَاسِيَّةٍ مَعَ الْحُكُومَاتِ، أَوْ مُتَحَمِّسُونَ جِدًّا لِلْجِهَادِ وَفَضَّلُوا الْبَقَاءَ.
- أَكْثَرُ الْمُتَحَمِّسِينَ عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ يَائِسِينَ.
- الَّذِينَ يَتَوَقَّعُونَ الْمَتَاعِبَ لَدَى عُودَتِهِمْ بِقُوَّةٍ مُرْغَمِينَ فَاقِدِينَ الْأَمَلَ فِي الْأَفْغَانَ وَفِي الْجِهَادِ.

- وَعَلَى رُغْمِ قَلَّتِهِمْ - حَوَالِي ٢٠ شَخْصًا - فَهَمْ مُمَزَّقِينَ فِي اتِّجَاهَاتٍ حَزْبِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالِاتِّهَامَاتِ بِالْعَمَالَةِ لِأَجْهَزَةِ الْمُخَابِرَاتِ تَنْشُرُ بَيْنَهُمُ الرِّيبَ وَالشُّكُوكَ.
- لَيْسَ لَدَيْهِمْ أَيُّ خِبْرَاتٍ عَمَلِيَّةٍ تَنْظِيمِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُجِيدُ بَعْضَ الرِّيَاضَاتِ.
- فَكِرُهُمْ غَيْرٌ نَاضِحٍ، خَيَالِيُونَ، تَنْقُصُهُمُ الْقِيَادَةُ.

رَابِعًا: مَكْتُبُ الْإِمْدَادِ:

قُوَّتُهُ أَرْبَعَةُ أَشْخَاصٍ. بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْتَوَى الْعَامِّ لَهُمْ فَيُعْتَبَرُ أَفْضَلَ مِنْ بَاقِي الْعَرَبِ الْمُتَوَاجِدِينَ، خَاصَّةً بَعْدَ اتِّضَاحِ أْبْعَادِ الْعَمَلِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ. وَلَكِنَّ آثَارَ حَرْبِ الْإِشَاعَاتِ الَّتِي شَنَّهَا «سَيَّافٌ» مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً، وَتُوجَدُ بَعْضُ الشُّكُوكِ عَلَى الْأَقْلِ فِي جِدَّتَيْنَا فِي الْاسْتِمْرَارِ.

نِصْفُ الْمَجْمُوعَةِ يَأْتِسُ مِنْ مَصِيرِ الْجِهَادِ وَالنِّصْفُ الْآخَرُ مَعْنَوِيَّاتُهُ مُرْتَفَعَةٌ جَدًّا.

وَبِشْكَلٍ عَامٍّ فَإِنَّ عَمَلَنَا الْمُنَظَّمَ وَرُؤْيَيْنَا الْمُحَدَّدَةَ وَالشَّامِلَةَ لِلْوَضْعِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ أَعْطَتْهُمْ شُعُورًا بِالثِّقَةِ وَالتَّفَوُّقِ عَلَى بَاقِي السَّبَابِ الْمَوْجُودِينَ. وَقَلَّتْ شُكُوكُهُمْ بَعْدَ أَنْ ازْتَبَطْنَا بِالدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ». وَهُمْ يَشْعُرُونَ الْآنَ بِأَنَّهِمُ الطَّلِيْعَةُ، عَلَى الْأَقْلِ فِي فَهْمِ الْأُمُورِ.

مُشْكَلَتُنَا مَعَ «سَيَّاف»:

كَانَتْ الْمَشْكَلَةُ الْكُبْرَى لَدَى وُصُولِي هِيَ الْحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي سَنَّهَا «سَيَّافٌ» ضِدَّنَا بِالْإِسْمِ. وَأَبْلَغَ بِهَا كُلَّ الْعَرَبِ، مَنْ يَعْرِفُنَا وَمَنْ لَا يَعْرِفُنَا، فَأَصْبَحَتْ لَنَا سُمْعَةٌ سَيِّئَةٌ كَأَعْدَاءٍ لِلْجِهَادِ وَلِوَحْدَةِ الْمُجَاهِدِينَ. كَذَلِكَ كَانَتْ الْحَرْبُ ضِدَّ «جَلَّالِ الدِّينِ» عَلَى مُسْتَوَى «بِيشَاوَر» وَالسُّعُودِيَّةِ وَدَوْلِ الْخَلِيجِ كَرَجُلٍ خَارِجٍ عَنِ الْجَمَاعَةِ، مَخْدُوعٍ مِنْ قِبَلِ عُنَاصِرٍ مَشْبُوهَةٍ «هُمْ نَحْنُ طَبَعًا».

وُصُولِي قَبْلَ «جَلَّالِ الدِّينِ»، وَمُنْفَرِدًا إِلَى «بِيشَاوَر» أَذْهَلَ الْعَرَبَ وَ «سَيَّاف». خَاصَّةً وَأَنَا بَدُونِ غِطَاءِ حِمَايَةٍ مِنْ أَحَدٍ. حَتَّى «جَلَّالِ الدِّينِ حَقَّانِي» الَّذِي رَبَطُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي مُؤَامَرَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

يَبْدُو أَنَّ «سَيَّافًا» كَانَ يَتَنَظَّرُ مِنَّا أَحَدَ تَصَرُّفَيْنِ، إِمَّا الذَّهَابَ إِلَيْهِ لِلْإِعْتِدَارِ وَتَقْدِيمِ التَّبَرُّرَاتِ، وَهَذَا يَضَعُهُ فِي مَوْضِعِ الْوَصَايَةِ عَلَيْنَا، وَقَدْ يُقَدِّمُ عَلَيَّ إِهَانَتَنَا أَمَامَ الْعَرَبِ. وَالثَّانِي هُوَ أَنْ نَبْدَأَ حَرْبًا شَخْصِيَّةً عَلَيْهِ، وَهُوَ حَتْمًا [يَسْتَطِيعُ] أَنْ يَكْسِبَهَا عَلَيَّ أَرْضِيَّةَ «بِيشَاوَر»؛ فَهُوَ الْأَقْوَى أَنْصَارًا وَمَالًا وَسُمْعَةً أَدْبِيَّةً بَيْنَ الْعَرَبِ. وَهَذَا يُتِيحُ لَهُ إِخْفَاءَ سَبَبِ الْخُصُومَةِ الرَّئِيسِيِّ وَهُوَ عَدَمُ صِلَا حَيْثِيَّةٍ لِلْقِيَادَةِ وَسَعْيِهِ نَحْوَ الزَّعَامَةِ وَالْمَجْدِ الشَّخْصِيِّ.

عَدَمُ إِقْدَامِ «سَيَّافٍ» عَلَيَّ اتِّخَاذِ إِجْرَاءٍ ضِدِّي فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَأَنَا وَحِيدٌ فِي

«بِشَاوَرٍ» وَبَعْدَ أَنْ صَرَّحَ ضِدَّنَا بِتَضَرِيحَاتِ نَارِيَّةٍ مِثْلَ: «لَنْ أَسْمَحَ لِمِثْلِ تِلْكَ الْعَنَاصِرِ بِأَنْ تُخَرَّبَ الْجِهَادَ وَتُقَسِّمَ صُفُوفَ الْمُجَاهِدِينَ»، ثُمَّ تَخَاذُلِهِ عَنِ اتِّخَاذِ إِجْرَاءٍ مَّا، أَضْعَفَ مَوْقِفَهُ وَأَضَافَ إِلَى رَصِيدِنَا نُقْطَةً جَوْهَرِيَّةً.

فِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَّامٌ» يَبْحَثُ عَنِّي وَيَطْلُبُ لِقَائِي. لَكِنِّي تَجَاهَلْتُ الْأَمْرَ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنْ قِبَلِ «سَيَّافٍ»، وَسَيَطْلُبُ مِنِّي إِمَّا الْإِتِّعَادَ أَوْ الْعَمَلَ لِـ «سَيَّافٍ». وَقَدْ كُنْتُ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ، وَتَمَّ لِقَاؤُنَا الْأَوَّلُ مَعَهُ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ شَهْرٍ مِنْ وُصُولِي، وَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ يَسِيرُ مُسْتَقْلًا عَنِ «سَيَّافٍ»، وَيَفْرُضُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ لَا يَرْغَبُ فِيهَا «سَيَّافٍ»، وَإِنْ كَانَ الدُّكْتُورُ «عَزَّامٌ» مَا زَالَ يُفَضِّلُ «سَيَّافٍ» عَنِ بَاقِي الزُّعَمَاءِ.

لِقَاءُ اتَّنَا الْعَمَلِيَّةُ مَعَ الدُّكْتُورِ «عَزَّامٌ» وَتَرْحِيْبُهُ الْحَارُّ بِنَا أَفَادَنَا كَثِيرًا، وَكَسَّرَ الْجِدَارَ الَّذِي أَرَادَ «سَيَّافٌ» أَنْ يُحَاصِرَنَا خَلْفَهُ.



بِدَايَةُ الْبِرْنَامِجِ:

بِالنَّسْبَةِ لِمَشْرُوعِ «بَاكْتِيَا» وَجَدْنَا أَنَّ الْأَحْدَاثَ قَدْ تَخَطَّتْهُ كَثِيرًا وَأَنَّ فُرْصَةَ الصَّيْفِ الْمَاضِي قَدْ ضَاعَتْ وَمِنْ الصَّعْبِ تَكَرَّرَهَا مَرَّةً أُخْرَى. وَفِي تَقْدِيرِي أَنَّ هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ الْأَخْطَاءِ الْكُبْرَى لِـ «سَيَّافٍ».

جَمَاعَةٌ «جَلَالِ الدِّينِ» وَجَمَاعَةٌ «أَرْسَلَانَ» وَضَعَا أَسَاسًا لِبِرْنَامَجِ إِمْدَادِ مُشْتَرِكٍ وَأَقَامُوا عِدَّةَ مَكَاتِبَ فِي «مِيرَانْشَاه» وَ «بَغْر». وَكَانَ النَّشَاطُ مُرَكَّزًا فِي «مِيرَانْشَاه»، وَذَهَبْنَا إِلَى هُنَاكَ عَلَى فِتْرَاتٍ مُتَّفَعَةً حَتَّى تَمَّ تَنْظِيمُ الْعَمَلِيَّاتِ الْإِدَارِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ، وَحَصْرُ الْمُشْتَرِكِيَّاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَمَّتْ مِنْذُ اتِّفَاقِ «بَاكْتِيَا» وَحَتَّى تَارِيخِهِ، سَوَاءً نَقْدًا أَوْ بِالدِّينِ.

مَعَ جَمَاعَةِ «نَصْرِ اللَّهِ مِنْصُور» تَمَّ الْإِطْلَاعُ عَلَى بِرْنَامَجِهِمُ الْحَالِيِّ وَالْمُسْتَقْبَلِيِّ. وَذَهَبْنَا إِلَى مُعَسَّكِرِ تَدْرِيبِ تَابِعِ لَهُمْ «مُعَسَّكِرِ قَيْسِ» قُرْبَ «بَارَاشِينَار»، وَقَضَى أَعْضَاءُ اللَّجْنَةِ فِي الْمُعَسَّكِرِ فِتْرَاتٍ طَوِيلَةً بِشَكْلِ جَمَاعِيٍّ أَوْ فَرْدِيٍّ، وَتَمَّ التَّكَدُّ مِنْ جَوْدَةِ نَشَاطِ الْمُعَسَّكِرِ، [وَهُوَ] مُلَاصِقٌ تَمَامًا لِلْحُدُودِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَيَكَادُ يُشْبَهُ مُعَسَّكِرًا مِيدَانِيًّا حَيْثُ يُشَارِكُ الْمُتَدَرِّبُونَ فِي الْعَمَلِيَّاتِ وَيَعُودُونَ لِاسْتِثْنَائِ التَّدْرِيبِ. تَمَّ تَقْدِيمُ مُسَاعَدَاتٍ مَالِيَّةٍ لِلْمُعَسَّكِرِ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَقْدَمَ الْإِتِّحَادُ عَلَى تَقْلِيصِ مُسَاعَدَتِهِ لِلْمُعَسَّكِرِ ثُمَّ إِيْقَافِهَا تَمَامًا.

عَثَرْنَا عَلَى جَمَاعَةِ «نُورِ سْتَانَ» وَلَهُمْ مَكْتَبٌ شِبْهُ سِرِّيٍّ فِي «بِيشَاوَر». وَعَلِمْنَا أَنَّهُمْ أَقَامُوا دَوْلَةً إِسْلَامِيَّةً فِي مَنْطِقَتِهِمْ تَحْتَ اسْمِ «دَوْلَةُ انْقِلَابِ إِسْلَامِي أَفْغَانِ سْتَانَ» بِرِئَاسَةِ مَوْلَوِيِّ «مُحَمَّدِ أَفْضَل». وَكُنَّا نَسْتَعِدُّ لِرِيَازَةِ الْمَنْطِقَةِ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَوْضَاعِ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ عَلِمْنَا التَّالِي:

١. الْمَنْطِقَةُ مُحَرَّرَةٌ مِنْذُ الْعَامِ الْأَوَّلِ لِلْجِهَادِ.

٢. أَنَّهَا الْمَمَرُّ الْأَوْحَدُ لِإِمْدَادَاتِ «بَانْشِير» خَاصَّةً بَعْدَ حِصَارِ الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ لِـ «بَانْشِير» مِنْ قِبَلِ قُوَّاتِ «حِزْبِ إِسْلَامِي».

٣. أَنَّ الْمُسَيْطِرَ الْحَقِيقِيَّ عَلَى مُقَدَّرَاتِ «نُورِ سْتَان» هُمْ شَخْصِيَّاتٌ مِنْ حِزْبِ «شُعْلَةَ» الشُّيُوعِيِّ الْمُوَالِي لِلصِّينِ.

وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ فَإِنَّ الزِّيَارَةَ لَمْ تَتِمَّ بَعْدَ أَنْ عَرَقَلَهَا لَنَا وَزِيرٌ خَارِجِيَّةِ الدَّوْلَةِ الَّذِي كَانَتْ شَخْصِيَّتُهُ مُرِيبَةً [وَكَانَ] ضَيْقَ الْأَفْقِ.

جَاءَ وَفَدَّ مِنْ «نُورِ سْتَان» وَطَلَبْنَا مِنْهُمْ عَشْرَةَ أَشْخَاصٍ لِتَدْرِيهِمْ. وَبَعْدَ اطْمِئْنَانِهِمْ لَنَا أَعْطَوْنَا عَشْرَةَ شَبَابٍ، جَهَّزْنَاهُمْ وَأَرْسَلْنَاهُمْ لِلتَّدْرِيبِ فِي مُعَسْكَرِ «قَيْس» لِكَيْ يَعْملُوا كَمُدْرِبِينَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ دَاخِلِ «نُورِ سْتَان» تَحْتَ إِمْرَةِ مَوْلَوِيِّ «أَفْضَل». فِي الْمُعَسْكَرِ أَبْدَى الشَّبَابُ انْضِبَاطًا وَجِدِّيَّةً، وَمَا زَالُوا مُتَتَّظِمِينَ فِي التَّدْرِيبِ وَأَعْتَبَرَهُمْ أَفْضَلُ عَنَاصِرِ الْمُعَسْكَرِ طَاعَةً وَانْضِبَاطًا.

تَمَّتْ مُنَاقَشَةُ تَفْصِيلِيَّةً لِبرَنَامِجِ عَمَلٍ فِي أَفْغَانِسْتَانِ فِي ظِلِّ الطُّرُوفِ الْجَدِيدَةِ، وَهَذَا هُوَ أَهْمُ أَعْمَالِنَا فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. الْفِتْرَةُ الرَّاهِنَةُ فِتْرَةُ يَأْسٍ وَهَزِيمَةٍ، وَلَا أَحَدٌ يَنْظُرُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ إِلَّا بِيَأْسٍ. وَالبرَنَامِجُ الْمُقَدَّمُ مَبْنِيٌّ عَلَى دِرَاسَةٍ وَمُمَارَسَةٍ عَمِيقَةٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى جَبْهَةٍ دَعَمِ إِسْلَامِيَّةٍ، وَالْمَطْلُوبُ تَحْدِيدُ الدَّوْرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي هَذَا الْبَرَنَامِجِ.

بَدَأَ الرُّوسُ فِي بَرَنَامِجٍ ضَخْمٍ لِتَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ وَتَلْقِينِهِمْ مَبَادِي الشُّيُوعِيَّةِ،

وَزَادَ عَدَدَ الشَّبَابِ الْمُتَدَرِّبِينَ فِي «مُوسِكُو» وَ «طَشْقَنْد» زِيَادَةً كَبِيرَةً، فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِيهِ اهْتِمَامٌ ذُو قِيمَةٍ بِالشَّبَابِ الْمُسْلِمِ وَالْأَطْفَالِ.

بَدَأْنَا فِي دِرَاسَةِ عَنِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَفْغَانِ، سَوَاءً فِي الْمَهْجَرِ أَوْ فِي دَاخِلِ الْبِلَادِ. وَانْفَقْنَا مَعَ عِدَّةِ أَشْخَاصٍ مِنْ ذَوِي الْخِبْرَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْمُتَخَصِّصَةِ - وَهُمْ أَفْغَانٌ مُسْلِمُونَ - لِدِرَاسَةِ الْبَرَامِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ لِلْمَرْحَلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ، سَوَاءً الْأَفْغَانِيَّةِ أَوْ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ أَوْ الْإِيرَانِيَّةِ أَوْ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ الْأَمْرِيكِيَّةِ. وَمِنْ ثَمَّ وَضَعُ بَرَامِجِ تَعْلِيمِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لِلْأَطْفَالِ الْأَفْغَانِ فِي الدَّاخِلِ وَالخَارِجِ. وَالْعَمَلُ جَارٍ بِنَشَاطٍ كَبِيرٍ فِي هَذَا الْقِسْمِ، كَنَشَاطٍ بِحِثِّ وَدِرَاسَةٍ.

بَدَأَ قِسْمُ الْمَعْلُومَاتِ فِي الْعَمَلِ، وَهُوَ أَنْجَحَ الْأَقْسَامِ، وَتَحَمَّسَ لَهُ شَبَابُ الْمَجْمُوعَةِ كَثِيرًا، وَكَذَلِكَ جَمَاعَةُ الدُّكْتُورِ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّام». قُدْرَةُ الْقِسْمِ ضَمِيلَةٌ جَدًّا حَتَّى الْآنَ، وَلَكِنَّ نَتَائِجَهُ كَانَتْ مُدْهِشَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْعَامِلِينَ؛ فَقَدْ اِكْتَشَفُوا بَسَاطَةَ الْحُصُولِ عَلَى الْمَعْلُومَاتِ، سَوَاءً الْعَادِيَّةِ أَوْ الْهَامَّةِ، فَقَطُّ بِشَيْءٍ مِنْ الْمُواظَبَةِ وَالْبَحْثِ، وَكَانَ أَهَمُّ إِنْجَازَاتِ هَذَا الْقِسْمِ هِيَ:

١. الْحُصُولُ عَلَى الدِّرَاسَةِ الْمُرْفَقَةِ عَنِ أَفْغَانِسْتَانَ، وَالْإِعْدَادُ لِلْمَرْحَلَةِ الْمُقْبِلَةِ. [وَقَدْ] شَارَكَ أَعْضَاءُ اللَّجْنَةِ فِي الْمُنَاقَشَاتِ وَتَسْجِيلِ النِّقَاطِ، وَتَمَّتِ الصِّيَاغَةُ النَّهَائِيَّةُ بِمَعْرِفَةِ اللَّجْنَةِ.

٢. بَدَايَةُ التَّرْجَمَةِ فِي كُتُبِ حَرْبِ الْعِصَابَاتِ لِتَدْرِيسِهَا لِلْعَرَبِ وَالْأَفْغَانِ

لِلْخُرُوجِ مِنْ مَرَحَلَةِ الْعَمَلِ الْجَاهِلِ الْعَشَوَاتِيِّ، وَقُوِبِلَتْ الْفِكْرَةُ بِحِمَاسٍ شَدِيدٍ، وَبَدَأَ الْعَمَلُ فِي التَّنْفِيذِ.

٣. الْحُصُولُ عَلَى مُخَطَّطٍ كَامِلٍ عَنْ نِظَامِ جِهَازِ الْمُخَابِرَاتِ الْأَفْغَانِيِّ وَأَسْمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي مَرَاكِزِ الْقِيَادَةِ وَطُرُقِ عَمَلِهِمْ. الْمَكْسَبُ لَنَا مِنْ هَذَا الْعَمَلِ مَعْنَوِيٌّ أَكْثَرُ مِنْهُ مَادِّيٌّ، فَهُوَ يَعْنِي قُدْرَتَنَا عَلَى الْحُصُولِ عَلَى مَعْلُومَاتٍ هَامَّةٍ جِدًّا بِشَيْءٍ مِنَ الْاهْتِمَامِ وَالْبَحْثِ.

٤. وَضِعُ نَوَافِدٍ لِمَكْتَبَةِ عَسْكَرِيَّةٍ وَقِسْمِ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ أَهْمِ نَشَاطَاتِ الْجَبَهَاتِ فِي الدَّخْلِ. وَتَمَّ الْإِتْفَاقُ مَعَ جَمَاعَةِ الدُّكْتُورِ «عَزَام» عَلَى الْإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا الْقِسْمِ بِكِتَابَةِ التَّقَارِيرِ عَنْ زِيَارَاتِ عُنَاصِرِهِمْ لِلدَّخْلِ وَالْإِحْتِفَاطِ بِهَا لَدَيْنَا. ثُمَّ تَزْوِيدُهُمْ بِالتَّقَارِيرِ الْمُتَوَفَّرَةِ لَدَيْنَا عَنِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي يَنْوُونَ زِيَارَتَهَا.

سَيَشْتَرِكُ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُنَاصِرِ الْمَكْتَبِ فِي مُعَسْكَرِ التَّدْرِيبِ الَّذِي يُقِيمُهُ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ عَزَام» لِلْأَحْزَابِ الْمُتَنَافِسَةِ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ تَقْدِيمِ الْعَوْنِ فِي التَّدْرِيبِ، وَالْإِشْتِرَاكِ فِي تَقْيِيمِ التَّجْرِبَةِ بَعْدَ انْتِهَائِهَا. [وَقَدْ] أَعْرَبْنَا لَهُمْ أَنَّ التَّجْرِبَةَ لَنْ تَنْجَحَ وَلَكِنَّهَا قَدْ تُسْفِرُ عَنْ بَعْضِ النِّقَاطِ الْإِجَابِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْهَا فِيمَا بَعْدَ.

أُقِيمَتْ عِلَاقَةٌ صَدَاقَةٍ مَعَ زَعَامَاتِ «بَانْشِير» مُمَثَّلَةٌ فِي د. «عَبْدِ الْحَيِّ»

نَائِبٍ «مَسْعُودٍ». وَأَقَمْنَا مَعَهُ صِدَاقَةَ شَخْصِيَّةٍ جِدًّا، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ
النُّوعِيَّاتِ الْمُتَقَفَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ الْمُمْتَازَةِ، وَتَوَاعَدْنَا مَعَهُ عَلَى اللَّقَاءِ فِي «بَاشِيرٍ»
عِنْدَ ذَوْبَانِ الثُّلُوجِ فِي الرَّبِيعِ الْقَادِمِ.



التَّقريرُ الخَامِسُ

حصَادُ المَرَحَلَةِ

١٩/١٢/١٩٨٤م

كَانَ مِنَ المُقَرَّرِ - طَبَقًا لِلتَّخْطِيطِ السُّوفِيَّتِيِّ - أَنْ تَنْتَهِيَ مُشْكَلَةُ أَفْغَانِسْتَانَ هَذَا العَامِ، وَبَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِنَ العَمَلِ الدَّؤُوبِ عَلى مُخْتَلَفِ الأَصْعَدَةِ نَضَجَتْ الظُّرُوفُ فِي هَذَا العَامِ لِكَيْ يُوجَّهَ السُّوفِيَّتِيُّ ضَرْبَتَهُمُ القَاضِيَةَ لِلْمُقَاوَمَةِ الأَفْغَانِيَّةِ، مُسْتَمْرِينَ فِي ذَلِكَ كَافَّةَ الظُّرُوفِ المُوَاتِيَةِ، وَعَلى رَأسِهَا أخطَاءُ المُقَاوَمَةِ الأَفْغَانِيَّةِ نَفْسِهَا.

الخِطَّةُ السُّوفِيَّتِيَّةُ كَانَتْ ذَاتَ شِقَّتَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ:

الأوَّلُ: تَصْفِيَةُ قَوَاعِدِ المُقَاوَمَةِ الأَفْغَانِيَّةِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ، وَتَقْطِيعُ خُطُوطِ الإمدَادَاتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ.

الثَّانِي: تَوجِيهُ ضَرْبَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِبَاكِسْتَانَ عَن طَرِيقِ الجَيْشِ الهِنْدِيِّ، وَإِسْقَاطِ الحُكُومَةِ الحَالِيَةِ. وَبِهَذَا تُقَطَّعُ خُطُوطُ الإمدَادِ الخَارِجِيِّ عَن المُقَاوَمَةِ الأَفْغَانِيَّةِ وَتَنْتَهِي تَمَامًا.

وَلَقَدْ نَجَحَ السُّوفِيَّتِيُّ تَمَامًا فِي الشُّقِّ الأوَّلِ، وَلَكِنَّ اغْتِيَالَ «إِنْدِيرَا غَانْدِي»

أَفْشَلَ الْبَنْدَ الثَّانِي مِنَ الْخُطَّةِ. وَبِهَذَا أَصْبَحَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِاسْتِمْرَارِ الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَإِنْ كَانَ الْجِهَادُ قَدْ تَوَقَّفَ.



الموقف داخل أفغانستان:

- أدت الحملة السوفيتية الأخيرة إلى تحطيم كافة القواعد القوية لرجال المقاومة.
- أدت الحملة إلى انتقال المبادرة العسكرية إلى يد السوفييت، والتزام المقاومة جانب الدفاع، وهذا يُعتبر هزيمة لرجال حرب العصابات في العرف العسكري.
- ضعف معنويات المقاتلين، وظهر هذا جلياً في سقوط أكثر القواعد بلا مقاومة تذكر، وتسليم بعض المقاتلين أنفسهم وسلاحهم للعدو، وعجز كثير من قادة الجبهات عن تجنيد عناصر كافية للدفاع عن مناطقهم.
- تركيز القصف ضد القرى زاد تيار الهجرة وأصبح الريف شبه خالٍ، وهذا يُصاعف من صعوبات رجال المقاومة في استئناف نظامهم من جديد.
- لحق الانهيار العام بقيادة الداخل الأقوياء، وأصبحوا عاجزين لا حيلة

لَهُمْ. وَتَوَثَّرُ عِلَاقَاتِهِمْ مَعَ قَادَةِ الْأَحْزَابِ أضعفَهُمْ وَلَمْ تَتَّحِ الْأَحْدَاثُ لَهُمْ
فُرْصَةَ تَكْوِينِ وَاقِعٍ جَدِيدٍ لِلْمُقَاوَمَةِ.

■ الطَّابِعُ الْقَبَلِيُّ لِلْمُقَاوَمَةِ سَاعَدَ عَلَى سُرْعَةِ الْإِنْهِيَارِ، وَسَوْفَ يُحَدِّثُ كَثِيرًا مِنْ
قُدْرَتِهَا عَلَى اسْتِنَافِ نَشَاطِهَا مَرَّةً أُخْرَى بِالصُّورَةِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

■ الْأَهَالِي دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ أَصْبَحُوا تَحْتَ سَيْطَرَةِ جَيْشِ الْاِحْتِلَالِ
وَالْحُكُومَةِ الشُّيُوعِيَّةِ. وَفَقَدُوا الْأَمَلَ فِي الْمُقَاوَمَةِ الْمُسَلَّحَةِ. أَخْطَأَ
الْمُقَاوَمَةَ وَعَدَمَ انْضِبَاطِهَا لَمْ يَتْرُكْ تَعَاطُفًا كَافِيًا مِنْ الْأَهَالِي تِجَاهَ
الْمُحَارِبِينَ.

■ تَزَايَدَ النُّفُوزُ الشُّيُوعِيُّ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالْأَطْفَالِ، وَالْمُنْظَمَاتُ الشُّيُوعِيَّةُ تَعْمَلُ
بِلَا هَوَادَةٍ فِي تَكْوِينِ كَوَادِرِ شُّيُوعِيَّةٍ جَدِيدَةٍ وَتَدْرِيْبِهَا دَاخِلَ الْاِتِّحَادِ
السُّوْفِيَّةِيِّ. وَقَدْ وَصَلَ عَدَدُ أَعْضَاءِ الْحِزْبِ الشُّيُوعِيِّ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ ٤٠
أَلْفٍ، مُعْظَمِهِمْ مِنْ الشَّبَابِ.

■ تَضَاعَفَتْ قُوَّةُ جِهَازِ الْمُخَابِرَاتِ، وَأَصْبَحَ تَعْدَادُهُ أَكْثَرَ مِنْ تَعْدَادِ الْقَوَاتِ
الْمُسَلَّحَةِ. وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا تَدْرِيْبًا وَتَنْظِيمًا، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ فِي مُسْتَوَى
التَّسْلِيحِ. هَذَا الْجِهَازُ اخْتَرَقَ كَافَّةَ تَنْظِيمَاتِ الْمُقَاوَمَةِ، سَوَاءً فِي الْجَبْهَةِ أَوْ
فِي «بِيشَاوَر». وَأَصْبَحَ يُشَكِّلُ تَهْدِيدًا لَيْسَ فَقَطَ لِلْمُقَاوَمَةِ، بَلْ أَيْضًا لِأَمْنِ
بَاكِسْتَانَ.

مَوْقِفُ الْمُهَاجِرِينَ:

بَلَغَ تَعْدَادُ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ تَعْدَادِ الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ. وَمَا زَالَ تِيَارُ
الهِجْرَةِ مُسْتَمِرًّا بِمُعَدَّلِ ٨ آلاَفٍ كُلَّ شَهْرٍ وَفَقًّا لِمَصَادِرِ حُكُومِيَّةِ بَاكِسْتَانِيَّةِ.
وَيَتَمَيَّزُ مَوْقِفُ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّالِي:

١. فُقْدَانُ الرَّغْبَةِ فِي الْجِهَادِ، وَالِاتِّجَاهُ نَحْوَ حَلِّ الْمُعْضَلَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ.
٢. فُقْدَانُ الثَّقَةِ فِي الْقِيَادَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْأَحْزَابِ، وَتَحْمِيلُهَا مَسْئُولِيَّةَ الْكَارِثَةِ،
وَاتِّهَامُهَا بِتَجْمِيعِ الثَّرَوَاتِ وَالسَّعْيِ نَحْوَ الرَّعَامَةِ.
٣. تَسَرُّبُ النُّفُوزِ الْكَنْسِيِّ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِيَّاتِ الْإِغَاثِيَّةِ
وَالصَّحِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ.

بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْرِيرِ بَعْدَةَ سَنَوَاتٍ كَشَفَتْ مَصَادِرُ بَاكِسْتَانِيَّةٍ عَنْ تَنْصِيرِ عَدَدٍ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَفْغَانِ، وَتَضَارَبَتْ التَّقَارِيرُ حَوْلَ عَدَدِهِمْ مَا بَيْنَ عِدَّةِ مِئَاتٍ
إِلَى عِدَّةِ آلاَفٍ. وَلَمْ يَكُنْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ نَصْرَانِيٌّ وَاحِدٌ قَبْلَ هَذِهِ الْحَرْبِ.
وَتَعْتَمِدُ أَمْرِيكَا حَالِيًّا بَعْدَ احْتِلَالِهَا لِأَفْغَانِسْتَانَ عَلَى هَذِهِ الْفِئَةِ، وَأَكْثَرُهُمْ أَبْقَى
انْتِمَاءَهُ الدِّينِيَّ سِرِّيًّا.

٤. انْهِيَارُ الْبُنْيَانِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْقَدِيمِ، وَفَتْحُ الْمَجَالِ لِظُهُورِ أَخْلَاقِيَّاتٍ جَدِيدَةٍ
لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً لَدَى الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ.

القِيَادَاتُ السِّيَاسِيَّةُ فِي «بِشَاوَر»:

١. «سَيَاف»:

يَمْتَقِرُ إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى التَّنْظِيمِ، وَيَمْتَازُ بِنَهْمٍ شَدِيدٍ لِلسُّلْطَةِ، وَتَجَمَّعَتْ فِي يَدِهِ قُدْرَةٌ مَالِيَّةٌ فَائِقَةٌ.

هَذِهِ الْعَوَامِلُ الثَّلَاثَةُ عَجَّلَتْ بِنِهَآيَةِ الدَّوْرِ السِّيَاسِيِّ لـ «سَيَاف»، فَقَدْ اِكْتَسَبَ كَرَاهِيَّةَ قَادَةِ الْأَحْزَابِ، وَأَصْبَحَ شُغْلُهُمُ الشَّاعِلُ تَبْدِيلَهُ وَتَحْيِيَّتَهُ مِنْ رِئَاسَةِ الْاِتِّحَادِ. وَهُوَ مُتَّهَمٌ لَدَيْهِمْ بِثَلَاثَةِ اِتِّهَامَاتٍ رِئِيسِيَّةٍ:

١. مُخَالَفَةُ اِتِّفَاقِ مَكْتُوبٍ مَعَهُمْ بَعْدَ السَّعْيِ إِلَى تَكْوِينِ جَمَاعَةٍ أَوْ حِزْبٍ مُسْتَقِلٍّ.

٢. اِلْتِحَاذُ عَلَى أَمْوَالِ الْاِتِّحَادِ لِتَقْوِيَةِ جَمَاعَتِهِ، وَإِنْفَاقُهَا بِطَرِيقَةٍ أَضَرَّتْ بِالْجِهَادِ.

٣. تَخْرِيبُ أَحْزَابِهِمْ بِاسْتِخْدَامِ الْأَمْوَالِ فِي شِرَاءِ أَتْبَاعِهِمْ فِي «بِشَاوَر» وَالْجَبَهَاتِ. وَهَذَا بِدَوْرِهِ أَدَّى إِلَى نُشُوءِ صِرَاعَاتٍ مُسْلِحَةٍ فِي الدَّخْلِ.

كَذَلِكَ فَإِنَّ الْفِشَلَ الدَّرِيْعَ لِحَمَلَةِ «جَاجِي» الَّذِي وَضَعَ «سَيَاف» وَأَنْصَارُهُ فِي الْخَارِجِ كُلِّ ثِقَلِهِمْ لِكَيْ يَكْسِبُوهَا - فَتَكُونُ دَعْمًا سِيَاسِيًّا لـ «سَيَاف» دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ وَخَارِجَهَا - فَشَلَّ هَذِهِ الْحَمَلَةَ وَالتَّنَائُجَ السَّلْبِيَّةَ الَّتِي أَسْفَرَتْ عَنْهَا

أَدَّتْ إِلَى عَكْسِ الْمَطْلُوبِ مِنْهَا تَمَامًا، وَكَانَ «سَيَّافُ» شَخْصِيًّا أَوَّلَ ضَحَايَاهَا سِيَاسِيًّا.

٢. «جلب الدين» - «برهان الدين»:

مَا زَالَتْ الْعَدَاوَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ قَائِمَةً بَيْنَهُمَا، وَهُمَا أَكْثَرُ الزَّعَامَاتِ قُدْرَةً عَلَى الْعَمَلِ الْمُنْظَمِ. وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الدَّاخِلِيَّ بَيْنَهُمَا فَضَى عَلَى شَعْبِيَّتِهِمَا دَاخِلًا أَفْغَانِسْتَانَ، وَأَضْرَبَ بِقُوَّاتِهِمَا الْمُسَلَّحَةَ مَادِيًّا وَنَفْسِيًّا. وَبِالتَّالِيِ أَصْبَحَتْ فُرْصُ عَمَلِهِمَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَقْلًا اِحْتِمَالًا لِلنَّجَاحِ، مَا لَمْ يَتَّبِعْ كِلَاهُمَا أَوْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَقْلِّ أُسْلُوبًا جَدِيدًا لِلْعَمَلِ.

٣. «يونس خالص» - «نصر الله منصور»:

هُمَا مُمَثِّلُو الْعُلَمَاءِ فِي الْإِتِّحَادِ السُّبَاعِيِّ «إِتِّحَادِ سَيَّاف». «خَالِص» تَرَكَ الْإِتِّحَادَ رَسْمِيًّا، وَأَظْهَرَ عَلْنَا اتِّهَامَاتِهِ لـ «سَيَّاف». «نَصْرُ اللَّهِ مَنْصُور» مَا زَالَ فِي الْإِتِّحَادِ، وَيُعَارِضُ بِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ رِئَاسَةَ «سَيَّاف»، وَلَا يُرْحَبُ بِزَعَامَةِ «قَلْبِ الدِّينِ» أَوْ «بُرْهَانَ الدِّينِ»، وَلَكِنَّهُ [قَدْ] يُوَافِقُ عَلَيْهَا فِي ظُرُوفٍ مُعَيَّنَةٍ.

٤. الْإِتِّحَادُ الثَّلَاثِيُّ: «جِيلَانِي - مُجَدِّدِي - مُحَمَّدِي»:

مَا زَالَ ثَابِتًا عَلَى مَوْقِفِهِ، وَأَقْلُّ عُرْضَةً لِلاِهْتِرَازِ لِأَنَّهُ أَقْلُ انْغِمَاسًا فِي الْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ. وَيَبْدُو أَكْثَرَ تَمَاسُكًا وَاسْتِعْدَادًا لِإِقْتِنَاصِ أَيِّ ظُرُوفٍ سِيَاسِيَّةٍ مُنَاسِبَةٍ

لِلصُّعُودِ إِلَى السَّطْحِ. يَبْدُو أَنَّ «مُحَمَّدِي» قَدْ أُزِيحَ مِنْ زَعَامَةِ حِزْبِهِ، وَقَدْ يُمْنَعُ حِزْبُهُ مِنَ الْعَمَلِ وَلَوْ بَدُونِ إِعْلَانٍ رَسْمِيٍّ عَنْ ذَلِكَ.

مَصِيرُ الْإِتِّحَادِ:

- مُشْكَلَةُ الْإِتِّحَادِ هِيَ أَسَاسًا مُشْكَلَةُ تَوْزِيعِ أَمْوَالِ الْمُسَاعَدَاتِ الْعَرَبِيَّةِ. ثُمَّ [يَأْتِي] ثَانِيًا الشَّرْفُ السِّيَاسِيُّ لِتَمَثِيلِ حَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَمَا يُصَاحِبُ ذَلِكَ مِنْ أَضْوَاءٍ عَالَمِيَّةِ.
- الْقَرَارُ النَّهَائِي فِي شَكْلِ الْإِتِّحَادِ وَشَخْصِيَّةِ الزَّعِيمِ لَيْسَ قَرَارًا أَفْغَانِيًّا.
- الْأَوْفَرُ فُرْصًا فِي تَوَلِّي رِئَاسَةِ الْإِتِّحَادِ فِي الْمَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ هُوَ «بُرْهَانَ الدِّينِ رَبَّانِي»، وَفِي ظُرُوفِ اسْتِثْنَائِيَّةٍ جَدًّا قَدْ يُصْبِحُ «نَصْرُ اللَّهِ مَنْصُورٌ» هُوَ الزَّعِيمُ.



مَصِيرُ الْمُقَاوَمَةِ:

اسْتَمَرَّتِ الْمُقَاوَمَةُ الْأَفْغَانِيَّةُ ٦ سِنَوَاتٍ بِإِلَاقِيَادَةِ وَبِالْعَتِمَادِ عَلَى قِيَادَاتٍ مَحَلِّيَّةٍ مُعْتَمِدَةٍ عَلَى تَحْرِيكِ الْقَبَائِلِ، وَشَهِدَ الْعَامُ الْحَالِي انْهِيَارَ هَذَا النِّظَامِ. وَلَمَّا كَانَتْ الْحَرْبُ سَتَسْتَمِرُّ لِأَنَّ الظُّرُوفَ الْإِقْلِيمِيَّةَ وَالْعَالَمِيَّةَ تَتَطَلَّبُ ذَلِكَ، فَمِنْ الْمَرْجَحِ أَنْ يَظْهَرَ بَدِيلٌ لِلتَّرَكِيبَةِ السَّابِقَةِ.

الأحزابُ الحَالِيَّةُ لَمْ تُظْهِرْ أَيَّ بَادِرَةٍ لِتَغْيِيرِ أَسْلُوبِهَا فِي الْعَمَلِ أَوْ طَرِيقَتِهَا فِي التَّفَكِيرِ. وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ يُصْبِحُ حَتْمِيًّا ظُهُورُ بَدَائِلِ جَدِيدَةٍ تَطْرُحُ نَفْسَهَا عَلَى الْمِيدَانِ، نَسْتَعْرِضُهَا فِيمَا يَلِي:

بَدِيلُ إِسْلَامِيٍّ جَدِيدٌ يَطْرُحُ رُؤْيَاً جَدِيدَةً لِلْمُشْكَلَةِ وَيَبْتَكِرُ حُلُولًا جَدِيدَةً مُسْتَفِيدًا مِنْ سَلْبِيَّاتِ وَأَخْطَاءِ الْمَرْحَلَةِ الْمَاضِيَةِ. وَفَرُصُ هَذَا التِّيَّارِ ضَعِيفَةٌ جَدًّا لِأَنَّهُ سَيُوجِهُ مَقَاوِمَةً عَنِيفَةً مِنْ قَادَةِ الْأَحْزَابِ. سَتَبْدَأُ الْمُقَاوِمَةُ بِحَرْبِ نَفْسِيَّةٍ بِإِطْلَاقِ الْإِشَاعَاتِ وَالِاتِّهَامَاتِ وَتَسْتَصِلُ سَرِيعًا إِلَى دَرَجَةِ الصَّدَامِ الْمُسْلَحِ. هَذَا بِالِإِضَافَةِ إِلَى انْعِدَامِ الْمُسَانِدَةِ الْخَارِجِيَّةِ وَالِدَّعْمِ الْمَادِيِّ الْإِسْلَامِيِّ.

التِّيَّارُ الْقَوْمِيُّ الْأَكْثَرُ تَهَادُّنَا مَعَ الْعِلْمَانِيَّةِ. هَذَا التِّيَّارُ لَهُ قُوَّتُهُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْمَادِيَّةُ مُمَثَّلَةٌ فِي جَبْهَةِ الْإِتِّحَادِ الثَّلَاثِي، بِالِإِضَافَةِ إِلَى عَدَدٍ لَا يُسْتَهَانَ بِهِ مِنْ رِجَالِ الصُّفُوفِ الثَّانِيَةِ وَمَا بَعْدَهَا فِي أَحْزَابِ الْإِتِّحَادِ السُّبَاعِيِّ. أَمَّا فِي الْجَبْهَاتِ فَجَمِيعُ الدَّلَائِلِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا التِّيَّارَ لَنْ يَجِدَ صُعُوبَةً كَبِيرَةً فِي اجْتِدَابِ أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْوَانِ. هَذَا التِّيَّارُ يَجِدُ تَعَاطُفًا كَبِيرًا مِنَ الْغَرْبِ وَسَوْفَ يَجِدُ - وَهُوَ يَجِدُ الْآنَ فِعْلًا - دَعْمًا قَوِيًّا وَفِعَالًا.

« حَامِدُ كَرَزَايِ » الَّذِي عَيْنُهُ الْاِحْتِلَالُ الْأَمْرِيكِيُّ رَئِيسًا لِأَفْغَانِسْتَانَ، كَانَ

يَعْمَلُ ضِمْنَ ذَلِكَ التِّيَّارِ، وَمِنْ خِلَالِهِ أَقَامَ ارْتِبَاطَاتٍ مَعَ الْمُخَابِرَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ

الَّتِي تَبَتَّهَ وَنَقَلْتَهُ إِلَى الْوَلَائِيَاتِ الْمُتَّحِدَةِ حَتَّى جَاءَ دَوْرُهُ بَعْدَ أَعْوَامٍ حِينَ نَفَذْتَ
أَمْرِيكَ حُلْمَهَا بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى أَفْغَانِسْتَانَ، مُفْتَاِحَ آسِيَا الْوُسْطَى^(١).

التِّيَارُ الشُّيُوعِيُّ الْمُوَالِي لِلصِّينِ «حِزْبُ شُعْلَةَ أَجَاوِيد»: هُوَ الْأَقْوَى
تَنْظِيمِيًّا عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ، لِذَلِكَ فَهُوَ عَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ الْأَوْفَرِ فُرْصًا
فِي السَّيْطَرَةِ. لَمْ يِعَانَ مِنْ الْأَنْقِسَامَاتِ وَالتَّصْفِيَّاتِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا التِّيَارُ
الشُّيُوعِيُّ الْمُوَالِي لِلسُّوفِيَّيْتِ وَالحَاكِمِ فِي «كَابُل»، وَتِلْكَ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا
رِجَالُ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَمُنْذُ الْبِدَايَةِ صَدَرَتْ أَوَامِرُ «بِكِين» إِلَى حِزْبِ «شُعْلَةَ» الْمُوَالِي لَهَا لِكَيْ
يَحِلَّ نَفْسُهُ وَيَنْدَمِجَ فِي الْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ. بِهَذَا لَمْ يُعَدِّ «بِكِين» ظُهُورَ
عَلْنِيٍّ فِي الْمُسْكَلَةِ. وَاکْتَسَبَتْ «شُعْلَةَ» فُرْصَةَ التَّغْلُغِ دَاخِلَ تَشْكِيلَاتِ
الْمُقَاوَمَةِ، وَالِاسْتِفَادَةَ مِنْ أَخْطَائِهَا، وَمُواصَلَةَ عَمَلِهَا فِي الْخَفَاءِ فِي انْتِظَارِ
الْفُرْصَةِ الْمُوَاتِيَةِ لِلظُّهُورِ.

لَنْ يُسْفِرَ هَذَا التِّيَارُ عَنْ وَجْهِهِ إِلَّا فِي الْفَضْلِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّعْبَةِ. وَلَكِنَّ
أَنْهِيَارَ الْقِيَادَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَوْفَ يُمَدُّهُ بِفُرْصَةٍ ذَهَبِيَّةٍ فِي إِحْكَامِ قَبْضَتِهِ عَلَى

(١) يَقُولُ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ: «انْظُرْ كِتَابَ صَلِيبٍ فِي سَمَاءِ قَنْدَهَارِ».

قِيَادَةَ الْحَرْبِ فِي الدَّخْلِ.



مَوْقِفُ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ:

لَا يُمَكِّنُ تَجَاهُلُ أَنْ أَمَّنَ بَاكِسْتَانٌ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْخَطَرِ بِسَبَبِ الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. بَلْ أَنْ وُجُودَ بَاكِسْتَانٍ كَدَوْلَةٍ كَانَ مُعَرَّضًا لِلتَّصْفِيَةِ مِنْ قِبَلِ التَّحَالِفِ السُّوفِيَّتِيِّ الْهِنْدِيِّ.

الذَّرِيعَةُ الْمُبَاشِرَةُ الَّتِي يَتَّخِذُهَا السُّوفِيَّتِيُّ هِيَ مُسَانَدَةُ بَاكِسْتَانِ لِلْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُصُورَ التَّنْظِيمِيَّ لِلْمُقَاوَمَةِ وَضَعْفَ فَاعِلِيَّتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ قَدْ ضَاعَفَا الْعِبَاءَ عَلَى بَاكِسْتَانٍ، وَأَصْبَحَتْ مُتَطَلِّبَاتُ الْإِمْدَادِ الصَّخْمَةِ - نَتِيجَةَ سُوءِ التَّوْزِيعِ وَالتَّخْطِيطِ وَالتَّدْرِيبِ - عِبَاءً يُثْقَلُ كَاهِلَ بَاكِسْتَانٍ، وَيَسْتَدْعِي مَجْهُودًا كَبِيرًا مَلْمُوسًا يُمَكِّنُ لِلْسُّوفِيَّتِيِّ رِضْدَهُ وَإِدَانَهُ بَاكِسْتَانٍ عَلَيْهِ [٢].

كَذَلِكَ التَّوَّاجِدُ الصَّخْمُ غَيْرُ الْمُثْمَرِ لِلْمُقَاوَمَةِ فِي مَدِينَةِ «بِيشاور»، وَكَثْرَةُ الْمَكَاتِبِ وَالسِّيَّارَاتِ وَالْأَفْرَادِ الْمُسَلَّحِينَ أَضَافَ خَطُورَاتٍ أَمْنِيَّةً وَاجْتِمَاعِيَّةً أَثْقَلَتْ الْحُكُومَةَ الْمُضِيفَةَ. الْمُعْجِزَةُ الَّتِي أَنْقَذَتْ بَاكِسْتَانَ بِقَتْلِ «إِنْدِيرَا غَانْدِي» لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُطَالِبَ بِتَكَرَّارِهَا مَرَّةً أُخْرَى. لِهَذَا سَتَعْمَلُ

الحُكُومَةُ البَاكِسْتَانِيَّةُ عَلَى تَقْلِيصِ فُرْصِ ظُهُورِ هَذِهِ المَخَاطِرِ مَرَّةً أُخْرَى.

لَا بُدَّ إِذْنٍ مِنْ انْتِهَاجِ سِيَاسَةٍ جَدِيدَةٍ تَجَاهَ المُقَاوِمَةِ الأفْغَانِيَّةِ تَتْرُكُ هَامِشًا أَمْنِيًّا وَاسِعًا لِحُكُومَةِ بَاكِسْتَانٍ. لَقَدْ بَدَأَتْ مَلَامِحُ هَذِهِ السِّيَاسَةِ فِي الظُّهُورِ، وَلَكِنَّهَا لَنْ تَأْخُذَ صُورَتَهَا النِّهَائِيَّةَ قَبْلَ انْتِخَابَاتِ ٢٣ مَارِسِ ١٩٨٥مَ، وَالْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ الجَدِيدَةِ الَّتِي سَتَعُقِبُهَا.

مَلَامِحُ السِّيَاسَةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ الجَدِيدَةِ هِيَ:

١. إِبْعَادُ المُقَاوِمَةِ الأفْغَانِيَّةِ عَنِ مَدِينَةِ «بِيشَاوَر» وَمَنْعُ ظُهُورِهَا العَلَنِيِّ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ. وَبِوَجْهِ عَامٍّ تَقْيِيدُ حَرَكَةِ الأفْغَانِ بِالمَدِينَةِ.
٢. إِخْرَاجُ هَيْئَاتِ الإِغَاثَةِ المْتَعَلِّقَةِ بِالأْفْغَانِ مِنْ مَدِينَةِ «بِيشَاوَر».
٣. ضَبْطُ الحَرَكَةِ عِبْرَ الحُدُودِ مَعَ أفْغَانِسْتَانٍ، وَفَرْضُ بَعْضِ القِيُودِ عَلَيْهَا.
٤. تَخْفِيزُ أَوْجِهِ الدَّعْمِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا حُكُومَةُ بَاكِسْتَانٍ لِلْمُقَاوِمَةِ، وَإِيقَافُ بَعْضِهَا.
٥. إِجْرَاءُ بَعْضِ التَّعْدِيلَاتِ فِي أَحْزَابِ المُقَاوِمَةِ وَعِلَاقَاتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ، خَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالاتِّحَادِ [٣].
٦. اسْتِبْعَادُ بَعْضِ القِيَادَاتِ الأفْغَانِيَّةِ مِنَ العَمَلِ، وَتَقْيِيدُ فُرْصِ عَمَلِ بَعْضِ الشَّخْصِيَّاتِ، وَإِتَاحَةُ فُرْصٍ أَكْبَرَ لِشَخْصِيَّاتٍ أُخْرَى بِمَا يُحَقِّقُ مُتَطَلِّبَاتِ بَاكِسْتَانِ فِي المَرَحَلَةِ القَادِمَةِ أَمْنِيًّا وَسِيَاسِيًّا [٤].

الموقف العربي الرسمي:

هُوَ مَوْقِفٌ مُرْتَبِطٌ بِالمَوْقِفِ الأَمْرِيكِيِّ مِنَ الأَزْمَةِ، اهْتِمَامًا أَوْ تَجَاهُلًا. وَفِي ظِلِّ اهْتِمَامِ الإِدَارَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ بِتَنْشِيطِ الحَرْبِ الأَفْغَانِيَّةِ مِنْ زِيَادَةِ الدَّعْمِ لَهَا، فَمِنْ المُتَوَقَّعِ ازْدِيَادُ الدَّعْمِ العَرَبِيِّ لِلْمُقَاوَمَةِ.

وَمِنْ غَيْرِ المَسْمُوحِ بِهِ أَنْ تَأْخُذَ أَيُّ مَسَاعِدَاتٍ رَسْمِيَّةٍ طَرِيقَهَا لِلْمُقَاوَمَةِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الحُكُومَةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ، أَوْ عَلَى الأَقْلَ [بَعْدَ] مُوَافَقَتِهَا الضَّمْنِيَّةِ. وَمُحَاوَلَةٌ إِحْدَى الحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ تَقْدِيمِ العَوْنِ المُبَاشِرِ لـ «سَيَاف» أَثَارَ حَفِيزَةِ الحُكُومَةِ البَاكِسْتَانِيَّةِ. لِهَذَا فَفَقَطُ أُعْطِيَ الضُّوءُ الأَخْضَرَ لِإِرَاحَةِ «سَيَاف» وَاسْتَبْدَالِهِ.

السِّيَاسَةُ الرَّسْمِيَّةُ العَرَبِيَّةُ سَعَتْ عَمْدًا أَوْ بِحُسْنِ نِيَّةٍ إِلَى شَقِّ الصُّفُوفِ الأَفْغَانِيَّةِ وَإِضَافَةِ «بِتْرُولِ جَدِيدٍ» عَلَى نِيرَانِ الخِلَافَاتِ الأَفْغَانِيَّةِ؛ فَقَدْ سَعَتْ الأَمْوَالُ العَرَبِيَّةُ لِنَشْرِ الخِلَافِ المَذْهَبِيِّ بَيْنَ «أَهْلِ الحَدِيثِ» وَأَتْبَاعِ «المَذْهَبِ الحَنْفِيِّ»، كَذَلِكَ بَيْنَ التِّيَّارِ السِّيَاسِيِّ المَحْسُوبِ عَلَى «الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ» وَبَيْنَ العُلَمَاءِ الأَفْغَانِ التَّقْلِيدِيِّينَ [٥].

وَلَقَدْ أَحْرَزَتْ السِّيَاسَةُ العَرَبِيَّةُ نَجَاحًا كَبِيرًا، وَذَلِكَ لِلاِسْتِعْدَادِ الفِطْرِيِّ لَدَى الأَفْغَانِ لِلاَنْزِلَاقِ فِي الخِلَافَاتِ، وَلِشِدَّةِ الإِغْرَاءِ المَادِّيِّ لِلدُّوَلَاتِ العَرَبِيَّةِ فِي ظِلِّ الفَقْرِ المُدْفِعِ وَصِرَاعِ الزَّعَامَاتِ فِي «بِشَاوَر».

الموقفُ الشعبيُّ العربيُّ:

فَقَدَ الشَّبَابُ الْعَرَبِيُّ ثِقَتَهُمْ فِي الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ لِكَثْرَةِ السَّلْبِيَّاتِ الَّتِي شَاهَدُوهَا أَثْنَاءَ افْتِرَابِهِمْ مِنْ سَاحَاتِ الْجِهَادِ. وَبَدَلَتْ الزَّعَامَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ قُصَارَى جُهُودِهَا فِي تَزْوِيرِ الصُّورَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِمَا يَجْرِي عَلَى السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَلَكِنْ مَا ظَهَرَ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِ مِنَ الْحَقَائِقِ كَانَ كَافِيًا لِدَفْعِهِمْ إِلَى الْهُرُوبِ مِنَ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ مُصَابِينَ بِالْيَأْسِ وَالْإِحْبَاطِ [٦].

الْجَمَاعَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ بَقِيَتْ بَعِيدَةً عَنِ سَاحَةِ أَفْغَانِسْتَانَ طَوَالَ الْوَقْتِ، بِاسْتِثْنَاءِ جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَتْ تَأْثِيرُهَا بِوَجْهِ عَامٍّ سَلْبِيًّا عَلَى حَرَكَةِ الْجِهَادِ؛ لِتَرْكِيزِهَا عَلَى الْمُنْطَلَقِ الْحِزْبِيِّ أَكْثَرَ مِنْ تَرْكِيزِهَا عَلَى الْمُنْطَلَقِ الْإِسْلَامِيِّ [٧].



تَعْلِيقَاتٌ عَلَى التَّقْرِيرِ الْخَامِسِ «حَصَادُ الْمَرْحَلَةِ»:

[١] يَجْعَلُنَا هَذَا التَّقْرِيرُ نَتَذَكَّرُ الْوَضْعَ الْخَطِيرَ الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِالْجِهَادِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ. لَقَدْ اسْتَهْلَكْتَ حَرْبُ أَفْغَانِسْتَانَ ثَلَاثَ زُعَمَاءَ سُوفِيَّيْتِ «بِرِيَجْنِيْفِ» صَاحِبُ قَرَارِ الْغَزْوِ، ثُمَّ «أَنْدُرُوبُوفِ» ثُمَّ «شِيرِنِيكُو».

فَبَرَزَتْ أَرْزَمَةٌ زُعَامَةٌ فِي الْكِرْمَلِينَ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى الْحَرَسُ الْحَدِيدِيُّ لِلنِّظَامِ

مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّهْجَ الْإِيدُولُوجِيَّ الْمُتَّصِلَبَ. وَرَحَفَتْ دِمَاءٌ جَدِيدَةٌ وَأَفْكَارٌ جَدِيدَةٌ نَحْوَ الْكِرْمَلِينَ الَّذِي أُصِيبَ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالشَّلَلِ الْفِكْرِيِّ. جَاءَتْ مَوْجَةٌ «جُورْبَاتشوف» الَّتِي تُرِيدُ تَطْوِيرَ النِّظَامِ وَتَطْوِيرَ الشُّيُوعِيَّةِ حَتَّى تَتَلَفَى الْإِنْهِيَارَ وَتَتَمَاشَى مَعَ الْعَصْرِ. وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُمْلِيَ آرَاءَهُ «الثَّوْرِيَّةَ الْإِصْلَاحِيَّةَ» عَلَى الْمَوْسَسَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، خَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِقَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ الَّتِي كَانَ يَرَى أَنَّهَا وَرَطَةٌ لَا طَائِلَ مِنْ وِرَائِهَا، وَأَنَّهَا خَطَأٌ جَسِيمٌ وَقَعَ فِيهِ «بِرِيَجْنِف»، وَلَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ تَتَعَلَّقُ بِكِرَامَةِ الْجَيْشِ وَهَيْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي الْعَالَمِ، وَكَانَ الْقَرَارُ فِيمَا يَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ الْجَيْشُ فُرْصَةً أُخِيرَةً لِإِنْهَاءِ مُشْكَلَةِ أَفْغَانِسْتَانَ وَإِخْضَاعِهَا بِالْقُوَّةِ قَبْلَ أَنْ يُبَاشِرَ هُوَ السَّعْيَ السِّيَاسِيَّ لِحَلِّهَا بِالتَّفَاهُمِ مَعَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ ١٩٨٤م، أَثْقَلَ الْأَعْوَامِ وَطَاءَةً عَلَى الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِّ وَعَلَى دَوْلَةِ بَاكِسْتَانَ، الَّتِي سَمَحَتْ لِلْمُجَاهِدِينَ بِاسْتِخْدَامِ مَنَاطِقِهَا الْحُدُودِيَّةِ مُرْتَكِزًا لِلْإِمْدَادِ وَكَقَوَاعِدَ خَلْفِيَّةٍ لِعَمَلِيَّاتِهِمْ.

كَانَ الْمُجَاهِدُونَ يَجِدُونَ قَبُولًا عَامًّا لَا شَكَّ فِيهِ بَيْنَ الشَّعْبِ الْبَاكِسْتَانِيِّ الْمُتَعَاطِفِ بِسَلْبِيَّةٍ، وَمِنْ قَبَائِلِ الْحُدُودِ، خَاصَّةً الْإِقْلِيمِ الشَّمَالِيِّ الْعَرَبِيِّ وَعَاصِمَتُهُ «بِيشَاوَر»، وَهُمْ قَبَائِلٌ مِنْ الْبَاتَانِ الَّتِي لَهَا امْتِدَادَاتٌ عَلَى جَانِبِي الْحُدُودِ، كَمَا أَنَّ لَهَا تَارِيخًا مَجِيدًا فِي الْحُرُوبِ ضِدَّ الْاسْتِعْمَارِ الْبَرِيطَانِيِّ وَنَزَعَةَ اسْتِقْلَالِ فِطْرِيَّةٍ.

عَلَى رَأْسِ بَاكِسْتَانَ كَانَ الْجِزْرَالُ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» الَّذِي رَبَطَ بِلَادَهُ بِالتَّبَعِيَّةِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَلَمْ يَتَوَانَ عَنْ ابْتِزَازِ الْأَمْرِيكَانِ إِلَى أَقْصَى حَدِّ مُقَابَلِ مُغَامَرَتِهِ
بِنَفْسِهِ وَبِلَادِهِ فِي مُوَاجَهَةِ السُّوفِيَّةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

كَانَ لَا بُدَّ لِلسُّوفِيَّةِ كَيْ يَكْسِبُوا حَرْبَ أَفْغَانِسْتَانَ، أَنْ يُسْقِطُوا نِظَامَ
«ضِيَاءِ الْحَقِّ» وَيَسْتَبْدِلُوهُ بِنِظَامِ صَدِيقِ لَهُمْ وَأَقْلَمًا مَيْلًا لِلْغَرْبِ؛ لِأَنَّ احْتِلاَلَهُمْ
العَسْكَرِيَّ لِبَاكِسْتَانَ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا بِدُونِ تَحْطِيمِ الخُطُوطِ الحَمْرَاءِ مَعَ
الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَالْمُجَازَفَةِ بِقَبُولِ حَرْبِ نَوَوِيَّةِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ مَرْفُوضٍ تَمَامًا.
كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَوْتِيرِ الوَضْعِ الدَّاخِلِيِّ فِي بَاكِسْتَانَ عَنْ طَرِيقِ عَمَلِيَّاتِ تَخْرِيْبِ
وإِرْهَابِ ثَمَّ ضَرْبِ عَسْكَرِيَّةِ عَلَى الحُدُودِ تَقُومُ بِهَا الهِنْدُ.

وَهَكَذَا يَتَهَيَّأُ المَنَاخُ إِمَّا لِانْقِلَابِ عَسْكَرِيٍّ مُوَالِيٍّ لِلسُّوفِيَّةِ، أَوْ لِوُصُولِ
آلِ «بُوتُو» إِلَى الحُكْمِ بِوَاسِطَةِ حِزْبِ الشَّعْبِ الَّذِي تَرَأَسَهُ «بِي نَظِير» ابْنَةُ «ذُو
الفَقَّارِ عَلِيِّ بُوتُو» الَّذِي أَعْدَمَهُ «ضِيَاءُ الْحَقِّ». وَحِزْبُ الشَّعْبِ المَذْكُورُ يَمْتَلِكُ
جَيْشًا كَامِلًا فِي «السُّنْدِ» إِضَافَةً إِلَى آلَافِ الأَعْضَاءِ المُدْرَبِينَ تَدْرِيْبًا عَسْكَرِيًّا
رَاقِيًّا فِي الاتِّحَادِ السُّوفِيَّةِيِّ عَلَى أَعْمَالِ الإِرْهَابِ وَحُرُوبِ العِصَابَاتِ.

تَوَلَّى حِزْبُ الشَّعْبِ مُتَعَاوِنًا مَعَ جِهَازِ المُخَابِرَاتِ الأَفْغَانِيَّةِ «خَاد» وَبَعْضِ
أَجْهَزَةِ المُخَابِرَاتِ لِذَوْلِ مُتَحَالِفَةٍ مَعَ السُّوفِيَّةِ فِي إِدَارَةِ عَمَلِيَّاتِ إِرْهَابِ
كَبِيرَةٍ شَمِلَتْ أَجْزَاءً كَبِيرَةً مِنْ بَاكِسْتَانَ، وَرَكَزَتْ بِشَكْلِ خَاصٍّ عَلَى مَنْطِقَةِ

الْحُدُودِ فِي «بِشَاوَر» وَ «بُلُوشِسْتَان» ثُمَّ مَنْطِقَةَ «كَرَاتِشِي».

الْخَطْرُ الْعَسْكَرِيُّ الْهِنْدِيُّ زَالَ تَقْرِيْبًا - مَا عَدَا التَّوْتُرَاتِ الرَّوْتِيْنِيَّةِ - بَعْدَ اغْتِيَالِ «إِنْدِيرَا غَانْدِي» الَّتِي اغْتَالَهَا أَحَدُ حُرَّاسِهَا مِنْ طَائِفَةِ السَّيْخِ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي تَدْعُمُهَا بَاكِسْتَانُ - آنَدَاكُ - طَبْعًا بِمُؤَافَقَةِ أَمْرِيْكِيَّةٍ. فَقَدْ قَامَتْ الْهِنْدُ بِمَجَازِرٍ ضِدَّ الطَّائِفَةِ، وَافْتَحَمَتْ مَعْبَدَهَا الذَّهَبِيَّ الْمُقَدَّسَ فِي وَلايَةِ «أَمْرِتْسَار» الْهِنْدِيَّةِ، وَجَاءَ اغْتِيَالُ «إِنْدِيرَا غَانْدِي» انْتِقَامًا صَارِمًا. وَإِنْ كَانَتْ الْعَدِيدُ مِنَ التَّقَارِيرِ ذَاتِ الْاِعْتِبَارِ قَدْ أَشَارَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى أَنَّ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ هِيَ الَّتِي دَبَّرَتْ حَادِثَ الْاِغْتِيَالِ، تَفَادِيًا لِحُدُوثِ أَرْمَةِ عَالَمِيَّةٍ كُبْرَى - إِنْ لَمْ يَكُنْ حَرْبًا نُوْوِيَّةً - فَالرَّئِيْسَةُ الْهِنْدِيَّةُ كَانَتْ الْمُحَرِّكَ الرَّئِيْسَ لِلْبَرْنَامَجِ الْعَسْكَرِيِّ ضِدَّ بَاكِسْتَانِ لِإِحْرَازِ مَكَاسِبَ لِصَالِحِ بِلَادِهَا. ذَلِكَ الْبَرْنَامَجُ الَّذِي بَدَأَ فِي التَّحْرُكِ عِنْدَمَا تَقَدَّمَتِ الْقُوَّاتُ الْهِنْدِيَّةُ لِتَحْتَلَّ مُعْظَمَ الْمَمَرَّاتِ فِي جِبَالِ «سِيَاتِشِين» الْجَلِيْدِيَّةِ عَلَى الْمُثَلَّثِ الْحُدُودِيِّ بَيْنَ الْهِنْدِ وَبَاكِسْتَانِ وَالصَّيْنِ.

وَبِمَصْرَعِ «إِنْدِيرَا غَانْدِي» اِطْمَأَنَّ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» نِسْبِيًّا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ، وَأَنْحَسَرَ الْخَطْرُ الْهِنْدِيُّ، وَبَقِيَتْ حَرْبُ الْإِرْهَابِ دَاخِلَ بَاكِسْتَانِ كَخَطِرٍ رَيْسِيٍّ.

أَمَّا الْخُطُوَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ لِلْسُّوْفِيَّةِ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانِ فَقَدْ اعْتَمَدَتْ الْحَرْبَ الْخَاطِفَةَ وَالضَّرْبَاتِ الْمُفَاجِئَةَ ضِدَّ قَوَاعِدِ الْمُجَاهِدِينَ الثَّابِتَةِ، وَلَقَوَافِلِ الْإِمْدَادِ

القَادِمَةِ مِنْ بَاكِسْتَانَ. وَكَانَتْ نِسْبَةُ نَجَاحِهِمْ عَالِيَةً، وَقَدْ أَذْهَلْتَنِي السَّائِجُ الَّتِي سَمِعْتُهَا بِنَفْسِي ضِدَّ بَعْضِ الْمَوَاقِعِ الَّتِي أَعْرِفُهَا، وَكَثِيرٍ غَيْرِهَا لَا أَعْرِفُهَا...، وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ:

■ «مَسْعُود» فِي «بَانَشِير» تَوَقَّفَ تَقْرِيْبًا عَنِ الْقِتَالِ، وَتَحَوَّلَ إِلَى مُحَادَثَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ مَعَ الْحُكُومَةِ وَالسُّوْفِيَّةِ تَتَرَكَّزُ حَوْلَ تَدْعِيمِ زَعَامَتِهِ فِي الْمَنْطِقَةِ.

■ اسْتَوْلَى الرُّوسُ فِي هُجُومٍ مُبَاغِتٍ بِالْكُومَانْدُوزِ عَلَى مَرَكَزِ «خَالِد صَدِيقِي» فِي «أُورْجُون»، وَاسْتَوْلُوا عَلَى ٤٠٠ كَلَّاشْنِيكُوفَ وَ ١٧ هَاوِنَ، وَ ٥ شَاحِنَاتٍ حَسَبَ أَقْوَالِ مُجَاهِدِينَ مِنَ الْمَنْطِقَةِ، وَلَا أُدْرِي سِرَّ وُجُودِ هَذَا الْعَدَدِ الْكَبِيرِ مِنَ الْبِنَادِقِ لَدَيْهِ.

■ هُوجِمَ مَرَكَزُ «مُطِيْعِ اللَّهِ» فِي «أُورْجُون» أَيْضًا، وَقُتِلَ مَنْ فِيهِ وَدُمِّرَتِ الْمُعِدَّاتُ.

■ فِي جَبَلِ «تُورْغَار» الْمُشْرِفِ عَلَى طَرِيقِ «جَلَالِ آبَاد- كَابُل» هَاجَمَ الْكُومَانْدُوزُ مَوَاقِعَ جَمَاعَةِ «حِكْمَتِيَار»، وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ، وَقَتَلُوا عَدَدًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ.

■ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ قَوَائِلِ الْإِمْدَادِ وَقَعَتْ فِي كَمَائِنِ رُوسِيَّةٍ، وَهُوجِمَتْ بِقُوَّاتِ الْكُومَانْدُوزِ وَطَائِرَاتِ الْهِيلُو كُبْتَرِ، وَكَانَتْ الْخَسَائِرُ فَادِحَةً. أَمَّا الْمَنَاطِقُ

الصَّخْرَاوِيَّةَ الَّتِي تَعْبُرُهَا قَوَافِلُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ بَاكِسْتَانٍ إِلَى «هَيْرَات» الْمَلَايِقَةِ لِحُدُودِ إِيرَانَ فَقَدْ كَانَتْ أَشَدَّ خُطُورَةً لِكَوْنِ الْأَرْضِ مُنْبَسِطَةً وَمَكْشُوفَةً. وَقَدْ لَاقَى كَثِيرُونَ حَتْفَهُمْ، وَدُمِّرَتْ قَوَافِلُ عَدِيدَةٍ. وَهُنَاكَ قُتِلَ أَوَّلُ شَهِيدٍ عَرَبِيٍّ أَرْسَلَهُ الدُّكْتُورُ «عَبْدُ اللَّهِ» مِنْ مَكْتَبِ الْخِدْمَاتِ، وَاسْمُهُ «عَبْدُ اللَّهِ الْفِيلِكَاوِي». وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ الشَّيْخَ «عَبْدَ اللَّهِ» مِنْ إِزْسَالِ أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، أَوْ إِزْسَالِ الشَّبَابِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّمَالِ فِي وَفْتِ الشِّتَاءِ، وَلَكِنَّهُ تَجَاهَلَ النَّصِيحَةَ.

■ كَذَلِكَ هُوَ حِمَتْ مَوَاقِعُ الْمُجَاهِدِينَ فِي «جَاجِي»، وَفَرَّ رَجَالُ «سَيَاف» آخِذِينَ مَعَهُمْ مُعَدَّاتِ الطُّرُقِ الَّتِي أَحْضَرَهَا «أُسَامَةُ بْنُ لَادِنَ»، وَكَانَ مِنْهَا اثْنَانِ بُلْدُوزَرِ بَاعُوهَا لِلتُّجَّارِ فِي مَدِينَةِ «تْرِيْمَنْجَل» الْبَاكِسْتَانِيَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ الْحُدُودِ. كَمَا نَهَبُوا مَعْسَكَرَهُمْ وَبَاعُوا الْأَسْلِحَةَ وَالذَّخَائِرَ، وَادَّعَوْا أَنَّ الْقُوَّاتِ الْحُكُومِيَّةَ أَخَذَتْ كُلَّ شَيْءٍ. وَهَذِهِ صُورَةٌ كَانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ مُعْتَادَةً فِي أَوْسَاطِ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ تَسَرَّبَتْ إِلَى صُفُوفِهِمْ فَنَاتٌ مُنْحَطَّةٌ مِنْ السَّرَاقِ وَالْقَتَلَةِ وَالْجَوَاسِيْسِ.

كَانَ الْقِتَالُ الدَّاخِلِيُّ مُسْتَعْرًا فِي الشَّمَالِ بَيْنَ «مَسْعُودٍ» وَرِجَالِ «حِكْمَتِيَارٍ»، وَشَارَكَ الْبَاقُونَ فِي تَحَالُفَاتٍ مُتَغَيِّرَةٍ. وَانْتَقَلَ الْقِتَالُ حَوْلَ «كَابُلٍ» أَيْضًا، وَشَارَكَ فِيهِ رِجَالُ «سَيَافٍ»، وَكَانَ أَشَدَّ ضَرَاوَةً مِنْ قِتَالِ الشَّمَالِ؛ لِأَنَّ

الْقِيَادَاتِ فِي «بِشَاوَر» اهْتَمَّت بِتَحْرِيكِ إِمدَادَاتٍ كَبِيرَةٍ لِلْمُتَقَاتِلِينَ، وَ «كَابُل» تُعْتَبَرُ أَقْرَبَ بِكثِيرٍ مِنْ مَنَاطِقِ الشَّمَالِ بِالنِّسْبَةِ لِمَرَكَزِ التَّمْوِينِ عَلَى الحُدُودِ البَاكْسْتَانِيَّةِ. وَمِنْ جِهَتِهَا قَدَمَتْ حُكُومَةُ «كَابُل» أَسْلِحَةً وَذَخَائِرَ لِلطَّرْفَيْنِ الْمُتَقَاتِلَيْنِ!! وَشَنَّ السُّوفِيَّتُ هَجَمَاتٍ وَاسِعَةً اسْتَعَادُوا فِيهَا مَنَاطِقَ كَبِيرَةً حَوْلَ «كَابُل»، طَرَدَتْ مِنْهَا رِجَالَ «حِكْمَتِيَار» وَرِجَالَ «سِيَّاف».

أَمَّا «صَدِيقُ شَكْرِي» القَائِدُ الشَّهِيرُ لَدَى «سِيَّاف»، فَقَدَ مَوَاقِعَهُ مَرَّتَيْنِ أَمَامَ الحُكُومَةِ الَّتِي اسْتَوْلَتْ مِنْهَا عَلَى كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الذَّخَائِرِ وَالأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعِ «سِيَّاف» مِنْ إِمدَادِهِ بِمَا يَلْزَمُ كَيْ يَفْتَحَ مَرَكَزَ جَدِيدَةً لِيَسْتَقْبَلَ فِيهَا العَرَبَ الرَّاغِبِينَ فِي رُؤْيَةِ القِتَالِ قُرْبَ «كَابُل».

وَهُنَا تَوَجَّدَ مُلَاحِظَةٌ هَامَةٌ وَهِيَ أَنَّ ضَرْبَ قَوَاعِدِ المُجَاهِدِينَ فِي غَارَةِ كُومَانْدُوزِ خَاطِفَةٍ لَمْ يَكُنْ لِيَمْنَعِ المُجَاهِدِينَ مِنَ العُودَةِ وَالبَقَاءِ فِيهَا وَإِحْضَارِ أَسْلِحَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ «بِشَاوَر». فَلَمْ يَكُنِ الجَيْشُ الأَحْمَرُ يَبْقَى عَلَى إِحْتِلَالٍ دَائِمٍ لِأَيَّةِ مَنَاطِقٍ فِي عُمُقِ الجِبَالِ، أَوْ تَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ مَرَكَزِهِ الرَّئِيسِيَّةِ، بِحَيْثُ تُكَلِّفُهُ جُهْدًا شَاقًّا فِي إِمدَادِهَا وَحِمَايَتِهَا.

وَبِالْمِثْلِ فِي طُرُقِ الإِمدَادِ، فَإِنَّ ضَرْبَ قَوَافِلِ كَثِيرَةٍ عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ لَمْ يُوَدِّ إِلى إِغْلَاقِ دَائِمٍ لِهَذِهِ الطَّرِيقِ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ تَطُولُ أَوْ تَقْصُرُ تَعُودُ قَوَافِلُ جَدِيدَةٌ مِنْ نَفْسِ الطَّرِيقِ. وَنَادِرًا مَا تَمَّ إِغْلَاقُ طُرُقِ الإِمدَادِ بِشَكْلِ دَائِمٍ. فَإِمَّا

أَنَّهَا تَتَوَقَّفُ لِفَتْرَةٍ حَتَّى تَهْدَأَ الْأَحْوَالَ، أَوْ أَنَّهَا تَتَحَوَّلُ إِلَى مَسَارَاتٍ جَانِبِيَّةٍ عَنِ الْمَنَاطِقِ الْخَطِرَةِ، فَتُصْبِحُ طَوِيلَةً وَشَاقَّةً أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ، وَبِالتَّالِي تَتَأَثَّرُ عَمَلِيَّاتُ الْمُجَاهِدِينَ وَنَقْلُ، وَلَكِنَّهَا عَلَى آيَةِ حَالٍ لَا تَتَوَقَّفُ.

وَالْمُشْكَلَةُ الرَّئِيسِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ لِلسُّوْفِيَّةِ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْوَرِطَةُ لَنْ تُحَلَّ جِذْرِيًّا إِلَّا بِإِحْتِلَالٍ بَاكِسْتَانِ نَفْسِهَا، أَوْ بِإِسْقَاطِ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» وَإِحْلَالِ حُكُومَةِ صَدِيقَةٍ لَهُمْ. أَمَّا مُحَاوَلَاتُ إِغْلَاقِ الْمَنَافِذِ الْحُدُودِيَّةِ بِوَأَسْطَةِ الْمَوَاقِعِ الْعَسْكَرِيَّةِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْإِجْرَاءَاتِ فَكَانَتْ كَمَا وَصَفَهَا كِتَابُ «فُخُّ الدُّبِّ»: «مِثْلَ الَّذِي يُحَاوِلُ إِغْلَاقَ صُنُبُورِ الْمِيَاهِ بِوَضْعِ كَفِّهِ عَلَيْهِ».

وَفِي ظَنِّي أَنَّ عَامَ ١٩٨٤ م كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ فِيهِ تَهْدِيدَاتُ «بَابِرَاك كَارْمِلِ» الرَّئِيسِ الشُّيُوعِيِّ فِي «كَابُلِ» مِنْ أَنَّهُ سَيَكُونُ عَامَ النِّهَايَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَلَكِنَّ مَصْرَعَ «إِنْدِيرَا غَانْدِي» - فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ - وَبَقَاءَ نِظَامِ «ضِيَاءِ الْحَقِّ» أَكْسَبَا الْمُجَاهِدِينَ فُرْصَةَ الْبَقَاءِ وَالِاسْتِمْرَارِ.

أَمَّا مَا وَرَدَ فِي التَّقْرِيرِ مِنْ أَنَّ الْبَابَ أَصْبَحَ مَفْتُوحًا لِاسْتِمْرَارِ الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَإِنْ كَانَ الْجِهَادُ قَدْ تَوَقَّفَ، فَهُوَ قَوْلٌ يَعْكِسُ مَا بَدَأَتْ تُشْعِرُ بِهِ مِنْ أَنَّ أَمَامَ «حَرْبِ الْوَكَالَةِ» مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْحُرُوبِ الَّتِي زَخَرَ بِهَا الْعَالَمُ بَعْدَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ. وَأَنَّ التَّأْثِيرَ «الْكَافِرِ» عَلَى الْحَرْبِ وَمُجْرِيَاتِهَا وَمَفَاتِيحِهَا الرَّئِيسِيَّةِ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ التَّأْثِيرِ «الْمُسْلِمِ» الَّذِي ضَاعَ فِي الرِّحَامِ

وَجَرَفَهُ التِّيَّارُ وَصَارَ يَتَخَبَّطُ دَاخِلَ الدَّوَامَةِ الَّتِي يُدِيرُهَا الْأَمْرِيكَانُ وَأَعْوَانُهُمْ،
وَإِنْ ظَلَلْتُ أَحْتَفِظُ بِأَمَلٍ أَنْ الْفُرْصَةَ لَمْ تَنْتَهَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لِإِصْلَاحِ الْمَسَارِ كُلِّهِ،
فَعَلَى الْأَقْلِّ لِتَكْوِينِ مَسَارٍ إِسْلَامِيٍّ جِهَادِيٍّ يَعْمَلُ مِنْ مُنْطَلَقِ الْإِسْلَامِ وَسَرَائِعِهِ
وَمَصَالِحِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَكَانَ فِي تَصَوُّرِي وَفَتْهَا أَنَّهُ لَوْ تَوَفَّرَ دَعْمٌ مَالِيٌّ مُسْتَقِلٌّ عَنِ الدَّعْمِ
الْبَاكِسْتَانِيِّ «الْأَمْرِيكِيِّ»، وَتَمَّ تَوْجِيهُ ذَلِكَ الدَّعْمِ بِوِاسِطَةِ مَجْمُوعَةٍ عَرَبِيَّةٍ
تَشْتَرِكُ مَبَاشَرَةً فِي الْقِتَالِ مَعَ الْقِلَّةِ الْمُخْلِصَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَيَكُونُ خَلْفَهَا
امْتِدَادُ الْعَالَمِينَ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ إِعْلَامِيًّا وَمَالِيًّا، فَإِنَّا قَدْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقِيمَ
جِهَادًا إِسْلَامِيًّا حَقِيقِيًّا، لَمْ أَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ انْتِصَارِهِ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ.

[٢] نَتِيجَةٌ لِلْقُصُورِ التَّنْظِيمِيِّ لِلْمُقَاوَمَةِ وَضَعْفِ فَاعِلِيَّتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ
تَضَاعَفَ الْعِبْءُ عَلَى بَاكِسْتَانَ، وَأَصْبَحَتْ مُتَطَلِّبَاتُ الْإِمْدَادِ الصَّخْمَةِ تُشْكَلُ
عِبْئًا يُثْقِلُ كَاهِلَ بَاكِسْتَانَ. كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ بَاكِسْتَانَ وَ «أَسْيَادَهَا» لَا بُدَّ أَنْ
يُعِيدُوا تَنْظِيمَ الْمُقَاوَمَةِ «الْجِهَادِ». فَذَلِكَ الْعَامَ ١٩٨٤ م كَانَ عَامَ الْفَشْلِ، وَرُغْمَ
كَمِّيَّاتِ السَّلَاحِ الصَّخْمَةِ وَالْأَمْوَالِ الْعَرَبِيَّةِ الْهَائِلَةِ فَإِنَّ النَّتَاجَ كَانَتْ فَشَلًا فِي
مُعْظَمِ الْمَنَاطِقِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَسْتَمِرَّ الْوَضْعُ كَذَلِكَ، سِوَاءً عَلَى
الصَّعِيدِ الْعَسْكَرِيِّ أَوْ السِّيَاسِيِّ. كَانَتْ هُنَاكَ مَعَالِمَ فَشْلِ أُخْرَى تَحْتَ السَّطْحِ،
وَلَكِنَّ رَائِحَتَهَا الْعَفْنَةَ تَنْبُعُ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ. ذَلِكَ مِثْلَ عَمَلِيَّاتِ الْفَسَادِ فِي

الطَّبَقَةَ الإِدَارِيَّةَ وَالْقِيَادِيَّةَ لِلْأَحْزَابِ، وَفِي الْبِيرُوقْرَاطِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ سِوَاءَ الْعَسْكَرِيَّةِ مِنْهَا أَوْ الإِدَارِيَّةِ. فَهَذَا السَّبِيلُ الْعَارِمُ مِنَ السَّلَاحِ وَالْمِهْمَاتِ وَالتَّبَرُّعَاتِ الْعَيْنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، فِي وَسْطِ أَجْوَاءِ التَّسْيِبِ وَالْفَوْضَى وَيَبِيعِ الضَّمَائِرِ وَالذَّمَمِ وَمَصَائِرِ الشُّعُوبِ، وَحَتَّى الْمُتَاجِرَةَ بِالدِّينِ، كُلُّ ذَلِكَ شَكْلٌ مَنَاحًا مُوَاتِيًا لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ، مِنْ السَّرِقَةِ وَحَتَّى الْجَاسُوسِيَّةِ.

أَبْرَزُ مَجَالَاتِ الْفَسَادِ الْفَاضِحَةِ كَانَتْ فِي مَجَالَيْنِ، الْأَوَّلُ سَرِقَاتُ الْأَسْلِحَةِ وَالْمُتَاجِرَةُ بِهَا. وَالثَّانِي تَهْرِيبُ الْمُخَدَّرَاتِ بَلْ وَتَضْيِيعُهَا. مُورِسَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ عَلَى مُسْتَوَى عَالٍ جَدًّا مِنْ [قَبْلِ] مَسْئُولِي أَحْزَابِ «بِشَاوَر» «الْجِهَادِيَّةِ» !!، وَبَيْنَ كِبَارِ مُوظَّفِي دَوْلَةِ بَاكِسْتَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ !!، سِوَاءَ ضَبَّاطِ الْجَيْشِ - خَاصَّةً الْاسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ - أَوْ ضَبَّاطِ الشُّرْطَةِ وَالْجِمَارِكِ.

بَاتَ وَاضِحًا أَنَّ كَمِّيَّاتِ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ فِي أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ فِي الْجَبَهَاتِ أَصْبَحَتْ قَلِيلَةً وَفِي تَنَاقُصٍ، بَيْنَمَا تَتَزَايَدُ كَمِّيَّاتُ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ مِنْ مَخَازِنِ الْجَيْشِ الْبَاكِسْتَانِيِّ نَحْوَ حُدُودِ أَفْغَانِسْتَانِ، حَيْثُ الْمَخَازِنُ الرَّئِيسِيَّةُ لِلْأَحْزَابِ الْأَفْغَانِيَّةِ. بِسَاطَةِ كَانَتْ أَكْثَرُ تِلْكَ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ تُبَاعُ وَتَتَقَاسَمُ ثَمَنُهَا قِيَادَاتُ الْأَحْزَابِ - أَوْ كِبَارُ مُوظَّفِيهَا - مَعَ كِبَارِ ضَبَّاطِ الْاسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ.

مِنْ هُنَا تَبَنَّتِ الْاسْتِخْبَارَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ تَوْزِيعَ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ عَلَى

المَجْمُوعَاتِ الْمُقَاتِلَةِ فِي الدَّخْلِ، مَعَ مُرَاقِبَتِهَا عَنْ كَثْبٍ حَتَّى لَا تَتَلَاعَبَ
بِتِلْكَ الْمُهِمَّاتِ. بِالطَّبَعِ لَمْ يَكُنْ الْأَمْرِيكَانُ بِقَادِرِينَ عَلَى دُخُولِ أَفْغَانِسْتَانَ
وَالِإِشْرَافِ عَلَى الْعَمَلِ مُبَاشَرَةً؛ فَ «ضِيَاءُ الْحَقِّ» لَا يُوَافِقُ، وَأَيْضًا كِبَارُ قَادَةِ
المَجْمُوعَاتِ الْمُقَاتِلَةِ وَقَادَةُ الْأَحْزَابِ، فَعَمَلٌ مِثْلُ ذَلِكَ كَفَيْلٌ بِتَدْمِيرِهِمْ
سِيَّاسِيًّا، وَيَفْقِدُهُمْ مِصْدَاقِيَّةَ الْجِهَادِ، وَيُعْطِي مِصْدَاقِيَّةَ لِدَعَايَةِ «كَابُل» وَ
«مُوسْكُو» الَّتِي تَقُولُ بِأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ هُمْ عَمَلَاءٌ لِلْإِمْرِيَّالِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.
وَبِالتَّالِي لَا بُدَّ مِنَ الِاعْتِمَادِ عَلَى الْبَاكِسْتَانِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ، فَفَعَّلُوا الْعَمَلَ «الْأَوَامِرِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ» عَلَى مَضْضٍ، وَاضْطُرُّوا لِنَقْلِ الْأَسْلِحَةِ إِلَى دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ.

رَافَقَ ذَلِكَ ضَغْطٌ مِنْهُمْ عَلَى بَعْضِ المَجْمُوعَاتِ الْحُدُودِيَّةِ، بَلْ
وَمُسَاعَدَتُهُمْ مَالِيًّا، مِنْ أَجْلِ بِنَاءِ أَنْفَاقٍ ضَخْمَةٍ لِتَخْزِينِ الْأَسْلِحَةِ وَبَيْعِهَا
مُنَاصَفَةً عِنْدَمَا تَسْنَحُ الْفُرْصَةُ. وَقَدْ شَاهَدْتُ عَدَدًا مِنْ تِلْكَ المَغَارَاتِ، وَكَانَتْ
مَحْفُورَةً فِي جِبَالِ صَمَاءٍ، تَسَعُ المَغَارَةُ الْوَاحِدَةَ شَاحِنَةً تَتَحَرَّكُ بِحَرِّيَّةٍ إِلَى
أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مِترٍ دَاخِلَ الجَبَلِ كَيْ تُفْرَغَ شُحْنَتُهَا فِي أَمَاكِنَ خَاصَّةٍ، وَتُوجَدُ
عِدَّةُ مَغَارَاتٍ مُتَوَازِيَةٌ وَمُتَّصِلَةٌ لِذَلِكَ الْغَرَضِ. نَزَلْنَا ضِيُوفًا فِي أَحَدِ تِلْكَ
المَغَارَاتِ فِي أَحَدِ المَنَاطِقِ المَجْهُولَةِ فِي مَنطِقَةِ «خُوسْت» الَّتِي كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ
لَا يَقْطُنُهَا إِلَّا الْأَشْبَاحُ. فَوَجَدْنَا تِلْكَ المَغَارَاتِ تَحْرُسُهَا مَجْمُوعَةٌ «جِهَادِيَّةٌ»
سَيِّئَةُ السَّمْعَةِ، لَمْ نَعْلَمْ قَطُّ أَنَّهَا شَارَكَتْ فِي قِتَالِ ضِدِّ العَدُوِّ!!

[٣] البندُ الخامسُ مِنَ التَّعْدِيَلَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُفَكَّرُ فِيهَا بِاِكِسْتَانِ آنَذَاكَ يَقْضِي بِإِجْرَاءِ بَعْضِ التَّعْدِيَلَاتِ فِي أَحْزَابِ الْمُقَاوَمَةِ وَعِلَاقَاتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ، خَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالاتِّحَادِ.

لَقَدْ أَثَارَ الاتِّحَادُ فَوْضَى دَاخِلِيَّةً وَسَلْبِيَّاتٍ وَصِرَاعَاتٍ دَاخِلَ الْمُقَاوَمَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ، وَأَثَارَ بِذَلِكَ مَوْجَةَ صِدَامَاتٍ دَاخِلَ الْجَبَهَاتِ اسْتِفَادَ مِنْهَا السُّوفِيَّتُ، حَتَّى أَوْشَكُوا عَلَى تَحْقِيقِ انْتِصَارٍ نِهَائِيٍّ، خَاصَّةً إِذَا اسْتَمَرَ الوَضْعُ كَذَلِكَ. وَبِالتَّالِي تَحَرَّكَتِ الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ لِمُعَالَجَةِ الوَضْعِ، وَتَلَاقَتْ رَغْبَتُهَا تِلْكَ مَعَ الرَّغْبَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ مَعَ الرَّغْبَةِ السُّعُودِيَّةِ قَلِيلًا. كَانَ لَا بُدَّ مِنْ صِيغَةٍ عَمَلٍ جَدِيدَةٍ بَدِيلَةٍ لِلاتِّحَادِ الْقَائِمِ. وَهَذَا مَا حَدَثَ فِي الْعَامِ التَّالِي، حَيْثُ أُرْسِلَتْ الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ أَحَدَ كِبَارِ مَسْئُولِيهَا لِوَضْعِ صِيغَةٍ تَنْسِيقٍ بَيْنَ أَحْزَابِ الْمُقَاوَمَةِ عَلَى أَنْقَاضِ الاتِّحَادِ الْمَوْجُودِ، وَهُوَ مَا تَمَّ فِعْلًا.

[٤] اسْتَبْعَادُ بَعْضِ الْقِيَادَاتِ الْأَفْغَانِيَّةِ مِنَ الْعَمَلِ. حَدَثَ ذَلِكَ بِدُونِ ضَوْضَاءِ تَذَكُّرٍ، وَلَمْ يَكْدُ يَلَا حِظَّهُ أَحَدٌ. فَالْمَجْمُوعَاتُ الَّتِي انْشَقَّتْ عَنْ أَحْزَابٍ كَبِيرَةٍ وَكَانَ عَدْدُهَا أَرْبَعَةً، وَجَمِيعُهَا دَخَلَتْ كَأَحْزَابٍ كَامِلَةٍ الْأَهْلِيَّةِ ضَمَّنَ «الِاتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ لِمُجَاهِدِي أَفْغَانِسْتَانِ»، أَيَّ أَنَّهَا تُشَكِّلُ أَغْلِيَّةَ عَدَدِ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ. هُوَ لِأَجْلِ جَمِيعًا وَجَّهَتْ لَهُمْ نَصَائِحَ إِمَّا بِالْجُلُوسِ فِي مَنَازِلِهِمْ أَوْ الْعُودَةَ لِأَحْزَابِهِمْ الْأَصْلِيَّةِ. وَمَنَعَتْ عَنْهُمْ كُلَّ الْمَعُونَاتِ الَّتِي تَصْرِفُهَا لَهُمْ

بَاكِسْتَانُ حَتَّى ذَبُلُوا وَتَهَافَتَ دَوْرُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا تَلَقُّوا بَعْضَ الْمُسَاعَدَاتِ
الْبَاكِسْتَانِيَّةِ فِي مُنَاسَبَاتٍ خَاصَّةٍ، وَلَكِنَّ دَوْرَهُمُ السِّيَاسِيَّ انْتَهَى بَعْدَ حَلِّ
الْاِتِّحَادِ «السِّيَافِي» عَامَ ١٩٨٥ م.

كَذَلِكَ بَعْضُ الْقِيَادَاتِ الْكَبِيرَةِ تَحَوَّلَتْ إِلَى رُمُوزٍ أَكْثَرَ مِنْهَا قِيَادَاتٍ حَقِيقِيَّةٍ
لِأَحْزَابِهَا. مَثَلًا «يُونُسُ خَالِصٌ» تَحَوَّلَ إِلَى مُجَرَّدِ رَايَةٍ لِلْحِزْبِ الَّذِي أَدَارَهُ
فِعْلِيًّا «حَاجِي دِينَ مُحَمَّدٌ» بِمُسَاعَدَةِ أَخُوَيْهِ «عَبْدِ الْحَقِّ» وَ «عَبْدِ الْقَدِيرِ»،
وَالْآخِرُ يَشْغَلُ مَنْصِبَ وَالِي «جَلَالِ آبَادٍ» حَالِيًّا.

أَمَّا مَوْلَوِي «مُحَمَّدُ نَبِيُّ مُحَمَّدِي» فَهُوَ الْآخِرُ - وَقَبْلَ حَلِّ الْاِتِّحَادِ - قَدْ
تَحَوَّلَ إِلَى مُجَرَّدِ «تَمِيمَةٍ» يَتَبَرَّكُ بِهَا أَعْضَاءُ الْحِزْبِ وَمُوظَّفُوهُ، أَمَّا الْقِيَادَةُ
الْفِعْلِيَّةُ فَتَوَلَّاهَا ابْنُهُ «أَحْمَدُ» الشَّهِيرُ بِفَسَادِهِ وَأَنْحِرَافَاتِهِ الْخُلُقِيَّةِ. وَكَانَ حَوْلَهُ
مَجْمُوعَةٌ مِنَ الشَّبَابِ ذَوِي الْمِيُولِ السِّيَاسِيَّةِ الْيَسَارِيَّةِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ، وَهَكَذَا
كَانَتْ تَدَارُ حَرَكَةُ «انْقِلَابِ إِسْلَامِي».

مِثَالُ آخَرٍ، «سَيِّدُ أَحْمَدِ الْجِيلَانِي» زَعِيمُ الطَّرِيقَةِ الْجِيلَانِيَّةِ وَرَأْسُ حِزْبِ
«مِحَازِ مِلِّي إِسْلَامِي أَفْغَانِسْتَان»، كَانَ رَايَةً حِزْبِيَّةً، أَمَّا قِيَادَةُ الْحِزْبِ فَكَانَتْ
فِي أَيْدِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ «الدُّنَابِ الْمَلِكِيَّةِ» تَضُمُّ بَعْضَ كِبَارِ مَوظَّفِي الْإِدَارَةِ
الْمَلِكِيَّةِ لِلْمَلِكِ «ظَاهِرِ شَاه». وَيُحَاوِلُ «السَّيِّدُ» أَنْ يُلَاحِظَ الْمُجْرِيَّاتِ مِنْ
خِلَالِ ابْنِهِ «حَامِدِ الْجِيلَانِي» الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ وَزْنٌ يُذَكِّرُ لِصِغَرِ سِنِّهِ وَقَلَّةِ

تَجْرِبَتِهِ. أَمَّا «فَاطِمَةُ الْجِيلَانِي» ابْنَةُ «السَّيِّد» فَكَانَتْ مُقِيمَةً فِي الْعَاصِمَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ كَسَفِيرَةٍ غَيْرِ مُعْلَنَةٍ لِبِلَادِهَا فِي بَلَاطِ رَئِيسَةِ الْوُزَرَاءِ «مَرْجِرِت تَاشِر»^(١) الَّتِي كَانَتْ تَرْتَبُطُ أَيْضًا بِصَدَاقَةٍ مَعَ «عَبْدِ الْحَقِّ» أَحَدِ الْكِبَارِ فِي حِزْبِ مَوْلَوِي «خَالِص» «حِزْبِ إِسْلَامِي».

وَإِذَا تَعَمَّقْنَا فِي الْخَرِيطةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْأَحْزَابِ، تَتَّضِحُ خُطُورَةُ رِجَالِ الصَّفِّ الثَّانِي وَحَتَّى الثَّلَاثِ الَّذِي لَا يَدْرِي عَنْهُمْ الْعَالَمُ الْخَارِجِي شَيْئًا. وَكَانُوا يُمَثِّلُونَ الْإِرْتِبَاطَاتِ الْحَقِيقِيَّةَ وَالْقُوَّةَ الْمُوجَّهَةَ، وَالخَطَّ السِّيَاسِيَّ الْحَقِيقِيَّ لِلْأَحْزَابِ. وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانَ يَحْمِلُ جِنْسِيَّاتٍ غَرِيبَةً، أَمْرِيكِيَّةً وَاسْتِرَالِيَّةً وَأُورُوبِيَّةً... الخ. وَحَتَّى نَائِبُ «سَيَّاف» الْمُهَنْدِسُ «أَحْمَدُ شَاه» يَحْمِلُ جَوَازَ سَفَرٍ أَمْرِيكِيٍّ وَمُتَزَوِّجٌ مِنْ أَمْرِيكِيَّةٍ. وَهُوَ بِلَا شَكِّ الْمُهَنْدِسُ السِّيَاسِيُّ لـ «سَيَّاف» وَجَمَاعَتِهِ، وَهُوَ يَتَلَقَّى مُرْتَبَهُ مِنَ السُّعُودِيَّةِ بِشَكْلِ

(١) مَارْجِرِت هِيلْدَا تَاشِر: أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَشْغَلُ مَنْصِبَ رَئِيسِ وُزَرَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ، وَكَانَتْ فِتْرَةَ شُغْلِهَا لِلْمَنْصِبِ هِيَ الْأَطْوَلُ (٤ مَآيُو ١٩٧٩م - ٢٨ نُوْفَمْبَرِ ١٩٩٠م). وُلِدَتْ فِي ١٣ أُكْتُوبَرِ ١٩٢٥م فِي عَائِلَةٍ مُتَدَيِّنَةٍ أَنْجِلِيكَانِيَّةٍ مِيثُودِيَّةٍ، تَخَرَّجَتْ فِي ١٩٤٧م مِنْ قِسْمِ الْكِيمِيَاءِ بِجَامِعَةِ أُكْسْفُورْد. انْضَمَّتْ إِلَى حِزْبِ الْمُحَافِظِينَ وَتَقَدَّدَتْ فِيهِ الْعِدِيدَ مِنَ الْمَنَاصِبِ حَتَّى تَوَلَّتْ رِئَاسَةَ الْحِزْبِ مِنْ ١٩٧٥ - ١٩٩٠م. عُرِفَتْ تَاشِرُ بِلَقَبِ «الْمَرْأَةِ الْحَدِيدِيَّةِ» لِمَا كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ حَزْمٍ فِي تَطْبِيقِ سِيَاسَاتِهَا مَعَ الْجَمِيعِ. تُوْفِّيتْ فِي ٨ أْبْرَيْلِ ٢٠١٣م.

رَسْمِيَّحَسَبِ آخِرِ مَعْلُومَاتِي عَنْهُ عَامَ ١٩٨٥ م، وَكَانَ يَقُولُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ.

دَاخِلَ تِلْكَ الصُّفُوفِ الْخَلْفِيَّةِ لِأَحْزَابِ «بِشَاوَر» تَحَقَّقْتُ مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ «عِلْمَانِيَّةُ الْجِهَادِ»، وَتَخَلَّى الْقَادَةَ سِرًّا أَمَامَ بَاكِسْتَانَ وَأَمْرِيكَ عَنْ أَيِّ تَمَسُّكِ حَقِيقِيَّ بِالشَّعَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعْلَنَةِ؛ فَقَدْ عَبَّرَتِ الصُّفُوفُ الدَّاخِلِيَّةُ لِلْأَحْزَابِ - عَمَلِيًّا - عَنِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعِلْمَانِيَّةِ الشُّيُوعِيَّةِ. أَيُّ أَنَّ تِلْكَ الْأَحْزَابِ تَرَجَمَتْ عَمَلِيًّا مُوَافَقَتَهَا عَلَى إِنْشَاءِ حُكْمٍ مُشْتَرَكٍ، يَكُونُونَ فِيهِ شُرَكَاءَ مَعَ بَقَايَا الشُّيُوعِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ. وَذَلِكَ كَانَ مَطْلَبًا أَمْرِيكِيًّا لِنَهَايَةِ الصَّرَاحِ، وَهَدَفًا سِيَاسِيًّا لَهُ. وَعَبَّرَتْ رُوسِيَا أَثْنَاءَ مَبَاحَثَاتِ «جِنِيف» - الَّتِي كَانَتْ تَدُورُ بِإِشْرَافِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ بَيْنَ حُكُومَتِي «كَابُل» وَ «إِسْلَامَ آبَاد» - أَنَّهَا قَدْ تَوَافَقَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْحَلِّ بِشَرْطِ ضَمَانِ تَوَاجُدِ عَسْكَرِيٍّ فَعَّالٍ لِجَيْشِهَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ. كَانَ ذَلِكَ مَوْقِفَ «مُوسْكُو» حَتَّى نَهَايَةِ ١٩٨٤ م، وَقَدْ بَدَأَ يَلِينُ تَدْرِيجِيًّا مُنْذُ عَامِ ١٩٨٥ م بِسَبَبِ فَشْلِهَا فِي إِسْقَاطِ بَاكِسْتَانَ فِي الْمُخَطَّطِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَبِالتَّالِيِ اسْتِحَالَةُ الْحَلِّ الْعَسْكَرِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ.

[٥] سَعَتِ الْأَمْوَالُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى نَشْرِ الْخِلَافِ الْمَذْهَبِيِّ بَيْنَ «أَهْلِ الْحَدِيثِ» وَأَتْبَاعِ «الْمَذْهَبِ الْحَنْفِيِّ»، وَهُمْ الْغَالِبِيَّةُ الْعُظْمَى مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ. كَذَلِكَ بَيْنَ التِّيَّارِ السِّيَاسِيِّ الْمَحْسُوبِ عَلَى «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْغَانَ التَّقْلِيدِيِّينَ.

وَرَعْمٌ كُلُّ خِلَافَاتِهِمْ، التَّقَى السُّوفِيَّةُ وَأَمْرِيكََا عَلَى هَدَفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَحْطِيمُ الْقَوْعَةِ الصُّلْبَةِ الَّتِي تَحْتَضِنُ الْإِسْلَامَ فَوْقَ الْجِبَالِ الْأَفْغَانِيَّةِ، أَوْ مَا أَطْلَقُوا عَلَيْهِ فِي أُدْبِيَّاتِهِمْ «الْقَلْعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى سَقْفِ الْعَالَمِ». وَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى أَهْمِ مَكُونَاتِ تِلْكَ الْقَلْعَةِ لَوَجَدْنَاهَا:

١. قِبَائِلٌ غَايَةٌ فِي التَّمَاسُكِ الْاجْتِمَاعِيِّ.
٢. عُلَمَاءٌ أَحْنَافٌ مُتَمَسِّكُونَ بِدِينِهِمْ عَبْرَ مَذْهَبِهِمْ.
٣. جِبَالٌ يَعْتَصِمُ بِهَا الْعُلَمَاءُ، وَتَعْتَصِمُ بِهَا الْقِبَائِلُ فِي وَجْهِ أَيِّ اضْطِهَادٍ حَاكِمٍ أَوْ عَدُوٍّ غَازِي، وَمِنْهَا يُقَاتِلُونَ.

هَذِهِ الْعَنَاصِرُ الثَّلَاثَةُ تَكَتَفَ الْأَمْرِيكَانُ وَالسُّوفِيَّةُ عَلَى تَحْطِيمِهَا أثنَاءَ الْحَرْبِ، كُلٌّ مِنْ زَاوِيَّتِهِ الْخَاصَّةِ وَبَطْرِيْقَتِهِ الْخَاصَّةِ. فَالْغَارَاتُ الْجَوِّيَّةُ السُّوفِيَّةِيَّةُ وَقَوَاتُ الْجَيْشِ الْأَحْمَرِ أَخْرَجَتْ مُعْظَمَ الْقِبَائِلِ وَمُعْظَمَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْمَهْجَرِ فِي بَاكِسْتَانِ أَسَاسًا «٤ مِلْيُونِ مُهَاجِرٍ»، ثُمَّ إِيْرَانِ «٢ مِلْيُونِ مُهَاجِرٍ». أَمَّا تَجَاوُزَاتِ الْأَحْزَابِ «الْأَمْرِيكِيَّةِ - الْجِهَادِيَّةِ» فَقَدْ أَرْغَمَتْ مَنْ تَبَقَّى مِنْ سُكَّانِ فِي مَنَاطِقِهَا عَلَى النُّزُوحِ بَعْدَ أَنْ تَعَدَّوْا عَلَى الْحُرْمَاتِ وَأَضَاعُوا الْأَمْنَ فِي عَيْبَةِ الرَّادِعِ الْقَبَلِيِّ.

الْعُلَمَاءُ قَضَى عَلَيْهِمُ السُّوفِيَّةُ بِالْقَتْلِ وَالسَّجْنِ، وَقَضَتْ عَلَيْهِمُ أَمْرِيكََا فِي «بِيْشَاوَر» بِتَوْظِيْفِهِمْ فِي أَعْمَالِ إِدَارِيَّةِ تَافِهَةِ أَضَاعَتْ هَيْبَتَهُمْ وَتَأْثِيرَهُمْ

الْقِيَادِيَّ. ثُمَّ أَعْرَقَتْهُمْ بِالْخِلَافَاتِ، فَدَفَعَتِ السُّعُودِيَّةُ نَحْوَهُمْ بِفِرْسِيِّهَا
الإِسْلَامِيِّينَ، حَرَكَةَ «الإِخْوَانِ» الدُّوَلِيِّينَ وَالسَّلَفِيِّينَ الْمَلَكِيِّينَ مِنَ السُّعُودِيَّةِ.

«الإِخْوَانُ» لَهُمْ ثَلَاثَةُ أَحْزَابٍ أَفْغَانِيَّةٍ، مَعَ الْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ فِي
«إِسْلَامِ آبَادٍ» يُنْظَمُونَ فِيهَا الطُّلَّابَ الْأَفْغَانَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ طُلَّابِ الْعَالَمِ
الإِسْلَامِيِّ فِي خَلَايَا إِخْوَانِيَّةٍ تَحْتَ إِشْرَافِ الاسْتِخْبَارَاتِ السُّعُودِيَّةِ صَاحِبَةِ
الْجَامِعَةِ وَالْمُنْفَقَةِ عَلَيْهَا.

وَالسَّلَفِيُّونَ أَنْشَأُوا حِزْبًا جَدِيدًا حَوْلَ مَوْلَوِيٍّ «جَمِيلِ الرَّحْمَنِ» فِي
مُحَافَظَةِ «كُونَارٍ» الْأَفْغَانِيَّةِ، وَأَصْدَرُوا لَهُ مَجَلَّةً فَاخِرَةً، وَبَنُوا الْعَدِيدَ مِنْ
الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ فِي «بِيشَاوَرٍ» وَ «لَاهُورٍ»، وَبَعْضُهَا دَاخِلَ
أَفْغَانِسْتَانَ.

«الإِخْوَانُ» هَاجَمُوا الْعُلَمَاءَ الْأَفْغَانَ بِدَعْوَى أَنَّهُمْ غَيْرُ حَرَكَتَيْنِ وَأَنَّ
جُمْوَدَهُمْ وَمَمَالَأَتَهُمْ لِلْمَلِكِ أَضَاعَ الْبِلَادَ، كَمَا أَنَّ الْقِيَادَةَ الْفِعْلِيَّةَ فِي الْبِلَادِ
اِغْتَصَبَتْهَا أَحْزَابُ «الإِخْوَانِ» «سَيَافٍ - بُرْهَانَ الدِّينِ - حِكْمَتِيَّارٍ» بِقُوَّةِ الْمَالِ
وَالسَّلَاحِ. وَتَرَجَعَ دَوْرُ الْعُلَمَاءِ عِنْدَهُمْ إِلَى مُجَرَّدِ اتِّبَاعٍ مِنَ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَّةِ فِي
مَكَاتِبِ تَبْتَلُعِ الرِّوَايَاتِ وَلَا تُقَدِّمُ خَدَمَاتٍ.

وَالسَّلَفِيُّونَ هَاجَمُوا الْعُلَمَاءَ بِدَعْوَى أَنَّهُمْ «مُشْرِكُونَ» وَقُبُورِيُّونَ وَمُنْحَرِفُونَ
الْعَقِيدَةَ وَبَعْضُهُمْ كُفَّارٌ. وَبِهَذَا التَّضَعِيدِ صَارَ الْقِتَالُ حَتْمِيًّا، وَإِنْ كَانَ مُؤَجَّلًا

حَتَّى انْفَجَرَ فِي التَّوَقُّيْتِ الْمَلَائِمِ بِمَا يَخْدُمُ الْخُطُوتِ الْأَمْرِيكِيَّةَ، وَذَلِكَ فِي مَعَارِكِ «كُونَار» ١٩٩٠-١٩٩١ م.

فِي تَقْدِيرِي أَنْ عَدَاءَ السُّعُودِيَّةِ لِلْعُلَمَاءِ الْأُخْنَفِ الْمُجَاهِدِينَ يَعُودُ إِلَى سَبَبٍ غَيْرِ مُعْلَنٍ وَهُوَ فَتَاوَى «أَبِي حَنِيفَةَ» نَفْسِهِ بِوُجُوبِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحُكُومَاتِ الظَّالِمَةِ بِالسَّيْفِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْقِتَالُ أَوْلَى مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ فِي الْخَارِجِ. كَذَلِكَ مَوْقِفُهُ مِنْ ثَوْرَةِ «مُحَمَّدِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ»، وَالْقَوْلُ بِأَنَّ مُسَانَدَتَهُ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسِينَ أَوْ سَبْعِينَ حَجَّةً نَفَلًا. لِهَذَا حَارَبُوهُمْ فِي أَفْغَانِسْتَانَ بِوَاسِطَةِ «الْإِخْوَانِ» وَالسَّلَفِيِّينَ، وَنَعَتُوهُمْ بِالشَّرْكِ وَانْحِرَافِ الْعَقِيدَةِ. وَقَدْ كَافَحَتِ السُّعُودِيَّةُ لَوْ قَفَّ الْجِهَادِ بَعْدَ انْسِحَابِ السُّوفِيَّةِ عَامَ ١٩٨٩ م حَتَّى لَا يَتَعَلَّمَ الشَّبَابُ الْعَرَبُ مِنَ الْأَفْغَانِ مَبْدَأَ الْخُرُوجِ الْمُسَلَّحِ عَلَى الْحُكُومَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَمْثَالِ حُكُومَةِ «نَجِيبِ اللَّهِ» فِي «كَابُل» الَّتِي اسْتَمَرَّتْ فِي الْحُكْمِ بَعْدَ انْسِحَابِ السُّوفِيَّةِ^(١).

(١) لَعَلَّ السَّبَبَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمِصْرِيُّ هُوَ أَكْثَرُ الْأَسْبَابِ وَجَاهَةٌ وَمُنَاسَبَةٌ فِي «عَدَاءِ»، وَإِذَا أَرَدْنَا التَّرْفُوقَ قُلْنَا «خِلَافَ» الْحَنَابِلَةَ الْمُعَاَصِرِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الْإِمَامِ «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» لِلْأُخْنَفِ، وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ أُخْرَى قَدِيمَةٌ قَدَّمَ الْمَذْهَبِيْنَ، مِنْهَا رَمِي الْحَنَابِلَةَ وَغَيْرَهُمْ لِلْأُخْنَفِ بِالْإِرْجَاءِ وَتَسْمِيَّتِهِمْ بِمُرْجِنَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَكَذَا الْخِلَافَاتُ الْأُصُولِيَّةُ وَالْفِقْهِيَّةُ الْكَبِيرَةُ بَيْنَ الْأُخْنَفِ وَبَيْنَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْحَنَابِلَةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، مِمَّا جَعَلَ الْآخَرِينَ يُطْلِقُونَ لَقَبَ «أَهْلِ

الرَّأْيِ « عَلَى الْأَخْتِافِ، وَوَصَفَ أَنْفُسَهُمْ بِأَهْلِ الْحَدِيثِ. تِلْكَ الْأَسْبَابُ قَدِيمَةٌ وَهِيَ بَيْنَ الْأَخْذِ وَالرَّدِّ وَلَا تَزَالُ، وَلَكِنْ مَا يَشْعَلُنَا مِنْهَا أَمْرَانِ، الْأَوَّلُ هُوَ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ «أَبَا حَنِيفَةَ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رُمِيَ بِالْإِزْجَاءِ إِلَّا أَنَّهُ أَفْتَى بِجَوَازِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحَاكِمِ الْمُسْلِمِ الظَّالِمِ، وَذَلِكَ بِخِلَافِ مَنْ لَا يُوصَفُونَ بِالْإِزْجَاءِ مِنَ الْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ وَهُمْ يُمَارِسُونَ أَسْوَأَ سِيَاسَاتِ الْإِزْجَاءِ مَعَ الْحُكَّامِ الْفَاسِقَةِ وَالْخَوْنَةِ وَأَحْيَانًا الْمُرْتَدِّينَ عَنِ الْإِسْلَامِ - فِي الظَّاهِرِ - كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي عُسُورِ الْإِسْلَامِ الْمُتَأَخَّرَةِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يُرْمَوْنَ بِالتَّشَدُّدِ وَالتَّكْفِيرِ - زُورًا وَبُهْتَانًا - إِلَّا أَنَّهُمْ فِي جَانِبِ الْحُكَّامِ مُرْجِيَةٌ خُلِصٌ. الْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ أَنَّ عَقِيدَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ أَفْغَانِسْتَانَ وَبَاكِسْتَانَ وَأَكْثَرِ الدُّوَلِ الْمُجَاوِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْأَشْعَرِيَّةُ وَالْمَاتَرِيدِيَّةُ، وَكَلَّمْنَا الْعَقِيدَتَيْنِ تَمَيِّزًا بِأَنَّ بَهَا إِزْجَاءً كَثِيرًا، فَإِنَّ الْإِزْجَاءَ عِنْدَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ، الْأَوَّلُ تَبَعًا لِلْمَذْهَبِ الْفِقْهِيِّ الْحَنْفِيِّ، وَالْآخَرُ تَبَعًا لِلْمَذْهَبِ الْعَقْدِيِّ الْأَشْعَرِيِّ وَالْمَاتَرِيدِيِّ، وَمُخَالَفَتُهُمْ مِنَ السَّلَفِيِّينَ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَدْعُونَ السَّلَامَةَ مِنْ تِلْكَ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، غَيْرَ أَنَّ الْوَاقِعَ يَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ السَّلَفِيِّينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ يَدٍ وَلَا قَدَمٍ وَلَا سَاقٍ وَلَا لِسَانَ فِي جِهَادِ أَهْلِ الْبَاطِلِ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالسِّنَانِ، بَلْ إِنَّهُمْ الْيَوْمَ أَصْبَحُوا مِنَ الْأَذْرُعِ الْفَاعِلَةِ فِي حُكُومَاتِ الطُّوَاعِيَةِ، فَخَرَجَتْ مِنْهُمْ السَّلَفِيَّةُ الْجَامِيَّةُ وَالْمُدْخَلِيَّةُ وَالرَّسُلَانِيَّةُ وَغَيْرُهَا مِنْ سَلَفِيَّاتِ الْإِزْجَاءِ، كَمَا أَنَّ السَّلَفِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةَ الَّتِي تَنْتَسِبُ لِـ «ابْنِ بَازٍ» وَ «ابْنِ عُثَيْمِينَ» تَمَّ تَدْجِينُهَا وَقَدْ أَصَابَتْهَا آفَةٌ الْإِزْجَاءِ الْعَمَلِيَّةِ الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَتْ تَنْفِي ذَلِكَ بِأَقْوَالِهَا. وَلَمْ يَنْجُ مِنْ تِلْكَ السَّلَفِيَّاتِ إِلَّا مَنْ نَفَرَ إِلَى الْجِهَادِ، سَوَاءً صِدَّ الْعَدُوِّ الْبَعِيدِ كَمَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَغَيْرِهَا أَوْ صِدَّ الْعَدُوِّ الْقَرِيبِ كَحُكُومَاتِ الرَّدَّةِ وَالْعِمَالَةِ وَالزُّنْدَقَةِ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي تَلْحَقُ بِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُمَارَسَاتِ وَالِإِسْقَاطَاتِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْفِقْهِيَّةِ. أَمَّا فِي حَالَةِ الْأَفْغَانَ، فَعَلَى وَصْفِ الْحَنَابِلَةِ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ مُرْجِيَةٌ مِنْ جِهَةِ الْفِقْهِ وَمِنْ جِهَةِ الْعَقِيدَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ نَفَرُوا لِلْجِهَادِ بِالسِّنَانِ حِينَمَا تَصَدَّرَ لِلْحُكْمِ «مُسْلِمُونَ» وَلَكِنَّهُمْ شَيْوعِيُونَ، وَهَذَا حَتَّى قَبْلَ أَنْ تُقَرَّرَ رُوسِيَا دُخُولَ الْحَرْبِ، فَمَاذَا فَعَلَ الْمُصْرِيُونَ عَدِيْمُو الْإِزْجَاءِ حِينَمَا اسْتَوْلَى «عَبْدُ النَّاصِرِ» عَلَى الْحُكْمِ وَقَدْ كَانَ حُكْمُهُ شَيْوعِيًّا قَوْمِيًّا؟!، وَمَاذَا فَعَلَ

أَمَّا الْهَجْرَةُ الَّتِي شَهِدَهَا الْأَفْغَانُ فَقَدْ كَانَتْ تَحْطِئًا لِلْبَيْتَةِ الْقَبْلِيَّةِ
الْمُتَمَاسِكَةِ، وَلِلتَّقَالِيدِ الْإِسْلَامِيَّةِ الرَّاسِخَةِ وَلِلْكَرَامَةِ وَالْأَنْفَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ.

بَعْدَ سِنَوَاتٍ ظَهَرَ فِي تِلْكَ الْمَعْسَكَرَاتِ الْمُتَسَوِّلُونَ وَالنَّصَابُونَ، وَحَوَادِثُ
الْانْحِرَافِ الْخُلُقِيِّ، وَإِنْ ظَلَّ مَحْدُودًا. أَمَّا الْمَعْسَكَرَاتُ الْخَاصَّةُ لِلنِّسَاءِ
الْأَرَامِلِ، فَقَدْ عَاشَتْ فِيهَا جُنُودُ الشَّرْطَةِ الْبَاكِسْتَانِيِّونَ فَسَادًا، وَكَذَلِكَ قَوَافِلُ
التَّبَشِيرِ الَّتِي تَحْوِي نِسَاءً شِوَعِيَّاتٍ وَعَلْمَانِيَّاتٍ مِنَ الْأَفْغَانِ أَنْفُسِهِمْ.

الْعَرَبُ الْمُخْلِصُونَ هُمْ أَيْضًا سَاهَمُوا بِجَهَالَةٍ فِي ذَلِكَ الْمُخْطِطِ،
وَأُمُورُهُمُ الَّتِي أَنْفَقَتْ بَغَيْرِ ضَابِطٍ وَلَا بَصِيرَةٍ فِي أَوْسَاطِ الْمُهَاجِرِينَ أَفْسَدَتْ
الْأَخْلَاقَ وَالذَّمَّمَ وَسَرَّعَتْ وَتِيرَةَ الْانْحِرَافِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ.

[٦] فَقَدَ الشَّبَابُ الْعَرَبِيُّ ثِقَتَهُمْ فِي الْجِهَادِ الْأَفْغَانِيِّ لِكَثْرَةِ السَّلْبِيَّاتِ، وَمَا
ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ السَّلْبِيَّاتِ كَانَ كَافِيًا لِدَفْعِهِمْ إِلَى الْهُرُوبِ مِنَ السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ،

السُّورِيُّونَ عَدِيمُو الْإِرْجَاءِ حِينَ اسْتَوْلَى عَلَى الْحُكْمِ الْقَوْمِيُّونَ أَوْلَا ثَمَّ النَّصِيرِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ؟!
وَمَاذَا فَعَلَ اللَّبْنَانِيُّونَ عَدِيمُو الْإِرْجَاءِ حِينَمَا سَبَطَرَ عَلَى الْحُكْمِ الْقَوْمِيُّونَ وَالصَّلْبِيُّونَ؟! وَهَكَذَا، هَذَا
فَقَطُّ لِنَعْلَمَ أَنَّ تَهْمَةَ الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَثَارَهَا سَلْفِيُّو الْعَصْرِ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى صَفْحَاتِ الْوَرَقِ وَبَوَاطِنِ
الْكِتَابِ، وَعِنْدَمَا يُنَادِي الْمُنَادِي بِالْجِهَادِ تَجِدُ الْإِرْجَاءَ يَطُلُّ بِرَأْسِهِ الْخَيْبِثَ مِنْ قَلْبِ كُلِّ عَالِمٍ مِنْهُمْ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

مُصَابِينَ بِالْيَأْسِ وَالْإِحْبَاطِ.

فِي عَامِ ١٩٨٤ م وَحَتَّى تَعَاظَمَ نَشَاطُ «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ» فِي مَعْرَكَةِ ١٩٨٧ م وَأَنْطَلَقَ الْعَمَلُ الْعَسْكَرِيُّ الْعَرَبِيُّ بَعْدَهَا، كَانَ النِّشَاطُ الْعَسْكَرِيُّ لِلْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ لَا يَسْتَوْعِبُ الشَّبَابَ الْعَرَبِيَّ لِفَوْضُوئِيَّتِهِ وَقَلَّتِهِ وَغَرَابَةِ أُسْلُوبِهِ، ثُمَّ أَخْلَاقِيَّاتِ الْمُجَاهِدِينَ الَّتِي بَدَأَتْ [تَنْحَدِرُ]. وَالشَّابُّ الَّذِي قَرَأَ كِتَابَ «آيَاتِ الرَّحْمَنِ» أَوْ سَمِعَ الشَّرَائِطَ الْحَمَاسِيَّةَ الَّتِي بَدَأَتْ تَغْزُو الْوَسْطَ الْإِسْلَامِيَّ أَيْنَمَا كَانَ، مَا كَانَ يُمَكِّنُ لِمِثْلِ ذَلِكَ الشَّابِّ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَيَّامًا قَلَائِلَ فِي «بِيشاور» أَوْ أَيِّ جَبَهَةٍ دَاخِلِ أَفْغَانِسْتَانَ؛ فَالْبُؤْسُ شَاسِعٌ جِدًّا بَيْنَ مَا قَرَأَ وَبَيْنَ مَا يُشَاهِدُ. وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ اسْتَطَاعَ الصُّمُودَ وَمَوَاصِلَةَ الْمَسِيرِ، وَأَغْلَبِيَّةُ الشَّبَابِ الَّذِينَ جَاءُوا فِي تِلْكَ السَّنَوَاتِ خَرَجُوا وَلَمْ يَعُودُوا، حَتَّى أَنَّ الدُّكْتُورَ «عَبْدَ اللَّهِ عَزَّامَ» أَشَارَ فِي كَثِيرٍ مِنْ خُطْبِهِ وَكِتَابَاتِهِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنْ أَوَاخِرِ ١٩٨٤ م وَحَتَّى اسْتِشْهَادِهِ إِلَى أَنَّ الشَّبَابَ فِي مُعْظَمِهِ قَلِيلُ الصَّبْرِ، وَيَتَوَقَّعُ أَنَّ الْأَفْغَانَ شَعْبٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ. وَانْتَقَدَ كَثِيرًا مِنْ التَّصَرُّفَاتِ وَالْأَفْكَارِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ. وَقَدْ كَانَ مُحِقًّا فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ رُبَّمَا لَمْ يَلْتَمِثْ إِلَى مَسْئُولِيَّتِهِ عَنِ تِلْكَ الصِّدْمَةِ الَّتِي انْتَابَتْ الشَّبَابَ، وَبَعْضُهُمْ اتَّخَذَ مِنْهُ مَوْقِفًا مُتَعَتِّتًا لِلْغَايَةِ.

[٧] بِالنِّسْبَةِ لِلْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَقَدْ كَانَتْ - بِاسْتِثْنَاءِ «الْإِحْوَانِ» - فِي

غِيَابٍ تَامٍّ عَنِ السَّاحَةِ. فَقَطُّ بَعْدَ مَعْرَكَةِ «جَاجِي» الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ مُنْعَطِفًا

خَطِيرًا فِي الدَّوْرِ الْعَرَبِيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، بَدَأَتْ الْجَمَاعَاتُ الْجِهَادِيَّةُ فِي التَّوَافُدِ إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ، أَوَّلُهَا - حَسَبَ عِلْمِي - جَمَاعَةُ الْجِهَادِ، تَبَعَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ أَيْضًا، ثُمَّ تَجَمُّعَاتٍ صَغِيرَةٍ مُعْظَمُهَا اسْتَكْمَلَ نُمُوهُ عَلَى أَرْضِ أَفْغَانِسْتَانَ. فَرَادَ بِهِمُ الزَّخْمُ الْقِتَالِيَّ وَلَكِنْ أزدَادَتْ الْفَوْضَى الْفِكْرِيَّةُ وَالْأَخْلَاقِيَّةُ وَالتَّنْظِيمِيَّةُ فِي صُفُوفِ الْعَرَبِ، رُغْمًا عَنْ بَطُولَاتِهِمُ الْخَارِقَةَ وَتَأْثِيرِهِمُ الْخَطِيرَ فِي مَسِيرَةِ الْقَضِيَّةِ. وَالسُّؤَالُ الْمُحْزِنُ هُوَ: «مَاذَا عَنْ تَأْثِيرِ هَؤُلَاءِ لَوْ كَانُوا تَكْتَلًا وَاحِدًا؟»، فَالْجَبَّهُ الْكُفْرِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ تَعْتَبِرُهُمْ جَسَدًا وَاحِدًا - وَذَلِكَ هُوَ الْمَفْرُوضُ - وَيَا لَيْتَهُ كَانَ.



فِي وَدَاعِ عَامِ ١٩٨٤ م

فِي شَهْرِ نَوْفَمْبَرِ ١٩٨٤ م كَانَ أَوَّلَ لِقَاءٍ لِي مَعَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامٍ» فِي الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ التَّابِعِ لِاتِّحَادِ الطَّلَبَةِ فِي شَارِعِ رَيْسِي فِي «بِيشاور»، وَيُدْعَى «جَمْرود رود». كَانَ الرَّجُلُ مُجَامِلًا وَشَجَاعًا، كَمَا اعْتَبَرْتُهُ وَقْتَهَا؛ لِكُونِهِ يَسْتَقْبِلُنِي عَلَنًا فِي هَذَا الْحَشْدِ الشَّعْبِيِّ الْجِهَادِيِّ وَالطُّلَابِيِّ مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ عَرَفَ سَاعَتَهَا مِنْ أَنَا، أَيْ عَرَفُونِي شَخْصِيًّا بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا عَنِّي الْكَثِيرَ وَالكَثِيرَ مِنْ «سَيَافٍ» وَرَهْطِهِ.

قَضِينَا أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ، كَشَفْتَ عُمُقَ الْفَجْوَةِ بَيْنَنَا مِنْ حَيْثُ تَنَاوَلِ قَضِيَّةِ أَفْغَانِسْتَانَ وَدَوْرِ الْعَرَبِ فِيهَا. كَمَا اكْتَشَفْتُ عُمُقَ الْفَجْوَةِ «الْمَعْلُومَاتِيَّةِ» الَّتِي تَقِفُ ضِمْنَ حَوَاجِزِ اللَّقَاءِ. فَهُوَ يَرَى الْوَضْعَ الْعَامَّ وَرَدِيًّا وَمُتَقَدِّمًا، وَكُنْتُ أَرَاهُ وَقْتَهَا خَطِيرًا وَمُنْذِرًا بِالشَّرِّ، بَلْ وَالْهَزِيمَةَ.

تَسَاءَلَ بِدَهْشَةٍ وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ وَقَالَ: «كَيْفَ ذَلِكَ؟ إِنَّ هَذَا الْعَامَ هُوَ أَفْضَلُ عَامٍ مِنْ حَيْثُ انْتِصَارَاتِ الْمُجَاهِدِينَ، هَكَذَا يَقُولُ «سَيَافُ» وَالْقَادَةُ، وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا مِنْ ضَابِطِ بَاكِسْتَانِيٍّ»!!

حَذَرْتُهُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي تَصْوِيرِ الْمُجَاهِدِينَ وَقَادَتِهِمْ بِصُورَةٍ مَلَائِكِيَّةٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَعُودُ بِكَارِثَةٍ فِي حَالَةِ خَسَارَةِ الْحَرْبِ؛ لِأَنَّ الشُّكُوكَ سَوْفَ تَتَوَجَّهُ إِلَى

المَبْدَأِ نَفْسِهِ. أَمَا إِذَا شَرَحْنَا الْحَقَائِقَ فَسَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ خَطًّا رَجَعَةَ جَيِّدٍ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، فَإِذَا انْتَصَرْنَا فَذَلِكَ قَدْ تَمَّ بِفَضْلِ اللَّهِ رُغْمَ أَخْطَانِنَا، وَإِذَا هُزِمْنَا تَحَمَّلْنَا نَحْنُ الْوِزْرَ وَبَقِيَ الْإِسْلَامُ وَالْجِهَادُ بَعِيدًا عَنِ الطَّعْنِ. وَذَكَرْتُهُ بِهَزِيمَةٍ ٦٧ وَكَيْفَ أَنَّهَا سَبَبٌ عَوْدَةٍ جِيلِنَا إِلَى الْإِسْلَامِ.

سَكَتَ الشَّيْخُ تَمَامًا وَلَمْ يَعْقُبْ.

وَلَمَّا عَلِمْتُ بِمَشْرُوعِ قَوَافِلِ الْإِمْدَادِ الَّتِي سَوْفَ يُحَرِّكُهَا نَحْوَ شَمَالٍ وَغَرْبٍ أَفْغَانِسْتَانَ لَمْ تَرْقِنِي الْفِكْرَةَ مِنْ أُسَاسِهَا، وَاکْتَفَيْتُ فَقَطُ بِتَنْبِيهِهِ إِلَى خُطُورَةِ التَّحْرُكِ فِي الشِّتَاءِ شِمَالًا بِسَبَبِ الثَّلْجِ، وَخُطُورَةِ التَّحْرُكِ غَرْبًا بِسَبَبِ الْكَمَائِنِ الْمُتَزَايِدَةِ، وَأَخْبَارُهَا لَا تَخْفَى عَنْهُ. وَلَكِنَّهُ قَالَ لِي بِبَسَاطَةٍ: «وَلَكِنِّي أَصْدَرْتُ أَوْامِرِي بِالتَّحْرُكِ». نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِدَهْشَةٍ، وَلَمْ أُعَلِّقْ، وَدَارَ فِي ذِهْنِي تَسَاوُلٌ: «أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَوْامِرِ ذَلِكَ الَّذِي لَا يُلْعَى حَتَّى لَوْ كَانَ الثَّمَنُ هُوَ هَلَاكُ الشَّبَابِ؟».

قَوَافِلُ الشَّمَالِ نَجَتْ بِأَعْجُوبَةٍ، وَقَضَتْ فِي صِرَاعٍ مَعَ الثَّلْجِ أَكْثَرَ مِنْ ضِعْفِ الْوَقْتِ الْمُقَرَّرِ لِلْوُصُولِ. وَفِي الْغَرْبِ كَانَتْ «الشَّهَادَةُ»!! وَلَكِنَّ مَكْتَبَ الْخِدْمَاتِ النَّاشِئِ وَظَفَهَا بِمَهَارَةٍ فِي إِثَارَةِ الْعَوَاطِفِ وَمُضَاعَفَةِ التَّبَرُّعَاتِ.

وَتَعَجَّبْتُ كَثِيرًا لِذَلِكَ. كُنْتُ أَتَوَقَّعُ تَحْقِيقًا فِي الْحَادِثِ، وَإِنْ لَمْ يُعَاقَبْ

المَسْئُولُ، فَعَلَى الْأَقْلِّ تُعَدَّلُ السِّيَاسَةُ وَنَسْتَفِيدُ مِنَ الْأَخْطَاءِ.

وَلَكِنِّي اكْتَشَفْتُ أَنَّ الْأَخْطَاءَ تَجْلِبُ الْمَزِيدَ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَيَا لَهَا مِنْ
مُفَارَقَةٍ.

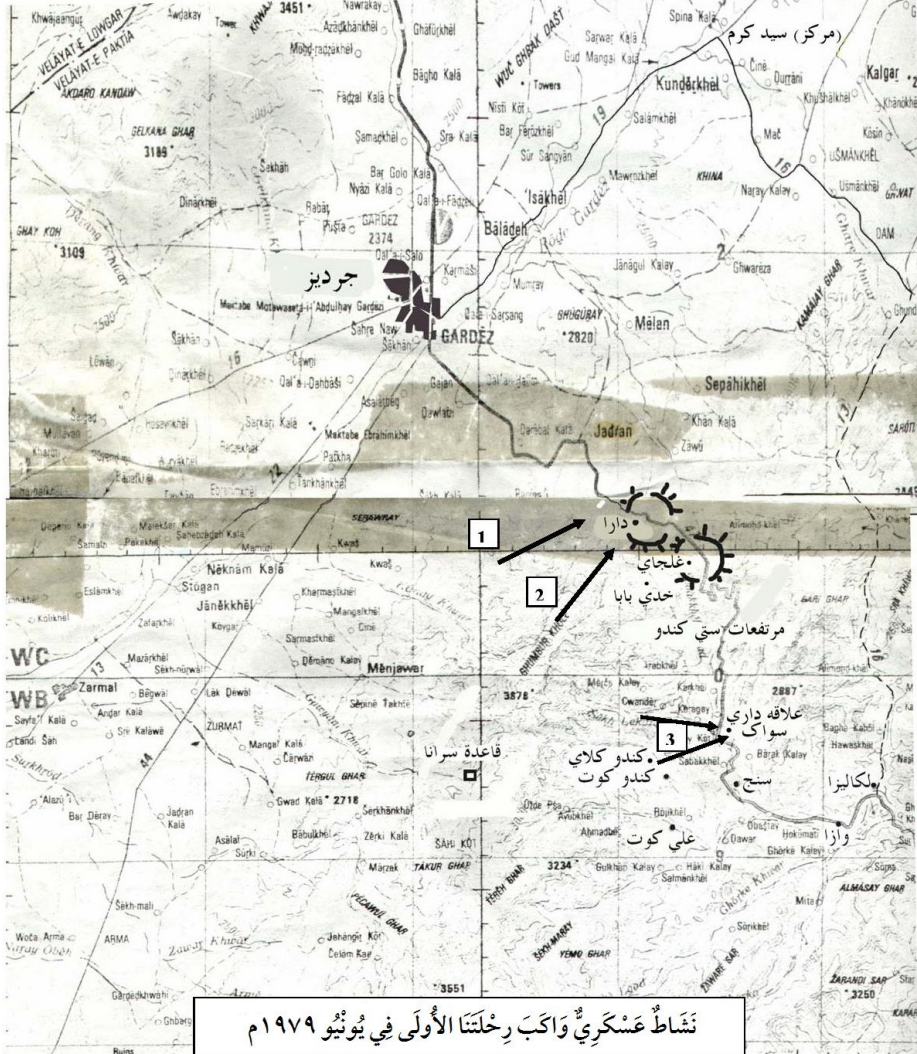
انْتَهَى الْكِتَابُ الْأَوَّلُ

خُوسْت

مُعَسَّكِرُ الْفَارُوقِ

١٩٩٥ م





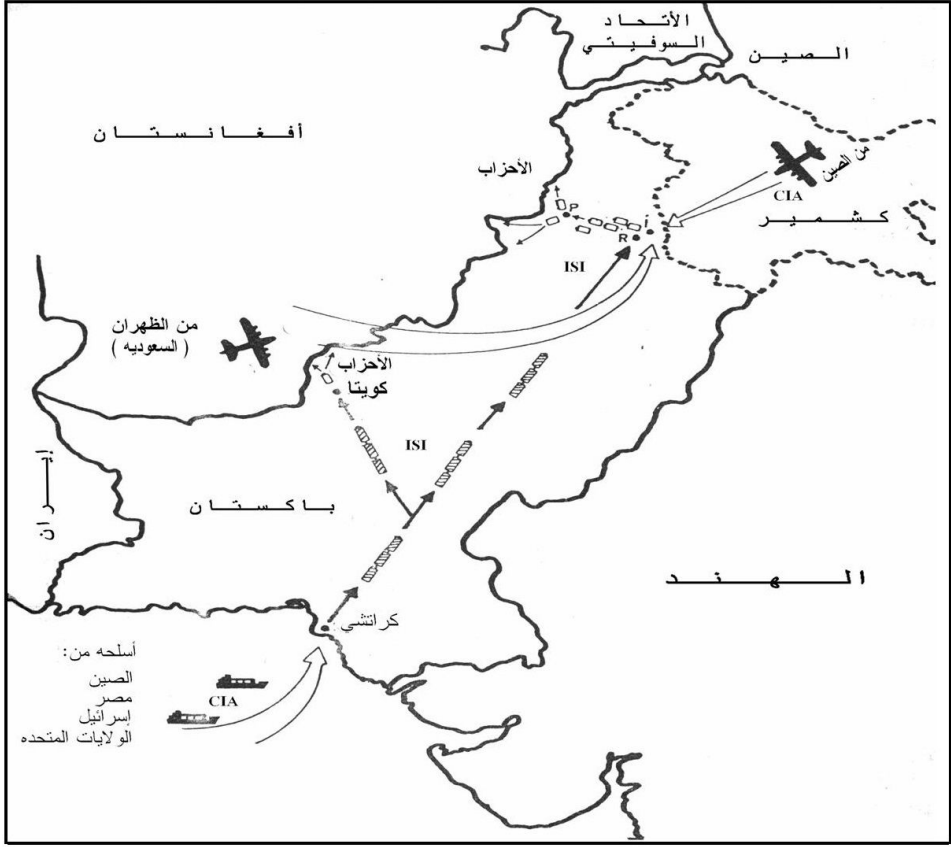
[١] الْعَمَلِيَّةُ الْأُولَى: كَمِينٌ لِقَافِلَةِ حُكُومِيَّةٍ «لَمْ تَنْجَحْ».

[٢] الْعَمَلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: مُنَاوَسَةٌ مَوْقِعِ حُكُومِيٍّ.

[٣] تَحْطِيمُ آخِرِ قَافِلَةِ عَسْكَرِيَّةٍ حُكُومِيَّةٍ، وَلَمْ تَمُرْ قُوَّاتٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ حَتَّى يَنَائِرَ ١٩٨٨ م، انْظُرْ كِتَابَ «خِيَانَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ».

* السَّهْمُ يُشِيرُ إِلَى هُجُومِ الْمُجَاهِدِينَ، وَنِصْفُ الْقَوْسِ الشَّائِكِ يُشِيرُ إِلَى الدَّفَاعَاتِ الْحُكُومِيَّةِ.

* مَلْحُوظَةٌ: قَرْيَةٌ «كَنْدُو كَلَاي» هِيَ مَسْقُطُ رَأْسِ «جَلَالِ الدِّينِ حَقَّانِي»، وَظَلَّتْ مُدْمَرَةً مُنْذُ بَدَايَةِ الْحَرْبِ، وَحَتَّى نَهَائِهَا.



المعونات الأمريكية

خطوط إمداد الأسلحة

(من كتاب «فخ الدب» ص ٩٩-١٠١)

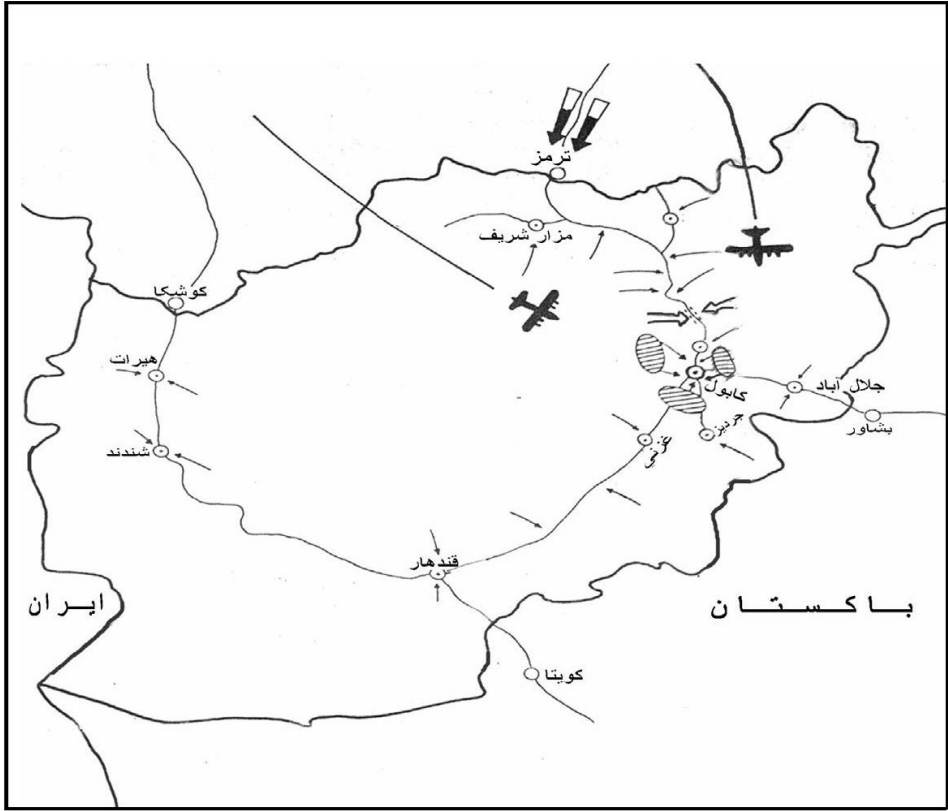
[١] المخابرات الأمريكية (CIA) تنقل الأسلحة بالسفن إلى «كراتشي»، وبالطائرات إلى «إسلام آباد».

[٢] المخابرات الباكستانية (ISI) تنقل الأسلحة بالطائرات إلى «راولبندي، كويتا».

[٣] (ISI) تنقل الأسلحة بالشاحنات إلى الأحزاب الأفغانية.

[٤] الأحزاب تنقل الأسلحة إلى مخازن الحدود.

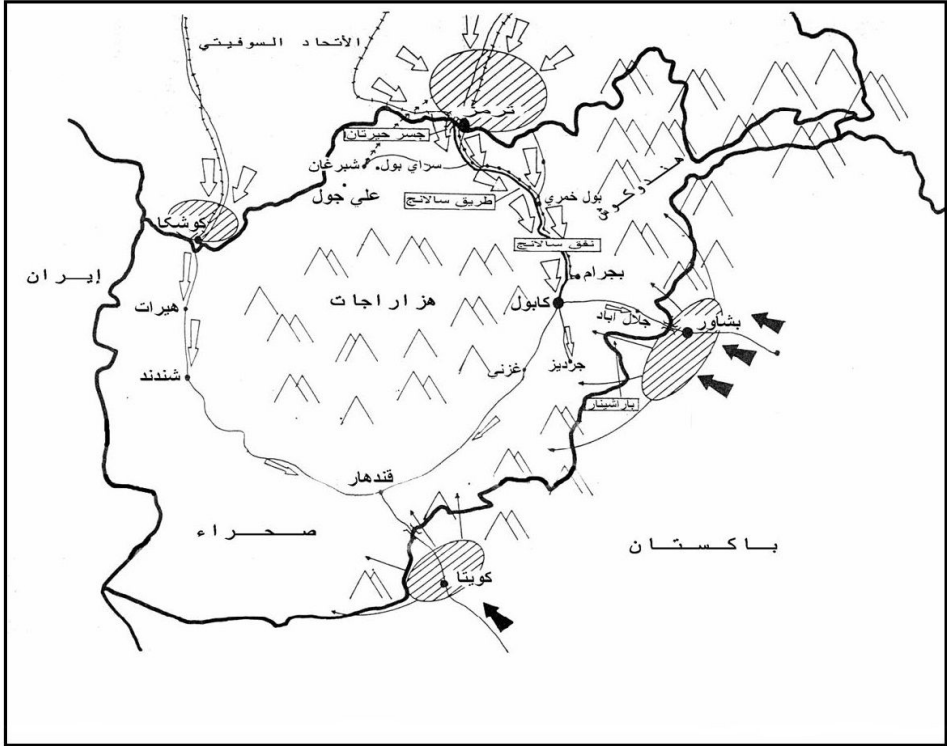
(I) «إسلام آباد»، (R) «راولبندي»، (R) «بيشاور».



اسْتِيرَاتِيجِيَّةُ الْجِنْرَالِ «أَخْتَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»
 لِكَسْبِ الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ
 (مِنْ كِتَابِ «فَتْحُ الدُّبِّ» ص ٢٢٥ - ١ ط)

- إِمْدَادَاتٌ سُوفِيَّةٌ مَحْمُولَةٌ جَوًّا إِلَى «كَابُل».
- إِمْدَادَاتٌ سُوفِيَّةٌ عَبْرَ طَرِيقِ «سَالَانج».
- الْمُجَاهِدُونَ يَحَاصِرُونَ «كَابُل» (كوهي - صافي).
- أَشَدُّ الْهَجَمَاتِ عَلَى نَفَقِ «سَالَانج».

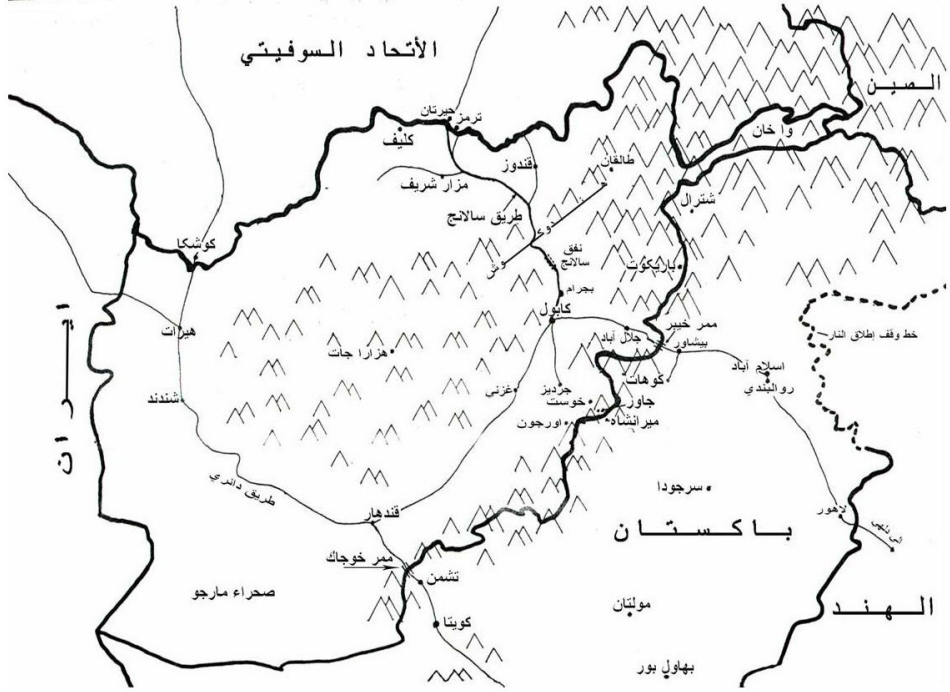
* تُشِيرُ الدَّائِرَةُ الْمَنْقُوطَةُ مِنَ الْوَسْطِ إِلَى الْمُدُنِ الْأَفْغَانِيَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ مُحَاطَةً، وَالْأَسْهُمُ إِلَى هَجَمَاتِ وَكَمَائِنِ الْمُجَاهِدِينَ.



طُرُقُ إِمْدَادٍ وَقَوَاعِدُ لِلسُّوفِيَّةِ وَالْمُجَاهِدِينَ

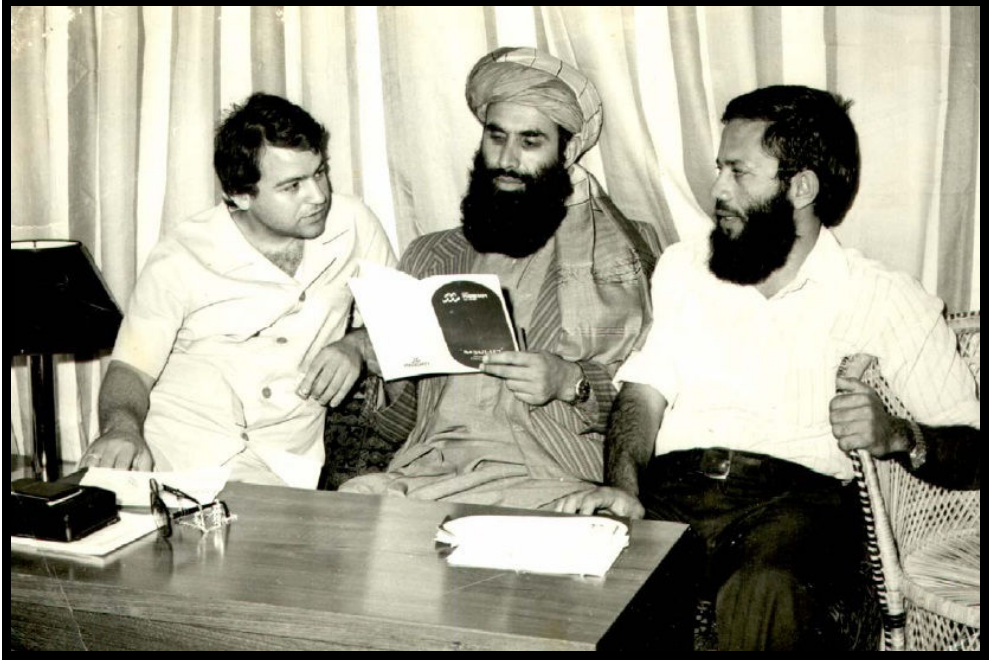
(مِنْ كِتَابِ «فَتْحُ الدَّبِّ» ص ٦٦-٦١)

* تُشِيرُ الدَّوَائِرُ الْمُظَلَّلَةُ إِلَى قَاعِدَةٍ اسْتِراتيجِيَّةٍ لِلإِمْدَادِ، وَالسَّهْمُ الأَبْيَضُ إِلَى طُرُقِ إِمْدَادِ سُوفِيَّةٍ، وَالسَّهْمُ الأَسْوَدُ إِلَى طُرُقِ إِمْدَادِ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَالخُطُوطُ المَنْقُوطَةُ إِلَى خُطُوطِ أَنَابِيْبِ نَفْطٍ وَغَازٍ طَبِيعِيٍّ.



أَفْغَانِسْتَانُ وَدَوْلُ الْجَوَارِ

(مِنْ كِتَابِ «فَتْحُ الدَّبِّ» ص ٢٢٥ - ١٦٥ ط)



عَامَ ١٩٨٠ م

«سَيَّاف» فِي الْمُنْتَصَفِ

أثناء جَوْلَتِهِ الْأُولَى كَرْتَيْسٍ لِلاتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ، قَبْلَ مُؤْتَمَرِهِ الصَّحْفِيِّ فِي أَحَدِ

فَنَادِقِ «أَبُو ظَبْيٍ»

الْمُؤَلَّفُ «إِلَى يَسَارِهِ»

صَحْفِيٌّ مِنْ جَرِيدَةِ «الْفَجْرِ» «إِلَى يَمِينِهِ»

قَامِيَةُ الْمُرَاجِعِ

- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.
- الْمُسْنَدُ الصَّحِيحُ الْمَعْرُوفُ بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ لِأَبِي الْحُسَيْنِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ (٢٠٦هـ - ٢٦١هـ)، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، خمسة مجلدات، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلِ الشَّيْبَانِيِّ (١٦٤هـ - ٢٤١هـ)، ط مؤسسه الرسالة، بيروت، الشام (لبنان)، خمسون مجلد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، المُشْرِفُ الْعَامُّ عَلَيَّ إِضْدَارِهَا الدُّكْتُورُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيِّ، المُشْرِفُ عَلَيَّ تَحْقِيقُهَا وَتَخْرِيجُ نُصُوبِهَا وَالتَّعْلِيقُ عَلَيْهَا الشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ شُعَيْبُ الْأَزْناؤُوط (١٩٢٨م - مُعَاَصِر).
- صَحِيحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتِهِ الْفَتْحِ الْكَبِيرِ لِمُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَلْبَانِيِّ (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ط المَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ، بَيْرُوت، الشَّام (لبنان)، مُجَلَّدَان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة.
- بَعْضُ الْمَوَاقِعِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ.



المحتويات

| | |
|-----|--|
| ٥ | خَرَائِطُ أَفْغَانِسْتَانَ |
| ٩ | مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ |
| ٢١ | التَّعْرِيفُ بِالْمُؤَلَّفِ |
| ٢٣ | ١٥ طَلَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ |
| ٢٣ | مُقَدِّمَةٌ |
| ٣٢ | تَعْلِيقَاتٌ بَعْدَ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ (٢٠٠١م) |
| ٣٥ | الفصل الأول: بَيْنَ أَفْغَانِسْتَانَ وَفَلَسْطِينَ |
| ٦٨ | الفصل الثاني: الْبَحْثُ عَنِ «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» |
| ٧١ | تَدْرِيبٌ فِي صَحْرَاءِ «بَلْبِيس» |
| ٨١ | إِسْلَامُ الْمُتْرِفِينَ |
| ٩٣ | رِحْلَةُ سِرِّيَّةٍ إِلَى لُبْنَانَ |
| ١١٩ | اللقاء الأول مع أفغانِسْتَانَ |
| ١٣٨ | تَعْلِيقَاتٌ عَلَى الْفَصْلِ الثَّانِي |
| ١٤٠ | الفصل الثالث: الرِّحْلَةُ الْأُولَى: لِقَاءٌ مَعَ الْجِهَادِ |
| ١٤٣ | صَحْفِيٌّ رُغِمَ أَنْفِهِ |
| ١٦٣ | مَا هُوَ مَذْهَبُكَ؟ |
| ١٨٤ | لِقَاءٌ حَارٌّ مَعَ الطَّيْرَانِ |

- ٢٠١..... مَعَ السَّلَاحِ الثَّقِيلِ
- ٢١٣..... ١٥ طَلَقَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- ٢٣٢..... مَخَاطِرُ الْأَرْضِ الصَّدِيقَةِ
- ٢٤٧..... الْعَوْدَةُ
- ٢٦٣..... التَّقْرِيرُ الْأَوَّلُ عَنِ الرَّحْلَةِ الْأُولَى
- ٢٦٣..... مُقَدِّمَةٌ
- ٢٦٤..... بَدَايَةُ الصَّرَاحِ
- ٢٦٥..... رَدُّ الْفِعْلِ الْإِسْلَامِيِّ
- ٢٦٧..... انْفِسَامَاتٌ فِي الصَّفِّ الْإِسْلَامِيِّ
- ٢٧١..... جِهَادٌ فِي الْجِبَالِ، وَجِهَادٌ فِي «بِشَاوَر»
- ٢٧٦..... الْوَضْعُ الْعَسْكَرِيُّ وَالْوَضْعُ الْاِقْتِصَادِيُّ
- ٢٧٨..... الْمَوْقِفُ الرُّوسِيُّ
- ٢٨٠..... مَوْقِفٌ بَاكِسْتَانَ مِنْ الْحَرْبِ
- ٢٨١..... مَوْقِفُ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
- ٢٨٣..... مَا هُوَ الْحَلُّ؟
- ٢٨٦..... تَعْلِيلَاتٌ عَلَى التَّقْرِيرِ السَّابِقِ
- ٢٨٦..... [١] مَوْلَوِيُّ «مُحَمَّدُ يُونُسُ خَالِصٌ»
- ٢٩٦..... [٢] الصَّحَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَجْهَزَةُ الْمُخَابِرَاتِ
- ٣٠٧..... [٤] الْخِلَافُ وَالشَّقَاقُ سِمَاتُ نَابِتَةٍ فِي الْقَادَةِ الْأَفْغَانِ
- ٣١١..... [٥] الْفَضَايَا الْعَمَلِيَّةُ تَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلَ عَدَّةٍ
- ٣١٤..... [٦] الْإِعْدَادُ لِلجِهَادِ يَتَحَوَّلُ غَالِبًا إِلَى حِيلَةٍ لِإِغَايَةِ عَمَلِيًّا مَعَ الْاِعْتِرَافِ بِهِ شَكْلِيًّا
- ٣١٦..... [٧] الشُّرُوطُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي وَضَعَهَا الْمُعْتَدِلُونَ لِبَدْءِ الْجِهَادِ
- ٣١٨..... [٨] جِهَادٌ فِي الْجِبَالِ، وَجِهَادٌ فِي «بِشَاوَر»
- ٣٢٠..... [٩] لَمْ يَكُنْ الْحِصَارُ مُحْكَمًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَوْلَ أَيِّ مَدِينَةٍ أَفْغَانِيَّةٍ

- ٣٢٢ [١١] التَّوَجُّدُ الْمِيدَانِيُّ لِلْقِيَادَةِ لَهُ تَأْثِيرٌ مَعْنَوِيٌّ ضَخْمٌ يُؤَثِّرُ إيجابياً في نَتَائِجِ الْمَعَارِكِ.....
- ٣٢٣ [١٢][١٣] الْقِيَادَاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ الْكَبِيرَةُ فَرَّتْ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى «بِشَاوَر».....
- [١٦] الْمُجَاهِدُونَ هُمْ أَكْثَرُ الْفِتَاتِ فَقَرَأَ وَأَقْلَبَهَا شُهْرَةً فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَكْثَرَهَا نَعْرُضًا
- ٣٣١ لِلتَّشْهِيرِ وَالْهُجُومِ.....
- ٣٣٩ [٢٢] شِرَاءُ الْأَسْلِحَةِ الثَّقِيلَةِ وَذَخَائِرِهَا وَسَجْبُهَا مِنْ أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ.....
- ٣٥٠ ١٩٨٠م عَامُ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيِّ عَلَى الشُّيُوعِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مَعًا.....
- ٤٠٠ عَامُ ١٩٨١م قِتَالٌ ضِدَّ السُّوفِيَّةِ.. وَآخِرُ ضِدَّ الْمُنْظَمَاتِ.....
- ٤٠٢ الرَّسَالَةُ الْأُولَى.....
- ٤٠٩ الرَّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ.....
- ٤١٦ الرَّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ.....
- ٤١٩ تَعْلِيقاتٌ عَلَى نَلْكَ الرَّسَائِلِ.....
- ٤٥٠ الرَّحْلَةُ الثَّانِيَّةُ إِلَى «جَرْدِيز» عَامَ ١٩٨١م.....
- ٤٥٦ قِصَّةُ الضَّابِطِ «رَشِيد».....
- ٤٦٨ مِدْفَعِيَّةُ الْجِبَالِ.....
- ٤٧٤ الْقَوَانِينُ الْخَاصَّةُ لِلْحَرْبِ.....
- ٤٨٦ مَأَزِقٌ مَعَ طَيَّارٍ حَاقِدٍ.....
- ٤٩٢ وَمُقَاتِلَاتٌ تُقَدِّمُ لَنَا الدَّعْمَ!!.....
- ٤٩٦ مَعَ «رَفِيعِ اللَّهِ»!!.....
- ٥٠٨ عَامَ ١٩٨٢م التَّحْوُلُ نَحْوَ «خُوسْت»... وَالطَّرِيقُ إِلَى «جَاوَر».....
- ٥١٤ الطَّرِيقُ إِلَى «جَاوَر».....
- ٥٣٤ أَلْغَامُ خَلَطِ الْأَوْرَاقِ.....
- ٥٣٧ إِزْعَاجٌ فِقْهِيٌّ - اسْتِخْبَارِيٌّ.....
- ٥٤٩ سُقُوطُ الْهَيْبَةِ السُّوفِيَّةِ.....
- ٥٥١ الْمُدُنُ الْأَفْغَانِيَّةُ عَامَ ٨٢.....

- ٥٥٣ أَرْزَمَةٌ فِي الْكِرْمَلِينَ
- ٥٥٨ أُفْغَانِسْتَانُ .. جِهَادٌ لِأَجْلِ الْعَالَمِ
- ٥٦٨ عَامُ ١٩٨٣ م تَوْرَةٌ فِي «الْأُورْجُون»
- ٥٨٢ التَّصْنِيعُ الْعَسْكَرِيُّ
- ٥٨٧ أُورْجُونُ: بَيْنَ الْقِطَاعِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْقِطَاعِ الْإِدَارِيِّ
- ٥٩٢ مَعَ «تَمِيمِ الْعَدْنَانِيِّ» فِي «الْأُورْجُون»
- ٦٠٨ حَيَاةٌ فِي «أُورْجُون»
- ٦١٦ مَعَ «رَبَّانِي» فِي «وَأَنَا»
- ٦٢١ مَعَ أَمِيرِ الْبَطَّاطِينَ فِي «بِشَاوَر»
- ٦٢٦ مَخَاضٌ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ
- ٦٣٠ الْإِنْجِلِيزِ فِي «بِشَاوَر»
- ٦٣٩ مَنْ «بَابِي» إِلَى «جَاجِي»
- ٦٤٥ عَامُ ١٩٨٤ م الْإِنْجِرَافُ يَتَأَصَّلُ
- ٦٥٦ نَكْسَةُ الْمَشَارِيعِ الْكَبِيرَةِ
- ٦٨٣ مَعَ الشَّيْخِ «الْجَزَائِرِيِّ»
- ٦٨٦ «ابْنُ لَادِن» فِي «شِبَاكِ جَاجِي»
- ٧٠٣ جِهَادٌ بِلا خُطَّةٍ
- ٧١٦ مُقْتَرِحَاتُ قَادَةِ الْجِهَادِ
- ٧٢٦ الْوَضْعُ فِي الدَّخْلِ وَقَادَةُ الْجَبَهَاتِ
- ٧٢٧ مُقْتَرِحَاتُ قَادَةِ الْجَبَهَاتِ
- ٧٢٩ مَلَاحِجُ عَامَّةٌ لِمَشْرُوعِ عَرَبِيٍّ لِدَعْمِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ
- ٧٣٠ الْمَشْرُوعَاتُ الْمُقْتَرِحَةُ لِتَقْوِيَةِ الْجِهَادِ
- ٧٣٣ مَلَاحِظَاتٌ حَوْلَ التَّقْرِيرِ
- ٧٣٨ إِنْشَاءُ مَدْرَسَةٍ لِتَدْرِيبِ الْكِلَابِ عَلَى اكْتِشَافِ الْأَلْغَامِ

- ٧٣٨..... الأَلْعَامُ الحَارِقَةُ المُنْصَنَعَةُ مَحَلِّيًّا
- ٧٣٩..... المُسْتَشْفِيَّاتُ المِيدَانِيَّةُ
- ٧٤٠..... البَنْدُ السَّابِعُ: [الاسْتِزَافُ وَحَرْبُ العِصَابَاتِ]
- ٧٤٢..... البَنْدُ الثَّامِنُ
- ٧٤٣..... البَنْدُ التَّاسِعُ
- ٧٤٣..... البَنْدُ العَاشِرُ
- ٧٤٤..... تَحَوُّلَاتٍ جَدِيدَةٍ
- ٧٥١..... مَطْلُوبٌ لِلقِتْلِ
- ٧٥٨..... قِسْمُ الأَبْحَاحِ وَالمَعْلُومَاتِ
- ٧٦٥..... التَّقْرِيرُ الأوَّلُ: الشِّتَاءُ الحَرِيحُ ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٤ م.
- ٧٦٩..... الوَضْعُ الدَّاخِلِيُّ
- ٧٧٠..... أَوْضَاعُ المَدِينِينِ
- ٧٧٦..... المَوْقِفُ السِّيَاسِيُّ
- ٧٧٨..... مَلَامِحُ الحَلِّ السِّيَاسِيِّ المُقْتَرَحِ
- ٧٧٩..... مَوْقِفُ بَاكِسْتَانَ مِنَ الحَلِّ السِّيَاسِيِّ
- ٧٧٩..... مَوْقِفُ الأَحْزَابِ الأَفْغَانِيَّةِ
- ٧٨١..... مَوْقِفُ أَمْرِيكََا مِنَ الحَلِّ السِّيَاسِيِّ
- ٧٨٢..... المَوْقِفُ الإِسْلَامِيُّ
- ٧٨٣..... «الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ»
- ٧٨٥..... الحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ
- ٧٨٨..... إِمْكَانِيَّاتُ العَمَلِ فِي المُسْتَقْبَلِ
- ٧٩٣..... التَّقْرِيرُ الثَّانِي: خُطُواتٌ عَمَلِيَّةٌ فِي الجِهَادِ الإِسْلَامِيِّ بِأَفْغَانِسْتَانَ
- ٧٩٦..... أوَّلًا: قِسْمُ الأَبْحَاحِ وَالمَعْلُومَاتِ
- ٧٩٧..... ثَانِيًا: قِسْمُ الخِدْمَاتِ المُبَاشِرَةِ

- ٨٠٠..... التَّقْرِيرُ الثَّلَاثُ: الانْقِسَامَاتُ
- ٨٠٣..... البَحْثُ عَنِ الْاِتِّحَادِ
- ٨٠٥..... تَرْتِيبُ الْأَوْرَاقِ
- ٨٠٩..... التَّقْرِيرُ الرَّابِعُ: مُقَابَلَةُ عَمَلٍ مَعَ الدُّكْتُورِ «عَبْدِ اللَّهِ عَزَّامِ» الْجُمُعَةَ ٣٠ / ١١ / ١٩٨٤ م
- ٨١١..... بَرَامِجُنَا تَحْتَ التَّنْفِيزِ
- ٨١٥..... مُشْكَلَتُنَا مَعَ «سَيَّافٍ»
- ٨١٦..... بَدَايَةُ الْبِرْتَا مَجِ
- ٨٢٢..... التَّقْرِيرُ الْخَامِسُ: حَصَادُ الْمَرْحَلَةِ ١٩ / ١٢ / ١٩٨٤ م
- ٨٢٣..... الْمَوْقِفُ دَاخِلَ أَفْغَانِسْتَانَ
- ٨٢٥..... مَوْقِفُ الْمُهَاجِرِينَ
- ٨٢٦..... الْقِيَادَاتُ السِّيَاسِيَّةُ فِي «بِيشَاوَرِ»
- ٨٢٨..... مَصِيرُ الْاِتِّحَادِ
- ٨٢٨..... مَصِيرُ الْمُقَاوَمَةِ
- ٨٣١..... مَوْقِفُ الْحُكُومَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ
- ٨٣٣..... الْمَوْقِفُ الْعَرَبِيُّ الرَّسْمِيُّ
- ٨٣٤..... الْمَوْقِفُ الشَّعْبِيُّ الْعَرَبِيُّ
- ٨٣٤..... تَعْلِيقَاتٌ عَلَى التَّقْرِيرِ الْخَامِسِ «حَصَادُ الْمَرْحَلَةِ»
- ٨٥٦..... فِي وِدَاعِ عَامِ ١٩٨٤ م
- ٨٦٥..... قَائِمَةُ الْمَرَاجِعِ



إِصْدَارَاتُ مَوْسَسَةِ الْمُرَابِطِينَ

لِدَعْمِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ

١ - دَعْوَةُ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ (الجزءُ الأوَّلُ: المُقَدِّمَةُ)، لِأَبِي مُصْعَبِ الشُّورِيِّ.

٢ - شَعْبُ مِصْرَ أَوْ غَيْرُهُ مُتَدَيِّنٌ بِطَبْعِهِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْإِدْعَاءِ، لِأَبِي طَلْحَةَ الْمُرَابِطِيِّ.

٣ - كَيْفَ نَنْصُرُ إِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ فِي سُورِيَا، لِأَبِي طَلْحَةَ الْمُرَابِطِيِّ.

٤ - رَسَائِلُ إِلَى كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ لِلْإِسْلَامِ (رِسَالَةُ الْجِهَادِ وَالْإِحْتِسَابِ وَالصَّبْرِ)، لِإِبْرَاهِيمِ.

٥ - الدِّفَاعُ عَنِ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ أَهْمٌ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ، لِعَبْدِ اللَّهِ عَزَّامِ.

٦ - رَسَائِلُ الشَّيْخِ عَطِيَّةُ اللَّهِ اللَّيْبِيِّ (الجزءُ الأوَّلُ)، لِعَطِيَّةِ اللَّهِ اللَّيْبِيِّ.

٧ - ١٥ طَلْقَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِمُصْطَفَى حَامِدِ.

